شؤون فلسطينية

٤٣
آذار (مارس) ١٩٧٥



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤٣ — آذار (مارس) ١٩٧٥

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في امركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

شؤون فلسطينية

في لقاء ضم ممثلي عشرين مجلـة فكرية وثقافية عـربية عقد في طرابلس الغرب بمناسبة انعقاد ندوة الثقافة العربية للتعريب في الاسبوع الاخير من ينـاير ، أوصى الحضور بأن تتولى شؤون فلسطينية مهمة تصحيح الاخطاء الشائعة حـول القضية الفلسطينية التي ترد في الصحف والكتابات العربية بشكل عام . فقد كان الحديث في ذلك اللقاء الصحافي — الفكري الذي يكاد يكون الاول من نوعه يدور حول دور وسائل الاعلام ، وخاصة المجلات الفكرية والثقافية ، في تعريب الكلمات وفي تعريف القـارىء على الكلمات المعربة وفي وضع حد لتسرب الكلمات والمصطلحات الاجنبية الى اللغـة العربية . وانتقل الحديث الى مشكلة اخـرى قريبة منهـا ، وهي شيوع الاسمـاء العبرية للاماكن والمواقع الفلسطينية ، وهو خطأ ترتكبه الصحف العربية بشكل ملفت للنظر . وبالطبع يعود هذا الخطأ الى اجراءات اسرائيل بتبديل الاسماء العربية بالفاظ عبرية ، والى نقل وكالات الانباء الاخبار عـن فلسطـين المحتلـة حسب الصيغـة الاسرائيلية ، والى جهـل بعض الكتّاب والمحررين العرب بالاسماء وبالمـواقع الفلسطينية بحيث يأخذون الالفاظ العبرية كما ترد لهم ، من هنا أجمع الزملاء الملتقون في ندوة طرابلس على ان مجلة شؤون فلسطينية مدعوة لان تسهم في تصحيح هـذه الاخطـاء ، وغيرها من الاخطـاء التي تتعلـق بالقضية ، سواء من ناحية الوقـائع التاريخية او الحقائق العلمية .

وشؤون فلسطينية ، اذ تعتز بهذه المهمة وتعرب عن استعدادها الكامل لان تلبـي الواجب ، ترجو من كافة الاخوان والزملاء والكتـاب والصحـافيين العرب ، الذين يخامرهم الشك في صحة واقعة او في دقة تعبير او في مصدر اقتباس ، ان يستفسروها وهي مستعدة لان تحاول العثور لهم على الرد الصحيح ، معتمدة على ما في مكتبـة مركز الابحاث من مصادر للمعلومات ووثائق وادبيات تعين الباحث .

وفي الوقت نفسه تلفت شؤون فلسطينية نظر هؤلاء الزملاء الى ان مركز الابحـاث اصدر عددا من المنشورات التي تحتوي المعلومات التي يحتاجها الباحث كمراجع يعود اليها عند الحاجة ، للاحداث التاريخية ، لافكار المقاومـة ، للمواقـع الجغـرافية ، لمؤسسات الكيان المغتصب ، للفكر الصهيوني ، لجرائم الاحتلال ، للثقافة الفلسطينية، لاقوال العدو ، ولعشرات المواضيع الاخرى التي تهم الكاتب العربي . وقد صدر عن مركز الابحاث في هذا الاسبوع فهرس كامل بمنشوراته ، في اللغـات المختلفة ، في السنوات العشر الماضية . وبامكان من شاء الحصول عليه ان يتمكن من ذلك بمجرد الكتابة الى قسم التوزيع في المركز (او في المجلة) بطلب هذا الفهرس .

أ٠ص٠

الرد الحاسم في جنوب لبنان

المقدم الهيثم الايوبي

يمثل لبنان الحلقة العسكرية الاضعف في الطوق العربي المحيط باسرائيل . واذا قارنا امكانات لبنان مع امكانات دولتين من دول المجابهة : سورية والاردن ، وجدنا أن ضعف لبنان العسكري لا يعود الى ضآلة امكاناته البشرية او الاقتصادية أو التقنية . فسكان لبنان اكثر من سكان الاردن بضفتيه الشرقية والغربية ، وهم يعادلون نصف سكان سورية تقريبا(١). ويبلغ الدخل القومي اللبناني العام رقما يزيد على الدخل القومي السوري ، ويعادل الدخل القومي الاردني مضروبا بـ ٢،٦(٢). ولا يصل دخل الفرد السوري سنويا الى ٣٩٪ من دخل الفرد اللبناني السنوي ، كما لا يصل دخل الفرد السنوي في الاردن الى ٣٣٪ من دخل الفرد اللبناني سنويا(٣). أما من ناحية القاعدة الثقافية والتقنية فان مستوى لبنان مماثل لمستوى الدولتين العربيتين المذكورتين في العديد من المجالات .ومتفوق عليه في مجالات اخرى (الامية، المستشفيات الورشات الميكانيكية ، المهندسون ، الاطباء ، الفنيون ... الخ) . ولا يمكن تفسير ضعف لبنان العسكري بالنسبة الى جيرانه الا من خلال فهم سياسته وتأثيرها على واقعه العسكري .

لقد دخل لبنان حرب ١٩٤٨ ضد اسرائيل الى جانب الدول العربية ، وقام بالدور العسكري الذي سمحت به امكاناته المحدودة كدولة حديثة الاستقلال ، وعندما عقدت الدول العربية اتفاقية رودوس في العام ١٩٤٩ ، عقد لبنان مع العدو اتفاقية مماثلة . ومنذ ذلك الحين حصل تطور ملموس في السياسة اللبنانية اخرج هذا القطر من معسكر المجابهة الذي يضم مصر وسورية والاردن . ولقد تمحور الخط السياسي اللبناني بعد ١٩٤٩ حول درء الخطر الاسرائيلي بالاعتماد على الضمانات الدولية لا على القوة الذاتية اللبنانية او العربية . وكان انصار هذا الخط يبررون قرارهم بالنقاط التالية :

١ — ان مرحلة ما بعد حرب ١٩٤٨ هي مرحلة دفاع لا هجوم . وطالما ان الدول العظمى لا تسمح بالهجوم على اسرائيل وتدمير البنية الصهيونية للدولة الجديدة ، وطالما أن اي جيش سيبنيه لبنان للهجوم سيكون معطلا عن الهجوم (دوليا) ، وسيتحول بالضرورة الى جيش دفاعي يمنع اسرائيل من تحقيق اهدافها التوسعية وتنفيذ أطماعها في جنوب لبنان ، فان بناء جيش ضخم ذي حجم هجومي عمل غير فعال للهجوم ، وهو في الوقت نفسه كثير التكاليف بالنسبة الى الدفاع ، خصوصا وان من الممكن تحقيق هدف الدفاع بالضمانات الدولية . ولقد زاد التركيز على هذه النقطة بعد صدور الضمان الثلاثي الاميركي الفرنسي البريطاني في العام ١٩٥٠ الذي ضمنت فيه الدول الكبرى الثلاث أمن اسرائيل وسلامة اراضيها .

٢ — ان بناء جيوش كبيرة في دول العالم الثالث ، وعدم تحديد هدف استراتيجي واضح ، يجعل هذه الجيوش تعيش حالة عطالة تامة تدفعها الى التدخل في سياسة الدولة، ومحاولة لعب دور مؤثر في تخطيط هذه السياسة بدلا من العمل كأداة لتنفيذها،

الامر الذي قد يقودها الى السير على طريق استخدام القوة للوصول الى السلطة ، والقيام بانقلابات عسكرية تحرم البلد من الاستقرار ، وتعرضه لهزات وصدامات تعرقل نموه . ومما لا شك فيه ان الانقلابات العسكرية التي شهدتها بعض البلدان العربية في الخمسينات ، وما نجم عنها من اضطراب اجتماعي واقتصادي ، قد عززت التركيز على هذه النقطة ، واعطتها طابعا محسوسا يمكن لمس آثاره بدون عناء .

٣ ــ ان السياسة الامنية لدولة ما (وبناء الجيش جزء من هذه السياسة) لا تشكل في حد ذاتها هدفا ، ولكنها وسيلة غايتها خلق الظروف المناسبة التي تسمح بتطبيق الاهداف التي تحددها سياسة الدولة . وبما ان سياسة الدولة لا تستهدف في تلك المرحلة المشاركة في حرب تحرير فلسطين ــ على اعتبار ان حرب التحرير غير ممكنة في الظروف الدولية القادمة ــ فانها تكتفي بحماية الوطن . والحماية ممكنة بعدة أساليب . وعلى الدولة ان تختار الاسلوب الاقل تكلفة طالما انه يحقق الغرض المنشود . وبناء القوة الذاتية هو اكثر الاساليب تكلفة من الناحية المادية ، على حين ان الضمانات الدولية اقلها تكلفة . لذا فان من الحكمة تحقيق الغرض دون تكاليف ، او مع الحد الادنى من التكاليف ، واستخدام مصروفات التسلح الباهظة في مجالات الانماء .

٤ ــ ان اسرائيل دولة قوية عسكريا ، وتسعى الامبريالية لجعلها دائما اقوى من الدول العربية المجاورة والقوى العربية البعيدة التي يمكن ان تصل الى مسارح القتال خلال فترات الحرب القصيرة الخاطفة . ولذا فان بناء القوات المسلحة اللبنانية لن يبدل موازين القوى لصالح العرب ، ولكنه سيدفع اسرائيل الى تعزيز جيشها بقوات اضافية تعدل الموازين من جديد ، ولن يؤدي الا الى استفزاز الدولة العسكرية الصهيونية ، وجعلها تتجه نحو الاعتداء على لبنان بحجة حماية امنها ، لان تبرير الاعتداء على لبنان المتعسكر اسهل من تبرير الاعتداء على لبنان المسالم . ولقد زاد التركيز على هذه النقطة بعد حرب ١٩٥٦ ، ووصل التركيز الى ذروته بعد حرب ١٩٦٧ ، وانتصار اسرائيل على ثلاثة جيوش عربية بآن واحد .

والحقيقة ان كل هذه النقاط قابلة للمناقشة والدحض . فمقولة مرحلة الدفاع لا الهجوم لا تثبت امام واقع اكيد وهو ان الانتقال الى الهجوم ، عندما تتبدل الظروف التي تفرض الدفاع ، لا يمكن ان يتم خلال اشهر ، لان بناء القوة الهجومية يتطلب اعداد الرجال والعتاد والكوادر خلال سنوات طويلة . ولا يمكن تحويل الجيش الصغير الى جيش كبير بمجرد استيراد الاف الدبابات والطائرات والمدافع وتكديسها ، ولا بد ان يكون هناك العنصر البشري المعد لاستيعابها ، والخبرات المتراكمة ، والكوادر المؤهلة لقيادة القطعات في الميدان . ومقولة الانقلابات العسكرية غير واردة ، حتى في العالم الثالث ، اذا ما تم خلق الانسان الواعي لحقوقه وواجباته والمستعد للدفاع عنها ضمن اطار التنظيمات الشعبية ، وخاصة اذا كانت الدولة قادرة على تأمين حقوق المواطنين بشكل يحرم الانقلابيين من المبررات النفسية للقيام بمغامرتهم . ومقولة الضمانات الدولية مهزوزة من أساسها ، ولا يمكن الاعتماد عليها لضمان أمن دولة من الدول ، ولا أدل على ذلك من أن حكومة اسرائيل ترفض هذه الضمانات ، مع انها حتى الان دولة قوية قادرة على الدفاع عن نفسها ، ولكنها تعرف ان السياسة الدولية قابلة للتبدل ، وانه ليس في السياسة صداقات دائمة او عداوات دائمة ، وانه ليس من حقها ان تعرض مجتمعها للخطر في حالة تبدل السياسة العالمية من جراء تبدل المصالح . اما مقولة ميزان القوى ، فهي تأخذ بعين الاعتبار مبدأ **القوة تخلق القوة المضادة** ، ولكنها تتجاهل أن خلق القوة خاضع لقانون الاشباع (الذي سنشرحه في

مقال مقبل تحت عنوان « العامل البشري في الصراع العــربي الاسرائيلي ») ، وان امكانات اسرائيل البشرية المحدودة ستجعلها تصل الى نقطة الاشباع قبل العرب بحيث يتعطل قانون القوة تخلق القوة المضادة . وتصبح اية قوة عربية اضافية عبارة عــن زيادة في ميزان القوى لصالح العرب لا تستطيع اسرائيل تعديلها .

واذا بحثنا عن خلفيات هذه النقاط كلها ، وجدنا أنها طرحت لتبريــر موقف طبقــي اتخذته الطبقات الاجتماعية ــ الاقتصادية المسيطرة لتأمين مصالحها ، ويتمثل هذا الموقف في الخروج من دائرة ضوء الصراع العربي ــ الاسرائيلي لجعل لبنان منطقــة مستقرة ، تحتكر تجارة الترانزيت في المشرق العربي ، وتجتــذب السياح العــرب والاجانب ووكالات الشركات الاجنبية وخطوط الطيران العالمية ، وتجتذب قبل كل شيء رؤوس الاموال العربية الراغبة في الهدوء والتي لا تجد في اقطارها مجالات للاستثمار المجزي (رؤوس أموال من الدول النفطية قبل الانفتاح على الاستثمــار في اوروبــا واميركا) ، أو لا تجد في اقطارها الاستقرار الذي يضمن الاستثمار (رؤوس امــوال من الدول العربية ذات التوجه الاشتراكي) . الامر الذي يؤمن لهذه الطبقات ربحــا مباشرا او غير مباشر . ولقد وجدت الطبقات المسيطرة بالاضافة الى ذلك ان عــدم بناء جيش قوي يؤمن لها فائدتين اضافيتين : اولاهما ، ان بناء مثل هذا الجيش يتطلب تجنيد كل افراد الشعب وتدريبهم وتمازجهم داخل بوتقة الثكنة ، وهذا امر يؤدي على المدى الطويل الى دمقرطة (Democratisation) القوات المسلحة وتجريدها مــن طابعها كفئة معزولة عن الشعب ومستعدة لضربه عند اللزوم ، والثانية ان تخفيــض مصروفات التسلح يعني تحويل جزء من هذه المصروفات الى المشروعات العامــة (مرافىء ، طرق ، شبكات سلكية ولاسلكية ، مدارس مهنية ... الخ) التي تستفيد منها الطبقات العليا المسيطرة بشكل غير مباشر ، لانها تسهل لها تسيير مشروعاتها الخاصة ، وتؤمن ازدهارها ، ولا يحتمل ان تدخل معها في تنافس ، طالما ان الدولــة لن تتجه نحو مشاريع القطاع العام الصناعي والتجاري . كما ان جزءا من المصروفات سيتحول الى الخدمات الاجتماعية الصحية ، وزيادة رواتب الموظفين ، بشكل يزيــد القوة الشرائية العامة ، ويزيد بالتالي الربح التجاري والصناعي . لهذه الاسبــاب مجتمعة تبنت الطبقات الحاكمة السياسة الجديدة التي كان من نتائجها صغر القــوة المسلحة اللبنانية بالنسبة الى القوة المسلحة الموجودة في المنطقة . وانخفاض مجمل عدد افراد القوات المسلحة اللبنانية الى ما يعادل ١٢٪ من عدد افراد القوات المسلحة السورية ، و ٢٠٪ من عدد افراد القوات المسلحة الاردنية ، وانخفاض عدد الطائرات المقاتلة الى ٦٪ و٣٦٪ ، وانخفاض عدد الدبابات المتوسطة الى ٣،٨٪ و١٢،٥٪ (٤)، وتحول لبنان الى أضعف حلقة عسكرية في الطوق مع أن امكاناته البشرية والاقتصادية والتقنية تسمح له بأن يكون حلقة متوسطة اضعف من الحلقة السورية وأقوى مــن الاردنية .

ولقد كان من الممكن ان لا يصل لبنان الى هذا الوضع لو ان مخططي السياســة الامنية اللبنانية الجديدة وعوا الحقائق التالية : اولا : ان الضمانات الامنية الاميركية للبنان لا يمكن ان تماثل الضمانات الامنية الاميركية لاسرائيل . فلبنان دولة صديقة ، اما اسرائيل فدولة مرتبطة عضويا ومصلحيا مع الولايات المتحدة . واذا ما فرض على واشنطن التفضيل في موقف ما ، فضلت مصالح الدولة « الحليفة ــ الاداة » عــلى مصالح الدولة الصديقة . ثانيا : ان الصداقة الاميركية للبنان ، وبالتالي ضماناتها ، مرهونة بمدى تغلغل الولايات المتحدة في المنطقة ، فعندما تكــون دول المنطقة كلهــا معادية لواشنطن تتقرب واشنطن من لبنان ، وعندما تتقارب الدول الكبيرة في المنطقة

من واشنطن . يفقد لبنان في نظرها جزءا كبيرا من أهميته ، ويصبح اهتمامها منصبا على كسب هذه الدول الكبيرة (وخاصة مصر) . ثالثا : ان هناك علاقة وثيقة بين الامن القطري والامن القومي . فكما ان زيادة قوة الدول العربية المجاورة لاسرائيل يشغل الدولة الصهيونية عن التفكير في الاعتداء على لبنان وتحقيق مطامعها فيه ، فان تدعيم القوة اللبنانية يزيد امكانية مجمل القوات العربية على ضرب اسرائيل او ردعها على الاقل . رابعا : ان المصالح البعيدة للفئات المسيطرة في لبنان لا تتحقق الا اذا تقزمت اسرائيل او تدمرت بنيتها العنصرية الصهيونية . لان توصل اسرائيل الى قهر الارادة العربية سيؤدي الى انفتاحها على العالم العربي ، واحتلالها مكان لبنان في لعب دور الوسيط التجاري والمصرفي في المنطقة ، خاصة وان البنوك والشركات الكبيرة التي تسيطر عليها الصهيونية ستعمل على تعزيز مواقعها وفروعها في اسرائيل لا في لبنان ، وستجعل من اسرائيل الواجهة التجارية ـ المصرفية للرأسمالية العالمية في الشرق الاوسط . الامر الذي سيؤدي الى ركود الحالة الاقتصادية في لبنان وضياع كل المصالح القريبة التي ظنت الفئات المسيطرة أنها قادرة على تحقيقها .

ورغم كل النقاط السلبية في السياسة الامنية اللبنانية ، فقد صمدت هذه السياسة حتى العام ١٩٦٧ ، وبقيت الحدود اللبنانية هادئة خلال ١٨ عاما . ولا يرجع السبب في ذلك الى أن الاسرائيليين نسوا مطامعهم في أرض لبنان ومياهه ، ولكنه يرجع الى أنهم كانوا يستعدون لضرب القوتين العربيتين الاكبر (مصر وسورية) ، على اعتبار ان ضربهما سيؤدي الى قهر ارادة الامة العربية كلها ، والانتقال بعد ذلك الى اقتطاف الثمار في لبنان وغيره من الاراضي التي يطمعون بالوصول اليها . ولقد دفعهم الانتصار في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الى الاعتقاد بأن هدفهم غدا قريب المنال . وان الارادة العربية مضطرة للخضوع ودفع ثمن الهزيمة . ولكن صمود الجماهير العربية ، ودعم السوفييت لمصر وسورية ومساعدتهما على اعادة بناء قواتهما المسلحة ، وخطأ الاسرائيليين في تقدير طبيعة الانسان العربي وردود فعله ، وطمعهم وغرورهم ورغبتهم في حرق مراحل تحقيق الحلم الصهيوني ، أضاعت على الدولة الصهيونية اكثر من فرصة ، وخلقت الظروف الموضوعية لاندلاع الحرب الرابعة .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد دخل بعد حرب ١٩٦٧ عامل جديد لم يأخذه مخططو الاستراتيجية الاسرائيلية بالحسبان ، وهو : تصاعد عمليات الثورة الفلسطينية وانتشارها . ولقد كان الاسرائيليون ينظرون الى عمليات الثورة بلا مبالاة ، ويعتقدون أن انهيار الجيوش العربية سيؤدي الى انهيار القوة المسلحة الفلسطينية . ولكن مصادفات الاقدار جعلت هزيمة ١٩٦٧ تقدم للثورة عوامل جديدة زادت من قوتها ومن بينها: تطابق الهدف الاستراتيجي المرحلي للدول العربية (تصفية آثار العدوان) مع جزء من الهدف الاستراتيجي للثورة (تدمير البنية الصهيونية لدولة اسرائيل وبناء الدولة الديمقراطية) ، ورغبة الدول العربية المعنية في استمرار جذوة الصراع ، وانهيار العسكرية الاردنية بشكل سمح ببناء قواعد الثورة في الضفة الشرقية ، وظهور اسرائيل امام العالم بمظهر الدولة المعتدية ، وتزايد السكان العرب الخاضعين للاحتلال ، واتساع رقعة الارض المحتلة ، ... الخ . وكان على الاسرائيليين ان يتابعوا القتال بعد انتهاء الحرب . وان يجابهوا الثوار الفلسطينيين داخل الارض المحتلة وخارجها .

ولقد توصل الاسرائيليون الى الاعتقاد ، وخاصة بعد توقف حرب الاستنزاف على قناة السويس (١٩٧٠) ان قتل الثورة الفلسطينية في مهدها عمل عسكري محدود

ولكنه ذو بعد استراتيجي ، لانه يعني اسكات اخر بندقية عربية مشرعة في وجوههم . وكانت تقديراتهم تدور حول مقولتين : ان الدول العربية غير راغبة في القتال وغير قادرة عليه ، وان الانتصار على الثورة الفلسطينية مسألة ممكنة مع بذل جهد معقول ، اذا أمكن عزل قواعد الثورة الداخلية عن قواعدها في الخارج . خاصة وان قيام النظام الاردني قبل حرب ١٩٦٧ بتدمير الكوادر والتنظيمات النضالية في الضفة الغربية ، وتجريد الضفة من السلاح ، قد جعل القواعد الداخلية بحاجة مستمرة للاتصال مع القواعد الخارجية . وهكذا سارت اسرائيل في مجابهة الثورة الفلسطينية وفق خطة سياسية — اعلامية — اقتصادية عسكرية ، يتمثل جانبها العسكري بالنقاط التالية : ١ — عزل قواعد الداخل عن قواعد الخارج ، ٢ — تصفية قواعد الداخل ، ٣ — درء الهجمات التي تشنها قواعد الخارج على المناطق الحدودية ، ٤ — ضرب قواعد الخارج لتدميرها او ردعها ردعا مباشرا ، ٥ — الاعتداء على البلدان العربية المضيفة (الاردن ، سورية ، لبنان) لاجبارها على تقييد حركة الثورة الفلسطينية على أراضيها ، والحد من نشاطها عبر حدودها مع اسرائيل (ردع غير مباشر)(٥). ولقد تجسد تنفيذ النقطة الاولى في الحواجز التي بنتها اسرائيل على طول حدودها مع الاردن ، وتجسد تنفيذ النقطة الثانية في عمليات التصفية في الضفة والقطاع والتي أخذت حجما كبيرا بعد ايلول ١٩٧٠ ، وتجسدت النقطة الثالثة في المخافر والدوريات والكمائن وتسليح المستعمرات على طول الحدود الاردنية والسورية واللبنانية مع اسرائيل . وكان من مظاهر تنفيذ النقطة الرابعة قصف القواعد الخارجية بالطائرات، والاغارة بالقوات البرية او المحمولة جوا او قوات الكوماندوس البحرية على هذه القواعد ، وعمليات الاغتيال والتخريب الموجهة ضد قيادات الثورة ومؤسساتها الاعلامية ، اما تنفيذ النقطة الخامسة فقد تجسد في قصف المدن والقرى في كل من سورية والاردن ولبنان ، واختطاف السكان ، والقيام بعمليات احتلال وتمشيط للقرى الحدودية والانسحاب منها ، وقصف القرى الحدودية بنيران المدفعية بشكل دوري .

وكانت تأثيرات الردع غير المباشر في سورية محدودة ، وكانت في لبنان حتى عام ١٩٧١ معقولة ، على حين انها وصلت في الاردن الى الذروة القصوى ، ويرجع السبب في ذلك الى تركيز العدو على طبيعة النظام الاردني وقدرته على تعبئة الجيش ضد الثورة وربطه بالسلطة الحاكمة بشكل عشائري ، واعتقاد النظام بأن مشروع روجرز سيعيد اليه الضفة الغربية كليا او جزئيا ، وخوف هذا النظام من تنامي قوى الثورة بشكل يجعلها قادرة على المطالبة باعلان السلطة الوطنية في الضفة الغربية او اسقاط الحكم الهاشمي نفسه اعتمادا على ان ٨٠٪ من سكان المملكة و ٦٠٪ من سكان الضفة الشرقية نفسها من الفلسطينيين . ولقد أدت كل هذه العوامل الى قيام النظام الاردني بضرب الثورة الفلسطينية وتصفية قواعدها في الضفة الشرقية . وبخروج الثورة من الاردن زادت اهمية الساحة اللبنانية ، وزاد بالتالي نشاط الثورة الفلسطينية في الجليل ، وتصاعدت عمليات الردع المباشر وغير المباشر الاسرائيلية الموجهة الى الاراضي اللبنانية حتى وصلت الى ذروتها في اجتياح جنوب لبنان بقوات كبيرة ثم الانسحاب منه تحت تأثير الضغوط الدولية — الاميركية أساسا (١٦ — ١٧ ايلول ١٩٧٢) . وتوتر الموقف بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية حتى انفجر في أيار ١٩٧٣ . ولكن وجود عدد من العوامل (ميزان القوى ، موقف القوى الوطنية اللبنانية ، الموقف السوري ، احتمالات انتقال الصدام الى مستوى الحرب الاهلية ... الخ) ادى الى توقف الصدام دون تصفية قواعد الثورة في لبنان .

ويجدر بنا هنا ان نذكر ان الحالة الذهنية التي سادت اسرائيل بعد توقف حرب

الاستنزاف ، واعتقاد السلطات الصهيونية بانها غدت الارادة الوحيدة القادرة على رسم سياسات المنطقة وحدودها وطبيعة العلاقات بين دولها ، قد دفع الاسرائيليين الى التفكير جديا بتحقيق جزء من مخططهم التوسعي عن طريق احتلال جنوب لبنان . لذا كانت عملياتهم ضد قواعد الثورة وضد القرى اللبنانية تستهدف هدفا مزدوجا هو : ١ ـ تدمير القوة المسلحة الفلسطينية وردع السلطة اللبنانية ، ٢ ـ اعداد الرأي العام العالمي ـ بشكل متدرج ومتصاعد ـ على تقبل فكرة احتلال جنوب لبنان تحت ستار دواعي الامن ، حتى يكون رد الفعل العالمي على هذا الاحتلال مترددا ومحدودا . ثم ضم المناطق اللبنانية المحتلة ، والضفة الغربية ، والجولان ، وسيناء ، وقطاع غزة الى اسرائيل مع الزمن ، اعتمادا على الامر الواقع المفروض ، وضعف التدخل العالمي ، وعجز العرب عن شن الحرب لاستعادة الاراضي المحتلة .

ولسنا هنا في معرض التنبؤ لتحديد ماذا كان من الممكن ان يقع بين السلطة اللبنانية والثورة الفلسطينية ، لو استمر جمود الموقف العربي بعد ايار ١٩٧٣ ، وتابعت الثورة الفلسطينية عملياتها في الجليل . ولكن بوسعنا القول، بناء على حقائق ملموسة، ان حرب ١٩٧٣ بدلت الكثير من عناصر الموقف فلقد استعاد لبنان ثقته بالجيوش العربية وقدرتها على القتال ، كما استعاد ثقته بقدرة الامة العربية على استخدام اسلحتها الاقتصادية والسياسية بكفاءة ، وصار من الواضح امام الطبقات الاقتصادية المسيطرة في هذا القطر ، ان عودة لبنان الى المعسكر العربي ، وتجسيد انتمائه التاريخي والبشري والجغرافي للامة العربية ، سيفتح امامه آفاقا واسعة ويساعده على متابعة مخططاته الانمائية وتحسين وضعه الاقتصادي (متابعة لعب دور الوسيط المصرفي والتجاري ، استيراد رؤوس اموال عربية ، استيراد ايدي عربية غير فنية ، تصدير عناصر مؤهلة تقنية للعمل في البلدان العربية ... الخ) . اما على الصعيد الفلسطيني ، فقد استفادت الثورة الفلسطينية من الوقت ، واعادت تنظيم صفوفها ، وطورت قواتها المسلحة وعملياتها العسكرية ، وصار بوسعها الاعتماد على الدرع العربي لتخفيف تأثيرات الردع غير المباشر ، وحصلت على اعتراف عالمي بحقوق الشعب الفلسطيني السياسية . ولقد اثر الوضع الجديد ايضا بشكل ملموس على الذهنية والمخططات الاسرائيلية . خاصة بعد ان وعت القيادة المعادية ان الدول العربية لا يمكن ان تسمح باستمرار الاحتلال ، وان الجيوش العربية لا تستطيع فقط شن الحرب ولكنها تستطيع الانتصار فيها ايضا ، وان الثورة الفلسطينية التي اندلعت قبل حرب ١٩٦٧ ، وتابعت النضال بعدها ، وشاركت في حرب تشرين الاول ضمن حدود طاقاتها ، لم تعترف بوقف اطلاق النار ، ولم تبد استعدادها لالقاء السلاح قبل تحقيق اهدافها الوطنية التحررية ، بل انها صعدت على العكس عملياتها داخل الارض المحتلة ، ولجأت الى اساليب اكثر تطورا واشد تأثيرا على قوى العدو المادية والمعنوية . ويعترف زئيف شيف المعلق العسكري لصحيفة هآرتس بأنه « حدثت زيادة ملموسة في عمليات « التخريب » خلال الاسابيع الاخيرة خصوصا في منطقتي يهودا والسامرة [الضفة الغربية] . وقد ركز على مناطق القدس وبيت لحم ورام الله، فلم يكن يمضي يوم واحد دون وقوع حادث « تخريب » ، او ـ على الاقل ـ محاولة « تخريب » ... ويدل هذا على ازدياد قوة منظمات « التخريب » في المناطق » ... « منذ بداية تشرين الثاني حتى منتصف كانون الاول ١٩٧٤ ، حدث نحو ٤٠ عملية ومحاولة « تخريب » . وكشفت دوائر الامن ، من جهة اخرى ، ست شبكات للمخربين [الفدائيين] ومساعديهم ، والقي القبض على كثيرين . ومن هذه الشبكات خمس في يهودا والسامرة ، وواحدة في قطاع غزة »(٦) . ويرى شيف انه منذ مؤتمر الرباط

ودعوة منظمة التحرير الى هيئة الامم المتحدة ، تزايد عمل الفدائيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ، وتزايد عدد الاشخاص الراغبين في التطوع في صفوف الثورة ، وحافظ الثوار على نشاط دائم « ففي كل يوم تقريبا تحدث عملية « تخريب » او على الاقل محاولة تخريب . والناطق بلسان الجيش الاسرائيلي لا يعلن معظم الحوادث . لذلك تلوذ الصحف الاسرائيلية بالصمت (باستثناء العمليات الكبيرة) . ولكن يسود المناطق [المحتلة] شعور بأن الحكم الاسرائيلي مرتبك جدا »(٧).

وامام كل هذه التحولات ، او بالاحرى بسبب هذه التحولات عادت اسرائيل الى التوجه نحو ضرب قواعد الثورة الفلسطينية في الداخل والخارج . مستخدمة نفس الاساليب التي اتبعتها قبل تشرين الاول ١٩٧٣ ، واهمها : ١ — تصفية قواعد الداخل ، ٢ — شن حملات اعتقال واسعة بين صفوف المناضلين وذويهم ، ٣ — فصل قواعد الداخل عن قواعد الخارج بحاجز يشبه حاجز غور الاردن ويمتد من البحر الى جبل الشيخ ، ٤ — تعزيز الحراسات على المستعمرات وتسليح سكانها ، وتقوية الكمائن والدوريات على الحدود ، ٥ — ضرب قواعد الثورة الخارجية وقياداتها ومراكزها الاعلامية ، والاعتداء المستمر على مدن جنوب لبنان وقراه . واذا كانت اهداف الاساليب الاربعة الاولى هي استمرار لاهداف اساليب مماثلة استخدمت قبل الحرب الرابعة ، فان اهداف الاسلوب الخامس قد تبدلت الى حد ما بمقدار ما تبدلت الظروف المحلية والعالمية .

لقد كان ضرب قواعد الفدائيين الخارجية يستهدف في الماضي تدمير هذه القواعد ماديا ، ولكنه لا يكتفي الان بهذا الغرض ، بل يرمي ايضا الى تصفية الثورة معنويا ، وحرمانها من مواقعها السياسية التي انتزعتها بنضال طويل اجبر العالم على الاعتراف بشرعيتها وبدورها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . ويذكر اهارون ياريف ، وزير الاعلام الاسرائيلي السابق ان الوسيلة الوحيدة للتعامل مع الثوار الفلسطينيين هي « ضربهم قدر الامكان في قواعدهم ، وفي طريقهم الى الاهداف ، ومنعهم من تنفيذ مكائدهم فيها »(٨) . ودعا اوري دان الى « حرب ابادة وليس مجرد عمليات عقيمة ورذاذ عمليات ، او ضربات من قبيل تأدية الواجب » ... « ان ربطة العنق التي يحاولون شدها ، يمكن قطعها بالسيف الماضي فقط ، والذي لن يسلط على بيروت وحدها ، بل على بغداد وطرابلس ودمشق ايضا ، وعلى كل مكان تركنا فيه زعماء « المخربين » يزدادون قوة »(٩). وذكرت دافار ان منظمات « الارهاب » العربية « ستبقى خارج القانون... وان الحرب ضدها ستستمر دون اعتبار الاعتراف العربي والدولي الذي منح لها »(١٠). وبالاضافة الى ذلك ، فان ضرب قواعد الثورة وقياداتها يستهدف حرمان الثورة من امكانية لعب دور المفجر في المنطقة ، ونقل الصدام من مستوى الصدام الفلسطيني — الاسرائيلي الى مستوى الصدام العربي — الاسرائيلي. ولقد اشار حاييم ايزاك الى هذه النقطة عندما قال في معرض الحديث عن عمليات الفدائيين على اثر عملية سينما « حين » في تل ابيب « ينبغي الا تأخذ ردود الفعل عليها ابعادا مبالغا فيها تنطوي على تصعيد النزاع مع جيوش الدول المجاورة ... ويجب الا نمنح المخربين [الفدائيين] مرادهم الاساسي ، وهو اجبارنا على خوض حرب لا نريدها »(١١).

وكان الغرض من ضرب الاهداف اللبنانية كما راينا ، فصل ارتباط اللبنانيين مع الفلسطينيين ، ودفع الطرفين الى صدام مسلح على غرار الصدام الاردني — الفلسطيني ، واعداد الرأي العام لتقبل فكرة احتلال جنوب لبنان . اما اليوم فان هذا

الضرب يرمي الى تحقيق اغراض متعددة : اولا ، فصل اللبنانيين عن الفلسطينيين ودفعهم الى الصدام . وهذا هدف قديم لا تزال اسرائيل تسعى الى تحقيقه . ولقد ذكر وزير دفاع العدو ، شمعون بيريس ، بعد بدء الاغارة على « كفرشوبا » في ١١ كانون الثاني ١٩٧٥ : « ان معظم العمليات التي نقوم بها في الشمال محسوبة لغاية الحد المطلوب لتأمين سلامة مستوطنات الشمال ، والى جانب ذلك ، للضغط على لبنان للتصرف كدولة ذات سيادة »(١٢). وليس هذا الحديث في جوهره سوى طبعة حديثة لتهديدات مائير ودايان واليعازر قبل حرب ١٩٧٣ . ثانيا ، **منع لبنان من التوجه نحو المعسكر العربي المحارب** ، لان مثل هذا المنع يؤدي الى تقصير حدود اسرائيل ، وحرمان القوات المسلحة العربية من قوة رديفة تضاف الى موازين القوى . ولقد زاد اهتمام اسرائيل بهذه المسألة منذ ان اعلن عن موعد لقاء الرئيسين الاسد وفرنجية في شتورا خلال شهر كانون الثاني ١٩٧٥ واحتمال دخول قوات سورية الى لبنان . ولقد اعتبر زئيف شيف ان دخول مثل هذه القوات عمل « ذو مغزى بعيد الاثر » ورأى انه يعني عسكريا « سيطرة سورية على ممرات مريحة اكثر في شمالي اسرائيل ، ومحاولة تطويقها من جهة ثانية . وواضح ان اسرائيل لا تستطيع تجاهل ذلك ، لا لان لبنان سيفقد موقعه الخاص في نظرها فحسب ، بل لانه سيتوجب عليها التصدي للاخطار المرتقبة »(١٣) ولجأ شمعون بيريس الى تهديد لبنان بقوله : « لا تستطيع اسرائيل تجاهل ان قوات غير لبنانية هدفها عدائي لاسرائيل ، تهدد دون انقطاع ، ليس توازن لبنان وسلامته فحسب ، وانما امن الحدود الشمالية لاسرائيل وسلامتها ايضا » . . . « لا حاجة لنا باسداء النصح للبنان بالنسبة الى اموره بالذات ، ولكن بالنسبة الى موقفنا فالامر واضح . يصعب علينا ان نرى استقلال لبنان يتآكل على يد تشكيلة من منظمات الارهاب ، مجردة من كل مسؤولية ، وتحت ضغط من محاولات مقنعة لافتراس استقلاله . وهذا الامر مهم جدا بالنسبة الى أمن اسرائيل »(١٤). وكان تهديد رئيس اركان العدو ، مردخاي غور اكثر وضوحا ودقة ، فلقد قال في مقابلة مع اذاعة الجيش « اذا نصبت أسلحة على أرض لبنان ، من دولة عربية اخرى ، او ارسلت اليها قوات منها ، فسنضطر الى اعتباره دولة مواجهة ، ونسلك تجاهه بما يتلاءم وذلك »(١٥). ويمكن القول ان تهديد اسرائيل المترافق مع العمل العسكري المحدود في جنوب لبنان وسيلة لفك الارتباط اللبناني ــ العربي ومحاولة لاعادة هذا القطر الى وضعه المحايد السابق . ثالثا ، **تعطيل خطوات الحل السلمي** بعمليات محسوبة وتصعيد مدروس لا يؤدي الى الحرب الشاملة ولكنه يخلق مناخا غير ملائم للبحث عن حل تخشى اسرائيل نتائجه ولا تريد دفع ثمنه . ولقد برهن تاريخ الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ ان اسرائيل تخشى السلام وتتهرب منه ، وهي اليوم تخشى السلام والحرب معا ، ولكن خوفها من السلام اكبر . ويهمها ان تبقى الامور معلقة بين الحرب والسلام ، ولكن اذا فرض عليها ان تختار ، فان غالبيتها تختار الانسحاب الى امام (الحرب) ، رغم معرفتها بأن هذه الحرب لن تحل مشاكلها . رابعا ، **رفع معنويات المواطنين الاسرائيليين داخل الارض المحتلة واحباط معنويات العرب داخل الارض المحتلة وخارجها** عن طريق تحقيق انتصارات عسكرية جزئية رخيصة الثمن ضد الحلقة العسكرية العربية الاضعف . خامسا ، **الاعداد لحرب خامسة** . والحقيقة ان هذا الغرض حل محل غرض قديم وهو احتلال جنوب لبنان واستثمار مياهه واراضيه . ذلك لان وضع اسرائيل اليوم مختلف عن وضعها قبل حرب ١٩٧٣ . واذا كان زعماء الدولة الصهيونية قد فكروا قبل تشرين الاول بالتوسع والاحتلال ، فانهم يفكرون اليوم بالطريقة التي تسمح لهم بأن يتخلوا عن

أصغر جزء ممكن من الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧، رغم الضغوط الدولية والعربية عليهم . وليس من المعقول ان يفكر الاسرائيليون باحتلال اراض جديدة وهم يستعدون للتخلي عن اراض محتلة . بيد ان اسقاط الغرض القديم لا يعني سوى ابعاده مؤقتا عن جدول الافضليات الاسرائيلية ، وتركه كغرض ممكن ، تتم العودة اليه اذا ما تبدلت الظروف وموازين القوى . واذا كان دخول الاراضي اللبنانية يستهدف في الماضي تعويد العالم على اجتياز القوات الاسرائيلية لحدود دولة مجاورة تمهيدا لتعويده على احتلال هذه القوات للارض ، فان دخول الاراضي اللبنانية يستهدف اليوم تعويد العالم على فكرة اجتياز الحدود تمهيدا لتعويده على تقبل فكرة الالتفاف على الجبهة السورية عبر الاراضي اللبنانية ، سواء كان هذا الالتفاف بعيدا يصل الى طرابلس فحمص ويطوق دمشق من الشمال الشرقي ، ام كان قريبا يصل الى سهل البقاع ويطوق الجولان من الغرب . وبالاضافة الى ذلك ، فان دخول القوات الاسرائيلية الى الاراضي اللبنانية وانسحابهم منها عدة مرات ، يخلق لدى السوريين الانطباع بأن العمليات الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية ، محدودة ومؤقتة ، وانها ستنتهي بالانسحاب ، الامر الذي يسهل على الاسرائيليين مفاجأة السوريين بعملية الالتفاف عندما تقرر قيادة العدو تنفيذ هذه المهمة ، ويفقد القيادة السورية ساعات هامة قد تجعل رد فعلها متأخرا او محدودا . وهذا ما يسمى بالعلم العسكري **تليين فكر قيادة الخصم ، وتخديره عن طريق التعويد ، لحرمانه من اتخاذ القرار السريع المناسب في الوقت المناسب .**

ان الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان حرب مستمرة متصاعدة ، بدأت مرحلتها الجديدة بعد حرب تشرين ، ولا تزال قائمة حتى اليوم . وتقف القوات اللبنانية والفلسطينية لوحدها في مجابهة هذه الاعتداءات ، ولا يسمح حجم القوات اللبنانية او تسليحها برد العدوان ، الامر الذي يضعها في موقف استراتيجي سيء نابع عن قرار سياسي سابق لم يعد له ما يبرره في ظل الاوضاع الجديدة السائدة في المنطقة . ومن المستبعد ان يتبدل هذا الموقف الاستراتيجي السيء بسرعة الى موقف افضل ، حتى لو لجأ لبنان الى تدعيم قواته المسلحة ، ووضع خطة دفاعية سليمة ، لان شراء الاسلحة واستلامها واستيعابها وخلق الوحدات اللازمة لاستخدامها يتطلب عدة سنوات ، على حين ان مسألة الدفاع ملحة ويومية وضاغطة .

اما القوات الفلسطينية ، فان حجمها وطبيعتها وتكتيكاتها العصابية لا تسمح لها بخوض معركة دفاعية كلاسيكية . وهي تقوم بدورها في الصمود امام العدوان مستخدمة الاسلوب المتلائم مع تكوينها الذاتي . وكل مطالبة لها بالتخلي عن هذا الاسلوب (الدفاع الديناميكي العصابي المرن)(١٦) يعني تجريدها من أهم اسلحتها (المرونة ، والمفاجأة ، والحركية) ، ودفعها الى التورط في معركة انتحارية غير متكافئة .

ومن الواضح ان اسرائيل ستستمر في ضرب الحلقة اللبنانية ــ الفلسطينية في المستقبل . وسينتج عن ذلك أحد الوضعين التاليين :

١ ــ اذا بقيت الجبهة اللبنانية الفلسطينية وحيدة ، استغل الاسرائيليون الموقف لتحقيق اغراضهم ، وفرغوا جنوب لبنان من سكانه ، وجعلوه ارضا محروقة . وقد يؤدي ذلك الى تشجيع القوى الانعزالية على المطالبة بابتعاد لبنان عن القضية العربية ، كما قد يؤدي الى صدام لبناني ــ فلسطيني ، رغم النوايا الطيبة والمحاولات الجادة لتلافي وقوع هذا الصدام . ولن يتبدل الامر في جوهره كثيرا حتى لو ادى

وضع لبنان الداخلي الى منع الصدام ، لان العدو سيجعل من جنوب لبنان منطقة حرام تفصل بين قوات الثورة الفلسطينية ومستعمرات الجليل ، وسيحقق من جراء ذلك أمن هذه المستعمرات ، ويجرد الثورة الفلسطينية من حرية العمل .

٢ — اذا أحس الاسرائيليون ان متابعة الضغط على جنوب لبنان ستؤدي الى اندلاع انقتال على معظم الجبهات . وبدء حرب خامسة شاملة ، تستخدم فيها الامه العربيه كل قواها السياسيه والاقتصادية والعسكرية ، اصبح السيف العربي المسلط في الجولان وسيناء وعبر نهر الاردن درعا لقرى الجنوب وقوى الثورة الفلسطينية . ولكن هذا لا يعني ان على لبنان ان يكتفي بهذا الدرع ، ويطلب من العرب ان يقاتلوا نيابه عنه ودفاعا عن ارضه ، ولكنه يعني اعطاء لبنان الحماية العسكرية غير المباشرة ريثما يعيد بناء قواته المسلحة ويتحول الى دولة مجابهة فعالة . ولكن الحماية غير المباشرة لا تغني عن الحماية المباشرة التي يستطيع لبنان تأمينها بقواه الحالية بعد دعمها باسلحة وقوات عربية . وهنا ستكون القوات العربية المستعدة للانقضاض على اسرائيل الرادع الذي سيمنع اسرائيل من الاعتداء على لبنان بحجة استقبال اسلحة وقوات عربية .

وهكذا فان ايقاف الفطرسة الاسرائيلية ، وحماية امن وارواح وممتلكات سكان جنوب لبنان ، والحفاظ على جذوة الثورة الفلسطينية متقدة ، يتطلب عملا عربيا يتم على مراحل : **المرحلة الاولى** ، اتخاذ قرار سياسي عربي بشن الحرب اذا ما اعتدت اسرائيل على لبنان ووضع المخطط الكفيل بتنفيذ هذا القرار . **المرحلة الثانية** ، تزويد لبنان باسلحة وقوات عربية لتدعيم صموده مع الاستعداد لشن حرب شاملة اذا ما ردت اسرائيل على هذه الخطوة بعمل عسكري مضاد . **المرحلة الثالثة** بناء القوات المسلحة اللبنانية (خدمة العلم ، برنامج تسليح كثيف بأموال لبنانية وعربية مع الافادة من مصادر التسليح الفرنسية والسوفييتية) وتحويل لبنان الى دولة مجابهة . **المرحلة الرابعة** ، سحب القوات والاسلحة العربية بعد ان يصبح حجم القوات المسلحة اللبنانية قادرا على الدفاع عن القطر ، ضمن اطار منظومة الدفاع العربي .

ان حماية جنوب لبنان مسألة عربية — لبنانية ، والدفاع عن قضايا العرب ، واهمها قضية فلسطين ، مسألة عربية — لبنانية ايضا . والى أن يتم وعي هذه الحقيقة واقرارها ، فأن الجنوب معرض للخطر ، ومنجزات الثورة الفلسطينية معرضة للخطر . ولا تستطيع الاموال التي قررها مجلس الدفاع العربي خلال شهر شباط الماضي درء هذا الخطر ، حتى لو بلغت مليارا من الدولارات ، لانها تساعد على تنفيذ جزء من المرحلة الثالثة دون المرور في المرحلتين السابقتين . وهذا امر مخالف لطبيعة الاشياء ، وللتسلسل المنطقي الذي يحكم مسألة الصراع مع عدو يهدد بمهاجمة جيرانه اذا ما مارسوا حقهم في بناء قوة عسكرية للحفاظ على أمنهم وسلامة اراضيهم . وتبقى الاموال العربية المخصصة للدفاع عن لبنان ضرورية ولكنها غير كافية ، وليس من المعقول ان تستمر اذا بقيت ميزانية الدفاع اللبنانية الذاتية على معدلها الحالي الصغير (٣٫٩٩٪ من الدخل القومي في العام ١٩٧٣ و ٥٪ في العام ١٩٧٤) في الوقت الذي تقتطع به دول المواجهة الاخرى نسبة كبيرة من دخلها القومي لشؤون الدفاع .

وخلاصة القول ان الدفاع عن جنوب لبنان ، والثورة الفلسطينية بالتالي ، يتطلب النظر الى المسألة بمنظار قومي ، والسير وفق مراحل استراتيجية متعاقبة متكاملة . ولا يتطلب السير وفق هذه المراحل الاستراتيجية سوى اتخاذ قرارين سياسيين : قرار عربي باعلان الحرب على جميع الجبهات اذا ما اعتدى العدو على لبنان ، وقرار

لبناني بالتحول الى دولة مجابهة . وبعد اتخاذ هذين القرارين تصبح مسألة اعـــداد الدفاع مسألة عسكرية تقنية بحتة .

---

١ — يبلغ عدد سكان الدول الثلاث سورية والاردن ولبنـــان عـــلى التـــوالي : ٧،١٣٠،٠٠٠ ، ٢،٦٤٠،٠٠٠ ، ٣،١٤٠،٠٠٠ .
The Military Balance 1974-1975 (iiss).

٢ — يبلغ الدخل القومي للدول الثلاث ســـورية والاردن ولبنان على التوالي بالدولار (عام١٩٧٣) ٢٥٣ مليار ، ٨،٠ مليار ، ٩،٢ مليار .

٣ — يبلغ الدخل السنوي للفرد في الدول الثلاث سورية والاردن ولبنان على التوالي ، بالدولار (عام ١٩٧٣) ٣٥٥ ، ٣٠٠ ، ٩٢٣ .

٤ — ان مجمل عدد القوات المسلحة في سورية والاردن ولبنان على التوالي : ١٣٧،٥٠٠ ، ٧٤،٨٥٠ ، ١٥،٢٥٠ . ومجمل عدد الطائرات الحربية على التوالي : ٣٠٠ ، ٥٠ ، ١٨ ، ومجمل عدد الدبابات المتوسطة على التوالي : ١٦٠٠ ، ٤٩٠ ، ٦٠ .

٥ — أنظر مقال « العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية » ، مجلة شؤون فلسطينية عدد رقم ١٧ (كانون الثاني ١٩٧٣) .

٦ — هآرتس ٢٦/١٢/١٩٧٤ .

٧ — المرجع نفسه .

٨ — عال همشمار ، ١٣/١٢/١٩٧٤ .

٩ — معاريف ، ١٢/١٢/١٩٧٤ .

١٠ — دافار ، ١١/١٢/١٩٧٤ .

١١ — دافار ، ١٦/١٢/١٩٧٤ .

١٢ — (ر.أ.ف.) رقم ٧٢٨ تاريخ ١٦/١/١٩٧٥ .

١٣ — هآرتس ، ١٥/١/١٩٧٤ .

١٤ — هآرتس ، ٧/١/١٩٧٥ .

١٥ — دافار ، ١٢/١/١٩٧٥ .

١٦ — أنظر مقال المقاومة الفلسطينية في الدفاع الديناميكي المرن ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ١٩ ، آذار ١٩٧٣ .

الجذور التاريخة العميقة للعلاقات العربية السوفياتية

كريم مروة

تتعرض العلاقات العربية السوفياتية في الوقت الراهن لصعوبات تحاول بعض القوى اليمينية في حركة التحرر الوطني العربية الانطلاق منها من أجل القيام بتغيير في تحالفات الحركة على الصعيد الدولي . وفي تقدير هذه القوى ان مثل هذا الامر من السهولة بحيث أنها تستطيع بمجرد قرار تتخذه ، من المواقع التي تحتلها ، ان تحدث تغييرا في العلاقة مع الاتحاد السوفياتي . وهي لا تدرك بالطبع ان القضية اكبر مما تتصور واكثر تعقيداً . فما نسميه « العلاقات العربية السوفياتية » ليس مجرد علاقات بين دولة ودولة اخرى ، وليس مجرد علاقة بين دولة كبرى ودولة صغرى ، بل هي علاقة موضوعية بين الثورة الاشتراكية ، بشخص القوة الطليعية فيهـا ، الاتحاد السوفياتي ، وبين حركة التحرر الوطني العربية ، بمضمونها كحركة معادية للامبريالية ومناضلة من أجل التقدم الاجتماعي . وهذه العلاقة الموضوعية لم تنشأ تاريخيـا بالصدفة ، ولم تكن نتيجة موقف ذاتي او بفعل قرار عفوي مؤقت اتخذه قائد سياسي هنا او هناك ، بل جاءت نتيجة التقاء موضوعي خلال الكفاح ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطني والاشتراكية ، ولذلك فليست الادارة الذاتية هي التي تقرر مصير هذه العلاقة ، بل يقررها ، مرة ثانية ، الالتقاء الموضوعي في النضال المشترك ضد العدو المشـترك ومن أجل الاهداف المشتركة . ومن هنا نستطيع ان نجـزم منذ البدء بأن المحاولات الجارية في البلدان العربية لوضع العلاقات العربية السوفياتية في ظـروف الازمة ، انما هي محاولات خبيثة تتعارض مع المصالح الحقيقية للشعوب العربية ، وسوف لن يكتب لها النجاح . فالقوى الاجتماعية التي تدرك عمق هـذه العلاقات ومحتواها الحقيقي هي في نهاية المطاف القوة الاكبر تأثيرا ، لانها القوة الاصدق تعبيرا عن مطامح هذه الحركة .

اننا في تأكيدنا على موضوعية العلاقات العربية السوفياتية ننطلق من موضوعية العلاقة بين الثورة الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطني . فالثورة الاشتراكية التي تصدت للنضال ضد الرأسمالية ونظامها الامبريالي العالمي ، وضعت في مقدمـة أهدافها تحرير الشعوب من الحكم الاستعماري ونهب الاحتكارات الامبريالية . وأول ما قامت به السلطة السوفياتية بعد انتصار ثورة اكتوبر بقيادة لينين لم ينحصر بمـا تضمنه مرسوم السلام وما كشفته هذه السلطة من اتفاقيات استعمارية سرية كأتفاقية سايكس ـــ بيكو ، بل يشمل بشكل اعم التوجه نحو شعوب البلدان المستعمرة للالتفاف حول الدولة السوفياتية ، دولة العمال والفلاحين ، والنضال معها في اطار حركة واحدة ضد الامبريالية العالمية . فالثورة الاشتراكية ، كما أكد لينين ، لم تكن ، ولم يكن من الممكن ان تكون ، فقط ، عبارة عن نضال البروليتاريا الثورية في البلدان الرأسمالية

ضد برجوازيتهـــا ، بل نضال هذه البروليتاريا وشعوب البلـــدان التابعة والبلدان المضطهدة ضد الاستعمار العالمي . واستند لينين في تأكيده هذا الى ان شعوب الشرق انما تمثل بأكثريتها اصدق تمثيل المصالح الاساسية لجماهير الكادحين ، جمـــاهير الفلاحين المستثمرين الرازحين تحت وطأة ظلم القرون الوسطى . كما اســـتند الى واقع ان القومية البرجوازية التي تستيقظ لدى هذه الشعوب ، هي قومية لها مبرر تاريخي ، قومية مضطهدة طامحة الى تحقيق تحررها . وحين توجه لينين الى المنظمات الشيوعية لشعوب الشرق طرح أمامها ضرورة ادراك هذه الحقائق مؤكدا انه ينبغي ان يجري النضال من أجل افهام الجماهير الكادحة والمستثمرين في هـــذه البلدان ، باللغة التي يستطيعون ان يفهموها ، انه لا سبيل الى تحررها الا بانتصار الثـــورة الاشتراكية ، وان البروليتاريا العالمية هي الحديث الوحيد لجميع الجماهير الكادحة ولمئات الملايين من المستثمرين من شعوب الشرق . واعتبر لينين ان حركـــة هذه الشعوب ، في مرحلة استيقاظها ، ستجعلها تسهم بشكل عميق ، ليس فقط في تقرير مصيرها ، بل في تقرير مصير البشرية بأسرها . (راجع : تقرير لينين في المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق في روسيا) .

واذا عدنا الى الوقائع التاريخية نستطيع ان نتبين التأثير العميق الذي أحدثتـه ثورة اوكتوبر الاشتراكية في البلدان المضطهدة بما في ذلك البلدان العربية . فقد أصبح معروفا ان ثورة مصر (١٩١٩) وثورة العراق (١٩٢٠) وثورة الريف (١٩٢١) ، وثورة سوريا (١٩٢٥) بالاضافة الى مجموعة من الثورات في بلدان شرقية غـــير عربية ، انما استلهمت مثال ثورة اوكتوبر . وقد أقام قادة هذه الثورات علاقـــات معروفة مع السلطة السوفياتية وتبادلوا الرسائل مع لينين (ســـعد زغلول وابراهيم هنانو وشكيب ارسلان) ، وقد لقيت هذه الثورات تأييد وتضامن الدولة السوفياتية . وفي عام ١٩٢٠ وتلبية لنداء لينين ، عقد المؤتمر الاول لشعوب الشرق في باكو بحضور مندوبين عن حركات التحرر الوطني في مصر والجزيرة العربية وسوريـــا وفلسطين . وجاء في البيان الصادر عن المؤتمر : « **ماذا فعلت انجلترا بمصر حيث يرزح السكـــان المحليون منذ ٨٠ سنة تحت وطأة نير الرأسماليين الانكليز ، هذا النير الاثقل والاكثر تدميرا ، بالنسبة للشعب ، من نير الفراعنة المصريين ؟ ...** »

وقد كان هذا الالتقاء بين حركات التحرر الوطني والدولة السوفياتية التقاء طبيعيا لان شعوب الشرق وجدت في انتصار ثورة اوكتوبر وقيام الدولة السوفياتية آفاقـــا حقيقية لانتصارها لم تكن متوفرة قبل ذلك . فقد كانت الرأسمالية في أوج تطورها وفي أعلى مراحلها ، مرحلة الامبريالية ، مرحلة تقسيم العالم واعادة تقسيمه . بكـــلام اخر ، في هذه المرحلة ، ظهرت بوضوح استحالة تحول برجوازية البلدان المضطهـــدة الى برجوازية مستقلة ووجدت نفسها أمام طريقين لا ثالث لهما : اما أن تبقى خاضعة لنظام النهب الاستثماري وتتخلى عن المطامح القومية لشعوبها ، او أن تتحالف مـــع الثورة الاشتراكية في النضال من أجل تحرر شعوبها وبناء دولها المستقلة . وبالطبع لم يكن الاختيار في هذه البلدان بنفس المستوى ولم يكن سهلا . وكان هذا في أســـاس التمايز في الحركة الوطنية الثورية في هذه البلدان ، التمايز الذي لا نزال نشهد تطوره وتعمقه حتى يومنا هذا .

وعلى امتداد السنوات التي اعقبت انتصار ثورة اوكتوبر ، وفي مرحلـــة نشاط الاممية الثالثة الشيوعية ، واهتمامها بالنضال الوطني الثوري في هذه البلدان ، جرت انتفاضات ثورية عديدة ، واستقلت بعض البلدان ، ونشأت واتسعت بفعل الممارسة

السياسية الملموسة للاتحاد السوفياتي ، في جمعية الامم وخارجها ، علاقات مع بعض الدول العربية ومع الحركات الوطنية فيها . ففي عام ١٩٢٦ اعترف الاتحاد السوفياتي باول دولة مستقله في الجزيره العربية ، الحجاز ونجد ، التي أصبحت عام ١٩٣٢ المملكة العربية السعوديه ، وكان الاتحاد السوفياتي بذلك أول دولة تعترف بهـذه الدولة العربية المستقله . بعد ذلك جرى تبادل الرسائل بين رئيس الدولة السوفياتية كالينين والملك عبد العزيز بن سعود ، اكد فيها كالينين تاييد الاتحاد السوفياتي ودعمه لطامح الشعوب العربية في الوحدة القومية والتقدم الاقتصادي . وفي عام ١٩٣٢ قـام الامير فيصل (الملك الحالي) بزيارة للاتحاد السوفياتي اسفرت عن تقديم معونـات اقتصادية للمملكة العربية السعودية تتضمن السكر والطحين والمنسوجات .. وكذلك البترول . وفي عام ١٩٢٨ عقدت في صنعاء معاهدة تجارة وصداقة بين الاتحاد السوفياتي واليمن . ولم يكن بمقدور البلدان العربية الاخرى ، التي كان قادة بعضها يرغبون في اقامة علاقات مع الاتحاد السوفياتي ، اقامة هذه العلاقات لان تقرير ذلك كان في يد سلطات الانتداب والاحتلال . وهنا لا بد من الاشارة ، على سـبيل المثال لا الحصر ، الى موقف الاتحاد السوفياتي في جمعية الامم . فقد وضع الاتحاد السوفياتي منذ دخوله عضوا في جمعية الامم عام ١٩٣٤ تحفظا واضحا حول المادة ٢٢ من ميثاق الجمعيـة المتعلق بنظام الانتداب ورفض المشاركة في أعمال اللجان المرتبطة بهذه المادة . وكـان هذا الموقف منسجما مع مواقفه السابقة ، ولا سيما ما ورد في المذكرة التي قدمها سنة ١٩٢٣ لحكومات انجلترا وفرنسا وايطاليا التي جاء فيها ان حكومة روسيا ترفض هذا الشكل الجديد للوصاية الدولية (راجع مجلة « الحياة الدوليـة » ، العـدد ٩ — ١٩٧٤) .

الا ان الظروف لم تلبث ان تغيرت بشكل اساسي خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها في ضوء الانتصارات التي حققتها الجيوش السوفياتية على الهتلرية . فقد نشأ وضع دولي جديد تميز بتكون منظومة اشتراكية عالمية ونهوض عاصف في حركة التحـرر الوطني . وكانت هذه المرحلة ، مرحلة ما بعد الحرب ، مرحلة تفكك نظـام الحكم الكولونيالي ، وعلى انقاضه تشكلت مجموعة كبيرة من الدول النامية المستقلة حديثا . ولعب الاتحاد السوفياتي ، في الامم المتحدة وخارجها ، دور الدولة المساندة لنضـال شعوب هذه البلدان من أجل الحصول على الاستقلال والنضال لاستكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية المطروحة أمامها . وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن الاستشهاد بموقف الاتحاد السوفياتي في مجلس الامن سنة ١٩٤٦ لاحباط المؤامرة على استقلال سوريا ولبنان ، وموقفه في دعم الشعب المصري في النضال ضد المعاهدة البريطـانية الاستعبادية ومن أجل الاستقلال والجلاء ، وفي دعم الشعب الفلسطيني في النضال ضد الانتداب البريطاني ومن أجل انشاء دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة موحدة .

وقد كان طبيعيا أن تطرح امام هذه البلدان ، في ضوء الواقع الدولـي الجديـد ، وميزان القوى الذي يتطور في الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية لصالح الاشتراكية ، والنضال المعادي للامبريالية ، اي طريق تختار . اذ من الواضح ان الحياة بدات تقدم معطيات ووقائع جديدة تؤكد ، بالنسبة لهذه البلدان ، ضرورة الاختيار . فالمشكلات التي تواجه هذه البلدان كانت تضعها حتما في مواجهة الامبريالية التي تريد ابقاءهـا مجالا لنهب احتكاراتها ومصدرا ثابتا للمواد الاولية . لا سيما وان الراسمالية منـذ نشأتها ، وفي مرحلتها العليا بشكل خاص ، لدى تقاسم العالم فيما بينها ، قد فرضت على البلدان التابعة لها ، شكلا معينا من التطور يبقيها في اطار التخلف والتبعية لها . وقد أكد لينين في حديثه عن مصر ان بريطانيا قد جعلت منها بلدا منتجا للقطن فقط معيقة

بذلك تطورها الصناعي . واليوم فان القضية تتكرر بشكل آخر . والازمة الراهنة حول البترول التي تحاول الامبريالية العالمية واحتكاراتها تضخيمها ، في اساسها نفس الاهداف القديمة ، وهي ابقاء الدول العربية مصدرا للمواد الاولية من أجل استمرار تبعيتها لنظامها الاحتكاري العالمي ، ومنعها من استخدام ثرواتها في عملية التنمية كأساس لتقدمها واستقلالها الاقتصادي . في حين ان الاتحاد السوفياتي وسائر البلدان الاشتراكية التي استطاعت ان تتجاوز صعوبات الحرب والحصار الاقتصادي وتتطور في جميع الميادين كدول قوية من الناحية الاقتصادية ، فضلا عن الناحية السياسية والعسكرية والثقافية ، قد مدت يدها الى البلدان النامية من أجل مساعدتها في حل المعضلات التي تواجهها في طريق تطورها وتنميتها وتعزيز استقلالها السياسي .

الا ان البرجوازيات العربية التي صعدت الى السلطة بعد الاستقلال ، ولم تقطع بمعظمها علاقاتها مع الدول الامبريالية ، فرضت على بلدانها سياسة تتعارض مع مصالحها ، بما في ذلك سياسة العداء للاتحاد السوفياتي . وقد كانت الدوائر الامبريالية تملي هذه السياسة على البلدان العربية بواسطة هذه الفئة من البرجوازية المتحالفة مع الاقطاع ، من أجل ابقاء هذه البلدان في اطار التبعية للامبريالية ولتحويلها الى قاعدة استراتيجية تنطلق منها في تعزيز شبكات احلافها وقواعدها العسكرية العدوانية الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي . وهذه السياسة هي المسؤولة عن المؤامرة التي أدت الى تشريد الشعب الفلسطيني ومنعه من تحقيق امانيه القومية في اقامة دولته الوطنية الديمقراطية المستقلة ، واعطاء كل المبررات لقيام دولة اسرائيل ككيان عنصري استعماري على القسم الاكبر من الارض الفلسطينية ، وكدركي بيد الامبريالية لقمع حركة التحرر الوطني العربية . وبالفعل فان اسرائيل قد لعبت ، وهي لا تزال تلعب حتى الان ، الدور الذي اوكل لها ان تلعبه وشكلت بذلك عنصرا مساعدا لحلف بغداد الذي انهار فيما بعد على يد الشعب العراقي ، وحلف السنتو الذي لا يزال قائما والذي لا يزال يعطي لايران دورا عدوانيا واضح الاهداف في منطقة الشرق الاوسط .

ومع كل الاحداث التي شهدتها البلدان العربية ، ومؤامرات الفئة العليا من البرجوازية المرتبطة بالاستعمار ، ظلت قضية الاختيار مطروحة بشكل جدي ، لان المشاكل التي كانت تواجهها البلدان العربية بعد الاستقلال ظلت مطروحة وظلت بحاجة الى حل ، بل أنها ازدادت تعقيدا بحكم ما مارسته اسرائيل من حروب عدوانية ضد البلدان العربية . ولذلك كان لا بد من ان يحصل نوع من التمايز في صفوف الحركة الوطنية باتجاه تجذيرها ، وهي العملية التي بدأت في الواقع مع البدايات الاولى للحركة الوطنية ، ولا سيما بعد انتصار ثورة أوكتوبر وتكون حركات اشتراكية ونشوء احزاب شيوعية . وفي هذا المجال لا بد ان نضع في اطار هذه العملية موقف البرجوازية العربية من الطبقة العاملة في العشرينات عندما بدأت تتكون احزابها المستقلة . وقد كان موقف البرجوازية هذا يعبر عن مخاوفها من ان تتمكن الطبقة العاملة ، بالرغم من ضعف وزنها ، من أن تلف على المدى البعيد اكثرية الكادحين حول شعاراتها ، وان تضع قضية تطور البلدان العربية في اطارها الصحيح ، اي بالارتباط الموضوعي بين النضال المعادي للامبريالية والنضال من أجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي . بكلام آخر كانت البرجوازية تخشى ان تصبح الطبقة العاملة النامية وجماهير الكادحين ، هي المعبرة عن المصالح القومية لشعوبها وان تحتل مكانها في قيادة الحركة .

وفي هذا الضوء ينبغي ان نفسر ما حصل في بداية الخمسينات من تغيرات ثورية في البلدان العربيـــة ما لبثت ان تركت تأثيرها على مجمل تطـــور حركة التحرر الوطني العربية في ربع القرن الاخير .

فما الذي حصل في الخمسينات ؟

لقد حصل ارتقاء في عملية التمايز داخل حركة التحرر الوطني العربية بحيث أصبحت الحركة في مرحلة نوعية جديدة ، اغتنى فيها مضمونها وأصبحت تعبر عن المصـــالح القومية والاجتماعية للطبقة العاملة والاكثرية الساحقة من الكادحين ، وتتميز هذه المرحلة بأن فئات من البرجوازية المتوسطة والصغيرة تصدت ، عبر انقلابات عسكرية قام بها ضباط وطنيون من الرتب الوسطى والصغيرة ، لقيادة الحركة الوطنية كرد فعل مباشر لخيانة الفئات العليا من البرجوازية المرتبطة بالاستعمار والمتحالفة مـــع الاقطاع . هذا ما عبرت عنه ثورة يوليو في مصر (١٩٥٢) والتغيرات السريعة المتوالية في سوريا واندلاع ثورة الجزائر ، وثورة ١٤ تموز في العراق والثورة في اليمن والحركات الوطنية في بقية البلدان العربية في المشرق والمغرب . وكان طبيعيا ان تواجه هـــذه القيادات الجديدة قضية الاختيار نفسها ، اختيار طريق تطور البلدان العربية . وبرغم ان الديمقراطيين الثوريين المتحدرين من اصول برجوازية صغيرة ومتوسطـــة لـــم يستندوا في تحليلاتهم السياسية والاقتصادية الى نظرية علمية ، فقد كانت سياسة التجربة والخطأ كافية لان تقودهم الى معرفة المفتاح لحل المشاكل التي يواجهونها . وكان اول قرار اتخذوه ــ ولجمال عبد الناصر الفضل الاول في ذلك ــ هو التوجـــه للاتحاد السوفياتي كحليف طبيعي وموضوعي لحركة التحرر الوطني العربية في نضالها من اجل تدعيم استقلالها السياسي وتقدمها الاجتماعي . ولم تكن في هذا المجال قضية كسر احتكار السلاح عملية بسيطة عابرة ، بل كانت حلقة في سلسلة من المواقف التي كانت تمليها في آن واحد المهمات المعقدة المطروحـــة امام هـــذه البلدان والتحالـــف الموضوعي بين الثورة الاشتراكية والثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان الناميـــة . اذ ما لبثت صفقة السلاح التي عقدتها كل من مصر وسوريا مع البلدان الاشتراكية ، ان وضعت البلدين امام مهمات مترابطة : مهمة مواجهة عدوان اسرائيـــل ضد مصر (١٩٥٦) والتهديد بالعدوان التركي ضد سوريا (١٩٥٧) من جهة ، وعملية استعادة الثروات والمرافق الوطنية ، (تأميم قناة السويس) من جهة ثانية ، وعملية التنمية (بناء السد العالي) من جهة ثالثـــة ، واستكمالا لعمليـــة التنمية ، تأميم المرافـــق الاساسية ، من جهة رابعة . وفي كل هذه المهمات كان العدو يتحـــدد اكثر فأكثر ، اسرائيل والامبريالية العالمية والفئة العليا من البرجوازية المتحالفة مع الاقطاع . كما كان يتحدد بوضوح الحليف الاساسي ، الاتحاد السوفياتي ، والبلدان الاشتراكية التي وقفت منذ البدء بكل طاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية لمسانـــدة البلـــدان العربية في جميع هذه المهمات التي تواجهها . وبالامكان في هذا السياق ايراد امثلة لا تحصى على اشكال الدعم السوفياتي للبلدان العربية .

ولعل خير ما يمكن ان نورده في هذا المجال هو ما ورد على لسان عبد الناصـــر في مناسبتين : المناسبة الاولى في خطاب القاه في افتتاح دورة الانعقاد الثالث لمجلـــس الامة (١٩٦٥) حين قال : « **ان علاقاتنا بالاتحاد السوفياتي تزداد بالصداقة المتكافئة قوة وبالتعاون المثمر خصوبة . ولقد لمست بنفسي خلال زيارتي الاخـــيرة للاتحـــاد السوفياتي مدى الجهود الجبارة التي تبذلها شعوبه المحبة للسلام لكي تبني تقدمها الانساني العظيم الذي يكرمه ان هذه الشعوب المناضلة لا تعزل قضية تقدمها عـــن**

قضية التقدم العالمي ، كما انها بوزنها الكبير تقدم خدمة ضخمة لقضية التحرر الوطني » .

والمناسبة الثانية في حديث اعطاه لجريدة « لوموند » الفرنسية (١٩٧٠) حيث قال : « **ان العلاقات التي نقيمها مع الروس هي علاقات فريدة من نوعها .. انهم لا يحاولون حتى التأثير في افكارنا . والالاف الخمسة من الخبراء الفنيين الذين ارسلوهم الينا من اجل بناء السد العالي في اسوان لم يحاولوا ابدا نشر الماركسية عندنا ، مع انني لست معاديا لهذه الايديولوجية واحمل اعجابا كبيرا بلينين . غير ان الروس لم يطلبوا اي شيء مقابل دعمهم لنا ، وقد يدهشكم هذا » .**

ان ما جاء على لسان عبد الناصر بهذا الشكل نستطيع ان نقوله بكلام آخر وهو ان الاتحاد السوفياتي ، منذ ثورة اوكتوبر حتى اليوم ، عندما يتعامل مع حركة وطنية ثورية معادية للامبريالية ، انما يأخذ بعين الاعتبار في آن واحد المصالح الاساسية لتطور العملية الثورية على الصعيد العالمي والمصالح الاساسية لتطور العملية الثورية للبلد المعني . وهو لا ينظر الى الدور الذي يقوم به استنادا الى الموقف الذي يتخذ ازاءه من بعض القوى اليمينية المحافظة في الحركة الوطنية ، لانه يعتقد ان مصائر هذه الحركة لا ترتبط بموقف اشخاص مهما كانت المواقع التي يحتلونها ، بل هي مرتبطة بجماهير الكادحين ، اي بالاكثرية الساحقة للشعب التي ترتبط مصالحها مع مصلحة تطور الحركة الوطنية وتعمق محتواها ، لانه يرى تأثيرا موضوعيا متبادلا بين تطور الحركة الثورية في بلد معين وتطور كل الحركة الثورية على الصعيد العالمي .

هنا لا بد من نظرة موضوعية الى المراحل التي تطورت فيها العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية خلال نصف القرن الذي مضى .

خلال استعراضنا للاحداث ، نستنتج ان هذه العلاقة كانت تزداد قوة او تضعف بفعل المواقف التي كانت تتخذها قيادات حركة التحرر الوطني العربية . وكان هذا التغير في قوة العلاقة او ضعفها يعود الى امرين : المرحلة التاريخية والمهمات المطروحة في اطارها امام حركة التحرر الوطني ، من جهة ، وطبيعة القوى الطبقية المهيمنة في قيادة حركة التحرر الوطني ، من جهة ثانية .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي نفسه ، فان موقفه الاساسي لم يتغير لان ايديولوجيته التي أملت عليه موقفا مبدئيا من نضال الشعوب في سبيل تحررها وتقدمها لم تتغير ، وانما الذي تغير فعليا هو ان قوة الاتحاد السوفياتي تزداد اكثر فأكثر وتزداد معها امكانياته في تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية والسياسية للبلدان النامية ولحركتها الثورية ، وذلك في اطار تغير ميزان القوى العالمي لصالح الاشتراكية ، هذا الميزان الذي تشكل حركة التحرر الوطني جزءا لا يتجزأ منه ، ومصيرها كحركة تحرر وطني مرتبط بتغيره المستمر موضوعيا لصالح الاشتراكية .

اننا حين نتحدث عن الدور الذي يلعبه الاتحاد السوفياتي في تقديم المساعدات للبلدان النامية وحركتها الوطنية الثورية ، انما نتحدث عن الامكانيات الموضوعية . وهي نقطة هامة ينبغي الا تغيب عند التحليل . فللاتحاد السوفياتي مسؤوليات داخلية ، النجاح في عملية بناء الشيوعية ، ومسؤوليات على صعيد المنظومة الاشتراكية ، المساعدة في تقوية التكامل الاقتصادي وبناء دفاع قوي ضد المخططات العدوانية الامبريالية ، ومسؤوليات دولية ، الاسهام بدور اساسي في نضال الشعوب من اجل السلم والتعايش السلمي ودرء خطر حرب نووية مدمرة ، فضلا عن

مسؤولياته في تقديم المساعدة للبلدان التي تريد الخروج من سيطرة الاحتكارات العالمية وتحرير ثرواتها الوطنية وبناء اقتصادها الوطني المستقل . وبالتالي فانه ينبغي النظر الى المساعدات في حدود الامكانيات الموضوعية المتوفرة لدى الاتحاد السوفياتي وليس بشكل مطلق . علما بأن هذه المساعدات التي يقدمها الاتحاد السوفياتي للدول النامية لا يمكن ان تعطي مردودها الحقيقي اذا لم تقترن بخطة علمية للتنمية ، والا فان هذه المساعدات تصبح برغم ضخامة حجمها عرضة للهدر ولا تعطي الفائدة الممكنة والمرجوة منها . وهو أمر لا يقرره الاتحاد السوفياتي ، بل تقرره البلدان التي تقدم لها هذه المساعدات . اي ان الامر يعود الى موقف القوى الطبقية المهيمنة في البلد المعني ، ومدى انسجامها مع خطة علمية للتنمية . هذا في المجال الاقتصادي . اما في المجال السياسي فليس تقرير المواقف السياسية في بلد يتعامل مع الاتحاد السوفياتي ويستند الى دعمه امرا يعود للاتحاد السوفياتي ، بل هو امر داخلي لهذا البلد تقرره القوى القائدة فيه . وهنا ايضا لا بد من العودة الى تحديد القوى الطبقية لكي نرى أي موقف سياسي تتخذه — بما في ذلك قضايا الحرب والسلام — ومدى انسجام هذا الموقف مع المصلحة الاساسية للاستقلال الوطني لهذا البلد .

واذا توقفنا عند ما يجري في الوقت الراهن من احداث ، فاننا نرى ان ما تشهده البلدان العربية ، ولا سيما البلدان التي تسود فيها انظمة وطنية معادية للاستعمار ، سواء في المجال السياسي او الاقتصادي او العسكري ، تتحمل مسؤوليته القوى الطبقية المهيمنة . ويمكن القول اكثر من ذلك بان ثمة رجعة واضحة الى الوراء فيما يتعلق بالتوجهات التي كانت سائدة في مرحلة الستينات بشكل خاص ، في اطار سياسي معاد للامبريالية ، في سياسة التنمية وفي التدابير الاجتماعية لصالح الكادحين ، وفي اطار التحالف مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية ومجمل الحركة الثورية المعادية للامبريالية على الصعيد العالمي . بل ان هناك تراجعا حتى عن بعض التدابير والمواقف التي اتخذت في فترة سابقة . وليس الاتجاه لتغيير مصادر السلاح في مصر هو المثل الوحيد على ذلك ، بل هناك أمثلة عديدة ، اذا جمعت ، تشكل موقفا خطير النتائج بالنسبة لمجمل حركة التحرر الوطني العربية .

لماذا يحصل هذا الامر ؟

اننا لا نستطيع الا ان نربط بين هذه المواقف وبين القوى الطبقية التي تتخذها وهو أمر طبيعي . فان الميل للمساومة مع الامبريالية ليس من طبيعة القوى التي ترى من مصلحتها ، من مصلحة الدفاع عن استقلال بلدها ، الانسجام التام في العداء للامبريالية والتحالف الكامل مع القوى المعادية لها ، اي مع الاتحاد السوفياتي أساسا . وفي الوقت الراهن ، فان هذه القوى ، اي القوى الاكثر جذرية في حركة التحرر الوطني العربية ، هي التي تقف الان بالمرصاد لميول المساومة مع الامبريالية ، وهي التي تتشبث بتوطيد العلاقة الموضوعية بين حركة التحرر الوطني العربية والاتحاد السوفياتي .

لنأخذ بعض الامثلة من واقعنا المعاصر :

المثل الاول : هو قضية العدوان الاسرائيلي والنضال لتصفية آثاره . في هذه القضية تبرز في الظروف الراهنة ميول عند بعض القوى اليمينية للمساومة مع اميركا استنادا الى الزعم بأن بيدها مفتاح الحل للقضية . واستنادا الى هذا الزعم ، لا ترى هذه القوى مانعا من القيام بتنازلات امام الامبريالية الاميركية ، مقرنة ذلك بموقف

سلبي من الاتحاد السوفياتي كشرط من شروط المساومة . والنتيجة المنطقية لهـذه السياسة هي : **أولا** ، فتح الطريق امام الامبريالية الاميركية لتعزيز مواقعها في المنطقة العربية . **وثانيا** ، تدعيم مواقع اسرائيل . **وثالثا** ، التخلي عن التحالف مع الاتحـاد السوفياتي . **رابعا** ، بالاستناد الى ذلك ، جعل الامبريالية الاميركية في وضع لا تعود فيه مضطرة لان تعطي ما يطلب منها من حلول لصالح البلدان العربية ، بل انها تفرض شروطها وتقدم حلولا هي في نهاية المطاف حلول تتعارض بشكل واضح مع مصلحـة تطور حركة التحرر الوطني العربية وتقدمها ، وقد كان من الممكن ، لو ان القوى التي تدعو الى المساومة تريد فعلا حلولا صحيحة لقضية العدوان ، ان تستفيد الى الحد الاقصى مما وفرته لها حرب تشرين من نتائج كبيرة الاهمية . الا انـنـا في الواقـع شهدنا من هذه القوى ايغالا في مواقف المساومة من جهة ، وذهابـا في العداء مـع الاتحاد السوفياتي الى المدى الابعد ، في وقت كل الوقائع تشير فيه الى ان الاتحـاد السوفياتي ، في موقفه من قضية العدوان يسعى لايجاد حلول تضمن فيها بشكـل اساسي ، في نطاق الممكن ، الحقوق الطبيعية المشروعة للشعوب العربية وفي مقدمتها حقوق شعب فلسطين في اقامة سلطته الوطنية المستقلـة ، واستعـادة الاراضي العربية المحتلة بكاملها . ويتجلى هذا الموقف في اصرار الاتحاد السوفياتي على عقد مؤتمر جنيف والبحث عن حل لقضية العدوان في اطاره وبمشاركة الشعب الفلسطيني بشخص منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد له ، وعلى أساس الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، كما يتجلى في استمـرار تقديم الاسلحة الضرورية للبلدان العربية خلافا لما يعلن ويقـال على السنة بـعض المسؤولين ، من اجل تقوية امكانياتها العسكرية لمواجهة اي عدوان اسرائيلي محتمل .

وفي هذا المجال يبدو في منتهى الغرابة ما تقوم به بعض القوى اليمينية في البلـدان العربية تحت ضغط اميركا والرجعية العربية لتأجيل مؤتمر جنيف وابعاد الاتحـاد السوفياتي عن المشاركة فيه ومنع منظمة التحرير من ارسال ممثليها اليه ، في الوقت الذي يجري فيه التصريح والتلميح الى رغبة المسؤولين في مصر لتغيير مصادر السلاح ، اي لتغيير التحالف الاساسي القائم حاليا مع الاتحاد السوفياتي . فضلا عن ذلـك يجري الاعداد لحلول جزئية مشوهة .

ولذلك فان الموقف المعارض لاتجاهات القوى اليمينية المساومة هو الاصرار علـى ضرورة التحالف الوطيد مع الاتحاد السوفياتي وموقف العـداء للامبريالية الاميركية وعدم التنازل امامها وأمام مغرياتها ، لا سيما وان القضية التي تجري المساومـة حولها لايجاد حل جزئي لها هي نفسها جزء من قضية اكبر واشمل تتعلق بمستقبـل النضال العربي لتثبيت الحقوق القومية للشعب الفلسطيني وتحقيق الوحدة القومية للشعوب العربية واستمرار تطور البلدان العربية على طريق التقـدم الاقتصـادي والاجتماعي .

المثال الثاني : هو قضية فلسطين والحقوق القومية للشعب الفلسطيني . في هذه القضية يبرز بوضوح كم هو عميق ومؤثر دور الاتحاد السوفياتي . فبالاستناد الى دوره ووزنه الدوليين ، وبالاستناد الى دعمه المتعـدد الوجـوه ، تمكنت الثـورة الفلسطينية ، وهي تكافح وتقاتل على جبهات عديدة وتستخدم كل اشكال النضال ، من ان تنتزع اعترافا دوليا بها ظهر بشكل جلي في مناقشة الامـم المتحدة للقضيـة الفلسطينية وخطاب ابي عمار من على منبر هذه الهيئة الدولية كرئيس لمنظمة التحرير وكقائد للثورة باسم شعب فلسطين . ويناضل الاتحاد السوفياتي الان في دعمه للثورة

الفلسطينية على جبهات عدة : **اولا** ، بمساعدتها سياسيا في تدعيم وجودها وفي تثبيت شخصية الشعب الفلسطيني عن طريق الاعتراف بها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . **ثانيا** ، في دعم موقفها والنضال معها للمشاركة في مؤتمر جنيف كممثل وحيد للشعب الفلسطيني . **ثالثا** ، مساندتها في كفاحها الصعب من اجل الوصول الى كامل الحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، ولا سيما تحقيق برنامجها المرحلي في اقامة سلطة وطنية مستقلة على الارض التي يجري تحريرها ، **رابعا** ، الوقوف الى جانبها دعما لوحدتها ودفاعا عنها ضد الذين يحاولون تصفيتها .

في هذا الموقف ، يبرز الاتحاد السوفياتي ، بالنسبة للثورة الفلسطينية ، وبالنسبة لقضية فلسطين كقضية قومية للشعوب العربية ، كحليف موضوعي وكقوة اقرب اليها حتى من بعض القوى العربية . ولذلك فأن محاولة التطاول على الاتحاد السوفياتي واضعاف العلاقة معه هي محاولة لا يمكن الا ان تتفق موضوعيا مع مصلحة القوى المعادية للثورة الفلسطينية ، القوى المعادية للمطامح القومية للشعوب العربية .

المثال الثالث ، القضايا المتعلقة بالتنمية وبالتعاون الاقتصادي وبالثروات الوطنية. في هذه القضايا تتفق ميول المساومة مع الامبريالية ، مع التراجعات في مجال التنمية الاقتصادية وفي مجال التدابير التقدمية التي تتفق مع مصالح الكادحين ، ان لم تكن هي في اساس هذه المساومة . والا فكيف يمكن ان نفسر المحاولات المستمرة للانفتاح الاقتصادي والسياسي على اميركا في وقت نرى فيه هذه الدولة الامبريالية تستخدم كل ما لديها من قوة للضغط على البلدان العربية حتى التهديد بالتدخل العسكري دعما لاسرائيل احيانا ولاحتلال منابع النفط احيانا اخرى ؟ كيف يمكن ان يكون الانفتاح الاقتصادي على الدول الامبريالية في صالح تطور البلدان العربية وهو انفتاح يقترن بمثل هذا التهديد الفظ بالتدخل المسلح ضد بلداننا . في هذا المجال تنبغي الاشارة الى ردود الفعل التي شهدناها في عدد من البلدان العربية وبين قادة مسؤولين كالرئيس الجزائري بومدين الذي اعتبر اي اعتداء على اي بلد نفطي في المنطقة اعتداء على بلاده ، وهدد باحراق النفط وبالقتال .

واذا كان ذلك اصبح ممكنا اليوم ، فلأن بعض القوى اليمينية في حركة التحرر الوطني العربية بدأت تعطي الامبريالية مثل هذه الاسلحة في المواقف التي تتخذها بامعان من الاتحاد السوفياتي ومن التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري معه . الا ان رد الاتحاد السوفياتي من موقع المسؤولية هو الاستمرار في الدفاع عن القضية العربية ، في الدفاع عن الشعوب العربية ، عن حريتها واستقلالها ، عن حقها في النضال لاستعادة اراضيها المحتلة والمغتصبة وفي استعادة ثرواتها الوطنية والتصرف بها بحرية من اجل تقدمها وتطورها .

ان هذه الامثلة هي نماذج على ما اشرنا اليه من ان قضية العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية لا تتعلق بموقف الاتحاد السوفياتي ، بل تتعلق فقط بموقف البلدان العربية ، بموقف القوى الطبقية المهيمنة والتي بيدها التقرير . الا ان ذلك لا يعني ان هذه العلاقة الموضوعية يمكن ان تتأثر بموقف هنا وموقف هناك ، بقرار يتخذ هنا وقرار يتخذ هناك ، لانها اعمق واقوى من أي موقف واي قرار . انها كما اشرنا في البداية ، علاقة موضوعية بين حركة التحرر الوطني العربية وبين الاتحاد السوفياتي ، القوة الطليعية في الحركة الثورية العالمية المعادية للامبريالية . ولذلك فهي علاقة ثابتة لا تتغير من حيث الاساس . الا ان حركة التحرر الوطني العربية يمكن ان تتأثر سلبيا من المواقف التي تتخذها بعض القوى اليمينية النافذة في منع

الافادة الكاملة مما يقدمه الاتحاد السوفياتي من مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية . وقد نضجت في حركة التحرر الوطني العربية ظروف موضوعية تسمح بالتأكيد بأن القوى التي تعبر عن آفاق تطور هذه الحركة وعن المصالح الحقيقية لجماهير الكادحين ، قادرة اذا ما توفرت لها كافة الظروف الذاتية ، ان تدفع بالعلاقات العربية السوفياتية الى مستوى أرقى وان تقف بوجه المحاولات الرامية الى اضعافها. ان ذلك يقودنا الى استنتاج اساسي ذي شقين :

الشق الاول ، هو ان التوجه نحو الاشتراكية بين الجماهير العربية يزداد قوة ، يشهد على ذلك تزايد مواقع الطبقة العاملة وايديولوجيتها في حركة التحرر الوطني العربية ، والجذرية في العداء للامبريالية ، والتمسك بالصداقة مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية .

الشق الثاني ، هو ان تعقد المشاكل في المرحلة الراهنة في حركة التحرر الوطني العربية والعجز عن مواجهة هذه المشاكل ، والميل للمساومة مع الامبريالية وتقديم التنازلات امامها بدأ يفرض كمهمة ضرورية اقامة تحالف ديمقراطي بين القوى الطبقية والسياسية الاكثر جذرية في عدائها للامبريالية ، تحالف يضم في صفوفه الطبقة العاملة وجماهير البرجوازية الصغيرة وجميع الكادحين ، وحتى فئات متوسطة من البرجوازية . وبمقدور هذا التحالف ، بالاستناد الى القوى الذاتية في حركة التحرر الوطني العربية ، والى دعم الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية وكل الحركة الثورية العالمية والقوى والدول المناضلة من اجل السلم والحرية ، ان يفرض تأثيرا متزايد الاهمية على مجرى الاحداث باتجاه تخليص حركة التحرر الوطني من الازمة التي تجتازها ، وتحقيق الاهداف التي تطرحها المرحلة الراهنة في حركة التحرر الوطني العربية برغم كل تعقيداتها .

سقوط سياسة الابتزاز
أو البحث عن تعايش سلمي متكافئ

الدكتور فيصل دراج

يحكم الحقل السياسي العالمي الراهن ثنائية متناقضة : رأسمالية / اشتراكية . وهذه الثنائية تتسم بالتناقض البنياني الذي ينسحب على جميع المستويات : نمط الانتاج الاقتصادي ، الرؤية الايدولوجية للعالم ، شكل الممارسة السياسية والدبلوماسية . بمعنى أن كلا من طرفي الثنائية يشكل نقيضا كاملا للآخر . وهذان الكيانان المتناقضان بنيانيا ليسا بمعطيين مباشرين ، بل هما نتيجة لعملية تطور تاريخية طويلة . فالصراع الراهن بين الاشتراكية والرأسمالية يمثل شكلا نوعيا جديدا من الصراع : صراع الطبقات على المستوى العالمي ، وهو يمثل تاريخيا امتدادا للصراع الذي كان يدور منذ عهود طويلة بين قوتين متناقضتين : قوى التقدم وقوى الظلام . وهذا الصراع كان في البدء أكثر وضوحا وأقل تعقيدا ، لكن ظهور نمط الانتاج الاشتراكي واستمراره وتزايد نفوذه جعل الصراع أكثر صعوبة ، فنضال **الدولة** الاشتراكية يختلف في شكله عن نضال الطبقة العاملة ، فالاولى تناضل من أجل تثبيت سلطتها ، في حين تناضل الثانية من أجل الوصول الى السلطة .

ان اشتداد الصراع بين القوتين المتناقضتين ، أو بشكل أوضح بين المعسكرين العالميين : الاشتراكي والرأسمالي أدى الى معطى جديد هو السلاح النووي ، أو توازن الرعب ، أو دبلوماسية شفير الهاوية . فالسلاح النووي وقوة الردع العسكرية أصبحت تحكم طبيعة الصراع بين المعسكرين ، أصبح صراعا هادئا يتمحور على قاعدة لا هادئة ؛ قاعدة مرعبة . وهذا الرعب المتبادل قاد الى استراتيجية جديدة : التعايش السلمي ، حيث أن دمار الخصم أصبح يعني دمار الذات في الوقت نفسه ، أو كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي ريمون آرون « ان وضع القوتين الكبيرتين الراهن يذكرنا بنوع سام من العقارب يموت في نفس الوقت الذي يلدغ فيه خصمه » . ومع اننا لا نتفق مع الفكر السياسي لريمون آرون فاننا نتفق معه في تشبيهه هذا ، الا أنه مع ذلك يجب ان نشير الى أمر هام يتعلق بشكل التعايش السلمي بين الطرفين المعنيين . فالولايات المتحدة الامريكية ، طليعة المعسكر الامبريالي ، تقبل الوضع الجديد مكرهة ، أو كما يقول العرب : مكره اخوك لا بطل . اذ أن عدم لجوئها للسلاح النووي وقبولها **بشكل** خاص من التعايش السلمي لا يعود الى منطلقاتها السياسية والايدولوجية بل يعود الى خوفها من قوة الطرف الآخر . فقبولها هذا اذن آت من عامل خارجي عن بنيانها ، أي من قوة وليونة الطرف الآخر . في حين ان الاتحاد السوفييتي ينهج سياسة التعايش السلمي بسبب مبادئه ومنطلقاته الايدولوجية المدافعة عن هذه السياسة .

ان قبول الامبريالية العالمية بسياسة التعايش السلمي (على الرغم من انه يستغلها أحيانا) يشكل نظريا هزيمة وتراجعا له ، وانتصارا للمعسكر الآخر ، ذلك ان الامبريالية

أعلنت منذ ظهور النظام الاشتراكي في عام ١٩١٧ عزمها علــى ابادة هذا النظام ، وقبولها به الآن والتعامل معه يعني تراجعا تاريخيا لها .

مع ذلك فان مفهوم التعايش السلمي الذي يحكم العلاقـــات بين المعسكرين ليس بسيطا ، وما يزال محاطا بأقمطة ضبابية كثيفـــة ، ذلك أن فهم كـــل من الطرفين للتعايش السلمي ليس متجانسا ، أو بالاحرى هناك فهم واستعمال لا متكافىء ، فهناك فهم امبريالي للتعايش السلمي من ناحية ، وفهم اشتراكي له ، لكن « الفهم » الامبريالي يعني بالضرورة البحث عن الربح والمنفعة . واذا كان الامبرياليون مولعين بفائض القيمة على المستوى الاقتصادي فانهم مولعين بفائض قيمة آخر على المستوى السياسي .

ان هذه الاعتبارات تجعل مفهوم التعايش السلمي بكـــل مشتقاته مفهوما زئبقيا صعب التحديد ، بل أصبح مفهوما ضبابيا من الصعب تمييز حدوده .

مما لا ريب فيه أن طبيعة العصر بمركباته السياسية والاقتصادية الراهنة تستلزم التعايش السلمي ، لكن هذا التعايش يجب أن لا يرى مـــن خلال نظارات انسانية محضة ، بل يجب أن يرى كشعار نضالي ينبغي تطبيقـــه بشكل متكافىء من قبـــل الطرفين ، والا أصبح مفهوما مضللا يبرر ممارسات قوى الظلام القمعية .

المفهوم السوفييتي للتعايش السلمي :

يقول بعض المنظرين البرجوازيين ان الاتحاد السوفييتي يقبل بسياسة التعايش السلمي بسبب تغيير نوعي في بنائه الداخلي ، اي بسبب تحوله الـــى مجتمع متقدم يعتمد على العلم والتكنيك ، وهم بهذا لا يردون تقدم الاتحاد السوفييتي الى تطبيقه للاشتراكية ، بل الى التقدم الصناعي . واعتمادا على هذا فانهم يصلون الى تقسيم جديد للعالم : المجتمعات المتقدمة صناعيا (المعسكر الامبريالي والمعسكر الاشتراكي) والمجتمعات المتخلفة (العالم الثالث) . اذن فقسمة العالم السياسية لا تعتمد على : اشتراكية / رأسمالية ، بل على قسمة جديدة : بلدان صناعية / بلدان متخلفة ، أو بشكل آخر : القرية والمدينة على المستوى العالمي .

ضمن اطار هذا التقسيم الذي يعتمده الكثيرون (هربرت ماركوز ، ريمون آرون ، بل . . .) نلحظ الامور التالية :

ـــ نهاية عصر الايدولوجيا ، فالافكار لم تعد سببا لصراع القوى في العالم ، حيث ان كلا من المعسكرين يعتمد في تقدمه على التكنيك وليس على الافكار . وهذا يعني تدشين نهاية الصراع الايدولوجي على المستوى العالمي .

ـــ تقسيم العالم الى معسكرين : عالم متقدم وعالم متخلف ، وبالتالي فان الصراع في العالم لا يدور بين الدول المستعمرة والامبريالية العالمية ، بل يدور بين العالم الثالث والدول الغنية .

ان هذا الموقف **الايدولوجي** يعني بأن أسبـــاب الصراع **الجوهرية** بين الرأسمالية والاشتراكية قد تلاشت ، وحل محلها تعايش جديد قائم على التناظر والتماثل في البنى الاقتصادية والايدولوجية .

لا شك أن نظرية « التلاقي » هذه لا تقدم تحليلا موضوعيا لموقف الاتحاد السوفييتي، بل تقدم تحليلا ذاتيا برجوازيا له . لذلك فلنرَ ما يقول السوفييت : يعرّف س. ليتيزين سياسة التعايش السلمي كما يلي : « انها تعني الاعتراف بأنه من الممكن ان تعيش في

آن واحد في الكرة الارضية بلدان ذات أنظمة اجتماعية واقتصادية مختلفة »(١) وانه من الواجب أن تقوم بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة علاقات اقتصادية وتجارية وثقافية . كما ينبغي أن تحل جميع الخلافات التي تنشب بين الدول عن طريق المفاوضات وليس عن طريق الحرب . كما يعتقد ليتيزين بأن سياسة التعايش السلمي تخلق الشروط الموضوعية الملائمة لتطوير نضال الطبقة العمالية في العالم ، ونضال الشعوب من اجل استقلالها ، وان « التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة انما هو شكل خاص للنضال الطبقي على المستوى العالمي » . وهذه السياسة ليست أمرا مستحدثا في ممارسات الحكومة السوفييتية بل هي امتداد لسياسة وضع اسسها وطبقها مؤسس الدولة السوفييتية لينين ، الذي كان ينتقد بشدة دعاة المجابهة المباشرة مع الامبريالية والمطالبين بعدم التعامل معها اطلاقا ، وقال مشيرا الى هؤلاء « اذا تبنى المرء وجهة النظر هذه ، فان جمهورية اشتراكية محاطة بالقوى الامبريالية وغير قادرة على عقد أي اتفاقية تجارية سوف تتلاشى ، الا اذا طارت الى القمر »(٢) .

أما البروفيسور فيدور رجينكو فانه يعتقد أن السلام شرط حاسم من أجل نجاح البناء الاشتراكي والشيوعي ، وان مفهومي السلام والاشتراكية متلاحمان عضويا(٣)، وان هذا لا يعني الاعتراف اطلاقا بوجود أبدي للرأسمالية والنظام الامبريالي ، وانما هو أداة لكبح الامبريالية عن التدخل في شؤون البلدان المناضلة وتصدير الثورة المضادة اليها . اذن وحسب رأي رجينكو فالتعايش السلمي هو صيغة جديدة للنضال ضد البرجوازية حتى الانتصار النهائي للشيوعية على المستوى العالمي . وهذا الشكل التاريخي من النضال تمليه ضرورة العصر (تجنب خطر الحرب) .

واذا كان رجينكو يربط سياسة التعايش السلمي بطبيعة العصر ، أي يظهرها كضرورة عقلانية بناءة سياسيا ، فان الدكتور أوليانوفسكي لا يرى في الحرب ضرورة على الاطلاق ، فهي ليست الميدان الفعال لانتصار قوى التحرر في العالم ، « فالماركسيون أعداء حازمون لما يسمى بتصدير الثورة ، فالثورة الاشتراكية ، أو الثورة الديمقراطية الوطنية يجب أن تأتي نتيجة لتناقضات الطبقات المكونة للنظام المستغِل . والماركسيون — اللينينيون ليسوا بحاجة الى السلاح لفرض آرائهم ، فالاقتصاد والسياسة والايدولوجيا والثقافة هي الميادين الحقيقية للنضال ضد الرأسمالية »(٤) .

وبشكل عام فان المنظرين السوفييت يركزون على الاستعمال السياسي للسلاح اكثر من السلاح نفسه، كما يعتقدون أن القوة العسكرية ليست هي السبب الوحيد لممارسة تأثير سياسي في العالم ، ذلك ان الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية يأخذ اشكالا مختلفة ، يقول ليونيد بريجنيف « ان الصراع الطبقي بين النظامين الراسمالي والاشتراكي يستمر في الميدان الاقتصادي والسياسي والايدولوجي أيضا ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ، لان مفهوم العالم والاهداف بالنسبة الى الاشتراكية يختلف جذريا ويتناقض مع مفهوم العالم والاهداف لدى الرأسمالية . ولكن نحن نبحث عن سبيل جديد كي يتتابع فيه الصراع بمعزل عن تهديدات الحرب والصراعات الخطرة »(٥) .

وهكذا فالسوفييت يرون في سياسة التعايش السلمي شكلا تاريخيا جديدا من النضال ، لا يتسم فقط بسمات انسانية واخلاقية ، بل يعتبر أيضا عاملا في تطويق وحصار الامبريالية العالمية ، ومسهلا لتقدم الاشتراكية وحركات التحرر في العالم .

هل هناك مفهوم أمريكي للتعايش السلمي ؟

اذا كان مفهوم التعايش السلمي يحظى بنظرية كاملة لدى الاتحاد السوفييتي ، فان الامر ليس كذلك عند الولايات المتحدة والامبريالية بشكل عام . فالاشتراكية ولدت مع تيار التاريخ الصاعد وبالتالي فهي تتويج لعملية صراع طويل ، وظهورها وتطورها يحمل بذور دمار نقيضها ، معنى ذلك ان الامبريالية تقف ضد رياح التاريخ وضد التطور الموضوعي لحركة التاريخ ، اذن فالامبريالية مضطرة أن تتدخل بشكل ذاتي لايقاف حركة التاريخ أو حرفها عن مسارها الاصلي ، وهذا التدخل يتم عن طريق القوة العسكرية (فيتنام ، لاوس ، الدومنيكان ، الشرق الاوسط) . ان التدخل الذاتي (العسكري) في مسار الحركة التاريخية عامل محايث لبنية النظام الرأسمالي والامبريالي ، أمر ضروري لكسر تطور الحركة التاريخية الموضوعي . ان الرأسمالية بحاجة الى العنف والحرب على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي ، فهي تقمع الصراع الطبقي على المستوى المحلي بالعنف ، ثم تقمع الصراع الطبقي على المستوى العالمي بالعنف أيضا ، ان الامبريالية كقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية لا تستطيع أن تستمر في الحياة اذا لم تلجأ الى العنف ، ذلك أن وقوفها يعتمد على نهب وغزو وامتصاص دول العالم الثالث(٦) . ان عملية النهب المستمرة هذه لا تستمر الا بفضل تدخل عسكري مباشر أو لامباشر (شيلي) .

ان ديالكتيك الثورة في عصر الامبريالية لا يأخذ كل أبعاده ، ذلك ان الدور الذاتي الذي تمارسه الامبريالية العالمية بأدواتها المختلفة يجعل هامش هذا الديالكتيك ضيقا ، مما يتطلب العثور على صيغ جديدة لمتابعة النضال ضد الامبريالية في عصر التعايش السلمي .

مع ذلك وحتى لا نقع في التجريد النظري يجب أن نشير الى دور القوى الاشتراكية في العالم في جعل الامبريالية تتراجع نسبيا ، فالحقل السياسي العالمي ليس مجالا مفتوحا فقط للامبريالية ، فهناك قوى أخرى تمارس أثرا ملحوظا على السياسة العالمية ، مما جعل الولايات المتحدة تقبل ولو بشكل ملتو بسياسة التعايش السلمي . فاحتكار السلاح لم يعد قصرا على المعسكر الامبريالي ، لذلك فهو مضطر أن يدخل عامل **السياسة** الى جانب عامل السلاح اذ أن « القوة العسكرية لا تعكس اوتوماتيكيا قوة سياسية »(٧) . ان الدخول **الجديد** لعامل **السياسة** في الدبلوماسية الامريكية أمر جديد ، ذلك ان المعطيات القديمة قد ضعفت او تزلزلت . يقول توماس واطسون « منذ بضع سنوات كان البعض يعتقد أن الولايات المتحدة قادرة علـى مساندة الحركات المناهضة للشيوعية دون أن يؤثر ذلك على الاقتصاد الامريكي ، من الواضح الآن ان هذه الفكرة قد سقطت . . . وان رجال الاعمال قلقون من هذا الامر »(٨) .

أما جوردون شيرمان فقد كان أكثر وضوحا « اننا لا نستطيع أن نضحي بأموالنا وقدراتنا من أجل مخاطرات منطلقة من خيال خطر »(٩) .

وهكذا فكلما نما الخصم أصبحت محاربته أكثر كلفة ، لذلك فان التدخل السياسي الامريكي يعني متابعة التدخل العسكري ولكن بشكل آخر ، ان عامل السياسة عند كيسنجر يعني اعادة صياغة الظروف الموجودة لخلق ظروف جديدة تتلاءم مع المصالح الامريكية ، والسياسة عنده ليست عاملا وحيد الجانب ، بل هي كل معقد تتداخل فيه عدة عناصر .

ان مفهوم العمل السياسي الامريكي يعتمد على مفهـوم براجماتي ، فليس هناك

صفقات نزيهة ، وانما هناك بحث لاهث للاستفادة من الطرف الآخــر بكل الاشكال الممكنة ، « فانت جيد بقدر ما أنت نافع لي » هذه القاعدة حاول الامريكان تطبيقها على سياسة التعايش السلمي مع السوفييت . مما أدى الى الغاء المعاهدة التجارية مؤخرا بين البلدين . ان قراءة بطيئة لتطور العلاقات التجارية بين البلدين تظهر الخط الاحمر المسير للطرف الامريكي آلا وهو استغلال الطرف الآخر . ولم يقف الامر عند ذلك بل أن الطرف الامريكي حاول أن يمد فلسفته البراجماتية الى الطرف الآخر فزاوج بين التجارة والسياسة ، بل أصبحت التجارة أداة للسياسة بحيث أصبح من الممكن التحدث عن **التجارة السياسية** .

الغاء للاتفاق التجاري أم الغاء للابتزاز ؟ :

في ٢٩ أيار ١٩٧٢ ، وقع الرئيس الامريكي السابق نيكسون مسودة اتفاقية تجارية، عرفت فيما بعد باسم اتفاقية موسكو ، وتهدف الى تنمية حجم العلاقات التجارية بين البلدين . بعد ذلك شهدت العلاقات السوفييتية ــ الامريكية تطورا ملحوظا ضمن اطار « الدولة الاولى بالرعاية » وحصل الاتحاد السوفييتي في الفترة الواقعة بين بداية تشرين الاول ١٩٧٢ وحزيران ١٩٧٤ على قروض وصلت الى ٤٦٩ مليون دولار من بنك الاستيراد والتصدير الامريكي ، كما انه بموجب الاتفاق يستفيد الاتحاد السوفييتي من ٣٠٠ مليون دولار كقروض حكومية لشراء صادرات (سلع) أمريكية .

لكن هذا الاتفاق ما لبث ان تهاوى بسبب التعديل الذي أدخله الكونغرس الامريكي الذي وافق على طلبات السيناتور جاكسون وشارلز فنيك ، وهذا التعديل يمثل تدخلا سافرا في شؤون الاتحاد السوفييتي وامتهانا « لسيادتها وأعرافها وتقاليدها » . ذلك ان الاوساط الصهيونية في الكونغرس وعلى راسها جاكسون ربطت بين التجارة وهجرة اليهود السوفييت ، واذ كان هذا التدخل في البدء محدودا وهادئا ، فقد أخذ بعد عام ١٩٧٣ طابعا وقحا وحادا ، فأصبحت قضية اليهود السوفييت مجال نشاط جاكسون ، ثم بعد ذلك ربط جاكسون وروكفلر قضية سخاروف الفيزيائي بالتجارة من جديد ، ثم اعتبروا ان تضييق حركة الكاتب سولجنتسين أمر يهدد السلام والانفراج !!

وكتتويج لكل هذا التدخل في شؤون الاتحاد السوفييتي الداخلية عاد كيسنجر فطرح قضية اليهود عند اجتماعه مع غروميكو عشية قمة فلاديفوستك .

هذا التدخل المستمر من جانب الطرف الامريكي جعل السوفييت يقومون بالغــاء الاتفاقية لانها تتميز بالانانية أكثر من بحثها عــن السلام(١٠). وقد زاد مــن استياء السوفييت ان فورد رفض أن يستعمل « الفيتو » ضد قرار الكونغرس حول قانون التجارة ، وبالتالي فقد نقض الاتفاق الذي عقده نيكسون مع بريجنيف .

مما لا شك فيه أن العناصر الصهيونية والمسيطرة على الكونغرس الامريكي حاولت أن تجعل من التجارة مع الاتحاد السوفييتي أداة لخدمة أهداف الحركة الصهيونية ، فالهجرة تنمو بشكل مطرد مع نمو التجارة وهذا يبدو من الجدول الآتي الذي نشرته صحيفة لوموند الفرنسية(١١) (وعلى الرغم من عــدم ثقتنا في المصدر والذي هــو الحكومة الاسرائيلية فان الجدول مع ذلك يبقى موحيا وذا دلالة) عن هجرة اليهود السوفييت : في ١٩٦٩ : ٣٠١٩ مهاجرا ، ١٩٧٠ : ٩٤٤ مهاجرا ، ١٩٧١ : ١٢٨٥٠ مهاجرا، ١٩٧٢ : ٣١٦٠٩ مهاجرين، ١٩٧٣ : ٣٣٤٤٤ مهاجرا، ١٩٧٤ : ١٧٠٠٠ مهاجر.

دلالة القرار السوفييتي وآفاقه :

على الرغم من أن الصحف لا تشير الى تغير جذري في سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية(١١)، فان القرار يعكس بشكل موضوعي بعض المتغيرات في حقل السياسة العالمية . فالسياسة الامريكية تكسر باستمرار قانون التعايش السلمي . فهناك تدخل المخابرات المركزية باشراف كيسنجر في أحداث شيلي المأساوية، وعدم الاحترام المستمر لاتفاقية باريس في فيتنام ، فالحرب الآن هناك تصل الى مستوى خطر ، وأمريكا ما تزال تتبنى حتى النهاية الحكم الساقط تاريخيا في فيتنام الجنوبية وتمده بالسلاح وبكل المساعدات الممكنة . يضاف الى ذلك مناورات أمريكا في الشرق الاوسط والهادفة الى تجميد مؤتمر جنيف وشل الاتحاد السوفييتي عن الحركة السياسية في المنطقة .

ازاء هذه الممارسات كان على الاتحاد السوفييتي ان يأخذ موقفا حاسما يعبر عن تصلب جديد في موقفه(١١) بحيث لا يترك يد الدبلوماسية الامريكية والعدوان الامريكي بدون قيود .

يضاف الى ذلك ان تصلب الاتحاد السوفييتي الجديد (والحركة الشيوعية العالمية بشكل عام) لا يعود فقط الى اعتبارات خارجية وبالتالي الى رد فعل ذاتي ، انما يعود ايضا الى تزايد قوة المعسكر الاشتراكي الاقتصادية ، فهو يقف هادئا في حين يمر المعسكر الرأسمالي بأزمة خانقة . كما انه قادر على استبدال أمريكا تجاريا ، فهناك اليابان وأوربا الغربية ، خاصة انه لم يكن يستفيد من العلاقات التجارية مع أمريكا بقدر استفادة أمريكا ، ففي عام ١٩٧٢ صدر الاتحاد السوفييتي الى أمريكا بما قيمته ٢٧٠ مليون دولار ، في حين صدرت اليه أمريكا بما قيمته ٤٥٩ مليون دولار .

ان هذا التصلب سيترك ظلالا واضحة على ساحة الصراع في الشرق الاوسط ، فالاتحاد السوفييتي لا يمكن أن ينسحب من ساحة الصراع ، وهو يرفض كليا حلا أمريكيا فقط يخدم مصالح القوى الرجعية والمتواطئة مع الاستعمار ، لذلك فعليه أن يناضل ليخلق ظروفا جديدة قادرة على التصدي للهجمة الامريكية في المنطقة ، وقادرة على حصارها « ببدائل كل منها مستحيل »(١٤). ودور هذه البدائل هو تحديد اطار الصراع في الحاضر والمستقبل ومحتواه . ان الاتحاد السوفييتي لا يقف وحيدا في المنطقة فما تزال نقاط ارتكازه موجودة ، لكن هذه النقاط الآن أضعف من نقاط الثورة المضادة المرتبطة بأمريكا ، لذلك فهو مستعد أن يعطي كل ما عنده على المستوى السياسي والعسكري لتمتين نقاط ارتكازه . وهذا يعني سياسيا أن طبيعة العلاقة بين سوريا والمقاومة الفلسطينية يجب أن تصبح أمتن وأقوى من السابق ، بسبب تمايز وتحدد الصراع في منطقة الشرق الاوسط . واذا كان التصلب السوفييتي الجديد يصب في تيار المقاومة الفلسطينية وسوريا ، فانه يشير في الوقت نفسه الى سياسة جديدة ازاء مصر ، فالعلاقات بين البلدين لا تستند فقط الى **تجارة السلاح** وانما الى تحالف سياسي مبدئي. ان الاتحاد السوفييتي يرفض الاختيار المصري : دبلوماسية أمريكية + سلاح سوفييتي .

في الظروف الراهنة يحاول الاتحاد السوفييتي دفع كل القوى باتجاه مؤتمر جنيف ، وهذا يعني خلق وجود نشط للدبلوماسية السوفييتية وتقليم أظافر « الساحر » .

واذا كان الموقف السوفييتي الراهن يشكل عملا ايجابيا بالنسبة لحركات التحرر والمقاومة الفلسطينية ، فانه لا يمكن الا أن يكون سلبيا بالنسبة للاسرائيليين « فالموقف السوفييتي سوف يعرقل محاورات السلام الجارية في الشرق الاوسط »

وفي الحقيقة فان الخوف الاسرائيلي يعود الى سببين : أولهما أن التصلب السوفييتي يعني تكثيف المعونة المتعددة الاشكال للبلاد العربية المقاتلـة وللمقاومة الفلسطينية وبالتالي عرقلة الحل الامريكـي الذي هو الحل الوحيـد الذي يرضي « طموحات » اسرائيل .

أما السبب الثاني فهو حتمية اغلاق باب الهجرة أمام اليهود السوفييت ، خاصة ان اسرائيل تحلم بـ ٦٠٠٠٠ يهودي في عام ١٩٧٥ .

وأخيرا فان الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا لن يخلق عهدا جديدا في العلاقات الدولية ، ولن يدشن نهاية عصر التعايش السلمي ، فهو لا يمثل الا تصلبا يقف ويعتمد على نفس الارضية السابقة ، أرضية التعايش السلمي .

فالتعايش السلمي كما يقول غروميكو « ليس سياسة وقتية أو عارضة بل هي حجر الاساس في سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية » .

مهما يكن من أمر فان الاتحاد السوفييتي وعلى حد قول كوسيغين « لا يصدر الثورة الى العالم » بل هو مستعد لمساعدة حركات التحرر في العالم على شرط ان تكون هذه الحركات واعية لآفاقها ولظروفها وواعية لطبيعة توازن القوى على المستوى العالمي .

---

١ — مقدمة لكتاب : **لينين : في التعايش السلمي**، موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٣ — ٤ .

٢ — لينين ، المجلد رقم ٢٧ ، ص ٦٧ .

٣ — *Socialisme, Théorie et Pratique* عدد ٢ ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

٤ — *Socialisme, Théorie et Pratique* عدد ٦ ، ١٩٧٤ ، ص ١١٠ — ١١١ .

٥ — Sciences Sociales عدد ١ ، ١٩٧٤ ، ص ٢١ .

٦ — كلود جوليان : **الامبراطورية الامريكية** ، جوليار .

٧ — H. Kissinger, «Central Issues of American Foreign Policy» *Agenda for the Nation*, 1968, p. 589.

٨ — ٩ : Cité par Arbatov, *S. Sociales* 1-1974, p. 17.

١٠ — **لوموند** ، ١٩٧٥/١/١٧ .

١١ — **المرجع نفسه** .

١٢ — **لوموند** ، ١٩٧٥/١/١٨ .

١٣ — ١٩٧٥/١/٨ .

١٤ — **دراسات عربية** ، ١٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٥ .

عودة الى العالم الذي تريده واشنطن

الدكتور اقبال احمد

« يؤمن العرب بالاشخاص ، لا بالمؤسسات . وقد رأوا فيّ ممثلا حرا للحكومة البريطانية ، وطلبوا مني مصادقة على وعودها المكتوبة . ولذا اضطررت الى الاشتراك في المؤامرة ، وبقدر ما كان لكلامي من قيمة ، طمأنت الرجال الى مكافأتهم. وخلال سنتي شراكتنا تحت النار اعتادوا على تصديقي وعلى الاعتقاد بان حكومتي ، مثلي ، صادقة » .

ت. ا. لورنس ، « **اعمدة الحكمة السبعة** »

« كيسنجر رجل صادق الوعد . اني اثق به ثقة تامة . انه اول مسؤول اميركي عالج مشكلتنا واثبت انه رجل مستقيم — مباشر ، صريح وبعيد النظر ... ان كيسنجر ، بتوجيه من الرئيس نيكسون — ولا يسعك الفصل بين الاثنين — قد أحدث ثورة في دفع سياسة الولايات المتحدة في منطقتنا وقبل ذلك في بقية العالم ... انهما يفعلان الان ما كان غير وارد في الشرق الاوسط . وكيسنجر رجل رؤيا ومخيلة ، وربما اهم من كل ذلك ، انه رجل ثقة » .

انور السادات في مقابلة مع دي بورشغريف
في **نيوزويك** ، ٢٥ اذار (مارس) ، ١٩٧٤ .

« اننا نحاول تحقيق تسوية (في الشرق الاوسط) بطريقة من شأنها تقوية الانظمة المعتدلة ، لا الانظمة الراديكالية. اننا نحاول طرد الوجود العسكري السوفياتي ... »

هنري كيسنجر ، **شرح خلفية الاخبار في سان كليمنتي** ،
٢٦ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٠

« ان معضلة المحافظة هي انه يتوجب عليها محاربة الثورة مع البقاء مجهولة ، لا بما تقوله ، بل بما ليست هي » .

هنري كيسنجر ، « **عالم مرمم** »

---

* هذه مقتطفات من كتاب سيصدر باللغة الانجليزية بعنوان « **قنابل موقوتة : دليل المواطنين الى سياسة الولايات المتحدة الخارجية في السبعينات** ». وقد خص المؤلف ، وهو مفكر وباحث باكستاني معروف في الولايات المتحدة ، « شؤون فلسطينية » بهذا الفصل الذي ننشر الجزء الاكبر منه هنا .

ان ربع السلام في الفيتنام الذي تلقى عليه نصف جائزة نوبل هو مسألة اخرى . ولكن بالنسبة الى الشرق الاوسط يصعب انكار وصف غولدا مئير لهنري كيسنجر بانه « صانع معجزات » . وقد يستخدم المرء عبارة اقل الهية ، لكن مما لا ريب فيه ان المنجزات تثبت الدكتور كيسنجر بوصفه محتال الدبلوماسية الحديثة الذي يسلب الناس اموالهم بعد ان يكسب ثقتهم .

يصعب تصور وسيط ابعد احتمالا بين اسرائيل والعرب . فبوصفه مساعدا خاصا في البيت الابيض ، وفيما بعد وزيرا للخارجية ، كان فريقا في النزاع ، الى جانب اسرائيل . ولا نعني بهذا اتهام كيسنجر باختراع الامبريالية الاميركية او دعمها لاسرائيل . فقد كان الاثنان مرتبطين منذ ما قبل ولادة الدولة الصهيونية . ومع هذا اسهم كيسنجر اسهامات فريدة في تلك العلاقة . فترقية اسرائيل من وكيل ثانوي لتصير الدولة الرئيسية الافضل تسلحا للسلام الاميركي في شرق البحر الابيض المتوسط تعود كليا الى استراتيجية كيسنجر . وعلى نحو مفهوم ساعد في تخريب خطة روجرز بعدما حققت ، عن طريق نشر وقف النار ، الهدفين التكتيكيين لايجاد مأزق على طول قناة السويس وعزل الفلسطينيين عن دعم مصر لهم في المعركة مع الملك حسين . وخلال حرب تشرين (اكتوبر) ، لعب الدور الحاسم في العملية الكبرى لاعادة امداد اسرائيل (وهي حتى اليوم اكبر عملية من نوعها في التاريخ وانطوت على ما يقدر بـ ٢،٥ بليون دولار من الامدادات العسكرية في أقل من اسبوعين) وبدونها ما كانت اسرائيل لتستطيع شن الهجوم عبر قناة السويس وتعيد احتلال هضبة الجولان . وبفضل مناورات كيسنجر لم يتحقق وقف النار الا بعدما عبر الاسرائيليون القناة ، وأمنوا رأس جسر ، وخلقوا جيبا على الجانب الغربي . ثم خرق وقف النار الى ان عزلت اسرائيل الجيش الثالث المصري . وقد غطى أعمال الخرق هذه انذار نووي عالمي استهله الدكتور كيسنجر — الاول منذ ازمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ .

لم يكن من شأن السجل العام للدكتور كيسنجر (أو الرئيس نيكسون) في ادارة الدبلوماسية ان يوحي بالثقة . ان قدرا من المناورة والنفاق هو جزء من التقليد الدبلوماسي . فجميع الحكومات احيانا تتلاعب بالحلفاء ، وتضلل الاعداء ، وتقدم معلومات خاطئة للجمهور . الا انها لم تكن الا في ما ندر تعتبر الخداع النظامي ، والتلاعب المناور الساخر ، والخيانة المقصودة ادوات رئيسية — للسياسة . وكانت حكومة نيكسون — كيسنجر تنتمي الى تلك الفئة . والامثلة هنا أكثر من ان تحصى . وفي الشؤون الخارجية أشهر اعمال الخداع هي تلك المتعلقة بقصف كامبوديا وغزوها . وانه امر يصعب تصديقه انه كان بالامكان تنفيذ تلك الغارات الثلاثة الاف والثلاثماية والستين بواسطة طائرات ب — ٥٢ سرا ضد كامبوديا الحيادية (بين اذار — مارس ١٩٦٩ وايار — مايو ١٩٧٠) ، تحت اشراف كيسنجر ، ودون ان يعرف حتى وزير سلاح الطيران . ومع هذا لم تكن حادثة شاذة . ففي مقالة مرتكزة على ابحاث مستفيضة اظهر تاد زولك ، المراسل الدبلوماسي السابق لصحيفة نيويورك تايمز ، ان الاجزاء الجوهرية لاستراتيجية المفاوضات التي اعتمدها كيسنجر في الفيتنام كانت العنف والمناورة المشتملة على الاخفاءات والخداع ، والوعود الكاذبة التي قطعها للفيتناميين . (تاد زولك ، « وراء اتفاق وقف النار الفيتنامي » ، **السياسة الخارجية** ، العدد ١٥ ، صيف ١٩٧٤) .

يعتبر الدكتور كيسنجر المناورة سلاحا رئيسيا للدبلوماسية الفعالة . فهو يقول ان مترنيخ « تفوق في المناورة لا في البناء » . ولهذا الامر فائدته . اذ « عندما تحققت وحدة اوروبا ، لم يتم ذلك عن طريق حسن نية كاسلريه بل عن طريق مناورات مترنيخ » . (هـ. كيسنجر ، **عالم مرمم** ، ص ٣١٨) . ورجل الدولة الاخر الوحيد الذي اثار اهتمام هنري كيسنجر واعجابه هو اوتو فون بسمارك ، الذي كان هو ايضا يميل الى سياسة الخداع . ويصفه الدكتور كيسنجر بقوله ان « الشكوك الاخلاقية لم تكن تعوقه » ، فهو « رجل دولة » يضع « مبدأ النفع فوق مبدأ الشرعية » . (هـ. كيسنجر ، « الثوري الابيض : تأملات حول بسمارك » . ديد الوس ، ص ٩١٤ ، ٨٨٨) .

لا نقول ان كيسنجر يعتبر مترنيخ او بسمارك بطلين وتدفعه الحاجة الى تقليدهما . فهو موظف

وعالم يمنعه ذكاؤه ونزعته الانتقادية من فعل ذلك. بل نقترح اسبابا اعمق لتفضيله ، وهي اسباب تعد سياسته الخارجية بحياة مؤيدة من الحزبين الاثنين تتعدى الحكومة الراهنة .

تتمتع استراتيجية كيسنجر العالمية للمحافظة على سيادة وتفوق الولايات المتحدة بواسطة « توازن » جديد للقوة بتماثل ايديولوجي وبنيوي مع نموذج مترنيخ . فهي من الناحية الايديولوجية تتبنى اهدافا محافظة في محيط مناقبي شوري . ولهذا فانها مدفوعة الى اخفاء محتواها (بقصد الخداع) . يكتب كيسنجر في **عالم مرمم** قائلا : « ان معضلة المحافظة هي انه يتوجب عليها محاربة الثورة مع البقاء مجهولة ، لا بما تقوله ، بل بما ليست هي » . (المصدر نفسه ، ص ٩) .

من الناحية البنيوية ، تسعى استراتيجيته العالمية الى تشجيع التعاون المعادي بين الدول المتنافسة ، وهي سياسة يدرك كيسنجر « انه لا يمكن لدوافعها الحقيقية ان تمنحها الشرعية ابدا » . فهو يعتقد ان « نجاحها يعتمد على مظهر اخلاصها ، على قدرتها ، كما قال مترنيخ يوما ، على ان تبدو ساذجة دون ان تكون ساذجة. فان اظهر المرء غايته ، اردى نفسه في كارثة ، وان نجح نجاحا تاما اكثر من اللازم ، شجع على التفكك » . (في نفس المكان ، ص ٢٠) .

ان اسلوب الالعاب في السياسة العالمية ، وهو شعبي جدا في واشنطن ، يعزز الميل نحو السرية والخداع ، وبنوع خاص عندما تكون الالعاب هي البوكر والشطرنج . فكما عبر كيسنجر : « لا يمكنك ان تخبر خصمك ما هي خطة لعبك » . (استشهد به س . أستور في مجلة **لوك** ، ١٢ اب ـ اغسطس ، ١٩٦٩) . وعلى الاقل ، لا يمكن ان يكون اعلان خطة اللعب على الملأ جزءا من خطة اللعب .

ان اتفاق فك الارتباط مع مصر أرضى متطلبات كيسنجر لاتفاق مستقر : كان له مظهر حل وسط من كلا الجانبين ، وارضاء الجانبين . فقد كسبت مصر الجيش الثالث،وانسحاب القوات الاسرائيلية من جانبي القناة ، وامكانية زيادة دخل الدولة عن طريق اعادة فتحها . وحصلت اسرائيل على تسوية تسمح بتسريح الجنود وتمنحها خط وقف نار على طول التشكيل الاستراتيجي الاكثر ملاءمة في سيناء ، وتترك حقول النفط المصرية المربحة تحت احتلالها ، وتوسط منطقة حاجزة للامم المتحدة بين الجيشين المتنازعين . وبما انه اعتبر ان الجانبين احرزا كسبا متكافئا من هذا الاتفاق ، فقد افترض ان لهما مصلحة في احترام شروطه نصا وروحا . ويعتقد ان اتفاقية فك الارتباط لكانون الثاني (يناير) قد خلقت قوة دافعة نحو التفاوض وحسنت فرصة التوصل الى تسوية سلمية . الا ان القاء نظرة انتقادية يشير الى الاستنتاج العكسي ـ على الرغم من قبول سوريا الضروري والحكيم تكتيكيا لواقع الاتفاق .

كان اتفاق فك الارتباط لكانون الثاني (يناير) ابعد ما يكون عن الانصاف ، اذ انه وهب اسرائيل مكاسب رئيسية واعطى مصر فوائد لها اهمية ثانوية . واذا كان هدف الرئيس السادات هو تحقيق اخلاء الاراضي المحتلة اخلاء تاما ، فقد صار هذا الهدف ابعد عنه نتيجة للاتفاق . اذ لم يواجه المحاربون والذين يدعمونهم في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٤٥ بمثل ذلك الحافز القوي للوصول الى تسوية متفاوض عليها . (مثال ذلك ان الحاجة الاسرائيلية الى تسريح الجنود ، والقلق المصري على الجيش الثالث ، وخطر المواجهة بين الدولتين المتفوقتين ، وتأثيرات حظر النفط على اوروبا واليابان ، جعلت جميع الفرقاء يميلون الى تسوية) . وفك الارتباط في يناير ازال تلك الحوافز ، واعاد معادلة الاحتلال والحرب .

في معرض تفسير قبول مصر بالاتفاق ، شدد الكثيرون من المعقبين على مأزقها العسكري وعلى حاجة السادات الى انقاذ فيالق الجيش الثالث . ومما لا شك فيه ان مأزق القاهرة لعب دورا ما ، لكنه كان أقل خطورة وتأثيرا في جانب واحد كما يعترف المسؤولون الاميركيون والاسرائيليون . صحيح ان الاسرائيليين ، في عرض لامع للمناورات الجريئة والتحرك السريع ، وبمساعدة ردة فعل مصرية بطيئة ومفككة الى حد لا يصدق ، عبروا قناة السويس واوقعوا في الشرك نحو ٢٠ الف جندي مصري حسن التجهيز . ولكنهم اثناء ذلك اوقعوا انفسهم في الشرك ايضا . فمن الناحية التكتيكية كانت اسرائيل تتمتع بأفضلية لان قواتها

تحتل مركزا هجوميا عند طرف داخلية مصر ووراء الطوابير المصرية المتقدمة . الا ان الحالة كانت مؤاتية لمصر من الناحية الاستراتيجية . فان خطر وقف النار الاتفاقي الشكل ، مع النمط المتشابك في السيطرة علـى الاراضي ، جعل الجيش الاسرائيلي على الضفة الغربية معرضا جدا للهجوم المباغت . وما كان بوسع الاسرائيليين ان يستخفوا بهذا الخطر ، بعدما تم امتحان قوة شكيمة الجنود المصريين ، لا في حرب تشرين فحسب بل ايضا خلال التجاذب منذ وقف النار . وللبقاء على الضفة الغربية كانوا سيضطرون الى البقاء في حالة تأهب ، الامر الذي لن يسمح ، في افضل الاحوال، الا بتسريح جزئي لجنود وحدات احتياطهم . وما كان بامكان اسرائيل ان تتحمل ذلك .

وفي حال نشوب حرب اخرى كان سيتعرض الثلاثون الف اسرائيلي على الجانب الغربي لضرب قوي من نحو ٢٠٠ الف جندي مجهزين تجهيزا حسنا ويسهل تموينهم وامدادهم من جنود الجيشين المصريين الاول والثاني الى الغرب والشمال . وحتى لو اخفق هذان الجيشان في تحسين عرضهما السابق وقاتلا بطريقتهما الثابتة التقليدية المعتادة ، فان الاسرائيليين كانوا سيحتاجون الى اكثر من مجرد البراعة والجرأة لمواجهتهما . وقد يضطرون الى استقدام تعزيزات . وسيكون تعزيز هذه القوات وتموينها صعبا في افضل الحالات ، اذ ان خطوط امدادات اسرائيل كانت طويلة ، ولم تكن تسيطر الا على نحو ثمانية اميال من رأس الجسر على الضفة الشرقية . وكان من السهل ان تخسره لعدو مصمم ومستعد لبذل التضحيات كما كان العرب مستعدين بشكل واضح . وفي تلك الحالة كان يمكن ان يجد الاسرائيليون انفسهم في وضع اسوأ من وضع الجيش الثالث المصري . ونظرا الى ضآلة عدد سكان اسرائيل والمهارات الضرورية لجنود احتياطها ، فان وقوع قوة كبيرة كهذه في الشرك كان سيكون كارثة لاسرائيل — بينما هو مجرد نكسة بالنسبة لمصر .

ان عزلة الجيش الثالث ، على خطورتها ، لم تكن بحال من الاحوال ميئوسا منها كما صورها المحللون في الصحف الغربية . فقد كان بامكانه الوصول الى المياه العذبة، وكانت بعض الامدادات تصله سرا في الواقع من البر الرئيسي . وفوق كل شيء ، كان الاسرائيليون معرضين لهجمات من الشمال والغرب في حين انهم لا يسيطرون الا على رأس جسر ضيق يصلهم بقواتهم في المؤخرة . والعوامل النفسية ، في الحرب ، ذات قيمة حاسمة . وكان من المحتمل ان يواجه الاسرائيليون اشد عدو لهم في الجيش الثالث لان هذا الاخير كان حيال ذلك المزيج النادر من الخطر والامل الذي انتج تاريخيا الاختراقات البطولية للحصار .

والامر الاهم هو ان خط وقف النار لتشرين الاول كان باهظ التكاليف الى حد لا يطاق بالنسبة لاسرائيل . فقد كان يتطلب حالة تعبئة خفضت القوة العمالية الاسرائيلية بنسبة قدرت بـ ٢٠٪ . ويقول اسحق بن اهارون ، الامين العام السابق للهستدروت ان تعبئة الدفاع منذ تشرين الاول ١٩٧٣ قد حرمت الاقتصاد الاسرائيلي ٣٠٪ الى ٤٠٪ من عمالها الفنيين المهرة ، وخفضت الانتاج بنسبة ٣٠٪ (الاساس المقارن هو ايلول — سبتمبر ١٩٧٣) ، والغت ما يوازي سنتين من النمو الاقتصادي . (**لوموند** ، ٩ كانون الثاني — يناير ، ١٩٧٤) . وكانت هذه الحقائق قد اخذت تنعكس في الحياة اليومية للناس . فقد ارتفعت كلفة مواد التغذية الاساسية — كالخبز والحليب والزبدة — من ٣٠٪ الى ٧٠٪ ، والنقل بنسبة ٥٠٪ ، وانتشر التشوش في قطاع الخدمات — البريد والهاتف وتسليم البضائع — على نطاق واسع . (**تايم** ، ٤ اذار — مارس ، ١٩٧٤) . وكانت الاكلاف السياسية والاجتماعية للمأزق على طول خط ما بعد تشرين الاول باهظة جدا . وكان الرجال المعبأون وعائلاتهم بدأوا يصرخون مطالبين بنهاية سريعة للامر ، اما بواسطة الحرب او السلم .

وكان بوسع اسرائيل ، على الارجح ، ان تحافظ على المستوى المطلوب للتعبئة اذا تلقت كميات كبيرة من المعونة الاقتصادية والعسكرية وتدفقا كبيرا من الاشخاص المهرة من الخارج . والولايات المتحدة هي المصدر الوحيد لكلا الامرين . ويشك المرء في ان واشنطن كانت مستعدة للمساعدة بصورة ذات معنى . فارسال اسلحة بقيمة ٢،٥ بليون دولار على جناح السرعة لانقاذ حليف من الهزيمة شيء ، وابقاؤه في وضع عسكري محفوف بالمخاطر بكلفة ٨ بلايين او ١٠ بلايين دولار سنويا

شيء اخر ، وخاصة بالنسبة الى رئيس تحاصره ووترغيت واقتصاد مضطرب . وكذلك الصهاينة الاميركيون الذين ينعمون بالعيش بعيدا عن الدولة اليهودية وبفضلها : فلم يكن من المحتمل ان يترك هؤلاء رفاهية إميركا بأعداد كبيرة بغية الخدمة في الشرق الاوسط . وبالعكس ، لو طالت الحالة ، لكان على اسرائيل ان تواجه ضغطا اميركيا متزايدا لتعديل موقفها في المفاوضات .

لهذه الاسباب كان متعذرا الدفاع عن خط وقف النار المصري — الاسرائيلي لتشرين الاول ١٩٧٣، خلافا لخطوط وقف النار اللاحقة لحروب ١٩٤٨ ، و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . ولم يكن ممكنا تجميده . فقد كان امام اسرائيل ثلاثة خيارات : (أ) بدء حرب اخرى ، (ب) التوصل بالتفاوض الى اتفاق حول فصل القوات يرتكز على التزام بالانسحاب من الاراضي المحتلة ، وجدول مواعيد للتفاوض نحو تسوية سلمية (وقد اعلن في مستهل جولات كيسنجر ان هذا هو ادنى شرط مصري لفك الارتباط) ، (ج) الانسحاب من جانب واحد من غرب السويس الى خط معقول وممكن الدفاع عنه اكثر كان الكثيرون من الاستراتيجيين الاسرائيليين والاميركيين قد عينوا موقعه ، منذ ١٩٦٨ ، عند ممرات جدي ومتلا .

لم يكن من المحتمل ان تبدأ اسرائيل حربا شاملة . اذ لم يعد يبقى لها اي هدف سياسي او عسكري عقلاني في مصر . وعلى الرغم من التصريحات الخطابية للجنرالات الاسرائيليين ، فان « تدمير » الجيش المصري لم يكن افتراضا عمليا، لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية السياسية. وبالعكس ، نظرا الى مركز اسرائيل على الجبهة المصرية ، كانت الفرص متساوية بانها يمكن ان تمنى بنكسة كبيرة في حال اندلاع حرب شاملة . ثانيا ، لم يكن بوسع اسرائيل شن الحرب دون دعم واسع من الولايات المتحدة . وانه مشكوك به ما اذا كانت واشنطن ستوافق على مشروع محفوف بأخطار نتساج مواجهة بين الدولتين المتفوقتين ، ويمكن ان يكون باهظ الثمن بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة . ثالثا ، ان وقوف العرب موقفا مرنا ولكنه شديد ، مع تأييد تسوية متفاوض عليها ولكن مع استمرار حظر النفط ، كان سيعزل اسرائيل والولايات المتحدة ويجعل تسويغ استئناف الحرب صعبا .

ملاحظة : اذا لم يكن استئناف الحرب الشاملة معقولا ، فان التهديد بها معقول . فبامكان المسؤولين المصريين المرنين استخدامه كحجة لحل وسط ، وبامكان هنري كيسنجر القلق ان يستخدمه لاظهار جزعه . وتنتمي هذه الخدعة الى ذخيرة الدكتور كيسنجر الدبلوماسية . فهو يعتقد بأن التهديد ، وفي الظروف الملائمة استخدام القوة ، ضروريان للدبلوماسية الناجحة . وفيما يلي لمحة عن « خدعة » حسنة التنسيق سبقت مباشرة اتفاق فك الارتباط الاسرائيلي — المصري :

٣—٤ كانون الثاني، الجنرال دايان في واشنطن لاجراء محادثات مع الدكتور كيسنجر . يظهر الاثنان امام الصحافيين في مزاج ودي وينكتان مع المراسلين . ويهدف العرض الى تطمين الرأي العام ، ولا سيما انصار اسرائيل ، الى استمرار التعاون بين الولايات المتحدة واسرائيل. وتتعمد الاذاعات التلفزيونية التشديد على الجو الحبي . ولكن ، في تصريحات « ليست للنشر » ، يلمح دايان الى وجود « خلافات » . وفي ما بعد، خلال شرح « عميق للخلفية » ، يؤكد « هنري » التقارير عن « الخلافات » ، مؤتمنا جماعة مختارة من الصحافيين على أن اسرائيل توشك ان تشن هجوما عسكريا . وبموجب « القواعد المعمول بها » ، ينسب الصحافيون المؤتمنون الى « مصدر مطلع » او « مسؤول » « الانذار » الذي يوردونه كحقيقة ويقولون انه عجل في قيام الدكتور كيسنجر بزيارته الملحة الى الرئيس السادات ، وهي الزيارة التي افضت الى الجولة الاخيرة من المفاوضات . ومن طائرة كيسنجر الخاصة ، يستمرون في الاستشهاد بـ « مسؤول كبير » حول تقدمه في المفاوضات — اكتملت بنسبة ٧٠ ٪ ، ٨٠ ٪ ، ٩٠ ٪ — حتى دون التلميح الى تفاهة هذه الادعاءات (فالاتفاق ، كالزواج ، لا يمكن ان يكون مكملا بنسبة ٥٠٪ او ٦٠٪ او ٩٠٪ . ومع هذا فان احصاءات كيسنجر الموحية بالامل لا تخفض سياسة شفير الحرب الاسرائيلية . وفي الثاني عشر من كانون الثاني ، عشية وصوله الى القدس ، يرتفع التوتر على الجبهة المصرية . لقد أمرت اسرائيل بحالة تأهب عام . وفي ما بعد تكشف « مصادر مقربة من الاركان العامة » عن

« ان تحضيرات كانت قد اتخذت لشن هجمات بغية تدمير الجيشين الثاني والثالث » . (**لوموند** ، ١٩ كانون الثاني ١٩٧٤) .

أن تكون التقارير عن « الخلافات » بين كيسنجر ودايان والخطط من أجل الهجمات الاسرائيلية قد أعدت واخرجت بقصد الخداع ، هو أمر يجب ان يكون واضحا للذين يتتبعون عن كثب العلائق بين الولايات المتحدة واسرائيل . وفي الواقع ، كان هناك منذ البداية انسجام في الرأي بين كيسنجر والمسؤولين الاسرائيليين حول نوع فك الارتباط الذي سينشدونه . وقد اعد الخطة له معاونو كيسنجر بالتشاور مع المسؤولين الاسرائيليين في اوائل تشرين الثاني . وصارت معلومة لدى الجمهور لاول مرة في وقت اتفاق وقف النار المصري ـ الاسرائيلي عند الكيلومتر ١٠١ . فقد قالت **نيوزويك** (٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٣) انه « ... وفقا لمصادر مطلعة ، سيضغط كيسنجر من أجل سحب القوات الاسرائيلية من القناة الى خط جديد غربي ممرات جدي وميتلا مباشرة . وستسحب القاهرة جميع جنودها ما عدا قوة رمزية منهم من سيناء وسيوضع عدد كبير من قوات الامم المتحدة بين الجيشين » . وأبرق مراسل المجلة في اسرائيل قائلا ان « اقتراح الولايات المتحدة قد يكون مقبولا من أسرائيل » .

وفي ما يتعلق بزيارة الجنرال دايان في كانون الثاني الى واشنطن ، و« خلافاته » مع الولايات المتحدة ، والتهديد الذي قيل انه نشط آخر رحلات كيسنجر من أجل السلام ، فقد قالت صحيفة **جيروساليم بوست** (١٥ كانون الثاني ١٩٧٤ ، الطبعة الاسبوعية) ان خطة فك الارتباط الاسرائيلية التي قدمها كيسنجر الى السادات في الرابع عشر من كانون الثاني كانت هي الخطة التي «حملها دايان معه الى واشنطن» . واضافت ان « مصادر مقربة من الحكومة الاسرائيلية » قالت ان الدكتور كيسنجر اعتقد أن الخطة « بناءة وكريمة الى أقصى ما تستطيع اسرائيل ان تتحمله » . وهذه الخطة هي الاساس للاتفاق الفعلي .

يجب أن لا يتوهم أحد ، ان حالة التأهب العام الاسرائيلية في الثاني عشر من كانون الثاني كانت نلقة شد عضلات او تخريب عسكري لاعمال الدبلوماسيين . فالنصف العسكري من ثنائي كيسنجر المفضل في الدبلوماسية كان من تلحين وتوزيع اسرائيل طوال توسطه في الشرق الاوسط .

الخيار الثاني (فك الارتباط العسكري المصري ـ الاسرائيلي كمرحلة اولى في تحقيق التزام للتخلي عن الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧) ، كان بمثابة محك للنوايا الاسرائيلية والاميركية . ولو كانت اسرائيل مستعدة فعلا للتوصل الى سلام مع الدول المجاورة على أساس الانسحاب الكامل لقبلت بهذا الخيار . فقد كان يتصف بمزايا واضحة هي تطمين الحكومات العربية بالنوايا الاسرائيلية السلمية ، وجعل الاتفاق مع مصر نموذجا جذابا لسوريا والاردن ، وربط فك الارتباط العسكري بعملية استتباب السلام . وكان سيتيح لاسرائيل الوقت للتوصل بالمفاوضات الى شروط امنها وحرية الملاحة ، والوقت لاختبار نوايا الدول العربية والاطمئنان اليها . واخيرا ، بما أن هذا الخيار كان جذابا بشكل واضح في نظر الحكومات العربية المعنية ، فربما كان خدم هدفا اسرائيليا رئيسيا : عزل مطالبة الشعب الفلسطيني باستعادة حقوقه الوطنية والتخلي عن هذه الحقوق .

وكذلك الامر ، لو كان كيسنجر يميل الى تشجيع قيام السلام على أساس الانسحاب الاسرائيلي التام لاستخدام نفوذ حكومته الكبير من اجل الوصول الى اتفاق يربط فك الارتباط العسكري على نحو محدد واضح بتسوية سلمية . وكان سلوك الدكتور كيسنجر في الشرق الاوسط غريبا نوعا ما بالنسبة الى شخص شدد باستمرار على ضرورة ربط الضغوط العسكرية والاقتصادية السلبية بالمبادرة الدبلوماسية الايجابية . فقد انتهك مبادئه الخاصة ، متصرفا كخصم وليس كوسيط . ويتميز هذا الاتفاق ، كتسويته السلمية في الفيتنام ، بتعرضه للانتهاكات . وعلى الرغم من ادعاءات كيسنجر السلمية وتودده المتملق نحو الزعماء العرب ، فان الاتفاق يهدف الى تكريس انقسام الحكومات العربية بين معسكرين احدهما مناهض لاميركا والاخر قومي راديكالي ، والى سحب الفتيل من النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، والى انتاج طريق مسدود بفصل مصر عن مطامح الفلسطينيين والشعوب العربية الاخرى .

نظرا الى الموقف الاستيلائي الذي وقفه الزعماء الاسرائيليون (بحيث اعلن حتى « الحمائم » ان القدس وشرم الشيخ وهضبة الجولان هي مناطق لا يمكن التفاوض عليها) فقد كانوا بحاجة الى اغراءات خاصة للاقرار بضرورة الانسحاب الكامل. وفي اعقاب حرب تشرين التي زعزعت افتراضهم بأنهم دولة لا تقهر ، وابرزت عزلتهم ، ووكدت على اعتمادهم التام على الولايات المتحدة ، كان يمكن ان يكونوا اكثر اذعانا للعقل ، وبخاصة لان مصلحتهم الوطنية تقتضي تسريحا مبكرا للجنود . ولو صمدت مصر ، وساعدها كيسنجر بنصائح ودية وانذارات شديدة ، لربما كانت حملت اسرائيل على القبول بالانسحاب الكامل كأساس لفك الارتباط والمفاوضات . ولو رفضت ، لربما كان اثبت الخيار الثالث (الانسحاب من جانب واحد من غرب قناة السويس) انه السبيل العملي الوحيد امام اسرائيل . وكان يمكن اخفاء كونه من جانب واحد بتصعيد للاشتباكات يؤدي الى اتفاق يفسح في المجال لخط وقف نار جديد على طول ممرات جدي وميتلا . لقد كانت ورطة الجيش الثالث خطيرة واستعادة القناة مهمة الى حد كاف لجعل اتفاقية كهذه جذابة في نظر مصر . لكنها انذاك كانت احرزت ما احرزته من الاتفاق الحالي دون وضع قوات الامم المتحدة لفترة طويلة على الارض المصرية ، ودون « التفاهمات » التي قيل ان السادات قدمها الى كيسنجر .

لقد دفع العقل وقواعد الدبلوماسية المرء الى الافتراض بأن مصر ، مع احتفاظها بموقف معتدل ، سترفض خيارا ثالثا (فك الارتباط عن خطوط وقف النار اللاحقة لتشرين الاول الى حدود عسكرية جديدة يمكن لاسرائيل السيطرة عليها لمدة غير محدودة دون تعبئة كاملة) الا اذا كان مرتبطا بالتزام وبجدول مواعيد مفاوضات لانسحاب اسرائيلي كامل . ولا بد ان يكون هذا الخيار قد اعتبر في الخطة — اللعبة الاسرائيلية — الاميركية فيشة جيدة ولكنها رهان سيء . وفي نهاية الامر كانت ستضطر اسرائيل الى الاختيار من بين الخيارات الثلاثة الاخرى . ولكن القبول باتفاق فك الارتباط وفر على الحكومتين الاميركية والاسرائيلية ضرورة الاختيار .

وفي قبول الرئيس السادات لشروط فك ارتباط كانون الثاني ، تخلى عن امتيازاته الاستراتيجية والسياسية في مغامرة لا يمكن ان تؤدي ، في افضل الاحوال ، الا الى مكاسب محدودة لمصر ، ولمصر وحدها. وهي على الارجح ستبرز الانقسامات القائمة في العالم العربي ، وتشجع اسرائيل على السعي الى مواجهة عسكرية اخرى كوسيلة للتعويض عن الخسائر النفسية والسياسية (مثال ذلك ، خفض مكانتها في استراتيجية البحر الابيض المتوسط الاميركية) التي تكبدتها في حرب تشرين ، ولزيادة التورط الاجنبي في الشرق الاوسط .

واذا كانت مصر مستعدة للقبول بسلام منفصل مع اسرائيل ، فستضغط واشنطن من أجل اعادة سيناء الى مصر لاسباب سنبحثها فيما بعد ، وقد تتنازل اسرائيل ، علما بأن اتفاق فك الارتباط لم يفعل الشيء الكثير للتشجيع على مثل هذا التنازل. فالاتفاق زاد من اغراء تحويل خط اسرائيل العسكري الى حدود دائمة عندما أتام هذا الخط على طول الممرات الاستراتيجية (جدي وميتلا وخاتمية) . والى ذلك ، اذا كانت مصر قد استعادت قناة السويس ، فان اسرائيل تسيطر على المدخل اليها . فبامكانها من شرم الشيخ ان تحاصر خليجي السويس والعقبة ، ومن هنا ادعاء بارليف الاخير بأن « سفننا الحربية ستكون بالنتيجة في مركز أفضل لاغلاق قناة السويس » . (**لوموند** ، ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٤) . كما تحتفظ اسرائيل بحقول نفط ابو رديس المربحة (بليون دولار سنويا) ، وهي كنز لا يحتمل ان تتخلى عنه دون ضغط كبير . وما لم تكن مصر مستعدة لفصل نفسها عن مطامح الشعب الفلسطيني ، وعن حاجة سوريا الى استعادة الجولان ، فمن غير المحتمل ان تمارس واشنطن الضغط .

ان صفة غريبة من صفات خط حدود كانون الثاني تبرز الاهمية التي تعلقها اسرائيل على هذه الاحتلالات : ان منطقة فك الارتباط للامم المتحدة (ويبلغ عرضها ١٢ كيلومترا) تتقلص الى نحو نصف عرضها العادي عند النقطة التي تقطع الطريق باتجاه الشرق من الاسماعيلية تاركة لاسرائيل السيطرة التامة على مفترق طرق الطاسة في الطريق الى قاعدة بير جفجافة العسكرية الاسرائيلية في سيناء الوسطى. انه في الوقت الذي قبل فيه بفرض قيود شديدة على نشر القوات

المصرية ضمن اراضي مصر سمح بهـذا الترتيب الاستثنائي الذي يهدف الى تيسير الوجود العسكري الاسرائيلي في مصر .

وقيل ايضا ان « تفاهمات » سرية ، وهي من المعترف الان بأنها من ادوات الكيس السحـري للدكتور كيسنجر ، كانت جزءا من اتفاق كانـون الثاني . ويتذكر المرء بأن انتهـاكـات مزعومة « لتفاهمات » قيل انها مماثلة عام ١٩٦٩ كانت بمثابة التسويغ الرئيسي لاستئناف القصف الاميركي للفيتنام الشمالية . (وانكر الفيتناميون ان يكونوا اعطوا اي « تفاهم » ، ولا توجد اية ادلة تبرر الشك في انكاراتهم) . ومن جهـة اخرى فـان التأكيدات الخاصة التي يعرف ان كيسنجر قدمها للفيتناميين لم تحترم حتى الان ، كما ان اتفاق سلام باريس لعام ١٩٧٣ ينتظر التنفيذ .

وخلاصة القول هي ان فك ارتباط كانون الثاني، بازالته الاعباء الاستراتيجية والاقتصادية لخـط وقف نار تشرين الاول وفر على اسرائيل اختيارا ملحا بين الحرب والسلام المتفاوض عليـه . وبتثبيته الحدود الاسرائيلية على طول التشكيلات الاكثر استراتيجية في سيناء ، زاد المصلحـة الاسرائيلية في طريق مسدود دائم . وعلى هذا فهو يمهد الطريق لحرب رئيسية اخرى ، حاسمة على الارجح ، اذا افترض المرء وجود تصميـم عربي ، بما فيه مصري ، على استعادة الاراضي المحتلة .

عندما تبدأ الحرب التالية بين العرب واسرائيل ستجد الحكومات العربية في اسرائيل عدوا اكثـر عدوانية ، وأشد تعبئة ، وافضل تجهزا بالاسلحة مما كان في تشرين الاول ١٩٧٣ . ولا يمكن استعادة الامتيازات التي تمتعت بها في الحرب الاخيرة . ففي الحروب التقليدية نادرا ما يستطيع المرء تحقيق المباغتة اكثر من مرة واحدة ؟ وفي أية حال، فان منطقة حاجز الامم المتحدة في سيناء هي ضمان ضد هذه المباغتة على الجبهة المصرية . والى ذلك فان اسرائيل هي التي يحتمل ان تضرب اولا في المـرة التالية ، وخصوصـا اذا زودها العرب (كما فعلوا عام ١٩٦٧) بتسويغ معقول . والقوات المسلحة الاسرائيلية هي اليوم أحسن استعدادا من أي وقت مضى . فالامدادات الاميركية عوضت ، واكثر ، عن الخسائر التي تكبدتها في حرب تشرين بحيـث تحسنت الاسلحة الاسرائيلية من حيث النوعيـة والكميـة .

كما لن يتمتع العرب بامتياز استخدام أسلحـة متفوقة غير معروفة لدى العدو كما كانت الحال الى حد كبير في تشرين الاول ١٩٧٣ بالنسبـة الـى صواريخ سام ٦ المضادة للطائرات ، وصواريخ ساغر المضادة للدبابات ، وطائرات سوخوي ٧ المقاتلة للدعم القريب . فالفرصة لم تكن قد سنحت امام الولايات المتحدة لحل الاسرار الالكترونية لهذه الاسلحة العالية التعقيد ، لان الاتحاد السوفياتي لم يزود الفيتناميين بها . بيد ان الولايات المتحدة ابتكرت ابان حرب تشرين اجراءات مضادة لهـذه الاسلحة الجديدة في غضـون أسابيع من اقتناص اسرائيل لها .

وبالاضافة الى الاجراءات المضادة واجهـزة التشويش ، فان اسرائيل مجهزة الان بأسلحـة جديدة من نوعية مساوية لها او متفوقة عليها . مثال ذلك ان الامدادات الاميركية الكبيرة مـن صواريخ مافريك وتاو المضادة للدبابات تهدف الى موازنة امتلاك العرب لصواريخ ساغر . (وكانت صواريخ تاو المصممة خصيصا للعمل ضد دبابات ت — ٦٢ الروسية، قد ارسلت على جناح السرعة الى اسرائيل ابان حرب تشرين واستخدمت في الهجمة الاسرائيلية عبر السويس) . وكذلك الامر ، فان استخدام اسرائيل لاخر طراز من صواريخ ارض — جو (التي طورتها البحرية الاميركية) سيزيد من صعوبة مساندة طائرات سوخوي ٧ للقوات البرية . ويمكن التكهن بصورة موثوقة ان واشنطن ستستمر في تزويد اسرائيل بأسلحة اخرى واكثـر جدة . واذا اتخذنا من الماضي (في الفيتنام والشرق الاوسط) دليلا لنا ، فان هذه الامدادات سيصار الى تسويغها كاداة للضغط ، واغراء بالسلام .

ولم يطرأ تحسن على مركز مصر من النـاحية الاستراتيجية . كان سلاحها الوحيد ضد المجهود الاسرائيلي الرامي الى جعل الحالة طبيعية هو التهديد باستئناف ما وصف على نحو مبالغ فيـه « بحرب الاستنزاف » — تسخين خطوط الجبهة، وفرض درجة من التعبئة على اسرائيل ، واثـارة ما يكفي من القلق العالمي لاحداث قدر من التحرك الدبلوماسي نحو سلم متفاوض عليه . (كـانت حرب تشرين ، في النتيجة ، اخر هذا النوع مـن

القتال ـــ حرب « اهداف محدودة » ، علما بــأن الزعماء المصريين اثناء تحقيقهم نجاحا تخطى مــا توقعوه نسوا ، على ما يبدو ، اولا الحدود ثم الهدف) . وقد ازالت شروط فك الارتباط تلك الامكانية . فان اثني عشر كيلومترا من منطقة امم متحدة جاهزة تفصل الان ، رسميا ، بين القوات المصرية والاسرائيلية . والمسافة بــين الجيشين اعظم بكثير في الواقع . ذلك ان الوجود العسكري المصري في سيناء يقتصر على قوة رمزية (٧٠٠٠ رجل ، ٣٠ دبابة ، ٦ وحدات من المدفعية المضادة للطائرات ذات مدى محدود بأربعة اميال) .وبغية الدفاع عن الضفة الشرقية والقتال في سينــاء ، سيبقى على الجيش المصري ان ، يعبر القناة . وفي المقابل نجــد ان الاسرائيليين منتشرون وراء منطقتهم المحدودة . (لهذا السبب أيضا ستكون قناة السويس المعاد فتحها رهينة لاسرائيل) .

نظرة شاملة الى السياسة الخارجية للولايات المتحدة في السبعينات

اللغة السائدة ، كما هي موضحة في خطب رئيس الجمهورية وتصريحات الدكتور كيســنجر ، تعلن نهاية « العالم الثنائي القطــب اللاحــق للحرب » ، وبداية نظام عالمي خماسي . ويفترض ان اتفاق الانداد ـــ الاتحاد السوفياتي ، الصين، اليابان ، اوروبا الغربية والولايات المتحــدة ـــ يهدف الى تأمين ميزان قوة مستقر وجيــل مــن السلام . وتبدو اللغة المنمقة معقولة ، اذ انهــا مدعومة بعروض دراماتيكية مثل زيارة نيكسون الى الصين ، وصور لنيكسون وبريجنيف واحدهمــا يشرب نخب الاخر خلال زرع الالغام والقصــف المتواصل لهانوي وهايفونغ . ومع هذا ، فــي الواقع ، اطلقت واشنطن استراتيجية جديــدة هدفها الوحيد هو استعادة مركز التفوق الــذي كانت تتمتع به في الخمسينات ، ويبدو انهــا تخسره في السبعينات . وعلى هذا فان مبــدأ كيسنجر ـــ نيكسون لا يمثل اعادة توزيع للقــوة ولا تراجعا عن المراكز المتقدمــة للامبرياليــة . فاهدافه هي الاستعادة ، والمحافظة والعدوان .

وتبقى القوة الدافعة للسياســة الخارجيــة الاميركية غير متغيرة . وبثبات يحاذي الاستحواذ، حدد نيكسون الهدف الرئيسي للولايات المتحدة بأنه البقاء دولة « الدرجة الاولى » ، دولة متفوقة لا تتفوق عليها دولة اخرى ، والضامن للنظــام العالمي ، والحارس للعالم الرأسمالي .والقرارات التي اتخذتها حكومته ، في التخطيط العسكري وفي ادارة السياسة الخارجية على السواء ، تؤكــد هذا الانشغال الكامل .

واذا كانت اهداف السياسة قد بقيت هــي نفسها ، فان ازمة القوة الاميركيــة ، والتحديات التي واجهها تفوقها في الستينات ، اقتضت اعادة تنظيم الاستراتيجية والتكتيكات . وكانت بدايــات الاتجاه الجديد ملحوظة خلال العــامين الاخيرين لادارة جونسون. الا ان مظاهرها الاكثر دراماتيكية حدثت خلال رئاسة رتشارد نيكسون ، ويحمــل التعبير عنها الطابع الواضح لتفضيلات الدكتــور كيسنجر الاستراتيجية والتكتيكية .

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كان بــروز الولايات المتحدة والقبول بها على أنها القــوة الاعظم يرتكزان على عوامل خمسة : (أ) التفوق الغامر للولايات المتحدة في الاسلحة الاستراتيجية، (ب) أفول بلدان اوروبا الغربية واليابان كمراكز قوة ، (ج) التدخلات العسكرية الاميركية الناجحة ضد ثورات اجتماعية حقيقية او خيالية في العالم الثالث ، (د) سيطرة رأس المال الاميركي علــى اقتصاد العالم ، (هـ) وجود اجماع وطني على سياسة خارجية يؤيدها الحزبان الرئيسيان .

وشهدت نهاية الستينات تغييرا جوهريا للاوضاع التي كانت قد حددت مركز الولايات المتحدة كدولة متفوقة . فنظرا للتقدم السريع الذي حققه الاتحاد السوفياتي في تكنولوجيا الصواريخ وتكنولوجيــا الطيران ـــ الفضاء ، كان قد اقترب من بلــوغ التكافؤ في انظمة الاسلحة الاستراتيجية . وكانت « ثنائية القطب » قد اضحت حقيقة آنذاك حتــى وفقا للمقاييس الشديدة للدكتور كيسنجر الذي كان قد جادل بأنها زائفة في الخمسينات . كما كــانت العملية قد ابتدأت نحو ازالة القواعد العسكرية الخارجية التي ضمنت لقدرة الضرب الاميركيــة مداها البعيد البالغ التأثير . وكانت اليابــان واوروبا الغربية قد برزتا كوحدتين اقتصاديتــين متنافستين ضمن الكتلة الرأسمالية ، ومن الناحية الاقتصادية انعكس مركز الولايات المتحدة المتضائل

في الضعف الذي اصيب به الدولار وما قابله من رفع قيمة الين والمارك والفرنك . والى ذلك فان الحرب في الفيتنام القت الشك على كل من فعالية القوة الاميركية ، ومبدأ الحروب المحدودة الذي ارتكزت عليه عشرين سنة من التدخلات المضادة للثورة (التي كانت تتم بمعدل مرة كل ١٨ شهرا منذ عام ١٩٤٧) . واخيرا ، انهار الاجماع حول الحرب الباردة تحت ضغوط الفيتنام . وصارت تدعو الحاجة الى اساطير جديدة وحقائق جديدة لاقناع الناخبين الاميركيين بالامبريالية القديمة . وتسعى استراتيجية كيسنجر الدبلوماسية والعسكرية الى التغلب على مواطن الضعف الناجمة عن ذلك كله . وهدفها استعادة القوة المتناقصة لاميركا ، وليس تحويل علاقاتها الدولية .

اذا اراد المرء ان يفهم احدى السياسات ، عليه ان يحقق افتراضات راسم تلك السياسة . وكانت ثلاثة اشباح تنتاب منذ مدة طويلة هنري كيسنجر وهو يتلمس طريقه نحو نظام دولي مستقر تحت السيطرة الاميركية . كانت هذه الاشباح هي الاتحاد السوفياتي ، حركات التحرير الوطنية ، والخسارة الممكنة للاجماع الداخلي على سياسة خارجية حركية . ولم يخفف الزمن الكثير من مخاوفه حول الاتحاد السوفياتي ، وازدادت مخاوفه حول حركات التحرير ، واصبح شبح انهيار الاجماع الداخلي حقيقة واقعة . والى هؤلاء اضيفت مشكلة رابعة : هي مشكلة استعادة تأثير اميركا المتناقض على اوروبا الغربية واليابان .

الوفاق : سياسة التعاون العدائي

ان نعوتا مثل المشاركة الثانوية او اتفاق الدولتين المتفوقتين لا تعبر تعبيرا دقيقا عن صفة الوفاق ونطاقه ، وعن الدوافع الكامنة وراءه . فان اعتقادا عميق الجذور بان الاتحاد السوفياتي منافس طموح ، وبانه الوحيد الذي يمكنه ان يتحدى تفوق اميركا الدولي ، يستمر في توجيه الدبلوماسية والتخطيط الاستراتيجي الاميركي . وهذا ما تمليه العوامل الجغرافية ــ السياسية ، التي تلعب دورا كبيرا في تقرير تقليد السياسة الواقعية الذي يتبناه كيسنجر . فالاتحاد السوفياتي وحده بين الدول الكبرى يتمتع بمزيج المساحة الواسعة من الارض والسواحل البحرية (الممتدة من اسيا الى اوروبا) ، والمعدل الديموغرافي ، والموارد ، والتكنولوجيا القادرة على التنافس مع الولايات المتحدة .

وكان هاجس تحدي الاتحاد السوفياتي للولايات المتحدة يستحوذ على هنري كيسنجر اكثر مما استحوذ على اي استراتيجي اميركي اخر . فهو تكتيكي واسع المخيلة وذكي ، ولكنه استراتيجي جامد . وقد شكلت استشرافه الاستراتيجي بضعة مفاهيم اساسية التزم بها طول عقدين من الزمن . بثبات دوغماتيكي . واحد هذه المفاهيم هو التمييز بين « الدولة الجزيرة » و « الدولة القارية » . وبما ان الاتحاد السوفياتي هو اكبر المساحات الواسعة من الارض واغناها واكثرها تكاملا من الناحية السياسية في « اوراسيا » ، فانها «الدولة القارية » الرئيسية . وعلى هذا فهي العدو الطبيعي والخطر الدائم للولايات المتحدة ، التي يعتبرها كيسنجر « الدولة الجزيرة » الرئيسية ، بمعنى انها اقل موارد وبالتالي فانها محتاجة للوصول الى موارد اوراسيا . ومن هنا يعتقد بان الولايات المتحدة ، ازاء الاتحاد السوفياتي ، تواجه المشكلة التقليدية لدولة جزيرة ــ مشكلة قرطاجة ازاء ايطاليا ، ومشكلة بريطانيا ازاء القارة الاوروبية ... واذا ما وقعت اوراسيا تحت سيطرة دولة واحدة او مجموعة من الدول واذا ما اتيح لهذه الدولة الوقت الكافي لاستغلال مواردها ، فلا بد ان نواجه خطرا بالغا » . (هنري كيسنجر ، « دفاع عن المناطق الرمادية »، **الشؤون الخارجية** ، نيسان ــ ابريل ١٩٥٥). هذه النظرة الجغرافية ــ السياسية لمأزق اميركا الاستراتيجي يوضح ايضا اهتمام كيسنجر في منع بروز اوروبا الغربية كمركز مستقل ومتماسك للقوة . ونظرا الى اهمية الشرق الاوسط الاستراتيجية واهمية موارده بالنسبة للدول المصنعة ، فان واشنطن تعطي الاولوية العليا لمنع اتساع نفوذ روسيا في المنطقة ، وايضا لضبط طبيعة روابط اوروبا بها .

الا ان النظرة الاميركية المعاصرة الى الاتحاد السوفياتي هي اكثر عقلانية وفطنة بالمقارنة مع الخمسينات . فحتى كيسنجر ، آنذاك ، اعتبره

خطرا لا من الناحية الجغرافية — السياسية فحسب ولكن ايضا من الناحية الايديولوجية . فقد كان ينظر الى الاتحاد السوفياتي والصين على السواء « كدولتين ثوريتين » « لا تقبلان باطار النظام الدولي او البنية الداخلية للدول الاخرى او بكليهما » . أما اليوم فهو ينظر اليهما كدولتين يحتمل ان تقبلا بالوضع القائم ، بمعنى انه يمكن حملهما على احترام « اطار النظام الدولي » وترك مهمة القيام بخفر « الاضطراب » الى الولايات المتحدة والدول التابعة لها . ولذلك يمكن وصف سياسة الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفياتي على افضل نحو بانها سياسة تعاون عدائي . وهي تجمع بين عناصر العمل المشترك والمكافآت المختارة في بعض المناطق ، وعناصر المواجهة ومنع انتشار قوته وعقيدته في مناطق اخرى . (ولاسباب سنبحثها في ما بعد ، ينتمي الشرق الاوسط الى النصف المعادي من الوفاق). وتسعى الى زيادة حدة النزاع الصيني — السوفياتي حيث امكنها ذلك .

تشتمل الحوافز لزيادة المصلحة السوفياتية في « النظام » الدولي على تحسين العلاقات الاقتصادية مع الولايات المتحدة ، واتفاقات الحد من الاسلحة، والتخلي عن لغة « الدفع الى الوراء » لعهد دالس ونتيجتها الطبيعية ، الاعتراف بمنطقة نفوذ سوفياتية في اوروبا الشرقية ، وتحمل النفوذ الروسي الاخذ في الاتساع في مناطق ذات مصلحة استراتيجية تافهة للولايات المتحدة . ولكن حين ينطوي الامر على مسائل ذات اهمية استراتيجية، على سبيل المثال في المناطق التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي ، فان السياسة الاميركية حيال الاتحاد السوفياتي هي سياسة منع انتشار ومواجهة .

ان سياسة توفير الحوافز بواسطة العمل المشترك والمكافآت المختارة لكي يتصرف الاتحاد السوفياتي بصورة محافظة قد لاحت كبيرة على الصعيد العام . الا ان الناس اقل معرفة وفهما للتحركات الاكثر مغامرة في اتجاه منع الانتشار والمواجهة . وينتمي الى هذه الفئة الاخيرة تحرك التخطيط النووي الاميركي الذي يؤذن بتحول خطير من مفهوم الردع الى خلق قوة مضادة لضربة اولى . وكذلك التوسيع المتصور للقوة البحرية الاميركية — وتحديثها على نطاق واسع . وكذلك ايضا تصميم وتطوير نظام اسلحة يفضي نحو النشر الفعال للاسلحة النووية التكتيكية . كما انتمت اليها العروض المعينة للقوة — التحرك الاستفزازي للاسطول السادس ابان الحرب الاهلية الاردنية عام ١٩٧٠ ، وارسال السفن الحربية بقيادة حاملة الطائرات انتربرايز الى خليج البنغال اثناء الحرب الهندية — الباكستانية في كانون الاول ١٩٧١ ، وحصار هانوي وهايفونغ وقصفهما قصفا مشبعا قبيل زيارة نيكسون الى موسكو ، واصدار الامر بحالة تأهب عام ابان الحرب الاسرائيلية — العربية في تشرين الاول ١٩٧٣ .

من غير ريب ان جميع التطورات السالفة الذكر لا تتعلق على وجه الحصر بسياسة الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفياتي. فالاسلحة النووية التكتيكية وسلاح البحرية على سبيل المثال يقصد بهما ايضا ان يكونا بمثابة ادوات للاكراه ومقاومة الثورات في العالم الثالث . كذلك فان العروض المعينة للقوة في الشرق الاوسط وجنوب اسيا والفيتنام كان الغرض العام منها هو تأكيد تفوق الولايات المتحدة بوصفها « الدولة العظمى » .

فضلا عن الهدف المحدد « لاظهار تصور القوة والمهارات السوفياتية » . (في نفس المكان ، ص ٤٢٤) . كانت عروض القوة تلك هي ما دعا اليه كيسنجر منذ ١٩٥٤ — « مرادفات القرن العشرين » (لاظهار العلم) » . هي ، بكلام اخر ، توكيدات على « قدرة واستعداد لجعل قوتنا ملموسة بسرعة وبشكل حاسم ، لا لردع العدوان السوفياتي فحسب بل ايضا لترك تأثير قوي على غير المنحازين بقدرتنا على العمل الحاسم » . (هنري كيسنجر ، **الاسلحة النووية والسياسة الخارجية** ، نيويورك ، هاربر اندرو ، ١٩٥٧ ، ص ٢٦٤ . الطبعة المختصرة ، نيويورك، ذا نورتون لايبراري ، ١٩٦٩،ص ٢٢٠ — ٢٢١).

بغية فهم توازيات التعاون العدائي فهما كاملا والتكهن بها ، من الضروري ان نتذكر ان كيسنجر يعلق اكبر قيمة على مفهوم « الترابطات » ويوضح هذا المفهوم نظرة واشنطن الى الروابط بين المواجهة والتعاون ، والحرب والمفاوضات ، وفوق كل شيء بين اظهار القوة والاحتفاظ بالقوة .

فبالنسبة لكيسنجر توجد جميع الازمات الدوليــة على متصل واحد من حيث ان حلها يقرره في النهاية ميزان القوة بـــين الولايــات المتحدة والاتحــاد السوفياتي . ومن هنا فان حل كل قضية في مصلحة امريكا لا يتوقف على وقائع الحالة الموضــوعية للقضية (« لقد ارتكبنا اخطاء في الفيتنام ») ، بقدر ما يتوقف على ميزان القوة الاجمالي . فــان اظهار الارادة والقوة في احدى المناطق ، والمرونة في منطقة اخرى ، يتوقع ان يسهم في نتيجة مؤاتية في منطقة ثالثة . وعلى النحو التالي وصف كيسنجر عام ١٩٧٠ الصلة بين الغزو الامريكي لكامبوديـا وهدفه في الشرق الاوسط : « من الهراء القول ، بالطبع ، اننا فعلنا ما فعلناه في كامبوديا بغيــة ترك تأثير قوي على الروس في الشرق الاوسط . ولكن علينا من غير ريب ان نتذكـر ان **الروس سيحكمون علينا وفقا للعزم العام لعرضنا في كـل مكان** . وان ما يفعلوه في الشرق الاوسط ، مهما كانت نواياهم ، يشكل اعظم الاخطار في المــدى البعيد على اوروبا الغربية واليابان ، وبالتالي ، على الولايات المتحدة » . (ارشادات حول خلفية الانباء في سان كليمنتي ، ٢٦ حزيران ١٩٧٠) . بعد ذلك ببضعة اشهر ، في اعقاب اظهار القوة في الحرب الاهلية الاردنية ، قال كيسنجر : « نعتقد بان العمليات في كامبوديا ــ ساعدت فعلا مصداقية عمـــل (رئيـــس الجمهوريـــة) في الاردن » . (**ارشادات حول خلفيــة الانبــاء ، هارتفورد ، كونيكتيكات** ، ١٢ تشرين الاول ١٩٧٠) .

في هذه الاثناء كان الرئيس نيكسون قد كشف عن « الترابطات » وحدد ثمن التنازلات الثانوية التي ستكون الولايات المتحدة مستعدة للقيام بهــا من اجل الوفاق . وفي احد المؤتمرات الصحافيـــة اشار الى توقعه التعاون من الاتحاد السوفياتي في الفيتنام والشرق الاوسط مقابل التقدم في الجولة الاولى من مفاوضـــات الحـــد من الاسلحـــة الاستراتيجية : « ان ما اريد فعله هو التأكد من اننا سنعقد محادثات الاسلحة الاستراتيجية بطريقة وفي وقت من شأنهما تشجيع التقدم ، اذا امكن ، حول القضايا البارزة في الوقــت ذاته ــ علــى سبيل المثال حول مشكلة الشرق الاوسط وحــول مشكلات بارزة اخرى تستطيع فيها الولايـــات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بتصرفهما معــا ، ان يخدما قضية السلام » . (**نيويورك تايمــز** ، ٢٨ **كانون الثاني ١٩٦٩**) .

كان على الذين قرأوا كتابات كيسنجر بدقــة وتمعن ان يتكهنوا بان ادارة نيكسون ستعطـــي اولوية عليا لتحريك واستغلال النزاع الصيني ــ السوفياتي . كان على الدوام من دعاة انتهــاج سياسة كهذه . ففي عام ١٩٥٥ ، عندما دعـــا لاول مرة الى « حروب محدودة » او « صغيرة » تنطوي ، حيث تدعو الضرورة ، عــلى التهديد بالاسلحة النووية التكتيكية واستخدامها ، جادل بان مثل هذه الاستراتيجية ستسهم في « مهمتنــا الاساسية الرامية الى ايقاع الشقاق بين الاتحاد السوفياتي والصين » . وفي ذلك الحين جــادل ايضا من اجل خلق « احتمالات » عسكرية وربطها بالدبلوماسية . ولم تكن النية « دحر » الصـــين فحسب بل « اجبار الاختلاف في الاراء على الخروج الى العلانية » . ووفقا لسيناريو كيسنجر كــان على الولايات المتحدة ان (أ) تكــون مستعــدة لاستخدام الاسلحة النووية المحدودة ضد الصينيين ابان الحرب الكورية ، (ب) توصل هذه النيـــة الى العدو ، (ج) وتتبع التهديـــد « باقتــراح سياسي استرضائي لبيكين » ، بحيث تعرض على « الجانب الاخر مخرجا دون الاستســلام التــام او الحرب التامــة » . وتصور كيسنجــر النتيجــة التالية : « ... كنا سنواجه الاتحاد السوفياتي بمعضلة ما اذا كان عليه ان يجازف بكل شيء مــن اجل زيادة قوة الصين ، ولو اننا اعقبنا انتصارنا باقتراح سياسي استرضائي لبيكين لجعلناها تتأمل في ما اذا لم تكن النية الحسنة الامريكية تمثــل حماية افضل من الاتباع الاعمى للخطر السوفياتي . ولكن حتى ولو اخفقنا في مهمتنا الاساسية الرامية الى ايقاع الشقاق بين الاتحاد السوفياتي والصين ، لكنا حسنا الى حد كبير مركزنا ازاء حليفاتنا وحتى اكثر ازاء الامم غير المنحازة في اسيا ... واتاحت الهند الصينية لنا فرصة مماثلة وان كان في ظــل ظروف اقل مؤاتاة ، علما بان مشكلة الهند الصينية ما كانت ستتخذ ابعادها الحالية لو اصيبت الصين بنكسة حاسمة في اول مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة ... » ، (« دفاع عن المناطق الرمادية » ، **المصدر نفسه** ، ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦) .

ويمكننا التأكد من مدى ثبات كيسنجر على تفكيره

انه ، رغم الظروف المختلفة اختلافا كبيرا لعام ١٩٧٢ — ١٩٧٣ ، لم يحدث في الفيتنام الا تنويع ضئيل على السيناريو المعروض آنفا .

وما ان صار الشقاق الصيني — السوفياتي علنيا ، حتى أخذ كيسنجر يعتبره فرصة متاحة . والمكاسب المتوقعة من التقارب مع الصين ثنائية : اولا : هو يساعد في ابراز النزاع الصيني — السوفياتي . وهذا النزاع لا يخفض ويحول القوة والطاقة السوفياتيتين فحسب ولكنه ايضا يعزز مركز اميركا الاستراتيجي في المساومات . وفي شرح لخلفية الانباء ، قبل رحلة نيكسون الى الصين بعامين تقريبا ، شرح كيسنجر قائلا : « ان اعمق نزاع دولي في العالم اليوم هو ليس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بل بين الاتحاد السوفياتي والصين الشيوعية . ولذا فان احدى الفرص الايجابية في الحالة الراهنة هي انه مهما كانت النوايا الاساسية للزعماء السوفياتيين فهم ، ازاء احتمال نمو قوة الصين دون ان تقل عداء ، قد يرغبون في فترة من الوفاق في الغرب ... لانهم لا يريدون ان يكونوا في مركز يضطرون فيه الى مواجهة ازمات رئيسية على جانبي بلادهم الضخمة خلال فترة غير محدودة من الوقت » . (**شرح خلفيات الانباء ، سان كليمنتي** ، ٢٦ حزيران ، ١٩٧٠) .

ان سياسة ابراز النزاع الصيني — السوفياتي واستخدامه كوسيلة لتحويل القوة السوفياتية وتبريرها تنعكس ايضا في تخطيط وتوزيعات عسكرية اخيرة . مثال ذلك ان المراسل العسكري لصحيفة **نيويورك تايمز** (١٨ اذار — مارس ، ١٩٧٤) تحدث عن « تغيير غير ملحوظ تقريبا في سياسة الولايات المتحدة » يرغم « الروس على الانتباه اكثر للباسيفيكي » . وكان التغيير هو « قرار بحرية الولايات المتحدة وضع غواصاتها الترايدنت الاثنتي عشرة بصواريخها النووية البعيدة المدى في الباسيفيكي . وسيفرض هذا اضافات على الاسطول الباسيفيكي السوفياتي ، الذي كان حتى الان اضعف الاساطيل الرئيسية الاربعة ، وتقوية القوات الجوية ذات القاعدة البرية » . ووقوع هذا التغيير بعد انسحاب قوات الولايات المتحدة من الفيتنام ، وفي اعقاب الوفاق مع كل من الصين وروسيا ، انما يشهد على دافعه السياسي ، بالمقابلة مع دافعه العسكري. ومن الواضح ان هدفه الوحيد هو تبديد القوة العسكرية السوفياتية ، وبخاصة البحرية . وكذلك الامر ، من السهل تصور ردة الفعل الصينية للوجود العسكري السوفياتي الآخذ في التوسع في الباسيفيكي .

ثانيا ، ان اقامة علاقات طبيعية بين الولايات المتحدة والصين ، شأنها شأن الوفاق مع الاتحاد السوفياتي ، تهدف الى تشجيع قيام « جيل من السلام » تبقي فيه الدول الكبرى للدولة المتفوقة ، الى حد كبير ، مسؤولية حل « الحروب الصغيرة » في العالم الثالث — عن طريق مزيج من العدوان والمفاوضات . وقد شرح الرئيس نيكسون في رسالته الثانية الى الكونغرس حول حالة العالم ، ان الغاية كانت وضع الصين في « علاقة بناءة مع الاسرة العالمية » لان « النظام الدولي لا يمكن ان يكون مصونا اذا بقيت احدى الدول الرئيسية الى حد كبير خارجه ومعادية له » . (رتشارد نيكسون ، **سياسة الولايات المتحدة الخارجية للسبعينات : البناء للسلام** ، ٢٥ شباط — فبراير ، ١٩٧١ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦).

بما ان القوات الوطنية والثورية الراديكالية في العالم الثالث تهدد السيطرة الاميركية ، فان احد الاهداف الاساسية وراء الوفاق هو عزل الحركات الثورية عن دعم الدول الثورية . ولم يكن هناك منطق عسكري للزيادة الدراماتيكية في عمليات قصف الهند الصينية (٣٧ ٪) قبل رحلة نيكسون الى الصين مباشرة ، ولغم هانوي وهايفونغ قبيل زيارته الى الاتحاد السوفياتي . كانت اهدافهما نفسية وسياسية . فقد كان الغرض منهما هو اقامة صلة بين الوفاق (الاعتراف بشرعية السلطة الثورية) والثورة المضادة (الرفض العنيف للحركات الثورية) . وكان الهدف اعادة تثبيت افتراض التفوق والمقدمات المنطقية « للحرب الصغيرة » ، التي تسلم للدولة المتفوقة بحق التدخل — بوحشية غير محدودة — ضد الثورات الاجتماعية .

بحثا عن « مبدأ يجعل القمع الاجتماعي شرعيا »

تستمر واشنطن في اعتبار قوى التحرير في العالم الثالث الخطر الرئيسي والاصعب ترويضا —

وبالتالي الاشد — على المصالح الاميركية . وثمة سبب وجيه لذلك : فان جميع الحركات الثورية — واحيانا القومية الراديكالية — تسعى الى قلب النظام القائم للسلطة والانتاج والتوزيع . وهي لدى انتصارها تميل الى استبدال النظام القديم بمؤسسات حكم جديدة ، مستقلة ، شعبية او وطنية ، وبصيغ اشتراكية للانتاج والتوزيع . اي انها ، من البداية الى النهاية ، تتحدى شرعية ، وتهدد وجود ، العناصر الاساسية المترابطة الثلاثة التي تدعم وتديم بنية الامبريالية، وتتعرض لهجومها الشركات الدولية،والبورجوازية الاهلية الموالية للغرب والرأسمالية ، وجهاز الاكراه والمراقبة (كالبروقراطية) . وعادة يؤدي تبوء الحركات الثورية للسلطة — كما ادى في الصين والفيتنام الشمالية وكوبا — الى قطع صلات الاعتماد على المراكز المسيطرة للقوة الصناعية الغربية .

وينهي هذا بشكل محتوم ما تتمتع به دولة واحدة او كتلة دول من حرية استعمال استثنائية لموارد امم العالم الثالث وسيطرة احتكارية عليها. وفيما ازدادت المواد الخام في العالم ندرة واشتدت المنافسة عليها ، تعاظمت مصلحة الولايات المتحدة في منع مثل هذه التطورات الى حد كبير . فمركزها كمارد اقتصادي يعتمد على استمرار تمتعها بامتياز الوصول الى مصادر المواد الخام . والى ذلك فان سيطرة الولايات المتحدة المستمرة على امدادات المواد الاساسية (كالنفط والنحاس الاحمر والبوكسيت) هي وسيلة التأثير الرئيسية التي تتمتع بها الان لابقاء حليفاتها الميالة الى توكيد ذاتها اكثر فأكثر ضمن الخط ، ذلك ان تحقيق التكافؤ في الاسلحة الاستراتيجية والسقط النفسي للوفاق قد خفضا الى حد كبير من تأثير مظلتها الامنية على اوروبا الغربية واليابان .

ان متطلبات العلاقات العامة تجبر الدكتور كيسنجر وزملاءه على ان يصيغوا الافتراض على نحو مختلف ، وتجريدي وغامض نوعا ما . فهو يعتبر المحافظة على « استقرار » « النظام الدولي » الهدف الاساسي للسياسة الخارجية . ويصار الى اخضاع جميع احتياجات ومطامح البشرية الاخرى لهذا الهدف . فالسلام ، في نظر كيسنجر ، لا يجب ان يكون هدف السياسة ، اذ انه يشوش الاستقرار . ولا يمكن الحصول عليه الا كحصيلة ثانوية للنظام . فكاتب سيرة حياة كيسنجر وصديقه يخبرنا : « لم يكن يقصد السخرية عندما استهل كتابه بالملاحظة ان (تلك العصور التي تبدو لنا اذ ننظر الى الوراء الاكثر سلاما كانت الاقل بحثا عن السلام) » . (ستيفن غروبارد **كيسنجر** ، مستشهد به في ص ١٧ . كان غروبارد يشير الى **عالم مرمم . اوروبا بعد نابليون : سياسة المحافظة في عصر ثوري** . نيويورك ١٩٦٤ . ذا يونيفرسال لايبراري) . خلال جميع كتابات كيسنجر يجد المرء تنويعات على الفكرة الرئيسية التالية : « كلما كان السلام — المفهوم كاجتناب للحرب — هدفا اساسيا لدولة او لمجموعة من الدول ، كان النظام الدولي تحت رحمة العضو الاكثر قوة للاسرة الدولية . وكلما اعترف النظام الدولي بانه لا يمكن التفريط بمبادىء معينة ، حتى من اجل السلام ، كان يمكن على الاقل تصور الاستقرار المرتكز على توازن القوى » (ص ١) .

وينطبق القول نفسه على العدالة ، فكما ان الدكتور كيسنجر لا يعترض بشكل جوهري على وجود السلام ، فانه لا يعارض الاصلاحات التي تهدف الى تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي . ولكن بما ان اصلاح السلام يجب ان يكون « نتاج النظام لا نتاج الارادة » ، فعليه ان «يؤكد شمولية القانون ضد مصادفة السلطة».

ويرى كيسنجر ان الاستقرار الدولي يعتمد على وجود « شرعية مقبولة بوجه عام » يحددها بانها اجماع دولي « حول الاهداف والطرق المسموح بها للسياسة الخارجية ... قبول جميع الدول الرئيسية باطار النظام الدولي ... » ويقول كيسنجر ان الثوريين لا يذعنون لما تمليه عليهم الدبلوماسية لان « جوهر السلطة الثورية هو انها تملك الشجاعة لفعل ما تعتقد انه صواب ... » (**عالم مرمم** ، المصدر نفسه ، ص ٢ ، ٣) .

هذا التمييز بين السلطتين والاسلوبين«الشرعي» و « الثوري » ، بوصفهما يؤلفان انقساما جوهريا في السياسة الدولية ، كان اساسيا للاطار الذي اجرى فيه كيسنجر تحليله وقدم فيه توصياته للسياسة . وتسيطر الثنائية على اعماله ، متكررة في اشكال متنوعة — الاساليب السياسية مقابل

الاسـاليب الثورية ، رجل الدولة مقابل النبـي ، العقائدي مقابل العملي التجريبي ، الرؤيوي مقابل الواقعي — وكثيرا ما تشير الى تغييرات في ادراكه لموقع الخطر الثوري . ففي كتاباته الاولى ، على سبيل المثال ، كان بوجه الاجمال يربط « السلطة الثورية » بالدولتين الاشتراكيتيـن الرئيسيتيـن (الاتحاد السوفياتي والصين) ، ويعتبر الحركات الثورية مجرد امتدادات للدول الثورية .

وكونه حدد موقع السلطة الثورية على هـذا النحو في الخمسينات ، دفع كاتب سيرة حياتـه الى الاستنتاج ان وحدها « الـدول كانت كيانات حقيقية بالنسبة الى كيسنجر » وان « اهتمامـه كان ينصب في الدرجة الاولى على الذين يمارسون السلطة الفعلية » . (ستيفن غروبارد ، **مستشهد** به ، ص ١) . لكن غروبارد يتجاهل ان كيسنجر يقول في كتاباته اللاحقـة ان كلا من الاتحـاد السوفياتي والصين هما الان نظامان مختلطان مـن حيث ان كلاهما اكتسب مصلحة معينة في المحافظة على النظام ، وكلاهما عرضة للحوافز في هـذا المجال ، وكلاهما يمكن الضغط عليه للحد من دعمه لحركات التحرير . كذلك ساعدت امثلة كوبـا والفيتنام ولاوس في جعل واشنطن تتخلص مـن الاعتقاد بان الحركات الثورية هي مجرد ملحقات لموسكو وبيكين . ومن هنا فان الدكتور كيسنجر ، في اخر الصيغ التي وضعها للاستقطاب الجوهري في السياسة الدولية ، يعين التعبير عن الارادة الثورية ، اي الخطر الرئيسي على «الاستقرار » و « التوازن » الدوليين ، في حركات التحريـر وبعض الحركات الراديكالية للعالم الثالث .

ويكتب الدكتور كيسنجر في اخر كتاب لـه : « ان اعظم مشكلات النظام الدولي المعاصر قـد تكون ان اكثر المناقشات التي تؤلـف عناويـن الصحف اليوم هي السطح الخارجي للانقسامات الاساسية الموصوفة في هذه الدراسة . وليـس الانقسام حول تنظيمات سياسية معينـة — الا كأعراض — بل بين اسلوبي سياسة — ومنظورين فلسفيين » . وينتقـل ليشـرح ، وليقـارن : « يمكن تحديد الاسلوبيـن بوصفهمـا الاقتـراب السياسي المختلف عن الاقتراب الثوري من النظام، او ان شئنا تحويلهما الى مستوى الشخصيات ، بوصفهما الفرق بين رجل الدولة والنبي . فرجل الدولة يتلاعب بالواقع ... والتدرجية بالنسبة الى رجل الدولة هي جوهر الاستقرار... والنبي، في المقابل ، اقل اهتماما بالتلاعب مما هو بخلـق الواقع . فما هو ممكن يهمه اقل مما هو حق ... واقترابه سرمدي وغير معتمد على الظروف ... كان الاسلوب النبوي في صعود خلال الجيشانـات العظيمـة للصراعـات الدينية وفترة الثـورة الفرنسية ، **وفي الثورات المعاصرة في الاجـزاء الرئيسية من العالم** » . (وهنري كيسـنجر ، السياسة الخارجية الاميركية . نيويورك ١٩٦٩ ، و. و. نورتـون ، ص ٢٧ — ٤٨ ، التشديـد مضاف) .

ويتضح في الفقرات اللاحقة ان الدكتور كيسنجر ينظر الى « اعمق مشكلات النظام الدولي المعاصر» في اطـار العالم الاول مقابل العـالم الثالث . وسيجد قراء كيسنجر غير الغربيين تمييزه بـين الغـرب التجريبي العلمي والشرق ما قبـل النيوتوني فظا بنوع خاص ، وآراؤه الشبينغلارية حول خطر العالم غير الغربي عنصريـة تماما . لكن العامل المناسب هنا هو واقع ادراك كيسنجر، وليس سطحية تفكيره . وهنا بعض المقتطفـات : « في ما يتعلق بالفرق في المنظور الفلسفي (بـين السلطات العالمية « الشرعية » و « الثوريـة » فانه قد يعكس انحراف الخطين الفكريين الذيـن منذ عصر النهضة ميزا الغرب عن ذلك الجزء من العالم الذي يدعى متخلفا (مع احتلال روسيـا مركزا متوسطا) . فالغرب ملتزم التزاما عميقـا بالفكرة القائلة ان العالم الحقيقي **هو خـارجي** بالنسبة الى المراقب ، وان المعرفة تتألف مـن تسجيل وتصنيف المعلومات — والافضل بمزيد مـن الدقة . اما الحضارات التي بقيت خارج التأثير المبكر للتفكير النيوتوني فقد احتفظـت بالنظـرة السابقة لنيوتون جوهريا والقائلـة ان العالـم الحقيقي هو داخلي بالنسبة الى المراقب بصورة تامة تقريبا . ومع ان هذا الموقف كان عائقا طيلة قرون — لانه منع انمـاء التكنولوجيـا وسلـع المستهلكين التي تمتع بها الغرب — فهو يعـرض مرونة كبيرة في ما يتعلق بالجيشان الثوري المعاصر. انه يمكن المجتمعات التي لا تشاركنا اسلوبنـا الحضاري من تغيير الواقع عن طريق التأثير في منظور المراقب — وهي عملية نحن الى حد كبـير

غير مستعدين لمعالجتها او حتى لتصورها ... وللواقع التجريبي دلالة تختلف اختلافا كبيرا بالنسبة الى الكثير من البلدان الجديدة عنها بالنسبة الى الغرب لانها بمعنى معين لم تمر قط في عملية اكتشافه (مع احتلال روسيا من جديد مركزا متوسطا...) » (المصدر نفسه ، ص ٤٨— ٤٩. التشديد والجمل المعترضة واردة في الاصل).

بكلام اخر تتمتع الحركات والزعماء(«الانبياء ») الثوريين في الحضارات السابقة لنيوتن مثل الفيتنام وكوبا بافضليات غير اعتيادية على رجال دولة العالم الغربي . فهذه الحضارات ، لكون « العالم الحقيقي » « داخليا بصورة تامة تقريبا بالنسبة لها » ، يمكنها ان تكون غير متأثرة بالحقائق « التجريبية » في بدء ثورة من الثورات، ومنيعة ضد المؤثرات « الخارجية » (كالقصف المشبع وبرامج التهدئة الواسعة النطاق) في ايقافها . ويقول الدكتور كيسنجر : « الحقيقة المهمة بالنسبة الى الثوريين هي العالم الذي يناضلون لتحقيقه ، وليس العالم الذي يكافحون للتغلب عليه » (**المصدر نفسه** ، ص ٣٩) ، وهذا يمكنهم من « التغلب على اوضاع كانت تبدو معادية بشكل غامر » . (**المصدر نفسه**) .

ومن هنا الصفة المميزة المقلقة الثانية من صفات الحركات والزعماء الثوريين : فهم ، خلافا للدول الاشتراكية القائمة ، يظهرون لا مبالاة عنيدة بالحوافز المادية . ويقول كيسنجر ان « الثوريين نادرا ما تكون لهم دوافع مادية ، مع ان الوهم بأن هذا هو ما يحصل باستمرار في الغرب . ولو كان كاسترو او سوكارنو مهتمين في الدرجة الاولى بالاقتصاد ، لضمنت لهما مواهبهما حياة عملية لامعة في المجتمعين اللذين قلباهما » . (**المصدر نفسه ، ص ٣٩**) . ولان بصيرة الدكتور كيسنجر معكوسة ، فان الوهم يستمر معه في شكل مشوه . وتتخذ « الحوافز المادية » شكل العنف. وهكذا في الوقت الذي شن احدى اشرس هجمات التاريخ على شعب الهند الصينية ، قال متأملا : « لا يعقل ان يكون الفيتناميون الشماليون الشعب الاول في التاريخ المحصن ضد اي نوع من انواع الاعتبارات المادية » . (**شرح خلفية الاخبار** ، ٩ ايار — مايو ، ١٩٧٠ ، بعد غزو الولايات المتحدة لكامبوديا) .

يتصور الدكتور كيسنجر أن حركات تحرير العالم الثالث تهدد « ميزان القوة النفسي »، الذي يعتبره ، في تمييز اخر من تمييزاته التحليلية الحاسمة ، موازيا في الاهمية « لميزان القوة المادي » ان لم يكن اعظم اهمية منه . (انظر ، على سبيل المثال ، **السياسة الخارجية الاميركية**، ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ . « ان اعمق مشكلات التوازن ليست مادية بل نفسية او معنوية . وسيتوقف شكل المستقبل في نهاية المطاف على صلات تتجاوز كثيرا ميزان القوة المادي » . ص ٨٠) . ويقول ان هذا يحصل بعدة طرق غير ملموسة . ويشار الى احداها في الجملة المستشهد بها اعلاه . وكون العالم الحقيقي هو « داخلي » بالنسبة الى الثوري غير الغربي ، و« خارجي » بالنسبة الى الغربي يوفر للاول « مرونة كبيرة » « لتغيير الواقع عن طريق التأثير في منظور المراقب — وهي عملية نحن الى حد كبير غير مستعدين لمعالجتها او حتى لتصورها ... » ولذا لن يكون في مقدور الثوريين تخريب مجتمعاتهم هم فحسب بل تخريب المدن الاميركية نفسها ايضا . ويتذمر الدكتور كيسنجر قائلا : « لقد سبق لبعض حركات الاحتجاج ان جعلت من الزعماء في بلدان جديدة قمعية ابطالا . ان سخف اقامة ادعاء الحرية على زعماء الدولة التوتاليتيرية — امثال غيفارا او ماو — يبرز تأثير جذاب البلدان الجديدة على المجتمعات الاقدم منها ... » (**المصدر نفسه** ، ص ٨٥) . وكذلك الامر ، في الحروب الثورية ، يتمتعون بالامتياز النفسي لعكس معيار النجاح : « ... الثائر في حرب العصابات ينتصر اذا لم يخسر ، والجيش التقليدي يخسر اذا لم ينتصر » (**المصدر نفسه** ، ص ١٠٤) .

واخيرا فان القوى الثورية تبرز المشكلة الخطيرة « للشرعية » بقدر ما تشك في عدالة النظام القائم للسلطة . فما من استقرار ، ما من تغيير منظم هو ممكن دون الشرعية ، كما اصر كيسنجر على القول بحق في جميع كتاباته . وحول العالم الثالث في هذا السياق كتب يقول قبل زمن من وصوله الى السلطة : « ان مشكلة الشرعية السياسية هي المفتاح الى الاستقرار السياسي في المناطق التي تحتوي على ثلثي سكان العالم . وقيام نظام داخلي مستقر في البلدان الجديدة لن

ينتج بصورة اوتوماتيكية نظاما دوليا ، لكن النظام الدولي مستحيل دونه . وان برنامجا اميركيا يجب ان يشتمل على ادراك ما لما نفهمه بالشرعية السياسية » . (**المصدر نفسه** . ص ٨٥) .

هذه الحقيقة البدهية ربما كانت جديرة بالاهتمام لو حاول كيسنجر ان يعرض ادراكا للشرعية السياسية ، كيف تكتسب ، ولماذا تفقد . ومثل هذه المحاولة ربما كانت ساعدته في ادراك ان المسألة ليست عرضة للهندسة السياسية ، وانها تتعلق بالمشكلات الجوهرية — مشكلات السلطة لا الادارة ، والموافقة لا الطاعة ؟ والاخلاق لا الادارة — وهي تنتمي الى حقل العمليات السياسية وليس الى المناورات الدبلوماسية او العسكرية . ولذا فان عمليات القصف وبرامج التهدئة ، و «الفترات الفاصلة من السلام » المحققة بواسطة زعماء اقوياء لا تستطيع حمل الشرعية — الحق الشرعي في الحكم — الى الدكتاتوريين الجوف والجنرالات الفاشيين والملوك الاقطاعيين . كما انها لا تنجح ، كما يقترح كيسنجر ، عن مجرد تعزيز السلطة وتحويل ادوات الاكراه الحكومية الى مؤسسات .

لقد كان العلماء المناهضون للثورات ، كما عرف عنهم ، غير مستعدين لمعالجة مشكلة الشرعية . فبالنظر الى التزامهم بالاستقرار وتحيزهم الى الوضع القائم ، من الصعب عليهم الاقرار بعدم شرعية اصحاب المناصب ، وبجسمية الصلات السياسية والاجتماعية المقطوعة . حتى انه اصعب عليهم التعرف الى العمليات التي تصاغ فيها الروابط الجديدة اذ ان ذلك يتطلب تحقيقا صادقا مخلصا في العملية الثورية — اسبابها ، قوة اندفاعها الخلاقة ، العدالة اللازمة لها ، والشرعية التي يمكن لحركة ثورية ان تحصل عليها — الامر الذي لا بد وان يكلف مثل هذا العالم مبرر وجوده . وينتمي الدكتور كيسنجر الى هذه الفئة من العلماء .

وانها لشهادة تكريم بحق عمله كموظف اكاديمي في خدمة دولة مناهضة للثورة ان الاستاذ كيسنجر ، الذي لا يفتقر الى الذكاء ولا الى الموارد الفكرية للمهمة ، لا يثير القضية الجوهرية الا ليدور حولها . فكتاباته تعج بالاشارات الى الشرعية .

ولكن ليس فيها لحظة تقييم لما يعتبره هو بحق المشكلة المركزية في السياسة ، ولا حتى حين يعطي قسما كاملا من احدى الدراسات العنوان « **الامم الجديدة والشرعية السياسية** » . (أنظر **السياسة الخارجية الاميركية** ، ص ٨٠ — ٨٥) . فهو يقدم لنا توافه وعظية ، مثال ذلك ، ان الشرعية تنطوي على بناء « اجماع ادبي يمكنه ان يجعل من عالم تعددي خلاقا بدل ان يكون هداما ». (**المصدر نفسه**) . أو يقدم لنا مجموعة منوعة من التحديدات الفضفاضة الضمنية ؟ مثال ذلك ، هناك التلميح الى ان تحويل الامور الى مؤسسات يوازي الشرعية ، ويكون النظام شرعيا عندما تدعمه « مبادىء قانونية » و « بنى سياسية » . (**المصدر نفسه**) . وهو بمزيد من التكرار يكتفي بربط الشرعية بالاستقرار والعكس بالعكس .

ان الميل الى الارتداد عن مواجهة مشكلة معترف بانها جوهرية هو ضروري للبحث عن حلول ادارية . والتأثير التراكمي لاشارات الدكتور كيسنجر الاستطرادية هو تأثير منطقي : اذا كان الاستقرار هو هدف السياسة ، والثورات الخطر الرئيسي على الاستقرار ، فلا بد من حصر هذه الثورات ومواجهتها وتدميرها . وهو يعلم ان هذا يتطلب القبول الدولي « بمبدأ اضفاء الشرعية على القمع الاجتماعي » . (تظهر هذه العبارة في **عالم مرمم** ، ص ٣١٨) . والجملة الكاملة هي : « عندما حدثت وحدة اوروبا ، لم تكن بسبب ضرورتها البينة بذاتها ، كما تصور كاسلريه ، بل عن طريق الاستخدام الساخر لآلية المؤتمرات لتحديد مبدأ اضفاء الشرعية على القمع الاجتماعي، لا عن طريق حسن نية كاسلريه ، بل عن طريق مناورات مترنيخ ») .

لقد حطمت الحرب في الفيتنام « مبدأ القمع الاجتماعي » — المبدأ الاميركي الموضوع من جانب واحد للحروب المحدودة — الذي كان العالم قد قبل به خلال عقدين من التدخلات العسكرية في العالم الثالث . كتب هنري كيسنجر يقول : « كانت كل حرب خضناها في نصف الكرة الارضية الغربي حربا محدودة » . (**الاسلحة النووية والسياسة الخارجية** ، ص ١٣٦ — ١٣٧) . وقد وصفها بانها « منتجة » . ولن يصرح احد بذلك

حول الفيتنام . فما كان مفروضا به ان يكون « حربا محدودة » — يعني محدودة من حيث تأثيرها على المعتدي ، لا من حيث نتائجها على الشعب المتعرض للغزو — كلفت اكثر من ربع مليون اصابة اميركية ، وما يقدر بـ ٢٠٠ بليون دولار . وصارت الحرب « غير المنظورة » — والمنظورة جدا بالنسبة للسكان المحاصرين — واضحة جلية بالنسبة الى العالم . وفرضت الحرب « المنسية » — وكم يتذكرها ضحاياها — على وعي الشعب الاميركي . كانت الثورة الفيتنامية محكا للثورات المعاصرة ، نهزمت الافتراضات الجماعية للتكنولوجيا الحديثة ، والقت الشك على مناعة القوة الاميركية .

كان كيسنجر بوصفه نصيرا لمبدأ « الحروب المحدودة » — وهي التي يقول انها حروب « صيانة » لا حروب « غزو » — يفهم معنى الفيتنام . فقد كتب قبيل توليه السلطة : « مهما كانت نتيجة الحرب في الفيتنام ، فمن الواضح انها خفضت الى حد عظيم استعداد اميركا للتورط في هذا الشكل من اشكال الحروب في اماكن اخرى . **ولذا فان فائدتها كسابقة اضعفت على نحو خطير»**. (هنري كيسنجر ، « القضايا الرئيسية للسياسة الخارجية الاميركية » في **جدول اعمال الامة** ، واشنطن ، دي سي ، بروكينغز انستيتيوشن ، ١٩٦٩ . التشديد مضاف) . وفيما بعد ، بصفته معاونا خاصا لنيكسون ، قال للصحافيين ان ما نفعله في الفيتنام يجب ان يقاس في اطار اكبر من الفيتنام نفسها » . (شرح خلفية الانباء ، ٢٦ حزيران — يونيو ، ١٩٧٠). واحد الادلة على التزام واشنطن بالاستمرار في انتهاج سياسة تدخلية مضادة للثورات هو ان كيسنجر ، خلال اعوامه الاربعة الاولى في الحكم ، بذل الكثير من مواهبه وانزل الاما فائقة غير محدودة في الشعب الهندي الصيني لكي ينقذ على الصعيد النفسي والرمزي ، فحسب ، ما كان واضحا ان الولايات المتحدة خسرته من الناحيتين السياسية والعسكرية .

« مبدأ نيكسون » والشركات الدولية

وجهة النظر غير التدخلية ، اذا ، تبقى بغيضة في واشنطن . ويشجب المسؤولون كل تعبير عنها بوصفه انعزالية جديدة . ولم تؤد « امثولات » الفيتنام الا الى اعادة صياغة دور اميركا كحارس للرأسمالية المتحدة ، وليس الى انهائه ، فاستراتيجية « البروفيل المنخفض » ، والنفقات المنخفضة» للسبعينات سمت الى التغلب على قيود المعارضة الداخلية للتدخلية ، فيما هي تحاول استغلال الثروات المتزايدة للحلفاء والاتباع . وهي تستلزم تشجيع مجموعات القوة الاقليمية في المناطق المهمة استراتيجيا من العالم ، واعادة تنظيم القوات المسلحة الاميركية لجعلها ، على حد تعبير الاميرال زوموالت ، اسلحة مرتكزة على التكنولوجيا العالية وتكثيف الراسمال ... لدعم الجيوش المحلية للحلفاء المهددين بالخطر » .

لقد دافع السيد كيسنجر ، منذ ١٩٥٥ ، عن سياسة خلق شبكات عسكرية اقليمية تتلقى ، عندما تدعو الحاجة ، دعما مباشرا من الولايات المتحدة ، خصوصا من قوتها الجوية والبحرية . وفي مقالة بعنوان « السياسة العسكرية والدفاع عن (المناطق الرمادية) » كان قد اوصى « بخلق احتياطات استراتيجية » ، و « قوات دفاع مركزية في البلدان الخطيرة الثلاثة » : ايران وباكستان والهند الصينية . وفي ما بعد تغير تقييمه للبلدان الخطيرة . لكن المفهوم ظل قائما . وفيما بعد تكرر مع بعض التحسينات ، وفي عام ١٩٦٨ ، قبيل انضمام كيسنجر الى جهاز نيكسون ، وجد التعبير التالي : « لم تعد الولايات المتحدة في مركز يسمح لها بادارة برامج على نطاق عالمي ، بل عليها ان تشجع مثل هذه البرامج ... فنحن دولة متفوقة ماديا ، لكن خططنا لا يمكن ان تكون ذات معنى الا اذا ولدت تعاونا راغبا ... سيتوجب على المجموعات الاقليمية التي تدعمها الولايات المتحدة ان تتولى مسؤولية كبيرة عن مناطقها المباشرة ، مع اهتمام الولايات المتحدة باطار النظام الاجمالي اكثر من اهتمامها بادارة كل مشروع اقليمي » . (**جدول اعمال لامة** ، ص ٦١٢ ، ٦١٤) .

ووجدت الفكرة تأييدا سهلا في واشنطن . فالثمن الباهظ للحرب الفيتنامية كان قد ارغم البنتاغون على البحث عن طرق لخفض نفقات اميركا واصاباتها دون التأثير في قدرتها على التدخلات . وكان المسؤولون في ادارة جونسون قد ابتدأوا يشددون على الحاجة الى خفض توزيع الجنود الاميركيين الى الحد الادنى ، لا عن طريق استخدام

التكنولوجيا فحسب ، بل المرتزقة ومن ينوب عن الاميركيين ايضا الى الحد الاقصى . وتحت اشراف كيسنجر اكتسب السعي اسما رسميا : مبدأ نيكسون . وجرى التمرن على مقوماته المنطقية التكتيكية ، في برنامج « الفتنمة » ، وغزو كامبوديا . وشهد تطبيقه تشجيع وتعزيز بلدان مثل البرازيل وايران واسرائيل واليونان والبرتغال واندونيسيا وجنوب افريقيا كزعيمات للسلام الاميركي .

يتميز مبدأ نيكسون ، من الناحية العملية ، باربع صفات جديرة بالملاحظة : فهو ، من الناحية السياسية ، يكشف عن تفضيل للدول البوليسية في العالم الثالث ويشجع على عسكرة البلدان الحليفة . ومن الناحية الاقتصادية يتجاوب مع احتياجات ومصالح الشركات المتعددة الجنسيات . ومن الناحية البنيوية يؤثر الاتفاقات الثنائية على تدابير الامن الجماعية . ومن الناحية العسكرية يتصور دورا وصائيا للولايات المتحدة ، ينطوي على استعداد لنشر القوة البحرية والجوية الاميركية على نطاق واسع ، ولمواجهات نووية « محدودة » وذات « مستوى متوسط » . وسنبحث هذه في مكان اخر . حسبنا هنا التوضيح ان السياسة تطابق سياسة الشركات الدولية ، التي تقوم قاعدة اكثريتها في الولايات المتحدة ويملكها الرأسمال الاميركي .

ومعظم البلدان التي اختيرت لتكون شرطة اقليمية بموجب مبدأ نيكسون هي ايضا البلدان التي تقوم فيها الشركات الدولية بتثميرات ضخمة . وبعضها ، كالبرازيل وايران واندونيسيا وجنوب افريقيا ، قد صارت « ارصفة التصدير » الرئيسية للعالم الثالث . (ويصار الى اغراء البعض الآخر ، مثل الكونغو ونيجيريه ، للاضطلاع بذلك الدور) . وجاذبيتها للشركات الكبيرة ولراسمي السياسة في واشنطن مفهومة . فموقعها الاستراتيجي ومواردها الطبيعية لهما قيمة واضحة ، والامر الاهم هو كون انظمة العالم الثالث الاستبدادية التي تسمى الى النمو الاقتصادي تميل الى ان تكون جذابة بنوع خاص للرأسمال الاجنبي وتحسن وفادته . ويضمن حرمان العدالة التوزيعية في ظل مثل هذه الانظمة معدل عائدات مرتفع على التثميرات ، وتؤمن قمعيتها قوة عمالية هادئة . ولما كانت طبقاتها الحاكمة معادية للجماهير وخائفة منها ، فانها تشتهي الدعم الخارجي وهي بالتالي حليفات يمكن الاعتماد عليها .

لقد باتت الشركات الدولية الان موضوعا دارجا للدراسة . وصار الناس اكثر معرفة عنها من ذي قبل . وتكشف الحقائق الاساسية عن قوتها الرهيبة وقبضتها الاخذة في الاتساع على حيواتنا ومواردنا . وتتولى اكبر شركة انتاج ٦٠ بالمئة من سلع العالم وخدماته . وتفوق مبيعاتها الاجمالية مجمل الانتاج القومي لكل بلد ما عدا روسيا والولايات المتحدة . وتسيطر شركة ماردة واحد مثل جنرال موترز على موجودات اكبر من موجودات معظم الدول ، وتستخدم من الناس اكثر مما تستخدم معظم الحكومات . ومتوسط معدل نموها اكبر بمرتين او ثلاث مرات من متوسط معدل نمو معظم البلدان الرأسمالية المتقدمة بما فيها الولايات المتحدة والمانيا واليابان . (رتشارد بارنيت ورونالد مولر ، Global Reach نيويورك ، سايمون وشاستر ، ١٩٧٥) .

ان اكثرية الشركات المتعددة الجنسيات هي ذات قاعدة اميركية ، لكن لها اشياء كثيرة تحميها في الخارج . واشهر الشركات الماردة — أي بي ام ، يونيرويال ، سكويب ، كوكا — كولا ، موبيل ، جيليت ، رينولدز ، بفيزر الخ . — تستمد اكثر من ٥٠٪ من ارباحها من خارج الولايات المتحدة ، وكما تظهر دراسة اجرتها شركة الاعمال الدولية ، فان الارباح في الخارج تزداد بمعدل اسرع منها في الداخل . والى ذلك ، فيما ارتفعت اكلاف اليد العاملة في الولايات المتحدة واوروبا الغربية ، راحت الشركات الدولية تنقل مصانعها الى البلدان الفقيرة حيث العمال زهيدي الثمن جدا ويكدحون كالحمير . ويقول رتشارد بارنيت وروناند مولر : « ان شركة سنجر لماكينات الخياطة ، وهي احدى اوائل الشركات الدولية ، قد خفضت في الاعوام الاخيرة مصنعها الرئيسي في الولايات المتحدة ، بولاية نيو جيرسي ، من ١٠ الاف الى الفين . كما ان شركة جنرال انسترومانتس خفضت قوتها العمالية في نيو انغلاند بثلاثة الاف وزادت قوتها العمالية في تايوان بنحو ٥٠٠٠ . والامثلة لا نهاية لها » . (**أنظر المصدر نفسه**) .

ولكون الحوافز هائلة ، كانت الشركات الاميركية تنقل موجوداتها الى الخارج ، ويضر هذا عادة بالجمهور في الداخل . ويقول بارنيت ومولر ان نحو ثلث مجموع موجودات الصناعة الكيمائية ، ٤٠٪ من صناعة المستهلكين ، و ٧٥٪ من الصناعة الكهربائية قد انتقلت الى خارج الولايات المتحدة. وقدر هيو ستيفنسون وهو محلل مالي بريطاني ، « ان ٩٠٪ من صادرات الشركات ذات القاعدة الاميركية ستصنعها في الخارج شركات تابعة يملكها الاميركيون ويسيطرون عليها ، بحلول اواسط السبعينات » . وفي اختيار المواقع الجديدة للشركات التابعة ، تمنح البلدان المتخلفة عناية خاصة . فهذه البلدان التي استخرجت الشركات الكبرى منها تاريخيا الجزء الاكبر من موادها الخام قد اضحت ايضا مصدر ايد عاملة رخيصة . والاغنى بينها ، وذات الموقع الاكثر استراتيجية ، هي اهداف للشركات الكبرى بوصفها بلدان « ارصفة تصدير » .

لقد كان انخفاض قوة الولايات المتحدة لخفر الكرة الارضية ، مصدر قلق لها وكذلك ازدياد المشاعر التحريرية في البلدان المتخلفة . ونتيجة لذلك تنازلت الشركات عن حصة اكبر من توتها وارباحها للحليفات المحليات مما كانت تفعل قبلا ، واعارت الكثير من الاهتمام لابتكار استراتيجية من شانها السماح للولايات المتحدة بلعب دور ضمان نظام عالمي مستقر . ويلائم مبدأ نيكسون احتياجات وتفضيلات الشركات المارده . وقد احتوى تقرير من وضع « صندوق الاخوة روكفلر » على جميع عناصره الاساسية ، وكان مؤلف التقرير هنري كيسنجر .

وسائل تأثير جديدة ، حلفاء قدماء : الولايات المتحدة ، اوروبا ، واليابان

عندما يحلل المرء السياسة الاميركية حيال اوروبا الغربية فانه يجازف بتضخيم الصلات القوية فضلا عن التوترات المتزايدة بين واشنطن وحليفاتها في حلف شمال الاطلسي ، وتتميز توقعات الولايات المتحدة من اوروبا بتكافؤ الضدين والتناقضات . ومن هنا فان سياستها نحوها معرضة جدا للتغيير . فالاميركيون البيض بوجه عام ، وبخاصة النخبة الشرقية (نسبة الى شرقي الولايات المتحدة) التي تمارس أعظم تأثير على السياسة الخارجية ، يشعرون بصلة روحية خاصة مع اوروبا ، ويؤكدون على المدنية التي تتقاسمها المسيحية ، ويعلنون باعتزاز عن « ارث ديموقراطية » مشترك ، فالصلات الوثيقة بالعالم القديم تطمئن نخبة تشعر بعدم الاطمئنان الثقافي الى قيمتها ، وكثيرا ما يسبب الرفض الاوروبي لها القلق والمضايقة اللذين يربطهما المرء عادة برفض العائلة ، وكانت الطبقات الحاكمة على جانبي الاطلنطي تفترض منذ عهد بعيد وجود وحدة غايات واسعة بين الولايات المتحدة واوروبا . ويؤيد هذا الافتراض نمط معقد من المصالح المتشابكة في الاعمال والممتلكات . ومن هنا فان تضارب مصالح اميركا مع اوروبا او مع بلد رئيسي هناك يعالج في بادىء الامر بدقة وكياسة تخصصان للنزاعات الاخوية .

يظهر كيسنجر بوضوح مشاعر خاصة ازاء اوروبا بوصفه رجلا يربط نفسه ربطا عميقا بمستقبل مدنية اوروبا ويخاف عليها . وقد أعلن بعد انسحاب فرنسا من القيادة العسكرية لناتو قائلا ان « الازمة الراهنة هي شأن عائلي » ، مضيفا انها « تتعلق بالتدابير الداخلية بين شعوب وثيقة الصلة » . (هنري كيسنجر ، « من أجل تحالف اطلنطي جديد » ، **ذا ريبورتر** ، ١٤ تموز ــ يوليو ١٩٦٦ ، ص ١٨) . وفي الآونة الاخيرة ، اثناء بحث الحوار الاوروبي ــ الاميركي اللاذع ، قال كيسنجر لجايمس ريستون في **النيويورك تايمز** انه « لو حضر المرء الاجتماعات فعلا لشعر بانه حيال شجار عائلي ، وبات المرء ، بطريقة غير ملموسة ما ، انما يتكلم كعضو في عائلة » . (**نيويورك تايمز** ، ١٣ تشرين الاول ــ اكتوبر ، ١٩٧٤) . ومثل هذه التعابير الاخوية حببت هنري كيسنجر للاوروبيين الليبراليين الذين اثنوا على تعيينه في البيت الابيض عام ١٩٦٨ . بيد ان المصالح تتغلب عادة على الصلات الثقافية . ولم تعد مصالح اوروبا تتطلب منها تأييد سيطرة الولايات المتحدة كقوة عالمية ــ وهي حقيقة كان الجنرال ديغول اول من ادركها .

طوال عقدين من الزمن بعد الحرب العالمية الثانية كانت اوروبا واليابان حليفتي اميركا الطبيعتين لانهما كانتا ضعيفتين اقتصاديا ويثقل كاهليهما عبء عدم الامن وعدم الاطمئنان . وكانت الولايات المتحدة تتمتع فوقهما بامتياز نفوذ السيطرة

الاقتصادية ، وتوفير مظلة الامن ، ولكنها كانت في سبيل خسارة هذا الامتياز بحلول اواسط الستينات . فالوفاق (الذي ابتدأ في اوائل الستينات) كان قد خفض (وان لم يزل) قيمة مظلة الامن الامريكية . ولم يعد الخضوع للولايات المتحدة يدر الكثير من الفوائد الاقتصادية لاوروبا او اليابان . وبالعكس ، هما الآن منافستا اميركا كبائعتين للمنتجات المصنوعة وكمشتريتين للمواد الخام. ومن هنا فان أحد أهداف كيسنجر الاساسية في السلطة سيكون ان يكتسب ، في المدى القصير ، وسائل تأثير جديدة على الحلفاء القدماء الذين شرح كيسنجر لجماعة من زوجات رجال الكونغرس (في ١١ آذار — مارس ، ١٩٧٤) بأنهم مشكلة تواجه الولايات المتحدة أكبر من مشكلة اعدائها . وهدفه البعيد المدى هو منع بروز اوروبا الغربية كقوة موحدة ومستقلة في السياسة العالمية .

في خطة كيسنجر الاستراتيجية كان مقدرا لناتو ان تخفض من نظام مضخم للتحالف الدولي لتصير مجموعة اقليمية من القوة الموالية لاميركا . ولم يكن ثمة مبرر لتعجب الاوروبيين من اعلانه (في ٢٣ نيسان — ابريل ، ١٩٧٣) ان « للولايات المتحدة مصالح ومسؤوليات عالمية . ولحلفائنا الاوروبيين مصالح اقليمية » . وثنائية القطب أكثر ملاءمة لنظرة كيسنجر الى ميزان القوة ، كما انها تبسط مهمة البقاء في المرتبة الاولى . ولذا كان يدعو منذ زمن بعيد وبثبات الى حرمان اوروبا دورا عالميا في السياسة العالمية .

غير ان اسبابه المعلنة كانت متنوعة ومتناقضة ، فقد اشار احيانا الى خطر الطموح الاوروبي ، واحيانا اخرى الى عدم وجوده ، كتسويغ للحد من الدور الاوروبي في السياسة العالمية . وفي اواسط الستينات انتقد حماسة الليبراليين للوحدة الاوروبية والدفاع الاطلنطي على اعتبار انها « ستولد مطالبات متزايدة بالمشاركة الاوروبية في القرارات الدولية » . (هنري كيسنجر ، « من أجل تحالف اطلنطي جديد » . **ذا ريبورتر** ، ١٤ تموز — يوليو ، ١٩٦٦) . وفي ١٩٦٨ ، قبل ان يصير مستشارا للرئيس بوقت قصير ، كرر القول انه « في حين توجد حجج قوية للشراكة الاطلنطية والوحدة الاوروبية ، فان تمكين اوروبا من لعب دور عالمي ليس احداها » . واقترح بان « التعاون بين الولايات المتحدة واوروبا يجب ان يركز على قضايا ضمن المنطقة الاطلنطية ، وليس على شراكة عالمية » . وفي هذه الحال يرى الدكتور كيسنجر ان اوروبا لم تعد اهلا للعب دور عالمي لانها خسرت النفسية الامبريالية — في ما عدا البرتغال ، كتب يقول : « تضطلع الامة بالمسؤوليات لا لان لديها موارد فحسب بل لان لها نظرة معينة الى قدرها . وكانت الولايات المتحدة خلال الجزء الاعظم من تاريخها — حتى الحرب العالمية الثانية — تملك الموارد دون الفلسفة [كذا] لدور عالمي . واليوم فان افقر بلد غربي — البرتغال — له أوسع الالتزامات خارج اوروبا لان صورته التاريخية عن نفسه قد أضحت مرتبطة بممتلكاته في ما وراء البحار . ومن غير المحتمل ان يحقق هذا الشرط أي بلد اوروبي آخر — ربما باستثناء بريطانيا العظمى — مهما حصل من زيادة في قوته » . (هنري كيسنجر ، **سياسة الولايات المتحدة الخارجية : ثلاث مقالات** ، **المصدر نفسه** ، ص ٤١—٧٢) .

وسنبين فيما بعد ان حظ التفكير هذا كان مسؤولا ، الى حد ما على الاقل ، عن اختيار كيسنجر للبرتغال واليونان ، ولاسرائيل وايران ، لتنوب عن الولايات المتحدة في استراتيجية جنوبية خارج حلف شمال الاطلسي .

ان التناقض بين رؤية كيسنجر لاوروبا « كانعزالية » فضلا عن كونها طموحة هو تناقض ظاهري أكثر منه حقيقي ، فالفرق هو بين استنتاج تكتيكي وجغرافي — سياسي ، من الناحية التكتيكية ينظر كيسنجر الى اوروبا على انها تعبر « فترة عزلة » ، ويحتمل بالتالي ان تكون حليفة عالمية قيمة لدولة نشطة ، ومن الناحية الجغرافية — السياسية لا يسعه اعتبار وحدة اوروبا او توسيع الاسرة الاقتصادية الاوروبية — وما يترتب على ذلك من بروز قوة قارية اخرى — الا كخطر يهدد السيطرة الاميركية .

وكما قلنا سابقا ، ان تقرير الدكتور كيسنجر لمازق اميركا الجغرافي — السياسي « كدولة جزيرة » لا يتركز على الاتحاد السوفياتي وحده ، فقد استطرد يقول في المقطع المستشهد به سابقا : « اذا ما سقطت اوراسيا تحت سيطرة دولة

واحدة او مجموعة دول ، واذا ما أعطيت هذه الدولة المعادية الوقت الكافي لاستغلال مواردها ، فلا بد ان نواجه خطرا بالغا ». (هنري كيسنجر، دفاع عن المناطق الرمادية) » . المصدر نفسه .

ويرى الجغرافيون السياسيون ان مثل هذا الخطر هو أكثر ما يكون وضوحا في علاقة اوروبا الممكنة بالبلدان الواقعة جنوب البحر الابيض المتوسط حيث يوجد نحو ٧٠ ٪ من احتياطي الطاقة العالمي والكثير من موارده المعدنية .

كان البحر الابيض المتوسط منذ عصر الفينيقيين هو الطريق البحري الامبريالي التاريخي الى ثروات افريقيا وآسيا . وكانت مناطق الخلفية تزود الامبراطوريات الرومانية والبيزنطية والعربية والعثمانية بالموارد البشرية والمادية ، ووفرت هذه الموارد للفرنسيين والبريطانيين . وفي الاعوام الاخيرة فان النقص الفعلي والمحتمل في هذه المواد الخام (مثل النفط والغاز والفوسفات والنحاس الاحمر الخ) ، الضرورية للاقتصاديات الصناعية ، قد زاد الى حد هائل من الاهمية الاستراتيجية للبلدان التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي . ولا يمكن لدولة رئيسية تجتهد للمحافظة على مركز هيمنتها ان تنظر الى السيطرة على انتاج وتوزيع هذه المواد الخام الا كعامل حاسم . ولذا انتقلت بؤرة الصراع العالمي من أجل السلطة في السبعينات من المحيطين الاطلنطي والباسيفيكي الى البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي .

ان ثلاثة من الاشباح الاربعة التي ذكرنا انها تنتاب هنري كيسنجر — الاتحاد السوفياتي ، قوى التحرير الوطني ، وفقدان وسائل التأثير على اوروبا واليابان — تتركز الى الجنوب من البحر المتوسط . ويقول كاتبا سيرة حياته المعجبان به (مارفين وبرنارد كالب) ان للدكتور كيسنجر « تصورا رؤيويا لتغير محتمل « في ميزان القوة الاستراتيجي » في تلك المنطقة ، (مارفين كالب وبرنارد كالب ، كيسنجر ، بوسطن : ليتل ، براون وشركاهما ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٢) . وتنظر واشنطن بخوف شديد الى ازدياد النفوذ الروسي هناك . وهكذا عندما شاع خبر وجود الطيارين والصواريخ الروس في مصر في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، هدد الدكتور كيسنجر الوفاق ، وفي مناسبتين متعاقبتين لشرح خلفية الاخبار ، هدد « بطردهم » . كما انه يعتبر وجود قوى راديكالية وثورية في المنطقة مثيرا للقلق الى الحد ذاته . وقد هدد نيكسون بالتدخل مباشرة في الشرق الاوسط وقام بأكبر عرض للعضلات في ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧٠ ، خلال حرب الملك حسين مع الفلسطينيين . والامر الذي يدعو الى السخرية هو ان نيكسون وكيسنجر ارتكبا أسوأ فظائعهما في الهند الصينية حيث كانت القوة الاميركية تتقهقر . الا ان عروضهما الاكثر دراماتيكية في سياسة شفير الحرب ، بما في ذلك اعلان انذار نووي على نطاق العالم ، وقعت في المنطقة حيث مصالح اميركا الاستراتيجية (وتورطها العسكري المحتمل) آخذة في الاتساع .

في ما يتعلق باوروبا نجد ان البلدان التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي تحمل وعدا وخطرا في نظر الانصار المتحمسين للتفوق والسيطرة الاميركيين . واذا كان باستطاعة الولايات المتحدة ان تحفظ سيطرتها في تلك المنطقة ، وتضطلع بدور الحارس على انتاج وتوزيع النفط والمواد الخام الاخرى الضرورية للاقتصادين الاوروبي والياباني ، فانها تكون قد حافظت على وسيلة تأثير فعالة ازاء حليفاتها . والى ذلك تكون قد ضمنت امدادات الطاقة التي يحتاجها الاستهلاك الاميركي . ومن جهة اخرى ، لا يمكن لكيسنجر وزملائه الا ان يساورهم القلق حول الربط المحتمل لبلدان الشرق الاوسط بالاسرة الاقتصادية الاوروبية ، ذلك ان الدمج الاقتصادي بينهما من المرجح ان يكون على حساب الرأسمال الاميركي . والى جانب ذلك ، فانه يثير شبح « قوة قارية » اخرى .

القوى التاريخية والاقتصادية تدعم مثل هذا التطور . فللحكومات الاوروبية اسباب الزامية قوية تدعوها الى نشدان علائق وثيقة بالبلدان المنتجة في الشرق الاوسط وافريقيا . فهي تخشى نتائج التدفق الكبير للاموال الى المناطق الاخرى على نظامها النقدي . ولا يسعها ان تشعر بالاطمئنان الى امدادات مستقرة من المواد الخام حتى تصير اقتصاداتها متبادلة الاعتماد كليا مع اقتصاديات البلدان المنتجة، وحتى تكتسب النخبات العربية —الافريقية مصالح ثابتة في الاسرة الاقتصادية الاوروبية .

كما ان مجاورة بلدان الشرق الاوسط وافريقيا

لاوروبا ، وتاريخ لقائها الطويل معها ، يعملان كحافزين لارتباطها المتزايد بالاسرة الاقتصاديـــة الاوروبية ، والبنى التربوية والاقتصادية والادارية لهذه البلدان هي الى حد كبير ارث استعماري ، وثقافة نخباتها الحاكمة اوروبية بصورة جزئية على الاقل ، ولذا تميل العلاقات العملية بينها وبين الاوروبيين الغربيين الى ان تكون أسهل منها مع الاجانب الآخرين . وكون دول اوروبية مثل بريطانيا وفرنسا (أو بلجيكا وهولندا) قد انسحبت رسميا من المستعمرات ، ولا تملك ما يكفي من القـوة العسكرية لاثارة الخوف ، وتبدو وكأنها خسرت نفسيتها الامبريالية ، قد زاد من جاذبية اوروبا كشريك اقتصادي في نظر البلدان المنتجة .

ان قادة « الدولة الجزيرة » ينظرون الى بروز التعاون الاقتصادي الاوروبي — العربي والاوروبي — الافريقي ، على الارجح ، على انه خطر بعيد المدى أعظم مـــن التحدي الفعلي الذي يطرحه الاتحاد السوفياتي . وفي الخطاب الذي القاه كيسنجر في الثالث والعشرين من نيسان ١٩٧٣ وحدد فيه سياسته ، قال بصراحة ان « احتمالات نظام تجاري مغلق يضم الاسرة الاوروبية وعـــدد نام من الامم الاخرى في اوروبا والبحر المتوسط وافريقيا ، تبدو على حساب الولايات المتحـــدة الاخرى المستثناة » . وقلقه مفهوم ، اذ ان سوقا مشتركة تتألف من نحو ٦٠٠ مليون نسمة ، وقاعدة اوروبا الصناعية المتقدمة ، ومجمع كبير للايدي العاملة ، واغنى تراكمات طبيعية في العالم للطاقة والموارد المعدنية ستصير بصورة محتومة موضع قوة هائل . ولكي تبقى واشنطن في مركزها المتفوق الاول عليها بطريقة ما ان تحافظ على دور مسيطر في منطقتي البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي .

ويسعى الدكتور كيسنجر الى تحقيق هذا الامر عنطريق المناورات الدبلوماسية والمحافظة علىتفوق اميركا العسكري . واحد أسباب ذلك ، كما أشار نقاده على الدوام ، هو انه لا يحسن فهم الاقتصاد ، وتثير تعقيداته سأمه ، ويعتقد ان الواقع عرضة للتلاعب السياسي والعسكري ، لكن الســـبب الرئيسي هو انه يفهم فهما كافيا ليدرك ان الولايات المتحدة خسرت الكثير من وسائل ضغطهــــا الاقتصادي ، ولذا ينبغي ان تكون القـــــوة والدبلوماسية اداتيه الرئيسيتين لاستمرار الهيمنة الاميركية .

بحلول ١٩٦٨ ، عندما وصل كيســنجر الى السلطة ، كان « واضحا تمام الوضوح » ان الولايات المتحدة تخسر تفوقها الاقتصـــادي على اوروبا واليابان . فقد كان معدل نموها متخلفا وراء معدليهنموهما . وكانت موازين مدفوعاتها تزداد سلبية سنة بعد سنة . ويقول ماكس سيلبر شميت ان ديون الدولار القصيرة الامد كانت قد ارتفعت الى ٣٣ بليون دولار عام ١٩٦٨ . وبحلول ١٩٧١ كانت قد تضاعفت تقريبا الى ٦٣ بليون دولار . وفي ١٩٧٤ تخطت المئة بليون دولار بكثير . (ماكس سيلبر شميت ، **الـــولايات المتحـــدة واوروبا** . هاركورت ، برس ، ١٩٧٢ ، ص ١٨٩ ، استشهد به جوفري باراكلو في « نهاية حقبة » ، **نيويورك تايمز ريفيو اوف بوكس** ، المجلد ٢١ ، العدد ٢ ، ٢٧ حزيران — يونيو ، ١٩٧٤ ، ص ١٨) . لقد صارت حكومة نيكسون — كيسنجر الاولى في القرن العشرين التي حققت للولايات المتحدة عجزا في حساب تجارتها الخارجية ، بلغ ١٢ بليون دولار عام ١٩٧١ ، وذلك ، الى حد كبير ، بسبب التدخل الاميركي المستمر والباهظ الثمن في الهند الصينية ، وبسبب الانفاق على المعونة العسكرية والقواعد العسكرية ونشر القوات والاسلحة في الخارج ، وبسبب المنافسة من اليابان واوروبا . وفقـــد الدولار قابلية تحويله في آب (أغسطس) من تلك السنة ، وكان في الطريق الى خفض قيمته .

كانت الخلافات الاوروبية — الاميركية الاشد خطورة ، كما هو متوقع ، حول مسائل التجارة والتثمير والعلاقات المالية . وظهرت هذه الاختلافات على السطح بصورة دراماتيكية نوعا ما في سنة ١٩٧٣ خلال الحرب العربية — الاسرائيلية عندما احتجت حليفات مقربة مثل المانيا الغربية علنا على استخدام مرافئها لامدادات الاسلحة الاميركيـــة لاسرائيل ، وحظرت الحكومة البريطانية استعمال قاعدتها في قبرص للاستطلاع . وفي ما عدا البرتغال الفاشية تصرفت جميعها ، كما تذمر كيســنجر بمرارة لجماعة من البرلمانيين الاوروبيين ، « كأن التحالف غير موجود » . فان سياسته الرامية الى استخدام امتياز الولايات المتحدة الاستراتيـــجي لتأمين الامتثال الاوروبي كانت لها حدود . وينطبق

الكلام نفسه على توسله الاخوة الاوروبية .

كانت ادارة نيكسون تنتهج سياسة تهدف الى تأمين خضوع اوروبا واليابان طوال مدة حكمهــا الاولى ، وفي المدة الثانية حتى الحرب العربية ـــ الاسرائيلية في تشرين الاول ١٩٧٣ على الاقل . وسعت الى ابعادها عن مصاف الدول العالمية عن طريق تركيز بحثها عن توازن مستقر عــلى الدول العسكرية الرئيسية ـــ الولايات المتحدة ، روسيا ، وجمهورية الصين الشعبية. وهذا الاختيار أفسح في المجال ، على حد تعبير الاستاذ ستانلي هوفمان ، زميل كيسنجر السابق وصديقه والآن أحد نقاده ، « للعمل البارع البسماركي الجديد ، اي التلاعب بجميع العلاقات ـــ وهو عمل غذ لا تستطيع موسكو ولا بيكين القيام به نظرا الــى العداوة بينهما » . الوفاق ، اذا ، يؤدي وظيفة استمرار حالة « ثنائية القطب » التي تبقى فيها الولايات المتحدة متفوقة استراتيجيا على الاتحاد السوفياتي ، (ستانلي هوفمان ، « اختيارات » ، **السياسة الخارجية** ، خريف ١٩٧٣، ص ٣ ـــ ٤٢، ص ١٣) . وفي هذا الامر يوجد اقتران في المصالح الروسية ـــ الاميركية ، اذ ان ثنائية القطب ملائمة لهما معا . والى ذلك فان روسيا هي ايضا حذرة من الارتباط الاوروبي بالبلدان الواقعة الى جنوب البحر الابيض المتوسط . لذا يمكننا ان نتوقع من موسكو ان تتعاون مع واشنطن في احباط قيام دور اوروبي مستقل في تلك المنطقة في ما هي تسعى الى توسيع نفوذها هناك .

يسمي الفرنسي الفرد غروسر اوروبا « اسرة التوعك » ازاء الولايات المتحدة (الفرد غروسر ، «اوروبا: اسرة التوعك» **السياسة الخارجية**، صيف ١٩٧٤) . لان توقها الشديد الى الاستقلال حقيقي صادق لكن اعتمادها العسكري على الولايـــــات المتحدة أساسي جوهري . فاحتياجات اوروبا ، الامنية ، كما يراها راسمو سياستها ، تتطلب تحالفا عسكريا مستمرا مع الولايات المتحدة . واوروبا بلا دفاع استراتيجي غير مقبولة لديهم لانهم يخشون ان تفضي الى سيطرة روسيا عليها . ومع هذا لا يمكن تصور سياسة دفاع اوروبية لانه لا يسعها ان تستثني مشاركة المانيا النووية ولا ان تعترف بها . ويدرك كيسنجر ذلك وهو مصمم على استغلاله كوسيلة للترغيب والترهيب في اوروبا .

وقد كتب عام ١٩٦٨ فيما هو يجادل داعيا الى قصر المشاركة الاطلنطية على تحالف اقليمي فقال : « ان المصلحة الذاتية تملي التعاون الوثيق بين اوروبا والولايات المتحدة في الحقل العسكري ، واوروبا تكسب من هذا التعاون أكثر مما ستكسبه الولايات المتحدة » . (هنري كيسنجر ، **السياسة الخارجية الاميركية : ثلاث مقالات** ، ص ٧٥) . وقد يكون الوفاق عزز وسيلة الضغط الامنيـــــة المتوفرة لاميركا على اوروبا وذلك ، يقول ستانلي هوفمان ، لان « اتجاه (الترابط) يمكن عكســه الآن : فطالما ظلت معضلتنا الامنية حادة كمعضلة حليفاتنا ، كان علينا ان نقبل عوائق اقتصادية معينة مقابل خضوعها العسكري ، وبامكاننا الان ان نستغل احتياجاتها الامنية من أجل التعويض الاقتصادي » . (**المصدر نفسه**). لا بد من الملاحظة ان نيكسون ، منذ رسالته عن « حالة العالم » في ١٩٧٣ ، وكيسنجر ، منذ خطابه حول جهاز اطلنطي جديد ، كانا واضحين في ربطهما قضايا الامـــن بقضايا العلاقات الاقتصادية مع اوروبا .

كيسنجر و « استراتيجيته الجنوبية »

بطريقة جوهرية أكثر ، لم تكن خطة كيسنجر الاستراتيجية تهدف الى حصر الاتحاد السوفياتي ، وخلق ادوات فعالة « للقمع الاجتماعي » في العالم الثالث فحسب ، بل كذلك الى الالتفاف حول حلفائه الاوروبيين . وكان أحد تحركاتها الاساسية في اتجاه خلق تحالف عسكري غير رسمي ، ولكنه متماسك ، في منطقتي البحر الابيض المتوســــــط والمحيط الهندي للاضطلاع بالدور الذي كان في السابق مسندا الى حلف شمال الاطلسي وميثاق بغداد (السنتو) السيء الطالع . ويبدو انه وقع الاختيار على اسبانيا والبرتغال وتركيا واليونان واسرائيل وايران والعربية السعوديـــة كزعيمات للسلام الاميركي . أما الدول التابعة الاضعف ، مثل اثيوبيا والاردن ، فستكون بمثابة بدائــــل ثانوية ، كانت هذه هي النسخة المتوســـــطية (نسبة للبحر المتوسط) من « الاســــتراتيجية الجنوبية » لنيكسون ، وهي الاستراتيجية التي كانت تعني في الداخل اعادة تنظيم الحـــــزب الجمهوري ليوحد قواه مع قوى اليمين واستبعاد عناصر الوسط منه .

اتضحت العناصر الاساسية لخطة كيسنجـــر

بحلول خريف ١٩٧٠ خلال زيارة نيكسون الى البحر الابيض المتوسط ، كما كان يمكن رؤيتهــــا في التطورات المتناقضة ظاهريا المرتبطة بوقف النار على طول قناة السويس . وفي مقالات كتبتها انا آنذاك اشرت الى ان خطة روجرز ، التي وضع مسودتها ، في الواقع ، جوزف سيسكو خـــلال عمله مع هيئة موظفي كيسنجر في البيت الابيض ولا شأن لرجال روجرز في وزارة الخارجية بها ، كانت تهدف الى تحقيق بعض المكاسب التكتيكية وليس الى تحقيق تسوية في الشرق الاوسط . وتشير الادلة كذلك الى انه فيما صار وزير الخارجية روجرز يحمل الخطة على محمل الجد ، عمد الى تقويض مركزه هنري كيسنجر الذي بقيت علاقاته العملية الحميمة بالحكومة الاسرائيلية سرا مكتوما بدقة ، حتى الآونة الاخيرة . (أنظر برنارد ومارفين كالب ، **كيسنجر** ، **المصدر نفسه** ، ص ١٨٦ — ٢٠٩ من أجل أمثلة على جلسات التخطيط السرية التي عقدها السفير الاسرائيلي اسحق رابين مع كيسنجر . ويقول برنارد ومارفين كالب ان رابين « يذكر باعتزاز انه يعرف من الداخل والخارج السرية للقصر التنفيذي [للبيت الابيض] أكثر مما يعرف البوليس السري الاميركي ». ص ٢٠٤).

لم يحقق وقف النار الذي اوجدته خطة روجرز الا الاهداف التكتيكية التالية : (١) سحب الفتيل من المواجهة على طول قناة السويس وتجميــد الوضع لمصلحة اسرائيل . (٢) ابطاء معونـــة الاسلحة السوفياتية والنفوذ السوفياتي النامي في الشرق الاوسط في وقت كانت واشنطن تنظر فيه بخشية الى التوزيع المصري لصواريخ ســــام المضادة للطائرات ووصول طائرات الميغ بقيــادة طيارين سوفياتيين الى الشرق الاوسط . زيادة الانقسام بين العرب ، وعزل الفلسطينيين الذين صاروا من ثم هدفا سهلا نسبيا للملك حسين .

زيارة نيكسون للاسطول الســادس في ١٩٧٠ أبرزت الاهمية التي يعلقها على البحر الابيــض المتوسط خصوصا وان زيارة الرئيس الامـــيركي تركزت على حاملة الطائرات ساراتوغا التي كانت ، في خطة حسنة التنسيق مع اسرائيل ، متأهبــة لتدخل محتمل في الاردن . وفي هذه الاثناء حل وزير الدفاع الاميركي ليرد ضيفا على المجلــــس العسكري الحاكم في اثينا معطيا ما وصفــــــه « بالاولوية العليا » لـــ « تحديث » القـــوات اليونانية . وبعد ذلك ازدادت العلاقات العسكرية الاميركية — اليونانية وثوقا ، واكتسبت البحرية الاميركية مرافىء « لايوائها » في اليونان . ووقعت تطورات مماثلة بالنسبة الى تركيا واسبانيا . ومع البرتغال توصلت الولايات المتحدة في جزر الأزور الى احدى أكثر صفقاتها الدفاعية شمولا .

اسبارطة في خدمة روما

اذا كان يجري تحضير هذه الدول لتعمل كخفراء او حراس ، فقد بدا انه أسند الى اسرائيل وايران دور مدير الشرطة . فقد كانت اسرائيل تتمتع بجميع مواصفات البديل المثـــالي . وكان عرضها العسكري في ١٩٦٧ موضع حسد غــير خجول لدى رؤساء الاركان العامة الفيتناميــــين الخائبين . وكان سلاحها الجوي يعتبر رادعا فعالا ضد الهجمات السورية والعراقية او الليبية على حليفات اميركا . وكانت هي الدولة الوحيدة التي تتمتع بالاختيار النووي في المنطقة بين فرنســـا والهند ، كما ان تقدمها التكنولوجي العالي التعقيد أعاد تطمين المسؤولين الاميركيين الذين احتفظوا ، رغم الفيتنام ، بايمان عميق في القوة الحاسمة للآلات . وفوق كل شيء كان اعتمادها الاقتصادي والعسكري على الولايات المتحدة يعتبر دائما ، وبناء عليه افترضت ديمومتها كحليفة . وكانت الصورة هي صورة اسبارطة في خدمة روما : فرصة لا يمكن مقاومتها .

كذلك أخذ البيت الابيض ينــظر الى التعزيز العسكري لاسرائيل على انه شيء نافع وثمين في ضمان مشاركة الكونغرس ، حيث تتمتع اسرائيل بتأييد اجماعي تقريبا ، في جريمة حرب الهنــــد الصينية ، وموافقته على مخصصات الدفـــــاع المتزايدة ابدا ، وفي ما يتعلق باسرائيل نفسها أعطى الكونغرس رئيس الجمهورية ، في سبتمبر ١٩٧٠ ، ما وصفته **النيويورك تايمز** بأنه « برنامج شـــراء الاسلحة الاكثر تحررا من القيود في العالم » . (٢٩ سبتمبر ، ١٩٧٠) . وقد بدا جون ماكورماك ، رئيس مجلس النواب ، مذهولا بعض الشيء ، اذ قال : « انني لم ار ابدا خلال الاعوام الاثنين والاربعين التي أمضيتها كعضو في هذه الهيئـــة [أي الكونغرس] لغة من هذا النوع تستخدم

في ترخيص او مشروع قانون للمخصصات » . (ملاحظة : لقد أعطى مشروع القانون هـــذا السلطة التنفيذية ترخيصا شاملا لتزويد اسرائيل « بأسلحة ارضية مثل الصواريخ والدبابات ومدافع هاوتزر عديمة الارتداد، وناقلات جنود مدرعة الخ، نضلا عن الطائرات » . وكان القصد منه ، وفقا لما قاله مبندل ريفرز ، رئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب، هو ان « يوفر لاسرائيل النطاق الكامل للاسلحة الاميركية ») . وقد زودت ادارة نيكسون اسرائيل ، في اعوامها الخمسة الاولى ، بكمية من المعونة العسكرية تزيد بنحو ٢٠ مرة عما تدمته اليها الحكومات السابقة لها في ٢٠ سنة . (أنظر تقارير « ميريب » ، العدد ٣١ ، اكتوبر ١٩٧٤ ، العدد ٣٠ ، اغسطس ١٩٧٤ ، العدد ٨ ، مارس — ابريل ١٩٧٢) . وبعدما تجهزت اسرائيل بالاسلحة الهجومية الاكثر تقدمـــا في المستودع التقليدي للولايات المتحدة ، بدا وكأنها صارت الدولة الكبرى في الشرق الاوسط . وبالفعل فان قوة تأثير تهديدها المدعوم من الولايات المتحدة بالتدخل في احداث ايلول الاسود في الاردن أكدت هذه المنزلة ، وكرست التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل . ولم يتمتع أي بلد آخر في العالم بمثل هذا الالتزام الكامل مـــن الولايات المتحدة . ولم تحقق أية دولة اخرى في التاريخ منزلة الدولة القوية على أساس الدعم الاجنبي وحده تقريبا . وفي هذا الاطار وحده يمكن للمرء ان يفهم الدعم الاسرائيلي النشيط لاعادة انتخاب ريتشارد نيكسون في اميركا التي تسيطر عليها الاصوات الديموقراطية اليهودية ، واعلان نيكسون انه لا يمكن ان يكون هناك أمن قابل للتطبيق لاسرائيل دون التحالف العســكري الاميركي مع المجلس العسكري الحاكم في اليونان.

جيمس وليام فولبرايت : تقييم سياسي ، ومقابلة صحفية

سلمى حداد

بمناسبة انتهاء عضوية السناتور فولبرايت بمجلس الشيوخ الاميركي كتبت الانسة سلمى حداد ، احدى مراسلاتنا في الولايات المتحدة ، هذا التقرير المزدوج ، الذي يتضمن تعريفا نقديا للرجل ولدوره ولتفكيره ، ومقابلة أجرتها المراسلة معه في اليوم الثاني من ينابر ١٩٧٥ في مكتبه في مدينة واشنطون ، وكان هو الحديث الاخير الذي يدلي به قبل مغادرته منصبه في الكونغرس .

لم يعرف تاريخ الولايات المتحدة الحديث شخصية مثيرة للجدل مثل شخصية السناتور جيمس وليام فولبرايت . فلقد وصف هذا السياسي الاميركي بالعملاق ، والفيلسوف ، والاممي ، وداعية السلام ، والمعارض ، والشيوعي ، واللااميركي ، والانعزالي الجديد ، والعنصري ، والخائن ، الى غير ذلك من النعوت التي يستشم منها المديح أو القدح . وكانت طبيعة الصفة التي تلصق به تختلف باختلاف المكان والزمان والقائل بكل ما يحمله من خلفيات ايديولوجية . وفولبرايت سياسي معروف يستند الى رأيه في العالم وفي بلاده . ولقد كان عدد مؤيديه والمعجبين به لا يحصى ، وكانت لائحة أعدائه ومهاجميه في الوقت نفسه طويلة تضمنت ، كما يقول مساعده في عام ١٩٦٢ « اتباع جون بيرشيرز ، والمكارثيون ، والغولدووتريون ، والثرموندیون ، والديكسيكرانيون ، والعسكريتاريون ، والانعزاليون ، والصهاينة ، والالمان ، والكاثوليك ، والشيوعيون الوطنيون ، والكوريون ، والليبراليون — في ليتل روك بصورة خاصة — ، ودعاة القوة ، والمحاربون القدامى ، والمزارعون »(١) .

وكان للسناتور فولبرايت ولا شك سجل سياسي حافل بالمواقف المتضاربة . فمواقفه ممتدة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . وهو جريء الى حد التهور ، وحذر حتى السلبية والمطالة . كما انه محافظ وليبرالي بآن واحد . وكان فولبرايت مؤهلا لان يعلو الى مرتبة تفوق مقعده في مجلس الشيوخ ، ولكنه أنهى دوره السياسي العام — على طريقة الاساطير الاغريقية — بهزيمة مذهلة ، تمثلت بفوز منافسه حاكم اركانساس ، ديل بامبرز .

ويمكن القول بأن فولبرايت كان نافذة من النوافذ الاميركية النادرة المفتوحة على العالم ، والتي تسمح بدخول النسمات السياسية المنعشة ، ومرورها فوق المسرح السياسي الاميركي الموبوء . وكان بالاضافة الى ذلك صوت الضمير والحكمة داخل مجلس الشيوخ وخارجه ، وان كان هذا الصوت يدوي غالبا كصرخة في واد . وفولبرايت صورة حية للوطني المخلص الذي طالما حلم لبلاده بدور مثالي خلاق في العالم ، ومثال للناقد اللاذع الذي هاجم الادارات الاميركية من عهد الرئيس ترومان

حتى عهد الرئيس فورد . وكان اطار انتقاداته واسعا الى أبعد مدى . فلقد هاجم البيروقراطية المعششة في جهاز الحكم الاميركي ، وهاجم « الخرافات »(٢) المسيطرة على ركائز السياسة الاميركية . وكان أول من هاجم السناتور جوزيف مكارثي وخوفه المرضي من الشيوعية . وكانت له بالطبع أخطاؤه وهفواته وتناقضاته التي نجم بعضها عن مثالية مفرطة ، أو فلسفة غيبية ، أو اعتبارات انتخابية محدودة الآفاق .

ولد فولبرايت في نيسان (ابريل) ١٩٠٥ . ومع ان اسمه جيمس وليام ، فقد كان يفضل اسم وليام . نشأ في فاييتفيل (اركانساس) ، ودرس في جامعة أركانساس ، وحصل على «منحة رود» التي خولته ان يدرس في جامعة اوكسفورد (بريطانيا) لمدة ثلاث سنوات . وكان لهذه الفترة التي قضاها خارج القارة الاميركية أثر واضح في انفتاحه على العالم . وعندما عاد الى بلاده درس الحقوق في جامعـة جورج تاون (واشنطن) ، حيث غدا استاذا لمادة الحقوق فيما بعد . ثم ترأس جامعة اركانساس حقبة من الزمن .وفي ٣ تشريـن الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ انتخب فولبرايت كنائب في الكنغرس عن ولاية اركانساس ، ثم لم يلبث بعد سنتين ان انتخب عضوا في مجلس الشيوخ عن الولاية نفسها . وفي العام ١٩٥٩ . انتخب لمنصب رئيس مجلس الشيوخ للشؤون الخارجية . وبقي يمثل ولايته فـي مجلس الشيوخ ويترأس هـذه اللجنة الهامة حتى هزمه ديل بامبرز — الذي أطلق عليه لقب قاتل العملاق — في الانتخابات الاولية داخل الحزب الديمقراطي (أيار ١٩٧٤) .

كتـب السناتور فولبرايت العديد مـن الكتب : « الخرافـات القديمة والوقائـع الجديدة » ، و « وقاحة القوة » ، و « الاحتمالات امام الغرب » و « آلة البنتاغـون الدعائية » ، وغيرها ، بالاضافة الى مئات المقالات والمحاضرات . وترك في الكنغرس بصماته الواضحة ،اذ قلما بحثت قضية محلية او دولية الا وكان له فيها كلمة او اثر . ويعتبر فولبرايت من المساهمين في انشاء الامم المتحدة ، فهو واضع « قرار فولبرايت » الذي يدعو الولايات المتحدة الى انشاء جهاز دولي لمنع الحروب في المستقبل (نيسان ١٩٤٣) ، كما انه واضع « قرار فولبرايت لتبادل الطلاب » الـذي يحصل مـئات الطلاب بموجبه حتى اليوم ، على المنح الدراسية (١٩٤٦) .

ولا يمكن تقييم حياة فولبرايت السياسية بمعزل عـن تاريـخ السياسة الاميركية خلال الربع الفائت من هذا القرن . فلقد عارض السياسة الخارجية الاميركية التي كان يرى انها تستخدم سلطتها في الخارج بشكل ثقيل وفج ، الامر الذي يسيء اليها في أغلب الاحيان . وكان من القلائل الذين نصحوا الرئيس كندي بعدم غزو كوبا (عملية خليج الخنازير) ، كما عارض تدخل الرئيس جونسون في الدومينيكان ، وهاجم بشدة التورط في حرب فيتنام ، ولم يوافق يوما على السياسة الاميركية في الشرق الاوسط . ومن أهم مواقفه السياسية الخارجية معارضته للسياسة الرسمية ازاء الاتحـاد السوفييتي ، واستخدام التجارة للضغط على موسكـو بغية تسهيل هجرة اليهـود السوفييت ، نظرا لايمانه بأن هذه المسألة لا تمس المصالح الاميركية مـن قريب او بعيد ، وتهدد على العكس بتدمير الوفاق الدولي(٣) .

وكانت النقطة السوداء الاساسية في سجله السياسي ، مواقفه مـن الحقـوق المدنية . ويرجع السبب في ذلك الى انه كان يمثل ولايـة اركانساس في الجنـوب ، ويتضامن مع شيوخ الجنوب الذين يمثلون ولايات ما زالت تمارس التمييز العنصري بشكل او بآخر . وكانت رغبته في تأمين مقعده النيابي ، وحاجته لدعم كتلة ممثلـي ولايات الجنوب وكسب اصواتها داخل مجلس الشيوخ ، تدفعانه الى اخذ مثل هذا

الموقف الذي يشكل من وجهة نظره التزاما بمطالب ناخبيه البيض ، الذين يمثلون غالبية الناخبين ، ويعارضون اي اجراء لتصفية التمييز العنصري . ولا يمكن اعتبار فولبرايت لهذا السبب عنصريا ، ولكنه كان امام اختيارين : التخلي عن مقعده ودوره السياسي ، او مجاراة اكثرية ناخبيه ، فاختار الثاني .

ومن مواقف فولبرايت الغريبة ، تأييده للانذار الذي وجهه الرئيس كندي الى الاتحاد السوفييتي خلال ازمة الصواريخ الكوبية (رغم موقفه السابق ضد غزو كوبا) . فلقد كان يخشى ان تغدو كوبا قاعدة صواريخ نووية سوفييتية . وكان يعتبر ان مثل هذا الامر يمكن ان يؤدي الى صدام بين العملاقين ، ويزيد من اخطار الحرب النووية . وهناك ايضا تأييده لموقف الرئيس جونسون ، عندما قرر قصف جمهورية فييتنام الديمقراطية الشعبية كرد على الهجوم الذي شنته القوات الفيتنامية على مدمرتين اميركيتين في خليج تونكسان بتاريخ ١٤ اب (أغسطس) ١٩٦٤(٤). ويفسر المحللون السياسيون موقف فولبرايت هذا ، بـأن السيناتور الجمهوري اليميني المتطرف باري غولد ووتر — العدو الشخصي لفولبرايت — كان في ذلك الوقت قد اعلن عن ترشيحه لمنصب رئاسة الجمهورية ، لذا رأى فولبرايت ان عليه ان يعزز موقف جونسون ويؤيد قراره الذي كان أول خطوة في التورط الاميركي في فييتنام ، مع ان فولبرايت هو اول من هاجم هذا التورط .

ورغم هذه المواقف الخاطئة والمنتقدة ، فقد كان فولبرايت ، بصورة عامة ، رجلا صادقا مع نفسه ، يتمسك بمبادئه ومواقفه ويدافع عنها دون مراوغة . فهو يقول ما يعتقده صوابا ، حتى ولو كانت مشاعر الرأي العام الاميركي متعارضة مع مواقفه وقناعاته .

ان السؤال الذي حير الكثير من المعلقين الاجانب — لان المعلقين الاميركيين يعرفون الجواب — هو ، لماذا هزم فولبرايت بهذه الصورة ، وفي هذا الوقت بالذات ؟. ولقد قيل في الرد على هذا السؤال : انه تكاثر الاعداء ، كما قيل : خيبة أمل ناخبيه ، او سجله المليء بالمواقف المتباينة ، او كبر سنه (٦٩ عاما) ، او ووترغيت . . . الخ. والواقع ان لفولبرايت ، كما لكل سياسي في العالم ، اعداء . فهو يلعب دوره على المسرح السياسي منذ عام ١٩٤٢ . ومن الطبيعي ان يكون له خصوم واعداء ومعارضون . ولكن غالبية المعسكر المعادي له كانت تفضل بقاءه في الكنغرس ، لانها تقدر ثقافته وجرأته ووطنيته ومواقفه التي برهنت الاحداث على صحتها . ولكن عدوا واحدا بقي متربصا له ومصمما على اسقاطه ، دون ان يهتم بأية مصلحة اخرى غير مصلحته الذاتية . وكان هذا العدو هو : الصهيونية . ولولا قوة شخصية فولبرايت ، ونزاهته في بلاد الرشوة والصفقات المشبوهة ، ومكانته العالمية ، وشعبيته ، وقدرته النابعة من خبراته وحنكته السياسية ، ومهارته ، في صياغة القرارات بدبلوماسية وصبر بشكل يضمن موافقة الكنغرس عليها ، لما استمر على المسرح السياسي ٣٢ عاما . وعندما تكاملت الظروف الملائمة لضربه ، انقضت عليه الصهيونية ، وجعلت هزيمته تبدو وكأنها طبيعية وناجمة عن ضياع شعبيته وتضاؤل كفاءاته . وهذا ما بعث المرارة في نفسه — رغم قوله بأنه لا يشعر بأية مرارة — .

ومن المؤكد أن الصهيونية لم تهادنه يوما، فلقد حالت دون وصوله الى مناصب عليا كان اجدر بها من غيره ، ووقفت في الانتخابات الى جانب خصومه ، الامر الذي جعل الرئيسين كندي وجونسون يحجمان عن تسليمه اي منصب وزاري ، رغم احترامهما لرايه ، واستشارتهما له في الامور الهامة . ويؤكد هذا القول حادثة مشهورة دارت

فصولها في أول عهد الرئيس كندي . فلقد استدعى الرئيس كندي السناتور فولبرايت الى بالم بيتش وفي نيته ان يعرض عليه استلام منصب وزير الخارجية ، فشنت الصهيونية على هذه الفكرة حملة شعواء احرجت موقف الرئيس ، عندها انفرد والد كندي بفولبرايت وقال له : ان الصهاينة واليهود « فتحوا جهنم ! » عندما سمعوا بهذا التعيين(٥) .

لم يكن فولبرايت يوما الرجل المدلل في الصحافة الاميركية الصهيونية . وعندما خسر مقعده النيابي استبشرت الصهيونية خيرا ، واعتبرت الحدث كسبا لها ، وعبرت عن ذلك بشكل مكشوف في صحفها من الدرجة الثانية ، مثل : « جويش برس » ، و« جويش جورنال » ، وغيرها . اما الصحف الصهيونية من الدرجة الاولى ، مثل : « نيويورك تايمز » ، و « واشنطن بوست » .. الخ ، فقد عالجت الموضوع بشكل خفي ، وهاجمته بلباقة مركزة على نقاط ضعفه ، ومؤكدة ان فشله في الانتخابات يعود الى قدرة منافسه . ولمحت هذه الصحف الى كبر سنه بالمقارنة مع سن منافسه (٤٩ عاما) ، كما اشارت الى أن غيابه عن اركانساس ، ووجوده المستمر في واشنطن ، ابعداه عن ناخبيه ، واتهمته ايضا بأنه اهتم بالسياسة الخارجية اكثر من اهتمامه بالسياسة الداخلية وحل المسائل الملحة . وترى هذه الصحف ان الناخب يعتبر فولبرايت شخصا ذا اهتمامات عالمية ، ومثقفا اكثر مما ينبغي . ولكن هل كان ناخبو اركانساس بحاجة لاثنين وثلاثين عاما حتى يكتشفوا هذا الامر ؟

وكما تحاول الصهيونية استغلال كل المناسبات لمهاجمة خصومها ، فقد حاولت استغلال قضية ووترغيت لمهاجمة فولبرايت الذي لم يكن متورطا في هذه القضية بأي شكل . وعندما لم تستطع ربط اسمه بالفضيحة ، اتجهت نحو التركيز على ضرورة البحث عن وجوه جديدة ودم جديد . ولقد ادعت الصهيونية بأن فولبرايت يقبض اموالا من شركات البترول ، ولكنها لم تستطع اثبات ذلك . وبقي السناتور فولبرايت الرجل النزيه القادر على متابعة اتهام الصهيونية بالرشوة وممارسة العمليات المالية المشبوهة وتقديم المستندات والوثائق التي تثبت ما يذكره من وقائع . ولقد اثار هذا الموضوع في مجلس الشيوخ اكثر من مرة . وهاجم في احدى المرات « المجلس الصهيوني الاميركي » الذي كانت تستخدمه احدى الوكالات اليهودية لتحويل الاموال بغية استخدامها لغايات دعائية وتحاشي الادلاء بمعلومات حول كيفية استخدام الاموال . ولقد طالب فولبرايت باجراء تحقيق حول هذا الموضوع . واظهرت التحقيقات ان « المجلس الصهيوني الاميركي » استلم من الوكالة اليهودية المذكورة المرتبطة بصلة وثيقة مع اسرائيل ، مبلغ خمسة ملايين و ١٠٠ الف دولار ، في الفترة الواقعة بين كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ وكانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ ، ووهب هذه الاموال الى هيئات وجماعات بغية اكتساب التأييد لاسرائيل وللاهداف الصهيونية(٦) .

ومهما كان دور الصهيونية في خروج فولبرايت من الكنغرس ، فقد حقق غياب العملاق عن المسرح السياسي هدفا من اهداف الحملة التي تشنها الصهيونية منذ العام ١٩٧٣ لتشويه سمعة الساسة الاميركيين الذين لا يتبنون مواقفها ، وابعاد من تستطيع ابعادهم . وتعرف الصهيونية ان فولبرايت رجل قادر على ازعاجها ، وأن حملاته على اخطاء السياسة الخارجية الاميركية حادة قوية الاصداء ، وان سجله حافل بالانتقادات اللاذعة الموجهة الى السياسة الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط وكوبا والدومينيكان والصين وفييتنام . ولذا فهي ترى أن ابتعاده الان عن المسرح السياسي امر هام ، خاصة وأن حرب ١٩٧٣ وما رافقها من تدابير نفطية عربية ،

قد اظهرت بوضوح مدى احتمالات تورط الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، سواء لانقاذ العسكرية الاسرائيلية من الانهيار اذا ما تعرضت لضربة من طـراز ضربـة ١٩٧٣ ، او التدخل عسكريا ضد الدول المنتجة للنفط . ومن المؤكد ان وجود رجل مثل فولبرايت داخل الكنفرس ، ومعارضته الشديدة للتورط الاميركي ، لا يمكن ان يعدلا مجرى السياسة الامبريالية الاميركية ، او يوقفا توجه الادارة الاميركية نحو التدخل العسكري ، ولكن صوته القوي كان من شأنه اثارة اهتمام شريحة من الراي العام الاميركي ، ولفت نظرها الى الاخطار الكامنة وراء مثل هذه المغامرة ، خـاصة وان الحرب الفيتنامية جعلت الراي العام الاميركي حساسا جدا ضد فكرة ارسال جنـود اميركيين الى ما وراء البحار ، للمشاركة في حرب طويلة الامد ، باهظة التكاليف .

ان غياب فولبرايت سيجعل مؤيدي الصهيونية ، من امثال السناتور جاكسون، اكثر قدرة على الحركة والتأثير في مجال السياسة الخارجية الاميركية ، خاصة وان السناتور الديمقراطي جورج سباركمان ، الذي سيخلف فولبرايت في رئاسة لجنـة مجلس الشيوخ للشؤون الخارجية، شخص يؤيد السياسة الخارجية للادارة الاميركية، وان ابدى عليها احيانا بعض التحفظات . وبالاضافة الى ذلك ، فقد اختـار اعضاء مجلس الشيوخ من الديمقراطيين ، في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، زعيما جديدا للاقلية (Minority Leader) في مجلس الشيوخ عن الشيوخ الديمقراطيين هو السناتور الديمقراطي مانفرد اوهرنشتاين (ولاية نيويورك) اليهودي الصهيوني الذي اشتهـر بذلاقة لسانه ، وقدرته الخطابية ، واستعداده للجدل والمناظرات ساعات طويلـة الامر الذي سيدعم وجهة النظر الصهيونية في الكنغرس بشكل ملحوظ . ولا يقتصر الامر على الديمقراطيين ، بل يمتد الى الجمهوريين الذين يحـاول زعيمهم الصهيوني جافيتز ومؤيدوه ايصال جافيتز الى منصب زعيم النواب الجمهوريين داخـل مجلس الشيوخ ، وهو منصب حساس كبير الاهمية .

ان السناتور فولبرايت ، الذي انتقد السياسة الاميركية في الشرق الاوسط منذ الاربعينات ، لم يكن يوما من الايام عربي الموقف . ولكنه كان دائما ، ولا يزال ، مواطنا اميركيا ، يقدم مصلحة بلاده على اية مصلحة اخرى ، ويرى ان الترابط العضـوي الاميركي — الصهيوني مضر بمصالح الولايات المتحدة ، وان هذه المصالح — الامبريالية اساسا — لا تتحقق الا بفضل سياسة منفتحة على العرب وقـادرة علـى كسـب صداقتهم . ولقد قال فولبرايت في احدى خطبه وفي معرض الحديث عن العرب « ليس بينهم وبين الولايات المتحدة اي نزاع مباشر . كما انهم لم يفعلوا ما يؤذي الولايـات المتحدة »(٧). ولقد زاد اهتمام فولبرايت بالتناقض القائم بـين المصالح الاميركيـة والسياسة الاميركية المؤيدة لاسرائيل والمعادية للعرب ، وخاصة بعد ارتباط الصراع العربي — الاسرائيلي بأزمة الطاقة العالمية .

ولفولبرايت مواقف مؤيدة للحق العربي ، مثل موقفه من قضية تمويل السد العالي، وموقفه من العدوان الثلاثي ، وموقفه من النزاع العربي — الاسرائيلي بصورة عامة. واذا كان الموقفان الاولان نابعين من التناقض داخل المعسكر الامبريالي نفسه ، فـان موقفه الثالث نابع من خوفه على النظام الاميركي القائم ككل ، وخشيته من أن تؤدي السياسة الاميركية المتحيزة لاسرائيل بلا حدود الى ضياع المواقع الاميركية (الاقتصادية والثقافية) في الوطن العربي ، وتصعيد حدة التوتر مع الاتحاد السوفييتي ، وتشويه الدور الاميركي العالمي — كما يراه — في نظر شعوب العالم أجمع . ومن المؤكد اننا لا نتفق مع السناتور فولبرايت في الحلول التي يقترحها لتسويـة النـزاع في الشرق

الاوسط . ولكننا نعترف له بجرأته على الوقوف الى جانب العرب ، ولو جزئيا ، في بلاد العداء للعرب . ومطالبته بحقوقهم في بلد يخطط لسلب هذه الحقوق .

واذا عدنا الى موقف فولبرايت من النزاع في الشرق الاوسط ، وجدنا فيه التجسيد العملي لافكاره السياسية ونظرياته الفلسفية الخاصة بالمشاكل العالمية : فهو يعتبر أن مصلحة بلاده الوطنية لا تتحقق عن طريق اشعال الحروب في ارجاء العالم ، بل في المساهمة باحلال السلام في العالم ، وخاصة في العصر النووي الذي يمكن ان تتصعد فيه الحروب المحدودة الى مستويات اعلى واكثر شمولا . ويؤمن بأن على الدول — وخاصة الدول الكبرى — أن تبحث عن مجالات للتعاون ، وأن تسعى لايجاد حلول وسط لجميع الخلافات ، بغية تجنب اهوال حرب نووية تدمر العالم . ويعادي فولبرايت العنف بكل أنواعه ومظاهره . وهذا ما جعله يساهم في بناء سياسة الوفاق الدولي ، ويدعو الى قبول الصين في الامم المتحدة ، وينادي دائما بتوسيع نطاق التعاون بين الدول الكبرى ، وتطبيق الحلول الوسط خارجيا وداخليا . وتبدو الطوباوية واضحة في فلسفته وأفكاره . فهو ضد العنف ، ولكنه يؤيد مصالح الامبريالية الجديدة ويؤكد النظام الراسمالي ، وكلاهما في جوهره قهر واستغلال (عنف حتى ولو لم يأخذ شكل العنف) . وهو ينادي بالحلول الوسط بالنسبة الى المشاكل الداخلية ، متجاهلا أن هذه الحلول « اصلاحية » لا تستهدف سوى تمويه الصراع الطبقي ، وتدجين المقهورين طبقيا ، واخضاعهم لعنف واستغلال الطبقات المسيطرة دون استخدام العنف بمعناه الكلاسيكي . وهو يطالب بايجاد الحلول الوسط للمشاكل الخارجية متجاهلا التمييز بين المشاكل الخارجية الناجمة عن تناقضات المصالح الجزئية الثانوية ، والمشاكل النابعة من صدام تناقضات المصالح الحيوية المصيرية . وقد يكون من المقبول ان تساوم الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على عدد الرؤوس النووية في ترسانات كلا المعسكرين ، أو على التجارة او السياحة . ولكن المساومة تغدو مستحيلة عندما تدور حول قطعة أرض اميركية او سوفييتية ، أو حول مستقبل جزء من الشعبين الاميركي او السوفييتي . وبوسع العرب مثلا ان يدخلوا في مفاوضات حول مراحل الانسحاب الاسرائيلي ، وسعتها ، وتوقيتها ، واسلوبها ، والمراحل التي تليها ، ولكنه ليس بوسعهم المساومة على حقهم في الارض ، او حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، او حق اي جزء من الشعب العربي في الوجود الحر والكريم . واذا كان فولبرايت الذي سمي بمغلم الروية يعترف بضرورة « الحرب الخلاقة» أحيانا ، اي الحرب التي تؤدي الى السلم ، فان عليه ان يعترف بحق العرب بشن « الحرب الخلاقة » التي تحرر أرضهم وارادتهم من القهر الصهيوني ، لان هذا التحرير هو المدخل الطبيعي للسلام العادل والدائم ، لان أي سلام لا يضمن العدالة لا يمكن الا ان يكون مؤقتا وقلقا .

ان صغر العالم ، وترابط مصالح دوله وتشابكها ، وخصوصية الصراع العربي — الاسرائيلي ، وقيام الدول العظمى (وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) يلعب دور اساسي فيه ، عبارة عن عوامل تجعل لخروج فولبرايت من الكنغرس الاميركي معنى خاصا بالنسبة الينا . وقبل الحديث عن هذا المعنى لا بد لنا من التأكيد على الحقائق التالية : ١ — ان حركة الافراد في المجتمعات الراسمالية وأفكارهم ومواقفهم لا يمكن ان تبدل الخط العام للسياسة الداخلية او الخارجية في الدول الرأسمالية . وأن هذا التبديل لا يتم الا بفضل حركة الجماهير المسحوقة داخل المجتمع الرأسمالي ، ٢ — ان الافراد المعارضين للسياسة الامبريالية في المجتمع الراسمالي ، قادرون على القيام بدور تحريضي اذا ما وصلوا الى مواقع سياسية مؤثرة ، ولكن

تحريضهم يبقى سطحيا قليل الاثر ، طالما انهم لم يؤطروا داخل حزب يمثل طبقة راغبة في تغيير بنية المجتمع ، ويقود نضال هذه الطبقة من أجل التغيير ، ويعتبر التحريض عملية حرث ايديولوجية تصب في طاحونة النضال الرامي الى التغيير ، ٣ — ان حركة جماهير المجتمع الرأسمالي الاميركي ستنبع اساسا من وعيها بتناقضها الطبقي (المصلحي) مع البنيات الفوقية الحاكمة . وان تسريع هذا الوعي يمكن ان يتم بفضل عدة عوامل ، ومن بينها نضالات شعوب العالم الثالث ، والتأثيرات المباشرة وغير المباشرة لهذه النضالات على العجلة الاقتصادية الاميركية ، وعلى امن الفرد الاميركي ومصالحه ، ٤ — ان الجماهير الاميركية لم تهتم بالحرب الفيتنامية بشكل جدي ، ولم تشكل عاملا ضاغطا على السياسة الاميركية في جنوب شرقي آسيا الا عندما أدى التورط الاميركي في فيتنام الى انهاك الاقتصاد الاميركي ، ومقتل الشباب الاميركيين في حرب لا يعرفون أهدافها ، ولا يؤمنون بعدالتها ، ولا يعتقدون بأنها تدور من أجل مصلحة الشعب الاميركي المباشرة، ٥ — ان الضغط القاعدي الاميركي لتعديل سياسة واشنطن المتحيزة في الشرق الاوسط ، لا يمكن ان يأخذ حجما فعالا الا عندما يؤدي تصعيد النضال الجماهيري العربي (العسكري والاقتصادي والسياسي) الى التأثير على امن المواطن الاميركي العادي ومصالحه ، ويدفعه الى الخروج عن سلبيته السياسية ، وامعان التفكير في مدى تناقض مصلحته الذاتية مع مصلحة الصهيونية ، وفي مدى تناقض مصلحته كفرد وكجزء من طبقة مع سياسة دولته التي تمثل انعكاسا للترابط المصلحي العضوي بين الامبريالية والصهيونية . وعندها يتحقق قانون العلاقة الجدلية بين نضالات الجماهير العالمية بصورة عامة ، وبين نضالات جماهير العالم الثالث ونضال جماهير العالم الرأسمالي بصورة خاصة .

وانطلاقا من كل هذه الحقائق ، فان بوسعنا القول ، ان غياب فولبرايت عن المسرح السياسي الاميركي يمثل خسارة لصوت محرض داخل معسكر العدو الامبريالي . فمن يجرؤ مثل فولبرايت على أن يقول للاميركيين والاسرائيليين : « ان قصر النظر الاسرائيلي أمر يمكن فهمه بوجود عقلية الحصار في اسرائيل . ولكن الذي لا يمكن فهمه هو وجود هذه العقلية عند مؤيدي اسرائيل في الولايات المتحدة. اولئك الذين يشجعون اسرائيل بمواقفهم المتصلبة ، ويدفعونها الى الاستمرار في طريق يؤدي بها الى الهلاك. وربما الى هلاكنا أيضا »(٨) . ومن يستطيع مثله أن يدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني بقوله « ان للشعب الفلسطيني الحق بوطن له »(٩) . . . «ان غالبية المسؤولين في بلدنا واقعة تحت تأثير السيطرة الاسرائيلية . انها لا تنكر حق الشعور الوطني الفلسطيني فحسب، ولكن هناك أيضا اشخاصا حكماء مثل مرشحي ولاية نيويورك الذين دخلوا في نقاش حاد حول من يكون منهما أشد معارضة لدولة فلسطينية »(١٠).

ان جاكسون سيشعر براحة كبيرة بعد غياب رقيب مدقق مثل فولبرايت عن الكنغرس . اذ انه عندما نادى بحقوق اليهود السوفييت بالهجرة مستندا الى البند الثالث عشر من الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، والذي ينص على أنه « يحق لكل انسان مغادرة أي بلد بما فيه بلده ، والعودة اليه » ، ذكره فولبرايت بأن البند لا ينص على « حق المغادرة » فحسب ، بل على « حق العودة » أيضا . وسأله ما اذا كان حق الفلسطينيين بالعودة الى بيوتهم التي طردوا منها أقل شرعية من حق يهود الاتحاد السوفييتي باقامة بيوت جديدة على أرض جديدة(١١).

وبالاضافة الى عداء الصهيونية وحملتها المكارثية الجديدة ، فقد كان هناك سبب اخر وراء انتهاء الدور السياسي لفولبرايت بهذا الشكل . ويتمثل هذا السبب بالعقلية

الاميركية التي طالما ناضل فولبرايت من اجل انارتها والاشارة الى اخطارها . ولقد كان فولبرايت خلال هجومه على مكارثي ، في الخمسينات ، اقرب الى عالم النفس وعالم الاجتماع منه الى السياسي . وكانت حملته اصلاحية اجتماعيـــة اكثر منهـــا سياسية . وكان يعبر خلالها عن خوفه على سلامة تفكير الاميركي العادي الخاضع لتأثيرات الصحافة والتلفزيون ووسائل الاعلام الاخرى الواقعة في قبضة الاحتكـــار الصهيوني ، والتي تمارس ارهابا فكريا لا يقل خطورة عن الارهاب الفكري الـــذي تمارسه اجهزة الاعلام في الانظمة البوليسية .

ولقد حذر فولبرايت من ميل الاميركيين الى الاندفاع وراء « صرعة » تفتش غالبا عن كبش فداء . ففي العام ١٧٩٨ مرت الولايات المتحدة بهزة راح ضحيتها الجفرسونيون الاحرار . وفي العام ١٨٠٠ توجهت الحملة ضد الكاثوليك والايرلنديين . وبعد الحرب العالمية الاولى تفجرت الهستيريا ضد « الاغراب » و « الحمر » والراديكاليين بشكل عام . وكانت الحملة المكارثية في الخمسينات ضد الشيوعيين الاميركيين . وفـــي السبعينات اتجهت الصرعة نحو « ووترغيت » . ويتركز الهجوم اليوم على وكـــالة الاستخبارات المركزية (C.I.A.) ، والخطر العربي على الاقتصاد العالمي . ويبدو ان وسائل الاعلام الاميركية بحاجة دائمة لخطر وهمي او حقيقي تستغل به العقليـــــة الاميركية المشلولة المترهلة . ولقد استغلت وسائط الاعـــلام الصهيـــونية قضيـــة « ووترغيت » ، وازمة الطاقة ، وبوادر الازمة الاقتصادية العالمية الناجمة عن الموقف النفطي العربي، ونادت في الانتخابات الاخيرة بضرورة انتخاب وجوه جديدة ، بعد أن اعدت هذه الوجوه التي تضع مصالح الولايات المتحدة في المرتبة الثانية ، ومصالح الصهيونية في المرتبة الاولى . وكان من اكبر الوجوه القديمة التي أزيحت من طريـــق « المكارثية الجديدة » السناتور وليام فولبرايت الذي غدا اليوم اكثر حرية من أي وقت مضى ، وأصبح بوسعه التعبير عن رأيه دون التفكير بواجباته تجاه ناخبيه الجنوبيين، او بمعادلات الكتل النيابية ، او بضرورات الحذر المفروضـــة علـــى المسؤولـــين السياسيين الرسميين .

ويعتبر فشل فولبرايت اكبر تحد واجهه في حياته . وليس لدينا شك في انه سيقبل التحدي بكل شجاعة ، فهو رجل التحديات الذي رفع صوته عاليـــا أمـــام انحرافات السياسة الخارجية الاميركية ، وتشوهات المجتمع الاميركي المرضية ، وعـــارض مشروع الفضاء لايمانه بضرورة صرف الاموال الطائلة المكرسة لهذا المشروع فيمشاريع اخرى تؤدي الى تفادي المجاعة العالمية ، ونشر العلم القادر على بناء عالم افضل . ولكن من الواضح انه سيبدأ مواجهة التحدي الجديد بالصمت . فلقد خرج من مجلس الشيوخ بهدوء ، متحاشيا تراشق الاتهامات ، وكأنه اراد تأجيل الدخول مع الصهيونية ومؤيديها بمعركة تلاحقه في عزلته . هكذا نزل فولبرايت عن مسرح السياسة الاميركية بصمت لا يقدر عليه الا العظماء ، بعد ان قال على المسرح نفسه كلام العظماء .

آخر حديث صحفي للسناتور فولبرايت

السيد السناتور . لقد اقترحتم في محاضرتكم ، في جامعة وستمنستر ، في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ، ان يكون الحل لتسوية النزاع القائم بين العرب واسرائيل هو أن تعود اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ . هل تعتقدون ان من شأن ذلك ان يأتي بحل ملائم مع العلم ان التعديلات التي طرأت على الحدود بعد حرب ١٩٦٧ كانت نتيجة من نتائج القضية الفلسطينية ، لا سببا من أسبابها ؟

هذا صحيح . لقد وجدت ان القضية قائمة منذ العام ١٩٤٨ . وان ما أردت التعبير عنه في تلك المحاضرة وغيرها من المحاضرات ، هو أن التسوية التي اقترحتها هي ضرورة أولية لدفع عجلة المفاوضات ؛ لا لمجرد الاعتراف بدولة فلسطينية كالتي تكلمت عنها عند الحديث عن منظمة التحرير الفلسطينية ، بل ايضا لايجاد حل لمشكلة الطاقة التي نجمت عن الحرب في الشرق الاوسط . وبكلام اخر ، ان تسوية ١٩٦٧ هي بداية مرحلة وليست الحل النهائي لمشاكل الجميع . ولكنها خطوة ضرورية للمفاوضات حول التسويات . ومن الضروري ايجاد حل يرضى به الفلسطينيون ، اعتقد اننا نقبل بذلك كمبدأ .

هل تعتبرون أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ؟

لقد وافقت جميع الدول العربية على ذلك . ان اسرائيل لم تقبل بعرض الاردن لبدء المفاوضات ، لذا فانه يبدو لي أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الان « الناطق المنطقي » باسم الشعب الفلسطيني . ولقد كان ذلك قرار الدول العربية بالاجماع في مؤتمر الرباط .

ما هو برأيكم سبب غموض وتناقضات وتعميمات التصريحات التي أدلى بها المسؤولون الاميركيون الكبار خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ ، حول موقف الولايات المتحدة من منظمة التحرير الفلسطينية ؟

أنا لا أعلم بالطبع لماذا قالوا ما قالوه . ولم اشارك في تصريحاتهم هذه . وتعليقي الوحيد حول هذه التصريحات ، هي انني لا أدري لماذا أدلوا بها .

ما هو تعليقكم حول موقف الولايات المتحدة من التصويت خلال الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة . وهل من المنطقي الكلام عن « تسلط الاكثرية » في النظام الديمقراطي ؟

ليست فكرة « تسلط الاكثرية » فكرة جديدة . وهي تعود الى عدة سنين خلت . انني شخصيا أعتقد انه ينبغي استخدام الامم المتحدة أكثر مما استخدمت حتى الان . كما ينبغي تطويرها الى منبر عام بشكل يسمح للدول الكبرى والصغرى على السواء ، أن تنظر الى الامم المتحدة بجدية . اعتقد أنها (الامم المتحدة) نمت بسرعة ، ونما عدد أعضاء الجمعية العامة بشكل جعل روابطها عسيرة الحركة . ولكن هذه ليست ذريعة للتخلي عنها . انني أعتقد ان أساليب استخدامها بفاعلية ينبغي أن تطور . انني شخصيا أرى أن من اللياقة عندما يدور النقاش ويجري التصويت أن يأخذ الجميع المسألة بشكل جدي ، وأن يجعلوا منها عملية معقولة ما أمكن . ومن المرجو أن تصبح مع الزمن منبرا حقيقيا لمناقشة الخلافات واتخاذ القرارات .

ان معظم القوة الحقيقية ، كما هي موزعة الآن في الامم المتحدة ، موجود في مجلس الامن . وأعتقد ان هذا المجلس لم يستخدم بالتكرار الذي كان من الممكن استخدامه فيه . لقد طالبت مرارا باستعماله أكثر فأكثر لمعالجة القضايا ، بما في ذلك قضايا الشرق الاوسط وفيتنام .

ما هو شعوركم تجاه المظاهرات التي جرت في مدينة نيويورك خلال وجود الوفد الفلسطيني في الامم المتحدة . وهل تتلاءم هذه المظاهرات مع تصرفات مواطني جمهورية ديمقراطية ؟

الواقع أن ذلك أمر غير جديد . فخلال وجود خروتشوف هناك ، وقعت مظاهرات

مماثلة أمام سفارة بلاده . ان حق الشعب للتظاهر أمر معترف به منذ أمد بعيد طالما ان المظاهرة غير عنيفة . وسواء كنا نوافق عليها أم لا ، فهذه عادة متبعة على ما أعتقد في معظم الدول ، باستثناء الدول المنضبطة كالصين ، وربما الاتحـــاد السوفييتي . ولكنني لاحظت وجود المظاهرات في القاهرة . . . ولقد جرت مظاهرات مؤخرا ، ولست متأكداً من الدافع لها ، ولكن الطلاب تظاهروا في القاهرة خلال الايام القليلة الماضية . وليست المسألة ان نعرف ما اذا كانت المظاهرات متلائمة او غير متلائمة ، كما انها ليست مسألة لياقة . اننا أمام واقع يتمثل في أن مثل هذه المظاهرات أمر متوقع عندما يكون السكان مختلطين ، كما هو الحال في العديد من مدننا ، وقادمين من دول مختلفة، ويحملون خلفيات مختلفة .

ما هو حظ السلام في الشرق الاوسط وما دور السياسة الاميركية في تحقيقه ، عندما سيغيب عن الكنغرس رجال دولة مثلكم ومن وزنكم ، وعندما لا يكون رجال كالسناتور جاكسون في داخله فحسب ، بل يسعون لخوض معركة الرئاسة أيضا ؟

لا أعتقد أن أيا من الاثنين يحمل أهمية خاصة . وأعني ان هناك عدة مرشحين . لا أعتقد أنني هزمت لهذا السبب [أي مواقفه السلمية] . لقد قضيت هنا وقتا طويلا. ولا شك ان موقفي من حرب فيتنام كان مهما في مهنتي . لا أود المبالغة في ابراز أهمية دوري الشخصي أو أهمية دور السناتور جاكسون . وأعتقد أن الشرق الاوسط يمثل منطقة مأساوية . فنحن نواجه وضعا ذا خلفية تاريخية يمكن التحدث عنها كما نشاء . ويمكن أن تثير التساؤلات ، حول ضرورة أو عدم ضرورة انشاء اسرائيل ، اهتمام الفلاسفة وعلماء الاخلاق أيضا . والواقع الان أنها موجودة . والسؤال هو ماذا يمكننا أن نفعل بهذا الصدد . والمسألة العملية هي : ماذا يمكن أن نفعل لاحلال السلام . اذا استطاع المرء أن يعد المعنيين لقبول وضع أو علاقات سلام ، أصبح من الممكن بعد ذلك ايجاد أشخاص موهوبين ـــ وهناك أشخاص موهوبين لدى الطرفين ، ولهؤلاء الاشخاص تاريخ طويل، وفي كثير من الاحيان مصالح مشتركة تعود الى آلاف السنين ـــ وعندئذ يمكن العمل لجعل ما يتم التوصل اليه وضعا دائما . وأذكر في هذا الصدد مقالا كتبه ناحوم غولدمان سنة ١٩٧٠ في مجلـــة « فورين أفيرز» حول دور اسرائيل فـــي الشرق الاوسط . والذي اقترح فيه أن لا تكون اسرائيل دولة عسكرية . وأن تكون على العكس مركزا ثقافيا في المنطقة . فهي دولة صغيرة . ولقد قدم لها الحجج المقنعة بأن من مصلحتها أن تكون محايدة من الناحيتين العسكـــرية والسياسية ، أي دولة محايدة . ولم توافق الحكومة الاسرائيلية بالطبع على ذلك . ولم يزل هذا الاقتراح مرفوضا من جانب اسرائيل رغم انه مقنع .

في عصر الاسلحة النووية ، لم يعد هناك اي معنى لاستعمال العنف والقوة بشكل متواصل لحل المشاكل . وان لم تكن الاجناس البشرية قادرة على الحكمة ، ولا يزال المرء يشعر بأن هناك شيئا من الحكمة ، فان اللجوء المستمر الى النـــزاع المسلح ، الحرب ، من شأنه أن يؤدي الى حرب نووية . لهذا فان ما حاولت البحث عنه هو ، لا أن أكون فيلسوفا ، أو أن أسعى لاحلال العدالة الكبرى الكاملة ، بل ايجاد تسوية يقبل بها الفريقان ، يقبل بها جميع المعنيين حتى يعيشوا في سلام . ولدى الفريقين اناس من اصحاب المؤهلات ، ومن ذوي التاريخ الثقافي المشترك. لا ادعي اني ساحر . وكل ما كان في وسعي أن أفعله كسناتور ، هو طرح ما اعتقد انه اقتراح معقول .

لقد قلتم في تصريح نشرته بالامس (١ كانون الثاني ١٩٧٥) صحيفة نيويورك تايمز : « أعتقد انه ربما كان قرار الناخبين صحيحا . اذ أنني غدوت متكلسا الى حد ما ».فهل

هذا يعني أن الحاكم ديل بامبرز حاز على ترشيح الحزب الديمقراطي لولاية اركانساس لمجلس الشيوخ لكفاءته البحتة . أم أنكم تعتقدون أن مواقفكم من قضايا الشرق الاوسط أثرت على نتيجة الانتخابات . خاصة وان هناك اقوالا كثيرة عن الاموال التي دفعتها الجهات المهتمة بالامر من خارج ولاية أركانساس لصالح السيد بامبرز ؟

لقد أدليت بهذا التصريح للسيد كليفتون دانييل ، الذي أمضى هنا وقتا طويلا . وتناولنا الغداء معا ، وتكلمنا خلال ساعتين ، دون تسجيل على دفتر الملاحظات . والذي عنيته في الحقيقة هو أنني أمضيت في الكنغرس ٣٢ عاما ، ويبحث الانسان خلال هذه المدة عدة قضايا مصيرية تفقده تعاطف العديد من الناس معه . ولا شك ان قضية فيتنام كانت أهمها . ولكن يمكن العودة الى أبعد من ذلك ، الى موقفي ومعارضتي للسناتور ماكارثي سنة ١٩٥٤ . لقد وجهت الي في ذلك الحين عدة انتقادات من ناخبي مقاطعتي . لقد استقطبت عددا كبيرا ممن يعارضون آرائي . وكنت ايجابيا في الموقف الذي آخذه . لم أكن سلبيا ابدا . بل حاولت تقديم المساعدة لصياغة السياسة .

لا شك في أن الشرق الاوسط يتمتع بأهمية كبيرة . ولكنني اعتقد ان قضية فيتنـــام أكثر أهمية . ولقد تحدثت مع السيد دانييل عن معارضتي لسياسة هـــذه الحكومة لتدخلها في أنحاء العالم ، وعن معارضتـــي لبرنامج الفضاء واستمـــرار المساعدات الخارجية وخاصة المساعدات العسكرية . وقلت خلال الحديث أنني غدوت متكلسا الى حد ما . ويعرف الكثير من الناس مواقفي من هذه الامور ، وكثير منهم لا يوافق على هذه الآراء ، بل يؤمن بمفهوم الامبراطورية ، الدولة العظمى ، الشرطي ، ويؤمن بالقوة العسكرية . ان الكثيرين لا يوافقون على آرائي . بيد أن ظهور السلاح النووي ادخل على العالم تبدلا ملحوظا . ولم يعد بوسعنا أن نأمل بأن نكون دولة عسكرية كبيرة تتدخل في كل ارجاء العالم ، مثلما كانت تفعـــل بريطانيا العظمى خلال القـــرن الفائت .

كل هذه أمور يصعب حصرها في اجابة واحدة . لقد حاولت قدر المستطاع أن أعطي الاسباب التي تفسر اثر الانتخابات . والقول ان المرء غدا متكلسا ، يعني أنه امضى زمنا طويلا . ولم يعد وجها جديدا . وباستطاعتي القول انه كان لقضية ووترغيت ومشاكل نيكسون اثر كبير على الانتخابات. لقد جرت هذه الانتخابات في الربيع الماضي، وتم التصويت في أيار* ، قبل استقالة السيد نيكسون . ولقد أمضيت هذه الفترة في واشنطن ، ولم يكن لي أية علاقات مع السيد نيكسون . ولكن الحالة الذهنية التي سادت بين المواطنين ، كانت تطالب بتنحية أي شخص موجود في واشنطن ... لقد كنت هنا . فلماذا سمحت لهذا أن يحدث . لماذا سمحت للسيد نيكسون أن يفعل هذه الامور ؟ لا اعتقد أن هذا التحليل مثمر أو ذو مغزى . وليس من شأني أن أقدم تحليلا نفسيا لهذا البلد . ولكنني أعتقد أن هذا قد أثر على الانتخابات . لقد كان الكثيرون من الناخبين يشعرون باشمئزاز شديد ازاء مجمل الوضع في واشنطن . ولكن منذ ذلك الحين ، أعتقد أنه طرأ تغيير بعد استقالة نيكسون . ولدينا الآن رئيس جديد . وهذه الناحية مختلفة الآن ، ولكن أثرها في الربيع الماضي كان قويا . وهذا ما يعطي جزءا من التفسير . ان من المؤسف أن يتم اختيار ملاحظات عابرة قيلت خلال حديث طويل استمر ساعتين [وهو يعني بهذا قوله انه غدا متكلسا] . ان الصحفيين لا ينقلون ما

---

* جرت في أيار ١٩٧٤ انتخابات أولية ، وهي تتم داخل الاحزاب لتعيين مرشحي الحزب للانتخابات العامة التي جرت في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

يكفي من الحديث . فها انت قد أمضيت ساعة ، وسوف تضعين في مجلتك ثلاثة أسطر . هذا دائما صحيح مع الصحفيين .

(قاطعته هنا قائلة : بأنني سأنشر حديثه حرفيا) .

انني لا أشعر بأية مرارة . لقد امضيت هنا وقتا طويلا . وأنا شخصيا أتقبل قرار نظامي الذي أعتقد أنه نظام جيد .

يقال ان للصهيونية يدا في نهاية حياتكم السياسية بالصورة التي انتهت بها . فما هو تعليقكم على هذا القول ؟

في السياسة تتراكم الامور . وليس هناك عامل واحد يفسر الاحداث . انني آخذ غالبا مواقف تختلف عن المنهج العام المتعارف عليه . لذا ، فان الانتقادات توجه الي في بادىء الامر ، واستقطب النقمة . فمثلا موقفي من ماكارثي ومن حرب فييتنام .

كنت دون شك أول من عارض الحرب في فييتنام ، وكان الاب دانييل بريغان معارضا لها أيضا . ولقد اعتبر الاب بريغان بطلا قوميا لموقفه من الحرب الفييتنامية ، ورشح لنيل جائزة غاندي للسلام نظرا لنشاطاته ضد الحرب . ولكن ما أن هاجم اسرائيل ، وقال بأنها ليست ((ملكوت سلام)) ، حتى جرد من كل شيء . ولم يعد يحصل حتى على التغطية الصحفية* . ان العدالة لا تتجزأ ، اذن كيف يمكن تفسير التأييد الذي يلقاه من يعارض الحرب في فييتنام ، والاتهام بمعاداة السامية لكل مــن يعارض اعتداءات اسرائيل المسلحة على الدول العربية ؟

صح . لقد كنت أول من عارض حرب فييتنام . اني أعتقد أن المواقف التي تتحدثين عنها مقتصرة على صحافة الشرق [أي شرقي الولايات المتحدة حيث التجمع اليهودي] التي يملكها ويديرها أناس مخلصون لقضية اسرائيل (وكـــرر فولبرايت هذه الجملة مرتين) . ان أشهر هذه الصحف : « الواشنطن بوست » و« نيويورك تايمز » . وليس هذا سرا . ان صحفا ذات نفوذ كبير ، وغيرها من وسائل الاعلام يملكها ويديرها أناس مخلصون لقضية اسرائيل . وهم لا يتعاطفون مع من يخالفونهم الرأي . وليس هذا سرا .

لقد قلتم في برنامج تلفزيوني موجه للامة ، في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ((ان الاسرائيليين يسيطرون على سياسة الكنغرس الخاصة بالشرق الاوسط)). وقلتم أيضا أنهم يسيطرون على ٧٥ ـــ ٨٠ صوتا في مجلس الشيوخ الاميركي . ولقد ذكر الجنرال براون كلاما مماثلا . وقال بالتحديد ((هؤلاء أناس من بلد آخر)) . ألا ترون أن من الضروري أن يقترح أحد ما داخل الكنغرس امكانية اجراء تحقيق حول مدى دقة هذه الاقوال ، لتحديد ما اذا كان الكنغرس الاميركي واقعا بالفعـــل تحت سيطرة دولـــة أجنبية . وما هي تأثيرات هذه السيطرة على مصالح الولايات المتحدة في المستقبل ؟

يوجد في هذا البلد مجموعات من الناس تمتد جذورها الى عدد من الدول الاخرى . عندنا أقلية بولونية كبيرة تعيش مجتمعة حول شيكاغو وفي نيوجيرسي . وعندنا عدد كبير من السويديين واليوغوسلاف . وهم يعيشون في مختلف أرجاء البلاد . ولديهم

---

* سجنت السلطات الاميركية الاب بريغان سنتين ونصف السنة بسبب معارضته لحرب فييتنام . وكان يعتبر لمدة طويلة بطلا قوميا . وفي ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ألقى الاب بريغان محاضرة وصف فيها اسرائيل بأنها « دولة استيطان » و« دولة عنصرية » ، وهاجمها بعنف ، فأبرزت النيويورك تايمز والصحف الصهيونية الاخرى محاضرته ، وبدأت منذ ذلك الحين حملة شديدة ضده .

ارتباطاتهم مع الوطن الام . نحن شعب مؤلف من شعوب أتت من مختلف البلدان . ومن بينهم واحد من أهمها وأكثرها نفوذا : المواطنون اليهود . فهم يملكون النفوذ في الكنغرس . وليست اسرائيل كدولة ، بل أصدقاء اسرائيل . الاشخاص الذين يشعرون بأنهم مخلصون لاسرائيل ، ويعيشون في هذا البلد كمواطنـين اميركيين ، ويؤمنون بمصالح اسرائيل . ولقد تحدثنا عن هؤلاء الاشخاص . ومن بينهم ممثلون في مجلس الشيوخ . ولا أعتقد أن هناك أي شك حول هذا الامر . ان ما تكلمت عنه هو التصويت تلو التصويت ، والتصويت في مجلس الشيوخ حول القضايا المصيرية ، وسير العمل الفعلي داخل مجلس الشيوخ . وليس هذا أمرا نظريا . يمكن الاطلاع على محاضر الجلسات خلال الاعوام الثلاثين الماضية . وهي محاضر مكتوبة . انهم مؤيدو اسرائيل، اصدقاء اسرائيل . هؤلاء أشخاص يعيشون هنا . الجالية اليهودية في هذا البلد عبارة عن أناس يضعون الاخلاص لاسرائيل في المرتبة الاولى . وليس هؤلاء من بلد آخر . ومن المحتمل أن يكونوا قد أتوا من بلد آخر ، ربما أتى أجدادهم من الشرق الاوسط . ولكنهم هنا ، تماما كالبولونيين ، الذين يسمعون صوتهم جيدا ، عندما يكون هناك ما يتعلق بهم .

هل تعتقدون ان اسلوب الدكتور كيسنجر من شأنه أن يؤدي الى نتائج ملموسة ؟

اعتقد ان ما قام به لوقف القتال ، وتثبيت وقف اطلاق النار ، كان مفيدا . وأشير هنا مجددا الى محاضرة طويلة القيتها مؤخرا . وقلت فيها مـا اعتقد انه الجواب المناسب* . ويمكن ان اقول الان اني آمل بأن يستطيع وزير الخارجية اقناع اسرائيل والدول الاخرى المعنية : سورية ومصر ، بأن توافق على تسوية وفق الخطط التي اشرت اليها . ولكنني لا أدري ماذا تريدين مني أن أقوله .

لقد عنيت بأسلوب كيسنجر ، سياسة الخطوات التي يتبعها خطوة خطوة ، واعتبار الدول العربية الفريق المعني بالنزاع القائم ، مع تجاهل الفريق الاصلي والاهم ، واعني الشعب الفلسطيني .

لا أعتقد ان السيد كيسنجر يرى بأن الشعب الفلسطيني يجب أن لا يشكل فريقا في التسوية . ولقد قال بأن من الضروري ان يكون الفلسطينيون فريقا . وان من المتفق عليه بشكل عام ان يكونوا كذلك للتوصل الى تسوية شاملة . وأنا اعتقد انه يجب أن يكونوا فريقا . ان اجراء مفاوضات بين فرقاء يتحاربون بهذا الشكل أمر غير سهل . ورغم هذا ، فأنا أؤيد أي خطوة من شأنها أن تؤدي الى تسوية قبل أن تندلع الحرب . ونحن نسمع عن امكانية اندلاع الحرب من جديد . وستكون هذه الحرب كارثة للجميع .

---

* القيت هذه المحاضرة في فولتون (ميسوري) . ولقد أشرت اليها في سؤالي الاول . ثم قدم فولبرايت الى الكنغرس اقتراحا لحل مشكلة الشرق الاوسط . والخطوط العريضة لهذا الحل المقترح هي: ١ — اعتراف العرب ، بمن فيهم الفلسطينيون بحق اسرائيل بالوجود المستقل ، ٢ — انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ، ووضع قوات طوارىء دولية على حدود اسرائيل من الجهتين ، ٣ — حصول الشعب الفلسطيني على حق تقرير المصير في الضفة الغربية ، داخل دولة مستقلة او كنفدرالية مع الاردن ، حسب اختيارهم. ٤ — خلق وضع خاص للقدس القديمة ، يجعلها مفتوحة أمام جميع الاديان تحت اشراف الامم المتحدة . على أن يدعم هذا الوضع بمعاهدة توقعها الولايات المتحدة لحماية سيادة اسرائيل وسلامة أراضيها . ولقد قال فولبرايت — كما رأينا في جواب السؤال الاول — ان اقتراحه عبارة عن خطوة اولى .

نشر اقتراح فولبرايت في *U.S. Congressional Record*, Proceedings and Debate of the 93rd Congress, Second Session, Vol. 120, No. 162, November 21, 1974.

ان اعطاء الفلسطينيين كل ما يطلبونه هو في رأيي حل غير قابل للتطبيق . ان كل طرف يبحث عن الحل الذي يلائمه . ولكن ايجاد الحل في المنطقة يتطلب الوصول الى حل وسط لا يحصل فيه أي من الفريقين على كل ما يريده ، ولذا فان الفرقاء سيجدون في أن هذا الحل يتعارض مع أمانيهم .

ان من الضروري البحث عن الحل الوسط . وليس هذا أمرا سهلا (وهنا توقف فولبرايت قليلا ثم اضاف) ان الاسرائيليين أناس صعاب . الا تعتقدين ذلك ؟

ان في الولايات المتحدة حملة ضد ما يسمى ب ((السيطرة العربيـــة على الاقتصاد الاميركي)) . ولكن من الواضح ان اعادة توظيف ((البترو دولار)) العربي في الولايات المتحدة ، والبلدان الغربية بصورة عامة ، هي من مصلحـــة الدول الرأسمالية وضد مصلحة الدول العربية على المدى الطويل . ففي الوقت الذي يؤدي به هذا التوظيف الى مساعدة الاقتصاد الاميركي على الخروج من الازمة، فانه يحرم الدول العربية من الاستثمارات التي تحتاجها ، ويعرض الممتلكـــات العربيـــة في الولايات المتحدة الى المصادرة في المستقبل . فما هي برأيكم حقيقة المخاوف والتحذيرات من الاستثمارات العربية في الولايات المتحدة والغرب ؟

(وقبل أن يجيب فولبرايت على هذا السؤال ، طلب منـــي توضيح ماهية هـــذه ((الحملة)) . فذكرت له بعض ما نشر في ((جويش بريس)) ، و((جويش جورنال)) ، و((جويش تلغرافيك ايجنسي)) ، و((نيويورك تايمز)) وغيرها) .

لقد لاحظت تعليقا واحدا ، على ما أعتقد ، حول منتجي الصناعة الحربية . وكان ذلك متعلقا بشركة «لوكهيد» الواقعة في اضطراب مالي خطير. وعندما سئل السيد آرثر بورنز* عن رأيه حول الموضوع أفاد بأنه قلق على منتج دفاعي مثل «لوكهيد» . فاذا استثنينا هذا الموضوع ، وجدنا ان الاكثرية الساحقة من المعلقين رحبت بالاستثمارات العربية في اقتصادنا . وأنا أعتقد شخصيا ان هذا أمر حكيم . ولا بد ان يكون هناك دائما أشخاص معارضون كالذين أتيت على ذكرهم . ولكن الاكثرية، ومعظم الاشخاص الذين أعرفهم ، يعتقدون أن الاستثمارات العربية في هذا البلد أمر جد مفيد .

اننا نلمس الآن وجود ثلاثة اتجاهات في الولايات المتحدة ، حول رد الفعل الاميركي المحتمل ازاء أي حظر نفطي جديد . ولقد عبر الجنرال براون عن الاتجاه الاول عندما قال ((بأن الاميركيين سينقضون على نفوذ اليهودية في هذا البلد)) . أما الاتجاه الثاني فهو دبلوماسية التهديد بالاساطيل الحربية ، والتي يمثلها ويدافع عنها وينطق بأسمها السناتور جاكسون . وهي تدعو الى أحتلال آبار النفط.ويقول الاتجاه الثالث بأنه ((لا بد أن يكون هناك ضغوط قوية لكي نتدخل)) . ولقد عبرتم البارحة عن المخاوف التي تحكم هذا الاتجاه*** . فما هو باعتقادكم الاتجاه المؤهل لان يسود في المستقبل ؟**

لقد أوضحت جيدا ، وأكثر من مرة ، ان أي لجوء الى القـــوة لاحتلال آبار النفط سيكون خطأ كبيرا . وقلت ذلك في المقال الذي أشرت اليه ، كما قلته في الخطاب الذي اشرت اليه ، والذي القيته في فولتون (ميسوري) في أوائل تشرين الثاني . انني اعتقد

---

* رئيس مجلس الاحتياط النقدي الاتحادي .

** اجريت المقابلة،قبل أن تنشر الصحافة الاميركية ان حامل لواء هذا الاتجاه التهديدي المعادي للعرب هو الدكتور هنري كيسنجر ، الصديق العزيز ! والحائز على نصف جائزة نوبل للسلام !!!

*** في حديث مع « نيويورك تايمز » ، ١٩٧٥/١/١ .

بأن الحل المناسب ، السياسة المناسبة في الشرق الاوسط تتمثل في التقرب الصحيح من الشرق الاوسط . هذا ما أدعو اليه . ولا اعتقد ان أفكار السناتور جاكسون حول هذا الموضوع ستسود في الوقت الحاضر .

ما هو باعتقادكم مغزى التسليح الاميركي الكثيف لايران ؟ هل هناك بالاضافة الى الاعتبارات الاقتصادية ، التي يفرضها « المركب العسكري ــ الصناعي » ، أية حكمة أو منطق يمكن الدفاع عنهما ؟

اعتقد ان العامل الاول الذي يلعب في هذا المجال هو رغبة عسكريينا في بيع سلاحهم لاسباب اقتصادية . ان لدينا عجزا في ميزان المدفوعات . والسلاح بسيط وسهل النقل . وأنا أقف كليا ضد ذلك . وأعتقد أن سياسة الضغط وتزويد دول العالم بالسلاح سياسة سيئة . ولكننا من كبار منتجي السلاح وموزعيه . ويقال لنا في الكنغرس : اذا لم نفعل ذلك بأنفسنا فعلته دول أخرى . وعلى كل حال . فان هذا أمر اقتصادي في المرتبة الاولى .

انني لا أرى أيـة مصلحـة كبرى في تزويد هذه الدول ، في هـذا القسم مـن العالم ، بالسلاح . وليس لي ثقة ــ كما تعلمين ــ في أن الاعمال العسكرية قادرة على حل المشاكل . وهذا هو بعض ما عنيته عندما قلت بأنني غدوت متكلسا . أنا لا أؤمن كثيرا بالعمل العسكري كحل للمعضلات البشرية .

هناك تساؤلات في العالم العربي حول برنامج المستقبل لرجل دولة عظيم مثلكم .

ينبغي أن ننتظر قليلا لتقرير ذلك . ان هذا هو يومي الاخير في هذا المكتب . لذا فان من السابق لاوانه وضع برامج ضخمة طموحة حول المستقبل .

هل يعني ذلك أن هذا هو آخر تصريح تدلي به في واشنطن ؟

اعتقد ذلك . فهذا آخر يوم لي هنا .

---

١ — Coffin, Tristram, Senator Fulbright (New York: E. P. Dutton & Co. Inc. 1966), p. 30.

٢ — مثل مفهوم الولايات المتحدة للشيوعية ، وموقفها من الاتحاد السوفييتي وحركات التحرر. ولقد وضع فولبرايت دراسة حول هذا الموضوع هي : Old Myths and New Realities (New York: Random House, 1964).

٣ — United States of America, *Congressional Record*, Proceedings and debates of the 93d Congress, Second Session, Vol. 120, No. 162, Nov. 21, 1974.
وسنشير اليه فيما بعد بـ : خطاب ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

٤ — لقد ثبت فيما بعد ان هذا الهجوم لم يقع ، وان جونسون اختلقه ليبرر تصعيد الحـرب وزيادة التدخل الاميركي في فيتنام . وكان ذلك واحدة من الفضائح المشهورة في عهد الرئيس جونسون .

٥ — Jhonson, Haynes and Gwertzman, Bernard M., *Fulbright the Dissenter* (New York, Doubleday and Company, 1968), p. 172.

٦ — Coffin, *Op. Cit.*, p. 186.

٧ — United States of America, *Congressional Record*, Proceedings and Debates of the 93d Congress, First Session, Vol. 119, No. 150, Oct. 9, 1973.

٨ — خطاب ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

٩ — المرجع نفسه .

١٠ — المرجع نفسه . ويقصد فولبرايت هنـا المرشحين جافيتز وكلارك . انظر مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٤٠ ، ص ١٧٢ .

١١ — خطاب ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

فرنسا والعرب وإسرائيل وأمن البحر المتوسط ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥

عبد العال الباقوري

عندما انتخب فاليري جيسكار ديستان رئيسا للجمهورية الفرنسية ، بعث في ١٧ ابريل ١٩٧٤ برسالة الى الرئيس المصري انور السادات ، أكد فيها ان فرنسا في عهده ستواصل اتباع السياسة التي اختطها الرئيسان السابقان شارل ديجول وجورج بومبيدو ، تجاه مصر والبلاد العربية . وتلقت الدوائر العربية هذا التأكيد يومها على انه أمر من امور الدبلوماسية وتقاليدها المعمول بها بين رؤساء الدول ، خاصة عندما يتقلد رئيس جديد مقاليد السلطة في بلاده . وتنبأ كثيرون ان ديستان سيجري تغييرا في سياسة فرنسا تجاه « أزمة الشرق الاوسط » لن يكون في صالح العرب . وكانت ميول ديستان واتجاهاته المعروفة ترجح هذا الرأي وتزكيه ، وتجعل الجانب العربي يخشى من التغيير الذي سيقع . فديستان من رجال اليمين في فرنسا ، واليمين الفرنسي بصفة عامة بينه وبين العرب ود مفقود ، والجمهوريون المستقلون الذين يتزعمهم ديستان معروفون بتعاطفهم وتأييدهم لاسرائيل والصهيونية . كما أن الوزارة الفرنسية التي تشكلت في ظل رئاسة ديستان منحت عددا من الوزراء المعروفين والمشهورين بعلاقاتهم الوثيقة مع اسرائيل ، ومع الدوائر الفرنسية المؤيدة لاسرائيل ، مثل جان لوكانييه (وزير العدل)(١) ، وسرفان شريبر (وزير الاصلاح الاداري ــ استقال) وميشيل بونياتوفسكي (وزير الدولة للشؤون الداخلية) وسيمون فايل (وزيرة الصحة) .

ولم يكن صعبا على احد ان يعرف ان الجمهوريين المستقلين ــ حزب ديستان ــ كانوا أثناء المعركة الانتخابية يعربون بأشكال مختلفة عن تعاطفهم مع اسرائيل ويحاولون أن ينتقدوا السياسة التي اتبعها حليفهم الاكبر اي الحزب الديجولي ، في السنوات السابقة ، تجاه اسرائيل ، فيدعون الى ما اطلقوا عليه « سياسة غير متحيزة » في الصراع العربي الاسرائيلي .

ولم تكن اسرائيل من جانبها أقل حرصا على اظهار بهجتها بوصول ديستان الى الرئاسة الفرنسية ، وفرحتها بزوال « الكابوس الديجولي » من سياسة فرنسا ، وحتى بعد شهور من وصول ديستان الى الرئاسة كانت الدوائر الاسرائيلية حريصة على اشاعة جو من التفاؤل حول اتجاهات سياسة فرنسا الخارجية تجاه الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وهكذا كتبت دافار في ٢٩ سبتمبر الماضي : « انه بعد سنة على حرب تشرين تبدو مكانة اسرائيل في فرنسا افضل مما كانت عليه منذ الغى الجنرال ديجول المعاهدة غير المكتوبة ، التي كانت قائمة بين البلدين ، وذلك في اعقاب الصراع عام ١٩٦٧ . . . »(٢) . أما آشر بن ناثان سفير اسرائيل لدى فرنسا فقد اعتبر في حديث مع « معاريف » في ٣٠ سبتمبر(٣) . ان سياسة فرنسا برئاسة ديستان متمسكة

بالشعارات التي طرحت امام ديجول،الا انها في سياستها العملية تحول هذه الشعارات في غالبيتها الى شعارات مفرغة من أي جوهر ، ومفتقرة الى أي معنى . وهو يشير هنا الى شعارات السياسة الفرنسية المؤيدة للجانب العربي .

واذا كانت هذه النظرة الاسرائيلية تكشف عن احدى سمات الدبلوماسية الاسرائيلية ، وهي كونها « دبلوماسية شخصية » أي تعتمد على كسب ود وولاء الاشخاص القياديين في المجتمع الذي تخاطبه وتتحدث اليه ، فانها تكشف ، أكثر من هذا ، عن رؤية للسياسة الخارجية تجعلها وليدة عوامل ذاتية وليست وليدة عوامل موضوعية ، او ترى على الاقل أن العوامل الذاتية تلعب في رسم السياسة الخارجية لاي بلد ، دورا أكبر من ذلك الذي تلعبه العوامل الموضوعية .

ومع ان السياسة الخارجية لاي بلد، هي — في التحليل الاخير — تفاعل بين مجموعة عوامل موضوعية وعوامل ذاتية ، فان الدبلوماسية الاسرائيلية في نظرتها لسياسة فرنسا تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي وتطوراتها خاصة منذ يونيو ١٩٦٧ ، قد اغفلت العوامل الموضوعية التي انتجت هذه السياسة ، وركزت بصفة أساسية على دور عامل ذاتي واحد ، هو دور القيادة السياسية ، اي دور الرئيس ديجول ، الذي لعب دون شك دورا كبيرا في بلورة اتجاه فرنسي جديد نحو منطقة الصراع في الشرق الاوسط . فرهنت هذا الاتجاه الجديد بوجود ديجول ، وحسبت ان غيابه عن مسرح السياسة الفرنسية ، سيعني التراجع عن السياسة التي اختطها ، والعودة الى سياسة الجمهورية الرابعة الفرنسية في التحالف مع اسرائيل .

وهكذا ، عندما قدم الرئيس ديجول استقالته في ٢٨ ابريل ١٩٦٩ ، لم تخف الدوائر الاسرائيلية « الشعور بالفرحة » ، فكتبت « عل هامشمار » تقول : « أيا كان الرجل الذي يخلف ديجول ، فان الاسرائيليين يأملون في ان يفتح صفحة جديدة في العلاقات بين باريس وتل ابيب » . أما « معاريف » فكانت أكثر صراحة ، فقالت : « ان قلوب الاسرائيليين امتلأت بالفرح الشديد »(٤)، وجارتها في الصراحة « يديعوت احرونوت » فقالت : ان اسرائيل ترحب بسرور بأي خليفة للجنرال ديجول ، باستثناء اي شيوعي . . . »(٥) .

وجاء الى الرئاسة الفرنسية جورج بومبيدو ، الذي كان يوما رجل بيت روتشيلد المالي الكبير ، والصهيوني الكبير ايضا ، فماذا حدث ؟. بعد حوالي ثلاثة شهور من انتخاب بومبيدو ، كان شمعون بيريز ، وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي ، يزور باريس، ويجتمع بعدد من المسؤولين الفرنسيين ومن بينهم وزير الدفاع الفرنسي ، وصرح بيريز في ٤ اكتوبر ١٩٦٩ بعدة تصريحات جاء فيها : يمكن القول بأن فرنسا اليوم ليست كما كانت في عهد رئيسها السابق ، ففي الاوساط الرسمية الفرنسية الان اصدقاء كثيرون لاسرائيل(٦) وبعد شهرين تقريبا من هذا التصريح المتفائل ، كانت « معاريف » تعكس وجهة النظر الاسرائيلية الرسمية بقولها : « ان سياسة بومبيدو تجاه اسرائيل اكثر تشددا مما كانت عليه في عهد ديجول ، وذلك مرده الى مصالح فرنسا البترولية والاقتصادية في الدول العربية »(٧) .

ومضى بومبيدو ، وجاء ديستان . وتكررت القصة السابقة تقريبا : ترحيب اسرائيلي ، وتفاؤل حول تغيير في سياسة فرنسا لصالح اسرائيل . ثم تتبين اسرائيل ان هناك ثباتا واستمرارا في الاتجاهات التي زرعها ديجول ، وانها تنمو وتتطور بدرجة اكبر ، حتى ان أحد اعضاء الحكومة الاسرائيلية قال في جلسة خاصة ان ديستان

بمواقفه الاخيرة « وجه لنا ضربة حمقاء »(٨) بينما خرجت في المدينة الفرنسية مرسيليا مظاهرة قادها سفير اسرائيل الاسبق في فرنسا رافائيل جاري تحتج علـى سياسة ديستان وترفع شعارات معادية له تتهمه بالتواطؤ مع عرفات(٩).

ففرنسا بقيادة ديستان لم تكتف — على غير ما كان متوقعا — باتباع السياسة التي انتهجها ديجول وبومبيدو بعده ، بل انها تؤكد هذا الخط ، وتعمقه، وقد تأكد هذا في الفترة الاخيرة بواسطة ثلاث وقائع هامة : الاولى هي تصويت فرنسا بتأييـد دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لعرض قضيتها على الجمعية العامة للامم المتحدة والثانية: هي اجتماع جان سوفانيارج وزير خارجية فرنسا مع ياسر عرفات رئيس اللجنـة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية : والثالثة هي التصريحات التي أدلى بها الرئيس جيسكار ديستان واعلن فيها أن جوهر مشكلة الشرق الاوسط هو الاستجابة «للاماني الطبيعية» لشعب فلسطين بأن يكون له وطن(١٠).

ولكن هذه الوقائع الثلاث لم تكن الا امتدادا ، للخطوط الاساسية التـي وضعهـا ديجول منذ ١٩٦٧(١١) في ضوء تفاعلها مع كل ظروف وواقـع القضية الفلسطينية . فالاعتراف الفرنسي بشرعية المقاومة الفلسطينية ، والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في أن يكون له وطن مستقل ، ليست مواقف طارئة ، ظهرت فجأة ، في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي . ان لها مقدمات وسوابق مهدت لها ، وصاحبتها ظروف عديدة ساعدت في بلورتها على النحو الذي أعلنه المسؤولون الفرنسيون اخيرا .

وفي الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، يستحق أن يمهد له بالحديث عن جذور التغير في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي الاسرائيلي منذ صعود الرئيس ديجول الى الحكم في ١٩٥٨ ، والاسباب الرئيسية التي دفعت الى ذلك ، ويلي ذلك الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، لنتخلص منه الى افاق السياسة الفرنسية واحتمالاتها في الفترة القادمة .

١٩٦٥ نقطة بدايـة

ركزت الكتابات السياسية العربية بصفة عامة،والكتابات الصحفية بصفة خاصة،في حديثها عن موقف فرنسا من العرب واسرائيل ، على الموقف « الحيادي » الـذي اتخذته حكومة فرنسا تجاه العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتجاه الاحداث المباشرة التي قادت اليه — أي سحب القوات الدولية من سيناء وغزة واغلاق خليج العقبة في وجه اسرائيل — والتطورات التي جاءت بعده . وتكاد هذه الكتابات تصور هذا الموقف وكأنه « حادث فجائي » أو نبت شيطاني ، نما في فراغ . وفي الحياة السياسة — وفي كل حياة اخرى — لا شيء ينبـع من فراغ ، بل لكل شيء جـذور وسوابق ، تقود اليه ، وتولده .

فعدوان ١٩٦٧ لعب دورا مساعدا في التعجيل ببلورة اتجاه فرنسي اكثر تقاربا من ومع العرب ، وأكثر ابتعادا عن اسرائيل ، ولكن ذلك العدوان لم يكن الدافع الوحيد لاتخاذ هذا الموقف(١٢).

فالخطوط العريضة للسياسة الفرنسية تجاه العرب واسرائيل بدات تتحدد وتتضح فيما بعد استقلال الجزائر ، وزوال احد الاسباب الاساسية التي قادت الـى سوء العلاقات العربية — الفرنسية ، بل والتي كانت أحد دوافع فرنسا الى المشاركة في

العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، الذي كان نقطة الذروة في التحالف الفرنسي ــ الاسرائيلي، بسبب تشابك الاهداف وتماثل المصالح .

وبصفة عامة ، فرغم صعود ديجول الى الحكم عام ١٩٥٨ ورغم توقيع اتفاقيات ايفيان في اذار (مارس) ١٩٦٢ فان نوعا من القطيعة الدبلوماسية ــ وغير الدبلوماسية ــ قد ساد العلاقات بين باريس واغلب العواصم العربية ، وامتدت تلك القطيعة تقريبا الى اواخر عام ١٩٦٣ . ولم تكن الدوائر الاسرائيلية والصهيونية غافلة عن ذلك ، فعملت على استغلاله ، من أجل تعميق علاقاتها بفرنسا . ولكن اسرائيل في نفس الوقت كانت تسير بسرعة نحو ربط نفسها بعجلة السياسة الامريكية ، وبأهدافها ومصالحها في المشرق العربي . ولم يكن ذلك الاتجاه يلقى القبول او الرضى لدى القيادة الفرنسية ، التي بدأت وقتذاك تبدي قدرا من الاستقلال وعدم التبعية للنفوذ والسيطرة الامريكيين ، بل وبدأت في مناوأة هذا النفوذ ، ثم رفضه علنا .

ومع أن الرئيس ديجول استقبل في باريس رئيس وزراء اسرائيل ليفي اشكول في صيف عام ١٩٦٤ وردد على مسامعه العبارة التي قالها لبن جوريون عام ١٩٦١ ، وهي عبارة «اسرائيل صديقتنا وحليفتنا»(١٣)، مع ذلك فان عوامل التغيير كانت تعتمل في أحشاء السياسة الفرنسية في تلك الفترة نفسها ، لتخلق ببطء ذلك الاتجاه الذي برز الى النور في عام ١٩٦٧ . وكما يقول كاتبان فرنسيان عن تلك الفترة ، كانت التصريحات المتعلقة بالصداقة تذهب دائما نحو « الدولة اليهودية » ، ولكن الحقيقة كانت تتغذى وتتدعم بتقارب محسوس مع العرب(١٤) ويعتبر الكاتبان الفرنسيان وايزمان وتيسيدر أنه منذ عودة ديجول الى الحكم عام ١٩٥٨ ، كانت توجد دلائل معينة أشارت بطريقة خفية الى تبدل في المشاعر الفرنسية نحو العرب ، ويقولان : « كان هدف الرئيس الفرنسي حينئذ هو وضع الاسس التي تسمح له عندما يعلن استقلال الجزائر بأن يجني دون اراقة واضحة لماء الوجه ثمار سياسته الجزائرية »(١٥) ويدل الكاتبان على وجهة النظر هذه بشهادة اثنين كانا موضع ثقة الرئيس ديجول هما روبير بوجاد السكرتير العام للاتحاد الديمقراطي الجمهوري ، وموريس كلافيل الصحفي المعروف . وحتى تعيين كوف دي مورفيل وزيرا للخارجية لم يكن عديم المغزى بهذا الخصوص ، خاصة وان الخارجية الفرنسية عرفت تقليديا ومنذ فترة بمشاعر ودية نحو العرب(١٦). كما أن مورفيل كان سفيرا لفرنسا في القاهرة ابان العدوان الثلاثي على السويس ، الذي لم يخف استنكاره له .

وباختصار ، لقد جاء ديجول الى السلطة عام ١٩٥٨ ، وهو يملك تصورا متكاملا ، على الاقل في خطوطه العامة ، عن سياسة فرنسا الخارجية ، سياسة تبحث لبلاده عن دور يضمن « استقلاليتها » ، ويعطيها القيادة لاوربا في مواجهة امريكا . وكان أحد خطوط هذه السياسة هو البحث عن تقارب مع البلاد العربية ، والحفاظ على نفوذ فرنسا التقليدي ــ بعد تخليصه من الميراث الاستعماري التقليدي ــ في بعض البلاد العربية ، ووجد أن نقطة البداية هي تصفية المشكلة الجزائرية . ولما حقق ديجول ذلك بعقد اتفاقيات ايفيان ، بدأت خطوات التقارب العربي ــ الفرنسي تتوالى . وبدأ ذلك باعادة العلاقات الدبلوماسية مع سوريا والاردن والسعودية في نفس العام، وفي عام ١٩٦٣ اعيدت العلاقات مع العراق ، وفي عام ١٩٦٤ مع مصر .

وعلى الجانب الاخر ، كانت فرنسا تفقد مصالحها في التحالف مع اسرائيل ، التي تحولت الى التحالف مع امريكا وبدأ ديجول يقطع بعض مظاهر العلاقات الخاصة مع اسرائيل مثل اعمال المخابرات ، والتعاون في مجال الابحاث النووية . وابدى

ديجول تبرمه من الصهيونية ودورها داخل فرنسا ، وخطر هذا الدور على الاستقلال الذي يريد ان يبنيه ويدعمه(١٧).

وفي تلك الفترة ، حاولت مصر ، بعد ان اعادت علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا ، أن تجذبها الى موقف « محايد » في الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وتشير بعض المصادر الى ان الرئيس عبد الناصر طلب من الرئيس ديجول ، وقف تزويد فرنسا لاسرائيل بالاسلحة . ولكن الظروف ـ فيما يبدو ـ لم تكن مهيأة لاستجابة من الرئيس ديجول لهذا الطلب . كان لا يزال في انتظار ثمار عربية لسياسته تساعده وتغريه على اتخاذ هذا الموقف « العنيف » تجاه دولة عرفت بصداقتها التقليدية مع فرنسا ، ولم يكن في قدرة الرئيس الفرنسي ان يتخطى كل الارث الثقيل لهذه الصداقة في خطوة واحدة . ولكن هل يمكن التفرقة بين الصداقة مع اسرائيل وبين المصالح الفرنسية لدى الدول العربية ، كما أوصى بذلك تقرير جينيتي الذي قدم للرئيس الفرنسي في يوليو ١٩٦٣ ؟.

وفيما بين ١٩٦٣ و١٩٦٥ كانت السياسة الفرنسية تراقب تطور الاحداث في المنطقة العربية بيقظة شديدة . وكانت ترصد جيدا اتجاه الريح في هذه المنطقة . فقد كانت فترة مليئة بالاحداث التي غيرت كثيرا من مجريات الامور . شهدت محاولة اقامة تحالف ثلاثي مصري ـ سوري ـ عراقي وفشل هذه المحاولة في ١٩٦٣ ، وشهدت زيارة نيكيتا خروشوف لمصر ، ومؤتمرات القمة العربية ، والضغوط الامريكية على مصر لتغيير سياستها ، ومن كل هذا وضح امام مخططي سياسة فرنسا تجاه المنطقة أن الجو مؤات للتقدم خطوة للامام . وجاءت هذه الخطوة بعد ان قطعت الدول العربية علاقاتها مع المانيا الاتحادية بعد أن تكشفت امامها اسرار صفقة الاسلحة الضخمة التي حصلت عليها اسرائيل من المانيا . لقد بدا في تلك اللحظة الموقف العربي الذي تحددت صياغته في أن الدول العربية ستحدد علاقاتها مع اي دولة ، على ضوء موقف هذه الدولة من اسرائيل .

وقد شهدت تلك الفترة نضوج سياسة خارجية فرنسية متكاملة : الموقف من امريكا وحلف الاطلنطي ، وحدة اوربا ، العلاقة مع البلاد النامية ، وكل هذه المحاور الثلاثة تمثل قاعدة وركيزة لفرنسا مستقلة تلعب دورا قياديا في اوروبا ، وتقيم علاقات خاصة مع بلاد العالم الثالث . وقد رأت فرنسا الديجولية ان « الوطن العربي » هو اهم كتلة مؤثرة داخل العالم الثالث ، والتعامل مع البلاد النامية لا بد أن يمر عبر البلاد العربية. ولكن اي سياسة تبغي التقارب مع العرب لا بد أن تبعد عن موالاة اسرائيل ، وتأييدها بالشكل الذي فعلته حكومات الجمهورية الرابعة الفرنسية .

ومن المتفق عليه أن عام ١٩٦٥ قد شهد نهاية العلاقة الخاصة بين فرنسا واسرائيل، وانتهى التحالف الواقعي او التعاهد غير المكتوب الذي بدأ عام ١٩٥٥(١٨)، وبدات في نفس الوقت تتزايد وتيرة التقارب العربي الفرنسي ، واخذ هذا التقارب اشكالا مختلفة، وتجلى ذلك في المجال الاقتصادي ، كما يتبين من معاملات فرنسا الاقتصادية مع كل من العرب واسرائيل : • في عام ١٩٦٦ كانت التجارة العربية ـ الفرنسية تعادل ٢٤ر١٠ من اجمالي تجارة فرنسا الخارجية ، بينما كانت التجارة الفرنسية ـ الاسرائيلية تمثل فقط ٢٨ر٠ ٪ من هذه التجارة . • وبينما احتلت الدول العربية المرتبة الثانية ـ بعد المانيا الاتحادية مباشرة ـ في معاملات فرنسا الاقتصادية الخارجية ، كانت اسرائيل تحتل المرتبة التاسعة والاربعين . • وبينما ارتفع حجم المبادلات التجارية العربية ـ الفرنسية بنسبة ١٨٥ ٪ فيما بين عامي ٩٦١/١٩٦٦ ارتفعت تجارة فرنسا مع اسرائيل بنسبة ١٣٤ ٪ فقط . • وبينما استقبلت البلاد العربية نسبة ٧٦ ٪ من الخبراء

الفرنسيين العاملين خارج وطنهم فان اسرائيل لم تستقبل واحدا منهم في عام ١٩٦٦ .
● وبينما استقبلت البلاد العربية ٨٢٫٥ ٪ من المدرسين الفرنسيين العاملين خارج فرنسا عام ١٩٦٦ فان اسرائيل لم تستقبل منهم سوى ١٢٫٠ ٪ (١٩).

اذن يمكن القول بأن الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٦٥ كانت فترة تكوينية لاتجاه جديد في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي . وكان عاما ١٩٦٥ — ١٩٦٦ فترة اختبار لهذا الاتجاه(٢٠). الذي بدأ تطبيقه عمليا في الفترة اللاحقة لعدوان يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وحتى ١٩٦٩ . ومع بداية السبعينات كان هذا الاتجاه قد رسخ كموقف ثابت ومحدد في سياسة فرنسا الخارجية ، وهو يزداد الان ثباتا وتحديدا، نتيجه لتفاعل عوامل كثيرة .

لم يكن موقف فرنسا عشية عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وفي اعقابها قفزة مفاجئة. وفي نفس الوقت ، لم يكن وليد قرار ارتجالي املته ظروف طارئه ، ولم يكن أيضا قرارا فرديا لقائد كان يرى ان فرنسا هي ديجول ، وديجول هو فرنسا ، وانما نتج هـــذا الموقف عن تغير شامل لحق سياسة فرنسا الخارجية ككل ، منذ وصول ديجول الى الحكم في ١٩٥٨ ، وصاحبت ذلك مجموعة من الظروف والعمل جعلت الرئيس الفرنسي الذي قال في ١٩٦١ بل وفي ١٩٦٤ : « اسرائيل صديقتنا وحليفتنا » ، جعلته يقول في نوفمبر ١٩٦٧ : « ان العاطفة والعقل يحتمان ان تكون الصداقة والتعاون مع الشعوب العربية احدى الدعامات الاساسية لسياسة فرنسا الخارجية »(٢١). واذا كان ديجول في عام ١٩٦١ هو الذي تدخل بنفسه ليحسم في خلاف ثار حول عقد صفقة الطائرات ميراج — ٣ وكان عددها ٧٢ طائرة ، وكان تدخله لصالح اسرائيل(٢٢)، فان ديجول نفسه هو الذي حظر ارسال السلاح الى اسرائيل في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ليخلق بذلك نقطة تحول اساسية في موقف فرنسا من الصراع العربي — الاسرائيلي .

استقلالية فرنسا وأمن المتوسط : اتجاه فرنسي صاعد

قيل الكثير في تفسير اتجاه السياسة الخارجية نحو العرب واسرائيل : البترول ، التجارة والاقتصاد ، نفوذ العرب لدى بلدان العالم الثالث ، تبعية اسرائيل لامريكا ، وغير ذلك من عوامل وأسباب يمكن اجمالها في تعبير وحيد هو « مصالح فرنسا » . فالمصالح هي العنصر الاساسي في رسم السياسة الخارجية لاي بلد، وفي تحديد مسارها. والفكر الفرنسي يحاول أن يضع هذه المصالح — الفرنسية في التقارب مع العرب — تحت تعبير ايديولوجي أو غطاء ايديولوجي يسميه « أمن البحر الابيض المتوسط » ، وضرورة التلاقي بين البلاد الواقعة على الشاطىء الشمالي لهذا البحر ، وبين البلاد الواقعة على شاطئيه الجنوبي والشرقي ، أي البلاد العربية ، بما في ذلك البلاد التي لا تطل مباشرة على هذا البحر ، مثل السعودية ، والكويت والعراق وغيرها .

وفكرة تقارب بلدان حوض البحر المتوسط ليست جديدة لا على الفكر العربي ولا على الفكر الاوربي عامة والفرنسي خاصة . الثقافة الفرنسية لها تأثيرات كبيرة في مصر وسوريا ولبنان، فضلا عن بلاد المغرب العربي وفكرة « مصر المتوسطية » ترددت كثيرا خاصة قبل الحرب العالمية الثانية، والنظرة الى الجزائر على أنها امتداد لفرنسا، كل هذا وغيره كثير ، يقدم جذورا تاريخية لاتجاه يبرز الان ويصعد في الفكر الفرنسي . واذا كانت نقطة البدء في عودة هذا الاتجاه هي ان تفكير الرئيس ديجول كان يعطي مكانا ملحوظا لتراث فرنسا التاريخي ، فان هذا الاتجاه ينمو الان ، ليس اعتمادا على تراث فرنسا وعلاقاتها السابقة (خاصة الاستعمارية) مع البلاد العربية في حوض

المتوسط ، وانما ينمو اعتمادا على ملابسات وظروف دولية واقتصادية جديدة ، لم يسبق لها الوجود من قبل ، ظروف تجعل أوربا في حالة « تبعية » للبلاد العربية، وترى أنها تستطيع ان تساعد هذه البلاد في الخروج من دوامة التخلف من ناحية ، والابتعاد عن السقوط — هكذا يرى الفرنسيون — في دوامة الاستقطاب بين الامريكيين والسوفييت من ناحية أخرى !

لقد كانت الفكرة الاساسية التي سيطرت على ديجول منذ مجيئه للحكم هي العمل على استقلال فرنسا الوطني ، ليضمن لها مركزا جديرا بها . وقد رأى ديجول ان تحسين العلاقات مع العرب ضروري لفرنسا . كانت فكرة ديجول عن هذا بسيطة ومقنعة : الهدف هو وجود فرنسا قوية وناهضة وذات سيادة ، تتولى قيادة أوربا أو على الاقل توجيهها ، لتقوم بدور في العالم الثالث ، والمنطقة العربية هي القوة المؤثرة في العالم الثالث ، اذن لا بد من بناء جسور التواصل مع هذه المنطقة ، ونقطة البدء في ذلك هي اتخاذ موقف « منصف » من الصراع العربي — الاسرائيلي(٢٣) .

ولم تضع فرنسا الديجولية الفرصة التي اتيحت لها بعدوان اسرائيل في ١٩٦٧ ضد البلاد العربية ، فكشفت عن اتجاهاتها التي كانت دون شك اقترابا من العرب ، وابتعادا عن اسرائيل(٢٤) . فقد شهدت السنوات من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ فتورا شديدا — اختلفت درجته من وقت لآخر — في علاقات فرنسا مع اسرائيل ، بينما شهدت تحسنا مستمرا في العلاقات العربية الفرنسية ، صاحبه بروز الدعوة الفرنسية الى تلاقي بلدان البحر المتوسط أكثر فأكثر .

ولا شك أن هناك رابطة جغرافية اقليمية تربط ما بين بلدان حوض المتوسط ، بحيث يصير البحر نفسه حلقة وصل بين الدول الواقعة على شاطئيه . ولكن هذا الوصل والتواصل له حدود وترد عليه قيود . ذلك ان دول المتوسط تختلف فيما بينها اختلافا بينا من حيث النظم السياسية ، ودرجة النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . ورغم ذلك ، فقد كان رأي الرئيس ديجول يميل الى تحييد البحر الابيض المتوسط ، باخراج القوى الكبرى منه ، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، وجعله « بحيرة متوسطية » فقط ، بعيدة عن رياح الصراع بين العملاقين الكبيرين ، أكثر من هذا ، رنا ديجول الى اقامة نوع من الرابطة أو الاتحاد بين شعوب هذا البحر ، الاوربية وغير الاوربية ، لان ذلك يضمن أمن حوض المتوسط بطريقة أفضل(٢٥) . وكلمة « الامن » هي مفتاح السر في هذا التفكير الفرنسي نحو البحر المتوسط . كان هدف ديجول هو ضمان الاستقلال الفرنسي . وهذا يأتي عن طريق وحدة أوربا ، وأمنها ، ولا أمن لاوربا الا بضمان الامن في البحر المتوسط الذي يكاد يمثل قاعدة للمثلث القاري الاوربي الذي كان الرئيس الفرنسي يخطط لتوحيده .

وقد جاء عدوان اسرائيل ضد البلاد العربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ليزيد هذا التفكير الفرنسي بلورة ووضوحا ، فقد أدت النتائج التي نشأت عن هذا العدوان وعن آثاره الدولية ، الى أن تكتشف أوربا الغربية أنها « أكثر اقترابا الى عروبة البحر الابيض منها الى انجلوساكسونية المحيط الاطلنطي »(٢٦) .

ان هذا الاتجاه المتوسطي في فكر فرنسا — والذي يرتكز عليه الاتجاه الفرنسي نحو العرب واسرائيل — ظل التعبير عنه خفيا مستترا لفترة ، ومع عام ١٩٧٠ بدأ يتبلور ويتكون كائنا متكامل الملامح والتقاسيم .

في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، أدلى موريس شومان وزير خارجية فرنسا وقتئذ

ببيان في اجتماع عقده المكتب السياسي للمجموعة البرلمانية الديجولية ، قال فيه ان سياسة فرنسا في « الشرق الاوسط » تقوم أساسا على حماية وجودها في البحر المتوسط(٢٧) .

وفي الشهر نفسه — الذي واجهت فيه حكومة فرنسا حملة مضادة من الدعاية الصهيونية بسبب صفقة السلاح مع ليبيا — كان ميشيل دوبريه يتحدث في الاتجاه نفسه ، فقال في اجتماع عام باحدى ضواحي باريس : ان أهداف فرنسا هي توفير الامان في المناطق الغربية من حوض البحر الابيض المتوسط . وأكد دوبريه في حديثه أن فرنسا ليست موالية للعرب ولا لاسرائيل ، ولكنها موالية لمصالح فرنسا(٢٨) .

وفي ١٩ شباط (فبراير) من العام نفسه ، تحدث وزير خارجية فرنسا أمام لجنة الشؤون الخارجية بالجمعية الوطنية الفرنسية وأشار الى صفقة الميراج مع ليبيا ، وقال : « لا توجد سياسة فرنسية بشأن تسليم الاسلحة ، بل توجد سياسة فرنسية تجاه البحر المتوسط ، تتضمن ، فيما بين عناصر أخرى ، بيع أسلحة ... وان السياسة الفرنسية قائمة على التفتح ، وعلى اقامة علاقات صداقة ، بادئة في ذلك بدول المغرب ، وذلك بهدف ضمان أمن البحر المتوسط الذي تعده فرنسا منطقة استقلال وسلم »(٢٩) . وفي أواخر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ كان وزير الخارجية الفرنسي يتحدث أمام الجمعية الوطنية عما سماه « سياسة فرنسية واضحة ازاء دول حوض البحر الابيض »(٣٠) .

لقد بدأ الحديث عن « الشرق الاوسط » في السياسة الفرنسية يسير جنبا الى جنب مع الحديث عن البحر المتوسط وأمنه . وعندما قام الرئيس اليوجسلافي جوزيف تيتو بزيارة باريس في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، أدلى في مطار أورلي قبل مغادرته العاصمة الفرنسية بحديث عن نتائج محادثاته مع الرئيس الفرنسي بومبيدو . قال تيتو : ان فرنسا ويوجسلافيا دولتان تنتميان لاوربا والبحر المتوسط ، ومن الطبيعي أن تشاركا في القلق ازاء التدهور الراهن في الشرق الاوسط(٣١) .

ولم يقتصر الامر على مجرد عبارات متناثرة ترد على لسان سياسي فرنسي أو آخر حول سياسة فرنسا من حوض البحر الابيض المتوسط ، بل وضح أن للامر أبعادا أخرى ، أكثر عمقا . وتجلى ذلك في التقرير الذي صدر في باريس في صباح الثلاثاء ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٧٠ بعنوان : « أوربا ومشكلة الامن الدولي في البحر الابيض المتوسط »(٣٢) . وقد اشترك في اعداد هذا التقرير أكثر من خمسين مسؤولا سياسيا ، من بينهم سبعة وزراء تعاونوا مع ديجول ، وجامعيون ، وعلى رأسهم الكاتب الفرنسي الشهير فرانسوا مورياك . ان أهمية التقرير تتأتى من ربطه بشكل واضح لا خفاء فيه بين سياسة فرنسا المتوسطية ، أو ما تسميه أمن البحر المتوسط ، وبين الموقف الفرنسي الذي يجب أن يكون من الصراع العربي الاسرائيلي . ان الاتجاهات التي برزت أخيرا في أحاديث ديستان عن أماني الشعب الفلسطيني ، واقامة الدولة الفلسطينية ، وغير ذلك ، لم تكن بعيدة عن فكر واضعي هذا التقرير .

يمكن تلخيص الافكار الاساسية في هذا التقرير على الوجه التالي :

١ — الامن الاقليمي في منطقة البحر الابيض المتوسط حقيقة واحدة لا تتجزأ . ولا امن لاوربا اذا كانت المنطقة الجنوبية لحوض المتوسط معادية أو تسيطر عليها قوى معادية او دخيلة على البحر الابيض . ٢ — هذه الحقيقة لها سندها الاقتصادي في حاجة أوربا لبترول العرب ، وحاجة العرب الى معونة أوربا من أجل التنمية . ٣ — أمن المتوسط

يفرض تحييد هذه المنطقة بين القوتين الاكبر . ٤ ــ الصراع العربي ــ الاسرائيلي له انعكاسات خطرة على الامن الاوربي بأجمعه . ٥ ــ السلام في منطقة المتوسط يحتاج اجراء ذا شقين : الوصول الى حل عادل وعملي بخصوص « الدولة العبرية » وقيام التعاون بين أوربا الغربية والبلاد العربية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والمالية والثقافية دون اعتبار للنظم السياسية المحلية في هذه المنطقة . ٦ ــ علـى الدول الاوربية مسؤولية توجيه الوضع الحالي الى صورة من التنظيم السياسي لا تدع « الشعب الاسرائيلي » بأن يكون بأي شكل تهديدا خطيرا للعالم العربي ، وبحيث لا يمثل اية خصائص تخلق منه قاعدة لحركة دخيلة على منطقة البحر الابيض المتوسط .

وبخصوص هذه النقطة الاخيرة يقول التقرير بكل وضوح : « ان الشعوب الاوربية تحمل وزر مسؤولية ضخمة في هذا الصراع سواء بسبب العداء ضد السامية التي خلقتها تلك الشعوب والذي كان سببا في دفع العناصر اليهودية للبحث بعيدا عن وطن جديد ، أو بخلق تلك الايديولوجية التي ألهمت أولئك اليهود في بناء دولتهم على الارض العربية الفلسطينية ، أو بسبب عدم قدرة تلك الشعوب الاوربيـــة على العثور على صياغة للتعايش ولخلق الضمانات المشتركة في الوقت الذي وضعت فيه على عاتقها تلك المهمة من جانب الاسرة الدولية . ان اوربا عليها مسؤوليات مباشرة وغير مباشرة في جميع مراحل تلك المأساة : بخصوص جميع التصرفات التي ارتبطت بانشاء الدولة العبرية ، ازاء الهزيمة التي عانت منها الجيوش العربية ، دون الحديث عـــن ذلك التشتت والانتهاك الذي تعاني منه الشعوب العربية في الارض الفلسطينية . ان أوربا لا تستطيع الان أن تتخلى عن مسؤولياتها ازاء مصير تلك الشعوب التي دفعتها هي ، أي أوربا ، وبقوة الى ذلك الطريق الذي كان لا بد وأن يقود الى المأساة الحالية . وهذا يفرض عليها ان تراقب بعناية وحذر حتى لا يضحى بالمصالح والاماني التي يمثلها الشعب الاسرائيلي ولا بتلك الحقوق المشروعة التي يملكها أبناء فلسطين العرب . وأوربا عليها لذلك واجب وهو العمل على تطوير الوضع الحـــالي بصورة وأسلوب بحيث لا يسمح للتنظيم السياسي للشعب الاسرائيلي أن يمثل بأي شكل كان أي خطر حقيقي للعالم العربي ، وبحيث لا تمثل تلك الدولة أي الخصائص التي تسمح لها بأن تكون قاعدة أجنبية لخلق الاضطراب في تلك المنطقة ، يجب ان يهدف التطور الى أن يجعل منها عنصرا من بين عناصر أخرى تكون عالم الشرق الاوسط » .

ولا تعليق هنا على مثل هذا الكلام ، بأكثر من القول بأنه لو صح أن تقرير « كارل نبرمان » قد كتب فعلا ووجد حقيقة ، فان هذا التقرير الفرنسي يمثل تراجعا أوربيا ــ لاسباب عديدة ــ وبشكل أو آخر عن فكرة خلق كيان غريب في قلب الوطن العربي يفصل مشرقه عن مغربه .

ولكن دون الدخول في تفريعات كثيرة ، علينا ان نتتبع هنا حديث هذا التقرير عن ما يعترف بأنه « الحقوق المشروعة التي يملكها أبناء فلسطين العرب »(٣٣).

فرنسا وشعب فلسطين

اتخذت فرنسا تجاه « الفلسطينيين » منذ عام ١٩٤٨ موقفا اعتمد على الدعوة الى استيعاب اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية ، او توطينهم في أماكن أخرى . أما عودة هؤلاء اللاجئين الى أرض وطنهم فقد كانت بعيدة عن تفكير الفرنسيين . وقد ظل هذا الموقف سائدا بصفة عامة حتى عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام عقد الجنرال ديجول مؤتمره الصحفي الذي تحدث فيه

عن مشكلة الشرق الاوسط ، واشار بلهجة التعاطف الى أعمال المقاومة التي يمكن أن تنشأ بين سكان الارض المحتلة وتزايد أعداد النازحين من هذه الارض .

وبعد عدوان حزيران (يونيو) قاد اليسار الفرنسي المتعاطف مع العرب حملة ادانة ضد اسرائيل ، حتى ان بعض أوساط اليسار الجديد تراجعت عـــن موقفها المؤيد لاسرائيل ، وبدأت تستخدم تعبير De Zionization بمعنى ازالة الطابع الصهيوني عن الكيان الاسرائيلي(٣٤). وقد لعب ظهور « المقاومة الفرنسية المسلحة » دورا هاما في التأثير على الرأي العام الفرنسي تقبلا لوجهة النظر العربيـــة(٣٥). وبدأ الفرنسيون يربطون في وضوح بين « مشكلة اللاجئين » وبين حركة المقاومة الفلسطينية ، وتزايدت النسبة العددية لمن يعتبرون الاعمال الفلسطينية المسلحة اعمال مقاومة ضد الاحتلال (بلغت ٢٥ ٪) على من اعتبروها أعمالا ارهابية (٢٢ ٪ — وقد امتنع ٤٣ ٪ عن ابداء آرائهم بهذا الخصوص)(٣٦).

وقد لعبت الدوائر الفكرية الفرنسية المستنيرة دورا نشطا بهذا الخصوص ، وقد كونت هذه الدوائر عددا من الجمعيات والتجمعات التي ناصرت — مع اختلاف بنيتها — وجهة النظـــر العربية ، مثل : « منظمة دعم كفاح الشعب العربي ضد الامبريالية ، منظمة الوجود الفلسطيني ، حركة محاربة العنصرية المعادية للعرب ، منظمة الدفاع عن القضية العربية داخل الحزب الديجولي ، جمعية الصداقة العربية — الفرنسية ، جمعية اليسار لاجل السلام في الشرق الاوسط ، جمعية مساعدة الضحايا العرب في حرب حزيران (يونيو) ، جماعة البحث والعمل لحل القضية الفلسطينية »(٣٧).

وكان لا بد أن ينعكس هذا التحول في الراي العام الفرنسي تجاه « شعب فلسطين » في موقف فرنسا الرسمي من « أزمة الشرق الاوسط » . وبدأ المتحدثون الرسميون الفرنسيون يشيرون الى ذلك فعلا . فمندوب فرنسا في مجلس الامن يوضح موقف بلاده من القرار المقدم للمجلس في ٢٤ مارس ١٩٦٨ لادانة لاسرائيل في عدوانها على الكرامة فيناشد المجلس أن يفعل عند تحديد المسؤوليات بين عمليات عسكرية تدبـــر بعناية بواسطة حكومات وبين أعمال « يقوم بها أفراد أو مجموعات تحيـــا في ظل الاحتلال العسكري »(٣٨).

وفي ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ أعلن ميشيل دوبريه وزير خارجية فرنسا حينئذ أنه جاء وقت كانت اسرائيل فيه تواجه تهديدا شديدا من جيرانها ، أمـــا اليوم فان اسرائيل هي التي تهدد جيرانها باستمرار الصدام المسلح. وقال : « كان الاستقرار في ذلك الجزء من العالم يتطلب في الماضي تأييد اسرائيل ، أما اليوم فان الاستقرار يتطلب **بذل جهد لمساعدة الشعب الفلسطيني** ، وتجنب أزمة في العالم العربي »(٣٩).

في ذلك الوقت كانت صرخات الصهيونيين تتزايد احتجاجا بسبب فرض الحظـــر الشامل على تصدير السلاح الى اسرائيل . وقد زاد هذا من افصاح الديجوليين عن المزيد من التأييد للحق العربي . فقام الديجوليون اليساريون بتحويل صحيفتهم « نوتر ريبوبليك » الى منبر للدفاع عن العرب . وانبرى الكتاب الديجوليون للدفاع بحماس عن موقفهم ، وموقف حكومتهم ، فكتب دوبريه وزير خارجية فرنسا مقالا هاجم فيـــه اسرائيل ، وحذر من خطر سياستها ، وكتب جاك مونتاني رئيس تحريـــر صحيفة « لا ناسيون » الديجولية عدة مقالات وافتتاحيات « نارية » ، جاء في واحدة منها : « هناك صراخ في فرنسا لان اسرائيل فقدت سلاحا كانت تحصل عليه من فرنسا . . . بينما هناك شعب فقد ما هو اثمن من ذلك بكثير ، شيء جدير بالدفاع عنه ، فقد أرضه،

انه الشعب الفلسطيني الذي بدأ يعي ذاته ووجوده ، الآن ... يا اسرائيل حذار ، ها هو الخطر ماثل أمامك ، يقف على أبوابك اذا لم تتراجعي ، انه ولادة أمة « الامة الفلسطينية » ليست أقل عددا منك »(٤٠).

واذا كان عام ١٩٧٠ قد شهد — كما رأينا — بلورة محددة لسياسة فرنسا المتوسطية وعلاقة هذه السياسة بالموقف من العرب ، فان نفس الشيء حدث بالنسبة لبلورة الاعتراف الفرنسي « بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين » كما طالب بها الاتحاد الديمقراطي للعمال الفرنسيين في البيان الذي أصدره في مؤتمره في أيار (مايو) ١٩٧٠(٤١)، والدعوة بالتالي الى حل المشكلة الفلسطينية بما يتفق مع هذه المصالح المشروعة ، كما جاء في بيان صدر عن محادثات الرئيس الروماني نيكولاي تشاوشيسكو مع الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو ، في حزيران (يونيو) ١٩٧٠(٤٢). ولذلك لم تعد فرنسا تتحدث عن « لاجئين » فلسطينيين او على حد تعبير مندوبها في الجمعية العامة للامم المتحدة في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ عند مناقشتها لازمة الشرق الاوسط ورأي بلاده بالنسبة للتسوية العادلة « ... خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين لم يعد في مقدورنا أن نسميهم فقط باللاجئين الفلسطينيين ، والذين لديهم الحق في العودة الى ديارهم ، ليحيوا حياة مستقرة في ظروف عادية ، كما ان لديهم الحق في الكرامة ، وفي حرية تقرير مصيرهم »(٤٣).

ولكن كل هذه الآراء والافكار لم تجد صياغة محددة بوضوح قاطع الا في الوثيقة التي أقرتها دول السوق المشتركة في أيار (مايو) ١٩٧١ وحملت اسم وثيقة دول السوق المشتركة ، أو وثيقة شومان ، وزير خارجية فرنسا الذي وضع هذه الوثيقة ، والذي سعى — تنفيذا لسياسة حكومته — الى تجميع دول السوق حول سياسة موحدة تجاه المشاكل الدولية الكبرى ، وفي مقدمتها مشكلة الشرق الاوسط .

ما يعنينا هنا من هذه الوثيقة فقرتان : • « أن حل القضية الفلسطينية يتوقف على الارادة الحرة للسكان المعنيين ، وعلى مواقف الدول العربية المعنية ، وحسب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ » ، • « انشاء لجنة تضمن منح اللاجئين امكانية العودة الى البلاد أو التعويض والاستيطان في بلاد أخرى . وعند عودة اللاجئين الى اسرائيل يجب تنظيم مراقبة ودفع تعويضات موازية للاضرار مهما كان البديل الذي يختاره اللاجىء »(٤٤). كان هذا تغيرا حقيقيا في موقف فرنسا تجاه الفلسطينيين ، لم تكن تتحدث من قبل الا عن الاستيطان ، أما الآن فانها تتحدث عن حق العودة ، والتعويض . حتى ان الحكومة الفرنسية رأت ان مشروع الملك حسين الذي أعلنه في اذار (مارس) ١٩٧٢ ، غير كاف لحل « المشكلة الفلسطينية »(٤٥).

وقد ساعدت حرب تشرين (اكتوبر) في اضفاء مزيد من الوضوح والتحديد على هذا الاتجاه الفرنسي . فوسط نيران المعارك الحامية والتي لم تكن قد حسمت نتيجة الحرب لاي من الجانبين وان كانت بداياتها قد هزت مكانة اسرائيل العسكرية — كان المكتب التنفيذي للحزب الاشتراكي — المعروف بتعاطفه مع اسرائيل — يتخذ قرارا يؤكد فيه على « وجود اسرائيل وحقها في الامن » كما يؤكد على حق الامة العربية الفلسطينية ، وذلك في ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣(٤٦). ويصرح ميتران زعيم هذا الحزب قائلا : « ان لاسرائيل الحق في أن تبقى ، ولكن الفلسطينيين يجب أن يحصلوا على جزء من أراضيهم القومية»(٤٧). ولا يجد كاتب صهيوني هو ريمون آرون، محيصا عن السير في هذا الاتجاه ، فيقول : « لا أعتقد ان هناك من يمكن أن يشك في أن الحل الشامل أو النهائي يتضمن جزءا خاصا بالفلسطينيين » . ويضيف : « في

النهاية ، كان الاعتراف بممثل الفلسطينيين يفرض نفسه ، وفي النهـاية يجب على الاسرائيليين الاتصال بالفلسطينيين ، نظرا لان هؤلاء هم أعداؤهم الحقيقيون ، وان تحقيق السلام يفترض — من حيث المبدأ — اجراء حوار بين الاعداء » .

فاذا كان هذا هو موقف العناصر والقوى الفرنسية التي عرفت بتأييدها لاسرائيل ، فليس غريبا اذن أن تظهر الاتجاهات الفرنسية الاخيرة سواء في شكل لقاء بين وزير الخارجية الفرنسي ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وما يعنيه ذلك ، او في شكل تصريحات صادرة عن الرئيس الفرنسي ، او في شكل موافقة فرنسا على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الجمعية العامة للأمـم المتحدة لعرض قضيتها ، فكل هذه الاتجاهات لم تكن طارئة ولا مفاجئة .

١٩٧٥ وآفاق المستقبل :

لا شك ان التطورات الاخيرة في موقف فرنسا تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي تمثل تغيرا ايجابيا لصالح العرب ، بشرط ان نرى هذا التغير في حجمه الحقيقي دون تهوين او تهويل ، وان نتعرف اولا على دوافعه واسبابه .

ان موقف فرنسا حاليا يرتكز الى قاعدتين أساسيتين : ١ — بقاء اسرائيل داخل الحدود التي كانت عليها في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، أو اضافة تعديلات طفيفة في الارض التي احتلتها . ٢ — حل المشكلة الفلسطينية حلا مناسبـا باقامة وطـن فلسطيني .

ومعنى هذا ما يلي : أولا : ان حدود « الوطن الفلسطيني » و « الدولة اليهودية » ليست هي حدود قرار التقسيم في ١٩٤٧ . فهذا لا تقبله فرنسا الان ولا تؤيده او لا تضعه في أعتبارها . ثانيا : ان فرنسا الرسمية لا تؤيد حتى الان الفكرة التي تطرحها منظمات الثورة الفلسطينية عن الدولة الديمقراطية العلمانية التي تجمـع المسلمين والمسيحيين واليهود(٤٩) .

وقد أكد وزير الخارجية الفرنسي هذه الاتجاهات لحكومة اسرائيل وممثليها عند زيارته الاولى من نوعها التي يقوم بها مسؤول فرنسي لاسرائيل منذ قيامها ، وذلك في أواخر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي .

وفي ظل الظروف الراهنة يبدو من المرجح أن فرنسا لن تخطو كثيرا الى الامام عن الحد الذي بلغته الآن في اتخاذ موقف منصف من الصراع بين العرب واسرائيل . ولكن الموقف الحالي يمكن ان يزداد عمقا وتأثيرا لصالح العرب . ان تعميق هذا الموقف يكون بدفع فرنسا الى تحديد رؤيتها « للوطن الفلسطيني » ودفعها أكثر الـى تقريب هذه الرؤية درجة أو أخرى من التصور العربي — الفلسطيني عن الدولة الفلسطينية . وهذه مهمة ليست صعبة . ذلك ان وثيقة المفكرين والسياسيين التي أعلنت في شباط (فبراير) ١٩٧٠ والتي سبقت الاشارة تقدم تصورا أكثر تحديدا عـن دور فرنسي وأوربي تجاه « فلسطين » واسرائيل أكثر من التصور الذي وصلت اليه حتى الان الحكومة الفرنسية . واذا كان التصور الفكري — السياسي بهذا الخصوص قد ارتبط بالبحث عن نظام لامن البحر الابيض المتوسط ، وتوثيق العلاقات بين الدول الاوربية والعربية ، فان هذه فكرة تستحق الاقتراب منها ومعالجتها بحذر شديد . وعلى أية حال ، فليست هناك محاذير في السياسة او تخوفات ، ولكن هناك دائما حسابات توزن بدقة ، ونقطة الحساب الاساسية هنا أن لا يكون الدور الفرنسي — الاوربي عامة — يريد أن يطرح نفسه كبديل عن علاقات عربية مع القوى الاشتراكية ، اثبتت

فاعليتها وجدواها بشكل لا جدال فيه . وبهذا الخصوص فان للدور الفرنسي حدودا ، يجب علينا ان نعرفها جيدا وبوعي شديد ، ونقترب منها بحرص أشد .

أما تأثير موقف فرنسا ، فيبدو من دورها حاليا في أوربا الغربية ، بل وفي افريقيا رغم ان النفوذ الفرنسي في افريقيا قد ضعف بعض الشيء ، ولم يعد بنفس القوة التي كان عليها في عام ١٩٦٧ حينما كان يدعو الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية الى تأييد العرب داخل الامم المتحدة .

وعلى أي حال ، فان دور فرنسا الاوربي أهم وأكبر من دور فرنسا الافريقي . ان أحد هموم اسرائيل من موقف فرنسا الحالي ، هو ان يكون هذا الموقف نموذجا تتأثر به دول أوربا الغربية .

في آب (اغسطس) الماضي ، عقد سفراء اسرائيل لدى دول السوق الاوربية المشتركة اجتماعا في القدس المحتلة لدراسة مستقبل العلاقات الاوربية ــ الاسرائيلية . وقد ذكرت المصادر الدبلوماسية أن آشر بن ناثان سفير اسرائيل حاليا في باريس وسفيرها السابق في بون أبلغ زملاءه أنه يجب على اسرائيل منع الدول الاوروبية من التوصل الى موقف سياسي بشأن الشرق الاوسط(٥٠) . فهو يخشى أساسا من أن يكون هذا الموقف الموحد هو موقف فرنسا .

وهذا التخوف الفرنسي له ما يبرره : لقد تعلمت بريطانيا في ١٩٧٣ من موقف فرنسا في ١٩٦٧ ، فحظرت تصدير السلاح الى الدول المتحاربة في الشرق الاوسط . ومنذ عدوان ١٩٦٧ وفرنسا تشد دول السوق المشتركة الى مشاركتها آراءها في الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وفي المؤتمر الدبلوماسي الاسرائيلي الذي سلفت الاشارة اليه حالا ، صرح شنان بارون سفير اسرائيل في هولنده بأن الدنمارك ، وحتى هولنده ، تحاولان اقناع نفسيهما بأن ايجاد حل في الشرق الاوسط يكمن في اقامة دولة فلسطينية(٥٢) .

والعنصر المحدد وراء ذلك كله هو أن تقدم الدول العربية على تشجيع المصالح الفرنسية في الوطن العربي بقدر يساعد على ويزيد في تقريب فرنسا من الموقف العربي . وهناك آفاق كثيرة لذلك ــ رغم كل ما تحقق ــ يستطيع العرب فيها أن يفتحوا نوافذ لتعميق الموقف الفرنسي ، ولسنا هنا في مجال تقصي هذه المجالات ، ولكن يكفي أن نتذكر مثلا أن فرنسا لا زالت تحلم بأن تتدفق عليها رؤوس أموال عربية تساعد في كفالة الاستقرار الاقتصادي فيها ، خاصة وان فرنسا تعاني من عجز في ميزان المدفوعات يبلغ ٢٣ بليون فرنك فرنسي(٥٣) .

يبقى بعد ذلك ونحن نتحدث عن آفاق المستقبل أن نطرح سؤالا قد يبدو غريبا للوهلة الاولى هل يمكن ان تتراجع فرنسا عن الاتجاهات الحالية في موقفها من الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، لتعود مرة اخرى الى تأييد اسرائيل .

السياسة احيانا تواجهنا بحقائق اغرب من الخيال . ولكن مثل هذا الاحتمال غير وارد الآن(٥٤) . والاحتمال الاكبر هو ان تقدم فرنسا على اتخاذ مواقف اكثر انصافا ، وتأييدا للمواقف العربية ، وذلك يتوقف على عوامل كثيرة ، هو الموقف العربي لاقناع فرنسا بأن مصلحتها تكمن على الجانب العربي ، وليس على الجانب الاسرائيلي . وحتى في مجال التسوية السياسية يستطيع العرب أن يربحوا من اشراك فرنسا في تحقيق هذه التسوية ، بدلا من الاعتماد فقط على الصديق العزيز كيسنجر !

الحواشي :

١ — كتبت **الاكسبريس** « الفرنسية » في ٤ نوفمبر ١٩٧٤ : كان تولي ديستان منصب الرئاسة في فرنسا ، ووجود ميشيل بونياتوفسكي وجان لوكانييه ضمن المحيطين به ، قد أثار في اسرائيل آمالا جديدة على الاقل في عودة العلاقات القائمة بين البلدين الى حالتها الطبيعية .

٢ — نقلا عن ((**قضايا اسرائيلية**)) ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، العدد ٣ ، السنة الاولى (١٩٧٤) ، ص ١٠٥ .

٣ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .

٤ — نقلا عن **الاهرام** ، ٢٩ ابريل ١٩٦٩ .

٥ — **الاخبار** (القاهرة) ، ٢٩ ابريل ١٩٦٩ .

٦ — شحاده موسى : **علاقات اسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ — ١٩٧٠** ، مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١، ص ١٦١ .

٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٥٧ .

٨ — **الاكسبريس** « الفرنسية » ، ٤ نوفمبر ١٩٧٤ .

٩ — وكالة الانباء الفلسطينية (**وفا**) ، ٨ نوفمبر ١٩٧٤ .

١٠ — تجدر الاشارة هنا الى موقف فرنسا بالامتناع عن التصويت على قراري الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤ بحق الفلسطينيين في تقرير المصير ، واعطاء منظمة التحرير الفلسطينية وضع العضو المراقب في الامم المتحدة بجميع فروعها ومؤتمراتها . وفي اي محاولة للتفسير قد تظهر مجموعة من العوامل كالتالية : أ — حرص فرنسا على عدم زيادة حدة الخلافات داخل السوق المشتركة ، في وقت كانت فيه الخلافات محتدمة بين أعضاء السوق . لذلك رأت فرنسا أن اجماع هذه الدول على الامتناع عن التصويت هو الحل الافضل من وجهة نظرها. ب — محاولة فرنسية لاظهار الحياد ، حتى لا تقطع كل الجسور مع اسرائيل . ج — عدم الالقاء بكل رصيدها الى جانب العرب مرة واحدة . ان من يعطي كل شيء دفعة واحدة لا يجد بعد ذلك ما يساوم عليه . د — التذرع برفض النص في القرار على الاعتراف بوجود اسرائيل ! وعلى أي حال ، فان الموقف الفرنسي بهذا الخصوص يبدو غريبا ، ولا يستطيع أحد اسقاط المسؤولية تماما عن الدبلوماسية العربية وعجزها عن اقناع فرنسا باتخاذ موقف أكثر ايجابية ، لصالح الحق العربي والفلسطيني .

١١ — موريس ديلاريو : « أمل اسرائيل في فرنسا خاب ثلاث مرات » . **اوموند** ، ٣١ اكتوبر ١٩٧٤ .

١٢ — انظر وجهة نظر مماثلة لذلك في حديث حافظ اسماعيل — سفير مصر في فرنسا وقتئذ وسفير مصر حاليا في موسكو — مع فيليب جلاب ، **الاخبار** (القاهرية) ، ١٨ يناير ١٩٧٠ . ولكن وجهة النظر هذه تختفي حتى من الكتابات السياسية ، ولا تظهر الا على استحياء . لماذا فقدان الحس التاريخي الى هذا الحد ؟ هل هي طبيعة الكتابة الصحفية وما تحتاجه من سرعة وتبسيط ، أم هي آفة عدم الاكتراث والميل الى التبسيط حتى لو أفقد الكتابة أي عمق في التحليل ، وأعطاها سمة وحيدة هي السطحية وما يترتب عليها من ابتذال .

١٣ — ب. وايزمان و د. ف. تيسيدر : **سياستنا تجاه النزاع الاسرائيلي — العربي** ، ترجمة محمود حسن حلمي، الهيئة العامة للاستعلامات بوزارة الارشاد القومي (الاعلام حاليا) — جمهورية مصر العربية . كتب مترجمة ، رقم ٦٩٣ . بدون تاريخ . ص ١٢٧ .

١٤ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٨ .

١٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٣٤ .

١٦ — يحاول جيلبير — سفير فرنسا في اسرائيل من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩ — ان ينفي اي علاقة بين هذا القرار وبين أي تقارب فرنسي مع العرب ، وذلك في حديثه مع الكاتبين المذكورين ، انظر **المصدر نفسه** ص ١٦٧ . ويرى ان ديجول غير موقفه في الواقع فجأة في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ... لاسباب شخصية !!

١٧ — لم ينج ديجول من سيف الاتهام بمعاداة السامية ما دام ينفر من الصهيونية كقوة تريد أن تفرض سيطرتها داخل فرنسا اعتمادا على

بعض ركائزها بين رجال المال والاعمال والبنوك والاعلام . وهكذا ينبري كريستيان بينو — وزير خارجية فرنسا أيام العدوان الثلاثي — (وغيره كثيرون من أنصار اسرائيل في فرنسا) ليقول : « ان الجنرال شديد العداء للسامية »، ويحاول ان يبحث لذلك عن جذور ... انظر ، **المصدر نفسه** ص ١٧٣ .

١٨ — **المصدر نفسه** ، ص ١٤٢ . وانظر عرض محمد علي العويني لكتاب ميشيل بريشر : « نظام سياسة اسرائيل الخارجية » ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٣٥ ، تموز (يوليو) ١٩٧٤، ص ١٣٤ . يعتبر المؤلف ان من انجازات سياسة اسرائيل الخارجية نجاحها **في الحصول على تأييد دبلوماسي عسكري من فرنسا في شكل تحالف واقعي من ١٩٥٥ — ١٩٦٦ .**

١٩ — لطفي الخولي : من « جي موليه ١٩٥٦ » الى « ديجول ١٩٦٧ » ، **الاهرام** ، ٧ يناير ١٩٦٨ .

٢٠ — تعتبر نبية الاصفهاني ان الفترة من ١٩٥٨ الى مايو ١٩٦٧ تمثل في مجملها فترة التكوين ، انظر : نبية الاصفهاني : « الدبلوماسية الفرنسية والمواجهة العربية الاسرائيلية » ، **السياسة الدولية** ، السنة الثالثة ، العدد ٣٠ ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢، ص ٦٩ .

٢١ — نقلا عن **الاهرام** ، ١ شباط (فبراير) ١٩٧٢ .

٢٢ — وايزمان وتيسيدر : سياستنا ، **مرجع سابق** ، ص ١٣٠ .

٢٣ — **المصدر نفسه** ، ص ١٤٥ ، وانظر : محمد حسنين هيكل : « هل تتغير سياسة فرنسا تجاهنا بعد ديجول ؟ » ، **الاهرام** ، ٢ أيار (مايو) ١٩٦٩ .

٢٤ — لا حاجة الى التوسع في الوقائع ، فهي معروفة ولا زالت حية ، ويمكن تلخيصها على النحو التالي : عدم معارضة فرنسا لقرار سحب قوات الطوارىء الدولية ، الدعوة الى مؤتمر رباعي لدراسة أزمة خليج العقبة ، تحذير الرئيس ديجول لابيان بأن من يطلق الرصاصة الاولى لن يجد مساعدة فرنسا ، استنكار فرنسا للعدوان ، وحظر السلاح الى اسرائيل بكل تطوراته التي أدت الى ان صار حظرا شاملا ، رفض فرنسا المتكرر لاحتلال اسرائيل ، ادانتها لاعمال اسرائيل في القدس وفي الارض المحتلة ، واعتداءاتها على الدول العربية ، رفض فرنسا لطلب اسرائيل باجراء مفاوضات مباشرة مع العرب ، دعوة فرنسا الى الاجتماعات الرباعية ، موقف فرنسا من الانسحاب بأن يكون انسحابا شاملا الا بتعديلات طفيفة في الحدود ، تزويد فرنسا لبعض الدول العربية بالسلاح . وفي مقابل ذلك حصلت فرنسا على مكاسب اقتصادية في زيادة تعاملها مع البلاد العربية ...

٢٥ — الدكتور صلاح العقاد : « العلاقات الدولية بين الجزائر وفرنسا » ، **السياسة الدولية** ، السنة السابعة ، العدد ٢٣ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، ص ٥٤ .

٢٦ — الدكتور حامد ربيع : **التعاون العربي والسياسة البترولية** ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٠٨ .

٢٧ — عسايده ثابت : « العلاقات العربية — الفرنسية » ، **الجمهورية** (القاهرية) ، ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ .

٢٨ — **الاهرام** ، ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ .

٢٩ — نقلا عن نبية الاصفهاني : « الدبلوماسية الفرنسية ... » ، **مصدر سابق** ، ص ٩٢ . وانظر المصدر الذي تشير اليه .

٣٠ — **الاهرام** ، ٢ أيار (مايو) ١٩٧٠ .

٣١ — **الاهرام** ، ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ .

٣٢ — اعتمدت في كل التفاصيل الخاصة بهذا التقرير على ما ورد بالفصل الثالث من كتاب الاستاذ حامد ربيع « التعاون العربي والسياسة البترولية » ، **مصدر سابق**، ص ١٦٧ — ١٩٧ .

٣٣ — التفاصيل كثيرة حول موقف فرنسا من خلق منطقة أمن اقليمي في البحر المتوسط . وما يعنينا بهذا الخصوص هو أن نتذكر الحقائق الثلاث التالية : أولا : بيان مؤتمر القمة الاوربي في باريس يوم ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢ الذي دعا الى انشاء منطقة تجارة حرة تضم دول السوق المشتركة ، والدول المطلة على البحر الابيض المتوسط . ثانيا : بيان مؤتمر القمة العربي السادس في الجزائر في

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ الذي جاء فيه : « ان أوربا الغربية تتصل بالشعوب العربية عبر البحر الابيض المتوسط بصلات حضارية ، متينة ومصالح حيوية متداخلة ، لا يمكن ان تنمو الا في اطار تعاون تسوده الثقة والمصالح المتبادلة » . ثالثا : في مؤتمر القمة الاوربي في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ دعت فرنسا الى عقد مؤتمر قمة عربي — أوربي على مستوى عال لارساء أسس التعاون المنظم بين الطرفين .

٣٤ — شحاده موسى : **علاقات اسرائيل** ، **مصدر سابق** ، ص ١٤١ .

٣٥ — **المصدر نفسه** : ص ١٧٢ .

٣٦ — عبد العزيز فهمي : استفتاء تقوم به المؤسسة الدولية « سيما » عن رأي الشعب الفرنسي في الشعب العربي . **أخبار اليوم** ، ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ .

٣٧ — أميمة أبو النصر : « هل تتغير سياسة فرنسا بعد ديجول ؟ » ، **الجمهورية** (القاهرية)، ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ .

٣٨ — نقلا عن نبية الاصفهاني : « الدبلوماسية الفرنسية ... » ، **مصدر سابق** ، ص ٨٥ .

٣٩ — شحاده موسى : «علاقات اسرائيل ...»، **مصدر سابق** ، ص ١٤٢ .

٤٠ — نبيل زكي : « موعد مع باريس » ، **الاخبار** (القاهرية) ، ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩.

٤١ — **الاخبار** (القاهرية) ، ١١ أيار (مايو) ١٩٧٠ .

٤٢ — **الاهرام** ، ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ .

٤٣ — نقلا عن نبية الاصفهاني : « **الدبلوماسية** الفرنسية ... » ، **مصدر سابق** ، ص ٨٧ .

٤٤ — **المصدر نفسه** ، مع اختلاف في الصياغة .

٤٥ — **المصدر نفسه** .

٤٦ — مجموعة باحثين : « فرنسا والحرب » ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٧ ، **تشرين الثاني** (نوفمبر) ١٩٧٣ ، ص ٩٥ .

٤٧ — عبد العزيز العجيزي : « الحق العربي يفرض نفسه على المجموعة الاوربية»، **السياسة الدولية** ، السنة العاشرة ، العدد ٣٥ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ ، ص ١٥٥ .

٤٨ — ريمون آرون : « أين يتوقف الحريق ؟ » ، **لو فيجارو** ، ٢ تشرين الثاني (توفمبر) ١٩٧٤.

٤٩ — **لوموند** ، ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

٥٠ — انظر **لوموند** ، ٣١ تشرين الاول ١٩٧٤ والايام التالية ، **الاكسبريس** عدد ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) .

٥١ — وكالة أنباء المانيا الاتحادية (د. ب. ١) في ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٧٤ . نقلا عن : « القضية الفلسطينية في شهر ، » ، العدد السابع ، السنة الاولى ، أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ ، ص ٣٥ ، وهي نشرة دورية تصدر عن الادارة العامة لشؤون فلسطين بالامانة العامة لجامعة الدول العربية .

٥٢ — **المصدر نفسه** .

٥٣ — زكريا نيل : « الحوار العربي الاوربي »، **الاهرام** ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

٥٤ — **لوموند** ، ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

الخيار النووي الاسرائيلي ضرورة استراتيجية

محمود عزمي

في ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤ ، صرح افرايم كتسير ، رئيس دولة اسرائيل ، في حديث له مع عدد من المراسلين العلميين الاسرائيليين والامريكيين والاوربيين بـأن « لدى اسرائيل القدرة على انتاج اسلحة نووية ، واذا احتجنا لذلك سننفذه »(١). وقد اثار هذا التصريح مجددا ، وعلى نطاق واسع واكثر جدية ، قضية امتلاك اسرائيل للاسلحة النووية من عدمه ، ومدى تأثير هذه الاسلحة ، في حالة حيازتها لها ، على استراتيجية اسرائيل الشاملة والعسكرية .

وتتطلب الاجابة على هذه التساؤلات البالغة الاهمية القاء بعض اضواء البحث العلمي والاستراتيجي حول النقاط التالية : ١ — متطلبات صناعة الاسلحة النووية في ابسط صورها . ٢ — مدى التطور الذي قطعته اسرائيل في مجال انتاج الاسلحة النووية . ٣ — الدور الذي يمكن ان تلعبه الاسلحة النووية في الاستراتيجية الاسرائيلية .

● متطلبات صناعة الاسلحة النووية :

الذرة هي اصغر جزء من العنصر يمكنه الاحتفاظ بخصائص ومزايا العنصر الفيزيائية والكيميائية . وهي تتألف من نواة صغيرة وثقيلة تدور حولها جسيمات مادية مشحونة بشحنة كهربائية سالبة تعرف باسم الالكترونات ، وتتم هذه الحركة في شكل وثبات مغزلية للالكترونات حول النواة . وتتألف النواة نفسها من نوعين من الجسيمات المادية العديدة ، النوع الاول مشحون بشحنة كهربائية موجبة ويسمى البروتون ، والثاني متعادل الشحنة الكهربائية ويسمى النيترون . ويكون عدد البروتونات دائما مساويا لعدد الالكترونات ، الامر الذي يجعل الذرة متعادلة كهربائيا. وتتحدد نوعية العنصر وفقا لعدد البروتونات الموجودة في نواة ذراته ، كما يختلف وزن الذرة من عنصر لاخر ، او من عنصر لنظير له ، وفقا لاختلاف عدد البروتونات والنيترونات الموجودة داخل النواة . وتكون الذرة ثقيلة اذا ما كان عدد النيترونات داخل نواتها اكثر من عدد البروتونات ولهذا تصبح في حالة غير مستقرة وتسعى للتخلص من ثقلها الزائد بالاشعاع حتى تستقر في صورة عنصر جديد (وذلك مثلما يتحول اليورانيوم الى رصاص بصورة تلقائية خلال ٥٠ مليون سنة) وتتولد عن ذلك طاقة حرارية . واذا ما امكن تحويل مادة عنصر معين الى طاقة فان حجم هذه الطاقة يكون هائلا للغاية ، نظرا لان الطاقة الناتجة عن ذلك تساوي كتلة المادة المستخدمة مضروبة في مربع سرعة الضوء (وتبلغ سرعة الضوء ١٨٦ الف ميل في الثانية) . وقد توصل العلماء الى امكان قذف نواة بعض العناصر ، ذات الصفات غير المستقرة، بنيترون من خارجها ، وادى ذلك الى انشطار هذه النواة وظهور نواتين جديدتين غير

متساويتين وغير مستقرتين تقذفان عددا من النيترونات الجديدة تشطر نويات اخرى ، وهكذا يجري تفاعل نووي متسلسل يؤدي الى توليد طاقة يستفاد منها سلميا اذا ما بقي هذا التفاعل ضمن سرعة معينة ويجري التحكم فيه ، كما انه يؤدي الى انفجار ذري مدمر اذا ما تحققت سرعة اكبر للنيترونات .

ويتوقف انتاج القنبلة الذرية على توفر المادة القابلة للانشطار ، ومعرفة الحد الادنى اللازم من كمية هذه المادة لاستمرار سلسلة التفاعل ، ثم معرفة كيفية تصميم السلاح وتجميعه وتفجيره .

والمادة القابلة للانشطار تتألف من عنصر اليورانيوم ٢٣٥* أو عنصر البلوتونيوم ٢٣٩ . ولا توجد هاتان المادتان بصورة مباشرة في الطبيعة ، اذ أن اليورانيوم الطبيعي يوجد به نسبة ٠،٧٪ فقط من اليورانيوم ٢٣٥ ، والباقي يتألف من اليورانيوم ٢٣٨ غير القابل للانشطار . ومن ثم فان اليورانيوم الطبيعي يحتاج الى اجراء عملية صناعية ضخمة من اجل تركيزه الى ما يزيد عن ٩٠٪ حتى يصبح مادة صالحة لصنع سلاح ذري . أما البلوتونيوم ٢٣٩ فهو عنصر ينتج عن احتراق اليورانيوم الطبيعي في المفاعل النووي ، وله خصائص كيميائية مختلفة تماما عنه ، ولذلك لا بد من فصل العنصرين عن بعضهما البعض ، بعد عملية الاحتراق ، في مصنع فصل كيميائي خاص . ويوجد اليورانيوم الطبيعي كمادة خام في الطبيعة ، كما انه يمكن استخراجه من الفوسفات أو الذهب . ويلزم تركيزه الى أن يصل الى تركيب اليورانيوم ٢٣٥ ، ويتم هذا التركيز، أو « الاخصاب » كما يسمونه احيانا ، باحدى طريقتين :

١ — الطريقة الاولى ، وتعرف بطريقة الانتشار الغازي ، وهي تتطلب نفقات انشائية ضخمة واستهلاكا كبيرا للكهرباء خلال التشغيل (تكلفت محطات الانتشار الغازي الامريكية الثلاث الموجودة في الولايات المتحدة توظيفات اولية بلغت ٢٣٠٠ مليون دولار ، وهي تستهلك ٦٠٠٠ ميغاواط في السنة عند تشغيلها بطاقتها القصوى)(٢) .

٢ — الطريقة الثانية ، وتعرف بطريقة الطرد المركزي الغازية لفصل النظائر ، وتتميز بقلة نفقاتها الاقتصادية سواء من حيث التوظيف الاولي او التشغيل (اذ تقل تكاليف الانشاء عشر مرات وتكاليف التشغيل عشرة الاف مرة ، اذا ما قورنت بطريقة الانتشار الغازي ، وذلك بالنسبة لفصل ما لا يزيد عن ١٠٠ كلغ من اليورانيوم ٢٣٥ في السنة) ، فضلا عن أن أخفاء مصنع الطرد المركزي يعد اسهل نسبيا من مصانع الانتشار الغازي او مفاعلات انتاج البلوتونيوم . ولكن تظل عملية فصل البلوتونيوم ٢٣٩ عن اليورانيوم ٢٣٨ المستخدم كوقود للمفاعلات النووية (التي يجري تشغيلها لانتاج الطاقة الكهربائية مثلا) اسهل نسبيا من عمليات تركيز اليورانيوم ٢٣٥ ، رغم أن مصانع الفصل الكيميائي من الصعب للغاية اخفاؤها عن العين المدربة والاقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع بسبب ما تتميز به عادة من شكل ابنيتها الطويلة العالية العديمة النوافذ وبعدها عن المناطق المأهولة بالسكان ، ولذلك تعمد الدول الذرية الى استرداد اليورانيوم المستخدم كوقود في المفاعلات النووية التي تنشئها لحساب الدول الاخرى غير الذرية لاهداف الحصول على طاقة كهربائية أو للبحث

---

* تتألف نواة اليورانيوم ٢٣٥ من ٩٢ بروتون (وهو العدد الموجود في جميع نويات انواع اليورانيوم الاخرى) و١٤٣ نيترون ، وهو النوع الوحيد من اليورانيوم القابل للانشطار . أما اليورانيوم ٢٣٨ فتتألف نواته من ٩٢ بروتون و١٤٦ نيترون .

العلمي . وتحتاج المفاعلات النووية ليس فقط لوقود ذري (أي اليورانيوم الطبيعي) وانما أيضا الى الماء الثقيل (أي الهيدروجين الثقيل) كمعدل ومهدىء للتفاعلات الجارية في قلب المفاعل ، نظرا لان ذراته خفيفة الوزن ومستقرة وتستطيع بالتالي ان تقلل من سرعة النيترونات التي تقذفها نواة اليورانيوم(٤). وقد تستعمل مادة « الغرافيت » كمعدل ومهدىء بدلا من الماء الثقيل الذي يتوفر بسهولة أكبر ، ويتطلب انتاج قنبلة ، او قنابل ذرية ، مصنوعة من « البلوتونيوم ٢٣٩ » ، وهو الاسلوب السائد في انتاج هذه القنابل ، توفر القدر اللازم من اليورانيوم الطبيعي المستخرج محليا او المستورد كوقود للمفاعلات (في حالة عدم وجود رقابة دولية عليه) ، ومصنع لتهيئة اليورانيوم للاستعمال في المفاعل النووي كوقود ، ومفاعل نووي تتم فيه عملية الاحتراق بالطاقة الكهربائية ، ومركز فصل كيميائي لاستخلاص قلب مادة البلوتونيوم ٢٣٩ القابل للانشطار ، ويتم بعد ذلك تصميم السلاح النووي (الامر الذي يتطلب معرفة الكتلة الحرجة للمادة المتفجرة) الذي يشتمل على الزناد المفجر للبلوتونيوم . وليست هناك ضرورة مطلقة في جميع الحالات لاختبار القنبلة الذرية الاولى ، ما دام تصميمها وتجميعها يتم وفقا للطرق المألوفة في تقنية صناعة القنابل الذرية دون أي تجديد جوهري من قبل الدولة الذرية الجديدة المنتجة لها .

وعلى أي حال فقد امكن في احدى التجارب النووية الامريكية (اختبار هاتسبرغ في ١٩٦٦/١٢/٣) تفجير قنبلة ذرية على عمق ١١٠٠ متر في باطن الارض دون أن يكتشف الاختبار ، وذلك بتعليق القنبلة في فجوة جوفية محاطة بالهواء تعمل كملطف بامتصاص آثار الاهتزازات الرئيسية التي يحدثها الانفجار ، وكلما كانت الفجوة اوسع كلما كان الانفجار الذي يتم دون ان يكتشف اقوى . (فالانفجار الذي قوته ١٠ كيلو طن يتطلب فجوة قطرها نحو ١٢٠ مترا ، على حين ان الانفجار الذي قوته ١٠٠ كيلو طن يتطلب فجوة قطرها نحو ٢٥٦ مترا ، علما بأن قنبلة هيروشيما كانت قوة انفجارها ٢٠ كيلو طن) ، كما انه يمكن اجراء هذه العملية قرب سطح الارض نسبيا بشرط ان تكون الفجوة اوسع(٥).

وقد قدرت مجموعة من الخبراء العالميين عام ١٩٦٦ تكاليف انتاج القنبلة الذرية الاولى لدولة غير نووية بنحو ٢٠٠ مليون دولار . كما قدرت مجموعة اخرى من الخبراء الاستشاريين لدى الامم المتحدة عام ١٩٦٨ أن انفاق ١٢٨٠ مليون دولار خلال عشر سنوات سيتيح لاي بلد صناعي ذى برنامج نووي مدني ان يطور ويبني قوة تضم ١٠٠ قنبلة ذرية مصنوعة من البلوتونيوم ٢٣٩ و ٥٠ صاروخا متوسط المدى و ٣٠ ــ ٥٠ قاذفة صالحة لحمل القنابل المذكورة(٦). (وذلك نظرا لانخفاض كلفة صناعة البلوتونيوم نسبيا ، بالقياس الى اليورانيوم ٢٣٥ ، والتي تقدر في هذه الحالة بنحو ٢٠٠ مليون دولار باسعار عام ١٩٧٢ بالنسبة لمائة قنبلة)(٧).

• القدرة العلمية والتقنية على انتاج الاسلحة النووية في اسرائيل :

بدأ الاهتمام بالابحاث النووية في اسرائيل قبل الانتهاء من حرب ١٩٤٨ ، اذ كان « حاييم وايزمن » ، رئيس الدولة ، من كبار علماء الكيمياء العضوية وله صلات وثيقة بكبار علماء الذرة في العالم ، وكان مدركا لاهمية ايجاد مصدر للطاقة النووية في اسرائيل نظرا لانعدام وجود النفط فيها ولحاجتها الماسة لتحلية مياه البحر . ولذلك شكلت وحدة علمية تابعة لفرع البحث والتخطيط في وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وقامت هذه الوحدة العلمية بدراسة مفصلة للمصادر المعدنية الموجودة في صحراء النقب ادت الى اكتشاف اليورانيوم الطبيعي في رواسب الفوسفات بنسبة ٠،٠١ ــ ٠،٠١ في

المائة . ثم ارسل الى الخارج عدد من المبعوثين لدراسة العلوم الذرية خلال عـام ١٩٤٩ ، كما انشأت دائرة للبحث في النظائر بمعهد وايزمن في مستعمرة « رحوبوت » خلال السنة نفسها . وفي ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٥٢ تألفت لجنـة الطاقة الـذرية الاسرائيلية ضمن اطار وزارة الدفاع وزودت بميزانية مستقلة ومختبرات خـاصة ، وترأسها الدكتور « ارنست دافيد بيرغمان » رئيس فرع البحث والتخطيط السابـق ، الذي اكتشف اليورانيوم في فوسفات صحراء النقب .

وفي ١٩٥٣ بدأ المبعوثون يعودون من الخارج ، واسست فـور وصولهم دائـرة للفيزياء النووية في معهد وايزمن ، وكان بين اعضاء هذه الدائرة الدكتور « اسرائيل دوستروفسكي » الذي استطاع ان يطور عملية لانتاج الماء الثقيل اللازم في تشـغيل المفاعلات بطريقة كيميائية لا تعتمد على القوة الكهربائية كما كان متبعا في أنتاج المـاء الثقيل ، الذي كانت النروج تحتكر انتاجه من قبل . وفي منتصف ١٩٥٣ وقعت اسرائيل اتفاقا للتعاون مع فرنسا في مجال الابحاث النووية ، اشترت فرنسا بموجبه بـراءة طريقة دوستروفسكي لانتاج الماء الثقيل واعداد خام اليورانيوم المنخفض المرتبة من الفوسفات ، وفي المقابل فتحت فرنسا مؤسستها الذرية للعلماء الاسرائيليين وتدريبهم فيها . وهكذا بدأت رحلة الابحاث النووية المتطورة في اسرائيل ، وبدأ اعداد الكفاءات البشرية اللازمة في هذا المجال .

وفي ١٩٥٥ عقدت اسرائيل اتفاقية مع الولايات المتحدة الامريكية ، وفقا لمشروع ايزنهاور المسمى « الذرة من اجل السلم » ، وحصلت بمقتضاها على مفاعل نـووي طاقته ٥ ميغاواط اقامته في وادي نهر سوريق على مسافة ٢٠ كلم جنوب تل ابيب ، ويستخدم اليورانيوم كوقود ولكنه لا ينتج البلوتونيوم نظرا لاعـادة اليورانيوم بعـد احتراقه الى الولايات المتحدة ، وقيمته الاساسية انه مركز لتدريب العلماء والفنيـين وللبحث النووي وتطويره . كما حصلت اسرائيل ايضا من الولايات المتحدة نتيجـة للاتفاقية المذكورة على مكتبة علمية ضخمة ضمت ٦٥٠٠ تقرير عن البحوث الـذرية الامريكية ، و ٤٥ مجلدا عن النظرية الذرية وخلاصات تقارير ومقالات متصلة بهـا ، فضلا عن تدريب نحو ٥٦ اسرائيليا في المنشآت النووية الامريكية . كما انشأ مفاعل نووي اخر ، امريكي ايضا ، بعد ذلك في معهـد « التخنيون » بحيفا تبلـغ طاقته ٨ ميغاواط ويستخدم اليورانيوم الطبيعي كوقود ، ويساعد هذا المفاعل في ابحاث المعهد المذكور التي يقوم بها طلبة الدكتوراه في مواضيع الفيزياء والكيمياء النووية(٨) .

وقد انشأ مفاعل امريكي ثالث يعرف بمفاعل « ريشون ليزيون » عام ١٩٥٨ تبلـغ طاقته ٥ ميغاواط ، وفي عام ١٩٦٦ بدأ في انشاء مفاعل امريكي رابع في منطقة « بني روبين » تكون طاقته ٢٠٠ ميغاواط ويهدف الى انتاج ١٢٠ مليون متر مكعب من الماء العذب يوميا من مياه البحر الابيض المتوسط ولكن بناء هذا المفاعل لم يتم حتى الان ، على ما يبدو ، بسبب صعوبات مالية ، وبسبب مطالبة الولايات المتحدة بحق التفتيش على مفاعل « ديمونا » .

الا أن أهم واخطر الخطوات الفعالة التي خطتها اسرائيل على طريق انتاج الاسلحة النووية ، هي انشاؤها مفاعل « ديمونا » الواقع على منتصف الطريق الصـحراوية بين « بئر سبع » و « سدوم » على البحر الميت قرب بلدة « ديمونا » وفي اسفل الجبل المعروف باسمها . وهو مفاعل بني بمعاونة فرنسا بمقتضى اتفاق سري عقد عـام ١٩٥٧ ، ووضع تحت الاشراف المباشر لوزارة الدفاع الاسرائيلية (وكان لشمعون بيرس دور كبير في التوصل الى الاتفاق الخاص به بحكم منصبه وقتئذ كمدير عام لوزارة

الدفاع) وقد قدرت نفقات أنشائه عام ١٩٦٠ بنحو ١٣٠ مليون دولار ، ويستخدم هذا المفاعل اليورانيوم الطبيعي كوقود ، وتبلغ طاقته ٢٤ ميغاواط ، ويمكنه انتاج غرام واحد من البلوتونيوم ٢٣٩ يوميا لكل مليون واط حراري ، أي ٢٤ غراما يوميا ، ويبلغ انتاجه السنوي حوالي ٩ كلغ ، وهو غير خاضع لاي رقابة دولية ، ويعمل ٢٤ ساعة يوميا ويعطل ٥ ايام كل ٣ اشهر(٩). ويستخدم مادة الغرافيت كمعدل ومهدىء، وقد حصلت اسرائيل على اليورانيوم اللازم لتشغيله في السنة الاولى (يقال انه بدأ انتاجه الفعلي في اواخر عام ١٩٦٤) ويبلغ ٢٤ طنا ، بواقع ١٠ اطنان اشترتها من جنوب افريقيا و ١٠ اطنان انتجت محليا و ٤ اطنان من مصادر فرنسية ، فضلا عن ٣ اطنان اخرى اشترتها من كندا . وابتداء من عام ١٩٦٥ استطاعت اسرائيل ان توفر حاجتها من اليورانيوم اللازم كوقود لمفاعل ديمونا من انتاجها المحلي المستخرج من مناجم الفوسفات في جنوب غربي البحر الميت (حيث يوجد ثاني اوكسيد اليورانيوم بنسبة ٠،٥٠٪) ومن مناجم النحاس في « تيمنا » بالقرب من ميناء ايلات (حيث يوجد ثالث اوكسيد اليورانيوم بنسبة ٠،٠٣٪) ، فضلا عن استمرار حصولها على اليورانيوم من جنوب افريقيا والارجنتين(١٠).

واذا افترضنا جدلا ان انتاج المفاعل بكامل طاقته بدأ عام ١٩٦٥ (هناك اقوال اخرى بانه بدأ انتاجه عام ١٩٦٢) فانه يكون قد انتج حتى نهاية عام ١٩٧٤ نحو ٨١ كلغ من البلوتونيوم ٢٣٩ الصالح كمادة اولية لصنع القنابل الذرية ، وهي كمية تكفي لصنع نحو ٨ قنابل ذرية من نوع القنبلة التي القيت على « ناغازاكي » في اليابان عام ١٩٤٥ (على اعتبار ان الكتلة الحرجة اللازمة لصنعها تساوي ١٠٤٤١ غراما)(١١) ، الا انها قد تكفي لصنع نحو ١٤ قنبلة ذات انشطار واحد « A - Bomb » التي تكفي لصنعها كمية من البلوتونيوم وزنها ٥،٥٠ كلغ فقط(١٢).

وبهذا تكون اسرائيل قد انجزت خطوتين اساسيتين على طريق انتاج الاسلحة النووية . الاولى ، هي وجود المفاعل النووي القادر على انتاج الكميات اللازمة من البلوتونيوم ، وغير الخاضع لاي رقابة دولية . والثانية ، هي توفير اليورانيوم اللازم كوقود لهذا المفاعل . وتبقى بعد ذلك الخطوة الرئيسية الثالثة ، وهي الخاصة بمصنع الفصل الكيميائي الذي تتم فيه عملية فصل البلوتونيوم ٢٣٩ النقي عن نظائر اليورانيوم ٢٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ . ويقول تقرير صحفي نشرته مجلة « درشبيغل » الالمانية في ٥ ايار (مايو) عام ١٩٦٩ ، ان اسرائيل قد اقامت مصنعا لفصل البلوتونيوم بالقرب من «ديمونا» وانه محاط بسرية تامة الى حد ان وسائل الدفاع الجوي الاسرائيلي اسقطت طائرة اسرائيلية من طراز « ميستير » عندما حاولت ان تهبط هبوطا اضطراريا على مقربة منه في اليوم الاول من حرب ١٩٦٧(١٣) . ويقول التقرير المذكور أن هذا المصنع يشرف عليه عالمان من كبار علماء الذرة في اسرائيل ، وهما : الدكتور ج. رافه ، والدكتور ارنست دافيد برغمان ، وان اسرائيل قد اشترت معدات هذا المصنع بطريقة مجزأة لا تثير الشكوك من عدة بلاد غربية ضمت الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، والمانيا الغربية ، وبلجيكا ، والسويد ، واليابان . أما الخطوة الرابعة والاخيرة فهي تصميم السلاح النووي نفسه ، وهذه خطوة تعتبر سهلة بالنسبة الى اسرائيل بالقياس للخطوات الثلاث السابقة ، نظرا لان لديها المعلومات الفنية والتقنية اللازمة فضلا عن توفر الخبراء ، وقد صرح عالم الذرة الامريكي المعروف بأبي القنبلة الهيدروجينية ، الدكتور « ادوارد تيلر » في ١٩٦٥/١٢/١٢ اثر زيارته لاسرائيل بانه لا شيء يمنع اسرائيل من صنع القنبلة الذرية ما دام كل ما تحتاجه في هذا السبيل متوفر لديها سواء بالنسبة الى الخبراء او المعدات او البلوتونيوم(١٤).

كما أشار تقرير « درشبيغل » المذكور بأن اسرائيل اصبح لديها ٥ أو ٦ قنابل ذريــة (وذلك حتى منتصف عام ١٩٦٩) . وقالت صحيفة « التايمز » اللندنية في تعليق لهـا يوم ١٩٧٤/١٢/٣ حول تصريحات « كتسير » الاخيرة « ان النشاط الذري في اسرائيل ضئيل . . . ولكن هذا النشاط مكن اسرائيل من أن يكون لديها رصيد من ست أو سبع قنابل خلال السنوات الاخيرة »(١٥) كما سبق للجنرال « اندريه بوفر » ، عميد معهـد الدراسات الاستراتيجية الفرنسي ، ان قال في حديث له مع « محمد حسنين هيكل » ، نشر في ١٩٧٣/١١/٢٤ ، انه يعتقد « ان اسرائيل لديها امكانية صنع قنابل ذريـة ، واذا اتخذت حكومتها قرارا سياسيا بصنع مثل هذه القنابل ، فان هذه القنابل يمكـن أن تكون جاهزة في مدى ستة شهور . وانني لا استبعد اطلاقا ان يكون هناك في قبو ما بمكان من اسرائيل عدد من القنابل الذرية ، وان كنت اتصور ان هـذه القنابل ، اذا كانت موجودة ، فأنها ستكون انواعا بدائية عندما كانت القنبلة في طفولتهـا . . . اي قنابل « سمينة » في حجمها محدودة في قوتها »(١٦) . ونحن نعتقد من جانبنا ، بنـاء على التقديرات العلمية السابقة ، ان لدى اسرائيل نحو ١٢ قنبلة ذرية او اكثر قليلا (وغالبا ما ستكون من احجام صغيرة ، بها ٥،٥٠ كيلو غرام من البلوتونيوم ، او من تشكيله تضم عددا من القنابل التكتيكية للاستخدام الميداني وبعض القنابل الاخرى من حجم قنبلة « ناغازاكي » للاستخدام ضد المدن او الاهداف الاقتصادية الهامة مثل السد العالي في مصر) . اما بالنسبة الى تجربة السلاح النووي ، فانهـا لم تعد تشكـل ضرورة علمية كما سبق ان اوضحنا ، كما ان هناك دلائل قوية تشير الى أن اسرائيل قد اجرت تجربة نووية في باطن صحراء النقب (على عمق ٨٠٠ متر تقريبا) في الفترة بين اواخر ايلول (سبتمبر) واوائل تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٦٦(١٧) . خاصة وأن مجموعة من ١١ مهندسا نوويا اسرائيليا كانت قد اوفدت الى الولايات المتحدة قبل ذلك بوقت قصير للتدرب على تقنية التفجير النووي تحت سطح الارض ، وذلك ضمن ما عرف باسم مشروع « فلوشير » ، ثم عادت الى اسرائيل حيث باشرت على الفور العمل في صحراء النقب من اجل انشاء النفق والحفرة اللازمين لمثل هذه التجارب . وقد لاحظ عالم امريكي كان يعمل على ظهر سفينة للابحاث البحرية في مختبر التكسير النظائري لتعيين كمية التريتيوم في مياه البحر الابيض المتوسط ، في خلال شهري ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٦ ، ان نسبة تركيز الاشعاعات في ميـاه البحر قد ارتفعت . وسجل الملاحظات نفسها مجموعة من ثلاثة علماء اخرين (امريكيين والماني) كانوا يعملون في ابحاث مماثلة في خليج العقبة ، وترجع هذه الظاهرة في رأي هؤلاء العلماء الى حدوث تفجير نووي تحت سطـح الارض ادى الى ارتفاع مستوى شدة الاشعاعات في مياه البحر العميقة(١٨) .

وبناء على كل ما تقدم فأنه يصبح من شبه المؤكد ان اسرائيل لديها بالفعل اسلحة نووية ، او لديها القدرة على انتاجها بسرعة كبيرة متى ارادت ذلك ، ومن ثم فـان الاستراتيجية العربية يجب ان تضع في اعتبارها هذا الفرض كحقيقة واقعة .

• دور الاسلحة النووية في الاستراتيجية الاسرائيلية :

السلاح الذري لا يقارن بأي سلاح تقليدي من حيث قدرته ، ذلك لان اي انفجـار نووي سواء كان في الجو او على سطح الارض او على سطح البحر لا بد ان ترافقه كرة نارية من اللهب تنتشر حولها حلقة من الاشعاع الحراري (يبلغ نصف قطر الكـرة النارية بالنسبة لقنبلة قوتها ٢٠ كيلو طن ٢٣٠ مترا ويصل ارتفاع الانفجار في الجـو الى ٦٠٠ متر) بالاضافة الى موجة صادمة تحمل الضغط والرياح الى مسافات معينة

(وفقا لحجم القنبلة) كما تحمل اشعة غاما المميتة والغبار الذري الذي يتساقط بصورة متتابعة ، وتؤدي الاشعة المذكورة الى موت الانسان او اصابته بامراض خبيثة ، كما يؤدي الاشعاع الحراري الى اشعال حرائق ، وتسبب موجة الضغط التدمير في المباني والمنشآت (بدرجات متفاوتة من الشدة وفقا لتفاوت حجم القنبلة وطبيعة المباني وبعدها عن مركز الانفجار) ، كما ان للغبار الذري اخطاره الصحية على المدى الطويل* وهو يشمل دائرة نصف قطرها ٥٠٠ كلم بالنسبة لقنبلة ذرية متوسطة من عيار ٢٠ كيلو طن (وهذا هو احد الاسباب الرئيسية لامتناع اسرائيل عن اجراء تجربة نووية فوق سطح الارض) . وتعتبر قوة تفجير القنبلة الذرية التي استخدمت في « هيروشيما » عام ١٩٤٥ (٢٠ كيلو طن) مساوية للقوة المتفجرة التي تحدثها صلية ٤ مليون مدفع ميدان عيار ٧٥ مم ، مضافا اليها آثار الاشعة المميتة والغبار الذري . ونتيجة لتطور الصواريخ ارض — ارض ، وجو — ارض ، سواء الاستراتيجية منها او العملياتية او التكتيكية (تعتبر صواريخ «سكود» من النوع العملياتي، وتعتبر صواريخ « لانس » من النوع التكتيكي) فقد اقترنت هذه القوة النارية الهائلة للسلاح النووي بحركية شبه كاملة « وهكذا نرى أن السلاح الذري يحدث بحكم هذه الميزة المزدوجة (القدرة والمدى) ، ظاهرة جديدة كل الجدة : فليس هناك من علاقات بين الطاقة والكتلة (الاعداد الكبيرة) . وبالامس كنا نحتاج الى ١٠٠٠ طائرة لتدمير مدينة كمدينة هامبورغ ومدفعية جيش بكامله لتدمير مدينة كمدينة برلين ، اما اليوم فتكفي قذيفة واحدة لتدمير احدى هاتين المدينتين »(١٩) وقد خلق السلاح النووي ، نتيجة لميزته هذه من حيث القدرة والمدى ، امكانية هائلة ، لدى الطرف الذي يمتلكه في مواجهة خصم لا يمتلك سلاحا نوويا ، لحسم الصراعات السياسية والعسكرية بمجرد قصف مدينة او اكثر من مدن الخصم (أو حتى التهديد الجدي بذلك) ومن ثم فرض ارادته عليه بأكبر قدر شهده التاريخ العسكري الحديث من تطبيق مبدأ الاقتصاد في القوى .

ورغم كل هذه الميزات الاستراتيجية للسلاح النووي ، خاصة في حالة احتكاره من جانب احد طرفي الصراع ، فان اسرائيل ما زالت حتى الان تنفي وجود اسلحة نووية لديها ، وتؤكد أنها لن تكون البادئة بادخال الاسلحة النووية الى المنطقة ، مع تهديد العرب في الوقت نفسه بأن لديها القدرة على صنع هذه الاسلحة في وقت قصير نسبيا اذا ما دعت الضرورة الى ذلك ، وهي ضرورة قد تظهر في رأي الرئيس الاسرائيلي « كتسير » « على ضوء التغيرات التي تطرأ على سياسات كل من مصر وسوريا والاردن والاتحاد السوفييتي في المستقبل »(٢٠).

وقد سبق لايغال آلون ، (باعتباره اوضح المعبرين عن استراتيجية اسرائيل) أن حدد سياسة اسرائيل المعلنة بصدد موضوع الاسلحة النووية فقال « لو كان لنا الخيار بين امتلاك الجانبين للاسلحة النووية لاستخدامها كرادع متبادل ، وبين حرمانهما من ان يضعا اليد عليها ، لوجب علينا ان نختار بصورة قاطعة توازنا للقوة يقوم على الاسلحة التقليدية ... ومع ذلك ، فقد كان هناك دائما الخطر في أن يتمكن العدو اخر الامر من انتاج اسلحة غير تقليدية ، أو أن تزوده بها احدى الدول النووية . ولذلك فقد كان من الضروري على اسرائيل ان تتابع عن كثب التطورات في العالم العربي ، وفي مصر بصفة خاصة ، وأن تحافظ في الوقت ذاته على مستوى عال

---

* يشكل اللهب وامواج الضغط حوالى ٥٠٪ من طاقة الانفجار والاشعاع الحراري ٣٥٪ والغبار الذري المشع ١٥٪ .

من الابحاث والتكنولوجيا في الحقل النووي على الخطوط المتبعة في دول العالم المتقدمة . وقد كان هذا في المقام الاول لازما لتطوير البلاد نفسها اقتصاديا وعلميا وسياسيا . ومن المعروف جيدا ان الخبرة العلمية والتكنولوجية لدولة ما هذه الايام تشكل قدرتها على انتاج الاسلحة النووية ، واذا كانت اسرائيل لا تريد ان تمسك وهي نائمة ، فليس امامها خيار الا ان تحافظ على قدرتها »(٢١).

وعلى هذا الاساس اعتبر « آلون » أي هجوم جوي عربي على المنشآت الذرية الاسرائيلية يعتبر سببا كافيا لشن حرب عامة فورية ضد الدولة او الدول العربية المهاجمة .

وفي الوقت الذي كانت به اسرائيل تعلن عدم امتلاكها لاسلحة نووية وانها لا تنوي انتاجها ، ما لم تقدم الدول العربية على ذلك ، الى حد ان البروفسور « شمعون يفتاح » ، المدير العلمي لبرنامج التطوير في وزارة الدفاع ، قال في مؤتمر صحفي عقد في حزيران (يونيو) ١٩٦٣ « ان اسرائيل لن تقيم معمل فصل كيميائي لاعداد البلوتونيوم الذي ينتجه مفاعل ديمونا »(٢٢)، فأنها عملت دائما على جعل العرب في موقف الشك القوي بأن لديها اسلحة نووية واستخدام هذا الشك بطريقة غير مباشرة لتدعيم قوة الردع الاسرائيلي في نفوسهم . ففي تموز (يوليو) ١٩٦٦ جرى نقاش في الكنيست الاسرائيلي، بين بعض نواب اليسار والحكومة حول نزع السلاح النووي في المنطقة وتهرب اسرائيل من هذه المسألة وتحديد موقفها بدقة من الاتجاه نحو التسلح النووي ، وقد رد « شمعون بيرس » وقتئذ قائلا « انني لا ارى سببا لاقدام دولة اسرائيل على طمأنة ناصر من هذا المنبر ، والسماح له بأن يعرف ما نفعله وما لا نفعله، انني اعرف ان العرب يشكون في نوايانا النووية ، واعرف ان هذا الشك قوة رادعة . فلماذا نخفف هذه الشكوك ؟ ولماذا نعمل على ايضاحها »(٢٣). وجاءت تصريحات « كتسير » الاخيرة ، لتؤكد قدرة اسرائيل على ممارسة الخيار النووي في فترة زمنية قصيرة اذا ما شعرت بالحاجة الى ذلك ، ولتقدم في الوقت نفسه جرعة جديدة وقوية من التصعيد في استراتيجية « الردع من خلال الشك » ، التي تتبعها اسرائيل في المجال النووي ، وهي في الحقيقة جرعة لها مغزاها في الظروف السياسية التالية لحرب ١٩٧٣ . وقد استخدمت اسرائيل مسألة التهديد بقدرتها على صنع الاسلحة النووية ، من اجل الحصول على مزيد من الاسلحة التقليدية المتطورة التي تجعلها ممسكة بقصبة سبق التسلح في المنطقة العربية . كما وجدت الولايات المتحدة الامريكية في هذا التهديد الاسرائيلي مبررا كافيا لها في الاستجابة للمطالب الاسرائيلية المتعلقة بالاسلحة التقليدية المتطورة ، وتجلت هذه السياسة الاسرائيلية وذلك التبرير الامريكي بوضوح عام ١٩٦٨ ، عند بدء تزويد اسرائيل بطائرات « الفانتوم » ، وفي عام ١٩٧٤ عند الموافقة على تزويدها بطائرات « ف ــ ١٤ » أو « ف ــ ١٥ » وصواريخ « لانس » .

وفي تقديرنا ان اسرائيل قد لجأت بالفعل الى الخيار النووي في السنوات القليلة التي سبقت نشوب حرب ١٩٦٧ ، بحكم انها اصبحت تشعر بعد تجربة حرب ١٩٥٦ بضرورة توفر قدرة عسكرية ذاتية مستقلة قدر الامكان عن حماية أي دولة غربية ، خاصة وان تصاعد قوة القومية العربية في ظل القيادة الناصرية ، عقب النصر السياسي الذي احرزته عام ١٩٥٦ ضد دول العدوان الثلاثي ، كان يحمل في طياته احتمالات قوية بخلق دولة الوحدة العربية في مستقبل غير بعيد ، وليس من المضمون دائما بالنسبة الى اسرائيل في مثل هذه الاوضاع ان تقف القوى الغربية ، بما في ذلك الولايات المتحدة ، الموقف المماثل تماما لموقف اسرائيل ، وتضمن لها الامن والتوسع

بالصورة التي تريدها . وقد عبر « آلون » عن ذلك الاتجاه المتضمن في الواقع للخيار النووي فقال « ان اسرائيل يجب الا تسمح ، مهما كانت الظروف ، بأن تجعل وجودها يعتمد عسكريا على أي ضامنين له من الخارج لاسباب عديدة مقنعة . اولا : لان ذلك يقتضي اعتمادا عليهم يؤدي الى املاء سياسي حول طرق ووسائل حل النزاع العربي — الاسرائيلي ، مما قد ينتهي في صالح الاعداء . ثانيا : ان الدولة الضامنة قد لا تكون متفقة معنا دائما بالضرورة في تقييمنا للموقف الفعلي . ثالثا : انه في يومنا وزماننا هذه تتحدد نتيجة الحرب في الايام القليلة الاولى ... وعليه فأن معونة حلفائنا قد تصل بعد ان يكون الاوان قد فات للاستفادة منها . واخيرا فنحن نعيش في عالم « اصنعها بنفسك » ، واستمرار بقاء دولتنا يعتمد على قدرتنا الخاصة في الدفاع عن انفسنا دون معاونة »(٢٤) .

ان اقوال « آلون » هذه تتضمن ضرورة لجوء اسرائيل للخيار النووي ، ذلك لان « آلون » يعرف قبل غيره ان اعتماد اسرائيل على الدول الخارجية في استيراد الاسلحة التقليدية مسألة لا غنى عنها مهما بلغ تطور حجم وتقنية السلاح التقليدي في اسرائيل ، ولكن السلاح النووي وحده هو الذي يمكن ان يصنع محليا (بقدر محدود نسبيا ، ولكنه كاف لاحداث ردع او تدمير مروع لدى الدول العربية) وهو الذي يمكن ان يشكل ، في تقدير الذهن الاسرائيلي الصهيوني ، نوعا من الضمانة الاحتياطية الاخيرة للحيلولة دون حدوث « مسادة » جديدة في العصر الحديث . ولكن رغم المزايا الردعية النسبية التي كان من الممكن ان يوفرها اعلان اسرائيل بصورة قاطعة وصريحة بوجود اسلحة نووية لديها ، أو بلجوئها الى الخيار النووي ، فأن اسرائيل لم تقدم حتى الان على مثل هذه الخطوة لعدة اسباب :

١ — أن الصراع العربي — الاسرائيلي يدور في منطقة حساسة من العالم ، تتصارع فيها قوى دولية مختلفة ذات مصالح استراتيجية متناقضة ، والاعلان عن وجود اسلحة نووية لدى اي طرف من الاطراف المحلية سيخلق حتما وضعا بالغ الخطورة ، ولن تقف منه الاطراف الدولية المعنية موقفا سلبيا .

٢ — ان الاعلان القاطع الصريح عن امتلاك اسرائيل للاسلحة النووية سيدفع الدول العربية (خاصة مصر) الى تطوير بحوثها الذرية ، وامتلاك الاسلحة المماثلة ان آجلا او عاجلا ، ومن المعروف ان مصر تستطيع متى توفرت لديها الامكانات المالية ان تصنع سلاحا نوويا خلال فترة تقدر بنحو ٧ — ٨ سنوات(٢٥) . الامر الذي قد يؤدي بعد ذلك الى خلق الرعب النووي في المنطقة ، وهو رعب سيخدم العرب في نهاية الامر، على الاقل من حيث انه سيخلق ردعا قويا فعالا ضد التوسع الاسرائيلي ، فضلا عن انه قد يساعد في تحييد قدرة اسرائيل النووية ، ويسمح للقوة العسكرية التقليدية العربية بتحقيق منجزات هامة ضد الجيش الاسرائيلي ، نظرا لان الدول العربية تتمتع موضوعيا بقدرة اكبر من اسرائيل على امتصاص نتائج الضربات النووية ، حال تبادل مثل هذه الضربات بينها وبين اسرائيل .

٣ — ان الجيش الاسرائيلي ، كجهاز عسكري مسلح باسلحة تقليدية متطورة ، كان قادرا في حرب ١٩٦٧ على تحقيق اهداف السياسة الاسرائيلية في الامن والتوسع ، اي في العمل والردع ، ومن ثم لم تنشأ ضرورة للاعلان عن وجود اسلحة نووية لديه أو نية في اللجوء الى الخيار النووي .

بيد أن ثقة اسرائيل في قدرة الاسلحة التقليدية على تحقيق سياسة الامن والتوسع، بما تولده من قدرة ردع لدى العرب ، قد اهتزت بدرجة خطيرة مؤخرا نتيجة لحرب

١٩٧٣ التي اظهرت قدرة العرب على رفع كفاءتهم العسكرية في المستقبل بدرجة كبيرة، ومن ثم بدا ردع السلاح التقليدي يفقد مفعوله ، خاصة بعد ان تاكد مدى احتياج اسرائيل للدعم العسكري الخارجي (على الاقل في صورة امدادات عاجلة بالسلاح والذخيرة وقطع الغيار) للاستمرار في حرب تقليدية يطول زمنها نسبيا بالقياس لحرب ١٩٦٧ الخاطفه .

ومن هنا اصبح من الملائم لاسرائيل ان تمضي بخطوات اكثر جدية وسرعة على طريق الخيار النووي تحسبا لمستقبل لم يعد مشرقا كما كان عليه الحال في اليوم السابع لحرب ١٩٦٧ ، وان ترفع من درجة الشك العربي في قدراتها النووية ، ومن ثم يرتفع مستوى التصديق العربي لهذه القدرات ، الامر الذي قد تصبح معه القيادات السياسية العربية (في تصورها) اكثر قابلية للتمشي مع مشروعات التسوية السلمية الاسرائيلية ــ الامريكية اذا ما سار قطار التسوية السلمية قدما ، أو أن تصبح معنوياتها مهتزة وارادتها القتالية مضطربة اذا ما نشبت الحرب الخامسة نتيجة لتعثر التسوية السلمية .

هذا بالاضافة الى أن التهديد باللجوء الى الخيار النووي ، عمل قد تراه اسرائيل داعما لحرية حركتها السياسية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، ويرفعها الى مستوى الشريك الاصغر مرة اخرى ، بعد أن افقدتها حرب ١٩٧٣ هذه الصفة . حين اضطرت لطلب الجسر الجوي الامريكي لانقاذ وضعها العسكري المتعرض للخطر . كما انه من المحتمل ان تعتقد اسرائيل ان زيادة تشكيك الاتحاد السوفييتي في احتمال لجوئها الى الخيار النووي ، قد يمثل عنصر ضغط غير مباشر عليه حتى يخفف من سياسته في دعم القدرات العسكرية العربية ، حتى لا يشجع دول المواجهة العربية على اللجو الى القوة العسكرية مرة اخرى ، بحكم ان ذلك قد يجره الى مواجهة نووية مع الولايات المتحدة حال استخدام اسرائيل لسلاح نووي ضد الجيوش العربية واضطراره الى مساندتها باسلحة نووية مماثلة .

وخلاصة القول ان اسرائيل قد لجأت بالفعل الى الخيار النووي ، من حيث امتلاك الاسلحة النووية باعداد محدودة نسبيا ، لتقاتل بها اذا ما شعرت انها تقف في الخندق الاخير ، الا انها لم تعلن ذلك صراحة ، وما زالت تمارس سياسة الردع عن طريق الشك التي تراها ضرورية لخدمة اهدافها الاستراتيجية الراهنة . وهذا ما يحتم على الدول العربية أن تسير بخطوات جادة فعالة على طريق توفير القدرات العلمية والتقنية اللازمة لانتاج الاسلحة النووية حتى لا تجازف بتحمل مخاطر اي مغامرة اسرائيلية في هذا الصدد ، او تسمح بخلق وضع يجمد الصراع العربي ــ الاسرائيلي في موقع غير ملائم للغاية يفرضه ردع نووي من جانب واحد لفترة طويلة .

---

١ ــ صحيفة **المحرر** اللبنانية في ١٩٧٤/١٢/٣ .

٢ ــ جابر، فؤاد ، **الاسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل** ، بيروت ، م.د.ف. ، ١٩٧١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ٩١ .

٤ ــ مصطفى، حسن، **اسرائيل والقنبلة الذرية** ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦١ ، ص ٥٣ .

٥ ــ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص ٦٩ .

٦ ــ تقرير « **المسح الاستراتيجي ١٩٧٢** » ، معهد الدراسات الاستراتيجية ، ترجمة بيار عقل ، بيروت ، المؤسسة العربية ، ص ١٥٥.

٧ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٦٠ .

٨ ــ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤ ، ٤١ .

٩ ـ مروة، يوسف ، **الابحاث الذرية الاسرائيلية**، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٦٩ ، ص ١٠ .
١٠ ـ **المرجع السابق** ، ص ٦٣ .
١١ ـ **المرجع السابق** ، ص ٦٢ .
١٢ ـ « تقرير المسح الاستراتيجي عام ١٩٧٢ »، **المرجع السابق** ، ص ١٥٦ .
١٣ ـ مروة ، يوسف **المرجع السابق** ، ص ٦٣ .
١٤ ـ **المرجع السابق** ، ص ٦٤ .
١٥ ـ نشرة « **ر.ا.ا.** » ، العدد ٦٩٧ ، ١٢/٤/١٩٧٤ ، ص ٦٥ .
١٦ ـ **الاهرام** ، القاهرة ، عدد ١٩٧٣/١١/٢٤.
١٧ ـ مروة ، يوسف ، **المرجع السابق** ، ص ٦٦ .
١٨ ـ مروة ، يوسف ، **أخطار التقدم العلمي في اسرائيل** ، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٦٧ ، ص ٨٣ ، ٨٤ .
١٩ ـ بوفر ، اندريه ، **مدخل الى الاستراتيجية** ، ترجمة أكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٠ .
٢٠ ـ صحيفة **المحرر** اللبنانية في ١٩٧٤/١٢/٣ .
٢١ ـ آلون ، ايغال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ترجمة عثمان سعيد ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
٢٢ ـ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص١٤٨.
٢٣ ـ **المرجع السابق** ، ص ٥١ ، ٥٢ .
٢٤ ـ آلون ، ايغال ، **المرجع السابق** ، ص ١٨١ .
٢٥ ـ جابر ، فؤاد ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٨ .

التمييز ضد المرأة الاسرائيلية

الدكتور اياد القزاز

هناك خرافة منتشرة على نطاق واسع، تزعم ان النساء في اسرائيل يتمتعن بمساواة تامة مع الرجال . بل ان الناس في اسرائيل وخارجها على السواء ، يسلمون بهذه الخرافة ويصدقونها .

ولقد بين مسح للآراء في اوساط طلبة علم الاجتماع قام به كاتب هذا البحث ، اجري في جامعة ولاية كاليفورنيا ، في سكرامنتو عام ١٩٧٢ ، الى اي حد هناك قناعة بهذه الخرافة . فلقد طرحت على حوالي مائة طالب ، أسئلة تتعلق بالشرق الاوسط ، وكانت ثلاثة من هذه الاسئلة تتعلق بمسألة وضع المرأة في اسرائيل ومساواتها بالرجل مقارنة مع الوضع في الولايات المتحدة . كان نص أحد الاسئلة : « هل تعتقد بأن النساء الاسرائيليات يساهمن في قوة العمل (كأيد عاملة) أكثر من النساء الامريكيات ؟ » . . . وكان جواب ثمانين بالمائة من الطلبة « نعم » .

وابعد من ذلك ، فحين كان السؤال : « هل تعتقد ان النساء الاسرائيليات يتمتعن — على وجه الاجمال — بقدر أكبر من المساواة من النساء الامريكيات ؟ » . . . كان جواب سبعين بالمائة من الطلبة كذلك « نعم » .

وكان السؤال الاخير : « في اية نواح تتمتع النساء الاسرائيليات بمساواة مع الرجل اكثر من النساء الامريكيات ؟ » . . . فان خمسة وسبعين بالمائة كشفوا عن اعتقادهم بأن دور النساء الاسرائيليات ومكانتهن في الكيبوتس وفي الجيش ، كانا العاملين الرئيسيين في تقرير أن النساء في اسرائيل يحظين بقدر من المساواة اكبر مما تتمتع به الامريكيات .

تكشف هذه المعطيات ، انه حتى الطلبة الجامعيون دارسو علم الاجتماع ، الذين يفترض أن يكونوا أكثر اطلاعا على أحوال العالم من الرأي العام ، يحملون مفاهيم مغلوطة عن دور النساء في المجتمع الاسرائيلي .

وبالاضافة الى ذلك ، فان دراسة قامت بها مؤخرا سينثيا ابشتاين لوضع النساء في الولايات المتحدة ، تكشف المدى الواسع لانتشار هذه المفاهيم المغلوطة . ولدى طرحها اسرائيل كمجتمع تحظى نساؤه بقدر اكبر من المساواة ، تقرر السيدة ابشتاين ما يلي : « انه لمن المذهل انه في المجتمعات التي يسمح فيها للنساء بالمشاركة بالاعمال المأجورة، كالمجتمع الاسرائيلي ، فان النساء ينلن قدرا أكبر من المزايا بصورة عامة » . (انظر — مكانة المرأة — ص ٤١) .

وهكذا يبدو انه حتى علماء الاجتماع ، الذين مهمتهم ان يدرسوا المجتمعات ويتمعنوا بأحوالها ، يسلمون بأن النساء يتمتعن بقدر من المساواة في اسرائيل ، اكبر مما هو الوضع في بلدان اخرى . انهم ينظرون الى هذا كحقيقة مسلم بها .

على انه لأمر مهم أن نميز بين الحقيقة والخرافة بالنسبة لمكانة النساء في اسرائيل ، قبل أن نعلي شأن المجتمع الاسرائيلي كهدف منشود أمـام الراغبين باصلاح أوضاع النساء في هذه البلاد (الولايات المتحدة الامريكية) . ان خرافة المساواة ، فيما يتعلق بدور ومركز النساء في المجتمع الاسرائيلي ، ستكون موضوع هذا البحث .

ولفحص هذه الخرافة ، يتعين علينا أن نلقي نظرة عن كثب على المؤسسات التي تتحمل أكبر قدر من المسؤولية عن انتشار الخرافة وديمومتها ، في ضوء تغيراتها عبر السنين منذ انشاء اسرائيل كدولة . فاذا فعلنا هذا ، فاننا نكون في الواقع ، قد حصدنا حصيلة طيبة من المعرفة والمعلومات عن الدرجة الحقيقية من المساواة التي تتمتع بها نساء اسرائيل في وقتنا الحاضر .

على انه ينبغي علي قبل الشروع بمناقشة تفاصيل خرافة المساواة في اسرائيل ، أن أتحدث بايجاز عن المصادر التي يقوم عليها هذا البحث . فبينما هناك آلاف من الكتب والمقالات حول المجتمع الاسرائيلي ، فان المادة المنشورة حول نساء اسرائيل ، وعلى وجه التحديد ما تعلق منها بالجوانب التي يتناولها هذا البحث بالذات ، محدودة الى أبعد الحدود . ولهذا فان هذا البحث ، مجرد محاولة اولية لتركيب صورة من قطع وشظايا متناثرة من المعلومات ، مبعثرة هنا وهناك ، بحيث نخرج منها بمفهوم ذي معنى يستهدف وضع دور نساء اسرائيل في حجمه الصحيح .

النساء والجيش

ان أحد العناصر الاساسية في تكوين خرافة المساواة ، هو الدور التاريخي للنساء في الجيش . ان بعض الحقائق تدعم هذه الخرافة . وعلى سبيل المثال ، فان النساء لعبن في حرب ١٩٤٨ دورا فعالا ومساويا الى حد ما لدور الرجال . فلقد قاتلت النساء في الميدان جنبا الى جنب مع الرجل . على ان هذا كان **نتيجة للحاجة أو الضرورة ، اكثر مما كان دلالة على موقف المساواة** . لقد كان الصهيونيون بأمس الحاجة الى عون كل قادر على حمل السلاح ، بما في ذلك النساء . اما الان فلقد تغير الوضع بصورة كبيرة . فان اسرائيل لم تعد في الوضع الحرج نفسه الذي كانت عليه قبل خمسة وعشرين عاما . ولم تعد هناك حاجة للنساء ليقاتلن في الميدان الى جانب الرجل ، مثلما فعلن سابقا في أيام الهاجاناه العصيبة .

ومع ذلك ، فلا يزال هناك نقص كبير في القوة العاملة في الجيش الاسرائيلي . وان هذا هو السبب الرئيسي لكون اسرائيل البلد الوحيد في العـالم الذي يفرض الخدمة العسكرية الالزامية على كلا الجنسين الرجال والنساء ، في الحرب وفي السلم على السواء . هذا الامر ، يستخدم في الغالب كدليل على المساواة بين الرجال والنساء في اسرائيل ، لانه يوحي بأن كلا الجنسين من رجال ونساء يتشاركان على صعيد واحد في الواجبات العسكرية . ثم ان النساء الاسرائيليات المعاصرات ، اللواتي تظهر صورهن في الصحف والمجلات في وقفة تأهب ، والبندقية على الكتف وحزام الذخيرة يلتف على الصدر ، هؤلاء لسن نسخة طبق الاصل للنساء الرائدات الاوائل في اسرائيل . ومن هذه الزاوية ، فان نسبة الخسائر بالارواح في صفوف النساء دليل كاف . هناك آلاف الرجال القتلى ، انما امراتان اثنتان فقط قتلتا في المعارك ، احداهما في حرب ١٩٦٧ ، والثانية في حرب ١٩٧٣ — ان هذا رقم شديد التدني بعد ٢٥ عاما من الاشتباكات ، خاصة اذا كان المرء يفترض أن النساء يعاملن فعلا على قدم المساواة مع الرجال في الجيش الاسرائيلي .

ثم ان النساء لا يشتركن في القيادة العليا للجيش الاسرائيلي . ففي حقل الممارسة العملية ، لا تختلف واجبات النساء في الجيش الاسرائيلي سوى بصورة طفيفة ، عن مثيلاتها في جيوش البلدان الاخرى . « انهن يوفرن مقدارا كبيرا من المال على المؤسسة العسكرية ، وبالتالي على الحكومة ، بقيامهن بأعمال كان يقتضي انجازها استخدام مدنيين مأجورين كما في البلدان الاخرى » (أنظر — فريدمان — ص ٧٩) .

ان الاعمال التي تقوم بها النساء في الجيش هي الاعمـــال التقليديـــة ، كأعمـــال السكرتاريا والوظائف الكتابية ، والخدمة ، والتمريض ، والتعليم ، وواجبات مماثلة لتلك التي تلقى على النساء في قطاعات الاقتصاد الاخرى ، سواء في القطاعين العام أو الخاص . فالنساء يتعاطين الاعمال « المنحطة » ، ويقوم الرجال بالعمل « الحقيقي » في الجيش ، عمل القتال والتخطيط ورسم استراتيجية الجيش الاسرائيلي وتكتيكاته — (القزاز) .

وانه لمن المهم ان نسجل ان الخدمة الالزامية ليست شاملـــة . فان هذه الذريعة تستخدم في الغالب من قبل الكتاب والصحف للمبالغة بمدى مساهمة النساء في الخدمة العسكرية ، وبالتالي للاطناب بخرافة المساواة . فبالرغم من أن الخدمة العسكرية الاجبارية أمر واقع ، فان تدابير وسياسات الاعفاء المتنوعة ، تقود في النهاية الى عدم تناسب اطلاقا بين حجم الجنسين في الجيش . فاذا كانت الخدمة العسكرية تتعارض مع معتقدات المرأة الدينية ، يمكن اعفاؤها من الخدمة العسكرية اذا ما أقسمت على ذلك أمام رجلي دين . واذا كانت المرأة متزوجة و/او حامل فانها تعفى أيضا ، وعلى خلاف الرجال ، فاذا أظهرت عدم قدرة على التكيف مع الحياة العسكرية ، فانها تنال الاعفاء . وتكون النتيجة ان نسبة النساء اللواتي يلتحقن بالخدمة العسكرية منخفضة للغاية ، بسبب الطرائق العديدة التي يمكن اعفاؤهن بها . ولو ان الخدمة العسكرية فرضت على الرجال والنساء على قدم المساواة حقيقة ، لكان يتعين علينا أن نتوقع ، نظريا ، أن تكون النسبة خمسين بالمائة للرجال وخمسين بالمائة للنساء . لكن نسبة عدد النساء في الجيش ، نتيجة لسياسات الاعفاء ، لا تتجاوز الثلاثين بالمائة في العادة .

وهناك فارق كبير آخر بين الرجال والنساء ، ويتمثل في الوقت الذي يتعين عليهم قضاؤه في الخدمة العسكرية ، بعد القبول . فعلى الرجال قضاء ثلاث سنوات ، بينما تخدم النساء اربع وعشرين شهرا فقط . ومن ناحية ثانية ، يبقى الرجال في وحدات الاحتياط حتى سن الخامسة والخمسين ، أما النساء فيتم تسريحهن عند سن الرابعة والثلاثين . واذا تزوجن وانجبن أطفالا ، فانهن يسقطن من سلك الاحتياط . ثم ان النساء تحرم عليهن انواع كثيرة من الاعمال . فنظرا للعجز عن تأمين مأوى منفصل ، لا تستطيع النساء الخدمة في سفن الاسطول . ثم انه لا يجري تدريب النساء ليصبحن طيارات ، لاسباب عملية جدا هي مع ذلك ذات طبيعة تمييزية . فان تدريب الطيـــار يكلف حوالي مائة الف دولار الى مائتي الف دولار . وان للمرأة حقا قانونيا في أن تتزوج وان تترك الخدمة من أجل تكوين عائلة . ولو ان هذا حدث مع الطيارات ، لخسرت الحكومة مبلغا لا يستهان به من المال (انظر القزاز) .

النساء في الكيبوتس

ان صورة المرأة الكيبوتسية ، ساهمت أيضا في انماء وترسيخ خرافة مساواة النساء مع الرجال في اسرائيل . وكما هو الحال بالنسبـــة للاضاليل المتعلقة بوضع المرأة في الجيش ، فان الاضاليل المتعلقة بوضع المرأة في الكيبوتس ، تقوم أيضا على شيء من الحقيقة التاريخية ، مع ان هذه الحقائق قد أسيء فهمها وتعرضت لشطط المبالغة .

من الصحيح أن النساء في الكيبوتسات ، خلال مرحلة تأسيس دولة اسرائيل ، أعطين مركزا مساويا نسبيا لمركز الرجال ، مع انه ليس ذلك المركز الشائع في التصورات المطروحة . فلقد كان على نساء موجة الاستيطان الاولى ، ان يقاتلن من أجل حقوقهن ، حتى ومن أجل حقهن بالعمل خارج المنزل . فرغم النقص في القوة العاملة ، فلقد كان الرجل مع ذلك ينكر على المرأة حقها في العمل . فلم يكن الرجل يؤمن بأن المرأة مؤهلة جسديا أو مدربة بصورة كفية لاحتمال مشاق العمل الزراعي . لكن النساء آخر الامر انتصرن في معركتهن ، وسمح لهن بالعمل في الحقول جنبا الى جنب مع الرجال (الى أن تحمل الواحدة منهن فتلزم منزلها لتعتني بشؤون الاسرة) . هؤلاء الطلائعيات من جيل النساء الرائدات ، تمتعن حقا بـ « المساواة » كما يعرفها ويحددها الرجل . (انظر فريدمان — ص ٨٤) .

لقد أعطيت النساء دورا مزدوجا : لقد ناضلن من أجل حقهن بالعمل في الحقول وظفرن بهذا الحق ، ومع ذلك كان مطلوبا منهن مواصلة حمل أعباء ومسؤوليات المرأة التقليدية من رعاية الاطفال ، وغسيل الملابس وما شابه ذلك . ولعل هذا هو السبب الذي حدا بعدد كبير من هاته النساء ان يتنازلن طوعا عن نشاطاتهن في «عالم الرجال»، حين أصبحت اسرائيل أكثر قوة ، وأصبح يمكن انجاز تلك النشاطات بجهود الرجل وحده ، فمعظم النساء لم يتخلين كليا عن واجباتهن « الانثوية » في المقام الاول . فان مشقة أعمالهن « الانثوية » ، مضافة اليها نشاطاتهن في عالم الرجل ، دفعت الكثير من النساء الى تفضيل حصرهن ضمن نطاق الواجبات النسائية التقليدية وليس العكس .

وان مرور الوقت قاد دور المرأة في الكيبوتس شيئا فشيئا نحو أعمال المرأة التقليدية . ولقد سجل الكتاب المحدثون الزخم المتزايد لظاهرة هذا التغير . « تميل النساء بصورة متزايدة ، الى البحث عن الواجبات النسائية التقليدية والارتداد اليها ، هذه الواجبات ذاتها التي ناضلت أمهاتهن بعزم من أجل الخلاص منها » (انظر كاهان — ص ٢٣) . وهناك عدد من العوامل (بالاضافة الى ازدواجية الاعباء المذكورة آنفا) قادت الى هذه التحولات السريعة في اتجاه الدور التقليدي للمرأة .

لقد كان لعدم رضى النساء عن مداخيلهن المتدنية لقاء الاعمال المتدنية — او المنخفضة الشأن — تأثير بارز . ولقد كانت هناك شكاوى مرة من الارهاق الحاصل للمرأة نتيجة العمل في المطبخ وأعمال غسيل وكي الملابس ورعاية الاطفال وهلم جرا .

وكشفت دراسة قام بها الدكتور فالبير في كيبوتس ماييم كارين ، انه بين ٨٤ امرأة راشدة عشن في الكيبوتس ، امرأة واحدة فقط كانت تعمل في الحقول بصورة منتظمة . وبين باقي نساء الكيبوتس الراشدات ، واحدة تساعد في تربية الدواجن ، وأخرى في جلب المواشي . أما الباقيات فكن يعملن في نواحي الخدمات ، كتجهيز الطعام ، والتنظيف ، وغسل الثياب ، وتعليم الاطفال ورعايتهم (انظر القزاز — الكيبوتس — تقويم نقدي) . ان معظم الاعمال الملقاة على كاهل النساء هي اعمال رتيبة وغير انتاجية ، وينظر اليها على انها متدنية الشأن ومنحطة الاهمية ، ليس فقط في عيون النساء أنفسهن بل في عيون جميع أعضاء مجتمع الكيبوتس أيضا .

وبالاضافة الى ذلك ، فان التفوق العددي للرجال على النساء ، يخلق مشكلات حادة للنساء في الكيبوتس . فان الاعمال الادارية داخل الكيبوتسات تتولاها قلة قليلة من النساء . وفيما يتعلق بكمية التأثير او الفعالية في عملية اتخاذ القرارات ، فان

الرجال متفوقون على النساء بصورة كبيرة. وينعكس هذا في عملية الاقتراع في الشؤون السياسية ، مثلما يظهر في تعبئة المراكز القيادية التي تحكم هذه الكيبوتسات .

لقد ظهرت مقالة في « اسرائيل دايجست » عدد ٤ أيلول ١٩٧٣ ، تصف الحياة في الكيبوتس الاسرائيلي في الوقت الحاضر . عنوان المقالة « الطلائعيات في الجولان مشغولات بتربية الديك الرومي والقمح والاطفال » . اسم الكيبوتس رامات ماجشيميم.

يناقش مجرى المقابلة الاوضاع السياسية مع الزوج ، ويذكر ان الزوجة تتفق مع زوجها في الآراء السياسية . وللمفارقة ، فان الحديث مع الزوجة لم يتركز على الامور السياسية ، بل حول دورها كأم وكزوجة . « انها تجد نفسها دائما مشغولة برعاية زوجها وأطفالهما الستة ، وهي تشعر بأنها وجدت في هذا المكان أفضل معنى لمسته في حياتها » . وفي عرض موجز عن الكيبوتس ، يقول الكاتب ان الكيبوتس « مكان مثالي لتكوين أسرة : فالام تستطيع أن تهب نفسها كليا لمنزلها وأطفالها ، والزوج يقوم بالاعمال الزراعية بالتعاون مع الاعضاء الآخرين في الكيبوتس » . ان هذا نموذج جيد لمقدار المساواة السائدة بين الجنسين في مجتمع الكيبوتس .

ان النظرة الغالبة للكيبوتس ، انه مثال نموذجي للمساواة الكاملة التي تتمتع بها النساء في أي مكان في العالم . ومع ذلك فلقد رأينا أنه حتى في الكيبوتس ، الذي يمثل أكبر قدر من المساواة في المجتمع الاسرائيلي من ناحية النساء ، كيف انه لا وجود للمساواة مع النساء . وحتى لو توفرت هناك مساواة بين الجنسين في الكيبوتس ، افتراضا ، فان هذا لن يكون في أي حال تعبيرا عن واقع الحال في المجتمع الاسرائيلي بصفة عامة ، حيث ان مجمل عدد سكان الكيبوتسات يتوف قليلا عن الثلاثة بالمائة من مجمل عدد سكان اسرائيل .

فلنلق نظرة على واقع السبعة والتسعين بالمائة الآخرين من السكان ، لنتلمس بعض جوانب الحياة التي تعنينا في هذا البحث . فهناك عدة معايير يمكن للمرء استخدامها لقياس مقدار المساواة بين الجنسين في مجتمع من المجتمعات . ولقد اخترنا بعض الجوانب من المجتمع الاسرائيلي تمثل موقف المجتمع وممارسته من ناحية المساواة مع النساء .

النساء والسياسة

لدى استعراضنا لأثرين من الآثار المكتوبة عن قادة اسرائيل ، أحدهما نشر عام ١٩٤٨ ، والآخر عام ١٩٧٠ ، اكتشفنا ان امرأة واحدة فقط قد ذكرت في كليهما ، وان كتاب « القادة في اسرائيل » أورد أسماء ستة وثلاثين قائدا باعتبارهم الاعظم أهمية عام ١٩٤٨ . وفي الكتاب الآخر الذي صدر بعد الاول بفترة ، والذي أصدره الجيش الامريكي عن اسرائيل ، بعنوان « دليل اسرائيل » عام ١٩٧٠ ، فان الفصل الثامن عشر مخصص لسيرة عدد من الشخصيات المهمة المختارة . ان المرأة الوارد اسمها في كلا الكتابين هي جولدا مئير رئيسة وزراء اسرائيل السابقة . انها واحدة من القلة النادرة في التاريخ التي تولت مثل هذا المنصب في السلطة السياسية . ومع ذلك ، فان من غير السليم أن نستنتج من هذا — أي من كون رئاسة الوزارة في يد امرأة — ان النساء يتمتعن بمساواة تامة في جميع الميادين . فلقد كان تولي جولدا مئير رئاسة الوزارة عملا فريدا في ذاته . وهي نفسها اعترفت بأن على المرأة ان تثبت جدارتها أكثر من الرجل بكثير ، كي يتاح لها أن تتولى مركز الرجل نفسه . بل ان بن جوريون ، رئيس وزراء اسرائيل الاول ، أشار اليها في احدى المرات ، على « انها الرجل الوحيد في الحكومة » — (أنظر سان فرنسيسكو كرونيكل ٧٣/٨/١٥) .

لقد كان على السيدة مئير ان تضحي بأسرتها من أجل نشاطها ، وهي التضحية التي تؤكد انها ليست مطلوبة من الرجل . ان كون رئاسة الوزارة تولتهـــا امرأة ، ظاهرة تساعد في اخفاء الحقيقة ، حقيقة ان هناك اختلالا حادا في تمثيل النساء في الحكومة .

ومن دراسة التركيب الجنسي للمؤسسات السيـــاسية الثــلاث الابرز اهمية في اسرائيل ــ الحكومة ، والكنيست ، والاحزاب السياسية ــ نجد أيضا أن دور النساء فيها قليل الشأن الى أبعد الحدود . فمنذ تأسيس دولة اسرائيل ، هناك امرأتان فقط تولتا مناصب حكومية ، هما جولدا مئير وشولاميت آلوني . ولقد أصبحت شولاميت آلوني وزيرة في الحكومة التي شكلها الجنرال يتسحاق رابين مؤخرا*. أي بمعنى آخر، فحتى الخامس من حزيران من العام (١٩٧٤) ، تمكنت امرأة واحدة فقط من الحصول على مركز وزاري .

فيما يتعلق بجولدا مئير ، فلقد كانت وزيرة للعمل (١٩٤٩ ـــ ١٩٥٦) ، ووزيرة للخارجية (١٩٥٦ ـــ ١٩٦٦) ، وأصبحت رئيسة للوزارة بعـــد موت رئيس الوزراء اشكول في ٢٦ شباط ١٩٦٩ ، وحتى الخامس من حزيران ١٩٧٤ . لقد وقع الاختيار عليها كمرشح تسوية لتجنب انقسام حاد بين السياسيين الاسرائيليين . على ان مجرد كون امرأة واحدة استطاعت الوصول الى الوزارة ، لغاية الخامس من حزيران ١٩٧٤، دليل على سجل سيىء للغاية ، حتى بالمقارنة مع بلدان عربية كالعراق ومصر . فان امرأتين في كل من هذين البلدين ، وصلتا الى مقاعد الوزارة خلال الخمسة والعشرين عاما الاخيرة . ففي العراق أصبحت نزيهة الدليمـــي وزيرة للبلديات عـــام ١٩٥٩ ، والدكتورة سعاد القصاب أصبحت وزيرة للثقافة في ١٩٧٠ . وفي مصر تولت الدكتورة حكمت ابو زيد وزارة الشؤون الاجتماعية في ١٩٦٠ ، والدكتورة عائشة راتب تولت وزارة الشؤون الاجتماعية في ١٩٧٠ .

ثم ان سجل النساء في الكنيست ، ضعيف الشأن كذلك . ان الجدول المرفق يبين عدد النساء اللواتي جرى انتخابهن للكنيست منذ ١٩٤٩ وحتى ١٩٧٣ . وان نظرة عابرة تكشف ان نسبة عدد النساء كانت أقل من عشرة بالمائة ، وان هذه النسبة في حالة تدن . فبينما كان عدد النساء احدى عشرة في الكنيست الاول ، فانه هبط الى سبع نساء في الكنيست السابع (١٩٦٩) . على ان من الطريف والمفيد ان نؤكد في هذا المقام ، على ان لجنتي الخارجية والامن ، والمالية ، أخطر وأهم لجنتين في الكنيست ، لم تدخلهمـــا امرأة قط . وان احدى النساء التي انتخبت حديثا لعضوية الكنيست ، صرحت بأنها شديدة الاستياء لان عددا قليلا للغاية من النساء وصل الى المراكز العليا في السلطة . وحين سئلت عن تمثيل النساء بالمقارنة مع السنوات المنصرمة ، قالت : « لم يتحسن تمثيل النساء على الاطلاق في السنوات الاخيرة . واذا أردت الحقيقة فان هذا التمثيل تدهور » ـــ (انظر جيروزاليم بوست ـــ ٢٢ يناير ١٩٧٤) .

ولقد كشفت دراسة أعدتها مؤخرا الدكتورة « شيواش وايز » المحاضرة في جامعة حيفا ، عن النساء في الحقل السياسي ، ان مشاركة النساء في جميع أصعدة الحياة السياسية ، شبه معدومة . والواقع ان مشاركة النساء المحدودة في الكنيست ، هي أكبر قدر من المشاركة تلعبه النساء في السلطة .

---

* التحريـــر : استقـــالت شولاميت الوني (زعيمة حركـــة حقوق المواطن المنشقة عن حزب العمل) بعد ضم المندال الى الائتلاف الحاكم .

جدول النساء في الكنيست

رقم الكنيست	التاريخ	عدد النساء
١	١٩٤٩/١/٢٥	١١
٢	١٩٥١/٧/٣٠	١١
٣	١٩٥٥/٧/٢٦	١١
٤	١٩٥٩/١١/٣	٩
٥	١٩٦١/٨/١٥	١٠
٦	١٩٦٥/١١/٢	٩
٧	١٩٦٩	٧
٨	١٩٧٣/١٢/٣١	١٠*

* الكاتب : استقالت جولدا مئير مؤخرا من عضوية الكنيست ، وهكذا هبط عدد النساء في الكنيست الى تسع .

ان الوضع في الاحزاب السياسية ، يدعم القناعة بعدم وجود المساواة في الحقل السياسي . وان معظم النساء يملن الى احتلال مراكز في الصفوف المتدنية . وان امرأة واحدة فقط تمكنت حتى الان من ان تحتل مركز الامانة العامة لحزب من الاحزاب . تلك المرأة هي ، مرة اخرى ، جولدا مئير ، التي اصبحت سكرتيرة ماباي عام ١٩٦٧ .

المرأة والقوة العاملة

مؤشر آخر للمساواة النسبية بين الجنسين ، هو المقارنة بين نصيب كل منهما في القوة العاملة . ان ثلاثين بالمائة فقط من نساء اسرائيل يعملن ، بينما تشكل نسبتهن في الولايات المتحدة ٤٢ بالمائة . وتبين الارقام ان النساء يحصلن على اجور أقل من الرجال بنسبة ٤٢ بالمائة كمعدل عام . مع ان هذا الرقم يمكن الانتقاص منه بحقيقة ان النساء يتجهن الى التركز في الاعمال ذات الاجور الاقل ، فالحقيقة رغم ذلك هي ان النساء حتى حين يقمن بأداء أعمال مشابهة لاعمال الرجال ، فانهن يتلقين — كمعدل عام — حوالي ٧٥ ٪ من الاجور التي يتلقاها الرجال . ويتوقف هذا على نوع العمل . فالنساء في الصناعة يدفع لهن ٥٥ بالمائة من معدل ما يدفع للرجال ، والنساء في الخدمات الاجتماعية يحصلن ٩٠ بالمائة مما يكسبه الرجال (انظر — فريدمان) .

ولقد لاحظت ايفرون في مقالتها المعنونة « النساء في اسرائيل » ، تزايدا بارزا في الفروقات بين مداخيل النساء ومداخيل الرجال في حقل النقليات في السنوات الثلاث الاخيرة . وفي عام ١٩٧٠ كان معدل دخل المرأة ٦١ بالمائة من دخل الرجل . أما اليوم (١٩٧٣) فان معدل دخل المرأة هو ٤٢ بالمائة .

ان النساء في الولايات المتحدة يدفع لهن أيضا أقل من الرجال . وتبين الاحصائيات ان ما تحصل عليه المرأة يتراوح بين ٤٨ و٧٥ بالمائة من أجر الرجل ، تبعا لطبيعة الحقل المهني (انظر بيزنس هوريزونز — شباط ١٩٧٣) . ان هذه الارقام قريبة — لكنها أعلى قليلا — من الارقام الخاصة باسرائيل والتي تتراوح بين ٤٢ و٦٧ بالمائة .

ان الارقام الخاصة باسرائيل ، ذات أهمية خاصة ، من حيث كونها تتجاوز قانونا سن عام ١٩٦٤ ينص على أجر متساو للعمل المتساوي . ولقد اعتبر هذا القانون من قبل العديدين — على ضوء الحقيقة — قانونا « رمزيا » لم يؤد الى أي تحسين في حل مشكلة عدم المساواة في الاجور في اسرائيل . فباعطاء الاعمـال المتشابهة أسماء وعناوين متباينة ، يستطيع أرباب العمل في اسرائيل ، أن يدفعوا للنساء أجرا أدنى . زد على ذلك أن وزير العمل في اسرائيل أقر بأن قانون الاجر المتساوي لا يمكن تطبيقه لانه لم يرفق عند تشريعه بأية اجراءات او تدابير تطبيقية (انظر — فريدمان) .

أضف الى ذلك أن هناك تمييزا ضـد النساء العاملات فيمـا يتعلق بالضرائب والمعاشات التقاعدية . فان الضريبة التي تستوفى من مرتب الزوجة اكبر من الضريبة التي تستوفى من مرتب الزوج . والتبرير الذي أعطي لذلك ، ان مرتب الزوجة اعتبر كـ « مصروف جيب » اضافي ، بينما اعتبر مرتب الزوج حاجة ضرورية (انظر سكرامنتو بي) .

وليس في وسع المرأة أن تنتظم في الضمان الاجتماعي ، كما لا يمكن تصنيفها كرب أسرة ، طالما كان زوجها قادرا على العمل . وأبعد من ذلك ، فمن الواضح من هذه المصادر الموثوقة ان النساء لا يتمثلن على قدم المساواة في وظائف ذات شأن . ان قلة من النساء فقط ، تتولى وظائف بارزة في المؤسسات الاسرائيلية العامة ، أو المصالح الوطنية . وعلى المرء أن يستنتج ان النساء في حقل العمل لا زلن بعيدات للغاية عن المساواة مع الرجال .

التعليم

ان التعليم مؤشر قوي على موقف أي من المجتمعات تجاه مكانة المرأة . وفي سلك التعليم الجامعي في اسرائيل تمثيل جيد للنساء . على ان تمثيلهن ليس أعلى مما هو الحال في الولايات المتحدة . وعلى العموم فان النساء يتلقين ٤٥ بالمـائة من درجات التخرج ب.ع.في اسرائيل ، بينما النسبة في الولايات المتحدة هي ٤٢ بالمائة . ان نسبة النساء العالية في سنوات ما قبل التخرج من الجامعة (٤٩ ٪) قد تقود المرء الى ان يتوقع أعدادا مرتفعة في دوائر التعليم العليا ، وكذلك في القوة العاملة . لكن ١٣ بالمائة فقط من نساء اسرائيل حصلن على درجة دكتوراه وهو رقم أعلى بقليل مـن مثيله في الولايات المتحدة (١١ ٪). لكن ما يلقي ظلالا على هذا، ان ٢ بالمائة فقط من هيئة التدريس الجامعي من النساء في اسرائيل ، مع ان حوالي ٢ ٪ من هيئة التدريس الجامعي ممن يحملون درجة الاستاذية الكاملة في الولايات المتحدة ، هن من النساء . ويبدو — فيما يتعلق بالتعليم — ان النساء في الولايات المتحدة في وضع أفضل مـن النساء في اسرائيل .

التشريعات الدينية والنساء

« ان التشريعات الدينية في اسرائيل ، التي تحكم أحوال الاسرة وشؤون الزواج ، متخلفة بصورة غير اعتيادية » (انظر — ايفـرون — ص ٦٢) . ان جميع شؤون الاحوال الشخصية (قضايا الزواج والطلاق) تتولاها المحكمة الدينية التي تتخذ موقفا شديد التخلف من مسألة مكانة المرأة في الاسرة وفي المجتمع عامة . ان المرأة غـير التقليدية ، اذا ما مثلت أمام محكمة رجال الدين ، فانهـا بالتأكيد سوف تتعـرض للانتقاص من حقوقها ومصالحها . والواقع انه محظور على النساء الادلاء بشهادات أمام المحكمة الدينية . وليس في وسع المرأة الحصول على الطلاق بغير موافقة زوجها،

اذ لا تستطيع التقدم بشهادتها . وان الارملة التي لم تنجب أولادا ، ملزمة بالحصول على موافقة أخي زوجها غير المتزوج ، كي تتمكن من الزواج . أمـــا النساء اللواتي هجرهن أزواجهن ، فلا يستطعن الزواج في أي حال من الاحوال (وهو المعروف بقانون أجوروت) . ويجب تمييز الهجران عن موت الزوج في حال توفر دليل على الموت . والدليل على الموت يعني العثور على الجثة، وبوسع المرء ان يتخيل المشكلات العويصة التي تبرز في حالات الحرب حين يصنف الرجال على انهم مفقودون (انظر زوكر) . ولعل هذا يوضح سبب الاهمية البارزة جدا التي أولتها اسرائيل في الحرب الاخيرة ، لمشكلة أسرى الحرب ، اذ رفضت الشروع بفك التحام القوات قبل أن توافق مصر على تسليمها قائمة بأسماء أسرى الحرب . وكان التأخير والتأجيل المتواصل لفك التحام القوات على الجبهة السورية ، بسبب عدم تقدم سوريا بقائمة بأسماء أسرى الحرب عندها . ان من المبادىء الشديدة الاهمية في القوات المسلحة الاسرائيلية ، ان عليها أن تفعل كل ما في وسعها لاستعادة جميع الجنود الجرحى وجثث الاموات بعد كل معركة أو غارة . ولقد أصبح واضحا لنا الان الدافع وراء هذه السياسة .

ثم ان المحاكم الدينية تسيطر كذلك على مسائل تنظيم النسل والاجهاض . وفي وقتنا هذا ، لا تتلقى النساء حتى النصح أو المشورة بالنسبة لتنظيم النسل ، من قبل مراكز الخدمة الاجتماعية التي تشرف عليها الدولة أو من قبل الخدمات الصحية الحكومية . فالمجتمع الاسرائيلي ، نظرا لحجمه الصغير، يولي مسألة انجاب الاطفال أولوية كبرى. ولقد نتج عن هذا اضطهاد للمرأة وذلك بالزامها بالقيام بالواجبات الانثوية التقليدية كزوجة وكأم . ولقد جرى اعلان تحريم الاجهاض من قبل المحكمة الدينية . ويتعين على النساء الاسرائيليات أن يحتقرن انفسهن باعلان عدم أهليتهن العقلية ، أو بدفع مبلغ باهظ من المال (٢٠٠ دولار) كي يحصلن على ترخيص بالاجهاض (انظر — سكرامنتو بي) .

من الواضح ان هذه القوانين ظالمة ، وان معظم الاسرائيليين يحبذون الاصلاح ، الى درجة معينة على الاقل . ان هناك الكثير من الاسرائيليين غير متدينين ، ويشعرون بأن الاحوال الشخصية (قضايا الاسرة والزواج والطلاق) يجب ان لا تكون تحت هيمنة المحاكم الدينية . وليس هناك غير قلة من الاسرائيليين الارثوذكس الذين يسلمون بهذه القوانين كليا . وعلى المرء أن يتساءل كيف تتمكن أقلية من فرض كل هذه السيطرة على جميع المواطنين في دولة ديموقراطية كاسرائيل . جواب هذا كامـــن في طبيعة النظام السياسي الاسرائيلي .

ينتخب الاسرائيليون ممثليهم بأسلوب الانتخابات النسبية . وهذا يواكب نظام تعدد الاحزاب . فالحزب الذي يتمتع بالاكثرية بين مقاعد الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) المائة والعشرين ، يسيطر على الحكومة . لكن لم يحصل اي حزب من الاحزاب في الخمسة والعشرين عاما الماضية التي تشكل تاريخ اسرائيل ، على أغلبية واضحة . ولقد كان حزب العمل الاسرائيلي، «العلماني والمعتدل»، أكبر حزب في تاريخ اسرائيل حتى الآن . وكي يتمكن هذا الحزب من تأليف الحكومة ، كان ينبغي عليه دائما أن يشكل حكومات ائتلافية . ولقد كان أقوى ائتلاف هو ذلك الذي يقيمه حزب العمل مع الحزب الديني القومي (المفدال) الذي يحتفظ بعشرة مقـــاعد في الكنيست على الاقل على الدوام . وحين يتشكل ائتلاف ، يصبح الحزب الاصغر في مركز من القوة أكبر بكثير من نسبة حجمه . وفي هذه الحالة ، وكي ينال حزب العمل دعم الحزب الديني القومي ، فلقد وافق على ابقاء بعض قطاعات المجتمع والسلطة ، للمحاكم الدينية . هذا هو

الوضع في معظم سنوات تاريخ اسرائيل . ومنذ وقت مبكر للغاية ، عام ١٩٥٣ ، تركت شؤون الزواج والطلاق كليا لايادي الزعماء الدينيين ، وذلك بتحريم الزواج المدني . ولقد استمرت هيمنة المحاكم الدينية على هذه المسائل حتى يومنا هذا .

من هذا العرض يتبين ان غالبية الاسرائيليين قد لا تحبذ القوانين الرجعية المتعلقة بالزواج والطلاق وتنظيم النسل والاجهاض ، وبقية الاحوال الشخصية والعائلية ، ومع ذلك فان هذا الامر باق بسبب طبيعة النظام السياسي القائم . على انه ، من ناحية اخرى ، لو ان اكثرية من سكان اسرائيل شعرت بأن هذه القوانين ليست هي القوانين التي تريدها فعلا ، فلقد كان بوسعها ، بضغط كاف عبر الانتخابات ، ان تطبق ما تريد بالغاء الحاجة الى الائتلاف . واني أرى أن الاهمية المحدودة المعطاة لحقوق المرأة كانت عاملا رئيسيا في استمرار العمل بهذه القوانين .

حركة تحرر النساء

ان هناك وعيا يتكون بين النساء لوجود هذا التناقض بين مظهر المساواة الشائع ، وبين حقيقة وضعهن الفعلي . ان اجتماعات أسبوعية تعقد في بعض المناطق . وتناقش النساء في هذه الاجتماعات مشكلاتهن المشتركة ، كعدم المساواة في العمل ، وتنظيم النسل ، والاجهاض ، ومراكز رعاية الاطفال . ويطلق على هذه الاجتماعات في الغالب اسم « جلسات التوعية » (انظر نيويورك تايمز) ، اذ انها تستهدف خلق الوعي اللازم للمبادرة بالاصلاحات الخاصة بقضية المساواة .

ان دعاة تحرير المرأة ، يقتفون في خطواتهم آثار منظمات تحرير المرأة في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان . ولقد تمكنت منظمة محاربة التحيز الجنسي التمييزي ، من اخراج بعض النساء من موقفهن السلبي ودفعهن الى الحركة والنشاط . شولاميت آلوني على سبيل المثال ، كاتبة ومحامية وعضو برلمان ووزيرة سابقة ، وسيدة متزوجة ولها ثلاثة أبناء ، رفضت القاعدة المجتمعية الداعية الى انجاب عدد كبير من الاولاد .

لقد أعطى المجتمع الاسرائيلي قدرا ضخما من التركيز على ضرورة انجاب الاطفال ، بسبب الحاجة الى نمو سريع تقتضيه عملية بناء الجيش من أجل حماية الدولة . وفي رفضها لتبريرات هذه السياسة ، قالت السيدة آلوني لصحيفة نيويورك تايمز : « ان النساء اللواتي ينجبن عشرة أطفال يحصلن على اعانة من الحكومة . لكني آسفة . اني أرفض النظر الي وكأنني ماكينة (آلة) لانجاب الاطفال من أجل الجيش . اني أريد أن أعامل باعتباري كائنا انسانيا ، وفقا لطبيعة عملي ، وقدرتي ، ومعرفتي » .

انما لا يجب المبالغة بمدى تأثير حركة تحرير النساء . فرغم حصولها على شيء من التعاطف العام ، فان مجمل أعضاء الحركة يمكن وضعهن جميعا في غرفة متوسطة المساحة . فالنساء الاسرائيليات — على وجه الاجمال — لا يبغين ان « يعلن الحرب » في عالم الرجال . والواقع ان حركة تحرير المرأة جوبهت بمعارضة من النساء أنفسهن .

ان دراسة قام بها فريق من علماء الاجتماع في الجامعة العبرية عام ١٩٧٢ دلت على ان ثلثي عدد النساء يفضلن انجاب عدد كبير من الاطفال . بل وأبعد من ذلك ، فان ٧٥ بالمائة منهن يعتقدن بأن الهدف السامي الذي ينبغي بلوغه والحرص عليه ، هو أن تكون المرأة أما وربة منزل جيدة . وأن ثماني بالمائة فقط عبرن عن شعورهن بأن الحصول على عمل خارج المنزل قد يكون وسيلة للتعبير عن النفس أو لتجسيد الذات . ان هذه الاحصائيات تتعارض مع صورة المرأة المحررة العاملة والمقاتلة جنبا الى جنب وعلى قدم المساواة مع الرجل . وان ما حدث مؤخرا من اجراء مباريات للجمال في

الكيبوتسات يوضح ان النساء يرغبن بالعودة الى الوراء نحو دور تقليدي اكبر . جولدا مئير عبرت عن موقفها حين ذكرت ان الرجال هم الطرف الذي يجري التمييز ضده بسبب عدم قدرتهم على حمل الاطفال . وهي القائلة أيضا : « ان حركة تحرير المرأة ليست سوى حماقة سخيفة » (انظر نيوزويك — ٢٣ اكتوبر ١٩٧٢) .

ان الكثيرات ممن يعين وجود المشكلة فعلا ، لا يرغبن بالمساهمة بجهدهن بشكل نشيط وبتنظيم أنفسهن . والاخريات يشعــرن بان اسرائيل بريئة مــن التمييز بين الجنسين ، ويستخدمن جولدا مئير كحجة . وهناك عامل آخر يساعد في هذا الاتجاه ، وهو كون ٦٥ بالمائة من النساء الاسرائيليات من الشرقيات ، وانهن يحملن في قرارة نفوسهن نهج المجتمع الابوي (البطريركي) بصورة قوية ، حيث المكان الطبيعي للمرأة هو المنزل . وان هؤلاء يجدن أن المجتمع الاسرائيلي هو بالفعل أكثر تحريرا للنساء ، اذا قورن بالمجتمعات التي أتين منها . وهناك طبعا رجال اسرائيل ، الذين لا يأخذون حركة تحرير المرأة على محمل الجد .

خلاصة واستنتاج

كي يصل هذا البحث الى مبتغاه ، ينبغي أن نتساءل عــن الاسباب التي رسخت أسطورة مساواة النساء بالرجال في اسرائيل . لقد تتبعنا دور النساء الاسرائيليات في مختلف المؤسسات والقطاعات في المجتمع الاسرائيلي ، وتوصلنا الى انعدام المساواة بالنسبة للنساء في اسرائيل . لقد تمتعت النساء — كما أشرنا لدى عرض وضع المرأة في الكيبوتس وفي الجيش — بقدر فعلي من المساواة قبل انشاء دولة اسرائيل ، وفي سنوات التأسيس الاولى . لقد كانت أياما عصيبة للغاية ، وكانت الحاجة ماسة لعمل النساء في حقول الزرع وفي ميادين القتال على السواء . ومع انقضاء الوقت ، أصبحت اسرائيل أكثر قوة ، وتولى الرجال تلك الاعمال التي تطلبت الحاجة ايكالها للنساء من قبل . ولهذا فان مكانة المرأة انحطت وانحدر مركزها بشكل بطيء . ولقد كانت هناك على مدار السنين حركة نسائية قوية . ورغم ضآلة هذه الحركة عدديا ، فلقد كان لها شيء من الفعالية نتج عنها على سبيل المثال ذلك القانون القاضي بدفع أجــر متساو للعمل المتساوي ، والصادر عام ١٩٦٤ . وكانت هذه الحركة استمرارا للايام المبكرة حين تمتعت النساء حقا بدرجة معينة مــن المساواة . وبالتالي ، جرى اقناع نساء اسرائيل بطريقة انتقائية بأساطيرهن الخاصة عــن مساواة النساء الطلائعيات أو الرائدات . وعلى اي حال ، فان هذه الفترة القصيرة التــي شهدت المساواة بــين الجنسين ، والتي ربما سادت قبل سنة وعشرين عاما ، جرى استبدالها ، بالواقع ، « بوضع جنسي ، وليد الطبقة الوسطى ، بورجوازي » (أنظر نيويورك تايمز) .

على ان الحكومة الاسرائيلية تسعى لترسيخ وتعميــم هذه الخرافة . فان هـــذه الاسطورة عن المساواة ، مهمة لجهاز الدعاوة الاسرائيلية من عدة وجوه ، يعنينا منها هنا وجهان : الهجرة والسياحة .

ان الهجرة عامل أساسي شديد الاهمية في دولة اسرائيل . وينص « قانون العودة » الذي هو أحد ابرز المبادىء التي تقوم عليها اسرائيل ، والصادر عام ١٩٥٠ ، على انه لكل يهودي الحق بأن « يعود » الى اسرائيل . وان صــورة مجتمع المساواة بين الجنسين ، تجعل اسرائيل اكثر جاذبية للمهاجرين المحتملين ، الذين لو أتيح لهم الاطلاع على المشكلات الحقيقية التي يعاني منها المجتمع الاسرائيلي ، فربما امتنعوا عن الهجرة . ان اسرائيل بحاجة الى الرجال من أجــل جيشها ، حيث أن أعداءها يتفوقون عليها عدديا بنسبة واحد الى خمسين . ومع ان اسرائيل هي الآن في حالة

تفوق عسكري ، فان العرب سوف يكونون أقوى عاجلا أو آجلا . ولهذا فان الهجرة شديدة الاهمية لاسرائيل .

أضف الى هذا ما تدره خرافة المساواة من خير مادي في حقل السياحة . ان السياحة صناعة مهمة في اسرائيل ، وان كل ما يشجع السياحة ، ينبغي الترحيب به بحرارة . وهكذا يجري استخدام خرافة مركز المرأة ومكانتها في الكيبوتس ، وفي الجيش ، وكذلك في المجتمع بصفة عامة ، لجذب السياح . وان هذا الاستغلال واضح في البطاقات البريدية الاسرائيلية الاكثر مبيعا ، والتي تمثل احداها امرأة مظلية ، وصورة أخرى تمثل شابة في الكيبوتس تقطف الثمار . ان المرأة المظلية ، هي عضو في جماعة صغيرة ومعزولة ، يحتفظ بها من أجل الاحتفالات بعيد الاستقلال . والمحتمل بالنسبة للمرأة في الصورة الثانية ان تكون عاملة متطوعة ، اذ ان معظم النساء لا يعملن في الحقول .

ان النساء في اسرائيل ، لسن في أي وضع افضل من اوضاع النساء في المجتمعات الغربية الاخرى . والحقيقة ان صورة المساواة المستقرة في نفوسهن، مدعمة بالاساطير التي عززت الصورة (كجولدا مئير) ، بالاضافة الى الخدمة العسكرية الاجبارية ، قد تجعل النساء في اسرائيل أسوأ حالا على المدى البعيد . وانه لمن الصعوبة بمكان ، كما يبدو في نقص الاهتمام بحركة تحرير النساء ، ان يتولد الوعي اللازم لدفع الاصلاحات في حقل المساواة قدما .

ففي بلدان أخرى ، حيث التمييز ضد النساء أكثر صراحة ، وحيث هو جزء من التركيب الثقافي ، يكون من الايسر توعية النساء ليناضلن من أجل احداث تغيير في أوضاعهن . أما في اسرائيل ، فان الاتجاه هو مناصرة قضية المساواة بقدر كبير من التباهي ، بينما التمييز ضد النساء هو السائد . وكما تستخلص السيدة آلوني ، في تقويمها للمجتمع الاسرائيلي ، اذ تقول : « لقد تراجعنا عن الثورة الاجتماعية التي أرست أسسها الرائدات ، واستبدلناها بتملق المساواة لفظيا » — (أنظر نيويورك تايمز) .

ثبت المراجع

القزاز ، أياد

١٩٧٢ « الجيش والمجتمع الاسرائيلي » ، شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١ .

١٩٧٣ « الكيبوتس — تقويم نقدي » غير منشور ، قدم للاجتماع السنوي الثامن والستين للجمعية الامريكية لعلم الاجتماع، نيويورك، ٢٨ — ٣١ آب .

١٩٧٣ « التوجيه الحربي للمجتمع الاسرائيلي » — بحث قدم للاجتماع السنوي السادس للخريجين العرب من الجامعة الامريكية ، واشنطن دي. سي ، ١٧ — ١٩ تشرين الاول ونشر في شؤون فلسطينية العدد ٣٩.

بيزنس هوريزونز

١٩٧٣ عدد شباط .

ايفرون — نورا

١٩٧٣ « النساء في اسرائيل : خرافة التحرر » ، نيويوركر ، المجلد رقم ٦ ، العدد رقم ٤٧ ، ١٩ تشرين الثاني .

ابشتاين ، سينثيا

١٩٧١ « مكانة المرأة » ، منشورات جامعة كاليفورنيا ، بيركلي ، كاليفورنيا .

فريدمان ، مارسيا

١٩٧٣ « المرأة على التراكتور ، أين هي الان ؟ »، اسرائيل ، المجلد رقم ٥ ، عدد ٩ أيلول .

اسرائيل دايجست

١٩٧٣ « رائدات الجولان منهمكات بتربية الديك

الرومي ، والقمح والاطفال » ـ ١٤ أيلول.

كاهان ، دكتور هازل

١٩٧٣ « تحرير النساء في المنظور الاسرائيلي » ، نيو اوت لوك ، المجلد رقم ١٦ ، عدد رقم ٥ ، حزيران .

نيوزويك

١٩٧٢ « تحرر النساء سخافة » ـ اكتوبر .

نيويورك تايمز

١٩٧٣ « عدد متزايد من النساء الاسرائيليات يصبحن مناضلات من أجل المساواة بين الجنسين » ، ١٨ حزيران .

بوياس ، سوزان

١٩٧٣ « اسرائيل : هل يتقلص دور النساء ؟ » ، سان فرنسيسكو كرونيكل ، ١٥ آب .

سكرمنتو بي

١٩٧٢ « احدى نساء حركة التحرير في اسرائيل تقول ان الصورة الشعبية لمعمرة الصحراء، خرافة » ، نشاطات النساء ، ٢٩ تشرين الاول .

١٩٧٣ « نساء اسرائيل يقبلن ضغوط النزاع بلا شكاوى » ، ٨ تشرين الثاني .

سميث ، ايتال

١٩٧٠ « دليل اسرائيل » ، واشنطن ، مكتب النشر للحكومة الامريكية .

زوكر ، نورمان ل.

١٩٧٣ « الازمة المقبلة في اسرائيل » ـ كامبردج ـ ماساشوسيتس .

المقاومة في الفولكلور الفلسطيني (١٩٦٧ـ١٩٧٤)

نمر سرحان

تأتي دراسة الكاتب الحالي للفولكلور الفلسطيني المقاوم في الفترة من عام ١٩٦٧ — ١٩٧٤ بعد دراسته للفولكلور الفلسطيني المقاوم بعد عام ١٩١٧ ، والتي تناول فيها ما فاض عن الوجدان الشعبي الفلسطيني من اغان ، اهازيج ، هتافات مظاهرات وقصائد مسيرة عبر فيها عن تمسكه بحقه في أرضه واصراره على النضال من أجل تحرير فلسطين واقامة سلطة وطنية تدحر الاحتلال وتحقق استقلال الشعب وحريته .

وقبل أن نخوض في تفاصيل دراستنا للفولكلور الفلسطيني المقاوم في الفترة من عام ١٩٦٧ — ١٩٧٤ ، لا بد من ان نوضح الاعتبارات التالية :

اولا : ان حالة الشتات التي يعيشها شعبنا تجعل من الصعوبة بمكان دراسة كافة النصوص التي فاض عنها وجدان شعبنا ، فهناك أهلنا وراء أسوار الاحتلال ، وهناك الاهل المشتتون عبر الاراضي العربية في مخيمات المنفى في الاردن وسوريا ولبنان ، واشتات اخرى في الارض العربية والعالم . ولا يمكن القول بأن الباحث الحالي قد تمكن من جمع كافة النصوص ذات الدلالة . ومع ذلك فانني أرى انه لا بد من نشر النصوص المتوفرة ضمن هيكل تقريبي لدراسة الفولكلور المقاوم كواجب تسجيلي يفرضه الاحساس بضرورة ابراز موقف شعبنا من خلال اكثر مواقفه صراحة وجرأة وعفوية ، وان الكاتب الحالي ليأمل بأن تسهم اقلام فلسطينية اخرى في سد ثغرات هذه الدراسة واكمال نشر مجموعات النصوص التي فاض عنها وجدان شعبنا في لحظات الحزن ولحظات النشوة ، وعبر مواكب الثوار الحاشدة في ساحات القرى والمدن العربية والفلسطينية ، سواء منها تلك المواكب الهاتفة الهازجة في تظاهرات الرفض عبر احداث التغيير في الوطن العربي ، أو مواكب تشييع شهداء الثورة الفلسطينية ... وما اكثرها !

ثانيا : ان الكثير من النصوص التي فاض عنها وجدان شعبنا تحمل مضامين ذات حساسية مفرطة بالنسبة للانظمة والزعامات العربية ، وان اغفال مثل تلك النصوص بداعي وحدة التحرك العربي يهمل مواقف ذات وهج ونكهة خاصة وتشكل معلما من معالم افكار وحياة شعبنا الذي امضى حياته على طريق النضال والثورة ، ومن جهة اخرى فهي تحدد فكر الطبقات الشعبية المسحوقة ازاء الظروف الشديدة القسوة التي يتعرض لها شعبنا والتي تتحدى وجوده وبقاءه .

ثالثا : وبسبب حالة الشتات التي يعيشها شعبنا ، وبسبب المناخات التي يتعايش في أجوائها ، يصعب على الباحث ان يعطي النصوص الفولكلورية التي تعكس روح المقاومة ، صيغة الشمول والعمومية من حيث تمثيلها لوجدان الجماعات

الفلسطينية ، ذلك ان ما يمكن ان تقوله جماعة في مخيم الرشيدية في لبنان يختلف عما يمكن ان يصدر عن جماعة فلسطينية في المغازي او عين السلطان او في مخيم الوحدات ، وذلك عائد لطبيعة المعاناة اليومية التي يعانيها سكان مثل سكان الرشيدية من حرب المخيمات والاستنفار اليومي ورائحة الدم التي تفوح من كل بقعة وناحية .

رابعا : ان النظرة التقليدية للفولكلور تصنف النتاج الفولكلوري على أنه ثقافة الطبقات المتخلفة في مجتمع متحضر ، لكن مثل هذه النظرة لا تصدق على الكثير من النصوص التي تعتمد عليها هذه الدراسة ، فقد قمت بجمع النصوص من جماعات الاشبال وشبيبة مكاتب الثورة في مخيمات البقعة ، سوف ، غزة ، والحصن . ومن خلال مسيرات فصائل الثورة في احياء عمان . وبالطبع لا يمكن أن يوصف اولئك الافراد بالضبط بأنهم طبقات متخلفة اذ بينهم طلبة ومدرسون ومهندسون ومحامون واطباء ... الخ . ومن ناحية اخرى فقد اعتمدت في دراستي على بعض النصوص الغنائية التي تذاع من خلال اذاعة « صوت فلسطين ـــ صوت الثورة الفلسطينية » .

ان طبيعة المرحلة التي يجتازها شعبنا ، وهي مرحلة القتال من أجل التحرير ، تجعل الدارس ينظر لشعبية النص الفولكلوري بمنظار غير حرفي ، ذلك لان الاغاني التي تجسد الوجدان الشعبي هي اغان شعبية ، وان لم تصدر بالضرورة عن « الطبقات المتخلفة في المجتمع » مباشرة . ان اغاني الثورة الفلسطينية سواء منها ما شاع بين صفوف الاشبال والشبيبة الثورية المقاتلة ، او ما أذيع منها عبر راديو الثورة الفلسطينية ، ان تلك الاغاني التي تجسد آمال وتطلعات شعب فلسطين هي أغان شعبية . ومما يؤكد شعبية مثل هذه النصوص هو ان الجماهير تتلقف مثل هذه الاغاني وتتداولها وتتوارثها لتصبح جزءا من ثقافة الجماعة الشعبية .

ان الكثير من الاغاني والاهازيج الوطنية بدأت كنص مكتوب وذو مؤلف واحد . وحصل ان سمع الشعب هذا النص على لسان قوال في موكب من مواكب التظاهرات الفلسطينية في احد الشوارع في مدينة عربية . وما لبث النص ان تحول لنص شعبي تناقلته الجماهير في مناسبات أخرى من مناسبات الطفرات الشعبية .

وهناك سبب اخر يدفعنا الى تصنيف هذا النوع من الاغاني ضمن قائمة الاغاني الشعبية هو أن تلك الاغاني ، رغم انها مكتوبة بكلمات غير دارجة ، ورغم انها صادرة عن جهات مثقفة ، فانها مبنية على اصل فولكلوري عرفه الشعب ، وصب في قالبه اغانيه عبر الزمن ، وعلى سبيل المثال فان اغنية :

بارودتي ذراعي اليمين / ورصاصي حبات العيون

وابوي قال لي يوم ما مات / اتعلموا من الزيتون

وكذلك أغنية :

يا أم الشهيد وزغرتي / كل الشباب اولادك

هما أغنيتان من الاغاني التي تذاع من اذاعة صوت فلسطين ـــ صوت الثورة الفلسطينية . وقد كتبهما مؤلف معروف ، وادتهما المجموعة بمرافقة اوركسترا رسمية ... ان هاتين الاغنيتين مبنيتان على لحن اغاني المسيرة ـــ المحورية ـــ الفلسطينية ، والتي تؤدي عند زفة العريس ، وبكلمات مثل هذه الكلمات :

عريسنا عنتر عبس / عنتر عبس عريسنا

ويمكننا أن نطرح مثالا اخر وهو هذا البيت من الدلعونا :

على أرض الضفة في شعب يناضل / ومن أجل السلطة أوقد مشاعل
وانت يا فلاح وانت يا عامل / واطرد عن أرضك جيش الصهيونا

لقد سمع هذا البيت لاول مرة في ربيع عام ١٩٧٤ . وسجل كأداء لاحد مناضلي الجبهة الشعبية الديموقراطية بالقرب من مخيم صبرا في بيروت ، وهو يطرح قضية تكتيكية جديدة ، تلك هي شعار السلطة الوطنية في الضفة الغربية . ومؤلف البيت فرد معروف ، وبالطبع فليس هناك ما يمنع من تصنيف هذا النص كنص فولكلوري لسبب بسيط جدا هو أن في حقيقته مجرد كلمات جديدة في قالب لحني شعبي أصيل هو : « الدلعونا » .

* * *

وننتقل الان للحديث عن طابع المرحلة (١٩٦٧ — ١٩٧٤) كما تنعكس في الوجدان الشعبي الفلسطيني على اعتبار ان الشعر الشعبي واحد من مصادر المؤرخ ، وهو احد المصادر التي تصور بصدق حياة الجماهير الشعبية وآمالها وتطلعاتها للمستقبل. وقد سجلت الاغنية الشعبية الفلسطينية ملاحظات على العديد من الاحداث التي واجهها شعبنا داخل الارض المحتلة وعلى الساحة العربية ، ورصدت بعفوية صادقة طابع المرحلة . وفيما يلي نستعرض اهم ملامح المرحلة كما انعكست في آغاني الشعب وطرق تفكيره :

١ — رفض الهزيمة

عندما انتهت أيام حرب حزيران الستة ، افاق الانسان الفلسطيني على حقيقته مرة يصعب على وجدانه ان يستوعبها ، تلك هي ان كل فلسطين أصبحت وراء أسوار الاحتلال بما في ذلك « صخرة القدس » ، وأن المدافع العربية صمتت . وأخذت الجماهير الشعبية تسمع تبجحات راديو الاحتلال عن الطرق المفتوحة الى دمشق وعمان والقاهرة . ترى ماذا كانت حقيقة الموقف الشعبي الفلسطيني ازاء هذه النكسة التاريخية ؟

لنر ردة الفعل من خلال الفولكلور الغنائي المقاوم :

كان الجواب : لا ... للهزيمة . وكان الجواب مزيدا من التمسك بالبندقية ، بذلك يوحي مضمون أهزوجة القاها احد اشبال فتح ، في معسكر الاشبال بالقرب من مخيم البقعة :

والله لانزل دوريه
واقطع من غرب الميه
واهجم ع الصهيونيه
واذبحهم ذبح الجديان
والله لاحمل ديكتريوف
وقلوبنا ما تحمل خوف
تحت حماية جرينوف
ما بنهاب الطياره
ولا بنخاف الغاره
وان متنا مش خساره
هذه ثورة شعبيه
والله لاضرب صواريخ

واخلي العدو يصيح
والكل منا صريح
أبطال فتح الثوريه

ومن خلال أغاني المراة في مناسبات الافراح الشعبيـــة ، انطلـــق صوت المـــراة الفلسطينية ، يحيي الطلائع الثورية الفلسطينية . كان ذلك في اواخـــر عـــام ١٩٦٧ وأوائل عام ١٩٦٨ عندما بدأ الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يسمعون ان هناك تنظيمات فدائية فلسطينية ترفض وقف اطلاق النار وتغير على اسرائيـــل عبر الاردن وسوريا ولبنان . وبدأ الناس يشاهدون في شوارع بعض القـــرى والمـــدن العربية الشبان الفلسطينيين يرتدون الملابس المبرقعة ويتلثمون بحطـــات بيضـــاء مخططـــة بالسواد ويحملون اسلحة جديدة ذات مخازن معقوفة تعرف بالكلاشنكوف لم يعتـــد الانسان العادي رؤيتها من قبل ، وأن هؤلاء الشبان يعرفون بالفدائيين . وكان مجرد رؤيتهم في الشارع يجسد تطلع كل المهزومين الى أرضهم المحتلة . وقد دفع هذا المنظر المرأة في الوسط الشعبي المحافظ للخروج عن التقليد والتصريح بحبها للفدائي مـــن خلال هذا النص الغنائي النسوي :

هالفدائي يا ما احلاه / دخلك يما اعطيني اياه
في ايدي بارودة / وفي ايده بارودة / وع الحدود أنا واياه .

×

في أيدي مدقة / وفي ايده مدقه / وعلى برقه انا واياه

وقد تجاوزت المرأة الفلسطينية حدود الاعجاب بالفدائي الى اعلان رفضها للواقع والدعوة المباشرة للتحرير ، تقول أغنية أخرى بهذا المعنى :

ع الرمانيه ع الرمانيه / واحنا ما بنطيع لهالرجعيه
واطلعنا بسلاح ونزلنا بسلاح / حرروا ارتاح يا فدائيه
واطلعنا ببارود / وانزلنا ببارود
يلله ع الحدود / يا فدائيه

×

واطلعنا بلبس / وانزلنا بلبس
حرروا القدس / يا فدائية .

واعتقد ان اغنية :

ع الرباعية ع الرباعية / واحنا ما بنام ع الغلوبية

والتي تذيعها اذاعة [صوت فلسطين ـــ صوت الثورة الفلسطينية] مبنية على هذه الاغنية . واكثر من ذلك فربما كانت الاغنيتان تنبعان من اصـــل اغنية خليلية شعبية مطلعها :

ع الرباعية ع الرباعية

* * *

أما الاطفال ـــ أطفال فلسطين ، فقد حملوا الرد ايضا . ونأخذ هذا النموذج لـــرد الفعل على لسان الاطفال في رفض الهزيمة وهو أغنية هازجة علمهم اياها الفدائيون . وقد سجلت اهزوجتهم هـــذه في بيادر وادي السير حيث اقـــامت الجبهة الشعبيـــة

الديموقراطية خيمة للميليشيا بالقرب من موقف هزاع بالبيادر ، وأخذ شباب الجبهة يدربون الاطفال الفلسطينيين من ابناء ابو ديس ، دير ابان ، الولجــة ، المسمية ، اكزازة ... وغيرها على التمرينات الرياضية والمصارعة وحمل السلاح والجــري الطويل وهم يهزجون :

أنا وحش / جئت أناضل

من أجلك / أنت يا عامل

من أجل اخواني النازحين / والفقراء القادحين

وراحت اغنية اطفال أخرى يبدو أن مبدعها الاول من رجال الجبهة الشعبية :

شعبية شعبية / جبهتنا شعبية

والله لاعيدك يا بلادي / من الميه للميه

وفي هذه الاثناء ، وبعد مضي أشهر وجيزة من الهزيمة أخذت اذاعة صوت فلسطين ــ صوت الثورة الفلسطينية تستقطب انتباه الفلسطينيين واهتمامهم الشديد . وقد شدت هذه الاذاعة الجماهير الشعبية بتوجيهاتها الجريئة والمباشرة وأغانيهــا التي تضرب على اوتار قلب حزين . وكانت تلك الاغاني شعبية من حيث الشكل والمضمون تارة ومن حيث المضمون فحسب تارة أخرى .

ويجوز لنا القول بأن أغاني اذاعة « صوت فلسطين ــ صوت الثورة الفلسطينية » أصبحت البديل لدى جماهير « مخيمات المنفى » عن سهرات الافراح الشعبية . وصار الناس في الوسط الشعبي يرددون ويتناقلون تلك الاغاني كما كانوا يتناقلون أغــاني الافراح الشعبية ، وعلى الاخص ما كان منها مبنيا على أصل شعبي .

وصارت تلك الاغاني هي المادة الغنائية الشعبية المكملة لاغاني الاشبال والنساء والاطفال التي تحمل مضمونا واحدا هو : « لا ... للهزيمة » . وفضلا عن ذلك فقــد حملت أغاني الثورة ــ أقصد أغاني صوت فلسطين الميزات التي تجعلني ادرجها ضمن الاغاني الشعبية ذات الطابع الوطني ، وهي :

١ ــ المضمون المباشر ، شأنها في ذلك شأن النص الفولكلوري الــذي يتوجه الى هدفه دون مقدمات ، مثل :

« يا قاتلين / دمكم حلال علينا »

ومثل :

« قدم / يا خسارة اللي بيده السلاح / وما يقدم »

ومثل :

« لاعمل سلاح / من صدري / واحمي رفيقي »

ومثل :

« أنا يا أخي / آمنت بالشعب المقيد والمكبل

وحملت رشاشي / لتحمل / بعدنا / الاجيال ... منجل »

٢ ــ مطابقتها لاهازيج المظاهرات الشعبية ، مثل :

« يا جماهيرنا الشعبيه / فجرنا الحرب الثوريه

بحجار وطواري / برصاص وشباري »

٣ ـــ البناء الفني لهذه الاغاني على أصل شعبي ، اذ أن كاتبي كلمات أغاني الثورة الفلسطينية بحكم توجههم الى الجماهير الشعبية ، وبحكم انتمائهم الى الطبقة الشعبية المسحوقة ، فقد صبوا كلماتهم الجديدة في القوالب اللحنية الشعبية لتكون أقرب الى ذوق الجماهير واكثر تأثيرا في نفوسهم ، ومثال ذلك :

*** من لحن الدلعونا :**

« يا حيا الله ... رجال الله / وهذا هم الفلسطينيه » .

*** من لحن « المسيرة » :**

« يا شعب كبرت ثورتي / كبرت واحنا ثوارها
من قريتي لمدينتي / من نهرها لبحرها
يا أم الشهيد وزغرتي / كل الشباب اولادك » .

*** من لحن « أغاني العمل »**

« بايدي رشاشي / وبدي اظل ماشي
رشاشي ع اكتافي / فرشتي ولحافي
وارضنا المحتلة / ما بترجع بلاش » .

*** من لحن « يا احليوة طاب رماني »**

« جر المدفع فدائي / لا تستنى السياره
جرد علينا صهيون / اكتر من ميت طياره »

*** على لحن « أغاني النساء في العرس »**

« هي يا أحبابي / هنوني لا تعنوني
وجوزنا الليله مصيطف / نور اعيوني »
« حين يلوح البروقي / ما في عوقي
كلاشنكوفي يسابقني / يطير من شوقي »

*** على لحن « الطلعة »**

« طل اسلاحي / من جراحي / يا ثورتنا
طل اسلاحي / ولا يمكن / قوة في الدنيا
تنزع من ايدي سلاحي . »

٤ ـــ تعبير هذه الاغاني بصدق وجرأة عن هموم الجماهير الآنية ومعاناتها اليومية ، ومسايرتها لنضال هذه الجماهير وطبيعته المرحلية . وذلك واضح في كل نصوص أغاني الثورة بلا استثناء .

٢ ـــ بروز المنظمات الفدائية والفكر السياسي الفلسطيني

في هذه المرحلة تعكس لنا الاغاني الشعبية ذات الطابع الوطني بروز المنظمات الفدائية وافكارها السياسية وايديولوجياتها بوضوح . وصحيح أن منظمة التحرير الفلسطينية قد ظهرت للوجود بقرار من مؤتمر القمة العربي قبل حرب حزيران ، وصحيح أن حركة فتح انطلقت ايضا قبل حرب حزيران « مع شمس الخمسة والستين » ، لكن الاغاني الشعبية اعلنت قيام الثورة متأخرا وعلى الاخص بعد حرب عام ١٩٦٧ للاسباب التالية :

١ ــ اليد الحديدية للانظمة العربية قبل الحرب والتي منعت احتفاء الجماهير بظهور ثورتها .

٢ ــ تأخر تصاعد العمل الفدائي لاسباب عديدة ، مما كان له الاثر في تأخر الاحتفاء الشعبي .

٣ ــ بروز البندقية الفدائية وحدها في الساحة بعد صمت المدافع العربية بعد هزيمة حزيران مما الهب مشاعر الجماهير وجعل الثورة « نجمها » الوحيد .

٤ ــ تأخر التأييد العلني للانظمة العربية لقيام الثورة واحتفائه بتصعيد اعمالها ، فمثلا سمعت اذاعة صوت فتح ــ صوت العاصفة بعد الحرب [١٩٦٧] وليس قبلها . وأشاد عبد الناصر برجال الكرامة بعد معركة الكرامة ووصف أعمالهم بأنها بطولية وخاصة ملاحظته حول استعمالهم أسلحة بسيطة مثل ر. بي. جي اذا ما قورنت بأسلحة الجيوش العربية .

٥ ــ النصر المؤزر يوم الكرامة والذي جعل الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني يسمعون بوضوح بوجود الثورة وبانتصارها على « دايان » مما اعتبره ذلك الوسط ردا له وزنه على الهزيمة . كما بدأ الناس يسمعون بوجود زعيم فلسطيني يذكرهم بزعامة « سيف الدين الحاج امين » ، وهو أبو عمار ــ ياسر عرفات .

وتتحدث الاغاني الشعبية عن ثلاثة من التنظيمات الفدائية : فتح ، الشعبية والديمقراطية . ولم أدون أية نصوص تتحدث عن تنظيمات أخرى . وتمتاز هذه النصوص بجراتها اذا ما وضعنا في الاعتبار ان التنظيمات هذه نشأت بصورة اجمالية في مناخ لا يسمح بظهور التنظيمات الشعبية المسلحة . وافضل مثال على ذلك هذا النص الذي سجله أحد مناضلي الجبهة الشعبية في مخيم سوف في ١٩٧٠/٧/٦ :

أنا ابن الجبهه الشعبيه   وعندي اراده قويه
وبهجم ع نص الجنزير   ومدفع هالخمسميه

× ×

أنا ابن الجبهه في سينا   أنا ابن الجبهه في اثينا
وانت ابن الجبهه ع المينا   وفوق الهضبه السوريه

× ×

أنا ابن الجبهه مخيم سوف   تسع تفرج تعال شوف
أعلناها ع المكشوف   جبهتنا ماركسيه

× ×

أنا ابن الجبهه ماركسي أصيل   أنا ابن الجبهه ع اسرائيل
وانت ابن الجبهه مش بخيل   عربي حامي اميه

وتظهر الاغاني الشعبية فخر الفدائي بنفسه ومجاهرته ، بموقفه وافكاره السياسية ، وتوضح هذه الاغنية مثل هذه المعاني ، وهي بعنوان « عنترة » ، والاغنية مبنية على لحن شعبي كان قد استعاره عبد الرحيم عمر كاتب كلمات أغنية « غندره » عن نص شعبي شبيه شائع في قرى طولكرم . تقول كلمات الاغنية :

عنتره مشي الفدائي عنتره
واللي يحب الموت يمشي عنتره

×

لاقتني جماعه ... وكلهم قناعه
بالطبقات الكادحه ... وقيادة الفقرا
×
وأنا من الشعبيه ومبادئي اشتراكيه
وانت يا اقطاعي كفايه سمسره
×
لاقتني دوريه من الجبهه الشعبيه
ودمرت دبابه ونص مجنزره
×
لا يزال بنذاكــر　　عبد الرحيم جابر
هو بسجنه صابر　　مهما صار وجرى

أما هذه المقاطع من هتافات المظاهرات والتي سجلها احد مناضلي الجبهة الديمقراطية ، فهي تحدد الخط اليساري خطا سياسيا ، وتوضح مبدأ اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة تحت ظل راية اليسار ــ راية الحرية ، وتنادي بحق الشعب وحده في تقرير المصير . اما النص فسجل في ربيع عام ١٩٧٤ بالقرب من مخيم صبرا ، مع بداية طرح فكرة « السلطة الوطنية الفلسطينية على اي جزء يتم تحريره من فلسطين » . ولقد رأينا كيف تحول هذا الشعار الشعبي الى مبدأ أقرته الثورة ، ثم اعترف به العرب في مؤتمر الرباط واخيرا اقرته الامم المتحدة . تقول كلمات هذه المقاطع :

راية اليسار يا راية الحريه / من غار الغار يا جبهه ديموقراطيه
راية اليسار طيري لفوق وعلي / ومن كــل الارض لنطرد المحتل
نبني السلطه الوطنيه المستقله
راية اليسار علي لفوق وطيري / شعبي وحده اللي يقرر المصير

وكما أن فتح طرحت شعار « الفكر ينبع من فوهة البندقية » فان أغاني انصارها تدور حول رفض الهزيمة ومعانقة البندقية كوسيلة وحيدة للتحرير . وهذا نموذج لذلك المنطلق الفكري والذي سجل في صيف عام ١٩٧٠ في معسكر اشبال فتح بالقرب من مخيم البقعة :

لا تحزني يا فلسطين / عندك أشبال مدربين
عندك أشبال تريد الموت / واللي يموت خليه يموت
خليه يزور المقبره / يكون شهيد العاصفه

٣ ــ الترحيب الجماهيري بالثورة

كثيرة هي الاشعار الشعبية التي اشادت بالثورات الفلسطينية المتعاقبة منذ عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٦٤ . وكثيرة هي المواقف التي أبرزت التعاطف الشعبي مع النضال الوطني ضد الانتداب البريطاني والاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي . أمــا الثورة الحالية التي يخوضها شعبنا وحرب التحرير الشعبية الطويلة الامد التي يخوضها ضد الاحتلال فقد لاقت تعاطفا جماهيريا بشتى الاشكال سواء على الساحة الفلسطينية او الساحة العربية . وأصبح الحكام العرب يقدرون أهمية العمل الفدائي في حماية شرف الامة العربية فضلا عن انه دفاع عن فلسطين . ووجدت « ثورة الفاتح من كانون ٦٥ »

ترحيبا لا حد له من جماهير شعبنا والجماهير العربية في كل مكان . وحتى في أسوأ أيام الثورة وعندما كانت تتعرض للتصفية سواء وراء أسوار الاحتلال أو على الارض العربية كانت الجماهير العربية تشكل درعا واقيا للثورة ، وكانت الانظمة العربية مدفوعة بتململ جماهيرها تسارع لتحمي الثورة ، أو لترفع صوتها على الاقل في وجه دعاة التصفية . ولولا الترحيب الجماهيري الفلسطيني والعربي واستعداد الجماهير للموت من أجل حماية الثورة لما عاشت « ثورة الفاتح من كانون — ٦٥ » السنوات العشر من عمرها ، ولولا تلك الحماية الشعبية لاجهضت تلك التجربة كما أجهضت من قبلها تجارب القسام وأبو درة والحسيني ... الخ . ويجب أن نعترف بأن الترحيب الجماهيري والتعاطف الشعبي الذي تجلى بعشرات الالاف من الشهداء الذين استجابوا لنداء الثورة : « احم الثورة بدمك احم ... يا خوي ... واكسر باب الحل السلمي »، هؤلاء الشهداء الذين خرجوا من صفوف الطبقات الشعبية المسحوقة ، نقول انه لولا ذلك الترحيب والتأييد الشعبي لما رأينا « ثورة الفاتح من كانون — ٦٥ » تتحدث الى المجتمع الدولي عبر منصة الامم المتحدة من موقف حركة تحرير قوية مدعومة وفي شخص ياسر عرفات باني الخلية الاولى من خلاياها . ويجب القول بكل ثقة ان الجماهير الشعبية كانت تنتظر ميلاد ثورة لتهديها كل الحب والتعاطف والدم ، فما أن أعلنت « ثورة الفاتح من كانون — ٦٥ » عن هويتها :

هذه الثوره للملايين / للي شربوا الظلم سنين
للي جاعوا / للي عريو / لليتامى ... للثكالى
للي بسوق الذل انباعو

أقول ما أن سمع الجياع العراة والثكالى من الملايين بميلاد ثورتهم حتى اسرعوا يبنون كيان الثورة من أجسادهم ويمدونها بزخم لا حد له أوصلها بعد مضي عشر سنوات الى الموقع الذي يشرف على « مرحلة التحرير وبناء السلطة الوطنية على أرض الآباء والاجداد » .

ونحن ندعم ما نقول بهذه الطلعة التي سجلها الفنان الشعبي حسن وهدان عام ١٩٦٨ معبرا عن اندفاع جماهير الوسط الشعبي للتطوع في صفوف الفدائيين معللا هذه الرغبة الكامنة لديهم بأن كلا منهم « قلبه ملوع ع فلسطين » :

ايدي وايدك نطوع فدائيين / ع العوده قلبي ملوع لفلسطين

×

ايدي بايدك نصبح ثوار / ونخوض بحور الميه ونوصل للدار
وأنا قبلك ضحيه نمحي للعار / نرجع أرض العروبة من الغاصبين

×

انت احمل رشاشك وأنا المدفع / وطننا الغالي حتما لازم يرجع
بكره فجر الحريه لازم يطلع / نزرع تربة قريتنا نرجس مع تين
وشبل بلادي بيتعلم ع كلاشنكوف / وجيش الصهيوني سلم في قلبه خوف
اسأل عنا الاعادي ندحر الوف / ما بنهاب المنيه في الميادين

×

الثائر حامل لسلاحه اجتاز الانهار / العالم سجل لكفاحه بعز واكبار
ثوار العاصفه طاحوا وين الغدار / لازم نرجع وطننا نقسم يمين

×

اسأل عنا شعشاعة مع بيت فوريك / نهر الاردن الجاري عنا ينبيك
عنا مروا النشاما متل البريق / ضربتهم قويــه والها رنين

×

وع حيفا مروا وغاروا ع تل أبيب / وبترول وأشعل ناره شوق اللهيب
الثائر وجه صاروخه يضرب ويصيب / الحرب الشعبية امتدي مدى السنين
الشكوى والمذله ما بتنفع حد / الثائر أقدم ع العوده ومش راح يرتد
لازم أسلح عيلتنا امي والجد / حتى تصير كل العيله فدائيين

ويعكس الشاعر الشعبي الفلسطيني عبداللطيف العجاوي فرحة الجماهير بقواتها المناضلة التي « دمرت الاعدا تدمير » ، وتؤكد هذه الفرحة فرضية انتظــار الشعب لبزوغ ثورته التي تدمر جلاديه وغاصبي أرضه وصانعي نكبته . وقد سجلت هــذه المقاطع من هذه الطلعة في مبنى مؤسسة التلفزيون في جبل عمان في شتاء عام ١٩٦٩ ، وأذيع جزء منها ضمن برنامج « فنون شعبية » . وفي هذه المقاطع يقدر الشاعــر الشعبي الجماعات المؤازرة للثورة بأنها « في المية تسعة وتسعين » :

بالله ورسله ومؤمنين وبنصر قضيتنا / لازم ترجع فلسطين بقوة الله وقوتنا

× ×

شبابك يا فلسطين كلتهم فدائيين / في الميــه تسعه وتسعين بيآزر قضيتنا

× ×

الفدائيه المغاوير دمروا الاعدا تدمير / سوف انشوفو المصير ونرجع يا خي لديرتنا

× ×

عجاوي عبر تعبير ... الفدائي دق النفير / حمس كل الجماهير تا تستوي طبختنا

ويبدو التعاطف الشعبي بصورة اخرى مع الثورة عندمــا تتعرض قوات الثــورة ومخيمات اللاجئين لغارات العدو الحاقدة . ونرى هنا المغني الشعبي يعبر عن سخرية الجماهير المؤيدة من صوت المدفع المعادي والطيارة الغازية ، فكلاهما « ما بهدي الشعب الثائر » . وقد سجل هذا المقطع في سهرة عرس شعبي بمخيم الوحدات بعد الغارة الاسرائيلية بالمدفعية على مدينة اربد يوم ٤ حزيران ١٩٦٨ :

ثورتنا ثوره جباره تشبه ثورة الجزائر / صوت المدفع والطياره ما بهدي الشعب الثائر

ومن مظاهر التعاطف الشعبي مع الثورة تحيــة مناضليها البارزين ، فأشــارت العشرات من النصوص الى تحية أبطال الكرامة وبيت فوريك . كما تحدثت النصوص عن اكبار الفدائيين الذين تصدوا للهجوم على شاطىء الاوزاعي . ولا شك ان البحث المستفيض سيكشف عن العديد من النصوص من الاغاني الشعبية التي تحيي الرجال الذين زرعوا الرعب في قلوب المستوطنين الاسرائيليين واقضوا مضاجع الاحتلال . ومن ابرز الامثلة على ذلك قصيدة يحيي فيها الشاعر الشعبي محارب ذيب « البطلة الفدائية ... ليلى خالد » وهي تدل على تعاطف الجماهير وتأييدها اللامحدود للثورة، تحمل في ثناياها اشارات الى الدافع الوطني الذي يدفع فتــاة عربية لان تركب المركب الصعب . ومطلعها :

حيوا لي بليلى خالد البطله الفدائيه

×

ليلى نزلت ع بيروت / راحت ع القياده تفوت
قالت والله لو بموت / لاسجل ندائيه

وهذا مثل آخر على التعاطف الشعبي مع الفدائـــي في بيت الدلعونا الذي يصور شهيد الكرامة وقد استقر في قصر في الجنـــة « مقصور بشيد » دلالة على النقـــاء والطهارة :

شهيد الكرامة غنى قصيده / وقصري في الجنة مقصور بشيد
انا طالب من ربي العالي المجيد / تتحرر بلادي بأسرع ما يكونا

٤ ــ الزعيم الشعبي للمرحلة

كانت موافقة عبدالناصر على مبادرة روجرز السلمية المناسبة الوحيدة التي بدا فيها الرئيس جمال عبدالناصر على غير صورته الطبيعية في الاغنية الشعبية الفلسطينية لهذه المرحلة ، تلك الصورة المشرقة التي تبرز الزعيم الراحل بصفته المدافع الاول عن حقوق شعب فلسطين وأمله في التحرير والعودة . وفي تلك المناسبة ورد الحديث عن موقف عبدالناصر على انه موقف امريكي في أهزوجة مظاهرات في عمان ١٩٧٠ أثناء زيارة سيسكو للاردن عام ١٩٧٠ ، وعندما هبت الجماهير الشعبية بقيادة الثورة تحتج على مبادرة روجرز وزيارة سيسكو . وبلغت ذروة اعمال الاحتجاج في احراق المركز الثقافي الامريكي في جبل عمان :

هذا الموقف مش تكتيكي / هذا الموقف صنع أمريكي

وكانت تلك الاهزوجة ترد على ما قيل في حينه مـــن أن مصر وافقت على مبادرة روجرز موافقة تكتيكية فحسب .

وفيما عدا ذلك ظلت صورة عبدالناصر مشرقة في وجدان الشعب الفلسطيني ، وظل اسمه يعطر الاغنية الشعبية الوطنية الفلسطينية ، على اعتبـــار ان نصير الشعب الفلسطيني وحامي حماه ومعلمه الثورة ، وهذا مقطع مـــن أهازيج مظاهرة تشييع جنازات شهداء ١٧ ــ ٧٢/٩/١٨ في جنوب لبنان يتحدث عن عبدالناصر المعلم الثوري:

علمنا عبد الناصر ضرب النار / النار النار ع القتال / والنار النار في الجنوب

× ×

مين اللي رد العدوان / غير الثوار
غير الاخوة الفدائيه / ع خط النار
في لبنان ... في القتال / حتى تعيش العروبيه
سلاح وتنظيم / نربح في الميه ميه

وقد فجع الشعب الفلسطيني فجيعة كبرى بوفاة الرجل الذي ظلوا يعتبرونه زعيمهم وزعيم الامة العربية . وقد ربطت الاغنية الشعبية الفلسطينيـــة بين الفجيعة بوفاة الزعيم والآمال التي كانت مبنية عليه في تحرير الارض المحتلة . لقد ذهب الزعيم تاركا المدافع مشرعة على القناة ، وترك الشعب في الارض المحتلة بين اليهود بلا سند :

كل المدافع ع القناه خلاها / يهود قدامه غنم طحاها

×

كل المدافع ع القناه مرميه / يهود قدامه غنم مطحيه

×

رئيسنا يللي عليك المعتمد / خليتنا بين اليهود بلا سند
رئيسنا يللي عليك اللوم / خليتنا بين اليهود والقوم

وكثير من الناس في الوسط الشعبي اعتبروا وفاة عبدالناصر مفاجئة وغير طبيعية ، وانها جاءت في غير أوانها . وان الزعيم مات حزنا وكمدا على ما قاساه شعب فلسطين وطلائعه المقاتلة ، وهذه الاغنية تجسد تلك المعاني وقد ربطت بين وفاة الزعيم واخر عملية سياسية قام بها في حماية العمل الفدائي من التصفية :

ركبوا المدافع على ظهر الميه / صارت يا تشلكن ع الفدائيه
ركبوا المدافع ع ظهر النهر / جمال يا تشلكن انقهر قهر

ولا يرى الانسان الفلسطيني ــ كما تعكس أغانيه الشعبية ــ بعد وفاة عبدالناصر من يملأ كرسي الزعامة ، ولذلك تصور هذه الاغنية الشعبية النسوية كرسي «أبو خالد» مجللا بالجوخ والسواد لعدم وجود من يملأها :

كرسي أبو خالد جللوه بالجوخ / بعد الرئيس ما حلي لي شيوخ
كرسي أبو خالد جللوه بسواد / بعد الرئيس ما حلي لي جواد

وحتى بعد وفاة الزعيم العربي عبدالناصر ظل في وجدان الشعب الفلسطيني حاميا لاهداف الجماهير وطلائعها الثورية ، وبذلك تقول مقاطع من أهازيج المظاهرات :

يا نميري قول يا زين / عبد الناصر راح وين

وتقول الاهزوجة على لسان النميري مطمئنة الجماهير :

عبدالناصر وصى وصيه / ديروا بالكو ع الفدائيه

وفي وقت ما بعد وفاة عبدالناصر بدأت تفرخ أغنيات تتحدث عن زعيم جديد يتوجه الوجدان الشعبي نحوه بالتحية والاكبار ، ويعلق عليه آماله . ونجد أن الزعيم هذا هو ياسر عرفات زعيم فتح ثم رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والشخصية التي تجمع كافة زعامات فصائل المقاومة على انها تجسد آمال الشعب الفلسطيني في العودة والتحرير . ولهذا الزعيم يغني الفنان الشعبي محارب ذيب مرسلا له ثلاث مرحات من داخل الارض المحتلة . وقد سجلت له هذا البيت من العتابا في عمان (١٩٧٤) :

لاهل الشرق انا لاتم يسير / وخلوا لي موكبي للفن يسير
أوف تلات مرحات مني لك يا ياسر / يا ابن عرفات قائد ع الشباب

وفي هذا البيت من العتابا يعبر الشاعر عن فخره بالزعيم ياسر عرفات ورجاله الذين حطموا أسطورة الفانتوم بصاروخ سام :

يا ابن عرفات قل لي كيف أنتم / جيوش الخصم في الجولان كفنتم
قال أعدانا شكلوا طائرات فانتوم / وعند « سام » الفتح ما الهن حساب

٥ ــ لوم الانظمة العربية

ينطلق عتب الشعب الفلسطيني على الانظمة العربية في دعمها له من موقف شعبي بدائي يفترض أن « ابن العم » ملزم بنجدة ابن عمه عندما يكون في ضيق أو بحاجة للعون ، وحتى لو كان العون مجرد مساعدة في « عقد سقف بيته » .

وبهذا المعنى يغني الفعلة عند العقد كلمات تحمل معاني العتب على أبناء عمومتهم اذا تأخروا في الحضور للمعونة :

عيب على اللي دشر ابن عمه / ما بين نارين واقع
يا بيظ لا ترغبنش / يا لابسات البراقع

وتبدو الانظمة العربية في الاغنية الفولكلورية الفلسطينية المقاومة لهذه الفترة بمظهر الانظمة المقصرة . وهذا المظهر هو امتداد لتصورها منذ معركة عام ١٩٤٨ وما قبل ذلك . وقد لام المغني الشعبي الفلسطيني كل الانظمة العربيـــة في شخص الجامعة العربية بعد اجهاض ثورة ١٩٣٦ . بذلك قال :

لومي ع الجامعه / ما تمدنا بسلاح
احنا علينا الحرب / وجيوشها ترتاح

ومن القصائد الطويلة التي تنحي باللائمة على الانظمة العربية هذه القصيدة التي سجلها مسؤول مكتب الجبهة الشعبية في مخيم غزة (جرش) في صيف عام ١٩٧٠ بعنوان يا قوى اليســار :

يا قوى اليســار / يا قوى اليسار / يلله نثأر للعروبه / ونحرر الدار

×

قادة ثورتنا / قادة ثورتنا / بروليتاري هالحكيم / اشلون انام
خلي هالرجعي يولي / ويلاه ويلاه / من قوى اليسار / يا قوى اليسار

وبعد ذلك تأخذ الاغنية في تعداد الانظمة العربية نظاما نظاما تلومها وتقرعها على تقصيرها ازاء مقاومة الاحتلال .

ومن نوع اللوم الموجه لكافة الانظمة العربية ، دون تخصيص بالاسم ، هذا العتاب الشديد الموجه للاشقاء العرب بمناسبة الهجوم الاسرائيلي الوحشي علـــى مخيمي البداوي والبارد ونسف الطائرة الليبية في الجـــو بالقرب من قناة السويس و« الليلة الاسرائيلية » المشهورة ، ليلة اغتيال كل من قادة الثورة : محمد يوسف النجار ، كمال ناصر وكمال عدوان . وتقطر لهجة الاغنية الشعبية بالسخرية المريرة دون أن تصرح بمن تسخر ، تقول كلمات الاغنية التي سجلت في ربيع عام ١٩٧٤ بالقرب مـــن مخيم صبرا :

يوم البداوي والبارد / ونسف الطائره الليبيه
مندوبهم في وشنطن قاعد / ينتظر حل القضيه
ويوم صبرا والاوزاعي / أعلن أسفه في برقيه

أما مندوبهم هنا، فقد قصد به مندوب أي دولة عربية في الامم المتحدة سمع بالاحداث الجسام ، وظل يواصل اتصالاته من أجل الحل السلمي . وبالطبع فان المعنى العام للأغنية يشير للأنظمة العربية التي شاهدت وسمعت بملء آذانها كيف يذبح الشعب الفلسطيني في مخيمي البداوي والنهر البارد ، وكيف يذبح قادته في بيروت عندما أنزل العدو رجاله من الشاطىء الى المدينة ، دون أن يبادر أي نظام عربي للرد العسكري ، بل استمروا يتابعون الحوار في أروقة الامم المتحدة . . . في وشنطن !

وتكمل كلمات الاغنية موضحة كيف أن البندقية الفلسطينية ظلت وحدها ترد :

شفتو الثوار عملوا أيش / دافعوا بذلوا الارواح
هربوا العدا وتركوا سلاح / صوره في الصحف اليوميه

وهذه الاشارة لما حصل يوم الانزال على شاطىء الاوزاعي واغتيال قادة الثورة ،

عندما هرب المعتدون الاسرائيليون تاركين سيارات العدوان على الشاطىء وأسلحتهم التي ظهرت صورها في صحف اليوم التالي في بيروت .

وتصف الاغاني الشعبية الفلسطينية الانظمة العربية بأنها « أنظمة الصمت » وتتهمها بأنها ترى الثوار يذبحون في الداخل والخارج وتصمت . ويكون الصمت اما على شكل ستار اعلامي يحجب الحقيقة عن أعين الجماهير العربية أو بالتقاعس عن نجدة الثورة وهي في أحلك مواقفها ، بهذا المعنى تقول أهزوجة سجلها سالم ، أحد شباب الجبهة الديموقراطية في مخيم صبرا :

الصمت العربي يخدم مين / غير أهداف المحتلين

يا أنظمة الخامس وينك / وحل الغاصب غطى عينك

يا أنظمة الصمت ابتعدي / ويا ثورتنا اشتدي اشتدي

وربما كانت أكثر عبارات اللوم مرارة هي التي قيلت في هتافات تظاهرة ثوار فلسطين وانصارهم اللبنانيين عند تشييع جنازات قادة الثورة الذين اغتيلوا في ٤/١٠/ ٧٣ ، في بيروت :

ما اجو بالغواصات / ولا اجو بالطيارات / دبروا لهم سيارات

وتشير كلمات الهتافات الى أن العناصر التي اغتالت كمال ناصر ، كمال عدوان وأبو يوسف لم تكن من قوات العدو التي نقلتها غواصاته او طياراته بل من العملاء السريين الذين كانوا في بيروت ووضعت تحت تصرفهم سيارات محلية .

هذا ما رسمته الاغنية الشعبية الفلسطينية من صور للأنظمة العربية في هذه المرحلة . وما من شك في أن أغانينا ستتحدث بلسان الشكر والعرفان للموقف العربي المشرف في مؤتمر الرباط وأثناء مناقشة الامم المتحدة للقضية الفلسطينية في أواخر عام ١٩٧٤ ، عندما وقفت كافة الوفود العربية بلا استثناء موقفا مشرفا أدى الى الاعتراف على المستويين العربي والدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني وحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم واقامة سلطتهم الوطنية ، ودخول مندوبي المنظمة الفلسطينية في كافة أجهزة الامم المتحدة كمراقب .

٦ ـــ الدعوة لمواصلة القتال

ظلت الاغنية الشعبية ذات المضمون الوطني تصور الانسان الفلسطيني داعية لمواصلة القتال ، على اعتبار انه واقع تحت تأثير قضية ظلم اجتماعي وسياسي مريع ، وانه لا مجال للتفاهم مع ذلك النوع من الاستعمار الاستيطاني الذي مارسته الامبريالية الامريكية من خلال رأس الحربة الصهيونية . وكذلك فليست القضية خلاف عقائدي أو خلاف حدود ، بل هي قضية مصير شعب بأكمله في أن يكون أو لا يكون ، وهي قضية استعباد الامة العربية كلها واخضاع ثرواتها لنهب رجالات الرأسمالية الامريكية ، وقضية وجود اسرائيل كجسم غريب على الارض العربية . ولذلك أحس الوجدان الشعبي الفلسطيني بأن لا أمل هناك بالتفاهم مع اسرائيل وأن مواصلة القتال هي الحل الامثل . ولذلك رفعت الثورة شعار : « ثورة حتى النصر » .

ومن ذلك الحشد الهائل من الاغاني الداعية لمواصلة القتال هذا البيت من العتابا الذي ارتجله عطية النعليني أمام جمهور حاشد في الكلية الاسلامية بعمان في أمسية الفولكلور الفلسطيني ضمن الاسبوع الثقافي لفلسطين والذي أقيم في أيار ١٩٦٩ :

اذا ترددوا على شوري ورايي / لنرفع للحرب بيرق ورايه
انا تدامكو وامشو ورايي / وأنا أول ضحية للعرب

وعندما انتهى عطية النعليني من القاء بيت العتاب زلزل التصفيق وهتاف الاستحسان جنبات قاعة الكلية الاسلامية لان الشاعر « حك لهم على جرب » .

وقد حسم الانسان الفلسطيني موقفه من قضية الحلول السلمية ، بذلك تشهد هذه المقاطع من أهازيج تظاهرة تشييع شهداء الثورة بعد العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان في ١٧ ـ ٧٢/٩/١٨ :

ما بيمحي العار الا النار الثوريه / لا مجلس أمن / ولا حلوله السلميه

ثم تجلى الاصرار على مواصلة القتال مهما كانت النتائج ، وتوحي كلمات الاهازيج بأن مواصلة القتال مكلفة ، لكنها خط مبدئي لا رجعة فيه ، وهي أيضا مواصلة للقتال من أجل الشهداء الذين رحلوا ، ومن أجل القادة الذين ظلوا يحملون الراية ... وهكذا تقول مقاطع أخرى من اهازيج التظاهرة نفسها :

يا أبو علي / لعيونك والعكازه
ما راح نوقف / لو في كل يوم جنازه
يا أبو عمار / لعيونك والكوفيه
ما راح نوقف / كلتنا فدائيه .

وفي أغاني الثورة التي تذاع من اذاعة صوت فلسطين ، تبدو المعادلة نفسها التي رأيناها في أهازيج الشعب العفوية ، وهي الاصرار على القتال حتى لا نعيش طول العمر ونحن نحمل اسم « لاجئين » ، والاغنية من الكلمات الجديدة المصبوبة في قالب لحني فولكلوري فلسطيني هو لحن « المحورية ـ المسيرة » :

بارودتي ذراعي اليمين / ورصاصي حبات العيون
وابوي قال لي يوم ما مات / اتعلموا من الزيتون
وقاتلوا وانتو واقفين / ولا تعيشوا لاجئين
تتحقق النصر المبين

نعم ... انها نفس الدعوة « قاتلوا ... تتحقق النصر المبين » . وحتى الشهيد الذي يسقط على الثرى الفلسطينية أو ساحة النضال الفلسطيني في اي مكان من العالم ، نسمع صوته مجلجلا ينادي بالاستمرار في القتال ... من أجل أن يرى لحظة الانتصار بعيني رفيقه :

استمروا / يا رفاقي / استمروا
وأضيئوا من دماتي شموع النهار
واستمروا / لا يهم المقاتل / حين يضحي / ان يرى لحظة الانتصار
سأرى لحظة الانتصار
بعيني رفيقي واستمروا

ونسمع الفدائي ينادي رفيقه من وراء الحجب ، داعيا اياه للاستمرار :

قلبي مر / وقلبك مر

وفي أغنية أخرى تتحدث على لسان الشهيد وتقول ان الشهيد البطل يريد منا لنضمن استمرار المعركة استعمال عظامه ولحمه في صنع أسلحة النصر :

سنوا عظامي / سنوها / سنو سيوف
وعبوا لحمي / عبوني / قنبلة مولوتوف

والاغنية مبنية على لحن فولكلوري فلسطيني من أغاني المسـيرة تقول كلماته : « يا ويل اللي نحاربه ، بالسيف نقطع شاربه » .

ومن **الحكاية الشعبية الفلسطينية** نستمد شاهدا اخر على اصرار الشعب على مواصلة القتال في هذه الحكاية ، وقد روى الحكايـة خضر الديرباني في بيادر وادي السير في عام ١٩٧٣ .

قال خضر الديرباني :

« هذا يوم صارت في الكرامة ... يوم الفدائية اعتلقوا مع اليهود . عاد تاني يوم مات ناس ... من أهل المخيم وفدائيه .. جابوا واحد من الشهدا ع الوحدات . عاد جابوه ع الدار . بعدينت بدهم يطلعوه ع مقبرة الشهدا هاي اللي من جاي الاذاعة . اجوا جابوا روفر من تبعون الفدائية مشان يحملوه . طلع فدائي مشان يسوق السيارة،.ما بدهاش تمشي . جربوا غلبوا...ما فش فايدة . السيارة ثقيلة .. كانها حملة الف طون . قعد الفدائي يدعس ع تبعة البنزين تامنها لزقت ع الصاجة . مسا فش فايدة . الناس استغربت . قالوا كنها السيارة خربانة . بدلوها . وحطوا الشهيد في روفر جديد طخ . وطلع شفير اخو أخته ... دعس ع البنزين ... جرب ... غلب ... ما فش فايدة ... بدهاش السيارة تمشي . مش راخلية تعشق ... أكثر من ميت فدائي دفعوا السيارة مشان تدحل وتشتغل . ولا قدروا يزحزحوها سانتي ازغير . السيارة ثقيلة زي الجبل . بعدينت شو بدهم يسووا تحيروا .

اجا اختيار كاهن . قالهم انا بقول لكم شو لازم تسووا .

قالوا له : هات تا نشوف

قال : اسمعوا

كل هالناس نصتت

قال جيبوا ابن الفدائي . ولبسوه بدلة اشبال ... وحملوه كلاشنكوف .

قالهم قعدوه في السيارة .

قعدوه في السيارة بجنب أبوه .

طلع فدائي يسوق السيارة . لحس نتفة بنزين . مشت السيارة .

شايف يا ابو خالد ما بدوش مسكين يروح ع المقبرة تامنيته يعرف ان ابنه لازم يصير فدائي مثله . هذه صارت في الوحدات . وأنا شفت الشهيد . »

وخلاصة الحكاية ان الفدائي لم يرد الذهاب الى القبر الا بعـد أن تأكد ان ابنه سيأخذ مكانه .

وذكرت لي الحاجة تودد عبد الهادي ما يلي : « أنا كنت في السلط ... كنت مكلفة باستقبال الفدائيين بعد معركة الكرامة . كنت أول انسان بلاقيهم بعد المعركة . حكوا لي أن طيور بيضا ... وأشباح بيضا ... وحمام أبيض كانت تحارب معهم . أكثر من فدائي حكى لي هذه الحكاية » .

كما أكدت لي أم اسماعين من العيزرية (٦٥ عاما) ان هذه الرواية شاعت بعد معركة الكرامة . ولا يسع أي دارس للمسألة الا أن يصدق ان مثل تلك الحكايات يمكن أن تتناقلها السنة الناس في الوسط الشعبي . ويمكننا تفسير ذلك بأن الناس الذين بهرهم النصر يوم الكرامة أرادوا أن يعزوا النصر الى معونة ملائكة الله لابنائه البررة

فدائيي الكرامة ، بأن أرسل الله ملائكته لتحارب مع جند الحق . وكان من الصعب على الوجدان الشعبي أن يستوعب فكرة انتصار عشرات من الفدائيين على « جيش الحرب الصهيوني » الجرار المحمول والمدعوم بالطيران وخطوط الامداد الهائلة .

ومن ناحية أخرى فانه يجب أن نذكر أنه من الثابت تاريخيا أن شهداء الكرامة لم يرسلوا الى الوحدات ، بل رأسا الى مقبرة الشهداء في جنوبي عمان . وهذا يدل على ان الحكاية هي مجرد انموذج عن الفكر الشعبي وتصوره بأن الشهيد ينادي بكلمات غير مسموعة بفكرة استمرار الثورة ، وانه اذا مات شهيد يجب ان يحل محله آخر ، وكأننا نسمع الشهيد يقول لابنه : « أنا ان سقطت ... فخذ مكاني » وبهذا المعنى تقول احدى أغاني الثورة الفلسطينية المبنية على أصل شعبي :

وان مات منا شهيد واحد / ييجي في مكانه ميه ...
يا حيا الله / رجال والله / وهذا هم الفلسطينيه

أما ترحيب شعبنا بحرب اكتوبر ، فهو اكبر دليل على الراي العام الذي يتبناه في « مواصلة القتال من أجل التحرير » ، لقد هز العبور المصري الى سيناء والاستبسال السوري والمشاركة العربية الاردنية والكويتية والسعودية والمغربية والليبية واليمنية ... هز كل ذلك وجدان شعبنا ... واثار في نفسه الامال في تحطيم دولة العدوان الاسرائيلي واستعادة الارض المغتصبة . وبرزت حرب اكتوبر كنقطة انعطاف في تفكير الناس بأن دولة العدوان ستسقط يوما ما ، وان المسألة مسألة وقت . وقد رفعت الحرب معنويات شعبنا وساهمت في تشاؤم مستوطني العدو وتوقعهم لمصيرهم المحتوم في الانهيار . وحول هذه الحرب لدينا قصيدة من شعر محارب ذيب سجلت في تشرين الثاني من عام ١٩٧٤ في عمان وفيها يشير الشاعر الى أن الحرب كانت من اجل تحرير الاقصى ، وفيها تجلت وحدة الامة العربية . والشاعر يشير من طرف خفي الى صلابة الموقف العربي المدعوم بثرواته النفطية ؛ ففي قدرة ابن سعود كما يقول الشاعر أن « يحرق وشنطن حريق » . ويختم قصيدته بتحية « رجال الصواريخ » الذين دمروا طائرات العدوان الاسرائيلي وحطموا أسطورة التفوق الجوي للعدو . ويجب أن تؤخذ ملاحظة الشاعر هنا من زاوية صلتها بناحية ظلت تؤرق وجدان الشعب ابتداء من حرب حزيران ٦٧ عندما سيطرت على وجدان الجماهير عقدة الخوف من « طيارات دايان » . يقول محارب :

يا أقصى أعط الايعاز / واحنا رجالك بنلبيك
يا أقصى يا اقصانا / ان انسيناك ما بتنسانا / قصدنا احنا ومنانا / يوم العيد نصلي فيك

×

تحيا ليبيا والجزائر / بحيوا في الشعب الثائر
أقسموا بعبدالناصر / يا أقصى لازم نحميك

×

فليحي شعب المغرب / حقيقه شعب بينحب / سكروا باب المندب

×

يا نكسون خنت العهود / مليت الدنيا نقود
اذا يزعل ابن سعود / بحرق واشنطن حريق

×

أمير الكويت أنشد وقال / شدوا الهمه يا أبطال
من المغرب اسحبوا الاموال / لا تخلوا ولا متليق

×

سجل واكتب يا تاريخ / حي ارجال الصواريخ
الخائن لنه في المريخ / لازم يطوق تطويق

وتتجسد رغبة شعبنا الجارفة في مواصلة القتال وتحطيم دولة العدوان والاحتلال بهذه التحية التي يبعثها الفنان الشعبي راجح السلفيتي « للجندي المصري » الذي عبر قنال السويس في معركة اكتوبر ، والذي حطم خط بارليف كما تحطم الفخارة . وراجح السلفيتي فنان شعبي فلسطيني ملتزم بقضية شعبنا يسمع صوته عادة كتعبير عن موقف شعبي في لحظات النشوة والمحنة، اما هذا المقطع من الشعر الشعبي الذي قاله راجح السلفيتي فأرويه عن منير ناصر (حزيران ٧٤) :

خط بارليف ابتجهيزه العصري / وبتحصيناته الجباره
تحت أقدام الجندي المصري / تحطم زي الفخاره .

ونحس بمدى الاهمية العظمى التي يعلقها الوجدان الشعبي على مسألة مواصلة القتال من ردود الفعل التي يبديها النـــاس ازاء معارك المواجهـــة التي يخوضهـــا الفدائيون ، وتخوضها القوات العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي . ومن هذه المعارك :

معركة الكرامة : لقد سجل الوجدان الشعبي الفلسطيني يوم الكرامة كيوم من أيام النصر العربي المؤزر ، واعتبره يوم بداية التحرير وانهاء اقامة الغاصب والخلاص من عقدة الفرارية لدى المقاتل العربي أمام الجندي الاسرائيلـــي . كما أشاد بالصمود الرائع والبسالة العظيمة التي أبداها الفدائي الفلسطيني والجندي الاردني في ردع العدوان الاسرائيلي يوم الكرامة :

بأرض الكرامه / سطرنا النصر
بأرض الكرامه / ما في اقامه
للجيش الغاصب / ما في اقامه

وقد لاحظ المغني الشعبي ان الفدائيين حاربوا كقوة انتحارية يوم الكرامة ، ولذلك فهو يحيي تلك الطلائع التي ردت اعتبار الامة وكرامتها بتضحياتها البالغة ، وهو يقول بهذا المعنى :

لولا الفدائي ما ظل النا كرامه / المولى أوهبه من عنده كرامه
هو اللي صان الشرفه يوم الكرامه / ولولاه الاعادي ما تحسب حساب

وقد اعتبر الوجدان الشعبي معركة الكرامة كنقطة انطلاق للثـــورة وبدء مرحلة استقطاب الجماهير حولها . كما يتضح في المرويات الشعبية الفلسطينية المبكرة في الفترة التي ندرسها احساس بأن هذه الثورة ــ ثورة الفاتح مـــن كانون ــ ٦٥ ــ سيكتب لها النجاح ، وانه لن يقف في وجهها تآمر « الاعور مع ويلسون » ، وان هذه الثورة ستكون جارفة ومدوية تملأ أسماع العالم . وهذا هو الذي حدث ، لقد سمع هذا البيت من الدلعونا بعد فترة قصيرة من معركة الكرامة عام ١٩٦٨ وعندما كانت الثورة في مهدها ... وقد اثبتت السنـــوات اللاحقة ان البطـــولات الفدائية فـــوق الساحتين الفلسطينية والعربية ، وفوق كل مكان من هذا العالم جعلت قضية الشعب المشرد تصل الى أسماع العالم وتحتل الصدارة في محادثات الشرق والغرب ... ثم

نكتسب خمسة وتسعين من أصوات ممثلي العالم في الامم المتحدة الى جانبها باعتبارها قضية حقوق شعب يطالب بتقرير المصـــير على أرضه ، وتلـــك هي نبوءة شاعرنا الشعبي :

انطلقت ثورتنا ويسمعها نيكسون / نحرر وطنا وع ترابه نسكن

سافر الاعور يحكي لويلسون / خايف ثورتنا تشمل الكونا

معركة جويا : جويا بلدة في جنوب لبنان صمد فيها الفدائيون الفلسطينيون أثنـــاء العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان (٧٢/٩/١٨) وقــد ترك الفدائيون الجيش الاسرائيلي يدخل القرية ويصل الى وسطها دون أن يحركوا ساكنا ، وبعد ذلك « فتحت جهنم كل أبوابها » كما قالت الغارديان البريطانية في ٧٣/٩/٢١ . وسقط فورا تسعة من القتلى والجرحى الاسرائيليين . وهذه المقاطع من هتافات مظاهرة تشييع جنازات الشهداء الفلسطينيين بعد الحادث تسجل فرحة الجماهير وتحيتهم للرجال الذين حموا جويا من الاحتلال ، والذين يقفون في « وسط اجويه » وفي الجنوب اللبناني بالمرصاد لقوات الاحتلال ، ومن هناك ينطلقون ليقضوا مضاجع جنـــود الاحتـــلال على الثرى الفلسطينية :

وحدة ثوار — ندائيه
على الجنوب — ندائيه
في وسط اجويه — ندائيه
في الهباريه — ندائيه
ع الخوانين — ندائيه
ع الصهيونيه — ندائيه
ع المتآمرين — ندائيه
ع السناحين — ندائيه
ردوا اليهود — ندائيه
بنار وبارود — ندائيه

٧ ــ الصمود في وجه الاحتلال

قليلة هي النصوص الغنائية الشعبية التي تتوفر لدينا عن صمود شعبنـــا في وجه الاحتلال الاسرائيلي ، لكن الاخبار الشعبية المتواترة تدل على ان الشعب يمارس رفض الاحتلال في كل مناسبة . ومن الامثلة على ذلك تلك الزحوف الشعبية التي توالت على بلدة بير زيت في اليوم الذي تلا « الليلة الاسرائيلية في بيروت » والتي اغتيل فيها زعماء الثورة محمد يوسف النجار ، كمال عدوان وكمال ناصر . وقد توافدت الوفود الشعبية على آل ناصر في بير زيت لتقديم التعازي بوفاة المناضل كمال ناصر . وقد ظل جنود الاحتلال يمنعون الوفود من الدخول الى البلد حتى بعد ظهر ذلك اليوم . واخذت تتزايد الجموع الشعبية في مداخل البلد والحقول المحيطة بها قادمة من كل مكان من الضفة المحتلة الى أن اضطر جنود الاحتلال للسماح للناس بدخول البلد . ثم سار الجميع في مظاهرة صامتة توجهت الى الكنيســة لاداء الصلاة على روح ابن بير زيت كمال ناصر والشهداء رفاقه .

وهناك مثل آخر ... حكاية تلك المراة العجوز العمياء التي جـــاء جنود الاحتلال لينسفوا بيت ابنها عقابا له على تعاونه مع الثورة الفلسطينية . ونفذت عملية النسف.

ثم طلبت المرأة العجوز ممن كانوا حولها أن يجعلوها تقترب من جنود الاحتلال ... حتى امسكت بكتف واحد منهم واخذت تنشد ما وعته ذاكرتها من انشودة : أنا صامد ، التي تذاع من اذاعة صوت فلسطين :

أنا صامد / صامد / أنا صامد
ان هدموا بيتي / يا بيتي في ظل حطامك انا صامد

وهناك حكاية اخرى ، حكاية المقاومة السلبية التي أبداها طلبة كلية بير زيت ، وتحدث عنها الشاعر الشعبي راجح السلفيتي . والحكاية أن سلطات الاحتلال أغلقت كلية بير زيت بحجة انها تقوم بنشاطات ضد الاحتلال . وبادر طلبة الكلية بالذهاب الى رام الله (مركز اللواء) وأخذوا يكنسون شوارع المدينة بالمكانس كتعبير عن احتجاجهم على اغلاق الكلية ، وكذلك التدليل على انهم لا يقبلون ان يقبعوا في البيوت ، بل انهم خلقوا للخدمة العامة مهما كانت . وبهذه المناسبة قال الشاعر الشعبي راجح السلفيتي :

شفتك بالشارع بتكنس / والهيه ما انت زبال
هاي مكانس مش مدافع / وليش خايف يا احتلال

ويعكس الشاعر الشعبي محارب ذيب روح التحفز للتحرير والصمود في وجه الاحتلال بهذه المقاطع من قصيدة طويلة سجلها في عمان في خريف ١٩٧٤ :

لو ما عنا غير القوت / ابنصمد في أراضينا
وبدنا نجاهد حتى نموت / لاخر رجل فينا

×

اسمعوا مني الكلام / القدس يا دار السلام
ع الذل احنا ما بنام / الموت بيوز المرتينا

×

أي ما ننسى الرملة واللد / امبكره العرب بتستعد
الكل بسلاحه بهد / وبنجازي أعادينا

×

وما ننسى حيفا ويافا / ابنرجعهن بشرافه
بكره العرب بتتصافى / وبنحرر أراضينا

×

لازم يوم من الايام / ندعس عركات الظلام
ادرينا على الالغام / وكلاشنكوف بيدينا

وجدير بالملاحظة ان نسجل هنا تفسير أهل الارض المحتلة لمسألة الصمود . ان استجواب العديدين من القادمين من وراء أسوار الاحتلال يشير الى أن احساس الفلسطينيين بالصمود يتزايد تبعا للانتصارات التي تحققها القوات العربية والفدائيون في المناسبات المختلفة . وكذلك فان الروح المعنوية التي يتحلى بها الناس هناك تتأثر بمدى ما يحققه الفدائيون والعرب من انجازات على درب التحرير سواء على المستوى القتالي أو السياسي . ومن المناسبات التي ذكرها القادمون على انها تعين على صمودهم : حرب اكتوبر ، معركة الاستنزاف السورية للجيش الاسرائيلي بعد اكتوبر ،

قرارات الرباط ٧٤ ومعارك المواجهة المشرفة التي يخوضها الفدائيون ضد قوات الاحتلال . وهاتان اغنيتان سجلتهما صبية غزاوية في مخيم نازحي قطاع غزة بالقرب من جرش ، تربطان مسألة الصمود بقوة الفدائي :

تتحدث الاغنية الاولى بافتخار وسعادة عن الفدائي الذي يتنقل عبر الارض العربية، مبرزة سعادة الشعب بطلائعه المقاتلة التي أخذت تبرز وتنمو وتثبت وجودها على الساحة العربية . وكأن الاغنية تقول لنا أن الشعب صامد بفضل دعم وقوة اولئك الابطال ــ الفدائيين . تقول كلمات الاغنية :

بالقناني يا زارعات الورد / بالقناني فتح وما شاء الله

ع لبنان سافر الفدائي / ع لبنان الله معه الله

بالجكيت يا زارعات الورد / بالجكيت فتح وما شاء الله

ع الكويت سافر الفدائي / ع الكويت الله معه الله

في القوارة يا زارعات الورد / في القوارة فتح وما شاء الله

ع حوارة سافر الفدائي / ع حوارة الله معه الله

وفي الاغنية الثانية نحس باعتزاز الفلسطيني ببلده وتصميمه على العودة اليها ويقينه أن العودة والتحرير هي « بهمة الفدائيين » كما تشير الاغنية للاعتزاز بسوريا التي تضحي في حربها ضد الاعداء وبهمتها وهمة الفدائيين تتم العودة ، وقد سجلت الاغنيتان في مخيم نازحي قطاع غزة بالقرب من جرش في ٧٠/٧/١٦ :

بلدي يا بلدي وانا عايز اروح بلدي / يا عزيز عيني وانا عايز اروح بلدي

× ×

بلدي فلسطين الحرب فيها بسكاكين / بهمة الفدائيين انا عاوز اروح بلدي

× ×

بلدي بلد أمجاد الي فيها ثلث أولاد / واحد شهيد وواحد استشهد وواحد فدا بلدي

بلدي دير ياسين الحرب فيها بسكاكين / استعدوا يا لاجئين للعودة لبلدي

بلدي سوريا الحرب فيها غيته / بهمة الفدائيين أنا عاوز اروح بلدي

وحول مدى شعبية هذا النص وصلته بالفولكلور الفلسطيني لا بد من ايراد هذه الملاحظات . لقد ولد هذا النص في فترة الحرب العالمية الثانية وتوحي بعض مفرداته مثل « عاوز » انه من أقصى جنوب فلسطين ، وكان شائعا في مصر . ويبدو انه كان شائعا في شمال فلسطين فقد عثرت على نسخة من هذا النص في مجموعة الاغاني التي جمعها الباحث الاثري الفنلندي آيلي ساريزالو والتي نشرها في كتابه : « اغاني الدروز . هلسنكي ١٩٣٢ » وقد نشرت النصوص بالانجليزية والعربية ــ بالحرف اللاتيني . واذكر أن ساريزالو قد استقبلني بترديد بعض مقاطع من هذه الاغنية عندما زرته في بيته في هلسنكي عام ١٩٧١ . واذا ما لاحظنا ان ساريزالو قضى كل فترة اقامته في شمال فلسطين ، فلا بد ان يكون النص محليا .

ملاحظات أخرى على فولكلور المرحلة الفنائي :

* نحس بصدى ثقل الالة العسكرية الاسرائيلية ، كما في هذه المقاطع من اغاني النساء :

ولك ديان / يلعن صلاتك
خذ طياراتك / وطنا غالي / خذ طياراتك

* النقد الذاتي الذي يمارسه الرفاق لبعضهم البعض ، ومن ذلك ما جاء على لسان مسؤول مكتب الجبهة الشعبية في مخيم غزة (١٩٧٠) عندما كان يؤدي طلعة طويلة . قال :

برأيي العنصر ما بنفع / اذا بده يلبس مبرقــع
واذا بده سلاحه يلمع / ويحط بجيبه هوية

* تصوير طبيعة النضال الوطني الذي يخوضه شعبنا : من المعروف انه بعد حرب حزيران ١٩٦٧ اصبحت كل الارض العربية الفلسطينية وراء اسوار الاحتلال ، وبغض النظر عن انطلاق المقاومة ضد العدو الصهيوني من نقاط ما في الداخل، فقد ظلت قيادة الثورة واجهزتها الاعلامية والدعائية تعمل من الخارج ومن الارض العربية المواجهة للكيان الصهيوني . ولذلك فاننا نحس في ثنايا الاغاني الشعبية مـــا يرمز لطبيعـــة العمليات القتالية على أنها اعمال دورية وعبور :

والله لا نزل دورية / واقطع من غرب المية

وكذلك فليس هناك احساس بوجود حدود وطن يدافع عنها المقاتل ، بل هو يعبر حدود الوطن ليدمر القوة العسكرية المحتلة ، وبالاضافة لتلك المهمـــة فان مهمته هي حماية رفيقه :

لو ميت دبابة قدامي / لو ميت طيارة من فوقي
لاعمل سلاح من صدري / واحمي رفيقي

كما صورت الاغاني معارك الفدائيين على انها معارك مفاجئة وحرب شوارع :

طالع لك يا عدوي طالع / من كل بيت وحارة وشارع
حربنا حرب الشوارع / طالع لك يا عدوي طالع

* احساس الانسان الفلسطيني بأنه استعاد هويته ، وبهـــذا المعنى ينطق بيـــت العتابا بفرحة الانسان الفلسطيني باليوم الذي ما عاد فيه مجرد انسان لاجيء ذليـــل بل أصبح ابن شعب له قيادة معترف بها عربيا ودوليا وينادي أغلب زعماء العالـــم بحفظ « حقوق الوطنية » وحقه في تقرير المصير . بهذا قال الفنان الشعبي الفلسطيني:

قال بقينا للاعادي نذل ونطيع / ومحرومين من حمل السيف ونطيع
بقيت لاجيء بقيت نازح بقيت اطيع / وصرت اليوم فلسطيني بمدافع مع اطواب

وبالامس كانت أغنية رائجة تقول :

والله لابيع اللاجيء / بفتة خبزة وتماجة

وقال أحد النور مخاطبا زوجته :

باكون لاجي اذا ما طلقتك

وهو بذلك يضع اللاجيء في مرتبة دون مرتبة النور وكان يضرب المثـــل باللاجيء فيقولون :

وجهك مثل اللاجي المقطوع كرته

ذلك ان اللاجيء الذي توقف وكالة الغوث بطاقة تموينه يبدو وجهه في غاية التعاسة التي ما بعدها تعاسة ، فليس له أي مورد رزق اخر . وقال عبد العزيز كتكت بهذا المعنى :

واللي بتعنقل كرته / مقنعص ز الصوص المسكين
ومش عارف يرجع ع الدار / خلى اولاده جعانين
وحامل كيسه راح ع الخان / قاله اطلع من هان
كن جره من عرق الذان / قاله كروتك مقطوعين

تلك كانت صورة اللاجيء ابن ٤٨ — ٦٥ ، أما هذا الانسان ابن ٦٥ — ٧٤ فأصبح « فلسطيني بمدافع مع اطواب » .

استقراء استنتاجي لنصوص المرحلة

ان فترة السنوات السبع التي تلت حرب حزيران ١٩٦٧ ، تعكس فترة من أسوأ واعصب الفترات في حياة الشعب الفلسطيني . تعكس أغاني المرحلة كبرياء حزينة واصرارا لا متناهيا على مواصلة حمل البندقية والتحرير ، ومن جهة فهو يثبت انه لا يكل ولا يمل ولا يستسلم ولا ينسى :

قال المثل عمر الاسى ما ينتسى / وع شط بحر الفن مركبنا رسى
هالطير هلي بالامس جنحه انكسر / بحاول الفرار او ريشه كسا

ومن جهة أخرى فقد واكبت اغاني الصمود اساليب الصمود الفعلي داخل الارض المحتلة وخارجها وواكبت الاعمال القتالية للفدائيين والجيوش العربية . ونحن نتلمس من خلال الموقف الذي آل مع ختام عام ١٩٧٤ ان صمود الشعب الذي تجلى بالالاف من الضحايا وعشرات الالاف من المشردين أدى الى اسماع صوت هذا الشعب عاليا في كل مكان من هذا الكوكب الذي نعيش عليه .

وفوق ذلك فان هذا الشعب قد عودنا في كل مرة يتعرض فيهـا للسحق بأن يحني رأسه للعاصفة ريثما تمر ، ويواكب هبوبها بأنات الحزن وأغاني الانين المر . . . ثم بعد أن تمر و« يكسي » الريش ينطلق المارد في ذاته معلنا :

طل اسلاحي / من جراحي
يا ثورتنا / طل اسلاحي
ولا يمكن قوة في الدنيا / تنزع من ايدي سلاحي

واذا نزع السلاح من يد وجدت غيره في يد أخرى ، فهذا هو « شعب الفدائية . . . الموت يزيده تضحية » .

واخيرا فان المرحلة موضوع الدراسة تختتم ببروز نصوص متفائلة . ونلمس هذا التفاؤل في ناحيتين :

* المديح الذي يكيله الفنان الشعبي في اواخر المرحلة لكافة الزعامات والانظمة العربية متأثرا بالموقف العربي الجماعي المشرف في حرب اكتوبر ومؤتمر الرباط ٧٤ .

* والفرحة الغامرة باستعادة الفلسطيني لهويته وانتظاره لقيام كيانه الوطني الذي يلوح في الافق :

على ارض الضفة نبني سلطتنا / وفي عنا ثورة تمثل قيادتنا
وفرحتنا احنا بوحدة امتنا / وتحرير ترابك يا فلسطينا

اسرائيل ، وقرارات اليونسكو ، والحملة الاسرائيلية المضادة

ادريس الخالدي

في نوفمبر ١٩٧٤ ، اتخذ المؤتمر العام لليونسكو ثلاثة قرارات ، **كان يجب** أن تخدم قضية فضح وادانة السياسة الكولونيالية الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، أمام الراي العام العالمي ، وخاصة سياستها في القدس . ان انتهاكات اسرائيل لاتفاقيات جنيف الصادرة في ١٩٤٩ ، تواصلت بلا هوادة او انقطاع منذ العام ١٩٦٧ ، ورغم حصول بعض التقدم فيما يتعلق بتقديم الحقائق للعالم ، فان قطاعا مهما من الجمهور الغربي ، لا يزال على غير دراية بحقيقة الموقف في المناطق المحتلة .

لهذا السبب ، ان قرارات اليونسكو ، وبالذات تلك المتعلقة بالقدس ووضع التعليم والثقافة في المناطق المحتلة ، هي مادة دعاوية ــ اعلامية ذات شأن حيوي للغاية في خدمة القضية العربية .

وبينما كان هذا هو بالذات مقصد الحكومات العربية التي ادارت ببراعة الحملة التي ادت الى اتخاذ القرارات في نوفمبر الماضي ، فاننا افتقدنا تماما اي اعلام كان يمكن ان يتلو وان يترتب على اتخاذ هذه القرارات ، في الشهور التالية . والواقع ، كما يبين التقصي الدقيق للتعليقات على القرارات في أوساط الصحافة الغربية والدوائر الثقافية الغربية ، قرارات اليونسكو تحولت لتصبح **نصرا اعلاميا لاسرائيل** !

كيف حدث ذلك ؟ كيف تمكنت اسرائيل من تحويل ما تعتبره جميع الدوائر العربية « انتصارا » عربيا ، الى هزيمة نكراء للموقف العربي ؟ وهل كان يمكن تلافي ذلك ؟

ان الغاية من هذه المقالة هي ان نجمل بايجاز ، الموضوعات والاحداث الرئيسية في نزاع اليونسكو / اسرائيل ، ووصف الحملة الاسرائيلية المضادة وتأثيرها الفعال ، وان نقدم في النهاية أفكارا تتعلق بالكيفية التي كان يمكن بها تدارك الرد الاسرائيلي ، والتصدي لها جزئيا على الاقل .

القرارات الثلاثة بشأن اسرائيل ، اتخذت في الدورة الثامنة عشرة للمؤتمر العام ، بخصوص **القدس ، والمناطق المحتلة ، والمحاولة الاسرائيلية للانضمام الى المجموعة الاقليمية الاوروبية لليونسكو .**

ان خلفية ومضمون كل قرار على التفصيل التالي :

أولا : بشأن القدس : اتخذ القرار بتأييد ٥٩ ومعارضة ٣٤ ، وامتناع ٢٤ ، وينص : « رجع المؤتمر الى ثمانية قرارات سابقة ، وأصر على تنفيذها ، وادان ــ باعتبار ذلك مناقضا لغايات المنظمة ــ تصميم اسرائيل على تبديل المعالم التاريخية ، ومواصلتها عمليات الحفر التي تشكل خطرا على الآثار التاريخية ، ودعا المدير العام الى ان

يحبس عن اسرائيل المساعدات في حقول التربية ، والعلوم ، والثقافة ، الى ان تبدي بشكل دقيق احترامها للمقررات والقرارات السالفة الذكر » — (من بيـــان صحافي أصدرته اليونسكو ، نيويورك ، ٢/١٢/١٩٧٤) .

ان القرارات الثمانية الوارد ذكرها في الفقرة المقتبسة أعلاه ، تتضمن قرارا اتخذ في ١٩٦٨ ، دعا اسرائيل على وجه الخصوص الى الابقاء على شخصية القدس التاريخية ، والى الكف عن أية حفريات أثرية فيها ، تماما مثل القرار الصادر عام ١٩٧٢ الذي لاحظ ان اسرائيل تجاهلت كليا قرارات اليونسكو السابقة .

ثانيا : القرار بشأن المناطق المحتلة بني على تقرير لمدير اليونسكو العام الذي لاحظ ان سكان المناطق المحتلة « لا يتمتعون بحقوقهم الثابتة وغير القابلة للانتهاك ، في تربية وطنية وحياة ثقافية » . وطالب القرار المدير العام « بفرض رقابة تامة على عمليـــات مؤسسات التربية والثقافة » في المناطق المحتلة ، ودعـــاه الى ان يتعاون لمساعـــدة سكان هذه المناطق ليتمتعوا بهذه الحقوق ، وان يحـــافظوا على هويتهم الوطنيـــة — اتخذ القرار بتأييد ٥١ ومعارضة ٥ وامتناع ٢٢ .

ثالثا : القرارات المتعلقة بمحاولة اسرائيل الانتساب الى مجموعة اقليم اوروبـــا ، كانت على صيغة هزيمة لاقتراع اسرائيل يحمل تعديلا لقرار ناجح يتيح لكندا والولايات المتحدة حق الانضمام الى المجموعة الاوروبية ، ويتيح للاتحاد السوفياتي واستراليا ونيوزيلند الانضمام الى المجموعة الاسيوية . هـــذه الهزيمة للمحـــاولة الاسرائيلية للانتساب الى المجموعة الاوروبية ، جعلت اسرائيـــل الدولـــة العضو الوحيـــدة في اليونسكو ، التي لا تنتمي الى اية مجموعة اقليمية . على ان القرار لم يكن يعني طرد أو عزل اسرائيل من اليونسكو . وبناء للبيان الصحافي لليونسكو المشار اليه آنفا « ان بوسع اسرائيل ان تشارك في النشاطات على الصعيـــد العالمي ، كمـــا كان في الماضي ، وان تبعث بمراقبين الى الاجتماعات الاقليمية كما في السابق ، وان تتعاون في توفير الخبراء كما كانت تفعل على مدار اعوام من قبل » .

رد الفعل الصهيوني الدولي

لم تستسلم اسرائيل لمضامين هذه القرارات . وبينما كان المعلقون العرب يواصلون الاشادة بـــ « الانتصار » الجديد للموقف العربي على الصعيد الدولي ، كانت الدعاوة الاسرائيلية المحتفظة بقوتها ، وجهاز الضغط الاسرائيلي ، يتوجهان نحو العمل . ولقد اشارت هآرتس الاسرائيلية في تعليق لها في اوائل ديسمبر الى المجرى الذي ستسير فيه المبادرة الاسرائيلية : « هناك الكثير مما يمكن فعله بواسطة مجموعات اسرائيلية متعددة للانتفاع من الردود الغاضبة على قرارات المنظمة الدولية [اليونسكـــو] . وهذه الخطوات من شأنها اكثر من ذلك ، ان تخلق وضعا تشعر فيه اليونسكو بانها مجبرة على اتخاذ قرارات معاكسة . ان السكوت على قرارات اليونسكو قد يضيف جديدا الى الشكاوى [في اسرائيل] القائلة — ان العالم كله يقف ضدنا — ان المراحل التالية بعد اليونسكو ، قد تقود اسرائيل الى أن تأخذ اوضاع جنوب افريقيا وتايوان وكمبوديا في المؤسسات الدولية . ان هناك من لا تخيفهم هذه الاحتمالات ، انما هناك البديل : فبدلا من رفع الايدي بالتسليم ، ان بوسعنا ان نلوي ذراع اليونسكو » .

وذلك بالضبط ما شرعت اسرائيل بفعله . لقد استخدمـــت الحملـــة الاسرائيلية المضادة عدة **تكتيكات** مميزة وفعالة ومتنوعة للتأثير في الرأي العام العالمي ، فيما يخص المعنى « الحقيقي » لقرارات اليونسكو . ولقد ارفقت هذه التكتيكات بعدة **اطروحات**

دعاوية اكثروا من « الدق » عليها عبر الصحافة الغربية ، وعبر الانصار الرسميين وغير الرسميين لاسرائيل . ويمكن وصف التكتيكات الاساسية التي استخدمها الصهاينة بما يلي ، مع الامثلة :

اولا : تعبئة الانتلجنسيا الغربية : باستخدام الصلات الوثيقة بالمثقفين الغربيين ، والسحب من الخزان العميق للمشاعر المؤيدة للصهيونية ، وللشعور بالاثم تجاه اليهود الذي لا يزال يختلج في عواطف هذه المجموعات ، شن المخططون الصهاينة حملة من الرسائل ، والعرائض ، والتصريحات التي يدلي بها عدد من البارزين والمشهورين من العلماء والفنانين والممثلين والروائيين والمربين واخرين ، مساندة لاسرائيل ، وهجوما على قرارات اليونسكو .

وفي الوقت نفسه ، تشجعت اعداد كبيرة من هذه الشخصيات ، لتعلن على الملأ سحبها لخدماتها ولمساهماتها من اية نشاطات لليونسكو ، او تشرف عليها اليونسكو . وفي حالات كثيرة ، اتخذت عدة خطوات في هذا النشاط ، ربما بقليل من الجهد الصهيوني ، حيث ان قرارات اليونسكو أثارت فعلا غضبا حقيقيا بين نسبة كبيرة من النخبة الثقافية والعلمية في الغرب .

وفيما يلي نضرب أمثلة لبعض هذه الخطوات التي اتخذت بين نوفمبر ١٩٧٤ وبين اوائل يناير ١٩٧٥ :

— الوزيرة الفرنسية لشؤون النساء تقاطع اجتماع اليونسكو .

— جان بول سارتر وثلاثون غيره من المثقفين الفرنسيين البارزين يحتجون على قرارات اليونسكو في اعلان نشر في لوموند .

— مجموعة من ٢٢ امريكيا ، من العلماء والكتاب والممثلين وحملة جائزة نوبل ، تعلن تخليها عن اي دعم لليونسكو في اعلان ظهر في عدد من كبريات الصحف .

— مجموعة من حملة جائزة نوبل في الولايات المتحدة وبريطانيا ، تحذر الامين العام فالدهايم . بانها ستقاطع اليونسكو ، وتهدد بالاستقالة من جميع انشطة اليونسكو .

— ظهر كتاب في **التايمز** اللندنية القوية التأثير ، بتوقيع ١٣ من مثقفي بريطانيا المشهورين ، وبينهم جوليان هكسلي أول مدير عام لليونسكو ، يعترض على القرارات .

— ثمانون من الموسيقيين البارزين في العالم يتعهدون بمقاطعة اليونسكو .

— كتاب نشر في **الاوبزرفر** البريطانية من اساتذة جامعيين كبار في بريطانيا يشجبون قرارات اليونسكو .

— مؤتمر للكتاب من ٢٦ بلدا ينعقد في بريطانيا ، ويتخذ قرارات تشجب قرارات اليونسكو .

هذه بعض الامثلة لا غير لهذه الخطوات غير الرسمية التي اتخذتها انتلجنسيا الغرب ضد قرارات اليونسكو . وهناك امثلة اخرى عديدة .

ثانيا : الضغط على مؤسسات الحكومة : واكب الانشطة والخطوات الموصوفة اعلاه ، ان عدة حكومات او اجهزة حكومية في الغرب ، اتخذت خطوات ، او هددت باتخاذ خطوات ضد اليونسكو بسبب قراراتها المعادية لاسرائيل . ونعود الى القول ان هذه الاجراءات اتخذت من ناحية استجابة للضغط الصهيوني المباشر ، ومن ناحية

أخرى كانت خطوات تلقائية خلقها المناخ او الجو الذي نجح الصهاينة باشاعته ، جو التشويه والانفعال العاطفي .

وبين الاجراءات الحكومية :

— قرار لمجلس الشيوخ الفرنسي بتقليص ما يدفعه لليونسكو بنسبة ١٠٪ .

— قرار مماثل للبرلمان السويسري .

— حكومة هولندا تطلب الى المدير العام لليونسكو — رسميا — الغاء القرارات الصادرة ضد اسرائيل . وفي الوقت نفسه ، اعلن وزير الشؤون الخارجية عزم حكومته على توثيق العلاقات الثقافية مع اسرائيل .

— قرار للجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ الامريكي بالموافقة على تعديل لقانون المساعدات الخارجية لعام ١٩٧٥ يسمح بقطع المساهمة المقررة بمبلغ ١٦ مليون دولار لليونسكو ، ما لم تلغ هذه القرارات .

— البابا في روما يناشد اليونسكو أن تستعيد صفتها « غير السياسية » .

ثالثا : التشويه المنهجي للموضوعات في الصحافة الغربية : اظهرت تعليقات الصحافة الغربية ، خلال هذه الفترة ، حول قرارات اليونسكو ، ومعانيها وخلفياتها ، وردود الفعل عليها ، التشويه المتعمد للحقائق . ولقد ظهر التشويه والتحريف ، في المقالات الافتتاحية سواء بسواء كما في الزوايا الاخبارية التي تغطي احداث اليونسكو/ اسرائيل . بل وفي حالات كثيرة ، اقتفت هذه التغطيات الصحافية للقضية ، اثار الخط الاعلامي الاسرائيلي تماما .

وسوف نتتبع فيما يلي عمليات التشويه الحقيقية ، لدى طرحنا مسألة الموضوعات الدعاوية التي استخدمها الصهاينة في حملتهم .

موضوعات الدعاوة الصهيونية في النزاع مع اليونسكو

في الاحتجاجات المذكورة آنفا ، وكذلك في التغطية الصحافية لمجمل النزاع ، يمكننا ان نسجل التماثل اللافت للنظر في مضمون ونغمة الهجمات التي شنها الصهاينة على اليونسكو خلال هذه الفترة . هذا التماثل او التطابق هو بلا ريب نتيجة للتعليمات الدقيقة التي يصدرها مخططو واعلاميو « اللوبي » الصهيوني ، بشأن الخط الصحيح الذي يجب التزامه في الحملة ، سواء عند الاحتجاج على « ظلم » اليونسكو ، او تغطية المسألة اعلاميا .

وهكذا نجد أمامنا عدة موضوعات او محاور اعلامية تتكرر في ركام الحملة كلها ، سواء ما كان منها احتجاجا واعتراضا وشجبا ، او تغطية تقريرية اعلامية .

وسنلخص فيما يلي ابرز هذه الاطروحات :

أولا : ما صاحب القرارات ضد اسرائيل من تسييس لليونسكو :

هذا هو المحور الرئيسي في الحملة الاسرائيلية المضادة . وانه المحور الذي تقوم عليه بقية الاطروحات . ووفق هذا الخط (الذي رسم بما يستجيب لمثقفي بورجوازية الغرب) ، فان قرارات اليونسكو هي الى حد بعيد قرارات سياسية في دوافعها وفي مضامينها ، ولهذا فانه لا محل لها في منظمة مكرسة رسميا للعلم والتربية والثقافة . لقد كانت هذه هي الحجة او الذريعة الرئيسية التي أمكن بواسطتها حشد تأييد

الانتلجنسيا الغربية التي تزعم انها على الحياد ، وبتحريضها على مقاطعة اليونسكو .

وعلى سبيل المثال ، فان كتاب الاساتذة الجامعيين في بريطانيا يحتج على « اساءة استعمال وظائف اليونسكو الثقافية والتربوية وتحريضها عن غايتها ، وسوء استخدام مواردها المالية ، وذلك بتفجير هذا النزاع السياسي بطريقة متحيزة وغير مسئولة » ــ انظر الاوبزرفر ١٢/٢٢ .

أما القرارات التي اصدرها مؤتمر الكتاب (نادي القلم) فلقد وصفت تدابير اليونسكو بانها « اهانة لقضية الثقافة بالذات » ــ انظر الجارديان ١٢/٢٠ .

وزعم رينيه كاسين الرئيس الفخري للمجلس التنفيذي للمنظمات اليهودية في فرنسا ، ان اليونسكو « اصبحت ضحية لروح متحيزة لاناس من شأنهم ان يحولوا المنظمة الدولية الى اداة في الحرب السياسية » ــ انظر لوموند في ١٩ و ٢٠/ » .

هذه الدعاوى ذاتها واردة بصيغة اكثر تهذيبا الى حد ما ، في التغطيات الاخبارية لقضية اليونسكو . وعلى سبيل المثال ، **التايمز** اللندنية في ١٢/١٦ اذ يزعم لفيف من الكتاب في تحليله للقرارات ، انها كشفت عن « تصميم عدة حكومات على الجري وراء مصالحها القومية على حساب ما تمثله منظمة ثقافية عالمية من قيم معنوية » .

ويمكننا ان نضرب امثلة على تلك التقارير الصحافية المواربة التي تأخذ من الخط الصهيوني نقطة انطلاق لتغطياتها . انظر على سبيل المثال « القصة » كما نشرتها الهيرالد التريبيون الدولية ١٢/٤ .

ثانيا : الانكار المستمر للاتهامات الموجهة الى اسرائيل ، بالاعتماد على التحريف وتشويه الافكار : الحجة القائلة ان قرارات اليونسيو « سياسية » في طبيعتها ، جرى تدعيمها واستكمالها بالزعم القائل انه لا يوجد **أي أساس** للاتهامات ضد اسرائيل التي قادت الى اتخاذ القرارات المعادية لاسرائيل فيما يتعلق باجراءات اسرائيل في القدس والمناطق المحتلة .

وحيث ان اسرائيل تجاهلت بشكل مفضوح قرارات اليونسكو الثمانية السابقة التي طالبتها بالكف عن كل الحفريات الاثرية في مدينة القدس ، ووقف عملية تغيير معالمها التاريخية والثقافية ، قد يبدو للوهلة الاولى ان الصهاينة وانصارهم سيتكبدون مشقة عظيمة في تقديم رد مقنع في هذا المجال . هذا صحيح . ومع ذلك ، فانهم اعتمدوا في هذه الحملة ــ بصورة رئيسية ــ على التشويه الكامل للوقائع ، وقمع الافكار والحقائق .

وعلى سبيل المثال ، مجلة **نيوزويك** الاسبوعية الامريكية ذات الصلات الوثيقة بالمؤسسة الصهيونية ، قالت في موضوع صحافي في عدد ١٢/٢ بشأن قضية اليونسكو ، ان اسرائيل « **طردت** » من المنظمة (وهذا كذب) « بذريعة واهية وهي ان اسرائيل تدع **الخرائب** التاريخية في القطاع العربي من القدس تتجه نحو مزيد من التلف » . لا ذكر هنا لقرارات اليونسكو السابقة ، ولا ذكر ايضا للحفريات الاسرائيلية التي تشكل انتهاكا صارخا لتلك القرارات .

نيويورك تايمز في ١١/٢٢ ، احجمت كذلك عن ايراد هذه الحقائق حين اكتفت بالقول ببساطة ان الاجراءات المعادية لاسرائيل يجب النظر اليها على ضوء « ما فعلته اسرائيل للكشف عن الكنوز الاثرية في الاراضي المقدسة ، والمحافظة عليها » .

وان هذا التشويه الصريح المتعمد للحقائق ، واغفال الوقائع ، وارد ايضا في ما طرحته الانتلجنسيا من عرائض واحتجاجات .

ان اعلان جان بول سارتر في **لوموند** (١١/٦) يصف الاتهامات ضد اسرائيل بانها « مواربة وبدون اساس » . وان كتاب الاساتذة الجامعيين البريطانيين يزعم ان الاتهامات ضد انشطة اسرائيل في القدس « دحضها محققو اليونسكو انفسهم » (هذه بالطبع كذبة كبيرة) . وان رسالة هكسلي (التايمز ١٢/٥) تصف الاتهامات الموجهة لاسرائيل بانها « مزاعم » . ويمكننا تقديم المزيد من الامثلة ، وفيها جميعا اغفال كامل لحقيقة ان اسرائيل تجاهلت وانتهكت قرارات اليونسكو السابقة .

هذا باستثناء حالة **واحدة** ، بين كل ما توفر لنا من تغطيات صحافية غربية على امتداد شهري نوفمبر وديسمبر واوائل يناير ، ذكر فيها ان هناك **اساسا ما** للاتهامات ضد اسرائيل فيما يخص القدس . وكان هذا في **التايمز** في الفقرة الاخبارية يوم ١٢/٦ التي اقتطفنا بعضها آنفا ، حيث يقول الكاتب انه رغم ان بعثات الخبراء للتحقيق في نشاط اسرائيل ، عادت « بتقارير مؤيدة في كثير من الاحيان » ، فلقد كانت هناك « تحذيرات كافية من الاخطار على المساجد الاسلامية ، ومن التطوير المديني العصري ، لابقاء النزاع قائما مع ذلك » . ومع ذلك فان ما يقوله الكاتب هو اقل من الحقيقة بكثير ، فيما يتعلق بتاثيرات الحفريات الاسرائيلية والتطوير المديني في القدس .

وهناك اختلافات واكاذيب اخرى ادخلت في النزاع بواسطة الصهاينة وأنصارهم . ولعل اهمها قولهم ان اسرائيل عزلت او طردت من المنظمة ، وهي « حقيقة » كرروها وأعادوها وركزوا عليها ، برغم تصريحات النفي المتواصلة والتوضيحات التي ادلى بها رسميو اليونسكو .

ثالثا : اسرائيل الصغيرة امام ضخامة الاموال العربية ، والثقافة امام أعداء الثقافة ، وتهديد الابادة الجماعية : هذه الموضوعات الثلاثة ، بفجاجتها التي قد تكون بادية للعيان ، كانت ملاحق اضافية مساعدة للذرائع الصهيونية الرئيسية التي أجملناها آنفا . وفي حين انها جميعا لا تحمل على قرارات اليونسكو مباشرة ، فان رجال الاعلام الصهاينة البارعين ، نجحوا بربط هذه الموضوعات الثلاثة بنزاع اليونسكو . وهكذا فان كتاب المقالات الافتتاحية وغيرهم ، لا يفتأون يشيرون الى « قوة دولارات النفط » في كسب الاصوات لصالح قرارات اليونسكو . هذا الخط الدعاوي مألوف ولا حاجة للعودة اليه هنا .

وبموازاة هذا الخط ، قدم المعلقون الصهاينة ومساندوهم ، بمن فيهم المثقفون والعلماء ، هذا النزاع على انه كفاح بين « القوى الديموقراطية المتحضرة المستنيرة » وبين انظمة الحكم في الشرق « الرجعية والتوتاليتارية » .

ويقول تعليق لنيويورك تايمز في ١٢/٢٧ ان عمل اليونسكو « أثار ردود فعل على امتداد العالم **المتمدن** » (خط التشديد من عندنا) . « ويرجع ذلك الى ان اليونسكو تفقد « مواردها الثقافية » وانه « لا توجد اية كمية من دولارات النفط يمكنها ان تستعيض عن العلماء والاخصائيين والاكاديميين » الذين يقاطعون اليونسكو الان .

وان هذه الموضوعات تتردد على نطاق واسع في أماكن اخرى . من ذلك رسالة الى **التايمز** (١٢/٢٠) من مندوب اسرائيل في اليونسكو يحيي فيها نشاط الانتلجنسيا في « العالم المستنير » .

وهكذا فانهم دائبون على تصوير البلدان المساندة لقرارات اليونسكو على انها تضع كليا الاعتبارات **السياسية** فوق **القيم الثقافية** . ودائبون كذلك على تصوير قرارات اليونسكو على انها خطوة اخرى على طريق تدمير اسرائيل وابادة الشعب اليهودي . ومن هذا ان نواب البرلمان السويسري وهم يقررون الاقتطاع من المساعدة لليونسكو « أكدوا ان سويسرا يجب ان تعبر عن تضامنها مع بلد صغير يتعرض لخطر التهديد » — انظر لوموند ٨ — ١٢/٩ .

وبالمثل ، فان اعلان لوموند في ١١/١٦ الموقع من قبل مثقفين فرنسيين يقول ان « رفض اسرائيل روحيا الذي تضمنته قرارات اليونسكو « يبرر كخطوة لاحقة تصفيتها جسديا ، انها عملية افناء ، يتولاها مستبدو (او طغاة) القرن العشرين » .

هذه المشاعر تتردد في أماكن أخرى ، وان بصيغة الطف عادة .

الاخفاق العربي ودروس للمستقبل

لقد تفحصنا أسس الحملة الصهيونية على اليونسكو . ورأينا كيف ان الحملة ، على وجه العموم ، نجحت باقناع الرأى العام الغربي بان قرارات اليونسكو ضد اسرائيل كانت ظالمه ، وذات حوافز سياسية ، وبدون أسس حقيقية ، وانها لا تنسجم اطلاقا مع منظمة مثل اليونسكو .

ويجب ان نلاحظ هنا ، انه لا يمكن على الاطلاق ، العثور على اي « مقال رأي » ليس محبذا لاسرائيل في كل المادة الصحافية الغربية المتوفرة لدينا ، على امتداد كل هذه الفترة . ولم يحدث أبدا ان نهضت أية مجلة او صحيفة لتتبنى الموضوعات التي تطرحها قرارات اليونسكو ، لتطالب اسرائيل باتخاذ خطوات او تدابير لتغيير سياساتها في المناطق المحتلة . فعلى الصعيد المثالي ، ذلك ما كان يجب ان يحدث نتيجة لقرارات اليونسكو ، انما حدث تصعيد عام في تقدير صحافة الغرب لاعمال اسرائيل غير المشروعة وغير الاخلاقية في القدس والضفة الغربية .

ويمكن قياس مدى قوة تأثير الحملة الاسرائيلية في الولايات المتحدة على الاقل ، ان رسميي **اليونيسيف** هناك أفادوا ان اعدادا كبيرة من الاميركيين يرفضون شراء نصيبهم السنوي من بطاقات عيد الميلاد التي تصدرها اليونيسيف .

ومن الجلي ، ان كثيرين من هؤلاء الاميركيين الذين يرفضون شراء البطاقات الان ، يفعلون ذلك لانهم يخلطون بين اليونسكو واليونيسيف ، وهي منظمة الامم المتحدة المختصة برعاية الاطفال ، او انهم بكل بساطة غاضبون على هيئة الامم المتحدة برمتها (انظر مجلة تايم الامريكية ١٢/٣٠) .

من الجلي ان الحملة الاسرائيلية المخططة الموصوفة في هذه المذكرة ، كان لا بد لها من قطف بعض النجاح . فالموضوع بحد ذاته ، حيث ربط بمسائل الثقافة ، كان في غاية الملاءمة لتلك الانماط من الاستجابات التي هيأها الصهاينة لانتلجنسيا الغرب . وكذلك بسبب ان القضية اشتملت على ثلاثة قرارات منفصلة ، لكل منها خلفياته الخاصة ، وكذلك بسبب الطبيعة التقنية الظاهرة للحجج الواردة ، فان الموضوع ذاته زود الصهاينة بمجال لممارسة التشويش والارباك والخلط ، بنجاح واضح .

ومع ذلك فان نطاق النجاح الصهيوني كان يمكن تضييقه الى حد بعيد ، لو ان العرب شنوا حملة متابعة لقرارات اليونسكو ، حملة كان ينبغي اعدادها من قبل ، واطلاقها في الوقت المناسب .

حقيقة انه لم يجر تخطيط حملة عربية من هذا القبيل ، واقل من ذلك تنفيذهـــا ، تشير الى اخفاق خطير في جانب وسائط الاعلام العربية الرسمية وغـــير الرسمية . وبكلمات اخرى ، ان حقيقة ان الحكومات العربية كانت تهيىء للحصول على القرارات المعادية لاسرائيل والتي اتخذها المؤتمر العام الاخير لليونسكو ، كان يجب ان تكـــون نقطة انطلاق لاستعدادات عربية مكثفة لملاقاة الرد الصهيوني . وان هذا الامر يقتضي وجود قدر من **التنسيق** بين الحكومات العربية وبـــين المؤسسات الاعلامية العـــربية غير الرسمية . فهذه المؤسسات هي وحدها التي كانت قادرة على ان تعرض ضـــد اسرائيل قضية القدس والمناطق المحتلة ، بالطـــريقة الملائمة ، بمـــا يجابه الحملـــة الصهيونية . وعلى سبيل المثال ، فان اية واحدة من المؤسسات الاعلامية العـــربية العديدة في بيروت ، كان بمقدورها ان تعد مذكرة موجزة انما شاملة لاعمال اسرائيل في القدس والمناطق المحتلة .

وعلى اساس هذا الرأي ، كان ينبغي خوض مجال الاعلانات في الصحف الغربية الرئيسية ، تماما في اعقاب اتخاذ اليونسكو لقراراتها . الاعلانات ذاتهـــا يمكنها ان تعطي التفاصيل الاساسية للقضية العربية ، وان تحيل قارئها الى المذكرة الاوفى التي يمكن تزويده بها عند الطلب .

ان تحويل هذه الجهود يمكن ان يأتي من الحكومات العربية ، حيث ان نشر اعلانات على صفحة كاملة في الخمس عشرة صحيفة الكبرى في الغرب ، يكلف مبالغ تتجـــاوز قدرات اية مؤسسات او منظمات خاصة . وبهذا كان يمكن استباق الكثير من الحجج الصهيونية بصورة فعالة .

قس على ذلك ، انه كان يمكن الرد على رسائل وعرائـــض المثقفين المسانديـــن للصهيونية برسائل وعرائض معاكسة من قبل مجموعات مؤيدة للعرب ، كما حدث في **لوموند** (١٩ ـــ ٢٠/١/٧٥) . (هذا البيان ، الذي يحتج عـــلى الحملـــة الاعلامية الصهيونية على اليونسكو ، وقعه مئات من الفرنسيين المؤيدين للعرب من مثقفـــين وحرفيين ونشطاء سياسيين . انه البيان الفريد من نوعه الذي ظهر في أي مكـــان في الصحافة الغربية على امتداد الفترة كلها ، ولقد ظهر تماما بعـــد ان انطفـــأت حمى النزاع) .

ان جدوى هذه الاقتراحات ، ان تكون مجرد دليل للمستقبل . ان المطلوب قبل كل شيء درجة اقوى من التنسيق بين سياسة الحكومات العربية على الجبهات السياسية والدبلوماسية ، وبين وسائط الاعلام العربية غير الرسمية . فمثل هذا المقدار الكبير من التنسيق حدث بين منظمة التحرير الفلسطينيـــة وبين بعـــض المؤسسات غـــير الرسمية في بيروت قبيل اجتماع الجمعية العامة للامم المتحـــدة ، واسفر عن ثمـــار طيبة . وانه لمن الضرورة بمكان ان نسارع بلا تأخـــير الى معالجـــة هذا الوضـــع وتصحيحه ، بغية ان يصبح مثل هذا التنسيق سياسة ثابتة علـــى الصعيد الحكومي العربي .

تنشر شؤون فلسطينية فيما يلي تقريرا تلقته من أحد مكاتبيها ، الاخ خليل السواحري ، حول المؤتمر التاسع والثلاثين لنادي القلم الدولي الذي عقد في القدس ودار معظم الحديث فيه على قرارات اليونسكو:

عقد في فلسطين المحتلة في الفترة من ١٥ الى ٢٠ كانون الاول ١٩٧٤ المؤتمر الدولي التاسع والثلاثون لنادي القلم الدولي بحضور عدد من الكتاب العالميين ومعظمهم من اليهود او المشايعين للصهيونية أو ممن ضللتهم الدعاية الصهيونية واجهزة اعلامها الكثيرة في دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة الاميركية .

وقد زعمت اجهزة الاعلام الاسرائيلية (جريدة الجروسالم بوست في ١٩٧٤/١٢/١٧) ان عدد الكتاب الذين حضروا هذا المؤتمر بلغ حوالي (٣٠٠) كاتب من ثلاثين بلدا من بينهم ثلاثة من الكتاب المعروفين بتعصبهم الصهيوني الصارخ وهم يوجين اونسكو وهنريش بيل الالماني الغربي الحائز على جائزة نوبل للاداب ١٩٧٢ وسول بلو أحد الكتاب الصهاينة من الولايات المتحدة الاميركية .

وقد افتتح هذا المؤتمر اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي بكلمة كرسها للهجوم على منظمة اليونسكو التي كانت قد اتخذت قبل عدة أيام قرارا بادانة اسرائيل لمواصلتها تشويه الثقافة العربية في المناطق المحتلة وزعم رابين في خطابه الافتتاحي ان منظمة اليونسكو قد خضعت للضغط العربي باقدامها على قرار تجريد اسرائيل من عضويتها . ومن الطبيعي ان يكرس رابين خطابه للهجوم على القرار العادل رغم كونه متأخرا لمنظمة اليونسكو ولكن الامر غير الطبيعي أن يكون المؤتمر كله مكرسا للهجوم على منظمة اليونسكو وان يتحول كتاب ، كنا نعتقد انهم يحترمون أنفسهم وعقولهم للهجوم على هذه المنظمة وعلى قرارها الاخير .

والحقيقة انه لم يكن مستغربا تماما ان يأخذ كتاب من امثال اونسكو وهنريش بيل على عاتقهم مهمة تحريك هذا المؤتمر وتحريض المشتركين فيه رغم صهيونيتهم وتمثيلهم لدول معظمها ذات علاقات ودية مع اسرائيل (ملاحظة : قاطعت دول اوروبا الشرقية ومعظم الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث هذا المؤتمر) ذلك لان كاتب مس اونسكو قد سبق له وان أعلن انخراطه في سلك الفاشية الجديدة (الصهيونية) منذ أمد طويل ، ففي نيسان ١٩٧٣ قدم اونسكو الى اسرائيل ليتسلم من زلمان شازار (رئيس دولة اسرائيل في حينه) ومن غولدا مائير (رئيسة الوزراء في حينه) جائزة الدولة التي اعتادت اسرائيل ان تمنحها للكاتب العالمي الاكثر تأييدا لها* وقد استحق اونسكو هذه الجائزة على مسرحيته الكركدن والجوع والعطش اللتين عرضتا على مسارح تل ابيب في مطلع عام ١٩٧٣ .

أقول لم يكن مستغربا ان يحرض امثال اونسكو وهنريش بيل المؤتمرين على مقاطعة منظمة اليونسكو الى حين العدول عن قرارها بطرد اسرائيل من عضويتها . كما انه لم يكن مستغربا كذلك ان يدعو كاتب المانيا الغربية الصهيوني الذي منح جائزة نوبل لمواقفه الرجعية والمعادية للتقدم العلمي والتطور الحضاري والتكنولوجي الى قيام مقاطعة عالمية لمنظمة اليونسكو على غرار الدعوة التي سبق وان وجهها نفر من رابطة الكتاب الفرنسيين من ذوي الميول الصهيونية (على رأسهم يوجين اونسكو) وطلبوا فيها مقاطعة اليونسكو.

ولعل اكثر ما يثير السخرية لدى المتتبع للكلمات التي القيت في جلسة الافتتاح المطالبة التي وجهها هنريش بيل للولايات المتحدة الاميركية بتجميد دعمها لمنظمة اليونسكو ونقل مقر الامم المتحدة من نيويورك (بلد الصهيونية العريق) الى اوغندا . ولماذا ؟ لحرمان مندوبي دول العالم الثالث من التبرك والحج الى مدينة نيويورك التي يعبدها هؤلاء المثلون على حد تعبيره !!

ولعل أكثر الاقوال مثارا للسخرية والاستهجان، بل وحتى الاستخفاف بسلامة عقل من ادلى بها ،

---

* ملحق جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية ١٩٧٣/١/١٢ ترجمة ابراهيم خليل جريدة الرأي الاردنية ١٩٧٤/١٢/٣٠ .

ما جاء على لسان يوجين اونسكو حين قال أن قرار اليونسكو الاخير ضد اسرائيل كان قرارا ظالما لبلد (اسرائيل !) قدم الكثير من الثقافة والمعرفة للعالم . والعجيب في هذا التصريح ان يدلي به اونسكو بعد الجولة التي قام بها المؤتمرون الى الحفريات الاسرائيلية التي ما تزال جارية تحت المسجد الاقصى واسوار مدينة القدس وكأن اونسكو لم يشاهد بأم عينيه التشويهات التي الحقتها هذه الحفريات ليس بالمقدسات الاسلامية فحسب وانما بالمدينة المقدسة بشكل عام . وكأن اونسكو لم يسمع كذلك بما الحقته السلطات الاسرائيلية المحتلة من تشويه بالثقافة العربية والمناهج التدريسية في المناطق العربية المحتلة ، وكأنه لم يشاهد كذلك مدى ما الحقه الاستيطان الاسرائيلي ببناياته الشاهقة من تشويه لمعالم المدينة المقدسة.

واعجب ما في هذا المؤتمر كذلك ان تكون منظمة اليونسكو التي كرس المؤتمر للهجوم عليها ممثلة باحد الكتاب الفرنسيين اليهود وهو جان بلوت والذي جاء كما يبدو الى هذا المؤتمر لا ليدافع عن عدالة قرارات اليونسكو وصحتها وانما ليشارك في الهجوم عليها واتهامها .

وعلى العموم فلقد كان هذا المؤتمر ، شأن كل المؤتمرات التي تعقد في دولة الاحتلال تشويهـا صارخا لمعنى الثقافة والتراث الثقافي خاصة وانه عقد كما هو مفترض فيه لمناقشة « التراث الثقافي والانتاج الادبي المعاصر » .

لسنا نملك الكثير من المعلومات عن نادي القلم وعن مؤتمراته الثمانية والثلاثين التي عقدت حتى الان ولكنه بدا واضحا تماما من كلمات المشتركين فيه، ومن هوياتهم ومن الكلمة التي القاها رئيس هذا النادي (الكاتب البريطاني و. فريست) انه واحد من النوادي التي تهيمن عليها الاتجاهات والتوجيهات الصهيونية البحتة .

مراجعات

فيليتسيا لانغر، **بمو عيناي** (بأم عيني) ـــ بالعبرية (الناشر: المؤلفة، تل أبيب، ٧٤).

« الاحتلال الليبرالي » و « الاحتلال الانساني » و « الاحتلال المستنير » ، هي بعض الاوصاف ، التي أطلقتها السلطات الصهيونية ، وأبواقها الدعائية ، على احتلالها للاراضي العربية منذ عدوان حزيران ١٩٦٧ ، لكي تغطي ، من جهة ، على أساليب الاحتلال البشعة التي مارستها وتمارسها على أرض الواقع ، ولكي تحاول ، من جهة اخرى ، تبرير الاحتلال واستمراره ، في أراض قررت مسبقا انها تريد البقاء فيها ، وضمها الى الكيان الصهيوني القائم منذ العام ١٩٤٨ .

والكتاب الذي بين أيدينا ، يسقط من جهة ، قناع التستر والكذب والتضليل ، عن وجه المؤسسة الصهيونية البشع، ويقدم من جهة اخرى، صورا ونماذج حية لاكثر أساليب الاحتلال فظاعة وبربرية ، ويروي لنا قصة الارض المحتلة ، كما رأتها شاهدة عيان خلال سبع سنوات من الاحتلال: منذ حزيران ١٩٦٧ الى حزيران ١٩٧٤ .

فمؤلفة الكتاب ، هي المحامية الاسرائيلية المعروفة فيليتسيا لانغر ، التي كرست معظم وقتها وجهدها منذ العام ١٩٦٧ حتى اليوم ، للدفاع عن ضحايا الاحتلال في المحاكم العسكرية الصهيونية داخل الكيان الصهيوني ، وفي المناطق المحتلة . وهي كمحامية تروي ما شهدته وما سمعته داخل قاعات المحاكم العسكرية ، وداخل سجون الاحتلال ومعتقلاته ، وتروي كيف استخدمت السلطات الصهيونية القضاء كوسيلة لتكريس الاحتلال واضفاء الشرعية عليه ، وكأسلوب من أساليب القمع والارهاب والسيطرة ، لخدمة أهداف المحتل التوسعية . والكاتبة ، من خلال تنقلاتها داخل الارض المحتلة ، سمعت الكثير من قصص الاحتلال الرهيبة ، وشاهدت الكثير من صوره المروعة في مختلف الميادين ، فسجلت ما رأته وما سمعته ، بعد أن تحققت من صحته ، فجاء الكتاب وثيقة صارخة ، تفضح الاحتلال وطبيعته العنصرية النازية ، وأهدافه التوسعية .

والكاتبة اذ تفضح الاحتلال الصهيوني ، وتدينه، وتقاومه ، كمواطنة يهودية في الكيان الصهيوني ، فانها تفعل ذلك ، كما يتضح من قراءة الكتاب ، بدوافع ايديولوجية وسياسية وانسانية . انها تريد ان تظهر للشعب العربي « الوجه الاخر » لشعبها، وتحرص على التذكير انها لا تقف وحدها ، بل تقف معها « القوى التقدمية » في اسرائيل ، ويقف معها مثلا ، يونه اليهودي من أصل عراقي ، الذي يساعدها في عملها ويحاول تقديم أي مساعدة واسداء أي نصح الى المعتقلين العرب وعائلاتهم. ويقف معها جيورا نويمان وغيره من الشباب اليهود ، الذين رفضوا الخدمة الاجبارية في جيش الاحتلال . انها تدافع عن مواقف حزبها الشيوعي « راكاح » ، المعادي للصهيونية ، والداعي لانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني ، وكذلك « للشعب الاسرائيلي » في فلسطين . انها تخاطب ضمير الاسرائيليين وعقولهم ، فتقول لهم من على غلاف الكتاب : « على صفحات هذا الكتاب ، نصادف وجها لوجه المطرودين من وطنهم ، والجالسين في أقفاص الاتهام في المحاكم العسكرية ، والرازحين في السجون بعد أن هدمت بيوتهم ... ان وراء الارقام الجافة أناس من لحم ودم ، تنطبع ملامحهم في الذاكرة بحيث لا يمكن نسيانهم ... » . انها تعتبر اليهودي العادي ، الموجود في اسرائيل ، ضحية هو الاخر للحركة الصهيونية وحليفتها

الامبريالية ، فتقول له : « منذ نعومة أظفارك ، كانوا يعرفون ان السلاح الحديث لن ينقصك عندما يحين الاوان ، فمزودو السلاح فيما وراء البحار ، سيزودونك به على اساس من التبادل : سلاح مقابل دمك أنت ، من أجل مصالحهم هم . ولكن لكي تحسن استعمال السلاح ، ولكي لا ترجف يدك عندما تريد الضغط على الزناد ، يجب أن تكره أولئك الذين أعدوك لمحاربتهم — العرب — ويجب أن تحتقرهم بكل ما أوتيت من قوة . لذلك بدأوا ينمون فيك مشاعر التعالي القومي ، من خلال تحقير قيم الشعب الاخر ، والقيم السامية لشعبك أنت . ألا تذكر دروس التوراة ، وقصص البطولة فيها ، مثل حكاية « شعب الله المختار » ، وعجائب يشوع بن نون الذي « أمر الشمس أن تقف فوق جبعون ، والقمر أن يقف فوق سهل ايلون »...». انها تعرض قصص المئات ممن مثلوا أمام المحاكم العسكرية الصهيونية ودافعت عنهم . منهم الفدائي الاسير ، ومنهم الشيخ الذي وجدت لديه بندقية تركية ولم يحاسبه البريطانيون على حيازتها ، أو الذي فتح بيته لولده « المشبوه » بأعمال المقاومة ولو لليلة واحدة ، ومنهم الام التي أعطت ولدها المطارد كسرة خبز ، والطفل الذي سار في مظاهرة ضد الاحتلال والطفلة التي وزعت منشورا. منهم الشيوعي ومنهم رجل فتح أو الجبهة الشعبية أو غيرها من منظمات المقاومة الفلسطينية . انها تدافع عنهم دون تمييز اقرارا منها لحق شعب احتلت أرضه في اختيار وسائل النضال ضد المحتل، ولكنها لا تخفي عاطفتها الاقوى تجاه الشيوعيين في الاراضي المحتلة وخاصة نعيم الاشهب ، الذي وصفته على انه أحد قادة الحزب الشيوعي الاردني ، والذي أفردت لقصته في سجون الاحتلال أكبر فصل من الكتاب (ص ١٧٧ — ١٩٢) .

ان كل صفحة في هذا الكتاب تحمل قصة او أكثر تستحق الوقوف عندها ولكننا سنقدم نماذج فقط لمختلف صور الاحتلال التي يقدمها ، ويمكننا وضع هذه الصور في ثلاثة أطر رئيسية : (١) ممارسات سلطات الاحتلال في الارض المحتلة ، بما في ذلك عمليات الطرد الجماعي والفردي ، الاعتقالات والمحاكمات الصورية ، عمليات الابادة الجسدية خلال وبعد حرب حزيران ، هدم البيوت والعقوبات الجماعية ، مصادرة الاراضي والاحياء السكنية بالقوة ، عمليات الابادة ضد الوجود السياسي والحضاري للعرب ، عمليات التهويد . وكل ذلك ، من خلال خرق معاهدات جنيف وقرارات الامم المتحدة وكل القيم الانسانية . (٢) المقاومة الايجابية والسلبية للاحتلال ويدخل في ذلك صمود الرجال والنساء والاطفال والشيوخ ، صمود المعتقلين وسخريتهم من المحتل ومحاكمه ، صمود ذوي المعتقلين وخاصة أمهاتهم ، التشبث بالوطن والارض والبيت وانقاض البيوت المهدومة . (٣) ادانة الكاتبة وتعليقاتها على أساليب الاحتلال ومعارضة غيرها من اليهود للاحتلال وأساليبه .

ويقع الكتاب في ٣٣٠ صفحة وهو مقسم الى أجزاء عددها كعدد سنوات الاحتلال وكل جزء مقسم الى فصول قصيرة ، وكل فصل عبارة عن قصة من قصص الاحتلال التي وقعت خلال تلك السنة ، ومعظمها مستقى من ملفات المحاكم التي تحويها مكتبة المحامية . ولكن المؤلفة تقدم هذه الملفات بصورة قصصية وصفية شيقة ، لا تخلو من اللمسة الادبية ويطغى عليها طابع السخرية المرة . ومع ذلك فهي معززة بالتواريخ والارقام والاماكن . انها مثلا تحكي قصة « ام صبحي » الام الصامدة ، ومن خلالها تتعرض لمحاكمة ابنها .

وتتخلل صفحات الكتاب صور عن هدم البيوت والمحاكمات والمظاهرات ، وظهرت في آخره مجموعة لصور بعض المعتقلين وملحق يضم بعض فقرات معاهدات جنيف بما يتعلق بالحرب والاحتلال .

الناشر هو المؤلفة ، فالمعروف ان دور النشر في اسرائيل ترفض نشر مثل هذا الكتاب او توزيعه. والغلاف الذي صممه الرسام عبد عابدي يحمل وجه امرأة باللون الاسود برزت فيه العينان الواسعتان الناظرتان الى أمام ، بما ينسجم مع عنوان الكتاب « بأم عيني » .

وفي المقدمة تتحدث المؤلفة عن « حرب الايام الستة » وتسخر من هذا الاسم ، لان تلك الحرب في اعتقادها كانت «البداية لاطول حرب اسرائيلية»، وكانت الفصل الاول من مسرحية طويلة ، ولكن المخرج ظن ان المسرحية انتهت بانتهاء الفصل الاول « مع انه هو مخرجها » . وتصف الويلات التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في هذه الحرب

فتقول : « ويل للمغلوبين ! » وتصف ظلم المحتل ومقاومة شعب الارض المحتلة المستميتة فتنهي المقدمة قائلة « ويل للمنتصرين ! » .

الممارسات الصهيونية في الاراضي المحتلة

الشهادات التي تقدمها الكاتبة عن ممارسات قوات الاحتلال في الارض المحتلة منذ حرب حزيران ليست ، على كثرتها ، تسجيلا لكل ما حدث خلال سنوات الاحتلال السبع ، ولكنها تعد نماذج معبرة عن مجموعة الاساليب التي اتبعت والتي اتجهت نحو هدف واحد : الغاء الوجود العربي في الاراضي المحتلة بكل صوره وأشكاله ، واحلال الوجود الصهيوني في الارض « النقية من العرب ».

١ ـ **عمليات الطرد الجماعي والفردي** : تتعرض الكاتبة لعمليات الطرد الجماعي والفردي في أكثر من مكان في الكتاب . ففي كلمة المؤلفة التي ختمت بها الكتاب تقول : « ... فيما يلي مجموعة ارقام رسمية تتحدث عن نفسها : عدد سكان المناطق المحتلة قبل الاحتلال الاسرائيلي ، كان حوالي ٥ر١ مليون نسمة . وفقط خلال أيام الحرب والايام التي تلتها مباشرة هرب وطرد من الاراضي المحتلة نصف مليون نسمة بمن فيهم سكان هضبة الجولان ...».

وتفضح الكاتبة نية قوات الاحتلال في تكرار ما حدث عام ١٩٤٨ : « ... كانوا يريدون ، كما صرحت بذلك غولدا مئير ، الحد الاقصى من الاراضي والحد الادنى من السكان ... الحلم تحقق في الجولان المحتلة ، حيث نزح بسبب ويلات الحرب حوالي ١٥٠ ألفا من السكان . ونزح عن الضفة الغربية ايضا عشرات الالوف ، قسم منهم طرد بالقوة ... ولكن ذلك لم يكن من شأنه أن يغير الخارطة الديمغرافية للمناطق المحتلة ... ». (ص ٨) .

وتصف الكاتبة كيف هدمت سلطات الاحتلال أثناء الحرب قرى اللطرون والجولان وبلدة قلقيلية التي اضطرت الى ايقاف عملية هدمها ، بسبب ضغط الرأي العام . بعد ذلك لجأت سلطات الاحتلال الى قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥ وبدأت تطرد السكان بموجب هذه القوانين ثم لجأت الى هدم البيوت والاحياء بكاملها بحجة العقوبات الجماعية وبهدف التخلص من سكانها العرب .

وتشير الكاتبة الى أن أوامر الطرد استخدمت بشكل خاص ضد المثقفين ومعلمي المدارس . وفي منطقة رفح وحدها طردت ١٢٠٠ عائلة . وبلغ عدد البيوت التي هدمت حتى بداية ١٩٧٤، ١٨ الف بيت . (ص ٣٢٣) .

وتتحدث الكاتبة بمرارة عن قوانين الطوارىء التي ورثها المحتل الصهيوني من سابقه البريطاني والتي يستخدمها لطرد العرب بعد اعتقالهم الاداري أو فرض الاقامة الجبرية عليهم ، لان المحتل يعتقل ويطرد بموجب هذه القوانين بدون توجيه أي تهمة او اعطاء اي سبب . « ... الكثيرون طردوا تحت جنح الظلام الى الضفة الشرقية ... وفي ٢٥/١١/ ٦٨ طرد ثمانية معلمين من معارضي الاحتلال من نابلس والقدس ، ولم يسمح لهم بحمل معطف دافىء او بوداع عائلاتهم التي لم تسمع خبر الطرد الا بواسطة الاذاعة ... » (ص ٣٢) . واستمرت عمليات الطرد خلال كل سنوات الاحتلال حيث تقدم الكاتبة نماذج من المطرودين سنة بعد سنة ، وتصف بالتفصيل كيف تم طرد ٣٠ معتقلا دفعة واحدة عام ١٩٧٠ فنقلوا وهم معصوبي الاعين من سجن الخليل الى سجن بئر سبع ومن هناك نقلوا الى وادي عربه وأجبروا على السير حفاة على رمال الصحراء الملتهبة في اتجاه الاراضي الاردنية « على أمل أن يقتلهم الجيش الاردني ظانا انهم دورية عدوة ... » (ص ١٥٦) . وتفضح الكاتبة في أكثر من مكان اصرار المحتل على طرد السكان العرب عن طريق هدم بيوتهم وحرمانهم من أي امكانية للعيش لكي يطلبوا النجاة خارج الارض المحتلة . وكيف يفضل المحتل طرد الشباب خاصة المثقفين منهم على ابقائهم في سجونه كما حدث لاسعد عبد الرحمن مثلا في عام ١٩٦٨ . فقبل أن تنتهي فترة العقوبة التي أصدرتها المحكمة ، أخبر في سجنه انه سيطرد في اليوم التالي الى الضفة الشرقية ، فطلب المكوث مع عائلته فترة ما قبل طرده ورفض طلبه هذا . عندها طلب البقاء في السجن الى آخر مدة الحكم لكي يبقى مع عائلته بعد ذلك ، خاصة وان المحكمة أصدرت حكما بسجنه وليس بطرده فرفض طلبه هذا . وفي ٢٩/١١/٦٨ ، تم طرده الى الضفة الشرقية دون وداع اقاربه .

وتقدم الكاتبة مثالا آخر عن رغبة المحتل

الشرسة باخلاء السكان العرب من ارضهم : فقد ميزت المحكمة العسكرية بين معتقلين من رفح ، متهمين بالتهمة نفسها فحكمت على الاول حكما جائرا وعلى الثاني حكما مخففا . واما السر في هذا التمييز فهو أن المتهم الثاني أبرز في المحكمة أوراقا تثبت انـه سيهاجر مـع عائلته الـى هندوراس ، « ... فلم يكن هذا حكما تصدره محكمة ، بل كان جائزة لتشجيع النزوح » (ص ١٢٥) . واما من يعود الى الضفة الغربية ويحاكم بسبب ذلك فتكون عقوبته أشد اذا قال للقضاة : « لم اقترف جريمة . لقد عدت الـى وطني ! » .

٢ ــ **الاعتقالات والتعذيب** : ان قارىء كتاب فيليتسيا لانغر لا يملك الا أن يسأل نفسه بعد كل محاكمة تروي قصتها : كيف تستمر هذه المحامية بعملها بعد هذا الفشل المتكرر . ولا تدل مرافعاتها وحججها على انها محامية فاشلة ، ولكن سلطات الاحتلال قررت لها ان تكون كذلك ، لان هـذه السلطات في الواقع تصدر الاحكام بدون حاجة الى المحاكمة او محامي الدفاع والادعاء. هناك سياسة مرسومة تنفذ بدقة والمحاكمات لا يقصد منها الا التستر بقناع القانون والقضاء مـن اجل تنفيذ سياسة الاحتلال .

ان الكاتبة تقدم البرهان القاطع على ان كل معتقل من المعتقلين العديدين الذين رافعت عنهم وزارتهم في السجن بعد عناء شديد ، تعرضوا هم وزملاؤهم لابشع أنواع التعذيب اثناء التحقيق . ولم يحدث أن صدق القضاة العسكريون كـلام المعتقلين او محاميهـم ولو لمرة واحدة ، بـل « صدقوا » دائمـا شهـادات شرطة التحقيـق والمخابرات حتـى اذا صدف ان كانت علامـات التعذيب ما زالت ظاهرة على جسم المعتقل ، وعندها يقول شهود الادعاء مثلا ان المعتقل « تزحلق على قشرة موز » او انه « فقد توازنه وضرب رأسـه بالجدار » (ص ٣٦) . والقضاة « يصدقون » هذه الشهادات . وحتى اذا قدمت المحامية شكوى الى وزراء الشرطـة والدفاع والداخلية ، يأتي الجواب دائما : « بعد التحقيق تبين ان الشكوى لا أساس لها من الصحة » ! . والواضح من عرض المحاكمات الكثيرة التي روتها لانغـر ان المخابرات (شين بيت) هي التي تقرر كل شيء بالنسبة للمعتقل ، والقضاة العسكريون هم مجرد ممثلين في مسرحية المحكمة العسكرية .

لقد صرخ بشير الخيري بالقضاة العسكريين اثناء محاكمته : اذا كنتم لا تصدقوني ، تعالوا معي الى سراديب بناية الحكم العسكري في رام الله على بعد امتار قليلة من قاعة هذه المحكمة لكي تروا بأنفسكم صنوف الضرب والتعذيب ، فرفض القضاة طلبه مدعـين ان « هذا ليس مـن شأن القضاة » ! (ص ٨٠) .

وتصف الكاتبة « فنون » التعذيب التي يلجأ اليها المحققون : المعتقلة العربية تدخل الـى غـرفة للمومسات اليهوديات فيضربنها حتى فقدان الوعي بعد تمزيق ملابسها . الشباب يضربون بالهراوات والايدي والارجل ، يعلقون من أيديهم لساعات طويلة ، يعذبون بالتيار الكهربائي وغير ذلك مما يدفع سلطات السجن الى منع المحامية من زيارتهم أشهر طويلة ، حتى تزول آثار التعذيب . البعض ماتوا في السجن بسبب التعذيب مثل قاسم ابو عكر مـن القدس والبعض اصابهم الجنون مثل نظمي جاد عيد من بيت لحـم والبعض أصابهم الشلل الدائم مثل لطفيه الحواري وغيرهم .

وفي أحد ايام العام ١٩٦٩ شاهدت المحامية احد القضاة العسكريين في المحكمة العسكرية في رام الله وقد أعياه التعب واحمـرت عيناه فسألته عـن السبب ، فأجاب ، انه سهر الى ما بعد منتصف الليل ، حيث كان يحاكم طلاب المدارس الذيـن تظاهروا في تلك الايام ويقال لها ان هذه المحاكمة لا تفيد « بل يجب اطلاق الرصاص عليهم ! » . هذا هو « الحل » الذي يقترحه القاضي بالنسبة لطلاب المدارس الذين يتظاهرون ضد الاحتلال ، ومع ذلك يستمر في الجلوس على كرسي القضاة ويحاكم ويصدر الاحكام .

وتصف المحامية الفترة التي تحاول خلالهـا مقابلة المعتقل في السجن قائلة انها تسير في « طريق العذاب » حتى تصل الى المعتقل وحتى عندها يمنع المعتقل من التحدث اليها « خارج الموضوع » ، كان يصف لها مثلا أنواع التعذيب التي لاقاها . وكثيرا ما ينكر رجال الشرطة والحكم العسكري وجود المعتقل لديهم ولا يسمحون لها بمشاهدة

الكثيرين منهم الا بعد اللجوء الى محكمة العدل العليا .

وتذكر المحامية في فصول كتابهـا انها ليست الوحيدة التي تدافع عن ضحايا الاحتلال في المحاكم فقد سار معها في « طريق العذاب » المحامي علي رافع والمحامي حنا نقاره والمحامي صبري جريس والمحامي غازي كثير وعدد قليل من المحامين في الضفة الغربية . وتذكر لانغر ان سلطات الاحتلال كانت احيانا تمنع المحامين العرب في اسرائيل من دخول الاراضي المحتلة بهدف الدفاع عن موكليهم في المحاكم العسكرية في مناطـق الاحتلال وذلـك بموجب قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥ .

٣ ــ **الابادة الجسدية** : تتعرض الكاتبة في أكثر من مكان الى حقيقة ان القتل لم يكن مجرد رغبة كامنة في نفوس المحتل وقضاته ، بل انه نفذ كلما سنحت الفرصة لذلك ، فاثنـاء الحرب وبعدها مباشرة « احمرت مياه نهر الاردن » بدماء كل من حاول العودة الى بيته من النازحين الى الضفة الشرقية . وبعد الحرب بأيام « ... جاء الجنود الاسرائيليون الى رفح الشرقية . طرقوا الابواب ، وأخرجوا الرجال وساقوهم الى مسافة أمتار من البيوت . بعد ذلك سمعنا طلقـات الرصاص ، وعندما خرجنـا شاهدنا جثثهـم وهم يرتـدون البيجامات ... » (على لسان مواطنة من رفح ــ ص ٢٤١) .

وتتعرض الكاتبة الى محاولات ابادة الوجـود السياسي العربي في الاراضي المحتلة . فقد صدرت أحكام جائرة ضد كل من حاول تأسيس « أكثـر التنظيمات براءة » وقمعت المظاهرات بالقوة مهما كانت سلمية . وشوهت مناهج التعليم وغير ذلك .

في نفس الـوقت تصف الكاتبـة كيف مارست سلطات الاحتلال غرس الوجود الصهيوني فـي الاراضي المحتلة . وأكثر ما أثار اشمئزازها صورة المستوطنين اليهود الذين أقاموا في بناية الحكم العسكري في الخليل وأقاموا الحفلات قرب غرف السجن على مرأى ومسمع السجناء العرب ، ولعب أولادهم في ساحة المعتقل ، وكان هؤلاء النواة لما عرف بعد ذلك بمستوطنة « كريات اربع » التي اقيمت على ارض العرب في الخليل . وتسجل الكاتبة ان السلطات الصهيونية أقامت حتى منتصف العام ١٩٧٤ أكثر من ٥٠ مستعمرة يهودية في الضفة الغربية والجولان وغزة وسيناء .

وتسجل الكاتبة أيضا عمليات سلب الاراضي ومصادرتها بالقوة وبكل الحيل والوسائل في أنحاء الاراضي المحتلة ، وتذكر ان بعض الذين مارسوا سلب اراضي العرب في المثلث والجليل بعد العام ١٩٤٨ نقلوا بعـد عـام ١٩٦٧ الـى أراضـي « الامبراطورية » الجديدة لكي يستخدموا خبرتهم السابقة في سلب الاراضي ومن أمثلة هؤلاء حاييم كهيتي الذي يمارس سلب اراضي العرب في منظمة بيت لحم . وهكذا لم تسند المهمات الى رجـال الاحتلال وخدمـه بالصدفة ، بل ان « الرجـل المناسب وضع في المكان المناسب ! » .

وتبرز المحامية مدى تعارض كل أساليب الاحتلال هذه ، مع معاهدات جنيف وقرارات الامم المتحدة ولكن في كل مرة حاولت اقتباس هذه المعاهدات أو القرارات في قاعات المحاكم العسكرية ، منعها القضاة من ذلك وسخروا منها .

مقاومة وصمود

تقول فليتسيا لانغر عن العرب انهم « شعب قوي الشكيمة لا يفهم لغة القوة » وفي فصول الكتاب تقدم صورا عديدة من صـور المقاومة والصمود وتنقل الى القارىء الاسرائيلي عكس الصورة التي حاولت وسائط الاعلام الصهيونية رسمها له عن العرب . الكثيرون من المعتقلين وقفوا في وجـه القضاة بعد ان أصدروا الاحكام الجائرة ضدهم وأنشدوا بصوت واحد : « بلادي ، بلادي ! » ، ولم تنقل الصحف الاسرائيلية هذه الحقيقة الى قرائها ، والكثيرون رفضوا طلب اي استرحام من المحكمة التي أعلنوا عدم اعترافهم بها . المعتقل محمد خليل علي حسن ، مثلا ، قال لقضاته : « انني لم أحضر اليكم في تل أبيب ، بل أنتم جئتم الي في نابلس فأنا اذن يجب أن أحاكمكم ! » . (ص ٢١٣) .

الصبي صبحي من رام الله ، قال للمحكمة التي حاكمته على سلسلة من الاعمـال الفدائيـة التي نفذها : « لست مذنبا لادافع عن نفسي ، لقد قمت بواجبي المقدس ... » (ص ٨٠) .

ونبيل قبلاني ، الذي طرد من رام الله الى الضفة الشرقية واعتقل بعـد ذلك خلال عملية

فدائية في عام ١٩٦٩ ، قال لقضاته في المحكمة العسكرية : « لقد طردتموني من وطني عندما كنت رجلا مسالما . علمتموني انكم لا تعرفون الا لغة السلاح ، فعدت الى هنا والسلاح في يدي » (ص ٩٤) . وقال زمـلاء قبلاني في نفس المحاكمة : « اننا لسنا نادمين على ما فعلناه وكل ما يؤسفنا اننا (منذ اعتقالنا) تعرقل عملنا لخدمة قضيتنا العادلة» . وقال بدر دعنه للمحكمة العسكرية في القدس : « كعربي فلسطيني اريد تحرير العرب وتحريركم انتم اليهود، ايضا من الصهيونية والامبريالية ..»(ص ١١١). وقال محمد درويش من قرية العيسوية في قضاء القدس لقضاته ـــ جلاديه: « ... انني أفخر بانتمائي الى فتح . انه لشرف عظيم لي أن أقاتل من أجل وطني وضد الاحتلال الاسرائيلي لارضي ... » (ص ١٦٨) .

هذه أمثلة قليلة فقط لمواقف الصمود التي ترويها المؤلفة . وهي تقف أيضا عند مواقف الصمود التي أبدتها امهات المعتقلين ، مثل ام جابر وأم صبحي وغيرهما . لقد قلن للمحامية عندما علمن ان سلطات الاحتلال مستعدة لاطلاق سراح أولادهن بشرط أن ينزحوا : « قولي لاولادنا اننا نفضل الموت هنا على النزوح » !

ووالدة يوسف عاجوري مثلا قالت للمحامية مبتسمة بعد أن أصدرت المحكمة حكما جائرا ضد ولدها : « عندما تقابلين يوسف في السجن قولي له انني لم أبك . انك لـن تجدي لدي دمعة واحدة » ! (ص ١٢٠) .

وتسجل المؤلفة بطولة الاولاد والشيوخ والنساء في مقاومة الاحتلال ، وتذكر على سبيل المثال ، قصة الطفل رياض امين جابر الذي وضع العبوات الناسفة قرب مبني قيادة الجيش الاسرائيلي في القدس فانفجرت العبوات في يده ومزقته اربا . ولم يكن عمره حينذاك الا عشر سنوات .

وتروي الكاتبة قصة نضال السجناء العرب في السجون الصهيونية ، اضراباتهم وتضامنهم ، ومن جهة اخرى تفضح سلطات الاحتلال في أنها لا تكتفي بالحكم الجائر بالسجن بل تحاول الانتقام من المناضلين بعد سجنهم وتحاول قتل نفسهم . هذا بالاضافة الى استغلالها لهم كقوى بشرية عاملة « لاغناء اقتصاديات اسرائيل » ! وتشغلهم طوال اليوم مقابل عدد من السجائر . ولا يفوت المؤلفة ان تذكر ان سلطات الاحتلال جعلت من المحاكم العسكرية مصدر ربح لها فهي « تستخدم المحاكم للاثراء من الغرامات الباهظة » .

معارضة بعض اليهود

تبرز الكاتبة دور القوى التقدمية في اسرائيل وخاصة الشيوعيين في معارضة الاحتلال وتدعو الى زيادة عددهم . فهي تقول لليهودي العادي الذي تستغله السلطات الصهيونية في حمل السلاح وقيادة البلدوزر ضد العرب وبيوتهم وأرضهم :

« ألا تفكر بمستقبل أولادك في هذه المنطقة ؟ ألا تفكر بالبيت الذي قد يحاولون بناءه هنا وأنت تعمل الان على هدم أساساته بيديك . ألا تعي أن معلميك هم أعداؤك ؟! » (ص ١٣) .

انها تسجل أسماء وأعمال من يمارسون القمع والبطش ضد العرب في الارض المحتلة وتصفهم على انهم يعملون على « توسيع الهوة بين الشعبين » ، وفي نفس الوقت تبرز أعمال القلائل من اليهود الذين قد تؤدي أعمالهم الى « اقامة الجسور بين الشعبين » وهي تريد ان يكون كتابها هذا « خدمة للنضال من أجل فتح صفحة جديدة في العلاقات الاسرائيلية العربية على اساس العدل لكل الشعوب » .

انها تخاطب العربي مبينة له « الوجه الاخر » لشعبها وتخاطب اليهودي شارحة له انه لن تكون له حقوق ومستقبل في المنطقة الا اذا ضمنت حقوق ومستقبل الشعب الاخر . « مقاومة الاحتلال لم تتوقف ولو لدقيقة واحدة . ولكن المحتل خدع ببعض مظاهر السكوت الخارجية ، وهدأ عندما رأى ابتسامة مصطنعة هنا او هناك . ولم يستمع الى هدير البركان تحت السطح ... » وهي تريد هنا تذكير الاسرائيليين انها وغيرها من اليهود التقدميين حذروا من البركان قبل وقوعه كنتيجة حتمية للاحتلال .

وتعرب الكاتبة عن خيبة أملها لان طبيعة المحتل لم تتغير حتى بعد درس اكتوبر وتقول محذرة في خاتمة الكتاب : « ... ان الذين لم يسمعوا الخطوات المقتربة للسادس من اكتوبر والذين تبلد حسهم حتى بعده ، ربما سيفتحون عيونهم في يوم جديد ... في يوم احتلال جديد » .

يوسف حمدان

Edgar O' Ballance, **Arab Guerilla Power 1967 - 1972**, (Faber and Faber, London, 1974).

يقدم هذا الكتاب مساهمة جدية تستدعيها ضرورة كتابة تاريخ فلسطين الحديث . وهو وان كان لا يسد هذه الحاجة ولا يكفيها الا أنه يؤكد ضرورة طرحها كمهمة ، في المدى الراهن وفي المستقبل القريب على عاتق المثقفين الثوريين العرب .

يعتبر ادجار اوبالانس من اشهر المؤرخين المعاصرين المعروفين بالدقة والامانة ورجاحة الرأي العسكري . وقد أرخ لاكثر الحروب المعاصرة ، وله اهتمام خاص بحركة التحرر العربي ، فقد وضع كتبا مهمة في هذا المجال ونذكر منها « الثورة الجزائرية » و« حرب اليمن » و« الحرب الثالثة بين العرب واسرائيل » الذي اعتبر بحق من أهم الكتب التي صدرت عن حرب حزيران وأكثرها انصافا بحق العرب . اما الكتاب الذي نحن بصدده فهو كما يقول المؤلف في المقدمة « عرض شامل لبزوغ وامتداد وتراخي قوة الفدائيين العرب ونشاطاتهم الرئيسية في فترة زمنية تمتد بين عامي ١٩٦٧ — ١٩٧٢ » . وهو يقف في تأريخه للعمل الفدائي عند أحداث ميونيخ في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، لان هذا التاريخ يشكل بنظره بداية مرحلة جديدة استخدمت فيها أساليب مختلفة عن السابق .

وقد عمد المؤلف الى تقسيم كتابه الى عدة فصول مميزة ، بيد ان التداخل القوي بين موضوعاتها يجعلنا نستنتج ان هذا التقسيم منهجي في أساسه ويهدف الى التبسيط . ومن الملاحظ ان هذا الكتاب كتب بطريقة مركزة وكثيفة ، دون ان يترك اية « شاردة او واردة » الا وضمنها كتابه ، ولهذا فان اي عرض للكتاب لا بد وان يراعي هذا الاعتبار ، وبالتالي لا بد وان يصطدم بالصعوبات المعروفة في عرض مثل هذه الكتب التفصيلية التي تعتمد على ايراد اكبر قدر ممكن من المعلومات ، دون اية عملية نقدية تقييمية ظاهرة . الا ان هذا لا يمنع القارىء من اكتشاف موقف المؤلف من خلال ملاحظاته اثناء عرضه للاحداث ومن خلال تقييمه النهائي . لذلك فان من المفيد ان نعمد في المرحلة الاولى الى عرض مفصل للكتاب ، ومن ثم ابداء ملاحظات نقدية شاملة عليه .

يؤرخ اوبالانس في الفصل الاول من الكتاب لنشأة النضال الفلسطيني منذ حرب ١٩٤٨ وحتى حرب حزيران ١٩٦٧ . ويشير الى ان هذه الحرب قد ولدت مشكلتين الاولى المشكلة الفلسطينية السياسية والثانية مشكلة اللاجئين العرب « وان كلا المشكلتين متشابكتان ولا يمكن الفصل بينهما ». ويقول ان غارات الفدائيين تميزت خلال تلك الفترة « بالشمول والفاعلية » ، واثبتت عدم قدرة اسرائيل على حماية حدودها ، مما حملها على مواصلة اتباع سياستها العدوانية ، فعمدت الى ضرب مخيمات اللاجئين القريبة من الحدود في غزة وغيرها . ويذكر اوبالانس ان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر بدأ في تشجيع الغارات الفدائية اثر مقتل ٣٨ مصريا أغارت عليهم القوات الاسرائيلية قرب غزة عام ١٩٥٥ . كما سمح للفدائيين باستخدام مخيمات التدريب التابعة للجيش المصري واصبح الجيش يمولهم ويشرف على نشاطاتهم . وقد أغارت اسرائيل على معسكرات التدريب وقتلت ٤٠ جنديا مصريا وجرحت ٤٠ آخرين . بيد ان الغارات الفدائية على اسرائيل استمرت وشملت الحدود الاردنية . ويذكر المؤلف أن أحد أهداف حملة السويس عام ١٩٥٦ كان القضاء على الفدائيين في قواعدهم قرب غزة (ص ٢١) .

وقد دفع النجاح الاسرائيلي الحكومات العربية الى الحد من نشاط الفدائيين الى أدنى درجة ممكنة (الردع غير المباشر) . ولكن بقي الفدائيون وفكرتهم يسيطرون على اذهان الشباب العربي الصاعد ومخيلاتهم .

وخلال تلك الفترة ظهر العديد من المنظمات السرية التي كانت تدعو لاستعمال العنف لحل المشكلة الفلسطينية ، ولم تقابل هذه الفكرة بالاستحسان من جانب الدول العربية المجاورة لاسرائيل . وقد اختفى معظم هذه المنظمات الى

ان ظهرت منظمة فتح عام ١٩٦٥ . وبالطبع سبق ظهور « فتح » انشاء منظمة التحرير الفلسطينية بموجب قرار اتخذه مؤتمر القمة العربي الاول في عام ١٩٦٤ . وقد سمح الرئيس جمال عبدالناصر لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية الاستاذ احمد الشقيري بانشاء وحدات عسكرية صغيرة اطلق عليها اسم « جيش التحرير الفلسطيني » وكان الهدف من انشاء هذا الجيش ان يكون طليعة للتحرير ، ويشن الغارات المتواصلة على اسرائيل. ويشير اوبالانس بعد ذلك الى ظروف انشاء المنظمة والمصاعب التي اعترضتها ، ثم يتحدث عن منظمة فتح التي يرجح ان تكون قد تأسست في أواخر الخمسينات على يد الطلاب الفلسطينيين المقيمين في الخارج . وهو يذكر منهم ياسر عرفات وهاني الحسن وخليل الوزير. وقد قام الاخير (ابو جهاد) بفتح مكتب فلسطيني في الجزائر ، واستطاع ان يمد نفوذ فتح هناك ، لا سيما بين صفوف الاساتذة الفلسطينيين . وفي رأي اوبالانس ان فكرة « فتح » الاساسية كانت تلخص في كلمتين « تسخين المنطقة » وبالتالي توريط الحكومات العربية في حرب مع اسرائيل ، ولكن المؤلف ينسى او يتناسى ان حركات التحرير تضع أهدافا أشمل وأسمى من ذلك . ويتابع المؤلف بالقول ان حركة فتح اختارت سوريا كقاعدة للعمل ، وأسست الجناح العسكري المعروف بقوات العاصفة . وشن فدائيو العاصفة اولى عملياتهم على أنابيب توزيع المياه قرب مدينة عيلبون في ١٩٦٥/١/١٤ ، وتلى ذلك هجمات على كفرهس في ١٢/٢٨ ، أراد في ٣/٣ ، برامات هاشارون ٥/٢٥ حيث قتل ٣ اسرائيلين كما هوجمت في الليلة التالية العفولة . واعترفت اسرائيل بوقوع ٣١ اغارة خلال عام ١٩٦٥ . وأدت الاغارات الفدائية الى تدهور العلاقات السورية الاردنية نتيجة لقيام اسرائيل بضرب المواقع الاردنية للانتقام بدلا من ضرب الاهداف السورية .

وقد نجحت فتح في كسب تأييد الرأي العام العربي خلال تلك الفترة . وبالرغم من لجوء اسرائيل الى اجراءات احتراسية مثل اقامة اجهزة تحذيرية ، ونصب الكمائن ، وتسيير الدوريات ، فان الاغارات الفدائية استمرت من الاردن ، وثم من لبنان ، وتصاعدت في قوتها وفي التأييد الشعبي لها . ويقدر اوبالانس عدد افراد العاصفة عشية حرب حزيران بـ ٥٠٠ مقاتل . ونظرا للتأييد الشعبي العارم الذي لاقته قوات العاصفة بدأت جماعات اخرى بمحاكاة فتح فنشأت جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة علي بشناق وأحمد جبريل وفضل شرورو ، ثم ابطال العودة وغيرها. وبعد غارة السموع ازدادت العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة فأصبحت يومية . وينهي اوبالانس الفصل الاول بالقول بأن فتح نجحت خلال الثمانية عشر شهرا الاولى من العمل برفع المعنويات الفلسطينية العربية ، وارباك اسرائيل . ولكن النجاح الذي حققته فتح قابلته هزيمة عربية سريعة في الحرب العربية — الاسرائيلية الثالثة .

يبدأ الفصل الثاني الذي يحمل عنوان « السمك والبحر » — وهذا تعبير شهير لماو تسي تونغ — بالقول بأن قرارات مؤتمر الخرطوم ، ومناداة بعض الدول التقدمية بضرورة خوض حرب التحرير الشعبية ، شجعت الفدائيين على القيام بأعمالهم. ثم يتحدث اوبالانس عن احوال منظمة التحرير ومصير جيش التحرير الفلسطيني بعد حرب حزيران ، وكيف تحول قسم من هذا الجيش الى قوات التحرير الشعبية . ويسرد بشيء من التفصيل نشاط حركة فتح في جمع الاسلحة واقامة خلايا داخل الاراضي المحتلة ولا سيما في قطاع غزة . وقد نشطت اعمال المقاومة في الداخل وعلى الجبهة الاردنية مع العدو بحيث أصبح تبادل اطلاق النار عملا يوميا . وكانت اسرائيل تقوم بتدمير المنازل كرد فعل انتقامي ضد كل من يشتبه بأنهم يقدمون المساعدة للمقاومة . ومع مطلع عام ١٩٦٨ ازدادت العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة واضطرت اسرائيل الى استخدام سلاح الجو والمدفعية والدبابات للرد على الغارات الفدائية مما حمل السفير الاميركي في عمان الى التدخل واستطاع ان يتوصل الى وقف اطلاق النار .

ويتطرق اوبالانس الى معركة الكرامة ويصفها بدقة مستفيدا من خبرته العسكرية الواسعة . ويقول ان الاسرائيليين اضطروا الى الانسحاب بعد عجزهم عن التقدم ، رغم تكرار محاولاتهم واستخدامهم لجميع انواع الاسلحة . وهو يعتبر معركة الكرامة علامة بارزة على طريق النضال الفلسطيني وتصاعده ، ويقول ان الملك حسين ،

أجبر على امتداح الفدائيين بعد المعركة وهو لم يكن يريد ان يدخل المعركة الا ان بعض الجنود فتحوا النار خلال القتال مخالفين بذلك الاوامر التي أعطيت لهم . ويذكر المؤلف بأن النصر العربي في معركة الكرامة كان نصرا معنويا . أما بالنسبة لاسرائيل فقد منيت بخيبة أمل ، وتعرضت لموجة من النقد ، ويعود ذلك الى عدم تحقيق أهداف الحملة في القضاء على الفدائيين ، والى الثمن الباهظ الذي دفعته اسرائيل لمغامرتها ، اضف الى ذلك بأن المعركة أحدثت ثغرة في سمعة الجيش الاسرائيلي ، وأثبتت فشل اسرائيل في اجبار الحكومات العربية على الحد من نشاط الفدائيين.

يستهل اوبالانس الفصل الثالث — امتداد الفدائيين — ان معركة الكرامة كانت نقطة تحول مهمة أنهت مرحلتين من مراحل النضال الفلسطيني: مرحلة حرب العصابات الثورية التي لم تنجح ومرحلة الاعداد التي كانت اكثر نجاحا. وقد اشتملت مرحلة الاعداد على اقامة مخيمات التدريب ، وجمع المال والسلاح ، وكسب النفوذ السياسي وحرية الحركة داخل الدول العربية . أما المرحلة الثالثة ، مرحلة التوسع والانتشار ، فقد ظهر فيها الفدائي بلباس الميدان ، وهو يحمل بندقية سوفياتية AK 47 (الكلاشينكوف) وتحيط به هالة من المجد والتأييد وانهالت الاموال من كل صوب ، لدرجة ان فتح استطاعت ان تعوض أهالي الشهداء ، وتشتري المعدات والادوية الطبية . وواكب ذلك تدفق المتطوعين ، فازداد عدد المقاتلين بين ليلة وضحاها من ٦٠٠ قبل معركة الكرامة الى اكثر من ٢٠,٠٠٠ مقاتل .

وخلال هذه الفترة ظهر العديد من المنظمات الفدائية . ويتحدث اوبالانس بايجاز عن نشأة منظمة « الصاعقة » ، و« الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، ويتطرق الى الحديث عن نشاط الجبهة وعملياتها في غزة والقدس ، وعن المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في القاهرة من ١٠ — ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، ثم يتابع موقف الاتحاد السوفياتي خلال تلك الفترة ويقول ان الاتحاد السوفياتي كان يفضل التعامل المباشر مع الحكومات العربية ، وقد أعلن في شهر كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٦٨ بأنه لن يسمح بتجدد القتال في الشرق الاوسط . فالاتحاد السوفياتي ، حسب رأي المؤلف ، كان يفضل الحرب النظامية على حرب العصابات ، لذلك تردد في تقديم العون للمقاومة ، واكتفى بالمناداة بتوحيدها تحت قيادة توافق عليها مصر .

وبعد الامتداد السريع ، مرت حركة المقاومة بمرحلة تعزيز الصفوف وتطوير وسائل الاعلام والمواصلات والحصول على المتطوعين . وسمح لفتح باستخدام اذاعة القاهرة لمدة قصيرة كل يوم. ويقول اوبالانس ان الجماهير العربية كانت تستجيب لاذاعة « صوت فتح » المتشددة التي كانت تعبر عن امانيها وتطلعاتها . ثم يتطرق لقضايا متنوعة مثل الاشبال وتدريبهم ، وأسر الشهداء ، وجمع الاموال . وهنا ينتقد اوبالانس بعض أساليب جمع الاموال لا سيما عن طريق بيع الطوابع ، ولكنه يخطىء عندما يردد بأن الرسائل لم تكن ترسل لاصحابها ما لم توضع عليها الطوابع الفلسطينية. وينسى ان الموظفين في الاردن كانوا يخضعون للحكومة ، وان كان العديد منهم يتعاطف مع المقاومة .

بعد ذلك ينتقل اوبالانس لموضوع العلاقات الفدائية — الاردنية ، ويقول ان الوجود الفدائي في الاردن ازداد نموا بعد معركة الكرامة مما ادى الى زيادة الاحتكاك مع السلطة . ولكن بعض القادة في حركة المقاومة كانوا يعتقدون ان الزمن يعمل بجانبهم ، ولذلك حرصوا على تجنب الاصطدام مع السلطة في الاردن. ومع هذا فقد وقع الاصطدام في ٦٨/١١/٤ ، وكان الصدام في البداية ، مع كتائب النصر المشبوهة ، ثم لم يلبث ان امتد وشمل منظمات مقاتلة اخرى ، وفي النهاية طوق الحادث بعد سقوط عدد من القتلى والجرحى . وقد ترك الصدام ذيولا عديدة ، واتهمت المقاومة السلطة بتدبير الحادث . وكان من نتائج الصدام توقيع اتفاقية بين الجانبين ، وتعهد الفدائيون بالالتزام بالقوانين المعمول بها ، وتراجع الملك حسين بالمقابل عن طلبه بتجريد المخيمات من السلاح ، وضرورة استشارة الجيش قبل القيام بالعمليات الفدائية ، وتلى ذلك تأليف وزارة جديدة ضمت عناصر متطرفة ومعروفة بعدائها التاريخي للحركة الوطنية . وفي نهاية الفصل الثالث يتعرض المؤلف لحوادث خطف الطائرات ، ولعملية الهجوم على مطار بيروت وردود الفعل الدولية في ذلك

الحين ، ويستنتج ان الاغارة جاءت بنتائج عكسية بالنسبة الى اسرائيل وأدت الى تصاعد النشاط الفدائي في لبنان . ولكن المؤلف اغفل ان يذكر ان الجنرال ديغول فرض حظر تطع غيار الطائرات الفرنسية الى اسرائيل على اثر هذه العملية التي استخدم فيها الكوماندوس الاسرائيلي طائرات هليكوبتر فرنسية .

يبدأ المؤلف الفصل الرابع — تصعيد الفدائيين — بالقول بأن حركة المقاومة بلغت ذروة قوتها خلال عام ١٩٦٩ ، ويتطرق الى المجلس الوطني الفلسطيني الخامس الذي عقد في القاهرة في أوائل عام ١٩٦٩، ويقول ان ياسر عرفات أصبح شخصية ذات نفوذ واسع بعد انتخابه رئيسا للجنة التنفيذية .

بعد ذلك يتحدث اوبالانس عن الخلافات التي وقعت داخل صفوف « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » وعن انشقاق الجبهة لعدة تنظيمات مستقلة . كما يتطرق الى مسألة الصراع على السلطة في سوريا ، والى ظروف انشاء « جبهة التحرير العربية » ، والى العلاقات العربية الفلسطينية ، ويعود ليذكر بالموقف السوفياتي المتناقض خلال تلك الفترة ، فقد كان الاتحاد السوفياتي يدعو سوريا ، على حد تعبيره ، لكبح جماح الفدائيين ، ويوعز للحزب الشيوعي اللبناني، في الوقت نفسه ، بدعم المقاومة في لبنان .

وينتقل اوبالانس لشرح نشاط الفدائيين العسكري وردود فعل اسرائيل خلال تلك الفترة ، ويقول ان « فتح » كانت تحظى بنصيب الاسد من هذه العمليات ، وقد أجبرت اسرائيل على الاعتراف بعملياتها اليومية .ويورد المؤلف احتلال قوات العاصفة لبلدة « الحمة » . ويقول أن معركة الحمة اثبتت ان فتح أصبحت أكثر تدريبا وتنظيما وقدرة . كذلك يذكر عملية « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ضد خط أنابيب التابلاين ، وتهديد الملك فيصل بقطع المساعدة على الفدائيين كرد فعل على العملية .

وقد أدى تزايد الغارات الجوية الاسرائيلية الى تبعثر القواعد الفدائية لتلافي الضربات ، ولكن الطائرات الاسرائيلية استطاعت ان تغير على قاعدة لفتح قرب مدينة السلط ، وأن توقع خسائر في الارواح . وخلال تلك الفترة اعتقلت اسرائيل عددا كبيرا من العناصر التي اشتبه بنشاطها في الاراضي المحتلة ، ودمرت العديد من المنازل . وينتقل اوبالانس بعد ذلك للحديث عن تسليح الجيش السوري وتجهيزاته ، وعن الرئيس عبد الناصر وتحفظه النسبي في تأييد الفدائيين لا سيما في البداية ، والتطور الذي طرأ على سياسة الرئيس عبدالناصر فيما بعد .

ويذكر اوبالانس حريق الاقصى ومظاهرات القدس ، فيقول ان الفدائيين تبنوا أسلوب الفيتكونغ في اطلاق الصواريخ خلال تلك الفترة ، وتطرق الى الجبهة الشرقية مشيرا الى ان معظم القوات العربية انسحبت ما عدا فرقة عراقية ولواء سعودي . ولكن العراقيين ارسلوا وحدات اخرى الى الجبهة السورية استجابة لنداء حافظ الاسد وزير الدفاع السوري عندئذ ، ولا ينسى اوبالانس في تأريخه لتلك الفترة ان يذكر « حرب البيانات » Communique War بين « فتح » و« الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، ويذكر بعض العمليات التي كانت موقع خلاف بين المنظمتين . كما يشير المؤلف الى الميليشيا ويذكر تطورها من حيث التدريب والتوعية السياسية ، واستخدامها في جمع الاموال والحصول على المعلومات والمؤن . وعلى الصعيد السياسي يقول اوبالانس ان وفد منظمة التحرير استطاع ان يحصل على مكسب كبير عندما وجهت اليه الدعوة لحضور مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط . ولقد وافقت كل من ليبيا والكويت والسعودية على دفع مبلغ ١١٠ ملايين جنيه استرليني سنويا لمنظمة التحرير (ص ٨٨) . وفي نهاية الفصل ، يلخص اوبالانس حصيلة عام ١٩٦٩ فيقول ان فتح كانت تأمل في تثوير الجماهير الفلسطينية والعربية ولكنها لم تنجح في ذلك ، وان كانت قد كسبت تأييد اليساريين في الضفة الغربية ، وأعطت مثلا يحتذى في الوحدة الفلسطينية .

يتناول الفصل الخامس من الكتاب — « أرض فتح » المراحل الاولى من الوجود الفدائي في لبنان عام ١٩٦٩ . ويقول أوبالانس ان عددا من مقاتلي « فتح » و« الصاعقة » دخلت الى لبنان في شهر تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٦٨ بتشجيع من اللواء فؤاد شهاب . وعلى اثر الغارة الاسرائيلية

على لبنان ، تحركت قوات اخرى من « الصاعقة » و« فتح » الى لبنان ، وتمركزت على سفوح جبل الشيخ . وقد اطلق على هذه المنطقة التي تبلغ مساحتها ٢٠ — ٥٠ ميلا مربعا اسم ارض فتح (Fatah Land). وقد اصبح الوجود الفدائي في منطقة العرقوب قويا لدرجة ان الشرطة المحلية اضطرت الى مغادرة المنطقة. ويذكر المؤلف العرض الذي تقدم به ياسر عرفات لرشيد كرامي ، رئيس الوزراء آنذاك ، لتحصين قرى الجنوب مقابل حرية الحركة للفدائيين ، ولكن السلطات اللبنانية رفضت اقتراحه في ذلك الحين . ومع ان نشاط الفدائيين العسكري كان متواضعا ، فقد نشطت المقاومة داخل المخيمات الفلسطينية في لبنان ، ووقعت خلال تلك الفترة صدامات مسلحة بين السلطة والفدائيين يذكرها المؤلف بالتفصيل ، ثم يتحدث عن لبنان السياسي ، ويذكر أنواع السلاح التي يمتلكها الجيش اللبناني .

وتابع الفدائيون عملياتهم في الجولان والجليل الاعلى وكانت اسرائيل تقوم بعمليات انتقامية مثل الهجوم على قريتي حلتا وعيترون وغيرهما . ولكن النشاط الفدائي استمر داخل المخيمات بالرغم من الحواجز والقيود المفروضة عليه . ويذكر المؤلف بالتفصيل الصدامات التي وقعت بين الجيش والمقاومة في تلك الفترة ، وتدخل سوريا في القتال باعلانها اغلاق الحدود مع لبنان وارسال قواتها للمرابطة على حدوده . وقد أدى التدخل الشخصي للرئيس الراحل عبدالناصر للتوصل الى عقد « اتفاقية القاهرة » التي وقعها العماد اميل البستاني وياسر عرفات . وقد بقيت تفاصيل الاتفاقية سرية . وفي رأي اوبالانس ان اتفاقية القاهرة أرضت الجانب اللبناني عندما أتاحت له مراقبة النشاط الفدائي ، وأرضت الفدائيين بمنحهم حق الوجود على الارض اللبنانية . ولكن اوبالانس يخطىء الحكم عندما يقول ان قوة الفدائيين ونفوذهم في لبنان أصابهما الوهن بسبب الصدامات المسلحة مع السلطة ، ولعدم تأييد الاهالي لهم . فهو ينسى ان كل الشخصيات والقوى الوطنية والتقدمية وقفت موقف التأييد والدعم . ويتابع اوبالانس حديثه المتسلسل ، ويتطرق الى بعض القضايا وأهمها مؤتمر الرباط ، وخطاب عرفات فيه ، ومواقف وزير الداخلية كمال جنبلاط المؤيدة للفلسطينيين ، وحادثة الكحالة ، ومعركة العرقوب ، وقيام الفدائيين بشن الهجمات بعد المعركة مباشرة، واخيرا قيام « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » (القيادة العامة) بعملية ضرب باص طلاب المدارس قرب مستعمرة افيفيم في ٢٤ أيار (مايو) ، والتي أثارت بعض الخلاف ضمن صفوف حركة المقاومة . ويشير اوبالانس في نهاية الفصل الى النشاط السوري على جبهة الجولان ، ويقول ان السوريين صعدوا من ضغوطهم العسكرية خلال تلك الفترة . وفي الثاني من نيسان (ابريل) وقعت أكثر المعارك شراسة على جبهة الجولان منذ حرب حزيران ، وقد أسقطت سوريا خلالها ٧ طائرات ودمرت ٢٥ عربة مسلحة مقابل خسارة طائرتين و١٦ قتيلا .

ويخصص اوبالانس الفصول الثلاثة التالية لمجزرة ايلول او الحرب الاهلية كما يحلو له ان يسميها . وهو يركز في البداية على مقتضيات الحرب ومسبباتها ، مثل عملية خطف الطائرات التي قامت بها « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين »، ومرسوم الملك حسين يوم ٢/١٠ الذي شمل ١١ بندا كانت ترمي الى السيطرة على العمل الفدائي، وقيام الشريف ناصر بن جميل بتأليف الميليشيا من البدو (الشعبة الخاصة) ، ودخول اللواء المدرع الثالث بقيادة زيد بن شاكر للعاصمة ، وهجوم فتح على مركز البادية في جبل الوحدات . بيد ان اوبالانس ينفي ان الملك حسين او الفدائيين كانوا يريدون القتال . فبالنسبة الى الفدائيين ، كان خلع الملك حسين سيؤدي الى صراع بينهم حول من يخلفه . واما بالنسبة للملك فقد كان يشك في ولاء صغار الضباط الفلسطينيين له . وفي ١٣ نيسان (ابريل) تراجع الملك حسين عن بيان ٢/١٠ ونفى ان يكون في نيته القضاء على الفدائيين ، لذلك وافق على ابعاد محمد رسول الكيلاني عن وزارة الداخلية . وفي ٤/١٥ انسحبت القوات الاردنية من العاصمة . وقد أغضب ذلك زعماء البدو . اما بالنسبة الى المقاومة في عمان ، فقد تأسست القيادة الموحدة ، وتم التنسيق بين المنظمات الفدائية ، وفرض عليها شيء من الانضباطية . وخلال تلك الفترة زار ابو عمار روسيا والصين وهانوي حيث التقى بالجنرال جياب . ويتابع اوبالانس سرد مقدمات « الحرب الاهلية » فيذكر زيارة سيسكو ، والمظاهرات الجماهيرية الساخطة التي واجهتها ، وحوادث

الزرقاء وسقوط عدد من القتلى بين صفوف المقاومة، وتعرض الملك حسين ، حسب رواية السلطة ، لاطلاق النار قرب صويلح ، وحجز عدد من الاجانب في فندق فيلادلفيا والاردن (كونتيننتال) والتهديد بقتلهم ما لم يستجب لمطالب الفدائيين مثل : التوقف عن قصف المخيمات ، وابعاد الشريف ناصر ومحمد رسول الكيلاني وزيد بن شاكر . وقد استجاب الملك لذلك ، مرحليا على الاقل ، الامر الذي اثار حنق حشود اللـواء المدرع الثالث الذين أعلنوا بانهم سيدخلون العاصمة ولكن تدخل اللواء مشهور حديثة رئيس الاركان الاردني آنذاك حال دون ذلك. وتلى ذلك تشكيل لجان أردنية ــ فلسطينية مشتركة للحفاظ على حالة الامن . وأعقب ذلك ظهور مشروع روجرز سيىء الذكر الى سطح الاحداث السياسية، وما نتج من خلافات بين الرئيس جمال عبد الناصر والمقاومة وبعض الدول العربية . وقد انعكست هذه الخلافات على الوضع العسكري في الجبهة الشرقية . وبعد زيارة سريعة للقاهرة عاد ابو عمار الى عمان في ٢٧ آب (اغسطس) ١٩٧٠ وحضر الاجتماع الطارىء للمجلس الوطني الفلسطيني . وفي ٢٩ آب (اغسطس) زار الملك حسين القاهرة وأعلن بعدها على شاشة التلفزيون قبول الاردن بمشروع روجرز ، وهدد الفدائيين وطالبهم بعدم التدخل في حـرية الجيش الاردني في التحرك . وينهي المؤلف الفصل بالقول ان خطاب الملك كان بمثابة القشة التي قصمت ظهـر البعير ، فبعد الانتهاء من القاء الخطاب كانت صليات الرصاص تلعلع في سماء عمان .

في الفصل الثامن يواصل المؤلف متابعة سير الاحداث في الاردن ، فيتطرق الى تعيين وصفي التل رئيسا للحكومة ، وما رافق ذلك من اشتباكات كان يتلوها اتفاقـات بين الطرفـين : الحكومة والمقاومة . ويذكر اوبالانس بمواقف وصفي التل المعادية للحركة الوطنية ، ويشـير بالتحديد الى مسؤوليته عن هزيمة الفدائيين . وهنا يوجه المؤلف بعـض الانتقـادات الى المقاومـة مثل فقـدان الاستراتيجية الواضحة Discerrible Strategy وانعـدام الوحـدة بين الفصائـل المختلفـة Lack of Unity ، واختلاف وجهات النظر السياسية . ومع ذلك فان المؤلف يذكر محاولات ياسر عرفات بعد أيلول (سبتمبر) لدمج المنظمات المختلفة ويشير الى أن هذه المحاولات أنقصت عدد المنظمات الى (٥) . ومن الاحداث الهامة التي يتوقف عندها المؤلف مصرع وصفي التل على يد فدائيي « منظمة أيلول الاسود » في القاهرة . ويروي على لسان احد كبار الضباط الاسرائيليين قوله « ان وصفي التل قتل من الفدائيين في عام واحد أكثر مما قتلت اسرائيل في عشرة اعوام » . ويلقي المؤلف الضوء على التغيرات التي حدثت داخل فتح وجيش التحرير ، والتي ادت الى تعيين العقيد مصباح البديري مكان العميد عبد الرزاق اليحيى . وينهي اوبالانس الفصل الثامن بالقول ان عام ١٩٧١ شهد انحسارا في نشاط الفدائيين بشكل عام ، فيما عدا قطاع غزة ، حيث تركز الانتباه الاسرائيلي هناك لعدة شهور .

يخصص اوبالانس الفصـل التاسع للتحـدث بالتفصيل والتسلسل التاريخي عن صمود قطاع غزة في وجه الاحتلال الاسرائيلي . ويقول المؤلف ان اسرائيل عجزت عن تحقيق نجاح يذكر . ويعزو أسباب ذلك الى طبيعة السكان وتململهم وكثرتهم . ويقول ان اسرائيل لجـأت الى أساليب عديدة للقضاء على المقاومة منها : فرض منع التجول مع ما يصاحبه من تفتيش للبيوت ، وهدم المنازل ، وترحيل الرجال عن عائلاتهم ، وتعذيب الاسرى من الفدائيين ، واغراء الاهـالي بالعمل وتحسـين أحوالهم المعيشية . وحاولت اسرائيل ان تقيـم المستوطنات للحد من نشاط المقاومة . ولكن هذه الاساليب فشلت حتى ان الحاكم العربي للقطاع ، والذي كان مواليا لاسرائيل ، رفض بعض الاوامر التي أعطيت له ، مما حمل اسرائيل على عزله واستبداله بضابط اسرائيلي .

في الفصل العاشر والاخير يقول المؤلف ان عام ١٩٧٢ شهد تحولات جذريـة في أساليب العمل الفدائي ، فازداد خطف الطـائرات ، وارسال الرسائل الملغومة . ويشير الى عدد من الاحداث أهمها انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني العاشر في القاهرة ، واعتقال اسرائيل لعدد من الضباط السوريين خلال زيارتهـم للحدود اللبنانيـة ــ الاسرائيليـة ، والانتخابات البلديـة في الضفة الغربية ، وعمليتي مطار اللد ، والجيش الاحمر . وفي نهاية الفصل يشير اوبالانس لعملية ميونيخ وردود الفعل المختلفة التي واكبتها .

في التقييم النهائي لكتاب اوبالانس نجد احكاما متناقضة حول مسيرة الثورة الفلسطينية . فبعد ان يعتبر المؤلف ان الثورة استطاعت ان تكون مبعثا للامل وتجسيدا للوحدة ، وانها استطاعت ان تضع أمام الفلسطينيين في الداخل والخارج هدفا يتطلعون اليه ، نجده يسارع الى القول بأن الثورة فشلت في تحقيق اهدافها كليا . ويعزو اوبالانس ذلك الى الاسباب التالية : ١ — عجز الفدائيين عن استيعاب ماهية حرب العصابات ، ٢ — تعدد فصائل المقاومة وتناحرها ، ٣ — فقدان القائد الفذ الذي يستطيع توحيد كافة الفصائل ، ٤ — فقدان روح المسؤولية . وهنا يلتقي مفهوم اوبالانس للمسؤولية مع مفهوم الحكومات العربية الرجعية التي تريد أن تضع القيود في يد المقاومة وتحد من حريتها .

ويخلط المؤلف بين « فتح » و« منظمة التحرير الفلسطينية » عندما يقول (ص ٢٣٠) ان « فتح » حظيت بقائد سيىء الحظ في بداية عملها ، وهو أحمد الشقيري . اما عن ياسر عرفات ، فيصفه المؤلف بأنه استطاع ان يبقي حركة الثورة حية ، ولكنه يقول ان قدراته العسكرية اقل من موهبته السياسية .

ويبقى الكتاب ، رغم بعض أخطاء المؤلف في تهجئة الاسماء والاماكن العربية ، مرجعا لمن يريد ان يدرس مسيرة الثورة الفلسطينية . بيد ان بعض الملاحظات والاراء الشخصية للمؤلف ، وان كانت قليلة ، قد تضلل القارىء لا سيما الغربي ففيها أحكام جائرة وغير صحيحة ، ولكن خلفية المؤلف العسكرية ساعدتـه على تفهـم الاحداث واعطاء الاراء الصائبة عنها .

ماهر كيالي

سامي حكيم، **اسرائيل والدول الشيوعية** (بيروت ، دار الكاتب العربي ، لا . ت.)

اسرائيل والدول الشيوعية كتاب جديد أنزل مؤخرا الى الاسواق عن دار الكاتب العربي ، التي قدمت قبل ذلك سلسلة من الكتب المشابهة لقدري قلعجـي الشيوعي السابـق والدكتور معـروف الدواليبي رئيس وزراء سوريا ابان الانفصال ، وسعد جمعة رئيس وزراء الاردن خلال هزيمـة حزيران . وهذا الكتاب ، كأي دراسة أخرى لها صلة بعلاقات اسرائيل الدولية ، تكتسب أهمية خاصة ، للطبيعة الخاصة للكيان الصهيوني كجسم غريب مزروع في المنطقة ، يحاول ان يعوض غربته المحلية ، بتحالفاته وعلاقاته الدولية .

يتناول الكتاب وقائع تاريخية يعود بعضها الى ما يزيد على قرن مضى وتشتمل على اخبار ووقائع مأخوذة عن صحف أجنبية ووثائق يسميها الكـاتب سرية بالاضافة الى قدر كبير من الوقائع التي لم يذكر الكاتب مصدرها . وليس من السهل ولا من الممكن التأكد من صحة مصادر الكاتب لان مصادر المعلومات المذكورة غير دقيقة . فكثيرا ما يحيل القارىء الى « وثائق الجامعة العربية » و« وثائق الامم المتحدة » بدون ذكر تاريخ او رقـم لتلك الوثائق ، مما يجعل التحقق من صحة أي واقعة او استشهاد امرا غير ممكن . ولقد كانت الوسيلة المثلى ، مقارنة الوقائع المذكورة في هذا الكتاب بما كان الكاتب نفسه قد أورده في تاريخ سابق عبر مؤلفـين له ، احدهمـا بعنوان « اميركـا والصهيونية » والاخر بعنوان « اسرائيل والدول النامية » ، وكلاهما صادران عن المكتبة الانجلو — المصرية في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ على التوالي .

يحدد الكاتب هدف الكتاب بالكلمات التالية التي وردت على الغلاف « نشأت الصهيونية والشيوعية في بيئة واحدة ، وفق تخطيط مجموعة من المفكرين اليهود تعمل على خطين متوازيين ... وبعد ان وفقت الصهيونية العالمية في القضاء على الحكم القيصري في روسيا ... انطلقت تعمل في كنف

الماركسية ... على انشاء دولة اسرائيل ... وكان الاتحاد السوفياتي والدول السائرة في فلكه اللسان الداعي الى اقامة دولة اسرائيل والمدافع عن حقها في الوجود على حساب الحق العربي » . ويقول الكاتب في مقدمة الكتاب عن العلاقة بين الصهيونية والماركسية « فقد ولدا في جحر واحد وتغذيا من ثدي واحد حتى اذ اشتد عودهما سارا معا في دروب الحياة ... وليس أدل على ذلك من ان ممثل الحزب الشيوعي السوفياتي خطب في احد المؤتمرات الدولية فقال « اذا تعرض الكيان الاسرائيلي الى الزوال ، فان الحزب الشيوعي السوفياتي سيحارب دفاعا عنه وحفاظا عليه ». (ص ٣) ولكن في أي مؤتمر ؟ وأي مكان ؟ واسم الشخص القائل ؟ هذا ما لا يذكره الكاتب .

ان الثدي الواحد الذي تحدث عنه الكاتب عام ٧٤ هو غير الثدي الذي كان عام ٦٧ . والثدي والرعاية يقول عنهما سامي حكيم ١٩٦٧ تحت العنوان « بداية الضلال » ، امريكا واسرائيل ، كلمتان مترادفتان تؤديان في النهاية الى معنى واحد هو السيطرة الاستعمارية ،فالصهيونية والاستعمار رضعا من ثدي واحد وسارا في درب واحد حتى وصلا الى فلسطين العربية في ظلال الرعاية الاميركية » (اميركا والصهيونية ص ٧) . وكان الكاتب قد قال في مقدمة كتابه المذكور « فاسرائيل الحديثة هي ثمرة الصهيونية وكل ثمارها محرمة ، غرستها أيدي ملوثة بالدماء وعدم النقاء ، وتعهدتها بعض الدول وفي مقدمتها اميركا التي عقدت مع بريطانيا اتفاقا عام ١٩٢٤ بشأن ما ادعته من حقوقها في فلسطين ، وسارت اميركا منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم وهي تدعم هذه الحقوق المزيفة بما قدمته وتقدمه من عون منهمر لم يكن آخره هذا التشجيع السافر للاعتداء على الاراضي العربية في الاردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة .. وقد أجملت في صفحات هذا الكتاب قصة التلاحم الاميركي الصهيوني ... » (المرجع السابق ، ص ٦) .

وعن العلاقة بين الصهيونية والشيوعية يقول الكاتب : « الصهيونية والشيوعية اختمرتا في بيئة واحدة ... واستهدف القائمون عليها فكرة السيطرة والاستعمار » (ص ٤) . ولتأكيد فكرته تلك يسوق الكاتب الدلائل الاتية : « ففي بون بالمانيا نشأ موسى هس الاب الحقيقي لليهودية القومية السياسية ... وفي بون ايضا نشأ كارل ماركس ... وجمعت بين هس وكارل ماركس صفات مشتركة هي اولا التنكر للدين ... ثانيا حب السيطرة ، فهس دعا الى سيطرة اليهود ... ونادى كارل ماركس باخضاع المجتمع الى قيادة طليعية ماركسية » (ص ٤ — ٥) . وبالرغم ان الكاتب قد قال قبل أسطر قليلة ان ماركس تنكر للدين .. لقد ساق الكاتب أدلة على « يهودية ماركس التي ولدت معه حتى انه أطلق لحيته وأطال شعر رأسه تشبها بحاخامي اليهود » (ص ٥) . ولكن الكاتب يطلق على فكرته رصاصة الرحمة عندما يقول : « ورأى كارل ماركس ان اليهودية في هذا الاطار تشكل عنصرا معاديا للاشتراكية ولذلك نادى بتحرير الانسانية من اليهودية » (ص ٦) . وبالرغم ان ماركس ساند الحركات القومية في ايرلندا وبولندا ، « ولكنه لم ير في تصرفات اليهود ودعوة زعمائهم ما يشير الى بعث حركة قومية في صفوفهم ... لذلك طالب بحل مسألتهم عن طريق القضاء على النظام الرأسمالي في العالم » (ص ٧) . وتحت عنوان « اليهودية والماركسية معا » يقول الكاتب : « وانطلقت اليهودية تعمل في كنف الماركسية » (ص ٨) ولكن كيف ؟ لانه « ليس من قبيل المصادفة ان يجتمع المؤتمر الصهيوني الاول في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وينشأ في ذلك الوقت بالذات « الاتحاد العام للعمال اليهود » ... (البوند) وكان ذا ميول ماركسية متطرفة » (ص ٨) . ولكن ما هو موقف لينين ؟ (ص ٩) يقول الكاتب انه عبر عن موقفه من القومية اليهودية بالآتي « هي رجعية كليا لا عندما يدعو لها دعاتها الصرحاء ولكنها كذلك عندما تنطلق من شفاه هؤلاء الذين يحاولون ان يمزجوها بأفكار الديمقراطية الاجتماعية ان فكرة القومية اليهودية هي ضد مصالح البروليتاريا اليهودية لانها تروج في صفوفها مباشرة او بشكل غير مباشر روحا معادية انها روح الغيتو » (ص ٩) . وينقل الكاتب عن ستالين رأيا مشابها لرأي لينين هذا ... « ولكن اليهود رغم هذا الموقف استمروا في تأييدهم لدعوة لينين ... لتقويض الكيان القيصري » (ص ٩) . بل وان « اليهود وراء الثورة » فقد « ذكرت مجلة فرنسا القديمة في عددها ١٦٠ أسماء بعض المصارف اليهودية التي

زودت ثورة البلشفيك بالمال » (ص ١٠ — ١١) . واذا كان الكاتب قد اعتبر العلاقة « الجغرافية » بين وجود هس وماركس في بون ، كسبب ودليل لعلاقة الصهيونية والشيوعية ، فلقد استند الى علاقة « تاريخية » هذه المرة حيث ربط بين « وعد بلفور الذي صدر يوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، واندلاع الثورة الروسية التي هلل لها اليهود في كل مكان ... » (ص ١٠) . ويؤكد على ذلك « بالغاء جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود » (ص ١١) اذ « لا مكان للاضطهاد القومي في جمهورية روسيا السوفياتية ، حيث أعلن مبدأ تقرير المصير للجماهير الكادحة ، ان عدونا هو البرجوازي اليهودي ليس لانه يهودي بل لانه برجوازي » (ص ١٢) و« ان الحركة اللاسامية والمذابح الموجهة ضد اليهود تهدد بالقضاء على مصالح ثورة العمال والفلاحين ... » (ص ١٢) . ولكن الكاتب يقول مباشرة بعد ذلك « يتضح مما سبق ان الثورة الروسية ووعد بلفور ولدا معا في جحر الصهيونية » (ص ١٢) ويسوق أدلة بأنه « تم نقل اليهود من المناطق الغربية التي كانت مهددة بالغزو الهتلري الى منطقة الشرق الآمنة... حتى بلغ مجموع من انقذتهم الحكومة الروسية من الزحف الهتلري مليونين من اليهود » (ص ١٤) ، وستالين الذي كان معاديا لليهودية في ص ٩ اصبح « مؤيدا للبرنامج الصهيوني » في ص ١٤ . ولكن ما هو الدليل ؟ « زوجته الثالثة روزا هي شقيقة اليهودي لازار ... » وفضلا عن ذلك فان ستالين ومن قبله لينين كانا يتحدثان باللغة اليديشية » (ص ١٤) .

والان ما علينا سوى التساؤل ، اي رأي علينا أن نصدق من الآراء المتناقضة التي أدلى بها الكاتب . فهو يقول ان الصهيونية والماركسية « ولدا في جحر واحد وتغذيا من ثدي واحد » (ص ٣) وفي الوقت نفسه ينقل الكاتب راي كارل ماركس القائل « بتحرير الانسانية من اليهودية » (ص ٦) ورأي لينين عن فكرة القومية اليهودية بأنها « ضد مصالح البروليتاريا اليهودية لانها تروج في صفوفها مباشرة أو بشكل غير مباشر روحا معادية . انها روح الغيتو ») ص ٩ (وستالين الذي « ردد هذا الرأي عام ١٩١٣ في دراسته المعروفة عن الماركسية والمسألة الوطنية » (ص ٩)

أم أدلة الاتهام التي ساقها الكاتب وهي : نشأة ماركس وهس في مدينة واحدة (ص ٤ — ٥) ، ويهودية ماركس بدليل « انه أطلق لحيته وأطال شعر رأسه تشبها بحاخامي اليهود » (ص ٥) ، واكتشاف الكاتب ان لينين قد ولد من أبوين يهوديين (غير صحيح) وصدور وعد بلفور وقيام الثورة الروسية في تاريخ واحد ، ونقل اليهود « الى مناطق آمنة من أمام الغزو الهتلري وبالتالي انقاذ مليونين من اليهود » وغيرها من الدلائل المشابهة .

ان هذه الادلة الهشة والتي يسوقها الكاتب لاثبات العلاقة بين الصهيونية والماركسية لا تثير سوى الضحك ، فالعلاقة بين حركتين سياسيتين في حجم الماركسية والصهيونية ، لا يمكن ان تقاس بطول شعر ذقن ورأس كارل ماركس الشبيهة بحاخامي اليهود !!... وبالاضافة الى هذا فان ادلة الكاتب هذه تتناقض مع نفسها ومع الآراء التي كان قد نقلها عن لسان ماركس ولينين وأنجلس .

سؤال آخر نوجهه للكاتب : هل هو ضد قرار الثورة السوفياتية الذي صدر يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٧ بالغاء جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود (ص ١١) ؟ وهل هو ضد حماية اليهود من الغزو الهتلري، حيث يقول « اتضحت صورة هذا التحالف الصهيوني الشيوعي عندما تم نقل اليهود من المناطق الغربية التي كانت مهددة بالغزو الهتلري الى منطقة الشرق الآمنة .. حتى بلغ مجموع من انتذتهم الحكومة الروسية من الزحف الهتلري مليونين من اليهود » (ص ١٤) ؟ اذا كان هذا هو رأي الكاتب فليأخذ علما ان الثورة الفلسطينية أيضا هي ضد ابادة اليهود ، ونحن مع حق اي انسان في الحياة بغض النظر عن دينه، فنحن الذين نقاتل من اجل الحياة لا يمكن ان يكون موقفنا حرمان أحد منها . وانتقاد الكاتب لماذا لا يوجهه للحكومات العربية التي ما زال يقيم بين ظهرانيها العديد من المواطنين العرب اليهود . وقطعا فان الكاتب لم يسمع بعد بشعار الثورة الفلسطينية باقامة الدولة الديمقراطية .

ولكن اذا كان الكاتب قد غالط نفسه بنفسه على مدى ١٥ صفحة فقط وخلال فصل واحد بالقدر الذي سبق ايضاحه ، فما هو رأي سامي حكيم ١٩٦٧ ، وسامي حكيم ١٩٦٦ بسامي حكيم ٧٤ ؟ لنقف أمام الفقرات التالية التي وردت في

كتابه « اميركا والصهيونية » لنكتشف من أي ثدي رضعت الصهيونية ومن هو شقيقها بالرضاعة ؟ يجيب الكاتب « فالصهيونية والاستعمار رضعا من ثدي واحد وسارا في درب واحد حتى وصلا الى فلسطين العربية في ظلال الرعاية الاميركية » (ص ٧) . وعن كتابه يقول : « وقد أجملت في صفحات هذا الكتاب قصة التلاحم الاميركي الصهيوني » (المقدمة ص ٦) . ويذكر الكاتب قيامهم « بارتكاب جريمة تهتز لها الدنيا فاشتركوا عام ١٨٨١ في اغتيال ألكسندر الثاني قيصر روسيا حتى يكون هذا الحادث وسيلة فعالة لاضطهادهم والتنكيل بهم ، وكان لهم ما أرادوا ، واذ نزل الغضب بساحتهم بوصفهم مجرمين محتالين أفاقين ، مما دفعهم الى الهجرة الى أوروبا الغربية واميركا » (ص ٨) . ولكن اذا كان التنكيل يخدم غرض الصهاينة بدفع اليهود الى الهجرة كما يقول الكاتب ، أليس الشيء الطبيعي ان نعتبر قرار الحكومة السوفياتية في ١٥ نوفمبر ١٩١٧ « بالغاء جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود » (سامي حكيم ٧٤) (ص ١١) متناقضا كليا مع أهداف الصهيونية التي لا تتحقق الا بجو التنكيل باليهود ، والتي وصلت لدرجة (كما يقول سامي حكيم ٦٧) قيامهم باغتيال قيصر روسيا لاشاعة هذا الجو « جو التنكيل يخدم اغراض الصهيونية .. والشيوعيون يلغون جميع القوانين ذات الطابع التنكيلي » . أليس هذا دليلا كافيا يسوقه الكاتب نفسه لتأكيد تناقض قرارات حكومة الثورة مع أهداف الصهاينة ؟ ألم ينقل الكاتب نفسه عن أحد أعضاء المؤتمر اليهودي الاميركي قوله « ان مثل هذا الاضطهاد بركة ، وشيء من اللاسامية ضروري لتعزيز الكيان اليهودي » (سامي حكيم — اسرائيل والدول النامية — ديسمبر ١٩٦٦ ، ص ١٤١) ؟ بعد هذا هل يبقى سامي حكيم ٧٤ مصرا على ان الكلام الذي ورد في بيان للحكومة السوفياتية بتاريخ ٢٧ يوليه ١٩١٨ عن لا مكان للاضطهاد القومي في جمهورية روسيا السوفياتية الاتحادية وان الحركة اللاسامية والمذابح الموجهة ضد اليهود تهدد بالقضاء على مصالح ثورة العمال والفلاحين وهو يدعو الشعب الكادح في روسيا الاشتراكية الى مقاومة هذا الشر بكل الوسائل الممكنة » و« الى اتخاذ الاجراءات التي من شأنها أن تقضي بصورة فعالة على الحركة اللاسامية من جذورها ... » (سامي حكيم ، ٧٤ ، ص ١٢) كان لخدمة غرض الصهيونية .. أيهما أصح ؟ شيء من اللاسامية « بركة » كما يقول حكيم ٦٦ أم نقمة كما يقول سامي حكيم ٧٤ ؟ ليستقر لنا الكاتب على رأي .

ولنمض قليلا مع سامي حكيم ٦٦ و ٦٧ لنكتشف الثدي والجحر الذي عاشت عليه الصهيونية ومن هو شقيقها بالرضاعة ؟

عقد المؤتمر الصهيوني الاول يوم الاحد ٢٩ أغسطس عام ١٨٧٨ في مدينة بال بسويسرا ، وأعلن فيه هرتزل « وضع حجر الاساس للبيت الذي سيأوي اليه الشعب اليهودي ، والقيام بنشاط للحصول على موافقة مختلف الحكومات لتنفيذ هدف الصهيونية » (ص ٩ ، اميركا والصهيونية) . ولكن ما هو المكان المناسب للبيت ؟ يجيب سامي حكيم في عام ١٩٦٦ بكتابه « اسرائيل والدول النامية » على لسان ناحوم جولدمان ، انها فلسطين . ولكن لماذا ؟ « لان فلسطين هي ملتقى الطرق بين اوروبا وآسيا وافريقيا ولانها هي المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية والمركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم » (المصدر المذكور ، ص ٤) . ويضيف الكاتب معلقا « وما تقوم به اسرائيل الان في دول آسيا وافريقيا هو تنفيذ لما صرح به ناحوم جولدمان ويكشف القناع عن هدف الترابط السياسي والمالي بين الدول الاستعمارية ومؤسساتها الاقتصادية وبين اسرائيل » (المصدر السابق ، ص ٢٤) . ولكن من هي الدول الاستعمارية التي تحدث عنها سامي حكيم ٦٦ وما هي مصالحها وما هو تصورها وماذا صنعت ؟ يجيب الكاتب « وتعاونت الصهيونية مع الاستعمار على تحقيق هذا المطمع عندما وضع خبراء من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال واسبانيا وايطاليا في سنة ١٩٠٤ التقرير الذي قدموه الى رؤساء وزاراتهم . وجاء في هذا التقرير ان الخطر على الاستعمار يكمن في البحر المتوسط صلة الوصل بين الشرق والغرب وفي حوضه مهد الديانات والحضارات ... ويسكن في هذه المنطقة شعب واحد تتوافر له من وحدة تاريخه ولغته وآماله كل مقومات التجمع والترابط ، وما دامت قد تكاملت لهذا الشعب كل هذه

المقومات علاوة على ثرواته الطبيعية ونزعة أهله الى التحرر فلا بد ان تحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية وعندها ستتبخر احلام الاستعمار . ولذلك فعلى الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على ابقاء وضع هذه المنطقة جزءا متخلفا وعلى ابقاء شعوبها على ما هو عليه من تفكك وجهل » .

وبعد ان يثبت الكاتب (عام ٦٦) وحدة اهداف الاستعمار والصهيونية منذ عام ١٩٠٤ ، وعدد الدول المستفيدة من المشروع الصهيوني يتعرض الكاتب لسير الامور بعد ذلك بقوله : « ومع دخول امريكا الحرب ، كانت اذهان المهيمنين على شؤون الحكم في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا محشوة باحلام الصهيونية حتى أن فرنسا وبريطانيا اتفقتا في معاهدة سايكس بيكو على بعض الامور من بينها ان تكون فلسطين تحت سيطرة الادارة الدولية بعد فصلها عن سورية ليتسنى تهجير اليهود اليها والاستيطان فيها توطئة لاقامة الدولة اليهودية فيها » (امريكا والصهيونية ، ص ١٢٠) ولكن اين هو الدور المحدد لبريطانيا ، والولايات المتحدة ؟ يقول الكاتب (... « وصل الى امريكا يوم ٢٠ ابريل ١٩١٧ ارثر بلفور وزير خارجية بريطانيا فالتف حوله زعماء اليهود وعلى رأسهم برانديز قاضي المحكمة العليا واعربوا عن تأييدهم للمطالب الصهيونية كما أن الرئيس ويلسون وعد بتقديم كل عون في هذا المضمار ... وبعد أن تحقق بلفور من تأييد ويلسون واهداف الصهيونية أذاع اثر عودته الى لندن في مايو١٩١٧ (هذا التاريخ سابق لقيام الثورة الروسية) تصريحا اوضح فيه تأييده لاطماع اليهود في فلسطين » ... ثم « اتفقت في النهاية كلمة المتآمرين السفاكين السفاحين على اصدار التصريح البريطاني الذي عرف باسم وعد بلفور يوم ٢ من نوفمبر ١٩١٧ » المصدر السابق ص. ١٤ . وانتهت الحرب و« انعقد مؤتمر الصلح في باريس يوم ٨ من يناير ١٩١٩ برئاسة ويلسون ، واعترف بفصل البلاد العربية عن تركيا و... قرر انها بحاجة الى الاستشارة الادارية ومساعدة دولية وهيئة دولية تقوم بالاشراف على شؤونها ... اذن أين تحرير الشعوب واين حق الشعوب في تقرير مصيرها واين الاستقلال » سامي حكيم ٦٧ ص

١٦ . وعن ما حققه اليهود في المؤتمر المذكور يقول الكاتب « ان اليهود فوجئوا مفاجأة مدوخة من جراء ما احرزوه على حساب العرب ... وعكست الصهيونية ما ارتكبته في فلسطين العربية بتأييد كريه من امريكا عندما تقدم وفدها في فبراير ١٩١٩ الى المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح بمذكرة طالب فيها بانشاء دولة يهودية في فلسطين » (المصدر السابق ص ١٧) .

ولكن ماذا بعد ذلك : يقول سامي حكيم ٦٦ « واعظم المصائب ان يقر مؤتمر الصلح ما لا يقره العرب .. اذ قرر المؤتمر ارسال لجنة الى الديار العربية للوقوف على رأي شعبها » . و« عقد الفلسطينيون في ديارهم اجتماعا قرروا فيه رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية » . و« لقد اتضح للجنة ان الشعور العدائي ضد الصهيونية غير قاصر على فلسطين ... ولا ينبغي لمؤتمر الصلح ان يتجاهل ان الشعور ضد الصهيونية .. بالغ الشدة » . و« البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا بالقوة المسلحة » (المرجع السابق ص. ١٨ — ١٩) .

ولكن ماذا كان موقف المؤتمر ورئيسه ويلسون يجيب الكاتب : « وتنكر المؤتمر العتيد لهذا التقرير اذ خضع لرأي ويلسون الذي رفض كل محتوياته ... ومضى المؤتمر في وضع خريطة جديدة للوطن العربي يقسمه ويوزع ارضه اسلابا وغنائم بين فرنسا وانجلترا واليهود » . (المرجع السابق ١٩) . والنتيجة « وافق المجلس الاعلى على منح بريطانيا الانتداب على فلسطين تأييدا لمطالب الصهيونية وكانت موافقة امريكا على هذا الانتداب نتيجة خطة ورغبة وتصميم ، لان الصهيونية في نظر امريكا في حاجة الى دولة تساندها مساندة سافرة حتى تتمكن في هذه المرحلة من تحقيق اهدافها » (المصدر السابق ص. ٢٠). ويتساءل الكاتب،اي مصير كان يحيق بالفلسطينيين لو أنهم انضموا الى صفوف الاعداء ؟ هل سيكون مصيرهم أسوأ من المصير الذي قذفهم اليه الرئيس ويلسون بعد أن وضع يديه في ايدي الصهيونيين ليحقق لهم غاياتهم الخبيثة ؟ . (ص. ٢١) .

ان المقدمة الخاطئة التي بدأ بها الكاتب كتابه عكست نفسها على كل فصول الكتاب

الاخرى والتي تعرضت لمراحل اخرى من العلاقات، وكان الكاتب يجيب على نفسه بنفسه من خلال كتابيه اللذين اشير لهما سابقا . فكل فكرة سجلها الكاتب تجد نقيضها في كتابيه الاخرين ، وكأن الكاتب قد قام فقط باجراء تبديل في أسماء الاطراف التي تحدث عنها في الاعوام ٦٦ و٦٧ ، مع الاحتفاظ بالافكار الاساسية كما هي ، بحيث أصبحت روسيا هي المقصودة في العام ٧٤ بعد أن كانت الولايات المتحدة عامي ٦٦ و٦٧ .

السؤال الذي يطرح : لماذا هذا الكتاب ؟ وما هو موقفه مما يجري في المنطقة . هل هو انعكاس لجهل الكاتب ، أم يعكس درجة عالية من الوعي الهادف وجزء من حملة واعية ومدروسة تتعرض لها المنطقة لتخريب علاقاتها الدولية ، ووضعها في اتجاه خاطىء مما يخدم في النهاية مصالح القوى المعادية؟ لان الترويج لفهم خاطىء سيقود بالضرورة الى سياسة خاطئة ستؤدي بنا الى خسارة اصدقائنا الحقيقيين .

ان تحالف قوى الخصم حريص كل الحرص على تقطيع اواصر علاقتنا الدولية ، وموقفه المعلن بطرد الوجود السوفييتي من المنطقة كشرط لتحقيق الانسحاب الاسرائيلي ، خير نموذج لسياسته تلك لفرض شكل معين من العلاقات الدولية على الدول العربية .

ان أخطر المظاهر التي اتخذتها تلك السياسة تمثلت في المحاولات المستمرة لخلق رأي عام عربي متبن لوجهة النظر تلك وغير حريص على استمرار العلاقات مع المعسكر الاشتراكي حيث تمثلت تلك السياسة بالحملات المستمرة على العلاقات العربية السوفييتية ، ونسف الاساس الذي تقوم عليه، بتشويه الدور الذي لعبه المعسكر الاشتراكي في دعمنا وتأييدنا في وجه الحملة الامبريالية — الصهيونية . ولقد كانت تلك المحاولات ذكية بحيث تحاول أن تستنفز في المواطن مجموعة من القضايا المقدسة ، وخلق تصادم بين تلك المقدسات والتحالف مع السوفييت والمعسكر الاشتراكي .

لقد تدرجت تلك المحاولات من مستوى لاخر ، على ضوء الاهداف المرسومة لتلك الحملة ، بحيث نستطيع ان نعتبر ان الحد الادنى لها ، انما هو في وضع الموقف السوفييتي والامريكي من قضايانا في (سلة) واحدة ، وان للمعسكرين الموقف نفسه من قضايانا المصيرية ، والحد الاقصى الذي تحاول تلك الحملة الوصول اليه في « ممايزة » الموقف الامريكي عن الموقف السوفييتي وتكون قد وضعت دول المنطقة موضوعيا على طريق تحالفات جديدة ذات طابع مختلف كليا عما سارت عليه الامور حتى الان ، وبمجرد تحقيق حتى الحد الادنى لتلك الحملة ، فان ذلك يعتبر انجازا كبيرا ، لان الولايات المتحدة ، ليس لها ما تخسره من سمعة، ومساواة الصديق بالعدو ، هو في حد ذاته مكسب للعدو .

لقد اتخذت تلك الحملة أشكالا مختلفة ، وعبر عنها بوسائل مختلفة ، فمن كتب ودراسات تاريخية وسياسية تحاول ان تستعيد الى ذاكرة القارىء كل الامثلة السلبية لموقف المعسكر الاشتراكي ، وبحيث تبنى على حقيقة واحدة ، مجموعة كبيرة من الاكاذيب ، مع خلق اكبر قدر من عدم التوازن بين المقدمة والنتيجة ، الى محاولات تبييض وجه الامبريالية الامريكية ورسم صورة متفائلة ايجابية لمواقفها ، وبحيث تلقى الاضواء وبكثافة على أي موقف ايجابي تتخذه تلك الدولة حتى ولو كان صغيرا . ولعل اوضح مثال على ذلك محاولة احد الكتبة تثبيت نظرية تقول بأن الموقف الامريكي معرض للتبدل ، من خلال الاستشهاد بالموقف الامريكي في مجلس الامن الذي ادان في احدى المرات ، العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان .

حسين ابو النمل

ثقافة

الياس خوري

تلك صورتها
وهذا انتحار العاشق

يتابع محمود درويش في قصيدته الجديدة *، محاوراته لصياغة الحلم الفلسطيني ، عبر انسياب اللغة الشعرية وانفجاراتها . بين الندى والانتحار يقف المتكلم الغائب على عتبة الانفجارات ، يرسم بلهب الدماء خريطة الوطن ، انطلاقا من جسده ومن الزمن الذي يرسمه الموت والدم . فالشعر عند محمود درويش هو محاورة للواقع ، واعادة صياغة لعلاقاته . فالزمن الفدائي هو زمن جديد يعطي الاشياء مقاييس جديدة داخل علاقة الشاعر بالقصيدة والوطن . الاساسي في هذه القصيدة هو كونها استكمالا متقدما لعلاقة الزمن بالمكان الفلسطيني ، حيث يأتي وعي الشاعر من داخل لغة الايقاع الشعرية ليصبح نقطة تقاطع العلاقة، وليعيد ترتيب المكان الفلسطيني في زمنه الذي يتوحد بالفعل المقاتل . محاولة التوحيد هذه التي بدأت في « احبك او لا احبك » ثم اتسعت في « الخروج من ساحل المتوسط » تأتي هنا لتجسد محطتها الاساسية ، فالوعي الفني الفلسطيني حين يتحلق حول الارض — المكان ، بنبرة مليئة بالحنين ، فانه يهيء للفعل التاريخي . لذلك يأتي هذا الفعل ليكثف الوعي ويجعله يتحلق حول الانسان ، الذي يقوم بدوره باعادة صياغة للزمن. بين الندى والانتحار ، بين الارض ونقيضها الذي يعيد لها المعنى ، يقف المتكلم الغائب ، في اكثر محاوراته مأساوية واستدارة ، ليرسم اطارات الحركة ، وليصبح وعيه ذاكرة جماعية ، تلتقط من اليومي المباشر ، لحظة الامتداد نحو زمن عربي . فيأتلف صوت البحث التشكيلي واعادة نسج العلاقات بصوت الفعل المأسوي وهو يتقدم من وعي اللحظة الى وعي التاريخ .

المتكلم الغائب

« واريد ان اتقمص الاسوار :
قد كذب النخيل عليه . اشهد انه وجد الرصاصة
انه اخفى الرصاصة
انه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار ».

في ثلاث محاورات بين صيغتي المتكلم والغائب ، يفتتح درويش قصيدته وهو يحاكم الطبيعة والزمن، ليشهد ضد البداية والنهاية ويمتد الى نهاره الذي تصنعه الممارسة . في لعبة الضمائر والحوار المستحيل هذا ، تنطلق اللغة الشعرية الى تداعيات داخل الذات . تقسم الذات الى نقيضين ، موقفين متحاورين ، لا يوحدهما سوى اللهب الموسيقي الذي ينفجر في نهاية القصيدة وكأنه الحركة الاخيرة في ايقاع الموت — الحياة . هذين الموقفين اللذين يقسمان الذات يكشفان الموضوع من داخل جدل الحوار . لا يضع درويش مساحة بين الذات والموضوع ، فالموضوع هو الحركة الداخلية التي تقسم الذات وتعيد توحيدها . لذلك لا موضوع للقصيدة خارج حركتها الداخلية ، ولا وجود للايقاع خارج استداراته التي تستطيع ان تلخص حركة الصراع في لغة مباشرة ومعقدة ، حادة ومستديرة. لذلك ، فيما يتقدم درويش في تجريبيته الفنية ، يستعيد شعره بأسره . يلخصه داخل محاور

* محمود درويش : **تلك صورتها .. وهذا انتحار العاشق** . مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

المستقبل ، ويفتح مستقبله على فضاء شعري بغسير مقدمات . هنا نجد الاصوات الدرويشية وهي تتدرج من المباشر الى الغامض ، من الخط المستقيم الى الحركة الداخلية التي توحد الخطوط حول اكثر من مفصل ولحظة . الغنائية تمتزج بالصوت الدرامي ، والسرد الشعري يختلط بالزمن المقبل ، ويصبح المكان الفلسطيني في مجاري المستقبل . انه ليس مكانا يحتله الغزاة ، انه نفي كامل للغزاة ، فيما هو محاولة لاعادة شحن المكان بالدلالات .

بين الصوتين المتحاورين ، الشهيد والشاعر ، الشاعر والشاعر ، القصيدة والشاعر ، تقع بنية القصيدة التي لا تتقدم الا لتستعيد ثم تعود الى الوراء حتى تتوحد بالنحن . نحن المستقبل الثوري الذي يصبح العاصفة والفعل المغير . نحن مستقبل المكان وعنوان الزمن الجديد . لذلك يخاطبهاوينفصل عنها ، يكتب القصيدة ويحاكمها ، يرتديها ويخلع الزمن ، ثم يخلعها ويرتدي الزمن ثم يتوحد في لهب الشعر وقد ابتعد عن كونه جمرا ، ليصبح حريقة .

في شعره القادم من الاسوار ، كانت العلاقة بسيطة ، نحن وهم . نحن الذين اغتصب وطنهم ، وهم الغزاة الذين يدفعوننا الى الثورة . كان الخط المستقيم هو اطار المعادلة الغنائية ، المأساوية والحزينة . وفي هذه القصيدة هناك نحن وهم . لكن التركيز هو على نحن على « الفرق بيني وبيني » في هذا الفرق تنقسم الذات الى متكلم وغائب ، ويأتي الانتحار مدخلا الى الوحدة التي تحيل الارض الى جزء من الانسان :

« وصرت أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيد

انا الشظايا والهدايا

ارتديك واخلع الايام » ...

من داخل الانتحار ، ترتفع التساؤلات ، ويحاول الشاعر محاكمة العالم من خلال محاكمته لشعره . يوحد الموضوع بالشكل ويسأل الواقع عن أجوبته . فالقصيدة لا تزال في الخارج ، والجسد لا يزال في العراء : ـ

« انا ضد المدنية

في زمان الحرب غطتني الشظية

في زمان السلم غطاني العراء » .

هذا الزمن الذي يتداعى في تضاداته ، الحرب ــ السلم ، الشظية ــ العراء ، هو الزمن الذي يفتح افق محاكمة الواقع ارتباطا بنقطة الدم التي تصل الشاعر بواقعه . « الدروب اليك حبل من دمي » . لكنه يعود من جديد الى محاكمة الواقع . فالزمن الفلسطيني ليس فقط ، زمنا فلسطينيا ، انه زمن عربي ، وحين لا يستطيع دفع الواقع العربي الى موقعه ، يحاكمه بحبل الدم وباعادة النظر في مسلماته :

« انا ضد القصيدة

غيرت حزن النبي ولم تغير حاجتي للانبياء »

ثم تنكفيء القصيدة على نفسها ، تلتف في محاولة لاعادة صياغة الحلم الفلسطيني ، تتمسك بالبديل ــ الارض . وتعيد شحنها بالواقع الجديد الاتي على ايقاع الثورة : « لي وجه يحاول ان يراني » .

بين صيغتي المتكلم والغائب ، تقع الفواصل التي يقيمها درويش لقصيدته ، انه ينتقل من صيغة الى اخرى ، يخاطب ويتأمل ، يخرج من ذاته ويمتد الى الحركة الخارجية بكل صيغها ، يحاور البحر والشجر والنخيل ، ثم يعود ليتوحد بالنحن . هنا ، نصل الى مسرح شعري متكامل ، يضج بالابطال والمواقف . لكن القصيدة تختزل المواقف ، وتركز على الحركة . الحركة الداخلية هي في حوار يستطيع ان يمزج عناصر الطبيعة بالذات ، وان يعيد رسم معادلة الخروج من الاسار الرومانسي الى العلاقات الواقعية . فالعلاقة بالارض ليست مباشرة ، انها تمر عبر الموت والانتحار . لذلك ليس هناك بداية او نهاية ، هناك حركة لا تنتهي . وعي الواقع لا يعني تجميده ، بل فهمه في حركته ، وحركته الى الامام لا تتوقف ولا تنتهي :

« انا ضد العلاقة

ان تكون بداية الاشياء دائمة البداية

انا ضد النهاية

ان يكون الشيء اوله واخره واذهب ... »

الايقاع داخل جدل الحوار

حين يقيم درويش مسرح قصيدته ، فانه يضع لحركة ابطاله محطات تتكيء على مستويين : ــ **البنية الموسيقية** التي تستطيع الانتقال من ايقاع

الى آخر من أجل ان تشحن الحوار بمحطات تعيدنا الى منطلقاته « اخرجي من اي ضلع — خنجرا او سوسنة » . **والحوار المتدرج** الذي يستطيع الانتقال في الحالتين من مستوى الى اخر، بسرعة، تجعل الجدل جزءا من شخصية واحدة تحاور نفسها . اي تنقل جدل العناصر الى داخلها ، وتبدأ في الامتداد صوب بعضها مختزلة المراجع الواقعية — السياسية في كثافة بالغة الغنى . فحين « تبدأ الارض من يديه » يأتي صوت الشاعر ليقطع التسلسل المنطقي بمقطعين غنائيين مباشرين منتقلا الى وزن آخر ومركزا على أكثر العناصر مباشرة . أي انه حين يستعيد « يوميات الجرح الفلسطيني » هنا ، يستعيدها في سبيل كسر الايقاع والعودة اليه بحركة مختلفة . فتتقدم الحركة ، ويتسارع ايقاع الحوار ، حتى نصل الى توحد الصوتين وهما يتوازيان ، هنا تصل القصيدة ذروة بساطتها وتعقيدها . بساطتها : لانها تستعيد من الذكريات أبسط الاشياء الحميمة في انحياز فلاحي الى العلاقة « قهوة الصبح ، الرغيف الساخن ، النهر الجنوبي ، الاغاني . ونصل الى صور شعرية بالغة البساطة ، تحاذي الصور الرومانسية وتتجنبها « حين تتكيء البيوت على المساء » ، وتعقيدها : لانها توظف هذه البساطة » التعبيرية في بنية درامية متكاملة تختلط فيها الاصوات حتى نصل الى الوطن :

« لكن المغني قال قرب الموت :
ان الفرق بين الضفتين قصيدتي
واراد ان يلغي الوطن
واراد ان يجد الوطن » .

ان الايقاع الذي يوحد هذه القصيدة ، ويقيم لحوارها هذه القدرة المذهلة على التناوب في المواقف يتخذ من الجملة — وحدته الاساسية قاعدة . لذلك تتدرج الجملة الشعرية في جميع اشكالها الممكنة ، من الجملة المستديرة التي تحاول الاحاطة بجميع تدرجات الايقاع ، الى الجملة الحادة والقصيرة التي تسجل موقفا وتتكيء . درويش يستخدم جميع أسلحته دفعة واحدة ، يقذف تاريخه الشعري في الفضاء ويبحث عن لغته الجديدة . لذلك تتدرج جمله في اكثر من ايقاع واحد ، وتتشحن من داخلها وخارجها . تتوقف ، تلخص ثم تمتد الى ما لا نهاية . وهي في حركتها تحتضن الصورة الشعرية ولا تتوقف عندها . الصورة هنا هي محاولة للالتفاف داخل الجملة ، لا يبحث عنها لذاتها ، فالجمل الفعلية هي اساس الجملة في القصيدة ، وداخل الجملة الفعلية تصبح الصورة فعلا ، انها ليست محطة. السياق الصوري الذي تنسجه قصيدة درويش يتدرج هو الاخر داخل الجملة ، انه جزء من حركتها . فالشعر ليس كتابة من خلال الصور ، انه كل ايقاعي يعيد تنظيم دلالات الاشياء في احتماليتها ، لذلك ليست الصورة محطة انها سياق . تأخذ الصورة في هذه القصيدة جميع اشكالها الممكنة داخل سياق تطور صوت درويش الشعري ، من الصورة التشبيهية البسيطة التي تنطلق من الاستعارة الغريبة لتصل الى الفعل — « والوقت سرداب وعيناها نوافذ عندما أمشي اليها » . هنا تصبح الاستعارة مشروطة بالفعل — عندما امشي — وتصبح اعادة تركيب العلاقات مشروعة . فبساطة الصورة التشبيهية هي في قدرتها على توظيف الغرابة داخل سياق الفعل . أي ان الشاعر لا يقتنص المدهش ، يأتي المدهش من سياق العلاقة نفسها حين تصبح فعلا . الى الصورة المجردة « والياسمين اسم لامي . والزمن عشب على الجدران ». هنا نأتي الى المجرد ونفقده تجريديته بتقعيره في أبسط الاشياء — عشب على الجدران — هنا نعود الى معادلة الزمان والمكان داخل صيغة اكثر قدرة على الاقناع والاضاءة . حتى نصل الى الصورة المفاجئة التي لا تشبه ولا تستعد ، تشد فقط « نسير نحو عيوننا .. ونسير ضد الملكة » ، هنا في استعادته للمستقبل الذي يعيش في العيون يصل درويش الى اطار مرجعي واقعي ، ضد الملكة . ثم يوسع هذه الاشارات لتحفل القصيدة بثوابت مرجعية هي الاضاءات الواقعية التي تضع للقصيدة قدميها « وأمر بين اصابع الفقراء سنبلة ولافتة ، وصيغة بندقية » .

نتدرج في الايقاع الداخلي للقصيدة حتى نصل الى لحظتين : —

الوطن الذي يصبح في القصيدة عنوان السفر الطويل ، انه الفعل وليس البرتقال او الاشياء . هنا يذهب درويش بعيدا في محاوراته للحلم

الفلسطيني . يدخل تعقيداته ، ويكون واقعيـا ، ليس بالمعنى المبسط للكلمة ، بل بمعنى اكتشاف العلاقات الخفية . وعند هذه النقطة ، تكون اللغة الشعرية قد تجاوزت نفسها ، استعادت تاريخها، ومزجت ذاكرتها بالرؤيا .

الوحدة بين حواريات قصيدته ، نصل الى سرد من نمط شعري خاص (حين انحنت في الريح). فالشاعر يبتعد عن جسد شعره ليصوغ القصيدة لكن رغم السرد الذي يوحد الفواصل ، ورغم تداخل الحوارات ، تبقى الرؤيا مشتتة في ثنايا عناصر الذات التي تنفجر ، حتى يصل درويش الى الوحدة في جماعية الممارسة الثورية . نحن ، هي المتكلم الحاضر . انها الحاضر لانها تلخص المكان المأساوي داخل الزمن الجديد :

« اقول : البحر لا

والارض لا

بيني وبينك نحن

فلنذهب لنلغينا ويمتد الوداع » .

هنا نصل الى الايقاع الخارجي الصاخب الذي يختتم القصيدة . الايقاع الصاخب هو في اساس تدرتها الختامية . انها محاولة امتداد الى الاخرين ، لذلك يتخلى درويش دفعة واحدة عن بنية قصيدته ، ليكتب شعرا مباشرا . هذه النحن هي بداية « نحن الريح نقتلع المراكب والكواكب مع العروش الزائفة » . انها فعل مباشر ، لذلك فهي مباشرة ، تتخلى عن طموح اعادة صياغة العلاقات لتوظف نفسها في هدم العالم القديم . تبحث عن الايصال السريع دون ان تتخلى عن بكارة الصورة « ننشر عار فخذيك السماويين » وتنحني لاعصار الذاكرة التي تعود دائما الى ابسط الاشياء وابسط الكلمات وابسط الموسقة .

هنا يختتم درويش قصيدته وصوته لا يزال معلقا بين الطائرات والعرس ، وهو يبحث عن وسيلة لكتابة اخرى . فمعنى الحلم الفلسطيني هو تماما في احد اسطر قصيدته : « فقلت العمر لا يكفي لقبلتها » . ففلسطين ليست مجرد ارض تحمل ذاكرة ، انها ارض المستقبل العربي ، وعلى دمائها تكتب ملامح المستقبل .

بين صوت الطائرات المغيرة وفرح العرس ، يقع الصوت الشعري في محاولته صياغة الحلم الفلسطيني . لذلك يصبح الشهيد اكبر من الارض، ويصبح الفعل اكثر قدرة على الاحاطة بالانسان من الجمود الرومانسي . والفعل ضرورة جدل ، لذلك يقسم درويش ذاته ويحاورها ، حوارا مدمرا ، ولا يستطيع الخلوص من هذا الحوار الا حين تدخل جماعية الممارسة ، فيعلو الايقاع الخارجي ويخفت البحث الشعري ، ليبدأ البحث داخل الواقع .

ان الميزة الاساسية ، التي لشعر درويش في الحركة الشعرية العربية المعاصرة ، هي انه تلخيص لمراحل هذه الحركة وهجوم على التجربة من جهة ، وتوظيف لها داخل الممارسة الصراعية من جهة اخرى . لذلك حين تلخص قصيدته تاريخه الشعري فانها تلخص كذلك تجربة شعرية عامة وتفتحها على الاحتمالات .

بين الذاكرة والرؤيا ، تقع الممارسة التي توحد. او هكذا تفترض هذه القصيدة ، فلماذا تأتي الممارسة خفوتا في الصوت التشكيلي ؟ ولماذا يجب العودة الى عناصر الايصال المباشرة ؟

هذه هي اسئلة المستقبل ، التي لا جواب عليها خارج الممارسة الشعرية نفسها .

لماذا يموت خميس أولا ؟

مجموعة علي زين العابدين الحسيني ، هي محاولة للاجابة على اسئلة الموت الفلسطيني ، من خلال اكتشاف العلاقة بين ظاهرتي الموت والاقدام عليه . فالموت — الظاهرة الطبيعية الاجتماعية — يتحول هنا الى مشروع للفعل التاريخي وقد اختلط بآلام فردية وجماعية . فالظاهرة ، لا ينظر اليها من خارجها حيث الايقاع السياسي الاجتماعي يحمل معاناته الخاصة فقط ، بل يجري وضعها ضمن سياق معاناة خاصة هي وعاء هذا الايقاع وحركته الداخلية . فتصبح علاقة الموت بالحياة علاقة جسد من الالم الفردي والجماعي ، تقدمه نماذج انسانية ، صنعتها المقاومة الجماهيرية في لحظات حركتها . هنا يأتي وعي المؤلف ، ليقوم بالتقاط ظاهرات الموت الفردي ويدمجها بنسيج قصصي يجمع الغنائية الشعبية الى البناء الاسطوري ، في محاولة لتأليف عناصر الفعل الانساني داخل امتداده في الطبيعة . ان مشروعية الطموح الاسطوري في قصص هذه المجموعة تأتي استكمالا لامتداد فلسطين نحو عناصر الارض التي تشكل محور الصراع ، فيأتي الطموح الاسطوري — الغنائي ليعطي هذا الامتداد وعاءه الطبيعي، ليحيله الى جزء من علاقة الانسان بالعناصر والشجر . هنا ، وانطلاقا من هذا الطموح يجب ان تجري مناقشة هذه المجموعة القصصية ، داخل الحركة القصصية الفلسطينية التي استطاعت ان تقدم عناصر اولية يمكن استكمالها داخل حقل التجربة الفنية .

الغنائية والامتداد الاسطوري :

تواجهنا القصة الاولى (نبي بلا احزان) بمرارة فردية تصل الى حد الانهيار الشامل . ففي علاقة رمزي ، المخمور ، الباحث عن شرفه في صورة زوجته التي احرقت نفسها بعد ان اغتصبها الاعداء ، بسوزي العاهرة ، البديل النقيض الذي لا يستطيع دخول احزان الرجل ، نكتشف المرارة وقد تحولت انهيارا كاملا ، يحطم ذاتية البطل ، الفرد والرمز معا . ويؤشر الى طريق اخرى لا بد من دخولها . هنا يصبح الحوار هو حركة القصة . كل شيء يجري في داخله ، وعندما يراد التأمل الذاتي يكتب المؤلف ، « قالت في نفسها ... » ويتابع . الحوار هو عنصر الحركة الاساسي ، في ثناياه نتعرف على احزان البطل وفشله وعلى استحالة حواره مع سوزي العاهرة. ومن خلال هذا الحوار المستحيل ، نتحسس الالم الذي لا ينفجر ، يبقى رومانسيا ومليئا بالدموع والبكاء . الدموع هي غطاء الحزن الذي يجمده في حالته الرومانسية ولا يطلقه الى الحقد المدمر الذي يصل الى الموت . هذه النزعة الرومانسية التي تطبع القصة سوف تسحب نفسها على بقية قصص المجموعة ، مبقية الامتداد الاسطوري داخل حوار لا ينتهي ، ومغلفة اياه بالدموع التي تعطل تحوله الى عناصر الطبيعة كجزء منها .

نخرج من كابوس الحريق الرومانسي هذا ، لنبدأ محاولة بلورة الصوت الفني مع قصة « هو » . هنا يصبح « هو » رمزا واسطورة في آن . انه الفلسطيني الذي لم يزل طفلا يكتشف ويكشف حول هذه الشخصية الرمزية ، ينسج الحسيني قصته فيبدأ بوصف الطفل ، البطل : « وله عينان حزينتان كحبتين من العنب الرمادي أو كغيمتين صغيرتين استقرتا للابد في سماء عينيه » . وتبدأ علاقة هو بالعناصر والناس ، انه جزء من الطبيعة ، آني ودائم ، موجود في جميع الامكنة ودائم الغياب ، يشم رائحة التراب والمطر ، ويخاطب الصغار ، يتداخل بالبرتقال ويخاف منه متى أينع . ينتهي وصف شبكة العلاقات التي يقيمها « هو » باستدارة تقطع النبض الاسطوري في القصة برمز « النمل الاصفر » الذي يجتاح المدينة . هنا يصبح للامتداد الاسطوري الغنائي مذاق مرارة القسر الواقعي الذي يأتي من خارجه

---

* علي زين العابدين الحسيني : **خميس يموت اولا** . منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية — ١٩٧٤ — من كتب اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

ليحدد اطاراته . اي ان رمز الهزيمة حين يدخل هنا يحدث استدارة داخل استدارة اسطورة « هو » ، ويرفع من انشداد حركة القصة ، دون هدوء المجرى المائي الذي تشقه الشخصية الرئيسية في هذه القصة ..

نصل مع قصة « خميس يموت أولا » الى ذروة البناء الاسطوري للمجموعة . القصة هي مجموعة من الحركات المتتالية . انها سياق وليست مجموعة من الاحداث المتتابعة . التتابع يأتي من عاملين : **عامل خارجي** ، تتابع الحركات ، فالحركات هي ايقاع الفعل الثوري وقد دخل حيز الممارسة النضالية . من المطاردة الى العبور والحوار وحتى نصل الى الموت ، الايقاع هو ايقاع الممارسة . او تداعياتها داخل نسيج اسطوري طفولي . سهيلة تحب خميس ، : « مثلما تغلق المحارة صدفتيها على اللؤلؤ السري ، خبأت سهيلة خميس . قادته الى الخندق المموه . دهش فقالت ، اعددته قبل ان تأتي فقد كنت اعرف » . هذا العامل الخارجي الذي يوقع الحركة على ايقاع الرصاص هو الذي يضبط القصة ويسمح لتداعياتها الالتفافية بالتحول الى علامة في تطور القصة الفلسطينية . ويفتح كذلك الباب واسعا أمام **العامل الداخلي** الموت الذي يوحد سهيلة بخميس ويحيلهما الى جزء من الطبيعة . الاشجار تقاتل معهما ، والحزن لا يدخل رغم الدموع التي يصر زين العابدين الحسيني على ادخالها وسط « العيون الفارقة في فرح طفولي » . هنا يقيم المؤلف منعطفا فنيا ، ولا يقتحمه ، يبشر بولادة استكمال حقيقي لتجربة كنفاني القصصية . يأتي هذا الاستكمال من منطق المعركة الداخلي ، من تحولها عن ارادية القتال الى دمجه بحركة الجسد . هنا يصبح الموت امتدادا للانسان وليس فعلا . انه حركة بالغة العفوية ، يأتي دون معاناة خاصة به . لذلك فحين يموت خميس اولا يأتي الجواب من جسد سهيلة المرمي الى جانبه وقد تحول الى فعل يملأ فجوات الجسد المثقوب برصاص الاعداء .

في قصة « خميس يموت اولا » تصل تجربة الموت الفلسطيني منعطفها الفني ، فهذا الموت الاسطوري الذي توقعه المعارك ، يستطيع صياغة لغته عبر عاملين اساسيين : **الرمز** الذي يقدمه البطل — النموذج : خميس ، والذي ينفي رمزيته فورا متحولا عن الاشارة الى ظاهرة الى التكون فيها ، فيصبح بذلك محاولة نسج اسطوري **والايقاع** الذي يستطيع عبر ضبط الحركة القصصية من خارجها وداخلها ، ان يكثف هذا المدى الاسطوري بقاعدته الواقعية من جهة وان يحولــه الى مؤشرات فعل جماعي من جهة ثانية . لكن هذه البنية القصصية التي حاولنا وصفها هنا ، تسقط في حوارات طويلة . أي انها لا تستطيع فيما هي تكسر فردية البطل ان تتشكل من خارج هذه الفردية . فيبقى الحوار اطار صياغة الفعل الانسائي ، ومحاولة للابقاء على صيغة القصة كاطار مرجعي . اي تقدم نفسها بفرح طفولي يقوم وعي الصياغة بضبطه حتى لا يتحول الحلم الى اطار يضبط الاسطورة وحده . هنا تأتي الغنائية والنوازع الرومانسية لتقيم حاجزا بين البطل وموته ولتبقي خميس على منعطف البدايات .

اطارات الواقع

في « الفتى الذي لم يقتلوه » و « هذا الشتاء » ، نعثر على هامش آخر تلامسه هذه المجموعة القصصية . هنا تبرز العلاقات الواقعية من ضمن خطين : **المواجهة** بكل شراستها وعنفها ، حيث نلاحظ في القصة الاولى حركة الذبابة والجراح في الاسر ، بوصفها الحركة الاساسية التي تضبط ايقاع المواجهة وتحدث التوتر والانعطافات في القصة ، وهناك **التداعيات** التي تفرضها هذه المواجهة حين تقوم باسترجاع الحياة وصياغة احداثها على ضوء المواجهة . يقف الموت هنا بوصفه منقذا ، ويبرز العدو في شراسته ولا انسانيته مضخما ، غولا خارجيا ، يستتبع الغول الداخلي الذي شهدناه في قصة « نبي بلا احزان » . وفي « هذا الشتاء » استرجاع للحظات المقلومة ، ببطولتها الفردية والجماعية وبمآسيها . فالبطل حين يموت ، لا يصل الى موته هذا عبر شهادة الاخرين له بالبطولة ، بل عبر مأساة فردية مدمرة « .. لماذا يصرون على انه لم يكن وحده ؟ لن يصدقوه .. امه رأت كل شيء ولن يظل السر سرا » . لكن السر بقي سرا ، شهادة على مأساوية الموت ، وعلى معاني البطولة المجانية ومأساتها في آن .

في هاتين القصة ، يتخلى زين العابدين الحسيني عن طموح بناء اسطورة فلسطينية غنائية ، ليرى نفسه دفعة واحدة في لهب المعادلة الواقعية المباشرة ، مستعيدا لحظات البطولة الشعبية في زمن القمع الصهيوني . هكذا تأتي هاتين القصتين وكأنهما القاعدة التي ينتصب عليها طموح تحويل الممارسة الثورية الى حلم اسطوري كامل، الى وعي جماعي حاد وعنيف .

الحركة والحوار

الحركة الاساسية في هذه المجموعة ، يقوم بها الحوار . حتى وكأن السرد القصصي يغيب داخل اشكال الاستنطاق التي تقوم بهـا شخصيات القصص لواقعها . من هنا غياب التشكيل والحجم والتركيز على التداعيات الداخلية في بعض الاحيان . أي أن اللغة القصصية لا تزال اسيرة مقترب خارجي ، لا يوحد الظاهرات باسبابها ، بل تبقى القصة وكأنها محاولة للاجابة على اسئلة يطرحها الواقع ، وليست اسئلة تفرزها تناقضات الواقع.

من هنا نصل مع قصص هذه المجموعة الى مشارف بدايات حقيقية . الى مشارف الحركة الواقعية وقد تحولت في اجساد صانعيها الى فعل انسـاني ، له قدرة الاسطورة الواقعية النابعة من سواعد الذين يصنعون المستقبل بدمائهم .

« خميس يموت اولا » ، لان الموت هو الفعل الفلسطيني الذي يتوحد بالعناصر ، ويعيد صياغة معادلة الواقع . لذلك يبقى « هو » مؤشرا على فعل مستقبلي القسمات ، وكائنا في جميع الامكنة ، مائتا في جميع الموت ، وحيا في الشجر والماء . انه ليس الحزن الرومانسي ، بل نقيضه ، انه الحزن المدمر الذي هو الوجه الاخر للحب . انه الحقد الثوري الذي يصنع المستقبل . فحين كانت « المهرة » تستقبل اولادها ، الذين يصنعون مستقبلها ، كان خميس يموت في سبيل الوصول الى هذا المستقبل . لذلك تشكل هذه المجموعة علامة على قدرة الممارسة الجماهيرية على التحول الى ادب جديد لا يزال يعاني الام ولادته .

صراخ في ليل طويل

عندما كتب جبرا ابراهيم روايته الاولى « صراخ في ليل طويل » في القدس صيف ١٩٤٦ ، كان يؤسس زمنه الروائي والفني على قاعدة ثابتة ، سوف تبقى اللحن الاساسي في جميع اعماله الفنية . رفض الماضي العتيق والتقدم الى الامام ، تحطيم التقاليد البالية واستشراف مستقبل تلعب فيه القيم الحديثة دورا مقررا . هذا اللحن الاساسي يبرز جنينيا في الرواية الاولى ، الى جانب البطل المثقف — الذي سيبقى بأشكاله المختلفة بطلا لجميع روايات جبرا اللاحقة. فالثقافة هنا حين تبدأ تلعب دورها تصفي حساباتها مع الماضي . تنقسم على نفسها ، لترفض اعادة احياء الماضي الميت، ولتنطلق في بحثها عن العناصر الحية ، المستقبلية في ثنايا الواقع .

العلاقة الانعكاسية

تتحلق الرواية حول شخصية امين ، الذي يتكلم بصيغة المفرد منذ السطر الاول وحتى النهاية . فأمين هو انعكاس حقيقي لشروط اجتماعية محددة. انه مثقف ينتمي الى الطبقات الكادحة ، لكن ثقافته تصبح سلما للترقي الاجتماعي . وهو يحمل في داخله جميع تناقضات المثقف ، التي تبدأ بالخيبة والفشل الشخصي (فشل زواجه من سمية) مرورا بعلاقته مع عنايت هانم وتاريخ اسرتها العريقة ، وصولا الى احراق الماضي والتطلع الى المستقبل . داخل هذه الدائرة نعثر على شخصية امين ، بوصفها انعكاسا لشروط أفرزتها ، تحاول من جديد عكس ذاتها (ثقافتها) على هذه الشروط في سبيل تغييرها . فيحترق الماضي متلاشيا (وفاة عنايت هانم) ويبرز المستقبل على ايقاع الحرائق (طرد امين لسمية) . هنا تصبح شخصية امين محطة للانعتاق من الماضي،

---

* جبرا ابراهيم جبرا : **صراخ في ليل طويل** . منشورات اتحاد الكتاب العرب . الطبعة الثانية ، دمشق ١٩٧٤ .

الذي سيتحول الى بداية فعل اجتماعي في رواية « صيادون في شارع ضيق » .

البطل وصيغة المفرد

تدور احداث الرواية باسرها في ذاكرة امين . ففي شارع معتم نرافق امين في رحلة اكتشافه للمدينة واسترجاعه لتداعيات ذكرياته التي تشكل عصب الرواية . نبدأ به يقابل الشرطي . الذي سئم عمله ، ثم ندخل المقهى وفي طريق الخروج نصادف متسولا ، ونتفحص مع أمين ظله الطويل في الليل ... العلاقة التي يقيمها امين مع عالم الشارع الذي يقوده الى منزل عنايت هانم هي علاقة تماس خارجية . انه يلامس الاشياء والناس من الخارج ، دون ان يقيم لهذا النوع من العلاقات أي نظام ضابط. لا نزال امام الملاحظات الاوليةالتي ترصف الاشياء الى جانب بعضها ، تصفها دون ان تكشفها . لكن هذه العلاقة ليست سوى المبرر لايقاظ عالم البطل الداخلي ، ايقاظ ذكرياته التي تمتزج بهذا النوع من العلاقة بالعالم ، لتثبت عبث ولا معنى نمط معين من الحياة ، في محاولة لرسم اطر تخطيها .

صيغة المفرد ، تختلط بالذكريات ، بل هي مبررها الوحيد . لذلك فنحن امام بطل واحد ، هو مركز التحولات في الرواية . فالتحولات الخارجية العميقة ، ليست سوى محركات لتفجر زمنه السيكولوجي — الفردي . وانطلاقا من هنا يصالح امين الواقع فيما يحاول تغييره .

الفرد ، هو بطل نموذجي ، تأتي الاحداث الواقعية لتؤكد نموذجيته هذه . انه يمثل فئة اجتماعية — المثقف — تحاول التعامل مع الواقع وتغييره . فأمين هو روائي سيكتب قصة حبه لسمية في رواية مستقلة . وهو هنا ، في مخاطبته لنا ، كأنه يرسم مسودات هذه الرواية ، التي لن تكتب ، بل ستصبح مؤشرا واقعيا في تحرره من كابوس الماضي والتقاليد .

عندما يكون البطل ، فردا — نموذجيا ، يتحول العالم الموضوعي الى عالم استبطاني ، وتحتل الذكريات ، حيز الممارسة ، فلا موضوعية الراوي هي التتمة المنطقية للاموضوعية اطار الرواية . الاشخاص الاخرون الذين يشاركون امين في عالم الرواية، لا نتعرف عليهم الا في ذاكرته او في استنطاقه لهم . من هنا يحتل الحوار الاستنطاقي هذا الحيز الهام في رواية جبرا . الحوار ليس سوى محاولة ذرائعية ، لوصف نمط من العلاقات الاجتماعية، وللاشارة الى المنزلق الذي وصل اليه امين ورفاقه في المقهى ، حين يقعون ضحية سكونيتهم . هكذا تكون الرواية موقفا ، يتحايل على نفسه بالشكل ، وهذا ما يقوله جبرا بشكل واضح في النص : « اما الرواية فكنت ابغي منها ما اروح به عن ضيق صدري . كما انني جعلت منها ذريعة للتعبير عما اريد قوله ، اذ قسمت نفسي الى اشخاص كثيرين ، يمثل كل منهم جزءا من هذه النفس الملأى بالمتناقضات » . والموقف هذا هو من ناحية اخرى محصلة تجربة واقعية ، لكن التجربة لا تتكلم عن نفسها بلغتها الخاصة . انها في مكان استرجاع نفسها من خلال الذاكرة . لذلك تأتي التجربة جاهزة ، اي ان معاناة الشكل الروائي لا تزال على طرف مسألة الشكل . انها تريد فقط تأكيده الاولي من خلال التخلي النهائي عن الوعظية وحكمة القصة . اي انها في سبيل تأكيد الشكل الفني ، تتخلى عن معاناة صياغته. فتأتي الاحداث موضعة في الذات وشبه نهائية . ولا ينقذ سكونية هذا التنميط القصصي سوى صوت الحريق والفصل الختامي الذي يعيد صياغة دلالة الرواية بشكل جديد .

بين ماضيين

يعيش امين في ماضيين . ماضيه الشخصي وماضي اسرة ياسر العريقة . في منزله وفيالجريدة التي يعمل فيها يمضغ ماضيه بشكل دائم ،فالعلاقة التي ربطته بسمية ، تتحول الى حزن يومي . وفي منزل ال ياسر يعاني كل مساء محاولة كتابة تاريخ اسرة اقطاعية عريقة . يعيش مع عنايت هانم بين الاوراق القديمة والملفات المليئة بالغبار . الاساسي في بنية الرواية هو هذا التوازي الذي يقيمه جبرا بين ماضيين يتقاطعان في شخصية امين. الماضي الاول هو **ماض ذاتي** . حب يبدأ تحت اعصار الريح والامطار بفتاة تنتمي الى طبقة اجتماعية اخرى (برجوازية كبرى) ويستمر هذا الحب في تمرد هذه الطبقة على نفسها ، تمرد سمية على والديها وهربها مع امين والزواج منه. لكن هذا النمط الرومانسي من العلاقة ينهار وحده

تحت ضربات عـــدم القدرة على ايجاد معـــادل موضوعي لحب عاطفي . **وماض موضوعي** هـــو ماضي الاسرة الاقطاعية التي انتــهى دورهــا ، فتحاول بعث امجادها ببعث التواريخ القديمـــة واعادة صياغتها ، وامين يعيش نقطة تقاطع هذين المستويين في زمنين منفصلين : **الزمن الاول** هـــو الزمن الذاتي انه الجلد القديم الذي يلتصق على جسد البطل ، ولا يستطيع منه خلاصا . فعلاقـــة الحب التي ربطته بسمية ، ثم تحول هذا الحب الى زواج دام سنتين دون ان ينتج عائلة ، اي دون ان يصل الى تأسيس بداية موضوعية للعلاقة بالمقياس الاجتماعي السائد ، هذا الحب المستحيل موضوعيا ، يتحول في ذاتية امين الى احســـاس عارم بالفشل . انه فشل ذاتي ، او هو بمقياس اكثر دقة ، فشل محاولة كسر التقاليد دون اسس ثابتة . لذلك يتحول من فشل امين الشخصي الى فشل النموذج الرومانسي الذي لا يزال يلعبه . **والزمن الثاني** هو استبتاع ذاتي وموضوعي للزمن الاول . ذاتي : لانه ينطلق من الفشل ليصل الى اليأس ، عند نقطة اليأس هذه تصبح الموهبـــة مجرد صنعة يستطيع امين استخدامها وتوظيفهـــا في خدمة قضية لا يؤمن بها اساسا . وموضوعي : لانه يوظف في خدمة طبقة انهارت تاريخيا وهي لا تزال تحلم على الاقل بتخليد امجادها . فيتقاطع الذاتي بالموضوعي ، حين يصبح مبرره الوحيد في نقطة اليأس الكاملة . يولد هذا اليأس نمطا رتيبا من الحياة ، ويتشكل من داخل علاقة متوازيـــة داخل دائرة محكمة الاغلاق . فما دامت الرواية تعيش في زمنين من الذاكرة ، فان كسر اطارهـــا المغلق يصبح عملية مستحيلة . فالفعل الموضوعي الذي يتمثل في الرواية عادة بشبكة من العلاقـــات الاجتماعية غابت كليا في هذه الرواية . اي نحن امام علاقة احادية ــ فرد مجتمع . والمجتمع هنا ضيق الى ابعد الحدود . انه الزوجة في المـــاضي وعنايت وركزان في الحاضر . لذلك تنفجر الرواية في مستويين : ــ المستوى الاول هو مستـــوى الحدث الطبيعي . وفاة عنايت هانم وتمرد ركزان على تراث شقيقتها ورفضها لمتابعة كتابة قصـــة العائلة ، هذا المستوى الاول يبدو افتعاليا ، فحين يضيق المؤلف بأبطاله او يجدهم في مأزق حقيقي ، فان اسهل الامور هو قتلهم . لكن جبرا حين اختار قتل عنايت هانم من خلال الحدث الطبيعي ، فانه اراد التأشير الى المستوى الثاني : الرمز . داخل الرمز يصبح الحدث الطبيعي اشارة الى المستقبل . تفجير الواقع من داخله على ايقاع رمزين متداخلين : الماء والنار . فاذا كانت سمية قد تخلت عن زوجها بعد طوفان الماء في الحي الشعبي الذي كان يقيم فيه ، فانه حين يرفضها ويرفض ركزان في نهايـــة الرواية ، فانه يرفضها على وهج النار التي تحرق الماضي . ركزان تحرق قصرها الكبير وأمين يرفض حبه الرومانسي الماضي ويبدأ في اعادة اكتشـــاف العالم . « غير ان الطريق لم تظل خالية طويلا ، ما هي الا فترة قصيرة حتى كانت شوارع المدينـــة تمتد وتتشعب امامي . تملؤها جموع الناس . ولم يكن من العسير علي ، حين حدقت في عيونهم ، ان ادرك ان الكثيرين منهم كانوا هائمين علىوجوههم ، كما كنت هائما لسنتين مديدتين ، يبحثون عن نهاية لليل طويل وبداية لحياة جديدة » . داخل المـــاء جرت عمادة أمين في مرارة الواقع ، كأنهـــا لتذكره بطفولته البائسة . وداخل النـــار جرى تحطيم العالم البائس الذي عاشه . بين الماء والنار ، داخل العناصر الطبيعية الاكثر التصاقا بالانسان ، فجر جبرا الدائرة المغلقة التي حاصرت بطلـــه . وخرج من تجربة ذاتية الى كتابة الرواية الاجتماعية التي ستبلغ ذروة احكامها البنائي في « السفينة » .

حصار اللغة

كتبت هذه الرواية لاول مرة باللغة الانكليزيـــة (من حوار مع جبرا سوف تنشره شؤون فلسطينية في عدد قادم) ، ثم ترجمها المؤلف بنفسه ونشرها في بغداد بعد حوالي عشر سنوات على كتابتها . مسألة اللغة هي في جوهرها تعبير نموذجي ، عن اشكالية ولادة الرواية العربية الحديثة . واذا كان تضخم هذه المشكلة هنا ، ليس عاما . فانها تؤكد الانقطاع النسبي الذي ادى الى ولادة الروايـــة العربية . فرواية « صراخ في ليل طويل » هي من المحاولات التأسيسية الاولى التي استطاعت وضع اطارات التطور الادبي في الرواية داخل حقـــل الممارسة الاجتماعية . انه يتخلـــى نهائيا عـــن الوعظية ، وعن الجملة العاطفية الطويلـــة ، ويحاول ان يقيم لغة جديدة ايصالية وواضحـــة منذ البداية . فيعكس هذا الطموح على السياق الروائي في ناحيتين : فهنـــاك من جهة اولـــى

شخصيات واقعية تحاور الواقع وتقف على عتبة تغييره ، وهناك من ناحية اخرى الحوار الذي يسمح للمؤلف بأن يقول افكاره دون اسقاطية او افتعال . غير ان الحوار الطويل الذي جرى في المقهى ، وان كان يؤشر الى الخلفية الفكرية التي وضعها جبرا كأساس لعمله الروائي ، فقد جاء هنا طويلا ولا تبرره احداث الرواية . فمبرره الوحيد هو مرحلة البدايات التي استعاضت بالحوار الموضوعي خوفا من اسقاط وعظي يشل موضوعية الرواية . غير انه في مقابل هذا الحوار الجامد ، هناك حركة باللغة الغنى يشير اليه وصف رقصة أمين الفتى . هنا تتحرك الرواية داخل ايقاع خاص بها ، سوف يسحب نفسه ويحيا من جديد في تلك الرقصة الصاخبة الجميلة التيرقصتها لمى في السفينة . يتشكل هذا البناء الروائي داخل لغة لم تتحرر تماما من ماضيها رغم انها تدخلكلمات عامية في بعض الاحيان ، فلا نزال نعثر على نون التوكيد ، او على كلمات ثقيلة الايقاع — ايار القلب — فلا نصرفن — لافتة تطقطق ... غير ان هذا لا يحجب الجهد التأسيسي الذي عاناه فنان يولد من خلال اول عمل متكامل له .

في روايته الاولى ، يؤسس جبرا زمنه الفني ، داخل ايقاع مفهوم الثقافة بوصفها عامل تغيير اجتماعي . واذا كانت فلسطين غير حاضرة في الرواية بشكل مباشر ، فانها مستقبلها . اي ان ثورة امين على الماضي ، سوف تنسحب فيمستقبل من الفنائية الفلسطينية الموظفة في عملية التغيير الاجتماعي . والتغيير هنا يبدأ باحراق الماضي، والبحث عن نقاط المستقبل . هذا البحث الذي لن تستطيع رؤية « أمين » او شتى اسمائه في الروايتين اللاحقتين تحقيقه عبر الثقافة التي لم تمتزج بقاعدتها المادية .

عرس اللغة

بين العالم ووعيه ، تقع القصيدة — اللغة — العرس . ثم حين تنسج القصيدة اليافها حول نفسها ، تصبح فراشة تثقف بنيتها الى الموت والطبيعة . انها دائرة الوعي الذي ينفجر باللغة من لا وعي العالم ، او من شبكة العين الطفلة وهي تحاول ان لا تلتقط من الاشياء صفاتها بل علاقاتها . هنا تدخل القصيدة قعر الموت ، وتعيد صياغة نفسها من جديد . هل هذا هو عالم سليم بركات ، ام انه محاولة للتنويع بل شعره الذي يقتحم وينفجر . ولماذا لا يكون الشعر نفسه مجرد علامات على قدرته واستحالته . موسيسانا ، هي العالم الذي يبعثر ، واللغة هي تنظيم هذا العالم، لذلك يجب ان تبعثر . فلا يبقى سوى عناصر الطبيعة وقد دخلت افق التحولات ، واصبحت علامات على قدرة العناصر على تفتيت نفسها ، تبعثر اشكالها ، وتصبح اللحظة الوحيدة التي توحد . في مجموعة سليم بركات الشعرية الثانية، تتقدم اللغة الشعرية على ايقاع جدل العناصر ، ويصبح الشعر مجانيا ، لا يضجر الا لغته . هنا يدخل الشعر العالم فيما يكشف عن أغطيته الوصفية . لا يقول شيئا ويقول كل شيء .

ينطلق سليم بركات من عينيه ، وقبل ارتطام عينيه بالعالم تقع اللغة . نظام الاشياء وتنظيمها. تنحني ، تتداعى وتقف على عتبة الانفجار . لذلك تحتاج علاقة الشاعر بالعالم الى القصيدة ، الى تنظيم اللغة الشعري . تقف اللغة بين الشاعر والعالم ، انها الوسيط ، والحاجز . شفافة وقاسية ، منحنية ومحطمة ، تعيد صياغة علاقات الاشياء . تتمرد على النظر ، تصف ، ثم يجري التقاطها فتكشف . وحين تصبح اللعبة مستحيلة ، يدخل الموت وتتوقف القصيدة . بين الشاعر والقصيدة يقع الشعر ، شكل التداعي والتواتر ، الانحناءة والايقاع . لكن القصيدة ، تعيد تنظيم مجانية الشعر ، داخل عالم تبنيه من عشوائية عناصرها الاولية . تكشف العلاقات الداخلية وتنظمها في مسار عالم يجري هدمه واعادة بنائه . هنا يصبح الشعر موضوعالقصيدة،

---

* سليم بركات : **هكذا أبعثر موسيسانا** . منشورات تريونف . الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٥ .

لكن القصيدة تبقى منطقة اكتشاف للعالم . هكذا يدخل الشاعر وعيه وهو يصارع مادة هذا الوعي الاولى ، وتصبح القصيدة جدلا لعلاقة التداعي بالاحجام .

الطفولة — الموت

في مجموعته الشعرية الاولى — « كل داخل سيهتف لاجلي وكل خارج ايضا » ، كان سليم بركات يبحث عن لغته بوصفه قنصل الاطفال . لذلك كانت لغته مقتنصة من الطفولة ومن انجاز الحركة الشعرية المعاصرة . وكان قنصل الاطفال يبحث في ذاكرته عن موحد للاوعي جماعي ، يأخذ اللغة والريف في وحدة مذهلة . كان شعره يقف على عتبة التحولات الادونيسية ، دون القدرة على الدخول في تحولات الطبيعة . فاكتفى بالتوحد فيها والامتداد اليها ، محاولا مزج السرد الشعري بالشعر الايقاعي — دينوكا — . انه في قصيدتيه الجديدتين ، يتابع محاولة التوحد هذه . لكن براءة الطفولة الاولى ، تلتقي بالحب ، فتقترب من منطقة الموت ، وتدخلها فيما صوت اللغة يصخب ، وكأنه محاولة لتفادي الموت ، او للهرب منه .

« حددت لك الانقاض على زاويتين فتقدم لتوحدنا الانقاض

لننفصل كل حياة ، تتناسل عن زمرتها ، ونصبح أمام عراء

ذكورتنا : انطلقي يا حيوات انطلقي بين ، فجاج الخوف ،

انتظرينا يا حيوات انتظري

نحن نحاذي الارض ، ونضربها بفراشات ميتة ... »

عالم الطفولة ، هو اشياء الطبيعة ، وقد اصبحت علامات تتحول . فالطفولة لا تستعيد نفسها ، انها تستعيد العالم لتعيد صياغته على ايقاعها الخاص . لكنها تستفيق وقد حضنها الموت ، وتوحدت به . فتعمد الى تدمير العلاقات ، وتحاول من داخل منطقة اللغة اعادة اكتشاف عالم جديد .

تأخذ العلاقة باللغة اكثر من جانب : انها تنحني من داخلها ، تنحني للاصوات . فالايقاع الشامل تجري صياغته بهدوء ، اي من عناصره الاولى الحرف ، ومن ثم الكلمة ، فيأخذ التداعي شكله الخارجي ، لكنه يعيد تشكيل صياغاتها من داخل القصيدة . اي في علاقة القصيدة بالشعر . في القصيدة الاولى « اقتلوا روناشتا » يأخذ حرف واحد في اكثرية مقاطع القصيدة ، حجم التفافاتها :

« نامي ايتها الوردة نامي

نامي ايتها المهدورة مثلي في وقفتها نامي

مائة ميل ، مئتان هو القلب ، طين بعد المئتين يدوره

الخرافون جرارا ويدورون بها حول نجيليات الروح

وروحي باطلة ، نامي » .

في هذا المقطع ، لا بد من ملاحظة امرين : هناك اولا ، كلمة تفتتح المقطع وتنهيه وتتكرر فيه — نامي — التكرار هنا هو محاولة الانطلاق من كلمة في اكثر من امكانية واحدة تفتتحها . وهذه الكلمة تغلق المقطع على نفسه ، لكنها تصله في الوقت نفسه بجسد القصيدة . وهناك ثانيا ، تداع لحرف واحد يلعب دورا اساسيا في المقطع — حرف الراء — الكلمات التي تتداعى من داخل حرف واحد تلعب دور الانعطافات في المقطع ، تدوره . هكذا يأتي التداعي من داخل اللغة نفسها ، اي يجري تطويع اللغة من داخل اطاعة تداعياتها ، اي منطقها الداخلي . لذلك تحاول القصيدة ان لا تسير خلف هذا المنطق الخطر — التداعي يدفع الى تداع اخر . فتحاول كسره في مسألتي التحجيم ، والابتعاد . التحجيم هنا : هو الحركة الخارجية التي تحدد للتداعي الداخلي اطاراته . لذلك تتسم القصيدة الى مشاهد ولقطات . هنا يبتعد الانسياب عن كونه تقدما عشوائيا للغة تتداعى من داخلها ، بل يتيم لهذه اللغة الفواصل القادرة على اعادة صياغتها من جديد . اما الابتعاد فانه يحاول كسر التداعي اللغوي من داخله ، اي من خلال اعطاء التكرار حجما جديدا ، عبر كلمة تأتي من خارج سياقه ، فتضعه في مدى جديد لتداعيات جديدة .

هذه اللغة ، في انسيابها وحجمها ، هي المنظار

الذي يحدد نظرة الطفولة الى العالم . فاذا كان العالم مفتتا ، فان الطفولة تحاول توحيد انقاضه :
« حددت لك الانقاض على زاويتي فتقدم لتوحدنا الانقاض » .

أو هي ترسم من داخل جموح الموت ، لحظة العبور الى العالم . فالطفولة حين تتوحد بالمرأة ، تتعامل من خلالها مع العالم ، وكأن العالم يتداعى داخل لحظة الموت :

« سبع ليال ذائبة ، وبدانا تستجمع

كل أصابعها الخضراء على رسن الافق وتجذبه حتى يتداعى الافق

فنجتاز خنادقه محمولين ومضى دم ونموت » .

غير ان لعلاقة الطفولة بالموت مدخلا اخر . انه عناصر الطبيعة . فالعالم الريفي الذي يصوغه بركات يبتعد جذريا عن عوالم الريف الرومانسية . انه عالم بدائي وحاد . فهو لا يتعامل مع الاشياء من خارجها ، بل من مناطق الداخل ، فحين تصبح احزان الطفل مدورة ، يصبح العالم بأسره دائرة اكتشاف جديدة .

« وانا سرب قطا ينقر فيه الذكر الذكر ، الانثى الانثى

ويدور فراسخ ملتمسا ما يهديه الى فجوات في اغشية الافق

لينفذ منها ابعد من مدى الصبح وموكبه الشيخ، وابعد من

صرخات تيوس تتخبط في سرداب الملكوت » .

هذه العلاقة التي تعيد توحيد عناصر الطبيعة ، تفتح للشعر مداخل الى الاعماق . فالشاعر هو الذي حين يتعامل مع لغة الشعر يمتد الى الدلالات ، دون ان يصبح اسيرها . يعطيها دلالات جديدة يفتحها على الاحتمال . هنا تصبح القصيدة جزءا من التكون حول مناطق التغيير ، ويدخل الامر داخل ميدان جديد من التحول . فهو ليس مجرد رجع او استرجاع . انه محاولة اعادة صياغة بشكل جديد .

معنى اللغة الشعرية

تقوم قصيدة بركات ، فيما هي تنحني للاعصار اللغوي الذي يجتاحها ، بالتركيز على مسألتين هامتين : —

— ليست اللغة الشعرية جاهزة . انها تتكون . وهي في تكونها لا نموذج لها من خارج عنصرها المحدد . نظام اللغة — (تنظيم العلاقات داخل فهم عام للدلالة) . لكنها بوصفها شكلا تحاول اعادة تشكيل اللغة . اي اختراق النظام الايديولوجي الصارم الذي يحددها . هنا الانجاز الذي تقدمه القصيدة التجريبية (ادونيس ، درويش) .

— تتكون عناصر القصيدة بوصفها اجزاء من كل . لذلك يحاول سليم بركات الغاء الفاصلة بين الايقاع الخارجي والايقاع الداخلي بين الصورة واللوحة . بين التشبيه والكتابة . يصل الى الرمز ويحاذيه ، يمسه ويعود الى تداعياته .

نحن في هذه المجموعة امام جملة شعرية مستديرة ، تنتهي حيث تبدأ لكنها تتقدم في داخلها . اي في جدل عناصرها الداخلية وليس في جدل يقع خارجها ، لكنها ، كجملة ، تقع بعض اللحظات ضحية صخبها ، فتقع على صورة بالغة الغرابة تكسر الجدل وتجعله حادا . او في المقابل تنحني في جمل غنائية بالغة الشفافية ، حتى وكأنها تصبح قابلة لنفي نفسها .

لا وجود لصورة شعرية تعزل نفسها عن السياق . الصورة هي الايقاع في وجهه الاخر ، وحين تستدير اللغة على صور متداخلة ، يصبح النقد مجرد قراءة اولى لقصيدة تتحول . أما حين تدخل أدوات التشبيه « وجررنا نحو الانسان المسدل مثل قماش فوق نوافذ رغبته وظللناه » . فانه ليس سوى محاولة لايجاد توازيات العالم . فهو تشبيه مدهش وغريب وغير قابل لنقاش من خارجه .

من جهة اخرى ، تبحث في القصائد عن منطق داخلي ، لنكتشفه على ابواب الحلم . لذلك تنفتح القصيدة وتفلت من بين ايدينا ، ويحاول الشعر ان يتمرد على القصيدة . هل نصل الى المجانية ام الى البداية ؟. ما معنى المجانية ؟ لا توجد علاقة مجانية بذاتها ، كل علاقة محاولة انخراط ، لكننا نصل في بعض اللحظات الى شعر يتمرد على نفسه ، اي الى منطق اللغة وقد علا صوتها حتى كاد ان يغطي طفولة نقطة الانطلاق .

لكن القصيدة تستطيع ان تمسك بهذه اللحظات في حركة بدايتها الدائمة ، بوصفها مشروعا يحتمل دلالات متنوعة بل متناقضة .

ونجلس حول المنبع ونتساءل :

« مختصرون على المنبع نحن ، ومأخوذون بمنبعنا

مأخوذون بمركز منبعنا

مأخوذون بدائرة المنبع

مأخوذون بنصف القطر ، ومأخوذون بقطر الدائرة

مأخوذون بكل جماد

مأخوذون بانفسنا يا يأس ،

قلقنا » ،

على المنبع يقف الشعر ويرسم اطاراته المستقبلية . حيث اللغة وعاء تجربة عارمة ، وحيث تأتي اصوات الجيل الشعري الجديد ، استكمالا لمنبع التحولات الذي دخلته القصيدة العربية .

تقارير

تقرير وثائقي مقارن لقرارات الامم المتحدة المتعلقة بمصير فلسطين

قراران خطيران يتعلقان بمصير فلسطين صدرا عن منظمة الامم المتحدة بفاصل زمني امتد سبعة وعشرين عاما ، حفلت خلالها منطقة المشرق العربي بالاحداث الفلسطينية . القرار الاول بث النشوة والفرح في صفوف الغزاة الصهاينة وتمسكوا به وثيقة استغلوها في نشاطهم الدبلوماسي دوليا . أما الثاني فقد قلب الصورة وعمت النشوة بين المضطهدين الفلسطينيين في جميع مواقعهم ، وتكرست به مرحلة جديدة في موقف الهيئة الدولية وعلاقاتها مع حركات التحرير العالمية . هذان القراران هما قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧ وقرار مسألة فلسطين ١٩٧٤ . ولكن بين هذين القرارين اكدت الامم المتحدة حق تقرير المصير لشعب فلسطين مرات عديدة نورد الاخيرة منها في هذا التقرير ، مع مقارنة لمواقف الدول اثناء التصويت .

قرار التقسيم :

صدر قرار التقسيم بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ في الدورة الثانية برقم ١٨١ متضمنا اربعة اجزاء نص الاول على انهاء الانتداب في أقرب وقت ممكن على الا يتأخر في أي حال عن الاول من اب (أغسطس) ١٩٤٨ وان تنسحب القوات المسلحة التابعة للسلطة المنتدبة من فلسطين تدريجيا على أن تبذل السلطة المنتدبة افضل مساعيها لضمان الجلاء عن منطقة واقعة في أراضي الدولة اليهودية ، تضم ميناء بحريا وأرضا خلفية كافيين لتوفير تسهيلات لهجرة كبيرة وذلك في أبكر موعد ممكن لا يتأخر في اي حال عن الاول من شباط (فبراير) ١٩٤٨ » . ثم تنشأ في فلسطين الدولتان المستقلتان العربية واليهودية والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس . كما تضمن هذا الجزء تفصيلات واسعة عن خطوات الاعداد للاستقلال من تشكيل لجنة دولية تتسلم ادارة فلسطين تدريجيا واجراء انتخابات . واقامة حكومة مؤقتة في كل دولة مقترحة . ونص القرار على ان ترفع كل من الحكومتين المؤقتتين تصريحا الى الامم المتحدة قبل الاستقلال يتضمن حكما عاما تعتبر شروطه بمثابة قوانين اساسية للدولة ، وفصل أول يتعلق بضمانات الاماكن المقدسة والابنية والمواقع الدينية . ويتضمن الفصل الثالث كفالة الحقوق الدينية وحقوق الاقلية ضمن سلطان الدولة القضائي . اما الفصل الثالث فتنص بنوده على حقوق المواطنة والالتزام بالمواثيق الدولية واحترام الالتزامات المالية . ويتطرق الفصل الرابع الى احكام متنوعة تشمل مسائل المرور والاتحاد الاقتصادي لفلسطين وتوزيع موجودات حكومة فلسطين الانتقالية وقضية القبول في عضوية الامم المتحدة . هذا وقد نص الجزء الثاني من قرار التقسيم على رسم الحدود للدولة العربية وللدولة اليهودية ومدينة القدس . أما القسم الثالث والاخير فقد جاء فيه احكام النظام الخاص بمدينة القدس الذي ستقوم بادارته الامم المتحدة ، وشمل هذا القسم رسم حدود المدينة ونظامها الاساسي واغراض الجهاز الحكومي والتنظيم التشريعي بالاضافة الى اجراءات الامن واللغات الرسمية والمواطنة وضمان حرية المواطنين والاماكن المقدسة . كما تقرر ان يمتد هذا النظام الخاص بالمدينة المقدسة لمدة عشر سنوات يكون بعدها لسكان المدينة حرية التعبير عن رغباتهم فيما يختص بالتعديلات الممكن اجراؤها . أخيرا نص الجزء الرابع على دعوة الدول التي كان مواطنوها يتمتعون بامتيازات في الماضي في فلسطين

الى التخلي عن هذه الامتيازات والحصانات في الدولتين العربية واليهودية وفي مدينة القدس .

● **قرار اللجنة السياسية الخاصة عن حق تقرير المصير لشعب فلسطين رقم ٢٣٦٣/هـ بتاريخ ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ في الدورة السابعة والعشرين .**

ان الجمعية العامة ،

معترفة بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ناجمة عن انكار حقوقهم الثابتة التي أقرها ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان .

مذكرة بقرارها ٥٣٥٢ ب (الدورة ٢٤) في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، الذي اكدت فيه الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، وقراراتها ٢٧٦٢ جـ (الدورة ٢٥) في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ و ٢٧٩٢ د (الدورة ٢٦) في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، التي أقرت فيها بضرورة تمتع شعب فلسطين بالمساواة في الحقوق وممارسة حقه في تقرير مصيره ، بما يتناسب مع الميثاق ، وقراراتها ٢٦٤٩ (الدورة ٢٥) في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ و ٢٧٨٧ (الدورة ٢٦) في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ التي اعترفت فيها لشعب فلسطين بحق الاستقلال الذاتي .

مستذكرة مبدأ المساواة في الحقوق بين الشعوب وحقهم في تقرير المصير ، المكرسة في البنود الاول و ٥٥ من الميثاق ، والمؤكدة حديثا في الاعلان المتعلق بمبادىء القانون الدولي حول العلاقات الحسنة والتعاون بين الدول بما يتلاءم مع ميثاق الامم ٩ وفي الاعلان حول تدعيم السلام الدولي ١٠،

١ ــ تؤكد ضرورة تمتع شعب فلسطين بالمساواة في الحقوق وممارسة حقه في تقرير المصير بنفسه بما يتلاءم مع ميثاق الامم المتحدة .

٢ ــ تعرب مرة اخرى عن عميق الاهتمام بعدم السماح لشعب فلسطين بالتمتع بحقوقه الثابتة وممارسة حقه في الاستقلال الذاتي .

٣ ــ تعترف بان الاحترام الفعال والتحقيق التام للحقوق الثابتة لشعب فلسطين ضروريان لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

● وكررت اللجنة السياسية الخاصة هذا القرار في دورة الامم المتحدة الثامنة والعشرين بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ .

● أما الدورة التاسعة والعشرون للامم المتحدة فقد شهدت في بدايتها موقفا جديدا بتوجيه الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية للمساهمة في الدورة وفقا للقرار التالي :

القرار رقم ٣٢١٠ الصادر عن الجمعية العمومية في ١٤ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٤

ان الجمعية العمومية ،

معتبرة ان شعب فلسطين هو الفريق الاساسي في مسألة فلسطين ، تدعو منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثل الشعب الفلسطيني ، الى المساهمة في مناقشات الجلسات العامة للجمعية العمومية حول مسألة فلسطين .

● **نص القرار رقم ٣٢٣٦ في الدورة التاسعة والعشرين بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .**

ان الجمعية العامة ،

بعد ما درست مسألة فلسطين ، وبعدما استمعت الى بيان منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة للشعب الفلسطيني ، وبعدما استمعت كذلك الى بيانات اخرى القيت خلال المناقشة .

تبدي قلقا عميقا لعدم تحقيق حل عادل لمشكلة فلسطين حتى الان وتعترف بان مشكلة فلسطين لا تزال تعرض السلام والامن الدوليين للخطر ، وتعترف بان للشعب الفلسطيني الحق في تقرير المصير بموجب ميثاق الامم المتحدة ، وتعرب عن قلقها الخطير لان الشعب الفلسطيني منع من التمتع بحقوقه الثابتة وبصورة خاصة حقه في تقرير المصير . ومسترشدة باهداف ومبادىء الميثاق ، ومعيدة الى الذاكرة قراراتها المتعلقة بالموضوع ، التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ،

١ ــ تؤكد من جديد الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين بما في ذلك :

أ ــ حق تقرير المصير من دون تدخل خارجي .

ب ــ حق الاستقلال الوطني والسيادة .

٢ ــ تؤكد من جديد الحق الثابت للفلسطينيين

بالعودة الى منازلهم وممتلكاتهم التي انتزعوا منها وتدعو الى عودتهم .

٣ ـ تؤكد ان الاحترام الكامل وتحقيق هذه الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني لا غنى عنها لحل مسألة فلسطين .

٤ ـ تعترف بان الشعب الفلسطيني فريق رئيسي في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

٥ ـ تعترف كذلك بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل بموجب غايات ومبادىء ميثاق الامم المتحدة .

٦ ـ تناشد كل الدول والمنظمات الدولية تقديم دعمها الى الشعب الفلسطيني في كفاحه لاستعادة حقوقه بموجب الميثاق .

٧ ـ تطلب من الامين العام اقامة اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية حول كل المسائل المتعلقة بمسألة فلسطين .

٨ ـ تطلب من الامين العام تقديم تقرير الى الجمعية العمومية في دورتها الثلاثين حول تطبيق القرار الحالي .

٩ ـ تطلب ادراج البند المعنون « مسألة فلسطين » في جدول الاعمال المؤقت للدورة الثلاثين .

نص القرار رقم ٣٢٣٧ في الدورة التاسعة والعشرين بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .

ان الامم المتحدة ، بعدما ناقشت المسألة الفلسطينية وأخذت في الاعتبار الطابع الشامل الذي ينص عليه ميثاقها ، وبالاشارة الى قرارها الرقم ٣١٠٢ الصادر في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ مع مراعاة قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي ١٨٣٥ في ١٧ ايار (مايو) ١٩٧٤ و ١٨٤٠ في ٢٠ ايار (مايو) ١٩٧٤ ، التي تشير الى المؤتمر الدبلوماسي الخاص باعادة تأكيد وتطوير القانون الانساني الدولي المطبق في حال نشوب صراعات مسلحة وكذلك مؤتمر السكان الدولي ومؤتمر الغذاء العالمي ، وهي القرارات التي دعت بالفعل منظمة التحرير الفلسطينية الى الاشتراك في مداولاتها ، واذ تلاحظ ان مؤتمر الامم المتحدة الثالث الخاص بقانون البحار دعا منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في مداولاته كمراقب .

أولا : تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في جلساتها وفي أعمال الجمعية العمومية بصفة مراقب .

ثانيا : تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في كل جلسات وأعمال كل المؤتمرات الدولية التي تعقد باشراف الجمعية العمومية بصفتها مراقبا .

ثالثا : تعتبر ان المنظمة التحرير الفلسطينية الحق في المشاركة كمراقب في جلسات واعمال كل المؤتمرات الدولية التي تعقد باشراف اجهزة الامم المتحدة الاخرى .

رابعا : تطلب من الامين العام اتخاذ كل الخطوات الضرورية لتنفيذ هذا القرار .

اعداد سهيل الناطور

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	الدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
١	ـ الجزائر	مع	مع	مع	مع	مع	× [1]
٢	ـ البحرين	مع	مع	مع	مع	مع	×
٣	ـ اليمن الديمقراطية	مع	مع	مع	مع	مع	×

١ ـ الدول التي لم تكن عضوا في هيئة الامم المتحدة اشير اليها بعلامة (×) .

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	الدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	الدورة ٢٩ القرار ٣٢٣٦	الدورة ٢٩ القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
٤	مصر	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٥	العراق	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٦	الاردن	مع	مع	مع	مع	مع	×
٧	الكويت	مع	مع	مع	مع	مع	×
٨	لبنان	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٩	ليبيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠	موريتانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١	المغرب	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٢	عمان	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٣	قطر	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٤	السعودية	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
١٥	الصومال	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٦	السودان	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٧	سوريا	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
١٨	تونس	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٩	الامارات العربية المتحدة	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٠	اليمن	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
	المجموعة الاشتراكية						
٢١	البانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٢	بلغاريا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٣	بيلروسيا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٢٤	الصين	مع	مع	مع	مع	مع	امتناع
٢٥	كوبا	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٢٦	تشيكوسلوفاكيا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٢٧	المانيا الديمقراطية	غياب	مع	مع	مع	مع	×
٢٨	هنغاريا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٢٩	منغوليا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٣٠	بولندا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٣١	رومانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٣٢	أوكرانيا	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٣٣	الاتحاد السوفياتي	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٣٤	يوغوسلافيا	مع	مع	مع	مع	مع	امتناع
	المجموعة الآسيوية						
٣٥	بوتان	امتناع	غياب	مع	مع	مع	×
٣٦	بورما	مع	امتناع	امتناع	مع	مع	×
٣٧	قبرص	مع	مع	مع	مع	مع	×

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	الدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	الدورة ٢٩ القرار ٣٢٣٦	الدورة ٢٩ القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
٣٨	ـــ فيجي	غياب	امتناع	مع	امتناع	مع	×
٣٩	ـــ بنجلادش	×	×	مع	مع	مع	×
٤٠	ـــ الهند	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤١	ـــ أندونيسيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٤٢	ـــ ايران	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤٣	ـــ اليابان	مع	مع	مع	امتناع	امتناع	×
٤٤	ـــ جمهورية خمير	غياب	غياب	مع	مع	مع	×
٤٥	ـــ افغانستان	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤٦	ـــ سيرالنكا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٤٧	ـــ تركيا	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٤٨	ـــ ماليزيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٤٩	ـــ المالديف	مع	غياب	غياب	غياب	غياب	×
٥٠	ـــ الفيليبين	امتناع	مع	مع	مع	مع	مع
٥١	ـــ سنغافورة	امتناع	مع	مع	امتناع	مع	×
٥٢	ـــ تايلاند	امتناع	مع	مع	مع	امتناع	غياب
٥٣	ـــ باكستان	مع	مع	مع	مع	مع	ضد
٥٤	ـــ لاوس	امتناع	غياب	امتناع	امتناع	امتناع	×
٥٥	ـــ نيبال	امتناع	امتناع	مع	امتناع	مع	×
	المجموعة الغربية						
٥٦	ـــ الولايات المتحدة الامريكية	ضد	ضد	ضد	ضد	ضد	مع
٥٧	ـــ اسبانيه	مع	مع	مع	مع	مع	×
٥٨	ـــ اليونان	مع	مع	مع	امتناع	امتناع	ضد
٥٩	ـــ مالطا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
٦٠	ـــ بلجيكا	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦١	ـــ لوكسمبورج	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٢	ـــ هولندا	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٣	ـــ نيوزيلندا	ضد	امتناع	مع	امتناع	امتناع	مع
٦٤	ـــ الدانمارك	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٥	ـــ ايسلندا	ضد	امتناع	امتناع	ضد	ضد	مع
٦٦	ـــ كندا	ضد	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	مع
٦٧	ـــ ايطاليا	ضد	امتناع	مع	امتناع	ضد	×
٦٨	ـــ استراليا	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٦٩	ـــ السويد	امتناع	امتناع	مع	امتناع	امتناع	مع
٧٠	ـــ بريطانيا	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	امتناع
٧١	ـــ فنلندا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	مع	×
٧٢	ـــ فرنسا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	امتناع	مع
٧٣	ـــ ايرلندا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	ضد	×

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	الدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
٧٤	النمسا	امتناع	امتناع	مع	امتناع	امتناع	×
٧٥	النرويج	امتناع	امتناع	مع	ضد	ضد	مع
٧٦	البرتغال	امتناع	امتناع	مع	مع	مع	×
٧٧	المانيه الاتحادية	×	امتناع	امتناع	امتناع	ضد	×
	المجموعة اللاتينية						
٧٨	شيلي	مع	مع	غياب	ضد	ضد	امتناع
٧٩	غويانا	مع	مع	مع	مع	مع	×
٨٠	بيرو	مع	مع	مع	مع	مع	مع
٨١	الارجنتين	امتناع	مع	مع	مع	غياب	امتناع
٨٢	كولومبيا	امتناع	مع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع
٨٣	اكوادور	غياب	مع	امتناع	امتناع	غياب	مع
٨٤	غواتيمالا	ضد	مع	امتناع	امتناع	غياب	مع
٨٥	هوندوراس	ضد	مع	غياب	امتناع	امتناع	امتناع
٨٦	ترينيداد وتوباجو	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
٨٧	نيكاراغوا	ضد	ضد	امتناع	ضد	ضد	مع
٨٨	كوستاريكا	ضد	ضد	امتناع	ضد	ضد	مع
٨٩	الدومينيكان	ضد	امتناع	ضد	غياب	غياب	مع
٩٠	السلفادور	ضد	امتناع	مع	امتناع	غياب	امتناع
٩١	بربادوس	ضد	ضد	امتناع	امتناع	مع	×
٩٢	هايتي	ضد	غياب	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٩٣	بوليفيا	ضد	ضد	ضد	ضد	ضد	مع
٩٤	جامايكا	امتناع	امتناع	مع	مع	امتناع	×
٩٥	باراغواي	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٩٦	اورغواي	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	امتناع	مع
٩٧	المكسيك	امتناع	امتناع	مع	امتناع	مع	امتناع
٩٨	البرازيل	امتناع	امتناع	مع	غياب	مع	مع
٩٩	البهامز	امتناع	غياب	غياب	امتناع	امتناع	×
١٠٠	بناما	غياب	غياب	مع	امتناع	امتناع	مع
١٠١	فنزويلا	غياب	امتناع	مع	امتناع	مع	مع
١٠٢	جرنادا	×	×	غياب	امتناع	مع	×
	المجموعة الافريقية						
١٠٣	مالي	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٤	السنغال	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٥	تنزانيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٦	زامبيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٧	غينيا	مع	مع	مع	مع	مع	×

الرقم	الدولة	الدورة ٢٧	الدورة ٢٨	الـدورة ٢٩ القرار ٣٢١٠	القرار ٣٢٣٦	القرار ٣٢٣٧	قرار التقسيم
١٠٨ــ	نيجيريا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١٠٩ــ	الكونجو	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٠ــ	بوروندي	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١١ــ	أوغندا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٢ــ	الكاميرون	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٣ــ	غينيا الاستوائية	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٤ــ	النيجر	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٥ــ	سيراليون	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٦ــ	كينيا	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٧ــ	مالاجاسي	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٨ــ	تشاد	مع	مع	مع	مع	مع	×
١١٩ــ	موريشوس	مع	غياب	مع	مع	مع	×
١٢٠ــ	سوازيلاند	مع	غياب	امتناع	امتناع	امتناع	×
١٢١ــ	جمهورية افريقيا الوسطى	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٢٢ــ	ليسوتو	ضد	امتناع	غياب	مع	مع	×
١٢٣ــ	بوتسوانا	امتناع	امتناع	مع	مع	مع	×
١٢٤ــ	مالاوي	امتناع	امتناع	غياب	امتناع	امتناع	×
١٢٥ــ	غينيا بيساو	×	×	مع	مع	مع	×
١٢٦ــ	داهومي	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٢٧ــ	اثيوبيا	امتناع	مع	مع	مع	مع	امتناع
١٢٨ــ	جابون	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٢٩ــ	جامبيا	غياب	مع	مع	مع	مع	×
١٣٠ــ	غانا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣١ــ	ساحل العاج	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٢ــ	ليبيريا	ضد	مع	مع	مع	مع	مع
١٣٣ــ	رواندا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٤ــ	توجو	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٥ــ	فولتا العليا	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٦ــ	زائير	امتناع	مع	مع	مع	مع	×
١٣٧ــ	جنوب افريقيا	غياب	غياب	غياب	غياب	غياب	مع
١٣٨ــ	اسرائيل	ضد	ضد	ضد	ضد	ضد	×

تحليل لاصوات المجموعات بالنسبة
لقرار التقسيم ١٩٤٧

المجموعـــات	مجموع الاصوات	مع	ضد	امتناع	غياب
المجموعـــة العربية	٦	—	٦	—	—
المجموعة الافريقية	٣	٢	—	١	—
المجموعة الاشتراكية	٨	٥	١	٢	—
المجموعة الاسيوية	٧	١	٥	—	١
المجموعة اللاتينية	١٩	١٣	—	٦	—
المجموعة الغربية	١٤	١٢	١	١	—
المجموع العام	٥٧	٣٣	١٣	١٠	١

تحليل لاصوات المجموعات بالنسبة لقراري الدورتين ٢٧ و٢٨

المجموعـــات	مجموع الاصوات	الـدورة ٢٧				مجموع الاصوات	الـدورة ٢٨			
		مع	ضد	امتناع	غياب		مع	ضد	امتناع	غياب
المجموعة العربية	٢٠	٢٠	—	—	—	٢٠	٢٠	—	—	—
المجموعة الافريقية	٣٤	١٨	٢	١٢	٢	٣٤	٢٨	—	٣	٣
المجموعة الاشتراكية	١٤	١٣	—	—	١	١٤	١٤	—	—	—
المجموعة الاسيوية	٢٠	١٢	—	٦	٢	٢٠	١٣	—	٣	٤
المجموعة اللاتينية	٢٤	٣	٩	٩	٣	٢٤	٩	٤	٨	٣
المجموعة الغربية	٢١	٢	٩	١٠	—	٢٢	٣	١	١٨	—
المجموع العام	١٣٢	٦٨	٢٠	٣٧	٨	١٣٣	٨٧	٥	٣٢	١٠

تحليل لاصوات المجموعات بالنسبة لقرارات الامم المتحدة الثلاثة الاخيرة في الدورة التاسعة والعشرين ١٩٧٤

المجموعات	مجموع الاصوات	القرار الاول				القرار الثاني				القرار الثالث			
		مع	ضد	امتناع	غياب	مع	ضد	امتناع	غياب	مع	ضد	امتناع	غياب
المجموعة العربية	٢٠	٢٠	—	—	—	٢٠	—	—	—	٢٠	—	—	—
المجموعة الافريقية	٣٤	٣١	—	—	٣	٣٢	—	٢	—	٣٢	—	٢	—
المجموعة الاشتراكية	١٤	١٤	—	—	—	١٤	—	—	—	١٤	—	—	—
المجموعة الاسيوية	٢١	١٨	—	٢	١	١٥	—	٥	١	١٧	—	٣	١
المجموعة اللاتينية	٢٥	١٠	٢	٩	٤	٥	٤	١٤	٢	٨	٤	٨	٥
المجموعة الغربية	٢٢	١٢	١	٩	—	٣	٣	١٦	—	٤	١٢	٦	—
المجموع	١٣٦	١٠٥	٣	٢٠	٨	٨٩	٧	٣٧	٣	٩٥	١٦	١٩	٦

— الصوتان الباقيان لاسرائيل وجنوب افريقيا التي طردت من الجمعية العامة هذا العام .

— المجموعة الاسيوية تشمل : قبرص وفيجي واليابان .

تزايد النفوذ الصهيوني في الكونغرس الاميركي ونتائجه على الصراع العربي ـ الاسرائيلي

تركز الصهيونية منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ على الاحتفاظ بالدعم الاميركي الذي ظهرت آثاره الهامة خلال الحرب وبعدها . فالولايات المتحدة اليوم هي الصديق الوحيد لاسرائيل ، والدولة الكبرى الوحيدة التي لا تزال تؤيد أطماعها التوسعية العدوانية ، وتقدم لها كل أنواع المساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . ويعتقد الصهاينة ان استمرار الدعم الاميركي مرهون ، قبل كل شيء ، بالسيطرة على المؤسسات السياسية التي تصنع القرار الاميركي، والمؤسسات الاقتصادية ـ الاعلامية التي تؤثر على صنع هذا القرار بالضغط المباشر وغير المباشر .

ويتمثل التركيز الصهيوني بالنشاط الكبير الذي تقوم به اللجان والمؤتمرات والوكالات والمنظمات الصهيونية ، وما تنشره الصحف الصهيونية او المؤيدة لها من مقالات ، وما تصدره المؤسسات من نشرات . وتستخدم الصهيونية في حملتها الدعائية الحالية أسلوب الهجوم ، فهي تضرب كل معارض ، وتوجه اتهاماتها باسم محاربة « اللاسامية » ، وتسخر كل طاقاتها للوصول الى هدف محوري هو : محاربة منظمة التحرير الفلسطينية ، واعادة اسرائيل الى المكانة الدولية التي كانت تتمتع بها قبل حرب ١٩٧٣ .

ولا يعني هذا القول ان الصهيونية كانت تعيش قبل الحرب حالة خمول ، فلقد لعبت دورها الضاغط دائما في الولايات المتحدة وفي مختلف الاوساط العالمية ، ولكنها تجد نفسها اليوم أمام تحديات دولية كبيرة ومن نوع جديد . الامر الذي يدفعها الى تكثيف نشاطها في معركة تعتبرها « معركة بقاء » .

ولقد قام الصهاينة الاميركيون منذ تشرين الاول (اكتوبر)١٩٧٤ بنشاط محموم لاكتساب الشارع الاميركي . وكانت مظاهراتهم وبياناتهم شبه يومية . ولقد شنوا بالاضافة الى ذلك حملة لجمع التواقيع على العرائض . وكان عملهم هذا بمثابة استفتاء شعبي غير رسمي ، نظرا للاهمية التي يعلقها الاميركيون على توقيع العرائض عندما يريدون التعبير عن رأيهم في القضايا الخطيرة كحرب فيتنام ، ووترغيت ، والمطالبة بتنحية نيكسون .. الخ .

وتركز الصهيونية اليوم ، أكثر من أي وقت مضى ، على تعيين مؤيديها في المراكز الحساسة في الادارة الاميركية ، ابتداء من البيت الابيض (ابراز السناتور هنري جاكسون كمرشح للرئاسة في العام ١٩٧٦) ومرورا بالبنتاغون (محاربة رئيس الاركان الجنرال براون) ، والضغط على كل من يتلكأ في تقديم الاسلحة الى اسرائيل . ولقد وضعت « اللجنة اليهودية الاميركية » مشروعا يرمي الى محاربة « التمييز ضد اليهود » ، وايصال « الاداريين الصهاينة » الى مراكز مرموقة في أهم الشركات الاميركية(١)، وذلك بعد أن شعرت هذه اللجنة بأن « اليهود » غير ممثلين في المراكز العليا من قطاعات التجارة الكبيرة ، والمصارف والخدمات العامة والنقل(٢). وأخذت تضغط بالفعل على شركات الهاتف والبرق مطالبة بزيادة « عدد اليهود المؤهلين » في المراكز الادارية الهامة في الشركة، الامر الذي جعل هذه الشركات تتخذ تدابير سريعة لتحقيق هذه الرغبة . ومن المتوقع ان تستجيب شركات اميركية اخرى للمطالب الصهيونية ، وتعمل على تعيين عدد اكبر من الصهاينة في « المواقع المفتاح » داخل اداراتها .

ولعل من اهم اتجاهات الجهد الصهيوني في المرحلة الحاضرة ، زيادة عدد النواب المؤيدين لاسرائيل في المؤسسات التشريعية . ولقد تجاوب الناخب الاميركي مع الدعاية الصهيونية ، وبدا ذلك واضحا في انتخابات ١٩٧٤/١١/٥ ، اذ انتخب الاميركيون للكونغرس ـ بمجلسيه الشيوخ والنواب ـ عددا اكبر من الصهاينة . وهكذا حصل الصهاينة على ٣ مقاعد في مجلس الشيوخ التابع للكونغرس التاسع والاربعين ، كما حصلوا على ٢١ مقعدا في مجلس النواب للكونغرس نفسه. وهذا يعني انهم حصلوا على عشرة مقاعد اضافية عن المقاعد التي كانت لهم في الكونغرس السابق(٣).

ويلاحظ عند دراسة أوضاع النواب الصهاينة في الكونغرس الملاحظات التالية : **أولا** : ان ثلاثة نواب صهاينة في مجلس النواب جمهوريون ، ويقابلهم ١٨ نائبا صهيونيا ديموقراطيا ، **ثانيا** :

ان النواب الصهاينة المنتخبين من ولاية نيويورك يعادلون ٥٠ ٪ من مجموع النواب الصهاينة المنتخبين في الولايات المتحدة كلها . **ثالثا** : لقد انتخبت ولاية جورجيا لاول مرة في تاريخها نائبا صهيونيا هو الديموقراطي اليوت ليفيتاس . **رابعا** : ان اثنين من النواب الصهاينة في مجلس الشيوخ هما من الوجوه القديمة ، فجاكوب جافيتز ينتخب للمرة الرابعة عن ولاية نيويورك ، وابراهام ريبيكوف ينتخب للمرة الثالثة عن ولاية كونيكتيكات. **خامسا** : لقد انتخبت ولاية فلوريدا لاول مرة في تاريخها نائبا صهيونيا هو ريتشارد ستون ليمثلها في مجلس الشيوخ . وبهذا أصبح ستون اول صهيوني من الجنوب يصل الى مقعد في مجلس الشيوخ .

ويبدو من هذه الملاحظات اتساع السيطرة الصهيونية في نيويورك ، وامتدادها الى العديد من الولايات ، بما في ذلك ولايات لم تنتخب في تاريخها اي صهيوني ، كما يلاحظ تكريس زعامة جافيتز وريبيكوف اللذين أثبتا طوال حياتهما السياسية دعما كاملا لاسرائيل . ولقد اعتبرت الصحف الصهيونية ان نتائج الانتخابات دليل على نجاح المخطط الصهيوني ، وعبرت عن ذلك بعناوين عريضة تقول : « المرشحون اليهود يفوزون في الانتخابات » ، و« جميع المرشحين اليهود الذين تبنيناهم نجحوا » . وتبرز هذه العناوين بوضوح انتماء المرشحين الديني ، مع ان الانتخابات الاميركية تجري باسم الانتماء الحزبي والبرامج الحزبية لا تحت لواء الدين او الطائفة . وهللت الصحف الصهيونية ايضا «بعودة اصدقاء اسرائيل» الى الكونغرس ، ولقد عرف هؤلاء « الاصدقاء » بتأييدهم المطلق لاسرائيل ، وبمطالبتهم الدائمة بهجرة اليهود السوفييت . ومن أبرزهم الديمقراطي شارل فانيك الذي يعود الى مجلس النواب للمرة الحادية عشرة على التوالي ، والجمهوري ريتشارد شويكر ، والديمقراطي ولبور ميلز ، والسناتور الديمقراطي آلان كرانستون ، والسناتور الجمهوري روبرت دول .

ومن أبرز مظاهر النجاح الصهيوني في الانتخابات الاميركية غياب السناتور الديمقراطي وليام فولبرايت الذي خسر مقعده للمرة الاولى منذ ثلاثين عاما ، وذلك خلال الانتخابات الفرعية التي جرت في الحزب الديمقراطي خلال الربيع الماضي. ومن المعروف ان الصهيونية حاربت فولبرايت بشكل محموم ، نظرا لمواقفه السياسية التي تقدم مصلحة الولايات المتحدة الوطنية على مصالح اسرائيل ، وتؤيد وجهة النظر العربية العادلة .

وبالاضافة الى كل هؤلاء النواب الصهاينة والنواب غير اليهود المؤيدين للصهيونية ، فان في مجلس الشيوخ نوابا آخرين مؤيدين للصهيونية ، ولكنهم لم يخوضوا الانتخابات في هذه الدورة لان مدتهم لم تنته بعد(٤). ومن هؤلاء النواب السناتور الديمقراطي هنري جاكسون الذي تحاول الصهيونية تسليط الاضواء عليه واعطاءه أهمية لا تتناسب مع مؤهلاته ، والسناتور الديمقراطي جون باستور وزميله وليام بروكسماير وهما صهيونيان أكثر من الصهاينة انفسهم .

ولم يقتصر ربح الصهاينة على زيادة مقاعدهم في مجلسي الكونغرس ، بل امتد ايضا ليشمل مناصب حكام الولايات المتحدة الذين ظهر من بينهم عدد كبير من الصهيونيين او انصارهم . وأمام هذا المد الذي حققته الصهيونية داخل اجهزة الحكم ، فان علينا ان نقف وقفة تأمل لتحديد أسباب ونتائج ارتفاع نسبة عدد النواب الصهاينة في مجلس النواب من ٢ر٦ ٪ الى ٨ر٤ ٪ ، واسباب وجود صهاينة بنسبة ٣ ٪ داخل مجلس الشيوخ ، مع ان الصهاينة لا يمثلون في الولايات المتحدة سوى ٢ر٦ ٪ تقريبا من مجمل السكان .

لقد كان هناك عدة عوامل واحداث عرفت الصهيونية كيف تستغلها وتوظفها في خدمة مرشحيها . فبالاضافة الى نفوذ الصهيونية في حقول الاعلام والمال والسياسة ، ومعرفتها التامة للعبة السياسية ، واتقانها الكامل لتسيير الالة الانتخابية ، فقد أفاد مرشحوها (الصهاينة ومؤيدوهم) من العوامل التالية :

العامل الاول : توقيت الانتخابات . فلقد جرت هذه الانتخابات بعد ثلاثة اشهر من استقالة الرئيس ريتشارد نيكسون على اثر فضيحة ووترغيت التي لا تزال محاكمة ابطالها جارية حتى اليوم . وتمت الانتخابات وسط جو عام ، وتراشق للتهم والتبعات ، وفضائح كبيرة اكتشف الاميركيون خلالها ان نظامهم لم يكن مثاليا كما كانوا يظنون ، وان مبادىء حكامهم لم تكن الا على الورق . واثرت

الأزمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد على سير الانتخابات . وكان من أهم مظاهر هذه الازمة الانكماش الاقتصادي ، وأزمة الطاقة ، والتضخم، وارتفاع عدد العاطلين عن العمل ، وافلاس عدد من الشركات ، واحتمال افلاس عدد آخر من الشركات الكبرى وخاصة في قطاع صناعة السيارات .

وبدلا من ان تخلق هذه الاوضاع وعيا سياسيا ، وردة فعل جذرية يأخذ فيها الشارع الاميركي المبادرة الايجابية ضد جهاز الحكم « الفاسد والمفسد » ، حسب تعبير الاميركيين ، فقد لوحظ ان هذا الشارع غارق في السلبية والخمول السياسيين . وكان من أبرز مظاهر الحبوط السياسي لديه ، عزوف ٦٢ ٪ من الناخبين عن التصويت(٥). الامر الذي ترك الساحة خالية أمام الناخب الصهيوني ومؤيديه الذين تحركوا على العكس بديناميكية تمثلت في كثافة التصويت وارتفاع نسبة المدلين بأصواتهم بين صفوف الصهاينة ومؤيديهم ، ولذا فان من الممكن القول بأن نتائج الانتخابات كانت مشوهة ولا تعكس رأي الاكثرية الاميركية ، التي بقيت مرة اخرى صامتة !

ولم يكن لهذا الصمت أي معنى ايجابي ، ولم يحقق الرغبة الكامنة وراءه . لانه لم يكن صمتا مبنيا على قرار سياسي مسبق ، كما لم يكن مقاطعة معلنة او ضغطا جماهيريا للتعبير عن سخط عام ، بل كان على العكس صمتا سلبيا ناجما عن انعدام التنظيم في صفوف الساخطين ، وعدم قدرتهم على مجابهة المعضلات الاساسية ، وانشغالهم بمشاكل جانبية ثانوية . وتقودنا هذه الملاحظة الى القول بأن سلبية الاكثرية الاميركية ، وتقوقعها على نفسها ، وانعزالها عن كل ما يجري حولها داخل الولايات المتحدة وخارجها دون أن يمس مصالحها اليومية ، هي من أهم اسباب نجاح الصهاينة وسيطرتهم على الشارع الاميركي .

العامل الثاني : الاتهامات الموجهة الى الحزب الجمهوري، واعتباره مسؤولا عن فضيحة ووترغيت وذيولها ، والحالة العامة الداخلية المتدهورة . لذا فقد جاءت النتيجة هزيمة للجمهوريين لم يعرفوا مثلها منذ سنين . وخسر كبار الجمهوريين المقربين من الرئيس نيكسون مقاعدهم ، حتى سميت الانتخابات « انتخابات نيكسون الاخيرة »(٦) ولقد اعتبرت هذه الانتخابات عملية تطهير واسعة النطاق . ومن المؤكد ان الشارع الاميركي سيصاب بخيبة أمل كبيرة عندما سيكتشف ان الحزب الديمقراطي لا يتميز عن الحزب الجمهوري ، وان أساس الداء لا يكمن في هذا الحزب او ذاك ، بل في الجهاز السياسي الاميركي ، والسياسة الاميركية في الداخل والخارج على السواء . وان كل ما يقال عن ليبرالية الحزب الديمقراطي وتأييده للسياسة الخارجية المنفتحة وتقديم المساعدات الخارجية ، وكل ما يقال عن الطبيعة المحافظة للحزب الجمهوري ، ليست أكثر من اقوال مجردة من المعاني الحقيقية ، وان جوهر الحزبين واحد ، لانهما يدافعان عن نظام مهترىء واحد ، يخطو خطوات سريعة نحو الازمة .

بيد أن الناخب الاميركي لم يع بعد هذه الحقيقة، لذا وجدناه يصوت للديمقراطيين . وكانت النتيجة صفعة للرئيس جيرالد فورد الذي قام بجولة في عشرين ولاية لتأييد مرشحي الحزب الجمهوري . وقيل بأن من مصلحة فورد والحزب الجمهوري كله ان يستقيل فورد من الرئاسة(٧). ورد الرئيس على ذلك بأن أصدر الناطق باسمه بيانا قال فيه : انه باق حتى نهاية ولايته ، وربما بقي في سدة الرئاسة أكثر من ذلك(٨).

ولقد استغلت الصهيونية تدهور سمعة الجمهوريين ، فقدمت معظم مرشحيها على لوائح الحزب الديمقراطي ، الذي فاز بأكثرية مقاعد الكونغرس الجديد ، وغدا مسيطرا على ٦٣ ٪ من مقاعد مجلس الشيوخ و ٦٦ ٪ من مقاعد مجلس النواب الامر الذي زاد حصة المرشحين الصهاينة ومؤيديهم داخل المجلسين .

العامل الثالث : تمويل الانتخابات . فلقد صوت الناخب الاميركي ، على ما يبدو ، ضد فضيحة ووترغيت ، وما كشفه التحقيق من فضائح تتعلق بتمويل الحملات الانتخابية السابقة. وأراد الانتقام من أصحاب الفضيحة عن طريق استخدام أساليبهم، وانتخاب المرشح الذي استخدم أمواله في المعركة الانتخابية على طريقة ووترغيت . ولقد دلت نتائج الانتخابات على انه كان هناك رشوات ومصروفات ضخمة مولها الاغنياء لانجاح مرشحين من الاغنياء(٩)، لدرجة جعلت معركة المرشح الصهيوني الديمقراطي أبنر مكفاح في ولاية الينوي من أغلى المعارك

وأكثرها تكلفة . وينطبق هذا القول على جافيتز وغيره من مرشحي الصهيونية .

العامل الرابع : لم تطرح برامج المرشحين خلال المعركة الانتخابية مقولات تتعلق بالقضايا الدولية الهامة (مثل الحرب الفيتنامية) . ومما يلفت النظر أن أسرى الحرب السابقين الاربعة الذين خاضوا الانتخابات فشلوا جميعهم . ولقد أدى انعدام المقولات السياسية الخارجية في برامج معظم المرشحين الى خلو الساحة أمام المرشحين الصهاينة ليطرحوا قضية اسرائيل والخطر الذي يتهددها كمقولة سياسية خارجية محورية .

ولقد شاءت الصدفة ان يقع تاريخ الانتخابات في الفترة الزمنية التي كانت الامم المتحدة تستعد خلالها لاستقبال وفد منظمة التحرير الفلسطينية ، فاستغلت الصهيونية هذا التطابق الزمني لصالح مرشحيها ، رغم أنها كانت تتمنى في قرارة نفسها أن لا تدعى المنظمة أصلا الى الامم المتحدة . ولقد اعترفت « الديلي نيوز بولتن » ، التي تصدر عن « جويش تلغرافيك ايجنسي » ، بأن من العوامل الاساسية التي ساعدت السناتور جافيتز للانتصار على منافسه الديمقراطي رمزي كلارك ، كان تأييده لاسرائيل(١٠). فلقد استطاع جافيتز ان يجعل موقف كلارك من الفلسطينيين محور حملته الانتخابية ، وأن يكتسب أصوات الاميركيين الخاضعين للدعاية الصهيونية ، والمعادين لمنظمة التحرير الفلسطينية . وكان تفسير مؤيدي كلارك لفشل مرشحهم يدور حول ان جافيتز تمكن من « تشويه » موقف كلارك من القضية الفلسطينية . وهكذا أفاد الصهاينة حتى من اكبر هزيمة سياسية لحقتهم على الصعيد الدولي .

العامل الخامس : التكتيك النفسي الذي اتبعه مرشحو الصهاينة . فلقد تبنوا المواقف الهجومية في انتقاداتهم للاوضاع الداخلية المتردية . ولجأوا الى التشهير بخصومهم ، وشتم هيئة الامم المتحدة والتنديد بموقفها الخاص بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية . ولقد استطاع مرشحو الصهيونية حشر منافسيهم في مواقع الدفاع . فبدا هؤلاء وكأنهم واقعون تحت تأثير عقدتي الضعف والذنب معا . وظهر معظمهم خلال المناظرات والمحاضرات، وكأنهم يستجدون عطف الناخبين . وكان ذلك واضحا في ولاية نيويورك بشكل خاص . وبالاضافة الى ذلك ، فقد حاول مرشحو الصهيونية الظهور بمظهر مالك القوة الواثق بالنجاح . وأثر هذا الموقف على الاميركي العادي الذي يؤمن بالقوة والنجاح ، ويحترم العجرفة التي تقارب النرجسية، ولا يثق الا بمن يعرف كيف يفرض نفسه كسلعة مرغوبة في السوق الاميركية .

ومن الملاحظ ان الاسرائيليين خاطبوا الشارع الاميركي منذ حرب ١٩٧٣ باللغة التي يفهمها ، فلقد ردد زعماؤهم طوال العام الماضي : « نحن أقوياء » ، « نحن قادرون على قهر العرب لوحدنا شريطة تزويدنا بالسلاح » ، « نحن القوة الوحيدة القادرة على منع التغلغل السوفييتي في الشرق الاوسط » . وكانت أقوالهم تضرب على وتر حساس في أعماق الانسان الاميركي الذي لا يحب الضعفاء ، ولا يحترم المهزومين ، ويؤمن بالنجاح ايمانا دوغماسيا شبه ديني . ولقد لاحظ الخبراء النفسيون هذا « التشوه النفسي » في المجتمع الاميركي ، عندما رصدوا تبدل النظرة الاميركية للعرب بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، رغم عدالة الموقف العربي قبل هذه الحرب وبعدها . وتحول السياسة الاميركية الرسمية بعد الانتصار الساحق الذي حققه الاتراك في قبرص ، رغم النقد العالمي الذي وجه للاسلوب التركي في معالجة الازمة القبرصية .

وقد لا يكون احترام القوة والنجاح ظاهرة اميركية بحتة ، ولكنه يأخذ في الولايات المتحدة حجما مرضيا لا يخلو من السطحية . ويرجع السبب في ذلك الى ان غالبية سكان الولايات المتحدة متحدرة من جماعات وطبقات تعرضت للقهر (الاجتماعي او السياسي او الديني) في وطنها الام ، ثم عرفت البحبوحة في اميركا ، وانشغلت بالمسائل المادية دون الغوص في الثقافة ، فكونت مجتمعا يفتقر الى « النضج الحضاري » و« العمق الفكري » ، ومن هنا جاء اعجابه بالاقوياء وأصحاب الشأن ، أو بالذين يعرفون كيف يبدون كذلك على الاقل . ولقد زاد من ترسخ هذا « التشوه النفسي » اعتماد المواطن الاميركي في تثقيف نفسه على برامج التلفزيون وما تكتبه الصحف اليومية التي تسيطر عليها الصهيونية الى حد بعيد ، وتستغلها في تعبئة الرأي العام الاميركي ضد القضية العربية .

ولقد أمنت هذه العوامل الخمسة مجتمعة ــ كما رأينا ــ فوز الصهاينة ومؤيديهم في الانتخابات ، وتزايد عددهم داخل مجلس الكونغرس. ولكن عدد الصهاينة داخل جهازي السلطة التشريعية يبقى رغم كل شيء أصغر مــن أن يؤثر وحده علــى المؤسسة التشريعية الاميركية التي تعتبر من أهم مؤسسات الحكم في الولايات المتحدة . والحقيقة أن الصهاينة لا يستمدون قوتهم من نوابهم فحسب، بل يستمدونها أيضا من مؤيديهم ، ومن قدرتهم على ممارسة ضغط قوي علــى مجمل أعضــاء الكونغرس بمختلف الوسائل : كترؤس اللجــان الهامة ، وعقد الصداقات المفيدة ، والمشاركة في « التطبيقات » السياسية ، وربط مصالح ممثلي الشعب الاميركــي بالمؤسســات الاقتصاديــة الصهيونية ، والقدرة على العمل في الكواليس ، وتعبئة كل الوسائط وتنسيقها لتحقيق هدف محدد بدقة .

ويمكن القول ان الكونغرس الاميركي الجديــد « متصهين » كالكونغرس القديم ، وان كانت نسبة « التصهين » اليوم أشد وضوحا ، نظرا لتزايد عدد الصهاينة في داخله . وسيؤدي هذا الواقع الجديد الى تزايد عدائه للعرب ، وتصعيد الحرب ضدهم ، وعرقلــة أي مشروع يستهدف تحقيــق التقارب معهم (مساعدات اقتصادية ، صفقات أسلحة ، تقديم مفاعلات ذرية لاغراض سلمية .. الخ) . وليس اتهام الكونغرس « بالتصهين » اتهاما عاطفيا عاما ، ولكنه حقيقة مبنية على واقع مادي ملموس ، يتمثل في مجمل السياسة الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط ، وهي في جوهرها سياسة متعارضة مــع المصالح الحقيقية للولايات المتحدة الاميركية . ولقد أشــار الى ذلك رئيس الاركان الاميركي الجنــرال جورج براون خــلال محاضرة ألقاها في ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ في كلية الحقوق في جامعة ديوك (ولاية نورث كارولينا) وقال فيها : « ان نفوذ اسرائيل في الكونغرس كبير » (١١). وكان الجنــرال ، بصفته رئيسا للقوات الجوية الاميركية ، مسؤولا عــن ارسال السلاح الاميركي الى اسرائيل خلال حرب ١٩٧٣ ، الامر الذي جعله يطلع على حجم هذا السلاح ، وصعوبات الجسر الجوي الذي أوصله الى اسرائيل لانقاذها من الانهيار ، ومدى تأثير ذلك على مخزون الاسلحة والذخيرة في الولايات المتحدة واوروبا الغربية . ومما قاله رئيس الاركان في محاضرته « يأتي الاسرائيليون لطلب معدات ، فنقول لهم لا نستطيع حمل الكونغرس للموافقة على برنامج كهذا . فيجيبون : لا تهتموا بالكونغرس ، سنهتم به . ولا يستطيع أحد خارج هذا البلد ان يقول ذلك . ولكنهم قادرون على ذلك . فهم يملكون البنوك والصحف في هذا البلد . انظروا أين هو المال اليهودي »(١٢). ولقد اثارت محاضرة رئيس الاركان عاصفة ما زالت تتفاعل حتى اليوم ، وهي مرشحة للاستمرار ، لان الصهاينــة لم يوقفوا حملتهم على الجنرال رغم تراجعه العلني واعتذاره ولا يزالون يوجهون اليه الاتهام بــ « اللاسامية »، ويطالبون باقالته من منصبه . ولقد أدى ذلك كله الى ان عدة أعضاء في الكونغرس طالبوا بفتح تحقيق حول هذا الموضوع ، لمعاقبة رئيس الاركان المتهم بفرط وطنيته وغيرته على بلاده !

ان السيطرة الصهيونية على الكونغرس لا تعني ان جميع اعضائه يشاركون الصهيونية في مواقفها. ولكن ما أن يعبر أحدهم عن رأيه حتى تنهال عليه التهم من كل جــانب . وهذا ما حدث في تشرين الاول (اكتوبــر) ١٩٧٤ مع تاديوس غاريت ، مساعد عضو الكونغرس الديمقــراطية تشيرلــي شيشولم ، الذي قال لعدد من الاسرائيليين الذين جاؤوا لزيارة مكتب شيشولم « ان اسرائيل تعامل العرب معاملة لا انسانيــة » ، و« ان اعمــال الفدائيين العرب وحدها تظهر في الصحف والتلفزيون الاميركي ، لان الصحافة واجهزة الاعلام في أيدي اليهود المسيطرين على ادارة (ن. بي. سي.) ، و(سي. بي. اس) ، و(اي. بي. سي) ، وأهم الصحف »(١٣). فثارت ثائرة الاجهزة الصهيونية، وهاجمت السيدة شيشولم ، وحملتها مسؤوليــة أقوال مساعدها . ومارست ضدها ارهابا فكريا لم ينته بعد . وليست هذه القضية سوى مثــال عن الارهاب الفكري الذي تمارسه الصهيونية ضد كل من لا يشاركها الرأي . الامر الذي يجعــل الديمقراطية الاميركية مهــزلة على الصعيديــن الرسمي والشعبي ، وتحرم المواطن الاميركي ، وممثله الشرعي ، من التعبير عن رأيهما بصراحة ، اذا كان هذا الرأي متعارضــا مع مخططــات الصهيونية .

وتظهر آثار هذا الارهاب بوضوح عند التحدث مع الاميركي العادي او المثقف عن قضايا الصراع العربي — الاسرائيلي . فهو ينظر حوله قبل أن يدلي برأيه ، وكأنه يخشى ان يكون هناك من يسترق السمع ، ثم يجيب غالبا « ان العرب على حق ، ولكن اليهود هنا يسيطرون على كل شيء »(١٤). وعندما تذكر محدثك بأن البلد بلده ، وان عليه ان يعبر عن رأيه في بلد « ديمقراطي » ، يلوذ هذا المحدث بالصمت المحزن والمخجل معا .

لقد شدد الصهاينة قبضتهم على المجتمع الاميركي ، وتخلى معظم الاميركيين عن حقهم الوطني في ابداء رأيهم ، حتى غدا الاميركي غريبا في وطنه. ومع هذا فان شخصيات اميركية بعيدة النظر — مثل الجنرال براون والسناتور السابق فولبرايت وغيرهما — ترى ان هذا الوضع لا يمكن ان يدوم . و« ان اي حظر جديد للنفط سيدفع الاميركيين الى التفكير بصلابة ، ويجعلهم ينقضون على النفوذ اليهودي، ويضعون حدا للمناورات اليهودية»(١٥).

ان الصهاينة يعدون العدة لاستثمار نجاحهم الانتخابي ، ويخططون للمعركة المقبلة داخل الكونغرس الاميركي الذي اجتمع في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، لدراسة اكثر من معضلة محلية وعالمية تنتظر الحل . ولا شك ان اعقد المعضلات ، بعد معضلة الاوضاع الداخلية المتردية، الموضوعات الخاصة بالمساعدات الخارجية . وبالرغم من أن اكثرية اعضاء الكونغرس من الحزب الديمقراطي المؤيد لسياسة المساعدات الخارجية ، فقد ركز جميع المرشحين خلال الانتخابات على ضرورة معالجة الاوضاع الاقتصادية المتردية ، وايقاف تدهور الاقتصاد الاميركي السائر نحو الازمة . ولذا فقد لاقت مسألة تقديم المساعدات الخارجية صعوبات كبيرة . الامر الذي يقلق الصهاينة ، ويقلب حسابات اسرائيل التي تعيش بشكل طفيلي على المساعدات الخارجية الاميركية أساسا . وتحاول الصهيونية درء هذا الخطر المحتمل ، عن طريق شن حملة تؤكد ان من الضروري الاستمرار في دعم اسرائيل ، وعدم حرمانها من المساعدات ، لانها تمثل « استثناء للقاعدة » ، و« الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط » ، و« الحاجز الوحيد ضد التغلغل السوفييتي في المحيط الهندي » ، و« القوة الوحيدة القادرة على ردع العرب ومنعهم من استخدام نفطهم لشل اقتصاديات الدول الصناعية المستهلكة للنفط » . وليست هذه الحملة في جوهرها سوى محاولة مفتعلة لربط المصالح الاميركية بوجود « اسرائيل قوية » ، ولا يحتاج احباط الحملة الصهيونية رغم دقتها وشدتها وقوة مرتكزاتها في الولايات المتحدة ، سوى حملة مضادة ، تقنع الاميركيين بشكل ملموس ان مصالحهم الاقتصادية والسياسية مرتبطة بارادة الوطن العربي لا بقوة اسرائيل ، وان تدهور الاقتصاد الاميركي ، وتغلغل السوفييت في الشرق الاوسط والمحيط الهندي والخليج العربي ، ان هي الا نتائج سياسة الولايات المتحدة المؤيدة لاسرائيل، والمستفزة لمشاعر العرب القومية ، والمتجاهلة لمصالحهم الوطنية وحقهم في التحرر والتقدم والوحدة .

س . ح

---

١ — *The Jewish Journal*, Nov, 22, 1974

٢ — المرجع نفسه .

٣ — لقد أعيد انتخاب الاعضاء الصهاينة الـ ١١ الذين كانوا في مجلس النواب ، وهم : بنجامين غيلمان ، وسام ستيغر (جمهوريان) ، وبيلا ابزوغ ، والبزابيت هولتزمان ، وادوارد كوش، وبنجامين روزنتال ، وليستر وولف ، وجشوا ايلبرغ ، وادوارد ميزفنسكي ، وسدني ياتس، ووبليام ليهمان (ديموقراطيون) . اما الوجوه الصهيونية الجديدة في مجلس النواب فهم : ويليس غراديسون (جمهوري) ، وستيفن سولارز ، وفريدريك ريتشموند ، واليوت ليفيتاس ، وغلاديس فون سبيلمان ، وجون كريبس ، وهنري واكسمان ، وأبنر مكفاح ، وجيمس شوير ، وريتشارد اوتنجر . وفاز بعضوية مجلس الشيوخ الصهاينة جاكوب جافيتز ، وابراهام ريبيكوف ، وريتشارد ستون.

٤ — ينتخب أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي كل ست سنوات ، على حين ينتخب اعضاء مجلس النواب كل ٤ سنوات . ولهذا جرت الانتخابات الاخيرة على ٣٤ مقعدا فقط من مقاعد مجلس الشيوخ المائة . على حين انها جرت على كافة

مقاعد مجلس النواب وعددها ٤٣٥ مقعدا .

٥ — *The NewYork Times*, Nov. 30, 1974

٦ — *The New York Times*, Nov.7, 1974

٧ — *The NewYork Times*, Nov. 9, 1974

٨ — *The Jewish Journal*, Nov. 15, 1974

٩ — *The New York Times*, Nov. 7, 1974

١٠ — *Daily News Bulletin*, Vol. XLI, No. 210, Nov. 7, 1974.

١١ — مرت هذه المحاضرة دون ان يهتم بها أحد ، الا بعد ان اعطى طالب صهيوني بعـد شهر شريطا مسجلا عنها للواشنطن بوست ، فنشرت نص المحاضرة في ١٣/١١/١٩٧٤ . وفي اليوم التالي نشرتها معظم الصحف الاميركية .

١٢ — **واشنطن بوست** ، ١٣/١١/١٩٧٤ .

١٣ — *Jewish Journal*, Nov. 22, 1974.

١٤ — لقد سمعت الكاتبة هـذه الجملة مرات عديدة ، وفي مناسبات مختلفة ، الامر الذي أثار انتباهها لهذه الجملة المكررة وكأنها « كليشيه » محفوظة .

١٥ — *The New York Times*, Nov. 14, 1974.

صدرت فهارس السنوات الاربع الاولى من شؤون فلسطينية (الاعداد ١ — ٤٢) تشمل الكتّاب ، وعناوين المواد ، والمراجعات ، والمؤتمرات ، والشهريات . يرجى ممن يـود الحصول على نسخة من الفهرس ان يكتب للمجلة (قسم التوزيع) لنرسلها له بالبريد ، مجانـــا .

كفرشوبا : التحدي ورد التحدي

اذا كان البعض قد سمى عام ١٩٧٤ عـــام المحادثات الدولية لحل مشكلة الشرق الاوسط ، فان البعض قد اعتبر عام ١٩٧٤ عام تصعيـــد العمليات العسكرية ضـــد العدو الصهيوني ، فالعمليات العسكرية شملت كل انحاء فلسطين . ونستطيع القول ان الثورة الفلسطينية كانت ولا زالت في مرحلة الهجوم المستمر ، وفي مرحلـــــة التصعيد المستمر للنضال الثوري ضمـــن الارض المحتلة . لهذا كان العدو في مرحلة الدفاع المستمر، وذلك للمرة الثانية في تاريخه بعد معارك تشرين، ومع نهاية عام ١٩٧٤ وبداية عام ١٩٧٥ . والذي اعتبره الاخ ابو عمار عام « التصعيد والتلاحم » بيدأ فعلا هذا العام بتلاحم النضال الوطني اللبناني والفلسطيني وبأجلى صوره ، ففي ليلة الواحـــد من عام ١٩٧٥ قام العدو الصهيوني بعملية محدودة ضد قرية لبنانية تدعى الطيبة ، وهذه القرية لم يكن فيها اي فدائي على الاطلاق قاوم بعـــض سكانها لفترة من الوقت ، فقتل من العدو بعـــض افراده ، وجرح البعض الاخر واستشهد قسم مـــن افراد البيت المهاجم وهم من **آل شرف الدين** .

كانت عملية الطيبة ودفاع قسم من اهاليها عن الارض، الثالثة من نوعها، ففي عام ١٩٦٩ ، قامت بعض وحدات عدوة بمهاجمة مزرعة حلتا — التابعة لكفرشوبا — فتصدى لها حينذاك احد المواطنين — **حسين علي قاسم شبلي** — ودافع ببطولة نادرة عن قريته واستشهد ، وقد اعترفت اسرائيل حينها بثلاثة قتلى وببضعة جرحى . والمرة الثانية حين تصدى — **طربيه العنز** — من الماريه — لدوريـــة صهيونية معتدية فقتل ثلاثة من أفرادهـــا كمـــا اعترفت السلطات الصهيونية .

وتستطيع القول أن عملية الطيبة . ودفاع قسم لا بأس به من اهالي كفرشوبا عن قريتهم اخيرا، شكلت بداية لمواجهة جماعية لبنانية ضد العـــدو الصهيوني . وهذه المواجهة علينـــا بتطويرهـــا والارتفاع بها من العفوية الفردية الى التنظيـــم الجماعي الهادف ، وبذلك نكون قد جسدنا فعلا التلاحم اللبناني — الفلسطيني .

وردا على عملية الطيبة ، ومن اجل تجسيد معنى التصعيد الثوري ضد العدو الصهيوني ، قامت احدى وحدات الثورة بمهاجمة مركز صهيوني في جبل الشيخ . وهذا المركز الذي احتل عـــام ١٩٧٠ له اكثر من اسم . فقبل عام ١٩٦٩ كان يسمى بجبل الروس ، ومنذ عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٠ سمي بأسم قاعدة التحدي . ويسمى ايضا بأسم تلة العلم . وهذا المركز يطل على معظم الجولان كما يشرف على معظم مناطق حاصبيـــا ، ويشرف ايضا على القسم الاكبر مـــن اراضي الحولة والجليل ومنطقة جبل الشيخ السورية وان هذا المركز لاهميته الستراتيجية هذه ، ولاعماله العدوانية المستمرة ضد المواطنين وضد قـــوى الثورة كان هدفا لقوى الثورة وسيبقى الى يـــوم التحرير ، ففي يوم ١٩٧٥/١/١١ قامت مجموعة من قوات العاصفة بمهاجمة هذا المركز وطهرتـــه وعادت الى قواعدها تحمل راية النصر . وقد اعترف العدو « بأربعة جرحى فقط » !

وردا على هذه العملية قام العدو الصهيوني بعملية واسعة ضد اهالي قرية كفرشوبا وضـــد قواعد الثورة فيها. ففي ليل ١٩٧٥/١/١١ مساء قصف العدو بالمدفعية ضواحي كفرشوبا والعرقوب ثم تقدم الى القرية من على ثلاثة محاور . الا ان القوات المتقدمة اصطدمت بكمائن الثورة هناك ، وحصل اشتباك عنيف استمر من الثامنة مساء حتى الثانية عشرة ليلا ، وانسحب بعدها العدو . وبعد انسحابه شدد قصفه على البلدة وعلى ضواحيها ، فقطعت من البلدة الكهرباء ، والمياه والتلفون كما نسفت الطريق المؤدية اليها . وضربت عبـــارة طريق الهبارية وشبعا ، وخزان المياه الذي يمـــد المنطقة . واستمرت قوات العدو المرابطة فـــي العباسية وفي منطقة تلة الرمثا—ومن جبل الروس، والعباسية ، تشدد قصفها على البلدة محـــاولة حصارها . واستمر ذلك طوال نهار ١٩٧٥/١/١٢. وخلال فترة الليل ، حاول العدو الدخول للبلـــدة من على اربع جهات ، لكن اليقظة العالية لقوات الثورة من جهة وللقوى المتقدمة من البلدة الذين قاتلوا الى جانب المقاومة « اذ شارك شبـــاب

البلدة جنبا الى جنب في التصدي للعدو ، كما شارك قسم اخر من الفتيان ومن بعض الفتيات ، بجلب الذخيرة ، وبتأمين المياه ، واحيانا الاكل، وكقوى استطلاعية » حال دون دخول القسوات المعتدية والى وقوع خسائر كبيرة في صفوف العدو .

وقد كرر العدو قصفه في نهار ١٩٧٥/١/١٣ وخلال فترة الليل حاصر البلدة ولقد فعل الشيء نفسه خلال فترة الليل فتقدم باتجاه البلدة ودارت معارك عنيفة حول البلدة وعلى مشارفها ، وكانت النتيجة بالنسبة للعدو التراجع والهزيمة والمزيد من الخسائر في صفوفه ، وفي ليلة ١٩٧٥/١/١٤ وبعد قصف شديد للقرية كرر العدو محاولاته من أجل دخول البلدة ، الا ان قسما من القوى التي دخلت ابيدت .

يعود سبب فشل العدو من الدخول للقرية الى معرفة قوى الثورة الجيدة بمداخل ومخارج البلدة، بينما كان متعذرا ذلك على العدو . وايضا لقتال شباب البلدة الى جانب قوى الثورة . والاسباب الاخرى للتكتيكات المرنة التي مارستها قوى الثورة في هذه المعارك . مثلا السماح للعدو بالدخول الى القرية ، وحينما كان يدخل ويصبح تحت مرمى أسلحة الثورة تطلق عليه النيران من كل جانب، وهذه احدى اهم اسباب خسائره الكبيرة والتي تجاوزت المائة قتيل وجريح . واضافة لذلك للمحاور المختلفة والمتعددة التي استعملتها المقاومة داخل وخارج البلدة من التمويه بالانسحاب والانقضاض على العدو ، مما ادى الى فقدان العدو لتوازنه ولقدرته على المفاجأة . واخيرا للكمائن المتعددة داخل وعلى مشارف البلدة ، وللمرونة الفائقة في التحرك من مكان الى اخر حسبما تقتضي امور المعركة ، هذا وبعد فشل العدو اذ كان واضحا فشله من خلال تدميره لبيوت القرية بواسطة المدفعية وغيرها ، وقد اراد رفع معنويات جنوده من خلال ذلك . وبعد فشله حاول التقدم بآلياته ، ولكن لغما احال احدى آلياته الى كومة حديد . كما أن احدى قذائف البازوكا اطلقت واصابت آلية اخرى . وهذه هي الاسباب لتراجع العدو ولتقهقره ، وذلك بعد محاولات استمرت اسبوعا متواصلا للدخول لقرية يبلغ عدد القاطنين بها حوالي ١٨٠٠ نسمة ولا يتجاوز عدد منازلها الثلاثماية وخمسون منزلا .

بسبب الاوضاع الاجتماعية الصعبة التي يعيشها ابناء منطقة حاصبيا ، والتي بلغ عدد سكانها ١٩٦٨ حوالي ٣٤ الف مواطن — حسب احصاءات الدولة ، كان عدد النازحين منهم خلال تلك الفترة سبع عشرة الف مواطن . لهذا فان قوات العدو الصهيوني تهدف من جراء اعتداءاتها على الجنوب عامة ،وعلى هذه المنطقة خاصة ، دفع الاهالي للنزوح ، وتازيم العلاقات ما بين الثورة والقوى المتخلفة والعميلة ، التي تسعى الى تحميل الثورة مسؤوليه النزوح . وبهذا تبرر تخاذلها من حماية الارض ، وعن عدم تسليحها للاهالي وعن اهمالها للمنطقة وذلك لعدم تشجيعها قيام مشاريع اقتصادية من اجل الصمود في الارض — ولا حتى بمشاريع صحية — وسوف تستغل اسرائيل ذلك لتحتل اجزاء من جنوب لبنان وبالاخص هذه المنطقة ، لاهميتها في أية حرب مقبلة ضد سوريا . وسوف تستغل القوى المتخلفة ذلك لتوجه انظار الجماهير نحو الثورة متهمة اياها بأنها سبب اعتداءات اسرائيل ، وكأن اسرائيل عبر تاريخها لم تكشف عن اطماعها في جنوب لبنان ، هذا وسوف يقوم العدو بحرب نفسية هدفها الهاء الثورة عن هدفها الاساسي ، والقوى المتخلفة ليست بالمستهان بها من اجل تنفيذ ذلك .

كما أن سياسة الارض المحروقة ، وحرب المواقع المحدودة التي يتبعها العدو الصهيوني ، مثل التدمير شبه الكامل لقرية كفرشوبا — وسابقا لراشيا الفخار ، وقبلها لحاصبيا وعين قنيا والهبارية وكفر حمام وغيرها من قرى قضاء حاصبيا . كذلك احراق القسم الاكبر من الانتاج الزراعي ، وضرب معظم الاشجار المثمرة ، من زيتون وسواها . في هذه المنطقة . ان هذه السياسة هدفها اضعاف قوى الثورة ، وترك السمك بدون المياه — اي قوى الثورة بدون جماهير المنطقة — مما ينعكس على قوى الثورة ، وعلى الجماهير المؤيدة لها فاسرائيل تارة تهاجم قوى الثورة وتارة تهاجم القوى الموالية للثورة ، وما حصل في مجدل زوين ، وفي الطيبة وفي بعض المناطق الاخرى . وكلا الهدفين بالنسبة للعدو يصبان في الاتجاه عينه ، الاضعاف المستمر للثورة وللقوى المؤيدة لها . ويدرك العدو من جراء

هذه العمليات المحدودة مرات والواسعة مرات ثانية ، كما تدل معظم تصريحاته الاخيرة ، بأن احتلاله لبعض المناطق دون اضعاف الثورة والاتجاه المؤيد لها سيؤدي لتنشيط الاتجاه المؤيد للثورة ، والذي يدعو لقوات عربية الى جانب القوى الموجودة . ولهذا فاسرائيل بعملياتها المحدودة والصغيرة تريد بقاء لبنان بعيدا عن سوريا مثلا، كما تريد تسميم الاجواء وباستمرار بين الثورة والجماهير اللبنانية ، واستغلال ذلك من اجل تحقيق اهدافها التوسعية ...

وكما يبدو فأن اسرائيل من وراء عملياتها ، وخاصة عملية كفرشوبا الاخيرة ، تستهدف وضع المقاومة في موضع حرج ، كما تريد وضع الدولة اللبنانية في نفس الموقع ، كما هي الحال بالنسبة للحركة الوطنية اللبنانية ، ولقد كان هدف اسرائيل خائبا بالنسبة للثورة الفلسطينية نتيجة للقتال وللصمود البطولي ، اما بالنسبة للسلطة ، فلا زالت تفتش عن مخرج تبرر به ما يحصل ، وهناك خيارات اما ان تقاتل ، وهذا مستبعد ، بسبب طبيعة النظام اللبناني ، او ان تخضع للمطالب التي تطالب بتدريب وتسليح الجماهير ، وبدخول قوات عربية للبنان . ولكن عملية اسرائيل الاخيرة لم تبلور حتى الان اتجاها قويا يدعم هذا الرأي ، لذلك فأن الاتجاه الاضعف والذي سيتبلور ويقوى اذا لم تقم الحركة الوطنية لمواجهة الوضع ، هو الاتجاه الذي يطالب ببوليس دولي، وهذا الاتجاه الذي تعمل له بعض القوى يصب بقنوات القوى المتخلفة ، وفي النهاية بقنوات العدو الصهيوني .

لهذا فهل تحتل اسرائيل بعض المناطق ، من أجل فك ارتباط ومشاركة في مؤتمر جنيف تكون الثورة ووجودها هما الهدف ؟ هذا ما يجب الوقوف بوجهه باستمرار وعلى الدوام . ولمواجهته علينا بما يلي :

١ — الاستفادة من تجارب الثورة منذ انطلاقتها حتى اليوم . هذه التجارب التي أدت لتطور العمل العسكري ، ولكنها لم تؤد لتعميق الصلة ما بين الثورة والجماهير المؤيدة لها ، سواء كان ذلك في الجنوب او في غير مناطق . كما لم تؤد حتى الان لتحديد خطوط حد ادنى لعمل جبهة وطنية عريضة، وتنسيق كامل ما بين الثورة والحركة الوطنية من خلال الاتفاق على برنامج حد ادنى . فالحركة الوطنية اللبنانية المستهدفة اذا كانت قد تطورت واكتسبت جماهيريتها من خلال نضالها المطلبي ووقوفها ضد الاستغلال الشنيع ، فأن تطورها الفعال يجب ان يصب باتجاه الهدف الاساسي والاهم ، الا وهو الدفاع عن الارض وحمايتها من الاطماع الصهيونية .

٢ — ان تطور العلاقة بين الثورة والجماهير العربية عامة والجنوبية خاصة ، بحاجة الى التركيز في الفترة الراهنة على عمليات العمق ضمن الارض المحتلة ، وذلك لتفويت حلم الاعداء في تصفية الثورة واضعاف جماهيريتها . كما يجب مواجهة القوات الاسرائيلية بعنف وشدة خلال دخولها الارض اللبنانية . لان العدو ومن خلال التجارب السابقة كلها كان يبين للاهالي ان ضربه للقرى الحدودية كان بسبب ضرب الثورة للمستعمرات الحدودية . من هنا فعلينا ان نفقد العدو تبريره الذي يسعى من خلاله لضرب العلاقة بين الجماهير والثورة ، كما اننا بعملنا هذا نعمق ازمته الداخلية من خلال تركيزنا على عمليات العمق ، وكما حصل عام ١٩٧٤ ، الخالصة ، حيفا ، شاميرا ، تل ابيب ، بيسان ، المناره ، ناتانيا ، وغيرها من العمليات الناجحة الاخرى .

٣ — أن تصعيد عمليات الداخل يجب ان تؤدي في الفترة المقبلة الى تطوير الصلة والعلاقة ما بين الثورة والحركة الوطنية اللبنانية . كما يجب ان تؤدي الى تطوير علاقة الثورة بالجماهير الجنوبية خاصة واللبنانية عامة . وهذه الممارسات ستدفع لتقوية قبضة الثورة والجماهير المؤيدة لها، كما ستؤدي لتطوير اوضاع الحركة الوطنية اللبنانية . وتطوير هذه الاوضاع كفيل بتفتيت جبهة الاعداء ، وقوى الاعداء داخليا وخارجيا .

٤ — ان معركة كفرشوبا ، والمعارك الاخرى في الجنوب سوف تكون مثلا جيدا للقوى الوطنية التي ستصعد النضال والقتال ضد العدو الصهيوني . ولكن معارك كهذه ستكون قميص عثمان للقوى المتخلفة ، فمن خلال عمليات كهذه ، ستحاول تقوية اتجاهاتها السلبية من الثورة اولا ومن الجماهير المؤيدة لها ثانيا . وستقول « استفيدوا واتعظوا . وهذه نتيجة كل من يتعاون مع الثورة ،

والثورة هي السبب في كل ما يحصل » كما ان هكذا عمليات ستكون محكا للقوى الوطنية للارتفاع بمسؤولياتها الى مستوى القضية الوطنية ، وسيؤدي ذلك الى الحد والتخفيف من الحساسيات الموجودة بين القوى الوطنية ، اذ أن هذه الحساسيات ستتوجه للعدو الصهيوني .

٥ — كي لا يصار الى استفراد العدو الصهيوني بالثورة من على الجانب اللبناني . فعلى الحركة الوطنية العربية ، والجماهير الشعبية العربية ، ان تدفع باتجاه تحريك كل مناطق المواجهة ، وفتحها امام قوى الثورة . كما على قوى الثورة ان تستفيد من كل التناقضات القائمة ، من اجل البدء بعمليات من على الحدود الاردنية .

ولكن ما هي الوسائل الايلة لتطوير علاقة الثورة بالجماهير العربية ، وبالاحزاب الوطنية ؟

١ — على فصائل الثورة ان تدرك ان التناقضات الموجودة بينها هي تناقضات ثانوية . وان التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني وان كل الجهود يجب ان تصب بهذا الاتجاه .

٢ — من اجل ان تكون عملية كفرشوبا الاخيرة مثالا جيدا ونموذجا متقدما ، فعلى الحركة الوطنية اللبنانية ان تدفع باتجاه الرجوع للقرية من جهة وتكوين فرق ميليشيا للدفاع عن الارض الى جانب المقاومة ، كما يجب القيام بنفس الشيء في لبنان عامة ، وفي المناطق الحدودية الجنوبية خاصة...

٣ — على الثورة وفصائلها كما على الحركة الوطنية اللبنانية ان تطور صلاتها مع مختلف القوى المتواجدة على الساحة حسب درجة تناقض هذه القوى مع العدو الصهيوني . وعلى هذه القوى ان تدرك أن تطور الصراع ضد الكيان الصهيوني سيحد من تفاقم هذه التناقضات . لان هذه التناقضات تطورت بسبب تطور الكيان الصهيوني من جهة ، وبسبب تطور المصالح الاقتصادية الاجنبية في بلادنا من جهة اخرى . ولا يمكن مواجهة العدو الصهيوني الا عبر جبهة وطنية عريضة تقودها القوى المتقدمة في لبنان خاصة ، وفي الوطن العربي عامة .

٤ — كي يصار الى جبهة وطنية عريضة على الساحة اللبنانية خاصة فعلى الحركة الوطنية ان تعمل في هذه المرحلة للدفاع الذاتي عن وجودها وعن أرضها . لان لا جبهة وطنية بدون مبادرات للدفاع عن النفس امام هجوم العدو المتواصل والمستمر . ويجب ان تكون كافة التجارب الشعبية السابقة التي حصلت نبراسا يهدينا ويرشدنا باستمرار الى الطريق الصحيح . كما يجب التنسيق والتعاون التام مع الثورة الفلسطينية من اجل الدفاع عن الوطن والارض والشعب .

٥ — اذا كان مطلوبا من الحركة الوطنية ذلك، فان المطلوب من الثورة ان تربط مصيرها كطليعة صدامية بالقوى المتواجدة معها . وكما ربطت اوضاع الفلسطينيين سابقا مع اوضاع الاهالي في الجنوب وفي غير مناطق فيجب ان يحصل الشيء عينه حاليا . فعلى قوى الثورة ان تشارك بكافة النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كعضو اصيل الى جانب الحركة الوطنية لا هامشي كما تحاول التبيان بعض القوى .

٦ — اذا كانت الحكومة اللبنانية حريصة فعلا على الجنوب وعلى صمود اهاليه، فما عليها الا ان تعمل من أجل تنفيذ بعض المشاريع الانمائية ، ويبدو ان اهم هذه المشاريع الليطاني ، وفتح ميناء صيدا .

٧ — كي يصار الى تفويت حلم الاعداء في الاستفادة من التناقضات الثانوية ، وتأزيمها وتحويلها ضد وحدة الثورة وضد الحركة الوطنية، فعلينا ان ندرك ، كما من مصلحة أصحاب الحرف الصغيرة والمتوسطة وحتى الكبيرة ، كما من مصلحة الملاكين الصغار والمتوسطين وحتى الكبار ان يدركوا « وخاصة على صعيد جنوب لبنان » ان تتطور اعمالهم مربوط وباستمرار بتحسين اوضاع العمال والعمال الزراعيين ، والمشاركة في حماية الجنوب المهددة ارضه وبالتالي المهددة مصالحهم فيه من جراء ذلك . كما من مصلحتهم النظر للثورة ولوجودها من وجهة نظر ايجابية . لان وجود الثورة من عوامل حماية مصالحهم ، لا العكس كما يزعم العدو الصهيوني والقوى المستفيدة من بقاء الوجود الاجنبي في بلادنا . من هنا فاذا ارتبط واقع الفلسطيني بجنوب لبنان بعد عام ١٩٤٨ كوجود اصيل لا هامشي الى حين العودة . فان واقع جنوب لبنان بأكمله كان مرتبطا اقتصاديا بشمال فلسطين قبل ذلك . ويكون لبنان وكل الاقاليم العربية مكملة لبعضها البعض بعد تحرير

فلسطين . لان الكيان الصهيوني والوجود الاجنبي في بلادنا هو سبب تفككنا ، وسبب ضعفنا وما نحن عليه اليوم .

ان هذه النظرة الجديدة للجبهة الوطنية ، ولكيفية التعامل مع القوى الاجتماعية المختلفة تهدف الى توسيع جبهة الاصدقاء وتقليص جبهة الاعداء ، والاستفادة من كل التناقضات الثانوية التي بالامكان الاستفادة منها ، كما تهدف الى الصمود في الجنوب والمشاركة في جميع النواحي الاجتماعية والعمل على تطوير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بهدف البقاء في الجنوب وعدم النزوح - اذ يبلغ عدد سكان الجنوب حوالي النصف مليون نسمة ولا تتجاوز نسبة المقيمين المايتين وخمس وعشرين الف نسمة .

ان نضالنا ضد العدو الصهيوني يصب باتجاه منع الهجرة الى اسرائيل وتشجيع الهجرة الداخلية كما أن العدو الصهيوني يهدف الى نفس الشيء على صعيد الجنوب . وذلك من أجل احتلاله كما تدل معظم تصريحاته قبل عام ١٩٦٧ .

وكما اننا مطالبون بالعمل على تطوير العلاقات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية الهادفة الى الصمود والقتال ، فاننا مطالبون بتحصين الجنوب وبتدريب وتسليح القوى الاجتماعية المتقدمة . فكلما قاتلنا اكثر ودافعنا اكثر عن الارض العربية عامة ، وعن الجنوب خاصة ، كلما استطعنا بناء العلاقات الجديدة التي نعمل من اجلها . وكلما سرنا على الخط السياسي السليم القادر على تحقيق ما ذكر ، كلما استطعنا توحيد القوى القادرة على الاستمرار في القتال ، واستطعنا تثبيت وتفتيت جبهة الاعداء .

هذا وانتصريحات المسؤولين الصهاينة الاخيرة، والتي تقول بأن « الوضع الحساس داخل لبنان بين الطوائف المختلفة ورغبة المسلمين بتبديل ميزان القوى داخل لبنان ، والوضع الاقتصادي السيىء الذي تعاني منه الدولة يجعل حكومة لبنان تسعى لمزيد من الاندماج مع العالم العربي ، وبتأييد المخربين بصورة قاطعة » ان هذه التصريحات هدفها ضرب الوحدة الوطنية من خلال ضرب الطوائف بعضها ببعض . كما تهدف لعمل صدامات ما بين الثورة والسلطة اللبنانية، كما تهدف التبيان للقوى المتخلفة بأن التقرب من الدول العربية يضر بلبنان .

ان هذه التصريحات التي تهدف لكل ما ذكر ، تهدف أيضا لضرب القوى الاجتماعية المتقدمة ، ولعمل صراعات ثانوية ، والى تفتيت الجبهة الوطنية العريضة . لهذايجب ان نعمل بقوة من اجل جبهة وطنية عريضة من مفهوم جديد وبطرق واساليب جديدة ، وذلك من أجل تحطيم احلام اسرائيل على صخرة الوحدة الوطنية والجبهة الوطنية العريضة — في بلدنا المتعدد الطوائف والموحد الهدف . وليكن شعارنا في هذه الفترة ، **يد تقاتل العدو الصهيوني ، ويد تعمل لبناء علاقات ديمقراطية جديدة .**

فرحان الصالح

اغنية تثير ضمير شعب

قالت وكالة الانباء الهولندية يوم ٢١ كانون الثاني « ليلة أمس قام محمود رباني قنصل الكويت الفخري في لاهاي ، ولجنة فلسطين الهولندية ، بادانة اغنية وضعت خصيصا للكرنفالات ، وضع كلماتها وغناها مغني البوب المعروف (الاب ابراهام) » . وتقول بعض كلمات هذه الاغنية : « ماذا سنفعل بهؤلاء العرب ، راكبي الجمال ، البدينين المتخمين بالمال ، الذين لا يؤتمنون على نسائنا الجميلات » . وقد وصفت لجنة فلسطين الهولندية كلمات الاغنية بانها تمييزية اذا لم تكن عنصرية . اما السيد محمود رباني ، فقد وصف الكلمات على شاشة تلفزيون محطة التروس ، بأنها قبيحة وجنينية وعنصرية وفاشية . كما قال انها « استفزاز لشعب يتألف من مائة وثلاثين مليون انسان » . وقالت وكالة الانباء الهولندية أيضا « ان السيد رباني اصر قبل المشاركة في البرنامج التلفزيوني على عدم الجلوس في ستوديو واحد مع صاحب الاغنية الاب ابراهام (اسمه الحقيقي بيير كارتنر) ، وقد استجابت محطة التلفزيون لطلبه وسهلت له فرصة التكلم من ستوديو لاهاي بينما كان الاب ابراهام يستجوب في نفس الوقت وفي نفس البرنامج في ستوديو مدينة هلفرسوم » .

كان السيد محمود رباني مساء يوم الاثنين الموافق العشرين من شهر كانون الثاني ، ينبه الشعب الهولندي على التلفزيون الى خطورة هذا النوع من الاغاني بين الشعوب ، بأسلوب هادىء رصين . تكلم بلغة الشعب الهولندي ولفت نظر الهولنديين الى ان كلمات الاغنية على سخافتها ، تحمل بذور كراهية الشعوب التي حملتها الفاشية وكل فلسفات التفرقة العنصرية . وعلى ضوء هذا رفض الجلوس في ستوديو واحد مع المغني . والذي حدث بعد ذلك ، كان سلسلة من ردود الفعل المعنية على كل المستويات ، مستوى الشعب ، احزابه ، وسائل اعلامه ، برلمانه . فاذا كانت الصهيونية تقف وراء هذه الاغنية ، فقد حملت قنبلة موقوتة ما لبثت ان انفجرت في يدها .

مندوبان في البرلمان يمثلان حزبين رئيسيين احدهما حزب العمال وهو الحزب الرئيسي في الائتلاف الحكومي اليساري الحاكم ، تقدما بسؤال الى وزير العدل عما اذا كان سيطبق قانون الاغاني التمييزية على الاب ابراهام ويفرض عليه الجزاء الذي فرضه القانون . وقررت جميع محطات التلفزيون والراديو دون استثناء عدم شراء الاغنية وعدم اذاعتها . وعلقت الصحف الكبرى ، بدون استثناء تقريبا ، اكثر من مرة وفي اكثر من يوم واحد ، على الاغنية منددة بها وبصاحبها . ونشرت صحيفة ايندهوفن بلاد ، الصادرة في مدينة ايندهوفن الجنوبية يوم ٢٢ كانون الثاني خبرا مفاده ان كبير المعلقين والمحررين في صحيفة فاينانشال داخ بلاد الصادرة في لاهاي ، استقال نهائيا من برنامج التلفزيون الاعلامي (اكتوا) الذي دعا السيد محمود رباني ، لان مقدم البرنامج لم يعط السيد رباني الوقت الكافي وكان يكثر من مقاطعته . وقالت صحيفة الفولكسكرانت الامستردامية المعروفة باتزانها وموضوعيتها يوم ٢١ كانون الثاني : ان مقدم برنامج (اكتوا) الذي طلب من السيد رباني التعليق على اغنية الاب ابراهام ، كان مجردا من اصول اللياقة التي يفرضها سلوك تقديم البرامج الاعلامية . كان يتصرف وكأن كلمات السيد رباني تؤذيه شخصيا ، مع العلم ان الموضوع كان على غاية الاهمية . كان يكثر من مقاطعة الضيف . هذا الاسلوب لا يمت بشيء لا للعمل الصحفي ولا للعمل التلفزيوني . وقالت الصحيفة نفسها يوم ٢٣ كانون الثاني على لسان معلقها المعروف يان بلوكر : لقد رأيت الاب ابراهام في حياتي مرة واحدة فقط . ومنذ ذلك الوقت وأنا أحس تجاهه بحساسية بالغة . كانت تنبعث من جسمه رائحة كريهة وكانه لم يغتسل لمدة ثلاثة أسابيع . اما منظره الذي يوحي للناظر اليه بانه موفور المعرفة ويخدم اغراضا نبيلة ، فلم يكن ليعنيني في كثير او قليل . نظرة واحدة اليه ، أكدت لي ان الموت من مرض عضال سيكون احب الى نفسي من تلقي المعرفة على يديه . وباغنيته الجديدة أثبت ان شكوكي في محلها . ذلك أنني تعرفت في حياتي على كثيرين من العرب ووجدتهم دائما أرق حاشية من نسائنا اللواتي يدعي الاب

ابراهام حرصه على حمايتهن من العرب . وعندي ان أفضل سبيل للكشف تماما عن هوية هذا الفنان المزيف ، هو عدم مقاطعة اغنيته . فتكرار الاستماع الى هذه الاغنية هو السبيل الوحيد لمعرفة اي « فضيحة انسانية » هو هذا الانسان .

وقالت صحيفة تراو البروتستانتية الصادرة في امستردام ، يوم ٢٢ كانون الثاني في افتتاحيتها : أفضل لنا الا نتحدث عن الاب ابراهام ، لانه لا يستحق هذا الشرف . ان السيد رباني ولجنة فلسطين الهولندية على حق كامل في ادانة هذه الاغنية ، ولكن .. يخشى ان تزيد مبيعاتها اذا ما استمر الحديث عنها . ولقد كان النائبان البرلمانيان على حق عندما اثارا الموضوع في البرلمان . الا ان اضفاء صفة « شهيد » على هذه الاغنية قد يؤدي نتائج عكسية . الافضل اذن ، ان نغفل امرها تماما وان نكتفي بالاحساس قليلا بالخجل . ونشرت صحيفة الخمين داخ بلاد اليسارية المستقلة الصادرة في روتردام ، يوم ٢٣ كانون الثاني خبرا مفاده ان مجلس ادارة المخازن الجماعية الكبيرة المعروفة بأسم فراو ان دريسمان ، قرر الامتناع عن بيع هذه الاسطوانة . ومعروف عن هذه المخازن انها تصرف ١٥ بالمئة من مجموع الاسطوانات التي تنزل الى السوق . وجاء في الخبر أيضا ان السيد رباني تسلم رسائل شخصية باعداد ضخمة أعرب اصحابها فيها عن احساسهم بالخجل الشديد ، ووصفوا الاغنية بالفضيحة كما وصفوا صاحبها بأنه لا يمت للفن بأية صلة . ونشرت صحيفة ن ر س هاندلسبلاد الصادرة في روتردام ، يوم ٢١ كانون الثاني خبرا مفاده ان الناطق بلسان وزارة الخارجية الهولندية وصف الاغنية بأنها اغنية سخيفة لا تستحق التسجيل على اسطوانات .

الملفت للنظر فعلا بصدد ما أثارته هذه الاغنية من ردود فعل وبصدد ما دار حولها من نقاش واسع اتصف بالحدة في أغلب الاحيان وباثارة الضمائر في أحيان اخرى ، هو هذا الجنوح الى تحكيم العقل في سلوك الغربيين ، صحافة وبرلمانا وساسة وجماهير ، في تقييم علاقاتهم مع العرب . واعتقد حاليا ان صدور اي اغنية مشابهة في أي قطر في غرب اوروبا ، لا بد ان يثير ردود الفعل نفسها . وكما نعرف فان الشعب الهولندي الذي يتعاطف حاليا والى حد بعيد مع قضايا تحرر الشعوب في افريقيا واسيا واميركا اللاتينية ، كان حتى حرب تشرين من أشد شعوب الغرب التفاتا الى اسرائيل والتفافا حولها لحمايتها وصد العاديات عنها . وفي هذا كله ، لعبت الصهيونية القوية النفوذ في هولندا ادوارها المعروفة لالهاء الشعب ، الهولندي عن حقائق قضية الشرق الاوسط . لكن هذا الالهاء كتب له في هولندا وفي كل مكان في غرب اوروبا ان ينتهي بضربة واحدة ، هي الضربة التي نزلت على رؤوس الاسرائيليين في حرب تشرين . هنا افاق الناس من سباتهم العميق ، واخذوا يعيدون تقييم الوضع في الشرق الاوسط ، على اسس جديدة اقل ما يقال فيها أنها تصحيح لخطأ ارتكبوه طويلا بأن سمحوا لانفسهم بالتغاضي عما الحقه الاسرائيليون بالفلسطينيين من مظالم ومآسي .

ان من الغريب فعلا ، ان تحدث اغنية كل هذا الضجيج في بلد كان مندفعا بعاطفية مذهلة نحو اسرائيل ، وان يتعرض أصدقاء اسرائيل بسببها الى تقريع لاذع ونقد مرير . لكن فهم هذا التحول على ضوء انتصارات تشرين ليس بالامر العسير . فالانتصارات العربية العسكرية جلبت معها وحدة في الكلمة وتضامنا ، كما كشفت عن فضائل العرب ونضالاتهم العادلة التي كانت الامبريالية العالمية تفعل الكثير لاخفائها عن الاعين . ثم أنها ابرزت على سطح الاحداث العالمية شعبا صغيرا مؤمنا بقضيته ، قاسى الامرين من محاولات الامبريالية التي استهدفت سحقه تماما، فتصدى لها ببطولة .

ولعلنا ان ندرك بعد اليوم ، ان اصدقاء العرب في الغرب أصبحوا كثيرين . وبواسطة هؤلاء الاصدقاء الموجودين في كل مكان يصلح لخدمة الاعلام العربي ، يمكن توسيع رقعة هذا الاعلام وتعريض مداه . هذا التحول يستطيع اي دبلوماسي عربي او اعلامي عربي نشيط ان يبادر الى الاستفادة منه في توسيع دائرة نشاطه الاعلامي في مكان اقامته او عمله.وفي مجال القضية الفلسطينية والاعلام العربي في العالم انتقلت المبادرة نهائيا من يد اسرائيل الى أيدي العرب . اذن .. فليبادر المسؤولون في كل مكان الى العمل دون خجل كثير او تحسب كبير او تردد لا لزوم له .

عقيل هاشم

لجان دعم فلسطين في سويسره

تسيطر الصهيونية اجمالا على وسائل تكوين الرأي العام السويسري من اذاعة وتلفزة وصحافة، وسبب ذلك عائد الى وجود مؤسسات صهيونية قوية وفعالة في سويسرة تعود الى مرحلة تاريخية قديمة . ويكفي ان نتذكر ان المؤتمر الصهيوني الاول عقد في بال ١٨٩٧ حتى ندرك عمق الجذور الصهيونية في هذا البلد . وبدورها أيضا فان البرجوازية السويسرية تدعم الصهيونية بسبب اتفاق المصالح الناجم عن النفوذ الاقتصادي القوي للمؤسسات الرأسمالية الصهيونية في سويسره وبلدان غرب أوروبه المجاورة . ورغم ذلك فقد استطاعت الثورة الفلسطينية ان تؤثر في قطاعات من الشباب السويسري التي تحمل على أكتافها مسؤوليات المستقبل ، ويمكن من ضمن وسائل أخرى طبعا ، بتعميق الاهتمام والفهم بالقضية الفلسطينية لديهم الوصول الى تغيرات مهمة في محاربة التأييد للصهيونية هناك .

تشكلت لجان فلسطين في سويسره منذ ثلاث سنوات . وفي كل مدينة ظهرت لجنة اتخذت لنفسها اسما خاصا بها مثل مجموعة فلسطين او لجنة فلسطين Comité Palestine لك . وقد ساهم في تأسيس هذه البادرات أبناء محليون اهتموا بمنطقة المشرق العربي والثورة الفلسطينية بالاضافة لاهتماماتهم السياسية بدول العالم الثالث . ولما كان معظم هؤلاء يركزون أساس نضالهم السياسي في نطاق الوضع المحلي السويسري فقد طغت الخلافات بين اللجان عاكسة الخلافات بين المنظمات والافراد فيها . وتتوزع لجان دعم فلسطين في خمسة مدن رئيسية هي العاصمة بيرن ، جنيف ، زيوريخ ، بال ولوزان . وقد سيطر على كل لجنة حزب معين مثل « الحزب الشيوعي الماركسي — اللينيني السويسري » في لجنة زيوريخ (P.C.S.M.L.)، و« لجنة الاتصال السياسي » (C.L.P.) وهي حزب يساري في لجنة جنيف ، وحزب « القطيعة من اجل الشيوعية » في لجنة لوزان الخ ..

وكمثال نعرض موقف الحزب الاخير من لجنة لوزان ، فانه يصدر نشرة تحمل اسمه Rupture pour le Communisme اخرج منها أحد عشر عددا كتب في مختلف المواضيع المحلية والعالمية فيها . وقد نشر عن فلسطين في خمسة منها وهذه نسبة لا بأس بها . ففي العدد الاول المؤرخ في اول ١٩٧٢ امتدحت النشرة تنفيذ الفدائيين حكم الاعدام بوصفي التل وذكرت تاريخه في معاداة الحركة الوطنية وخدمة الامبريالية وركزت على اهمية تجاوز الثورة الفلسطينية لكل المصاعب الناجمة عن نكسة الاردن سنة ١٩٧٠ و١٩٧١ . اما في العدد الخامس الصادر في أيلول (سبتمبر) من العام نفسه فقد تحدثت النشرة عن عملية ميونيخ وطرحت تحليلا لدور البرجوازية الالمانية الاتحادية في المجزرة التي ارتكبت بحق المناضلين الفلسطينيين وأسباب ذلك مبينة المصالح المشتركة للامبريالية الالمانية مع الصهيونية . وفي العدد التاسع الصادر في بداية ١٩٧٣ تحدثت عن عملية الخرطوم وعملية الاسرائيليين في بيروت . وحللت النشرة الاهمية الاستراتيجية للشرق الاوسط في السياسة الامبريالية العالمية ودور القوى التي يدعمها الاستعمار الجديد في المنطقة مثل ايران واسرائيل لمواجهة القوى الثورية وتأمين المصالح الامبريالية .

ونشرت المنظمة في العدد العاشر ١٩٧٣ تحليلا للارهاب الصهيوني المنظم الذي تقوم به اسرائيل».

اما العدد الحادي عشر ١٩٧٣ فتحدث عن حرب تشرين الاول (اكتوبر) بعنوان « الانظمة العربية تفرض على شعوبها حربا في خدمة القوى الكبرى » تحدث عن عوامل انغلاق الطريق أمام الحلول التي طرحت لحل ازمة الشرق الاوسط ، وأكد ان أهداف الحرب هو تحرير الاراضي المحتلة في ١٩٦٧ فقط او ربما جزءا منها والوصول الى اتفاق متفاوض عليه مع اسرائيل . وتحدث المقال عن الحوار الدائر بين منظمات حركة المقاومة لاكتشاف الطريق الاسلم المؤدي الى ازالة الكيان الصهيوني والى تحرير فلسطين . وكان هذا الانتظار لقرار منظمة التحرير الفلسطينية في تحديد استراتيجيتها هو الموقف المهيمن على هذه المنظمة وغيرها من المنظمات السويسرية حتى حسم الموضوع في المجلس الوطني بالاتفاق على برنامج النقاط العشر في سنة ١٩٧٣ .

كان لحرب السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ اثر خطير في حفز بعض العرب وخصوصا بين صفوف الطلبة على المساهمة بالعمل داخل هذه اللجان . ولم يكن معظم هؤلاء على دراية بتفصيلات النضال الفلسطيني او حتى بأسس القضية الفلسطينية بشكل علمي واضح.لكن وجود العرب في اللجان أفاد جدا بطرح قضية تأثير المسائل المحلية السويسرية على نهج العمل داخل اللجان ، اذ كان النشاط يبدو عموما كأنه حلقة من نشاط المنظمات السويسرية وقرر الاعضاء العرب زيادة عددهم للامساك بزمام الامور ، وقد سافر بعض الاعضاء الجدد الى بيروت للاطلاع عن كثب عما يدور في المنطقة .

وكان العمل الاول لهم بعد عودتهم هو محاولة تنسيق العمل بين كافة اللجان في سويسره ، ونجحوا في الوصول الى ارضية عمل مشتركة تتضمن مبدأ أساسيا هو تأييد منظمة التحرير الفلسطينية وكل المنظمات الفلسطينية التي تعمل داخلها . وتم الاتفاق على اقرار مبدأ ان كل عضو في اللجنة والذي يعمل في احدى المنظمات السويسرية يعتبر ممثلا بشكل فردي وليس ممثلا تنظيميا . كما نجح العرب في اللجان في اقرار مبدأ ضرورة طرح فهم سياسي واضح للقضية الفلسطينية وايضاح دور الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية .

في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ تم عقد اجتماع عام لكل لجان فلسطين في سويسره ، وكان مكان الاجتماع المختار هو العاصمة برن لما تحمل من معنى توحيدي مركزي لكافة نشاطات اللجان . وانتهى الاجتماع القومي بالاتفاق على لائحة موحدة للعمل نظمت العلاقة بين هذه اللجان وممثل منظمة التحرير الفلسطينية كما حالت دون تأثير المنظمات السياسية السويسرية على اللجان كما كان معهودا . وتم تجاوز قضية خطيرة لم تحفل بالاهمية قبلا ومفادها ان اللجان التي عبرت بشكل عام عن خطوط منظمات سويسرية انطبعت بصيغتها اي بالعمل الانفصالي وفقا لكل مقاطعة سويسرية والمواقف السياسية التي يطرحها كل تنظيم فيها . وفي هذا الاجتماع تم تجاوز العمل المنفصل ورسخ مبدأ التوجه نحو توحيد النشاطات واتخذت اللجان جميعا اسما موحدا هو لجان دعم الشعب الفلسطيني . وتنص اللائحة على ما يلي :

« اهداف لجان دعم الشعب الفلسطيني في سويسره

مقدمة : نحن ، ممثلي لجان دعم الشعب الفلسطيني في بال ، برن ، جنيف ، لوزان وزيوريخ المجتمعين في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ نلتزم بهذه الاهداف ، وندعو من يشاركنا بها الى الانضمام لصفوفنا او تشكيل لجان على أسس اللائحة التالية :

١ — لم يستطع الامبرياليون والصهيونيون النجاح رغم دأبهم منذ ١٩١٩ على نفي الواقع الفلسطيني ومنذ ١٩٦٥ عمد الشعب الفلسطيني الى الهجوم والنضال المكشوف ضد الامبريالية والصهيونية اللتين لا زالتا حتى اليوم تشنان حربهما في المؤخرة لنفي الواقع الوطني الفلسطيني .

اننا ندعم الكفاح المسلح للشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه الوطنية وبناء فلسطين الديمقراطية كما نؤيد الاستراتيجية والبرامج السياسية ومواقف منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني وندعم كافة التنظيمات العاملة ضمنها .

مدخل : ان عملنا في سويسره ينبغي ان ينطلق من الفهم القائم لدى جماهير عريضة بالثورة الفلسطينية . وبذلك فقط لا يكون عملنا اعلانيا بل يبلغ هدفه الاساسي وهو دفع دعم الثورة الفلسطينية الى الامام ومحاربة العنصرية ضد العرب .

٢ — النشر بين الجماهير وشرح نضالات الحركات الثورية الفلسطينية خصوصا الثورات المسلحة في فلسطين وفي الخليج العربي ، وادانة النظام الايراني ، ذراع الامبريالية المسلح في المنطقة .

٣ — التدليل على الطبيعة الرجعية، الاستعمارية والعنصرية « لدولة اسرائيل » . واماطة الستار عن الصلة المباشرة بين الامبريالية العالمية والاحتلال الصهيوني .

٤ — ادانة كل محاولات الانظمة والقوى الرجعية والاقطاعية (مؤسساتها الاقتصادية والعسكرية) الجارية بدعم ولصالح الامبريالية ، التي تهدد مباشرة الثورة الفلسطينية ومجموع الحركة التقدمية العربية ، وادانة النظام الهاشمي في الاردن عدو

الثورة الفلسطينية ومضطهد الشعب الاردني ، بشكل خاص .

٥ — مجابهة الدعاية الصهيونية وحلفاء الصهيونية وكذلك البرجوازية السويسرية التي تعلن هدفا لها مسخ نضالات الشعب العربي وخاصة نضال الشعب الفلسطيني .

٦ — تركيز الاضواء على دور سويسره في الشرق الاوسط ، من حيث انها ليست حيادية على الاطلاق فيما يتعلق بالشرق الاوسط ، كما هي فيما يتعلق بفييتنام ، افريقيه واميركه اللاتينية ، ووقوفها بوضوح الى جانب القوى الامبريالية ضد الشعوب المضطهدة .

٧ — التعميم والنشر بين أفراد الشعب لقرارات المنظمات الدولية التي تؤيد م.ت.ف. في نضالها لاستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وادانة كل المبادرات الامبريالية داخل هذه المنظمات الدولية لحماية المصالح الامبريالية في المنطقة .

٨ — تطوير حركة الدعم بأوسع أشكالها للمقاومة الفلسطينية باعلام دائم عنها وبنشاطات تأييد فعالة .

٩ — التعريف بالنضالات الاجتماعية والمعادية للصهيونية في فلسطين المحتلة .

الشعارات الاستراتيجية في هذه اللائحة :

— عاشت ثورة الشعب الفلسطيني لبناء فلسطين الديمقراطية .

— منظمة التحرير الفلسطينية هي فقط الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني .

— نعم لانشاء سلطة وطنية فلسطينية باشراف م. ت. ف.

— عاشت نضالات الشعوب العربية الاخرى .»

في الخامس والعشرين من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ قررت لجنة دعم فلسطين في لوزان اقامة مهرجان بمناسبة ذكرى مجازر عمان . ودعي اعضاء اللجنة والمناصرون من احزاب يسارية سويسرية والطلبة العرب في المدينة لسماع تحليل عن هجمة ايلول الهاشمية قدمه احد العرب الملتزمين بفصيل يساري من فصائل المقاومة الفلسطينية وجرى لاول مرة عرض فيلم اسمه « بالروح بالدم » عقب ذلك تركز الاهتمام لمعرفة التفاصيل الفارقة بين منظمات حركة المقاومة وخصوصا بالفريق اليساري منها مما حفز الناشطين في اللجنة الى اعداد اسبوع لفلسطين بعنوان « المعتقلون السياسيون الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية » وذلك على مستوى سويسره كلها ، في الفترة ما بين ١٦ — ٢٣ تشرين الاول (نوفمبر) ١٩٧٤ . واتفق على اعداد ملف عن المعتقلين يضم ترجمة فرنسية لنصوص وشهادات للمهتمين بالموضوع كالدكتور اسرائيل شاهك والمحامية فليتسيا لانجر وتقارير الصليب الاحمر الدولي وغيرها . كما اتفق على اصدار نشرة خاصة بطرح سياسي لجوانب القضية الفلسطينية ولاول مرة تم الاتفاق على استدعاء محاضر فلسطيني من مركز الابحاث في م. ت. ف. للتحدث في ندوتين عن الموضوع في جنيف وفي لوزان .

لقد تكللت الحملة في هذا الاسبوع بنجاحات مهمة فبالاضافة الى اثارة الرأي العام حفزت جميع العاملين الى مزيد من النشاط وطلبهم تمتين الروابط مع مراكز المنظمات في بيروت وحث المزيد من العرب على العمل في اللجان ، كما عانت من نواقص مهمة ايضا . ويهمنا ان نركز على أسباب الاخطاء والنواقص كي يتم معالجتها بالقدر المستطاع : **اولا** — عدم وجود استراتيجية عمل فلسطينية في سويسره تكمل العمل النضالي الفلسطيني في البلدان الاوروبية الاخرى خصوصا في فرنسه وايطاليه والمانيه الاتحادية . ان ايجاد مثل هذه الاستراتيجية والاتفاق عليها يمنح اللجان قدرة على تنظيم نشاطاتها وصبها في اطار محدد ضمن بناء متكامل متناسق ، ويؤمن كذلك لهذه اللجان وسائل العمل عبر تنظيم توزيع القدرات والادوار بينها . **ثانيا** — النقص الخطير في معرفة القضية الفلسطينية وما يحدث من تطورات لدى الكثير من اعضاء اللجان سواء أكانوا عربا ام سويسريين . ولما كانت القضية تحظى بالحد الادنى من اهتمامهم فمن الممكن تعميقه عبر ايصال المعلومات وخصوصا ما يتوفر من ترجمات بالسرعة القصوى لهم وكذلك عبر وجود ممثلين لحركة المقاومة فعالين نشيطين بالاضافة الى تبادل الزيارات ما أمكن ذلك .

س. ن

شهريات

(١) القضية الفلسطينية دوليا

من أهم ما ينبغي رصده في تطور الاحداث الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية هو المسار المتأرجح للعلاقات المصرية السوفياتية في الشهور الاخيرة ونعني بذلك تأرجحها بشدة بين الجمود والتردي من ناحية والميل الى الانفراج والتحسن من ناحية اخرى . ففي شهر كانون الاول (ديسمبر) ظهرت بوادر هامة تدل الى اتجاه هذه العلاقات نحو التحسن والانفراج . وتمثل ذلك في الزيارة التي قام بها يومها اسماعيل فهمي (وزير خارجية مصر) الى موسكو وفي اعلان الموعد الرسمي للزيارة التي كان يفترض ان يقوم بها ليونيد بريجنيف الى القاهرة (١٥ كانون الثاني ١٩٧٥) اثناء وجود فهمي في الاتحاد السوفياتي . الا ان العلاقات عادت الى التدهور من جديد مع اقتراب نهاية العام الماضي وظهر ذلك جليا في الزيارة المفاجئة التي قام بها فهمي مجددا مع وزير الحربية (الفريق الجمصي) الى الاتحاد السوفياتي والتي أسفرت عن اعلان تأجيل رحلة بريجنيف الى المنطقة . وعلى الرغم من اصرار الجانب المصري على القول بأن بريجنيف هو الذي طلب تأجيل موعد زيارته لاسباب صحية فقد أجمعت كافة التحليلات والانباء الواردة على ان سبب التأجيل سياسي في الدرجة الاولى ويتعلق بخلافات أساسية في وجهتي النظر السوفياتية والمصرية حول التحرك نحو التسوية السلمية في المنطقة . وتلخصت أهم التفسيرات التي جرى تداولها في الاوساط المطلعة حول دوافع تأجيل الزيارة بالنقاط التالية : (أ) الموقف من انعقاد مؤتمر جنيف للسلام ، حيث تقول وجهة النظر السوفياتية بأنه على الدول العربية التمسك بحزم بالدعوة الى عقد المؤتمر في أقرب وقت ممكن للوصول الى تسوية شاملة لازمة الشرق الاوسط تؤدي الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة والى حل القضية الفلسطينية . في مقابل ذلك ترى القيادة المصرية انه بالامكان تأجيل انعقاد مؤتمر جنيف والاستمرار في « الحوار » مع الولايات المتحدة بهدف تحقيق انسحاب جزئي جديد على جبهة سيناء اولا ومن ثم على الجبهتين العربيتين الاخريين . (ب) مشكلة السلاح المتطور ، حيث ترى القيادة السوفياتية ان أنواع السلاح المتقدم الذي تطلبه مصر يتطلب عودة بعض الخبراء الى مصر من أجل المساعدة في عمليات استيعاب القوات العسكرية المصرية لهذا السلاح ومن أجل صيانته في المراحل الاولى على أقل تعديل . في مقابل ذلك تصر القيادة المصرية على تلقي السلاح بدون الخبراء . (ج) المساعدات الاقتصادية ، حيث عبرت القيادة السوفياتية عن استعدادها لتقديم المساعدات التي تحتاجها مصر اذا ضمنت أخذ رأيها بعين الاعتبار بالنسبة للاتجاه الذي تسير فيه السياسة الاقتصادية المصرية . اذ لا يعقل ان يتقدم الاتحاد السوفياتي بالمساعدات الاقتصادية في الوقت الذي تؤدي سياسة «الانفتاح الاقتصادي» الى دخول البنوك الغربية الكبرى حظيرة الاقتصاد

※ يغيب باب ((المقاومة الفلسطينية)) في شهريات هذا العدد لاضطرار كاتب الباب ، الاخ عصام سخنيني، الى تمثيل مركز الابحاث في مؤتمرات خارج لبنان . كما استعاض الاخ المقدم الهيثم الايوبي عن باب ((القضية الفلسطينية عسكريا)) بمقاله الذي نشر في صدر هذا العدد .

المصري والى السماح لها بتحويل الاموال الى الخارج والتصرف بجزء من المدخرات الوطنيـــة المصرية . يضاف الى ذلك عدم اقتناع القيادة السوفياتية بجدوى الطريقة التي تعالج بهـــا السلطات المصرية الازمة التموينية الخانقــة في البلد . اذ يعترف حتى الخبراء المصريون بأن المواد التموينية الموجودة كافية لسد الحاجات الحقيقية للشعب المصري وان المشكلة تكمن في سوء توزيعها حيث تتمكن الفئات الثرية من الحصول على أكثر بكثير من حاجاتها التموينية بأسعار هي غاية في الارتفاع . وطالما ان هذه السياسة مستمرة فان المساعدات السوفياتية الاقتصادية والتموينية لن تحل الاشكال على الاطلاق ولن تخفف من حــدة الازمة . ويبدو ان القيادة المصرية غير مستعدة في الوقت الحاضر لتبديل خط «الانفتاح الاقتصادي» المذكور . (د) الموقف من الحل الجزئي على جبهة سيناء ، حيث ترى وجهة النظر السوفياتية ان الرئيس السادات قد توصل بالفعل الى تفــاهم أولي مع كيسنجر حول الخطوط العريضة لاتفــاق جديد مع اسرائيل تنسحب بموجبه من الممرات الاستراتيجية وحقول النفط مما سيترك ســوريا ومنظمة التحرير في وضع مكشوف تماما أمــــام الجبروت الاسرائيلي . ومن شأن زيارة بريجنيف لمصر في هذه الفترة بالذات ظهور الاتحاد السوفياتي بمظهر المبارك لهذه السياسة المصرية . في مقابل ذلك تصر القيادة المصرية على انها تريد استرجاع أية ارض تنسحب منها القوات الاسرائيلية وفقا لسياسة التحرك خطوة خطوة نحو التسوية السلمية مع رفض تجزئة الحل النهائي للنزاع العــربي الاسرائيلي وهو الحل الذي لا يمكن ان يتم الا في مؤتمر السلام في جنيف .

استمرت العلاقات المصرية الســوفياتيــة في التدهور طوال شهر كانون الثاني . على سبيل المثال نشرت الصحافة السوفياتية مقالات عديدة ندَّدت فيها بالمحاولات الجارية لعزل الشــعوب العربية عن حليفها الرئيسي الاتحاد السوفياتي ولعرقلة التحولات الاجتماعية والاقتصادية داخــل المجتمعات العربية المعينة ولتخريب علاقات الصداقة العربية ـ السوفياتية . كذلك هاجمت محاولات اعادة العالم العربي الى حظيرة الغرب عن طريق استخدام الاسطورة التي تدعي ان مفتاح التسوية في الشرق الاوسط هو في يد امريكا وحدها وترويج المزاعم حول عدم قيام الاتحاد السوفياتي بتعزيز القوة الدفاعية للدول العربية المعنية وحول تواطئه مع الولايات المتحدة على حساب الشعوب العربية. كذلك حذرت الصحافة السوفياتية من الاتفاقات الجزئية بين اي دولة من الدول العربية (المقصود هو مصر طبعا) واسرائيل لان في ذلك « تجاهلا كاملا لصالح سوريا والشعب الفلسطيني » مما سيؤدي الى انهيار التضامن داخل الجبهة العربية. أما على الجانب المصري فقد أدلى الرئيس السادات بسلسلة من التصريحات وجه فيها النقد القاسي الى الاتحاد السوفياتي وسياسته في المنطقة والى تصوره للخطوات المقبلة بالنسبة لمستقبل التسوية السلمية والى علاقاته بمصر . ففي منتصف شهر كانون الثاني أعلن الرئيس السادات تفضــيله لسياسة كيسنجر الداعية الى السير نحو التسوية الســلمية خطوة خطوة والى التوصل الى فك ارتباط جديد في سيناء مع تأجيل مؤتمر جنيف الى الحين المناسب لعقده ، واستبعد في الوقت ذاته وجهة النظر السوفياتية الداعية الى السير في الاتجــاه المعاكس والى انعقاد مؤتمر جنيف في القريب العاجل . وفي حديث للسادات مع غسان تويني نشرته « النهار » في الفترة ذاتها وضــــع السادات الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى في موقع مواز لموقع الولايات المتحدة من حيث علاقاته بمصر قائلا بأن « مصر لن تكون منطقة نفوذ لا للسوفيات ولا للامريكان » وانه يبحث عن مصلحة مصر بين النظريتين الامريكية والسوفياتية . وتســــــاءل السادات في حديثه : « رجوع مصر الى احضان السوفيات يخدم مصلحة من ؟ » كما أكد ان عودة المنطقة الى الاستقطاب حيث تقف الولايات المتحدة مع اسرائيل والاتحاد السوفياتي مع العرب لا يخدم المصالح العربية الحيوية . بالاضافة الى ذلك انتقد السادات الاتحاد السوفياتي لانه « عوض سوريا كل خسائرها في الحرب الاخيرة وأعطاها المزيد من التجهيزات بينما لم يعط مصر شيئا منذ ١٤ شهراً، على الرغم من كل ما قيل عكس ذلك » . ثم دعا الاتحاد السوفياتي الى الوفاء بتعهداته والتزاماته وفقا لنصوص معاهدة الصداقة المصرية السوفياتية « هذا اذا كان السوفيات يريدون المحافظة على صورتهمفي العالم العربي».وعشية سفره الىباريس

في زيارة رسمية ادلى الرئيس السادات بتصريحات عديدة الى الصحافة والتلفزيون الفرنسي (صحيفة « لوموند » ومجلة « لو بوان ») أكد فيها من جديد انتقاداته للاتحاد السوفياتي واشاد بالولايات المتحدة وسياستها ازاء التسوية السلمية . وكان أهم ما ورد في تصريحاته هذه تأكيده بأن واشنطن لن تتأخر في الاعتراف بالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير واشادته بكيسنجر قائلا عنه بأنه لا يعد الا بما يستطيع ان يعطيه وبأنه احترم كل تعهداته تجاه مصر وبانه على ثقة تامة بأن الوزير الامريكي لن يخيب الامال العربية . وفي مقابل هذا المديح اتهم الاتحاد السوفياتي بأنه كان وما يزال يعارض أي عمل عسكري ولو كان محدودا ضد اسرائيل ويرفض تسليم مصر المعدات العسكرية التي تحتاج اليها ووصف موقفه بأنه « غير ودي » . كما أكد ان خلافات مصر مع السوفيات تشمل المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، وان الاتحاد السوفياتي رفض طلب مصر تمديد فترة تسديد ديونها عشر سنين كما فعل مع سوريا ورفض تعويض مصر ما فقدته من الاسلحة خلال حرب تشرين الاول (اوكتوبر) او تسليمها أسلحة متطورة وحديثة كما فعل مع سوريا .

على الرغم من كل ذلك طرأ تطور هام على العلاقات المصرية السوفياتية في اوائل شهر شباط أعادها الى الاتجاه نحو التحسن نوعا ما . وقد تمثل هذا التطور في الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السوفياتي غروميكو الى كل من دمشق والقاهرة . ويبدو ان مجيء الوزير السوفياتي كان نوعا من البديل عن الزيارة التي كان يفترض ان يقوم بها بريجنيف . عند وصوله الى دمشق في أول شهر شباط أكد غروميكو من جديد وجهة النظر السوفياتية الداعية الى ضرورة استئناف مؤتمر جنيف لاعماله مع اشتراك الفلسطينيين فيه . كما أكد على عمل بلاده على حماية الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وعلى اهمية المحادثات مع القيادة السورية في تعزيز العلاقات بين البلدين على كافة المستويات من أجل التقدم نحو اقرار السلام العادل في المنطقة . وبعد مباحثاته المطولة مع القيادة السورية صرح غروميكو بأن محادثاته تناولت العلاقات الثنائية بين البلدين والوضع الراهن في الشرق الاوسط مشددا على « أن الشعب العربي لن يقبل أن تفرض عليه شروط سلام تتناقض مع مصالحه المشروعة » . كذلك اجتمع غروميكو بياسر عرفات في دمشق وذكرت « وفا » ان الاجتماع كان على جانب كبير من الاهمية و « ان آراء الطرفين كانت متطابقة ومشتركة حول كل الامور التي طرحت على بساط البحث » وان جوا وديا وايجابيا ساد المباحثات . وقد صدر بيان سوفياتي رسمي حول هذا الاجتماع أشار الى ان الطرفين ركزا بصورة خاصة على موضوع الحقوق المشروعة والعادلة للشعب الفلسطيني وعلى حقه في اقامة دولة خاصة به . وان غروميكو أكد مجددا الموقف السوفياتي بضرورة مشاركة ممثلي منظمة التحرير على قدم المساواة في مؤتمر السلام في جنيف .

وقد صدر بيان سوري سوفياتي مشترك كان أهم ما فيه ما يلي : (أ) الاصرار على ضرورة استئناف اعمال مؤتمر جنيف للسلام « فورا وبما لا يتجاوز في كل الاحوال نهاية شباط أو مطلع آذار » وبحضور كل الاطراف المعنية بما في ذلك ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية . (ب) التأكيد على ضرورة وضع حد لسياسة اسرائيل التوسعية وضمان الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني والتنديد برفض اسرائيل الاعتراف بالحقوق الوطنية لهذا الشعب . (ج) تأكيد أهمية تدعيم قدرات سوريا الدفاعية في ظروف استمرار العدوان الاسرائيلي وحق سوريا الثابت والمشروع في استخدام كل الوسائل الفعالة من أجل تحرير اراضيها المحتلة . (د) التأكيد على وجوب مشاركة الاتحاد السوفياتي في كل مراحل وميادين الجهود الرامية الى ايجاد تسوية عادلة لقضية الشرق الاوسط .

في القاهرة ظهر ان زيارة غروميكو أدت الى نوع من المصالحة الجزئية بين مصر والاتحاد السوفياتي مما من شأنه منع المزيد من التدهور في العلاقات بين البلدين ووضع حد وتبادل النقد والاتهامات بينهما وخاصة من جانب الرئيس السادات . فعلى أثر اجتماعه المطول بغروميكو أعلن الرئيس السادات « فتح صفحة جديدة من العلاقات مع الاتحاد السوفياتي على أسس واقعية كما أكد « ان التفاهم أصبح تاما بين البلدين » وان بريجنيف سيزور القاهرة في موعد يحدد في ما بعد . كما

أوضح ان المحادثات مع الوزير السوفياتي شملت الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية وان التفاهم قد تم حول بعض المسائل العالقة في حين ان مسائل أخرى ستنتظر مجيء بريجنيف الى مصر. وقد ذكرت الاوساط المطلعة في القاهرة بأن غروميكو أكد للرئيس السادات بأن الاتحاد السوفياتي لا يريد ان يتجمد الوضع في المنطقة ولا ان تتوقف مساعي التسوية السلمية لان ذلك يعمل لصلحة اسرائيل مما يعني ان أي انسحاب اسرائيلي جديد سيساعد في تحريك مساعي التسوية . وفي مقابل ذلك أكد السادات بأن عقد أية تسوية « منفردة » تنسحب بموجبها اسرائيل من مناطق اضافية من سيناء لا يمكن ان تعني تخلي مصر عن سوريا او منظمة التحرير وان الانسحاب لن يكون نهاية المطاف بالنسبة لمساعي التسوية في المنطقة وان مصر تؤيد موقف السوفيات الداعي الى حل مشكلة الشرق الاوسط ضمن اطار مؤتمر جنيف كما تؤيد اشراكه في كل مساعي التسوية . يبدو ان هذه التأكيدات المتبادلة كانت هي أساس التفاهم الجديد بين القيادتين المصرية والسوفياتية . أما بالنسبة للمسائل المعلقة التي تمت تسويتها فهي لا تتعدى على ما يبدو قضية تمديد آجال تسديد الديون المستحقة للاتحاد السوفياتي على مصر والتعهد باستئناف شحن كميات من الذخيرة الى مصر . أما أبرز المسائل التي بقيت معلقة فهي مسألة تزويد مصر بالاسلحة المتطورة التي تطلبها . وقد صدر بيان مصري سوفياتي مشترك كان أهم ما فيه ما يلي : (أ) اعتبار مؤتمر جنيف للسلام المكان الاكثر ملاءمة لبحث كل نواحي تسوية أزمة الشرق الاوسط والمطالبة « باستئناف أعمال المؤتمر فورا وباشتراك كافة الاطراف المعنية بما في ذلك ممثلو منظمة التحرير » . (ب) التأكيد على ان اقرار السلام الدائم في المنطقة يتطلب انسحابا اسرائيليا كاملا وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في تقرير مصيره واقامة كيانه الوطني . (ج) التأكيد على رأي القيادة المصرية حول أهمية وضرورة اشتراك الاتحاد السوفياتي في تسوية الازمة على جميع مراحلها وفي كافة نواحيها بما في ذلك اشتراكه في لجان العمل التي يمكن ان تتكون في مؤتمر جنيف . (د) العمل على تدعيم العلاقات بين البلدين استنادا الى معاهدة الصداقة والتعاون بينهما . (ه) التأكيد على أهمية تبادل وجهات النظر بين السادات وبريجنيف حول أهم نواحي العلاقات بين البلدين .

وجدير بالملاحظة ان المراجع المصرية سارعت الى ايضاح ما جاء في البيان المشترك حول انعقاد مؤتمر جنيف « فورا » بقولها ان عبارة « فورا » غير مرتبطة بتاريخ محدد كما هو الحال بالنسبة للبيان السوري السوفياتي المشترك . يضاف الى ذلك ان البيان الصادر في القاهرة لم يتضمن أية فترة او اشارة الى المساعدات العسكرية والدفاعية الى مصر خلافا لما جرى بالنسبة للبيان الصادر في دمشق . كما ان الاعلان عن الزيارة المرتقبة لبريجنيف الى القاهرة جاءت على لسان الرئيس السادات وليس على لسان غروميكو ولم يثر البيان المشترك الى هذا الموضوع الا بشكل غامض جدا ومن خلال الكلام عن أهمية تبادل وجهات النظر بين الزعيم السوفياتي والرئيس المصري . ويبين كل ذلك ان الصفحة الجديدة التي أعيد فتحها بين السلطة المصرية الحالية والاتحاد السوفياتي لا ترتكز بعد الى أية أسس متينة وهي ما زالت معرضة للانتكاس مجددا .

قبل الانتهاء من موضوع العلاقات المصرية السوفياتية لا بد من الاشارة الى الغاء الاتحاد السوفياتي في منتصف شهر كانون الثاني للاتفاق التجاري مع الولايات المتحدة وذلك بسبب الشروط التي وضعها الجانب الامريكي والتي اعتبرها السوفيات تدخلا في شؤونهم الداخلية ومسا بسيادتهم . وكما هو معروف فان الشروط الامريكية تتعلق بمسألة هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل . وقد رحبت منظمة التحرير الفلسطينية بهذه الخطوة السوفياتية الهامة على الصعيد الدولي . وقد علق كيسينجر على هذه الخطوة بقوله ان الوفاق بين الدولتين المعنيتين قد أصيب بنكسة وان السياسات الامريكية والسوفياتية « متوافقة » في عدد من المناطق « وغير متعارضة » في معظم المناطق الاخرى باستثناء الشرق الاوسط.

كان التطور الهام الثاني على الصعيد الدولي زيارة الرئيس السادات الى فرنسا في مطلع شهر شباط . وتستمد هذه الزيارة اهميتها بسبب اعتبارها من قبل الجانب المصري بداية لتطبيق

الدعوة « للحوار » العربي الاوروبي وخطوة باتجاه تنفيذ ما أعلنه الرئيس السادات حول عزمه على تنويــع مصادر السلاح الذي تحصل عليه مصر بالاضافة الى كون فرنسا هي الدولة التي يمكن الانفتاح عليها والتوجه اليها في الظروف الحالية لمنع المنطقة من الوقوع مجددا في حالة «الاستقطاب» بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على حد تعبير الرئيس السادات . وأعد الرئيس السادات الجو لزيارته بعدد من التصريحات للصحــافــة الفرنسية (« لوموند » و« لوبوان ») حدد فيها آرائه حول مستقبل التسوية في المنطقة ومـــا سيسعى لتحقيقه في جهوده الدبلوماسية الحالية والمستقبلية وغيرها من موضوعات الساعة وكانت أهم النقاط التي أشار اليها السادات في تصريحاته هي : (أ) انه سيدرس مع الرئيس الفرنسي امكان انشاء محطات نووية في مصر لانها تعتبر مسألة حيوية في بلد صحراوي مثل مصر . (ب) انه يتوقع ان تعترف امريكا بمنظمة التحرير الفلسطينية وان مهمة الدفاع عن جنوب لبنان هي مسؤولية عربية جماعية . (ج) بأنه لن يقدم أية تنازلات لاسرائيل الا ضمن اطار تسوية شاملة واذا أصرالاسرائيليون على الاحتفاظ بالجولان « فاننا سنسير حتما الى حرب جديدة » ، واذا رفضت اسرائيل اجراء انسحابات جديدة على الجبهات الثلاث خلال مهلة ثلاثة أشهر فانه سيطلب عقد مؤتمر جنيف فورا . (د) انه لن يسمح للمأزق الحالي بأن يطول واذا رفضت اسرائيل التفاوض على تسوية شـــاملة فلن يبقى امام العرب الا طريق الحرب . (هـ) انه مستعد لعقد اتفاق سلام مع اسرائيل واحـترام التعهدات الناتجة عنه ولكن من السابق لاوانه الكلام حاليا عن علاقات دبلوماسية مع اسرائيل وعن حدود مفتوحة معها اذ يجب ان تزول المرارة وان يزول الحقد المتراكمان نتيجة النزاعات الدائمة. وأكد السادات بهذا الصدد بأنه يترك للجيل المقبل ان يقرر امكان التعاون مع الدولة اليهوديـــة . (و) انه يعتقد بأن السلام سيتحقق بين اسرائيل والدول العربية خلال السنين العشر المقبلة « حيث لا نكون قد قلبنا صفحة الحرب مع اسرائيل فقط بل وصفحة الكراهية ايضا » . (ز) انه مقتنـع بأن اسرائيل تنوي شن حرب وقائية ولكن « نحن ايضا قادرون مثلهم على اللجوء الى حرب وقائية اذا رأينا ذلك ضروريا للدفاع عن أنفسنا . (ح) ان فكرة وقوع مجابهة بين الدول المنتجة والـــدول المستهلكة للنفط هي فكرة سخيفة ولا يوجد في العالم العربي من يريد ان ينوي خنق الغرب . واضاف السادات قائلا « لا استطيع ان أفهم لماذا « قال صديقي هنري كيسنجر اخيرا ان التدخل العسكري ممكن» واعتبر اطلاق مثل هذه التهديدات يشكل خطأ ارتكبه الوزير الامريكي .

عند وصوله الى باريس على رأس وفد كبير اوضحت مصادر هذا الوفد ان زيارة الســـادات ليست لفرنسا فقط بل لاوروبا ايضا اذ ان «فرنسا هي الجسر لاوروبا وبابها » . وقد شملت محادثات الرئيس المصري مع ديستان مشكلة الشرق الاوسط على ضوء اخر التطورات بما فيها الجولة المرتقبة لكيسنجر في المنطقة ، والعلاقـات الثنائية بـين البلدين وخاصـــة علــى الصعيديـــن الاقتصادي والتجاري ، ومسألة قيام فرنســا بتزويد مصــر بأسلحة تحتاجها وعلى رأسها طائرات الميراج ، وقضية التعاون النووي بين البلدين بحيث تقــدم فرنسا مساعدات محسوسة لمصر في هذا المجال . (ذكرت المصادر الصحفية بهذا الصدد ان مصــر تريد الحصول على مفاعلين نوويين) ، هـــذا بالاضافة الى موضوعات مثل مؤتمر جنيف والحوار العربي الاوروبي . وجدير بالذكر ان الســـادات زار مصانع طومسون التي تنتج صواريخ كروتـــال واجهزة رادار ومعدات الكترونية متطورة اخرى . كما استقبل رئيس مؤسسة داسو التي تصنــع طائرات الميراج ومدير شركة ماترا للصواريــخ ورئيس شركة سنيكما التي تصنــع الصواريــخ والمحركات . وعلى الصعيد السياسي اكد الرئيس الفرنسي في الكلمة الترحيبية التي القاها بــأن امكانات الحل العادل لمشكلة الشرق الاوسط هي اليوم اكبر مما كانت عليه في اي وقت مضى وان من حق الشعب الفلسطيني الحصول على وطن ككل الشعوب الاخرى في العالم ، كما انه من حق اسرائيل العيش ككل دول المنطقة ضمن حــدود آمنة ومعترف بها « ومضمونة بشكــل فعال » . أما الرئيس السادات فقد شدد في كلمته الجوابية على الموقف الفرنسي القائل بأن السلام لا يمكن ان يتحقق في المنطقة بدون ايجاد حل عادل لمشكلة الفلسطينيين الذين يشكلون كيانا وحقيقة وشعبــا

وينبغي ان يكون لهم وطنهم . اشاد السادات بهذا الموقف الفرنسي واعتبره تعبيرا عن حقيقة ما يختلج في ضمير المجتمع الانساني وعن انبل قيمه . وعقد الرئيس السادات مؤتمرا صحافيا خلال زيارته اشار فيه الى النقاط الهامة التالية : (أ) علاقة قرار مصر تنويع مصادر تسليحها بزيارته لفرنسا واهتمامه الشديد بشراء طائرات الميراج « لانه لم يتم تعويض ما فقدته مصر من الاسلحة منذ ١٤ شهرا » . هذا بالاضافة الى الميزات التي تتمتع بها هذه الطائرة . واعلن السادات بهذا الصدد ان الرئيس الفرنسي وافق على طلبه التزود بالميراج . (ب) اذا كانت الضمانات الدولية للسلام في المنطقة تشمل مرابطة قوات دولية على الحدود فان مصر لا تعترض على الاطلاق على وجود قوات فرنسية ضمن القوة الدولية . (ج) انه متفق تماما مع الرئيس ديستان حول قضية الحوار العربي الاوروبي واكد أن محادثاته مع الرئيس الفرنسي قد بدأت فعلا هذا الحوار . (د) ان زيارته لفرنسا قد حققت كل اهدافها بالنسبة لمصر وانه اتفق مع الرئيس الفرنسي على موضوع التعاون الاقتصادي على نطاق واسع جدا ، وانه اخبر نخبة رجال الاعمال الفرنسيين الذين قابلهم بأن مصر ترحب بهم وهي « على استعداد لان تسند اليهم اعمالا كثيرة » . (هـ) اكد انه اذا هاجمت اسرائيل سوريا في اي حال من الاحوال فان مصر ستدخل الحرب بدون تردد. وان أي من مصر او سوريا لن تبدأ اي هجوم على اسرائيل . (و) انه ما لم يجر حل القضية الفلسطينية لا يمكن ان يستتب السلام في المنطقة وان الضفة الغربية وقطاع غزة يشكلان المكان المناسب لانشاء دولة فلسطينية .

على اثر انتهاء هذه الزيارة صدر بيان مشترك كان أهم ما فيه النقاط التالية : (أ) التأكيد على التوافق في وجهات النظر بين الرئيسين حول المسائل الدولية المهمة بما فيها مشكلة الشرق الاوسط . (ب) موافقة الرئيس الفرنسي على تلبية طلب الرئيس السادات تزويد مصر « بمعدات حربية لتعويض بعض ما فقدته » . (ج) اشتراك المؤسسات الفرنسية في برامج التنمية في مصر خاصة في مجالات الطاقة والكهرباء والطاقة النووية وميادين النقل والمواصلات والتنقيب على النفط والصناعات البتروكيمائية والصناعات الزراعية والغذائية بالاضافة الى ميادين الصناعة الخفيفة والسياحة . وقد ذكرت الانباء الصحافية الواردة من باريس ان قيمة صفقة الاسلحة مع فرنسا بلغت حوالي ١٠ مليارات فرنك فرنسي (مليارين ونصف دولار) وانها شملت ٤٤ طائرة ميراج ودبابات من نوع اي. ام. أكس ٣ وصواريخ كروتال المضادة للطائرات وطائرات هليكوبتر من الحجم الكبير واجهزة رادار ومعدات الكترونية حديثة جدا . كذلك شملت اتفاقا لتزويد مصر بمحطتين نوويتين .

تمثل التطور الهام الثالث على الصعيد الدولي في الجولة التي قام بها كيسنجر في الشرق الاوسط في القسم الاول من شهر شباط . وقد شملت هذه الجولة كل من مصر واسرائيل وسوريا والاردن والمملكة العربية السعودية . وكانت الخلفية التي انطلقت منها هذه الجولة تتصف بالاجواء التالية : (أ) تصاعد التهديدات الامريكية باستخدام القوة العسكرية ضد الدول النفطية العربية . وكان من ابرز هذه التهديدات في الفترة المعنية اعلان قائد الاسطول الامريكي السادس بأن قواته على استعداد تام للاشتراك في اي وقت « في عملية اجتياح للدول المنتجة للنفط » . واكد القائد بأن قواته تملك القدرة على انجاز اية مهمة تعهد اليها من هذا القبيل . (ب) تصريحات ادلى بها رابين (في الكنيست وغيره) تفيد بأن اسرائيل لن تنسحب من الجولان حتى لو تم التوصل الى معاهدة سلام نهائية مع الدول العربية ، وانها على غير استعداد للانسحاب من حقول النفط والممرين الاستراتيجيين في سيناء الا مقابل تعهد رسمي وعلني بعدم نزوع مصر الى الحرب فيما بعد . (ج) تصريحات ادلى بها رئيس وزراء الاردن قال فيها ان حكومته لا تعتبر نفسها معنية بصورة مباشرة بمؤتمر جنيف وبالمحادثات المقبلة حول تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية . (د) تصريحات ادلى بها كيسينجر نفسه اعرب فيها عن اعتقاده بأنه بالامكان ايجاد صيغة توفق بين المطالب المصرية والاسرائيلية في المرحلة التالية من التسوية السلمية وان جولته المقبلة ستكون ذات طابع استطلاعي تمكنه من دراسة وجهات نظر مختلف الاطراف المعنية خاصة وان اتصالاته السابقة مع الزعماء العرب جعلته

يلمس « رغبة متزايدة لديهم في القبول بوجود اسرائيل المشروع في المنطقة » . لذلك اكد كيسنجر ان جولته القادمة لن تؤدي الى نتائج مباشرة في حد ذاتها بل ستكون مقدمة لجولة اخرى سيجريها في الاسبوع الثاني من شهر اذار حيث يكون قد درس « الاراء الحقيقية » للزعماء الذين سيقابلهم والتي « قد يكونون غير راغبين في تحديدها كتابة » . وعندئذ سيكون بامكانه صياغة وجهة نظر امريكية توفيقية تكون اساسا للمفاوضات بين مصر واسرائيل خلال جولة اذار. كما أكد كيسنجر بأنه لا يتوقع ان يفشل في مهمته . (هـ) قيام مصر بتقديم مذكرة رسمية الى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والامين العام للامم المتحدة تضمنت مشروعا يتعلق بدعوة منظمة التحرير الى مؤتمر جنيف . وقد شددت المذكرة المصرية على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بدون أي تدخل خارجي وعلى حقه في الاستقلال والسيادة الوطنية وعلى حق الفلسطينيين في العودة الى ديارهم . هذا بالاضافة الى التشديد على كون الشعب الفلسطيني طرفا اساسيا في اقامة السلام العادل والدائم في المنطقة اذ انه لهذا الشعب الحق في استعادة حقوقه بكل الوسائل طبقا لميثاق الامم المتحدة ومبادئه . كما طالبت المذكرة بتنفيذ قرارات الامم المتحدة حول فلسطين.

للتأكيد على الاهمية التي توليها السلطات الامريكية العليا لجولة كيسنجر قام الرئيس فورد بتوديع وزيره شخصيا وباطلاق عدد من التصريحات تؤكد الدعم الذي يحظى به كيسنجر من الرئيس فورد نفسه . قال فورد بانه يتوقع من كيسنجر نجاحا شبيها بالنجاح الذي حققه في الماضي لانه اذا لم يحرز الوزير تقدما فهناك احتمال خطير باندلاع حرب اخرى في الشرق الاوسط مما قد يؤدي الى حظر جديد على النفط . وعند وصوله الى اسرائيل اعلن كيسنجر بأنه يرحب بقرار الحكومة الاسرائيلية الاستمرار في التوجه نحو السلام على اساس خطة التحرك خطوة خطوة . واكد التزام حكومته بالتقدم السريع نحو تسوية سلمية في المنطقة . وعلى اثر اجتماعه بكبار المسؤولين الاسرائيليين ذكر الناطق الاسرائيلي ان المحادثات جرت في جو ودي وحار الا انه لم يتم التوصل الى اي قرار بسبب الطبيعة الاستطلاعية لمهمة كيسنجر هذه المرة . وذكرت الانباء الصحافية ان الوفد الامريكي ترك انطباعا بأن احتمالات التوصل الى اتفاق على جبهة سيناء اصبحت أقوى بعد محادثات كيسنجر في تل ابيب .

قبل وصول الوزير الامريكي الى القاهرة اجرت صحيفة « التايمز » اللندنية مقابلة مع الرئيس السادات بين فيها النقاط التالية : (أ) بأنه مستعد لان يمنح الدكتور كيسنجر الفرصة اللازمة ليجرب اسلوبه القائم على السير خطوة فخطوة لحل النزاع العربي الاسرائيلي . (ب) اذا لم يتحقق تقدم حقيقي في هذا الميدان قبل شهر نيسان – حيث ينتهي أمد انتداب القوة الدولية في سيناء – فان النتائج ستكون وخيمة اذ ان احتمالات انفجار الموقف في المنطقة هي في غاية الخطورة . (جـ) ان مصر مستعدة للدخول في مفاوضات حول الانسحاب الجديد من جبهة سيناء اذا تمكن كيسنجر من اخذ موافقة مبدئية من اسرائيل حول انسحاب مشابه من جبهتي الجولان والضفة الغربية . (د) ان مصر تحتاج الى ضمانات دولية لاية تسوية يتم تحقيقها وهي ستقبل ضمانات من الدولتين الكبريين او من مجلس الامن او من الدول الاوروبية . (هـ) عندما تبدأ المفاوضات حول الانسحاب المقبل في سيناء ستكون شروط مصر المطالبة بانسحاب اسرائيل من حقول النفط في ابو رديس ومن ممري متلا والجدي الاستراتيجيين . (و) ان اشراف الامم المتحدة على منطقة الممرات هو أمر قابل للمفاوضات . وواضح ان الرئيس السادات عرض الخطوط العريضة للموقف المصري الذي سيناقشه مع كيسنجر . وفي ١٢ شباط وصل الوزير الامريكي الى القاهرة واجرى محادثات مطولة مع الرئيس السادات وكبار المسؤولين المصريين . وعلى اثر انتهاء مشاوراته اعلن الرئيس السادات ان المحادثات كانت مثمرة للغاية وانه راض عما يجري «لانني متفائل دائما عندما استقبل صديقي هنري». أما كيسنجر فقد اعلن ان المحادثات كانت بناءة جدا وان الخطوات المحددة التي يمكن ان تؤدي الى التقدم نحو السلام موجودة . كما اكد بان وجوده هنا دليل على امكانية التوفيق بين موقفي مصر واسرائيل . واكد كيسنجر بانه لا ينوي مقابلة ياسر عرفات . وذكرت المصادر الصحافية . (أ) أن كيسنجر حمل معه من اسرائيل الى

القاهرة خرائط عليها عدد من خطوط الانسحاب الممكنة وفقا لنوعية التنازلات السياسية التي تكون مصر مستعدة لتقديمها . (ب) ان محور المحادثات مع الرئيس السادات كان بالتحديد « الثمن السياسي » الذي تطالب به اسرائيل مقابل انسحابها ومدى استعداد مصر لتلبيته . (ج) ان مصر طالبت بأن يرافق الاتفاق حول سيناء او يتبعه مباشرة اتفاق مشابه على جبهة الجولان بحيث تنسحب القوات الاسرائيلية من المرتفعات المطلة مباشرة على مدينة القنيطرة على اقل تعديل . (د) أن مصر مستعدة لاثبات نياتها السلمية مقابل الانسحاب الاسرائيلي المطلوب باعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية مع السماح للسفن غير الاسرائيلية الذاهبة الى او الاتية من مرافىء اسرائيلية بالمرور عبر القناة . كما انها مستعدة لخفض قواتها في بعض المناطق في سيناء وتجريد المناطق التي ستنسحب منها اسرائيل من السلاح بالاضافة الى وضع ممري متلا وجدي باشراف قوة دولية وضمن منطقة عازلة بين الخطين المصري والاسرائيلي . (هـ) ان اتفاق الانسحاب الجزئي في سيناء اصبح في حكم المؤكد وستظهر النتائج العملية خلال شهر اذار المقبل .

في دمشق قابل كيسينجر الرئيس حافظ الاسد مدة اربع ساعات ولكن يبدو ان محادثاته لم تسفر عن اية نتائج جدية تتعلق بانسحاب اسرائيلي من الجولان او بموعد محدد لاستئناف مؤتمر جنيف . وقد اعلن كيسينجر انه بحث مع الرئيس السوري « في دور سوريا الذي لا غنى عنه في اية تسوية نهائية » . ووصف محادثاته بانها كانت « وديـة وبناءة للغاية » ، كما ذكر بأنه تم الاتفاق على ان يبقى الوزير الامريكي على اتصال مع السلطات السورية وان يزور دمشق مجددا في جولته المقبلة في اذار . كما اشار الى ان المحادثات تناولت العلاقات الثنائية بين البلدين التي وصفها كيسينجر بقوله انها « طيبة وآخذة في التحسن » . وقد صدر بيان سوري رسمي اشار الى ان المحادثات مع كيسينجر تناولت الوضع في الشرق الاوسط حيث ابدى الجانب السوري وجهة نظره المعروفة مؤكدا ضرورة الانسحاب التام من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني وضرورة مراعاة وحدة التحرك على كل الجبهات في مراحل العمل من اجل السلام العادل في المنطقة . ومن الملاحظ ان التصريحات الامريكية والسورية لم تشر بشيء الى مؤتمر جنيف . وذكرت مصادر سورية بان كيسينجر لم ينجح في ازالة شكوك دمشق حول جدوى الاتفاقات المرحلية وحول كونها تستهدف ضرب التضامن العربي . كما بينت هذه المصادر ان سوريا لا تعارض حدوث انسحاب اسرائيلي جديد في سيناء شريطة الا يتخذ شكل « الحل الجزئي والمنفرد » والا يتعارض مع مقررات مؤتمر الرباط على ان يكون تمهيدا لخطوات اخرى تؤدي الى استئناف انعقاد مؤتمر جنيف .

من دمشق عاد كيسينجر الى اسرائيل لاطلاع السلطات هناك على نتائج محادثاته في القاهرة ودمشق . وبهذه المناسبة صرح مصدر اسرائيلي مسؤول بأن « التفاؤل الذي ساد في القاهرة خلال زيارة كيسينجر له ما يبرره » . كما ذكرت المصادر الصحافية الاسرائيلية بان الاتفاق حول سيناء قد اصبح في جيب الوزير الامريكي . على اثر ذلك انتقل كيسينجر الى الاردن حيث قابل الملك حسين في العقبة وصرح قائلا بانه يريد اطلاع المسؤولين في الاردن على نتائج جولته بالاضافة الى اجراء مباحثات حول زيادة تدعيم العلاقات الثنائية بين البلدين . وقد صرح زيد الرفاعي بأن الرئيس فورد دعا الملك حسين لزيارة واشنطن في المستقبل القريب وان الاردن لن يشترك في مؤتمر جنيف لان ذلك سيكون مخالفا لقرارات مؤتمر قمة الرباط ، وانه من الضروري ان تشترك منظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني. وكان اخر بلد يزوره كيسينجر هو العربية السعودية حيث قابل الملك فيصل ونقل له النتائج التي اسفرت عنها جولته في المنطقة على حد قول الوزير الامريكي . وذكرت الانباء الواردة من الرياض ان كيسينجر بحث مع الملك فيصل خطة جديدة تنوي الولايات المتحدة تطبيقها لضرب « طوق الاحتكار النفطي الذي تمارسه دول الاوبيك » وذلك بعد عقد صفقات نفطية طويلة الامد مع بعض الدول المنتجة للنفط باسعار هي اقل من الاسعار المتفق عليها بين الدول المنتجة . وتوجه الوزير الامريكي من السعودية الى جنيف حيث سيقابل الوزير السوفياتي غروميكو ليتباحث معه في مشكلات التسوية السلمية في المنطقة .

(٢) المناطق المحتلة

استمرار الانتفاضة الشعبية

كما لم يتوقع الاسرائيليون ، استمرت المظاهرات التي انطلقت من مختلف مدن الضفة الغربية بمناسبة عرض القضية الفلسطينية امام الامم المتحدة ، مشكلة للمرة الاولى ، حالة جماهيرية متقدمة ، بعد سنوات من الركود السياسي في الضفة الغربية المحتلة . وقد عمق استمرار المظاهرات واتساع نطاق الاضرابات هذه الحقيقة السياسية التي اصبحت من ابرز ما يسجل في تاريخ الضفة تحت الاحتلال . وكنا في العدد (٤٠) من « شؤون فلسطينية » قد عرضنا لبدايات هذه الانطلاقة الجماهيرية ، وفي عددنا هذا نواصل عرض أبرز تطورات الانتفاضة الجماهيرية هذه .

ففي عددها الصادر يوم ١٩٧٤/١١/١٩ ، كتبت صحيفة «الفجر» تحت عنوانها الرئيسي في الصفحة الاولى ، ان الاضرابات والمظاهرات استمرت لليوم السادس على التوالي في مدن القدس ، بيت لحم ، رام الله ، الخليل ، نابلس ، بيت جالا . وتخلل هذه الاضرابات ، اشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال ادت الى اصابة عدد من المتظاهرين والجنود ، واسفرت عن اعتقال ٧٥ طالبا في القدس العربية وحدها .

وحملت هذه المظاهرات وزير الدفاع الاسرائيلي الى القيام بجولة سريعة في نابلس ، يرافقه عدد من كبار ضباط الحكم العسكري للوقوف على الوضع المتفجر في المدينة . واجتمع الوزير برئيس واعضاء المجلس البلدي ووجه انذارا لهم « بفرض اشد العقوبات على المدينة وسكانها اذا ما استمرت الحالة هكذا ، وقال لهم عليكم الابتعاد عن العواطف والتيارات » .

ونقلت « الفجر » في العدد نفسه ان المعتقلين في سجن بئر السبع اضربوا عن العمل احتفالا باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة . وذكرت « الفجر » ايضا ان السجناء العرب في سجن الرملة « اعلنوا منذ ايام اضرابا عن الطعام ولا يزال اضراب السجناء مستمرا » (الفجر ٧٤/١١/١٩) .

وفي اليوم السابع من المظاهرات والاضرابات الجماهيرية ، توفيت احدى المتظاهرات وهي الطالبة رباب عبد الكريم السلعوس من نابلس . وخلال المظاهرات ، كانت سلطات الاحتلال تعقد محاكمات فورية وتصدر احكامها التعسفية بحق بعض المتظاهرين . فكان ان اصدرت حكما بالسجن ثلاثة اشهر على الطالب زياد الحسيني من المدرسة اللوثرية في بيت لحم بتهمة حمل العلم الفلسطيني . واصدرت مديرية التربية والتعليم في بيت لحم بامر من الحاخام ضابط التربية والتعليم بالحكم العسكري ، امرا بأخذ تعهدات على الطلاب بعدم الاخلال بالنظام والامن الداخلي ثانية . وكانت حصيلة اليوم السابع اعتقال اكثر من ٣٠٠ طالب وطالبة من القدس والضفة الغربية ، وقدم ١٣٢ منهم للمحاكمة ، وحكم على ٥٤ طالبا وطالبة بالسجن لمدد مختلفة مع دفع غرامات مالية . (الفجر ٧٤/١١/٢٠) .

اما حصيلة اليوم الثامن من الانتفاضة ، فقد اسفرت عن اتساع المظاهرات الصاخبة والاضرابات الطلابية في مختلف مدن الضفة الغربية « تأييدا لمنظمة التحرير الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وتنديدا باجراءات القمع والاعتقال التي تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية في القدس والضفة الغربية ضد المتظاهرين . واعتقلت قوات الامن ٧٠ مواطنا من القدس . بينهم ٤٠ طالبا وطالبة من المدارس الثانوية . ووصل عدد المعتقلين في الضفة الغربية والقدس الى اكثر من ٣٥٠ شخصا » (الفجر ٧٤/١١/٢١) .

ومع استمرار المظاهرات واتساع نطاقها ، قامت سلطات الاحتلال في اليوم التاسع من الانتفاضة الجماهيرية ، باللجوء الى احد اسلحتها الارهابية للحد من الانتفاضة ، وذلك باقدامها على ابعاد خمسة من المواطنين الى لبنان . والمبعدون الخمسة هم : الدكتور الفرد طوباسي طبيب اسنان وعضو مجلس بلدية رام الله ونقيب اطباء الاسنان في الضفة الغربية ، السيد عبد الرزاق عوده وهو مهندس ومقاول وعضو في غرفة

تجارة رام الله . والسيد محمود قدري وهو مدرس في المدرسة الهاشمية الثانوية في البيرة ، والسيد غطاس ابو عطية وهو من بيت ساحور وكان يعمل مدرسا في مدرسة هشام بن عبد الملك الثانوية في اريحا ، والدكتور حنا ناصر عميد كلية بيرزيت .

وقد اثار هذا الابعاد مجددا الحالة الجماهيرية في الارض المحتلة ، فادى الى اتساع النقمة الشعبية على الاحتلال والى اتساع نطاق الاضرابات والمظاهرات . وبعث مجلسا بلدية رام الله والبيرة بمذكرتي احتجاج الى وزير الدفاع الاسرائيلي جاء فيها : « ان هذه الاجراءات تخالف ميثاق هيئة الامم وجميع المواثيق الدولية والتي دأبت السلطات على اتباعها دون اجراء محاكمات لهم ودون مبرر لذلك » . واستنكر مجلسا البلدية والغرفة التجارية في لواء رام الله هذه الاجراءات (الشعب ٧٤/١١/٢٢) .

وفي يوم الجمعة الموافق ٧٤/١١/٢٢ ، ذكرت صحف الضفة الغربية ووكالات الانباء ان جموع المصلين لصلاة الجمعة في المسجد الاقصى تجمهروا في ساحة المسجد بعد الصلاة ، واتجهوا يرفعون اعلاما فلسطينية ولافتات الى شوارع القدس خارج الاسوار . ومر المتظاهرون في طريقهم بالمجلس الاسلامي الاعلى الى الواد فباب العامود وهناك اصطدموا مع قوات الاحتلال فتراجعوا الى الازقة . واغلق المتظاهرون باب العامود الخشبي الضخم وتجمعوا خلفه يحاولون منع قوات الاحتلال من فتحه . ولكن رجال البوليس الذين رشقهم المتظاهرون بالحجارة تمكنوا من فتح الباب واشتبكوا مع المتظاهرين ثم اطلقوا النار في الهواء لارهاب المتظاهرين . واصيب من جراء ذلك عدد من المتظاهرين وقوات البوليس بجروح . واعتقلت قوات الامن اكثر من ٦٠ متظاهرا وضعتهم في باصين ثم نقلتهم الى سجن المسكوبية .

من جهة اخرى كانت المدارس ما زالت مغلقة لليوم العاشر على التوالي في مختلف مدن الضفة الغربية ، خاصة بعد ان شملت حملة الاعتقالات عددا من طلاب مختلف المدارس . وطلبت دائرة البوليس عن طريق بلدية القدس من مديرة المدرسة المأمونية الثانوية فصل ١٥ طالبة من المدرسة لمدة خمسة اسابيع لاشتراكهن في المظاهرات ، الا ان المديرة والهيئة التدريسية رفضن هذا الطلب .
وفي نابلس ، استدعت سلطات الاحتلال في اليوم الحادي عشر للمظاهرات في ساعة متأخرة من الليل ٢٥٠ طالبا وطالبة من مختلف المدارس الثانوية والاعدادية وهددتهم بابعادهم الى عمان مشيا على الاقدام بعد اتخاذ الاجراءات الصارمة بحقهم اذا ما استمروا بالقيام بالمظاهرات (الفجر ٢٤/١١/ ٧٤) .

وعلى اثر هذه المظاهرات ، صرح شلومو هليل وزير الشرطة الاسرائيلية بان اي نشاط سياسي او اجتماع واسع النطاق في المناطق المحتلة مقيد وفقا للامر الصادر عن قائد منطقة الضفة الغربية في ١٩٦٧/٨/٢٧ . واضاف ان هذا الامر يحظر عقد اي اجتماع سياسي الا بموجب ترخيص من القائد العسكري الذي يقرر فيه وفقا لظروف كل حادث وحادثة (الفجر ٧٤/١١/٢٦) .

ويهمنا في هذا المجال ان نؤكد ان وسائل الاعلام الاسرائيلية الرسمية وغير الرسمية ، حاولت اظهار الاضراب الذي بدأ يوم ١٩٧٤/١١/١٣ لم ينجح كليا (هآرتس ٧٤/١١/١٤) ، أو أنه فشل (دافار شبه الرسمية ٧٤/١١/١٤) . غير ان تتالي المظاهرات واشكال المقاومة الشعبية المختلفة اكدت عدم صحة هذا الاستنتاج المبكر .

اما ردود الفعل الاسرائيلية حول وقائع الانتفاضة فقد كانت ذات شقين : الاول ما حملته تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ورجال الحكم العسكري من تهديدات ، والثاني ما اسفرت عنه من اجراءات سياسية وغير سياسية ، كان في طليعتها ابعاد عدد من المواطنين . فقد ذكرت « دافار » في ٧٤/١١/١٩ أن وزير الخارجية الاسرائيلية الون قد صرح في الكنيست بان اسرائيل لن تسمح لاية جهة بعرقلة الحياة المنتظمة في المناطق ، وستستعمل الشدة والحزم ضدها . واشارت الصحيفة نفسها ، ان اقتراحا بدأ يتبلور داخل الحكومة لتوسيع الاستيطان في الضفة الغربية في اعقاب سلسلة التطورات السياسية الاخيرة . واتخذت الادارة العسكرية سلسلة من العقوبات ضد مدينتي رام الله والبيرة ، اللتان جرتا فيهما الى جانب المظاهرات اضرابات للتجار.

تحظر على سكانها عبور الجسور الى الضفة الشرقية ، ومنعت شاحنات المدينتين من نقل البضائع الى الاردن عبر الجسور . كما منع الحاكم العسكري تجار المدينتين من تصدير محصول الزيت . وذكرت هآرتس في ٧٤/١١/٢١ ، ان سلطات الحكم العسكري امرت باقفال عشرة محلات في مدينتي رام الله والبيرة الى اشعار اخر ، كرد على اضراب تجار المدينتين وحرفييهما .

محاولة لاغلاق صحيفة الفجر

كانت صحيفة الفجر التي بدأت تصدر اسبوعيا بموجب رخصة من وزارة الداخلية الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧٢/٤/٢ باسم السيد يوسف نصري نصر ، قد تعرضت لمحاولة اغلاقها ، بعد ان خطف صاحب الامتياز في ١٩٧٤/٢/٥ ولم تعرف اخباره، وذلك بحجة ان القائمين عليها الان لا يملكون حق اصدار هذه الصحيفة . وللحيلولة دون ذلك قام السيد حنا سمعان سنيورة باسمه ونيابة عن يوسف نصر ، وكمحرر مسؤول في الصحيفة ، بواسطة وكيلته المحامية فيلتسيا لانغر ، بتقديم طلب الى محكمة العدل العليا لاصدار امر احترازي موجه الى وزيري الداخلية والدفاع ، يمنعهما مؤقتا من اغلاق الصحيفة الى ان تبت المحكمة في شأن رخصة امتياز الصحيفة .

والمعروف ان عائلة يوسف نصري — عائلة العجلوني — هي التي تمول اصدار الجريدة منذ بداية صدورها حتى الان . وهذه العائلة تسكن في نيويورك ، وقد وكلت حنا سنيوره ليقوم مقام المحرر المسؤول للجريدة في غياب يوسف . وقد منحت هذه الوكالة للسيد سنيوره في نيسان (ابريل) ١٩٧٤ . ومنذ ذلك التاريخ وهو يقوم مقام المحرر المسؤول ويعمل كصاحبها في جميع الامور ، وقد اعتادت جميع المصادر الرسمية ومن ضمنها الرقابة ، التوجه الى السيد سنيوره كمحرر مسؤول .

ومنذ ٧٤/٦/١٥ بدأت الجريدة تصدر يوميا وذلك بموجب قرار العائلة (عفاف العجلوني وزوجها بولس) . وبموجب انظمة الدفاع (الطوارىء لعام ١٩٤٥) ، ترسل المواد التي تنشر في الجريدة للرقابة بشكل يومي .

وكانت سلطات الاحتلال قد هددت بلسان الضابط دافيد حن ، صاحبها يوسف نصر ، بانه اذا لم يغير لهجة كتابات الجريدة فسيبعد من البلاد . وفي الفترة الاخيرة صرح وزير الشرطة ومستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية وتيدي كولك رئيس بلدية القدس ، بانه ستتخذ اجراءات ضد الصحف التي تصدر في القدس الشرقية ومن بينها الفجر بسبب التحريض كما ذكر هؤلاء المسؤولون في تصريحاتهم . وأيدت هذه التصريحات انباء ذكرتها صحف اسرائيلية عدة عن نية السلطات في اغلاق الفجر . ففي ٧٤/١١/٢٩ ظهر خبر في صحيفة هآرتس جاء فيه ان اوساطا مدنية وامنية في القدس قررت في الايام الاخيرة اغلاق جريدة الفجر المقدسية . وفي ٧٤/١١/٢٩ ، اجرى السيد سنيوره مكالمة هاتفية مع عائلة عجلتوني ، فطلبت منه ان يبذل جهده لعدم غلق الجريدة .

واستند سنيوره في دعوته ضد وزيري الدفاع والشرطة الى واقعة ان يوسف نصر قد اختفى ولم يشاهد بالفعل منذ اختفائه ولم يعلن عنه بانه ميت،ولذلك فان رخصة اصدار الجريدة هي رخصة قانونية .

وقد جاءت هذه المحاولة في اعقاب الانتفاضة الجماهيرية ونتيجة للخط الوطني الذي اتبعته هذه الصحيفة في معالجتها لانباء الانتفاضة ولنشرها النص الحرفي لخطاب الاخ ياسر عرفات الذي القاه امام الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .

وفي ٧٤/١٢/١١ نظرت محكمة العدل العليا في طلب اصدار الامر الاحترازي ضد وزيري الدفاع والشرطة وقررت رفضه . ونص قرار المحكمة على ان تفتح امام الفجر امكانية تقديم الطلبات اللازمة لوزارة الداخلية كي تستمر الجريدة بالصدور بشكل قانوني .

وأكدت المحامية فليتسيا لانغر في مرافعتها امام المحكمة ، ان قضية اغلاق الجريدة ليست كما يحاول الادعاء ابرازها بانها قضية قانونية بل هي قضية سياسية . واستندت لانغر في ذلك على ما نشرته الصحف الاسرائيلية وما قاله وزير الشرطة من انه سيتخذ اجراءات بحق الصحافة في المناطق المحتلة على اثر الموقف الذي اتخذته هذه الصحف غداة صدور قرارات مؤتمر الرباط وعرض القضية الفلسطينية امام الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .

وفور صدور قرار المحكمة توجه السيد حنا سنيوره الى مكتب متصرف اللواء التابع لوزارة الداخلية وقدم طلبا لاعطائه مهلة للقيام بتنفيذ كل ما ينص عليه قانون الصحافة من تقديم طلبات وتصريحات وابراز الشواهد التي تثبت كفاءته للقيام بدور المحرر المسؤول للجريدة .

وكان المحرر السابق في « الفجر » جميل حمد قد تقدم الى المحكمة عن طريق المحامي محمود حبيب الله يعلن فيه انه هو رئيس تحرير «الفجر» بناء على وكالة من يوسف نصر . ومعروف ان جميل حمد قد اعتقل ثم افرج عنه بكفالة للاشتباه بان له علاقة باختطاف يوسف نصر . وجاءت اقوال المتهم الرئيسي في اختفاء يوسف وهو ياسر الكركي تؤيد هذه التهمة حيث قال ان حمد هو الذي حرض على خطف يوسف وان له مصلحة في ذلك .

الحكم على المطران كبوشي

في ٧٤/١٢/٩ حكمت المحكمة المركزية الاسرائيلية في القدس بسجن المطران ايلاريون كبوشي النائب البطريركي وراعي ابرشية الروم الكاثوليك في المناطق المحتلة ، باثنتي عشر سنة ، بتهمة تهريب الاسلحة من لبنان الى رجال المقاومة الفلسطينية . واعلنت رئيسة المحكمة مريم بن بوارت ان المطران كبوشي الذي يبلغ ٥١ سنة « مذنب بالاتصال بعملاء اجانب وحيازة اسلحة والقيام بخدمة لمنظمة غير قانونية » . وكان المطران قد اعتقل في ١٩٧٤/٨/٨ .

انعقدت جلسة المحكمة في الساعة التاسعة من صباح ٧٤/١٢/٩ لتلاوة تقريرها المطول الذي جاء ليدين المطران بالتهم الموجهة ضده . وقد استغرقت تلاوة التقرير ثلاث ساعات تقريبا . وجاء قرار المحكمة عبارة عن مصادقة على اقوال الادعاء وبياناته من شهود وافادات ، كان المطران قد اعلن انها اخذت منه تحت التهديد والترغيب اثناء التحقيق معه وبعد اعتقاله .

وطلب المطران اعطاءه حق الكلام قبل اصدار الحكم ، الا ان رئيسة المحكمة طلبت من وكيله ان يحذره بان لا تخرج كلمته عن اطار المحكمة والقضية التي امامها من الناحية القانونية وتتعداها الى امور سياسية . وبعد ان وافقت المحكمة وقف المطران والقى خطبة سياسية .

وكانت المحكمة قد شهدت في ذلك اليوم توافد اعداد غفيرة من الناس ، للوقوف بجانب المطران ساعة صدور الحكم ضده . وبرزت من بين تلك الجموع شخصيات دينية مثل الشيخ سعد الدين العلمي قاضي القدس الشرعي ، ونائب القاصد الرسولي ، ورجال دين وراهبات وشخصيات عربية مختلفة من القدس . واتخذت اجراءات امن مشددة داخل مبنى المحكمة وخارجها . وبعكس المرات السابقة منع المطران كبوشي من مصافحة ومعانقة معارفه واصدقائه الذين جاءوا الى المحكمة . واثناء الاستراحة كان رجال البوليس يخرجون المطران من قاعة المحكمة ويحتجزونه في غرفة جانبية بعيدا عن الناس . كما اغلق شارع صلاح الدين وهو الشارع الرئيسي في القدس العربية ، امام حركة السير منذ ان احضر المطران الى مبنى المحكمة الواقع في الشارع المذكور . واستمر اغلاق الشارع من الثامنة والنصف وحتى الثالثة والنصف بعد الظهر عند صدور الحكم .

وجاء في الكلمة التي القاه المطران كبوشي : « يا ايها المسيح سيدي ، لقد بكيت على القدس ، يوما ، وانت من جبل الزيتون محدق الطرف فيها ، تتأمل بمصيرها ، وتقول عنها متنبئا : انه سيأتي ايام يحيطون بك ، ويحدقون بك ، ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك . وفي هذه الايام اذا ما نظرت من سمائك ، تجد القدس ، بلدك ، كما صورتها انت وعليها بكيت ، وعنها تنبأت ، وتجد ابناء بلادك ، في سجنهم الكبير على صورتي انا ، فتبكي مجددا ونبكي معك ... » (الفجر ٧٤/١٢/١١) .

تجديد احكام المعتقلين الاداريين ستة اشهر اخرى

منذ الانتفاضة الجماهيرية التي قامت بها الضفة الغربية في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، وسلطات الاحتلال الاسرائيلي تشدد من قبضتها الارهابية على جماهيرنا في الضفة الغربية ومختلف المناطق المحتلة . وتنقل وسائل الاعلام الاسرائيلية ذاتها يوميا اخبار الاعتقالات والمداهمات والمحاكمات ومصادرة الاراضي والتضييق في سبل المعيشة على جماهيرنا الصامدة فوق تراب وطنها .

الا ان ما حملته الانباء من جديد خلال الاسبوع الماضي ، هو ما اقدمت عليه سلطات الاحتلال

— كما كان متوقعا — من تجديد لاحكام التوقيف لعشرات من المعتقلين الاداريين ، بعد ان انقضت مدة محكوميتهم الادارية .

وكانت سلطات الاحتلال قد اقدمت في ربيع العام الماضي على شن حملة واسعة من الاعتقالات شملت العديد من القادة النقابيين والمهنيين والمثقفين الوطنيين ، ولم تستطع طوال الاشهر الماضية توجيه تهم محددة لاي من هؤلاء المعتقلين تستطيع بواسطتها تقديمهم للمحاكمة . لذلك ، وجريا على عادتها ، لجأت الى قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥، التي كان معمولا بها ايام الانتداب البريطاني على فلسطين ، لاصدار احكام بتوقيفهم اداريا ، الى ان تحصل على مستندات اتهامية بحق هؤلاء الموقفين .

لقد كانت التهمة الموجهة الى هؤلاء الموقوفين ، هي تهمة الانتماء الى الجبهة الوطنية الفلسطينية في الضفة الغربية . غير ان سلطات الاحتلال قامت بتوجيه تهم اخرى الى هؤلاء المعتقلين ، وهي قيامهم باعمال تمس بـ « الامن » ، بعد ان اثار نواب راكاح في الكنيست هذه المسألة مع وزير الدفاع الاسرائيلي . وبالرغم من كل ذلك ، فقد بقيت سلطات الاحتلال عاجزة عن تقديم البينات والمستندات التي تثبت صحة مزاعم السلطات المحتلة ، بدليل عدم تقديمهم الى المحاكمة الى الان .

وصاحب تجديد الاحكام الادارية موجة اخرى من الارهاب والاعتقالات شملت مناطق مختلفة من الضفة الغربية وقطاع غزة ، خاصة بعد ان تصاعد النضال الوطني الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها . وفي هذه الاثناء قام المعتقلون الاداريون من جانبهم بتصعيد نضالهم السياسي والمطلبي داخل سجونهم ومعتقلاتهم . ورافق ذلك كله موجة من الاحتجاجات والاعتصامات النسائية في الارض المحتلة . فذكرت جريدة الشعب التي تصدر في القدس العربية ان الموقوفين الاداريين في سجن « كفار يونا » قد قرروا الاضراب عن الطعام اذا ما جددت سلطات الاحتلال مدة اعتقالهم . كما تقدم المعتقلون بمذكرة الى مدير السجن يطلبون فيها بتحسين اوضاعهم المعيشية داخل السجن . ونقلت « الشعب » على لسان المحامي وليد الفاهوم الذي قابل المعتقلين الاداريين في سجن نابلس يوم ١٩٧٥/١/١٣ ، ان معظمهم تشارف مدد احكامهم على الانتهاء ، دون ان يعملوا ما اذا كانت ستجدد مدد محكوميتهم ام لا . ومن بين هؤلاء : لبيب فخر الدين ، عباس عبد الحق ، عبد الباسط الخياط ، جمال فريتخ ، خليل حجازي، احمد دحدول ، راجح غنيم ، بسام وزهير عميرة ، حيث ان معظمهم قد اعتقل منذ تسعة شهور بدون اي تحقيق . وقالت « الشعب » ان عدد الموقوفين في سجن نابلس وحده يبلغ ١٥ شخصا ، وبسجن الخليل يبلغ عددهم ١٠ اشخاص ، وفي رام الله عشرة ، اما في سجن كفار يونا فيبلغ عددهم العشرين . (الشعب ١٩٧٥/١/١٥) .

ومع اقتراب انتهاء مدة الاحكام الادارية قام عدد من رؤساء البلديات بتقديم مذكرات الى الحكام العسكريين يطالبون فيها بالافراج عن المعتقلين . وقد تقدم بمثل هذه المذكرة رؤساء بلديات بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور .

ومن جهة اخرى قامت امهات وزوجات واخوات المعتقلين والمساجين والمبعدين من الضفة الغربية باعتصام مفتوح في مقر هيئة الصليب الاحمر الدولية في القدس وذلك يوم ١٩٧٥/١/١٥للاحتجاج على سياسة الاعتقال والابعاد وعدم تقديم المعتقلين للمحاكمة ، والمطالبة باطلاق سراحهم . وقد رفعن مذكرة الى ممثل الصليب الاحمر في القدس ، الذي وعدهن برفعها الى ممثل الصليب الاحمر في تل ابيب . وجاء في هذه المذكرة : « نحن اهالي المعتقلين — والجدير بالذكر ان بعضهم لم يحقق معه منذ اعتقاله وبعضهم لم توجه اليه اية تهمة يحاكم بسببها ، بل تم توقيفهم اداريا ولمدد مختلفة دون ذكر الاسباب في التوقيف ومدى نهايته — نتوجه للرأي العام العالمي والداخلي والقوى الديمقراطية في كافة انحاء العالم ومحبي السلام والى الهيئاتوالمنظمات الدولية ، بضم اصواتها الى صوتنا مطالبين :

١ — عدم تجديد التوقيف الاداري لمن انتهت مدة توقيفهم المقررة .

٢ — السماح بادخال الكتب والجرائد والمجلات لهم .

٣ — تقديم من وجهت اليهم أية تهمة للمحاكمة ».

ويذكر انه قد اعتصم الى جانب النساءالعربيات عدد من النسوة الاسرائيليات من حركة النساء الديمقراطيات الاسرائيليات ، للاعراب عن تأييدهن لمطالب الامهات الفلسطينيات باطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين وعدم تجديد توقيفهم ومعاملتهم معاملة حسنة . وجاء في البيان الذي اصدرته حركة النساء الديمقراطيات الاسرائيليات الذي اصدرته بهذه المناسبة . « ان اعتقال الانسان بدون سبب وعدم تقديمه للمحاكمة خرق للحقوق الانسانية . وان ما تعانيه العائلات الفلسطينية من ظلم ومعاناة بسبب اعتقال رب العائلة امر جعلنا نشارك الامهات والعائلات الفلسطينية المصابة احتجاجا ضد الاعتقال بدون سبب وبدون تهمة » (الشعب ١٩٧٥/١/١٦) .

ورفعت امهات وذوو المعتقلين السياسيين مذكرة اخرى الى الحاكم العسكري العام في الضفة الغربية ، سلمت نسخة منها الى الصليب الاحمر الدولي . وجاء في المذكرة ان السلطات الاسرائيلية توقف العديد من الشبان توقيفا اداريا ودون بيانات او تهم مثبتة ، كما تجدد للكثيرين مدة السجن بعد انقضاء مدة الحكم عليهم ، بالاضافة الى ابعادهم. وقالت المذكرة ان المعتقلين في السجون الاسرائيلية يفتقرون الى العناية الطبية والتدفئة الكافية . وجاء في ختام المذكرة : « نحن الممثلات للمرأة العربية وللامهات وذوي المعتقلين السياسيين في الضفة الغربية وقطاع غزة نطالب باطلاق سراح المعتقلين السياسيين الاداريين وتخفيض الاحكام بصورة عامة عمن قضوا مددا طويلة في السجن وعدم تجديد سجن من أتموا مدة حكمهم والسماح باعادة المبعدين من أبناء البلاد الى وطنهم » . (الشعب ١٩٧٥/١/٢٠) .

غير ان بالرغم من كل هذه الاحتجاجات، اصدرت سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي قرارها يوم ٧٥/١/٢٠ ، بتجديد فترة الاعتقال الاداري مدة ستة اشهر اخرى للموقوفين الاداريين . وفيما يلي قائمة باسماء المعتقلين الاداريين الذين جددت احكامهم ، كما نشرتها صحيفة الشعب المقدسية يوم ١٩٧٥/١/٢١ :

نابلس : لبيب فخر الدين ، خلدون عبد الحق، عباس عبد الحق ، الدكتور فرحان ابو الليل ، عبد الباسط الخياط ،جمال فريتخ، خليل حجازي، احمد دحدول ، راجح غنيم ، بسام ابو عميره ، بسام الشخشير ، زهير عميره ، غانم ابو زنط ، عدنان الاثيري ، محمد بغدادي ، عبد الواحد القطناني وزهير جرار .

جنين : زياد حرز الله .

رام الله : سليمان النجاب ، تيسير العاروري ، غسان حرب ، عدنان داغر ، حسين الطويل ، صلاح زهران ، عادل برغوثي ، خضر العالم ابو فرحه ، عبد الله البعيرات البياع ، عبد الحميد عرفات ابو حمص .

القدس : فاروق السلفيتي ، يعقوب فراح ، محمد ابو غربية ، حسين ابو غربية ، عبد الكريم حمدان ، خليل كارلوس توما ، ابراهيم الجولاني، محمود ابو رميله ، طاهر الشلودي ، ربحي ابو شريف ، اسعد سنقرط وعبدالله السرياني .

بيت لحم والخليل : حسين حداد ، عطا الله الرشماوي ، خليل الرشماوي ، عبد المجيد حمدان ، داود مطر ، ابراهيم العابدي ، محمد سعادة ، مصطفى ابو سنينة .

قطاع غزة ، مجيد عاشور ، زويد العجمة ، عياد العيادة .

تحريم العمل في « كريات اربع »

عقد في مدينة الخليل يوم ٧٥/٢/٣ اجتماع كبير ضم رؤساء البلديات والمجالس القروية في محافظة الخليل وممثلون عن مختلف فئات المواطنين في المحافظة . وترأس الاجتماع الشيخ محمد علي الجعبري رئيس البلدية . وقد تركزت مناقشات المجتمعين حول مستوطنة كريات اربع واتساع مساحتها والبناء فيها ، واستيلاء الاسرائيليين على اراضي اهالي الخليل ، وذلك بعد ان اقيم في المستوطنة مجلس بلدي بموافقة الحكومةالاسرائيلية اخذ بنزع ملكية الاراضي حول المستوطنة ووضع مخططات لتكريس الاستيطان وتطويره . كما ناقش المجتمعون مسألة انعقاد مؤتمر حزب حيروت الاسرائيلي على اراضي الخليل كريات اربع — وقرروا استنكار هذه الخطوة ، خاصة وان رئيس الدولة في اسرائيل قام بافتتاح مؤتمر الحزب بنفسه .

وعرض على المجتمعين مخططا صادرا عن ما يسمى بلجنة التنظيم اللوائية التابعة لقيادة الحكم العسكري في الضفة الغربية ، والقاضي بشق شارع رئيسي يربط منطقة « رأس الجورة » بمشارف المدينة الى مستوطنة كريات اربع ، بعرض اربعين مترا ، مما يلحق الاضرار الجسيمة بالاراضي والمباني الذي سيمر فيها هذا الشارع. وقد اتخذ المجتمعون عدة قرارات في نهاية الاجتماع ابرزها .

١ — احتجاج ابناء الخليل والمحافظة بمختلف فئاتهم على توسيع كريات أربع ومنحها صفة بلدية، وعلى عقد مؤتمر حزب حيروت فيها . وقال البيان الذي نشرته صحيفتا القدس والشعب الصادرتان يوم ٧٥/٢/٥ ، ان المجتمعين اعتبروا انعقاد هذا المؤتمر تحد صارخ للعرب المقيمين في منطقة الخليل. وانه زاد من استياء المواطنين وسخطهم حضور رئيس الدولة وعدد من الوزراء لهذا المؤتمر .

٢ — استنكار المؤتمر اقامة المستوطنات الاسرائيلية على الاراضي العربية وخاصة ما اقيم على طريق القدس بيت لحم وفي اراضي منطقة الخليل .

٣ — انتداب وفد من محافظة الخليل وغيرها لزيارة الدول العربية وشرح مشاكل وقضايا واحتياجات المواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة . وطلب تقديم الدعم المادي لتوفير الاحتياجات ومعالجة المشاكل من اجل البقاء والحفاظ على ارض الوطن .

ونقلت اذاعة اسرائيل في برنامجها باللغة العبرية ، ان اجتماع وجهاء الخليل هذا ، دعا عمال البناء العرب الذين يعملون في «كريات اربع» الى التوقف عن العمل في هذه المستوطنة . ويقول القرار ان العمل في « كريات اربع » يتناقض والدين ، وان « لعنة الله سوف تحل بكل من يخالف هذا القرار » . وقالت الاذاعة في معرض تعقيبها على هذا النبأ ، ان القرار الذي يقضي بمنع العمال العرب من العمل في كريات اربع ، وعددهم خمسمئة عامل عربي ، « قرار شاذ بالمقارنة مع باقي القرارات التي اتخذت في اجتماع الوجهاء امس . وفي البداية علم انه كان هناك اقتراح لتوجيه الدعوة الى جميع العمال في الضفة الغربية ، للتوقف عن العمل في اسرائيل ، ولكن هذا الاقتراح سقط . واكتفى الاجتماع بشجب وادانة العمال العرب الذين يعملون في كريات اربع » . واضافت الاذاعة في تعليقها « ان الهدف الكامن وراء هذا القرار مزدوج ومثلث . فمن الجانب الاول ظهر وجهاء الخليل على انهم قوميون عرب . ومن الجانب الثاني يخدم هذا القرار مصالح مدينة الخليل التي ترى في كريات اربع عدوة لها . ولهذا يجب ان نضيف عنصرا ثالثا ظهر في الفترة التي تقول ان الخليل نفسها يمكنها استيعاب العمال العرب ، وان الخليل محتاجة للايدي العاملة » . (ر. أ. ا. عدد ٧٤٤، ٧٥/٢/٤) .

عيسى الشعيبي

(٣) اسرائيليات

[١]
زيارة الون الى واشنطن تمهد للمرحلة التالية من التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل

انتهت زيارة يغئال الون ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، الى واشنطن في الاسبوع الماضي بالاعلان عن نية زميله الاميركي كيسنجر في القدوم الى منطقة الشرق الاوسط ، خلال الشهر المقبل ، لاجراء مشاورات بين بعض دول المنطقة ، وخاصة مصر واسرائيل ، حول موقفها من المرحلة التالية من التسوية وامكانات تحقيق تقدم ما في هذا المجال .

ومع الاعلان عن عزم الون القيام بتلك الزيارة ، ثم اقتراب موعدها ، كثرت التكهنات في اسرائيل حول الغاية من وراء ذلك ، في حين اجمعت معظم الاراء على ان الهدف منها هو تقديم مقترحات جديدة للاميركيين ، لنقلها الى مصر ، خاصة بعد ان كانت مصر قد رفضت المقترحات السابقة التي كان الون قد قدمها اثناء زيارته الى واشنطن خلال الشهر الماضي . غير انه على الرغم من هذا الاجماع في الاراء والتعليقات ، عاد الون واكد ، عشية سفره الى اميركا ، في تصريح لمراسل الاذاعة الاسرائيلية انه لا يحمل معه « الى واشنطن اية مقترحات اضافة الى ما ذكرته امام مضيفي في واشنطن في كانون الاول [١٩٧٤] . واكثر من هذا فانني طلبت الى حكومتنا عدم تزويدي بأية صلاحيات جديدة . وحتى هذه اللحظة على الاقل لم نتلق بشكل رسمي معلومات عن موقف مصر بالنسبة للمقترحات الجوهرية » . واضاف الون « ان كل الانباء التي نشرت وتنشر منذ عدة ايام ... عن ان اسرائيل تتعهد بالانسحاب من اماكن معينة في سيناء ، او انني انقل معي موافقة كهذه ، اقول ان هذا كله هو من قبيل التكهنات » (راا ، ٩/١/٧٥) . وقبيل اجتماعه مع كيسنجر اكد الون ان « التقدم في المحادثات السياسية يتطلب وقتا » ، ذلك لان « العجلة من الشيطان » ، مؤكدا ان « هناك استعدادا اسرائيليا للتقدم على الصعيد السياسي ، وآمل ان يكون هناك استعداد مبدئي لدى مصر . واذا كانت الهوة لا تزال عميقة وواسعة ، فانني ... اذكر انه عندما بدأنا المحادثات للتوصل الى اتفاق فك التحام القوات ، كانت الهوة عميقة جدا ، ولكننا انجزنا المحادثات بنجاح » (المصدر نفسه ، ١٥/١/٧٥) . وحتى بعد انتهاء المحادثات ، عاد الون واعلن انه « كان من السابق لاوانه ... اجراء اية مناقشات ، وقد احيطت واشنطن علما بهذا الامر . وخلال التصويت في الحكومة اقر اقتراحي هذا بأغلبية الاصوات . لذلك فان كل الروايات والتكهنات حول ما قدمناه من تنازلات وما سنتنازل عنه ، لا اساس لها من الصحة مطلقا » . واضاف الون : « ان اسفي شديد لان عددا من زملائي [يقصد بعض الوزراء الاسرائيليين] ، يروجون الاشاعات التي قد تخلق بلبلة بين الجمهور في البلاد » (المصدر نفسه) .

اسرائيل لم تقدم اقتراحات جديدة

استنادا الى هذه التصريحات والى تعليقات البعض (حغاي ايشد — دافار ، ٨/١/٧٥) يبدو ان الون « لم يأخذ معه الى الاجتماع مع كيسنجر أية قرارات اسرائيلية جديدة» وانما اكتفى بالبحث معه « مرة اخرى في المقترحات القائمة ، التي قدمت خلال زيارته السابقة ، وتوضيح معاني ومركبات كل واحد من تلك المقترحات والتأكيد مجددا حول تلك التي لا تستطيع اسرائيل التنازل عنها بأي حال من الاحوال » . وكانت اسرائيل قد اعلنت ، بحسب تلك المقترحات ، عن استعدادها « للانسحاب مسافة ٣٠ — ٥٠ كم [في سيناء] ، دون تعيين خط [الانسحاب] بالضبط ... وبدون ان يضم ذلك ممري المتلا والجدي وآبار النفط في ابو رديس . وتطالب اسرائيل بان يبقى الاتفاق نافذ المفعول لعدة سنوات وان يتعهد المصريون بالامتناع عن الحرب السياسية والاقتصادية خلال فترة الاتفاق —

بالاضافة ، بالطبع ، الى ايقاف الحرب العسكرية وتأمين نزع السلاح من المناطق التي تنسحب منها اسرائيل والمراقبة على ذلك . اما بشأن تجديد الملاحة في قناة السويس ، فان اسرائيل تتوقع تنفيذ الالتزام المصري الذي اعطي ضمن اطار اتفاقية فصل القوات السابقة ، بشأن حرية المرور للبضائع الاسرائيلية وهي تضيف الان على ذلك طلبا بشأن السماح للملاحين الاسرائيليين بالعمل في السفن الاجنبية [التي تمر في القناة] » (المصدر نفسه) .

غير انه على الرغم من هذا ، وكذلك على الرغم من تصريحات الون في الكنيست ايضا « ان الحكومة لم تعالج حتى الان ، وفي كل المحادثات التي اجريناها ، مسألة تقديم الخرائط او رسم خطوط الانسحاب » ، وان احدا لم يتحدث ابدا عن الانسحاب « الى خط ناحال يام — ابو زنيمه او الى اي خط اخر » (معاريف ، ٧٥/١/٩) ، يبدو ان هناك اماكن معينة ينبغي على اسرائيل الانسحاب منها ، بحيث ستضطر الى « الاختيار بين التنازل عن ابو رديس او التنازل عن ممري المتلا والجدي . ويبدو ان الحكومة ستفضل التنازل عن ابو رديس — شرط ان يتعهد الاميركيون بتأمين تزويدنا بالنفط » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٧) . وذكر في هذا الصدد ان احد اهداف زيارة الشاه الى مصر هو استطلاع رأى السلطات المصرية بشأن استعداد ايران لتزويد اسرائيل بالنفط ، اذا ما انسحبت من ابو رديس ، وذلك بناء على طلب الاميركيين (ا . شفايتسر — هآرتس ، ٧٥/١/٣ وشموئيل سيجف — معاريف ، ٧٥/١/٣) ، بينما طالب احد المعلقين مصر بعقد اتفاقية نفط مع اسرائيل عند انسحابها من ابو رديس كخطوة على طريق انهاء حالة الحرب بين البلدين وللتدليل على حسن النية (حغاى ايشد — دافار ، ٧٥/١/١٠) ، في حين اضاف اخر ان الانسحاب من ابو رديس او من الممرات ، او من كليهما سوية سيعرض مصالح اسرائيل للخطر ويلقي عليها اعباء اضافية (زئيف شيف — هآرتس ، ٧٥/١/٣). فالانسحاب من ابو رديس سيزيد من تعلق اسرائيل بالولايات المتحدة لتأمين تزويدها بالنفط ، ويمكن العرب من توجيه ضغوط اقوى على دول الخليج العربي ، كايران مثلا ، التي تبيع النفط لاسرائيل ، ثم ادخال قوات مصرية كبيرة الى منطقة خليج السويس ، للدفاع عن منطقة النفط ، مما سيشكل خطرا على الوجود الاسرائيلي في شرم الشيخ . أما الانسحاب من ممري المتلا والجدي فسيزيد طول خطوط الدفاع الاسرائيلية في سيناء بحوالي الضعفين من ناحية ويمكن مصر ، من ناحية ثانية، من اقامة جهاز دفاع حقيقي عن قناة السويس من الشرق (المصدر نفسه) .

خلافات داخل الحكومة الاسرائيلية

تشير معظم المصادر الاسرائيلية ، كما ذكرنا ، الى ان المقترحات التي قدمها الون الى الاميركيين لنقلها الى مصر بشأن موقف اسرائيل من المرحلة الثانية من التسوية لم تبحث في جلسات الحكومة الاسرائيلية ، التي لم تتخذ اية قرارات واضحة بشأنها . « فهذه المرة ايضا ، وكما حدث قبل زيارات الون السابقة الى واشنطن ، لم تتخذ الحكومة قرارات معينة ولم يطلب من وزير الخارجية تقديمها للحكومة الاميركية . ان كل النقاط التي عرضها الون كانت ثمرة تفاهم تم الوصول اليه في مجموعة مقلصة ، تضم عادة [رئيس الحكومة] رابين ، [والوزراء] الون، شمعون بيريس ، حاييم تسادوك ويسرائيل غليلي. وقد سمعت الحكومة بهذه النقاط لاول مرة بعد رجوع الون ، وعندئذ فقط وافقت عليها — ومع مفعول رجعي : لا بالتصويت ولا بعد بحث ونقاش عميقين وانما ، عمليا ، من خلال الموافقة على ما تم عمله » (ماتي غولان — هآرتس ، ١/١٠/ ٧٥) .

غير انه يبدو ان هذه المجموعة التي تضع اسس السياسة الاسرائيلية ، غير متفقة فيما بينها على هذه الاسس . « ففي اثناء ذلك حدث شيء مثير للاهتمام في القدس . فقد نشب خلاف بين ثلاثي القمة السياسية في الحكم الاسرائيلي — اي يتسحاق رابين ويغئال الون وشمعون بيريس — حول المسألة الاساسية المتعلقة بالتوجه للمفاوضات على تسوية جزئية مع مصر . وما ظهر حتى قبل زمن غير بعيد وكأنه امر مفهوم تلقائيا ، اصبح موضوعا لخلاف جاد ومستحكم . وعلى طرفي المثلث الفكري يقف وزير الخارجية [الون]

ووزير الدفاع [بيريس] ، بينما يقف رئيس الحكومة [رابين] في الوسط » (المصدر نفسه ، ٧٥/١/٥) . اما جوهر هذه الخلافات فيتلخص في ان وزير الدفاع بيريس يعتقد ان اي انسحاب اسرائيلي في اية تسوية جزئية اخرى مع مصر سيتم ، في نهاية الامر ، دون مقابل تدفعه مصر لاسرائيل ولهذا فانه يميل ، تكتيكيا ، الى اتباع الموقف الروسي المنادي بعقد مؤتمر جنيف ، ولكن دون حضور منظمة التحرير الفلسطينية ، وبذلك تستطيع اسرائيل تأجيل اية خطوة على طريق التسوية والانسحاب من هذه المنطقة او تلك لاجل غير معلوم . اما « يغئال الون فلا يؤمن بهذه النظرية فقط وانما يبدو احيانا وكأنه علق مصيره بفكرة التسوية الجزئية . ومؤخرا قال حتى ما معناه : يقولون ان الولايات المتحدة تضغط من اجل التسوية الجزئية . سخافات ! انني اعلمك بانني انا الذي يضغط على الولايات المتحدة للسير في التسوية الجزئية . ولكي يؤكد اقواله هذه اضاف : ما دمت انا ، يغئال الون ، وزيرا للخارجية — لن يكون وضع راهن سياسي . ان فكرة الامر الواقع [يقصد الموقف الاسرائيلي بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣] قد افلست . وبالنسبة لالون ، الحديث عن مؤتمر جنيف هو وضع راهن — لان مشكلة م. ت. ف. وبصورة لا تقل عنها كثيرا: سوريا — ستنسف مقدما كل امكانية لاستئناف المؤتمر . اذا كانت في اسرائيل شخصية تبنت مواقف كيسنجر بشأن السلام على مراحل فانه ، دون شك ، يغئال الون » (المصدر نفسه) . اما رئيس الحكومة رابين فيبدو انه حائر بين الموقفين.

كذلك تطرق معلق اخر (يشعياهو بن — بورات — يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٣) الى الخلافات بين « الثلاثة الكبار » في اسرائيل ، مركزا على اراء شمعون بيريس ومواقفه والخيارات المفتوحة، بحسب رايه ، امام اسرائيل . ووفقا لذلك يعتقد بيريس ان هناك عدة امكانات للعمل امام اسرائيل حاليا ، اولها المطالبة بعقد مؤتمر جنيف والمماطلة هناك ، ثانيها الوصول الى « اتفاق صغير » مع مصر يكون بمثابة اتفاق فصل قوات جديد ، وثالثها الوصول الى « اتفاق كبير » مع مصر يكون نافذ المفعول وقتا غير قصير ويصبح بمثابة مقدمة لسلام دائم بين البلدين . اما رابع هذه الخيارات فهو الاعتماد على قوة اسرائيل العسكرية في المحافظة على الوضع الراهن والابقاء عليه لصالحها ، خاصة وانه ليس هناك ما يخشى من رجوع مصر الى « دائرة النفوذ السوفييتي » .

نتائج الزيارة : « تفاهم اسرائيلي — اميركي »

على الرغم من الخلافات التي اشرنا لها ، والتي يبدو ان شيئا منها وصل الى مسامع المسؤولين الاميركيين وحملهم على زيادة ضغوطهم على اسرائيل (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/١/١٧) ، بعد ان اشترك الرئيس فورد نفسه في ذلك عندما استدعى الون لمقابلته ، اعلنت اسرائيل رسميا ان تفاهما قد تم بينها وبين الولايات المتحدة بشأن الخطوات القادمة نحو التسوية ، وان الهدف من قدوم كيسنجر الى المنطقة في الشهر القادم هو السعي الى تنفيذ المرحلة التالية من التسوية استنادا الى ذلك التفاهم . « وكما ظهرت الامور من الناحية الاسرائيلية (والاميركية الرسمية) استطاع الون الوصول الى تفاهم على خطوط عريضة مع الادارة [الاميركية] . ان هذا التفاهم لا يخلو من خلافات في الرأى بين القدس وواشنطن حول تقييم التطورات في الشرق الاوسط ، ولكن رغم اهمية هذا الخلاف فانه ليس مصيريا . وكان الرأي الذي اعرب عنه الاسرائيليون هو ان مصر تستطيع البدء في المفاوضات حتى في الظروف الراهنة...وبحسب تقدير اسرائيلي استطاع الون الوصول الى تفاهم واسع مع الولايات المتحدة ، يمكن الدولتين من الدخول في المفاوضات المقبلة ، من خلال تفاهم كبير بينهما .

« واذا صح هذا التقدير ، واذا اتضح ان الامر تم دون تنازلات اضافية ودون ضغوط كبيرة (كما يدعي الون) فان هذا انجاز كبير للسياسة الاسرائيلية . وبامكاننا حتى اعتبار ذلك انجازا ، حتى اذا اخذنا بالحسبان مجموعة من العوامل الاضافية المتعلقة بقنوات اخرى :

* ان مصر تهدف الى اتفاق قصير الامد . واما واشنطن فتفسر لاسرائيل ... بان هذه الاتفاقية يمكن ان تمتد عمليا حتى بعد انتخابات الرئاسة في ١٩٧٦ . ولكن مصر لن تلتزم بذلك رسميا .

* لا يطلب من اسرائيل الالتزام رسميا

[باجراء] مفاوضات اخرى مع سوريا ، ولكنها تدرك ان دور دمشق سيأتي مباشرة بعـــد دور القاهرة . وهذا ما اوضح لالون اثناء محادثاتـه في واشنطن .

* استنادا الى تقدير الموقف الاستراتيجي — السياسي ، الذي سمعه الون في واشنطـن ، يبدو ان الولايات المتحدة تعتقد بان على القـدس ان تكون اكثر نشاطا ومبادرة ... بينما يعتقـد الون ان ما تقدمه اسرائيل يستجيب للوضـع . وهناك خلاف حول هذه النقطة ، ولكنه نفسانـي اكثر من كونه عمليا ... » (دان مرغليـت — مراسل هآرتس في الولايات المتحدة، ١٩/١/٧٥).

غير ان هناك ، من ناحية ثانية ، مصادر اخرى تعتقد بان هذا « التفاهم » الاسرائيلي — الاميركي لم يتم صدفة ، وانما جاء نتيجة للضغوط التـي وجهها وزير الخارجية الاميركي ، خاصة « وان كيسنجر لا يرى اي حرج في الضغط على اسرائيل، لانه يؤمن بصدق سياسته » (يوسف حاريف — معاريف ، ١٧/١/٧٥) . « وفي هـذه المرحلة يسعى للوصول الى تسوية مع مصر بأسرع مـا يمكن ، فلوزير الخارجية الاميركي « ثقة كبـيرة بالسادات » ... وحقيقة ان السادات لا يـزال يظهر كمتصلب ويعلن بانه لن يوافق على تمديـد عمل قوات الامم المتحدة في سيناء بدون ان تنسحب اسرائيل « على الجبهات الثلاث — سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية — لا تـردع الدكتـور كيسنجر ... الذي يعتقد ايضا انه لن تكون تسوية بدون انسحاب اسرائيلي نحو حدود ١٩٦٧ » . ولهذا يسعى كيسنجر حاليا الى تأمين انسحـاب اسرائيلي في سيناء ، بينما يتحـدث فورد عـن « الضمانات » التي ستمنح لاسرائيل في مثل هـذه الحالة ، واما « رابين فيسعى الى اخراج الحوار مع واشنطن الى مجال اكثر اتساعا : لان الحديث يدور اليوم عن تسوية مع مصر ، وغدا — مـع سوريا ، وبعد غد — مع م.ت.ف. » (المصدر نفسـه) .

محاسن الاتفاق مع مصر لوحدها ...

تحظى امكانية الوصول الى اتفاق اخر بشأن تسوية جزئية بين اسرائيل ومصر باهتمام بالغ من قبل معظم المعلقين الاسرائيليين ، الذين يبدو ان معظمهم يحبذ الوصول الى اتفاق ما ، ومع مصر قبل غيرها ، بينما يحذر اخرون من مغبة مثـل هذا الموقف . وتؤيد الاكثرية تقديم تنازلات معينة لمصر ، رغم ان هناك من يدعو الى عكس ذلك، لان « الخط المتطرف الذي اتخذ في مؤتمر [الرباط]، لم يفرض على مصر وانما السادات هو الـذي خططه وبادر اليه . ان رئيس مصر يستغل خـط الرباط المتطرف والاعتراف الشامل بـ — م.ت.ف. ممثلا وحيدا للفلسطينيين ، كورقة للمساومة مـع الولايات المتحـدة ، وبطريـق غير مباشر مـع اسرائيل . ان الادعاءات المتطرفة التي تقدمت بها مصر خلال الاسابيع الاخيرة ، ابتـداء من طلب ايقاف الهجرة وانتهاء بالاعتراف بـ م.ت.ف. وانسحابا اخر في هضبة الجـولان ، تمنح مصر « خيارات » للتنازل عن ادعاءات مقابل تنـازل اسرائيلي حقيقي وجغرافي — ملموس » (موشي زاك — معاريف ، ٥/١/٧٥) .

غير أن الاغلبية تعتقد ، كما أشرنـا ، انـه لا مناص من الوصول ، في ضوء الاوضاع الراهنة، الى اتفاق اخر مع مصر ، وان لهذا الاتفـاق محاسنه ايضا ، « خاصة وان مصر لم تلتـزم بأي شكل ، بربط اتفاق كهذا مع اتفاق مـواز اسرائيلي — سوري ، او مع تنازلات من قبـل اسرائيل لصالح م.ت.ف. ففي المؤتمر الربـاعي الذي عقد في القاهرة بين مصر وسوريا والاردن و م.ت.ف. حافظت مصر على سكوتها من هـذه الناحية . ومن الملاحظات التي تحتوي عليها مقابلة ياسر عرفات مع الصحيفة الفرنسية « لوموند » يمكن ان نستنتج مدى الاستياء الذي اثاره هـذا الموقف لدى الفلسطينيـين » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت، ١٠/١/٧٥) . وبالاضافة الى ذلك ، « فان الاميركيين يعتقـدون ان رفـض السوفييت استئناف شحن الاسلحة للقاهرة مـن جهة ووضع مصر الاقتصادي من جهة اخـرى ، يقدمان الان مناسبة فريدة من نوعها للوصول معها الى اتفاقية جزئية اخرى وهذه ، بحسب رأيهـم مناسبة لا يجوز لاسرائيل تفويتها . وبالاضافة الى ذلك فانهم يعتبرون تدخل شاه ايران في المنطقـة ظاهرة ايجابية ، لانه قد يساعد مصر على ترميـم مدن قناة السويس وتطويرها ؛ وهو مما سيساهم بالطبع ، في جو المصالحة الذي يسود المنطقة .

كذلك فان الاستعداد الذي ابداه الشاه ... لتزويد اسرائيل بحاجتها من النفط ، اذا وافقت على الانسحاب من ابو رديس ، يشجع الاميركيين » (المصدر نفسه ، ٧٥/١/١٢) . كذلك تحدث اخر عن « الاشارات الايجابية » التي تصدر عن مصر، والواضحة حتى « لمن لا يريد ان يقع في الاوهام بشأن استعداد الحكومات العربية لعقد سلام مع اسرائيل » والذي ، بالرغم من ذلك ، « لا يستطيع ان يتجاهل اشارات القاهرة الاخيرة » التي تعبر عنها تصريحات الزعماء المصريين بشأن استعدادهم للوصول الى تسوية جزئية اخرى مع اسرائيل ، خاصة اذا فسرت هذه الاشارات في ضوء اوضاع مصر الاقتصادية وموقف السوفييت منها ثم موقفها في مؤتمر دول المواجهة (بهوشواع تدمور — دافار ، ٧٥/١/١٣) .

... ومساوئه

غير ان هناك ايضا من يدعو الى عكس هذه المواقف ويحذر من نتائج الوصول الى اتفاق مع مصر من خلال تجاهل سوريا بالذات او يعرب عن رأيه بعدم امكان الوصول الى مثل هذا الاتفاق . ويقف على رأس اولئك بروفيسور موشي ماعوز ، الاستاذ في معهد شيلواح بجامعة تل ابيب ، واحد المتخصصين في الشؤون السورية . وفي معاريف (٧٥/١/٣) كتب ماعوز ، معبرا عن رأيه ذلك بقوله : « ان موقف القيادة السورية العنيد ضد اسرائيل خلال حرب [١٩٧٣] وبعدها زاد من نفوذها في الداخل والخارج ومنح رئيس سوريا حافظ الاسد مركز زعيم كبير في العالم العربي ، مثل السادات وفيصل وبومدين . ان هذا المركز والقوة العسكرية المتصاعدة والتأييد السوفييتي المكثف ، العسكري والسياسي ، قد رفعت سوريا بعد حرب تشرين ١٩٧٣ الى درجة عامل لا يمكن تجاهل مواقفه على الصعيد العربي أو تحييده بسهولة . وبكلمات اخرى ، هناك اتجاه لزيادة تأثير دمشق على العلاقات العربية ، وخاصة في مجال الصراع مع اسرائيل . فمن جهة ، قل الى حد ما تعلق [سوريا] بالقاهرة او اهتمامها بها ، ومن جهة اخرى زاد مجال مناورتها بين القاهرة وباقي العواصم العربية ، لانه عدا عن قدرة [سوريا] في الوقوف على رأس « جبهة الرفض » (مع العراق وليبيا ومنظمات التخريب المتطرفة) وتحطيم اية تحركات سياسية في المنطقة ، تستطيع دمشق تجنيد تأييد معظم الجهات العربية المهمة ، كالجزائر و — م.ت.ف. وحتى السعودية كي تحول التحرك السياسي في الاتجاه المناسب لها » .

ويضيف ماعوز : « في مؤتمر الرباط في نهاية تشرين الاول ١٩٧٤ نجحت سوريا في التشويش على محاولة الوصول الى « تسوية اميركية » بين مصر واسرائيل وبين الاردن واسرائيل . وكذلك تسببت في تقوية التعهد المصري بالامتناع عن تسوية سياسية منفصلة مع اسرائيل ، لا تضم ايضا انسحابا اسرائيليا اخر في هضبة الجولان ، وجعلت م.ت.ف. — من خلال ابعاد الاردن — المدعية الوحيدة للمناطق في ارض اسرائيل او فلسطين الغربية . وبهذه الطريقة تسببت سوريا في تقليص امكانات التسوية السياسية في المنطقة، مع انها لم تسد الطريق ، كما يبدو ، امام تسوية سياسية عربية — اسرائيلية ، شرط ان يتم الحصول عليها او تملى من قبل العرب بشكل جماعي ، وتستجيب لطلبات سوريا بشأن ارجاع هضبة الجولان واقامة دولة فلسطينية تحت حكم م.ت.ف. » (المصدر نفسه) . ولهذا يعتقد ماعوز انه سيكون من الصعب الوصول الى اتفاق مصري — اسرائيلي من خلال تجاهل سوريا، التي قد تضطر لشن حرب لوحدها .

كذلك اعرب معلق اخر عن رأيه « بان مصر يجب ان تقتنع ، قبل ان توقع على اتفاق منفرد [مع اسرائيل] ، ان مفاوضات مماثلة ستجري مع سوريا . وينبغي اقناع السادات ايضا بأن اسرائيل ستكون على استعداد للاقتراح على دمشق تنازلا اقليميا ما ، مقابل تنازلات سياسية ... كذلك من غير الممكن ايضا تجاهل القضية الفلسطينية . ومن الممكن الا تكون مصر وسوريا على استعداد للتوقيع على سلام قبل « اعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » — تلك الصيغة « المقدسة » — حتى وان لم يكن بامكاننا القول بثقة كاملة بانهما لن تعتبرا نفسيهما مضطرتين لخوض الحرب بسبب ذلك » (اريئيل غيناى — يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٣) .

الاتفاق قريب ؟

يتضح من معظم التعليقات الاسرائيلية على نتائج زيارة الون الى واشنطن ان الاتفاق حول المرحلة التالية من التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل قريب ، وان مهمة الدكتور كيسنجر ، في زيارته للمنطقة في شباط ، ستكون مساعدة الطرفين على توقيعه . « لقد سارت اسرائيل ، وكما يبدو مصر ايضا ، على الطريق المؤدية الى تسوية جزئية اخرى بينهما ، تحت رعاية الولايات المتحدة . ان اطار هذا الاتفاق ، لا تفاصيله ، معروف من الماضي : يتم انسحاب اسرائيلي ذو مغزى ، بصورة او بأخرى ، من سيناء ، ويكون اتفاق ضمني بان شيئا مماثلا لهذا يتم ايضا في الجولان ، ويعطى تعهد مصري ، جزء منه لاسرائيل وجزء اخر بطريق غير مباشرة للولايات المتحدة بشأن تخفيف الاستعدادات الحربية . واذا اضيف لهذا التعهد تصريح سياسي مصري او لم يتم ذلك ، فان هذه مسألة ذات اهمية رمزية لا عملية (رغم انها ليست عديمة الاهمية) : فكل تسوية اضافية هي موقف سياسي ... » (أ. شفايتسر — هآرتس ، ٧٥/١/١٧) . غير ان هناك من يرى في هذا الاتفاق مرحلة فقط على طريق الضغوط التي توجه الى اسرائيل ، لحملها على الانسحاب من مناطق اخرى في المستقبل القريب ، « فالنقاش حول ممري المتلا والجدي او حقول النفط ليس الا اهتماما بموضوع مؤقت . اننا نتحدث عن المتلا والجدي ولكن حتى الان لم نقرر لانفسنا ما هو الحد النهائي والخط الاخير الذي نريد ان نراه في سيناء ... وليحدث ما يحدث بشأن الممرات وحقول النفط ، لن تمر بالطبع اشهر كثيرة الا ويبدأ الضغط لانسحاب اخر ، ومرة اخرى ستتهم اسرائيل بانها تعرض سلام العالم للخطر بسبب بضعة كيلو مترات » (زئيف شيف — هآرتس ، ٧٥/١/٣) .

ومهما يكن من امر المرحلة التالية من التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل ، يعتقد البعض (ا. شفايتسر — هآرتس ، ٧٥/١/١٧) انه « بالرغم من كل الانفعالات ... التي ستكون من نصيب سكان المنطقة بسبب التطورات التي ينبغي ان تحمل اسرائيل ومصر على الوصول الى اتفاق اخر بينهما ، لا هذه ولا التتمة (ان حدث ذلك) على الصعيد السوري — الاسرائيلي ، هي التي ستقرر شكل المستقبل في الشرق الاوسط . ان الامتحان الكبير سيكون في الصراع بين الدول الصناعية في الغرب ، بزعامة الولايات المتحدة ، وبين ملوك النفط : وبحسب نتائجه سيقوم النظام الجديد في الشرق الاوسط » .

صبري جريس

[٢]

تشاؤم في اسرائيل من نجاح محاولات التسوية الجزئية وازدياد المطالبة بعقد مؤتمر جنيف

تغيرت خلال الاسبوعين الاخيرين اللهجة المتفائلة التي ميزت تصريحات المسؤولين في اسرائيل ، او تحليلات المعلقين هناك حول امكانية الوصول الى تسوية جزئية اخرى بين مصر واسرائيل ، وهو التفاؤل الذي وصل الى قمته في منتصف الشهر الماضي ، مع زيارة يغئال الون ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، للولايات المتحدة واجتماعه بالمسؤولين الاميركيين هناك ، تمهيدا لمفاوضات حول مرحلة اخرى من التسوية الجزئية ، وحلت بدلا منها نغمة اخرى متشائمة تشكك في قدرة وزير الخارجية الاميركي كيسنجر ، مع اقتراب زيارته للمنطقة ، على تحقيق اتفاق ما بين مصر واسرائيل . وكان سبب هذا التفاؤل اعتقاد العديد من الاسرائيليين ان اسرائيل قد قدمت لمصر اقتراحات بشأن انسحاب اسرائيلي مسافة ٣٠ — ٥٠ كم من سيناء، والتنازل عن ممري المتلا والجدي ومنابع البترول

في ابو رديس ، او عن اي منهما ، لقاء تقديم مصر « مقابلا سياسيا ما » يحتوي على « فترة هدوء معينة». وان مصر قد وافقت مبدئيا على قبول هذا الاقتراح ، وبالتالي وافقت ضمنا على قبـــول تسوية جزئية منفردة مع اسرائيل ، دون أن تربط ذلك بانسحاب اسرائيلي مماثل على الجبهـات الاخرى ، وانه لم يبق لوزير الخارجية الاميركي الا الحضور الى المنطقة لاضافة بعض الرتوش على هذا الاتفاق وحمل الطرفين على توقيعه . غير انه اتضح للاسرائيليين ، كمـــا يبدو ، ان الموقـف المصري على غير ما توقعوه ، خـاصة بعد ان أعلنت مصر انها تصر على اعتبار اي اتفـــاق انسحاب قد يتم التوصل اليه « اتفاقا عسكريا » فقط ، وان موافقتها علـى مثل هذا الاتفـــاق مرهونة بانسحاب اسرائيلي على الجبهات الاخرى، وان تم هذا الانسحاب في وقت لاحق ، وهو الموقف الذي نقله الاميركيون ، على ما يظهر ، رسميا الى اسرائيل . ويبدو ان هذا الوضـــع قـد دفـــع الاسرائيليين الى اعادة النظر في مواقفهم، ليكتشفوا ان فشل المحادثات حول المرحلة المقبلة من التسوية الجزئية لا يتعلق بموقف مصر فقط ، بل يعود الى موقف حكومتهم ايضا ، التي لم تبلور حتى الان موقفها من مثل تلك التسوية ، ولم تحسم الخلافات بين الوزراء ، والكتل داخلها .

الخلافات داخل الحكومة الاسرائيلية تزداد حدة

بــدأ الحديث عــن خلافــات داخل الحكومة الاسرائيلية تتعلق بمواقف الوزراء المختلفة ، ثم الكتل التي تشكل الاحزاب الرئيسية في الائتــلاف الحكومي ، من تسوية الصراع في المنطقة قبــل نحو شهر ، مع بداية بحث الخطوات العملية في المرحلة التالية من التسوية المقترحة مع مصر . وتركز الحديث ، بشكل مباشر ، حــول مواقــف « الثلاثة الكبار » في الحكومة ، رئيس الحكومة يتسحاق رابين ووزير الخارجية يغئال الون ووزير الدفاع شمعون بيريس ، خاصة وان هؤلاء الثلاثة يمثلون الكتل الثلاث (مبــاي واحدوت هعفوداه ورافي) التي تشكل حزب العمل ، وهو الحــزب الذي يقود الائتلاف الحكومي ، وبالتالي فان اي خلاف بينهم حول التسوية السياسية ، او غيرها من الامور المهمة ، سيؤدي الى سقوط الحكومـــة او سيمنعها ، على الاقل ، من اتخاذ قــرارات حاسمة ، ان ارادت الحفاظ على وجودها . وقد عاد احد المعلقين (يوسف حاريف ـــ معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٤) واوضح ، مرة اخرى ، الاختلاف في وجهات النظر بين الزعماء الثلاثة بشأن التسوية الجزئية مع مصر بقوله « ان رئيس الحكومة لا يحبذ تسليم الممرات [المتلا والجدي] ولا ابو رديس [الى مصر] حتى ضمن اطار اتفـاق لخمس سنوات [تتعهد مصر خلالها بعدم المطالبة بانسحاب اسرائيلي اخر] . وعلى الاكثر ، سيكون على استعداد للتنازل عن ابو رديس (بعد اتفاقية واضحة مع الولايات المتحدة بتأمين تزويد اسرائيل بالنفط بشكل منظم ، ايام السلم والحرب) » .
أما « وزير الخارجية فهو أيضا ، كما يبدو ، يحمل الرأي نفسـه ، وعلى أية حال لا يحبذ الموافقـة على تسوية لفترة قصيرة (وقد تحدث عن ذلــك بالتفصيل في واشنطن موضحا ان سنتين ، مثلا ، لا تكفيان اسرائيل) » ، بينما يحمل وزير الدفاع بيريس رأيا اخر لا يتفق مع هذه الاراء ، حيث انه « يشجب بشدة تسليم الممرات وابو رديس ، او أي منهما في اطار اتفاقية محدودة ، و« الاتفاقيـة المحدودة » هذه تعني ايضا تسوية لخمس سنوات. وبحسب رأيه يجب أن يكون واضحــا لمصر أن التسوية المقبلة ينبغي ان تكون تقدما نحو السـلام عن معرفة كاملة . ويمكن ... تسليم الممرات وابو رديس لمصر ضمن اتفاق عريض فقط ـــ اي اتفاق لعشر سنوات ، يشمل حل المشاكل على أساس نوع السلاح في سيناء ، الاتفاق علـــى مراحـــل السلام ، وحتى على مشاريع لاجل السلام ، مثل الجسور المفتوحة . والاساس ان التسوية ينبغي ان تكون بين اسرائيل ومصر وليس بين اسرائيل والولايات المتحدة . وهذا يعني ان التسوية ينبغي أن تكون سياسية ، بمركباتها وطابعها . وبدون مقابل سياسي ... ملزمة اسرائيل بابداء التصلب في المجال الاقليمي » (المصدر نفسه) . وقد أكد بيريس هذه الاراء المنسوبة له في تصريحات عديدة ادلى بها في مناسبات مختلفة ، ونقلتها عنه اذاعة اسرائيل (رأا ، ٢١ و٢٥ و٢٦ و١٩٧٥/١/٢٨) وصحفها (دافار ، ١٩٧٥/١/٢١) .

كذلك تطرق معلق اخر (ماتي غولان ـــ رأا ، ١٩٧٥/١/٢٦) الى الخلافات في وجهات النظر بين رئيس حكومة اسرائيل ووزيري خارجيتها ودفاعها

بقوله « ان الثلاثي رابين والون وبيريس ، حريص جدا على الحفاظ على علاقات صحيحة ومنطقية ، لذا فهم يجهدون ، كلما اجتمعوا سويا ، ان ينفوا اي خبر عن خلاف بينهم » ، ولكن « عندما يكون كل واحد منهم على حدة ، وندقق بتصريحات كل منهم ، نكتشف ان هناك خلافات » . ويبدو أن الخلاف الذي أشرنا له في وجهات النظر ينطبق ايضا على باقي الوزراء الاسرائيليين، « فرئيس الحكومة ووزير الخارجية والوزير تسادوك [وزير العدل] ... يتحدثون على موجة واحدة . وكان رئيس الحكومة هو الذي ارسى في الواقع سياسة الوصول الى السلام على مراحل ، والذي يجسد رأيه الان هو وزير الخارجية ... وحتى الان على الاقل لم تنشب خلافات بين رئيس الحكومة ووزير الخارجية في أية هيئة رسمية » (آرييه تسيموكي — المصدر نفسه) . وتحظى هذه الكتلة ايضا بتأييد « وزراء مبام » و« حمامة » حزب العمل ، وزير الاسكان ابراهام موفر (اوري دان — معاريف، ١٩٧٥/١/٢١) ، بينما تحظى وجهة نظر بيريس بتأييد زميله في كتلة رافي ، وزير المواصلات جاد يعقوبي ، ووزيري الاديان والداخلية ، يتسحاق رفائيل ويوسف بورغ من الحزب الديني القومي ووزير الصرطة ، شلومو هيلل (رأ ، ٢٤ و٢٦ /١٩٧٥/١ واوري دان — معاريف ، ١/٢١/ ١٩٧٥) .

« الون تجاوز صلاحياته »

في ضوء هذه الخلافات في وجهات النظر داخل الحكومة الاسرائيلية ، تعرض الون لدى عودته من زيارته الى الولايات المتحدة لانتقادات من جهات عديدة ، خاصة بعد ان أعلن ان كيسنجر ينوي القدوم الى المنطقة بناء على دعوة الون له، وانه سيبدأ زيارته في اسرائيل ، مما دفع البعض الى تفسير هذه الخطوة وكأنها محاولة من كيسنجر للحصول على تنازلات معينة من اسرائيل قبل التوجه الى الدول العربية المجاورة ، وذلك بحملها على البدء بتقديم التنازلات من جهتها ، وهو الوضع الذي لا تريده . وقد وجه بعضهم الانتقاد الى الون لا لدعوته وزير الخارجية الاميركي لزيارة المنطقة فقط ، وانما لانه هو الذي « ادخل في عقل كيسنجر » فكرة انسحاب اسرائيل مسافة « ٣٠ — ٥٠ كم » في سيناء ، وذلك دون أن توافق الحكومة الاسرائيلية على هذا الاقتراح ، او حتى تبحثه في احدى جلساتها ، في محاولة منه للاستعانة بكيسنجر لدعم موقفه (وموقف رابين ؟) من المرحلة التالية من التسوية مع مصر . وقد حاول الون الدفاع عن نفسه ، فأعلن ان محادثاته في واشنطن تناولت امورا اجرائية فقط ، تتعلق بكيفية ادارة المرحلة المقبلة من المفاوضات مع مصر ، ولم تتطرق الى جوهر التسوية المقترحة (يوسف حاريف — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٧) .

غير أن المصادر الاخرى اشارت من ناحية ثانية الى « ان بعض الوزراء الذين اشتركوا في النقاش [في الحكومة] طالبوا بأن يعرفوا ، رغم ذلك ، ماذا يختبىء وراء الانباء عن استعداد اسرائيل للانسحاب مسافة ٣٠ — ٥٠ كم في اطار اتفاق جزئي اخر » ، بينما تساءل البعض ان لم يكن الون قد « تحدث ، بشكل ما ، عن التنازل عن اكثر مما اتفق عليه في الحكومة ؟ واشاروا الى اخبار كثيرة في الصحافة الاميركية والاسرائيلية تشير الى ان الون أبدى تفهما لضرورة الانسحاب من الممرات ، كذلك اراد بعض الوزراء ان يعرفوا ما يخبىء وراء دعوة كيسنجر لزيارة المنطقة من قبل الون بالذات » (ارييه تسيموكي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/٢٧) ، رغم علمهم بأن « وزير الخارجية الاميركي مطلع جيدا على الفجوة الواسعة بين الموقفين الاسرائيلي والمصري» ، والذي « كان ، دون شك ، سيمتنع عن الحضور الى المنطقة لو لم يكن واضحا ان زيارته ستسفر عن نتيجة » (المصدر نفسه ، ١٩٧٥/١/٢٤) . كذلك اشار اخرون الى « ان وزير الدفاع انتقد في [اجتماع الحكومة] ... الوزير الون ، مدعيا انه تجاوز قرارات الحكومة . وقال بيريس ان التجاوز وجد تعبيرا عنه في الاقتراحات التي قدمها [الون] في زيارته السابقة الى واشنطن . كذلك ادعى [بيريس] ان الحكومة لم تقرر أبدا بشأن الاقتراحات بالانسحاب مسافة ٣٠ — ٥٠ كم ، واشتراك وحدات اميركية في قوات الامم المتحدة التي ستراقب [تنفيذ الاتفاق] . واكد وزير الدفاع ان القرار الوحيد الذي اتخذته الحكومة بشأن التسوية الجزئية مع مصر هو القرار الذي ينص على انسحاب مقابل تسوية سياسية . وضمن اطار هذا القرار ذهب وزير

الخارجية بعيداً » (هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٠) . وأعلن في هذا الصدد ايضا ان الوزراء الاسرائيليين قاموا مؤخرا بزيارة لسيناء ، وتجولوا في المناطق التي يقال ان اسرائيل اقترحت الانسحاب منها ، للاطلاع عن كثب على الاوضاع في المنطقة (اوري دان — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢١) .

ازدياد الانتقادات الموجهة للحكومة

اضافة الى ما ذكرنا ازدادت ، من ناحية ثانية ، داخل اسرائيل حدة الانتقادات الموجهة للحكومة بسبب موقفها من التسوية مع مصر والحديث عن انسحاب اخر من سيناء . وكان اول اولئك المنتقدين ، واعنفهم ، العميد شارون ، الذي عين مؤخرا في منصب قيادي كبير في قوات الاحتياط الاسرائيلية ، عندما وصف الانسحاب الاسرائيلي المقترح من سيناء بأنه « أحد المصائب الكبرى في تاريخ دولة اسرائيل » (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/٢٤) . واضاف شارون ، موضحا وجهة نظره بقوله « ان لاسرائيل اليوم حدودا برية مع مصر ، تمتد على مسافة ١٦٠ كم . وهذه حدود تبقي لدى اسرائيل امكانيتين ، حتى وان ادخلت مصر قوات عسكرية كبيرة الى سيناء ، وقد قامت بكل الاستعدادات لذلك : أ — الاحتفاظ بقوات عسكرية اكبر بقليل من تلك الموجودة هناك اليوم ، والانتظار لنرى كيف تتطور الامور ، ب — ارجاع الوضع السابق الى ما كان عليه ، اي شن الحرب وقذف المصريين ثانية غرب قناة السويس » . ولكن اذا كانت لاسرائيل « حدود مع مصر ، تمتد من منطقة ناحال يام حتى شمال ابو رديس ... ، وهذا ما اقترحه الون على الاميركيين ، فستصبح حدود اسرائيل البرية مع مصر على امتداد ٤٠٠ كم تقريبا » ، وهو وضع سيجبر اسرائيل على شن الحرب ، « لاننا اذا اردنا المحافظة على حدود برية بهذا الطول ، سنضطر لتجنيد ... الجميع ، وايقاف الانتاج والتصدير والزراعة وكل شيء ... ولهذا سنضطر الى خوض الحرب لارجاع الوضع السابق الى ما كان عليه». كذلك اضاف شارون«ان سلسلة الجبال ، التي اعتدنا على تسميتها المرات ستضمنا — اذا اعيدت — في حالة صعبة ، حيث سيسيطر المصريون بسبب ارتفاع هذه الهضاب على مسافة عشرات الكيلومترات [داخل سيناء]».

كذلك فان الامر « الذي لا يقل خطورة [من ذلك] في هذا الانسحاب ان تم — لا سمح الله — هو ابتعادنا عن قناة السويس . اننا نشاهد اليوم... تقوية سريعة لسفن الاسطول المصري في خليج السويس والبحر الاحمر . وهذا لم يحدث عندما كانت القناة مغلقة ، اما اليوم فان قناة السويس مفتوحة عمليا أمام السفن المصرية . ان بناء اسطول مصري في قناة السويس يشكل خطرا ملموسا على ايقاف الملاحة الاسرائيلية في خطوطنا البحرية الجنوبية . وان امكانية التهديد الاسرائيلي باغلاق قناة السويس مجددا ، هي فقط التي ستمنحنا الاداة اللازمة لمنع وضع كهذا . واذا انسحبنا مسافة اخرى من سيناء فاننا سنفقد السيطرة على البحر الاحمر » (المصدر نفسه) .

كذلك أعلن الدكتور تسفي دينشتاين ، مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية لشؤون النفط والطاقة ، عن معارضته لارجاع ابو رديس الى مصر دون شروط . « ان قيمة ابو رديس التي تزود اسرائيل بـ ٥٠ ٪ من احتياجات النفط لا تقدر بثمن ، وعلينا ان نأخذ هذا الامر بالاعتبار في اي تسوية . لا يمكن ان نتحدث عن ابو رديس دون فصل المشكلة عن جهاز حرب العرب الاقتصادية ضد اسرائيل ، المستمرة دون انقطاع منذ ٢٦ عاما . ينبغي ان تكون ابو رديس ، بحسب رأيي ، جزءا من تسوية تشير عمليا الى نهاية الحرب الاقتصادية ، وذلك بالاضافة للضمانات والتعهدات . لا يمكن ان ننسحب من ابو رديس لنصبح غدا ضحية للمقاطعة العربية ، التي تريد ان تمنع عنا استيراد الوقود». (من مقابلة مع معاريف ، ٧٥/١/٢١) .

وكان بين المنتقدين ايضا موشي ديان ، الذي أعلن في مناسبات عديدة عن معارضته لانسحاب اسرائيلي من المرات في سيناء دون انهاء حالة الحرب (رال ، ٢٦ و٧٥/١/٣١ ، ودافار ، ٧٥/١/٣١) . كذلك انتقد ابا أيبن ، وزير خارجية اسرائيل السابق ، حكومة اسرائيل (في مقال له في هآرتس ، ٧٥/١/٢٤) لاصرارها على العمل ضمن تسويات جزئية منفردة فقط مع الدول العربية ، بدلا من السعي نحو تسوية شاملة ، ووصف فترة حكم رابين ، منذ حزيران ١٩٧٤ ، بأنها « سبع شهور عجاف » .

تسوية شاملة ...

رغم الخلافات التي تسود الحكومة الاسرائيلية والانتقادات التي توجه لهـا بسبب موقفها مـن التسوية الجزئية ، ثم التشاؤم من امكانية نجاح المحادثات حول المرحلة المقبلة من التسوية بين اسرائيل ومصر ، ثم بين اسرائيل والدول العربية الاخرى ، هناك أيضا من يعربون عـن تفاؤلهم واعتقادهم بأن الاتفـاق قريب . ويعـزو اولئك موقفهم هذا الى عدة عوامل ، منها « ان الجيش المصري ينقصه السلاح وهو غير مستعد للحرب » ، وان « نحو ٧٠٠ الف مواطن مصري ، وهم الذين كانوا حتى قبل وقت قصير لاجئين... في شوارع القاهرة ومدن مصرية عديدة اخرى قد أعيدوا الى منطقة قناة السويس لاعادة بناء مدنها » ، وان « شاه ايران وملك السعودية ينصحان السادات بالامتناع عن الحرب » . وعليه « ليقل الرئيس السادات ما يقول علنـا ، فلا خيار لديـه الا المفاوضات »» وهذا هو « سر تفاؤل يغئال الون والاميركيين» (فيليب بن — معاريف ، ٧٥/١/١٩). وأشار آخر ايضا الى ان موقف معظم الـوزراء الاسرائيليين « يستند على الافتراض الاساسي بأن مصر معنية ايضا بتسوية » ، ولهـذا يميلون الى تقديم « تنازلات اقليمية » لها لقـاء تعهدها ، الصريح أو الضمني ، « بالمحافظة على الهدوء » خلال بضع سنوات . « وفي اثنـاء ذلك ... ستضطر الحكومة الى معالجة المشكلة الاردنية — الفلسطينية المعقدة » . وقد اوضح لاسرائيل ، بطرق مباشرة وغير مباشرة ان الملك حسين معني بأن يكون طـرفا في المفاوضـات « في اللحظـة المناسبة » . ولولا ذلك لتوقف عـن دفع الرواتب في الضفة الغربية ولقطع علاقاته معها تماما » . وبعد « حل المشكلة الاردنية — الفلسطينية » ، سيكون بالامكان اقتراح « شيء ما » على سوريا ، « مقابل تسوية نهائية معينة » (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ٧٥/١/٢٠) .

غير انه على الرغم من ذلك ، هناك من لا يعتقد بنجاح هذه السياسة ويطالب باتباع سياسـة المفاوضات المباشرة بدلا منها . « ان احسن الطرق لمنع الاخطاء وتوضيح النيات واصلاح التلفـون المكسور ، هي لقاء بين اسرائيل ومصر وجهـا لوجه ، لا بديبلوماسية وزير الخارجية الاميركي النفاثة ، وانما بديبلوماسية الخيمة ، على غرار خيمة الكيلومتر ١٠١ . ان الدكتور هنري كيسنجر ، الذي أقنعنا في حينه بتحويل المحادثات من الخيمة في الكيلومتر ١٠١ الى جنيف ، ومن هناك الـى طائرته النفاثة ، ملزم الان بأن يأخذ على عاتقه مهمة ارجاع المحادثات الى مكانها الاول ، الى نقطة الانطلاق التي تبلورت خلال الحرب ، حيث يستطيع الاطـراف ان يوضحوا ايضا النيـات والاهداف وليس بنود الاتفاق فقط ... علينا أن نطلب من الدكتور كيسنجر ارجاع عقارب الساعة الشرق اوسطية الى الوراء ، قبل ان يقوم بتحويلها الى زقاق جنيف ، وهو زقاق بدون مخرج » (موشي زاك — معاريف ، ٧٥/١/١٩) . كذلك اعرب معلق آخر عن رأيه بأن«كل تقديرات حكومة رابين تحطمت مع بداية سنة ١٩٧٥ ، تماما كما حطمت حرب تشرين كل تقديرات حكومة غولده [مئير] ... وفي مثل هذا الوضع ، فان الحكومة ملزمة بتغيير سياستها والاعلان ، اولا ، ان عهد التسويات الجزئية قد انتهى والان يمكن البحث مع اسرائيل حول اتفاق سياسي وحل شامل فقط . وفي الوقت نفسه كان على الحكومة الاعلان عن انتخابات جديدة يكون جوهرها التسوية السياسية الشاملة . فهذه المشكلة أهم من مشكلة الضفة الغربية وحدها . كان على الحكومة ان تضع الخيارات امام الشعب على حقيقتها وتخوض الانتخابات بناء على ذلك ، ولكن الحكومة تنقصهـا الشجاعة لمجابهة هـذه الحقيقة » (اوري دان — معاريف ، ٧٥/١/٢٠).

... او مؤتمر جنيف

اضافة الى هذه الاراء التي تطالب بالعمـل للتوصل الى تسوية شاملة ، تزداد أيضا المطالبة بعقد مؤتمر جنيف ، باعتباره اطارا لمثل تلـك التسوية ، خاصة وانه من المفترض ان يعقد هذا المؤتمر حتـى اذا نجحت المرحلـة التالية مـن المفاوضات حول التسوية الجزئية بين اسرائيل ومصر ، مما يدفع البعـض الى الاعراب عـن اعتقادهم بأنه ربما يكون من الافضل لاسرائيل عقد هذا المؤتمر قبل ان تقوم بأي انسحاب آخـر من المناطق المحتلة . فقد نقلت الصحيفة الهستدروتية شبه الرسمية دافـار (٧٥/١/٢٦) خبرا لاحد مراسليها جاء فيه ان تغييرا قد طرأ « على موقف الحكومة بشأن عقد مؤتمر جنيف ، قبل التوقيع

على اتفاقية اخرى مع مصر ، وذلك بعد ان ظهر ان رئيس الحكومة يتسحاق رابين مثل الوزيرين شمعون بيريس ويغئال الون ، يميل الى الاعتقاد بأنه في الظروف الحالية لا ينبغي شجب هذه الامكانية » . ويضيف المراسل ان « بعض الوزراء ومخططي السياسة الاسرائيلية قد سئموا سماع التهديدات المصرية المبالغ بها بشأن الذهاب الى مؤتمر جنيف او عدم تجديد فترة عمل قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة او شن الحرب اذا لم تفعل اسرائيل هذا او ذاك . ان الجواب على هذه التهديدات المختلفة والغريبة الذي يعطى الان في القدس هو — «تفضلوا» ». واضاف معلق آخر في معرض حديثه عن المطالبة بعقد مؤتمر جنيف « ان السادات لن يكون ، ولم يقصد قط ان يكون الزعيم العربي الوحيد ، ولا حتى الاول ، الذي يتعهد بايقاف حالة الحرب ضد اسرائيل ولو ليوم واحد — وبالطبع ليس لبضع سنوات . واذا ما اعطي تعهدا كهذا فسيكون ضمن اتفاق شامل — او لن يكون ابدا » (ماتي غولان — هآرتس ، ٧٥/١/٢١) . ولهذا ، واذا وصلت حكومة اسرائيل الى هذه النتيجة « وكانت على استعداد لتسويات جزئية على الجبهات الثلاث ، او على جبهتين على الاقل فان عليها ان تبلور مشروعا تقدمه للمفاوضات من خلال رفض الاتصالات ... بواسطة واشنطن » . ولكن اذا لم تكن اسرائيل على استعداد لذلك ، فربما كان الوقت مناسبا للتفكير — بشكل منتظم وأساسي — بتأييد فكرة مؤتمر جنيف . ان واشنطن لن تكون بالطبع مسرورة ، ولكنها لن تستطيع اتخاذ موقف حاد وعلني ضد فكرة هي احد المؤتمنين عليها ، وفي مقابل ذلك سيكون الاتحاد السوفييتي مسرورا للغاية . ومع ازدياد الادلة على استياء موسكو من القاهرة ، فربما لن يكون ثمة ضرر في افهامها بأن العلاقات مع القدس ، ينبغي الا تكون سلبية تماما، من جانبها » (المصدر نفسه) .

وتطرق ايضا معلقون آخرون الى فكرة عقد مؤتمر جنيف ، فأشار احدهم الى ان هذا المؤتمر قد ينقذ اسرائيل من « ورطة » التسويات الجزئية التي لا نهاية لها ، « لان الالتزام المصري تجاه سوريا قائم ، ولا ينبغي تجاهله ... والسادات يقول صراحة انه مستعد لتسوية جزئية اخرى منفصلة ، من خلال الافتراض بأن دور سوريا سيحل ايضا». ولهذا « لا ينبغي الخوف من مؤتمر جنيف ، رغم انه من الواضح ان السلام لن يسود المنطقة دفعة واحدة ... علينا ان نبحث ان كانت هناك امكانية لتسوية جزئية تستمر وقتا معقولا ، علما بأن المرحلة القادمة ستكون في جنيف ، حيث سيتم فحص الاقتراح بالاتفاق الشامل النهائي مع سوريا ، من خلال المعرفة سلفا بأن ثمن هذه التسوية غال للغاية . وبموازاة ذلك ينبغي ان نسعى بحذر لتجديد الاتصالات مع الاردن ، من خلال ابعاد الفلسطينيين المتطرفين » . ولكن « من ينادي بجنيف ، عليه ان يأخذ بالحسبان المفاوضات مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية او انفجار المؤتمر قبل انعقاده » (يهوشواع تدهور — دافار، ٧٥/١/٢٨) . كذلك أعلن آخر (فولص — هآرتس، ٧٥/١/٢٤) « ان الاسرائيليين قد سئموا هذا الوضع » ، الذي يبدو فيه انهم سيضطرون ، ضمن تسويات جزئية ، الى الانسحاب مرة بعد اخرى من المناطق المحتلة ، وما يكلفهم ذلك من مصاريف لتحصينات جديدة ، سرعان ما سيضطرون الى تركها واقامة تحصينات اخرى بدلا منها ، « وعلى هذه الارضية يبدو انه ظهرت بشكل مفاجىء الفكرة القائلة بأنه قد يكون من المستحسن ان نوافق على الذهاب الى دورة ثانية لمؤتمر جنيف ، لكي نحاول الوصول الى تسوية شاملة ونهائية — تسوية تمنحنا السلام ، او « تسوية سلام » وتبعد ، مقابل تنازلات اقليمية بعيدة المدى، خطر الحرب في المستقبل المنظور ، وان لم تلغه كليا » . وهذا التفكير « مغر » ، رغم انه لا ينبغي ان يكون ثمة مكان للاوهام بأن الاتحاد السوفييتي سيغير موقفه ، الداعي الى انسحاب اسرائيلي من كل المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ولهذا لن يوافق على الاستجابة لطلبات اسرائيل « بعدم العودة بأية حال الى حدود الرابع من حزيران ، وابقاء مشارف رفح وشرم الشيخ ، مع شريط من الارض [يصلها مع اسرائيل] وهضبة الجولان والقدس الموحدة في ايدينا » ، لان « من يؤيد الذهاب الى جنيف عليه ان يعلم انه وافق عمليا على العودة الى حدود ١٩٦٧ ، او على الاقل قبل هذا الطلب كأساس للمفاوضات » (المصدر نفسه) .

وكان يغئال الون قد أعلن في الكنيست ، اثر ازدياد الحديث عن مؤتمر جنيف انه « اذا كانت الدول العربية ، وعلى الاصح مصر ، تريد مؤتمر جنيف ــ فليتفضلوا . ولكن على الذين يريدون ان يهددونا بعقد هذا المؤتمر حالا ، عليهم ان يعرفوا ان ما لم يمكن الحصول عليه في مفاوضات متبادلة قبل مؤتمر جنيف لن يمكن الحصول عليه ، بالطبع ، في مجابهة متعددة الاطراف خلال المؤتمر » (دافار ، ٧٥/١/٣٠) .

غير أن الاهم من ذلك كله هو تلك الانباء التي تتحدث عن عدم قدرة الحكومة الاسرائيلية ، نظرا لاوضاعها الداخلية والخلافات السائدة بين وزرائها ، على اتخاذ قرار بشأن اي تسوية او تحرك سياسي ، اذ ان « الحكومة ضعيفة ولا تستطيع اتخاذ قرارات وغير منضبطة » (دان مرغليت ــ هآرتس ، ٧٥/١/٢١) . ولهذا « يستغرب ... الكثيرون اذا كانت حكومة رابين هي تلك التي تستطيع وتريد التوقيع على اتفاق فصل قوات اضافي مع مصر » .

ص.ج

[٣]

الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وتأثيره على الهجرة الى اسرائيل

عند منتصف شهر كانون الثاني الماضي قام الاتحاد السوفييتي بالغاء الاتفاق التجاري الذي كان قد تم التوقيع عليه بينه وبين الولايات المتحدة الاميركية في عام ١٩٧٢ ، والذي اعتبر في حينه بأنه حجر الزاوية في سياسة الوفاق بين الدولتين الاعظم . ويبدو ان احد الاسباب الكامنة وراء اقدام الاتحاد السوفييتي على هذه الخطوة يعود الى المحاولات المحمومة التي قامت بها أوساط اميركية صهيونية ، على رأسها السناتور هنري جاكسون ، ومسايرة الاوساط الاميركية الحاكمة لهذه المحاولات ، لربط الاتفاق التجاري ببند يمس الشؤون الداخلية للاتحاد السوفييتي ، ويتمثل في دفعه للموافقة رسميا على هجرة نحو ستين الفا من مواطنيه الى الخارج . والمقصود بذلك فتح باب الهجرة بشكل رسمي الى من يرغب في ذلك من يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل (انظر ايضا « قضايا اسرائيلية » العدد ٤ ، ٧٤/١١/١٧ ، ص ١٣٨ ــ ١٤٤) . وقد اعتبر الاتحاد السوفييتي ذلك ، بأنه ليس بمثابة تدخل في شؤونه الداخلية فقط ، بل ويمس ايضا كرامته وهيبته كدولة كبرى.

وأثارت خطوة الاتحاد السوفييتي هذه ردود فعل عديدة في اسرائيل ، وحظيت باهتمام واضح من قبل العديد من المسؤولين والمعلقين هناك .

ردود الفعل الاولية للمسؤولين الاسرائيليين

اتسمت ردود الفعل الاسرائيلية تجاه الغاء الاتفاق بالقلق والاسف والاستياء ، مع شيء من الصدمة والتخبط حول دوافع الاتحاد السوفييتي من وراء الغاء الاتفاق . وكان يغئال الون ، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الاسرائيلي ، اول من أدلى بتصريح حول الخطوة السوفييتية ، عندما كان يقوم بزيارة للولايات المتحدة ، بقوله « انني آسف لهذا التطور . اننا كيهود معنيون بتعميق التفاهم لازالة التوتر بين الدول الكبرى ، وعلقنا آمالا كثيرة على اتفاق التجارة وتعديل جاكسون وتوسيع الهجرة الى اسرائيل . انني أود أن آمل بألا يمس القرار السوفييتي الخاص بالغاء الاتفاق التجاري حجم الهجرة ، وان يسمح لاولئك الراغبين في الهجرة ان يقوموا بذلك . انني ايضا آمل بألا يضع السوفييت عراقيل في طريق اليهود الراغبين في الهجرة ، ولكن اذا ما اتضح ــ لا سمح الله ــ

ان الاتحاد السوفييتي يعتزم وضع صعوبات أمام المهاجرين ، بغرض تقليص اعداد المهاجرين ، فان الشعب اليهودي ودولة اسرائيل ، سيجندان كل ما يملكانه من نفوذ وقوة لنضال سياسي ضد غلق الستار الحديدي ، وضد اقامة حاجز بين الجالية اليهودية الكبيرة في الاتحاد السوفييتي وبين بقية اجزاء الشعب اليهودي » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/١٥) .

اما وزير الاعلام الاسرائيلي ، أهرون ياريف ، فقد أبدى تخوفه من ان يكون للخطوة السوفييتية انعكاسات سلبية بالنسبة لهجرة اليهود : « ... واضح انه قد تكون لهذا العمل انعكاسات سلبية بالنسبة لهجرة يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل . ومن واجبنا ان نواصل بعناد ، النضال من أجل الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، هذا النضال الذي ادى حتى الان الى نتائج مهمة » (معاريف ، ٧٥/١/١٦) .

وعلى صعيد ردود الفعل لدى المسؤولين المباشرين عن شؤون الهجرة والاستيطان فقد كانت تتراوح بين القلق والاستياء من جهة والدعوة الى « مواصلة النضال » من اجل تهجير يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل من جهة اخرى . فقد وصف وزير الاستيعاب ، شلومو روزن ، الخطوة السوفييتية بأنها بمثابة نذير شؤم ، وقال ان الاتحاد السوفييتي لم يحل قضية اليهود في بلاده ، الامر الذي ادى الى نضالهم من أجل الخروج من هذه الدولة . واضاف روزن انه ما من شك في ان الغاء قانون التجارة مرتبط بسياسة الوفاق الدولي ، وكانت في هذه السياسة نقاط ضعف وفشل ، وان رد الاتحاد السوفييتي هو احدى هذه النقاط الفاشلة . ومع ذلك فقد اعرب الوزير عن أمله بأن تستمر الهجرة على ما كانت عليه ، وذكر بأن وزارته ستستمر في تخطيط سياستها للسنة المقبلة على اساس احتمال وصول ٦٠ الف مهاجر سنويا من جميع انحاء العالم (راا ع ١٥/ ٧٥/١) .

اما رئيس الادارة الصهيونية ، بنحاس سابير ، فقد اعرب عن رأيه بأن الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة يزيد من الخوف والقلق على مصير الهجرة من الاتحاد السوفييتي . واضاف سابير ان الادارة الصهيونية ستواصل بشكل اكبر نضالها من اجل يهود الاتحاد السوفييتي ، خاصة « واننا أصبنا طيلة الاشهر الاخيرة بقلق كبير من جراء الانخفاض الذي طرأ على عدد اليهود الذين سمح لهم بالهجرة » (راا، ٧٥/١/١٦) .

ومن ناحية اخرى ، تطرق مدير الوكالة اليهودية ، موشي ريفلين ، الى الخطوة السوفييتية بقوله «ان النضال من اجل يهود الاتحاد السوفييتي استمر سنوات ، وأدى الى جلب مئات الالوف من اليهود الى اسرائيل ، وشهد هجرات عديدة ونقاط ضعف . وأقول في هذا اليوم بأن الشعب اليهودي كله ملزم بشيئين : ١ — ان النضال سيستمر ، ٢ — [ارسال] تحية تشجيع ليهود الاتحاد السوفييتي . ونقول لهم انهم يعرفون اكثر من الجميع الى اي حد وضعت العراقيل في طريقهم ، وضخامة العثرات الكثيرة التي لا تصدق ، والتي تغلبوا عليها . وانني متأكد من اننا بتوحيد قوتنا ، قوة ونضال الشعب اليهودي كله ، سنصعد النضال وسنواصله كما كان حتى الان ، وسنحظى برؤية اعداد اكبر من اليهود يأتون من الاتحاد السوفييتي الى البلاد » (راا ، ٧٥/١/١٥) .

الا ان المسؤولين الاسرائيليين اخذوا بعد ذلك ، من جهة ثانية ، يشككون فيما اذا كانت الهجرة من الاتحاد السوفييتي هي السبب في الغاء اتفاق التجارة . فقد أدلى رئيس حكومة اسرائيل يتسحاق رابين ، مثلا ، بتصريح جاء فيه : « اننا لا نعرف في هذه المرحلة بالضبط الاعتبارات التي دفعت الاتحاد السوفييتي الى الغاء الاتفاق ، لكنني مقتنع بعدم وجود اساس للزعم الذي نشر في عدد من وسائط الاعلام ، وكأن مشكلة الهجرة هي السبب ... » (راا ، ٧٥/١/٩) . كما ان وزير الخارجية الون قد أخذ ينفي هو الاخر وجهة النظر القائلة بأن موضوع الهجرة كان وراء الغاء الاتفاق التجاري ، اذ ذكر في مجال رده على اسئلة أثيرت في الكنيست حول الخطوة السوفييتية « ان تنفيذ الاتفاق التجاري كان من المفروض ، حسب التوقعات ، ان يعطي دفعة قوية للهجرة من الاتحاد السوفييتي ، وان يكون عبارة عن مرحلة جديدة عريضة وواسعة أكثر من المراحل السابقة لهذه الهجرة . ولكن الغاء ، أو بتعبير أكثر دقة تأجيل تنفيذ هذا الاتفاق ، لا يجب بالضرورة ان يمس

بالذات حقوق يهود الاتحاد السوفييتي في الهجرة الى البلاد . ولا اعتقد ان البند الذي يتعلق بحق الهجرة من الاتحاد السوفييتي هو الذي تسبب باتخاذ هذا الاجراء السوفييتي لالغاء الاتفاق التجاري ، وآمل ألا يمس هذا الالغاء حرية الهجرة لاخوتنا في الاتحاد السوفييتي ، هذه التي حان أوانها منذ زمن بعيد ... » (راا ، ٧٥/١/٢٢) .

كذلك أعرب احد الخبراء الاسرائيليين في الشؤون السوفييتية ، الدكتور باروخ حزان ، عن رأي مماثل بقوله (راا ، ٧٥/١/٢٣) ، ان موضوع الهجرة ليس السبب في الغاء الاتفاق ، كما وان الالغاء بحد ذاته لن يؤثر على الهجرة سلبا او ايجابا ، لان دوافع هذا الالغاء تعود ، بحسب رأيه ، الى « توصل مجموعة قادة الكرملين الى استنتاج بأن الثمن الذي يدفعه السوفييت في لعبة سياسة الوفاق لا يتناسب مع الارباح الاقتصادية والسياسية التي يجنونها ، ومن هنا جاء الضغط للمطالبة بتعديل قواعد وشروط هذه اللعبة ، لكي تزداد ارباح الاتحاد السوفييتي فيها » . وحول احتمال تقييد حرية الهجرة الى اسرائيل ذكر حزان انه يتفق في هذه النقطة « مع ما قاله السناتور جاكسون ، الذي ادعى امس ان البند الاقتصادي في الاتفاق التجاري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، أدى الى الغاء الاتفاق ، وليس بالضرورة تعديل جاكسون . وهكذا اعتقد انه لن يكون هناك تأثير مباشر على الهجرة من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل ... » (المصدر نفسه) . ويبدو ان هذه التفسيرات المطمئنة هي التي دفعت امين صندوق الوكالة اليهودية آريه دولتسين ، للاعلان عن اعتقاده بأن ما بين ٥٥ — ٦٠ الف مهاجر سيهاجرون من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل في العام المقبل (المصدر نفسه) .

ردود الفعل لدى يهود الولايات المتحدة :

اتسمت ردود الفعل الفورية لدى بعض الفئات من يهود الولايات المتحدة بالاستنكار والامتعاض من الخطوة السوفييتية ، خاصة وان هؤلاء كانوا وراء دفع مجموعة من رجال مجلس الشيوخ ، وعلى رأسهم السناتور هنري جاكسون ، لسن ما يسمى بتعديل جاكسون . ويبدو ان يهود الولايات المتحدة، وخاصة الفئات الصهيونية المتطرفة ، تجاوزوا حدود الاحتجاجات الكلامية ، وأرفقوا ذلك باحتجاج مشفوع بالنار ، حين أقدمت مجموعة — تعتقد السلطات الاميركية بأنها مجموعة يهودية — باطلاق النار على مبنى السفارة السوفييتية في نيويورك بعيد الغاء الاتفاق . وقد كان لهذا العمل رد فعل سيىء لدى البعض من الاسرائيليين الذين يتخوفون من ان تؤدي مثل هذه التصرفات الى تعريض مساعي الهجرة للمخاطر . فقد كتب الوزير الاسرائيلي السابق موشي كرمل ، مقالا في صحيفة دافار (٧٥/١/٢٤) تحت عنوان « لعبة خطرة بالنار » ، قال فيه : « انه اذا ما تأكد صحة تكهن شرطة نيويورك ، بأن الزخات النارية التي وجهت نحو غرف النوم في السفارة السوفييتية بالقرب من الامم المتحدة ، عند مطلع هذا الاسبوع، هي بمثابة عمل انتقامي ضد سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه اليهود ، وان لرابطة الدفاع اليهودية ضلع في الحادث ، فان ذلك من شأنه ان يقلق كل يهودي مسؤول ، ويدفع الى القيام بأعمال لكبح جماح هذه الاعمال الطائشة ، وهذه التحرشات ... » . كذلك حذر كرمل من مغبة هذا الاسلوب لأنه ، بحسب اعتقاده ، يحمل الكثير من المخاطر ، « ففي النضال العادل ، والضروري من أجل يهود الاتحاد السوفييتي ، ليس كل شيء مسموح به وليس كل شيء مفيد . ان التوجه الى السلاح الساخن الموجه نحو مؤسسات الاتحاد السوفييتي ، ، اذا حدث بالفعل ، ينطوي على مخاطر جمة » .

اسباب الغاء الاتفاق ومدى تأثيره على الهجرة

أسهب المعلقون والصحفيون الاسرائيليون في معالجة أسباب الغاء الاتفاق . ولعل هؤلاء كانوا شبه متفقين حول الاسباب الكامنة وراء الغاء الاتفاق التجاري اكثر من اتفاقهم حول تبعات وانعكاسات الخطوة السوفييتية على هجرة يهود الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل . ويمكن تلخيص آراء اولئك في الاسباب التي دفعت الاتحاد السوفييتي الى اتخاذ هذه الخطوة على النحو التالي :

١ — ضآلة الاعتمادات التي يحصل عليها الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة . « ان الاعتمادات الممنوحة للسوفييت والتي أقرها الكونغرس ضئيلة لدرجة تثير السخرية : ٧٥ مليون

دولار سنويا طيلة أربعة أعوام . وهـذا الامر اضعف الحوافز التي كان من الممكن ان تؤثر على الاتحاد السوفييتي وتدفعه الى ابتلاع القـرص المر ، المتمثل في ربط صفة الدولة المفضلة مـع موافقة مبدئية لمنح المواطنين السوفييت حريـة الهجرة . وما العجب في ظروف كهذه ، اذا مـا جلس قادة الكرملين ، ودرسوا جيدا الصالـح والطالح ، وفي النهاية توصلوا الى استنتاج عام، بأن الموضوع برمته غير مجد ... » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) . كذلك ركز اخر (الدكتور عوديد عران — المصدر نفسه) على ضآلة الاعتمادات التي أقرهـا الكونغرس الاميركي بقوله « انه يجب الا ينظر الى الغاء اتفاق التجارة كخطوة تكتيكية فقط اتخذتها حكومة الاتحاد السوفييتي لتفرض على الاميركيين شروطا افضل . تكمن هنا ، كما يبدو ، نتيجـة ميزان الربـح والخسارة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي كما رآه الاتحاد السوفييتي . ويبدو ان الزعامة السوفييتية قد توصلت الى استنتاج بأن الخسائر تفوق الارباح الكامنة في الاتفاق ، ذلك ان حجم المساعدات التي أمل الاتحاد السوفييتي الحصول عليها من الولايات المتحدة تتراوح ما بين ١٠ — ١١ مليار دولار ، بينما يبدو المبلغ الاولي ، البالغ ٣٠٠ مليون دولار والذي أقر كسقف ، في منظور الكرملين كأمر يثير التسوية » . كما توصل معلق ثالث (فيليب بن — معاريف ، ١٩٧٥/١/١٧) الى الاستنتاج نفسه .

٢ — الخلاف بين ما يسمى فئتي الحمـائم والصقور في الاتحاد السوفييتي . فقد عزا اكثر من معلق اسرائيلي سبب الغاء الاتفاق التجاري الى ما تروجه وسائل الاعلام الغربية عن وجود خلاف داخل الكرملين بين مجموعة المتساهلين ومجموعة المتطرفين . ودعم هؤلاء وجهة نظرها بالقول ان المجموعة التي تنافس بريجنيف استغلت مرضه ، وضغطت من أجل الغاء الاتفاق التجاري .

٣ — « عامل الهيبة » . تطرق العديد مـن المعلقين والصحفيين الاسرائيليين الى « عـامل الهيبة » واعتبروه بأنه يقف وراء الخطـوة السوفييتية . وبحسب رأي اولئك ، ان قسمـا كبيرا من الزعامة السوفييتية يعتقد بأن عمليـة ربط الهجرة بالاتفاق التجاري ، تنطوي على اهانة للاتحاد السوفييتي ، وان « الخطوة السوفييتيـة تلغي التعرض المرتبط في الاتفاق التجاري ، كمـا وأنها تعزز المصداقية السوفييتية ، وتأتي لتثبت لاناس مثل السناتور جاكسون بأنه من غـير الممكن الحصول على شيء من الاتحاد السوفييتي بواسطة التعنت والضغوطات عوديد عـران — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧ » . كذلك تطرق اخر الى « عامل الهيبة » ، ولكنه حرص — فـي الوقت نفسه — على شتم الاتحـاد السوفييتي بقوله : « يجب ان نعرف ان روسيا هي بلـد للانظمة الدكتاتورية منذ عهد القياصرة وحتى يومنا، وبالنسبة لنظام كهذا ، فان اي تدخل في مجـال مثل مجال تأمين حرية الفرد وحرية الهجرة ، يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية للدولة ، ومس بهيبتها وتحقيرها كدولة كبرى » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) .

٤ — محاولة منع جاكسون من الوصول الـى سدة الحكم . لم يغفل الكثيرون من المعلقين الاشارة الى أن الخطوة السوفييتية يراد منها ايضا وضع عراقيل امام مطامح السناتور الاميركي هنـري جاكسون في انتخابات الرئاسة الاميركية ...وهكذا ظهر انطباع ، بأن رضوخ الاتحاد السوفييتـي لشروط الكونغرس هو بمثابة اقرار بعدالة سياسة هنري جاكسون ، الامر الذي من شأنه فيما اذا حدث ، ان يعزز احتمالات نجاح هذا السناتور في السباق لرئاسة الولايـات المتحدة . ومن المؤكد ان نجاح جاكسـون في تلك المسابقة غير مرغـوب فيه بالنسبة لموسكو ، التي لا تعتبره صديقا ... (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) .

٥ — العمل على ترك الاقتصاد الغربي فـي التدهور : يعتقد البعض ان الاقتصاد الغربي يسير القهقرى ، وان تعزيز التجارة بـين الاتحـاد السوفييتي والولايات المتحدة من شأنه منـع الركود في الاقتصاد الغربي . وبما أن الاتحـاد السوفييتي غير معني بذلك فانه من غير المستبعد ان تكون خطوته تلك قد نبعت من هذا التفكير . فالازمة الاقتصادية التي تعم الغرب والولايـات المتحدة ... تمر في مرحلة ... حاسمة ، ومـن الطبيعي ان روسيا معنية في تأزيمها ، او انها على أي حال لن تساعد على التصدي لها . ان البطالة المتصاعدة في الولايات المتحدة تضعف الدولة الكبرى

الاولى في العالم ، كما وتضعف قوتها تجاه الخارج . ولذا فان تنفيذ الاتفاق التجاري الذي يعني قيام الاتحاد السوفييتي بعقد صفقات شرائية كبيرة ، من شأنه ان يوقف بقدر ما تصاعد البطالة ، ومن هنا فان تجميده افضل (موشي شمير — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) .

هل هنالك تأثير على هجرة يهود الاتحاد السوفييتي نتيجة الخطوة السوفييتية ؟ بالنسبة لهذا السؤال ، نجد اجابات متناقضة ، فالبعض يرى ان هنالك تبعات سلبية ستنعكس على هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي والبعض الاخر لا يرى ذلك ويعتقد ان هذا لن يؤثر سلبا او ايجابا على الهجرة . فهناك من يعرب عن رأيه ، مثلا ، بأنه بالنسبة لهجرة « يهود الاتحاد السوفييتي ، ينبغي الا ننسى انها بدأت قبل سياسة الوفاق بمدة طويلة ، وهنالك اساس للافتراض بأنها ستستمر مدة طويلة عقب الوفاق ، لانها تنبع من عوامل سوفييتية داخلية . [ولكن] من المفهوم، انه من المحتمل ، الا تكون هنالك هجرات استعراضية ، مثل هجرة الراقص فاليري فانوف، او هجرة اولئك العلماء والكتاب والشعراء المشهورين ، الذين سمح لهم السوفييت بالخروج، بغرض خلق انطباع حسن لدى الرأي العام الاميركي ... » (فيليب بن — معاريف ، ١٨/١/ ١٩٧٥) . ولكننا نجد أيضا من يخالف هذا الرأي ويعتقد بأن لالغاء الاتفاق انعكاسات سلبية على الهجرة لانه « من المفهوم ان للتطورات الاخيرة تأثير سلبي كبير جدا على وضع يهود الاتحاد السوفييتي وعلى احتمالات الهجرة من هناك . لقد قلص السوفييت بشكل ملموس عدد اذونات الخروج ، وشدوا الحزام حول يهود بلدهم . ومع ذلك ينبغي الا ننسى بأنهم لا يزالون معنيين باتفاق تجاري مع الولايات المتحدة ، ويأخذون بعين الاعتبار انهم فيما اذا اغلقوا تماما ابواب الهجرة فان احتمالات حصولهم في يوم من الايام على اتفاق كهذا ستقل . ولذا فانه اذا لم يطرأ تغيير جذري في السياسة السوفييتية نحو التعنت والعودة الى عصر الحرب الباردة ، فمن المعقول الافتراض بأن أبواب الهجرة ستبقى شبه مفتوحة ، ومن الصعب ضمن المعطيات الراهنة توقع اكثر من ذلك (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٧) . ومن نفس المنظور ، يضيف اخر انه « لم يكن في يوم من الايام اساس للفرضية القائلة بأن الاتحاد السوفييتي سيمنح مواطنيه حرية الهجرة ، ولذا فانه لا يوجد اساس للذهول والخوف من ان الغاء الاتفاق التجاري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سيمس بشكل كبير حجم هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي . ان السلطات السوفييتية ستستمر في منح اذونات خروج وفق الاعتبارات التي ترتئيها ، وفي المقابل ستستمر في فرض قيود على أنواع مختلفة من مقدمي اذونات الخروج ... » (دوف ايفل — دافار ، ١٩٧٥/١/١٧) .

اذن يمكن القول ان ردود الفعل الاسرائيلية اتسمت في بداية الامر بالتخوف الشديد على مصير الهجرة ، الا ان هذه التخوفات اخذت تقل تدريجيا ، لعدم اتضاح مدى انعكاس الخطوة السوفييتية على مستقبل الهجرة. ولكن الاسرائيليين مستمرون ، في الوقت نفسه ، في تصعيد الحملة المعادية للسوفييت ، الرامية الى دفع مزيد من المهاجرين اليهود للمجيء الى اسرائيل .

عبد الحفيظ محارب

[٤]

السلطات الاسرائيلية تواصل مخططاتها الاستيطانية في المنــاطق المحتلة

كانــت الحكومــة الاسرائيلية قد قررت يــوم ١٩٧٤/١١/٢٤ ، انشاء منطقة صناعية في منطقة الخان الاحمر (معاليه هادوميم) ، على الطريق بين مدينتي القدس واريحا ، تكون تابعة للقدس ، وكذلك بناء مساكن للموظفــين والعمال الذيــن سيعملون في تلك المنطقة . وكانت اكثرية الوزراء قد وافقت على هذا القرار ، عدا وزيري حــزب مبام اللذين تغيبا عن جلســة الحكومة في ذلــك اليوم ، وهو القرار الذي اعتبر كجزء من الــرد الاسرائيلي على مقررات مؤتمر القمة العربــي في الرباط بشأن حقوق الفلسطينيين وحــق منظمــة التحرير الفلسطينية في تمثيلهم ، ثم طرح القضية الفلسطينية في الجمعية العمومية للامم المتحــدة ، وذلك بتقوية الاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة ودعم الوجود الاسرائيلي فيها (انظر « قضايــا اسرائيلية ، العدد ٦ ، ٧٤/١٢/١٣ ، ص ١٩٧ — ٢٠١) . غير ان الحكومة الاسرائيلية لم تخصص، في حينه، ميزانية معينة لهذا المشروع وانما ارجأت ذلك الى حين اقرار ميزانية الدولة للعام الجديــد (التي تبدأ اعتبارا من اول نيسان من كل عام) . ولكن بعض الدوائر الاسرائيلية لم ترغب في تأجيــل العمل بهذا المشروع ، وانما باشرت على الفور باعداد الارضية هناك ، استعدادا لبناء المصانع ومباني السكن ، الامر الذي اثار بعض الوزراء وبعض الجهات ، التي اعتبرت البدء بالعمل دون اقرار ميزانية لذلك ، بمثابة تجــاوز وتخطــي للقوانين والصلاحيات ، مما اثار بالتالي نقاشــا مجددا بين « الحمــائم » و « الصقور » حــول جدوى الاستيطان في المناطق المحتلة حاليا وحــول مواقف كل من المعسكرين بالنسبة لذلك .

كان أول المعترضين والمحتجين على البدء بالعمل في معاليه هادوميم الوزير شلومو روزن (مبام) الذي اعلن « ان الحكومة لم تقرر ميزانية للبنــاء مطلقا ، وانما قررت فقط اجراء تخطيط للمكان » (معاريف ، ٧٥/١/٦) . وكان روزن قد طالب كلا من رئيس الحكومــة يتسحــاق رابين والوزيــر يسرائيل غليلي بتقديم تفسير لذلك ، الا انهمــا لم يستطيعا الرد على هذا . كذلك اشار وزيــر المالية الى ان وزارته لم تخصص اموالا للبناء في معاليه هادوميم ، بينمــا نفى وزير التجــارة والصنــاعة ، حاييم بارليف ان تكون وزارته قد خصصت ميزانية للعمل في المنطقة ، وكذلك فعــل الشيء نفسه وزير الاسكان ، ابراهــام عوفــر (المصدر نفسه) .

ومن جهة اخــرى قدم عضوا الكنيست دوف زاخين ويوسي سريد ، اللذان يرأسان «المجموعة الحمائمية » في المعراخ المؤلفة من ١٥ نائبــا ، مذكرة تتهم مديرية عقارات اسرائيل بالقيام باعمال بملايين الليرات ، بدون موافقة الحكومة ، وحتى بالرغم من اوامر المنع الصريحة الصادرة من قبل وزارة المالية (هآرتس ، ٧٥/١/٨) . ولكن مدير مديرية عقارات اسرائيل ، العميد (احتيــاط) مئير زورياع ، نفى ان يكون قد عمل خلافا لما قررته الحكومة ، واعترف بانه تلقى الاوامر من بعــض الوزراء المسؤولين عن الاستيطان في المناطــق ، قاصدا بقوله هذا الوزير يسرائيل غليلي . كمــا اعترف زورياع باستلام بعض القروض والامــوال من جهات اخرى ، كان من بينها صندوق جبايــة المنظمة الصهيونية ، الذي اعترف امين صندوقها، آرييه دولتسين ، بانه « اصدر امــرا لجبايــة المنظمة الصهيونية باعطاء قرض ، حتى مليــون ونصف المليون ليرة لمديرية عقارات اسرائيــــل ، بعد ان طلب منه رجال قسم الاستيطان في الوكالة منح المديرية سلفة ، وذلك لاغراض اعداد الارضية في معاليه هادوميم » (هآرتس ، ٧٥/١/٩) .

وكان من نتيجة هذه الحملة المضادة التي شنت ضد البدء بأعمال البناء في معاليه هادوميم ، ان تفاقم الوضع واصبحت هناك ضرورة لمعالجته كيلا تتدهور الامور ، مما اضطــر رئيــس الحكومة يتسحاق رابين الى القيام بنشاط ما ليضع حــدا لهذه المشكلة ، حيث دعا الى مكتبه في تل ابيــب وزراء وموظفين كبار يمثلون الوزارات التي تشترك

في تنفيذ قرار الحكومة بشأن تلك المنطقة الصناعية، لاجراء مشاورات حول ذلك (دافار ، ٧٥/١/٩). وكنتيجة لتلك المداولات ، اصدر رابين بيانا فيما يتعلق بتنفيذ قرار الحكومة حول اقامة تلك المنطقة الصناعية . وقد اقرت الحكومة ذلك البيان ، الذي دعا مديرية عقارات اسرائيل « الى الاستمرار باعمال اعداد الارض وتحضير الارضية حتى نهاية السنة المالية الحالية ، واما في السنة القادمة فتبدأ وزارة التجارة والصناعة باقامة المنطقة الصناعية واستكمال القاعدة المطلوبة لذلك ،وتقوم وزارة الاسكان باقامة مباني الموظفين بموجب قرار الحكومة » (دافار ، ٧٥/١/١٣) . وكذلك اقرت الحكومة تخصيص ١٠ ملايين ليرة اسرائيلية لهذا الغرض ، وذلك من ميزانية وزارة التجارة والصناعة في السنة المالية القادمة، بينما ستحصل مديرية عقارات اسرائيل على ميزانية تقدر بنحو مليوني ليرة اسرائيلية لمواصلة الاعمال هناك حتى نهاية السنة المالية الحالية (المصدر نفسه) .

حملة مضادة للاستيطان في الخان الاحمر

انتقدت اكثر من جهة اسرائيلية هذا المشروع ، حتى ان بعض الجهات هاجمته مدعية بانه لا يجوز استثمار اموال طائلة في استيطان الخان الاحمر (معاليه هادوميم) ، في حين ان هناك بعض الاماكن داخل اسرائيل اكثر حاجة الى مثل هذه الاموال ، كما ان هناك اماكن ينبغي ان يتم استيطانها قبل تلك المنطقة . وكان على رأس هذه الدوائر بنحاس سابير ، رئيس ادارة الوكالة اليهودية الذي علق على ذلك بقوله : « هناك سلم افضليات في توطين البلد . هناك امور اكثر اهمية من معاليه هادوميم ، ولا يمكن ان نفهم كيف يتحدثون عن اعداد الارضية في معاليه هادوميم ، التي تكلف مئات الملايين من الليرات الاسرائيلية في حين يخفضون ، ويريدون ان يخفضوا أكثر فأكثر في ميزانيات امور حيوية جدا، ان معاليه هادوميم لا تقدم ولا تؤخر ، ويجب ان تخصص موارد لبيسان ولاماكن اخرى قبل معاليه هادوميم » (دافار ، ٧٥/١/١٠) .

كما هاجم الصحفي اهرون جيفع مشروع معاليه هادوميم ، وطالب بان توجه الاستثمارات والمشاريع الى الجليل والى تطويره ، قائلا : « لو كنا نملك احتياطا كبيرا من الاموال والمبادرين المستعدين لاقامة مصانع في كريات شمونة ، ولو زاد عدد المستثمرين المتوقعين في حاتسور عما هو مطلوب هناك ، عندها سيصدق اولئك الذين يدعون بان بناء معاليه هادوميم لا يهمل تطوير الجليل ولكن ، لمزيد الاسف ، فان الوضع مختلف تماما » (دافار ، ٧٥/١/١٢) . كذلك استقال المسؤول عن مناطق التطوير في وزارة التجارة والصناعة ، رؤوفين دافيد ، من « الطاقم المخطط » لمعاليه هادوميم ، بسبب خلافات في الرأى بينه وبين رئيس الطاقم ، وذلك بالنسبة لتخطيط المصانع ، التي كانت معدة قبل ذلك لمدن تطوير مختلفة . « وكان الاساس الرئيسي للخلاف هو مقترحات وزارة الدفاع لنقل مصانع الى معاليه هادوميم كانت معدة لكريات شمونة ولصفد » (هآرتس ، ٧٥/١/١٠) .

ووصلت الحملة المضادة للاستيطان في معاليه هادوميم الى حد التوقيع على عرائض ضد هذا المشروع ، حيث بدأت مجموعة من المحاضرين والطلبة في الجامعة العبرية بالقدس بالتوقيع على عريضة احتجاجا على اقامة المركز الصناعي والاستيطاني في تلك المنطقة . وقد اقتصر التوقيع حتى الان على مؤسسات التعليم العالي . ومن بين المبادرين لهذه العريضة ، الاساتذة عكيفا ارنست سيمون ، ودان بيتان ويهوشواع اريئيلي، والدكتور آرى كوفمان ، والدكتور مناحيم برينكر والكاتب أ. ب. يهوشواع والدكتور يهودا ملتسر واخرون . وبحسب اقوال المبادرين ، « فان مشروع معاليه هادوميم يصحبه ضم مناطق واسعة من الضفة الغربية ، وانه يمكن ان يمس احتمالات التسوية مع الفلسطينيين او مع الاردن » (هآرتس ، ٧٥/١/٩) . وقد وقع على هذه العريضة حتى الان نحو مائة محاضر والف طالب جامعي .

ورد على هذه الحملة باسم الحكومة ، وزير الاعلام اهرون ياريف ، الذي اعلن « انه لن يتم نقل اي مصنع الى معاليه هادوميم ، من تلك التي كان يجب ان تقام في منطقة اخرى ، وذلك خلافا للاشاعات حول هذا النقل » (دافار ، ٧٥/١/١٣) . كما ردت مديرية عقارات اسرائيل على هذه الحملة بالقول « ان الاشغال التي تجري

في معاليه هآدوميم تتلاءم مع قرارات الحكومة ، وانه لا يوجد صحة حول ما كتب بانه تمت الموافقة على اقامة مصانع في معاليه هآدوميم ، كانت معدة لمدن التطوير الاخرى » (هآرتس ، ٧٥/١/١٠) . وكان رئيس بلدية القدس ، تيدي كوليك قد علق على هذا المشروع بقوله انه « اذا لم يتقرر شق طريق الى معاليه هآدوميم فان قرارات الحكومة ستتحول الى قرارات جوفاء وتظاهرية ، وانه لا يمكن ان تقوم هنــــاك منطقة صناعية جديـــة » (المصدر نفسه ، ٧٥/١/٩) .

التخطيط لاقامة مستوطنات جديدة

تواصل السلطات الاسرائيلية ، من ناحية ثانية، مخططاتها الاستيطانية والتوسعية في كافة المناطق المحتلة ، وذلك باضافة مراكز استيطان جديدة في هضبة الجولان والضفة الغربية وقطاع غـــزة وسيناء ، وكذلك تحويل نقاط الاستيطان من مراكز مؤقتة الى مستوطنات دائمة . فقد أعلن وزيـــر الاديان ، يتسحاق رفائيل ان ٣٠ مستوطنة ، على الاقل ، ستقام خلال هـــذه السنة في الجـــولان والضفة الغربية ومنطقة الغور (رl١ ، ٧٥/١/٢). وستباشر السلطات المختصة خلال هذه السنة ، ببناء ثلاث مستوطنات جديدة في هضبة الجـــولان ، وكذلك اقامة مباني دائمة للموشاف الذي يقيـــم حتى الان في معسكر مؤقت . والمستوطنات الدائمة التي ستقام هناك ، هي كيبوتس غشور ، التابع للكيبوتس القطري ، وموشاف تل زايت ، التابع لاتحاد الموشافيم لهابوعيـــل همزراحي ، وقريـــة صناعية اولى في وســـط الهضبة ، يفتـــرض ان يسكنها مهاجرون من الاتحاد السوفييتي . كمـــا ستبدأ وزارة الاسكان خلال هذه السنة باقامـــة مباني دائمة لموشاف اليعاد ، في جنوب الهضبة ، ويقيم هذا الموشاف الان في معسكر مؤقت علـــى مفرق ال عال ، بينما سيقام في ذلك المكان بعـــد اخلائه مركز خدمات اقليمي وكذلك مدرسة ميدانية (معاريف ، ٧٥/١/١٢) .

ومن ناحية اخرى ، اعلن البروفسور رعنـــان فايتس ، رئيس قسم الاستيطـــان في الوكـــالة اليهودية في اجتماع لجنة الاستيطان التابعة للمركز الزراعي ، عن اقامة خمس قرى صناعية تعاونيـــة خلال السنتين القادمتين في هضبـــة الجولان وفي الجليل الاعلى وفي غوش عتسيون (بين الخليـــل والقدس) . واعلن فايتس ، انه تم لهذا الغرض تشكيل لجنة من خبراء الصناعة اليهود في اسرائيل والخارج ، لتعمل على ايجاد الحلول الصناعيـــة الملائمة لهذا النوع من الاستيطـــان (دافار ، ٧٥/١/٣) . وحضر فايتس بعد ذلك اجتمـــاع مجلس مستوطنات حركة حيروت — بيتار الـــذي عقد في تل ابيب ، وحذر « من انه اذا لم تتم زيادة السكان اليهود في الجليل الاعلى على امتداد الحدود مع لبنان ، فسنكون هناك بعد عشر سنوات في وضع لا يطاق ، وان الوضع الاستيطاني والامني سيصبح لغير صالحنا ... ويجب تنفيذ الخطة الاستيطانية لاقامة قرى صناعية على رؤوس الجبال وفي الاماكن الخالية من اليهود بين صفـــد ومعلوت وكرميئيـــل والناصرة » (المصدر نفسه) .

واما بالنسبة لاقامة المدينة الجديدة في الجولان ، فقد تم البدء بالاعمال لاقامتها ، وذلك بالقرب مـــن قرية قنسرين ، وذلك ببناء ملجأ وتعبيد شبكة من الطرق . وقد تحدث ش. افني نائب المدير العـــام لوزارة الاسكان والمسؤول عن اقامة المدينة بقوله انه ستسكن « هناك ٥ الاف عائلة ، وانه سيتـــم في نيسان — ايار البدء ببناء ٥٠٠ وحدة سكنيـــة ، بالاضافة الى المباني العامة والتعليمية بينما سيبدأ العمل باسكان المدينة في صيف ١٩٧٦ » (دافار ، ٧٤/١٢/٢٤) .

هذا وقد وجهت بعض الانتقادات الى عمليـــة الاستيطان في الجولان التي لا تـــزال « مقصرة » بينما طالب البعض ، الجهـــات المسؤولـــة عـــن الاستيطان هناك بمضاعفة نشاطها حيث ان مساحات كبيرة هناك لا تزال غير مأهولـــة . وكان العميـــد (احتياط) اوري بن — آري على رأس المنتقديـــن والمطالبين بتقوية الاستيطان في الجولان ، الـــذي « يوجد فيه حتى الان حوالي ١٧ مستوطنة يهودية دائمة وثلاث مستوطنات يهودية مؤقتة وحـــوالي الفي نسمة (رجال ونساء واطفال) . ان وســـط الهضبة خال من المستوطنات اليهودية ولهذا يجب اضافة عدد من المستوطنات في هذه المنطقة ، وكذلك يجب تهويد المنطقة الشمالية من الجولان ، التـــي يتمركز فيهـــا الـــدروز » (يديعوت احرونـــوت ، ٧٥/١/١٣) .

مدينة جديدة في اللطرون

وعد وزير الاسكان ، ابراهام عوفر ، خلال جولة قام بها في اللد ، باقامة مدينة جديدة في منطقة اللطرون ، وذلك لكي تشكل مع الرملة واللد حلقة اتصال بين القدس وبين منطقة دان (تل ابيب) ، (عال همشمار ، ٧٤/١٢/١١) . وكذلك تقرر خلال مهرجان لاعضاء « غوش امونيم » في حيفا اقامة نواة استيطان في سهل دوتان (بالقرب من جنين) (رال ، ٧٥/١/١٤) . هذا وستقوم مجموعة من قبل اللجنة القطرية للتخطيط والبناء ، بتقديم توصياتها خلال الاسبوعين القادمين ، الى مدير عام وزارة الداخلية لاقامة مستوطنة في المنطقة ما بين تلقيلية وبيت حورون . وقد بدأت اللجنة عملها بناء على توصية الوزير غليلي ، ويبدو ان الحكومة ستستجيب لطلبات اقامة مستوطنة في هذه المنطقة من الضفة الغربية (معاريف ، ٧٤/١٢/١) .

واما بالنسبة للاستيطان في قطاع غزة وسيناء ، فقد اعلن وزير الاسكان ابراهام عوفر ، خلال جولة في القطاع ، « انه حتى نهاية عام ١٩٧٥ سيزداد عدد السكان اليهود في مشارف رفح من الف الى ثلاثة الاف نسمة ، وانه حتى نهاية السنة القادمة سيكون في المنطقة سبعة موشافيم وثلاثة كيبوتسات وكذلك مركز اقليمي ، وسيبلغ الاستثمار هناك حوالي مائة مليون ليرة » (دافار ، ١٢/٢٧/ ٧٤) . وكان بنيامين حونشي ، مدير شعبة التخطيط في قسم الاستيطان التابع للمنظمة الصهيونية العالمية قد اعلن خلال جولة لمراسلي شؤون الهجرة والاستيعاب في مشارف رفح ، « ان شعبة التخطيط في قسم الاستيطان التابع للمنظمة الصهيونية تستكمل الاعداد لاقامة ست مستوطنات اخرى في القسم الجنوبي من مشارف رفح ، وذلك بين موشاف سدوت وديكله ، منها اربعة موشافيم وكيبوتسات ، واولها سيكون موشاف اوغدا » (دافار ، ١٩٧٤/١٢/٢٣) . كما اعلن يحيئيل ادموني ، المدير العام لقسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية خلال جولة في مشارف رفح ، انه تم الان البدء باعداد الارض لاقامة الموشاف الخامس في المنطقة ، وذلك شرقي موشاف سدوت، وانه سيتم اقامة مستوطنتين دائمتين هناك خلال السنتين القادمتين ، وكلاهما كيبوتس تابع لحركة اتحاد الكيبوتسات والكيبوتسيم (معاريف ، ٧٤/١٢/١٩) . ومن الجدير بالذكر انه يوجد في مشارف رفح اليوم اربع مستوطنات دائمة : سدوت ، نتيف هعسراه ، ديكله ، وناحال سيناء . وسيتم خلال هذه السنة تحويل مركز ناحال سوخوت على الطريق الى مدينة يميت ، الى مستوطنة شبه عسكرية تابعة للناحال ، استعدادا لاسكانها بعد سنة (المصدر نفسه) .

وكان المراسل داني تسدقوني ، قد كتب حول مراكز الناحال الموجودة حتى الان في مشارف رفح ، فذكر ان عدد هذه المراكز خمسة وهي : ديكل واشل ومسوره التي تقع شرقي طريق العريش وسوخوت واحيمار اللتين اقيمتا مؤخرا (دافار ، ٧٥/١/١٤) . كما ذكر تسدقوني ، ان لدى حركة الموشافيم التابعة لهابوعيل همزراحي خطة لاقامة ثلاثة موشافيم في منطقة السوميري التي تقع بين دير البلح وخان يونس . ومن المعروف ان اربع مستوطنات شبه عسكرية تابعة للناحال قد اقيمت في قطاع غزة ، وهي : نتسريم ، التي تديرها نواة تابعة لهاشومير هاتسعير والمعدة للكيبوتس المتدين ، كفار دروم وتدار من قبل نواة ناحل متدين ، كطيف وتدار ايضا من قبل نواة متدينة ، ومورغ الذي يفترض ان يصبح كيبوتسا تابعا لاتحاد الكيبوتسيم والكيبوتسات (المصدر نفسه) .

حمدان بدر

[٥]

عدد النازحين عن اسرائيل
يصل رقما قياسيا خلال السنة الماضية

شهدت الفترة التي اعقبت حرب تشرين تضاؤلا متصاعدا في عدد المهاجرين الى اسرائيل من جميع التجمعات اليهودية في العالم . وتعود أسباب ذلك الى عوامل عدة من بينها تردي حالة الامن في اسرائيل ، ثم تردي الوضع الاقتصادي هناك وخاصة بعد تخفيض قيمة الليرة وما تبع ذلك من تفشي البطالة وارتفاع الاسعار وكذلك ازدياد الاحساس بحالة الاغتراب لدى المهاجر — وتعتبر هذه هي الاسباب وراء ارتفاع نسبة النازحين من اسرائيل . ولم تنشر ارقام رسمية عن عدد المهاجرين اليهود الذين وصلوا الى اسرائيل خلال العام الماضي او عن عدد النازحين منها ، الا ان جميع المسؤولين عن الهجرة يشيرون الى تضاؤل عدد المهاجرين وتصاعد عدد النازحين ، وبينما يقدر تسفي ايزباخ ، مدير القسم الديموغرافي في مكتب الاحصاء المركزي عدد النازحين عام ١٩٧٤ ما بين ١٥ — ٢٠ الفا مقابل ١١٫٥٠٠ عام ١٩٧٣ (هآرتس ، ١٩٧٤/١/٩) نجد أن بنحاس سابير، رئيس ادارة الوكالة اليهودية ، يقدر عدد النازحين بأكثر من عشرين الفا خلال ١٩٧٤ اي أن العام المنصرم شهد الرقم القياسي في عدد النازحين من اسرائيل ، الذي يزيد بكثير على عدد النازحين في عام التقشف الاقتصادي ٦٧/١٩٦٦ ، اذ بلغ حينذاك سبعة الاف شخص .

ويعتبر رئيس ادارة الوكالة اليهودية ذلك بمثابة « كارثة » ، اذ أعلن في حديث له امام ممثلي الطائفة المراكشية : « انه اذا شهد عام ١٩٧٣ نزوح ١١ الف شخص بينما شهد العام ١٩٧٤ نزوح ضعف هذا العدد ، فان ذلك هو بدون شك « كارثة » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٠). وفي حديثه دافع سابير عن المؤسسات الاسرائيلية المعنية قائلا أنها ليست هي المسؤولة عن ضآلة عدد المهاجرين من مراكش ، مثلا ، حيث وصل حوالي ٥٠٠ مهاجر من مجموع ٢٠ الفا : « يوجد ٢٠ الف يهودي في هذا البلد [مراكش] وهم لا يعتزمون تركها ابدا ، لانهم يدعون بأنهم يعيشون على ما يرام بها ويعتمدون على الملك بأنه سيحافظ عليهم ... » . وفي هذه المناسبة ذكر سابير ايضا ان هناك عشرات الالوف من يهود شمال افريقيا ، من الذين هاجروا طيلة الخمسة عشر عاما الماضية الى فرنسا واسبانيا وكندا والولايات المتحدة ولا يريدون الهجرة الى اسرائيل (المصدر نفسه) .

وفي مناسبتين اخريين ، تحدث بنحاس سابير عن أسباب النزوح من اسرائيل ، ففي حديث امام اعضاء النادي الاقتصادي في القدس ارجع سابير تضاؤل الهجرة وتصاعد النزوح الى عامل الامن : « أنا أعرف ان بيننا أشخاصا لا يحبون سماع هذا لان ذلك يضايقهم ويضايق اراءهم السياسية، ولكن ذلك لا يهم ولا يغير من الامر شيئا ، ان هذه الحقيقة تثقل على الذين يريدون الهجرة ، وهذا أمر لا يمكن اخفاؤه ، وهو حقيقة قائمة ، وليستخلص كل واحد هذه النتائج او خلافها » (را ، ١٩٧٥/١/٦) . واما في المناسبة الاخرى، عندما تحدث سابير في بيت بيرتس في تل ابيب فقد ذكر ان الهجرة من الغرب والشرق قد انخفضت. واضاف أن عدد المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتي الذين لا يتوجهون الى اسرائيل قد ازداد وذكر سببين لذلك : (١) « السوفييت لا يسمحون لجميع الراغبين بالهجرة . (٢) ليس جميع اليهود راغبين في الهجرة من روسيا ، وكذلك ليس كل من يرغب بالهجرة من روسيا يريد المجيء الى البلاد » (را ، ١٩٧٤/١٢/٢١) .

وعاد رئيس ادارة الوكالة اليهودية وتطرق ، مرة اخرى ، الى موضوع النزوح موردا ارقاما جديدة واسبابا اخرى للنزوح ، حين ذكر امام طلبة رحوبوت ان ظاهرة النزوح لا ينبغي لها أن تقلق اكثر من ظاهرة الهبوط في عدد المهاجرين الى اسرائيل . ومن ثم تطرق الى نسبة عدد النازحين خلال الاعوام ٦٨/١٩٦٤ وذكر ان الرقم يتحرك ما بين ٦٫٥٠٠ و٨٫٥٠٠ في كل عام . واما في عام ١٩٧٢ فقد بلغ عدد النازحين ٩٫٠٠٠ وفي العام التالي ١٩٫٠٠٠ وتوقع بأن يصل العدد في

العام الماضي الى ١٨٫٠٠٠ . اما الاسباب التي اوردها هذه المرة فهي « بيروقراطية الاعتناء بهم، السكن ، والعمل والنقص في استيعابهم اجتماعيا» (دافار ، ١٩٧٥/١/١٢) .

وقبل ان نتطرق الى القاء الضوء على الاسباب الاخرى الكامنة وراء النزوح وهبوط عدد المهاجرين من الاتحاد السوفييتي ، تجدر الاشارة هنا الى أن عدد المهاجرين اليهود من الولايات المتحدة الامريكية الى اسرائيل قد طرأ عليه هبوط كبير ايضا . ويتضح من الاحصاءات التي اجريت عام ١٩٧٤ انه طرأ انخفاض بنسبة ٣٠ ٪ على عدد المهاجرين بالنسبة للفترة المماثلة من عام ١٩٧٣ ، فقد قدم الى اسرائيل من الولايات المتحدة خلال العام الماضي نحو ٢٨٠٠ شخص ويقدر المسؤولون بأنه سيبقى في اسرائيل حوالي ألف شخص منهم فقط.

أسباب نزوح يهود الاتحاد السوفييتي

بلغ عدد المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٦٩ وحتى نهاية العام المنصرم حوالي مئة الف يهودي . وقد نزح قرابة ١٠ ٪ من هذا العدد من اسرائيل طيلة الاعوام الماضية ، وهذا بالاضافة الى تصاعد تيار المهاجرين اليهود السوفييت الى الولايات المتحدة على حساب الهجرة الى اسرائيل . وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام متزايد من قبل دوائر اسرائيلية عديدة تناولتها بالبحث ، ففي مقابلة مع الدكتور فيكتور بولسكي « زعيم » يهود الاتحاد السوفييتي ، الذي هاجر مؤخرا الى اسرائيل (معاريف ، ١٩٧٤/١٢/٢٧) جاء أن الاسباب الكامنة وراء هبوط وتيرة الهجرة من الاتحاد السوفييتي تعود الى الصورة السلبية المرتسمة في اذهان اليهود هناك تجاه اسرائيل وتعتبر من بين العوامل الرئيسية في عرقلة الهجرة اليهودية اليها . وفي مجال تفصيله يقول « ان الوضع الامني تردى بشكل ملموس ، كما وان الوضع الاقتصادي يحمل بين طياته اخطارا ، فقد تسبب تخفيض قيمة الليرة بارتفاع خطير في أسعار المنتوجات ، الامر الذي أدى الى هبوط مستوى المعيشة بشكل كبير ... » . واستطرد بولسكي قائلا : « ان الجو في البلاد سلبي ، فبدل تآخي القلوب تعاني البلاد من انشقاق خطير، وهناك جو غير مريح تجاه المهاجرين من الاتحاد السوفييتي ، كما أن هنالك من يتهمونهم بسلب حقوق أبناء سكان بلدان اخرى ... وقد ترددت شروط استيعاب المهاجرين ... » . والى جانب ذلك ، يرى الدكتور بولسكي ان الرسائل التي يتلقاها يهود الاتحاد السوفييتي من اقاربهم واصدقائهم الذين هاجروا الى اسرائيل لا تشجع على الهجرة . وذكر ايضا ان اذاعة اسرائيل لم تعد تسمع في الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٧٣ ، عندما قام السوفييت بالتشويش على البرنامج الموجه بحيث اصبح من المتعسر الاستماع اليه . وفي مقابل ذلك تقوم وسائل الاعلام السوفييتية بحملة مناوئة للهجرة ، حيث « تشدد الصحافة السوفييتية على الجوانب السلبية فقط ، وينبغي ان نعلم ان الدعاية السوفييتية تعمل الان بمستوى مهني رفيع ، انهم لا يروجون اكاذيب يمكن دحضها والوقوف على اغراضها ، بل يمتنعون عن ترويج اكاذيب بارزة ، ويخلقون صورة من أنصاف الحقائق ، ويعتمدون كثيرا ، وبقدرة، على تقديم اقتباسات دقيقة مما ينشر في الصحافة الغربية والصحف الاسرائيلية حول الازمات والخصومات والانشقاقات ، والاحساس بعدم توفر الامن ، ومخاوف اخرى في اسرائيل » . ومن الجدير بالذكر هنا أن حديث الدكتور بولسكي يخلو تماما من ابراز الجوانب « الايجابية » في اسرائيل ، ويبرز بشكل واضح الجوانب «السلبية» فقط ، مع كيل الشتائم للاتحاد السوفييتي .

ويعود بولسكي ويلخص بعض العوامل الحائلة دون الاسراع في الهجرة قائلا : « ان هذه الدعاية كافية لردع رغبة اليهود في الهجرة لانها مقنعة ، والوقائع قائمة . ان عدم توفر معلومات متزنة، بالاضافة الى وجود معلومات مغرضة ودقيقة ، وبالاضافة الى خيبة أمل المهاجرين من الاتحاد السوفييتي الذين يكتبون رسائل الى اقربائهم واصدقائهم في الاتحاد السوفييتي ، كل ذلك يدفع اليهود للتريث وعدم الاسراع في الهجرة » . ومع ذلك فان الدكتور بولسكي يعتقد بأنه حتى لو فتح الاتحاد السوفييتي ابواب الهجرة امام من يرغب في ذلك من اليهود فان مجرى الهجرة سيزداد ، ولكن هذا المجرى سيتجه لاسفه ، نحو الولايات المتحدة ، بينما يصب رافد منه فقط في اسرائيل، وذلك في حالة « اذا لم تتغير صورة اسرائيل

المرتسمة في أعين يهود الاتحاد السوفييتي ، وكذلك الظروف التي تولدها » .

ومن ناحية اخرى ، أجرى فرع التخطيط والبحث التابع لوزارة الاستيعاب بالتعاون مع المكتب المركزي للاحصاء بحثا بين صفوف مهاجرين من الاتحاد السوفييتي بعد مرور عام على تواجدهم في اسرائيل . وكانت من نتائج ذلك البحث المعطيات التالية (معاريف ، ١٩٧٤/١٢/١٤) :

● ٧٠ ٪ من المهاجرين لم يتصلوا مطلقا مع اسرائيليين قدامى خلال مكوثهم في البلاد .

● اكثر من ٤٠ ٪ من اولئك المهاجرين لا يستطيعون التحدث باللغة العبرية .

● حوالي نصف المهاجرين لم يحصلوا على عمل بواسطة مصلحة التشغيل ومؤسسات الاستيعاب، بل بواسطة قواهم الذاتية — ٣٢ ٪ منهم بواسطة التوجه مباشرة الى أماكن العمل و١٦ ٪ بواسطة استخدام اسلوب « الوساطة » .

● تحول كثير من الاكاديميين الى مستخدمين غير اكاديميين ، فقد أظهر البحث ان ٣٢ ٪ فقط من الاكاديميين يستخدمون بصفتهم تلك .

● يعتقد ٢٢ ٪ من المهاجرين ان مستوى سكناهم في البلاد متدني .

● يدعي ٣٤ ٪ من المهاجرين بأنهم لمسوا روحا عدائية من قبل اسرائيليين ، هذا مع العلم ان ٧٠ ٪ لم يجروا اتصالات مع الاسرائيليين .

وهناك بحث ميداني اخر اجراه احد موظفي وزارة الاستيعاب (معاريف ، ١٩٧٤/١١/٢٨) يشير الى ان ٣٠٪ من مهاجري الاتحاد السوفييتي، الذين نزحوا الى الغرب قد فعلوا ذلك لخوفهم من الخدمة العسكرية . اما الاخرون فأرجعوا أسباب نزوحهم الى مشاكل السكن وتدني المعاش، والنظرة السلبية تجاههم ورغبتهم في الانضمام الى اقاربهم في الولايات المتحدة .

كذلك تطرق وزير الاستيعاب شلومو روزن الى تضاؤل حجم الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، وأنكر ان يكون العامل الامني وراء ذلك ، الا انه أرجع السبب الى التصريحات الحربية : « ... ليس هنالك شك بأن التصريحات الحربية التي تصدر من قبل بعض الوزراء لا تعمل لصالح جو الهجرة » . ثم اورد روزن ارقاما حول نسبة انخفاض الهجرة ، فذكر ان نسبة الانخفاض في العام المنصرم قد بلغت ٤٢ ٪ بالنسبة للفترة المماثلة من العام السابق وعزا ذلك الى مصاعب العمالة والسكن والاستيعاب ، ووجه انتقاده للمجتمع الاسرائيلي بقوله : « ينبغي علينا ، باديء ذي بدء ، ان نثقف أنفسنا نحن الاسرائيليين تجاه اهمية الاستيعاب الاجتماعي » . وذكر الوزير أيضا أن وزارته تنظر بعين الخطورة الى انخفاض نسبة الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، حيث بلغ الانخفاض ٤٩ ٪ خلال الـ ١١ شهرا من العام المنصرم بالنسبة الى الفترة ذاتها من العام السابق له (معاريف ، ١٩٧٤/١٢/٢٤) .

من هم النازحون ؟

يجيب على هذا السؤال الصحفي الاسرائيلي امنون روبينشتاين في مقالة له تحت عنوان « الهجرة في هبوط » (هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٢) فيذكر بأن معظم النازحين يشكلون شريحة من الاسرائيليين من ذوي المهارات المهنية التي تفوق المعدل العام في اسرائيل ، الامر الذي يؤثر على « مستودع القوى البشرية المهنية » هناك بشكل فعال . وبالاضافة الى ذلك يذكر الكاتب ، وعلى خلاف ما هو شائع ، ان نصيب المهاجرين الجدد من هذا النزوح ضئيل جدا ، فحسب معطيات وزارة الاستيعاب نزح من بين صفوف المهاجرين في عام ١٩٧٢ ٤٪ فقط ، بعد مرور عام على قدومهم، وبلغت نسبة النازحين من بين ما يعرفون بالمهاجرين الطارئين ٩ ٪ . ثم يصل الكاتب الى القول بأن نصيب مواليد البلاد بين النازحين مرتفع ، فحسب التقديرات، يحتل هؤلاء أكثر من ثلث عدد النازحين، ويشير الى ان الاستعداد النفسي للنزوح بين فئة الشباب متوفر اكثر منه لدى كبار السن.ويستشهد على ذلك باستفتاء كان قد اجراه معهد «بوري»، خلال شهر تشرين من العام الماضي اي بعد مرور عام على الحرب الاخيرة ، تفيد نتائجه بأن ٨ر٥ ٪ من مجموع السكان اليهود اعلنوا بأنهم يدرسون امكانية الهجرة من اسرائيل خلال العامين القادمين ، بينما بلغت نسبة الشباب في سن ١٨ — ٢٩ ، الراغبين في النزوح ٨ر١٦ ٪ ، وقد اجاب ٨ ٪ منهم بأنهم « يبرمجون بشكل عملي للهجرة من اسرائيل خلال عامين ، والعيش في دولة اخرى » .

ثم يتطرق روبينشتاين الى ظاهرة جديدة بعد حرب تشرين تتمثل في اعلان من يود النزوح عن البلاد رغبته جهارا ، بدل التستر عليها . « ليست الارقام فقط هي التي تجلب القلق ، بل اسوأ من ذلك ظاهرة جديدة ، ظهرت بكامل قوتها عقب حرب يوم الغفران : ذات مرة كانت عملية النزوح عن البلاد مشفوعة باجراءات سرية ... وكان من الصعب العثور على أي شخص يعلن عن قراره بانه سيترك البلاد ، وبعد الحرب الاخيرة ، من الممكن سماع شباب اسرائيليين يعلنون بطريقة لاذعة ، وبصوت مرتفع ، عن اعتزامهم ترك البلد الى الابد » . ويرى الكاتب ان تيار النزوح هذا يفصح عن الازمة العميقة المستمرة للمجتمع الاسرائيلي : « ... ان اسرائيل ليست مجرد بلد هجرة ، والذين يهاجرون اليها ليسوا مجرد مهاجرين . ان الاف الاسرائيليين الذين يتركون اسرائيل يضعفون ليس فقط قدرة صمودنا ، بل يشهدون على فشل جزئي لهدف يعتبر جزءا من جوهرنا . والاسوأ من ذلك هو ان موجة النزوح الجديد ليست مجرد تعبير عن ضيق اجتماعي او خوف امني ، بل تعبير ايضا عن الازمة العميقة والمستمرة للمجتمع الاسرائيلي » (المصدر نفسه) .

اضافة الى ذلك ، هناك مشكلة اخرى تتعلق بال المسؤولين الاسرائيليين ، وهي ظاهرة « المتساقطين » من اليهود السوفييت اي اولئك اليهود الذين يهاجرون من الاتحاد السوفييتي ولكنهم لا يصلون الى اسرائيل وانما يتوجهون الى بلدان اخرى ، وهي الظاهرة التي اصبحت تعتبر مشكلة بالنسبة للهجرة الى اسرائيل ، واخذ المسؤولون عن الهجرة يحذرون منها خاصة وانها آخذة بالتصاعد. كما واخذ الصحفيون الاسرائيليون يركزون عليها بغرض ايجاد حل للمشكلة قبل استفحالها ، ومن بين هؤلاء ابراهام تيروش الذي مس موضوع « التساقط » في مقال له (معاريف ، ٧٥/١/٧) تطرق فيه الى نسبة « المتساقطين » والى المنظمة التي تساعد هؤلاء ، فذكر انه خلال عام ١٩٧٣ « تساقط » في فينا ٤٪ فقط من مهاجري الاتحاد السوفييتي بينما شهد مطلع عام ١٩٧٤ نسبة ٨٪ من السقوط ، الا ان هذه النسبة اخذت تزداد كل شهر الى ان وصلت الى ٣٨٪ في شهر كانون الاول من العام الماضي ، ومن المتوقع ان تزداد ايضا مع مرور الوقت . ويميط الكاتب اللثام عن وجود منظمة يهودية تدعى ياسا تقدم العون والمساعدة « للمتساقطين في روما وفينا ، بمساعدة من اموال الجباية اليهودية الموحدة حيث تقدم لهم الاموال اللازمة وتقوم بتعليمهم اللغة الانجليزية وتنظم هجرتهم الى ما وراء البحار » . وهنا يتساءل الكاتب ، ويبدو القلق واضحا في تساؤله : « هل ينبغي الطلب من منظمة ياسا ان تكف عن الاعتناء بالمتساقطين ؟ هذا سؤال صعب ومركب ، فمن ناحية هؤلاء هم لاجئون انقذوا من بلد ضيق ، ويلزم التضامن اليهودي الاعتناء بهم ، ولكن من الناحية الاخرى ، هل ينبغي استخدام اموال تجمع لحاجيات اسرائيل بغرض مساعدة اناس قرروا بانها ليست بلدهم ؟ واذا كان الامر هكذا او كذلك ، يبدو ان الموضوع يستحق على الاقل دراسة معمقة ، لم تجر حتى الان » .

[٦]

تــأزم المشاكل الاجتماعية
بسبب سوء الوضع الاقتصادي في اسرائيل

كان الاعتقاد السائد قبل حرب تشرين ١٩٧٣ ، ان المشاكل الاجتماعية في اسرائيل تبرز وتـزداد حدة في فترة الهدوء الامني ، وتختفي تقريبا في فترات التوتر والحرب . ويبدو ان هذا الاعتقـاد كان صحيحا حتى نشوب الحرب الاخيرة فقـط ، اذ ان المشاكل الاجتماعيـة التي يعاني منهـا الاسرائيليون الان ما هـي الا انعكاس للنتائـج الاقتصادية والحالة الامنية في اسرائيل خلال تلك الحرب وبعدها ، بينما « ازداد وعي الجمهـور لما يحدث ليس فقط على الحدود وخارجها ، وانما بين الشعب ايضا » (دكتور يسرائيل كاتس — دافار ، ١٠/١/١٩٧٥) . والاعتقاد السائد الان ان الوضع الاجتماعي ليس اقل اهمية عن الوضع الاقتصادي او الامني ، وخاصة في « دولة تستعد للحرب ، وتطالب سكانها بتضحيات اقتصاديـة ، وتجند جميع مواردها من اجل قضايا الامن والجيش ... لقد ولت فتـرة اللامبالاة التي ميزت جيـل المؤسسين على الصعيد الاجتماعي ، ومن الان فصاعدا فان الاعمال والاهداف الاجتماعية هي التي ستمنـح الطابـع الخـاص للحياة في الدولـة اليهوديـة » (أ. غازيت — معاريف ، ١٦/٨/٧٤) .

من اجل الوقوف على المشاكل الاجتماعية في اسرائيل الان ، لا بد من التطرق اليها من ثـلاث زوايا اساسية مختلفة : (١) مستوى الاجور ، (٢) التعليم ، (٣) المشاكل السكنية ، وهي الزوايا نفسها التي انطلقت منهـا لجنة كـاتس (لجنـة ترأسها دكتـور يسرائيل كاتس ، مدير مؤسسة التأمين الوطني سابقـا) التي عينتهـا رئيسة الحكومة السابقة غولده مئير لبحث مشكلة الاولاد الـذين يعيشون في ضائقة اجتمـاعية في اسرائيل . وقد قدمت هذه اللجنة تقريرها الذي يتضمن استنتاجاتهـا وتوصياتها الى اللجنـة الوزارية لشؤون الانعاش الاجتماعي ، وذلك في شهر تموز ١٩٧٣ ، اي قبل نشوب الحرب بثلاثة أشهر تقريبـا . وقامت اللجنة الوزارية ، بنـاء على ذلك التقرير ، ببلورة عدة مشاريع ، منهـا مشروع تربوي اعدته وزارة المعارف والثقافة ، بلغت تكاليفه ١٢٠ مليون ليرة ، كما قدمت وزارة الاسكان خطة خماسية لحل المشاكل السكنيـة (امنون برزيلاي — هآرتس ، ٧/١١/٧٤) ، الا ان الوضع الاقتصادي الجديد الـذي نشأ بعـد الحرب اخر تنفيذ هذه المشاريـع . ومن اهـم الاستنتاجات التي توصلت اليها لجنة كاتس هي ان ١٦٠ الفا من الاحداث في اسرائيل ، الذين تقل اعمارهـم عن ١٨ سنة ، يعيشون في ضائقـة اجتماعية ، منهم ٢٥ الفا في ضائقة اجتماعيـة شديدة . كذلك يستفاد من التقرير ان ٩٢ — ٩٤٪ من هؤلاء الاحداث هم من ابناء الطوائف الشرقية ، بينما تصل نسبتهم بين الذين يعيشون في ضائقـة اجتماعية شديدة الى ١٠٠٪ (تقرير لجنة رئيسـة الحكومة للاولاد والاحداث في الضائقة — الطبعة الثانية ، أيار ١٩٧٤ ، ص ٤٩ — ٥٠) .

خط الفقر في ارتفاع

أدت سياسة الكبح الاقتصـادي التي اتبعتهـا اسرائيل خلال السنة الاخيرة ، وموجات الغـلاء التي رافقتها ، والتي لم يسبق لها مثيل منذ قيام اسرائيل ، الى زيادة العبء على اصحاب الدخل المحدود . ووصل هـذا العبء الى ذروته اثـر التخفيض في قيمة الليرة في شهـر تشرين الاول الماضي ، وموجة الغلاء التي رافقته ، وخـاصة بالمواد الغذائية الاساسية ، حيث ارتفعت نفقات الشخص الواحـد ، بالنسبة لاسعار المـواد الاساسية فقط ، بنحو ١٠٢ ليرة شهريا (امنـون برزيلاي — هآرتس ، ١٧/١١/٧٤) . وكان اكثر المتضررين من موجة الغلاء هذه العائـلات الكثيرة الاولاد والمحدودة الدخل ، وخاصة وان نحو نصف اولاد اسرائيل ينشأون في هذه العائلات ، رغـم انها تكـون ١٠٪ فقط من مجمـل العائلات في اسرائيل (المصدر نفسه) . وقد وعدت الحكومة عند اتباع تلك الخطوات الاقتصادية ، بعدم المس باصحاب الدخل المحدود ، وبعد مداولات طويلة ،

رفعت مخصصات الشؤون الاجتماعية والتأمين الوطني بمدى كبير حيث تم زيادة الميزانية المخصصة لذلك بنحو ٧٥٠ مليون ليرة (اهرون جينغ — دافار ، ٧٤/١٢/١٦) . وكانت لجنة كاتس قد اعلنت ان ضائقة العائلات المحدودة الدخل ، غير ناجمة فقط عن توقف رب العائلة عن العمل ، او عدم توفر دخل شهري دائم لتلك العائلات ، وانما يعود مصدرها في حالات كثيرة الى كثرة الاولاد في العائلة ، بحيث لا يكفي دخل رب العائلة لاعالتها ، « وليس سرا ان الجزء الاكبر من هؤلاء السكان [المحدودي الدخل] هم من ابناء الطوائف الشرقية ، الذين يكثرون من زيارة مكاتب الشؤون الاجتماعية الحكومية والبلدية في انحاء الدولة ،معتبرين ان المساعدات الاجتماعية هي جزء غير منفصل من حياتهم » (اريبه افنيري — يديعوت احرونوت ، ٧٤/١١/١) . وقد اعلن وزير الشؤون الاجتماعية ، حزاني (في حديث مع هآرتس ، ٧٤/١٢/٢٣) ان مجموع العائلات التي حصلت على مساعدات اجتماعية في تشرين الاول ١٩٧٤ ، بلغ ٢٥٢١٨ عائلة مقابل ٣٢١٦٨ عائلة في نهاية ١٩٧٣ ، ويعود هذا الانخفاض ، بحسب رأيه ، الى دخول ٤٠ الف شخص الى دائرة العمل . كما اعلن الوزير ان المساعدات الاجتماعية التي تدفعها وزارته قد زادت وذلك بسبب عدم ارتفاع الحد الادنى للاجور الذي يبلغ ٦٨٥ ليرة شهريا ، بينما زادت تكاليف المعيشة بسبب الغلاء . وضرب حزاني مثلا على ذلك : عائلة مكونة من ٥ انفار ويتقاضى رب العائلة ٦٨٥ ليرة شهريا — تلزمها اليوم ضعف المساعدة الاجتماعية التي كانت تحصل عليها في الماضي ، بمعدل ٧٢٤ ليرة شهريا ، لكي تستطيع اعالة نفسها (المصدر نفسه) ، مما يعني ان الخط البياني للفقر هو في ارتفاع في اسرائيل ، طالما بقيت الاجور على وضعها الحالي . ويخشى البعض من ان يؤدي الاعتماد المتزايد على المعونات الاجتماعية الى قلة الرغبة بالعمل بين هؤلاء السكان ، « طالما باستطاعتهم العيش على حساب الجمهور » (اهرون جينغ — دافار ، ٧٤/١٢/٢٤) . كما يتخوف اخرون من ان تؤدي البطالة المتوقعة الى تأزم مشكلة الدخل ، لان ذوي الامكانات المحدودة سيكونون اول العاطلين عن العمل « اذ ان المصانع ستحاول عدم اقالة المهندس ، او مراقب الحسابات او العامل المهني القديم » الذين لا تستطيع الاستغناء عنهم ، بينما تستطيع الاستغناء عن العمال غير المهنيين (دافار ، ٧٤/١١/٧) .

« ٢٥ ٪ من الاولاد يعانون من ضائقة في مجال التعليم »

توصلت لجنة كاتس الى استنتاج بأن ٢٥ ٪ من الاحداث في اسرائيل يعانون من ضائقة في مجال التعليم ، وتتمثل هذه الظاهرة في عدة نواح : (١) التواجد خارج اطار الدراسة . (٢) فشل الاولاد في دروسهم رغم وجودهم داخل اطار التعليم الالزامي . (٣) الاولاد والاحداث الذين يمارسون اعمالا عديدة ، بدون اي احتمال لاحراز تقدم مهني او اقتصادي واجتماعي . (٤) الاولاد والاحداث المتخلفين على انواعهم : ومما يزيد من حدة هذه المشكلة ، ان الجزء الاكبر من هؤلاء الاولاد نشأوا في عائلات من أصل آسيوي وافريقي (اريبه افنيري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١١/١) . وتفيد بعض الانباء ان نحو ٢٠ الف تلميذ في اطار التعليم الابتدائي قد تركوا مقاعد الدراسة ، رغم قانون التعليم الالزامي ، بينما تتحدث انباء اخرى عن مدى التخلف الثقافي بين ابناء الطوائف الشرقية ، اذ بينما تصل نسبة التلاميذ بينهم في المدارس الابتدائية الى ٦٠ ٪ ، فانها تنخفض في التعليم الثانوي الى ٣٨ ٪ ، بينما لا تتعدى نسبة الطلاب منهم في الجامعات ٨ ٪ فقط (المصدر نفسه) . وفي هذا المجال أعلن شاؤول بن سمحه ، رئيس اتحاد يهود مراكش ،ان الاتحاد انشأ صندوقا عاما لخدمة التقدم الثقافي لابناء الطوائف الشرقية، « اذ لا يمكن تحمل وضع كهذا ، لا يستطيع فيه اولاد اذكياء مواصلة دراستهم ، فقط لان ابناءهم لم يولدوا في اوروبا » (المصدر نفسه) . اما الحل في نظر « الفهود السود » فهو انه يتوجب على المدارس الابتدائية في مناطق الضائقة ان تفتح أبوابها طوال السنة ولفترة ١٢ ساعة في اليوم ، لمساعدة الطلاب على مواصلة دراستهم . « ان عدم نجاح اي طالب في امتحانات [شهادة انهاء الدراسة الثانوية] في مدينة مثل بيسان ، هو أمر يثير الاشمئزاز » (المصدر نفسه) . ولكن على

الرغم مما ذكرناه فهناك الان ، من ناحية اخرى حديث حول تجميد بناء المدارس واتباع نظام المناوبة فيها ، وذلك في اطار سياسة الكبح الاقتصادي التي تتبعها الحكومة ، ويخشى البعض من أن يؤدي ذلك الى تأزم مشاكل التعليم ، بدلا من حلها (اهرون جيفع — دافار ، ١٢/١٦/ ١٩٧٤) .

الفصل بين الطوائف في مجال السكن

رغم التخفيض المتوقع في ميزانية وزارة الاسكان خلال هذه السنة ، أعلن وزير الاسكان ابراهام عوفر انه سيتم ، ضمن الخطة الخمسية للبناء ، تخصيص ٦٢ الف مسكن للازواج الشباب و٦٤ الف مسكن للعائلات التي سيتم اخلاؤها من الاحياء الفقيرة (دافار ، ١٩٧٤/١٠/٢٩) .وكانت لجنة كاتس قد توصلت الى نتيجة مفادها ان ١٠٠ الف عائلة تسكن في مساكن غير ملائمة ، حيث يعيش ٢٥٠ الف طفل في ظروف سكنية غير محتملة . ويشير احد المعلقين (ارييه افنيري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١١/١) الى ان ظاهرة « الفصل بين الطوائف » القائمة منذ قيام الدولة، رغم انها لم تكن موجهة ، ادت الى ان معظم الاحياء الفقيرة ، والضواحي ومدن الاعمار البعيدة اصبحت مأهولة بابناء الطوائف الشرقية ، حيث « يسكن عشرات الالاف من العائلات في مساكن متداعية ، ومئات في مساكن اعلنت السلطات المحلية انها خطرة ومرشحة للهدم ، بينما بقي الاف من الازواج الشباب بدون حل سكني ، حيث يسكنون في ظروف سيئة للغاية » .

اجهزة خاصة للانعاش الاجتماعي

اقيمت في اسرائيل مؤخرا عدة اجهزة لمعالجة الاوضاع الاجتماعية ، اولها اللجنة الوزارية لشؤون الانعاش الاجتماعي ، التي يترأسها وزير الشرطة شلومو هيلل ، والمؤلفة من وزراء المالية والصحة والشؤون الاجتماعية والاعلام والتربية والزراعة والاستيعاب والاسكان والمواصلات ، ومهمتها بحث القضايا الاجتماعية ووضع الافضليات لتنفيذ المشاريع المختلفة في المجال الاجتماعي . وكانت هذه اللجنة قد شكلت في الايام الاخيرة من حكم غولده مئير . كذلك تم ، بنساء على توصيات لجنة كاتس ، تعيين العقيد (احتياط) باروخ ليفي ، مستشارا لرئيس الحكومة لشؤون الاحداث . ويفترض ايضا ان يعمل الى جانب اللجنة الوزارية والمستشار ، فريق مهني مختص بالقضايا الاجتماعية ، على غرار مجلس الامن القومي ، الذي يخطط لاقامته ، على ان يكون تابعا لمكتب رئيس الحكومة . كما يفترض تشكيل مجلس عام لشؤون الانعاش الاجتماعي ، ولجنة وزارية مشتركة على مستوى نواب المدراء العامين للوزارات ، وذلك لتنسيق الاعمال (أ. غازيت — معاريف ، ١٩٧٤/٨/١٦) . كما أقام اعضاء الكنيست من الطوائف الشرقية تنظيما لاحزبيا في الكنيست ، للبحث في المشاكل الاجتماعية « الساخنة » ، ومحاولة العمل على حلها . وعلم ان عضو الكنيست حبيب شمعوني (التجمع) يقف وراء هذا التنظيم ، اذ نجح في « تكتيل اعضاء ، موجودين معظم أيام السنة من على جانبي الخندق ، من اجل الاهتمام سوية بمشاكل الضائقة لاصحاب الدخل المحدود » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٤/١٢/٣٠) .

وكانت اللجنة الوزارية للانعاش الاجتماعي قد قامت بعد تشكيلها ببحث ما تم تنفيذه من توصيات لجنة كاتس ، والامور التي ما زالت في مجرى التنفيذ ، وكذلك تلك التي لن يكون بالامكان تنفيذها . وذكر الوزير شلومو هيلل الافضليات التي ستتبعها اللجنة في حل المشاكل الاجتماعية : حل مشاكل التعليم، دفع مخصصات للعائلات التي لا يكفيها دخلها ، اقامة مساكن في الاماكن « الضعيفة » ، الاهتمام بالتوزيع السكاني وتخطيط العائلة (المصدر نفسه) . الا انه يبدو ان انجازات الحكومة الحالية في المجال الاجتماعي ليست كبيرة حتى الان ، خاصة وان القضايا الامنية والخارجية والاقتصادية تستغرق معظم وقتها واهتمامها . ولكن بعد تزايد النشاط الفدائي ، خاصة في مستوطنات الحدود ، ادرك المسؤولون الاسرائيليون اهمية الاسراع في حل المشاكل الاجتماعية ، لان معظم المتضررين من العمل الفدائي في تلك المستوطنات هم من اليهود الشرقيين الذين يعيشون في ضائقة اجتماعية ، وعلى حد قول وزير الشرطة شلومو هيلل « فان العرب قد اكتشفوا نقطة الضعف في المجتمع الاسرائيلي ، اذ أنهم ادركوا عند ضرب كريات

شمونه ومعلوت ، انهم يهاجمون مستوطنات تعتبر قدرة امتصاصها للضربة قليلة . واذا كانوا هم قد اكتشفوا هذا ، فقد حان الوقت لان نعترف نحن بذلك ايضا (شلومو هيلل ، نقلا عن أ. غازيت — معاريف ، ١٩٧٤/٨/١٦) . وقد درجت العادة ان تسارع السلطات الاسرائيلية ، وبعد كل عملية فدائية في هذه المستوطنات ، الى اغداق الوعود على سكانها ، الذين يهبون للمطالبة بحل مشاكلهم الاجتماعية ، وتأمين مستوى معيشة ملائم لهم . ويعترف هيلل بأن « أية حكومة لم تقدم خلال زمن قصير كهذا ، التزامات واضحة في المجال الاجتماعي ، ومن قبل رئيس الحكومة نفسه ، مثل هذه الحكومة » (المصدر نفسه) . ولكن على الرغم من اطلاق التصريحات حول الحاجة الى تقليص الثغرة الاجتماعية يبدو ان الحكومة تنتهج، أحيانا ، سياسة معكوسة ، اذ يتضح من حجم الميزانية للسنة المقبلة ، انه لن يكون هناك اي تطور او انجاز على صعيد حل المشاكل الاجتماعية، وذلك نظرا للتخفيض في الميزانيات المخصصة للخدمات الاجتماعية ، مثل التعليم والاسكان والصحة والشؤون الاجتماعية وما شابه .

ومن ناحية ثانية ، دعا دكتور يسرائيل كاتس (دافار ، ١٩٧٥/١/١٠) ، وهو من ذوي الاطلاع والخبرة في معالجة مثل تلك المشاكل ، الى وضع خطة اجتماعية جديدة ، لحل مشكلة الضائقة في اسرائيل ، وذلك لعدة أسباب (ومن خلال تقديمه لهذه الاسباب يكشف عن عدة عيوب في الاوضاع الاجتماعية في اسرائيل) ، هي (١) ان اكثر من نصف الاطفال في اسرائيل لا يتلقون العناية الكافية بهم . (٢) ان اولياء اكثر من نصف الاطفال لم ينهوا التعليم الابتدائي . (٣) في احدى المدن في اسرائيل [بيسان] لم ينجح اي طالب واحد في امتحانات البغروت . (٤) ان اي مركز اقليمي ، يحاول توحيد خدمات التعليم والتربية والصحة والاهتمام الشخصي يكون خاضعا لنحو ٢٠ وحدة رسمية ، تتحمل كل منها المسؤولية . وبسبب الاختلاف في أنواع هذه الخدمات فانها غير قابلة للتنسيق ، رغم المجالس ولجان التنسيق . (٥) ان الحكم المحلي (المجالس المحلية والبلديات) الذي يفترض فيه ان يهتم بمتطلبات المواطنين ... قد تحول الى « فرع » فقير تابع للحكم المركزي ، ولا يستطيع تحقيق مشاريعه . (٦) أدت الضرورة والاستعداد للتعويض على أصحاب الدخل المحدود الى نظام غير ملائم للتعويض ، لا يسمح بمنح تعويض حقيقي . وبدلا من اتباع نظام اجور شامل — مع ضرائب ومساعدات وخدمات — تمت زيادة المساعدات فقط . (٧) هناك الاف العائلات في اسرائيل ما زالت تنجب كل سنة طفلا . (٨) ان عشرات الالاف من المواطنين الذين اعتزلوا العمل يجمعون كل ليرة اضافية لتقاعدهم . (٩) هناك ٣٠٠ الف مأجور تقريبا غير مضمونين ضمانا تقاعديا يتناسب مع دخلهم ، بسبب عدم وجود نظام تقاعدي نسبي مع الدخل ، بالنسبة للجميع. (١٠) ان مستوى العلم والتكنولوجيا في اسرائيل مرتفع نسبيا ، ولكن قلة من الخبراء والعلماء يهتمون بالمشاكل الاجتماعية .

كذلك دعا البعض الى اقامة وزارة للانعاش الاجتماعي واعادة تنظيم الخدمات الاجتماعية ، لان تقسيم الصلاحيات بين عدة وزارات وهيئات لا يساعد على حل المشاكل الاجتماعية . وفي اعتقاد عضو المكتب المركزي في الهستدروت ، نافه ايرد (في حديث لها مع هآرتس ، ١٩٧٤/١١/١٧) فان الوزارة الجديدة يجب ان تشمل جميع الخدمات الاجتماعية ، وتضم داخلها وزارة الشؤون الاجتماعية ايضا ، وتكون مسؤولة عن تنفيذ توصيات لجنة كاتس . كما ستضطر الوزارة المقترحة الى توزيع الصلاحيات بشكل صحيح بين الاقسام المختلفة ومكاتب الشؤون الاجتماعية وبين الاقسام الاجتماعية القائمة في السلطات المحلية . الا أن مدير عام وزارة الشؤون الاجتماعية ، دكتور م. أ. كورتس يعارض هذه الفكرة من أساسها لان من يعتقد ، بحسب قوله ، « ان الاعلان عن الغاء وزارة الشؤون الاجتماعية كوحدة مستقلة ... سيؤدي الى اصلاح الوضع الاجتماعي وتحسين الخدمات ... سيدرك اخيرا انه اخطأ خطأ شديدا وخطيرا» (معاريف ، ١٩٧٤/١٠/٢٨) .

حنه شاهين

[٧]

الخلافات داخل اجنحة ليكود (التكتل) ومؤتمر حيروت الاخير

نقدم في هذا العدد عرضين [٧ و٨] للوضع الراهن في كل من تكتل ليكود وكتلة المفدال ، على ان نقدم في العدد القادم عرضا للوضع الراهن في حزب العمل .

افتتح حزب حيروت مؤتمره الثاني عشر في مستوطنة كريات اربع في الخليل المحتلة ، بتاريخ ١٩٧٥/١/١٢ ، بحضور كل من رئيس الدولة افرايم كتسير ، ووزير الدفاع السابق موشي ديان ، ووزير الدفاع الحالي شمعون بيريس ، ووزير الاقتصاد السابق بنحاس سابير . واستمرت مناقشات المؤتمر في تل ابيب حتى ١٩٧٥/١/١٦ . وكانت هذه اول مرة يعقد فيها حزب حيروت مؤتمره في نطاق تكتل ليكود اليميني . وقد عقد المؤتمر بعد مرور عشرة أيام على استقالة احد الاعضاء المركزيين في الحزب ، وهو الدكتور بنيامين هليفي، الذي عكست استقالته بعض الاضواء على ما يجري داخل حيروت وداخل ليكود .

وقبل التعرض لمؤتمر حيروت الاخير ومناقشاته وقراراته لا بد من تقديم صورة عن ليكود (التكتل) اليميني وما يجري داخله منذ قيامه حتى الان .

تشكلت لجنة ليكود اليمينية في عام ١٩٧٣ اثناء الحملة الانتخابية للكنيست الاسرائيلي الثامن ، التي كان من المقرر ان تجري الانتخابات له في ١٩٧٣/١٠/٢٨ ، ولكنها تأجلت بسبب حرب تشرين الاول الى ١٩٧٣/١٢/٣١ . وبعد مفاوضات طويلة وشاقة قام ليكود ، مكتلا في اطاره الاحزاب الاسرائيلية اليمينية وهو (١) غاحل ، المكون من تحالف حزبي حيروت والاحرار منذ عام ١٩٦٥ ، وهي الكتلة الرئيسية داخل ليكود . (٢) المركز الحر ، الذي انشق عن حزب حيروت عام ١٩٦٧ بزعامة شموئيل تامير . (٣) القائمة الرسمية ، وهي جناح من حزب رافي الذي انشق عن حزب مباي قبل انتخابات عام ١٩٦٥ بزعامة دافيد بن غوريون . وقد رفض هذا الجناح العودة الى مباي في اطار حزب العمل ، عندما عاد الجزء الاكبر منه الى الحزب الام بزعامة موشي ديان وشمعون بيريس ، قبل انتخابات عام ١٩٦٦ . (٤) حركة العمل من اجل أرض اسرائيل الكاملة ، التي دخلت معركة الانتخابات عام ١٩٦٩ كحزب مستقل وفشلت . وهي حركة سياسية متطرفة تضم غلاة التوسعيين الاسرائيليين .

نشأ حزب حيروت عن المنظمة الارهابية ارغون تسفائي ليئوي (اتسل) بزعامة مناحيم بيغن بعد أن حلت هذه المنظمة في عام ١٩٤٨ ومنذ اقامة اسرائيل ظل هذا الحزب من حين لاخر (مرة كحيروت ومرة كغاحل وبعد ذلك كليكود) يضع نفسه في موضع البديل لحكم الدولة ، بدلا من مباي وحزب العمل فيما بعد ، غير انه على الرغم من ذلك لم ينجح في تسلم السلطة . الا ان قوة المعارضة اليمينية ، بزعامة بيغن ، تعززت قليلا في البرلمان بعد الانتخابات الاخيرة ، حيث ارتفع عدد مقاعدها هناك الى ٣٩ مقعدا ، موزعة على الشكل التالي : حيروت : ١٧ مقعدا ، الاحرار : ١٣ مقعدا ، المركز الحر : ٤ مقاعد ، القائمة الرسمية ٤ مقاعد ، حركة العمل من اجل ارض — اسرائيل الكاملة : مقعد واحد .

وقد حاول زعيم ليكود ، مناحيم بيغن ، بعد الانتخابات الاخيرة اظهار كتلته على انها تكتل صلب ومتماسك ، مدعيا انه توجد في البرلمان اكثرية تعارض « اعادة تقسيم ارض اسرائيل الغربية » ، وارض — اسرائيل الغربية هو التعبير الذي يطلق على فلسطين بحدودها ايام الانتداب البريطاني ، مبررا بذلك معارضته الانسحاب من الضفة الغربية او جزء منها . ولكن لم تمر بضعة أشهر على تشكيل ليكود حتى تبين ان الامر لم يكن كذلك ، فقد بدأت تظهر على السطح خلافات بين أجنحة ليكود المختلفة من جهة ، وفي داخل بعض الاجنحة من جهة اخرى . وظهر أن

هذه الخلافات تدور أيضا حول مبدأ عدم « اعادة تقسيم ارض اسرائيل الغربية » الذي اعتبره بيغن مبدأ مقدسا لا نقاش حوله (دانيئيل بلوخ — دافار ، ١٩٧٤/٧/١٧) . ورغم ان الخلافات داخل ليكود واجنحته تمتاز غالبا بكونها خلافات شخصية وتنظيمية ، وقل ما تكون مبدئية ، بـدأت تظهـر مؤخرا خلافات حول الخط السياسي الذي تتبعه الزعامة التقليدية (دانيئيل داغان — معـاريف ، ١٩٧٤/٨/٩ وشلومـو نكديمـون — يديعـوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٠) .

الخلافات داخل حيروت

شهدت حركة حيروت فـي السنوات الاخيـرة سلسلة من « الثورات » الداخلية ، ابتـداء « بثورة » شموئيل تامير في عام ١٩٦٧ ، مرورا « بتمرد » عيزر وايزمان في اواخـر عام ١٩٧٢ وانتهاء بتمرد بنيـامين هيلفي فـي بدايـة العام الحـالي .

وهناك صفة مشتركة في الحوادث الثلاث ، وهي أن معظم المعلقـين الاسرائيليين اعتبروهـا تمردا ضد زعامة بيغن الفردية ، « الذي يسيطر على ليكود بصورة مطلقة ولا يسمح للاخرين برسم خط الحزب » (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ١٩٧٥/١/٩) .

ومع ذلك فان التمرد الاخير ، وهو تمرد بنيامين هليفي ، لم يعز لاسباب تنظيمية وشخصية فقط ، وانما لاسباب مبدئية وسياسية ايضا . « فقد ثار هليفي ضد كم الافواه ، الذي ازعج تامير ووايزمن . ولكن ثمة عنصرا اضافيا بالنسبة له ، وهو الكفر الايديولوجي الذي جعله يتهم زعامة الحـزب بعدم القدرة على التكيف السياسي والحزبـي والفكري » (دانيئيل داغان — معاريف ، ١٩٧٥/١/٥) .

وكانت الطريقة التي « تمرد » بها كل مـن الشخصيات الثلاث المذكورة مختلفة . فقد استطاع شموئيل تامير في عام ١٩٦٧ احداث انشقاق داخل حيروت وانضم اليه في ذلك الوقت اليعيزر شوستاك واهود اولمرت من زعماء « نقابة العمال القومية » التي كانت تابعة لحيروت ، مما مكنه من خلق حزب جديد مستقل هو المركز الحر ، الـذي خـاض الانتخابات عام ١٩٦٩ ونجح فيها . وكان المركز الحر منذ قيامه وحتى حرب تشرين يتنافس مـع الحزب الام ، حيروت ، في التطرف القومي ورفض الانسحاب من الاراضي المحتلة . ولكن ظهر اخيرا تغيير في خط تامير السياسي ، سنقف عليه فيما بعـد .

واما عيزر وايزمان ، الذي تلقفته حركة حيروت من الجيش بعد حرب ١٩٦٧ ، واعتبرت انضمامه نصرا شعبيا لها ، وعينته وزيرا خلال الفترة التي اشتركت فيها في حكومة التكتل الوطني ، من عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠ ، « ما لبث ان خاب أمله ، ولم يجد متسعا للعيش في حركة حيروت ... التي يقوم البناء الداخلي فيها على أساس الـولاء الشخصي [للزعيم بيغن] ... » دانيئيل داغان — معاريف ، ١٩٧٥/١/٥) . وقد دفع هذا الوضع وايزمان الى التمرد على قيادة حيروت ، خـلال المؤتمر الحادي عشر للحزب الذي عقد في اواخر عام ١٩٧٢ ، وبالتالي الى استقالته من رئاسـة ادارة غاحل . وقال البعض ان اكثر ما ازعجـه هو انسحاب غاحل من الائتلاف الحكومي عـام ١٩٧٠ ، الذي أدى الى فقدانه منصبه كوزيـر للمواصلات .

لقد « سقط » وايزمان لمجرد عدم رضى مناحم بيغن عليه ، ولم ينفعه التأييد الذي لقيه من قبل جماعة كرمرمان — مريدور وهما عضوا برلمان مـن حزبه ، لهما نفوذ ما بسبب اهتمامهما بتمويـل حزب حيروت ، ورغم التأييد الذي تمتع به مـن قبل شباب الحزب (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٧/٨) . ومع ان شباب حيروت لزموا الصمت بعد انسحاب وايزمان ، الا ان البعض يقولون ان معارضتهم لم تذهب سدى « فسكوت الشباب في حيروت لا يعني انهم تخلوا عن اهدافهم . وقد برزوا كقوة داخل الحزب ، وهم يسيطرون على بعض فروع الحزب الرئيسية ويشكلون ٢٠ ٪ من اعضاء المؤتمر الثاني عشر ... ان هذه القوة لن تؤدي الى ثورة داخل هذا المؤتمر ولكنها تبشر بتغييرات [في المستقبل] لن تتمكن حتى حركـة حيروت من الحؤول دونها » (وان كسليف — هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٠) . ويبدو ان وايزمان ما زال على علاقة مع شباب حيروت ، ورغـم انسحابه من رئاسة ادارة الحزب فقد حضر المؤتمر الاخير واستقبل بالحماس والتصفيق .

أما التمرد الاخير ، وهو تمرد الدكتور بنيامين هليفي ، فقد حظي باهتمام واضح ، حيث انه لم يكن مجرد تمرد تنظيمي ، بل ايضا تمرد سياسي وايديولوجي . وقال البعض عن هليفي انه غير موقفه السياسي بعد «صدمة حرب تشرين» . لقد انتقل هليفي في عام ١٩٦٧ من المحكمة العليا الاسرائيلية الى الموقع الثالث في حزب حيروت ، وعلى غرار وايزمان اعتبر انضمامه انتصارا للحزب . وكان هليفي معروفا بمواقفه المتطرفة وتأييده لحركة ارض اسرائيل الكاملة كما كان من بين المؤسسين الرئيسيين لتكتل ليكود قبل الانتخابات الاخيرة ، عندما بادر الى ذلك اريئيل شارون (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/٣) . وقد عين هليفي من قبل حيروت عضوا في لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، وكذلك في لجنة الدستور والقانون والقضاء . ولكن تبين ان حرب تشرين اثرت على مفاهيم هليفي السياسية ، فحاول بدوره التأثير على خط ليكود السياسي ، ولما فشل بعث برسالة الى بيغن ، في ١٩٧٥/١/١ ، واعلن فيها عن انسحابه من حيروت وبقائه في ليكود . وجاء في رسالة هليفي قوله انه اتخذ قراره « بعد حساب نفس سياسي . انني لا استطيع بعد الان تحمل مسؤولية سياسة حيروت ، التي لا تلائم نفسها مع الواقع ومتغيراته ... ان حيروت لم يتعلم درس حرب تشرين ، وهو ان القوى العسكرية في المنطقة ليست هي المقررة ، بل المقرر هو قوة وسياسة الدول الكبرى . ان السياسة التي تتجاهل القوى الضخمة العاملة في الميدان الدولي ، لا يمكن ان تنجح ، والوضع يفرض علينا التصالح مع اعدائنا — جيراننا » (دافار ، ١٩٧٥/١/٢) .

وفي تصريح له لاحدى الصحف قال هليفي ، تعقيبا على استقالته « ... لقد بدأ التوتر بيني وبين قادة حيروت [بيغن — لانداو] منذ بدء المفاوضات على اقامة ليكود ، وبما انني كنت المفاوض بين الاجنحة المختلفة، اتهمت بأنني اتنازل عن مصالح غاحل لصالح الكتل الاخرى [الصغيرة] ... لقد عارض بيغن ادخال المركز الحر في التكتل ، ولكنني اقنعته بذلك ... لقد أيدت وقف اطلاق النار مع ان قيادة حزبي رفضت ذلك ... وأيدت تأجيل الانتخابات بهدف تغيير قوائم المرشحين ، ولكن هذا لم يحدث . ودعوت الى التصالح مع المعراخ ، ولكنهم عملوا على اسكاتي . ففي حيروت لا يستطيع احد ان يدافع عن مصداقية ارائه ، فيما اذا تعارضت مع افكار مناحم بيغن » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٣) .

وكانت اول مرة ظهرت فيها خلافات بنيامين هليفي مع حزبه على السطح ، عندما وقع في تموز ١٩٧٤ ، هو وشنيئور زلمان ابراموف (من ليكود) مع كل من « الحمامتين » ، آرييه الياف وشالوم ليفين (من العمل) على ما سمي « منشور الاربعة » ، الذي طالب فيه الموقعون بانضمام ليكود الى حكومة الائتلاف مع المعراخ على أساس البرنامج السياسي للحكومة ، الامر الذي ترفضه زعامة ليكود بشدة ، خاصة وان هذا البرنامج يشتمل على « التسوية الاقليمية » في الضفة الغربية (دافار ، ١٩٧٤/٧/١٧) . وقد أثار هذا المنشور غضب زعامة ليكود ، وعقدت اللجنة المركزية في حيروت اجتماعا انتقدت فيه بشدة توقيع هليفي ، حيث اتهمه احد اعضائها يتسحاق شموئيلي ، بأنه « يزرع البلبلة ويؤدي الى تدهور المعنويات » (معاريف ، ١٩٧٤/٨/٢٣)، بينما اتهمته زميلته في الحزب ، غيئولاه كوهين ، بأنه « يثير حوله ستارا من الضباب الايديولوجي ، لكي يغطي على الصدمة التي حلت به بسبب حرب يوم الغفران » (المصدر نفسه) . واما هليفي فقد دافع عن نفسه قائلا ان ٧٨ ٪ من الذين صوتوا لليكود يؤيدون توقيعه على « منشور الاربعة » ، بموجب استقصاء للرأي العام (المصدر نفسه) .

وقد اغضبت استقالة هليفي زعماء ليكود واثارت جدلا حول توقيتها وتأثيرها على حيروت وليكود ، خاصة وانها « جاءت بعد استقالة اريئيل شارون بوقت قصير ، بحيث ستسيء الى شعبية الحزب وزعيمه بيغن الذي اثبت انه لا يحتمل وجود شخصيات مركزية حوله » (دافار ، ١٩٧٥/١/٢) . وقال احد الكتاب اليمينيين ان هليفي « بدأ يتغير منذ حرب تشرين ، وغير صحيح ان اراءه تمثل الاكثرية في ليكود ومؤيديه ... ويجب عليه أن يخفف من الضجة حول استقالته » (موشي شمير — معاريف ، ١٩٧٥/١/٣) . واعتبر

البعض استقالته « ضربة شديدة لحيروت ... ولكن ليس من حق الحزب ان يطالبه باعادة مقعده في البرلمان ، لانه لم يحصل عليه بفضل الحزب ... » (دافيد علنادي — معاريف ، ١٩٧٥/١/٦) .

الخلافات داخل حزب الاحرار

بدأ المعلقون الاسرائيليون يتحدثون عن نشوب خلافات داخل حزب الاحرار منذ تموز ١٩٧٤ ، واعتبرت هذه الخلافات وكأنها تمرد ضد الخط السياسي لزعامة غاحل . وكان ابرز المتمردين على قيادة الحزب ارئيل شارون ، الذي برز كشخصية مستقلة لا تستطيع التأقلم مع خط وافكار زعامة الحزب وزعامة ليكود ، الامر الذي جعله يستقيل من عضوية البرلمان ويعود الى الجيش ، عندما سنحت له الفرصة لذلك . ولكن التمرد داخل حزب الاحرار لم يقتصر على شارون فقط ، بل كان « اوسع من التمرد في حيروت خاصة وان ثلاثة من اعضائه البارزين وقعوا على منشور يدعو الى الاعتراف بالكيان الفلسطيني والى الحوار مع الفلسطينيين ، وهم شلومو لاهط ، رئيس بلدية تل ابيب ، ويسرائيل بيليد رئيس بلدية رامات غان ، وعضو الكنيست يحزقيئيل بلومين » (شلومو نكديمون — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٨/٨) . وقد كانت لهذا المنشور ردود فعل صاخبة داخل حزب الاحرار وداخل ليكود ، كما حدث بالنسبة لـ « منشور الاربعة » المذكور . وفي ١٩٧٤/٧/١٨ عقدت ادارة حزب الاحرار اجتماعا لمناقشة التوقيع على ذلك المنشور ، حيث انتقد رئيس الحزب الدكتور ريملط الموقعين عليه ، بقوله ان ذلك يعد « خروجا على طاعة الحزب » (هآرتس ، ١٩٧٤/٧/١٩) . وقد دافع يسرائيل بيليد عن موقفه وموقف رفيقيه في الاجتماع مهاجما زعامة الحزب لانها « لا تلائم نفسها مع التطورات السياسية » (المصدر نفسه) . وعلق احد المتخصصين في شؤون الاحزاب على ذلك بقوله ان المعارضة داخل حزب الاحرار وباقي اجنحة ليكود كانت موجودة قبل الحرب ، ولكنها قويت بعدها ، واضاف ان « هناك اعضاء في ادارة حزب الاحرار ولجنته المركزية ، ينتقدون التشدد والتطرف والدوغماتية لدى زعامة الحزب وزعامة ليكود مما يضع العقبات امام دخول التكتل الى الحكم » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٤/٧/٢٤) . وكتب المعلق نفسه ان الثلاثة الذين وقعوا على « منشور الفلسطينيين » ، يحظون بتأييد « الجيل الصاعد » في حزبهم ، وكذلك « الحلقة الفكرية » للشباب فيه . وقد ظهر ان الكثيرين في حزب الاحرار عارضوا نشاطات الاستيطان التظاهرية في تموز الماضي في سبسطية وغيرها . « وبعد محاولة الاستيطان في سبسطية عمت الفوضى تكتل ليكود ، وظهر أن بعض اعضاء حزب الاحرار يتخذون مبادرات مشتركة مع حزب العمل [للتصدي لعمليات الاستيطان غير المنظمة] مما دفع البعض في حزب العمل الى محاولة اشراك الاحرار في حكومة الائتلاف بدلا من المفدال ... » (المصدر نفسه ، ١٩٧٤/٧/٣٠) .

وتمرد بعض الاعضاء في حزب الاحرار لم يكن موجها ضد زعامة الحزب فقط بل ضد زعامة ليكود أيضا . ففي اجتماع اللجنة المركزية لحزب الاحرار في بداية آب الماضي أعلن احد اعضاء اللجنة مئير ميبر « ان قيادة ليكود تعيش في الماضي . اننا لا نستطيع دفن رؤوسنا في الرمال ، ونقول : الفلسطينيون يوك ! » (دانييل داغان — معاريف ، ١٩٧٤/٨/٢) . وقد ذكرت بعض المصادر ان رئيس حزب الاحرار الدكتور ريملط نفسه ، الذي يحافظ على علاقات وثيقة مع بيغن ويعمل على تماسك ليكود ، يعارض محاولات الاستيطان في الضفة الغربية التي تنظمها اوساط اليمين (معاريف ، ١٩٧٤/٨/٧) .

ومن الجدير بالذكر ، ان محاولات جرت لتوحيد حزب الاحرار مع القائمة الرسمية ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل حتى الان ، لان ذلك سيخلق حلفا متوازنا مع حزب حيروت في التكتل ، مما سيغضب مناحم بيغن . وبحسب اتفاقية تأسيس غاحل لا يستطيع احد الحزبين ، الاحرار او حيروت ، الاتحاد مع حزب ثالث بدون استشارة وموافقة الحزب الاخر . ومن ناحية ثانية هناك من يعارض الاتحاد في كل من الاحرار والقائمة الرسمية . وكان بعض اعضاء القائمة الرسمية قد اتهموا الاحرار بأنهم يريدون « استغلال حزبهم للوصول الى الحكم ولانهم يريدون الافادة من الاموال التي تدر على حزبهم » (شلومو نكديمون

— يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١٠/٤) . وذكر أيضا ان بعض اعضاء القائمة الرسمية يعارضون، من ناحية ثانية ، الاتحاد مع الاحرار « لانهم يريدون ترك الباب مفتوحا لعودة كتلة رافي اليهم فيما اذا انسحبت من التجمع (المعراخ) الحاكم» معاريف ، ١٩٧٤/١٢/٢٣) . واما معارضو الاتحاد في حزب الاحرار « فهم قلائل ، ويخافون من الاضرار بتكتل ليكود » (المصدر نفسه) . وقد ذكرت بعض المصادر ان شموئيل تامير رئيس حزب المركز الحر « يؤيد فكرة اتحاد الاحرار والقائمة الرسمية ، رغبة منه بتكوين احلاف ضد مناحم بيغن » (دانيئيل داغان — معاريف ، ٨/٩/ ١٩٧٤) .

الخلافات داخل المركز الحر

للمركز الحر اربعة اعضاء في البرلمان ، ويتفق معظم المعلقين الذين حللوا شؤون الحزب الداخلية في الاشهر الماضية ، ان الاربعة منقسمون الى فريقين ، يعارض كل منهما الاخر . ويضم الفريق الاول رئيس الحزب شموئيل تامير وعضو الكنيست عكيفا نوف . بينما يتألف الفريق الثاني من النائبين اليعيزر شوستاك واهود اولمرت وقد اعتبر المعلقون الخلافات بين الفريقين خلافات سياسية وتنظيمية وشخصية . فمن جهة ، « يظهر تامير ونوف اعتدالا سياسيا واما شوستاك واولمرت فيؤيدان خط حيروت السياسي » (شلومو نكديمون — يديعوت احرونوت، ١٩٧٤/٨/٨).ومن جهة اخرى ، « يريد الفريق الاول تقاربا اوثق مع بقية كتل ليكود ، والفريق الثاني يؤيد محافظة المركز الحر على طابعه المستقل ويعارض ايضا حكمتامير الفردي » (المصدر نفسه) . وفي اعتقاد بعض المعلقين ان شموئيل تامير حدث له بعد حرب تشرين ما حدث لبنيامين هليفي ، وراح يتجه نحو الاعتدال « فبعد أن رفع حرب ١٩٦٧ شعار : « أرض محررة — لا تعاد ! » بدأ بعد حرب تشرين يظهر اعتداء سياسيا [في موقفه] تجاه الضفة الغربية » (شلومو نكديمون — يديعوت احرونوت، ١٩٧٤/١٠/١١) . وكان تامير قد عبر عن مواقفه المخالفة لمواقف زعامة ليكود عندما دعا الى تأليف لجان نظرية لصياغة واضحة على عدة مسائل اساسية ، منها : ١ — هل يؤكد ليكود الذهاب الى مؤتمر جنيف ؟ ٢ — هل نؤيد تسوية مع الملك حسين ؟ ٣ — هل نؤيد التنازلات لمصر ؟ ٤ — هل نحن مستعدون لدمج وتوطين لاجئين في الدولة ؟ » (معاريف ، ١٩٧٤/٨/٧) . وهذه المواقف تتعارض مع موقف بيغن الذي « يعتقد انه لا توجد أي امكانية للسلام مع العرب » (المصدر نفسه). ومن ناحية ثانية ، يظهر تامير تعاونا مع بنيامين هليفي المستقيل من حيروت ، ويحاول التقرب من الاحرار، بينما يعارض الفريق الاخر ذلك (معاريف، ١٩٧٤/٨/٩) .

الخلافات داخل القائمة الرسمية

للقائمة الرسمية ايضا اربعة مقاعد في الكنيست، واعضاؤها — كما هو الحال بالنسبة للمركز الحر — منقسمون الى فريقين متعارضين ايضا ، يضم الاول رئيس الحزب يغئال هوروفيتش والنائب امنون لين ، بينما يتكون الثاني من النائبين زلمان شوفال ويتسحاق بيرتس . « والفريق الاول قريب من مواقف زعامة حيروت ، واما الفريق الثاني فمقرب من الاحرار » (شلومو نكديمون — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٨/٨) . وهذا بالاضافة الى الخلاف داخل الحزب حول فكرة الاتحاد مع الاحرار ، ولكن الخلاف هنا ليس بين الفريقين المذكورين بل يقال انه بين النواب وبعض اعضاء الحزب (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١٠/٤) .

أما بالنسبة للجناح الاخير من ليكود وهو « حركة العمل من اجل ارض اسرائيل الكاملة » فلا يبدو ان هناك خلافا داخل الحركة ، القريبة من زعامة حيروت المتطرفة (يديعوت احرونوت، ١٩٧٤/٨/٨) .

المؤتمر الثاني عشر لحزب حيروت

يفهم مما تقدم ان زعيم ليكود بيغن ، الذي نجح في عقد الجلسة الافتتاحية لمؤتمر حيروت الثاني عشر في الخليل المحتلة (بحضور رئيس الدولة الذي انتقده البعض لحضوره « مؤتمرا حزبيا خارج حدود اسرائيل » — هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٠) ، دخل المؤتمر وهو يحظى بالتعاون الكامل من قبل رئيس حزب الاحرار ، الدكتور ريملط ، ومع زعماء حركة ارض اسرائيل الكاملة ، ومع النائبين شوستاك واولمرت من المركز الحر ، بينما يحافظ رئيس هذا الحزب شموئيل تامير على علاقات عادية « ولو ظاهريا » مع بيغن (شلومو نكديمون — يديعوت

احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٠) ، وكذلك بتعاون وثيق مع زعيم القائمة الرسمية هورونيتش ونائبها امنون لين . ولوحظ ان شباب حيروت الذين أيدوا عيزر وايزمان في حينه ، وكانت لهم منذ ذلك الوقت مطالب تنظيمية ، دخلوا المؤتمر وهم يشكلون قوة لا بأس بها، فقد مثلهم ٢٠٠ مندوب من بين مجموع مندوبي المؤتمر البالغ ٩٠٠ (راا ، ١٩٧٥/١/١٥) .ولوحظ ايضا صدق توقعات بعض المعلقين من أن الدكتور عليفي « اقترف خطأ تكتيكيا » بانسحابه من حيروت قبل انعقاد المؤتمر ، لان اسمه لم يذكر حتى فـي الاجتماع التمهيدي ، ولم يكن هناك من يدافع عـن مواقفه المبدئية (شلومـو نكديمون — يديعـوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/١٠) .

وكما كان متوقعا ركز المؤتمر من خلال الخطاب الرئيسي لمناحم بيغن والمناقشات والقرارات ، حول « شؤون الخارجية والامن » اكثر من اهتمامـه بالشؤون الداخلية ، وهي « الآفة » التي يعاني منها حيروت منذ اقامته ، وكثيرا ما جعلته يخسر تأييدا انتخابيا بسبب عدم اهتمامـه بالشـؤون المحلية . وفي الوقت نفسه دار جزء كبير مـن النقاش حول الشؤون التنظيمية واتخذت قـرارات جديدة في هذا المجال ، وهو ما يعتبر نجاحا لحركة الشباب في الحزب .

وكما توقع البعض لم تأت القرارات السياسية في المؤتمر بأي جديد وبقيت مبادىء حـيروت السياسية كما كانت ، وهي تتلخص فيما يلي : « ١ — تجسيد حق شعب اسرائيل على كل ارض اسرائيل . ٢ — السعي للسلام الحقيقي مـع العرب ، وهذا السلام معناه عقد معاهدة سلام. ٣ — بدون سلام (اي قبل ابرام معاهدة سلام) لا يجوز الانسحاب من أي منطقة ، بما في ذلـك ابو رديس والممرات في سيناء » (يديعوت احرونوت، ١٩٧٥/١/١٣) .

ولكن بما ان جناح حيروت اتهم بالتطرف والتشدد حتى من قبل بعض اعضاء ليكود ، وهو اللون الذي يكاد يطغي على ليكود بأسره فقد حاول منـاحم بيغن في خطابه التحدث عن السلام ، بل قـدم « خطة سلام » مكونة من ٨ نقاط ، للرد على هذه الاتهامات من جهة ، ولكي يظهر امام الجمهـور الاسرائيلي ان باستطاعته ان يكون البديل لحكومة رابين في محاولات احلال السلام من جهة اخرى.

ومع ذلك كان حديثه عن السلام خاليا من أي امكانية عملية لتحقيقه ، كما يتبين من مقترحاته : « ١ — هدنة مع الدول العربية لمدة ثلاث سنوات كمرحلة اولية . ٢ — تنطبق هـذه الهدنـة على الجيوش النظامية والمنظمات المسلحة . ٣ — خلال الهدنة تبذل المساعي لابرام معاهدة سلام توضـع الحدود بموجبها . ٤ — تبذل المساعي لحل مشكلة اللاجئين العرب واللاجئين اليهود مـن الـدول العربية . ٥ — كل حكومة تعين ممثليها فـي المفاوضات . ٦ — تجري المفاوضات بالتنـاوب في القدس وفي عواصم الدول المجاورة ، او فـي مكان محايد كجنيف ، او لوزان او سان ريمو . ٧ — كل جانب يستطيع تقديم اي اقتراح يرتأيه، من خلال الاعتراف المتبادل باستقلال وسيادة الدول المتفاوضة . ٨ — ترسل حكومة اسرائيل رسالة رسمية تحمل هذه المقترحات الى الدول العربيـة المعنية والى كل الدول التي تقيم علاقات ديبلوماسية مع اسرائيل وكذلك ... الى الرأي العام العالمي عن طريق وسائط الاعلام » (المصدر نفسه) .

واتخذت قرارات اخرى في مجـال السياسة الخارجية مثل عدم اعـادة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي « قبل اطلاق سراح جميع اسرى صهيون والسماح بالهجرة ووقف ملاحقـة اليهود في الاتحاد السوفييتي » (راا ، ١٦/١/ ١٩٧٥) . واتخذت أيضا قرارات في الشؤون الداخلية ، في مجال التعليم والصحة والاقتصـاد واصلاح الجهاز الضريبي والتحكيم الالزامي فـي نزاعات العمل ، والمعروف ان هـذه القرارات ليست جديدة بل دخلت برنامج حيروت منذ عـام ١٩٤٨ .

وعلى الصعيد التنظيمي، استجاب المؤتمر لبعض مطالب حركة الشباب في الحزب ، فالغيت لجان التعيين لقوائم مرشحي الحزب وتقرر انتخـابهم بشكل مباشر بواسطة اللجنة المركزية . كذلـك تقرر زيادة عدد اعضاء اللجنة المركزية من ٢٧٧ عضوا الى ٤٣٢ عضوا ، وقـد انتخب عيـزر وايزمان عضوا فيها ودخلها عدد من الشباب ، واعيد انتخاب مناحم بيغن رئيسا لحركة حيروت (راا ، ١٩٧٥/١/١٧) . وتقرر ايضا تشكيل « حكومة ظل » بحيث تعين شخصيات يهتم كـل منها بناحية معينة . ولكن حتى هـذه التغييرات

التنظيمية فقد وصفت بأنها « مجـرد تغيـيرات شكلية ، ولا تشكل تحولا حقيقيا » (د. جوتمان — را ، ١٩٧٥/١/١٧) .

وقد لخصت افتتاحية في صحيفة هـــآرتس (١٩٧٥/١/١٤) ما دار في مؤتمر حـيروت بقولها : « تحول مؤتمر حيروت الى تظاهرة من أجل توحيد كامل التراب الاسرائيلي ... لقـد تحدث بيغن كمن سيدعى غدا او بعد غد لتأليف حكومة اسرائيل ، سواء اذا جرت انتخابات جديدة او لم تجر ، فركز على شؤون الخارجية والامن ، وتحدث عن الشؤون الداخلية كمن يؤدي واجبـا فقط . ان هذا لمولن يقود حيروت او ليكـود ، لان يصبح بديلا لتسلم سلطة الدولة وتعصب بيغن القومي — الديني لا يكفي لتغيير توازن القـوى الحزبية . لقد كان من الواجب عليه ان يبـدي اعتدالا اكثر في السياسة الخارجية وان يركز اكثر على شؤون المجتمع والاقتصاد والقضايا الداخلية. ولكنه لم يفعل ، مما يبدد الامل بأن يصبح حيروت [أو ليكود] بديلا لحكم الدولة » .

يوسف حمدان

[٨]

الحزب الديني القومي (المفدال) يتجه نحو انقلاب داخلي او انفصال

منذ شكل يتسحاق رابين الحكومة الاسرائيلية الجديدة في ١٩٧٤/٦/٣ ، والتي لم تضم وزراء من الحزب الديني القومي (المفدال) للمرة الاولى — بعد ان كانوا حلفاء تقليديين في الحكم لحـزب مباي ، ومن ثم حزب العمل — بسبب عدم قبول الشروط المسبقة التي وضعها هذا الحزب ، ظهرت في المفدال بوادر صراع بين جناحين رئيسيين : الزعامة التقليدية من جهة ، وكتلة الشباب في الحزب من جهة اخرى . وعندما عادت زعـــامة المفدال التقليدية الى الائتلاف الحكومي في ١٠/٣٠/ ١٩٧٤ تعمق هذا الصراع الى حد جعل المراقبين الاسرائيليين يتوقعون حدوث انقلاب داخلـي او انفصال داخل هذا الحزب . فاوساط الشبـاب تعمل الان بنشاط داخل الحزب وخارجه علـى تأسيس حركة دينية — قومية جديدة « بهدف اسقاط الزعامة التقليدية ، او اعلان حزب ديني قومي جديد ، اذا لم ينجحوا باسقاط الزعامة » (م . شمرياهو — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٠ ، وانظـر أيضا ران كسليف — هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٣)

وقبل التعرض لاخر مراحل هـــذا الصراع وطبيعته واحتمالاته ، لا بد من تقديم لمحة موجزة عن هذا الحزب ، ومن ثم العوامل التي دفعته الى عدم دخول الائتلاف الحكومي الاخير ، ثم عودة الجزء الاكبر منه الى هذا الائتلاف .

تعود الجذور التاريخية للحزب الديني القومي الى التيار الديني في الحركة الصهيونية ، ذلـك التيار الذي نشأ في فترة « احباء صهيون » ، خلال العقدين الاخيرين من القرن الماضي ، ودخل طور التنظيم مع تأسيس المنظمة الصهيونية العالميـة سنة ١٨٩٧ على شكل تجمعات دينية تسعى الى فصل شؤون الديانة والثقافة عن نشاطات المنظمة الصهيونية ، والى اعطاء طابع ديني تقليـدي للمشروع الصهيوني في فلسطين . وفي سنة ١٩١٢ نشأت عن هذه الاوساط الدينية منظمة «همزراحي» (اختصار للاسم : « المركز الروحاني ») ، التي انبثقت منها فيما بعد حركة « العمل والتوراة » . وبعد تأسيس نقابة العمال العامة «الهستدروت»، اسس العمال المتدينون من اتباع حركة « العمل والتوراة » نقابة العمال المتدينين « هابوعيـل همزراحي » التي كان لها التمثيل الخاص فـي المنظمة الصهيونية العالمية قبل اقامة اسرائيل ، اسوة بمنظمة «همزراحي» . ومع تأسيس اسرائيل تحولت كلا مـن « همزراحي » و « هـابوعيـل همزراحي » الى حزبين سياسيين دينيين دخـلا

الانتخابات البرلمانية ، واصبح لهما تمثيل في الكنيست ومؤسسات الدولة الاخرى . وفي سنة ١٩٥٦ اتخذ « همزراحي » و«هابوعيل همزراحي» فكونا الحزب الديني القومي (المفدال) . وفي الانتخابات الاخيرة ، التي جرت في ١٩٧٣/١٢/٣١، حاز الحزب على ١٠ مقاعد في الكنيست مقابل ١٢ مقعدا في الكنيست السابق .

ومنذ قيامه ، أصبح المفدال شريكا لمباي ، ثم حزب العمل ، في اقامة الائتلاف الحكومي ، وذلك استمرارا « لتقليد » ائتلاف الحركة الدينية الصهيونية مع الحركة العمالية في ادارة المنظمة الصهيونية العالمية قبل اقامة اسرائيل ، واصبحت وزارات الاديان والداخلية والشؤون الاجتماعية « حكرا » له ، وعمل من خلال ذلك ، تدريجيا ، على ترسيخ الطابع الديني في المجتمع الاسرائيلي وعلى دمج الدين بالدولة . وقد أقام لهذا الهدف منظمات واتحادات ثقافية واجتماعية ورياضية تابعة له ، مثل « بني عكيفا » ، « الشباب الديني العامل » « اليتسور » ، وادخل تيار التعليم الحكومي — الديني في المدارس الاسرائيلية واقام مدارس دينية (« يشيفوت ») عديدة وكذلك جامعة بار — ايلان .

حتى عام ١٩٧٠ ، بدا المفدال وكانه يمتاز عن غيره بالتماسك والوحدة الداخلية وانعدام الكتل فيه ، ويعزى ذلك الى زعامة موشي حاييم شابيرا القوية ، الذي تركت وفاته في ذلك العام فراغا في الحزب ، مما ادى الى بداية غليان داخله ، كما عبر عن ذلك احد زعماء الحزب ، يوسف بورغ (عل همشمار ، ١٩٧٤/١١/١) . ومنذ ذلك الوقت راحت الانقسامات تظهر داخل الحزب ، واتضح انه يتكون من عدة كتل متميزة هي : كتلة « لامفنيه » (اي : من اجل التجديد) ويتزعمها يوسف بورغ ، وكتلة «ليكود وتموراه» (أي : التكتل والتغيير) ويتزعمها يتسحاق رفائيل . وتسيطر هاتان الكتلتان على ٥٢ ٪ من مؤسسات (وأصوات) الحزب . أما المجموعة الثالثة فهي كتلة الشباب بزعامة النائبين زفولون هامر ويهودا بن مئير ، والرابعة هي الكتلة المركزية بزعامة النائب والوزير سابقا ، زيراح فيرهافتيغ . وتسيطر هاتان الكتلتان على ٣٤ ٪ من مؤسسات الحزب . والى جانب هذه الكتل الرئيسية هناك كتل صغيرة ، هي الموشافيم والكيبوتس المتدين والسفارديم (موشي مايزلس — معاريف ، ٢٤/١/١٩٧٥) .

المفدال ... وشروطه للانضمام للحكومة

اعتاد المفدال بعد كل انتخابات ان يقدم شروطا لدخوله الائتلاف الحكومي وهي الشروط التي كان يتركز معظمها على تقوية سيطرة الدين على الدولة في اسرائيل من جهة ، وتفويض المفدال بتنفيذ ذلك من جهة اخرى ، وبعد مفاوضات مع حزب الاغلبية (العمل) ، كان يدخل الائتلاف بعد التوصل الى حل وسط . ولكن بعد الانتخابات الاخيرة ، ونتيجة لضغط كتلة الشباب داخل الحزب من جهة ، وبسبب اضعاف حزب العمل في البرلمان من جهة اخرى ، وضع المفدال شروطا اعتبرت انها متشددة ، فلم يستطع يتسحاق رابين التوصل الى حل معه ولم ينضم الى الائتلاف الحكومي في حزيران ١٩٧٤ . ولكن رابين ، عند اعلانه عن تشكيل حكومته يومها ترك الوزارات التي كان يشغلها اعضاء من المفدال شاغرة لمدة ثلاثة اشهر ، تستمر خلالها المفاوضات مع الحزب على أمل ان يتوصل الفرقاء الى حل وسط ويعود المفدال الى الحكومة . فكانت هناك جولة مفاوضات في تموز ١٩٧٤ ، انتهت بالفشل ، ثم تبعتها جولة اخرى في أيلول وتشرين الاول ١٩٧٤ انتهت بعودة زعماء الحزب التقليديين الى الحكومة بعد ان تخلوا عن معظم شروطهم . ولكن كتلة الشباب رفضت الانضمام الى الحكومة ، واصبحوا منذ ذلك الوقت اخطر من مجرد معارضة داخل الحزب، وتحولوا الى تهديد للزعامة التقليدية .

الزعامة التقليدية تتخلى عن شروطها

اقتصرت الشروط التي وضعها المفدال لدخول الائتلاف الحكومي على : (١) اجراء تعديل على قانون العودة ، وبالتحديد تعديل الفقرة الخاصة باعتناق الديانة اليهودية ، بحيث يسجل كيهودي من مر في مراسم تغيير الديانة على الطريقة الارثوذكسية فقط . (٢) اقامة حكومة تكتل وطني . (٣) عدم الانسحاب من الضفة الغربية « واعادة تقسيم ارض — اسرائيل » .

منذ ان طرحت هذه الشروط بدا ان اثنين من زعماء المفدال ، يوسف بورغ ويتسحاق رفائيل ،

أخذا يتظليان تدريجيا عنها بينما أصر عليها الشباب بزعامة يهودا بن مئير وزغولون هامر .

اما بالنسبة لشرط تعديل قانون العودة ، او ما عرف بمسألة « من هو اليهودي » فقد مرت صيغة هذا الشرط بأربع مراحل . ففي المرحلة الاولى ، اي قبل تشكيل حكومة رابين ، كان المطلب تعديل فقرة القانون الخاصة باعتناق الديانة اليهودية . اما في المرحلة الثانية ، اي في تموز ١٩٧٤ ، فقد اقترحت صيغة جديدة تحال المسألة بموجبها الى لجنة وزارية ، تحاول التوصل الى حل بعد مرور سنة ، بينما وعد حزب العمل المفدال بالتصويت من اجل التعديل فيما اذا لم يتم التوصل الى تسوية . وفي المرحلة الثالثة اقترحت صيغة تجميد تسجيل معتنقي الديانة اليهودية ، من كل التيارات ، الى ان يتم عمل اللجنة الوزارية الخاصة . اما في المرحلة الاخيرة فقد « تخلى زعماء المفدال عن التعديل ، وحتى عن التجميد » (ران كيسليف — هآرتس ، ١/١١/ ١٩٧٤) .

اما شرط اقامة حكومة تكتل وطني فقد سقط منذ آب ١٩٧٤ ، « لانه كان عقبة امام المفدال في طريق العودة الى الحكومة » (حوتام ، ٣٠/٨/١٩٧٤) .

وبالنسبة لشرط عدم الانسحاب في الضفة الغربية ، فقد تخلت زعامة المفدال (بورغ — رفائيل) عن موقفها المتشدد وقبلت دخول الحكومة بموجب الاسس التي قام عليها الائتلاف الحكومي المكون من المعراخ (التجمع) والاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن ، وهي الاسس التي تنص على « التنازل الاقليمي » في التسوية مع الاردن .

ان مرحلة المفاوضات الطويلة هذه ، التي بدأت بتصلب المفدال وانتهت بتنازل زعامته التقليدية ، تلقي الاضواء على مواقف كل من الفريقين المتصارعين في المفدال من جهة ، وعلى مواقف الكتل المشتركة في الائتلاف الحكومي من جهة اخرى .

مواقف زعامة المفدال

يرى بعض المراقبين الاسرائيليين ، ومنهم النائب العمالي الحاخام مناحم هكوهين ، ان زعامة المفدال « وضعت [قبيل دخولها الحكومة] شروطا « ايديولوجية » ظنا منها أنها ستتوصل الى حل وسط تدخل بعده الحكومة ، ولكن خاب املها عندما ضعف حزب العمل في الانتخابات ، وكان عليه ان يحسب حساب كل تهديد من قبل حزب مبام او حزب الاحرار المستقلين . وقد قيد هذا حزب العمل في مجال الاقتراب نحو المفدال ، الامر الذي جعل زعامة المفدال المتلهفة على دخول الحكومة تتنازل تدريجيا عن شروطها « الايديولوجية » ... » (يديعوت احرونوت ، ٣٠/١٠/١٩٧٤) . كذلك يبدو ، من جهة اخرى، ان المفدال اعتقد بأن « حكومة رابين ، التي قامت على أغلبية مقعد واحد في البرلمان [٦١ من١٢٠ مقعدا] والتي تنبأ الجميع في اسرائيل وخارجها بأنها لن تعمر طويلا ، ستسقط بسرعة فعلا . وقد خاب امل المفدال عندما ثبتت هذه الحكومة، ولم يجد طريقا لدخولها الا طريق التخلي عن « المبادىء » ... » (المصدر نفسه) . وبالفعل ، نقل احد المراسلين عن زعماء المفدال قولهم «اخطأنا ... لقد ظننا ان حكومة الواحد وستين مقعدا لن تصمد طويلا ... » (موشي مايزلس — معاريف ، ٤/١٠/١٩٧٤) .

وخلال المرحلة الثانية من المفاوضات لدخول المفدال الائتلاف الحكومي اتهم بعض نواب المفدال المعارضين زعامتهم انها لن تتوانى عن عمل أي شيء لكي تدخل الحكومة . وقال بعضهم عن يتسحاق رفائيل انه « سيدخل الحكومة ولو على حمالة الجرحى ! » ، بينما وصفوا يوسف بورغ « انه خارج الحكومة ، كالسمكة على الارض ! » (اريبه افنيري — يديعوت احرونوت ، ٥/٩/ ١٩٧٤) . كذلك اتهم زعماء المفدال ايضا انهم ، الى جانب رغبتهم القوية في العودة الى الحكومة، يريدون دخولها لمواجهة افلاس مالي يواجهه حزبهم، مما دفع سكرتير عام الحزب، تسفي بيرنشتاين الى اصدار تصريح لتكذيب هذا الاتهام (معاريف ، ١٤ /١٠/١٩٧٤) .

مواقف الشباب

عندما نشلت المفاوضات لضم المفدال الى الحكومة في تموز الماضي ، قيل عن زعماء الحزب ، وخاصة يتسحاق رفائيل ، انهم شعروا بخيبة الامل ، واما الشباب « فقد خالجهم السرور بسبب

هذا الفشل ... انهم في حقيقة الامر غير متصلبين في مسألة من هو اليهودي بل في موقفهم من اجل اقامة حكومة تكتل وطني . ان موقفهم هو قطع الرابطة التاريخية التي تربط حزبهم بمباي ، وفي مقابل ذلك التقرب الى ليكود على أساس برنامج ارض اسرائيل الكاملة ... » (ي. بيتسور — معاريف ، ١٩٧٤/٧/١٩) . وأيد هذا الرأي معلق اخر عندما شرح مواقف الشباب قائلا : « ان شباب المفدال يعارضون قيادتهم ويشدون الحزب نحو اليمين . انهم لا يعترفون بالتحالف التاريخي مع مباي . انهم من اجل ارض اسرائيل الكاملة وينادون بالاستيطان اليهودي الواسع النطاق [في المناطق المحتلة] وباقامة حكومة تكتل وطني. لقد ارادوا اقامة معارضة قوية مكونة من المفدال وليكود والجبهة التوراتية ، تسيطر على ٥٤ مقعدا وتتمكن من اسقاط حكومة رابين وتأليف حكومة تكتل وطني ... » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٤/٩/٢٧) .

لقد نجح شباب المفدال في افشال المفاوضات خلال تموز ١٩٧٤ لضم حزبهم الى الحكومة.وذكر ان الشباب هم الذين دفعوا الحزب الى التشاور مع الحاخامية الرئيسية حول مسألة من هو اليهودي ، مما اثار استياء مبام والاحرار المستقلين وحركة حقوق المواطن ، الذين يرفضون ان تقرر هذه الهيئة الدينية في أمور سياسية مثل اقامة ائتلاف حكومي (شلومو نكديمون — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٩/٢٤) ، وهو ما جعلهم يصرون على موقفهم الرافض لضم المفدال الى الائتلاف . كذلك فسر اشتراك زفولون هامر ويهودا بن مئير في محاولات الاستيطان التظاهرية في سبسطية ، في تموز الماضي ،على انه كان محاولة لنسف المفاوضات الائتلافية في ذلك الوقت ، خاصة وان مبام اشترط دخول المفدال الائتلاف ، في ذلك الوقت ، بادانة علنية لنشاطات الاستيطان التي لا تقرها الحكومة (المصدر نفسه) . ولكن زعامة المفدال تجنبت عقبة الحاخامية في المرحلة التالية من المفاوضات ، « فقد وجد يتسحاق رفائيل طريقه الى الحاخام مناحم هكوهين من حزب العمل ، المقرب الى رابين والى الحاخام الاكبر غورن ، وقد ارسل هكوهين ايضا في زيارة سرية الى الولايات المتحدة لاقناع الحاخامين هناك ، وهكذا نجح رفائيل في تحييد الحاخامية في موضوع الائتلاف» (ارييه افنيري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٦/٤) .

ولكن الصراع بين الفريقين في المفدال لم يتوقف، على الرغم من ذلك ، وراح يتخذ شكلا اعلاميا في الصحف ، فأكثر زفولون هامر من كتابة المقالات في صحيفة يديعوت احرونوت ،موضحا أن انضمام المفدال الى الحكومة « له مساوىء اكثر من المحاسن . فالسلطة اضرت بالناحية الفكرية ، والوظائف أضرت بنوعية الحزب ... يجب خلق علاقة قوية مع الشعب وكسب ثقته عن طريق التخلي عن السلطة لاسباب مبدئية ، ويجب الاهتمام بالناحية القومية الدينية » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٨/٢٧) . واما الزعامة التقليدية فدافعت عن مواقفها عن طريق الصحف أيضا فروجت ، من جهة ، ان زفولون هامر سيصبح وزيرا عند انضمام الحزب الى الائتلاف الحكومي، وأعلنت من جهة ثانية ، ان عدم انضمام المفدال « سيهدد المكاسب التي حققتها الحركة الدينية القومية » (النائب أ. ابو حصيرة — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٩/٩) .

مواقف شركاء الائتلاف في حكومة رابين

كما كان لكتلة الشباب في المفدال دور نشيط في عرقلة عودة هذا الحزب الىالائتلاف الحكومي،كان لكتل الشباب في الاحزاب الاخرى التي كونت حكومة رابين دور مماثل ، وان كان أقل نشاطا ووضوحا (ويبدو ان هناك ظاهرة عامة بالنسبة للاحزاب الاسرائيلية ، بعد حرب تشرين ، هي تعزيز دور الشباب فيها) . فشباب مبام وشباب الاحرار المستقلين اتخذوا موقفا مغايرا لموقف الزعامة خلال المفاوضات لضم المفدال للحكومة ، وعندما اجتمعت اللجنة المركزية لحزب مبام في ١٠/١٠/١٩٧٤ لمناقشة اقتراح رابين بضم المفدال أبدى الشباب تشددا في موقفهم ، مما دفع سكرتير الكيبوتس القطري التابع لمبام الى القول ان ضم المفدال مفيد « لان من شأنه ان يحدث انقساما بين المعتدلين والمتطرفين في الحزب [المفدال] . وان رابين في حاجة الى مزيد من القوة لكي يقود سياسة التنازلات الاقليمية (معاريف ، ١٠/١١/١٩٧٤) . وكانت اللجنة المركزية للمبام قد وزعت نشرة داخلية تحض على ضم المفدال « لان موشي

ديان ويوسف الموغي وابا ايبن يحاولون اسقاط الحكومة . وضم المفدال سيحول دون نجاحهم » (دافار ، ١٩٧٤/٩/٢٤) .

كذلك اتخذ شباب الاحرار المستقلين الموقف نفسه ، فقد « وافقت الاغلبية في ادارة الحزب على اقتراح رابين حول ضم المفدال ، واما كتلة الشباب في الحزب فقد طلبت تأجيل النقاش » (معاريف ، ١٩٧٤/١٠/١١) . كذلك وقفت جماعة من نواب حزب العمل ضد ضم المفدال ، وبرز فيها يتسحاق بن اهرون ، اريه اليائف ، يوسي سريد ، استر هرليتس ، شالوم ليفين ، عوزي فاينرمان ، موشي كرمل وعادي اموراثي (معاريف ، ١٩٧٤/٧/٢٤) . واما بالنسبة لحركة حقوق المواطن ، بزعامة شولاميت الوني ، فقد عارضت الاغلبية فيها انضمام المفدال ، ثم استقالت الوني من الحكومة عندما تم ذلك .

أما الاسباب التي قيل أنها دفعت كل هؤلاء الى معارضة دخول المفدال الحكومة فقد كانت عديدة ، واهمها : ان انضمام المفدال سيقوي جناح الصقور داخل الحكومة ، ثم تأييد المعارضين للمطالبة بفصل الدين عن الدولة ، ولاعتقادهم ان حكومة رابين ثبتت بدون انضمام المفدال . ومع ذلك وافقت الاغلبية في احزاب الائتلاف ، بعد التنازلات التي قدمتها زعامة المفدال ، على دخوله الحكومة . ويبدو ان مخاوف رابين من امكانية اسقاط الحكومة بواسطة ديان كانت اهم دافع لذلك ، « فقد قال رابين لكل من قادة مبام والاحرار المستقلين انه يخشى من اسقاط حكومته بواسطة ديان . وقد ساعده ديان نفسه في اقناعهم برأيه هذا ، عندما وقع على وثيقة ليكود [الداعية الى عدم الانسحاب من اي جزء من الضفة الغربية] ... » (ران كسليف — هآرتس ، ١٩٧٤/١٠/١) .

وكانت نتيجة هذه المعركة ان وافقت الاغلبية في احزاب الائتلاف ، ما عدا حركة حقوق المواطن ، على ضم المفدال ، وفي ١٩٧٤/١٠/٣٠ صادق الكنيست بأغلبية ٥٩ عضوا ضد ٥٢ عضوا على دخول المفدال الى الحكومة . وكانت الاحزاب التي صوتت مع ضم المفدال : المعراخ (تجمع العمل ومبام) والمفدال والاحرار المستقلين . أما الاحزاب المعارضة فكانت ليكود وراكاح وحركة حقوق المواطن وموكيد . وامتنع كل من زفولون هامر ويهودا بن مئير (المفدال) وآرييه اليائف (العمل) عن التصويت . ولم يحضر الجلسة كل من ديان وسابير وايبن ، الذين كانوا في خارج البلاد (دافار ، ١٩٧٤/١٠/٣١) .

وقبل ذلك اجتمع شباب المفدال وقرروا رفض انضمام حزبهم الى الحكومة ورفضوا الاقتراح بتعيين احد زعمائهم وزيرا . وهكذا أصبح يتسحاق رفائيل وزيرا للاديان ويوسف بورغ وزيرا للداخلية وميخائيل حزاني وزيرا للشؤون الاجتماعية (دافار ، ١٩٧٤/١٠/٣١) . وكانت الطريقة التي دخل بها المفدال الحكومة دليلا واضحا على ان الصراع داخل الحزب لم يصل الى نهايته فحسب ، وانما اتخذ شكلا اكثر خطورة .

اسقاط الزعامة التقليدية او الانفصال

يعتقد زفولون هامر ان زعامة حزبه التقليدية ، بمواقفها وسلوكها ، تسيء الى الحزب « فبعد ان كان تمثيلها السياسي ١٠ ٪ اصبح الان ٨ ٪ فقط . هذا مع ان قوته في مجال التعليم والتربية الدينية تصل الى نسبة ٣٠ ٪ » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/١٠/٩) . ويبدو ان هامر وزميله بن مئير يعتقدان ان حركة المتدينين القوميين تواجه أزمة قيادة ولا تكن الاحترام لقادة مثل يتسحاق رفائيل ويوسف بورغ ، ومن هنا يأمل الشباب بأن يصبحوا البديل للزعامة التقليدية بعد اسقاطها واحتلال مواقعها .

لقد اتضح من مواقف شباب المفدال ، بعد انضمام زعامة الحزب الى الحكومة الائتلافية ، انهم وضعوا نصب اعينهم هدفين ، اولهما تأسيس حركة منظمة داخل وخارج المفدال ، تعمل — مستقلة أجهزة الحزب ومؤسساته — على اسقاط الزعامة التقليدية ، وبالتحديد يتسحاق رفائيل ويوسف بورغ . أما الهدف الثاني فهو الاعلان — ان لم ينجحوا في اسقاط الزعامة التقليدية ، قبل اقتراب موعد الانتخابات القادمة للكنيست التاسع التي يفترض ان تجري سنة ١٩٧٧ — عن تأسيس تنظيم سياسي ديني جديد ، بموازاة المفدال آملين أن يكون اقوى منه ، ويخوضون معركة الانتخابات القادمة بشكل مستقل .

وكانت اللجنة المركزية لكتلة الشباب في الحزب قد أعلنت ، بعد انضمام الجزء الاكبر من المفدال الى الحكومة ، انها ستجتمع « لتناقش المسيرة من اجل تجديد وجه الحزب وطريقه ... والشباب لا يستبعدون امكانية الانشقاق واقامة حركة دينية قومية [منفصلة] ... » (يديعوت احرونوت، ١٩٧٤/١٠/٢٩) . وبعد انضمام حزبهم للحكومة اصدر بن مئير وهامر بيانا جاء فيه : « اننا لا نستطيع تأييد هذه الحكومة التي لم تثبت حتى الان ، انها بحجم الظرف الذي تعيشه ، او أنها تعي خطورته ، فبدلا من الاعتراف بيقظة الشعب وبحركة الاستيطان التي قامت ، تعمل على محاربة هذه اليقظة وهذه الحركة » (هآرتس ، ١٠/٣١/ ١٩٧٤) .

وظهر اتجاه الشباب « الانفصالي » ليس في مناقشات الكنيست فقط ، « حيث امتنع زفولون هامر ويهودا بن مئير عن التصويت مع الحكومة، وهما يتخذان مواقف مستقلة اثناء المناقشات ولا يترددان في التصويت ضد راي الزعامة التقليدية » (عوزي بنجيمان — هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٩) ، بل على الصعيد التنظيمي ايضا ، حيث « اخذا يعملان في الاسابيع الاخيرة على اقامة حركة دينية قومية جديدة . وهذه الحركة لا يوجد لها اسم حتى الان ، ولكن يوجد لها اطار وايديولوجية... انهما يقيمان خلايا عمل ويريدان التوصل الى الف خلية وينشطان في اوساط المتدينين المثقفين وحركة الاستيطان الدينية وشباب بني عكيفا . وتعتمد قاعدتهم التنظيمية على جمهور ناخبيهم ، وهم اوساط الشباب في المفدال وغوش ايمونيم » (المصدر نفسه) .

مع ذلك أعلن الشباب انهم غير عازمين على الانسحاب من المفدال في هذه المرحلة « اعتقادا منهم ان الظروف اصبحت مهيئة لاسقاط الزعامة التقليدية واستبدالها . ويساعدهم في ذلك سممة يتسحاق رفائيل غير الطيبة ، بسبب ارتباطه بعدة قضايا مشينة ... » (م. شمرياهو — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٠) .

من جهة اخرى ، اجرى الشباب اتصالات مع الكتلة المركزية في المفدال بزعامة زيراح فيرهافتيغ « واقاموا تحالفا معه ضد زعامة بورغ — رفائيل، ويحاولون ضم حركة الكيبوتس المتدين الى هذا التحالف » (دافار ، ١٩٧٥/١/٢٠) . وقد شملت معركة الشباب ضد يتسحاق رفائيل بشكل خاص المجالس المحلية وفروع الحزب ، حيث نجحوا في اسقاط ممثله في بلدية نيس تسيونا ، ونجحوا ايضا في اسقاط ممثله في ادارة فرع الحزب في تل ابيب (هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٧) .

أما زعامة الحزب التي يقلقها نشاط الشباب « فقد اخذت تجري اجتماعات صاخبة في القسطل [مقر الحزب] مع الشباب ، وهددتهم انهم فيما اذا استمروا بنشاطهم التنظيمي فستحاربهم شعبيا وسياسيا وتنظيميا » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٤) . ويعتقد المراقبون ان الانقسام في الحزب ، اذا وقع ، « سيكون بطيئا وتدريجيا ... وفي نهاية الاسبوع تشكلت لجنة مصالحة لمنع الانفصال مؤلفة من رفائيل وفيشلر من كتلة لامفنيه ، ومن هامر وبن مئير من كتلة الشباب ... ولكن يبقى السؤال : هل ستنجح هذه اللجنة في رأب الصدع ؟ » (المصدر نفسه) .

وعلى أية حال ، فسواء انشق شباب المفدال عن الحزب الام أم بقوا داخله ، فأن نشاطهم ليس الا دعما لجناح الصقور في اسرائيل عامة .

ي. ح.

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٩٧٤/١١/١٣ — ١٩٧٥/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١	— ١١/١١	٢٣٠٠	رشون ليتسيون(١)	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	—	—	تفجير المتجرة الرئيسية لشركة بونية حيث أتت النيران على كافة محتوياتها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٠	١١/١٢
٢	— ١١/١٢	٢٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد		تدمير واشعال النيران في عدد من المتاجر في شارع عجدود هاعبري	—	—	—	رقم٧٤/٣٢١	١١/١٣
٣	— ١١/١٣	٢٠٤٠	صفد	هجوم	صواريخ	غيرمحدد		اصابة بعض منشآت العدو العسكرية غرب المدينة	—	—	—	رقم٧٤/٣٢١	١١/١٤
٤	— ١١/١٤	٢١١٠	كريات شمونة	هجوم	صواريخ	غيرمحدد		اصابة بعض الاهداف العسكرية قرب المدينة	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٢	١١/١٤
٥	— ١١/١٥	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	ادعى العدو بأنه تمكن من اكتشاف العبوات داخل الباصات وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٣	١١/١٥
٦	— ١١/١٤	—	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مستودعات عسكرية في ميناء حيفا مقابل مجروت دجون واتلاف وتدمير ما فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٣	١١/١٥
٧	— ١١/ ٣	—	خان يونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		قتل وجرح افراد دورية	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٤	١١/١٦
٨	— ١٠/٢٣	—	خان يونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		قتل وجرح افراد دورية للعدو قرب بقالة عيسى عاشور	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٤	١١/١٦

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
٩	١٠/٢٣	—	خان يونس	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارتين عسكريتين للعدو وقتل وجرح من فيهما	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٤	١١/١٦
١٠	١١/١٦	—	الخضيرة	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير منشآت عسكرية في معسكر للمظليين بأحد الغابات قرب مستوطنة مدراخ واشعال النيران في الغابة وامتدادها الى مسافة ٥٠٠ دونم	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٥	١١/١٦
١١	١١/١٦	—	كريات اربع/الخليل	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير مطعم يرتاده بعض أفراد ضباط وجنود العدو	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٦	١١/١٦
١٢	١١/١٦	—	تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد	اشعال النيران داخل الورشة العسكرية لصيانة الزوارق الحربية في شارع يشفاهو على نهر اليركون	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٧	١١/١٧
١٣	١١/١٦	—	الخليل	القاء قنبلة	قنبلة حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في استراحة في ساحة الحرم الابراهيمي وامتدادها الىانابيب الغاز وتفجيرها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٨	١١/١٧
١٤	١١/١٦	—	حلحول/كريات اربع	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة الحاكم العسكري لمدينة الخليل وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٢٩	١١/١٧
١٥	١١/١٧	١٥٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير عدد منواجهات المحلات التجارية فيشارع مدباربران في حي رامات أشكول	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٠	١١/١٧

١٦ — ١١/١٧	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير مدخل مبنى للضباط في في حي رامات أشكول واصابة مبان اخرى بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٣١	١١/١٧
١٧ — ١١/١٧	—	شمال نهاريا	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	دام الاشتباك عشرين دقيقة	١	١	—	رقم٧٤/٣٣٢	١١/١٨
١٨ — ١١/١٨	١٧٠٠	تل ابيب(٢)	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد	اشعال النيران في ثلاث طبقات داخل الورشة الصناعية العسكرية لتجميع أجهزة الاتصال الالكترونية الواقعة في شارع رمبام وقد أتت النيران على جميع محتويات الورشة	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٣	١١/١٨
١٩ — ١١/١٨	—	تل ابيب(٢)	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	غيرمحدد	اشعال النيران واتلاف محتويات ورشة عسكرية للعدو في شارع نحــــلات بنيامين	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٤	١١/١٨
٢٠ — ١١/١٧	—	القدس	قصف	صواريخ	— —	تم اكتشافها قبل انطلاقها بربع ساعة في حي الشيخ جراح وابطل مفعولها	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٦	١١/١٩
٢١ — ١١/١٩	١٥٠٠	بيت لحم	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٧	١١/١٩
٢٢ — ١١/٢٠	—	بين الخليل والقدس	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير باص لجنود العــدو وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٨	١١/٢٠
٢٣ — ١١/٢٠	—	جبل الخليل	استيلاء	—	— —	تدمير باص بعد الاستيلاء عليه وسحب تصاريح العمل من العمال العرب وانذارهم من عدم العمل في مصانع العدو	—	—	—	رقم٧٤/٣٣٩	١١/٢١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٢٤	١١/١٦	—	اوريهودا/جنوب شرق تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير أجزاء كبيرة من منزل نائب رئيس المستوطنة وتدمير سيارته	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٠	١١/٢١
٢٥	١١/٢٦	—	ايلات	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تم الهجوم على أحد المقاهي التي يرتادها ضباط مخابرات العدو في حي الالف	—	—	—	رقم٧٤/٣٤١	١١/٢٧
٢٦	١١/٢٦	—	جنين	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة عدد من جنود العدو الـذين كانوا يحـاصرون مدرسة حيفا الثانوية	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٢	١١/٢٨
٢٧	١١/٢٨	—	كرياتجات(٤)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير خط سكة الحديد وخروج قطار وعربات عن الخط الرئيسي وتعطيله	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٣	١١/٢٩
٢٨	١٢/ ١	—	الريحانية/الجليل الاعلى	اقتحام وكمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت	٢	—	—	رقم٧٤/٣٤٤	١٢/١
٢٩	١١/٣٠	٢٠٣٠	غزة	تفجير	عبوة ناسفة	— —	تدمير سيارة أحد ضباط المخابرات واصابة المباني المجاورة بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٥	١٢/١
٣٠	١١/٢٧	—	الخليل	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في أحـد الكراجات بباب الزاوية وحرق بعض باصات شركة ايجد	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٦	١٢/٤
٣١	١١/٢٣	—	عرقوب أبوزرقا /الغور	تفجير	ألغام مسيطر عليها فنيا	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٧	١٢/٦

٣٢ — ١٢/ ٥	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	١ —	تدمير سيارة ضباط المخابرات	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٨	١٢/٦
٣٣ — ١٢/ ٦	١٠٠	روش‌هنقار/ الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	استمرت المعركة حتى الساعة ١٦،٣٥ من بعد ظهر يوم ١٢/٦	—	—	—	رقم٧٤/٣٤٩	١٢/٦
٣٤ — ١١/١٦	—	مستعمرة الرابية	تفجير	لغم	غيرمحدد	تدمير مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٠	١٢/٧
٣٥ — ١١/٢٥	—	مستعمرة باميت/ جنوب رفح	تفجير	لغم	غيرمحدد	تدمير سيارة مهندسين عسكريين وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٠	١٢/٧
٣٦ — ١٢/ ٨	—	بئر السبع	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تمكن العدو من اكتشاف العبوة قبل انفجارها داخل أحد الباصات في المحطة وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم٧٤/٣٥١	١٢/٨
٣٧ — ١٢/ ٨	١٣٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مستودع للغاز في شارع باماي باضرار كما أصيبت المباني المجاورة	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٢	١٢/٨
٣٨ — ١٢/١١	٢٢١٥	تل ابيب	تفجير وهجوم	عبوات ناسفة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير مبنى سينما « حين » واصابة عدد كبير من افراد العدو بين قتيل وجريح	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٤	١٢/١٢
٣٩ — ١٢/١٢	—	هود شارون/ بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة أحد الضباط واصابة مبان مجاورة لها بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٥	١٢/١٣
٤٠ — ١٢—١٢/١٣	—	صفد وبدون	تصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٦	١٢/١٣
٤١ — ١٢/١٣	—	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من السيارات واصابة بعض المباني بأضرار	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٧	١٢/١٣
٤٢ — ١٢/١٤	٤٠٠	المنارة	تفجير واشتباك	عبوات وأسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة منشآت بأضرار	٤	—	—	رقم٧٤/٣٥٨	١٢/١٤

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٤٣	١٢/١٤	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير أجزاء من منزل أحد ضباط جيش العدو	—	—	—	رقم٧٤/٣٥٩	١٢/١٥
٤٤	١٢/١٤	—	قرية بتير/غرب القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير خط سكة الحديد وعبارة وتعطيل الحركة على الخـط	—	—	—	رقم٧٤/٣٦٠	١٢/١٥
٤٥	١٢/١٥	—	كفار يول	اقتحام	قذائف صاروخية	غيرمحدد		تدمير دبابة واعطاب اخرى واصابة افرادها كما أصيبت بعض الاهداف الاخرى	—	—	—	رقم٧٤/٣٦١	١٢/١٦
٤٦	١٢/١٥	—	بين كريات جات ونوعم(٥)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير ست عربات من قطار وتعطيل الخط كما أصيب عدد من الافراد	—	—	—	رقم٧٤/٣٦٢	١٢/١٦
٤٧	١٢/١٧	٢١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير الطابق الاول من فندق هاديروت هرائيل وامتداد النيران الى الطوابق العليا حيث أتت النيران على بعض محتوياته	—	—	—	رقم٧٤/٣٦٣	١٢/١٨
٤٨	١٢/١٧	—	ريشون ليتسيون	تفجير	عبوات ناسفة	١	—	تم اكتشاف العبوة ولدى تفكيكها انفجرت وقتلت خبير المتفجرات وأصابتعددا آخر	—	—	—	رقم٧٤/٣٦٤	١٢/١٨
٤٩	١٢/٢٠	١٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية واصابة افراد دوريــة في شارع بن يهودا	—	—	—	رقم٧٤/٣٦٥	١٢/٢١
٥٠	١٢/٢٢	—	بين القدس وأريحا	هجوم	تنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد		اصابة سيارات الاوتوبيس وقتل وجرح عدد من ركابه	—	—	—	رقم٧٤/٣٦٦	١٢/٢٢

٥١ — ١٢/٢٨	—	دورا/الخليل	هجوم	تنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٤/٣٦٧	١٢/٢٨
٥٢ — ١٢/٣١	١٩٠٠	بين البني روبين ومستوطنة شامير	اقتحام	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مجنزرة وسيارة جيب عسكرية وموقع صهيوني وقتل وجرح افراده	٣	—	—	رقم ٧٥/١	٧٥/١/٢
٥٣ — ١ /١	١٩١٥	بين يفتاح والمنارة	كمين	تذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير عربة مدرعة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٢	١/٢
٥٤ — ١ /١	—	بين زرعيت وكبريتا	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير ناقلة وقتل وجرح منفيها	—	—	—	رقم ٧٥/٣	١/١
٥٥ — ١ /١	—	دان	اقتحام	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مفرزة للعدو واسكات موقع رشاش متوسط	—	—	—	رقم ٧٥/٤	١/٣
٥٦ — ٣ /١		عين التينة/جبل دوف	هجوم وكمين	أسلحة صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير مركز المراقبة وتدمير سيارتين وقتل وجرح من فيهما	—	—	—	رقم ٧٥/٥	١/٤
٥٧ — ٥ /١	١١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير عدة محلات داخل سوق محنىيهودا واشتعال النيران فيها كما تم اكتشاف عبوة أخرى في منطقة باب الخليل وتم ابطال مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٦	١/٥
٥٨ — ٤ /١	—	أسدود	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير سيارتين لضابطين من ضباط العدو واصابة بعض الحراس بجروح والمباني بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٧	١/٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٥٩	٥ /١	١٢٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة موتوتة مشركة	١	—	تم اكتشاف العبوة عند موقف الباصات على مفرق شارع الملك جورج وشارع هليل الا ان العبوات انفجرت وقتلت خبير المتفجسرات وأصابت عددا آخر	—	—	—	رقم ٧٥/٨	١/٥
٦٠	٦ /١	٢٠٠	تل ابيب(٦)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مستودع للمواد الكيماوية التابعة لجيش العدو الواقعة على تقاطع شارع اللنبي ـ همشمال وامتدت النيران الى المباني المجاورة وأتت على عـدة محلات وأبنية	—	—	—	رقم ٧٥/٩	١/٦
٦١	١ /١	—	قرية صفا/غرب رام الله	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير باص بعد الاستيلاء عليه وتحذير العمال العرب من عدم العمل في مصانع العدو	—	—	—	رقم ٧٥/١٠	١/٦
٦٢	١ /١	—	رام الله	هجوم	قنابل حارقة	—	—	تدمير مكتب السياحة واتلاف جميع محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/١١	١/٦
٦٣	٩ /١	—	بئر السبع	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير بعض الاماكن التجارية داخل الحيالتجاري واصابة واصابة أماكن أخرى بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/١٢	١/٩
٦٤	٩ /١	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تمكن العدو من اكتشاف العبوة في أحـد المباني السكنية وابطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/١٢	١/٩

٦٥ — ١/١١	٦٤٠	جبات الزيت/جبل الشيخ	كمين	تذائف صاروخية وتنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير مجنزرتين للعدو	—	—	—	رقم ٧٥/١٣	٦/١١
٦٦ — ١/١١	٦٢٠	تل رويسات العلم/ جبل الشيخ	اقتحام	تنابل يدوية وأسلحة رشاشة	١٢ —	تدمير موقع للعدو وتدمير عدد من الآليات واعطاب بعضها	—	١	—	رقم ٧٥/١٤	٩/١٢
٦٧ — ١/١٨	٧٠٠	بين طمون وطوباس	كمين	تنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير باص محمل بجنود العدو وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم ٧٥/١٦	٦/١٢
٦٨ — ١٢/٢٤	—	العوجا	تفجير	ألغـــام	٢ —	تدمير بلدوزر	—	—	—	رقم ٧٥/١٧	٦/١٢
٦٩ — ١/ ١	١٨٠٠	البرج/غور الاردن	تفجير	ألغـــام	غيرمحدد	تدمير نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/١٧	٩/١٢
٧٠ — ١/١٢	٦٠٠	بير الحفن/بين قصاعيوت — وابو عجيلة(٧)	تفجيروكمين	ألغام وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير باص محمل بالجنود وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم ٧٥/١٩	٦/١٥
٧١ — ١/١٤	—	الخليل	هجوم	أسلحة رشاشة وتنابل يدوية	٢ —	تدمير باص لشركة ابجد وقتل سائقه ومساعده	—	—	—	رقم ٧٥/٢٠	٦/١٥
٧٢ — ١/١٥	١٨٠٠	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع للابس جنود العدو واتلاف الاته ومحتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٢٢	١/١٦
٧٣ — ١/١٥	—	اوت هكيكار/جنوب البحر الميت(٨)	كمين	أسلحة رشاشة وتنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٢٣	٦/١٦
٧٤ — ١/١٢	—	صنا/غرب رام الله	استيلاء	—	— —	الاستيلاء على باص يقل عمالا عرب وتدميره بعد انزال العمال منه وتحذيرهم من العمل في مصانع العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٢٤	٦/١٥
٧٥ — ١/١٦	٢٢٠٠	المطلة	قصف	قذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ٧٥/٢٦	٦/١٧
٧٦ — ١/١٧	١٠٠	زرعيت	كمين	أسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير احدى آليات العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٢٧	٩/١٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٧٧	١/١٨	٢٣٣٥	زرعيت	اقتحام	أسلحة صاروخية ورشاشة وقنابل يــدوية	غيرمحدد		تدمير عدد من مراكز العدو الهامة في المستوطنة وتدمير عدد من الآليات	٣	١	—	رقم ٧٥/٢٨	١/١٨
٧٨	١/١٨	١٨٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير أجزاء كبيرة من مبنى يسكنه أحد ضباط مخابرات العدو في حي مصرارة	—	—	—	رقم ٧٥/٢٩	١/١٩
٧٩	١/١٩	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تمكن العدو من اكتشاف العبوة أسفل صهريج للوقود في حي البقعة وتم ابطال مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٢٩	١/١٩
٨٠	١/١٩	—	الخضيرة/شمال شرق تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير أجزاء كبيرة من كابلات الهاتف واتلاف معداتها	—	—	—	رقم ٧٥/٣٠	١/٢٠
٨١	١/٢١	—	ريشون ليتسيون(٩)	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة بيت أحد ضباط مخابرات العدو بأضــرار جسيمة في حي رمات الياهو	—	—	—	رقم ٧٥/٣١	١/٢٢
٨٢	١/١٣	٢٣٠٠	الخليل	تنجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير عدد من باصات العدو واعطاب باصات أخرى في أحد كاراجات شركة ايجد	—	—	—	رقم ٧٥/٣٢	١/٢٢
٨٣	١/٢١	—	بين الخليل وبيتلحم	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها والاستيلاء على وثائق من داخلها	—	—	—	رقم ٧٥/٣٣	١/٢٥
٨٤	١/٢٢	—	ناثانيا	هجوم	قنابل يدوية حارقة	غيرمحدد		تدمير ناد للضباط واتلاف محتوياته وقتل وجرح عدد من الضباط	—	—	—	رقم ٧٥/٣٤	١/٢٥

٨٥ — ١/٢٥	١٠٠٠	مخيم الشاطىء/ غزة	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٣٥	١/٢٥
٨٦ — ١/٢٥	—	مخيم الشاطىء/ غزة	هجوم	قنابل يدوية حارقة	غيرمحدد	للمرة الثانية تم قتل وجرح مجموعة من جنود العدو	—	—	—	رقم٧٥/٣٦	١/٢٥
٨٧ — ١/٢٥	١٩٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقــة	غيرمحدد	اشعال النيران في فندق بركلن في حي الشيخ جراح واتلاف محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٣٧	١/٢٦
٨٨ — ١/٢٨	١٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة حارقــة	غيرمحدد	تدمير الجزء الشرقي من فندق شيراتون واشــعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٣٨	١/٢٨
٨٩ — ١/٣٠	١٩٠٠	القسطل/غرب القدس	تفجير	عبوة موقوتة لاصقة ١	—	تدمير سيارة عسكرية وقتل الرائد حنانيا ربيبو وجرح مرافقيه	—	—	—	رقم ٧٥/٣٩	١/٢١
٩٠ — ٢ /٢	٨٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة موقوتة	غيرمحدد	تدمير باص للعدو في شارع يحزكيل داخل حي النجارية	—	—	—	رقم ٧٥/٤٠	٢/٢
٩١ — ٢ /٢	١٩٣٠	بين القدس ورام‌الله	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من منزل لاحد ضباط مخابرات العــــدو واحراق محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٤١	٢/٣
٩٢ — ٢ /٢	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوة قبل انفجارها وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٤١	٢/٣
٩٣ — ٤ /٢	١٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة ايجد بالقرب من مقر الكنيست	—	—	—	رقم ٧٥/٤٢	٢/٤
٩٤ — ٤ /٢	١٢٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوة في شارع يافا في باص لشركة ايجد وابطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٤٣	٢/٥
٩٥ — ٤ /٢	٢٣٤٥	ناثانيا	هجوم								
٩٦ — ١/٢٨	—	ناثانيا	القاء قنبلة	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير ناد ليلي وتحــطيم معظم محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٤٣	٢/٥
				قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة تستعمل كنادليلي	—	—	—	رقم ٧٥/٤٢	٢/٤

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
٩٧	٢/ ٤	٢٤٠٠	طبريا(١٠)	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد		اشعال النيران في داخل السوق القديم وأتت على عدة محلات تجارية بكاملها	—	—	—	رقم ٧٥/٤٤	٢/٥
٩٨	٢/ ٥	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد		تدمير سيارة لاحد ضباط المخابرات في حديقة ماميلا	—	—	—	رقم ٧٥/٤٥	٢/٥
٩٩	٢/ ٥	٨٣٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة حـــارقة	١	—	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ٧٥/٤٦	٢/٦
١٠٠	١/٢١	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٤٧	٢/٧
١٠١	٢/ ١	—	بين بيت حانون ودير سنيه/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير جزء كبير من باص لشركة ايجد وقتل وجرح من فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٤٧	٢/٧
١٠٢	٢/ ١	—	الشمالية	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	—	القيت القنبلة على سيارة عسكرية ولكنها لم تنفجر	—	—	—	رقم ٧٥/٤٧	٢/٧
١٠٣	٢/ ٨	٢١٥	أسدود	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد		تدمير سبع محلات تجارية ومطعم ميم وانهيار عـــدة أبنية من شدة الانفجار في شارع شبيل سيون	—	—	—	رقم ٧٥/٤٨	٢/٨
١٠٤	٢/ ٨	—	حيفا	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	—	—	اصابة سيارة أحد ضباط مخابرات العدو بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٤٩	٢/٩
١٠٥	١/٢٣	٢١٣٠	بين الخليل والفوار	كمين	أسلحة رشاشة	غيرمحدد		اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٥٠	٢/١٠

الحواشي

١ — ادعى العدو بأن الاضرار التي لحقت بمنجرة « هدروم » بلغت ١٠٠ الف ليرة واعترف بأنه الحريق الثاني في المنجرة خلال شهر (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧١٣ ، صفحة ٤٩٩ ، بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢٣) .

٢ — ٣ — اعترف العدو بأن حريقا شب في منطقة نحلات بن يامين في تل ابيب وشب حريق آخر في شارع رمبام بحانوت كبيرة ومصنع للفرشايات بينما كان الحريق الاول في مصنع وحانوت . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل، عدد ٦٨٦ ، صفحة ٥١٨ ، بتاريخ ١٩٧٤/١١/١٠) .

٤ — اعترف العدو بأن حركة القطارات توقفت على خط النقب بعد ان خرجت قاطرة شحن عن الخط وادعى بأن الحادث وقع لاسباب فنية . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٦٩٣ ، صفحة ٧٧٠ بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٩) .

٥ — اعترف العدو باستئناف حركة السكك الحديدية بعد انهاء عملية انقاذ العربات الست التي خرجت عن الخط وهي محملة بالفوسفات بين تل ابيب وبئر السبع والنقب . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٠٧ ، صفحة ٣٢٩ ، بتاريخ ١٩٧٤/١٢/١٦) .

٦ — اعترف العدو بأن حريقا قد سبب في مستودع الدهانات في بناية من اربع طبقات في زاوية شارعي همشمال واللنبي في تل ابيب . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٢٠ ، صفحة ١٢١ بتاريخ ١٩٧٥/١/٦) .

٧ — ادعى العدو بأن ٣٦ جنديا اصيبوا اثر حادث انقلاب لباص لشركة ايجد عند أحد المنعطفات . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٢٦ ، صفحة ٢٩٤ ، بتاريخ ١٩٧٥/١/١٤) .

٨ — ادعى العدو بأن اثنين من مجنديه قد قتلا وجرح اثنان آخران نتيجة لانقلاب سيارة عسكرية بهم . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٢٨ ، صفحة ٣٧٢ ، بتاريخ ١٩٧٥/١/١٦) .

٩ — ادعى العدو بأن الانفجار كان نتيجة لتسرب الغاز من فرن غاز (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٣٣، صفحة ٥٢٢، بتاريخ ١٩٧٥/١/٢٢).

١٠— اعترف العدو بأن حريقا شب في سوق طبريا القديم وأتى على عدة « بسطات » . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٤٦ ، صفحة ١٣١ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/٦) .

ملاحظة : أ — قام العدو اعتبارا من ١٩٧٥/١/١٢ بمحاولة احتلال قرية كفرشوبا في جنوب لبنان ممهدا لذلك بقصف مدفعي كثيف بقنابل منثارية وفسفورية كما حاول اقتحام القرية عدة مرات دارت على اثرها معارك واشتباكات عنيفة كما حاول دفع بعض قواته ايضا الى قرية راشيا الفخار ومناطق اخرى. كما قام بتاريخ ١/١٥ بقصف لمخيم الرشيدية وشمال الناقورة . ويمكن مراجعة التفاصيل في البلاغات الصادرة عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ارقام ٧٥/١٨ ، ٧٥/٢١ ، ٧٥/٢٥ ، ٧٥/٢٦ .

ب — قامت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في ١٩٧٤/١١/١٩ بمهاجمة مقر المخابرات في مدينة بيسان واحتجاز عدد من الرهائن ولكن القــــوات الاسرائيلية هاجمت المبنى واستشهد المناضلون الثلاثة ونكل بجثثهم . وقد اعترف العدو بأن اصاباته كانت اربعة قتلى وثلاثة وعشرين جريحا .

حـ — تصدر التصريحات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٩٧٤/١١/١٣ — ١٩٧٥/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	خسائر العدو البشرية جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	١١/١٤	—	كريات شمونه	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	لم تقع أية اصابات رغم الاحتفال الذي كان يقام في قاعة سينما «شمير»	—	—	—	ن.عدد٦٨٣ص٣٩٥	١١/١٥
٢	١١/١٤	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في باص لشركة ايجد وابطل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٦٨٣ص٣٩٦	١١/١٥
٣	١١/١٤	—	حيفا	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم الانفجار في كوخ قائم في موقف للسيارات	—	—	—	ن.عدد٦٨٤ص٤٤٠	١١/١٨
٤	١١/١٧	٢٠٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة الثالثة في القدس في شـــارع باركوخبا وابطل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٦٨٤ص٤٥٧	١١/١٨
٥	١١/١٧	—	رأس الناقورة	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	١	١	—	ن.عدد٦٨٥ص٤٨٢	١١/١٩
٦	١١/١٩	٥٠٠	بيسان(١)	اقتحام	أسلحة مختلفة	٤	١٨	—	٣	—	—	ن.عدد٦٨٥ص٤٨٧	١١/١٩
٧	١١/١٩	—	حوريف/بيتلحم	تفجير	عبوة حارقة	—	—	القيت العبوة على سيارة ولكنها وقعت عـــلى الطريق	—	—	—	ن.عدد٦٨٦ص٥٢٨	١١/٢٠
٨	١١/٢٠	٧٣٠	الخليل	استيلاء	أسلحة رشاشة	—	—	الاستيلاء على باص يقل عمال عرب وتدمير الباص بعد انزال ركابه	—	—	—	ن.عدد٦٨٧ص٥٥٧	١١/٢١

٩ — ١١/٢٢	—	كريات شمونه	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	لم تقع اصابات	—	—	—	ن٠عدد٦٨٨ص٥٩٦	١١/٢٣
١٠ — ١١/٢٩	—	كيبوتس دان	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	٥	—	—	ن٠عدد٦٩٣ص٧٨١	١١/٢٩
١١ — ١١/٣٠	—	أشدود	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير سيارة مدير وكالة الملاحة «رانكو» وتهشم الزجاج في الابنيـــة المجاورة	—	—	—	ن٠عدد٦٩٥ص٢٤	١٢/٢
١٢ — ١١/٣٠	٢٢٣٠	الريحانية	اقتحام	أسلحة مختلفة	١	١	تم الاستيلاء على منزل وقد تم أسر الفدائيين	—	١	١	ن٠عدد٦٩٥ص٢٧	١٢/٢
١٣ — ١٢/ ٥	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة موظف جمارك بأضرار بالغة	—	—	—	ن٠عدد٦٩٩ص١٣٦	١٢/٦
١٤ — ١٢/ ٦	٦٠٠	رأس الناقورة	هجوم	أسلحة رشاشة	—	١	—	—	—	—	ن٠عدد٦٩٩ص١٣٨	١٢/٦
١٥ — ١٢/ ٦	١١٠٠	رأس الناقورة	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	١	—	—	ن٠عدد٧٠٠ص١٥٢	١٢/٧
١٦ — ١٢/ ٨	—	بئر السبع	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في محطة ايجد وابطـــل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٠١ص١٨٢	١٢/٩
١٧ — ١٢/ ٩	—	القدس	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران فيسيارتين	—	—	—	ن٠عدد٧٠١ص١٨٧	١٢/٩
١٨ — ١٢/١١	—	تل ابيب	هجوم	قنابل يدوية	١	٥٨	اصابة مبنىسينما «حين» بأضرار	١	—	—	ن٠عدد٧٠٤ص٢٦١	١٢/١٢
١٩ — ١٢/١٢	—	صفد	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧٠٥ص٢٧٥	١٢/١٣
٢٠ — ١٢/١٦	—	هارتسفيا قرب المطلة	اطلاقنار	أسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٧٠٧ص٢٣٣	١٢/١٦
٢١ — ١٢/١٨	٤٠٠	حانيتا	قصف	قذائف بازوكا	—	—	اصابة مضافة بأضرار وتصدع منزل	—	—	—	ن٠عدد٧٠٩ص٣٨٩	١٢/١٨
٢٢ — ١٢/١٨	٢٢٠٠	المنارة	قصف	قذائف بازوكا وأسلحة رشاشة	—	—	لم تقع اية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٠ص٤١٨	١٢/١٩
٢٣ — ١٢/٢٠	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	١٣	تدمير سيارة عسكرية واصابة المحـلات في شارع بن يهودا بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧١٢ص٤٦٧	١٢/٢١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٢٤ —	١٢/٢٠	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	١	—	—	—	—	—	ن٠عدد٧١٢ص٤٦٨	١٢/٢١
٢٥ —	١٢/٢٢	—	العيزرية	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	٢	اصابة باص للسيـاح بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧١٣ص٥٠٠	١٢/٢٣
٢٦ —	١ /١/١٩٧٥	٢٠٣٠	يفتاح	قصف	قذائف بازوكا وأسلحة رشاشة	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٧ص٣٤	٧٥/١/٢
٢٧ —	٢ /١	١٣٠٠	جبل منور/بين زرعيت وادميت	قصف	قذائف مدفعية	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٨ص٥٩	١/٣
٢٨ —	٣ /١	٧٤٠	جبل دوف	قصف	قذائف بازوكا وأسلحة رشاشة	١	٤	—	—	—	—	ن٠عدد٧١٩ص٧٣	١/٤
٢٩ —	٣ /١	٩٢٠	جبل دوف	تفجير	ألغـام	—	٣	اصابة سيارة عسكرية بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧١٩ص٧٣	١/٤
٣٠ —	٣ /١	—	العباسية/شمال دفنـه	قصف	قذائف مدفعية	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧١٩ص٧٣	١/٤
٣١ —	٨ /١	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	اصابة مبنى البلدية بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٢٣ص٢١٧	١/٩
٣٢ —	١/١٣	—	الخليل	احراق	مادة حارقة	—	—	اصابة باص معد لنقل العمال العرب بأضرار بعد اشعال النيران فيه	—	—	—	ن٠عدد٧٢٧ص٣٣٠	١/١٥
٣٣ —	١/١٧	٠٠٣٠	شتولا	قصف	قذائف وأسلحة رشاشة	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧٢٩ص٤١١	١/١٧

٣٤ — ١/١٧	١٣٠	زرعيت	قصف	قذائف وأسلحة رشاشة	—	—	لم تقع أية اصابات	—	—	—	ن٠عدد٧٢٩ص٤١٢	١/١٧
٣٥ — ١/١٨	—	زرعيت	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	٢	—	٣	—	—	ن٠عدد٧٣٠ص٤٢٥	١/١٨
٣٦ — ١/١٩	٥١٥	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في حي البقعة أسـفل صهريج وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٣١ص٤٦٣	١/٢٠
٣٧ — ١/٢٤	—	بين القدس — رام الله	تفجير	ألغـام	—	—	تم اكتشاف الالغام وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٣٥ص٥٩٣	١/٢٤
٣٨ — ٢/ ٢	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في بنـاية سكنية في حي نفي يعقوب وابطـل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٤٣ص٤٦	٢/٣
٣٩ — ٢/ ٣	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في شارع يافا قرب مقهى الاسكا وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٤٤ص٧٧	٢/٤
٤٠ — ٢/ ٤	١٤٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة الباص بأضرار بالغـة	—	—	—	ن٠عدد٧٤٥ص١٠٥	٢/٥
٤١ — ٢/ ٤	١٣٤٥	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة فيباص لشركة ايجد وابطـل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٤٥ص١٠٥	٢/٥
٤٢ — ٢/ ٤	٢٢٤٥	نتانيا	تفجير	عبوة ناسفة	٥	٢٧	اصابة محتويات نادي بار اوريان بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٤٥ص١٠٩	٢/٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	خسائر العدو البشرية جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
٤٣	٥ / ٢	١٦٠٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة كانت تقف قرب حديقة الاستقلال بأضرار	—	—	—	ن.عدد٧٤٦ص١٣٩	٢/٦
٤٤	٥ / ٢	٨٣٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	احداث بعض الاضرار البسيطة	—	—	—	ن.عدد٧٤٧ص١٦٦	٢/٧
٤٥	٨ / ٢	٢١٥	أشدود	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سبعة محلات تجارية بأضرار وتدمير بناء تدميرا كليا	—	—	—	ن.عدد٧٤٩ص٢١٤	٢/١٠

---

١ — عاد واعترف العدو بأن عدد الجرحى ٢٣ وليس كما ورد في بياناته الاولى . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد ٧٠١ صفحة ١٨٦ بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٩) .

ن — نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

قضايا اسرائيلية

ملف يعنى بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية

يصدر مرة كل اسبوعين ، ابتداء من اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤

« قضايا اسرائيلية » ملف اخباري تحليلي ، يتابع الشؤون الاسرائيلية والصهيونية ، الداخليــة والخارجية ، مع امتداداتها وأبعادها داخــل اسرائيل وداخل الحركة الصهيونية ، وفي العلاقات بين اسرائيل ودول العالم ، وتأثير كل ذلك على الصراع العربي الاسرائيلي .

« قضايا اسرائيلية » يقدمه قسم الدراسات الاسرائيلية والصهيونية في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، من خلال متابعته لكل ما يصدر في اسرائيل من صحف يومية ومجلات ودوريات متخصصة ونشرات وكتب، باللغة العبرية او بغيرها ، وما تبثه الاذاعة الاسرائيلية من أخبار وبرامج، وكذلك ما يصدر خارج اسرائيل وله علاقة بالشؤون التي يهتم هذا الملف بمعالجتها .

تقرأ في العدد العاشر (١٩٧٥/٢/٦) :

تشاؤم في اسرائيل من نجاح محاولات التسوية وازدياد المطالبة بعقد مؤتمر جنيف ــ الحكومة الاسرائيلية تصادق على أكبر ميزانية دفاع منــذ قيام اسرائيل ــ الغاء الاتفاق التجاري بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وتأثيره على الهجرة الى اسرائيل ــ الحزب الديني القومي (المفدال) يتجه نحو انقلاب داخلي او انفصال ــ اوضاع الهستدروت ومواقفها : التوفيق بين التناقضات .

وتقرأ في العدد الحادي عشر (١٩٧٥/٢/٢٠) :

اسرائيل متمسكة بموقفها من التسوية ، حكومتها مشلولة . . . وكيسنجر متفائل ــ تقرير لجنة اغرانات « يلفلف » قصة « التقصير » الاسرائيلي في حرب تشرين ــ المؤتمر اليهودي العالمي ينعقد في القدس ويعيد انتخاب غولدمان رئيسا له ــ زعماء الخليل يحثون مشاريع اسرائيل الاستيطانية ــ التجمع العمالي (المعراخ) الحاكم يعيش ازمة داخلية متفاقمة .

رئيس التحرير : صبري جريس

العنوان : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت ــ لبنان ، تلفون ٣٥١٢٦٠/١

بدل الاشتراك السنوي : للحكومات ٩٠ ل.ل. ، للمؤسسات ٦٠ ل.ل. ، للافراد ٣٠ ل.ل.

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) بأخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبـــار .

وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . أما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها أجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل.ل. ، في اوروبة ١٥٠ ل.ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل.ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك بأكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعيـــة الاسرائيلية التي تبث باللغات الانكليزية والفرنسية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

صدر عن مركز الابحاث

اليوميات الفلسطينية

المجلد السادس عشر

من ١/٧ الى ٣١/١٢/١٩٧٢

مجلد ضخم مؤلف من ٦٢٠ صفحة من القطع الكبير ، يضم عرضا موجزا ودقيقا لما يحدث في العالم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مباشرة ، او ما يقال او يكتب عنها ، يوما بعد يوم .

يغطي هذا المجلد الفترة من ٧/١ الى ١٩٧٢/١٢/٣١ ويضم جدولا بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية عن تلك الفترة ، كما يضم فهرسين : الاول بالاسماء والثاني بالموضوعات الواردة في متن اليوميات .

سعر المجلد ٢٠ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد .

أطلبه من : مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

صوت فلسطين

شهرية فلسطينية سياسية

تعالج مختلف جوانب القضية بآراء حرة

- مجلة « الوحدة الوطنية الفلسطينية » يصدرها جيش التحرير الفلسطيني ، جيش الوحدة الوطنية ، ويشارك في تحريرها عدد من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين والعرب الذين يمثلون اتجاهات شعبنا الفلسطيني ويعبرون عنها بوضوح .
- تسلط الضوء على الواقع الفلسطيني بصراحة وجرأة ، تعالج السلبيات وتبرز الايجابيات، وتطرح تصورات المثقفين الثوريين لتقويم مسيرة الثورة .
- تلتزم بارادة الغالبية العظمى لجماهير شعبنا الفلسطيني ، وتنطلق من شعارات منظمة التحرير في الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير .
- تغطي أحداث الوطن المحتل ، وتطورات القضية في الساحات الفلسطينية والعربية والدولية عبر أبوابها الثابتة :
- مع الاحداث .
- قضايا وآراء .
- دراسات سياسية واقتصادية .
- دراسات عسكرية .
- ملف الادب والفن .
- صوت فلسطين .

يقرأها شهريا ٢٠٠ ألف مواطن فلسطيني وعربي وتوزع في مختلف انحاء الوطن العربي .

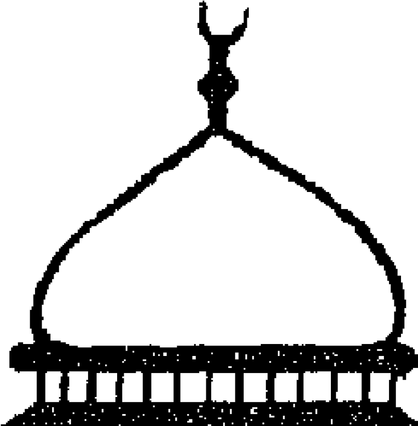
- الاشتراك السنوي : للافراد ٢٥ ل.س. او ما يعادلها ، للمؤسسات الرسمية ٥٠ ل.س. او ما يعادلها ، يضاف اليها أجور البريد الجوي .
- سعر النسخة : سورية ولبنان ١٥٠ ق.س.ل. وما يعادلها في بقية الاقطار العربية ، مصر ١٠٠ مليم .

العنوان : دمشق ــ صالحية ــ شهداء ــ بناية عصاصة ص ب ٢٥٧٧

هــاتف ٣٣٤٠٦٥

المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

دار القدس
بناية مكرزل - شارع بشارة الخوري - ت: ٢٩١٤١١
ص. ب: ١١٢٤٨٩ - بيروت لبنان - برقياً مقدسبريس



ديوان ابراهيم

لاول مرة تصدر الاعمال الكاملة لشاعر فلسطين ابراهيم طوقان ، باستثناء بعض القصائد والاشعار التي لم يحن الوقت لنشرها بعد ، لاسباب معروفة . فقد اتيحت كل اعمال الشاعر واوراقه الخاصة للناقد والمحقق والاستاذ الكبير الدكتور احسان عباس ، الذي أمضى عدة أشهر في التنقيب والتدقيق حتى جاء هذا الديوان جامعا لما يمكن وصفه بانه الاعمال الكاملة . ويضم الديوان حوالي ستين قصيدة تنشر لاول مرة ، ومقدمة عن الشاعر كتبتها شقيقته الشاعرة فدوى طوقان ، ودراسة عن شعره وضعها الدكتور احسان عباس . « ديوان ابراهيم » الذي تنشره دار القدس هو وثيقة خطيرة وحدث فذ في تاريخ الادب العربي الحديث بشكل عام والادب الفلسطيني والنضال الفلسطيني بشكل خاص .

الثمن : ٢٠ ل.ل.

١ ــ دليل الطائرات المدنية والعسكرية ٥ ل.ل.
ترجمة واعداد بسام يونس

٢ ــ المجموعة ٧٧٨ ــ رواية تسجيلية ٥ ل.ل.
توفيق فياض

٣ ــ ميزان التسلح العربي ــ الاسرائيلي
تقديم أحمد سامح الخالدي ٢ ل.ل.
ترجمة نقولا صيقلي

٤ ــ قصة النفط ٨ ل.ل.
مازن البندك

٥ ــ النظرية الفرويدية الماركسية ٤،٥ ل.ل.
ج.م. بالمية
ترجمة سناء نجيم

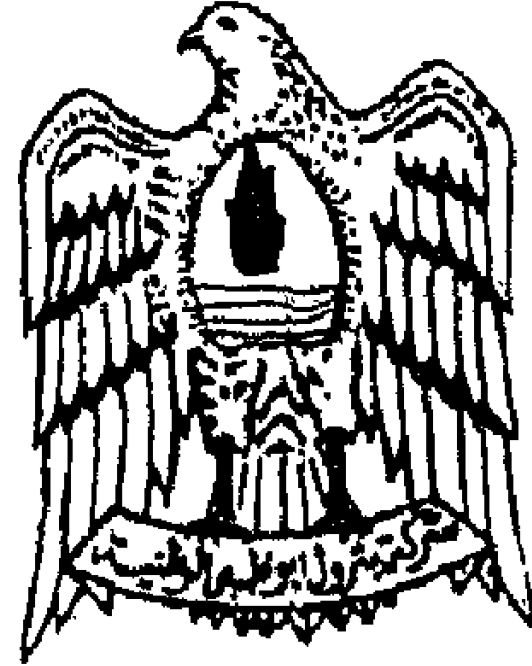
٦ ــ ابن ماجد ــ أسد البحار ٦ ل.ل.
رشدي صالح

٧ ــ ٢٣ يوليو : خمسة أبعاد ٢ ل.ل.
كمال الدين رفعت، احمد لطفي واكد،
د. يوسف صايغ، محمد امين العالم،
مازن البندك .

بسم الله الرحمن الرحيم

ABU DHABI NATIONAL OIL CO.

Cable b « ADNOC »
P. O. Box 898 - ABU DHABI
Tel : 42236



شركة بترول ابو ظبي الوطنية

برقيا : ادنوك
ص.ب ٨٩٨ — ابوظبي
تلفون : ٤٢٢٣٦

اعلان

ترغب **شركة بترول ابو ظبي الوطنية** في استخدام طبيب عربي (اخصائي أمراض باطنية) على ان تكون لديه خبرة عشر سنوات في هذا المجال .

كما ترغب الشركة في استخدام ممرضتين عربيتين شريطة ان تكون الممرضة حاصلة على شهادة الثانوية العامة او ما يعادلها وشهادة تمريض من معهد تمريض معترف به رسميا في البلاد العربية ويشترط ان تكون الممرضة قد مارست مهنة التمريض مدة خمس سنوات على الاقل وان تجيد اللغة الانجليزية اجادة تامة .

سيكون مقر العمل في مدينة ابو ظبي ويحدد الراتب حسب المؤهلات والخبرة ويمنح الموظف سكنا مؤثثا وتذاكر سفر سنوية ذهابا وايابا الى مقر اقامته .

فعلى من يجد في نفسه الكفاءة وتوافر الشروط المذكورة ان يتقدم بشهاداته المصادق عليها مع صوره الشخصية الى العنوان التالي :

دولة الامارات العربية المتحدة — ابو ظبي

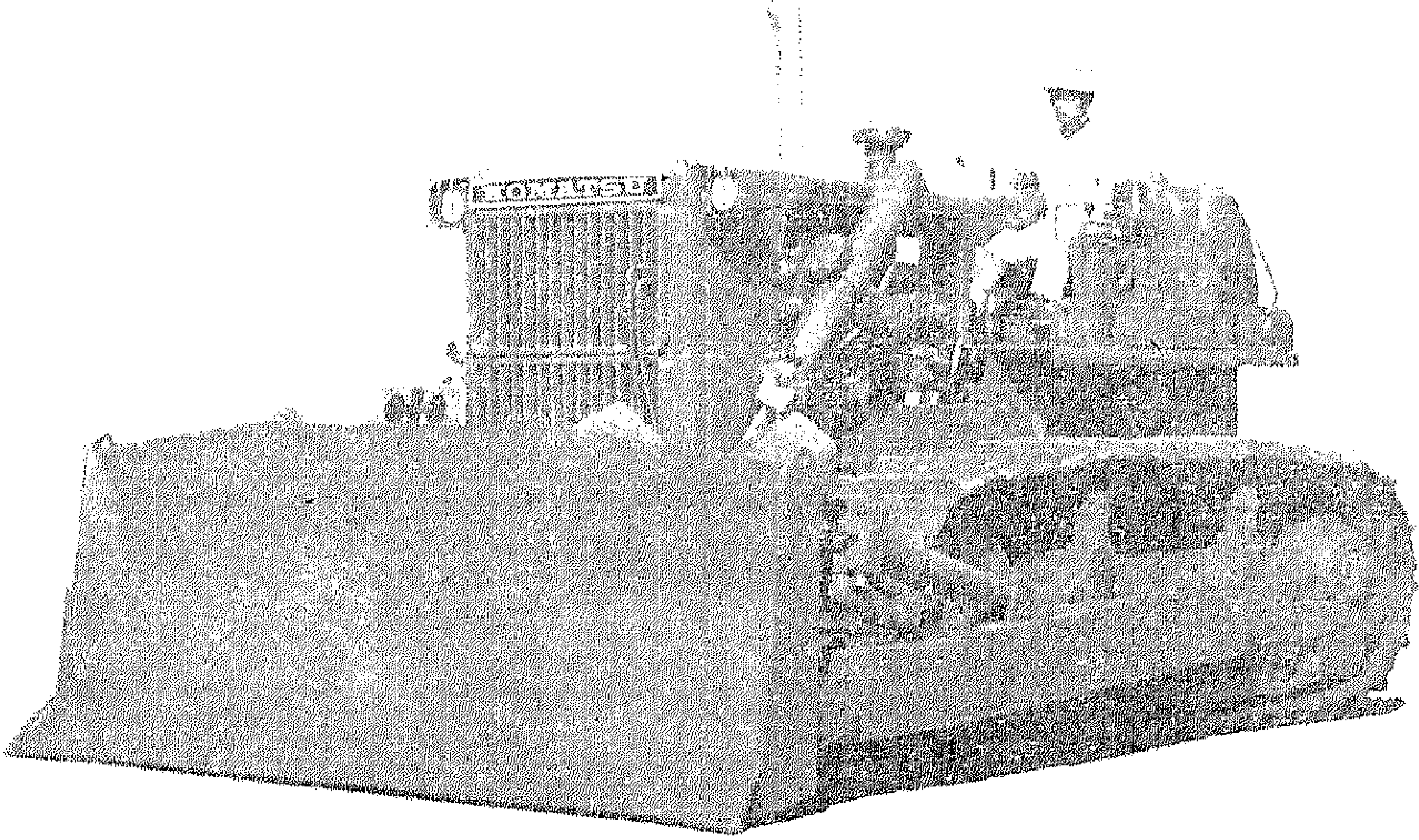
شركة بترول ابو ظبي الوطنية — ص.ب ٨٩٨

الشؤون الادارية .

الشركة الوطنيّة للتجارة والآليات

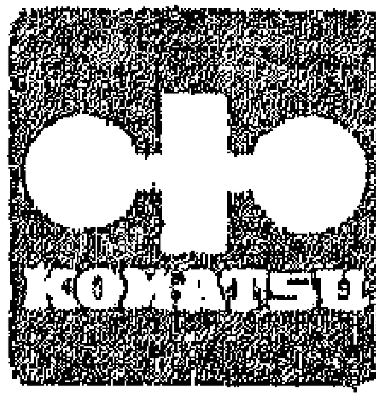
طرابلس ـ بنغازي

يسرّها ان تقدم احدث واُقوى آليات



● محرك كمنز ديزل ، قوي واقتصادي مع حقن مباشر .

● كوماتسو طوركفلو ، تغيير تلقائي — تغيير السرعة والاتجاه يتم بسهولة تامة .



جرارات ● كاسمات ● شفرات

كوماتسو

للعمل من أجل بناء غد أفضل

● قوابض توجيه رطبة تعمل هيدروليكيا لتمديد فترات الصيانة .

● شفرة محكمة هيدروليكيا ومعدة لقلب الاتربة تلقائيا .

● هيكل الاساسي ، على شكل علبة صمم لمقاومة الصدمات والالتواءات .

● بكرات السلاسل ودواليب الامامية ، وبكرات حاملة السلاسل ، والعجلة المسننة المزيتة بصورة مستديمة تؤمن الاستعمال الطويل وبذلك تخفض كلفة ووقت الصيانة .

● موانع كوماتسو الاصلية تمنع تسرب الغبار والاوساخ وبذلك تطيل حياة المحاور والبالغات وخدمة أطول للسلاسل .

● الملحقات :

. شفرة مزوية . شفرة مستقيمة . شفرة مستقيمة — مائلة . شفرة مخدشة . محراث هيدروليكي
. ونش للقطر . جرافة الثلج . شفرة لجرف الفحم الحجري . شفرة مقعرة (U) . صفيحة دافعة
. وحدة تحكم خلفية . مظلة معدنية . مظلة . واقي المظلة . قضيب جر متنقل .

ملاحظة :

في العدد السابق من شؤون فلسطينية ، ٤١/٤٢ ، تقرأ الاسطر ٣٠ — ٣٢ من الصفحة ٤٩٢ هكذا :
وتوزع في معظم الاقطار العربية عبر مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية .

بنك ابو ظبي الوطني

دولة الامارات العربية المتحدة
ابو ظبي

يعلن بنك ابو ظبي عن حاجته الى تعيين عدد من الموظفين ممن تتوفر فيهم الشروط التالية :

اولا — ان يكون مقدم الطلب من خريجي كلية التجارة او الاقتصاد او الحقوق او ما يعادلها .

ثانيا — ان يكون مقدم الطلب يجيد اللغة الانجليزية .

ثالثا — ان يكون مقدم الطلب له خبرة مصرفية لا تقل عن ٥ سنوات .

فمن يجد في نفسه الكفاءة والقابلية ومن تتوفر به الشروط اعلاه يرجى الكتابة الى قسم الشؤون الادارية في الادارة العامة للبنك المذكور ، مرفقا مع طلبه الوثائق التالية :

١ — شهادة التخرج صادرة من احدى الكليات اعلاه .
٢ — شهادة حسن السلوك والسيرة .
٣ — شهادة الجنسية .
٤ — اربع صور شخصية .
٥ — طلب عمل .
٦ — شهادات الخبرة المصرفية اعلاه .

شركة الكرامة للمقاولات المحدودة

الجمهورية العربية الليبية

بنغـــازي ــ الطريق الدائري

ص٠ب ٢٠٨٠ ، هاتف ٨٥١٧٠

برقيا : الكرامة بنغازي

مقاولات ــ طرق ــ كبـــاري ــ مواسير مياه

انشـــاءات مدنيـــة عـــامة

مؤسسة علي رجب السلاك

الجمهورية العربية الليبية

بنغازي ، شارع جمال عبد الناصر ، عمارة كانون

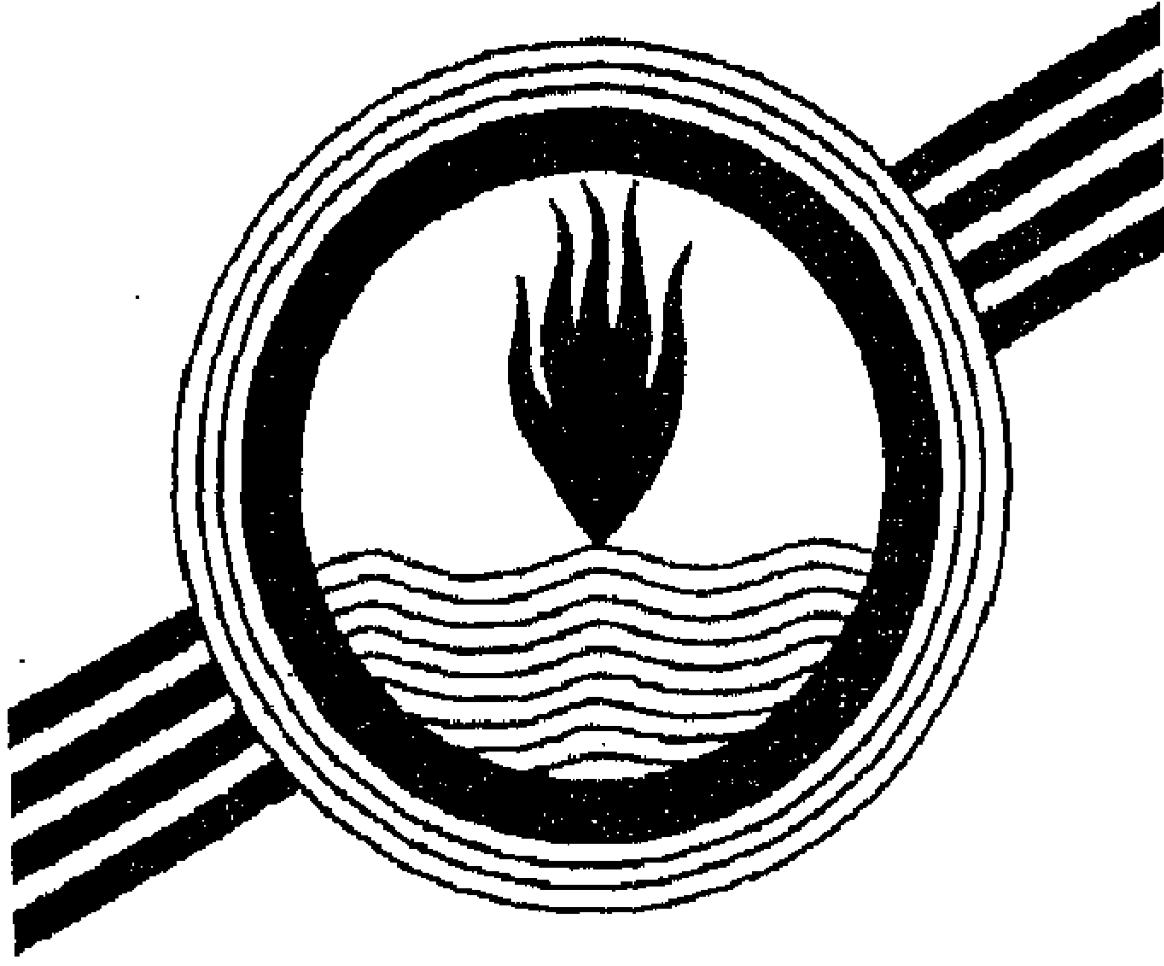
ص. ب ٢٦٠ ، هاتف ٩٣٧٢١

الشركة الوطنية للتعهدات

المقاول جوزيف خوري

جديدة المتن

لبنان



شركة مناطق ابو ظبي البحرية « ادما »

التدريب في شركة ادما

تقوم شركة ادما باتباع خطة لتدريب مواطني دولة الامارات العربية المتحدة من اجل تأهيلهم للعمل في مجالات مختلفة من أعمالها . وقد أنشيء لهذا الغرض مركز للتدريب عام ١٩٥٩ . ومنذ ذلك التاريخ حتى نهاية عام ١٩٧٣ أكمل أكثر من ٣٠٠ مواطن تدريبهم في المركز المذكور حيث يمكن تدريب حوالي ٧٠ شخصا في آن واحد . ويضم المركز الان ٦٨ متدربا بالاضافة الى سبعة في جزيرة داس حيث يتلقون تدريبا في سياق العمل ، وتسعة في الكلية الصناعية بالبحرين وستة عشر متدربا في المملكة المتحدة . هذا وقد عاد اخيرا اثنان من المواطنين بعد ان حصلا على شهادة في الهندسة ليساهما في نهضة بلدهم .

يقبل المركز الشباب ممن تتراوح سنهم بين ١٦ و ٢٠ سنة . ويتلقى المتدرب خلال فترة وجوده في المركز التدريب والدراسة في عدد من المجالات منها : اللغة الانجليزية ، الرياضيات ، العلوم ، أعمال الورش والتكنولوجيا ، التجارة .

ويستغرق التدريب عادة مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات تعقبهـا فترة تدريب عملي في مواقع العمل في جزيرة داس او مدينة ابو ظبي . وتهيأ للمتدرب الذي يثبت جدارة فرصة مواصلة الدراسة والتدرب في المملكة المتحدة او الكلية الصناعية في البحرين . هذا بالاضافة الى فرص العمل لدى الشركة بشروط جيدة لكافة المتدربين .

هذا وقد غادر اخيرا ثمانية من المتدربين لاكمال تدريبهم العملي والعلمي في المملكة المتحدة من أجل تهيئتهم للعمل في مشروع تسييل الغاز الطبيعي الذي هو قيد الانشاء في جزيرة داس والمتوقع بدء انتاجه عام ١٩٧٦ .

شؤون فلسطينية

٤٤
نيسان (ابريل) ١٩٧٥



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤٤ — نيسان (ابريل) ١٩٧٥

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

شؤون فلسطينية

للصهيونية ، ولوليدتها « اسرائيل » ، سجل حافل بالتناقضات . فهي الحركة التي « ترمي الى حماية اليهود » واذا بها تضعهم في خطر دائم ، وهي التي « تريد أن تحمي حقوق المضطهدين » فتضطهد أصحاب الحق ، وهي « الحركة القومية » التي تقوم على فكرة الدين الذي لا يعترف بالقوميات ، وهي « الحركة الانسانية » التي تصنف البشر وتستبيح تنكيل بعضهم ببعضهم الآخر ... الى غير ذلك من التناقضات التي لا تجتمع في حركة سياسية واحدة بمثل ما اجتمعت في الصهيونية ، فكرا وواقعا . غير ان هناك تناقضا آخر تكاد الصهيونية ، ووليدتها « اسرائيل » ، تنفرد به وتبلغ به حدا غريبا جدا ، وهو أنها « رسالة الحضارة والثقافة في الشرق » وان وليدتها هي « واحة الخير والمعرفة في صحراء العرب » ، بينما الواقع ، الذي نعرفه ونعيشه نحن العرب يوما بعد آخر ، يكشف لنا عن نقيض ذلك . فهي ، اذا ضربت مصر ، تختار مدرسة للصغار . واذا ضربت دمشق تختار مركزا للثقافة . واذا ضربت بيروت تختار مكتبة . واذا ضربت مخيما تختار المدرسة او دار الحضانة او المستوصف . واذا قتلت رجلا تفضل الشاعر او القاص او المفكر.

هذا ما نعرفه نحن . لكن مثقفي العالم وعلماءه وفنانيه الكبار ، ومن بينهم العديد من الحاصلين على جائزة نوبل ، لا يعرفون ما نعرفه نحن . ولا يرون الصورة بشكلها الحقيقي . بل هم يرونها كما تعكسها لهم الدعاوة الصهيونية : اسرائيل الواحة وصاحبة الرسالة والجسر الذي ينقل للعرب حضارات العالم والمصباح الذي ينير طريقنا الخ ... لذلك هم يخافون على اسرائيل . وهم أول من يتنادون الى مساعدتها وحمايتها وتأمين سبل الحياة والاستقرار والنمو لها . وهم ، كما حصل في الايام الماضية ، يتكبدون مشاق السفر ليجتمعوا وليتدارسوا « اضطهاد » اليونسكو لاسرائيل وليقرروا ضرورة دعم اسرائيل لتبقى المنارة المنيرة والواحة المعطاء . ويتكلمون وكأنهم يمزحون . ونقرأ ولا نصدق .

وقد آن لنا أن نقف وقفة هادئة امام هذه الظاهرة الغريبة ، بعيدا عن الانفعال وعن التهييج ، لنحاول ان نفسر هذه الظاهرة اولا ولنجد لها العلاج ثانيا . اذ لا يكفي ، ولا يفيد أبدا ، ان يبلغ بنا تبسيط الامور بأن نوجز المشكلة كلها باصدار حكم عام غير محدد : ما هؤلاء المجتمعون الكبار لنصرة العدو والتستر عليه الا صهيونيين متواطئين ومشاركين في الارهاب والتهديم والخداع وكل ما تقترفه أيدي سلطات اسرائيل . أو هم عملاء يخدمون الصهيونية واسرائيل لقاء اجر أو اغراء .

لا شك أن بين المجتمعين في باريس في الاسبوع الماضي لنصرة اسرائيل « ثقافيا » مجموعة من الصهيونيين الملتزمين والعاملين المكرسين لاسرائيل . ولكن لا شك أيضا ان علماء وفنانين وفقهاء وفلاسفة وادباء وشخصيات عالمية مرموقة اخرى كثيرة ، من عشرات الجنسيات ومن مختلف الاديان والاتجاهات الفكرية والسياسية ، يشاركون الصهيونيين في محاولاتهم لدعم اسرائيل ، وخاصة للتستير على آثامها ولتبرير اعتداءاتها وللطعن بالعرب وللدعوة ضد الثورة الفلسطينية . وخطورة مساعي هؤلاء ، وخطرها ، كبيران جدا : ليس لضخامة عددهم واهمية مناصبهم وتوزعهم على بلدان ومجتمعات ومؤسسات كثيرة ، فقط ، وانما لقناعتهم بصحة ما يفعلون . ومثل هؤلاء تحملهم قناعاتهم الى أقصى درجات الجهد في التعبير عن أفكارهم تعبيرا فعليا .

هنا يأتي رد فعلنا المتسرع والسطحي قاصرا من رؤية الاسباب واستنباط الحلول . فلو كانت تلك الغالبية من الشخصيات الفكرية الكبيرة في العالم تؤيد اسرائيل من تواطؤ عقائدي ، أي من تصهين ، او

عن مكسب مادي ، لجاز لنا أن نقطع منهم الامل ، او أن نستبيح لانفسنا النزول الى درك شراء الذمم كما يفعل العدو .

لكن الامر ، كما أزعم ، ليس كذلك . أن ظروفا ومؤثرات سياسية وفكرية ، ونفسية الى حد بعيد ، مر هؤلاء بها او تعرضوا لها ، منذ سنوات وربما منذ أعقاب الحرب العالمية الاخيرة ، جعلتهم أكثر انفتاحا على ما يعلنه العدو ويذيعه من اعلام قوي ونشيط ومتقدم ومركز ضد الحق العربي في فلسطين وتبرير الاطماع الصهيونية . وقد قابله ، من الجهة الاخرى ، غياب تام أو شبه تام في معظم الاحيان للاعلام العربي : غياب رسمي تام وجهد فردي متقطع ومحصور في مكان ضيق . فقد غابت الحقيقة عن هؤلاء ، ولم تقع أيديهم وأبصارهم على المعلومات الصحيحة والوقائع الاصلية ، بينما ازدحمت مصادر معلوماتهم بالاخبار والتعليقات والتفسيرات التي يبثها الصهيونيون بعد أن يصوغوها على هواهم وحسب مصالحهم .

واذا كان هؤلاء يرون « اسرائيل » واحة ومنارة فلأن الدعاوة الصهيونية صورتها كذلك ولان الاعلام العربي قصر ولم يقدم لهؤلاء الصورة الاخرى ، الصورة الحقيقية لاسرائيل .

بالطبع ، لا أريد أن أقول أن الذنب كله هو في النهاية ذنبنا نحن وان الاسرائيليين محقون في خدع الناس وان علماء العالم الموالين للصهيونيين محقون في تصديق الاكاذيب وتجاهل الحقائق . لكنـي ، في الوقت نفسه ، لا أستطيع أن أتجاهل مسؤوليتنا الكبيرة في قيام هذا الجدل الهائل بين هؤلاء العلماء وبين الحقيقة وفي استمرار وتوثيق علاقاتهم مع الصهيونية . اذ أن اعلامنا ، وأعني به الاعلام الرسمي ، اعلام الدول العربية والجامعة العربية ، ملته بالكلام . انه ينصرف عن الاعلام الى الحديث عـن الاعلام ـــ الحديث المكرر ، التائه ، المطلق ، البعيد عن التنفيذ والممارسة . ومهما كانت التطورات التي طرأت على أجهزة الاعلام الرسمي في أعقاب حربي حزيران وتشرين ، وبالرغم من عشرات المؤتمرات والدراسات التي عقدت وقدمت لبحث أزمة الاعلام العربي وسبل تنميته ، فان الحقيقة المؤلمة الراهنة هي ان هذا الاعلام لا يزال مقصرا في اداء المهمة ولا يزال متخلفا عن الدعاية الصهيونية ـــ أما المكاسب التي تنسب أحيانا الى اعلامنا (أو التي ينسبها اعلاميونا الى أنفسهم) ، من حيث حصول تبدلات أساسية في مواقف جماعات أجنبية تجاه الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ، فان معظمها انما هو حاصل نجاحـات الثورة الفلسطينية والانتصارات العربية وتصميم الشعب العربي وليس نتاج الجهد الاعلامي المجرد .

وكما نخطىء اذا ألقينا بالمسؤولية على الدعاوة الصهيونية وتجاهلنا تقصير اعلامنا الرسمي ، نخطىء بالقدر نفسه اذا ألقينا المسؤولية كلها على اعلامنا الرسمي وتجاهلنا دور المواطن العربي ، كل مواطن ، في الاعلام لقضيته . لان الاعلام ليس واجب السلطة فقط ، بل هو واجب الفرد أيضا . وهذا ما تعرفه اسرائيل وما تفعله . فان كل صهيوني هو داعية لاسرائيل . وكذلك السائح الاسرائيلي في الخارج . وكذلك الطالب الاسرائيلي . وكذلك كافة موفديها الى المؤتمرات والحلقـات الدراسية ، بل ومرضاها الذيـن يعالجون في خارج فلسطين المحتلة . ولعلنا نعي نحن أيضا ذلك . فيكون مواطننا اعلاميا يتحمل مسؤولية الاعلام لبلده ، سائحا كان أو طالبا أو مهاجرا أو تاجرا او رجل علم وفكر . آنذاك نستطيع أن نرد على الاكاذيب الصهيونية . ونستطيع آن نثبت ان الواحة الاسرائيلية ليست أكثر من بؤرة تخريب ومصدر تأخير للوجود وللنمو العربيين ، وان النور الذي أراد الصهيونيون أن يهتدي به عرب فلسطين هو في الحقيقة شعاع قاتل قصدت منه اسرائيل ابادتهم والتخلص منهم .

المواطن العربي الداعية لقضية بلده وثورته ، الاعلامي بنفسـه وبدون تكليف ولا مساعدة من السلطة ، هو في نهاية الامر الذي يستطيع أن يتصدى للدعاية الصهيونية وأن يبطل مفعولها بتبيان أكاذيبها وبمقارنة المزاعم بالحقائق .

ا. ص.

التسوية التي تريدها اميركا

الدكتور كلوفيس مقصود

اذا قلنا ان القضية الفلسطينية تمر في اصعب مراحلها يكون هذا تكرارا لحكم لازم القضية طيلة ربع قرن . لذلك ، فلعله ادق ان نقول بأن القضية الفلسطينية تمر بأعقد مرحلة لها . والفرق لا بد ان يتوضح . فالصعوبة كانت دائما ناتجة عن طبيعة التصدي وشراسة ما نتصدى له . اما الان فانه بالاضافة الى صعوبات التصدي فان تحديد وجهة السير اصبح عملية شديدة التعقيد ومتعددة الابعاد .

من هنا فالمرحلة تستوجب منا دقة في المعالجة ، اعتمادا على التحليل ، قدرة على الاحاطة بمختلف الظروف والاطر التي تتحرك القضية فيها ، واستعدادا عقليا ومنهجيا لاستيعاب المتغيرات دون ان يتأتى عن ذلك أي انتقاص او تمييع او تبهيت للثوابت الستراتيجية التي يتشكل منها التزامنا . وفي هذا المضمار يصبح المطلوب منا — الثورة الفلسطينية والجماهير العربية الملتزمة بها — ان نكون اكثر وعيا لضرورة التوجه نحو التفاصيل وان نجعل انفسنا بمنأى عن الانفعالات حتى لا تضيع عنا ابدا الصورة الدائمة للاولويات المحسوبة وحتى نتجنب الانزلاق في متاهات نتيه فيها بحكم تراثية نضالية جامدة او نقع في كمائن سياسية يكون العدو بشكل مباشر او غير مباشر قد جرنا اليها نتيجة فقداننا لوضوح الرؤيا او لامساكنا بزمام التوجيه لتحركنا او لمقدرتنا على ضمان استمرارية الانضباطية الكاملة .

اذا طغى على مقدمة ما نقول سمة التبشير ، فهذا يعود بالطبع الى اننا اصبحنا بأمس الحاجة للعودة الى المنطلق . وهذا يقضي بالطبع ان نركز على العديد من المسلمات والبديهيات في مناهج تفكيرنا وعملنا . ان تمكننا من ان نعود الى اصول منطلقات التزامنا ومناهج عملنا هو بحد ذاته صمام امان للثورة الفلسطينية يجعلها قادرة على تجاوز التعقيد مثلما تمكنت من تجاوز الصعوبات .

* * *

فلنحاول ان ننفذ الى مسببات التعقيد الذي يميز المرحلة الراهنة . منذ مؤتمر القمة في الرباط ، عندما اكدت الدول العربية اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية على انها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ، سعت الولايات المتحدة بشتى الوسائل والاساليب ان تبطل مفعول هذا القرار . وقد بينت الولايات المتحدة امتعاضها من هذا القرار واعتبرته خرقا لتعهدات اعتبرتها ملزمة من اجل نجاح دورها في ايجاد « تسوية » لازمة الشرق الاوسط . وبرغم ان الدبلوماسية الاميركية اساءت فهم ما سمي « بتعهدات » او انها بالغت في تقييم قدرة أي طرف ان « يمون » على الشعب الفلسطيني ، فان محصلة الموقف دفعتها نحو المزيد من الضغط للحيلولة دون ان يتبلور قرار الرباط الى حقيقة نافذة .

في هذا المضمار حاولت الدبلوماسية الاميركية اقناع الدول العربية ـ خاصة تلك المتجاوبة مع المساعي الرامية للتسوية السلمية على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ ـ ان تأهيل منظمة التحرير للقيام بالدور التمثيلي الذي انتزعته الثورة لنفسها يجعل اسرائيل اقل استعدادا للامتثال لاي ضغوط اميركية قد تمارس عليها مما يؤخر الحل السلمي المطلوب . وكان هذا المنطق الاميركي يبرهن القراءة الخاطئة للاحداث الذي يتميز بها التقييم الاميركي ولو كان هناك قراءة سليمة لتوصل الاميركيون الى غير النتائج التي اعتمدوها . ومن المستغرب ان الدبلوماسية الاميركية لم تهضم المعنى الحقيقي لالغاء بيان الاسكندرية الذي اعتبر الاردن محاورا عن قسم من الشعب الفلسطيني والذي كان مؤشرا واضحا لمركزية القضية الفلسطينية في الحياة العربية العامة .

الا ان قرار مؤتمر الرباط المتعلق باهلية منظمة التحرير ان تكون وحدها المحاور باسم الشعب الفلسطيني كان ليبقى التزاما قوميا لو لم تطرح القضية الفلسطينية في الدورة الاخيرة للجمعية العامة للامم المتحدة . ولقد كان التأييد الشامل لمنظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها ودعوتها للمشاركة كمراقب بمثابة درع التثبيت الدولي للقرار القومي الذي اتخذ في قمة الرباط .

مرة اخرى لجأت الولايات المتحدة الى اعتماد سياسة تبهيت معنى القرارات الدولية من خلال تنظيم حملة شتائم مفتعلة ضد الامم المتحدة وضد « الاكثرية الطاغية » وثم راحت الدبلوماسية الاميركية بعد ان اكتشفت كيف ان تمحورها المزمن مع اسرائيل حكم العزلة المعنوية والسياسية حولها تعمل على معاودة دورها في ما سمي « بدبلوماسية المكوك » على اعتبار ان ما حدث في الرباط وفي الامم المتحدة لم يكن سوى **قطع موقت** للمنهج الذي رسمه كيسنغر للمنطقة والذي لا يزال يقوم بمحاولة تنفيذه .

وقد حصل بالفعل ان الدول العربية مجتمعة بدورها لم تقدم على خطوات من شأنها توظيف انتصار منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة بالنسبة المطلوبة بغية ترجيح حاسم لميزان القوى في المنطقة . وكان السلوك العربي العام يعطي ـ ولا يزال ـ انطباعا على ان ما حصل في الامم المتحدة (والى حد ما في الرباط) هو مجرد انتصارات دبلوماسية معنوية واعلامية للعرب ولا علاقة لها بشكل مباشر او عضوي بالنواحي الاجرائية المنوي تنفيذها . وعندما تبين للدبلوماسية الاميركية ان عزلتها ـ وعزلة المحور الاميركي ـ الاسرائيلي ـ لن تعرقل او تفشل امكانياتها في استئناف دورها في المنطقة قامت ببلورة الاتجاهات السائدة في نظرتها للمنطقة وكانت الدبلوماسية الاميركية اكثر تحديدا لاهدافها فأخذت تتصرف وكأن ما انجزته القضية الفلسطينية قوميا ودوليا لم يكن سوى تسجيل للمواقف بدلا من تثبيت مواقع متقدمة كما توقع الاميركيون وتخوفوا من قبل . وعندما كان يقال للاميركيين انه من الضروري ان تشمل منظمة التحرير في اية مداولات مقبلة حول القضية الفلسطينية كان الجواب الاميركي ان منظمة التحرير ، بعد قمة الرباط وانتصاراتها في الامم المتحدة ، اصبحت تتمتع بوهج يجعلها بحجم لا تستطيع التسوية المرتقبة تحملها . اكثر من ذلك فان الولايات المتحدة قامت بحملة توضيحية عند العرب المتعاملين معها تحاول اقناعهم ان هذه الانتصارات التي حققتها القضية الفلسطينية سوف تلحق اضرارا بالتسوية وتخلق امالا وطموحات لدى الشعب الفلسطيني لن يكون باستطاعة الدبلوماسية الاميركية انجاز حتى الحد الادنى منها .

بمعنى اخر تصرفت الدبلوماسية الاميركية بشكل اعتبرت ان مقررات قمة الرباط ومقررات الامم المتحدة في دورتها الاخيرة لم تكن ذات تأثير على تقييمها للاوضاع او

للعوامل المساعدة لانجاح مهمتها . وهكذا تصرفت الدبلوماسية الاميركية على اساس تجاهل هذه المقررات معتبرة ان درجة التصميم الرسمي العربي على ترجمة وتوظيف هذه المقررات لا تشكل اي تهديد فعلي او مباشر لقدرتها استئناف مهامهـا في ملاءمة التسوية للنزاع العربي الاسرائيلي للتصور الاميركي لهذه التسوية .

* * *

كان لا بد للدبلوماسية الاميركية بعد ان وجدت ، بالرغم من المنجزات الفلسطينية دوليا وقوميا ، ان الفرص متاحة لها ان تستعيد دورها في المنطقة ان تنطلق من اسس من شأنها ان تحول دون تكرار حضور فلسطيني فاعل قد لا تسلم منه الدبلوماسية الاميركية مرة اخرى . مهدت الدبلوماسية الاميركية بحملة تهويل مسعورة . وقال كيسنغر في هذا الشأن ان احدالخيارات المتوفرة امام الولايات المتحدة هو انهـا لن تتردد في احتلال مصادر النفط اذا تهدد الغرب « بالاختناق » . وبعد ان تبين مدى رد الفعل العربي على مثل هذا التهديد بدأ الدبلوماسيون الاميركيون بحملة طمأنة للعرب بالقول ان هذا الخيار هو بمثابة خيار اخير لا يلجأ اليه الا فيأقصى حالات الضرورة . وان وزير الخارجية كيسنغر عندما اشار الى احتمال لجوء الولايات المتحدة الى مثل هذا الخيار فان هذا لن يكون الا في حالة تتهدد فيها الولايات المتحدة — او الغرب — بحالة « اختناق » ، وان هذه الحالة من الصعب الوصول اليها ولذا فان تهديد كيسنغر يجب أن يعتبر من ضمن التمرينات النظرية التي تبرز كل الخطط الاحتياطية ولا تعني بالضرورة انها سياسة مرشحة للتنفيذ .

برغم محاولات الطمأنة الاميركية في هذا المضمار تبين ان الحركة الصهيونية تلقفت هذا التهويل الاميركي وقامت مراكز الاعلام الصهيوني تنشر وتعمم خلفية الافكار التي أدت بكيسنغر لاعلان مثل هذا التهديد . وكتب البروفسور « تكر » مقالا تحليليا في مجلة « كومنتري » الصهيونية يعطي تفاصيل عن هذه الخطة الطارئة ويضع مبرراتها حتى يكون الرأي العام الاميركي والعالمي مهيأ لمثل هذا التطور في حال حدوثه . وكان الرد العربي فوريا وطبيعيا . وقيل للاميركيين انه اذا كان لديهم خطة طارئة لاحتلال مصادر النفط فلدى عرب الخليج خطط طارئة مقابلة اقربها الى المنطق والتنفيذ هو اللجوء الى نسف ابار النفط كخيار اخير اذا صار خيار الاحتلال الاميركي قابلا للتنفيذ .

الا ان الاميركيين ادركوا ان لغة المخاطبة بهذه الطريقة تشكل استفزازا حتى لاولئك العرب الداعين لنوع من التعاون معهم . ومن هنا تبعت حملة التهويل حملة طمأنة . وما كاد الحوار الاميركي — العربي يستقر الى معادلة معقولة في هذا الصدد حتى جاء تصريح اندرز مساعد وزير الخارجية الاميركية للشؤون الاقتصادية يعرف عن معنى « الاختناق » . **وقال اندرز في الموضوع انه اذا لجأت الدول العربية المصدرة للنفط الى اعادة فرض حظر النفط فان هذا يشكل تعريفا للاختناق . يتبين لنا عندئذ ان المعنى الاميركي — او بالاحرى التفسير الاميركي — للاختناق هو اعم بكثير مما توحيه كلمة « اختناق » لاول وهلة . وتبين ان الرسالة التي كانت الولايات المتحدة تريد ايصالها الينا هو ان علينا ان نسقط خيار حظر النفط كأحد الاسلحة المتوفرة في ترسانة المجابهة لدينا . بمعنى اخر ، فان الدبلوماسية الاميركية عمدت الى اخطارنا أن استئنافها دور القيام بمبادرة جديدة من اجل انجاز تسوية سلمية مشروط بان نتعهد باسقاط فرض حظر النفط كخيار عربي استعمل بنسبة معينة من النجاح اثناء الحرب التشرينية الاخيرة .**

وفي اطار النفط ايضا شرعت الولايات المتحدة بمتابعة تنظيمها للدول المستهلكة النفط كي تكون مهيأة لانواع متعددة من المجابهة مع الدول المصدرة للنفط . وكان ان تأسست باشراف الدبلوماسية الاميركية « وكالة الطاقة الدولية » والتي ، لولا الموقف الفرنسي لاندفعت نحو المجابهة بتحريض من الولايات المتحدة . الا انه اثناء لقاء القمة بين الرئيسين فورد وجيسكار دستان استبدلت المجابهة بضرورة التمهيد لحوار بين الدول المستهلكة للنفط والمصدرة له ودول العالم الثالث . الا ان مبادرة الجزائر في الدعوة لمؤتمر قمة لدول اوبيك كانت بمثابة رد عملي على رسالة الولايات المتحدة وتصليبا لحق الدول النفطية التصرف بمقدراتها دون الارتهان للمقتضيات الاقتصادية والستراتيجية التي تتطلبها الدبلوماسية الاميركية . الا ان الاميركيين ظلوا يعملون على اقناعنا بان علينا ان نفرق بين التعامل السياسي والعلاقات الاقتصادية حتى تتجرد ترسانة المجابهة العربية من توظيف طاقاتها الاقتصادية من اجل تأمين حقوقنا القومية المشروعة والتي يشكل الاحتلال الاسرائيلي للاراضي المحتلة والاغتصاب الصهيوني لفلسطين احتجازا لها وخرقا لمقومات هذه الحقوق .

اكثر من ذلك فقد سارعت الولايات المتحدة في اعلان موقفها بضرورة تنويع مصادر الطاقة لديها وفي الدول الغربية وكأنها تريد ان تمعن في ربط ضغوطها السياسية بتهويل اقتصادي يجعل الدول النفطية بعد فترة ، عاجزة عن تسويق نفطها على الاقل بالاسعار المعقولة التي حددتها دول منظمة اوبيك . من هنا توجب على الدول العربية ان تقوم وبشكل معجل بتنويع مصادر الثروة عندنا حتى عندما ينضب النفط كطاقة التصدير نكون قد وظفنا الجزء الاكبر من الثروة المتوقعة عندنا في بناء ومن ثم تمتين البنية الهيكلية للمجتمع العربي ونكون قد اوجدنا ركائز التصنيع والتكامل الاقتصادي العربي اللذين يجعلاننا قادرين على مجابهة مختلف تحديات العصر .

وبرغم هجمة الرأسمالية الاميركية على معاقل الثروة العربية من اجل اجتذابها لتوظف في المصارف او بشراء السندات الحكومية الاميركية فقد تمكن العرب من ابقاء أولوياتهم واضحة من جهة التنمية الذاتية ومساعدة الدول الحليفة المتضامنة معنا في العالم الثالث . الا ان ما ظل غير متوفر بالنسبة المطلوبة هو توجه عرب الثروة نحو معالجة جذرية للتخلف البنيوي والاقتصادي والاجتماعي على صعيد المجتمع العربي ككل . من هذه الثغرة ، تمكن الاميركيون — والدول الغربية بشكل اجمالي — من اجتذاب قسم وافر من الاموال البترولية الى السوق الاميركية — والغربية — في حين ان المتطلبات العربية العامة بقيت بدون معالجة جذرية واكتفي بعمليات ترقيع ظرفية وغير مدروسة .

لقد كان الهدف واضحا عندما عملت الدبلوماسية الاميركية على جذب الاموال العربية الى السوق الاميركية : فمن جهة يتكون من خلال هذا التوظيف البالغ لغاية الان نحو ستة مليارات دولار ارتهان مصلحي يعوق التعبئة العربية الفورية لمجابهة اية مخططات اميركية يكون مردودها سلبيا على صراعنا المصيري مع اسرائيل . يضاف الى ذلك اننا نكون قد ساهمنا في حل تفاقم الازمة الاقتصادية داخل الولايات المتحدة وساهمنا بشكل مباشر او غير مباشر في تسهيل سياسة التمويل الاميركي للترسانة العسكرية لاسرائيل كما هو حاصل الان في مشروع تقديم مساعدات أميركية لاسرائيل تبلغ مليارين ونصف مليار من الدولارات . اكثر من ذلك فقد سنت الولايات المتحدة قانونا يمنع تحويل الدولار الى ذهب مما يجعل ما وظف من اموال عربية دون ضمانات سليمة ضد التضخم او ضد انخفاض سعر الدولار او غيرها من العوامل الطارئة على

الوضع المالي العالمي . كما ان جذب قسم من الثروة العربيـــة الى الخارج قبـــل ان يكون استوفى التكامل الاقتصادي على الصعيد القومي شروطه من شأنه تشجيـــع العلاقات الاقتصادية الثنائية مع اميركا والغرب على حساب قومية التنظيم الاقتصادي بحيث تعالج مصادر الثروة العربية مواقع الفقر العربي ، كما انه يتاح للولايات المتحدة ان ترسخ هدفا اساسيا لها بحيث تستطيع عزل الاقتصاد العربي عن امكانياتـــه في الحصول على مردود ايجابي لصالح متطلبات النضال العربي المصـــيري ومجابهتنـــا المتعددة الاوجه مع عدونا الصهيوني في فلسطين وفي كل مكان .

* * *

تستهدف الدبلوماسية الاميركية كما يبدو جليا تفكيك عناصر الوحدة والصلابة في الواقع العربي . فالولايات المتحدة ما فتئت تعمل على فصل العلاقات الاقتصادية عن الواقع السياسي ، فك سلاح النفط عن مجمل الاسلحة العربية ، فك سلاح النفط عن مستلزمات النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، ثم فك النزاع العربي الاسرائيلي عن القضية الفلسطينية . اذا تمكنت الولايات المتحدة ــ من خلال سياسة كيسنغر ان تنجح في هذا المضمار او على الاقل في اضعاف مستوى الارتباط العضوي بين هذه الابعاد تكون قد نجحت في خطتها الستراتيجية بالتفويت على العـــرب ان يجعلوا ميزان القـــوة في المنطقة مطابقا لحقيقة القوى البشرية والاقتصادية والجغرافية فيها .

من هذه الزاوية نجد ان السلوك الاميركي في اتباع منهج الخطوة خطوة لا يخيـــف الشعب الفلسطيني الا بمقدار احتمالات التجاوب العـــربي الممكن حصوله مع هـــذا السلوك . من هنا تنشأ التساؤلات الفلسطينية وهي تساؤلات مشروعـــة ومطلوب الاجابة عليها . الا ان وجود نزعة انعزالية أخذ نفوذها يتنامى في بعض الاقطار العربية والتي حولت التساؤل لتجعل منه بوادر حملة تشكيك على سياساتها. ان هذا التحريف المقصود لعملية استيضاح مستمرة يمليها شعور الثورة الفلسطينية بوحدة المصـــير ووحدة الانتماء القومي يستهدف تغذية التيارات الانفصالية بشتى اشكالها وكأن هذه التيارات تتحين الفرص لتنقض على كل ما يرسخ عوامل التلاحم والوحدة والاستشـعار بالمصير الواحد .

اكثر من ذلك فان القضية الفلسطينية لا يمكن ولا يجوز اعتبارها قضية الشعـــب الفلسطيني وحده وان ما علينا الا التضامن معه بل انها قضية العرب من حيث ان جزءا من وطنهم قد اغتصب واحتل وجزءا من شعبهم قد شرد وطرد من بلاده . واذا كانت الظروف التاريخية والموضوعية قد اظهرت خصوصيات قطرية في معظم الدول العربية وخاصة في كيان الشعب الفلسطيني الا ان هذه الميزات الفريدة لا تصبح مدخلا لاي تفرد يقوم به قطر او منظمة او كيان في عمل من شأنه ان يؤثر على المعادلات القومية والمصيرية . من هنا واجب التنبيه المشدد والمتكرر الى مخاطر الانحدار في مهـــاوي الاقليمية والى العمل على تعميم الفكر القومي . فقد شاهدنا في الاسابيع القليلة الاخيرة ما افرزته الاقليمية في عدد من الاقطار من سلبيات ارهقت بدون مبرر واقع التعبئـــة الجماهيرية ومكنت بوعي او بدون وعي الكيان الاسرائيلي ان يستعيد البعض مـــن انفاسه ومن قدرته على المناورة والحركة .

وهنا يتراءى لنا بوضوح المعنى الحقيقي لاستشهاد المناضل الشعبي معروف سعد الذي عمل طيلة حياته ان تكون الحركة الوطنية العربية في لبنان متوحدة في منطلقاتها

بدلا من ان تكون سجينة التشتت التنظيمي كما هي الى حد ما الان. جسد معروف سعد التوق الجماهيري ان تكون حركة الجماهير موحدة القيادة تخضع التباين العقائدي للاولويات التي تفرضها الظروف الراهنة والمرحلية لمعركة المصير أكان على المستوى القومي او المستوى المطلبي . كما انه دلل على ان الالتزام الحقيقي بالمطاليب الشعبية لا يمكن مطلقا ان ينفصل عن الامتزاج الكلي بقضية التحرير الفلسطيني لان سلامة التوجه نحو انتزاع المزيد من المكاسب للجماهير المحرومة صار منصهرا بشكل عفوي وجدلي بتحقيق انتزاع المزيد من المكاسب الوطنية للشعب الفلسطيني ولثورته الرائدة.

من هنا يتبين لنا الترابط المحتوم بين النضالات الجماهيرية والقضية الفلسطينية وكيف تحفز التيارات الانعزالية والتي تختبىء وراءها المصالح الاستغلالية على ضرب الحركة الجماهيرية والتوعية القومية الشاملة . فالانعزالية الجديدة ليست محصورة في النزوات الاقليمية والطائفية والانفرادية فحسب بل في التفرد بالتصرف بالثروات والسياسات القطرية . وحتى تغطي هذه الانعزالية المستجدة حقيقة مآربها تظهر حساسيات مفتعلة لتحول دون كشف حقيقة نواياها ومآربها .

المهم أن نبقى على التزامنا الوحدوي وان نبقى على التصاقنا بالجماهير ففي دفء الإنتماء اليها نتمكن من الابقاء على الوضوح في الرؤيا وسط المزيد من التعقيدات والصعوبات التي تواجهنا . الاهم ان انضباطنا وسيطرتنا على اعصاب الثورة امام ما نشاهده من تسيب وميوعة في الواقع القومي العام هو ما يجعلنا متفائلين تاريخيا وما يجعل حركة الجماهير العربية أكثر وثوقا بنفسها وبمستقبلها .

مناقشة آراء في تقييم الثورة الفلسطينية

منير شفيق

نشرت ، في العيد العاشر لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، مجموعة من المقالات تقيم مرحلة العشر سنوات الماضية في تاريخ الثورة الفلسطينية . وقد حاولت بعض تلك المقالات ، تحت ستار الاحتفاء بهذه الذكرى ، وتحت مظلة تأييد الثورة الفلسطينية ، ولو ظاهريا ، تمرير عدد من الموضوعات التي تنسف من الاساس أهم منطلقات الثورة الفلسطينية ، وعلى التحديد ، حركة فتح ، وتدين كثيرا من أهم مواقف الثورة وسياساتها وذلك عن طريق تجديد طرح تلك الموضوعات القديمة التي كانت دائما نقيضا للكفاح الشعبي المسلح الفلسطيني وخطه السياسي . ولهذا كان لا بد من مواجهة أهم ما طرح من تلك الموضوعات والرد عليها من أجل تحقيق هدفين: (١) اعادة التأكيد على صحة منطلقات الثورة التي أريد نسفها أو بعبارة أدق ، التأكيد على صحة استراتيجية وتكتيك الثورة الفلسطينية . (٢) تصفية ما لحق من تشويه بحقائق تمس تاريخ الثورة الفلسطينية ، وهي حقائق تحمل صفة الوقائع التاريخية التي يمكن ان تختلف الآراء في تقييمها ، ولكن لا يجوز أن يتلاعب فيها .

أولا : هل كان التأكيد على الكفاح المسلح « أوهاما » ؟

لقد ذهب البعض الى تخطيء الثورة الفلسطينية في تأكيدها على استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد من أجل تحقيق هدف تحرير فلسطين ، معتبرا ان ما تم من تكريس لخط الكفاح المسلح قد قام على « أوهام » تراكمت في رؤوس قيادات الثورة نتيجة بعض المعارك مثل معركة الكرامة . أما تفسير ذلك فيرجع الى مستوى النضج السياسي المتدني الذي كانت قد بلغته هذه القيادات . ولكن على أي أسس يقوم هذا التجريح ؟ انه يرتكز ، أولا ، على معارضة استراتيجية وتكتيك حرب الشعب بابراز أهمية العمل السياسي ، أو النضال السياسي . وذلك عن طريق الترويج لمغالطة تفصل فصلا تعسفيا بين الكفاح المسلح وبين السياسة . فمن جهة ينكر على الثورة الفلسطينية ، ومن خلالها على مفهوم استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد ، الوجه النضالي السياسي الذي يشكل مع الكفاح المسلح كلا واحدا . أو بعبارة اخرى ، يراد أن يعطى الكفاح المسلح مجرد صفة القعقعة بالسلاح ، او ارتطام السلاح بالسلاح ، وبهذا يطمس ما هو جوهري في هذا الموضوع . اي ان الكفاح المسلح هو سياسة محددة ولا يمكن أن يكون غير ذلك . واذا أريد أن يفهم ذلك النقد على حقيقته فيجب ان ينظر اليه بأنه يعارض سياسة محددة بسياسة محددة . انه يعارض سياسة حرب الشعب لتحرير فلسطين بسياسة الدبلوماسية والمؤتمرات الرباعية ومؤتمر جنيف ضمن اطار قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولهذا فان مناقشة هاتين السياستين لا يجوز أن تقوم على أساس معارضة الكفاح المسلح بابراز أهمية العمل السياسي . لان استراتيجية وتكتيك حرب الشعب لها سياستها استراتيجيا وتكتيكيا وفي مختلف المجالات ابتداء من التعبئة السياسية للشعب ومرورا بمواجهة سياسة العدو والعمل

على تفسيخ صفوفه وانتهاء بمختلف أشكال العمل الدبلوماسي ، أو بعبارة ادق العمل السياسي في جبهة الثورة وحلفائها وفي جبهة العدو وحلفائــه وفي الميدانين المحلــي والدولي . هذا اذا أريد مناقشة الموضوع من الناحية النظــرية . بيد انه اذا أريد مناقشته من الناحية الواقعية في تاريخ الثورة الفلسطينية ، فان التشويه هنا يبرز بصورة صارخة حين تنكر كل تلــك الوقائع التاريخية المتعلقــة بما أولته الثــورة الفلسطينية من النشاط في العمل السياسي سواء علــى مستوى التحريض السياسي والتعبئة السياسية في المجال الجماهيري ، أو على مستوى النشاط السياسي العربي بما في ذلك المشاركة في المؤتمرات على كل الاصعدة ، أو على مستوى النشاط الدولي في بناء علاقات سياسية مع احزاب ونقابات ومنظمات جماهيرية او مع دول . وذلك لم يلد بعد حرب تشرين وانما منذ البداية وراح يتصاعد باستمرار . واذا أريد فتح هذا السجل التاريخي فسوف يعج بالحقائق التي لا تحصى . وان ما يحدث الان من نشاط في مجالات العمل السياسي والدبلوماسي هو استمرار طبيعي وشرعي لنشاطها السابق في هذا المجال . والا فان تفسير ما يحدث الان من تقدم للثورة على الاصعدة السياسية والدبلوماسية لن يخرج من مازقه من دون افتراض سقوط معجزة هبطت من الخارج عن طريق اولئك القاده « الناضجين سياسيا » على الثورة التــي كانت « متخلفة » سياسيا .

ان المرتكز الثاني الذي يستند اليه النقد للكفاح المسلح الفلسطيني هو معارضته بالحديث عن مختلف اشكال النضال وذلك بطرح موضوعة تقول بضرورة الجمع بين اشكال النضال والتعايش بين كل اشكال النضال . ان هذه الموضوعة تقوم ايضا على مغالطة فهي من جهة تضع كل اشكال النضال على قدم المساواة دون ان تربط اشكال النضال باستراتيجية وتكتيك محددين او بمعنى اخر ادراك ان ممارسة اشكال النضال تخضع للاستراتيجية والتكتيك اللذين يتم تبنيهما لتحقيق هدف او أهداف محددة . فاذا كانت هنالك استراتيجية وتكتيك لاسقاط سلطة ما او تصفية كيان ما ، او نظام ما ، يقومان على اساس اتباع الطريق البرلماني ! فهنا لا بد من ان تتبع اشكال محددة في النضال ويتم الجمع بينها . اما اذا قاما على اساس الوصول الى انتفاضة مسلحــة عامة فهنا ايضا لا بد من ان تتبع اشكال محددة للنضال ، وان الامر لكذلك اذا قامــا على أساس تبني الكفاح المسلح طويل الامد الخ . ففي كل حالة ان أشكـــال النضال التي تتبع ليست واحدة . وكذلك حين تتشابه بعض الاشكال في هذه الحالة او تلــك فان محتوى التحريض السياسي يختلف تماما ، كما يختلف العمل السياسي والتنظيمي في كل المستويات . فاشكال النضال التي تتبعها ثورة مسلحـــة تختلف عن اشكـــال النضال التي يتبعها حزب سياسي تقوم استراتيجيتـــه وتكتيكه على اتباع الطريـــق البرلماني لتحقيق اهدافه . اما من الجهة الاخرى فان اشكال النضال التي تستخدم في كل حالة لا يمكن ان توضع على قدم المساواة ضمن أية حالة من هذه الحالات ، حيث لا بد من ان تعطى اولية لشكل نضالي محدد تخضع له الاشكال الاخرى المرافقة وتكون في خدمته . ومن هنا فان الذين حاولوا معارضة اشكال النضال المحددة التي اتبعتها الثورة الفلسطينية ضمن حالة تبني استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد ، باستخدام عبارة ضرورة الجمع بين كل اشكال النضال عليهم الا يطمسوا الاختـــلاف الجذري بين سياستين واستراتيجيتين وتكتيكين تحت دخان عبارة مثل « كل اشكال النضال » ، ومن ثم توجيه الضربات في ظلام الغموض لاستراتيجية وتكتيـــك الثـــورة الفلسطينية واهدافها وسياساتها . ان هذه الموضوعة « كل اشكال النضال » يمكن القبول بها على اساس عام جدا ، وبمفهوم شمولي بالنسبة للثوريين عموما بمعنى ان

بامكان الثوريين استخدام اي شكل من اشكال النضال المناسبة او اية مجموعة محددة من اشكال النضال . ولكن اذا فهمت علـى اساس ان الثوريين في كـل بلد يجب ان يستخدموا كل اشكال النضال او ان يعايشوا بين كل اشكال النضال هكذا دفعة واحدة فان ذلك يقود الى تخبط اسوأ من تخبط العشواء . ان هذه الموضوعة « كل اشكـال النضال » اذا ترجمت في بلد واحد ، وفي ظروف محددة ، فسيكون مؤداها الجمع بـين كل الاستراتيجيات والتكتيكات وهذا محال من الناحية العملية ، وهو غير صحيح من الناحية النظرية . لان كل ثورة وفق ظروف بلادها تحدد استراتيجية وتكتيك مناسبين معينين لتحقيق اهدافها وتمارس تبعا لهما اشكالا محددة مناسبة من اشكال النضال وليس كـل اشكـال النضال ، الا اذا وضعت اشكـال النضال في واد ووضعـت الاستراتيجية والتكتيك في واد اخر . وطمست تماما العلاقة العضوية بين اشكـال النضال ، بما في ذلك اعطاء الاولوية لهذا الشكل او ذاك ، وبين كـل استراتيجيـة وتكتيك محددين ، او ليس كل استراتيجية وتكتيك يتجسدان من خلال اشكال محددة من اشكال النضال ؟ وان استخدام شكل نضالي ما لا يتناسب مـع الاستراتيجيـة والتكتيك المحددين يؤدي الى دمار احدهما . ولعل فهم هذه الموضوعة هو الذي يفسر لماذا ولدت « قوات الانصار » فاقدة الحياة ، ولم تستطع ان تمارس شكلها النضالي ــ « لكي يعطى بالبرهان الساطع كيف تجمع كل اشكال النضال » !! ــ رغم ان القوى التي كانت وراءها وكذلك الامكانات اكبر بكثير مما توفر في البداية لاكبر منظمة فدائية ، ناهيك عن اصغر تلك المنظمات التي استطاعت ان تؤمن لنفسها ، ولو على الاقـل ، البقاء . ان السبب يرجـع ، ببساطة ، ان هذا الشكـل النضالي لا يتناسب مـع استراتيجية وتكتيك تلك القوى . ومن هنا فان الموضوعة التي يجب ان تدرك هي ان كل استراتيجية وتكتيك لهما **مجموعة من الاشكال النضاليـة المناسبة** التي يمكن ان تمارس في ظلهما . اما محاولة اضافة شكل نضالي غير مناسب لاستراتيجية وتكتيك محددين فلا بد من ان تلفظه الاستراتيجية والتكتيك المعنيان عن جسمهما كما تلفـظ النواة ، او كما حدث ولفظت « قوات الانصار » . اما اذا لم يحدث ذلك ، وكان الشكل الذي انتقل الى ممارسته لا يتناسب مع الاستراتيجية والتكتيك المعطيين وكان ذلـك الشكل ، على سبيل المثال ، بخطورة شكل الكفاح المسلح ، وكان جادا وحقيقيـا . فعندئذ لا بد له من أن ينبذ هو الاستراتيجية والتكتيك هذين ، لتحل محلهما استراتيجية وتكتيك اخرين مناسبين له . الان ، يمكن طرح السؤال ماذا كـان سيحدث للثـورة الفلسطينية لو عالجت كل اشكال النضال ، بما فيها الكفاح المسلح ، على اسـاس الطرح المردود عليه . اي وضع الكفاح المسلح ضمن ذلك الاطار الذي يشكل خلفية الحديث عن « كل اشكال النضال » كما كان الحال مع « قوات الانصار » ؟ الجواب ، تعطيه النهاية التي كانت « لقوات الانصار » .

عـلى ان مناقشة استراتيجية وتكتيـك حرب الشعب طويلـة الامد في الثـورة الفلسطينية من زاوية معارضة الكفاح المسلح بابراز اهمية العمـل السياسي ، او معارضة حرب الشعب بابراز ضرورة الجمع بين كل اشكال النضال ، لا تنطلق من تلك الانحرافات النظرية والمغالطات فحسب ، وانما ايضا ، وهذا هو الجوهر بالنسبـة للحالة موضوع البحث ، ينطلق من اغفال المسألة الرئيسية وهي تحديد طبيعة التناقض بين الشعب العربي الفلسطيني وبين الكيان الصهيوني ومن ثم تحديد الاستراتيجيـة والتكتيك المناسبين لمعالجة هذا التناقض . اي بمعنى هل يحمل هذا التناقض طبيعة عدائية (بل اقصى درجات العدائية) ام لا ؟ واذا كان كذلـك ، اي يحمل مثل تلـك الطبيعة العدائية فكيف يعالج ؟ ان الثورة الفلسطينية اقامت استراتيجيتها وتكتيكهـا

على اساس ان هذا التناقض ذو طبيعة عدائية ، شديدة العدائية ، ولا يمكن ان يعالج هذا التناقض الذي يحمل هذه الطبيعة الا من خلال الصراع المسلح من اجل تصفية الكيان الصهيوني . ولكن الصراع المسلح الذي يمكن ان يخوضه الشعب العربي الفلسطيني لا بد له من ان يتبع استراتيجية وتكتيك حرب الشعب طويلة الامد ، وذلك بسبب الوضع العسكري للعدو ، وبسبب الوضع الخاص بالشعب العربي الفلسطيني. ومن هنا فان المناقشة اذا كانت ستتناول جذر الموضوع فعليها ان تنطلق من تحليل هذا التناقض وتحديد طبيعته وكيفية معالجته . او اذا اريد استخدام عبارات اخرى ، فلا بد للمناقشة من ان تحدد الهدف ، تحدد طبيعة العدو ، تحدد سمات وضع الشعب ، وتحدد كيفية تحقيق الهدف . ان القفز عن كل هذه القضايا ومن ثم مناقشة الكفاح المسلح الفلسطيني من نقاط مجتزأة لا تتناول الوضع ككل يتيح للمناقشة ان تذهب بالموضوع الى الظلام لتسديد الضربات الخبيثة سواء للجوانب النظرية والسياسية في الثورة او لتاريخها .

ثانيا : هل كان موقف الثورة الفلسطينية من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ خاطئا ؟

ثمة من طرح في هذا الصدد يقول ان الثورة لم تدرك اهمية التكتيك السياسي في ظروف ميزان معين للقوى على صعيد المنطقة وعلى الصعيد العالمي . وفسر الصراع الذي دار حول قرار مجلس الامن بانه ارتكز في الاساس الى موقف التقليل من اهمية العمل السياسي .

ان هذا الطرح يكشف ١ — ماذا يقصد حين تتهم الثورة بموقف التقليل من اهمية العمل السياسي اي ان خلفية الاتهام هو مفهوم لعمل سياسي محدد وليس للعمل السياسي ولعلاقته بعمل الثورة . وهنا بالتحديد الموقف من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . لان الصراع الذي خاضته الثورة ضد القوى التي ارادت تحديد اهداف النضال الفلسطيني ضمن حدود قرار مجلس الامن المذكور هو عمل سياسي بكل ما تحمل الكلمة من معنى . الامر الذي يوجب الا تطرح القضية على اساس ان الثورة قللت من اهمية العمل السياسي ، وانما ليكن الخلاف على السياسة التي اتبعتها الثورة وعلى السياسة المقابلة التي يراد ان تكون البديل . لانه عندئذ تناقش سياستان محددتان ، وتحاكمان على اساس النتائج العملية لكل منهما على ارض الواقع . ٢ — ان الصراع الذي دار بين الثورة الفلسطينية وبين قوى محددة حول قرار مجلس الامن يجب الا يسحب على كل القوى التي وافقت على قرار مجلس الامن . فعلى سبيل المثال ان القائد الوطني الراحل جمال عبد الناصر اعلن منذ البداية ان من حق المقاومة الفلسطينية رفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ورفض ان يدخل في صراع معها حوله بل قامت العلاقة بينه وبين الثورة الفلسطينية على اساس دعم الثورة الفلسطينية عموما وان تخلل ذلك بعض الصراعات . ولكن الصراع الحاد دار مع الاتجاهات التي ارادت من الثورة الفلسطينية ان تقبل بقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ . واعتبرت ذلك القضية المركزية في علاقتها بالثورة ، وبادأت الثورة الهجوم وكان لا بد لها من ان تسمع ردا ، وان كان ذلك قد تم ضمن اضيق الحدود لان خط الثورة كان عدم تأجيج الصراعات الجانبية والتركيز على العدو الصهيوني . ومن هنا فان من يثير هذا الموضوع يجب ان يقر حقيقتين : الاولى ان الثورة لم تسع لتلك الصراعات ولم تتصرف « بنظرة اعتباطية » في ادارة تلك الصراعات بل كانت تسعى لاقامة علاقات ايجابية رغم الاختلافات . الثانية ان الثورة حين رفضت قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كانت تقف الى جانب الخط السياسي الصحيح والموقف المبدئي وذلك في رفض اعتبار قضية فلسطين مشكلة لاجئين يجب ايجاد حل عادل لمشكلتهم ، وكذلك رفضها التطوع

بالاعتراف لدولة العدو بحدود آمنة ، ويحـق اقامة الكيان الصهيوني علـى ارض فلسطين او القبول بأية تسوية تتضمن الاعتراف بدولة العدو او انهاء الصراع معه . اما الذين انطلقوا بمعالجة قضية فلسطين بدفـع الثورة للاعتـراف بدولة الكيـان الصهيوني ضمن حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧ ، او ضمن اية حدود اكثر او اقل ، لـم يفعلوا ذلك من خلال مواجهة مباشرة للموضوع وانما من خلال الحديث عن اهميـة العمل السياسي او « ادراك موازين القوى » الخ . اذن الخلاف في حقيقته يدور حول هاتين السياستين ، ولا يمكن ان تقبل الثورة الفلسطينية ان يدان موقفها السياسي في معارضتها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . او ان يدان صراعها ضد القوى التـي حاولت او تحاول دفعها للاعتراف بدولة العدو . ٣ ـ ان الحديث عن ادراك موازين القوى على صعيد « المنطقة العربية » وعلى الصعيد العالمي باتجاه التسليم بما تفرزه هذه الموازين ، ومن ثم انتقاد الثورة الفلسطينية لعدم تسليمها بافرازات تلك الموازين، لا يمكن الا ان يعيد مجددا الفراق الذي كان ، وما زال ، قائما بين خطين سياسيـين ومنهجيين في تناول هذه المسألة . فالثورة حين ترصد بدقة موازين القوى على مختلف الاصعدة ، وتأخذها بعين الاعتبار ، بل وبكل جدية ، لا تسلم لها او تستسلم امـام افرازاتها والا فقدت صفتها كثورة وتحولت الـى نقيضها الخط السياسي الاخـر .. المنهج الاخر الذي يزحف على بطنه امام معطيات موازين القوى ويخضع لها بخنوع ، ولا يجد له دورا في اتباع تكتيك دقيق وصحيح لتغيير تلك الموازين . الفرق هنـا ان الثورة في قلب تلك الموازين منذ البداية حتى النهاية ، وهي اكثر القوى حساسية في رصد تلك الموازين وحسابها بدقة ، الا انها ثورة لقلب تلك الموازين باستمرار لمصلحة قضية الثورة وتطورها وسيرها نحو النصر النهائي . ولهذا فان موضوع النقاش لا يمكن ان ينطلق من عدم ادراك الثورة الفلسطينية لموازين القوى المعطاة خلال تاريخها الطويل ، وانما من كيفية معالجتها لكل حالة من حالات موازين القوى . ولو كـان تكتيك الثورة خاطئا الى هذا الحد في تقدير موازين القوى لكان يجب ان تكون قد انتهت منذ امد بعيد .

ثالثا : من المدان في الصراع الذي دار بين ((الاحزاب الشيوعية)) وبين الـثورة الفلسطينية في مرحلة ما قبل ١٩٧١ ؟ في الواقع لم يكن هنالك من حاجة لفتح هذا الملف في الذكرى العاشرة لانطلاقة الثورة . اما ان يفتح بادانة موقف الثورة ، والقاء اللـوم عليها ثم تغسيل ايدي بعض « الاحزاب الشيوعية » من اية ادانة او لوم . وارجـاع ما دار من صراع الى « رواسب الحذر من الشيوعية » في موقف الثورة ، فهذا ما لا يليق بهذه الذكرى ، خاصة ، وان طرح الموضوع على هذه الصورة يأتي مجافيا تماما للوقائع التأريخية . ان فتح ذلك الملف يمكن ان يبين بالضبط ما هي نقاط الصراع ، وقد قدم اعلاه نموذج عن بعضها . كما يمكن ان يحدد من الذي فتح النار على الثورة واتهمها « بالاتجاه العاطفي المغامر » واعتبر ذلك الاتجاه خطـرا بمستوى خطـورة الرجعية (راجع بيان الاحزاب الشيوعيـة اللبناني والسوري والاردني عام ١٩٦٨ كتاب « وثائـق فلسطينية ص ٥٦٧ » ، راجـع الاخبـار اللبنانية ١٩٦٧/٩/٢٤ ، ١٩٦٧/١٠/١٥ ، راجع مقال فهمي السلفيتي ، مجلة « قضايا السلم والاشتراكيـة » عدد تشرين الاول ١٩٦٨) . هذا دون ان نأتي على تفصيلات تلك الوثائق ودون ان نذكر وثائق عديدة أخرى كلها كانت تصب باتجاه واحد هو اتهام المقاومة بالمغامـرة واعتبار « الهجمات التي تشنها الجماعات الفدائية داخل اسرائيل والاراضي العـربية التي احتلت بعد حرب الخامس من حزيران لا تعطي اية فائدة ولا جدوى لها لانها تقوي عزيمة اسرائيل وتبرر لها طلب المزيد من السلاح والعتـاد .... » ومن ثم اعـلان

المعارضة « لهذا النوع من المغامرات التي تعرقل مساعي التسوية السلمية وتزيد في توتر المنطقة » . أو كما جاء في مقال في مجلة « الوقت » تحت عنوان « أهداف حركة التحرر الوطني العربية » ، أيلول ١٩٦٨ : « ان مؤيدي هذا الاتجاه (يقصد المقاومة الفلسطينية) باقرارهم بشكل واحد واسلوب واحد في النضال مقابل تجاهل الاشكال والاساليب الاخرى ، وعدم اخذهم في الاعتبار الوضع وميزان القوى في الوقت الحالي، وخصوصا في اعقاب الهزيمة ، يسهلون مهمة الامبرياليين وحكام اسرائيل والرجعية العميلة الذين يبذلون ما في وسعهم لتخريب الانظمة التقدمية وتوجيه الضربات الى حركة التحرر الوطني العربية بكاملها » .

اذا كانت هذه هي الطريقة التي نظر بها الى المقاومة الفلسطينية ، وكانت هذه هي اسس معالجة الصراع معها فكيف يمكن ان تطمس كل هذه الوقائع فتدان المقاومة وتغسل الايدي الاخرى ؟

اما من الجهة الثانية وعلى المستوى نفسه طرح موضوع علاقة الثورة الفلسطينية بالاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية في اوروبا الغربية بحيث نقرأ في العيد العاشر لانطلاقة الثورة الفلسطينية ادانة لموقف الثورة الفلسطينية وتحميلها مسؤولية سوء العلاقات في تلك الفترة وتفسير ذلك بانه راجع لسبب غياب التقديرات الصحيحة لمواقع القوى وللظروف الدولية والاوضاع الخاصة بكل بلد . وهنا ايضا ، بهذا الصدد ، تشوه وقائع تاريخية وتعرض عرضا مقلوبا . حيث كان الحائل بين اقامة علاقات ايجابية بين الاتحاد السوفياتي وبين الثورة الفلسطينية طوال فترة ست سنوات من انطلاقة الكفاح المسلح ، يرجع الى موقف الاتحاد السوفياتي الذي رفض الاعتراف بالثورة الفلسطينية ، واخذ منها موقفا متحفظا جدا ، في حين كانت الثورة من جانبها تحاول كسب تأييد الاتحاد السوفياتي . بل ان المسألة لم تقف عند هذا الحد حيث اخذت عدة مواقف هجومية عبرت عنها مجموعة من المقالات التي نشرتها الصحف السوفياتية ونقلتها نوفوستي . فعلى سبيل المثال مقالة جورجي دادياتش — المراقب السياسي في وكالة نوفوستي — في صحيفة « سوفيتسكايا روسيا » ، في ١٩٦٩/٤/١٥ — اعيد نشره في صحيفة « الاتحاد » — راكاح — في ١٩٦٩/٤/١٨ حيث جاء فيه : « ان « فتح » تتمسك بسياسة « لا سلام ولا حرب » . وهذا شعار صاغه ليون تروتسكي ، ولم يأت بفائدة . ان رجال « فتح » والمسؤولين في سوريا يستخدمون شعارات « ثورية يسارية » ، برهن التاريخ عدم واقعيتها ، وهي في هذه الحالة تخدم اسرائيل » ... « ان شعار تصفية اسرائيل غير واقعي ، ومن غير الممكن اعادة عجلة التاريخ الى الوراء ، واقامة حكومة واحدة لليهود والعرب » .. « انه من المؤسف ان بعض قادة « فتح » يتبنون اهدافا سياسية متجاهلين الاوضاع العينية في الشرق العربي وتوازن القوى على الصعيد الدولي » . اما مراجعة وثيقة « آراء وملاحظات الرفاق السوفيات العلماء النظريين والقادة السياسيين حول مشروع الحزب الشيوعي السوري » والمنشورة في كتاب « قضايا الخلاف في الحزب الشيوعي السوري » — دار ابن خلدون — فسوف نقرأ آراء من الطراز اعلاه واستنكار أي طرح يشتم منه ازالة دولة الكيان الصهيوني ، والاخطر انه يدعو الى شق المقاومة مستقبلا ، الى جانب ضرورة التسلل الى داخل المنظمات لتغيير سياساتها من الداخل . لقد جاء في تلك الوثيقة قولهم : « الحركة الفلسطينية ليست متجانسة ، هناك جناح يساري ديمقراطي ، وهناك جناح يميني شوفيني ، وان كانا متحدين الان . المهمة هي بلورة الجناح اليساري والعناصر الديمقراطية وتقاربها من مثيلاتها في اسرائيل » (ص ١٥٧) ، « العمل بين الفلسطينيين : من اشكاله : التسرب الى منظماتهم

والتأثير في سياستها من الداخل دون اعلان . ومن اشكاله : الاتصـــال بالمنظمـــات الفلسطينية علنا وصراحة وقول رأينا . هنا الموقف المبدئي هام جدا » (ص ١٥٣) — لقد كتب هذا الكلام في ١٩٧١ والعلاقات بين الاتحاد السوفياتي والمقاومة الفلسطينية آخذة بالتحسن . وهو من شأنه ان يثير لدى منظمات المقاومة اشد انواع الحذر .

اذا كان هذا هو الموقف هنا ايضا فكيف تدان الثورة الفلسطينية ، بالنسبة لعلاقاتها في فترة ما قبل ١٩٧١ ، مع الاتحاد السوفياتي او مـــع « الاحـــزاب الشيوعية » في الغرب (ان الاومانتيه جريدة « الحزب الشيوعي الفرنسي » مليئة في تلك المرحلـــة بالعبارات العدائية الموجهة للنشاط الفدائي الفلسطيني).؟

أما من الجهة الاخرى فان الثورة الفلسطينية في تلك الفترة بذلت عددا من المساعي لبناء علاقات ايجابية ايضا مع دول الكتلة الشرقية ومع الاحزاب الشيوعية . ولم تكن لديها حساسية بالنسبة لموقف تلك القوى من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ولكنهـــا كانت تجد ابوابا موصدة في كثير من الاحيان ، وعندما كانت تفتح لها بعض تلك الابواب كانت تتقدم بقوة فعلى سبيل المثال ، علاقاتها مع « الحزب الشيوعي الايطالي » مـــع اواخر عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ ، علاقاتها بالفترة نفسهـــا مع « الحـــزب الشيوعي الهندي » ، اما بالنسبة للبلاد العربية فقد كان موقفها ايجابيا من « الحزب الشيوعي السوداني » ، ومن الحزب المماثل في المغرب ، بل انها طبعت كراسا لعلي يعطه امين عام الحزب في المغرب واعتبرته من منشورات الاعلام المركزي لحركة « فتح » ووزعته على اوسع نطاق . ومن هنا ينعكس ايضا من المدان ومن الملوم . كما ينسف مـــن الاساس ذلك التفسير الذي يتحدث عن « رواسب الحذر من الشيوعية » ، لان الحذر لو كان سببا لكان يجب ان يعبر عن نفسه في مكان اخر وهو العلاقـــات مع فياتنـــام وكوريا والصين الشعبية حيث لم تبن علاقات صداقة فحسب ، وانما ايضا ، ارسلت البعثات والدورات لتمكث في تلك البلدان شهورا عديدة .

ان الذين يؤرخون او يكتبون عن تلك الحقبة من تاريخ الثورة الفلسطينية ومواقفها وعلاقاتها مع القوى الاخرى لا يحق لهم ان يغيروا وقائع التاريخ دون ان ينكر عليهـــم حقهم في ان يحددوا مواقف من تلك الوقائع بعد تثبيتها موضوعيا .

رابعا : من الذي يلعب الدور الاساسي في الانتصارات ؟ ان طرح هـــذا السؤال يشكل مدخلا لمناقشة اتجاهات تحاول اعطاء العوامل الخارجية الدولية اهمية أولى فيما تحرزه الثورة الفلسطينية والنضال العربي من انتصارات . وتعتبر ان توثيـــق ارتباطات او تحالفات دولية هو الذي يقرر كـــل شيء . او هو الـــذي يلعب الدور الاساسي في كل ما حققته حركة التحرر العربية من انجازات . ان هذه الاتجاهـــات تحاول تجيير دور العوامل الداخلية سواء في الساحة الفلسطينيـــة او في الساحـــة العربية ، لحساب عوامل خارجية ، وهي مـــن ثم تدفـــع الى التبعية والتخلي عـــن الاستقلالية . لقد علمتنا تجربتنا في الثورة الفلسطينية ، وكذلك في نضال حركة التحرر العربية ، ان القانون العام القائـــل ان عوامـــل الحسم في كل صراع هي العوامـــل الداخلية ، اما العوامل الخارجية على اختلافها فهي عوامل مساعدة ، قانون صحيح تماما تؤكده تجربتنا الذاتية على مر عشرات السنين . لان العوامل الداخلية هي التي تشكل القوة الرئيسية الدافعة للتغيير وهي التي تطبع التغيير بطابعها وتعطيه سماته المحددة . ولهذا فان استقلالية جبهة الشعب عن التبعيـــة الخـــارجية واعتمادها ، اساسا ، على نفسها هو الذي يتيح لها خوض الصراع لحسابها ويمكنها من التحكم بمصيرها ، فضلا عن انها الاقدر في فهم قوانين الصراع في بلادها ، ومعرفة كيفيـــة

ادارته . ولكن اذا كان الامر كذلك فهذا لا يعني انها تعمل خارجا عن تأثير العوامل الدولية الخارجية وتداخلاتها في الصراع المحلي . اي ان القوى الداخلية لا تعمل في جزيرة معزولة ليس فيها غيرها وغير عدوها المباشر . ومن هنا فان تحديد مكانة العوامل الخارجية ، على اختلافها ، وكيفية التعامل معها ، يشكل شرطا اساسيا في قدرة العوامل الداخلية على لعب دورها بصورة جيدة ومبدعة . ويطرح هذا بدوره عددا من المسائل التي تجب مراعاتها في هذه العملية المعقدة : (١) على جبهة الشعب ان تحافظ على استقلاليتها ، ولكن هذه المسألة لا تتم الا من خلال شرطين اساسيين : الاول : الصراع ضد كل محاولات الاحتواء الخارجية . الثانية ، الاعتماد على الذات ، بصورة أساسية ، في كل المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية . ولكن هذين الشرطين مربوطان بشرط اخر هو توحيد الجبهة الداخلية واطلاق مبادرات الجماهير واعطائها دورا اساسيا في الصراع والسلطة وتنفيذ المهام النضالية المطلوبة (٢) ان تدهور وضع العدو سياسيا واقتصاديا وعسكريا وفقدانه القدرة على حل ازماته وتناقضاته الداخلية يضع امام الجبهة المتحدة المقابلة مهام الافادة من هذا الوضع للتقدم الى امام في الصراع لانزال اشد الضربات بصفوف العدو . (٣) ان تعقد الوضع الدولي وتفكك جبهة القوى العالمية المعادية وتعمق التناقضات في صفوفها يخلق وضعا مناسبا للافادة من العوامل الخارجية ، كما أن نجاح ثورات الشعوب ونهوض بلدان العالم الثالث للنضال من اجل المحافظة على استقلالها السياسي وتعزيزه بالاستقلال الاقتصادي ومقاومة الاحتكارات العالمية والنهب الامبريالي ، يشكل عاملا خارجيا مساعدا تفيد منه الثورة وحركة التحرير الوطني . ولكن حتى في مجال العلاقات مع الشعوب والبلدان الاخرى الصديقة لا بد من أن تبنى العلاقات على اساس المساواة التامة والاستقلال الفعلي .

ان معالجة الموضوع على هذه الصورة تتيح لجبهة الشعب ان تفيد من دورها باعتبارها العامل الداخلي الحاسم في تقرير مصير الصراع ، وتتيح لها ان تفيد من مختلف العوامل الخارجية المساعدة على احسن وجه . ومن هنا فان الاتجاهات التي لا تطرح الصورة امام الثورة الفلسطينية ، او حركة التحرر العربية ، على هذا الاساس لن تمتلك القدرة على طرح خط سياسي صحيح ، كما انها لن تستطيع تقييم تجربة الثورة الفلسطينية خلال العشر سنوات الماضية تقييما صحيحا دقيقا يمكن ان نخرج منه بالدروس المناسبة سواء من خلال النجاحات او الاخفاقات .

خامسا : نظرة عامة لتقييم تاريخ الثورة الفلسطينية خلال عشر سنوات ؟ ان الملحوظات التي اوردت اعلاه في الرد على بعض الاتجاهات التي تصدت في مطلع هذا العام لتقييم مسار الثورة خلال العشر سنوات الماضية ، لا تستهلك كل ما يمكن ان يلاحظ على تلك التقييمات لان ما دامت النماذج التي تم التعرض لها على تلك الصورة فهذا يعني ان كل ما تم التطرق اليه في تلك التقييمات يغرف من البئر نفسه ويحمل المنهج ذاته حتى في النقاط التي تبدو من حيث الظاهر صحيحة ومسلما بها . ان المسألة الاساسية هي انذلك المنهج المتبعفي تقييم تجربة الثورة الفلسطينية يقع دائما في مغالطة مفادها انه يراكم تعداد اخطاء الثورة الفلسطينية بشكل لا يبقي لها من جوانب صحيحة في سياساتها الا بعض الجوانب الثانوية ، والتي تذكر بصورة هامشية وعلى استحياء . فاذا كانت الثورة على ضلال ولنقل حتى عام ١٩٧١ كما يحلو للبعض ان يقول ، في استراتيجيتها وتكتيكها عسكريا وسياسيا ، واذا كانت على ضلال في تحالفاتها وتعاملها مع القوى الصديقة والعدوة فلسطينيا واردنيا ولبنانيا وعربيا

وعاليا ، أي اذا كانت متخلفة سياسيا ، ومغامرة عسكريا ، واعتباطية في تحالفاتها وتقييمها للقوى المختلفة ، ولم يهبط عليها الوحي الا في السنة الاخيرة . فكيف يمكن ان يفسر بقاؤها واستمرارها وتطورها كل تلك السنوات ، في ظروف مثل ظروف بلادنا ، وفي تعقيد مثل تعقيد الوضع فلسطينيا وعربيا وعالميا ؟ وكيف يمكن ان يفسر هبوط الوحي في السنة الاخيرة ؟ ان الذين يطرحون مثل هذا التقييم لا يستطيعون ان يتماسكوا في مثل تلك التحليلات ، لان ثورة مسلحة تكون على هذا القدر من الضلال في كل هذه المجالات الرئيسية لا بد لها من ان تسقط منذ المراحل الاولى ، او على الاقل ، ان تتحول الى زمر من المطاردين المعزولين عن الشعب . ان مثل ذلك التقييم الذي يجلل بالاخطاء تاريخ الثورة الفلسطينية في السبع او تسع سنوات التي تلت انطلاقتها لا يرتكب خطأ في التقييم فحسب ، وانما ايضا يسيء الى اعظم السنوات المجيدة في تاريخ الثورة الفلسطينية . فثمة فرق شاسع بين مثل هذا التقييم وبين التقييم الذي يرى ان الاتجاه العام في استراتيجية وتكتيك الثورة الفلسطينية كان صحيحا ولهذا استطاعت الثورة ان تنغرس في الارض وتثبت في وجه المؤامرات وحملات الابادة ومحاولات الاحتواء ، وتتقدم الى أمام دون ان يعني ذلك للحظة واحدة ان المسار كان مستقيما لا تعرج فيه ، أو ان التقدم كان بلا نكسات ، او ان الاتجاه العام كان لا يحمل اخطاء ونواقص . اما ان ينسف الاتجاه العام ، وفي كل المجالات ، ويتحول الى اتجاه عام خاطىء يحمل في طياته بعض الايجابيات والمواقف الصحيحة ، فهذا غير ممكن الا اذا أثبت احد ان الثورة كانت منذ بدايتها تسير الى الخلف وتتدهور ، وبدأت تنفذ الان . ولكن ، قطعا لا يستطيع أحد ان يفعل ذلك ، مهما حشد من مغالطات نظرية ، وأعمل مبضعه بالوقائع التاريخية .

مذكرات لاجىء سياسي

الشهيد كمال ناصر

في اليوم الثالث عشر من يناير ١٩٦٤ بدأ الشهيد كمال ناصر يسجل مذكراته . ولكنه لم يكتب الا هذه الصفحات القليلة . وتنشرها « شؤون فلسطينية » ، التي تحتفظ في قسم الوثائق بمركز الابحاث بجميع اوراق الشهيد كمال ، في الذكرى الثانية لاستشهاده وابو يوسف وكمال عدوان .

لقد كنت دائما اتوق واحلم في كتابة مذكراتي ، امنية طالما راودتني ، ولكنني لم اكن اتعجلها ، فما زال العمر كما يبدو متسعا لانسان لم يبلغ بعد الاربعين من عمره ، وما زال يطمع في ان يعيش الاحداث ويسهم في صناعتها حتى تتوفر له المادة والتجربة كاملتين لا يشوبها لف او نقصان . كنت احلم في ان تكون «مذكراتي» شبه «اعترافات» صادقة ادونها ، مواكبا كل حياتي ، شأن كل من حولي على مائدة الوجود يجب ان ينهي حياته بأمر يحتال به على الخلود ، وكنت أود ان أقوم بذلك وانا في العقد السادس او السابع من عمري حتى تجيء اعترافاتي الانسانية كاملة صادقة لا تتأثر بظروف او الاحداث المعاصرة ، فانا من هواة كتابة الاعترافات في محراب التاريخ ، أكثر من كاتب مذكرات تمليها احداث معينة ، ووقائع يزيفها المزيفون بوعي او بدون وعي .

فما الذي حدث لي اليوم ؟ ما الذي اجلسني — انا الذي لا احسن الجلوس ابدا — وراء مكتبي لادون او اكتب هذه المذكرات ... ما الذي حركني فجأة ، بالقلم ووضعه بين اناملي ، ولملم الافكار فجعلها تتداعى وتنمو في خاطري فتجري اسطرا سودا تؤلفها كلمات كنت احب لها ان تموت على لساني مهما ثقل بها ، وتخنق في صدري آمالا ابوح بها حتى ينضج الزمن ، فيقرأها من يقرأها للعبر وللتسلية لا أكثر ولا أقل .

لست ادري ؟ فقد يكون هناك مليون سبب وسبب ، وقد لا يكون هناك اي سبب يبرر هذا التعجل . وكل الذي ادريه انني اجلس اليوم وراء مكتب أزرق كالح في فندق متواضع نظيف في حي « المرجة » من مدينة دمشق ، دمشق قلعة التحدي كما يحب ان يسميها بعض الرفاق ، او دمشق ، « بستان هشام » كما يحب ان يسميها أولئك الذين عرفوا بالانفصاليين .

انني اجلس وراء مكتب ازرق كالح فخم في فندق نظيف بحي المرجة من مدينة دمشق اكتب واكتب واكتب ، بدون انقطاع او ملل ، اريد ان انتهي بسرعة ، اريد ان اهـرب الى عالم جديد ، دنيا جديدة ، فانا مرهق وحزين ومثقل القلب، الافكار التي تـدور براسي تؤلمني لم اعد اقوى حملها ، يجب ان اتخلص منها ، فقـد ارتـاح ، وتعود ابتسامة الى وجهي، والذي يظهر انني لم ابتسم منذ أمد طويل . هكذا تقول لي مرآتي والتجاعيد قاسية على جبيني اذن فلا بد ان ارتاح ، ان اكتب شيئا وان اقوله للناس فلربما اشترك بعضهم في تحمل عبء سنوات سبع عشتها وما ازال اعيشها وسـط دوامة قاسية عاتية لا ترحم ، تجرني وتبصقني ، وتعود فتأكلني لتجرني وتبصقني دون ان استطيع السيطرة عليها وتمزيق تياراتها اللئيمة الحاقدة .

اليوم هو الثالث عشر من شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٤ . وملـوك العـرب ورؤساؤهم مجتمعون في القاهرة لبحث العدوان الصهيوني في تحويـل مجرى نهـر الاردن . ما اجمل واروع هذا اللقاء بعد خصومة ضارية ونباح علـى اجهزة الاثـير تستمر اكثر من سبعة اعوام بين اخذ ورد ، وهزال جد سخرت منه الدنيا وتشكـت منه رفات الجدود !!

والحقيقة ان موضوع تحويل مجرى نهر الاردن موضوع خطير وهام . لقد اجمعت كل المصادر العربية على تأييد هذه الخطة . واخطر من الخطر تجري محاولة لبحـث قضية فلسطين من جذورها . قضية فلسطين كانت وستبقى حتى تحل ، قضية الامة العربية ، القضية التي ارتبط بها شرف الامة العربية كما اجمع كل الزعماء والساسة والخطباء في كل مناسبة ، وكل مناقشة وبعد كل انقلاب منذ ستة عشر عاما ، اي منذ اليوم الاول للمأتم الكبير الذي سار فيه حكام العرب وملوكهـم ورؤساؤهم مطأطئي الرؤوس حزنا والما وربما خجلا لمصرع الحبيبة فلسطين ، بؤبؤ عين العرب وفلـذة كبدهـم .

أجل انه اليوم الثالث عشر من شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٤ والزعماء والرؤساء العرب يتبادلون القبل والتحيات والانخاب في القاهرة . وتذر وكالات الانباء واجهـزة الاعلام اخبار هذه القبل والتحيات والانخاب . ويتفاءل العرب ـــ بعض العـرب ، وترتفع المعنويات ، ترتفع الاصوات بالصلوات ، وتنتابني الذكريات . ويحملني الخيال الى الماضي ، وفجأة أجد نفسي في الشام . في دمشق الشام اجلس وراء مكتبي الازرق اتحدث مع نفسي في « هلوسة » حديث المحموم المريض ، فأسألها وبصدق وكـأنني افيق من سبات طويل طويل : اين انا ؟ وماذا افعل هنا ؟ ماذا افعل هنا في هذا الفندق المتواضع النظيف في ساحة المرجة من مدينة دمشق الشام ؟؟ عام ١٩٦٤ ! احـس بقساوة تقع على عيني فاغمضهما على ذكريات مؤلمة ، ليست بعيدة جدا تعود الى ما النكبة في فلسطين ، لتصحو على اصداء نكسة الاردن حملتني بعيدا بعيدا عن كـل شيء . ومرات تقاذفني منذ سنوات سبع في كل مكان ، والى كل مكان .

بالقدر الذي تطبع فيه الرومانتيكية هذه المقدمة لمذكرات سياسية ، بالقدر الـذي يؤكد الكاتب به هكذا احس . وكان لا بد ان يكتبها اي المقدمة بالاسلوب الذي يعبر به عن صدق احاسيسه .

ـ اصداء مـــن الاردن ـ

سبع سنوات . أجل سبع سنوات وانا بعيد عن الاردن البلد الذي اصبحت بحكم النكبة احمل جنسيته ، فانا فلسطيني ضاعت جنسيتي الاولى بسقوط بلدي في ايـــدي الصهاينة ، وضاعت جنسيتي الثانية عندما طردت او هربت من الاردن بعد اختفـــاء دام ما يزيد على السنة ونصف السنة . ولست حزينا على ضياع الجنسيتين اللتـــين تتجسدان في جوازين للسفر ، فضياع الوطن او جزء منه ، وانحراف في حكام الوطن او بعض حكامه اكثر خسارة والما من ضياع الجنسية والتسكع على ابواب السفارات العربية طلبا لجنسية او هوية مرور .

المهم انه قد مر سبع سنوات على نزوحي الاضطراري من الاردن . وكلمة نـــزوح الطف واخف وقعا على النفس من كلمة الهزيمة او الهرب . وبالرغم ان الكثيرين مـــن الرفاق قد ساعدوني وهونوا علي عنف التعبير ومعناه الذي يجرح ، فبرروا الهزيمـــة والهرب وابتكروا الف تفسير علمي لهما ، وابتدعوا الف نظرية وفلسفة فقالوا بسياسة « التحرير من الخارج » منهم من بالغ فحاول ان يطبق نظرية « خطوتين الى الـــوراء وواحدة الى الامام » واستشهدوا بعشرات الذين سلخوا ثلاثة ارباع حياتهم في الخارج من أجل الزحف المقدس وتحرير الداخل . ولكن كل ذلك لم يهون علي ومرت الايـــام والسنون لتثبت لي الذي ارتكبته بخروجي او هربي كان خطأ قاتلا . وكـــان لي ان استسلم وبرجولة للمحاكمة ، او ان ابقى مختفيا ، او ان افتش عـــن طريقة اخرى للموت الشريف والاستشهاد . كل ذلك كان افضل وارحم من ان يموت الانسان كـــل يوم الف مرة وحيدا غريبا الا من ايمانه وكبريائه الشخصي . وقد يكون السخف وعدم الايمان طرح الموضوع بهذا الشكل المهين ، لا سيما وقد لجأنا الى بلاد عربية متحررة ، نحن اعرف الناس انها جزء لا يتجزأ من وطننا الكبير ، وان حكام هذه الدول قد عملوا ما في وسعهم للعناية بنا على صعيد الضيافة والرعاية الخاصة . ولكن وبالرغم من هذه المسلمات فالقضية قضية اللجوء السياسي تبقى اكبر من ذلك ، واخطر من ذلك بكثير ، وفكرة النزوح ، وتغيير الساحة النضالية خطأ ارتكبه الكثيرون نحذر منه ونوصي بعدم اللجوء اليه . فمن حياتنا ومعاناتنا ، وقلقنا الرهيب الذي عشناه متسكعين في عواصم الدول العربية خلال سبع سنوات الاخيرة نحب ان ننقل تجربتنا الى ابنائنا ورفاقنا في النضال ، بل الى كل مناضل يحترم نفسه ونضاله ويحرص على ان يبقى كما هو دون تشويه في احاسيسه وايمانه ونظرته الى الوجود .

ان اصلب الناس ايمانا ينهارون امام ازمة اللجوء وفراغه . واننا ومن خلال هذه الازمة سنروي ذكريات سبع سنوات قضيناها متسكعين مع هذا الوحش الكبير الذي تواضع الناس والعلماء عندما سموه باللجوء السياسي .

* * *

وقبل ان استطرد في سرد ذكرياتي ومذكراتي خلال السنوات السبع التي قضيتهـا لاجئا متسكعا مناضلا بايماني وقلمي وهذا اضعف الايمان ، بل اضعف تبرير لعلمية النضال الحقيقية احب أن أعود بعض الشيء الى ذكريات لم تطمسها الايـام بعد ، ذكريات وجودي في الاردن ، فوق الارض تحت الارض ، هذه الفترة الزمنية التـي سبقت هربي من بلادي ، احب ان اشير اليها في هذه المذكرات ، بل احب ان اتحدث عنها والحديث ذو شجون .

قبل سبع سنوات وعلى ما اذكر كنت نائبا لمنطقة رام الله في مجلس النواب الاردني، وبالرغم ان ذكريات هذه النيابة اصبحت باهتة في خيالي بعد ان اصبح ثلاثة اربـاع قطط المنطقة نوابا لها في السنوات السبع الاخيرة مدة غيابي . الا انني احب ان اشير انني وصلت الى مقعد النيابة لاهثا ومتعبا ولكن بشرف وبعد نضال وطني دام سنوات طويلة ، فلقد كان للنضال الوطني طعم في تلك الايام على ما اذكر ، وكان الطريق الـى البرلمان من خلال انتخابات حرة هو اقصى ما يطمع اليه المناضل العقائدي ليتمكن من رفع صوته والترويج لمبادئه ومثله من خلال سلطة تزيد في المناضل بعد سنوات طويلة من التعب والضرب والسجون المختلفة التي مر بها معظم احرار بلدنا في تلك الفتـرة اي بعد نكبة فلسطين حتى عام ١٩٥٦ حتى تسلمت ما اسميناه « بالحركة الوطنية » زمام الحكم .

وللحركة الوطنية في الاردن تاريخ وذكريات اهميتها في تاريخ وتطورات الاحـداث في المنطقة ولكن الذي لا شك فيه ان جزءا من هذه الذكريات مضحك ومبك في وقـت واحد ، وانني في معرض الحديث عن هذه الحركة اود لو يتسم حديثي بالموضوعيـة التامة دون ان أتطرق الى الجانب المأساوي في تاريخها ، ولكن كثرة التناقضات التي ظهرت فيما بعد ، والمعلومات التي اطلعت عليها شكلت عندي قناعات نهائية في كثـير من الامور سأمر عليها في حديثي ، ولكنها مع ذلك لم تستطع ان تقلـل من الجـانب المأساوي وبالتالي المضحك المبكي من تاريخ هذه الحركة ووجودها .

الجنرال أندريه بوفر والصراع العربي ــ الاسرائيلي

المقدم الهيثم الايوبي

يعتبر الجنرال اندريه بوفر من أشهر المعلقين العسكريين الفرنسيين المحدثين ، ان لم يكن أشهرهم على الاطلاق . وترجع شهرته الى انه كان ضابطا مثقفا ثقافة عالمية متعددة الجوانب ، بالاضافة الى ثقافته العسكرية الواسعة ، وخبرته القتالية العملية في مسارح عمليات متباينة في طبيعتها وفي طبيعة الحرب التي دارت عليها ، وممارسته الطويلة لمهمات حساسة في أجهزة قيادة حلف شمالي الاطلسي (OTAN) فلقد شارك بوفر في الحرب العالمية الثانية كضابط في سلاح المشاة ، ثم خدم في الهند الصينية بعد ذلك (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) حيث قاد عمليات القوات الفرنسية في تونكين « المنطقة العليا » ، وعمل في هيئة أركان الجنرال دولاتر دوتاسيني . وفي مطلع الخمسينات انتقل الى الجزائر وعمل هناك كقائد لفرقة المشاة الميكانيكية الثانية . وفي آب (اغسطس) ١٩٥٦ عين الجنرال بوفر قائدا للقوات الفرنسية المعدة للاشتراك في العدوان على مصر (القوة ــ آ Force A) ، وكان آنذاك في غيلما يقود منطقة العمليات الشرقية في الجزائر ، ويمارس حملة التهدئة السياسية ــ الاجتماعية . ولقد شارك في تخطيط العدوان في لندن وباريس والجزائر منذ ١٠ آب (اغسطس) ١٩٥٦ ، وقاد قوات الانزال الجوي ــ البحري الفرنسي على بور سعيد وهو على ظهر المركب الحربي الفرنسي Gustave Zédé ، ثم نزل الى بور سعيد في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ ، وكاد أن يقتل في معركة بور سعيد عندما أطلق المصريون النار من مبنى هيئة قناة السويس على زورق كان ينقله مع عدد من الضباط في صبيحة ١١/٦ ، ولكنه نجا بأعجوبة ، رغم اصابة الزورق ، وبقي بوفر في بور سعيد حتى انسحاب القوات المعتدية في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) . وبعد انتهاء العدوان الثلاثي عمل بوفر في المانيا كمساعد لقائد القوات الفرنسية المتمركزة هناك ، ثم عين رئيسا للفريق الفرنسي في حلف شمالي الاطلسي ، وقضى فترة من خدمته في الولايات المتحدة . وفي العام ١٩٦٠ رقي بوفر الى رتبة فريق أول (general d'armée) ، وأحيل على التقاعد في العام نفسه .

بيد أن ترك الخدمة الفعلية لم يبعد بوفر عن الفكر العسكري ، فلقد التحق بالمعهد الفرنسي للدراسات الاستراتيجية التابع لمركز الدراسات السياسية الاجنبية ، وأصبح رئيسا له وواحدا من أكثر باحثيه انتاجا ، وكانت دراساته تنشر في المجلات العسكرية الفرنسية الهامة : الاستراتيجية Stratégie ، والقوات المسلحة الفرنسية forces armées françaises ... الخ ، كما كانت تعليقاته العسكرية الصحفية تنشر في صحيفة « الفيغارو » ومجلة « باري ماتش » .

وبالاضافة الى المقالات التي كان يطرح فيها أفكاره الاستراتيجية وتعليقاته على

الاحداث العسكرية العالمية ، فقد نشر الجنرال بوفر أربعة عشر كتابا* يعتبر بعضها من امهات الكتب التي طرحت « الفكر العسكري ــ السياسي » الفرنسي والعالمي في النصف الثاني من هذا القرن ، نظرا لشموليته ، ودراسة الحرب فيه ضمن الاطار الاقتصادي ــ السياسي العالمي ، سواء كانت هذه الحرب تقليدية أم ثورية ، محدودة أم شاملة . ومن الملاحظ ان الجنرال بوفر لم يبدأ نشر دراساته العسكرية الهامة وكتبه الاستراتيجية الا في العام ١٩٦٣ ، بعد ترك الخدمة الفعلية بثلاث سنوات . وسنحاول في هذا المقال تحديد موقفه من الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، استنادا الى كتاباته العديدة التي تطرقت الى هذا الصراع بشكل منفصل ، أو ضمن اطار دراسة واسعة متعددة الجوانب .

لقد خضع موقف الجنرال بوفر من الصراع في الشرق الاوسط لعدة عوامل أهمها : ١ ــ تكوينه الاساسي كضابط محترف مؤمن بأفكار المدرسة الفرنسية الاستعمارية ، ٢ ــ تمسكه بالفكر البورجوازي التقليدي ، ٣ ــ ايمانه بدور فرنسة العالمي ، ٤ ــ اشتراكه الفعلي في حرب ١٩٥٦ ، ٥ ــ اطلاعه الاستراتيجي الواسع الذي جعله يرى الاحداث وسط المعطيات العالمية ، ٦ ــ تطوره الفكري في أواخر الستينات وتطور موقفه من حركة التحرر العالمية بشكل خاص .

كان بوفر ينظر الى اسرائيل في الخمسينات كدولة متقدمة ديناميكية قادرة على مجابهة جيرانها المتخلفين العاجزين عن تحقيق الوحدة أو تبني استراتيجية موحدة للصراع ضدها . وكان يعتبر الحركة الوطنية العربية حركة مدفوعة من قبل السوفييت ، ويرى ان من الممكن تدميرها وايقاف مدها بفضل قوة اسرائيل المسلحة . ويعتبر الحروب التي تشنها اسرائيل ضد جيرانها نوعا من العمل العسكري المبرر ، الذي تدافع فيه الدولة الفتية عن نفسها . وفي الستينات، كان بوفر من مؤيدي اسرائيل والمعجبين بقواتها المسلحة ، ولقد زار اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ واجتمع مع قادتها العسكريين، وأبدى اعجابه بانجازاتهم العملياتية واستراتيجيتهم السياسية والعسكرية . ولكن هذه الحرب والتطورات التي تلتها ، ورفض الزعماء الصهاينة لكل المحاولات الدولية الرامية الى ايجاد مخرج لازمة الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وتمسك اسرائيل بالاراضي المحتلة ، وقيامها بعمليات القمع ضد السكان العرب ، وجهودها المستمرة لتهويد المناطق المحتلة في حرب ١٩٦٧ وخلق حقائق جديدة تفرضها على العالم ، وعنجهية الزعماء الصهاينة وعجرفتهم وتصرفهم بلا مبالاة ازاء اوروبا ، وانحيازهم الكامل لسياسة الولايات المتحدة ، كشفت للجنرال بوفر ، وللكثيرين من الاوروبيين طبيعة اسرائيل العدوانية التوسعية ، ومدى استعدادها لجر العالم الى أتون حرب تهدد الاقتصاد العالمي بالشلل ، كما تهدد بالتصعيد الى مستوى الحرب النووية المدمرة . وأدى هذا الامر الى تبدل موقف الجنرال من الدولة الصهيونية ، ووقوفه من الصراع العربي ــ الاسرائيلي موقفا اكثر موضوعية . ودفعه هذا الموقف الى زيارة عدد من البلدان العربية اكثر من مرة لاجراء اتصالات فكرية مع المسؤولين أو القاء محاضرات تشرح وجهة نظره من الصراع في المنطقة . ولقد تابع الجنرال بوفر حرب ١٩٧٣ عن كثب ، وحضر الى مصر وسورية بعد الحرب ، وقابل المسؤولين والمقاتلين ، وزار مسارح العمليات ، وكانت كتاباته خلال الحرب الرابعة وبعدها تتسم بالموضوعية الكاملة النابعة من وضوح الرؤية، وبقي الجنرال على موقفه المؤيد الى حد ما للحق العربي، حتى وفاته في يوم ١٣ شباط (فبراير) ١٩٧٥ في بلغراد.

* في نهاية الدراسة ملحق بثبت مؤلفات الجنرال اندريه بوفر .

نظرة عامة على الصراع

يعتبر الجنرال بوفر الشرق الاوسط منطقة ساخنة معرضة للانفجار في كل لحظة . ويعتبر أن « في الشرق الاوسط أزمة مفتوحة حادة ناجمة عن وجود اسرائيل »(١)، و« ان مسألة اسرائيل ستلعب خلال فترة طويلة دور المفجر الخطر في منطقة من اقل مناطق العالم استقرارا »(٢). ولكنه لا يرى أن وجود اسرائيل هو السبب الوحيد لانعدام الاستقرار في المنطقة ، بل يضيف الى ذلك عدة أسباب هي : ١ — التطور الجاري داخل الحضارة الاسلامية السائرة على سبيل التحديث ، ٢ — النفسية العنيفة التي يتمتع بها سكان المنطقة وعاطفيتهم التي تملؤهم بالحب حينا وبالكراهية حينا اخر ، ٣ — انقسام دول المنطقة الى دولة تقدمية واخرى تقليدية ، ٤ — وجود مصالح كبيرة عالمية في المنطقة (بترولية واستراتيجية) ، الامر الذي يدفع الدول العظمى الى التدخل فيها باستمرار ، وتحويلها الى منطقة من مناطق الحرب الباردة(٣). وهو يرى ان اسرائيل « التي زرعتها السياسة البريطانية على الارض العربية بتهور »(٤)لا تسبب اضطراب المنطقة فحسب ، بل تشكل عاملا قويا « قادرا على ايقاظ الضمائر العربية من سباتها »(٥)، واعطاء العالم العربي المجزأ « نوعا من الوعي المشترك ، ونوعا من التلاحم الذي لا يصل مع ذلك الى مستوى الوحدة . وقد يؤدي استمرار المجابهة العسكرية بين الدول العربية واسرائيل مدة طويلة الى بعث أمة عربية كبرى ، وعندها يصبح مستقبل اسرائيل نفسه حرجا »(٦).

ويضع بوفر الصراع العربي — الاسرائيلي ضمن اطار الصراع بين الدولتين الاعظم ويستنتج من ذلك ان الحروب التي سيعززها هذا الصراع ستكون بالضرورة محدودة ، تخضع لشكائم كابحة قوية جدا . وتأتي قوة الشكائم (تحديدات العمل) ، برأي بوفر ، من ضخامة مصالح الدولتين العملاقتين في المنطقة التي يمثل فيها النفط هدفا من الدرجة الاولى(٧)، ومن خوف هاتين الدولتين من الصدام المباشر بينهما « وتتدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، في الشرق الاوسط ، للمحافظة على التوازن ، لكنهما تتدخلان أيضا للمحافظة على النزاع ضمن اطار الحدود التي تقدران بأنها مقبولة »(٨). ومن هنا يرى ان التفاهم الضمني بين الدولتين الاعظم يؤثر على طبيعة الصدامات المسلحة العربية — الاسرائيلية ، ولكنه يرى في الوقت نفسه ان هذه الصدامات « ستحدد الى وقت طويل طبيعة التعارض بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة »(٩).

ويعتبر الجنرال بوفر الوحدة العربية — كما رأينا — عاملا هاما في تحديد مصير الصراع العربي — الاسرائيلي . ولقد كتب في العام ١٩٦٧ ، أن أهم أسباب عدم تحقيق وحدة الدول العربية المشرقية ، رغم المحاولات المتكررة لذلك ، هو « المركزية الشديدة لسياسة الجمهورية العربية المتحدة »(١٠) وقال عن وحدة دول المغرب العربي « ان آفاق التجمع في افريقيا الشمالية متوقفة الان بسبب الاختلافات العميقة في وجهات النظر بين الجزائر من جهة ، وتونس والمغرب من جهة اخرى . ولكن من المحتمل عودة هذه الافاق اذا ما بدلت الجزائر سياستها »(١١).

*

هذه هي بصورة عامة ، خلاصة وجهة نظر الجنرال اندريه بوفر حول مسائل الصراع العربي الاسرائيلي . وموقع هذا الصراع ضمن مجمل الاوضاع العالمية ، والاوضاع السائدة بين الدولتين الاعظم بصورة خاصة . وسنرى فيما يلي موقفه التفصيلي بالنسبة الى كل مرحلة من مراحل هذا الصراع .

حـــرب ١٩٥٦

بدأ اهتمام الجنرال اندريه بوفر الجدي بالصراع العربي ـــ الاسرائيلي قبيل حرب ١٩٥٦ ، وكان قبل ذلك التاريخ منهمكا في تنفيذ مهماته على مسارح عمليـــات أخرى بعيدة عن هذه المنطقة الساخنة من العالم ، لذا فانه لم يبذل جهدا خاصا لدراسة حرب ١٩٤٨ ، ولعل جذور اهتمامه بمنطقة الشرق الاوسط ترجع الى فترة عمله في الجزائر. تلك الفترة التي ساد فيها الاعتقاد داخل الاوساط السياسية والعسكرية الفرنسية « بأننا اذا كنا نود البقاء في الجزائر ، فان من المنطقي البحث عـــن سحق المركـــز العصبي للثورة العربية في البيضة »(١٢). ويحدد الجنرال بوفر هذا المركز العصبي عند حديثه عن أسباب حرب ١٩٥٦ بقوله « ان هذه الثورة ، الجزائرية في جوهرها ، كانت ولا شك مدعومة من قبل اجهزة الاستخبارات المصرية ، وكان مقر قيادتها [الثورة] في القاهرة . وفي العام ١٩٥٦ ، وبعد أن سارت حكومة غي موليه اخيرا وفق سياسة مقاومة ، كان من الطبيعي ان تؤدي هذه السياسة الـــى رد فعـــل فرنسي ضـــد مصر »(١٣). ولقد كان بوفر يرى أن حرب ١٩٥٦ ستؤثر بشكل غير مباشر على مسيرة الثورة الجزائرية ، ويعتقد أن انتصار فرنسة عـــلى مصر نهائيـــا ، وتحطيم النظام الناصري ، سيؤديان الى نتيجة واضحة تتمثل في تصفية الثورة الجزائرية ، وأن احتلال مصر واندلاع حرب العصابات فيها ، سيؤديان بالضرورة الى انخفاض حـــدة عمليات الثورة في الجزائر بشكل ملحوظ(١٤).

ومنذ بداية الاعداد للحرب ، كان بوفر يرى بأن الهدف منهـــا هو اسقاط الرئيس جمال عبد الناصر(١٥)، ويعتقد أن ذلك لا يمكن أن يتم الا عن طريق انزال قوات كبيرة في الاسكندرية وبورسعيد ، والسير باتجاه القاهرة لتدمير كبد الجيش المصري قبل أن يستعد المصريون للدفاع عن العاصمة . وعندما أدى تردد الانكليز الى تقليص الخطة ، والغاء الانزال في الاسكندرية ، والاكتفاء بالانزال في بورسعيد وبورفؤاد ، كان بوفـــر يحاول الضغط للخروج من الخطة المحدودة وتوسيع العملية حتى تشمل القنطـــرة والاسماعيلية والسويس ، والتحرك بعد ذلك نحو القاهرة من جهة الشرق . ويرفض الاكتفاء باحتلال بورسعيد وأخذ هذه « الرهينة » والمساومة عليها ، لانه يعتقد ان ذلك لن يؤدي الى اسقاط النظام المصري ، ولن يؤدي بالتالي الى تحقيق هدف الحرب كما يراه . وبقيت هذه الفكرة مسيطرة عليه حتى بعد الانزال في بور سعيد وبور فؤاد ، ولذا فقد أعد قوة مدرعة وقوات مظلية للقيام بهجمات مفاجئة واحتلال مدن القناة . واستقبل أمر وقف القتال المحدد في الساعة ٢٤ من يوم ٦/١١ بحنق شديد ، عبر عنه بقوله « أي عصبة من الحمقى ! (واستخدمت كلمة أشد عنفا) . انهم يتراخون في اللحظة التي ينبغي فيها القيام بالدفع »(١٦). ويذكر بوفر في كتابه « حملة السويس » انه لم يأخذ الانذار السوفياتي مأخذ الجد ، وفكر بعدم اطاعة أمر وقف القتال ومتابعة التقدم نحو الجنوب ، ولكن عددا من الصعوبات العمليـــة ، وخوفه من المعارضـــة البريطانية جعلته ينصاع للامر .

ويرى بوفر أن حرب ١٩٥٦ كانت حربا محدودة يمكن أن تحقق أغراضها اذا مـــا استطاع المهاجم فرض « الامر الواقع » بسرعة . ولذا كان من رأيه ـــ بعد الموافقة على خطة « موسكيتير المعدلة » المتعلقة بالانزال في بورسعيد واحتلال القناة ـــ القيام

بتنفيذ العملية بشكل مفاجيء ، وعدم الاعتماد على « القصف الجوي ـــ النفسي »*، وتقصير مدة القصف الجوي الاولي ضد المطارات حتى ٢٤ ـــ ٤٨ ساعة ، والبدء بعد ذلك بانزال جوي ـــ بحري في بورسعيد والقنطرة والاسماعيلية . ولكن الانكليز أصروا على تنفيذ « القصف الجوي ـــ النفسي » الذي بدأ في مساء ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر)، الامر الذي أفقد العملية عنصر المفاجأة . وعندما يحدد بوفر أسباب فشل العملية كلها فانه يذكر « ايقاع العملية وتاريخها »(١٧) كسبب رئيسي . ثم يؤكد في مكان آخر ، ان الاخفاق يعزى أساسا « الى ايقاعها [ايقاع العملية] البطيء أكثر مما يجب ، الذي سمح بقيام رد فعل سياسي شال »(١٨). ولقد أثرت هذه الفكرة على الجنرال بوفر بعد ذلك ، وبقيت تتردد في كتاباته طوال الستينات ، ودفعته الى الاستنتاج بأن فرض « الامر الواقع » لا يزال ممكنا في عصر التوازن النووي ، شريطة ان يتوفر عاملان : وضع سياسي ملائم ، وقوة عسكرية قادرة على فرض « الامر الواقع » بسرعة . واذا كانت القوة العسكرية ضرورية لتنفيذ المهمة قبل أن يستفيق الرأي العام من الصدمة، وقبل أن تتمكن الدول الكبرى من التدخل عسكريا كما حدث في كوريا (١٩٥٠)، أو سياسيا كما حدث في السويس (١٩٥٦) ، فان الوضع السياسي الملائم هو الذي يضمن استمرار العملية خلال الايام المحددة لها ، كما يضمن عدم الوقوع تحت ضغوط سياسية قوية بعد نجاح العملية ، لان مثل هذه الضغوط يمكن أن تجرد النصر العسكري من محتواه ، وتحوله الى هزيمة سياسية على غرار هزيمة ١٩٥٦ .

ولضمان العامل السياسي في حرب ١٩٥٦ ، قامت بريطانيا بمحاولات كثيرة لاجتذاب الولايات المتحدة أو تحييدها . ولقد رأى بوفر أن الجهود البريطانية المبذولة لم تكن كافية ، وانه كان على فرنسه أن تتخلى عن سلبيتها ، وأن تقوم بضغط سياسي مستمر على واشنطن لدعم الضغط البريطاني ، وان تستخدم وجودها في حلف شمالي الاطلسي كوسيلة للضغط السياسي « ولقد كان بوسعنا أن نهدد بالخروج منه [الحلف] اذا لم يعترف بحقوقنا في مصر (وفي الجزائر) »(١٩). وكان بوفر يرى أن مثل هذا الضغط سيؤدي الى الحصول على موافقة واشنطن ، أو سيؤدي على الاقل الى حل وسط يتمثل في تأجيل العملية الى ما بعد السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) ، موعد انتخابات الرئاسة الاميركية « وعلى كل حال ، فقد كان علينا أن ندافع بأنفسنا وبكل شدة عن وضعنا ، وأن لا نترك أمرنا بيد المتردد ايدن »(٢٠).

أما ضمان العامل العسكري ، فقد كان بوفر يرى أنه يتطلب عدة شروط : ١ ـــ النزول في الاسكندرية وبورسعيد بآن واحد لتأمين انزال قوة مدرعة كافية للتوجه نحو القاهرة ، ٢ ـــ أو الانزال في كل مدن القناة دفعة واحدة منذ يوم ١ تشرين الثاني (نوفمبر) عندما كانت القناة صالحة للملاحة ، بشكل يسمح بانزال وحدات برية قادرة

---

* اعتقدت القيادة البريطانية ـــ التي كانت في الوقت نفسه مسؤولة عن قيادة القوات البريطانية الفرنسية المشتركة في العملية ـــ ان من الضروري تدمير الطيران المصري خلال ٤٨ ساعة ، والبدء بعد ذلك بقصف يستمر (٨ ـــ ١٠) أيام ، أطلقت عليه اسم « القصف الجوي ـــ النفسي » . وكانت غايتها من هذا القصف تدمير ارادة المصريين واجبارهم على الاستسلام أو التفكير بالاستسلام ، عن طريق قصف اهداف اقتصادية وحكومية . واعداد انهيار القيادة المصرية نفسيا ، واقناع الشعب المصري بعجز قيادته وجيشه قبل تنفيذ عملية الانزال في بورسعيد . ولقد روعي خلال وضع خطة هذا القصف ضرورة عدم ضرب المناطق الآهلة بالسكان، وعدم الحاق الخسائر بالمدنيين، وذلك بالقاء منشورات قبل القصف لابعاد المدنيين عن مكانه . ولقد هاجم بوفر هذا الاسلوب ، واعتبره سببا من أسباب فشل العملية، لانه أعطى المصريين الزمن اللازم (من ١١/٣٠ حتى ١٢/٦) لتأليب الرأي العام العالمي وتعزيز الصمود الداخلي .

على التوجه نحو القاهرة ، ٣ ــ القيام قبل الانزال بتدمــير الطيران المصري (٢٠٠ طائرة) على الارض بضربة جوية مفاجئة قصيرة ما أمكن ، ٤ ــ استخدام قوة مدرعة ــ ميكانيكية حديثة ومتطورة وقادرة على مجابهة الجيش المصري (٣٠٠ دبابة) ، مع الاعتماد على المناورة وغــزارة النيران وارتفاع مستــوى التدريب لتعويض النقص العددي المفروض في الايام الاولى للقتال ، قبل نزول القوات المدرعة الكافية الى البر المصري ، ٥ ــ استخدام قوات محمولة بالهليكوبتر في عملية الانزال الجوي .

ومن المعروف أن الشرط الاول لم يتحقق بسبب تردد البريطانيين والخوف من تدمير الاسكندرية ووقوع خسائر بين المدنيين بشكل يستثير الرأي العام العالمي ، وعدم قدرة المعتدين على انزال وحدات مدرعة كافية لمجابهة الجيش المصري المجمع في الدلتا وقرب القاهرة (حوالي ٤ فرق) . ولم يتحقق الشرط الثاني بسبب تاخر موعد الانزال ، وقيام المصريين بسد قناة السويس عن طريق اغراق المراكب فيها . وتعذر تحقيق الشرط الرابع لان طبيعة ميناء بورسعيد لم تسمح بانزال أكثر مــن ١٠٠ دبابة فرنسية ــ بريطانية في الموجة الاولى ، وهي قوة غير كافية لمجابهة المدرعات المصرية المدعومة بمدفعية قوية . وجاء عدم تحقيق الشرط الخامس من أن القيادة الفرنسية لم تضع تحت تصرف الجنرال بوفر حاملة الطائرات ــ حاملة الهليكوبتر (Dixmude) الوحيدة المتوفرة لديها آنذاك ، رغم طلبه المتكرر لهذه الحاملة . وأصرت على استمرار هذه الحاملة في تنفيذ مهمتها السابقة المتمثلة بنقل طائرات الهليكوبتر الاميركية من الولايات المتحدة الى الجزائر بغية تعزيز القوات المحمولة جــوا العاملة هناك ضــد الثوار الجزائريين . ولم يتحقق سوى الشرط الثالث (تدمير الجزء الاكبر من الطيران المصري). ولكن هذا الامر لم يخلق الظروف الموضوعية اللازمة لنجاح العملية كما تصورها بوفر ، وانقلبت الحملة كلها من عملية تستهدف اسقاط الرئيس جمال عبد الناصر ، الى عملية تستهدف احتلال رهينة (بورسعيد) . ثم تحولت « الرهينة » نفسها الى « فخ »(٢١)، أو حسب تعبير الجنرال بوفر « تمخض الجبل فولدا فأرا »(٢٢).

ويذكر بوفر أن الحكومتين البريطانية والفرنسية لم تفكرا جديا باشراك اسرائيل في حرب ١٩٥٦ الا بعد فترة من بداية التخطيط . وأن الحكومة الفرنسية مالت منذ تموز (يوليو) الى العمل مع اسرائيل ضد مصر ، نظرا لتردد الانكليز . وانها أرسلت بعثة برئاسة الجنرال شال بمهمة سرية الى اسرائيل . ولقد تأثر أفراد هذه البعثة بحماسة الاسرائيليين وديناميكيتهم ، وبدأوا منذ عودتهم الى فرنسا يدافعون عــن مخططات اسرائيل ومواقفها ، وينادون بالتدخل ضد مصر مهما كانت الظروف ومهما كان الثمن ، ويؤكدون ما قاله لهم الاسرائيليون عن ضعف المصريين ، وحتمية الانتصار في الحرب ضدهم . وهو يرى أن أقوال الاسرائيليين لم تكن سوى طعم « فلقد كانوا في الحقيقة يعرفون جيدا صعوبات المعضلة ، وينتظرون منــا الدعم الذي كــان ضروريا تماما لهم »(٢٣). ويصف بوفر خطة الاسرائيليين بأنها اغارة واسعة النطاق ، تدوم ٣ ــ ٤ أيام ، وليس فيها أي قسط من المخاطرة العسكرية ، لانها تستخدم ما يعادل ثلاث فرق (واحدة منها مدرعة) ضد فرقة مصرية وفرقة فلسطينية ، وتخطط للقتال وفق أسلوب العمل من القوي ضد الضعيف . وما أن يحسم الموقف على الجبهة المصرية ، حتى يعود كبد القوات الاسرائيلية لمجابهة الاردنيين والسوريين الذين لن يجدوا الفرصة للتدخل في فترة العمليات القصيرة ضد مصر .

ورغم اعتراف بوفر بدقة الخطة الاسرائيلية ، فقد أشار الى ان الاسرائيليين كانوا بحاجة ماسة للدعم الفرنسي ، نظرا لان طيرانهم (بعد استلام عدد من طائرات المستير

الفرنسية) كان أضعف من أن يغطي اسرائيل ضد قاذفات « ايليوشين » المصرية ، وأضعف من أن يقوم في الوقت نفسه بحمايه الارتال الاسرائيلية المندفعه في سيناء من هجمات طائرات « الميغ » المصرية . وهو يرى بان الاسرائيليين كانوا بحاجة لتغطية جوية تتمثل في تدمير الطيران المصري على الارض ، كما كانوا بحاجة لتغطية بحرية لشواطئهم وموانئهم ، لان البحرية المصرية كانت متفوقة على بحريتهم بشكل ساحق . وبالاضافة الى ذلك ، فان عملياتهم البرية في العمق، وقواتهم المظلية التي سيتم ابرارها في سيناء، كانت بحاجة لامداد وتموين لا يستطيعون القيام به دون مساعدة دولة كبرى، كما كانت عمليتهم ضد القوات المتمركزة في قطاع غزة بحاجة لدعم ناري تقدمه السفن الحربية الفرنسية والبريطانية نظرا لقلة عدد المدافع المتوفرة في الجيش الاسرائيلي .

أما على الصعيد الاستراتيجي ، فقد كان تدخل الدولتين الغربيتين ضروريا لتجميد ٤ فرق مصرية داخل الاراضي المصرية ومنعها من التحرك الى سيناء لدعـم الفرقة المصرية الوحيدة المنتشرة فيها ، أو لشن الهجمات المضادة ضد الارتال الاسرائيليـة المتقدمة باتجاه قناة السويس « وكانت عمليتنا التي تخرج الجيش المصري من المعركة، المكمل الضروري للاغارة الاسرائيلية »(٢٤) .

وكانت اسرائيل بحاجة سياسية ماسة للتدخل الفرنسي ، وذلك لابطـال مفعول التعهد البريطاني بمحاربة اسرائيل الى جانب الدول العربية اذا ما قامت اسرائيل بخرق اتفاقيات الهدنة المعقودة في العام ١٩٤٩ . خاصة وان بريطانيا اعتبرت نفسها بعد حرب ١٩٤٨ مسؤولة عن ضمان « الوضع الراهن » في الشرق الاوسط . وكان التدخل الفرنسي وحده قادرا على تحييد بريطانيا أو جرها الى المعركة ، الامـر الذي يجمد جيوش الدول العربية (وخاصة الجيشين السوري والاردني) ويمنعهما من المشاركة في القتـال .

ويرى الجنرال بوفر أن هذه الاسباب كلها دفعت الاسرائيليين الى العمل بنشاط محموم لضمان التدخل الفرنسي ، وأنهم نجحوا في اقناع الكثيرين من القادة الفرنسيين بسلامة « صيغ العمليات الاسرائيلية الطوباوية »(٢٥) . وان القادة الاسرائيليين وضعوا خطتهم على أساس ضرب فرقة مصرية منتشرة في الصحراء وبدون تغطية جوية ، بثلاث فرق تملك تغطية جوية كاملة ، وتركوا لحلفائهم مهمة مجابهة ٤ فرق مصرية ، وكتائب عديدة من الحرس الوطني ، منتشرة في الاراضي المصرية الزراعية ، بقوات لا تزيد ، في الاسبوع الاول من القتال ، عن فرقة واحدة محرومة من معظم معداتها « وكان هذا يعني بالتأكيد ان علينا أن نحمل على عاتقنا كل المخاطر ، التي كانت مخاطر كبيرة »(٢٦) .

وعندما يقيّم الجنرال بوفر سير الحرب ، فانه يرى ان الانذار الانكلو فرنسي فـي ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) لم يعط نتائجه ، لان الرئيس جمال عبدالناصر رفضه بعد أن اعتبره « بلفة » . ولكن عندما بدأ القصف الجوي الانكلو ــ فرنسي ضد المطارات المصرية قام الرئيس المصري بسحب كبد القوات من سيناء للحفاظ عليها ضد الغزو (بعد نقاش مع عدد من الوزراء الذين كانوا يفضلون الدفاع في سيناء وعدم التراجع) ، ونقل الطائرات التي لم تدمر الى مصر العليا والسعودية ، وأصدر أوامره بتدمير أنابيب شركة نفط العراق(I.P.C.)داخل الاراضي السورية . وقرر الدفاع عن القاهرة والدلتا بمعظم القوات المتوفرة لديه ، واللجوء الى حرب العصابات اذا ما استطاعت القوات الانكلو ــ فرنسية تدمـير الجيش المصري . ويرى بوفر أن هـذا القرار المتخـذ ــ باعتقاده ــ في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) « هو قرار منطقي جدا ، ويجدر القول انه متلائم كل التلاؤم مع الوضع »(٢٧) .

وفي معرض تقييم اشتراك اسرائيل في حرب ١٩٥٦ ، يرى الجنرال بوفر أن دخول اسرائيل الحرب في النسق الاول ، وقبل تدخل الانكلو ــ فرنسيين بثمانية ايام « كان خطيئة استراتيجية »(٢٨)، وان هذا التدخل أدى الى تدعيم الوحـــدة الداخلية المصرية والعربية حول الرئيس جمال عبد الناصر ، وقلب الحرب من صراع على قناة السويس الى حرب مقدسة ضد الصهاينة وحلفائهم . « وبما أن هدفنا كان اسقاط ناصر ، فقد كان علينا أن لا نختار صيغة تدعم هيبتـــه . وكان هذا الامـــر خطيئة بسيكولوجية رئيسية »(٢٩) . ويرى بوفر ايضا ان تقدم الاسرائيليين باتجاه قناة السويس كان خطيئة استراتيجية عسكرية ، لانه أدى الى دفع القوات المصرية المنسحبة من سيناء نحو القناة ، الامر الذي كان من الممكن ان يزيد صعوبات العملية الانكلو ــ فرنسية ، لو ان هذه العملية شملت الانزال في مدن القناة . « ولو بقـــي الاسرائيليون في مواقعهم ، وأخذوا موقفا عدائيا ، لثبتوا الفرقتين المصرية والفلسطينية المنتشرتين في سيناء وغزة ، ولتعرضت هاتان الفرقتان للخطر من الخلف من جراء تقدمنا على طول القناة . ولكان الوضع الاستراتيجي للمصريين المهددين بآن واحد في الاسكندرية وبورسعيد والسويس وسيناء أشد صعوبة »(٣٠) . ثم يصل الى القول بأن المشاركة الاسرائيلية في القتال قد ساهمت في اعداد الانهيار المعنوي للجيش المصري ، الذي كان على الانكلو ــ فرنسيين انهاءه « **ولكننا لم نكن بحاجة له** [للتدخل] فلقد كانت وسائطنا قوية ، وقطعاتنـــا رائعة ، وكانت المساعدة الاسرائيلية اضافة لا فائدة منها ، وعاملا يجلب الضرر بلا جدوى »(٣١) . وانه كان من الاصح دعم اسرائيل بالاسلحة والمعدات وتركها تعمـــل لوحدها بدلا من مساعدتها بعملية عسكرية والادعاء بعد ذلك بأن غرض العمليـــة ايقاف هجومهـــا .

ويكذب بوفر الفكرة القائلة بأن النصر الاسرائيلي كان كاملا ، وانه كان بوسعه أن يوصل الاسرائيليين الى القاهرة . ويصف هذه الفكرة بقوله « ليس هناك ما هو أكثر منها خطأ »(٣٢) . نظرا لان الاسرائيليين لم يكونوا يمتلكون القدرة او الرغبة في اجتياز القناة . فقد كانت مؤخرتهم مهددة بخطر هجوم سوري ــ اردني . وكان بوسعهـــم حشد قوة تعادل ٣ فرق ، والقيام بهجوم سريع في سيناء ، ولكنهم كانوا عاجزين عن التوغل أبعد من ذلك ، والاشتباك في قتال ضار بعيدا عن بلادهم . « وعلى العكس ، لقد كانوا يعتمدون قبل كل شيء على قواتنا لتغطيتهم ضد اي هجوم مصري محتمل ، منسق ولا شك ، مع هجمات تشنها سورية والاردن . هذه هي الحقيقة »(٣٣) .

ويصف الجنرال بوفر حرب ١٩٥٦ بأنها فرصة ضائعة، وعملية ولدت ميتة، وحملة ناجحة عسكريا فاشلة سياسيا . وهو يرى ان هذه الحرب المحدودة كانت بعيدة الاثر، فلقد افقدت الغرب سمعته ، وكانت « نهايـــة الامبراطوريـــات ونهاية عصر » ، وأن خيبة أمل العسكريين الفرنسيين خلالها مهدت لعصيان القوات الفرنسية في الجزائر (١٣ ايار ١٩٥٨) ، وسببت انهيار الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وضياع الجزائـــر والامبراطورية الفرنسية في افريقيا، وانهيار سمعة البريطانيين، وتزايد دور الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في رسم سياسات الشرق الاوسط ، وابتعاد اوروبا عن الولايات المتحدة ، ودفع فرنسة الى التفكير جديا بخلق قوة ضاربة نووية مستقلة . (force de frappe) ، وأنها اوجدت نوعا من الوفاق بين الدولتين العملاقتين ، وثبتت الوضع الناصري عربيا ، ولم تستطع بأي حال من الاحوال تأمين الاستقرار في وضع الشرق الاوسط القلق .

حـرب ١٩٦٧

يختلف موقف الجنرال اندريه بوفر من حرب ١٩٥٦ عن موقفه من حرب ١٩٦٧ ، فلقد تحدث عن الاولى كطرف مشارك في التخطيط والتنفيذ ، ووضع في حديثه الكثير من المرارة الناجمة عن الفشل ، في حين تحدث عن الثانية كمراقب خـارجي ، لا يخفي تحيزه لاسرائيل ، واعجابه بشعبها « الديناميكي الشجـاع » وقيادتها العسكريـة « الكفوءة » . وهو يرى ان حرب ١٩٥٦ كانت عملية شنتها دول تؤمن بامكانية ايقاف « التيار التاريخي » ، كما تؤمن بدورها في تأخير تصفية الاستعمار في « عصر تصفية الاستعمار »(٣٤)، ولكنها لم تستطع تحقيق غرضها نظرا لاصطدامها بارادة دولتـين كبيرتين تعارضان استمرار الاستعمار الاوروبي ، وهمـا الولايـات المتحدة المعادية للاستعمار القديم بسبب واقعها التاريخي ، والاتحـاد السوفياتي المؤمن باللينينيـة المعادية للاستعمار بكل اشكاله(٣٥)، في حين ان حرب ١٩٦٧ كانت نوعا من الصراع بين الدولتين العملاقتين (الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) ، انفجر على شكـل حرب محدودة بين طرفين محليين (الدول العربيـة واسرائيـل) مرتبطين بهذيـن العملاقين . وهو يذهب الى القول بأن حرب ١٩٦٧ اندلعت عندما اراد السوفيـات استخدام حلفائهم العرب للضغط على الولايات المتحدة في منطقة حساسة بغية تشتيت جهود واشنطن المركزة على فيتنام ، وتخفيف حدة العمل العسكري الاميركي في الهند الصينية(٣٦). وأن هذا الضغط تجاوز غرضه منذ ان وجد الرئيس عبـد الناصر ان الفرصة امامه سانحة لتدعيم الوحدة العربية ، واعلان الحـرب المقدسة لتحريـر فلسطين ، ووجد الاسرائيليون ان ظهرهم الى الحائط ، ولا يستطيعون الا الرد علـى ذلك بهجوم اجهاضي مسبق(٣٧).

ويذكر بوفر ان اسرائيل كانت في ايار (مايو) ١٩٦٧ مهددة من قبـل جيرانها ، (الامر الذي تكذبه تصريحات القادة الاسرائيليين أنفسهم بعد الحرب(٣٨)) وانه كان عليها التخلص من هذا التهديد عن طريق الضربة الاجهاضية التي يعتقد أنها افضـل وسيلة « لخلق التطورات الخطرة في البيضة، والمشاركة في اعادة هيبة القوة »(٣٩). وهو يرى أن الاسرائيليين قاموا وحدهم في حرب ١٩٦٧ بعمل مماثل لحملة ١٩٥٦ ، « ولكنهم طبقوا بمهارة تدعو الى الاعجاب كل دروس هذه الحملة : المفاجأة الكاملة ، والسيطرة على الاجواء في يوم واحد، والانتصار البري الخاطف خلال يومين، واستثمار الفوز بعمق مع تفتيت نظام [العدو] . وحققوا بذلك انموذجا لاستراتيجية « الامـر الواقع » السريع ، المعد لقلب الوضع ، وتأمين الهيبة المعنوية المؤكدة ، والوصـول الى خارطة عسكرية ملائمة قبل ان يتمكن الرأي العام العالمي من التدخل »(٤٠).

ان بوفر يعتبر السيطرة الجوية عاملا هاما في تحقيق النصر في الحرب المحدودة ، نظرا لقدرته على التدخل بسرعة وعمق وقوة ، ولفاعليته الكبيرة في الارض المكشوفة. واذا حقق أحد الطرفين السيطرة الجوية الشاملة ، وكانت وسائطه الجوية كبـيرة ، استطاع منع خصمه من الحشد والحركة ، وأعطى قواته حرية عمل كبيرة . ولـذا فهو يعتبر ان حصول الاسرائيليين على السيطرة الجوية في اليوم الاول للحرب كـان عاملا حاسما في المعارك البرية التي جرت في صحراء سيناء . ولقد أشاد بوفر بنجاح الاسرائيليين في « المعركة الجوية الاولية » التي وصلـت في حـرب ١٩٦٧ الى ذروة النجاح « وانتهى الهجوم الاسرائيلي المباغت ، الذي احبط عمل الرادارات العـربية لقوة جوية غير محمية عمليا ومنتشرة في الخطوط الامامية اكثر مما يجب ، بسحق شبه فوري لقوات الخصم . وكانت لعبة تم اعدادها بصورة جيدة »(٤١). ويرجع النجـاح

الاسرائيلي — برأي بوفر — الى أن الضربة الجوية وجهت الى الطائرات وهي جاثمة على الارض ، الامر الذي جنب الطيران الاسرائيلي مخاطر المجابهات الجوية وعمليات الاعتراض ، ومباغتة عدد ضئيل من الطائرات في مطاراتها ، خاصة وأن مثل هذه العمليات الجوية كبيرة التكاليف ، وتستنزف سلاح الطيران ، ولا تتحملها سوى قوة جوية كبيرة للعدو ، تمتلك احتياطا كبيرا من الطيارين « ولكن قوة جوية من نوعية عالية كالطيران الاسرائيلي ، لا تستطيع أن تسمح لنفسها بعمليات جوية كثيرة التكاليف »(٤٢) .

ونتيجة لهذا الانتصار الجوي ، امتلكت القوات البرية الاسرائيلية حرية عمل واسعة ، وصار بوسعها المناورة بأقصى حد من الخفة والمرونة والعمق (على غرار الطيران والبحرية) ، « ونجح الاسرائيليون في نسف المحور الدفاعي المؤلف من فرق المشاة المصرية في يوم واحد ، عندما هاجموا الخطوط الدفاعية من أجنحتها ، ونقلوا القسم الاكبر من قواتهم المدرعة خلف مؤخرات الفرق المدرعة المصرية كيما يقاتلونها على جبهة معكوسة . وفي الحالتين ، ساهم الدعم الارضي الذي قدمه الطيران الاسرائيلي بقوة ، في انجاح المناورة»(٤٣) . وساهمت سرعة الرد الاسرائيلية وبطء ردود الفعل العصرية في انجاح الهجوم الاسرائيلي(٤٤) ، كما شارك في نجاح هذا الهجوم ، الانتشار المصري الخاطىء وفق الطريقة السوفياتية المبنية على خبرات الحرب العالمية الثانية واحتمالات استخدام السلاح النووي(٤٥) . وتحقق الحسم خلال يومين ، وانهارت ارادة القتال المصرية . واستطاع الاسرائيليون فرض « الامر الواقع » . قبل تدخل الدول العظمى ، « وبرهنوا بذلك اننا دخلنا في مرحلة عملياتية جديدة . فقد امست المكننة الشاملة ، واعمال الابرار الجوي المتحركة ، الشرط اللازم لحرب حاسمة بسرعة ، يتحكم بالحرب بمجملها الزاميا الحصول على تفوق جوي شبه مطلق »(٤٦) .

بيد ان فرض « الامر الواقع » لم يحقق أغراضه المرسومة من قبل الاسرائيليين . ويعيد بوفر سبب ذلك الى عاملين هما : ١ — سعة الارض ، ٢ — رفض القبول بالهزيمة . ويذكر في هذا المجال « ان حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] برهنت أيضا أن هناك علاجا شافيا قويا لاستراتيجية الامر الواقع . وهو يتمثل في الاسلوب الذي اتبع في روسيا عندما واجهت الغزو النابليوني ، وعند واجهت الانتصار الاولي لهتلر ، وهو الالتجاء الى الارض الواسعة ، وانسحاب القوات الباقية ، والحفاظ على المعنويات ، وارادة القتال ، ورفض القبول بالهزيمة في واقع الامر ، ونقل الجهد الاستراتيجي الى الموارد المتاحة من قبل الاستراتيجية الشاملة الحديثة : الاعتماد على الرأي العام العالمي ، والبحث عن دعم اجنبي . ولقد كان رد فعل ناصر بعد حرب الايام الستة في منتهى الفاعلية في هذا المجال(٤٧) ثم يصل بعد ذلك الى القول « ان ما جعل النصر العسكري الاسرائيلي غير فعال في العام ١٩٦٧ هو المجال الارضي العربي . وسيكون لاي انتصار عربي على الاسرائيليين آثار مختلفة تماما »(٤٨) . والحقيقة أن الجنرال بوفر اكد على هذه النقطة في كتابه « الحرب الثورية » عندما أوضح ان الحرب التقليدية كانت تستهدف الانتصار على العدو ، على حين ان الحرب المحدودة تستهدف تبديل قناعاته . « ولم يعد الخصوم اليوم يملكون بصورة عامة امكانية تحقيق نصر عسكري يتطلب تصعيد الوسائط المستخدمة الذي غدا مستحيلا او خطيرا اكثر مما ينبغي . وعندما يتم الوصول الى نصر عسكري — كالنصر الذي حققه الاسرائيليون في حرب الايام الستة — فان المنتصر يلاحظ ان نصره بعيد عن أن يكون حاسما . وهذه هي الحقيقة التي لم تعها القيادات اليابانية والفرنسية والاميركية

والاسرائيلية ، الامر الذي يدفع هذه القيادات الى العناد في متابعة عمليات لا نهاية لها باسم مبادىء بالية فقدت قيمتها »(٤٩).

لقد تحدث الجنرال بوفر عن منجزات الاسرائيليين خلال حرب ١٩٦٧ باعجاب بالغ. ولكن ذلك لم يمنعه من رؤية معنى الصمود العربي والدعم السوفياتي بعد الحرب ، كما لم يمنعه من رؤية فشل الرجل الثالث (اسرائيل) في تحقيق الاغراض الاستراتيجية الاميركية ، ومن بينها اخراج السوفيات من المنطقة « فلقد ثبت بأن نصر الاسرائيليين العسكري لم ينجح في ادخال تعديل ملحوظ على وضع الاستراتيجية الشاملة الذي أمنه السوفييت لانفسهم في الشرق الاوسط »(٥٠) وان النجاح في تحقيق هذا الغرض لا يمكن ان يتم « الا بالعمل على مستوى الاستراتيجية الشاملة ، عن طريق تجزئة التكتل العربي ، او تجريد نفط الشرق الاوسط من قيمته في المساومة ، وذلك بايجاد وسيلة لاستبداله خلال فترة طويلة من الزمن »(٥١).

فترة ١٩٦٧ — ١٩٧٣

يمكن تقسيم هذه الفترة الى مرحلتين : مرحلة حرب الاستنزاف (١٩٦٨ — ١٩٧٠) ، ومرحلة اللاحرب واللاسلم (١٩٧٠ — ١٩٧٣) . ويصنف بوفر حرب الاستنزاف المصرية مع الحروب التقليدية التي يصعب تعريفها . وهو يرى انها استهدفت أساسا « البرهنة على بعض التفوق التقني فقط »(٥٢). ويشير الى أن أهم درس من دروس حرب الاستنزاف هو اهمية الصواريخ المضادة للطائرات في تحديد حرية عمل القوة الجوية ، خاصة اذا ما تم تنسيق عمل الصواريخ المضادة للطائرات مع طائرات مطاردة حديثة . « وفي مثل هذه الحالة يعدل الموقف الجوي شروط المعركة البرية تعديلا كاملا »(٥٣). ولقد اكدت حرب ١٩٧٣ هذا الدرس الذي استنتجه بوفر من ملاحظة حرب الاستنزاف وتعلم دروسها . ويجدر بنا هنا أن نذكر أن الجنرال بوفر نشر في العام ١٩٧٢ كتاب « استراتيجية المستقبل » الذي قال فيه « ويتركز الاهتمام منذ الان على تطور الوضع الجوي . وقد شاهدنا في العام ١٩٧٠ على قناة السويس مجابهة جوية مفيدة جدا ، لانها لم تكن تشكل معركة حقيقية ، بل سلسلة من التجارب المنطلقة من تصعيدات تقنية ، مخصصة لاستشعار النتائج المحتملة لمعركة ما . وكانت هذه المجابهة ، في المجال التقليدي ، مناورة معادلة الى حد ما للمناورة التي تتحكم بالردع النووي . وكان الهدف منها هو البرهان (للاسرائيليين) على أن ادخال عتاد حديث لن يسمح لهم أبدا بالقيام بنفس الاختراقات التي اعتادوا على ممارستها وكأنها عملية عرض »(٥٤). ومن حسن الحظ أن القادة الاسرائيليين لم يتوصلوا الى الاستنتاج الذي توصل اليه بوفر ، ولم يقرأوا ما كتبه بوفر (وهم القائلون بأن العرب لا يقرأون) ، الامر الذي جعلهم يبنون نظريتهم في « الصد والرد » على عمل القوة الجوية ، ويدفعون طائراتهم في الايام الاولى للحرب بتهور دفعوا ثمنه عددا كبيرا من الطيارين والطائرات .

أما بالنسبة الى حالة اللاحرب واللاسلم ، فقد كان بوفر يعتبرها حالة غير مستقرة ولا يمكن أن تدوم . وكان يعتبر ان تعنت الاسرائيليين وعدم انسحابهم من الاراضي المحتلة سيدفع العرب الى شن الحرب مهما كانت نتائجها ، وستزيد هذه الحرب من حدة الحرب الباردة بين الدولتين العملاقتين ، وستعرض الوضع النفطي القائم في الشرق الاوسط لتحولات خطيرة . وفي الوقت الذي كان فيه الاسرائيليون وعدد كبير من المنظرين الغربيين يرددون بأن سلاح البترول غير قابل للاستخدام ، وبأن العرب لا يجرأون على استخدامه ، كان بوفر يؤكد أهمية الوزن الكبير الذي يشكله البترول

عند حساب موازين القوى ، ويصفه بأنه « العنصر الحاسم في الصراع »(٥٥). ولكل هذه الاسباب ، ولاسباب اخرى تتعلق بعدم شرعية احتلال اراضي الغير بالقوة ، كان بوفر يقف خلال فترة اللاحرب واللاسلم الى جانب الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧ ، وتهدئة المنطقة بضمانات دولية تضمن حدود دول المنطقة وحقها في الوجود .

ومن المسائل الهامة التي قيّمها الجنرال بوفر في هذه الحقبة ، مسألة الثورة الفلسطينية التي وصفها بقوله أنها « مهمة جدا لانها تبرز مثال عمل ثوري يتطور الى استبدال العمل العسكري بأهداف سياسية قادرة على تهديد وجود اسرائيل ذاته »(٥٦). ورغم الاخطاء العديدة التي وقع فيها بوفر خلال دراسة الثورة الفلسطينية في كتابه « الحرب الثورية » ، وكلها اخطاء تتعلق بالتواريخ وتطور المنظمات الفدائية ، فقد استطاع الجنرال التقاط مفصلات الموضوع الاساسية . وحدد مجموعة من النقاط التي تستحق الطرح ، فلقد لاحظ قبل كل شيء أن انطلاقة الثورة جاءت من تباين الاهتمام الفلسطيني والعربي بمسألة تحرير فلسطين ، ورغبة الفلسطينيين في اقامة كيان مستقل لهم . وتابع تطور العمليات الحربية وتصاعدها في فترة ١٩٦٧ — ١٩٦٩ ، واعتبر معركة الكرامة منعطفا ارتفعت هيبة الثورة الفلسطينية بعده في الاوساط العربية ، وحدد اهداف هذه الثورة بأنها : ازعاج الاسرائيليين ، وتثوير البلدان العربية ، والدعاية والعمل الدبلوماسي على المسرح الدولي(٥٧).

ويرى بوفر ان العمليات العسكرية الفلسطينية داخل الارض المحتلة،لم تحقق نتيجة عسكرية بارزة ، ولكنها حققت نتائج ذات طابع نفسي . وكان لها اثر سياسي هائل داخل البلدان العربية واسرائيل على حد سواء . ويذكر ان الثورة ترد على اعمال القمع الاسرائيلي بانتقام عسكري « تنقله الصحافة الدولية في جرائدها بعناوين ضخمة ، ويخدم بالتالي الدعاية الفلسطينية . أما أعمال الانتقام الاسرائيلية ، التي تعتبر من مسؤولية الحكومة الاسرائيلية ، فقد أساءت في غالب الاحيان الى الدعاية الاسرائيلية وأضرت بها »(٥٨).

ويؤكد بوفر أهمية القواعد الخارجية بالنسبة الى الثورة الفلسطينية ، ويرى أن تمكن اسرائيل من عزل القواعد الداخلية عن القواعد الخارجية جعل القواعد الداخلية عاجزة عن الصمود مدة طويلة جدا(٥٩). وهو يرى ان السبب الاول الذي ساعد السلطة الاردنية على تصفية قواعد الثورة الفلسطينية في الاردن (١٩٧١) هو انها كانت معزولة عن السكان [في منطقتي جرش وعجلون] ، ومجمعة في معسكرات خاصة جدا(٦٠). ويهاجم بوفر اسلوب الردع الاسرائيلي الذي يستخدم القصف الجوي ضد القواعد والمخيمات في الدول العربية المجاورة ، ويعتبر أن القوة الجوية وسيلة سيئة للقتال ضد العصابات كما ان عملها العنيف الذي لا يميز بين المدنيين والمقاتلين يثير معضلات خلقية ودولية خطيرة جدا . ولكنه يرى مع ذلك « بأن استراتيجية الردع التي طبقها الاسرائيليون بصورة منهجية على شكل تهديد بشن عمليات تأديبية للوقاية من حرب العصابات لم تكن بدون نتيجة »(٦١).

ومن أهم النتائج التي حققتها الثورة الفلسطينية برأيه خلق النوايات الثورية داخل البلدان العربية ، واتجاه هذه النوايات بشكل دائم تقريبا الى انشاء دولة ضمن الدولة . وخلق « كومونة » دائمة تضغط على الدول العربية وتدفعها نحو التشدد ازاء اسرائيل « وتشكل المقاومة بهذا الشكل قوة ثورية مؤكدة »(٦٢) .

ولعل أهم ما حققته الثورة الفلسطينية ــ برأي بوفر ــ هو تأمين الــدور الدولي كمدافع عن المصالح الفلسطينية . واحتلال مكانة دولية مرموقة ، والنجاح في طــرح مقولة الدولة الديمقراطية التي تلاقي تقبلا في العالم كله . وهكذا تنبأ الجنرال منذ العام ١٩٧٢ بالنصر السياسي الذي ظهرت ملامحه واضحة بعد حرب ١٩٧٣ ، وكان مــن أبرز مظاهره اعتراف العالم بحقــوق الشعب الفلسطيني ، واعطــاء هذه الحقوق مضمونا سياسيا لا مضمونا انسانيا ، واقرار معظم الدول بأن حل النزاع في الشرق الاوسط لا يمكن أن يتم الا اذا شارك الفلسطينيون في صياغة الحل الذي يضمن حقهم المشروع في تقرير مصيرهم . ويختم بوفر حديثه عــن الثورة الفلسطينية بقوله « ان الفكرة الفلسطينية اذا ما استيقظت تهدد بأن لا تنطفىء أبدا ، وعندها يكون مستقبل اسرائيل ذاته معرض للطرح على بساط البحث »(٦٣).

حــرب ١٩٧٣

يعتبر الجنرال بوفر أن سبب حرب ١٩٧٣ هو الاحتلال الاسرائيلي لاراض عــربية في العام ١٩٦٧ ، ورغبتها في ضم هذه الاراضي ، ورفض الدول العربية لبقاء الاحتلال، ورفض الاسرائيليين لحل الازمة بالطرق السياسية ، الامر الذي جعل الخيار العسكري السبيل الوحيد الممكن أمام العرب . ولقد كان هذا الخيار ضروريــا من الناحيتــين السياسية والنفسية ، ذلــك لان القوات العربية المنتشرة عــلى الحدود منذ ست سنوات ، كانت بحاجة ماسة لعمل عسكري تجرب فيه قوتها وقوة عدوها . ولقــد استنتج بوفر أن العمل العسكري العربي « كان في جوهره عملا عسكريــا محــدودا يستهدف استعادة الارض المحتلة ، او الاكتفاء بأهداف متواضعة وراء خط وقف اطلاق النار . وكان الامر يتعلق بالبرهان عن طريق القتال بأن الجيوش العربية غدت قادرة على شن العمليات ، وانها تشكل بالنسبة الى اسرائيل عدوا خطرا »(٦٤)، الامر الذي سيحطم حالة اللاحرب واللاسلم ، ويقنع اسرائيل بأن الجيوش العربية قد تطورت ، وأن هذا التطور سيستمر في المستقبــل ، وأن من مصلحتهــا التخلي عن سياستها التوسعية والبدء بتقديم التنازلات .

ولقد كان من المنتظر أن تتدخل الدول العظمى أو الامم المتحدة لايقاف القتال ، لــذا كان العرب ــ برأي بوفر ــ يودون الحــاق قدر اكبر قدر من الخسائــر بالاسرائيليين ، واستخدام فاعلية الاسلحة المتطورة والجبهات الكثيفة ، وتجنب المناورات الخطرة لمنع الاسرائيليين من ممارسة حرب الحركة او جر العرب الى هذه الحرب « التي لم تكن الجيوش العربية معدة لها بشكل كامل »(٦٥).

ويفسر بوفر المفاجأة التي تعرض لها الاسرائيليون بأنها نجمت عن الوضع النفسي العام الذي وصفه بقوله : « عانت اسرائيل من داء ، هو داء طبيعي عانينا منه جميعا غداة الحرب العالمية الثانية ، وهو داء المنتصرين الذين يظنون ان الاقدار في صفهم ، وأن كل شيء قد أصبح ميسرا لهم » . . . « وقد ارتاح الاسرائيليون الى هذا الشعور، فلم يحسنوا التمييز بين الوضع الحالي والوضع السابق »(٦٦). وهو يصف القتال على الجبهة المصرية بأنه كان صراعا بين جيشين يستخــدم احدهمــا (الجيش المصري) اسلوب قتال منهجي دفاعي في جوهره ، على حين يستخدم الجيش الاخر (الاسرائيلي) اسلوب المناورة السريعة، وهو يشبه هذين الجيشين بمصارعين ، يمارس احدهما المصارعة الرومانية ، ويمارس الاخر الجودو ، وما أن اشتبك هذان المصارعان حتى سقطا أرضا ، وبقيا متشابكين بلا حراك ، بانتظار حكم يفصل بينهما(٦٧). ولم يأخــذ الجنرال ثغرة الدفرسوار مأخذ الجد ، واعتبرها « عملية نفسية أكثر منها عسكرية ،

وهي محسوبة تماما لتكون محمية بوقف اطلاق النـــار »(٦٨)، وان الهدف منها كـان تغطية الفشل الاسرائيلي الاستراتيجي بنصر براق.وعندما يقيّم نتائج الحرب بمجملها، يرى أن من أهم هذه النتائج تحطيم اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يغلب ، وظهور وضع معنوي جديد داخل الجيوش العربية ، بعد أن تخلصت هذه الجيوش من عقدة النقص التي سيطرت عليها منذ حرب ١٩٦٧ (٦٩).

ولقد استنتج بوفر من هذه الحرب دروسا عسكرية أهمها : ١ — عدم قدرة الدبابات في المستقبل على القتال منفردة في النسق الاول ، الا في حـالات المطاردة ، حتـى لا تتعرض لرمايات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، ٢ — ان الصواريخ الموجهـة المضادة للطائرات قادرة على حرمان العدو من حرية العمل ، ولكنها تحدد في الوقـت نفسه حرية عمل الطيران الصديق ، ٣ — استعادة جنود المشاة لاهميتهم التكتيكية في الهجوم والدفاع ، وفشل المدرعات في الخرق الجبهي ، ونجاحها في ضرب الاجنحة ، ٤ — ضرورة استخدام القوات المحمولة بالهيليكوبتر بعد تأمين حماية هذه الطائرات من الصواريخ الموجهة أرض — جو ، ٥ — ان حماية الطائرات داخل ملاجيء من الاسمنت المسلح ، وحماية المطارات بقواعد الصواريخ أرض — جو ، قد بدلتا شكل المعركـة الجوية ، وحرمتا الطيران من القدرة على حسم المعركة في الساعات الاولى من القتال عن طريق «الضربة الجوية الاولية» ، ٦ — ان لحظة وقف اطلاق النار تعقبها فترة من الاضطراب وعدم الوضوح ، ومن الممكن في الحروب المحدودة استخدام هذه الفتـرة للقيام بوثبة الى أمام . لذا فأن من الضروري ادخال ذلك في الحسبان ، واتخاذ التدابير اللازمة لمنع العدو من تحقيق مكاسب اقليمية بعد وقف اطـلاق النار(٧٠) . وتجـدر الاشارة هنا الى أن الجنرال بوفر قد توصل الى معظم هذه الدروس قبل بدء الحرب بزمن طويل ، وأشار اليها في كتاباته ودراساته . وهنـا تكمن عبقرية هذا المفكـر العسكري الذي قال بعد يومين من اندلاع القتال : « بعد اندلاع الهجوم السـوري — المصري ، لن يبقى شيء في الشرق الاوسط كما كان من قبل »(٧١).

وبعد حرب ١٩٧٣ تابع الجنرال بوفر دراسة مسائل الصراع العربي — الاسرائيلي. وكان من الدراسات التي قدمها ، مسرحية من ثلاثة مشاهد ، كتبها قبيـل وفاتـه ، ونشرتها مجلة « باري ماتش » ونقلتها صحيفة المحرر ١٨ كـانون الثاني (ينايـر) ١٩٧٥ . وهو يضع في هذه المسرحية الخطوط العامة لتصوراته عن هجوم اسرائيلي سريع على سورية (٣ — ٤ أيام) ، يبدأ بنصر سريـع ، ثم ينتهي بهزيمة نكـراء . ويصف في المشهد الاول رئيس وزراء العدو اسحاق رابين ورئيس الاركان مردخاي غور «كرجلين هادئين باردين ، لهما اهداف فلسفية ، تعيدنا الى القرن الثامن عشر». وهو ينتقد في هذا الوصف العقيدة الصهيونية التي تجاوزها العصر ، ولم يعد مـن الممكن تبنيها من قبل أي انسان مستنير يعيش حضارة القرن العشرين . ويصف في هذه المسرحية هدف الهجوم « القضاء على الجيش السوري وخلق أمر واقع يسهـل التدخل الاميركي لاحتلال آبار البترول ، وقلب ابعاد مشكلة الشرق الاوسط لصالـح اسرائيل » . ويشير الى أن الهجوم الاسرائيلي سيمر عبر الاراضي اللبنانية لتطويـق دمشق من الشمال الشرقي ثم يتدخل السوفيات بقواتهم البرية والمحمولة جوا بشكل يقلب ميزان القوى . كما يشير الى تحديدات الهجوم الاجهاضي المسبق ، وخـاصة اذا لم يكن له ما يبرره دوليا، واحتمالات التدخل الاميركي، ودور الاسطول السادس، وامكانات تدخل الدول العربية لحسم المعركة لصالح العرب . ولا تخلو هذه الدراسة من التوقعات المعقولة المبنية على فهم حقائق الوضعين المحلي والعالمي . ولعـل

أهم ما فيها هو تأكيد الجنرال بوفر الضمني على طبيعة اسرائيل العدوانية ، واطماعها التوسعية ، وتمسكها بدورها العسكري في المنطقة ، وتوظيف طاقاتها لخدمة المصالح الامبريالية ، واستعدادها لشن الحرب ضد العرب، حتى ولو كانت تعرف ان هذه الحرب ستقود العالم الى الدمار .

* * *

لقد كان بوفر منذ نهاية الستينات يعي أن الصراع العربي ــ الاسرائيلي معقد لا يمكن ان ينتهي بسرعة . فهو يعرف أن اسرائيل تملك عمقا يتمثل بالصهيونية العالمية وثرواتها ونفوذها داخل الولايات المتحدة ، وأن العالم يملك عمقا هائلا (بشريا واقتصاديا وجغرافيا) وهو مؤهل للتحول السريع بفضل ثروته النفطية . ويعي في الوقت نفسه ان « هدف النزاع » عند الطرفين مصيري ، وأن الاهواء الدافعة في المعسكرين المتجابهين قوية وعنيفة . وهذا ما دفعه الى القول في العام ١٩٧٢ ، بعد طول تأمل للمسألة : « وفي هذه المواجهة المأساوية ، يبدو انه لن يكون هناك سوى حلول جذرية . ومن الممكن مع ذلك ، حتى ولو في وقت متأخر جدا ، استنباط وكشف تسويات ضرورية للتعايش في الشرق الاوسط بين الشعبين العربي والاسرائيلي »(٧٢) . ولقد توفي الجنرال قبل أن يرى تصوراته السلمية محققة ، ولو عاش فترة أطول ، لاكتشف أن هذه التصورات لن تتحقق الا بعد انهيار الصهيونية كعقيدة يؤمن بها الاسرائيليون ويسيرون على هدي تعاليمها التي تمزج بين النازية والفاشية وافكار المتعصبين الاوروبيين خلال الحروب الدينية .

---

١ ــ **من العدوى الثورية الى الحرب الذرية** ، ص ٨٨ .
٢ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٨٩ .
٣ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٨٨ ــ ٨٩ .
٤ ــ **الحرب الثورية** ، ص ٢٨٥ .
٥ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٢٨٥ .
٦ ــ **من العدوى الثورية الى الحرب الذرية** ، ص ٨٩ .
٦ ــ **استراتيجية المستقبل** ، ص ٣٠ .
٧ ــ Bâtir l'avenir, p. 203
٨ ــ **استراتيجية المستقبل** ، ص ٧٢ .
٩ ــ *Bâtir l'avenir*, p. 211
١٠ ــ *Ibid.*, p. 104
١١ ــ *Ibid.*, p. 104
١٢ ــ *L'Expedition de Suez*, p. 25
١٣ ــ *Ibid.*, p. 31.
١٤ ــ *Ibid.*, p. 226.
١٥ ــ *Ibid.*, p. 45.
١٦ ــ *Ibid.*, p. 177.
١٧ ــ *Ibid.*, p. 204
١٨ ــ **الاسلحة الحديثة** ، بوفر واخرون ص ١٧.
١٩ ــ *L'Expedition de Suez*, p. 222-223
٢٠ ــ *Ibid.*, p. 223
٢١ ــ *Ibid.*, p. 189
٢٢ ــ *Ibid.*, p. 188
٢٣ ــ *Ibid.*, p. 102
٢٤ ــ *Ibid.*, p. 105
٢٥ ــ *Ibid.*, p. 106
٢٦ ــ *Ibid.*, p. 107
٢٧ ــ *Ibid.*, p. 149
٢٨ ــ *Ibid.*, p. 217
٢٩ ــ *Ibid.*, p. 218
٣٠ ــ *Ibid.*, p. 218
٣١ ــ *Ibid.*, p. 219
٣٢ ــ *Ibid.*, p. 219
٣٣ ــ *Ibid.*, p. 220
٣٤ ــ *Ibid.*, pp. 227-228
٣٥ ــ *Bâtir l'avenir*, p. 74
٣٦ ــ *L'Expedition de Suez*, p. 11
٣٧ ــ *Ibid.*, p. 12
٣٨ ــ انظر مقال « خطر الابادة : اسطورة في قاعدة الاستراتيجية الاسرائيلة » ، مجلة **شؤون**

فلسطينية ، عدد ١٤ ، تشرين الاول ١٩٧٢ .

٣٩ — *Bâtir l'avenir*, p. 86

٤٠ — *L'expedition de Suez*, p. 12

٤١ — **استراتيجية المستقبل** ، ص ٦٤ .

٤٢ — **المرجع نفسه** ، ص ٦٥ .

٤٣ — **المرجع نفسه** ، ص ٦٦ .

٤٤ — **المرجع نفسه** ، ص ٦٢ .

٤٥ — **المرجع نفسه** ، ص ٦٧ .

٤٦ — **المرجع نفسه** ، ص ٧٠ .

٤٧ — **المرجع نفسه** ، ص ٧٠ — ٧١ .

٤٨ — **المرجع نفسه** ، ص ٧١ .

٤٩ — **الحرب الثورية** ، ص ٥٤ — ٥٥ .

٥٠ — *Bâtir l'avenir*, p. 210

٥١ — *Ibid.*, p. 210

٥٢ — **استراتيجية المستقبل** ، ص ٥٤ .

٥٣ — **المرجع نفسه** ، ص ٦٤ .

٥٤ — **المرجع نفسه** ، ص ٦٨ — ٦٩ .

٥٥ — *Bâtir l'avenir*, p. 209

٥٦ — **الحرب الثورية** ، ص ٣٠٤ .

٥٧ — **المرجع نفسه** ، ص ٣٠٨ .

٥٨ — **المرجع نفسه** ، ص ٣٠٩ .

٥٩ — **استراتيجية المستقبل** ، ص ٧٩ .

٦٠ — **استراتيجية المستقبل** ، ص ٧٨ .

٦١ — **الحرب الثورية** ، ص ٦٠ .

٦٢ — **المرجع نفسه** ، ص ٣٠٩ .

٦٣ — **المرجع نفسه** ، ص ٣١٠ .

٦٤ — *Forces armées françaises*, Janv.-Fév. 1974, p. 8.

٦٥ — *Ibid.*, p. 9

٦٦ *Liste Républicaine*, 13-10-1973

٦٧ — *Le Figaro*, 28-11-1973

٦٨ — *Force armées françaises, Ibid.*, p. 13

٦٩ — *Ibid.*, p. 13

٧٠ — *Ibid.*, p. 14-15

٧١ — *Le Figaro* 9-10-73

٧٢ — **الحرب الثورية** ، ص ٣١١ .

ملحق
مؤلفات الجنرال اندريه بوفر

١ — Introduction à la stratégie, colin, 1963 مترجم بعنوان « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية » ، أكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي — دار الطليعة، طبعة أولى ١٩٦٨، طبعة ثانية ١٩٧٠ .

٢ — Dissuation et stratégie, Colin, 1964، مترجم بعنوان « الردع والاستراتيجية » ، أكرم ديري ، دار الطليعة ، ١٩٧٠ .

٣ — Stratégie de l'action, Colin, 1966، مترجم بعنوان « استراتيجية العمل » ، المقدم الهيثم الايوبي ، دار الطليعة ، ١٩٧٠ .

٤ — Les Armements modernes, Flammarion, 1968 بوفر وآخرون ، مترجم بعنوان « الاسلحة الحديثة » ، أكرم ديري ، دار الطليعة ، ١٩٧٣ .

٥ — L'Enjeu du désordre, Grasset, 1969 مترجم بعنوان « من العدوى الثورية الى الحرب الذرية » ، اكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، دار الطليعة ، ١٩٧٢ .

٦ — La guerre révolutionnaire, 1972 ، مترجم بعنوان « الحرب الثورية » ، أكرم ديري والمقدم الهيثم الايوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ .

٧ — Stratégie pour demain, Plon, 1972 ، مترجم بعنوان « استراتيجية المستقبل » ، أكرم ديري ، دار القدس ، ١٩٧٤ .

٨ — Bâtir l'avenir, Calmann-Lévy, 1967 . (بناء المستقبل) .

٩ — L'O.T.A.N. et l'Europe, Calmann-Lévy, 1966 (حلف شمالي الاطلسي وأوروبا) .

١٠ — L'expédition de Suez, Grasset, 1967 (حملة السويس) .

١١ — Le drame de 1940, Plon, 1965 (مأساة ١٩٤٠) .

١٢ — La nature des choses (طبيعة الاشياء) .

١٣ — La revanche de 1945, Plon, 1966 (ثأر ١٩٤٥) .

١٤ — Mémoires 1920-1940-1945 (مذكرات ١٩٢٠ — ١٩٤٠ — ١٩٤٥) .

ابعاد الاتفاقية الجديدة
بين السوق الاوروبية المشتركة واسرائيل

حسين ابو النمل

جرت في الفترة الممتدة بين ١٠/٦/١٩٧٤ الى ١٩٧٥/١/٢٣ بين السوق الاوروبية المشتركة واسرائيل مفاوضات اقتصادية انتهت بالتوقيع بالاحرف الاولى من قبل الطرفين على اتفاقية اقتصادية جديدة بينهما . ولم تحظ تلك الاتفاقية بأي اهتمام عربي، لدرجة ان وسائل الاعلام ، بما فيها تلك المتخصصة بالقضايا الاسرائيلية ، لم تشر من قريب أو بعيد لتلك الاتفاقية، بالرغم من أنها من أخطر الاتفاقيات الاقتصادية التي وقعتها اسرائيل ، والتي ستسهم بدفع الاقتصاد الاسرائيلي خطوات واسعة الى الامام ، وستكون لها نتائجها المباشرة عليه في المدى القريب والمتوسط والبعيد .

وان ادراك اهمية وخطورة الاتفاقية الجديدة ترتبط بادراك الاطار العام الذي تصب به الاتفاقية الاقتصادية المذكورة ، والمقدار الذي تقوم به حلا لمشاكل اسرائيل الاقتصادية من ناحية ومن ناحية اخرى اسهامها بنقل الاقتصاد الاسرائيلي ككل من مرحلة الى **مرحلة** أرقى بكل ما لكلمة **مرحلة** من معان ودلالات . حيث لا يمكن لنا معرفة الابعاد الخطيرة لتلك الاتفاقية الا من خلال رؤيتها في ضوء درجة النمو التي بلغها الاقتصاد الاسرائيلي ونمط التنمية الاقتصادية الذي اتبعته اسرائيل للتحول الى دولة متقدمة ومصنعة . والاطار الثاني هو : السوق الاوروبية المشتركة كواحدة من أكبر القوى الاقتصادية في العالم . ونمط الاتفاقيات التي درجت على توقيعها مع الدول الاخرى . والاطار الثالث هو حجم الاعباء التي تلقيها على اسرائيل تلك الاتفاقية ، مقابل الامتيازات التي قدمت اليها وذلك في ضوء نمط الاتفاقيات التي درجت السوق المشتركة على توقيعها ، والاطار الرابع هو حول وضع اسرائيل الاقتصادي والسياسي في ظل الاتفاقية الجديدة . وفي النهاية ما هو الموقف المطلوب في هذه الفترة التي تتعالى فيها الدعوات للحوار العربي — الاوروبي ؟

المرحلة التي قطعتها سياسة التنمية الاسرائيلية : لقد عاش الاقتصاد الاسرائيلي بعد حرب تشرين أزمة خانقة ما زال يعاني من آثارها حتى الان ولسوف تستمر تلك الاثار لسنوات طويلة قادمة ، ولقد ارتبطت تلك الازمة بالاعباء الامنية الباهظة التي تحملتها اسرائيل خلال وما بعد حرب تشرين . وحيث تكاملت تلك الاعباء مع غيرها من الامراض التي كان يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي ما قبل حرب تشرين . الامر الذي ضاعف من حدة الازمة واجبر اسرائيل على اتخاذ أقسى الاجراءات لمواجهتها ، اذ اضطرت لتخفيض مستوى المعيشة لاول مرة في تاريخها ، وهي التي كانت تعتبر مستوى المعيشة المرتفع عامل ضمان لاستمرار تدفق المهاجرين وهو الموضوع الذي يكتسب أهمية على صعيد الامن القومي الاسرائيلي .

لكن وبالرغم من الازمة الاقتصادية التي عانت منها اسرائيل اثر حرب تشرين ، فان تلك الازمة يجب ان تفهم على حقيقتها فقط ، اذ لا يجوز لازمة طارئة ومرتبطة بظروف سياسية وعسكرية طارئة أن تحجب حجم الانجاز الذي حققته خطة التنمية الاسرائيلية والتي تخطط لاهداف المستقبل اكثر من خدمتها لاهداف الحاضر ، وكلمة اخرى فان أزمة ما بعد حرب تشرين وبالرغم من حدتها ليست هي الدليل الوحيد على سلامة أو عدم سلامة هيكلية الاقتصاد الاسرائيلي وقاعدته الزراعية والصناعية ، باعتبار ان اقوى الاقتصاديات قد تتأزم تحت وطأة ظروف غير طبيعية . ولكن مستقبل الاقتصاد على المدى الطويل يرتبط بالقاعدة الصناعية ـــ الزراعية التي بناها المجتمع المعني ، وهي بالتالي مؤشر توقعاتنا لمستقبل الاقتصاد الاسرائيلي . ومهما ازدادت حدة الازمة الاقتصادية بعد حرب تشرين فيجب أن تفهم كظاهرة طارئة ليس الا .

ولو حاولنا أن نصف بسرعة وبكلمات قليلة وضع الاقتصاد الاسرائيلي من خلال استعراض سريع للقطاعات الرئيسية فيه ، لقلنا ان الزراعة الاسرائيلية قد تقدمت ككل ـــ وليس قطاع الحمضيات فقط كما هو رائج ـــ ووظفت فيها مقادير كبيرة مـــن الرساميل والخبرة الفنية لدرجة انه يستحيل معها توظيف المزيد من الرساميل فيها . وانعكست هذه المسألة على حجم الانتاج الزراعي ككل والذي تضاعف أكثر من أربع مرات خلال الفترة التي مضت على قيام اسرائيل .

ان هذه القفزات التي حققتها الزراعة الاسرائيلية كانت دون القفزات التي حققتها الصناعة الاسرائيلية ، اذ تضاعفت الفروع الرئيسية في الصناعة الاسرائيلية وبالتالي في الناتج القومي بالسنوات الخمس عشرة الماضية بين ١٩٥٨/٥٩ و ١٩٧١/١٩٧٢ بنسب كبيرة ، بالمقارنة مع النسب التي حققتها اقتصاديات غيرها من الدول المتقدمة . وبالاضافة لهذا يمتاز الاقتصاد الاسرائيلي بارتفاع نسبة الطاقة الانتاجية العاطلة ، وهي ظاهرة ملازمة للصناعة الاسرائيلية . ولقد كان هنالك منذ العام ١٩٦٦ حديث عن الطاقة الانتاجية العاطلة ، وفي العـــام ١٩٧٠ بلغت في بعض الصناعات حوالي ٤٠ ٪ ، وتحدث عميد كلية ادارة الاعمال في الجامعة العبرية عبر مقالة نشرت له في صحيفـــة هـــآرتس عـــن احصائية جـــرت فـــي العـــام ١٩٧٢ تقـــول بامكـــانية زيادة الطاقة الانتاجية في العديد من الصناعات بنسب تتراوح بين ٣٥ ـــ ٥٠٠ ٪ بدون أي توظيفات مالية جديدة . ولعل في هذه الارقام تفسير للقفزات التي تحققت بالصناعة الاسرائيلية وبالذات اثر الانتهاء من تنفيذ البرنامج التصنيعي الشامل الاول الذي بدأ في العام ١٩٥٤ وانتهى تقريبا في العام ١٩٦٥ وموّل بمساعدات المانيا الغربية لاسرائيل . علما بأن بند الاستثمارات الجديدة كان يحتل رقما ثابتا في الميزانيات السنوية لاسرائيل والسلع الاستثمارية تحتل رقما كبيرا من جملة الواردات السنوية الاسرائيلية .

وبالاضافة الى قطاعي الزراعة والصناعة فهنالك أيضا وفرة في اليد العاملة الفنية والتي يستدل عليها من ارتفاع نسبة الاكاديميين العاملين في الاقتصاد والتي تبلغ ١٤٫٩ ٪ من اجمالي العاملين في الوقت الذي تبلغ به هذه النسبة في الولايات المتحدة الامريكية ١٣٫٢ ٪ وفي المانيا الغربية ١٣٫٤ ٪ علما بأن اسرائيل تعاني من فائض الجامعيين الباحثين عن العمل المنتظرين في مراكز الاستيعاب . ولسنا في هذه المقالة بمعرض اعطاء تفسير لسبب ارتفاع نسبة الجامعيين او لارتفاع نسبة الطاقة العاملة ، بقدر ما يهمنا الاشارة الى معاني وجود مثل تلك الظواهر . فماذا تعني قاعدة صناعية بطاقة انتاجية تتجاوز قدرة السوق الداخلي على التشغيل ؟ وزراعة بلغت درجة عالية من الكثافة الرأسمالية ؟ ويد عاملة فنية تتجاوز أيضا قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على التشغيل ؟

انها تدفعنا لتسجيل حقيقتين هامتين : الاولى ، تقدم ذلك المجتمع وقيام اقتصاده على قاعدة صناعية ــ علمية لا بأس بها . والحقيقة الثانية ان ذلك الاقتصاد عاجز عن النمو في نفس المعدلات السابقة حتى ولا بمعدلات قريبة منها من خلال نفس تركيبة عناصر الانتاج والعلاقات السياسية والاقتصادية الحالية أي ان الاقتصاد الاسرائيلي قد بدأ يدخل مرحلة ((**الخناقات الاقتصادية**)) أي ندرة في احد عناصر الانتاج مع وفرة في بقية العناصر . وفرة في الآلات ، واليد العاملة الفنية وندرة في اليد العاملة غير الفنية والسوق . ومن هنا بدأت اسرائيل في البحث عن مخرج لهــا من هذا الخناق عبــر الوسائل التالية :

١ ــ محاولتها تحقيق السلام الاقتصادي مع العرب وهذا ما تصر عليه وبعد أن استوعبت حتى الآن أي عرض لليد العاملة العربية في المناطق المحتلة .

٢ ــ محاولتها الدخول في علاقات اقتصادية ملائمة مع السوق الاوروبية المشتركة .

٣ ــ محاولتها تنشيط علاقاتها مع دول العالم الثالث في آسيا وافريقيا باعتبارها سوقا مناسبة لسلعها . ولقد أعطت لمثل هذا الامر درجة كبيرة من الاهتمام . وبالنسبة للاحتمال الاول ، أي تحقيق السلام الاقتصادي مع العرب ، فان ذلك مدخل لنقاش موضوع طويل ليس من اختصاص هذه المقالة وان كان هنالك مجال للتأكيد بما لا يترك مجالا للشك وفي ضوء حقيقــة التركيبة الاقتصادية الحــالية فــي اسرائيل ، ان اسرائيل لو خيرت بين توقيع معاهدة سلام وبين استمرار تدفق مئة الف عامل عربي من المناطق المحتلة فانها تفضل الثانية .

السوق الاوروبية المشتركة : لا بد من لمحة سريعة نقدم بها صورة عن ماهية السوق الاوروبية المشتركة ، وما هي حقيقة هذه الكتلة الاقتصادية الجبارة السائرة نحو مزيد من الوحدة والتلاحم فيما بينها نحو اوروبا الموحدة . وما دورها في تحقيق الازدهار الاقتصادي في أوروبا الغربية . وما هو نمط الاتفاقيات التي سبق لها أن عقدتها مع الدول غير الاوروبية . وان الاجابة المختصرة على مثل هذه الاسئلة تمكننا من ادراك معنى وأبعاد الاتفاقية الجديدة بين السوق المشتركة واسرائيل .

فكرة السوق فرنسية الاصل وترجع الى الاقتصادي الفرنسي « جان مونت » الذي كلف باعادة حركة التصنيع والحياة الاقتصادية العادية في فرنسا والتي كانت قد دمرت أثناء الحرب العالمية الثانية ولم تكن أوضاع غيرها من الدول أقل سوءا . ومن هنا راجت الفكرة التي تقول بأن اعادة بناء اقتصاد أوروبا رهن بوحدتها . ولم تكن فكرة الوحدة الاوروبية معزولة عن مقدماتها السياسية خصوصا وان آثار الحرب العالمية الثانية ما زالت ماثلة في الاذهان . ولعل هذا هو السبب الذي كان وراء تكوين هيئة للاشراف على موارد الحديد والصلب في أوروبا وذلك في العام ١٩٥٠ ، حيث شكلت منظمة الفحم والصلب الاوروبية . وتم توقيع الاتفاقية في باريس عام ١٩٥١ مــن فرنسا ، المانيا الغربية ، ايطاليا ، هولندا ، بلجيكا ، اللوكسمبورج ، وكان جوهر تلك المعاهدة يقوم على ان انتاج وتوزيع كل حديد وفحم اوروبا قد وضــع تحت تصرف سلطة عالية مستقلة . وبتوصل هذه الدول الى اتفــاق بشأن الحديد والفحم وهما عصب الصناعة الثقيلة كانت أوروبا تحاول انهاء سبب الصراع الدائــم بين فرنسا والمانيا وحول مقاطعتي الالزاس واللورين، المنجم الكبير للفحم والحديد في اوروبا . أي ان الاتفاقية الجديدة قد منحت فرصا متكافئة نسبيا للحصول على هاتين المادتين. وبالمقابل فقد كانت اوروبا مضطرة للتوصل الى أي شكل من اشكال الاتفاق والوحدة بعد تنامي قوتين اقتصاديتين جبارتين وهما الولايات المتحدة واليابان ، وتنامي قوة

المعسكر الاشتراكي واتساع رقعته ومدار تأثيره .ولذا فلقد عقدت على مدار الاعوام ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ و١٩٥٧ سلسلة اجتماعات انتهت بتوقيع معاهدة روما في ٢٥ مارس ١٩٥٧ . وبقيام السوق الاوروبية المشتركة والتي كانت تمثل في ذلك الحين ١٨٠ مليون نسمة وتعتبر أكبر مساحة تجارية واحدة في العالم في ذلك الحين . وحيث زالت جميع الرسوم الجمركية والحواجز الاخرى الموضوعة في طريق التجارة واقيمت تعرفة جمركية خارجية مشتركة بين دول السوق والعالم الخارجي . ولقد كان من الطبيعي ان تنتهي الامور الى ما انتهت اليه لان « البلاد الصناعية قد زجت في ثورة تقنية ، تجعل مستحيلا قيام أي تقدم اقتصادي واجتماعي في نطاق قومي » .

واذا كانت اتفاقية روما عام ١٩٥٧ وقبلها انشاء منظمة الفحم والصلب الاوروبية قد نظمت توزيع الموارد وبالتالي العلاقات شبه المتكافئة بين دول السوق المشتركة ، فلقد أتت اتفاقية « ياوندة » التي وقعت في تموز عام ١٩٦٣ لتنظيم العلاقة مع المستعمرات الافريقية السابقة لدول السوق. وأصبحت علاقة تلك المستعمرات مع السوق المشتركة ككل وليس مع دولها فقط ، بحيث أصبحت دول السوق المشتركة ككل تتمتع بنفس الامتيازات في المستعمرات بعد أن كانت حكرا على هذه الدولة او تلك . ولقد ترتب على الاتفاقية الجديدة دخول ١٨ دولة افريقية في النطاق الاقتصادي للسوق الاوروبية المشتركة ، وقامت اتفاقية « ياوندة » على أساس الاتحاد الجمركي او منطقة التبادل الحر . وبالتالي انتقال رؤوس الاموال بشكل حر بين دول السوق المشتركة ودول اتفاقية ياوندة .

ان حرية التبادل السلعي والمالي بين دول متخلفة وبين دول متقدمة ومصنعة بالرغم من تكافؤ الامتيازات المعطاه لكلا الفريقين فانها نتيجة لتباين درجة النمو بينهما تحول المساواة الموجوده على الورق الى مسالة شكلية وعدم مساواة موضوعيا وفي النهاية عملية قتل لاي محاوله تنمية للدول المتخلفة . وهي نموذج لعقد جديد وبلباس جديد يكرس انقسام السوق الدولي بين دول مصنعة ودول مصدرة للمواد الخام .

الاتفاقية الجديدة مع اسرائيل بين اتفاقيتي روما وياونده

واذا كانت اتفاقية روما قد استهدفت تنظيم وتوزيع المكاسب بين احتكارات الدول الاوروبية وانسجاما مع النظرية التي تقول باستحالة قيام أي تقدم اقتصادي واجتماعي في نطاق قومي ، في ظل الثورة التقنية التي زجت بها الدول الصناعية ، وللتنافس مع القطبين الاقتصاديين الجبارين الآخرين في الولايات المتحدة واليابان ، فان اتفاقية ياونده قد أتت لتكرس انقسام العالم على النمط الامبريالي ، برغم كل الالفاظ الدبلوماسية واللبقة و(الحضارية) التي صيغت بها الاتفاقية المذكورة. وباعتبار ان درجة النمو الداخلي وقدرته على التنافس مع الآخرين في ظل شروط متكافئة هي التي تحدد مدى استفادة الدول المعنية من تلك الشروط المتكافئة . فما هو موقع اسرائيل والاتفاقية الجديدة وهل تضع اسرائيل في صف دول اتفاقية « ياونده » أم في صف دول اتفاقية « روما » وفي أي جهة ستكون اسرائيل، واذا ما سلمنا بأن الاتفاقيتين المذكورتين تكرسان انقسام الدول الموقعة عليها على أساس النمط الامبريالي أي الدول المصنعة والمنتجة والدول المتخلفة المصدرة للمواد الخام ؟

ان درجة النمو الداخلي التي قطعها اقتصاد الدول المعنية هي التي تحدد موقعها من الاتفاقيات المذكورة ومدى استفادتها من المجال المفتوح أمامها ، لانه كما سبق وأشرنا فان التنافس في ظل شروط متكافئة يبقى مسألة شكلية ، ان لم يقرن بتكافؤ في ظروف الانتاج وتقارب في درجة النمو ، حتى تستطيع المنافسة والقدرة على الصمود ،

وطبيعة خطة التنمية الاقتصادية التي نفذتهـــا اسرائيل ودرجـــة النمو والتوسع في الصناعة يضعها حكما في موقع الدول المستفيدة أي موقع دول اتفاقية روما ، أي الدول المصنعة المصدرة للسلع الجاهزة ، مقابل دول اتفاقية « ياوندة » ، أي الدول المصدرة للمواد الخام . علما بأن وضع اسرائيل في موقع دول اتفاقية روما يتأثر بدرجة كبيرة ، بالشروط التي حصلت عليها اسرائيل ، والاعباء الملقاة على عـــاتق اقتصادها مقـــابل الامتيازات المعطاة لها .

ان اسرائيل لا تقطف ثمار دخولها في نطاق مجموعة اقتصادية في حجم دول السوق الاوروبية المشتركة فحسب ، ككتلة اقتصادية كبيرة ، بل ان نمط الاتفاقية التي وقعتها مع اسرائيل في حد ذاته ملفت للنظر وهام .

الاتفاقية الجديدة : امتيازات بدون التزامات ، واستسلام لشروط اسرائيل

سنعالج الاتفاقية الجديدة التي وقعتها اسرائيل مع السوق الاوروبية المشتركة ضمن النقطتين التاليتين : اتفاقية عام ١٩٧٣ التي كانت تمهيدا للاتفاقية الجديدة والاقتراحات التي كانت اسرائيل قد تقدمت بها باعتبارها الشروط المناسبة لاسرائيل ، والاتفاقية الجديدة : الالتزامات والامتيازات وما تحقق وما لم يتحقق .

اثر انضمام بريطانيا للسوق الاوروبية المشتركة في ٧٣/١/٣١ أصبحت تعليمات الاستيراد لبريطانيا تعين في بروكسل (عاصمة السوق الاوروبية المشتركة) وليس في لندن (هآرتس ٧٣/١٢/١٨) وأصبحت صادرات اسرائيل لبريطانيا في وضع صعب، لانها أصبحت ملزمة بتطبيق التعرفة الجمركية الموحدة لدول السوق المشتركة مـــع الخارج على وارداتها من السلع الاسرائيلية . وتشكل صادرات اسرائيل لبريطانيا عام ١٩٧٠ مثلا حوالي ٤ر١٠ ٪ من اجمالي صادرات اسرائيل لجميـــع دول العـــالم ، (٠٠٠ر٧٥٣ر٨١ دولار من ٠٠٠ر٥٥٥ر٧٨٠ دولار) (ن٠م٠د٠ ٧١/٨/١٦) وكانت بريطانيا تضع جمارك على الحمضيات الاسرائيلية تبلغ ٥٪ مقابل جمارك بنسبة ١٢٪ كانت تضعها دول السوق على السلعة نفسها، الامر الذي كان سيخلق متاعب للصادرات الاسرائيلية لبريطانية . ولذا كان لا بد من عقد اتفاقية سريعة مع السوق الاوروبية المشتركة لالغاء الاثار السلبية على الاقتصاد الاسرائيلي التـــي ترتبت على انضمام بريطانيا للسوق . هذا بالاضافة الى أن اقامة علاقة تجارية مميزة مع السوق المشتركة « هي ذات أهمية بالنسبة لاسرائيل لان حوالي ٣٠ ٪ من الصادرات الاسرائيلية هي لبلاد السوق المشتركة » (هاتسوفيه ٧١/١٠/٢٢) . ولذلك وبعد مرور أقل من شهر على انضمام بريطانيا للسوق وقعت اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة في ٣٠/١/ ٧٣ على « البروتوكول الذي ينظم العلاقات بين دول الســـوق وبين اسرائيل لفترة انتقالية مدتها سنة الى حين التوقيع على اتفاقية شاملة » (دافار ٧٣/١/٣١) . ولقد قالت صحيفة « دافار » في ١٩٧٣/١/٢٨ « ان البروتوكول الانتقالي الذي سيوقع بين اسرائيل وبين السوق ، سيعطي لاسرائيل هدنة لمدة سنـــة ، والتي ستمنع عـــن اقتصادها اضطرابات خطيرة في أعقاب انضمـــام بريطانيا ، الدنمرك ، وايرلندا الى السوق » وهو « انجاز لاسرائيل ـــ ويستهدف تمكينها وتمكين الدول الثلاث الجديدة المنضمة الى السوق (بريطانيا ، الدنمرك ، وايرلندا) من التنظيم وتنسيق الجمارك بينها خلال السنة الحالية الحرجة حتى توقيع اتفاقية شاملة جديدة مع السوق كله وسيمنع هذا القرار الاضرار عن اسرائيل ، هكذا على سبيل المثال تصدير الحمضيات لبريطانيا ، حيث ان الرسوم الجمركية عليها منخفضة جدا وستبقى خلال العام الحالي على ما هي عليه دون أية تعديلات » (دافار ٧٣/١/٢٨) .

ومنذ اللحظة الاولى التي وقع بها البروتوكول ـ الهدنة بـدأت الاستعـدادات الاسرائيلية والاوروبيه للوصول الى اتفاقيه شاملة مع السوق المشتركة حيث اكد ابا ايبان وزير الخارجيه الاسرائيلي في الخطاب الذي ألقاه بعد توقيع البروتوكول المذكور « على القيم التجارية والحضاريه والفكرية التي تربط بين أوروبا الغربيه واسرائيل وأعرب عن قناعته بضرورة تعيين جدول زمني مبلور لتحقيـق الاتصال الدائم بـين اسرائيل والمجموعة الاوروبية » (دافار ٧٣/١/٣١) . ورد عليه فرانسوا كسافيه رئيس مجلس السوق مشيرا الى « الاهميه التي تعلقها المجموعة الاوروبيه على تسوية العلاقات مع اسرائيل » (دافار ٧٣/١/٣١) . وفي الوقت نفسه وعـد السير اليك دوغلاس هيوم وزير خارجية بريطانيا انذاك السفير الاسرائيلي في بريطانيا بأن بريطانيا ترغب في مساعده اسرائيل لتحقيق « اتفاقية مرضية مع السوق » (دافار ٧٣/١/٣١) واعطت الصحيفة تفسيرا لاهمية الاتفاق مع السوق الاوروبية المشتركة ، لان « اوروبا ليست افريقيا في نظر اسرائيل وليس من السهل التخلي عنهـا ... و ... ستكون بالنسبة لنا في المستقبل أهمية من الدرجة الاولى للعلاقات مع دول السوق المشتركة ». (دافار ٧٣/١٠/٣٠) . وكان هنالك كلام مشابه تردد في ٧١/١٠/٢٢ على لسان ي. نفتالي في صحيفه هاتسوفيه اذ قال « ان اقامة علاقات تجارية مع السوق هي ذات أهميه بالنسبة لنا وان حوالي ٣٠ ٪ من الصادرات الاسرائيلية هـي لبلاد السوق المشتركة » و« ان السوق العربي مغلق أمامها وأسواق آسيا وافريقيا محدودة ولهذا فان السوق الاوروبي من ناحية قربه الجغرافي يمكن أن يكون مجال النشاط الاقتصادي الاسرائيلي » . على ان كلام نفتالي المذكور لا يلغي ان السوق الافريقية هي في غاية الاهمية بالنسبة لاسرائيل ولكن أبواب السوق الافريقية وبالذات أسواق الدول الثماني عشرة أعضاء اتفاقية « ياونده » تفتح من بروكسل عاصمة السوق الاوروبية المشتركة، لان سياسة التصدير والاستيراد لا تقرر في عواصم دول اتفاقية ياونده بل في عاصمة السوق المشتركة ...

اسرائيل تحدد سلفا طلباتها من السوق المشتركة :

في الفترة بين ١٩٧٣/١/٣٠ موعد توقيـع البروتوكول ـ الهدنة و١٩٧٥/١/٢٣ تاريخ التوقيع بالاحرف الاولى على الاتفاقية الجديدة بين السوق المشتركة واسرائيل ، جرت مشاورات ـ مفاوضات طويلة بين الطرفين ، وبلغت ذروتها بالاجتماعات التي بدأت في ٧٤/١٠/٢ ، ومثل اسرائيل فيها وفد مـن ثمانية أشخاص برئاسة الدكتور مندلباوم وانتهت بجلسة الاتفاق « التي استمرت عشرين ساعة دون استراحة ابتدأت ظهر يوم ٧٤/١٢/٩ وانتهت لدى شروق الشمس يوم ٧٤/١٢/١٠ » . وكان مـن الطبيعي أن تستغرق المفاوضات كل هذه المدة نظرا لتباين وجهات النظر بين الطرفين المتفاوضين من ناحية ولاهمية الموضوع من ناحية أخرى . ولا يمكن لنا الحكم على مدى توافق نتائج تلك الاجتماعات مـع طلبات وتصورات اسرائيل وبالتالـي لمصالحها الاقتصادية سوى بالعودة الى ما كانت اسرائيل قـد طرحته من افكار وآراء قبـل المفاوضات وأثنائها ، ومقارنة تلك الافكار مع ما انتهت اليه الامور حتى يمكن لنا الحكم على المدى الذي توافقت به نتائج المفاوضات مع تصورات اسرائيل المسبقة. فما هي التصورات التي طرحت في الفترة بين ٧٣/١/٣٠ و٧٥/١/٢٣ ؟

١ ـ ان تتم المفاوضات « بناء على معاهدة روما والتي هي بمثابة ترشيح للعضوية في السوق » ، وفي ذلك اشارة لآفاق التعاون في المستقبل وكي تتجنب اسرائيل وضع نفسها بموضع دول الاتفاقية الثانية ألا وهي اتفاقية « ياونده » التي سبق الاشارة

اليها . ولقد أتت هذه الاشارة في الوقت الذي كثر فيه الحديث عن امكانية عقد اتفاقية بين دول السوق الاوروبية المشتركة ودول البحر الابيض المتوسط . ومن هنــا أتى اصرار اسرائيل على المعاملة التفضيلية لها .. اذ « انه لا مجال لسياسة اقتصادية موحدة نحو دول البحر الابيض المتوسط وبأنه ينبغي البحث مع كل دولة على انفراد . وينبغي الفصل بين مقياسين لدول حوض البحر الابيض المتوسط ، ان تلك التي تتم بناء على معاهدة روما هي بمثابة ترشيح للعضوية . ومن الناحية الاخرى ما تبقى » . (دافار ٧٣/١/٣١) . أي ان تعامل اسرائيل بمقاييس تضعها في مصساف الدول المتقدمة والشريكة لدول السوق المشتركة ، وما تبقى التي وقف عندها حديث الصحيفة الاسرائيلية ، تعني ان ما تبقى من دول المنطقة يجب ان تعامل بطريقة اخرى أي على أساس اتفاقية ياونده .

٢ — رفع الجمارك أو تخفيضها بدرجة كبيرة عن صادرات اسرائيــل لاوروبا . فبالنسبة للسلع الزراعية وبالذات الحمضيــات تطالب اسرائيــل بأن تعامل بنفس « الشروط والتسهيلات ... التي تعطى للدول الغربية .. أي تسهيلات جمارك بنسبة ٨٠ ٪ » . وأن « تمنح التسهيلات المعطاة للحمضيات الطازجة للثمار المصنعة أيضا » . (دافار ١٩٧٣/١/٢٨) . وبالنسبة للسلــع الصناعية « فان أهــداف اسرائيل في المفاوضات الغاء عام للجمارك على المنتوجات الصناعية الاسرائيليــة المصدرة الى أوروبا » (دافار ٧٣/١/٢٨) وذلك في العام ١٩٧٧ (معاريف ١٩٧٤/١٠/٦) . وكانت اسرائيل على لسان صحافتها تمني النفس بالحصول على هذين المطلبين ، لان « فتح هذا السوق الضخم أمام المنتوجات الاسرائيلية التي ستخفض عليها الرسوم الجمركية عليها كليا خلال خمس سنوات (١٩٧٣ — ١٩٧٧) فقط من شأنها ان يكون لها تأثيرات ايجابية **فريدة** من نوعها » ... اذ « من السهل التصور ما هي أهمية هذا البند لمستقبل التصدير الاسرائيلي الى اوروبا » . وخلصت الصحيفة الى القول « مما لا شك فيه ان انضمام اسرائيل كعضو في السوق الاوروبية المشتركة الجبارة هي فرصة تاريخية » (دافار ٧٣/١/٢٨) ... ولكن ...

٣ — ان أهمية المطلبين السابقين بالنسبة لاسرائيل تتحددان في ضوء الالتزامات التي ستلقى على اسرائيل ، لانها ستكون مضطرة لمجابهة طلب السوق المشتركة « بالمعاملة بالمثل ، حتى لا تتعارض الامور مع مبدأ « ازالة » الجمارك الذي يسري على جميع أعضاء السوق ، ومبدئيا فان اسرائيل ملزمة بالموافقة على فتح اسواقها على اساس التبادل » . (دافار ، المصدر نفسه) . ولذا « فان المشكلة الاساسية » هي « التاريخ الذي سيسري فيه مفعول جميع الاتفاقات » ؟ واما ما هي المدة المناسبة لاسرائيل ؟ تجيب صحيفة دافار : « وستطالب اسرائيل بحقبة زمنية **طويلة** بقدر الامكان . **ويجزم** خبراء السوق بأنه مطلوب فترة تنسيــق **من ١٠ — ١٢** سنة بالنسبــة للواردات الاسرائيلية ويبدو ان هذا اعتبار زائد ... » (المصدر نفسه) .

وفي الفترة التي بدأت بها المفاوضات مع السوق الاوروبية المشتركة ، عاد الحديث ثانية عن « الجدول الزمني الدقيق الذي ستصبح اسرائيل بحسبه جزءا من أوروبا وتصبح أوروبا جزءا من اسرائيل .. ويريد ممثلونا في المفاوضات تحديد فترة التكيف بقدر الامكان .. ويناضل الممثلون الاسرائيليون لتحقيــق شروط حسنة للحمضيات الاسرائيلية **لا تقل عن تلك الموجودة لدى دول المغرب** » (معاريف ١٩٧٤/١٠/٦) .

ولقد أشارت الاذاعة الاسرائيلية في اليوم الذي بدأت به المفاوضات الاخيرة الى أن المفاوضات كانت قد بدأت قبل سنة ونصف السنة وتوقفت لدى نشوب حــرب يوم

الغفران . وفي حينه طلب اعضاء لجنه السوق الذين يجرون المفاوضات ان تلغي اسرائيل كليا الرسوم الجمركيه على المنتجات الصناعيه من اوروبا حتى عام ١٩٨٠ ولم توافق اسرائيل وطلبت اسرائيل مهله طويله تجري خلالها تخفيضات تدريجية في الجمارك على الصناعات الثقيله ويكون من حقها حماية الصناعات الخفيفة بالرسوم الجمركية . واقترح اعضاء السوق تخفيضات تبلغ ٦٠ ٪ من الجمارك المفروضة على الحمضيات وكذلك الغاء الرسوم الجمركية التي تفرضها السوق على الواردات الصناعية من اسرائيل حتى عام ١٩٧٧ .

وبرغم توقف المفاوضات لدى نشوب حرب تشرين فلقد قرر مجلس وزراء السوق في اغسطس (آب) ١٩٧٤ اعطاء اسرائيل مهله لالغاء الرسوم الجمركية نهائيا على الواردات من أوروبا حتى سنه ١٩٨٥ (اي بزيادة خمس سنوات عما كانت السوق المشتركه قد اقترحته سابقا اي قبل عام ونصف) . ولقد فسرت الاذاعه الاسرائيليه تساهل السوق المشتركه لانه « تارت مشكلة ضميرية بالنسبة للحوار العربي ــ الاوروبي وان رجال السوق على استعداد لتعويض اسرائيل بنسبة معينة » .

وعن المفاوضات التي بدات في ١٩٧٤/١٠/٢ قالت الاذاعة « وفي المفاوضات التي جرت قبل دقائق عده ستعرض اسرائيل ثلاثه مطالب رئيسية : ان تكون التسهيلات الجمركية المعطاة للحمضيات الاسرائيلية مساوية للتسهيلات التي تعطي لحمضيات دول المغرب أي ٨٠٪ وليس ٦٠٪ . واما المطلب الثاني فيتعلق بالصناعات الاسرائيلية الخفيفة التي تريد حمايتها برسوم جمركية بنسبة ٣٠٪ حتى سنة ١٩٨٥ والسوق مستعدة الان للسماح بـ ١٥٪ . وأما المطلب الثالث فأن الوفد الاسرائيلي سيطالب السوق بمساعدات ماليه من البنك الاوروبي للاستثمار ... وان المطلب الثالث ليس له احتمالات جيدة لان دول السوق في وضع اقتصادي صعب » (ر.ا.ا. عدد يوم ١٩٧٤/١٠/٣) .

الاتفاقية الجديدة التي وقعت : صورة أخرى من طلبات اسرائيل . أقصى حد من التسهيلات وأدنى قدر من الالتزامات

ان بنود الاتفاقية الجديدة هي الاتية حسب ما اعلنتها اسرائيل في مناسبتين الاولى انتهاء المفاوضات في ١٩٧٤/١٢/١٠ ، والثانية تاريخ توقيع الاتفاقية بالاحرف الاولى في ١٩٧٥/١/٢٣ وذلك على لسان الدكتور يتسحاق منربي مدير قسم السوق المشتركة في وزارة الخارجية الاسرائيلية :

١ ــ المنتجات الصناعية الاسرائيلية المصدرة الى دول السوق الاوروبية المشتركة ستعفى من الجمارك ابتداء من مطلع تموز (يوليو) عام ١٩٧٧ . مع تخفيض تدريجي في الجمارك ابتداء من اليوم الذي يصبح فيه الاتفاق ساري المفعول .

٢ ــ ستخفض دول السوق المشتركة الرسوم الجمركية على الحمضيات الاسرائيلية بنسبة ٨٠٪ . وهو ما كانت قد طالبت به اسرائيل .

٣ ــ منعت اسرائيل من تصدير المواد الخام الى أوروبا .

٤ ــ تقوم اسرائيل بتخفيض الرسوم على ٦٠٪ من الواردات الصناعية من أوروبا التي لا **تتنافس** مع المنتجات الصناعية الاسرائيلية . وذلك ابتداء من مطلع كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٠ .

٥ ــ سائر المنتجات الصناعية الاخرى التي ينتج مثيلها في اسرائيل ، ستخفض اسرائيل الرسوم الجمركية عليها تدريجيا لغاية ١٩٨٩ .

٦ ـــ المفاوضات بشأن التعاون الفني والعلمي ستستأنف في المستقبل .

وتتم المصادقة النهائية على الاتفاق التجاري في مجلـــس وزراء السوق الاوروبية المشتركة خلال ٣ اشهر من التوقيع عليه بالاحرف الاولى (رأأ. ١٩٧٥/١/٢٤) .

ان أفضل مدخل لتقييم الاتفاقية الجديدة هي في مقارنة بنود الاتفاقية بما كانت اسرائيل قد طرحته من وجهات نظر وتصورات وطلبات في الحقبة بين توقيـــع البروتوكول ـــ الهدنة في ٧٣/١/٣٠ وبين تاريخ بدء المحـــادثات في ٧٤/١٠/٢ . سواء مـــن ناحية الامتيازات التي طلبتها اسرائيل او من ناحية الاعباء التي القيت عليها . وبالمقابل فلقد تراجعت السوق المشتركة عن شروطها ، سواء بالنسبة لنسبة تخفيض الجمـــارك أو بالنسبة لفترة التكيف أي الفترة التي ترفع اسرائيل في نهايتها نهائيا الجمارك عـــن الصادرات الصناعية اليها من دول السوق الاوروبية المشتركة حيث منحت الاتفاقية اسرائيل فترة ١٤ عاما وهي مدة تزيد حتى عما كانت قد طلبته اسرائيل .

ولو دققنا في « الاعباء » الملقاة على اسرائيل لوجدنا انها لا تمس بأي شكل مـــن الاشكال خطة التنمية الاسرائيلية او برنامجها التصنيعي ، ولا تعرض سلعها الصناعية لاي درجـــة من المنافسة التي لا تقوى علـــى مجابهتها . علمـــا بـــأن أخطر مـــا يترتب على الاتفاقيات التي توقعها دول السوق المشتركة هي الاثر السلبي لعمليـــة التبادل الحر للسلع ورؤوس الاموال على سياسة التنمية الداخلية للدول النامية التي ترتبط باتفاقات مع السوق المشتركة كما هو الحال بالنسبة لدول اتفاقية « ياوندة » . فالبند الثالث أي تخفيض الرسوم على ٦٠٪ من الواردات الصناعية ابتداء من العام ١٩٨٠ حددت بتلك التي « لا تنافس المنتجات الصناعية الاسرائيلية » وأما بالنسبـــة للبند الرابع اي « منع اسرائيل من تصدير مواد خام الى اوروبا » فان هذا البند هـــو مكافأة اكثر منه عبء . فاسرائيل بشكل عام دولة غير مصدرة للمواد الخام بل هـــي مستورد كبير لاعتبارين ، أولهما فقرها في المواد الخام ، وثانيهما حرصها على القيام بتصنيع المواد الخام ، سواء لتلبية حاجاتها الصناعية المتزايدة ، أو باعتبارها دولـــة تسير على النمط الامبريالي في علاقاتها التجارية حيث تقوم بتصنيع موادها الخام قبل تصديرها لما في تصنيع تلك المواد من زيادة لقيمتها .

ولو أوجزنا بكلمات قليلة ما تقدم : لقلنا **ان اسرائيل قد حققت ما تريد من السوق المشتركة ولم تترتب عليها اية أعباء .**

ان اسرائيل التي تعودت الشكوى الدائمة من سوء احوالهـــا الاقتصادية رقصت هذه المرة طربا للاتفاقية الجديدة : فتمار غولان المحرر الاقتصادي لصحيفة معـــاريف يقول « لم يعد ميدان العمل للصناعة الاسرائيلية سوقا صغيرة لثلاثة ملايين نسمـــة وأنما ميدان مترامي الاطراف وفيه ٣٠٠ مليون مستهلك ... وان هذا هو التطـــور المثير الذي ينتظره اقتصادنا ... ان الاوروبيين مستعدون للالتقاء معنا في نقطـــة أساسية واحدة وهي ان الصادرات الاسرائيليـــة الى السوق ستصبـــح معفاة من الجمارك وبعبارة اخرى تستطيع الصمود أكثر في المنافسة » .

ولقد قال اعضاء وفد اسرائيل في المحادثات مع السوق المشتركة لمراسل الاذاعـــة الاسرائيلية « انهم راضون **جدا** عن الاتفاق » و « أن الاتفاق مع السوق المشتركة يمنح افضليات ضخمة للصناعة الاسرائيلية في التصدير الى اوروبا »، (را ١٩٧٤/٤/١٢).

وكانت صحيفة معـــاريف قد قالت عن الاتفاق المذكور بأنه « سينقذ اسرائيل من الفيتو الاقتصادي الذي تعيش فيه منذ ٢٦ سنة » . وان ترحيب معاريف الزائد له ما

يبرره وهي التي كانت تعتقد ان فترة « تكيف » تنتهي في عام ١٩٨٥ هي فترة طويلة جدا اذ قالت في (٧٣/١/١٢) « ماذا سيتطلب منا السوق مقابل تخفيض الجمارك من جانبه . أتضح ... ان مرحلة الانتقال التي سيتوجب خلالها على اسرائيل تخفيض الجمارك على الواردات من السوق ستكون طويلة جدا . فأن جزءا من الواردات ستحصل على أعفاء من الجمارك في تموز ١٩٧٧ وجزء اخر لغاية ١٩٨٠ وبينما الجزء الاخير لغاية عام ١٩٨٥ » ... ومن الطبيعي ان تصف معاريف الاتفاق بأنه « التطور المثير » خصوصا وان ١٩٧٧ قد مددت ليصبح موعد التخفيض الاول في ١٩٨٠ . واما ١٩٨٥ فلقد اصبحت (أطول) من طويلة جدا اذ اصبحت عام ١٩٨٩ بدلا من عام ١٩٨٥ . أي أنها قد ازدادت بحوالي النصف ... وهكذا تم « تعيين جدول زمني لتحقيق الاتصال الدائم بين اسرائيل والمجموعة الاوروبية » كما كان أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل حينذاك قد طالب في خطابه الذي القاه في ٧٣/١/٣٠ بمناسبة توقيع البروتوكول — الهدنة المشار اليه .. و « اوروبا التي هي ليست افريقيا في نظر اسرائيل (دافار ٧٣/١٠/٣٠) سويت علاقاتها الاقتصادية مع اسرائيل ، وهي التي ستكون بالنسبة اليها، أهمية من الدرجة الاولى للعلاقات مع دول السوق المشتركة» . (٧٣/١/٣٠ — دافار) . تلك التسوية التي لم تفتح ابواب اوروبا فقط امام اسرائيل لكنها ستفتح أيضا امامها كل الاسواق الاجنبية المرتبطة بالسوق المشتركة .

مستقبل الاقتصاد الاسرائيلي في ضوء الاتفاقية الجديدة

ان الاتفاقية الجديدة والتي هي الخطوة ما قبل الاخيرة لانضمام اسرائيل الكامل للسوق المشتركة . ستترك اثارها العميقة والسريعة على مستقبل الاقتصاد الاسرائيلي . لانها تتوافق تمام التوافق مع خطة التنمية التي نفذتها اسرائيل والتي سبق لنا الاشارة اليها . باعتبار ان الاقتصاد الاسرائيلي يعاني في هذه المرحلة من عدم توازن خطير في العناصر المكونة له . اذ يقابل الوفر في عناصر الانتاج من عدد والات ويد عاملة فنية ، نقص خطير في امكانيات السوق سواء على صعيد المستهلكين أو اليد العاملة غير الفنية . ولقد اتت الاتفاقية المذكورة لتحل الجزء الاكبر من هذا الخناق ، بتوفيرها السوق المطلوبة وبالشروط التي سبق الاشارة اليها ، ولم يكن ممكنا أن تكون لتلك الاتفاقية اية قيمة لولا درجة النمو التي بلغها الاقتصاد الاسرائيلي . لانه لا معنى اطلاقا لان تحظى اسرائيل بتسهيلات تصديرية ، في الوقت الذي لا تملك به قدرات تصديرية .

ولو تذكرنا حجم الطاقة العاطلة سواء في مجال الصناعة او اليد العاملة لادركنا الى اي مدى تستطيع اسرائيل مضاعفة معدل انتاجها لانها لن تكون بحاجة حينئذ وفي ظل الاتفاقية الجديدة ، سوى لتشغيل تلك الطاقة ، هذا اذا ما تذكرنا حقيقة أخرى الا وهي أن امكانية توفير عنصر اليد العاملة غير الفنية يخضع لمرونة كبيرة بالمقارنة مع امكانية توفير أي عنصر اخر من عناصر الانتاج . وان زيادة معدل الانتاج ، وبالمقابل بدون اعباء في مستوى تلك الزيادة ، ستعكس نفسها ايجابا على معدل النمو في اسرائيل ، ويتيح لها تعديل اوضاع ميزان مدفوعاتها والقضاء على العجز المزمن فيه او تخفيضه بدرجات كبيرة على الاقل . ويمكن لنا معرفة وادراك الخطورة التي يمثلها اي تزايد جديد في معدل الناتج القومي او القدرة التصديرية لاسرائيل . اذا ما علمنا ان الناتج القومي لاسرائيل في العام ١٩٧٤ قد زاد عن الناتج القومي المصري في نفس العام (٨،٧ مليار دولار لاسرائيل ، ٨،٥ مليار دولار مصر) . واذا ما تذكرنا اثر الاوضاع الاقتصادية في الاوضاع السياسية والعسكرية لاي مجتمع من المجتمع ، فان

خطر الاتفاقية المذكورة يصبح أكثر وضوحاً . وبأمكان اسرائيل الان أن تطمئن لمستقبلها بعد ان تحقق لها الشق الاسلم من الشعار الذي رفعته بعد حرب تشرين ، « التصدير أو الموت » ، في معرض تشبيه اوضاعها الاقتصادية بأوضاع اوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية .

بعض القضايا ذات الصلة الوثيقة بالاتفاقية الجديدة

برغم الميزات العديدة والهامة جدا التي اعطتها الاتفاقية الجديدة لاسرائيل فأن هنالك العديد من المسائل المرتبطة بها والواجب تسجيلها . لانها تحجم بشكل ادق أثر الاتفاقية المذكورة .

١) ان سوق الدول المصنعة ليست هي السوق المناسبة تماما للسلع الاسرائيلية المصنعة ، نظرا لان تلك الدول قد درجت على فتح اسواقها للسلع الزراعية او المواد الخام ومن ثم تقوم بتصنيعها هي نفسها ، اي انه حتى ولو قدمت لاسرائيل كل التسهيلات ورفعت من امامها كل الحواجز الجمركيه فانها تبقى تتعرض لدرجة حادة من المنافسه الامر الذي يحد من حجم المستهلكين للسلع الاسرائيليه الصناعيه، بكلمة اخرى فاننا لا بد وان نتحفظ بشأن الحديث عن ٢٠٠ مليون مستهلك جديد للسلع الزراعية والصناعية الاسرائيليه. على ان لا يفهم من هذا التحفظ وكانه تقليل من اهمية الاتفاقية المذكوره وخطورتها لانه حتى ولو كان حجم المستهلكين للسلع الاسرائيلية ١٪ من الثلاثماية مليون مستهلك المشار اليهم لكان ذلك العدد يساوي عدد سكان اسرائيل الحاليين . هذا بالاضافة الى الاسواق المرتبطة بالسوق المشتركة والتي ستستفيد منها اسرائيل حتما .

٢) أن ارتباط اسرائيل بالسوق الاوروبية المشتركة حيث سيشكلان في النهاية سوقا تجاريه واحدة نتيجه لرفع الحواجز الجمركية بينهما ، سيفرض على اسرائيل ان تقوم بأعاده نظر شامله في برنامجها التصنيعي وذلك لكي تنظم عملية التكامل بينها وبين السوق المشتركة ، حيث تلعب هنا مسالة التخصص والكفاية الانتاجية دورها في التوسع ببعض الصناعات وبالمقابل على اسرائيل ان « تخفض وربما تصفي بعض صناعات وقطاعات باكملها » (معاريف ٧٣/١/١٢) .

٣) من بين التصورات التي طرحت في اعقاب الاتفاقية الجديدة اعتبار اسرائيل كقاعدة اقتصادية للسوق المشتركة في المنطقة اذ وصف كلود شستونج عضو رئاسة السوق المشتركة الاتفاق بين اسرائيل والسوق وذلك اثناء اجتماعه بحاييم بارليف وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي بالاتي « ان الهدف الرئيسي من هذا الاتفاق ليس فقط تخفيض الضرائب بل اجراء تعاون اقتصادي بين اسرائيل والسوق ، وقال ان الاتفاق سيؤدي الى اقامة شركات ومشاريع مشتركة . وذكر ان في اوروبا نقصا في الايدي العاملة وفي المساحات المخصصة للصناعة ويأمل ان يجد هذه في اسرائيل » ورد عليه بارليف بـ « ان اسرائيل حريصة على الاستثمارات الاجنبية . وانه ينوي تعيين فريق من الخبراء لبحث موضوع تنظيم الصناعة في البلاد وذلك قبيل سريان مفعول الاتفاق مع السوق الاوروبية المشتركة » . (ر ا.ا. تاريخ ١٩٧٥/١/٢ رقم ٧١٧) . ولو دققنا في كلام عضو رئاسة السوق المشتركة للاحظنا انه يخفي المبررات الحقيقية لما سماه « بالتعاون الاقتصادي بين اسرائيل والسوق » والهدف الحقيقي والذي يأمل ان يجده في اسرائيل ، ليس « اليد العاملة والمساحة المخصصة للصناعة » لان اسرائيل تعاني من نقص كبير وخطير في الطاقة البشرية وكذلك الامر بالنسبة لحجم الرساميل الموظفة والتي لا تقل نسبتها من الموظفة في اوروبا بالقياس لمساحة ولعدد

سكان دولة اسرائيل لان اوروبا لا تعاني مثلا من مشكلة ارتفاع نسبة الطاقة الانتاجية العاطلة كما هو الامر في اسرائيل . ان ما سيجده السيد كلود شستونج بل وما يبحث عنه هو الميزة النسبية لمكان وجود اسرائيل وعلى قرب من السوق الافريقية ، سوق دول اتفاقية ياوندة . وبدلا من المسافات الهائلة التي تقطعها المواد الخام باتجاه اوروبا ، والسلع المصنعة باتجاه افريقيا واضطرارها للمرور في قناة السويس او عن طريق رأس الرجاء الصالح في حال اغلاق القناة ، بدلا من كل هذا بما يعنيه من ارتفاع تكاليف النقل بالاضافة الى تعرضها لاحتمالات اغلاق قناة السويس ، بدلا من كل هذا فان انشاء المشاريع المشتركة في اسرائيل المتصلة بأفريقيا عبر ميناء أيلات يجعلها تكون على صلة تجارية بأفريقيا موفرة على نفسها ارتفاع تكاليف النقل واحتمالات قطع الطريق بين افريقيا واوروبا . هذا بالاضافة الى أن المشاريع الاوروبية في اسرائيل ستكون بمنأى عن احتمالات التأميم وغيرها من الاخطار التي تحيق باستثمارات الدول الامبريالية في العالم الثالث . ويتيح هذا لاسرائيل العديد من المكاسب ، سواء من خلال مشاركتها في راس المال وبالتالي ارباح تلك المشاريع او من خلال الامتيازات التي تحققها من قيام مشاريع فوق أرضها ، كالضرائب ، والرسوم وتراكم الخبرة الفنية وتشغيل المهاجرين الجدد أو أي عرض جديد لليد العاملة بالاضافة الى ان قيام المشاريع الاوروبية في اسرائيل يزيد من اللحمة السياسية بين اوروبا واسرائيل وبالتالي من التزامات اوروبا السياسية تجاه اسرائيل وحرصها على وجودها وأمنها .

٤) واذا كانت الاتفاقية المذكورة قد حلت مشكلة « الخناق » الاول الذي يعاني منه الاقتصاد الاسرائيلي ، حيث وفرت السوق المطلوبة للصناعة الاسرائيلية فان «الخناق» الثاني ما زال قائما ويهدد كل احتمالات النمو في اسرائيل لان اسرائيل قد امتصت عمليا كل عرض لليد العاملة بما فيه عمال المناطق المحتلة . وأي زيادة جديدة في الاستثمارات في ظل تركيب القوى العاملة حاليا ، ومهما رفعت الكفاءة الانتاجية للعامل ، فانها لن تؤدي الا الى زيادة الطاقة الانتاجية العاطلة في الصناعة الاسرائيلية والتي تبلغ حاليا نسبا خطيرة . ولو استعدنا تصريحات المسئولين الاسرائيليين بشأن هذه المسألة لادركنا مدى خطورة هذه المشكلة « فمصانع الفولاذ والالكترونيات ينقصها ٢٤ ألف عامل » (ر.١.١ ٤٩٥) . ويقول يوسف الموجي في ٧٢/٧/٨ عندما كان وزيرا للعمل « أن مائة ألف شخص في اسرائيل يعملون في وظيفتين في آن واحد » . . وعدد الظواهر التي تميز الاقتصاد الاسرائيلي فقال « ان النقص في عدد العمال هو من أبرزها» (ر.١.١. رقم ٦ عدد تجريبي) . كما «تناول المؤتمر الاقتصادي الثالث موضوع الطاقة البشرية العاملة في البلاد » (ر.١.١. رقم ٢٣٨) ولمدير عام وزارة العمل تصريح مشابه لتصريح وزير العمل السابق يقول فيه « يوجد اليوم نقص خطير بالطاقة البشرية وسيستمر هذا النقص لعدة اعوام » (ر.١.١. رقم ٣٢٧) وأما موشي برعام وزير العمل الحالي فيقول في ٧٤/٧/٢٦ « يوجد في الدولة نقص كبير في الطاقة البشرية في جميع القطاعات . . . وحتى في جيش الدفاع الاسرائيلي » . ولهذا اشارت صحيفة معاريف الى ان « المفاوضات — مع السوق — ملزمة حتى الان بالتأثير على اتجاهات التخطيط والانماء والاستثمارات **وأعداد طاقة بشرية** في الاقتصاد الاسرائيلي » (معاريف ٧٣/١/١٢) . ماذا يعني نقص الطاقة البشرية ؟ أنه يعني ببساطة شديدة ان كل خطط اسرائيل الاقتصادية للمرحلة القادمة وسياسة الاستثمارات بها وجميع التسهيلات التي قدمتها السوق المشتركة للصادرات الاسرائيلية تتوقف برمتها على حل مشكلة الطاقة البشرية اذ لا قيمة عملية للمصنع ان لم يكن هنالك من يقوم

بتشغيله ، ومن هنا سيكون تكالب اسرائيل في المرحلة القادمة لحل هذا « الخنـــاق » الخطير الذي يهدد الاتفاقية التي وقعتها اسرائيل مع السوق المشتركة ، وبالتأكيد فأن اسرائيل ومن ورائها خبراء السوق المشتركة يفكرون مليا باليـد العاملة العربية في المنطقة كي تكون مخرج اسرائيل من هذا المأزق .

٥) وتسلط الاتفاقية الجديدة الاضواء على الدور الذي يمكن او يتوقع ان يلعبـه يهود العالم في تسويق المنتجات الاسرائيلية . كنـا قد اشرنـا في النقطة الاولى الى الصعوبات وحدة المنافسة التي ستلقاها الصادرات الاسرائيليـة في أسواق الـدول الاوروبية نظرا لتشبع السوق هناك وتقدم الصناعة وبالتالي مستوى السلع المحلية المعروضة . وتراهن أسرائيل بالتأكيد على الدور الذي سيلعبه يهود تلك البلدان في تسويق المنتجات الاسرائيلية ، فرفـع الجمارك عنها يعني انها ستعرض للمستهلـك الاوروبي بنفس السعر او مقارب لسعر السلع المحلية ، وهنـا تلعب الامكانيـات التسويقية والخدمات الاعلانية دورها في ترويج تلك السلع . وهنا سيلعب اليهـود دورا كبيرا في هذا المجال ويساعدهم على ذلك سيطرتهم على بعض القطاعات التجارية بالاضافة الى قطاعي الاعلان والاعلام في العديد من الدول الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية . لاننا لا نستطيع ان نعزل سيطرة اليهود على صناعـة وتجارة الملابـس والازياء والمجوهرات في الولايات المتحدة ، ودور محلات ماركس وسبنسر في بريطانيا، عن ان صناعة الالماس والملابس فياسرائيل قد تزايدتا خلال الفترة بين٥٨/٥٩ و٧١/٧٢ بـ ١٧١٣٪ و ١٤٦٥٪ على التوالي ونسب التزايد هذه تمثل اعلى نسبة تزايد حققتها فروع الصناعة الاسرائيلية (الاحصائية شملت ١٨ صناعة اساسية) ونسبة التزايد في صناعة الكهرباء هي النسبة الوحيدة التي كانت اعلى من نسبة تزايد الملبوسـات والالماس . وكانت صحيفة الجيروزاليم بوست قد اشارت الى دور « الوعي القومي » لدى يهود الولايات المتحدة في زيـادة صادرات اسرائيـل الى الولايـات المتحدة . والجدول التالي يوضح طبيعة تزايد الصادرات :

اسم السلعة	العام ١٩٦٦	العام ١٩٧٠	المتوقع عام ١٩٧٥
الالماس	٥٢ مليون دولار	٦٥ مليون دولار	١٠٠ مليون دولار
المأكولات	٥ر١ مليون دولار	٦ مليون دولار	٢٠ مليون دولار
الازياء والملابس	١١ مليون دولار	٤٠ مليون دولار	١٣٥ مليون دولار
مطاط ، بلاستيك ، وكيماويات	٢ مليون دولار	١٢ مليون دولار	٤٠ مليون دولار
انتاج المعادن	٣ مليون دولار	١٢ مليون دولار	٨٠ مليون دولار
متفرقات	٨ مليون دولار	١٤ مليون دولار	٢٥ مليون دولار
المجموع	٧٧ مليون دولار	١٤٩ مليون دولار	٤٠٠ مليون دولار

وليس أفضل من التفسير الذي قدمه الدكتور (موشي عتر) المحرر الاقتصـادي لصحيفة جيروزاليم بوست لدور يهود الولايات المتحدة في تنشيط التجارة الخـارجية لاسرائيل اذ قال « أن العنصر الهام ليس في عدد المستهلكين اليهود ولا في قدراتهـم الفردية ، بل في الدور الهام الذي يلعبه اليهود في التجارة الامريكية وبالذات في تجارة الجملة كما هو الامر في عدد من الصناعات والخدمات واستعدادهم لمـد يد العـون للمنتجين الاسرائيليين الراغبين في دخول السوق الامريكية حيث المنافسة العالية . . .

لقد حصلت القفزة بعد حرب الايام الستة ، التي تعود بشكل رئيسي الى استيقاظ الوعي القومي لدى يهود الولايات المتحدة » . وأما الدكتور جورج وايز رئيس غرفة التجارة والصناعة الاسرائيلية الاميركية فلقد قال عن الصادرات الاسرائيلية لامريكا « في العام ١٩٧٥ يجب أن تبلغ ٤٠٠ مليون دولار وتمثل حوالي ٢٨ ٪ من اجمالي تجارة اسرائيل الخارجية » .. واضاف « في الماضي كان الفضل في زيادة الصادرات الاسرائيلية يعود الى وزير المالية بنحاس سابير والسيد أون طابر من وزارة التجارة والصناعة . وأما في المستقبل فان الغرفة ستكون جديرة بمزيد من الفضل الذي كان يعود لهما » ولقد وعد بـ « التعاون التام بين الغرفة والمؤسسات الصناعية والائتمانية والمسئولة عن التجارة الخارجية وبمزيد من التعريف والتسويق للمنتجات الاسرائيلية والعمل على زيادة الاستثمارات الخاصة وغير الخاصة في اسرائيل واحداث قفزة في الصادرات الاسرائيلية للولايات المتحدة » . (جيروزاليم بوست ١٩٧١/٧/٤) .

أن الكلام السابق يشير لطبيعة الدور الذي يلعبه اليهود في اوروبا واميركا في فتح الابواب وتذليل العقبات امام الصادرات الاسرائيلية ، بعد ان ذللت الاتفاقية الجديدة مع السوق المشتركة أصعب عقبة ألا وهي الضرائب الجمركية ، لان رفعها سيؤدي الى خفض الاسعار التي ستعرض بها السلع الاسرائيلية في الخارجية ، حيث كانت الضرائب تؤدي اما الى رفع الاسعار وأضعاف القدرة التنافسية للسلع الاسرائيلية بالقياس للسلع من صنع محلي . او استمرار اسرائيل في دفع معونات تصدير لتمكين المنتجين الاسرائيليين من الصمود في الخارج ، الامر الذي يكلف اسرائيل أعباء مالية كبيرة وبحجم مساعدات التصدير التي كانت تقدمها الحكومة الاسرائيلية وبكلمة أخرى فحتى ولو لم تحقق الصادرات الاسرائيلية اي زيادة — وهذا مستحيل — فان الحكومة قد وفرت على نفسها مبلغا وقدره ٦٠٠ مليون ليرة اسرائيلية قيمة مساعدات تصدير وهو المبلغ الذي دفع وكان قد خصص كمساعدات تصدير في عام ١٩٧٤ (ر.١٠١٠. رقم ٦٤١) باعتبار أن اسرائيل قد درجت على تقديم ٤٢ أجورا لكل دولار تصدير (الدولار كان يساوي ٤٢٠ اجورا) (ر.١٠١٠. رقم ٥٧٠) أي ١٠ ٪ من قيمة الصادرات ولقد رفع فيما بعد ليصبح ٧٥ اجورا لكل دولار بعد ان خفضت قيمة الليرة الاسرائيلية وبحيث ارتفعت حينئذ نسبة الاعانة من ١ : ١٠ الى ١ : ٨ . وان هذا يعني ان اسرائيل ستحقق وفرا على ميزانيتها يساوي ثمن(١/٨) قيمة صادراتها الصناعية للدول التي تشملها اتفاقيتها الجديدة مع السوق المشتركة والتي كانت تستورد من اسرائيل عام ١٩٧٠ بما قيمته ٣٥٢ مليون دولار من اجمالي صادرات اسرائيل لذلك العام البالغة ٥٥٥ر٧٨٠ مليون دولار (ن.م.د ٧١/٨/١٦) . ولم تتبدل النسبة بعد ذلك كثيرا بل على العكس فلقد زادت لصالح صادراتها لتلك الدول .

٦) ان الاتفاقية المذكورة بجوانبها المختلفة وبنتائجها المباشرة وغير المباشرة ، القريبة والبعيدة هي أوسع بكثير من ان تعالج بمقالة واحدة فقط . فهي مدخل لمناقشة مسائل اخرى ذات صلة بها ، ومزيد من التعمق بها وبتفاصيلها تعطي صورة اكثر دقة ، فهنالك المسائل التالية التي تتفرع عن الاتفاقية المذكورة :

- بنية الاقتصاد الاسرائيلي الحالية ، وطبيعة التبدلات التي ستطرأ عليه في ضوء محاولته تنظيم نفسه ليتكامل مع اقتصاد دول السوق .
- تصورات اسرائيل لحل مشكلة النقص في الطاقة البشرية الذي تعاني منه ، ودور اليد العاملة العربية في هذا الموضوع .
- السلام الاقتصادي الذي تسعى اليه اسرائيل مع العرب وعلاقته بتلك الاتفاقية

وبالذات احتمال تحول اسرائيل لان تصبح قاعدة اقتصادية للامبريالية ولدول السوق في المنطقة .

● محاولات دول السوق لعقد اتفاقيات بينها وبين الدول العربية ومحاولتها ايجاد حل لمشكلة المقاطعة العربية لاسرائيل . وما هو موقف الدول العربية من عقد اتفاقيات مع السوق المشتركة . لمصلحة من ؟. ما هي الشروط الواجب توفرها .

● مستقبل الحوار العربي — الاوروبي في ضوء الاتفاقية المذكورة .

اسرائيل والسوق المشتركة تحيطان الاتفاقية بجدار من الصمت

ان الاتفاقية من شأنها أن تغير خلال عدد من السنوات الى حد كبير وجه الاقتصاد حسب تعبير صحيفة دافار في ٧٣/١/٢٨ ، لم تحظ سوى « بنصف جملة في خطاب الميزانية » حسب قول معاريف في ٧٣/١/١٢ . حيث كانت الصحيفتان تعلقان على البروتوكول — الهدنة الذي كان قد وقع بين السوق واسرائيل والذي كان بداية المفاوضات بين الطرفين للتوصل الى الاتفاقية . ولقد قالت صحيفة دافار ايضا « لم يحظ القرار بشأن ذلك بأي انتباه في اسرائيل ومثله ايضا القرار لاجراء مفاوضات جديدة مع السوق حول اتفاقية تجارة حرة . . . وفي خطاب الموازنة لوزير الاقتصاد في الكنيست قبل ثلاثة اسابيع حظي الموضوع بسطر او سطرين وكاد هذا الكلام ان لا يذكر بالصحف ، حتى انه لم تخصص جلسة حكومية للموضوع . وقد اتخذ القرار في جلسة المدراء العامين للوزارات الاقتصادية .. وهكذا حسم احد المواضيع الاقتصادية الاكثر أهمية لمستقبل اسرائيل » (دافار ٧٣/١/٢٨) . والمتتبع السياسة الاعلامية لاسرائيل وقدرتها على تقديم انجازاتها يلاحظ التعتيم المقصود الذي ضربته والتبهيت المقصود لتلك الاتفاقية ، اذ ان هنالك العديد من الاخبار والحوادث الاقتصادية الاقل اهمية والتي سبق لاسرائيل أن أعطتها مقدارا أكبر من التغطية والاهتمام . وحتى نصوص الاتفاقية فأنها لم تنشر عبر الاذاعة التي اكتفت بنشر مقتطفات عنها من ناحية ومن ناحية اخرى لم تتوسع بالتعليق عليها . ولعل التفسير الذي قدمته صحيفة هاتسوفيه في ٧١/١٠/١٢ عندما قالت « انه ليس من المستحسن اظهار الموضوع في الخارج حتى لا تخلق ضغوطا معاكسة » يمكن ان يكون نموذج الطريقة التي تتكتم بها اسرائيل حول خطواتها الحيوية التي يمكن ان يعطلها الضغط العربي . هذا بالاضافة الى أن الاتفاقية المذكورة لم تحظ بأي قدر من الاهتمام في الاوساط الاعلامية العربية لدرجة ان كثيرين جدا لم يسمعوا بها .

أمكانية الغاء الاتفاقية ما زال واردا

ان الاتفاقية المذكورة ما زالت حتى الان تنتظر التوقيعات النهائية كي تصبح سارية المفعول . اذ انها قد وقعت بالاحرف الاولى فقط وهذا يعني ان هذا التوقيع ليس هو التوقيع الرسمي الذي سيجري بعد ٣ شهور بعد ان تنتهي جميع الاجراءات الفنية المعقدة ، بما في ذلك ترجمة الاتفاق الى اللغات المختلفة من العبرية وحتى الدنمركية » (ر.١٠.١، ١٩٧٥/١/٢٣) . اي انه ينتظر المصادقة عليه في مجلس وزراء السوق . وبالتالي فان امام الضغط العربي فرصة ليحاول تعطيل الاتفاق ، والا فأن الاتفاق سيصبح ساري المفعول وتبدأ اسرائيل تحصد نتائجه . ان الاتفاق المذكور ينتظر مجابهة وهو اختبار جديد للقدرة العربية على الضغط ، فهل يمارس ؟..

حول قضايا التربية الفلسطينية

عدنان عبد الرحيم

عندما نتحدث عن التربية الفلسطينية فنحن نشير الى مجموعة النشاطات التربوية والتعليمية التي تجري في اطار عدد من المؤسسات التربوية العربية ، ومدارس الاونروا ، والمعاهد المهنية التابعة لها ، وبعض المؤسسات التربوية التي تديرها وتشرف عليها منظمة التحرير ، حيث تتم عملية تربية الاجيال الفلسطينية الشابة لاعدادها لمواجهة واقع سياسي ووطني معقد ، ولانجاز مهمات صعبة تتصل بتغيير هذا الواقع وتطويره باتجاه تحقيق اهداف النضال الوطني للشعب الفلسطيني .

والعمل التربوي الفلسطيني ظاهرة ثقافية واجتماعية معقدة ، وذلك يعود الى عدم استقلالية هذا العمل وبالتالي ارتباطه بالنشاط التربوي العربي ، ومؤسساته ، وتعقد المهمات التي يتصدى لانجازها . والحديث عن تربية فلسطينية محضة ، هو اجتهاد نظري اكثر منه حقيقة موضوعية ، ومهمة مطروحة تنتظر الانجاز ، وليس واقعا موضوعيا يسهل تحليله .

يواجه الباحث في مسألة التربية الفلسطينية خيارين ، فهو اما ان يسعى الى تحليل واقع العمل التربوي الفلسطيني الحالي ، وبالتالي يسعى لتطويره بقدر الامكان في اطار الظروف التي يتم بها ، او ان يطرح تصورات تتعلق بالاطار الثقافي والعملي المطلوب لخلق تربية فلسطينية مستقلة محددة الاهداف ، مميزة الخصائص .

ويتوجب علينا قبل البدء بتحليل معطيات كل من الخيارين ودلالاتها ، ان نبين قصور التربية العربية عن الاستجابة للحاجات الاجتماعية والثقافية للنضال الفلسطيني ، وذلك يعود الى جملة اسباب لا مجال لذكرها بالتفصيل هنا ، وان كنا مضطرين الى مناقشتها بشكل عام في هذه الدراسة . ويمكن في هذا المجال ايراد جملة ملاحظات اهمها :

أ) **غموض الاهداف التربوية العربية ومثاليتها** : تطرح التربية العربية اهدافا عامة تعبر عن طموحات ذاتية كبيرة ، ولكنها لا تحدد الوسائل ، والمناهج التربوية الكفيلة بانجاز تلك الاهداف . وهي تشكو ايضا من تعدد الاهداف التربوية تبعا لواقع التجزئة العربي السياسي ، والثقافي الذي يكشف الطابع اللاجدي للطموحات القومية التي تتضمنها تلك الاهداف التربوية . غير انه من الممكن التمييز بين خطين اساسيين تربويين في العالم العربي كما يقول الدكتور صليبا « في المجتمع العربي اليوم نمطان من التربية ، تربية تقليدية تسرف في المحافظة على القديم الذي كنا عليه ... وتربية حديثة تسرف في تقليد المناهج الغربية ... وهي تربية نظرية صورية بعيدة عن الحياة ، تعلم كثيرا ولا تربي الا قليلا ليس بينها وبين حاجاتنا الاقتصادية اتصال ، ولا بينها وبين اهدافنا الاجتماعية والسياسية انسجام »(١). ولا شك ان كلا النمطين لا يستجيبان لمتطلبات النضال الفلسطيني ، واهدافه الوطنية والثقافية .

ب) **غموض المفاهيم التربوية ، وتنوع المناهج وعموميتها** : يؤدي غياب الارضيـــة الفكرية الواضحة للعمل التربوي العربي الى غموض مفاهيمه التربوية التي تعكـــس جملة من المفاهيم التقريرية غير القائمة على تحليـــل نقدي للواقـــع العربي ، لتحديد اسس تغييره وتطويره وبالتالي يمكن القول « بان تربيتنا العربية الحديثة لا تزال حتى الان مترددة بين الاصالة ، والاقتباس ، فهي تأخذ من الغربيين مناهجهم ، واساليبهم من دون ان تلائم بينها ، وبين منازع الشعب العربي ، وحاجاته ، وهي تستمد مـــن ماضينا وتاريخنا كثيرا من القيم الفكرية ، والخلفية الروحية من غير ان توفق بينها وبين احوال العصر »(٢) . ولا يمكن بالطبع اصدار حكم مطلق بادانة التربية العربية مـــن خلال وجهات نظر التربويين العرب بالعمل التربوي العربي فحسب ، بل ينبغي ايضا القاء نظرة شاملة على الواقع التربوي العربي لتقييم سلبياته وايجابياته . ان ذلـــك لا يشكل جزءا من طموحاتنا في هذه الدراسة ذلك اننا سنهتم فقط بمدى قدرة التربية العربية على تطوير الثقافة الوطنية والتغيير الاجتماعي المطلوب للواقع الفلسطيني . ونتفق مع قول الدكتور صليبا في تساؤله عن جدوى دعوات الاصالة والابتكار في العمل التربوي العربي . اذا كانت الاصالة لا ترتبط بواقع المجتمع العربي ، ومكوناتـــه ، وبالتحديد « اذا كان المقصود بالاصالة في التربية ابتكارها ، فان عدم الملاءمة بينهـــا ، وبين بنية المجتمع العربي ، يجعلها بعيدة عن الابتكار »(٣) . ونلاحظ كذلك طغيان العمل العفوي غير المبرمج في معظم النشاطات المتصلة بالعمل التربوي العربي المنهجـــي ، وغير المنهجي . ويتصف التعليم باللفظية والالقاء ، والحشو غير المنظم للمعلومـــات في اذهان التلاميذ ، ولم يطرأ أي تغيير يذكر في اساليب التعليم التقليدية ، فهي ما زالت مقصرة عن تشجيع الطالب على التحليل النقدي لواقعه ، وما يتعلمه ، وبالتالي تؤدي لعجزه عن مواجهة المشكلات التي تواجهه في محيطه الاجتماعي .

ولعل التعليم الذي يتلقاه الطلاب الفلسطينيون في المدارس التابعة لوكالة الغوث لا يتجاوز من حيث الشكل او المضمون مستوى المناهج العربية ان لم نقـــل ان تلـــك المدارس تتبع في تعليمها نفس المناهج العربية ، واحيانا نفس الاساليب التعليميـــة ، وتظهر خطورة المشكلة نتيجة لاستيعاب مدارس الاونروا لمعظم الطلاب الفلسطينيين في المرحلتين الابتدائية والاعدادية فهي « تشرف حاليا على تعليم حوالي ربع مليون طفل فلسطيني »(٤) . وهي لا تهدف في عملها التربوي الى تأهيـــل الطـــلاب الفلسطينيين لمواجهة واقعهم ، وتطورات نضالهم المستقبلية بل « تنظـــر الى الشعب الفلسطيني كقوى عاملة تخدم اقتصاديات الدول العربية حاليا ، ومستقبلا ، ولا تنظر الى الشعب الفلسطيني من خلال حقه في العودة ، وبناء كيانه الخاص ، وما يتطلبه ذلك من تربية اجيال مرتبطة بهذا الحق ، ومهيأة لخدمة المجتمع العائد الواحد »(٥) . . وليس مـــن المستغرب ان نفتقد وجود اهداف قومية ، ووطنية في اطار العمـــل التربوي التابـــع للوكالة ، ولكن الخطر يأتي من استمرارية هذا الوضع ، ونتائجه المستقبلة . ذلك ان « المشكلة الاهم في تعليم الاونروا هي عدم وجود فلسفة تربوية قومية محددة خلـــف هذا التعليم كله ، ويبدو ذلك واضحا من اختلاف مناهج الاونروا في كل بلد من البلدان المضيفة ، وفي غياب اي اهتمام بتدريـــس تاريـــخ وجغرافية فلسطين في الصفـــوف الابتدائية ، او تدريس القضية الفلسطينية كقضية سياسية واجتماعية ، وانسانية في الصفوف التكميلية ، وينتج عن عدم توحيد برامج الاونروا انتفاء وجود تجربة ثقـــافية وفكرية مشتركة بين ابناء فلسطين مما قد يكون له اثر سيء على وحدتهم القوميـــة في المستقبل »(٦) . ولا تعتني المدارس العربية بتعليم المهارات والمهن ، والحرف الضرورية

للاجيال الفلسطينية لمواجهة الحاجات الاقتصادية ، والاجتماعية المتزايدة في هذا العصر لايد عاملة ، وانصاف اخصائيين في شتى ميادين العمل .

اذا كان الواقع التربوي الفلسطيني يستدعي الحاجة الى عملية انقاذ سريعة فما هو البديل ؟ واي اختيار نتبناه ؟ هل يتصف علاجنا بالجذرية ، والمثالية في نفس الوقت وندعو الى تربية فلسطينية مستقلة الاهداف والمناهج والاساليب ، والتمويل ، والاشراف مع ادراكنا استحالة ذلك او على الاقل صعوبته ام نختار القيام بعملية تصحيح للمناهج الحالية ، وتعديل للاهداف التربوية بحيث تتناسب مع معطيات واقعنا الفلسطيني ؟

لعل الاجابة على التساؤلات المطروحة تستدعي القيام بطرح تصور لما ينبغي ان تحققه التربية الفلسطينية المطلوبة من خلال تطلعاتنا المستقبلية لمهماتها ، وارتباط تلك المهمات بالعمل الوطني الفلسطيني . ولعل اهم تلك المسائل هي فلسفة التربية المطلوبة للعمل التربوي الفلسطيني بما في ذلك آفاقها الوجودية والانسانية ، وابعادها الاجتماعية والسياسية .

لقد بذلت محاولات اولية وجنينية لطرح تصور يحوي حدا ادنى من الشروط الفلسفية والعلمية الضرورية لتوجيه العمل التربوي باتجاه الاهداف السياسية والاجتماعية للنضال الفلسطيني . ولا يمكن وصف تلك المحاولات بالكمال ذلك انها ما زالت عاجزة عن الاجابة على كثير من التساؤلات المتعلقة بالواقع التربوي المنشود والمجسدة للآمال التي يعلقها الشعب الفلسطيني على النشاط التربوي .

وقبل تحليل تلك المحاولات ، ونقدها علينا ان نحدد منذ البدء نوع التربية التي نريد الدعوة اليها ، وما هي مقوماتها ؟. ويقودنا هذا التساؤل الى طرح مفهوم التربية ، ودورها مع الاخذ بعين الاعتبار الضرورات والحاجات الموضوعية للواقع الفلسطيني بوصفه يعبر عن اتجاهات ثورية ترفض ما هو قائم ، وتدعو الى واقع وطني واجتماعي جديد تنتفي فيه كل اشكال القهر السياسي ، والوطني والاجتماعي . ولعل تعدد التعريفات المتعلقة بالعمل التربوي يكشف عن تنوع الاهداف المتوخاة من العمل التربوي تبعا لاختلاف المجتمعات الانسانية وحاجاتها ، فقد (نرجع مفهوم التربية احيانا الى الضغط الذي يمارس على الطفل لفهم محيطه بالطريقة التي يفهم بها من قبل الكبار)(٧) وهو في رأي بول فريري « شكل من أشكال العمل المنظم يعمل في اطار البنية الاجتماعية اما لتغييرها او للحفاظ عليها »(٨) . وهذا يعني بالنسبة للمجتمعات المضطهدة والمستغلة عملا تربويا يهدف الى التوعية بمعطيات نضالها للخلاص من استعبادها واستغلالها ذلك انه « لكي يشن المقهورون نضالا لتحرير أنفسهم ، ينبغي عليهم ادراك واقع قهرهم ، ليس باعتباره عالما مغلقا لا مخرج منه ، بل كوضع محدد يستطيعون تغييره »(٩) . وعلى التربية في هذه الحالة « وفي المرحلة الاولى ان تهتم بقضايا وعي وضع المقهورين ، وجلاديهم ، واولئك الذين يقهرون والذين يتعرضون للقهر »(١٠) .

والدعوة لتربية تعلم الطفل رفض الخنوع والرضاء بالاستعباد تتطلب استبعاد كل عمل تربوي يعد الاجيال الشابة لخدمة قوى القهر الداخلية والخارجية المسيطرة على مصائر الشعوب سواء كان قهرها هذا قائما على الاستعمار الاستيطاني او النهب الاقتصادي او السيطرة الثقافية او من خلال اعداد الكوادر الادارية والتقنية لخدمة تلك السلطات المستعمرة وتخليد سيطرتها الثقافية والحضارية وانماط معيشتها .

وبالنسبة للتربية الفلسطينية المنشودة ، فنحن مطالبون بما يلي : ١ ــ فلسفة تربية وطنية تعبر عن الواقع الفلسطيني وتحدد شروط تجاوزه . ٢ ــ مناهج تستجيب لهذه الفلسفة ، وتعبر عن مضمون التغيير المقترح في العمل التربوي الفلسطيني . ٣ ــ دراسة المشكلات النظرية والعلمية للتربية الفلسطينية . ٤ ــ المهمات المرحلية لتطوير العمل التربوي الفلسطيني .

١ ــ نحو فلسفة تربية فلسطينية : لا بد لكل فلسفة تربوية ان تستند الى فلسفة عامة للمجتمع ، وبالتالي فمن المفترض ان تعكس تلك الفلسفة التربوية ، رؤية ذلك المجتمع للعالم بمعطياته وتجلياته المختلفة ــ وهــذا جزء من بنية المجتمع الثقافية ــ اي ان الحديث عن فلسفة تربية فلسطينية يفترض مقدما وجود واقع ثقافي فلسطيني محدد الملامح او الخصائص ، ويتضمن مثل هذا الواقع الثقافي ، الفكر السياسي للشعب الفلسطيني ، وتصوراته الاجتماعية وبالتالي منهجه للعمل التربوي ومهماته .

ولا نستطيع ان نزعم ان مثل تلك الثقافة الفلسطينية قد تكونت ، وبرزت الى حيز الوجود حتى الان ، وان كانت آخذة في التبلور في المجال السياسي . ويمكن اعتبار فكر المقاومة الفلسطينية ، وتراثها السياسي بمثابة مؤشرات لتلك الثقافة ونوعيتها . كما انه من ناحية اخرى يمكن رصد ملامح الوجه الاجتماعي للثقافة الفلسطينية من خلال التراث الفكري والادبي الفلسطيني من اوائل هــذا القرن وحتى الان . واما بالنسبة للجانب التربوي فما زالت المحاولات لتطوير فكر تربوي فلسطيني تتسم بالعفوية والانتقائية والتجريب .

تمثل دراسة مركز التخطيط الفلسطيني جهدا اوليا لتصور فلسفة تربية فلسطينية تنسجم مع معطيات الواقع الفلسطيني ، وحاجاته(١١) . وتتصف تلك الفلسفة التربوية المقترحة بشموليتها وعموميتها ، وتغرق احيانا في اللفظية والمثالية بشكل يجعلها تبدو وكأنها قرارات أو توصيات لمؤتمرات تربوية عربية ، الغارقة في بحور التحليلات النظرية او التهويمات التأملية . وينظر الى التربية في هذه الدراسة بوصفها « عملية دينامية ومتطورة ترتبط ارتباطا وثيقا بالتطور العلمي ، والتكنولوجي ، والاجتماعي ، وتتطلب استمرار معاودة النظر في افكارنا ، وممارساتنا »(١٢) . وهي بالتالي بعــد من ابعاد الحياة وليست مجرد عملية اعداد لها . والعالم كما تحدده الدراسة « واقــع موضوعي يجب ان يدرس موضوعيا وان لا يحكم عليه ذاتيا . . . وهو في حالة حركة مستمرة . . وان بامكان الانسان معرفة العالم ، وتغييره »(١٣) . اذن فهي تبشر بتربية ثورية تدعو (للتغيير) لا (للتكيف) مع واقع مرفوض وتهدف لتنمية طاقات الانسان لا (تدجينه) اجتماعيا ، والتاريخ كما تصوره الدراسة (ليس تراكما عبثيا للاحــداث او دورة تعيد نفسها بلا انقطاع ، بل هو تطور من الادنى الى الارقى وتلعب الثــورات دورا أساسيا في هذا الموضوع(١٤) . واما من ناحية تحديد اسس الاحكام التقييميــة والاخلاقية فتشير الدراسة الى أن « معيار الخير والشر ، والصحيح والخطأ ، لا يقوم على اساس الحكم الذاتي ، وانما هو معيار موضوعي ، فالذي يقرر عدالة قضيــة او عدم عدالتها ، وعدالة موقف او عدم عدالته هو الدور الذي تلعبه تلك القضيــة ، وذلك الموقف من تطوير المجتمع ، ومدى مطابقتهــا ، او مطابقته لمصلحة الجمــاهير العريضة وخلق المجتمع الانساني الذي ينتفي فيه الاستغلال والظلم والفقر »(١٥) .

واما الجانب السياسي لهذه الفلسفة التربوية ، فهو يمثل (تركيبا) نظريا للافكار السائدة لدى منظمات المقاومة المختلفة ، وبالنسبة للقيم فهي تدعو الى تبني قيم جديدة

اهمها « الروح الجماعية ، والاعتماد عليها ، والكفاح من اجلها وحب الشعب ، والثقة به ، وروح التفاؤل الثوري ، وروح حب المستقبل في النفوس »(١٦).

وباختصار يمكن القول بان فلسفة التربية هذه تمثل انعكاسا للفكر السياسي الفلسطيني المعاصر الذي ما يزال غارقا في دوامة التعميمات ، والتهرب من الالتزام بمفاهيم محددة تتصل بتصوره للعالم ، والحركة الاجتماعية وقوانينها ومبادىء العمل الثوري ، ومتطلباته النظرية والعملية .

وأرى أنه يتوجب على فلسفة التربية الفلسطينية المطلوبة ان تتصف بالثورية . تطرح قيما فكرية ، واجتماعية جديدة تستجيب لحاجات الواقع الفلسطيني ومتطلباته الاجتماعية والسياسية والثقافية وان تمثل في بعدها السياسي تجديدا مستمرا للمفاهيم المتصلة بالافق القومي ، والوطني ، والاممي للنضال الفلسطيني والعلاقات الجدلية بينهما ، وعليها ان تكون اكثر جذرية في مجال النقد الاجتماعي للقيم السائدة ، والدعوة الى قيم جديدة اكثر تعبيرا عن الواقع الفلسطيني المنشود واكثر عملية ، والتصاقا بالمعطيات المادية للمجتمع الفلسطيني بوضعه الراهن وآفاقه المستقبلية . وينبغي على القيم التربوية المقترحة تمثيل واستيعاب افضل الخبرات التربوية العالمية والعربية التي تشمل كل اقسام المناهج ، والنشاطات المرافقة لها ، والنشاطات التربوية التي تشرف عليها التنظيمات الجماهيرية .

وكذلك يرتبط نجاح فلسفة التربية الفلسطينية بقدرتها على توجيه العمل التربوي الفلسطيني بكل اشكاله باتجاه الاهداف المرحلية والستراتيجية للنضال الوطني للشعب الفلسطيني بكل ابعاده السياسية والاجتماعية والثقافية . ورغم ادراكنا لسهولة الهروب الى التعميمات النظرية ، والتصورات المجردة لبناء كيان فلسفي نظري متماسك، الا أن فلسفة العمل التربوي الفلسطيني لا بد وان تستند الى الفلسفة العامة للنضال السياسي الفلسطيني وللثقافة الفلسطينية المعاصرة ، وان تطوير فلسفة التربية هذه لا بد وان يرتبط بتطور نوعي في الفكر السياسي الفلسطيني باتجاه الوضوح والدقة والعمق ، ونمو حركة التغيير الاجتماعية في التجمعات الفلسطينية لخلق قيم جديدة تعبر عن الطموحات الثورية للشعب الفلسطيني ، وهذه احدى المهمات الرئيسية للعمل الثوري الفلسطيني « الذي لم يلتفت الى مسألة خلق تربية وطنية متكاملة ثورية ، الا مؤخرا من خلال قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط الذي انشيء في عام ١٩٧١ »(١٧) والذي ما يزال يطور بعض المنطلقات النظرية للعمل التربوي الفلسطيني ، ومناهجه .

٢ ــ **المناهج، والنشاطات التربوية** : لا نقصد بالتعليم الفلسطيني مجرد مجموعة الكتب المقررة في المدارس العربية ، ومدارس الاونروا ، بل نعني ايضا مختلف النشاطات المرافقة للمناهج ، سواء كانت تخدم مضمون الكتب المقررة وتعززه او كانت تهدف لتأهيل الطالب واعداده لمواجهة شتى المشكلات المتعلقة بفهم واقعه ، ومواجهة المشكلات الناتجة عن تعامله مع هذا الواقع سواء كانت تلك المشكلات تتصف بالطابع النظري او يغلب عليها الطابع العملي .

ويبدو واضحا ان الشرط الاول لاكساب المناهج المقررة فعالية تربوية عملية هو استنادها الى فلسفة تربوية تتحول من خلال المناهج الى مبادىء عملية تتحكم باهداف المناهج وتوجه مضمونها وشكلها . وتخضع المناهج ايضا الى اعتبارات عديدة منها ما هو سيكولوجي يتصل بنمو الطفل النفسي ، ونمو قدراته العقلية وادراكاته في مراحل عمره المختلفة ، وكذلك تطور نشاطه الحركي ، وقدراته الفيزيولوجية ، ومراحل تكون

المفاهيم المجردة لديه ، نتيجة لنشاطه الحركي الدائم في سعيه للتعرف الحسي على الموضوعات في البيئة المحيطة به ، وارتباط هذا النشاط بنمو قدراته العقلية والعصبية. وقد كنا تحدثنا بشكل عام في مقدمة هذا البحث عن أهم النواقص في المناهج العربية ، وسنتطرق هنا فقط لعلاقة معطيات تلك المناهج مع الحاجات التربوية الفلسطينية المتصلة بمواد الاجتماعيات .

تحدد مقدمات المناهج العربية اهدافا قومية واجتماعية وعلمية كبيرة وتدعو جميعها الى ربط التعليم بالبيئة ، وكذلك يبشر معظمها بالتربية المستمرة . ولقد دعت معظم المؤتمرات التربوية العربية الى مكافحة الامية ، وتعليم الكبار ، والاهتمام بتعليم الحرف ، والمهن ، والتأهيل المهني ، ولكن ما يحدث في التطبيق هو ان تلك القرارات والتوصيات تظل مجرد صرخات ، ونداءات تبشيرية تفتقر الى البرامج الضرورية لترجمتها الى ممارسات فعلية يومية في اطار العمل التربوي المدرسي ، وخارجه .

تشير دراسة قام بها مركز التخطيط لتحليل محتوى كتب الاجتماعيات في لبنان ، سوريا والاردن الى ان مضمون كتب الاجتماعيات في هذه الاقطار يتميز « بالابتعاد المتفاوت لهذه الكتب عن مقياس « الفلسفة التربوية للشعب العربي الفلسطيني من حيث تربيتها للمواطن، وغياب القضية الفلسطينية كمحور لتوجيه الطالب، والاهم من هذا غياب الشخصية الفلسطينية التي تربط بين عرب فلسطين المشتتين في اقطار اللجوء المختلفة من ناحية ، وبين قضيتهم من ناحية اخرى »(١٨) . ويوضح ذلك الدكتور ابو لغد مشيرا : « ان المحتوى الاجتماعي للانظمة التعليمية العربية قد وضع من ناحية توجه عربية ، وليس من زاوية وعي فلسطيني محدد »(١٩) .

يتطلب تطوير العمل التربوي الفلسطيني على المدى الطويل السعي لوضع الخطط الكفيلة بتطوير مناهج فلسطينية مستقلة في مختلف المواد التعليمية والنشاطات التربوية الاخرى ، ذلك ان محاولة التغلب على النواقص الفنية ، والاجتماعية والسياسية في المناهج العربية ـــ من حيث اتصافها بالشكلية واللفظية وطابعها النظري المفتقر الى النشاطات العملية الضرورية لربط الطالب ببيئته وتنشيط عمله الاجتماعي خارج المدرسة ـــ لا يمكن ان تفي بالحاجات الاساسية لتأكيد مساهمة العمل التربوي الفلسطيني في نضال شعبنا الوطني ، وتعميق ابعاده الثقافية والتربوية : وعلى مثل هذه الخطط المقترحة ان تشمل معظم النشاطات التربوية الهادفة الى خلق ثقافة فلسطينية ثورية تواكب العمل السياسي الفلسطيني ، وتعززه وتكسبه مضمونا اجتماعيا متجددا . وتطرح مثل هذه الخطط مهمات تربوية شاملة ، ترتبط بالواقع التربوي الفلسطيني الحالي ومتطلباته ، وهي بحسب اهميتها تغطي الموضوعات التالية ، ويمكن اعتبارها **بمثابة مهمات مستقبلية للعمل التربوي الفلسطيني :**

أ) تطوير العمل في مجال فلسفة التربية الفلسطينية المقترحة من قبل مركز التخطيط واغناء الدراسة المتصلة بهذا الموضوع بمزيد من التعميق النظري والشمولية بحيث تقدم الخطوط الاولية لفلسفة المناهج في مختلف المواد التعليمية النظرية والتطبيقية ، والنشاطات التربوية الاخرى بما في ذلك مسألة محو الامية وتعليم الكبار ، ونشاط منظمات الشبيبة ، والاشبال ، والعمل الاجتماعي داخل المخيمات الفلسطينية .

ب) نقد جذري شامل للمناهج العربية (يتجاوز الدراسات التي قام بها مركز التخطيط في هذا المجال والتي اقتصرت على نقد مناهج الاجتماعيات العربية ، وموقفها من القضية الفلسطينية ، ونضال الشعب الفلسطيني ، والشخصية الفلسطينية للكشف عن المنطلقات النظرية الخاطئة وغير الواضحة والرجعية لبعض مقدمات تلك المناهج ، وقلة فاعليتها العملية .

جـ) تقديم لوحة شاملة للنشاط المطلوب في مجال مكافحة الامية بين افراد الشعب الفلسطيني بحيث تشمل : ١ ــ خبرات تربوية عالمية في مجال مكافحة الامية . ٢ ــ دراسات عن الواقع التعليمي في التجمعات الفلسطينية ، واحصاءات دقيقة عن مدى انتشار الامية في اوساط الشعب الفلسطيني . ٣ ــ برامج كاملة تحدد مهمات العمل في مجال مكافحة الامية بما في ذلك المقدمات النظرية الضرورية للعمل في هذا المجال باعتبار ان « الغاء الامية ليس عملا حضاريا فقط ، بل هو ايضا عمل سياسي ــ اجتماعي اساسا ، يهدف الى تطوير الامكانيات المادية للشعب العربي الفلسطيني من خلال حث الاشخاص على رفع درجة اشتراكهم في العمل السياسي »(٢٠) . ٤ ــ كتابة النصوص المنسجمة مع واقع الاشخاص الذين نسعى لتعليمهم القراءة والكتابة ، والمعبرة عن طموحاتهم ، وتطلعاتهم الاجتماعية السياسية وان تختار الكلمات المولدة من حوارهم اليومي ، ومن بيئتهم . ٥ ــ القيام بعمل تحريضي ، سياسي واجتماعي واسع بحيث تصبح هذه العملية مركز اهتمام معظم الاجهزة السياسية ، والعلمية ، لمنظمات الثورة ، ولتكتسب طابعا جماهيريا عاما .

د) الاهتمام بتعليم الكبار ، وتأهيلهم مهنيا ، ونعني بالكبار اولئك الذين لم يكملوا تعليمهم نتيجة لظروف معينة . ومن الممكن في هذا المجال اعداد برامج تربوية خاصة بهم (التعليم الليلي ــ جامعة شعبية ــ دورات تربوية مكثفة ، تعليمهم مهن تمكنهم من الحصول على فرص عمل اكثر) وفي تخصصات معينة .

هـ) وضع برامج عمل عملية لمنظمات الشبيبة والاشبال ، ورعاية الشباب ، ذات مهمات تربوية محددة تشمل تغطية كاملة لمعظم النشاطات السياسية والاجتماعية والرياضية التي تهتم بها تلك المنظمات . وعلى مثل هذه البرامج الا تكتفي بالتعميمات السياسية والاجتماعية النظرية بل تتناول بالتفصيل المهمات المحددة لكل فئة من هذه الفئات ، ودورها الاجتماعي ، والثقافي والتربوي . وعلى مثل هذه البرامج ان تترك حيزا لمبادرات اعضاء تلك المنظمات في شتى المجالات وتشجيعهم على المساهمة في الاعمال الجماهيرية داخل التجمعات الفلسطينية بما في ذلك تقديم الخدمات التعليمية ، والصحية ، والفنية للجماهير الفلسطينية .

و) دفع المنظمات النقابية الفلسطينية الى تنشيط عملها التربوي والتثقيفي بين قواعدها وكوادرها القيادية والوسطى وذلك باقامة الدورات النقابية والتثقيفية والمهنية وخلق مؤسسات تربوية تشرف عليها لزيادة وعي كوادرها السياسي والنقابي والعلمي ، كما انه ينبغي تشجيع المنظمات النقابية واتحاد المرأة على تأسيس رياض الاطفال ورعايتها والاشراف على الدورات المتعلقة بتأهيل المدرسات ووضع البرامج الخاصة بتلك الدورات .

ز) اعداد الكتب والنصوص التي تستجيب لحاجات المناهج المقترحة في مختلف المواد وان يراعى في اعدادها ضرورة التغيير في مضمونها وشكلها بحيث تنسجم مع تطلعاتنا لتطوير العمل التربوي ، وتثير اهتمام الطالب .

ح) التخطيط لانشاء المعاهد الفنية ، والمهنية المتوسطة التي ستضطلع بمهمة اعداد الكوادر اللازمة لمتابعة العمل الثوري ، وتأمين فرص العمل لفئات الشعب الفلسطيني، وبالاخص تلك التي تركت التعليم الاكاديمي في سن مبكرة . . . وليس هناك في الوقت الحاضر سوى معاهد قليلة تابعة لوكالة الاونروا والدول العربية المضيفة تقوم بتدريب الطلاب الفلسطينيين على اتقان مهن وحرف معينة .

تمثل هذه الضرورات التربوية حاجات ملحة في التربية الفلسطينية ، غير اننا ندرك في الوقت نفسه بانها تمثل طموحات نظرية اكثر منها امكانات واقعية ، وذلك بسبب الواقع السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي للعمل التربوي الفلسطيني . وقبل أن نقترح بعض المهام المرحلية لتطوير العمل التربوي الفلسطيني الحالي ، لا بد ان نتعرض وبشكل عام لبعض المشكلات النظرية والعملية التي تحد من طموحاتنا لتطوير عمل تربوي وطني فلسطيني مستقل .

٣ — **المشكلات النظرية والعملية للتربية الفلسطينية** : لا يمكن في ظل غياب وجود سلطة سياسية فلسطينية التفكير الجدي في مسألة استقلالية العمل التربوي الفلسطيني ، سواء كانت تلك الاستقلالية تعني المؤسسات التربوية الفلسطينية او المناهج الخاصة بتدريس الفلسطينيين او تغيير البيئة العلمية ، والاجتماعية للواقع التربوي الفلسطيني الحالي ، غير اننا في الوقت نفسه نشعر بمدى خطورة خضوع تعليم الاجيال الفلسطينية الشابة ، لمناهج تربوية وتعليمية متعددة ، مختلفة الاتجاهات السياسية ، والتربوية .. ولذلك فان الحديث عن التربية الفلسطينية المستقلة الوطنية ، الموحدة الاهداف ، والمناهج ، يتطلب التغلب على المشكلات التالية (والتي لا نرى في المدى المنظور امكانية لتجاوزها) .

١ — عدم قدرة الثورة الفلسطينية على اعتماد فلسفتها التربوية الخاصة — والمرتبطة بالافق النظري ، والسياسي لفصائلها المختلفة — اساسا لوضع المناهج التي يدرس من خلالها الطالب الفلسطيني .

٢ — عجز الثورة الفلسطينية ومؤسساتها عن فرض مناهج فلسفية وطنية في المدارس العربية التي يدرس بها الطلاب الفلسطينيون او في المدارس التابعة لوكالة الغوث ..

٣ — بجانب الصعوبات السياسية التي اشرنا اليها ، فان مشكلة تمويل التعليم الفلسطيني المستقل المقترح تحتاج الى امكانات مادية تتجاوز طاقات الثورة المالية ، وامكاناتها .

٤ — ان قبول الثورة بمسؤولية تعليم الفلسطينيين يعني عمليا انها مسؤولية وكالة الغوث عن تربية الاجيال الفلسطينية الشابة ، وهذا يتطلب قرارا سياسيا يمكن ان ينهي التزام هذه المؤسسة الدولية بالخدمات التعليمية التي تقدمها للشعب الفلسطيني، والتي تشكل الجزء الاكبر من مهماتها ، وبالتالي فان ذلك يمهد لانهاء التزام الامم المتحدة ، ومسؤوليتها عن الواقع السياسي الحالي للشعب الفلسطيني .

٥ — عدم قدرة الثورة على توجيه العمل التربوي داخل الارض المحتلة الا بقدر محدود ، لا يتناسب مع جهود العدو لتشويه المناهج العربية التي تدرس هناك، وفرض مناهجه التي تهدف الى تشويه الوعي الوطني ، والقومي للجماهير الفلسطينية داخل الارض المحتلة .

٦ — صعوبة تجميع الكوادر التربوية الفلسطينية الموزعة في شتى انحاء الوطن العربي لحشدها في عمل منظم يهدف الى وضع خطة تربوية شاملة للتعليم الفلسطيني وتنفيذها .

٧ — غياب المؤسسات التربوية الفلسطينية المتخصصة ، والتي من المفترض أن تكون مسؤولة عن الاشراف على كل نواحي العمل التربوي ، بما في ذلك مركز للبحوث التربوية واخر للاحصاء التربوي ، وثالث للتخطيط العام للتربية الفلسطينية ،

ولا يمكن لقسم التخطيط التربوي الحالي في مركز التخطيط ان ينهض لوحده بهذه الاعباء ، التي تتطلب توسيعا لنشاطاته ، واقسامه بحيث تشمل كل نواحي التربية الفلسطينية .

اشرنا فيما سبق الى أهم المشكلات التي تعترض سبل سعينا لتحقيق تربية وطنية فلسطينية مستقلة ، ونلاحظ ان لهذه المشكلات طابعا سياسيا عاما يرتبط بطبيعة المهمات الوطنية ، والثقافية التي من المفترض ان ينجزها العمل التربوي الفلسطيني في اطار النضال الوطني الفلسطيني السياسي .

ان صعوبة تجاوز هذه المشكلات حاليا تتطلب السعي لحلول مرحلية تساعدنا في تطوير العمل التربوي الفلسطيني الحالي ، والتمهيد للخطوات المستقبلية التي لا يمكن بدونها انجاز عمل تربوي ثوري فلسطيني جدي ، ويمكن اعتبار هذه الخطوات بمثابة مهمات راهنة تقع مسؤولية تنفيذها على عاتق المؤسسات التربوية الفلسطينية ، والمعلم الفلسطيني ، واجهزة الثورة الفلسطينية السياسية المختلفة ، والمنظمات الجماهيرية الفلسطينية . وبدون النضال من اجل تطوير العمل التربوي الحالي فانه يحق لنا التساؤل مع الدكتور ابو لغد « عن المعنى الحقيقي والنهائي لتعليم الفلسطينيين في سبيل الحصول على وظائف آمنة ، وهذه في الوقت الحاضر ، الصفة الرئيسية للتعليم في الدول العربية ، بدلا من تعليمهم بشكل يخدم التحرير ، بكلام اخر مدى فائدة تعليم شعبنا المنفي طبقا لمناهج ووسائل ملائمة لمجتمع مستقر ومتطور ، والعامل الثاني هو تأثير تعليم الفلسطينيين دون الالتفات الى هويتهم الفلسطينية ، ووعيهم لذاتهم »(٢١) .

٤ ــ **المهمات المرحلية لتطوير العمل التربوي الفلسطيني** : يتوجه الاهتمام الرئيسي في مسألة تطوير العمل التربوي الفلسطيني في المرحلة الراهنة الى محاولة التأثير في الواقع التربوي العربي الراهن ، وبشكل خاص المناهج العربية ، والنشاطات المرافقة لهذه المناهج ، ومجال نشاطات منظمات الشبيبة ، والاشبال والعمل الجماهيري الفلسطيني الذي تقوده ــ النقابات الفلسطينية ، وبشكل خاص اتحاد المعلمين الفلسطينيين ، ويشمل ذلك ايضا تطوير اساليب التعليم من واقعها الحالي القائم على التلقين ، والاملاء ونقل المعلومات وما يسميه فريري (بالتغذية) الاعلامية الى تهيئة الشروط العلمية والواقعية لما يسمى (بالتربية المستمرة) داخل المدرسة وخارجها والتي تدعو الى تبني اسلوب (الحوار) بين المربين والمتعلمين كمنهج في التعليم يسمح بتنمية امكانيات الفرد الفيزيولوجية والعقلية ، وربط هذا النمو بتوعية المتعلم بواقع مجتمعه ، وحاجاته الاجتماعية ، والاقتصادية او الوطنية . ومساهمته الفعالة في عملية التغيير الثوري لهذا الواقع ، سواء اتخذ هذا التغيير شكل الرفض العسكري المسلح والسياسي للواقع الراهن او تضمن تغييرا في سلم القيم الاجتماعية السائدة ، ودلالاتها اليومية . وفي هذا المجال يمكن اقتراح المسائل التالية :

١ ــ اعداد دراسات عملية حول مكافحة الامية بين اوساط الجماهير الفلسطينية تمهد لوضع برنامج عمل سياسي ، واجتماعي وتربوي للقضاء على الامية المتفشية في التجمعات الفلسطينية وبشكل خاص بين النساء ، والا يقتصر الامر في هذا المجال على بذل جهود غير مخطط لها . ومن المهم الاشارة هنا الى مجموعة محاولات متواضعة الاهداف التربوية كحملات اتحاد المرأة الفلسطينية لمكافحة الامية في المخيمات الفلسطينية في لبنان (تل الزعتر ، برج البراجنة . .) او كمحاولة اتحاد المعلمين الفلسطينيين في سوريا تنظيم حملة لمكافحة الامية في مخيم اليرموك . . . وكان السبب

الرئيسي في تعثر هذه الحملات هو عدم ارتباطها بخطة عمل سياسية واجتماعية عامة للقضاء على ظاهرة الامية في التجمعات الفلسطينية .. وعدم اعداد المناهج التربوية الملائمة لهذا النوع من العمل التربوي ـ الاجتماعي .

٢ ـ زيادة عدد رياض الاطفال الفلسطينية ، وتوسيع القائم منها ، وتطويرها . واعداد برامج التدريب الخاصة بمعلمات الرياض ، ووضع مناهج تربوية لهذه الرياض تتناسب مع اهتمامات الطفل ، وقدراته ، وتنسجم مع الاهداف السياسية والاجتماعية العامة للثورة الفلسطينية . ويقوم اتحاد المرأة الفلسطينية بجهود كبيرة في هذا المجال في لبنان ، فقد اشرف بالتعاون مع مركز التخطيط على انشاء عدد من رياض الاطفال في كل من مخيمات تل الزعتر ، والرشيدية وبرج البراجنة ، والبداوي ...

٣ ـ البدء بدراسات نقدية للمناهج العربية في مختلف المواد التعليمية ، ومحاولة تقديم البديل التربوي الفلسطيني لهذه المناهج لكي تطبق في المدارس التي تشرف عليها مباشرة منظمة التحرير الفلسطينية كمدرسة ابناء الشهداء في سوق الغرب ، ومدارس منظمة التحرير في الكويت ، او المدينة التعليمية التي ستشاد في سوريا ، والتي ستضم اكثر من ٨٠٠٠ طالب من أبناء شهداء الثورة الفلسطينية في مختلف مراحل التعليم ما قبل الجامعي .

٤ ـ النضال من اجل توجيه العمل التربوي في وكالة الغوث بشكل يؤمن « الاحتفاظ بحق تقرير المواد التي ستدرس ، وبحق ادخال اي كتاب مدرسي ، وقراءة اضافية تراها الثورة مناسبة »(٢٢). وكذلك ينبغي العمل على ان « تقوم الثورة الفلسطينية بوضع المنهج التربوي الموحد لمادة الاجتماعيات ، وخاصة فيما يتعلق بفلسطين ، وقضية فلسطين وتوسيع البرامج الموجهة الى ابنائنا في الوطن المحتل ، ولا سيما حول المواد الاجتماعية »(٢٣). وتدريس مواد تربوية جديدة تضمن ربط الطالب الفلسطيني بنضال شعبه كمادة التعبئة السياسية التي يقوم مركز التخطيط بوضع الخطوط الاولية لمضمونها ، وطريقة تعليمها ، والتي تهدف الى « تعميق وعي الفرد الفلسطيني بأثر الواقع التاريخي ، والجغرافي للارض الفلسطينية على الصراعات التي حكمت الساحة الفلسطينية منذ القدم وحتى الان ، واكساب الطالب الفلسطيني القدرة على تحليل تاريخ شعبه ، وتقييم انجازاته ودراسة حاضره بحس نقدي يساعده على ادراك واقع النضال الحالي وامكاناته المستقبلية ... »(٢٤). وكذلك اعداد مادة علمية وتربوية جديدة تدعى (مادة فلسطين) تكون بمثابة البديل الموضوعي لمضمون مناهج الاجتماعيات العربية التي تتناول القضية الفلسطينية ومعطياتها الجغرافية ، والاقتصادية ، والتاريخية والمفترض ان تمثل هذه المادة طرحا جديدا في تحليل تلك المعطيات ، وتقييمها واسلوبا تربويا عصريا يكشف العلاقات الجدلية بين ما هو تاريخي ، وما هو جغرافي او اقتصادي ، في الواقع الفلسطيني « بدأ مركز التخطيط في اعداد الاجراءات التربوية التمهيدية لتنفيذ كتابة هذه المادة وتعميمها » .

٥ ـ تنشيط عملية اقامة دورات تدريب سياسية ، وثقافية ، ومهنية للمعلمين الفلسطينيين من قبل المراكز التربوية والعلمية الفلسطينية (مركز التخطيط ، مركز الابحاث مثلا) وبالتعاون مع اتحاد المعلمين الفلسطينيين لاعداد الكادر التعليمي الضروري لتنوير العمل التربوي الفلسطيني ولتأمين انسجام عمل هذا الكادر مع النضال السياسي للثورة الفلسطينية وحاجات هذا النضال الاجتماعية ، والتربوية ، ولاطلاعه على اخر المنجزات التربوية العالمية المتعلقة بتطور اساليب التعليم والمهمات

التربوية الخاصة بالمجتمعات التي تمر في مرحلة التحرر الوطني ، والتي تناضل من اجل حريتها ضد قوى القهر الداخلية والخارجية .

٦ ـ السعي لتطوير التعليم المهني ، وتعليم الحرف في كل المؤسسات التربوية التي تشرف عليها الثورة مباشرة ، وتشجيع المنظمات الجماهيرية الفلسطينية لانشاء مراكز تدريب مهني ، والاشراف عليها . وذلك يساهم بصورة جدية في معالجة مشكلة التسرب التي تعاني منها المدارس الفلسطينية وخاصة في نهاية المرحلة التكميلية ، ولتأمين تأهيل اكبر عدد ممكن من الجماهير الفلسطينية لممارسة مسؤوليات انتاجية تؤمن فرص عمل جديدة لفئات الشعب الفلسطيني المختلفة . وتساهم في خلق الكوادر الضرورية المؤهلة فنيا ، ومهنيا لاداء مهمات ثورية في اطار العمل السياسي الفلسطيني . ولا تستوعب مراكز التدريب المهني التابعة لوكالة الغوث الا عددا ضئيلا من الطلاب الفلسطينيين لا يتناسب مع تطلعاتنا الى تربية انتاجية انمائية ، والى ضرورة قيام المنظمات الجماهيرية الفلسطينية بالعمل لخلق مؤسسات انتاجية خارج الارض المحتلة ، وداخلها .. ويمكن في هذا المجال ايضا حث وكالة الغوث على توسيع برنامجها الفني ، وتخصيص اعتمادات مالية اكبر للانفاق على توسيع تعليمها الفني وتطويره .

٧ ـ تطوير التدريب العسكري بالمدارس الفلسطينية ، على ان يرافق هذا التدريب تعبئة سياسية مبرمجة قد تكون جزءا من الدوام الرسمي او بعد انتهائه . ويشمل ذلك ايضا أعداد برامج علمية ونصوص تهدف لنشر الثقافة العسكرية بين صفوف الطلاب . (يقوم مركز التخطيط باعداد مثل هذه البرامج) .

٨ ـ العناية باستغلال اوقات فراغ الطلاب من خلال توجيه اهتمامهم لقراءات علمية مبسطة واعداد الكتب العلمية الموجهة للطلاب ، والكبار الذين لم يكملوا تعليمهم . والكوادر العاملة في المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، وتنشيط النوادي الثقافية والرياضية الفلسطينية ، ومعاونتها على وضع برامج عمل اجتماعية ، وثقافية، ورياضية ، لضمان فاعليتها ، ولضمان ارتباط اعضائها بنشاطاتها ، ولتصبح مراكز استقطاب اجتماعية لجماهير المخيمات وتسخير تلك النشاطات كلها لخدمة العمل الوطني الفلسطيني على المستوى الاجتماعي .

يعتمد النجاح في اداء هذه المهمات التربوية المرحلية على ايجاد تعاون وثيق وفعال بين القيادات السياسية الفلسطينية والمراكز التربوية والعلمية الفلسطينية ، وقيادات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية وكوادرها . وتجاوب المعلم الفلسطيني مع تلك القيادات والمنظمات واستعداده للمساهمة في تطوير العمل التربوي الفلسطيني باتجاه واقع أكثر تقدما واستجابة لحاجات شعبنا وطموحاته .

استنتاجات عامة

يمكن القول بأن ما نطمح اليه في عملنا التربوي الفلسطيني هو ، التوصل الى تربية **ثورية** تدعو للتغيير السياسي والاجتماعي ، والثقافي وتساهم به ، تربية **ترفض** جذريا كل ما يعوق التطور الحر لقوى وفئات الجماهير الفلسطينية في سعيها لتنمية قدراتها وامكاناتها وطاقاتها الذاتية ، لتأكيد مساهمتها في العمل الوطني الثوري الفلسطيني وتمكين تلك الجماهير ، من ممارسة فعاليات ثقافية ، وانتاجية ، واجتماعية في محيطها العربي الذي تعيش به . كما اننا في نفس الوقت مدعوون للتخطيط لعمل تربوي جماهيري داخل الارض المحتلة يكون بمثابة **فتح جبهة ثقافية** جديدة ضد محاولات العدو

الصهيوني تشويه الوعي ، الوطني والقومي ، والثقافي لجماهيرنا في الارض المحتلة من خلال عبثه بالمناهج العربية او عبر اضطهاده المستمر للعمل التربوي الوطني الذي تقوم به المؤسسات الوطنية التربوية في الضفة الغربية ، وقطاع غزة . وكذلك فنحن نطمح الى تربية **شاملة** تغطي النشاطات الثقافية والتربوية داخل المدرسة وخارجها ، **ومستمرة** بحيث تستجيب لحاجات تعليم الافراد طيلة حياتهم ، **وانتاجية** بمعنى انهـا تعد المتعلمين وتؤهلهم لاكتساب مهارات معينة ، ومهن تساعدهم في الحصول على فرص عمل يستطيعون من خلالها المساهمة في مشاريع التنمية الاجتماعية، والاقتصادية للمجتمع العربي ، وثورتهم الفلسطينية **وعملية** واقعية بمعنى انها تربط الطالب — ببيئته،وتساعده على حل المشكلات التي يواجهها في تعامله مع واقعه الانساني والمادي .

وينبغي ان يكون التخطيط لهذه التربية علميا وموضوعيا يعتمد على احصاءات دقيقة للواقع الاجتماعي ، والاقتصادي الفلسطيني ، ومعلومات متكاملة عن مختلف فئات الشعب الفلسطيني وتوزعهم في الاقطار العربية ، وكفاءاتهم العلمية والمهنية . وعلى هذا التخطيط ايضا ان يتمثل افضل الخبرات والتجارب التربوية في العالم ، وان يكون تخطيطا يعتمد على فلسفة تربوية تقدمية ثورية والا يقع في فخ التجريبية والنفعية المباشرة .

---

١ — جميل صليبا ، **مستقبل التربية في العالم العربي** ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٦٧ ص ٤٠٢ .

٢ — **المصدر السابق** ، ص ٤٠١ .

٣ — **المصدر السابق** ، ص ٤٠٣ .

٤ — نبيل بدران ، تطور المفهوم الاجتماعي للتعليم لدى وكالة الغوث ، **شؤون فلسطينية** ، عدد ٣ ، ص ٢١٨ .

٥ — **المصدر السابق** ، ص ٢٢٦ .

٦ — مركز التخطيط ، **مذكرة حول نظام التعليم في الانروا وتعميمه** ، ص ٩ .

٧ — Maurice Levitas, *Marxist perspective in the sociology of Education*, Routledge, Kegan Paul, London 1974, p. 2 .

٨ — Paulo, Freire, *Pedagogy of the Oppressed*, Penguin Education, London 1970, p. 146.

٩ — **المصدر السابق** ، ص ٢٦ .

١٠ — **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

١١ — دراسة لمركز التخطيط الفلسطيني بعنوان : **فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني** ، بيروت ١٩٧٢ .

١٢ — **فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني**، ص ١٢ .

١٣ — **المصدر السابق** ، ص ١٣ .

١٤ — **المصدر السابق** ، ص ٣ .

١٥ — **المصدر السابق** ، ص ٤ .

١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٥ .

١٧ — باسم سرحان ، المخيم الفلسطيني في ظل الثورة ، **شؤون فلسطينية** ، عدد ٤١/٤٢ ، ص ٤٣٨ .

١٨ — مركز التخطيط ، قسم التخطيط التربوي ، نجلاء بشور ، **تحليل مناهج الاجتماعيات في الاردن ولبنان وسوريا** ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٦٩ .

١٩ — مركز التخطيط ، الدكتور ابراهيم ابو لغد ، **مشاكل التعليم الفلسطيني** ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٤ .

٢٠ — مركز التخطيط ، **برنامج عمل قسم التخطيط التربوي في مجال محو الامية** ، ص ١ .

٢١ — مركز التخطيط ، الدكتور ابراهيم ابو لغد ، **مشاكل التعليم الفلسطيني** ، ص ٢٤ .

٢٢ — مركز التخطيط ، **مذكرة حول نظام التعليم في الانروا وتعميمه** ، ص ١٠ .

٢٣ — الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ، **دراسة مقدمة لحلقة تطوير تدريس المـواد الاجتماعية** ، الكويت ١٩٧٤ ، ص ٧ .

٢٤ — مركز التخطيط، **حول تطور العمل في مشروع مادة التعبئة السياسية** ، ص ٣ .

فصل من تاريخ الصراع النفطي في فلسطين

عصام سخنيني

اثير في فلسطين المحتلة مؤخرا حديث عن احتمالات وجود النفط في منطقة رام الله وامكانات استغلاله اقتصاديا . ولمناسبة هذا الحديث سنعنى هنا بكشف صفحة من تاريخ الصراع النفطي في فلسطين في واحدة كانت من أهم الفترات التي حفرت بصماتها عميقا في التاريخ الفلسطيني المعاصر ، نعني السنوات القليلة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى . ويكشف الصراع النفطي الذي نشب بين المصالح الاستعمارية المتضاربة آنذاك ان مسألة النفط في فلسطين كانت احد العوامل التي حددت مستقبل القضية الفلسطينية مع ادراكنا الكامل لتأثير العوامل الاخرى التي لعبت أدوارها المتكاملة في صيرورة القضية .

ع. س.

لم تكن فلسطين ، قبل الحرب العالمية الاولى ، تقع ضمن اهتمامات بريطانيه النفطية التي كانت قد وجهت همها الى ايران والعراق بحثا عن الزيت . ففي العام ١٩٠٩ تكونت شركة الزيت الانجلو ـ فارسية لاستخلاص النفط من شمال ايران ، وفي العام ١٩١٤ تكونت شركة الزيت التركية مناصفة بين شركة الزيت الانجلو ـ فارسية والمانيه للتنقيب عن الزيت في جنوب العراق ، كذلك وافقت الحكومة الالمانية على أن تمنح البريطانيين حقوقا في التنقيب عن الزيت في ولايتي الموصل وبغداد .

واذا كان الامر كذلك بالنسبة لبريطانيه فقد كان مختلفا مع الولايات المتحدة الاميركية ، فقد كان الزيت في النقب خاصة وفي فلسطين عامة من أهم الاشياء التي استرعت عناية اميركه بفلسطين(١) . وكانت بعض التقارير قد أكدت احتمال وجود النفط في فلسطين . فقد ذكر ب. ب. براون الجيولوجي المختص بالنفط في شركة أويل ترست ، بعد أن قام باستقصاءات في العامين ١٩١١ و١٩١٢ ان هناك دلائل على وجود النفط في الاعماق(٢) . وفي العام ١٩١٣ بدأ الجيولوجيون والمهندسون التابعون لشركة ستاندرد اويل الاميركية العمل في فلسطين(٣) . غير أن العام ١٩١٤ شهد غزوا كثيفا قامت به هذه الشركة للحصول على الامتيازات النفطية في فلسطين بعد أن قدمت الشركة تقريرا قالت فيه أن البحوث الاولية تبعث على الامل الكبير(٤) . وفي أيار (مايو) ١٩١٤ اشترت الشركة ثلاث رخص كان قد حصل عليها ثلاثة مواطنين عثمانيين (هم اسماعيل حقي الحسيني وسليمان ناصيف وشارل أيوب) للتنقيب عن النفط والمعادن في فلسطين . وكان هؤلاء المواطنون العثمانيون قد حصلوا على هذه الرخص من الحكومة العثمانية في ٣ شباط (فبراير) ١٩١٤ وقاموا فيما بعد بتحويلها الى و. اي. بميس وأوسكار جنكل وكيلي ستاندارد اويل(٥) . وقد بلغ عدد الامتيازات التي اشترتها

الشركة من رعايا عثمانيين للبحث عن البترول في النقب وعن الكبريت والفوسفات في البحر الميت سبعة امتيازات حتى نشوب الحرب(٦). وفي العام نفسه حصلت ستاندارد أويل مباشرة من الحكومة العثمانية على احدى عشرة رخصة للتنقيب عن النفط في المناطق المجاورة لبئر السبع(٧). وكانت الشركة تتفاوض في الآن نفسه من أجل الحصول على امتيازات للتنقيب في ستين موقعا آخر(٨). وبعد أن قامت الشركة ببعض البحوث التمهيدية قررت أن تبدأ الحفر قرب كرنب الى الجنوب من بئر السبع(٩)، ولاجل هذا الغرض بدأت الشركة في بناء طريق من الخليل الى مناطق الامتياز(١٠)، كذلك باشرت باقامة المباني اللازمة لعملياتها وموظفيها ، كما استوردت بعض سيارات الشحن وأوصت على معدات حفر من اميركه ، وكانت هذه المعدات في طريقها الى فلسطين عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى فاضطرت الشركة الى انزالها في الاسكندرية(١١). وبذلك كانت الحرب سببا في وقف العمليات التي كانت تخطط لها ستاندارد أويل . وقد انفقت الشركة مبلغ ٨٩٠١٨ دولارا للحصول على امتيازاتها ووضعها موضع التنفيذ ، كما كان لديها معدات مخزونة في الاسكندرية مخصصة لهذه الامتيازات تبلغ قيمتها ١٢٥٢١٨ دولارا(١٢).

كشفت سنوات الحرب وعواقبها معطيات جديدة في صراع المصالح النفطية ، فقد اظهرت الحرب مقدار حاجة الدول الكبرى الى هذه المادة في تسيير أساطيلها وابقاء مكنتها الحربية قادرة على العمل . كذلك أظهرت الحرب مقدار ازدياد اعتماد الدول على نفط الولايات المتحدة . وقد جرى التعبير عن هذه الحقيقة بشكل فادح عندما ابلغ كليمنصو ، رئيس وزراء فرنسه ، في كانون الاول ١٩١٧ وودرو ويلسون ، الرئيس الاميركي ، ان فرنسه ستضطر الى عقد صلح مع المانيه ان لم تتلق الاولى شحنات من النفط الاميركي(١٣). وقبل الحرب كانت بريطانية تستورد ٦٠ بالمئة من حاجتها النفطية من الولايات المتحدة وقد ارتفعت هذه النسبة الى ٨٠ بالمئة في السنوات التي أعقبت الحرب(١٤). وكان يرافق ذلك مخاوف ظهرت في الولايات المتحدة خلال الحرب ، من أن احتياطي نفطها المحلي على وشك النضوب ، وانه سوف يستنفد خلال فترة من اربع الى ست سنوات(١٥). وقد أصدر مجلس الشيوخ في العام ١٩١٦ قرارا باجراء استقصاء لمصادر الزيت الاميركي ، وقد وجد نتيجة ذلك « ان امكانات عدد كبير من الحقول لم تكن كبيرة كما كان يظن سابقا »(١٦). وعلى الرغم من هذه المخاوف فقد كانت الولايات المتحدة تنتج بعد الحرب ٧٠ بالمئة من انتاج النفط العالمي مقابل ٤ر٥ بالمئة من الانتاج العالمي تنتجه بريطانيه في ممتلكاتها الامبراطورية وفي ايران(١٧).

هذه الحقائق التي كشفت عنها الحرب جعلت التنافس بين الولايات المتحدة وبريطانيه يبرز الى السطح بعد أن زال الخطر الالماني الذي هدد حليفي الامس . وفي النزاع النفطي الذي سخنت جبهته في أعقاب الحرب كانت اميركه التي خرجت من الحرب وهي تحمل صفة الممول العالمي بعد أن كانت قد أقرضت الحلفاء مبالغ تجاوزت تسعة مليارات دولار وأخذت تحتل المكان الشاغر الذي كانت الدول الاوروبية الكبرى تحتله في اسواق اميركه اللاتينية وآسيه(١٨)، قد دخلت مجال المنافسة على المصالح البترولية مع الدول الاوروبية من موقع مالي متقدم من جهة ، ومدفوعة بمخاوفها من نضوب مصادر زيتها المحلية من جهة ثانية ، وبذلك فقد كانت تسعى الى تأمين سيطرتها المالية والسياسية على بعض مصائد الزيت خارج حدودها . اما بريطانيه فقد كانت تسعى ، من جهتها ، الى الاستقلال بموارد زيتها وتقليص اعتمادها على الولايات المتحدة ما أمكن ومنعها من زيادة رقعة سيطرتها النفطية . وقد كسبت بريطانيه الجولة في فلسطين عندما اجتاحتها الجيوش البريطانية بقيادة اللنبي في العامين ١٩١٧

و١٩١٨ ، اذ أصبحت بريطانيه قادرة ، بالاحتلال العسكري ، على التحكم بالارض وبثرواتها النفطية ، وقادرة في الوقت نفسه على التصدي للمطالب الاميركية المبنية على امتيازات ما قبل الحرب . وقد ألجأ هذا الواقع الجديد أميركه الى اتباع أساليب مختلفة ، مباشرة وغير مباشرة ، للحصول على مطالبها النفطية في فلسطين الامر الذي أصبح صراعا بينها وبين بريطانيه وصل ذروته في العامين ١٩١٩ و ١٩٢٠ .

بدأ الصراع مع الاحتلال العسكري البريطاني لفلسطين . ففي صيف ١٩١٨ بدأ الحاكم العسكري البريطاني في فلسطين بمضايقة اسماعيل الحسيني ، وكيل شركة ستاندارد أويل في القدس(١٩)، كذلك أرسل الجنرال موني ، حاكم فلسطين، والكولونيل ستورس ، حاكم القدس ، يستدعيان زعماء القدس وأعيانها ليستفسرا منهم عن مواقع الزيت التي بحث عنها الاميركيون ، ولم يقنع الانجليز بذلك بل ضغطوا على هؤلاء الاعيان والزعماء ليضطروهم الى الاعتراف(٢٠). وفي أيلول ١٩١٨ أصدرت السلطات العسكرية البريطانية في القدس أوامرها لمندوب ستاندارد أويل بأن يضع تحت تصرف الليفتانت البريطاني جودريك الخرائط وجميع الوثائق الاخرى المتعلقة برخصها التنقيبية في فلسطين ، وقام الضابط المذكور بالاطلاع على هذه الوثائق ودراستها ثم اعادها للشركة(٢١). وفي مذكرة أعدها مستشار التجارة الخارجية الاميركية عن أساليب البريطانيين في فلسطين قال « انهم لا يدعون حجرا دون أن يقلبوه للسيطرة على أماكن البترول ، وأنا متأكد تماما أن فلسطين اذا وقعت في منطقة السيطرة البريطانية فان سوكوني [ستاندارد أويل كومباني أوف نيويورك] ستواجه صعوبات خطيرة » ، وأوصى « بأن على الولايات المتحدة أن تؤكد للسلطات البريطانية ان على هذه السلطات أن تتوقع النزاع اذا حاولت ان تجمد تقدم المصالح الاميركية في فلسطين »(٢٢).

وقبل التطرق الى الصعوبات التي واجهتها ستاندارد أويل التي منعت من التنقيب عن النفط في فلسطين ، تجدر الاشارة الى أمرين لافتين للنظر نعتبرهما من الاساليب غير المباشرة التي لجأت اليها المصالح النفطية الاميركية :

الامر الاول هو قيام المنظمة الصهيونية في أميركه بارسال بعثة للتنقيب عن النفط في فلسطين في حزيران ١٩١٩ . فقد ورد في برقية بعث بها بلفور من باريس الى الجنرال كلايتون ، الضابط السياسي الرئيسي للحملة البريطانية في مصر ، ان « المنظمة الصهيونية في أميركه ستقوم بارسال السيدين جوليوس فوس ووليام فوستر لاجراء استقصاءات في فلسطين متعلقة بالنفط والمعادن ، وتذكر المنظمة أن استقصاءاتها ستكون سرية جدا وخاصة باستعمالات المنظمة الصهيونية ، وهي تطلب التسهيلات الضرورية التي يمكن أن تقدم لها »(٢٣). وقد وجه الجنرال كلايتون برقية الى اللورد كرزون ، وزير خارجية بريطانيه، يبدي فيها عدم اعتراضه على قيام هذين الشخصين بمهمتهما « شرط أن يأتيا بصفتهما الشخصية ويقدما نسخا من التقارير التي يقومان باعدادها الى الادارة العسكرية »(٢٤).

أما الامر الثاني فهو متعلق بلجنة كنج — كرين الاميركية التي قدمت الى المنطقة في صيف ١٩١٩ لاستقصاء رغبات السكان في شكل الحكم الذي يرونه بعد خروجهم من تحت الحكم العثماني . وعلى الرغم من « النوايا الحسنة » التي أظهرها ويلسون تجاه مسألة تقرير المصير بالنسبة للشعوب ، فان هذه اللجنة الاميركية لم تكن تخلو من رائحة الزيت. فقد فطن الجنرال كلايتون الى « ان الكابتن ييل يعمل الان مع اللجنة [كنج — كرين] ، وعلاقاته مع شركة ستاندارد أويل معروفة لدينا وسنظل

نراقبه »(٢٥). فهل كان لهذا الامر (علاقة ستاندارد أويل باللجنة) من تأثير على التوصية السرية التي اتخذتها اللجنة ودعت فيها الى «ان تبقى سوريا التي تشمل لبنان وفلسطين موحدة وأن توضع تحت ادارة انتدابية واحدة وأن يطلب من أميركه بأن تكون الدولة المنتدبة على سوريا »(٢٦). ان تأثير شركة ستاندارد أويل على صنع السياسة الاميركية في تلك الفترة يقوي اليقين بتأثير هذه الشركة على توصيات لجنة كنج ــ كرين . ويتوضح تأثير هذه الشركة النفطية في رسالة سرية بعث بها السير جيديز ، السفير البريطاني في واشنطن الى وزير الخارجية البريطانية ، يتحدث فيها عن « العلاقات الوثيقة التي قامت في أثناء الحرب بين شركة ستاندارد أويل والادارة [الاميركية]، وهي علاقات امتدت الى بعض أعضاء المجلس التشريعي [الكونجرس]، وهذا **التقارب** [التأكيد في الاصل] قام بشكل رئيسي نتيجة جهود السيد بدفورد ، رئيس شركة ستاندارد أويل ، الذي وهب خدماته للحكومة ليكون مسؤولا عن توجيه الموارد النفطية مقابل راتب اسمي مقداره دولار واحد في السنة » ، وتحدثت الرسالة كذلك عن « النفوذ الذي اكتسبته الشركة في دوائر الادارة [الاميركية] »(٢٧).

ان هذا النفوذ الذي اكتسبته الشركة أهلها لتلعب دورا متميزا في صراع المصالح النفطية البريطانية ــ الاميركية في فلسطين (كما في غيرها) ، والقيام بضغط كبير مباشر ومن خلال الادارة الاميركية ، للتأثير على الموقف البريطاني الذي كان يعارض القيام بأية عمليات نفطية في فلسطين . وقد قاتلت الشركة معركتها على أكثر من صعيد لتحقيق أهدافها ، بدءا من محادثات السلام التي كانت تجري في باريس ، مرورا بالاتصالات المباشرة وانتهاء بالضغط الدبلوماسي . ففي ٢١ أيار ١٩١٩ تلقى المفاوضون الاميركيون في مؤتمر باريس للسلام تعليمات بأن يطالبوا بالموافقة على ان يقوم الاميركيون بالتنقيب عن الزيت في العراق وفلسطين غير أن المندوبين البريطانيين رفضوا هذه المطالبة(٢٨). وفي آب ١٩١٩ قام مندوب من شركة ستاندارد أويل بمقابلة الكولونيل فرنش ، القائم بأعمال الضابط السياسي الرئيسي في الحملة المصرية ، في القاهرة وقدم اليه طلبا بأن تقوم الشركة باستئناف عملياتها في فلسطين . ويبدو ان ممثل الشركة كان قادرا على اقناع الادارة البريطانية في فلسطين بحقوق الشركة . فقد ذكر فرنش في رسالة بعث بها الى كرزون عن هذه المقابلة ان الشركة « اقنعت الادارة بأنه لا يوجد شكوك بالنسبة للحقوق التي حصلت عليها من الحكومة العثمانية السابقة ... وان الشركة معنية بثلاثة أصناف من العمليات : ١ ــ العمليات التي كانت الحكومة التركية قد وافقت عليها نهائيا والتي بدأ العمل في بعضها فعلا مثل بناء الطرق وغيرها ، وان كانت الشركة لم تقم بالحفر . ٢ ــ العمليات التي وافق عليها مجلس الدولة في الحكومة التركية ولكن لم يباشر العمل فيها . ٣ ــ العمليات التي وافقت عليها دوائر الحكومة التركية ولم تعرض على مجلس الدولة والشركة ترغب في مواصلة العمل في العمليات التي تقع تحت الرقم واحد ، وهي تملك في القدس كافة الوثائق المتعلقة بحقوقها ، وبامكانها ان تعرضها على الادارة المحلية » . وقد طلب فرنش من وزير الخارجية البريطانية أن يأذن للشركة بالبدء بعملياتها مع توصية بالسماح لها بذلك(٢٩). غير ان كرزون كان حاسما في منع القيام بهذه العمليات ، فأبلغ فرنش أنه « لا يمكن السماح بذلك ، الى أن تسوى مسألة الانتداب »(٣٠).

وعلى صعيد الضغوط الدبلوماسية أصدر بريكنريدج لونج ، نائب وزير الخارجية الاميركية ، في تموز ١٩١٩ تعليماته للسفير الاميركي في لندن بأن يحاول معرفة ما اذا كانت هنالك مطالب ادعاءات بترولية أخرى في فلسطين ، وما اذا كانت السلطات العسكرية البريطانية قد سمحت لاصحاب اية امتيازات اخرى كان قد تم الحصول

عليها من الحكومة العثمانية ، بأن يباشروا عملياتهم في فلسطين قبل احتلال السلطات البريطانية لها(٣١). وقد أورد وزير الخارجية البريطانيـــة تفاصيل اجتماعه بالسفير الاميركي ، دايفس ، في رسالة وجهها الى السفير البريطاني في واشنطن ، كرر فيها القول بأن الحكومة البريطانية تعارض القيام بأية عمليات نفطية في فلسطين كي لا يؤثر هذا على مستقبل الانتداب على فلسطين. وقد ذكر كرزون في رسالته ان « السيد دايفز [السفير الاميركي] طالب بعد ذلك بالتمييز بين التنقيب والعمليات وأكد انه ينبغي السماح لصاحب الامتياز بأن يقوم على الاقل بالتنقيب في موقع الامتياز الذي حصل عليه دون أية خطوات تنفيذية . وقد قلت له ان ذلك غير عملي على الرغم من انه منطقي . فالاذن الذي يعطى في حالة واحدة ينبغي أن يعطي في الحالات الاخرى. وبلا شك فهناك عشرات من أصحاب الامتيازات الذين حصلوا بدرجات متفاوتة على امتيازات مـــن الحكومة التركية التي لا تزال في حالة حرب مع بريطانيه العظمى كما ذكرته بذلك . ولا أتصور أمرا أكثر مدعاة للاسف من أن يجتاح فلسطين مجموعات من الاشخاص من جنسيات مختلفة ، يحاولون التأكد من قيمة امتيازاتهم التي لم يبت بعد في وضعهـــا القانوني »(٣٢). وفي أعقاب المقابلة وجه السفير الاميركي مذكرة الى وزير الخارجية البريطانية أكد فيها الشكوى من أن « ممثلي الشركات الماليـــة الخاصة لا يمنحون الامتيازات التي تتعادل مع تلك الممنوحة الى البريطانيين واتباع الجنسيات الاخرى في فلسطين والعراق » ، وطالب مرة أخرى باجراء تمييـــز بين العمليات والبحث عـــن النفط(٣٣). وقد أوضح كرزون للسفير الاميركي بما لا يدع مجالا للشك الموقف البريطاني من هذه المسألة القائم على منع اجراء أي مســـح أو استقصاء أو عمليات متعلقـــة باستخراج النفط في فلسطين وأكد أن الحكومة البريطانية « بريئة من التمييز حتى انها رفضت احد عشر طلبا تقدمت بها شركات بريطانية للقيام بالدراسات والاستقصاءات في أجزاء مختلفة من مناطق العدو المحتلة »(٣٤).

وعلى الرغم من الحجج التي كانت توردها وزارة الخارجية البريطانية لدعم موقفها في منع هذه العمليات والتي كانت تدور أساسا حول الزعم بعـــدم رغبة الحكومـــة البريطانية باتخاذ اية اجراءات من شأنها أن تؤثر على مستقبل فلسطين الاقتصادي والترتيبات المتعلقة بالانتداب التي كانت تعد آنذاك ، الا أن حقيقة الموقف البريطاني الذي كان يتستر بهذه الحجج كان يستند الى أمرين : الاول ممانعة بريطانيه ، متسلحة باحتلالها العسكري ، لاي منافسة سياسية واقتصادية في فلسطين من جانب الولايات المتحدة وغيرها . فعلى الرغم من ان اتفاقية سايكس ــ بيكو في العام ١٩١٦ جعلت فلسطين (أو المنطقة البنية) منطقة ادارة دولية ، باستثناء ميناءي حيفا وعكا اللذين خصصا لبريطانيه(٣٥)، الا أن نتائج الحرب فتحت شهيـــة بريطانيه لابتلاع فلسطين واخضاعها لنفوذها . وقد جرى تعديل اولي لاتفاقية سايكس ــ بيكو في كانون الاول ١٩١٨ في جلسات عقدت في لندن بين لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيه ، وجورج كليمنصو تم فيه نقل فلسطين والموصل (التي كانت حسب سايكس ــ بيكو منطقة نفوذ فرنسية) الى نصيب النفوذ البريطاني . وقد أكد كليمنصو هذا الاتفاق برسالة في ٥ شباط (فبراير) ١٩١٩(٣٦). وهذا الاستئثار بفلسطين جعل بريطانيه ترفض ليس فقط المشاريع النفطية الاميركية وانما الفرنسية أيضا . فقد جرى ان السفارة الفرنسية في لندن كتبت مذكرة الى وزير الخارجية البريطانية تعلمه فيها عـــن قيام مجموعتـــين مشتركتين بريطانية وفرنسية هدفهما القيام بالبحث عن الابار النفطيـــة في فلسطين ومنطقة العقبة ، والحصول على امتيازات بذلك ، وان الحكومة الفرنسية مستعدة لان

تدعم هذا التجمع البريطاني ـــ الفرنسي(٣٧)، الا ان وزارة الخارجية البريطانية رفضت هذا الطلب(٣٨).

أما الامر الثاني المتعلق بالموقف البريطاني فهو ان بريطانيه لم تكن فعلا في السنوات القليلة التي أعقبت الحرب ، وهي السنوات التي تقرر فيها منح الانتداب على فلسطين الى بريطانيه ، مهتمة باستخلاص النفط في فلسطين ولم تتوفر أية معلومات حقيقية ، باستثناء ما كانت تشكو منه اميركه مـــن التمييز بين المصالـــح البريطانية والمصالح الاميركية، تشير الى أن بريطانيه أو أيا من شركاتها قامت بالتنقيب عن النفط في فلسطين قبل تنفيذ صك الانتداب . لقد كانت بريطانية في هذه المرحلة مهتمة بدرجة أساسيـــة بتأمين منابع النفط المحتملة في الموصل (التي وقعت تحت النفوذ البريطاني بموجب اتفاق لويد جورج ـــ كليمنصو كما سلف) وتأمين مد خطوط أنابيب تصل بينها وبين فلسطين . وفي شأن هذه الانابيب جرت مفاوضات في أشهر شباط وآذار ونيسان من العام ١٩١٩ أسفرت عن اتفاق بين والتر لونج ، وزير الشؤون النفطية البريطاني ، وهنري برنجيه ، المفوض الفرنسي العام لانتاج النفط ، أتاح لبريطانيه حق بناء خطين من الانابيب عبر الاراضي السورية الواقعة تحت النفوذ الفرنسي تصل ما بين الموصل وفلسطين(٣٩). وفي أيلول (سبتمبر) ١٩١٩ قدمت بريطانيه مذكرة الى فرنسه اكدت فيها حقها في انشاء خطوط الانابيب ، غير انها أشعرت الحكومة الفرنسية بعزمها على « القيام فورا بمسح هندسي بغية العثور على ممر للسكة الحديدية ولخطوط النفط يقع كليا في منطقة الانتداب البريطاني [شرق الاردن وفلسطين] »(٤٠).

هذا الاهتمام البريطاني بمنابع النفط في الموصل ، وبأنابيبه الموصلة الى مصابه على البحر المتوسط ميز سياسة بريطانيه النفطية في سنوات ما بعد الحرب ، وكان من الطبيعي أن تواجه هذه السياسة بغضب الاحتكارات الاميركية التي أثارت الرأي العام الاميركي بما في ذلك مجلس الشيوخ ، على السياسة البريطانية والتمييز الذي تمارسه بشأن مصادر الزيت . وأكثر من ذلك فقد تمكنت هذه الاحتكارات من اثارة المشاكل في وجه بريطانيه داخل حدودها نفسها . ففي رسالة وجهها السفير البريطاني في وشنطن الى وزير الخارجية البريطانية في أيار ١٩٢٠ وردت هذه الفقرة المثيرة : « لا احتاج الى تذكير سيادتك بالبينة التي في حوزة وزارة الخارجية والتي تظهر علاقة شركة ستاندارد أويل بالاضطرابات الايرلندية »(٤١).

لقد انعكس النزاع النفطي على مسألة الانتداب على فلسطين . وقد اشرنا سابقا الى احتمالات تأثير شركة ستاندارد أويل على توصيات لجنة كنج ـــ كرين بشأن طلب الانتداب الاميركي على سوريا ومن ضمنها فلسطين . غـــير ان الاحتلال العسكري البريطاني لفلسطين افقد الولايات المتحدة القدرة على الحسم في هذه الناحية ، خاصة عندما قرر المجلس الاعلى للحلفاء المنعقد في سان ريمو في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ منح الانتداب على العراق وفلسطين لبريطانيه ، وبذلك فقد كان هم الاحتكارات الاميركية ينصب على تأمين مصالحها من خلال الامر الواقع وذلـــك بفرض بعض الشروط على بريطانيه التي يمكن من خلالها المحافظة على المصالح الاميركية . وحتى نيسان (ابريل) ١٩٢٢ كانت الولايات المتحدة تصر على أن يتضمن صك الانتداب فقرة تمنع وجود أي امتيازات احتكارية في فلسطين(٤٢). وفي تموز ١٩٢٢ وافق مجلس عصبة الامم على صك الانتداب الذي تضمنت مادته الثامنة عشرة نصا يوجب على الدولة المنتدبة « أن تضمن عدم التمييز في فلسطين بين رعايا أية دولة من الدول الداخلة في عصبة الامم (ومن جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدولة) ورعايا الدولة المنتدبة أو

رعايا اية دولة أجنبية أخرى في الامور المتعلقة بالضرائب أو التجـارة أو الملاحة أو تعاطي الصنائع او المهن أو في معاملة السفن التجارية او الطيارات المدنية » . ولم تكن هذه المادة تشبع بشكل مباشر رغبات الولايات المتحدة التي لم تكن في عصبة الامم ، لذلك فبدءا من العام ١٩٢٢ خاضت مفاوضات طويلة مع بريطانيـه لتسوية شؤون الزيت في البلاد العربية ومنها فلسطين ، وقد أسفرت تلك المفاوضات عـن اتفاقية اميركية ــ بريطانية في العام ١٩٢٤ ضمنت مصالح اميركه في فلسطين . وقد نصت المادة الثانية من الاتفاقية على ان « تتمتع الولايات المتحدة ورعاياها بجميع الحقوق والمنافع المؤمنة ببنود صك الانتداب لاعضاء عصبة الامم ورعاياها على الرغم من أن الولايات المتحدة ليست عضوا في عصبة الامم » ، كذلك اشترطت المادة السابعة من الاتفاقية « الا يتأثر شيء مما ورد في هذه الاتفاقية بأي تغيير يجري في شروط صك الانتداب . . . ما لم تكن الولايات المتحدة قد وافقت على ذلك التغيير »(٤٣) . وقد ضمنت هذه الاتفاقية المصالح الاميركية في فلسطين وبشكل خاص حقوق شركة ستاندارد أويل في التنقيب في النقب ، ومقابل ذلـك وافقت الولايات المتحدة رسميا علـى الانتداب البريطاني على فلسطين(٤٤) .

ولم تكن هذه الاتفاقية ، على الرغم من أنها حفظت المصالح النفطية الاميركية في فلسطين من ناحية نظرية، خاتمة النزاع الاميركي ــ البريطاني على الزيت في فلسطين ، بل توقف هذا النزاع في العام ١٩٢٨ عندمـا توصلت الشركات النفطيـة الاميركية والبريطانية والفرنسية الى تسوية فيما بينها ترتب فيها أوضاعهـا النفطية في البلاد العربية دون أن تتسبب المنافسة في جلب الضرر على أي منها . ففي ٣١ تموز (يوليو) من ذلك العام أبرمت بين مجموعة الشركات الاميركية وشركة البترول التركية التي أصبحت تسمى فيما بعد بشركة نفط العراق الاتفاقية التي اشتهرت باسم « اتفاقية الخط الاحمر » وبموجبها أعطي ٢٣٫٧٥ بالمئة من أسهم شركة نفط العراق لمجموعة الشركات الاميركية وتعهدت الاطراف الموقعة عليها بألا يحاول أي منها منفردا الحصول على حقوق بترولية في أية منطقة مما كانت تشمله الامبراطورية العثمانية ، باستثناء مصر والكويت ، اذ ينبغي للحصول على أي امتياز بترولي في المنطقة المذكورة أن تسعى اليه جميع الاطراف مجتمعة وممثلة بشركة نفط العراق . وطبقا لاتفاقية «الخط الاحمر» كانت فلسطين من بين المناطق التي لشركة نفط العراق الحق الوحيد في الحصول على الامتيازات البترولية(٤٥) .

وبذلك اختتمت مرحلة من نزاع المصالح في فلسطين كان لها دورها المؤثر في صنع مستقبل القضية الفلسطينية ، على الرغم من أن التنقيبات التي اجريت في فترة الانتداب لم تسفر عن نتيجة ذات جدوى اقتصادية .

---

١ ــ فرانك مانويل ، **بين اميركه وفلسطين** ، الترجمة العربية لكتاب The Realities of American-Palestine Relations عمان ١٩٦٧ ، ص ١٤٥ .

٢ ــ Robert John and Sami Hadawi, *The Palestine Diary,* The Palestine Research Center, Beirut, 1970, Volume One, p. 185.

٣ ــ John A. De Novo, *American Interests and Politics in the Middle East 1900-1939, Minnesota 1936,* p. 169.

٤ــ فرانك مانويل ، **المصدر المذكور** ، ص ١٤٦ .

٥ ــ الدكتور عاطف سليمان ، **اسرائيل والنفط** ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٧ .

٦ ــ فرانك مانويل ، **المصدر المذكور** ، ص ١٤٦.

٧ ــ عاطف سليمان ، **المصدر المذكور** ، ص ٢٧ و ٢٨ .

٨ — John A. De Novo, *op. cit.*, p. 169.

٩ — عاطف سليمان ، **المصدر المذكور** ، ص ٢٨ .

١٠ — فرانك مانويل ، **المصدر المذكور**، ص ١٤٦ .

١١ — عاطف سليمان ، **المصدر المذكور**، ص٢٨ .

١٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٢ .

١٣ — S.K. Garrett, *Aspect of the Anglo - French Rivalry over the Question of Middle East Mandates 1915-1920*, p. 150.

١٤ — **المصدر نفسه** ، ص ١٤٧ ، ١٥٥ .

١٥ — George Lenczowki (ed.), *United States Interests in the Middle East*, Washington 1968, p. 49.

١٦ — S.K. Garrett, *op. cit.*, p. 147.

١٧ — Earl Curzen to Sir A. Geddes, No 433 telegraphic, May 7, 1920. In: Rohen Butler and J. P. J. Bury (eds.), *Documents on British Foreign Policy 1919-1939*, First Series, Volum XIII, London 1963, p. 250.

١٨ — كلود جوليان ، **الامبراطورية الاميركيـة** ، الترجمة العربية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٢٨ .

١٩ — John A. De Novo, *op. cit.*, p. 170.

٢٠ — فرانك مانويل ، **المصدر المذكور**، ص١٤٦ .

٢١ — عاطف سليمان ، **المصدر المذكور**، ص ٢٨ .

٢٢ — John A. De Novo, *op. cit.*, p. 170.

٢٣ — Balfour (Paris) to General Clayton (Cairo), No 22 telegraphic, June 16, 1919, in: E.L. Woodward and Rohan Butler (eds), *Documents on British Foreign Policy 1919-1939*, First Series, Volume IV, London 1952, p. 277.

٢٤ — General Clayton to Earl Curzon, June 19, 1919. *Ibed.*, p. 280.

٢٥ — General Clayton (Cairo) to Lord Hardinge, No 605 telegraphic, June 17, 1919, *ibid.*, p. 288.

٢٦ — Robert John and Sami Hadawi, *op. cit.*, p. 138.

٢٧ — Sir A. Geddes (Washington) to Earl Curzon, May 21, 1920, Butler and Bury, *op. cit.*, p. 273.

٢٨ — H.N. Howard, *The Partition of Turkey, A Diplomatic History 1913-1923*, New York 1931, p. 299.

٢٩ — Colonel French (Cairo) 20 East Curzen, August 13, 1919, Woodward and Butter, *op. cit.*, p. 352.

٣٠ — Curzen to Colonel French, No 371 Telegraphic, August 30, 1919, *ibid*, p. 366.

٣١ — عاطف سليمان ، **المصدر المذكور**، ص٣١ .

٣٢ — Earl Curzen to Viscount Grey (Washington), October 30, 1919, Woodward and Butler, *op. cit.*, p. 301

٣٣ — The American Ambassador in London to Earl Curzon, October 31, 1919, *ibid*, p. 503.

٣٤ — Earl Curzon to the American Ambassador in London, November 21, 1919, *ibid*, p. 541.

٣٥ — J.C. Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record 1914-1956*, Volume II, New York 1956, p. 18.

٣٦ — Rober John and Sami Hadawi, *op. cit.*, p. 110

٣٧ — The French Chargé d'affaire in London to Earl Curzon, September 10, 1919, Woodward and Butler, *op. cit.*, p. 372.

٣٨ — Earl Curzon to the French Ambassador in London, September 17, 1919, *ibid*, p. 391.

٣٩ — Paul C. Helmerich, «Oil and the Negotiation of the Treaty of Sevres», *Middle East Forum*, Volume XLII No 3, 1966, p. 67.

٤٠ — زين نور الدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان** ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

٤١ — Sir A. Geddes (Washington) to Earl Curzon, May 21. 1920, Butler and Bury, *op. cit.*, p. 273.

٤٢ — Rober John and Sami Hadawi, *op. cit.*, p. 185.

٤٣ — Galina Nikitina, *The State of Israel*, Moscow 1973, pp. 32, 33.

٤٤ — Robert John and Sami Hadawi, *op. cit.*, p. 185.

٤٥ — عاطف سليمان ، **المصدر المذكور**، ص ٣٦ ، ٣٧ .

العلاقات العربية الافريقية في اعقاب الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة

الدكتور محمد علي العويني

استطاعت اسرائيل حتى عام ١٩٦٧ بفضل فاعلية سياستها الخارجية في افريقيا ان تحصل على تأييد الدول الافريقية بوجه عام لسياستها الخاصة بتدعيم الوجود الاسرائيلي والخروج من العزلة السياسية والبروز في الميدان الدولي ، كما تمكنت اسرائيل من تدعيم نفوذها السياسي في افريقيا(١) .

واسفرت نتائج حرب ١٩٦٧ عن تغيير تكتيكات المواجهة العربية لاسرائيل في افريقيا ، مما ادى الى تحسن العلاقات العربية الافريقية ، وقد ساعد على ذلك :

١ ــ رفض اسرائيل الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وتنفيذ قرارات منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة .

٢ ــ زيادة فاعلية السياسة العربية تجاه افريقيا تمشيا مع المصالح المشتركة .

٣ ــ دور الاتصال المباشر على المستويات المختلفة ولا سيما الرؤساء وغيرهم من صانعي القرار السياسي .

٤ ــ بروز نمط جديد من الزعماء الافريقيين وزيادة التفاهم المتبادل بين الافريقيين والعرب .

٥ ــ اسهم تزايد عدد الدول التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في احراج غيرها من الدول الافريقية ، مما ادى الى أن تقوم الاخيرة بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

٦ ــ زيادة الوعي الافريقي والعربي بالتحديات المشتركة التي تواجه الدول الافريقية والعربية في المجال الدولي(٢) .

وقبل نشوب الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ قطعت ٩ دول افريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وبعد نشوب الحرب قطعت عشرون دولة افريقية اخرى علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وبذلك بلغ العدد الاجمالي ٢٩ دولة افريقية قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ولم يبق الا ملاوي وسوازيلاند وليسوتو وموريشيوس ، بالاضافة الى نظام الاقلية في جنوب افريقيا . وقد تأثر موقف هذه الدول بوضعيتها الجيوبوليتيكية المتأثرة بالنظم العنصرية في افريقيا الجنوبية بالاضافة الى الميراث الاستعماري . والدول التي قطعت العلاقات الدبلوماسية قبل حرب أكتوبر(٣) هي : غينيا في يونيو ١٩٦٧ ، اوغندا في ١٥/٤/١٩٧٢ ، تشاد في ١٢/١٢/١٩٧٢ ، الكنغو برازافيل في ٣١/١٢/١٩٧٢ ، النيجر في ٤/١/١٩٧٣ ، مالي في ٥/١/١٩٧٣ ، بورندي في ١٦/٥/١٩٧٣ ، توجو في ٢١/٩/١٩٧٣ ، زائير في ٤/١٠/١٩٧٣ . اما الدول التي قطعت العلاقات الدبلوماسية

بعد حرب اكتوبر(٤) فهي : رواندا في ١٩٧٣/١٠/٩ ، داهــومي في ١٩٧٣/١٠/٩ ، فولتا العليا في ١٩٧٣/١٠/١١ ، غينيا الاستوائية في ١٩٧٣/١٠/١٥ ، الكاميرون في ١٩٧٣/١٠/١٦ ، تنزانيا في ١٩٧٣/١٠/١٩ ، مدغشقر في ١٩٧٣/١٠/١٩ ، افريقيا الوسطى في ١٩٧٣/١٠/٢١ ، اثيوبيـــا في ١٩٧٣/١٠/٢٣ ، نيجيريـــا في ١٩٧٣/١٠/٢٤ ، جامبيـــا في ١٩٧٣/١٠/٢٦ ، زامبيا في ١٩٧٣/١٠/٢٦ ، غانـــا في ١٩٧٣/١٠/٢٨ ، السنغـــال في ١٩٧٣/١٠/٢٨ ، الجابـــون في ١٩٧٣/١٠/٢٩ ، سيراليون في ١٩٧٣/١٠/٢٩ ، كينيـــا في ١٩٧٣/١١/١ ، ليبريا في ١٩٧٣/١١/٢ ، ساحل العاج في ١٩٧٣/١١/٨ ، بوتسوانـــا في ١٩٧٣/١١/١٣ .

وفي أعقاب ذلك رفعت اسرائيل تمثيلها الدبلوماسي مع جنوب افريقيا الى مستوى السفارة في ١١ مارس (اذار) ١٩٧٤ مما يبين الارتباط بين اسرائيل ونظام الاقليـــة العنصرية في جنوب افريقيا ، وعداوتهما للدول الافريقية والعربية .

واتخذ مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية قرارا في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ يؤيد فيه النضال العربي ويدين اسرائيل بشدة ويطالب الانسحاب غير المشروط لاسرائيل من الاراضي العربية المحتلة واستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية .

واتخذ مؤتمر وزراء خارجية دول شرق ووسط افريقيا قرارا في نوفمبر (تشريـــن الثاني) ١٩٧٣ يدين فيه التحالف غير المقدس بين جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا واسرائيل ، ويدين فيه اسرائيل بسبب سياستها العدوانية ، ويطالب بالانسحـــاب الفوري وغير المشروط للقوات الاسرائيلية من كـــل الاراضي العربية التي احتلت في يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

وقد عبرت الدول العربية عن تقديرها للموقف الافريقي باشكال مختلفة ومنها قرار مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الجزائر في الفترة من ٢٦ — ٢٨ نوفمبر (تشريـــن الثاني) ١٩٧٣ الذي عبر عن تقدير الدول العربية لقيام الدول الافريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وتقدير الموقف الافريقي الذي تمثل في الدورة الاستثنائية للمجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية ، وتأييد الدول الافريقية في نضالها من أجل التحرر الوطني والتقدم الاقتصادي والنضال ضد الاستعمار والتفرقة العنصرية .

وتقرر اتخاذ الخطوات التالية لتدعيم التضامن العربي الافريقي :

١ — تدعيم التعاون العـــربي الافريقي في المجـــال السياسي ، وتدعيـــم التمثيل الدبلوماسي العربي في افريقيا .

٢ — قطع العلاقـــات الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والثقافية وغيرها مع جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا من قبل الدول العربية التي لم تقطع هذه العلاقات بعـــد .

٣ — فرض حظر بترولي من قبل الدول العربية على جنوب افريقيا والبرتغـــال وروديسيا .

٤ — اتخاذ اجراءات خاصة لاستئناف امداد الدول الافريقية بالبترول العربي .

٥ — تدعيم التعاون الاقتصادي والمالي والثقافي مع الدول الافريقية .

٦ — تطوير التأييد الدبلوماسي والمادي لنضال منظمات التحرير الافريقية .

وعملت الدول العربية على انشاء المصرف العربي للتنمية الاقتصادية والاجتمـــاعية

في افريقيا ، وذلك لدعم التعاون الاقتصادي والمالي والفني بين الدول الاعضاء والدول الافريقية ، من خلال تقديم قروض بشروط مناسبة .

ووقع على اتفاقية المصرف ١٧ دولة ، وبلغ رأس ماله ٢٣١ مليون دولار ، على النحو التالي : السعودية تساهم بمبلغ ٥٠ مليون دولار ، ليبيا ٤٠ مليون دولار ، العراق ٣٠ مليون دولار ، دولة الامارات العربية ٢٠ مليون دولار ، الجزائر ٢٠ مليون دولار ، الكويت ٢٠ مليون دولار ، قطر ٢٠ مليون دولار ، المغرب ١٠ مليون دولار ، تونس ٥ مليون دولار ، لبنان ٥ مليون دولار ، عمان ٤ مليون دولار ، الاردن ١ مليون دولار ، البحرين ١ مليون دولار ، السودان ١ مليون دولار ، سورية ١ مليون دولار ، مصر ١ مليون دولار ، موريتانيا ١ مليون دولار ، فلسطين ١ مليون دولار . والمجموع ٢٣١ مليون دولار .

وقرر وزراء البترول العرب انشاء صندوق لتقديم القروض لافريقيا وذلك في اجتماعهم مع وفد لجنة الدول السبع الافريقية بالقاهرة في يناير ١٩٧٤ ، ويعمل على تقديم القروض بفائدة رمزية تقدر بـ ١ ٪ ، وقد رأس مال الصندوق بـ ٢٠٠ مليون دولار ، ويلحق فيما بعد بالمصرف العربي للتنمية في افريقيا ، وقامت بعض الدول العربية البترولية بدفع نصيبها في الصندوق ، اذ دفعت السعودية ٤٠ مليون دولار ، والكويت ٣٠ مليون دولار ودولة الامارات ٢٠ مليون دولار ، وقطر ١٠ مليون دولار .

وجاء تشكيل وفد لجنة الدول السبع الافريقية بناء على قرار صادر عن المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية على ان تقوم هذه اللجنة باجراء اتصالات مع الدول العربية ، ودراسة آثار حظر البترول على الدول الافريقية ، والتباحث مع الدول العربية المنتجة للبترول لتخفيف نتائج الازمة البترولية على الدول الافريقية .

وتشكلت اللجنة من السودان وتنزانيا ومالي وزائير وغانا وبتسوانا والكاميرون(٥)، وعقد أول اجتماع للجنة في اديس ابابا وذلك في ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣ ، وانتخبت وزير خارجية السودان رئيسا لها .

وحضرت اللجنة الى مقر الجامعة العربية في القاهرة ، لدراسة التعاون العربي الافريقي في مجال البترول ، في ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ يناير ١٩٧٤(٦) واثيرت المسائل الخاصة بحظر النفط على الدول العنصرية ، ومشكلة النفط بكل جوانبها المتعددة مع مراعاة ظروف الدول الافريقية ، والتعاون الاقتصادي بين الدول العربية والافريقية على أسس مشتركة .

وأوصى المجلس الاقتصادي لجامعة الدول العربية في ديسمبر ١٩٧٣ بانشاء صندوق للتعاون الفني مع الدول الافريقية ، وذلك لتبادل المعونة الفنية ، ووافق مجلس الجامعة العربية في مارس ١٩٧٤ ، على انشاء هذا الصندوق ، على أن تتولى الامانة العامة ادارته ، ويضع مجلس الجامعة سياسته العامة ، ويراقب تنفيذها .

ويخصص للصندوق ١٥ مليون دولار كدفعة أولى وذلك لايجاد مجالات جديدة للتعاون الانمائي والفني بين الدول العربية والدول الافريقية ، واعداد الدراسات الفنية الاقتصادية للمشروعات وتوفير الظروف الملائمة للتنفيذ ، ومعاونة الدول العربية والافريقية في قيام المؤسسات اللازمة في اطار التنمية ، والتنسيق بين جهود الدول العربية والافريقية بشأن التطور العلمي والتكنولوجي ، واجتذاب المعونات الخارجية، وتوجيه الخبرات العربية للوفاء باحتياجات الانماء والتطور العلمي والتكنولوجي في الدول العربية والافريقية .

وقد قرر مجلس جـامعة الدول العـربية في دور انعقاده العادي الثاني والستين بالقاهرة في الفترة من ١ ــ ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ : ــ

١ ــ ان يجري الامين العام للجامعة بالتعاون مع مندوبي الدول العربية التي قدمت مساهماتها في رأس مال صندوق تقديم القروض للدول الافريقية ، اتصالات فورية مع الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية ورئيس البنك الافريقي للتنمية لتحديد كيفية توزيع المبلغ المودع في صندوق الاقراض للدول الافريقية وتحويله .

٢ ــ مبادرة الدول الملتزمة بالمساهمة في رأس مال الصندوق العربي لتقديم القروض للدول الافريقية ، والتي لم تسدد مساهماتها بعد الى سداد مساهماتها في مدى شهر على الاكثر .

وفيما يتعلق بالمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا تقرر : ــ

١ ــ ان تبادر الدول المكتتبة في رأس مال المصرف العـربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا والتي لم تودع وثائق التصديق ، الى ايداع وثائق تصديقها حتى يبدأ المصرف في مباشرة مهامه .

٢ ــ بحث موضوع تحديد مقر المصرف في اجتماع وزراء الخارجية العرب في الرباط يوم ١٩٧٤/١٠/٢٢ (٧).

وهذا يبين سعي الدول العربية على المستوى الفردي والمستوى الجماعي لتدعيم علاقاتها مع الدول الافريقية ، وان كان السلوك العربي قد اخذ بعض الوقت مما أدى الى رد فعل افريقي تمثل في الاعلان عن عدم كفاية المساعـدات العربية والبطء في تنفيذها ، بل والتهديد باعادة العلاقات الدبلوماسية مـع اسرائيـل ، والحديث عن مسئولية العرب عن ارتفاع اسعار البترول وعدم اتخاذ اجراءات مناسبة لمد الدول الافريقية بالبترول وباسعار ملائمة ، وقد انعكس ذلك على الدعاية المضادة للعرب في افريقيا كما سيتبين فيما بعد .

وقد قامت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بابلاغ السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية بقرارات مجلس الجامعة في دورته الثانية والستين بشأن التعاون العـربي الافريقي وسافر مدير الادارة الافريقية بالانابة في جامعة الدول العربية الى اديس ابابا بتاريخ ١٩٧٤/٩/٩ واجرى مشاورات مع السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقيـة واحضر معه خطابين من سكرتير عام المنظمة يبلغ احدهما الامانة العامة للجـامعة رسميا بقرارات لجنة السبعة التابعة للمنظمة حول اولويات توزيع اموال الصـندوق العربي لتقديم القروض للدول الافريقية ، ويتضمن الخطاب الثاني شكر الامين العام للجامعة العربية على مبادرته بابلاغ قرارات مجلس الجامعة الى السكرتير العـام لمنظمة الوحدة الافريقية ويعتذر فيها السكرتير العام عن الوقت الطويل الذي استغرقه اعداد المقترحات التي طلبتها الامانة العامة بناء على قرار وزراء البترول العرب حول اولويات توزيع أموال صندوق القروض . وقد دعا الامين العام بالانابة الى اجتمـاع لجنة الدول العربية في الصندوق يوم ١٩٧٤/٨/١٧ بمقر الامانة العـامة ، وحضر الاجتماع ممثلو دولة الامارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية والجمهورية العراقية ودولة قطر وسلطنة عمان ورأت اللجنة ما يلي : ــ

١ ــ الموافقة على قائمة التوزيع الواردة من منظمة الوحدة الافريقية التي وضعتها لجنة السبعة المنبثقة عن المنظمة بالاشتراك مع بنك التنمية الافريقي في اجتماعها بدار السلام يوم ١٩٧٤/٨/١٥ .

٢ — ان تدفع الامانة العامة في المرحلة الحالية ٥٠٪ من المبلغ المقترح في القائمة لكل دولة افريقية مع الاحتفاظ بالانصبة المقترحة للدول العربية الاربع المذكورة في القائمة وهي المغرب وموريتانيا والصومال والسودان لدى الامانة العامة لمواجهة احتمالات العجز في موارد الصندوق .

٣ — ان يتعاقد الامين العام للجامعة نيابة عن جامعة الدول العربية وباسمها بصفته ممثلا للصندوق مع كل دولة من الدول الافريقية المقترضة .

وبناء على ذلك ارسلت الامانة العامة خطابات الى الدول الافريقية المقترضة تطلب منها ان تعين مندوبيها الذين ينوبون عنها في توقيع اتفاقية القرض المخصص لها من صندوق القروض(٨) .

وبلغت القروض التي حصلت عليها الدول الافريقية حتى ١٩٧٤/١٢/٧ : (بالدولارات) ٥٦٥٠٠٠٠ دولار لجمهورية أوغندا بتاريخ ١٩٧٤/١٠/١٣ ، ١٨٠٠٠٠٠ جمهورية ليبريا ١٩٧٤/١٠/١٥ ، ٧١٠٠٠٠٠ جمهورية تنزانيا ١٩٧٤/١٠/١٥ ، ٣٥٠٠٠٠٠ جمهورية جامبيا ١٩٧٤/١٠/٢٤ ، ٣٩٠٠٠٠٠ جمهورية مالي ١٩٧٤/١٠/٢٨ ، ١٠٠٠٠٠٠ جمهورية رواندا ١٩٧٤/١١/٣ ، ٤٤٠٠٠٠٠ جمهورية تشاد ١٩٧٤/١١/٦ ، ٢٥٠٠٠٠٠ جمهورية غينيا الاستوائية ١٩٧٤/١١/١٠ ، ٣٧٥٠٠٠٠ جمهورية ملاوى ١٩٧٤/١١/١٤ ، ٢٤٠٠٠٠٠ جمهورية مدغشقر ١٩٧٤/١١/١٨ ، ٦٣٥٠٠٠٠ جمهورية زامبيا ١٩٧٤/١١/١٨ ، ١٢٠٠٠٠٠ جمهورية افريقيا الوسطى ١٩٧٤/١١/٢٠ ، ٢٥٠٠٠٠٠ جمهورية غينيا بيساو ١٩٧٤/١٢/٢ ، ١٠٠٠٠٠٠ جمهورية بوريندى بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٣ ، ١٨٠٠٠٠٠ جمهورية سيراليون ١٩٧٤/١٢/٧ ، والمجموع ٤١ر٢٠٠ر٠٠٠ دولار .

وهذا يدخل في اطار تقديم قروض قيمتها ٩٠ مليون دولار كمرحلة أولى الى ٣١ دولة افريقية على أن يبدأ التسديد بعد مضي ثلاث سنوات من توقيع الاتفاق وبفائدة قدرها ١٪ .

وهكذا تقدم التعاون العربي الافريقي خطوة نحو الامام ، ويسير هذا التعاون في اطار المصالح المشتركة العربية الافريقية التي تتمثل في المعاناة من الاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي في فلسطين ، والاستعمار الاستيطاني العنصري في افريقيا الجنوبية ، بالاضافة الى مشاكل التخلف الاقتصادي والتنمية ، ومشاكل البروز في المجتمع الدولي ، على عكس العمل الاسرائيلي في افريقيا حيث ان اسرائيل وسيط بين الدول الاستعمارية والقارة الافريقية مما يبين أهمية الغاء دور الوسيط ، كما ان المعونة التي كانت تقدمها اسرائيل لافريقيا قد قدرت بـ ٥٠ر٪ وذلك من مجموع المعونات الخارجية المقدمة للقارة(٩) رغم ان الاقتصاد الاسرائيلي اقتصاد منقول يعتمد اساسا على الدعم الخارجي .

وقد قرر مؤتمر القمة العربي السابع الذي عقد في الرباط الموافقة على المذكرة المقدمة من الصومال بشأن التعاون الافريقي ، ووافقوا على عقد مؤتمر قمة عربي افريقي مشترك على ان يقوم الامين العام لجامعة الدول العربية باجراء الاتصالات المطلوبة لتحديد موعد هذا الاجتماع ومكانه على اساس انه في حالة تحديد ذلك تتخذ الترتيبات لعقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب والافريقيين للأعداد للمؤتمر .

كما تقرر ايفاد بعثة من وزراء خارجية دولة الامارات العربية المتحدة والجزائر والسودان وسورية ومصر والمغرب لزيارة الدول الافريقية .

ووافق المؤتمر على تثبيت تمويل الصندوق العربي لتقديم القروض للدول الافريقية في السنة الجديدة بـ ٢٠٠ مليون دولار اخرى على ان يجري التشاور بين الحكومات العربية بشأن رفع رأس مال هذا الصندوق بما يحقق مزيداً من الدعم للتنمية في الدول الافريقية .

وهذا يبين ان الدول العربية وفت بوعودها تجاه الدول الافريقية وان القرارات قد اتجهت نحو التنفيذ ، كما ان قرارات جديدة قد اتخذت في اطار تدعيم العلاقات العربية الافريقية في المجالات المختلفة .

قامت حملة دعائية مضادة للعرب في اعقاب قيام الدول الافريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وهذه الحملة امتداد للحملات السابقة ، ولكنها جاءت في اعقاب الظروف الجديدة للعلاقات العربية الافريقية .

وقد ساعد على ذلك طبيعة البناء السياسي والاقتصادي والدعائي في افريقيا اذ ان عددا من الدول الافريقية لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل الا بعد ان تعاظمت حركة قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، وكان المناخ السياسي الجديد في افريقيا عاملا حاسما في قيام هذه الدول بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . ويؤخذ في الاعتبار المواريث الاستعمارية ضد العرب في القارة ، بالاضافة الى التأثير الاستعماري على السياسات الخارجية للدول الافريقية وتفاوت هذا التأثير من دولة الى دولة .

وهناك الاقتصاديات الافريقية الفقيرة والتي تعتمد اساسا على اقتصاديات المحصول الواحد اي الاعتماد اساسا على الزراعة او استخراج بعض المعادن ، وحاجتها الى التنمية الاقتصادية ، وهكذا عندما اشتدت ازمة ارتفاع اسعار البترول استغلتها الدعاية المضادة وربطتها بالعرب ، كما اتجهت الدعاية المضادة الى الحديث عن عدم وفاء العرب بالتزاماتهم تجاه افريقيا من خلال القروض والمساعدات .

ويتسم البناء الاعلامي في افريقيا في كثير من الاحيان بسيطرة رؤوس الاموال الغربية عليه بالاضافة الى وجود رجال الاعلام الغربيين في هذه الاجهزة واعتماد هذه الوسائل الاعلامية في كثير من الاحيان اساسا على وكالات الانباء وغيرها من مصادر المعلومات الاعلامية الغربية .

ويؤخذ في الاعتبار استمرار الوجود الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الاسرائيلي في افريقيا لان الامر قد اقتصر على قطع العلاقات الدبلوماسية مما يساعد الدعاية المضادة في افريقيا بالاضافة الى وجود كثير من الشخصيات المؤثرة في الدول الافريقية والتي تربطها علاقات قوية باسرائيل ، ومن هنا اتى الحديث عن اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل من خلال بعض الصحف ومن خلال الشائعات .

وعلى هذا الاساس ركز المنطق الدعائي المضاد للعرب في افريقيا على ما يلي : ١ — مسئولية العرب عن الازمة البترولية . ٢ — العرب لا ينفذون وعودهم . ٣ — اهتمام العرب بافريقيا اهتمام مرحلي . ٤ — ستعيد افريقيا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . ٥ — الاموال التي يقدمها العرب لافريقيا غير كافية . ٦ — التعاون العربي الافريقي لصالح العرب اي لصالح طرف واحد . ٧ — الحديث عن تشويه الصورة العربية . ٨ — التشكيك في وجود مصالح مشتركة عربية وافريقية . ٩ — عدم استجابة للعرب للازمات التي تواجه افريقيا كالمجاعة والقحط .

١٠ ـ التشكيك في امكانيات التعاون بين الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية .
١١ ـ العرب يرغبون في السيطرة على منظمة الوحدة الافريقية .

ويلاحظ ان العرب ليسوا مسئولين عن الازمة البترولية ، لان هذه الازمة مرتبطة بالارتفاع العام للاسعار العالمية الامر الذي ادى الى التضخم الذي يرجع الى ارتفاع المواد الغذائية ايضا ، وهكذا فان البترول جزء من عدة سلع ارتفعت اسعارها ، كما ان الدول العربية ليست بمفردها الدول المنتجه للبترول فهناك اندونيسيا وايران وفنزويلا ونيجيريا وغيرها ، وتشترك هذه الدول مع غيرها في اطار منظمة « الاوبك » ويلاحظ الفرق الواضح بين الاسعار المرتفعة نسبيا للمواد المصنعة والاسعار المنخفضة نسبيا للمواد غير المصنعة مما جعل معدل التبادل الدولي لصالح الدول الصناعية على حساب الدول غير الصناعية بما يجعل من الاهمية بمكان ان تمارس الدول النامية سيطرتها على مواردها وتعمل على ان يتحسن معدل التبادل الدولي لصالحها ، ويؤخذ في الاعتبار ان دولا افريقية تعتمد اساسا على البترول غير العربي ومع ذلك تهاجم وسائل اعلامها العرب ، فمثلا تستورد كينيا ٨٥٪ من احتياجاتها البترولية من ايران .

وفيما يتعلق بتنفيذ الوعود فان العرض السابق يوضح التنفيذ الفعلي للوعود العربية من خلال القروض والاجتماعات على المستويات المختلفة ، فاذا كان الافريقيون اخذوا وقتا في تفهم الموقف العربي وذلك منذ ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣ ، فعلى الافريقيون ان لا يتسرعوا في الحكم اذ ان القرارات العربية الخاصة بدعم افريقيا بدأت في مؤتمر القمة العربي السادس في الجزائر في نوفمبر ١٩٧٣ .

وفيما يتعلق بمرحلة اهتمام العرب بافريقيا ، فان السوابق التاريخية تكذب هذا الادعاء ، فاهتمام العرب بافريقيا له جذور تاريخية فضلا عن ان العرب بعد حصولهم على الاستقلال اتجهوا نحو افريقيا من خلال التضامن الافريقي الاسيوي ، وسياسة عدم الانحياز ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، واللقاءات الثنائية ، واقامة العلاقات في المجالات المختلفة ، ويؤخذ في الاعتبار المصالح المشتركة العربية والافريقية وذلك بمحاربة التخلف والسعي للتنمية والبروز في المجتمع الدولي ومقاومة المشاكل الناجمة عن الاستعمار قبل الاستعمار الاستيطاني في افريقيا الجنوبية ، والاستعمار الاستيطاني في فلسطين المتمثل في اسرائيل وهكذا فان المصالح المشتركة تبين اهتمام العرب بافريقيا .

وفيما يتعلق بعدم كفاية الاموال التي يقدمها العرب لافريقيا ، فان العرض السابق يبين ان الدول الافريقية تتجه نحو زيادة تدفق الاموال لافريقيا وان مثل هذه المسائل تأخذ وقتا اطول حتى يمكن الحكم عليها فضلا عن ان العلاقات الدولية تشتمل على جوانب مختلفة ومتعددة ولا يجوز الحكم عليها وفقا لمعيار واحد .

وفيما يتعلق بالتعاون العربي الافريقي فهو لصالح الطرفين سياسيا حتى يتدعم موقفهما في الميدان الدولي ، كما انه يدعم الوحدة الافريقية ، والتعاون العربي الافريقي في المجال الدولي ، كما انه يفيد الدول الافريقية اقتصاديا من خلال تقديم القروض والمساعدات واقامة المشروعات المشتركة .

ويلاحظ ان تشويه الصورة العربية يساعد بشكل او بآخر على تشويه الصورة الافريقية نظرا للارتباط والتشابه بين العروبة والافريقية . فالفكرتان تشتركان في العمل من اجل التكامل السياسي والاقتصادي لمواجهة التحديات الدولية التي تواجه الدول

العربية والدول الافريقية ، فضلا عن ان هناك ثماني دول عربية تشترك في حركة الوحدة الافريقية ، بما يعني ان الهجوم على العرب يعني الهجوم على الافريقيين ، في وقت يحتاج فيه العرب والافريقيون الى محاربة العدو المشترك .

وفيما يتعلق بالتشكيك في وجود مصالح مشتركة فان العرض السابق يبين المصالح المشتركة الافرو عربية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وفيما يتعلق بالمجاعة والقحط في افريقيا فان الاموال التي قدمها العرب لافريقيا كانت استجابة لتوصيات منظمة الوحدة الافريقية التي حددت فيها نسبة القروض المقدمة للدول الافريقية وفقا لعدة معايير منها الدول التي عانت من القحط والمجاعة ، والتي تأثرت بالازمة البترولية ، والتي لا يوجد لديها سواحل Land Locked الخ . بالاضافة الى المساعدات المباشرة التي قدمتها بعض الدول في هذا المجال .

وفيما يتعلق بالتعاون بين الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ، فان هذا التعاون موجود من خلال الاتصالات الخاصة بتقديم القروض للدول الافريقية ، ومن خلال مواجهة ارتفاع اسعار البترول في افريقيا ، كما أن هذا التعاون يتجه الى التطوير ، وقد وافق مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده الثاني والستين على مشروع اتفاق خاص بالتعاون بين جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ، وتفويض الامين العام في توقيع الاتفاق نيابة عن جامعة الدول العربية وباسمها(١٠) .

وفيما يتعلق بالادعاء ان العرب يرغبون في السيطرة على منظمة الوحدة الافريقية فالوقائع لا تتمشى مع ذلك فالدول العربية الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية تبلغ ثمانية اعضاء بينما يزيد عدد اعضاء المنظمة عن اربعين دولة ، وهذا الادعاء يضر بحركة الوحدة الافريقية ويفيد النزعات الانفصالية .

وقد اهتز الموقف الاسرائيلي من جراء قيام الدول الافريقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، وتمثل المنطق الدعائي الاسرائيلي في وصف هذا الموقف « بالخيانة » والخطوة السلبية التي تعوق فرص السلام « وتحول القارة السوداء ضد صديقها الافضل وضرب اليد التي مدت اليها يد المعونة » واتجه المنطق الدعائي الاسرائيلي الى الاشارة بجنوب افريقيا التي ايدت اسرائيل ، ودعا الى اقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع جنوب افريقيا وهذا ما تم بالفعل اذ رفعت اسرائيل تمثيلها الدبلوماسي في جنوب افريقيا الى المستوى السفارة في ١١ مارس (اذار) ١٩٧٤ كما حبذ المنطق الدعائي الاسرائيلي دور البرتغال لدورها المؤيد لاسرائيل(١١) .

---

١ — لمزيد من التفصيل انظر ، محمد علي العويني، **سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا**، القاهرة ، نوفمبر ١٩٧٢ .

٢ — M.A. Elewainy, Africa and the Fourth Arab Israeli War, *Bulletin of Arab Research and Studies*, Vol. V, Cairo, June 1973, pp. 68 - 69.

٣ — *Ibid.* p. 69.

٤ — **المرجع السابق** ، ص ٧٠ .

٥ — أحمد يوسف القرعي ، العلاقات العربية الافريقية بعد حرب ٦ أكتوبر ، مجلة **السياسة الدولية** ، العدد ٣٨، اكتوبر ١٩٧٤، ص ١٦٤ .

٦ — مؤتمر التعاون العربي الافريقي الاول، نشرة **اخبارية صادرة عن جامعة الدول العربية** ، السنة ١٩ ، العدد ٣ ، ٢٢ يناير ١٩٧٤ .

٧ — **قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٣١٧٣ / د ٦٢ / ج ٣** ، ١٩٧٤/٩/٤ .

٨ — **أ.ش.أ.** ، ١٩٧٤/٩/٢٨ .

٩ — *Le Monde*, 27/5/1970.

١٠ — **ف ٣٢٠١ / د ٦٢ / ج ٣** ، ١٩٧٤/٩/٤ .

١١ — أنظر صحيفة **هآرتس** في ١٩٧٣/١٠/٧ .

المانيا الغربية والشعب الفلسطيني

كنيث م. ليفان

كانت جمهورية المانيا الاتحادية منذ تأسيسها عام ١٩٤٩ مرتبطة ارتباطا وثيقا بفريق او اكثر من فرقاء القضية الفلسطينية . وفضلا عن اقامة علاقات دبلوماسية مع الدول المعنية واعادة تأسيسها بعدما قطعت بعض هذه الدول علاقاتها مع بون ، فقد كانت ناشطة هناك في التجارة ، وقدمت القروض والهبات والخدمات الفنية والاسلحة ودربت الجنود ، واعربت عن اراء حول سلوك معين بدر من المتخاصمين ، وحول طبيعة المشكلة ، وحتى حول الطريقة التي يجب تسوية النزاع بها . وهذا كله يدفع المرء الى التساؤل عما اذا كان من الممكن استشفاف صلة ما بين هذه النشاطات والاتجاه الذي اتخذه النزاع الفلسطيني الاسرائيلي ولكن الافتراض بأن المانيا الغربية قد تدخلت في هذا النزاع يتطلب ، بالطبع ، اثبات انها اثرت في ميزان القوة بين الاعداء . وسأجادل هنا بأن هذا قد حدث في الواقع . وسينقلنا هذا الى مسألة ما اذا كانت المانيا قد عززت مصالح السلام والعدل أم انها ، ودولا اخرى ، اثارت العدوان في هذه الزاوية من العالم . ولكن قبل ان يمكن الاجابة عن هذا السؤال ، لا بد من الاشارة الى افعال واهداف الدول المتمادية المعنية في الاوقات التي تدخلت فيها المانيا الغربية في نزاعها .

ان اسباب تلك السياسات الالمانية الغربية التي يبدو أنها اثرت في النزاع الفلسطيني ــ الاسرائيلي هي مسألة اخرى جديرة بالانتباه في هذا السياق. وفضلا عن القاء الضوء على المواقف المقررة القديمة، سأدرس الى أي حد فقدت تلك السياسات فعاليتها وما اذا كانت الحقائق الجديدة تولد تغييرا في سياسة المانيا الغربية الفلسطينية . في بداية الامر كانت الجمهورية الاتحادية تنشد اهدافا اقتصادية وسياسية معينة اعتمد تحقيقها على تلبيتها لمطالبات الولايات المتحدة وغيرها من الدول بان تدعم المانيا الغربية اسرائيل بطرق مختلفة . ولم يكن ادعاء زعماء المانيا الغربية بأنهم في هذه المسألة كانوا يعملون بدافع الشفقة والالتزام الاخلاقي الا تمويها مريحا . فلو ارادوا حقا ان يفعلوا ما هو صحيح وسليم وعادل اخلاقيا ، لامتنعوا عن تقديم الدعم غير المشروط لدولة اسرائيل التي كانت مسؤولة عن محنة مئات الالوف من اللاجئين الفلسطينيين . على أن سياسة المانيا الغربية المتعلقة بالمسألة الفلسطينية ، والتي تتميز باعتراف متزايد بحقوق الفلسطينيين ، قد عكست في الاعوام الاخيرة اعتماد المانيا الغربية النامي على العرب فضلا عن تحقيقها قسطا من الاستقلال عن الولايات المتحدة .

لنبدأ بالمعاهدة بين جمهورية المانيا الاتحادية واسرائيل التي وقعت في العاشر من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٢ واقرت في اذار (مارس) عام ١٩٥٣(١).

دفع التعويضات لاسرائيل

لقد وعدت الجمهورية الاتحادية ان تدفع لدولة اسرائيل ثلاثة بلايين مارك الماني في شكل سلع وخدمات خلال فترة اثني عشر عاما . وتم الاتفاق على ان تقدم اسرائيل طلبات الى موردين افراد في المانيا الغربية ، ومن ثم تدفع حكومة المانيا الغربية لهم ثمنها . وخلال المفاوضات وافق الفريقان على تقديم ثلث المدفوعات الى شركات النفط البريطانية لقاء شحنات نفط الى اسرائيل(٢). وكان الهدف المحدد لكل هذه المدفوعات هو تعزيز تنمية البنية السفلى لاسرائيل .

وضمن اطار المعاهدة وعدت الجمهورية الاتحادية « مؤتمر المطالب المادية اليهودية ضد المانيا » ، الذي يمثل المنظمات اليهودية الثلاث والعشرين

التي كانت قائمة خارج اسرائيل ، بأن تدفع له ٥٠٤ مليون مارك الماني لليهود المعوزين الذيـن كانوا ضحايا الاشتراكيين الوطنيين (النازيين) . وكان من المتفق ان تتم هذه المدفوعات في شكل سلـع وخدمات لاسرائيل ، التي الزمت نفسها ، بدورها، بأن تدفع ذلك المبلغ بالعملة الى «مؤتمر المطالب» . ودعا شرط اخر من شروط المعاهدة الى وضع تشريع الماني غربي جديد ، يوسع شمول قوانينها القائمة التي كان قد سبق تقديم التعويضات بموجبها الى الضحايا الافراد للنظام النازي . واخيرا ، وعدت اسرائيل بالتعويض على الفي الماني كانت قـد اجبرتهم على مغادرة فلسطين وصادرت ممتلكـاتهم عام ١٩٥٠ .

وقد أدت التعويضات التي دفعتها المانيا الغربية الى نفخ الحياة والنشاط في الاقتصاد الاسرائيلي الذي كان في وضع تعس في اوائل الخمسينات . ففي ذلك الحين كان النقص في الكهرباء في اسرائيل هو من الحدة بحيث انه لم يكن يسمح للصناعـات فضلا عن المنازل باستعمال التيـار الكهربائي في ساعات معينة خلال النهار . ومعنى هذا ان جميع اوجه الانماء الاقتصادي الاخرى في البـلاد كانت معاقة ومكبوحة . وكادت العملة الاجنبية تكـون معدومة في اسرائيل ، ولم يكن في مقدورها الحصول على قروض . فشيد الالمان الغربيون وركبوا خمس محطات لتوليد الطاقة الكهربائية . وكانت النتيجة ان طاقة البلاد التوليدية تضاعفت اربع مرات ما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٦ . ودفعوا ثمن جزء كبير من النفط الضروري لادارة وتشغيل المصانع وحسنوا ووسعوا شبكة النقل والتوزيع . ومدوا خـط سكة حديدية جديد الى بئر السبع واستبدلوا نصف خط القدس ــ تل ابيب ، وقدموا الى السكـك الحديدية الاسرائيلية اربعماية شاحنة صندوقيـة وعددا من قاطرات التحويل وركبوا تجهيزات لارسال الاشارات والتنسيق جعلت القطارات السريعـة ممكنة لاول مرة ، وكانت نصف مركبات الركاب التي تملكها اسرائيل عام ١٩٦٢ قد جاءت من المانيـا الغربية .

وبالاضافة الى ذلك ، احدث الالمان الغربيون توسيعا وتحسينا ملحوظين في شبكتي الهـاتف والتلغراف باسرائيل . ووسعوا مرفأ حيفـا ، الامر الذي أدى الى رفع تصنيفه الدولي من الدرجة الرابعة الى الدرجة الثانية . ومن المانيا الغربيـة ايضا جاءت التجهيزات لاستغلال المعادن ، بما في ذلك مصنع نحاس أحمر أضحى أحد أهم موارد دخل اسرائيل . وبنى الالمان الغربيون ومـدوا ٢٨٠ كيلومترا من خطوط الانابيب الماردة (قطرها ٢ ١/٤ و ٢١/٢ متر) لري النقب . وحصلت اسرائيل من بناة السفن الالمان الغربيين على ٥٩ سفينة ــ ٤١ سفينة شاحنة ، ٤ ناقلات للبترول ، ٨ سفن صيد، ٢ طرادين جمركيين ، و٤ سفن ركاب . وتم تركيب التجهيزات الالمانية الصنع في نحو ١٣٠٠ مصنع . والى كل هذا اضافوا مصنعا للصلب ، ٢٠٠ الف طن من الحديد والوف الاطنان من المواد الخـام الاخرى[٣].

لا شك في أن مشروعات التنمية الاساسيـة المختلفة هذه عززت الى حد كبير الوضع الاقتصادي للدولة التي تسلمتها ، ولا يمكن للتقدم البارز في الطاقة الكهربائية والنقل والمواصلات وانتـاج الصلب العام وهلم جرا الا ان يقوي طاقة اسرائيل العسكرية . وقال مستشار المانيا الغربية كونراد اديناور ان اجراءات قد اتخذت لمنع اي « سوء استعمال » للمعاهدة ولا يمكن شراء الا السلع التي تخدم « استيطان واعادة دمج اللاجئين اليهود فـي اسرائيل »[٤]. واضح ان هذا كان مجـرد كلام منمـق .

وكسبت اسرائيل امتيازا اخر على الفلسطينيين عن طريق معاهدتها مع المانيا الغربية . فقد كانت حكومة المانيا الغربية تعلم تمام العلم انها انمـا تلزم نفسها بتقوية اسرائيل عسكريا فضـلا عن تقويتها اقتصاديا ، ومع هذا اوثقت نفسها لفترة اثني عشر عاما دون وضع أية حـدود لاستخدام اسرائيل لهذه القوة . وقد رفض اديناور الاعتراف بأي التزام لاخذ مصالح الفلسطينيين في الحسبان : « ليس للجمهورية الاتحادية الحق ولا المسؤوليـة لاتخـاذ موقف حـول مسألـة اللاجئـين الفلسطينيين »[٥]. والنتيجة هي أن الاسرائيليين كانوا مطمئنين الى استمرار حقن المقويات المنتظمة من المانيا الغربية بصرف النظر عن الصواب والخطأ في النزاع الفلسطيني المستمر .

ونتيجة للمعونة التي تلقتها اسرائيل من المانيا الغربية (ودول اخرى ، بالطبع) صارت تملـك المقدرة على تصليب مقاومتها لتسوية حل وسط

ومواصلة توسعها الصهيوني في فلسطين . وكانت ابرز نقاط هذه الرحلة : رفض اسرائيل السماح للاجئين الفلسطينيين بالعودة الى بيوتهم ، الهجوم على غزة في شباط (فبراير) عام ١٩٥٥ ، الهجوم على مصر عام ١٩٥٦ ، طرد المزارعين السوريين من حقولهم على طول الحدود السورية ، قيام اسرائيل بتحويل المياه من الاردن لري النقب على الرغم من ان الامم المتحدة وجدت ان هذا التحويل سيلحق ضررا بالغا بالعرب الذين كانوا يعتمدون على الاردن ، وغزو بقية فلسطين واحتلالها عسكريا بدءا من حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ . وللحصول على تفاصيل هذه الاعمال والبراهين علما انها لا تتناسب قطعيا مع أية استفزازات قد تكون صدرت عن الجانب الاخر ، نحيل القارىء على مصادر اخرى(٦).

لنتحول الان الى السؤال : لماذا دعمت المانيا الغربية دولة اسرائيل على النحو الذي حصل . في المقدمة لمعاهدة التعويضات ، قال الفريقان : اذا اخذنا بعين الاعتبار أن : جرائم لا توصف ارتكبت ضد الشعب اليهودي خلال الحكم الاشتراكي الوطني ، **وان** : حكومة المانيا الاتحادية اعربت عن نيتها في السابع والعشرين من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥١ تقديم تعويضات على هذه الافعال في حدود قدرتها ، **وان** : دولة اسرائيل قد قامت بالعبء الثقيل لتوطين الكثير من اللاجئين اليهود العديمي الجذور والمعوزين من المانيا والاراضي التي كانت في السابق تحت الحكم الالماني ، وكان لها بالتالي الحق في ان تطالب الجمهورية الاتحادية بتعويض دولي شامل عن أكلاف الاستيطان المعترف بها ...

ومهمتنا هنا هي التحقق مما كان يكمن تحت هذه « الاعتبارات » . فهل وعي واجب اخلاقي قوي هو الذي حرك حكومة المانيا الغربية ؟ أم هل كانت منافع اقتصادية او سياسية معينة هي الدافع الى قرارها ؟

لقد صرح اديناور في مناسبات عدة ان قرار دفع التعويضات لاسرائيل قد اوحت به الرغبة في تنفيذ التزام معنوي . مثال ذلك انه قال ، مستذكرا التهديد بمقاطعة المانيا الغربية الذي وجهته الدول العربية في ما يتعلق بمعاهدة التعويضات : « لقد كانت المعاهدة شيئا مختلفا من المعاهدات العادية بين الدول . فقد ارتكزت على التزام معنوي اجباري . وكانت الجمهورية الاتحادية مصممة على التعويض عما فعله هتلر لليهود بقدر الامكان . وكان أمرا مخزيا لو أننا ترددنا في اتخاذ هذا القرار لا لشيء الا لاننا هددنا بأضرار اقتصادية . ثمة امور اعظم في الحياة من جني المال »(٧).

قد يكون من الصحيح القول ان زعماء المانيا الغربية كانوا مقتنعين بانه لدى شعبهم التزام معنوي للتعويض بطريقة مادية عن الضرر الكبير الذي تكبده اليهود في ظل النظام النازي . ومن الواضح ان الامر الذي كان يجب عليها فعله هو تقديم التعويضات للافراد الذين اصيبوا بانهيار في الصحة وخسارة في الممتلكات وهلم جرا . وفي الواقع كانت المقاطعات الالمانية الغربية تدفع التعويضات للافراد منذ عام ١٩٤٩ (وكان قد سبق ان اطلقت البرنامج دول الاحتلال الحليفة) ، وفي اوائل عام ١٩٥٢ اقرت الحكومة الاتحادية قوانين تهدف الى تكملة تشريعات الى المقاطعات(٨). غير أنه ليس واضحا الى الحد نفسه ان مثل هذا الشعور بالالتزام المعنوي سيمتد الى دولة اسرائيل .

لقد عبر عن الفكرة بأن الاشتراكيين الوطنيين قد اساءوا الى « الشعب اليهودي » او الى « اليهود » في الفقرتين اللتين استشهدت بهما من المعاهدة بين المانيا الغربية واسرائيل ومن مذكرات اديناور . وثمة ما يغري المرء بالافتراض بأن حكومة المانيا الغربية كانت تعترف بالالتزام ببناء دولة اسرائيل وتعزيزها كنتيجة منطقية للاساءات التي لحقت « بالشعب اليهودي » ودونما جدل . ولكن لدى قراءة المعاهدة بمزيد من الامعان يصير من الواضح تماما ان تنفيذ شرط اخر كان يعتبر ضروريا لتثبيت الالتزام المعنوي لاسرائيل . فالمقدمة للمعاهدة توضح ان مثل هذه المعونة هي من حق اسرائيل بالنظر الى نفقاتها لتوطين اللاجئين اليهود الذين كان النازيون سبب فرارهم من اوروبا(٩).

هذه الحجة اوضحها رئيس الوفد الذي تفاوض مع اسرائيل ، فرانتز بوهم ، لتسويغ المعاهدة . فقد أكد أن خمسماية الف يهودي لجأوا الى اسرائيل خلال الاعوام ١٩٣٣ الى ١٩٥١ بسبب الاضطهاد النازي . والى ذلك ، بلغت اكلاف

توطينهم ثلاثة بلايين مارك المانى .

وفيما يتعلق بالسبب قال أن الفرقاء بحشوا القضية، لان الحلفاء قد أطلقوا سراح عدد كبير جدا من اليهود البولونيين والمجريين والرومانيين الذين كانوا في معسكرات الاعتقال او مخيمات الاشخاص المشردين في اوطانهم القديمة حيث مكثوا لفترة من الوقت قبل أن يهاجروا الى اسرائيل .

لقد تفحصنا هذه المسألة فحصا دقيقا في ما يتعلق بكل جماعة من الجماعات ، على أساس البيانات الاسرائيلية الرسمية التي قدمت لنا ... وجد هؤلاء اليهود ان الاهالي المحليين يحتلون بيوتهم . وكان قد سبق ان صودرت حقولهم ابان الاحتلال الالماني وباتت في حوزة الغرباء واستولت شرطة الغستابو على ممتلكاتهم وسرقتها . ولم يكن بوسعهم العثور على عمل في أي مكان . وواجهتهم الكراهية . وكان أحد أسباب الكراهية عدم استعداد السكان لاخلاء المنازل . وكان يمكن ان يكون هذا مجرد عائق موقت . لكن كراهية الاهالي لهم كانت قد تأصلت ، للاسف . فبذور اللاسامية التي زرعتها الدعاوة الاشتراكية الوطنية ابان الاحتلال الالماني لهذه المناطق كانت قد ترسخت في قلوب الشعب ... ولم يكن بوسع الوفد الالماني تجاهل قوة هذه الحجة .

كان احتساب اكلاف توطين اللاجئين على أساس الفرد اقل صعوبة . فنحن الالمان اخصائيون في هذا الحقل ، اذ كان علينا ان نستوعب الملايين من اللاجئين . وطلبنا من احد كبار موظفي وزارة اللاجئين ان يدقق في الحساب الاسرائيلي للاكلاف، بحيث تؤخذ الحالة الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية الاسرائيلية الخاصة والتي لا مثيل لها في الاعتبار ... وجعلنا من تقديراتنا اساسا للعرض الذي تقدمنا به والذي قبلت به الحكومة الاسرائيلية(١٠).

تجدر الملاحظة ان الوفد الالماني لم يقم بأي استقصاء مستقل لموجة الهجرة اليهودية من اوروبا الشرقية لاسرائيل في الفترة بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٥١ . وقد اعترف الجانب الالماني ، كما رأينا ، بأن هذه المسألة مهمة بالنظر الى العدد الكبير من الاشخاص المعنيين . ووفقا للارقام التي استعملها احد موظفي وزارة المال الالمانية الغربية ، فان ما يزيد على نصف جميع المهاجرين الاوروبيين الى اسرائيل بين عام ١٩٣٣ وعام ١٩٥٢ هاجروا بعد عام ١٩٤٥(١١). ومما لا ريب فيه ان كل من اراد فعلا ان يكتشف الحقائق كان سيفكر تفكيرا مليا وجادا في عدد من الاسئلة ، بما فيها الاسئلة التالية : هل صحيح انه لم يكن بامكان اليهود العثور على عمل في البلاد الاشتراكية التي عادوا اليها ؟ الى أي حد كانت الشكوى المتعلقة بفقدان الممتلكات هي شكوى رأسماليين سابقين من خسارة فرص رأسمالية بسبب تبني الاشتراكية ؟ كان الصهاينة يعملون باجتهاد في مخيمات المشردين لاجتذاب الاتباع ، وقد مارسوا الضغط في واشنطن لاستبعاد اليهود الاوروبيين من الولايات المتحدة بغية تهجيرهم الى فلسطين(١٢). فهل نجحوا ؟

علاوة على هذه الاسباب المثيرة للشك في الدوافع الالمانية المزعومة ، هناك حقيقة ان المانيا الغربية لم تعرض ابدا التفكير في التعويض على أية دولة اخرى لاستقبالها لاجئين يهود او غير يهود اضطروا ظاهريا للفرار من اوروبا بسبب النازيين. وفي معرض ايجاز المستشار الالماني الغربي للاسباب التي دفعته الى تقديم التعويضات في مذكراته ، استشهد بتصريح للحكومة الاسرائيلية حاولت فيه تمييز حالها عن حالة البلدان الاخرى « ... حيث كان بامكان نظام اقتصادي مكتمل النمو ان يستوعب القادمين حديثا بسهولة ، في حين اضطرت اسرائيل الى بذل جهود عظيمة والى انفاق مبالغ كبيرة من الاموال العامة للنهوض باعباء القادمين الجدد وخلق الاعمال لهم »(١٣). ولكن لا يمكن التغاضي بسهولة عن أوجه الشبه بين اسرائيل والدول الاخرى من هذه الناحية . فالحقيقة هي أن حكومة المانيا الغربية لم تظهر اي اهتمام في بحث مسألة نفقات الدول الاخرى التي استقبلت مهاجرين .

كما لم يكن الالمان الغربيون مهتمين اهتماما فعليا في نفقات الاستيطان في اسرائيل . فمن الواضح ان تأكيد بوهم بأن مبلغ التعويضات احتسب على أساس تقديره للاكلاف — ٣٠٠٠ دولار للشخص — هو تأكيد كاذب . فقد جادل الالمان اثناء المفاوضات بانه ليس في مقدورهم ان يتحملوا دفع المبلغ الذي طولبوا به في أول الامر (بليون دولار) في حين ناقش الممثلون الاسرائيليون هذا الرفض ومارسوا ضغوطا متنوعة(١٤).

ولو سعت حكومة المانيا الغربية باخلاص وصدق الى تقديم التعويضات لتوطين اليهود في اسرائيل ، لواجهت المتاعب حول مسألة المستفيدين المحقين . وحول هذه النقطة يستشهد اديناور استشهادا كاذبا بالحكومة الاسرائيلية : « من غير ريب اسهم اليهود خارج اسرائيل مساهمة كبيرة ، لكن الاكلاف الاساسية ... تحملتها الجماهير الاسرائيلية »(١٥). لندع جانبا مسألة ما اذا كانت اسرائيل او اليهود خارج اسرائيل هم الاكثر استحقاقا للتعويض . فمن الواضح ان أيا منهما لم يكن اكثر استحقاقا للتعويض من الفلسطينيين الذين استولت اسرائيل على ممتلكاتهم وسلمتها للمستوطنين الجدد .

ختاما ، ان الزعم القائل بأن المانيا الغربية كان يحدوها شعور بالالتزام المعنوي لاسرائيل بالنظر الى ما انفقته هذه الاخيرة على توطين اللاجئين اليهود الذين كان الاشتراكيون الوطنيون سبب هجرتهم الى اسرائيل هو زعم غير معقول . ولكن ماذا لو ان هذه الرواية للاحداث اذيعت لسبب ما من أسباب الحذر والاحتراس ، ومع هذا كان الدافع النهائي هو دافع اخلاقي ؟ يعيدنا الى الفكرة القائلة ان المظالم التي انزلت « بالشعب اليهودي » كانت كافية لايجاد التزام معنوي نحو دولة اسرائيل . وانسجاما مع هذه الفكرة اكد اديناور في مذكراته ان الموقف الاسرائيلي بشأن اسرائيل هي الممثلة الشرعية لجميع اليهود « قد قبل به »(١٦).

كانت اسرائيل والصهاينة بوجه عام قد زعموا بالفعل المرة تلو المرة بأنه يحق لاسرائيل تمثيل جميع اليهود اينما كانوا ، ولكن اي تمحيص على الاطلاق يكشف عن بطلان زعمهم . فالحقيقة البارزة هي أن اقلية صغيرة فقط تعيش في اسرائيل . وعندما اثيرت مسألة حق اسرائيل في تمثيل « الشعب اليهودي » في محاكمة ايخمان ، جادلت المحكمة الاسرائيلية قائلة : « ان الصلة بين دولة اسرائيل والشعب اليهودي لا تحتاج الى شرح . فقد تأسست دولة اسرائيل واعترف بها بوصفها دولة اليهود ... ويبدو ان لا حاجة هناك الى أي دليل اخر على الصلة الجلية جدا بين الشعب اليهودي ودولة اسرائيل : فهذه هي الدولة ذات السيادة للشعب اليهودي » . من السهل اكتشاف المغالطة هنا . فما من دولة اخرى في العالم قد « اعترفت » باسرائيل « بوصفها دولة اليهود » وبالتالي أخضعت مواطنيها اليهود لسلطان اسرائيل القضائي(١٧).

وعلى الرغم من ذكريات اديناور ، فليس صحيحا ان الالمان الغربيين عاملوا اسرائيل وكأنها ممثلة « الشعب اليهودي » . فالمفاوض الرئيسي ، الذي بحثوا مسألة التعويضات معه ، ناحوم غولدمان ، كان الناطق بلسان « مؤتمر المطالب » وبلسان اسرائيل ايضا ، وضمن اطار المعاهدة وضعت المانيا الغربية بروتوكولا منفصلا مع « مؤتمر المطالب » في ما يتعلق بمدفوعاتها له .

لا يجب ، بالطبع ، ان نغفل عن كون ناحوم غولدمان والزعماء اليهود الاخرون الذين تفاوضوا حول المعاهدة مع المانيا الغربية صهاينة متحمسين ؟ وكان همهم الاكبر هو بناء وتعزيز اسرائيل . اما ارضاء مطالب اليهود المقيمين خارج اسرائيل فكانت مسألة اقل اهمية في نظرهم . وقد يكون الالمان الغربيون اعتبروا غولدمان والاخرين نماذج صحيحة « للشعب اليهودي » بحيث ان التعويضات التي دفعت لاسرائيل ، على افتراض وجود شعور بالالتزام المعنوي لهذه الاخيرة ، ربما عاد سببها الاصلي الى الرغبة في تنفيذ التزام معنوي . ومع هذا هناك مجال للشك في ما اذا كان غولدمان يمثل « الشعب اليهودي » . فقد كانت العضوية في « مؤتمر المطالب » مقتصرة على المنظمات في الولايات المتحدة وانكلترا وكندا وفرنسا والارجنتين واستراليا وجنوب افريقيا(١٨). صحيح ان الاكثرية الساحقة من اليهود المقيمة خارج اسرائيل كانت تقيم في هذه البلدان . ولكن تجاهل ملايين اليهود الذين يقيمون في اوروبا الشرقية والبلدان العربية واماكن اخرى كان أمرا غير معقول ، لا سيما انه كانت هناك ، داخل البلدان التي تألف منها « مؤتمر المطالب » ، معارضة يهودية لا يستهان بها لتأييد دولة اسرائيل . فقد كان اليهود المناهضون للصهيونية يعارضون التضحية بالمثل الدينية والعرقية ethical على مذبح القومية ويعارضون التضارب في الولاء بين الدول التي يعيشون فيها واسرائيل التي خلقتها الصهيونية(١٩).

وسواء اعتبر الالمان الغربيون غولدمان ممثلا كافيا ام لا ، فان النكرة بأنهم تصرفوا بدافع

الشعور بالتزام معنوي عندما وافقوا ، لا علـى تقديم التعويضات للافراد الذين تضرروا فحسب ، بل على دفعها لليهود جماعيا ، تبقى فكرة وهمية. فبادىء ذي بدء ، لم تطبق المانيا الغربية المعاملة نفسها على الشعوب التي كانت ، على وجـه التقريب ، في حالة مماثلة لحالة يهـود العالم ، فحكومة المانيا الغربية لم تعرض شيئا على الغجر كشعب ، رغم كون الغجر تعرضوا هم ايضا لمجزرة بموجب القوانين العنصرية للاشتراكيين الوطنيين . فقد تم قتل ثلث السكان الغجر الناطقين بالالمانية فضلا عن العديد من الغجر الاخريـن . وتصـل تقديرات مجموع الموتى الغجريين الى ما بـين ٢٥٠ الفا ، ومليون نسمة(٢٠). وفي « مؤتمـر الديون » بلندن ، الذي جرى في نفس الوقت الذي كانت تدور فيه المفاوضات التي افضت الى معاهدة اسرائيل ، تم الاتفاق على عدم قيام المانيا بدفع تعويضات لاية دولة على الاضرار التي لحقـت بها ابان الحرب العالمية الثانية الى ان يتـم التوصل الى معاهدة سلام مع المانيا الموحدة ، ولكنها خلقت حالة استثنائية لدفع التعويضات الى اسرائيل . لنتذكر أن الدول الكبرى ، التي ارضت نفسها عن طريق مصادرة الممتلكات الالمانية ، لم تكن الدول الوحيدة التي أكدت حقها في المطالبـة بالتعويضات . ويمكن التمييز بين الجماعات التي لحقت بها أضرار من الرايخ الثالث تبعا لعـدد القتلى ، ونسبتهم المئوية من الجماعة ككـل ، والطريقة التي قتلوا بها وهلم جرا . ولكن في التعويض على احدى هذه الجماعات دون غيرها ، الى ان يعاد توحيد المانيا ، كان عمل المانيا الغربية مشكوكا به من وجهة النظر الاخلاقية . واظهـار نفسها بمظهر الدولة الفاضلة الاخلاقية انما ينضح بالنفاق(٢١).

ومثل اخر على ما نود ابرازه هنا هو التجاهل الفظ الذي أبدته حكومة المانيا الغربية لتأثير عملها على الفلسطينيين . فالجميع يدركون بأن تأثـير صفقة ما على مصالح اشخاص ليسوا فرقاء في الامر قد يكون احيانا وثيق الصلة باخلاقية الصفقة . لقد قدم توما الاكويني المثل التالي في معرض بحثه للقانون الطبيعي: من الظلم عادة ان تحبس ممتلكات شخص اخر عنه ، ومع هذا لا يجب على المرء ان يعيد سلاحا خطرا الى صاحبه ، اذا ما اعتقد ان هذا الاخير سيستخدمه لايذاء شـخص ما . وقد اعترف اديناور بهذا المبدأ رسميا عندما قال انه لا يجوز « اساءة استعمال » المعاهدة . ويعتـرف قانون تعويضات الجمهورية الاتحادية بهذا المبدأ وقد يذهب الى أبعد منه : فالاشـخاص الـذين يستحقون عادة التعويض لكونهم تعرضوا للاضطهاد على أيدي الاشتراكيين الوطنيين لا يتلقون أي شيء اذا ثبت عدم جدارتهم ، كأن يكونوا ادينوا فـي جريمة وحكم عليهم بالسجن اكثر من ثلاثة اعوام، مثلا ، او اذا كانوا يعارضون معارضة نشطة نظام الحرية والديموقراطية الذي تأسس مع القـانون الاساسي للجمهورية الاتحادية(٢٢). ولو كان الزعماء الالمان الغربيون حقا مهتمين بالتأثيرات الشـريرة لافعالهم على الفلسطينيين ، لكانوا امتنعوا عن الدخول في معاهدة مع اسرائيل او جعلوا العمل الالماني الغربي مشروطا بتنفيذ اسرائيل لمسؤولياتها تجاه الفلسطينيين . ولو وصلوا الى هذا الحد ، لكانوا واجهوا الوعد الذي قطعته اسرائيل لدى السماح لها بدخول الامم المتحدة ، وهو انهـا ستسمح للاجئين باختيار العودة او التعويض ، بالاضافة الى قرارات الامم المتحدة الاخرى التـي قالت الشيء نفسه .

واخيرا فان المقطع المزخرف الذي اعلن فيـه أديناور عن استعداده لتحمل التضحيات الماديـة تحت المقاطعة العربية عوض الامتناع عن القيام بواجبه نحو اسرائيل تجب قراءته في سياق ملاحظات أديناور وبوهم التي تبرز فيها ثقتهما بان المقاطعة العربية ستنهار بسرعة(٢٣). وبالطبع كان لهـذا التفاؤل ما يبرره . فقد كان النفط وافرا وزهيـد الثمن ، وكانت المانيا قد ابتدأت لتوها فقط تتحول من الفحم الى النفط لتلبية احتياجاتهـا مـن الطاقة(٢٤).

واضح انه لا بد لنا من البحث عن أسباب أخرى لقرار المانيا الغربية تعزيز اسرائيل . وانا اجادل فيما يأتي بأن التفسير الصحيح يكمن ، على وجه التقريب ، في الدور الذي لعبته الجمهورية الاتحادية في الحرب الباردة . فقد كانت المعاهدة بدافـع المصلحة الذاتية ضمن النطـاق الضيق لهـذا الـدور .

لم تكن حكومة المانيا الغربية تطالب بتوحيـد المانيا الشرقية والغربية فحسب بل أيضا بدخول

البلد الموحد الحلف الغربي . وفي اذار (مارس) عام ١٩٥٢ اقترح الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا عقد مؤتمر حول اعادة توحيد المانيا وتحييدها . وبالاضافة الى هذا ، عرضت جمهورية المانيا الديموقراطية اجراء انتخابات حرة . فرفضت الدول الغربية الدعوة ، واوضح اديناور انه هو اشترك في اتخاذ القرار . وخلال تلك الاعوام أصرت حكومة المانيا الغربية أيضا على امتناع اصدقائها السياسيين عن الاعتراف بجمهورية المانيا الديموقراطية . وادعت ، بالفعل ، انها بكونها الحكومة الالمانية الوحيدة المنبثقة عن انتخابات حرة ، يحق لها التكلم باسم الشعب الالماني بأسره(٢٥). وفي ما يتعلق ببرلين ، طالبت بحق المرور بالبر والماء والجو بين برلين الغربية والمانيا الغربية بالنسبة للاشخاص والسلع ، وبحق اشتراك الممثلين عن برلين الغربية في مداولات البرلمان الاتحادي (ولكن بدون تصويت) وبحق الجمهورية الاتحادية في تمثيل برلين الغربية في الشؤون الخارجية(٢٦). والى ذلك اتخذت المانيا الغربية الموقف القائل بأن الوضع القانوني للاراضي الشرقية وحق اللاجئين الالمان في العودة الى هناك لم يطرأ عليهما تغيير ولا يمكن تعديلهما الا بمعاهدة(٢٧). وعلاوة على تأكيد هذه المطالب أعرب مستشار المانيا الغربية عن الامل في تحطيم منطقة النفوذ السوفياتي في اوروبا الشرقية .

وجادل اديناور بأن دمج القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية للغرب من شأنه ان يعزز مركزه للمساومة ضد الاتحاد السوفياتي وبالتالي يسهل تحقيق هذه الاهداف . وتكهن بأن ثورات ستندلع في اوروبا الشرقية وتعمل في الاتجاه ذاته. ولكن مهما كان احتمال تحقيق هذه الامور بهذه الطريقة ، فان دمج المانيا الغربية في الغرب له فوائد مهمة — فرص عمل للشركات الالمانية في البلدان الرأسمالية ومناطق نفوذها ولزعماء المانيا الغربية السياسيين في الشؤون الغربية(٢٨).

وكانت مهمة المانيا الغربية ، من وجهة نظر الولايات المتحدة ، هي المساعدة في ايقاف توسع الشيوعيين في اوروبا ، وربما المساعدة في تدمير منطقة النفوذ السوفياتية في اوروبا الشرقية وفتح الطريق للتسلل الاميركي اليها . هذا الهدف (بالاضافة الى الرغبة في خلق اسواق لسلعها) دفع الولايات المتحدة الى اقراض المال لالمانيا الغربية بموجب خطة مارشال وبالتالي تسهيل السبيل أمام هذه الاخيرة لتستعيد عافيتها الاقتصادية(٢٩). وهذا هو سبب استعداد اميركا للتخلي عن حقها في الاحتلال ولمنح المانيا الغربية درجة كبيرة من السيادة عام ١٩٤٩ ودرجة اكبر في ايار (مايو) عام ١٩٥٢ . وهو يفسر بالطبع ، توق اميركا الى اعادة تسليح الالمان الغربيين(٣٠).

ومع ان الاهداف المشتركة لالمانيا الغربية والولايات المتحدة كانت كثيرة ويمكن للمرء ان يتوقع ديمومة مبرر وجودها لمدة طويلة ، فانه لم يكن بوسع الالمان الغربيين ابدا ان يكونوا على يقين تام حول العطف الاميركي على مطالبهم . ذلك انها تنطوي على خطر المواجهة مع الاتحاد السوفياتي واحتمال قيام المانيا تؤدي ديناميكيتها الى تعسير الامور للولايات المتحدة . والى ذلك كان مستقبل المانيا الغربية الاقتصادي مرتبطا بالنجم الغربي ومشحونا بالشكوك . وكان مستوى معيشتها ما يزال متدنيا بالمقارنة مع مستوى معيشة معظم بلدان اوروبا الغربية ومع ما كان عليه في المانيا قبل الحرب . وكان السؤال الاكثر خطورة هو ما اذا كان ما تكسبه من الدولارات عن طريق التجارة الخارجية سيكون كبيرا الى حد يكفي لاحداث فرق مهم . ومما لا ريب فيه انه كانت هناك اشارات مشجعة : فقد كان انتاجها الصناعي يزداد زيادة سريعة منذ اواسط عام ١٩٤٨ ، عندما وضعت خطة مارشال موضع التنفيذ ، وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٥١ رفع الحلفاء القيود عن انتاج الصلب وغيره من المواد الستراتيجية . الا ان الولايات المتحدة رفضت ان تخفض حواجزها امام الواردات الاوروبية وقد تكون رفعتها ، وكانت تضغط على الاوروبيين الغربيين لانتاج اعتدة حربية لابعاد صناعاتهم عن انتاج السلع للتصدير او الاستهلاك . وفي « مؤتمر الديون » المنعقد في لندن بدءا من شباط (فبراير) ١٩٥٢ ، كان الدائنون ، وفي طليعتهم الولايات المتحدة ، يصرون على ان تدفع الجمهورية الاتحادية ديون المانيا الضخمة السابقة للحرب وديونها لمشروع مارشال(٣١).

مما لا ريب فيه ان هذا الاعتماد على الولايات المتحدة جعل من الصعب على الالمان الغربيين ان

يتجاهلوا الحاجات اميركا الجادة . وفي ما يتعلق بدفع التعويضات لاسرائيل ، فان ثمة ادلة وافية على مثل هذه الالحاحات وفعاليتها .

ففي الثاني عشر من آذار (مارس) عام ١٩٥١ سلمت اسرائيل الى الدول الحليفة مذكرات طالبتها فيها بعدم نقل السيادة الى أية حكومة المانية دون حفظ مسألة التعويضات لاسرائيل بنوع خاص . وكان مبلغ التعويضات المطالب به بليونا ونصف البليون دولار(٣٢). ولم يرد الاتحاد السوفياتي على المذكرة . وقالت الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا انها تعطف على طلب اسرائيل ، غير أنها اضافت انه لا يسعها « فرض » الالتزام (وتتحدث المذكرة الانكليزية عن « المهمة ») على المانيا الغربية(٣٣). وقد لاحظ احد مفسري هذه الاحداث قائلا ان « اسرائيل ، عدا عن العطف ، لم تحصل على أي تأييد عملي » . فهذه الحكومات « امتنعت عن أي عمل مباشر لتعزيز مطالب اسرائيل ضد المانيا »(٣٤).

لكن هذا الرأي يبالغ في التقليل من اهمية الاقوال الصادرة عن الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا . فمن العبارات المتماثلة تقريبا التي صيغت بها مذكراتها يتضح انها تعتبر مسألة التعويضات خطيرة الى حد كاف للاجتماع واتخاذ موقف مشترك . ولم تكن النتيجة تعبيرا عن خلاف او لا مبالاة ، فجميعها ارادت الدعم الاقتصادي الالماني لاسرائيل . ويصعب علينا ان نرى كيف يمكن لرغبتهم الموضحة هذه ان يضعفها ادخال شرط او وعد بهذا المعنى في المعاهدة التي ستنهي احتلال المانيا الغربية . ولا بد ان يكون بدا للدول الغربية ان مثل هذا الابراز المكشوف للاكراه ، مثل هذه الاهانة ، من قبلها لا معنى لها في ضوء هدفها ، وهو اجتناب المانيا غربية متحمسة الى ملفها، فضلا عن الاحتمال بأن الكلام الرقيق الصادر عنها سيحمل على محمل الجد التام .

واتضحت بطريقة اخرى حقيقة ان الدول الغربية ارادت ان ترى المانيا الغربية تدفع التعويضات لاسرائيل . ففي تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٠ طالبت هذه الدول وغيرها بأن تضطلع الجمهورية الاتحادية بديون الرايخ الثالث . وفي السادس من ايار (مايو) عام ١٩٥١ ، اعترفت الجمهورية الاتحادية بمسؤوليتها عن هذه الديون . وفي « مؤتمر الديون » بلندن ، حيث جرى بحث هذه التعهدات بالاضافة الى تسديد قروض خطة مارشال ، سعت المانيا الغربية الى تخفيض ديونها . وجادلت بأن لا طاقة لاقتصادها على تحمل عبء بهذا الحجم . والان ، بصرف النظر عن مصلحة الدائنين في مؤتمر لندن لاتخاذ حق التقدم على اي دائن لاحق ، سمحت للصهاينة بالتوصل الى اتفاق مع الالمان الغربيين في ما يتعلق بكمية المدفوعات وشكلها وزمنها ، قبل ان تسوي هي ديونها مع الجمهورية الاتحادية . والى ذلك وافقت على تخفيض كبير في الدين المستحق لها . ويقول غولدمان ان الاميركيين مارسوا التأثير على الالمان الغربيين عن طريق جون ماكلوي، المندوب السامي الاميركي في المانيا الغربية آنذاك ، للتوصل الى تسوية هي اقرب الى مركز المساومة الصهيوني منها الى مركز المساومة الالماني الغربي(٣٥).

كما أن دور المانيا الغربية في الحرب الباردة الذي انطوى على الكثير من الاعتماد الاقتصادي والسياسي على الدول الغربية وبخاصة على الولايات المتحدة، جعلها مفرطة الحساسية للمطالب الصهيونية . وقد كتب اديناور في مذكراته : « كان واضحا لي بأنه اذا ما فشلت المفاوضات مع اليهود ، فان المفاوضات في مؤتمر الديون بلندن ستفشل هي ايضا ، لان الدوائر المصرفية اليهودية ستمارس على مجرى مؤتمر الديون بلندن تأثيرا لا يجب الاستهانة به . وكان واضحا ، من جهة اخرى ، بأن الفشل في مؤتمر الديون بلندن سيسبب فشلا للمفاوضات مع اليهود . واذا اردنا ان يحقق الاقتصاد الالماني رصيدا ويصير قويا من جديد، فلا بد من انهاء مؤتمر لندن بنجاح ، فآنذاك فقط سينمو اقتصادنا بطريقة تمكننا من دفع التعويضات لاسرائيل وللمنظمات اليهودية » .

وفي الصفحات التي تسبق مباشرة وتلي مباشرة هذا المقطع يطلب منا اديناور ان نصدق بأن الاعتبارات الاخلاقية — او هي « فوق كل شيء اخر » — قد املت عليه هذا القرار(٣٦).

وفي حين أكد غولدمان لاديناور انه شعر « بتأثر عميق » لاعتراف هذا الاخير بالتزام المانيا المعنوي باسرائيل ، فقد وجه تهديدات فظة بعواقب وخيمة في حال عدم تلبية الشروط الصهيونية : « ان ردة الفعل العنيفة للعالم كله ، بتأييد اوساط واسعة

من غير اليهود الذين يشعرون بعطف عميق على استشهاد الشعب اليهودي ابان العهد النازي ، لن يمكن مقاومتها وستكون مسوغة تسويغا تاما »(٣٧).

وتحدث الصهاينة مع رئيس الجمهورية الامبركية نفسه ومع رؤساء الحكومات الغربية الاخرى وحثوهم على ممارسة تأثيرهم على الجمهورية الاتحادية(٣٨). وقالت **الجويش اوبزرفر** اللندنية : « سيصار الى تعبئة الثقل المادي كله لليهودية العالمية لشن حرب اقتصادية ضد المانيا ، اذا ما بقي عرض بون للتعويضات غير مرض »(٣٩). ولم يكن بامكان بون تجاهل الاصوات المصرة للقوميين اليهود في وسائل الاعلام الجماهيرية للولايات المتحدة والبلدان الاخرى المهمة للاهداف الالمانية الغربية .

اصل الان الى مسألة ما اذا كانت جماعات معينة من سكان المانيا الغربية قد اثرت في اتخاذ القرار لدعم اسرائيل . لا يوجد في التقارير المنشورة للنقابات والجمعيات الصناعية والتجارية الكبيرة ما يشير الى ان أيا منها بعث برسائل الى الحكومة او فعل أي شيء اخر لاتخاذ القرار . ولكن يمكننا الافتراض بأن المصرفي هيرمان آبس الذي لعب دورا مهما في هذه المسألة بصفته مستشارا لاديناور كان يعكس اراء الصناعة وشركات الاعمال والمال الكبيرة . وكان ينتمي الى الحلقة الصغيرة من زعماء الاعمال البارزين الذين يؤلفون « حكومة مطبخ » لاديناور . وقاد الوفد الالماني في مؤتمر الديون بلندن . صحيح أن آبس بذل جهودا جادة للتأثير على شروط معينة من شروط معاهدة اسرائيل بحيث تلائم الجانب الالماني، ولكن من التقارير التي نشرها اديناور وغولدمان وشينار عن المفاوضات يمكن الاستنتاج بأنه كان في الاساس يؤيد هذا الالتزام .

بعد أن وقعت المعاهدة وابدى العرب اعتراضهم بكثير من الحدة ، اعربت غرفة الصناعة الالمانية عن رأيها بانه سيكون امرا يؤسف له اذا ما أدت المعاهدة الى خسارة التجارة مع الدول العربية ، « يسر غرفة الصناعة ان تكون الحكومة الاتحادية قد عملت باقتراح رئيس الغرفة وارسلت وفدا اقتصاديا المانيا الى القاهرة للتفاوض مع الدول العربية » . عند هذه المرحلة اكتفت الحكومة الاتحادية ببذل الجهود لمؤاساة العرب بوعود اقامة علاقات اقتصادية افضل . وفي ما يتعلق بدوافع المصالح الرأسمالية الرئيسية في هذه المسألة ، فانه يبدو امرا ذا دلالة ان غرفة الصناعة ، شأنها شأن الحكومة ، كانت ترغب في دمج المانيا الغربية في الحلف الغربي(٤٠).

وعندما جرى التصويت على معاهدة اسرائيل في البوندستاغ ، التي ٢٣٨ صوتا مع المعاهدة و٣٤ صوتا ضدها ، وامتنع ٨٦ نائبا عن التصويت . واعلن زعيم الاتحاد الديموقراطي المسيحي ، الذي كانت له ٣١ بالمئة من المقاعد ، ان حزبه وافق على المعاهدة . وقال زعيما الحزب الديموقراطي الحر (١١،٩ بالمئة) والحزب الالماني (٤ بالمئة)، اللذان ينتميان ايضا الى الحكومة الائتلافية، انهم، باستثناء بعض الاعضاء المعارضين ، هم كذلك يرغبون في اقرار المعاهدة ، وامتنع الحزب البافاري (٤،٢ بالمئة) عن التصويت . واعرب الحزب الشيوعي (٥،١ بالمئة) وممثل حزب الرايخ الالماني ، الذي كانت المحكمة الدستورية الاتحادية قد اعلنته غير شرعي اخيرا ، عن عدائهما للمعاهدة . وكان ١٢ بالمئة من اعضاء البوندستاغ لا ينتمون الى أي من هذه الاحزاب(٤١).

وكان زعماء الاحزاب المؤيدون للمعاهدة يتكلمون عن الالتزام المعنوي لالمانيا وشرفها. ولم يضف أي منهم أية حجج جديدة للاساطير التي كان قد نشرها اديناور وبوهم. وجاء وصف دوافع الحكومة الاقرب الى الحقيقة والواقع ، عن الحزب الشيوعي الذي اشتبه بالضغط الاميركي ورأى فوائد اقتصادية لصناعة المانيا الغربية .

حينما يحاول المرء التحقق من دوافع الاحزاب المؤيدة للمعاهدة فانه يكتشف ، من بين ما يكتشف، كون الاتحاد الديموقراطي المسيحي ، الذي ساند بحماسة دمج المانيا الغربية في الحلف الغربي ، كثيرا ما قال بأن سياسته الخارجية المؤيدة للغرب هي وسيلة الى غاية تنمية المجتمع الالماني الغربي وفقا لمثله هو (المحافظة) . وفي الحزب الديموقراطي الحر ، الذي تحدد نفسيته ايضا محافظة حلقات رجال الاعمال والصناعة ، كانت هناك مخاوف واضحة من أن الاندماج في الحلف الغربي سيعيق اعادة توحيد المانيا ، ولكن يجب ان يسعى المرء الى الحصول على كل الفوائد

الاقتصادية الممكنة من الغرب(٤٢). أما الحزب الديموقراطي الاشتراكي فان سياسته الخارجية واهدافه الاجتماعية لا تقدم اي أساس لتفسير موقف هذا الحزب حول معاهدة اسرائيل ، لانه في ذلك كان ما يزال ينظر بمقت الى السبيل الغربي للحكومة ويدعو الى الاشتراكية . ولكني لن اتابع البحث في هذا المنحى نظرا لافتقارنا الى المعلومات التي تساعدنا على بعض التفسيرات الممكنة .

يقال ان الصحافة الالمانية الغربية كلها تقريبا أثنت على خطة الحكومة لتعزيز البنية السفلى لاسرائيل . وما يفسر هذا التأييد هو مسألة ما تزال تحتاج الى استقصاء . وفي ما يتعلق بالرأي العام المعبر عنه في الاستطلاعات ، فقد اكتشف معهد النزباخ ان ٦٧ بالمئة من السكان قد سمعوا « بالمفاوضات بين المانيا واسرائيل المتصلة بالتعويضات على اليهود » ، في حين لم يسمع ٣٣ بالمئة بها . وطرح في الاستطلاع سؤال اخر : « هل يجب ان تدفع المانيا لاسرائيل ثلاثة بلايين مارك في شكل سلع كتعويضات ، ام هل تعتبر هذا غير ضروري ؟ » وطلب من الاشخاص الذين شملهم الاستطلاع ان يختاروا أحد اجوبة اربعة . واختار ٤٤ بالمئة السؤال الممكن الاول : «هي غير ضرورية» واختار ٢٤ بالمئة الجواب الثاني : « أجل ، لكن المبلغ مرتفع جدا » . واختار ١١ بالمئة الجواب الثالث « أجل » . وقال ٢١ بالمئة انهم « غير مقررين »(٤٣).

بيد أن هناك ما يدعو الى الشك بأن هذه النتائج كانت تعكس الرأي العام فعلا . فانه امر لافت للنظر ان مجموعة الاجوبة التي قدمها المعهد لم تشتمل على أية اجوبة تؤلف حججا مؤيدة للمعاهدة وانها لم تشمل الا حجة واحدة ضد المعاهدة (« هي غير ضرورية ») . ويتساءل المرء عن نوع النتائج التي كان المعهد سيصل اليها لو اتيح للاشخاص الذين شملهم الاستطلاع الادلاء بأجوبة معينة اخرى ، مثلا حول التبرير الرسمي للجمهورية الاتحادية بانه ينبغي التعويض على اسرائيل للنفقات التي تكلفتها في استيعاب اللاجئين اليهود . فقد كان من شأن هذا السؤال ان يوضح تمام التوضيح ان التعويضات التي دفعت لدولة اسرائيل هي بالاضافة الى التعويض عن اليهود الافراد الذين تعرضوا للاضطهاد . لنتذكر كيف صاغ المعهد السؤال الاول من السؤالين اللذين ننظر فيهما الان ، فقد أشار الى مفاوضات مع اسرائيل تتعلق بتعويضات « على اليهود » . والى ذلك ، كان ٣٣ بالمئة ممن طرح عليهم السؤال لم يسمعوا قط بهذه المفاوضات مع اسرائيل. ويمكن للمرء ان يفهم من « الاجوبة الحرفية » التي جمعها المعهد ان بعض الاشخاص الذين اجابوا بالايجاب كانوا يفكرون بالتعويضات الفردية . مثال ذلك : « لا بد من التعويض على الذين اصيبوا بجراح ». وانه أمر لافت للنظر ان الجواب « ولكن فقط لليهود المسنين والمرضى الذين تألموا » فسره المعهد على أنه يعني « أجل ، ولكن المبلغ مرتفع جدا ». كما أن نتائج الاستطلاع ربما كانت تختلف لو أن المعهد أتاح المجال لجواب يعبر عن السبب الحقيقي الذي حدا بالجمهورية الاتحادية الى عقد هذه المعاهدة ، وهو الحصول على فوائد اقتصادية وسياسية معينة . واخيرا فان الحجة الوحيدة ضد المعاهدة التي كان بالامكان اختيارها ــ « هي غير ضرورية » ــ حولت الانتباه عن حجج اهم منها بكثير . ومهما كانت العلاقة بين الرأي العام المعبر عنه في الاستطلاع وسياسة الحكومة ، فلا يمكن التوصل الى اية استنتاجات هنا وذلك ببساطة لان رأي هذا الشعب المخدوع بقي غير معروف .

المساعدة العسكرية لاسرائيل(٤٤)

في خريف عام ١٩٦٤ صار معروفا على نطاق واسع ان المانيا الغربية كانت تدرب الجنود الاسرائيليين وتزود اسرائيل بالاسلحة . وكانت هذه النشاطات قد احيطت بالكتمان حتى ذلك الحين . وقالت صحيفة **فرانكفورتر الغيماينه** ان حكومة المانيا الغربية قد وعدت اسرائيل بتسليمها ٥٠ طائرة ، ١٥٠ دبابة اميركية ، غواصتين اثنتين ، ٦ زوارق بخارية سريعة وعددا من سيارات الشحن والصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات. ولم تكن الغواصات والزوارق البخارية السريعة وبعض الدبابات الموعودة قد شحنت بعد. واعترفت « دوائر حكومية » بأن الاسلحة التي تم تسليمها فعلا كانت بقيمة ٢٥٠ مليون مارك الماني . وقال كاتب المقالة ان هذه الاسلحة أغلى ثمنا من ذلك بكثير(٤٥). وعندما اوقفت الشحنات صرح ناطق بلسان الجمهورية الاتحادية بأن ٧٠ بالمئة من التعهد

قد نفذ(٤٦). وواضح انه لم يكن على اسرائيل ان تدفع ثمن هذه المعونة العسكرية(٤٧).

لنلق نظرة ادق على وجه السرية . لقد كانت حلقة المطلعين في الجانب الالماني مقتصرة على اعضاء الحكومة ، ونائبين من كل الاحزاب الثلاثة الممثلة في البوندستاغ ، وبالطبع بعض العسكريين. وكان اخفاء الصفقة عن بقية البوندستاغ ورئيس الجمهورية مخالفا للقانون الاساسي للجمهورية الاتحادية ، وكان مفروضا بالمعاهدات السياسية ان تعقد بموافقة البوندستاغ وان يقرها رئيس الجمهورية . وقد منع الشعب الالماني من اسماع صوته رغم الاهمية البالغة للمسألة(٤٨). وفي ما يتعلق بالدول العربية ، فقد واجهت هذا النفاق وهي تحافظ على علاقات دبلوماسية مع الجمهورية الاتحادية ، وتمتنع عن الاعتراف بجمهورية المانيا الديموقراطية مراعاة منها لرغبات المانيا الغربية . والى ذلك ، اعلنت حكومة الجمهورية الاتحادية في كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٥٧ ، انها لن ترسل أية أسلحة الى اي من مناطق التوتر وانها ستتجنب فعل أي شيء من شأنه ان يزيد العلاقات المتوترة حدة في الشرق الاوسط(٤٩).

قام الاسرائيليون باول محاولات جس النبض للحصول على أسلحة المانية غربية(٥٠). أما تاريخ الاتفاق الاول بين المانيا الغربية واسرائيل حول المعونة العسكرية فهو موضوع خلاف . فالبعض يقول انه عقد في آذار (مارس) ١٩٦٠، والبعض الاخر يقول في وقت ما من عام ١٩٦٢(٥١). ولم استطع التحقق، بشكل واضح ، من صحة اي من التاريخين . وسأظهر في هذه الدراسة ان الامر ليس في غاية الاهمية على أية حال . وتم التوصل الى اتفاق اخر لتزويد اسرائيل بالاسلحة في صيف عام ١٩٦٤ .

ما الذي حدا بالمانيا الغربية الى مد اسرائيل بالمساعدة العسكرية ؟ ادعى عضوان من حكومة أديناور ، هما فرانتز جورف شتراوب ، الذي تفاوض على الصفقة بوصفه وزيرا للدفاع ، ولودفيغ ايرهارد ، بانهما كانا خائفين على سلامة اسرائيل . فقد قال ايرهارد في خطابه أمام البوندستاغ في السابع عشر من شباط (فبراير) عام ١٩٦٥ : « لسنا مدينين لاحد بتفسير لتأييدنا لاسرائيل في نضالها من أجل وجودها » . وأكد ان تسليح الشيوعيين لمصر كان هائلا(٥٢). وقال شتراوب في احدى المقابلات : « ليس لنا ان نحكم في مسألة تأسيس دولة اسرائيل او قرار الامم المتحدة او تفسير هذا القرار الاخير . فان دولة اسرائيل موجودة وان جزءا من يهود العالم قد وجد موطنا جديدا هناك وحقق انجازات عظيمة في مهمة البناء . وقد وجهت تهديدات كثيرة الى هذه الدولة وشعبها ، تهديدات من محيط معاد لها ، لغزو هذه يوما ما وتصفية شعبها . واذا استطاعت الجمهورية الاتحادية ان تقدم اسهاما متواضعا للسلام في الشرق الاوسط ... فسيكون هذا فعل تعويض في منطقة ارتكبت فيها خطايا جسيمة باسم المانيا ... لقد كان حافزي هو الرغبة في عدم القيام بأعمال عسكرية لا من قبل الاسرائيليين — الذين لا يمكنهم انتهاج سياسة من هذا النوع دون المجازفة بالدمار الذاتي — ولا من قبل العرب »(٥٣).

الا ان احدا ممن درس المسألة لا يسعه ان يحمل التذرع بالهدف السامي على محمل الجد . وفي أي وقت من الاوقات التي كان يمكن ان تكون صفقات الاسلحة عقدت فيها ، كانت ترد تقارير من مصادر موثوقة في الامم المتحدة تشير الى ان اسرائيل ارتكبت ، بواسطة عملياتها العسكرية الواسعة النطاق وطرق اخرى ، انتهاكات خطيرة جدا للهدنة وكانت مسؤولة بصورة رئيسية عن التوتر القائم على الحدود(٥٤). ومما لا ريب فيه ان خبراء الشرق الاوسط في وزارة الخارجية كانوا على علم بهذه التقارير ، وانهم على الارجح اوصلوا هذه المعلومات الى الحكومة ، لو ان هذه الحكومة فكرت أبدا بالحاجة الى عملية انقاذ لمصلحة الاسرائيليين . وبالمناسبة اشير الى ان كاتب احدى المقالات التي ظهرت في صحيفة سياسية ، هي **فرانكفورتر هيفته** ، لفت الانتباه الى بعض تلك التقارير(٥٥). واخيرا لم يرد اي شيء حول حماية وجود اسرائيل في تفسير أديناور للصفقة ، الذي سأبحثه ادناه .

من المحتمل تماما ان تكون الظروف التي تسببت في المعاهدة الاولى مع اسرائيل ثم استمرت الى الستينات ، قد أدت الى صفقة المساعدة العسكرية كذلك الامر . في أول الامر كان على الالمان الغربيين

أن يأخذوا في الحسبان رغبات الولايات المتحدة . ففي محاولة لابقاء جمهورية المانيا الديموقراطية معزولة الى حد كبير ، كانوا في ذلك الحين قد أعلنوا (مبدأ هالشتاين) الذي هددوا فيه بقطع العلاقات الدبلوماسية مع أية دولة تعترف بالجمهورية الديموقراطية ، والى ذلك رفضوا اقتراحات اقامة اتحاد كونفدرالي وتحييد الدولتين الالمانيتين . وكان استعداد الولايات المتحدة لتجنب اي شيء يمكن أن يعني ضمنا الاعتراف ، شرطا لا غنى عنه لنجاح هذه المغامرة . وكان الاعتبار نفسه ينطبق على ما تطالب به المانيا الغربية في ما يتعلق ببرلين — المحافظة على الوضع القائم .

نظرا لسياسة التعايش السلمي التي ابتدأت في اواسط الخمسينات وتعززت عام ١٩٥٩ حين كان توازن القوة الذرية يمنع احدى الدولتين العظميين من مهاجمة الاخرى دون المجازفة بالدمار الذاتي، كان من الواضح ان فرص اعتبار الولايات المتحدة بأن مطالب المانيا الغربية متطابقة مع مصالحها قد تضاءلت وشعر الالمان الغربيون بالخوف . وتبث هذه المخاوف كون الاميركيين قبلوا لا مبالين بتشييد جدار برلين في اب (اغسطس) ، ١٩٦١، وانهم اقترحوا في نيسان (ابريل) ، ١٩٦٢ ، اقامة هيئة دولية ، تضم ممثلين عن الجمهورية الاتحادية وجمهورية المانيا الديموقراطية ، للاشراف على ممر برلين — وهو نوع من الاعتراف من وجهة نظر المانيا الغربية — وانهم كانوا غير مستعدين للتشاور مع الالمان حول الاوضاع التي سيصار فيها الى استخدام الاسلحة النووية . هذه الظروف حدت بالالمان الغربيين الى تعزيز علائقهم بفرنسا وغيرها من بلدان اوروبا الغربية ، ومع هذا فانهم لم يفترضوا أبدا بأن وسيلة بديلة للوصول الى اعدائهم الشرقية كانت في المتناول(٥٦).

لقد اعترفت الحكومة الاميركية بأنه كان لها دور في الصفقة التي شملت دبابات اميركية عام ١٩٦٤(٥٧). الا ان هناك ادلة وجيهة على أنها ، أيضا ، اثرت في اول القرارات الالمانية في هذه المسألة . فقد قال اديناور في احد اجتماعات الاتحاد الديموقراطي المسيحي انه كان هناك « ضغط من دولة صديقة »(٥٨). ولا يعقل ان تقدم المانيا الغربية ، التي كانت حليفة للولايات المتحدة في حلف شمال الاطلسي وتتمسك بها تمسكا شديدا ، على التدخل في الشرق الاوسط عسكريا دون التشاور مع الولايات المتحدة . صحيح ان اسرائيل قد اثبتت الى حد كبير تضامنها مع الولايات المتحدة في صليبيتها ضد النفوذ الشيوعي في الشرق الاوسط(٥٩)، وانه كان متوقعا من لبنان والاردن والعربية السعودية ، التي فعلت الشيء نفسه ، ان ترضى بالزيادة في القوة الاسرائيلية دون الانتقال من جانب الى جانب . ولكنه كان يلح على مصر والدول العربية غير المنحازة الاخرى ان تحذو حذو تلك الدول ، فأبدت مقاومة اقوى بكثير .

ومما لا ريب فيه ان احد الاسباب المهمة الاخرى للقرار الالماني الغربي كان تهديد وسائل الاعلام الجماهيرية في الغرب بتلطيخ سمعتها . فمنذ اواسط عام ١٩٥٧ ، عندما غيرت اسرائيل موقفها السابق واوضحت انها تريد اقامة علاقات دبلوماسية مع الجمهورية الاتحادية ، صارت توجه الى حكومة المانيا الغربية تهمة الفساد الخلقي نظرا لامتناعها عن القيام بعرض مماثل(٦٠). وفي اواخر عام ١٩٥٩ وقعت في المانيا الغربية ، كما في اماكن اخرى من اوروبا ، موجة من الحوادث ، مثل هدم شواهد القبور في المقابر اليهودية ورسم الصليب المعقوف على المعابد اليهودية . وقال رئيس البوندستاغ ، أوجين غيرشتنماير ، ان الذي دفع المشاكسين الشبان الى مثل هذه الامور ، وفقا لنتائج استقصاءات معينة ، هو تحريم بحث اي شيء يهودي وتضخيم انتشار اللاسامية . « انهم يعلمون تمام العلم ان اسهل طريقة لجعل المواطنين والرأي العام في منتهى العصبية هي باستفزازات في شكل اللاسامية »(٦١). وبسبب اختطاف ايشمان ومحاكمته في اسرائيل كانت المانيا الغربية مكشوفة للقوة الكاملة للدعاوة الصهيونية . لقد أعلن عن القبض عليه في ايار (مايو) ، ١٩٦٠ ، ودامت المحاكمة من الحادي عشر من نيسان (ابريل) الى آب (اغسطس) ، ١٩٦١ . وتعرض قراء الصحف ومشاهدو التلفزيون يوميا لتفاصيل عن فظائع النازيين ، وطرحت الاسئلة نفسها المرة تلو المرة : هل يعي الالمان ذنبهم ؟ هل تغيروا ؟ واوضح القصد الى حد كاف بأن الجواب بالايجاب يعتمد على اسهام الالمان في تقوية اسرائيل(٦٢).

لقد تأكد ان اديناور وبن غوريون عقدا صفقة

واضحة محددة : مقابل الاسلحة سيعترف بن غوريون (واعترف فعلا) بأن الجمهورية الاتحادية والرايخ الثالث هما شيئان مختلفان ، والى ذلك ، سيمتنع عن المطالبة بأن يشهد مستشار اديناور ، هانز غلوبكه ، الذي كان قد كتب تعليقا على القوانين العنصرية للاشتراكيين ، في محاكمة ايخمان(٦٣). لا توجد ادلة مباشرة على عقد صفقة كهذه . ولكن اذا اخذنا بعين الاعتبار ان الصهاينة كانوا في وضع مثالي للتهديد بالقوة ، فمن المحتمل تماما ان يكون الالمان تصرفوا على أمل أن يبقى الضغط ضمن حدود ما .

ومع انه كان للقرار وجوه كريهة بالنسبة الى الجمهورية الاتحادية — فهو يكلف اموالا ، والامر الاهم من ذلك ان يخلق المجازفة بأن تعترف الدول العربية بجمهورية المانيا الديموقراطية — فقد يكون انطوى الامر على شيء اكثر من ردة فعل للضغط. لقد كتب اديناور في مذكراته انه اعتبر انتشار النفوذ الشيوعي اهم اعتبار في سياسة الشرق الاوسط . وأكد ان الروس ارسلوا أسلحة الى هناك من أجل استعمالهم الخاص في المستقبل وانهم يعتزمون اقامة قاعدة يغزون منها اوروبا كلها بمعونة الحزبين الشيوعيين في فرنسا وايطاليا. ويدل على وجهة نظره المقطع الذي يبحث فيه الحرب ضد مصر عام ١٩٥٦ : فدوافع البريطانيين والفرنسيين لم تكن شريرة في الواقع ، ولم تكن فرنسا تقاتل للتمسك باحدى مستعمراتها ، فقد كانت الجزائر جزءا من فرنسا منذ اواسط القرن التاسع عشر . وقد ساند عبد الناصر الثورة بارسال أسلحة الى الجزائر . ولم يكن البريطانيون يحاولون خلق منطقة نفوذ استعمارية ، بل كانوا يحاولون منع عبد الناصر من الوصول الى مركز يستطيع منه قطع امدادهم من النفط . وكان ابرز واهم وجوه مشكلة قناة السويس تدخل الاتحاد السوفياتي . فالخطر السوفياتي الذي يهدد فرنسا وانكلترا هو الامر الاكثر هولا الذي حدث في التاريخ الدبلوماسي منذ وقت بعيد(٦٤). واشار ضمنا الى اهمية اسرائيل في هذا الترتيب للامور ، في ملاحظاته اللاحقة ، وهي ان العرب سيقفون الى جانب الاتحاد السوفياتي على الارجح ، اذا ما نشب نزاع بين الاتحاد السوفياتي والغرب .

أزمة العام ١٩٦٥

اذا انتقلنا الى الفترة بعد اكتشاف ان المانيا الغربية تعطي الاسلحة الى اسرائيل ، نصل الى ما يلي : في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ ، دعا الرئيس عبد الناصر فالتر اولبريخت ، رئيس مجلس دولة جمهورية المانيا الديموقراطية ، الى زيارة القاهرة . ويمكن لاحد حدثين وقعا في اواخر عام ١٩٦٤ ان يلقيا بعض الضوء على هذه الدعوة . اولا ، كان رئيس البوندستاغ ، غيرشتنماير ، قد قام بزيارة عبد الناصر واقترح عدم الاستمرار في تقديم المعونة العسكرية الى اسرائيل مقابل قبول مصر باعتراف المانيا الغربية باسرائيل ، ولكن لم يتم التوصل الى أي اتفاق . ثانيا ، كان الاتحاد السوفياتي قد وافق على مد المصريين بمعونة اقتصادية مهمة(٦٥). فصارت الدعوة الان قضية ملتهبة . وقال المستشار ايرهارد ان ظهور اولبريخت في القاهرة سيؤثر تأثيرا خطيرا في العلاقات بين الجمهورية الاتحادية ومصر . ورد عبد الناصر مهددا بالاعتراف بجمهورية المانيا الديموقراطية ، اذا ما ارسلت المانيا الغربية المزيد من الاسلحة الى اسرائيل . وفي الثاني عشر من شباط (فبراير) ، ١٩٦٥ ، اعلن ايرهارد ان حكومته قد قررت التوقف عن مد مناطق التوتر بالاسلحة . وقال ايضا انه يرغب في التعويض على اسرائيل بطريقة غير عسكرية عن الاسلحة التي يلغيها .

من السهل تفسير وقف المعونة العسكرية بالفرضية التي كنت أبسطها . فجميع انواع الدعم التي كانت اسرائيل تتلقاها من المانيا الغربية قد اعطيت على امل تلقي شيء في المقابل ، وهو المساعدة في تحقيق عدد من الاهداف السياسية والاقتصادية ، واحد اهمها عزل المانيا الشرقية. ولكن في هذه الحال تبين ان الدول لم تكن تمنع من الوصول الى الجانب الخطأ من السياج الالماني ، بل كانت تدفع فوقه دفعا . ولتجنب وقوع كارثة كان على الالمان الغربيين ان يوقفوا هذا التكتيك . واعتقدوا ، على الارجح ، ان ثمن التراجع سيكون معقولا . وبما ان الغاية الرئيسية للولايات المتحدة — وهي اخفاء دورها عن العرب — كانت قد فشلت ، فهي لم تمانع كثيرا ، على ما يبدو ، في ملء الثغرة التي تركها الالمان . وستكون

ردة فعل الصهاينة مريرة ، بالطبع. ففي ذلك الحين كان قد سبق لهم أن اوقدوا النيران نظرا لتمنع حكومة المانيا الغربية عن مقاضاة مجرمي الحرب لجرائم ارتكبوها لاكثر من عشرين سنة خلت(٦٦). الا ان الالمان الغربيين قد يكونون افترضوا ان مبلغا كبيرا من المال يدفعونه لاسرائيل من شأنه ان يدرأ عنهم الكثير من الضربات العنيفة الموجهة اليهم في وسائل اعلام البلدان الغربية الاخرى . والى ذلك ، فان لا الاحزاب السياسية ولا الصحف في المانيا الغربية حثت الحكومة على وقف التورط بالاسلحة(٦٧).

بعد مرور وقت قصير على وقوع الاحداث السالفة الذكر ، اقحمت المانيا الغربية نفسها من جديد في النزاع الفلسطيني . ففي السابع من اذار (مارس) ، ١٩٦٥ ، اعلنت الحكومة عن عزمها على اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل . كما أنها قررت عدم تقديم اية قروض او معونات فنية اخرى للجمهورية العربية المتحدة وعدم ضمان أية قروض قد يرغب رجال الاعمال الالمان في تقديمها للجمهورية العربية المتحدة .

وقال ايرهارد : « كان السبب الوحيد لعملنا هذا هو دعوة الرئيس المصري لاولبريخت » . وأكد ان الزيارة ، التي دامت من الرابع والعشرين من كانون الثاني (يناير) الى الثاني من شباط (فبراير) ، كانت « بمثابة اعتراف امر واقع بنظام بانكوف » . « ولا يسع أمة تناضل من أجل اعادة توحيد نفسها وتقرير المصير الذاتي ان ترضى بذلك ببساطة دون ان تفعل شيئا بشأنه ... لقد عزز (أي عبد الناصر) القضية الشيوعية كذلك »(٦٨). واعرب احد المعقبين عن الرأي بأن شيئا اخر قد دفع بون الى الاعتراف باسرائيل . فقد عرضت نفسها للهزء عن طريق أنهاء صفقة الاسلحة دون الحصول على تنازل مماثل من الجانب العربي وشعرت الان انها مضطرة الى استعادة اعتبارها(٦٩).

ولو اكتفى ايرهارد بقطع العلاقات الدبلوماسية بالجمهورية العربية المتحدة ورفض تقديم المزيد من المعونة لها ، لما كانت عقوباته في الواقع اكثر من مجرد تطبيق لمبدأ هالشتاين . لكن قرار الاعتراف باسرائيل لا ينطبق انطباقا تاما على هذا الترتيب للامور . ولا يجب المبالغة في أهمية تأكيد ايرهارد الواضح بأن القرار كان ردة فعل على اعتراف القاهرة ، اعتراف امر واقع بجمهورية المانيا الديموقراطية ، وكونه اعلن مع القرار المتعلق بالمعونة الاقتصادية . فالامر اللافت للنظر هو ان الاعتراف باسرائيل تخطى التهديد الاصلي لمبدأ هالشتاين — وبالفعل ، فان هذه الضربة الجامحة لم تصب الذي انتهك مبدأ هالشتاين فحسب بل أصابت ايضا الدول العربية الاخرى والفلسطينيين — علما بأن شيئا لم يكن يشير ظاهريا الى أن تصعيد مبدأ هالشتاين كان ضروريا لمنع قيام مبادرات محتملة اخرى نحو جمهورية المانيا الديموقراطية . وفي ما يتعلق بتأثير هذا الاجراء على استعداد الدول العربية للاعتراف بجمهورية المانيا الديموقراطية ، فمن الواضح انه تم التخلي عن ثقل موازن مهم .

التفسير الاخر — ان ايرهارد سعى الى استعادة اعتبار مفقود — يبدو صحيحا ، ولكنه يحتاج الى توضيح : فحتى السادس من اذار (مارس) كانت المداولات في الحكومة تدور ، على ما يبدو ، حول مسألة ما اذا كان على الجمهورية الاتحادية ان تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة . وكان ايرهارد وعدة وزراء يؤيدون قطع العلاقات . ووقف الموقف نفسه كل من راينر بارزل ، زعيم الاتحاد الديموقراطي المسيحي والاتحاد الاجتماعي المسيحي في البوندستاغ وفالتر هالشتاين . وعارض قطع العلاقات وزير الخارجية ايرهارد شرويدر ووزراء الحزب الديموقراطي الحر ،الذي كان الحزب الاصغر في الائتلاف الحكومي . واوصى سفراء فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة باخلاص ان تحافظ الجمهورية الاتحادية على مركزها في القاهرة(٧٠). وليس واضحا الى اي حد لعبت مسألة الاعتراف دورا في هذه المسألة(٧١). وفي السادس من اذار (مارس) راح بارزل ، الذي كان قد عاد لتوه من الولايات المتحدة حيث تحدث مع زعماء حكوميين وصهاينة ، يدعو الان الى حل اقوى — ان يصار الى الاعتراف باسرائيل . وأعلن ايرهارد عن قراره في صباح اليوم التالي(٧٢). وهكذا يبدو ان التأثير الحاسم جاء من الولايات المتحدة والصهاينة . وما لا ريب فيه ان هذه الخطوة أعادت الاعتبار لايرهارد بنظرهم .

ولا نعرف ما هي الحجج التي واجهت بارزل في الولايات المتحدة . ومع ان الاعتراف باسرائيل من شأنه ان يزيل عقبة مهمة من طريق اعتراف ممكن في المستقبل من قبل الدول العربية بجمهورية المانيا الديموقراطية ، فقد كان من غير المحتمل ان تتخذ أي منها هذه الخطوة في ذلك الحين . فالمسألة ستعالج ضمن اطار الجامعة العربية حيث ستبدي الدول الكثيرة المحافظة والموالية للغرب مقاومة شديدة . وستقبل جميع الدول العربية تقريبا بوجهة عمل بديلة ، وهي قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية الاتحادية(٧٣). ولا بد ان يكون الاميركيون قد قدموا تأكيدات بأنهم سيمارسون نفوذهم في الشرق الاوسط واماكن اخرى لمصلحة الجمهورية الاتحادية حول المسألة الالمانية ، ولكنهم اوضحوا كذلك ان الاعتراف باسرائيل هو ثمن البقاء تحت المظلة الاميركية .

ويطرح السؤال الان حول اهمية ودلالة هذه الاحداث بالنسبة الى ميزان القوة في النزاع الفلسطيني . فالاعتراف باسرائيل حمل معه قطع العلاقات الدبلوماسية بين الجمهورية الاتحادية والدول العربية (باستثناء تونس والمغرب وليبيا)، ودام قطع العلاقات سبعة اعوام . ومما لا ريب فيه أن انعدام وجود علائق دبلوماسية أخر أية اعادة نظر في القرار ضد المزيد من المعونة الاقتصادية للتنمية (الذي لم يؤثر في الجمهورية العربية المتحدة فحسب ، بالطبع ، بل أثر في جميع الدول التي قطعت علاقاتها مع بون) . والذي خسرته هذه الدول بصورة مطلقة وبالنسبة لاسرائيل لا يمكن الا تقديره على وجه التقريب . فمنذ عام ١٩٥٠ كانت الدول المتورطة مباشرة في النزاع مع اسرائيل قد تلقت على وجه التقريب المبالغ التالية من المال (في ملايين الماركات الالمانية)كقروض او معونة فنية : مصر ٣٦٧ ، الاردن ١٠٧ ، سوريا ٣١(٧٤). وجرى تقديم الجزء الاعظم من المساعدة الى مصر في عام ١٩٦٣(٧٥). وكانت الجمهورية الاتحادية ايضا قد ضمنت قروضا خاصة لمصر بلغت حوالي ٥٥٠ مليون مارك الماني(٧٦). ومنح اللاجئون الفلسطينيون نحو ٢٢ مليون مارك الماني بين عام ١٩٥٢ ونهاية عام ١٩٦٨ . وبدءا من عام ١٩٦٩ تلقوا نحو ١٠ ملايين مارك سنويا(٧٧).

والى جانب دفع ثلاثة بلايين مارك الى اسرائيل بين عام ١٩٥٣ وربيع عام ١٩٦٦ ، اعترفت الجمهورية الاتحادية بأنها اعطت اسرائيل نحو ١٤٠ مليون مارك سنويا في شكل قروض منذ عام ١٩٦٦ . ولكنه أثبت ان اسرائيل ، في هذه الفترة ، تلقت ما لا يقل عن ٦٠ مليون مارك الماني سنويا(٧٨). وترفض الحكومة الالمانية تقديم المزيد من المعلومات حول المعونة الى اسرائيل . وقد ردت وزارة التعاون الاقتصادي على الطلب الذي تقدمت انا به للحصول على المزيد من المعلومات بالكلمات التالية : « لا أستطيع ان اعطيك أية أرقام حول المعونة الاقتصادية او غير الاقتصادية لاسرائيل ، وبالنظر الى شكلها والى الاوضاع الخاصة في العلاقات بين الجمهورية الاتحادية واسرائيل ، فانها لن تتيح المجال لمقارنة مباشرة (مع المعونة للعرب) على أية حال »(٧٩).

ولا شك ان الفرق في المبالغ المعطاة للجانبين حتى عام ١٩٦٥ كان كبيرا الى حد أن مواصلة المعونة للعرب فيما بعد ما كانت لتؤثر كثيرا في الفرق بوجه عام(٨٠). كما لا يمكن الافتراض بشكل قاطع بأن المعونة الراهنة للعرب تدنو من المنح الراهنة لاسرائيل ؟ واخفاء حكومتي المانيا الغربية واسرائيل لحقائق مهمة من شأنه الا « يتيح المجال لمقارنة مباشرة » ، ولكنه سبب وجيه للاعتقاد بأن شيئا ما يحجب الان وهو سيزعج العرب ازعاجا خطيرا اذا ما أميط اللثام عنه .

وسأتناول في القسم التالي نتائج محتملة اخرى للاعتراف باسرائيل ولقطع العلاقات مع العرب .

حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧

في ذروة الازمة في الشرق الاوسط وقفت الجمهورية الاتحادية مع اسرائيل فبعدما هاجمت القوات العسكرية الاسرائيلية وغزت اراضي عربية كبيرة ، اعادت المانيا الغربية تأكيد رأيها ان اسرائيل على حق . وفي الحادي والثلاثين من ايار (مايو) قال وزير الخارجية فيللي برانت : لسنا مع الحلول من جانب واحد بل مع الحلول التعاقدية ، ولسنا مع استخدام القوة بل مع نبذ القوة . لهذا السبب تتخذ الجمهورية الاتحادية الموقف بوجوب صيانة مبدأ حرية البحار. وان مصالح اسرة الامم تنتهك عندما تقاطع او

تدمر الانجازات السلمية في بناء (الدولة) . وينطبق هذا على اسرائيل كما ينطبق على الدول الاخرى . وفي الثالث من حزيران (يونيو) أعلن برانت انه يفعل كل ما في وسعه لمنع انـــدلاع الحرب : « ان جميع قوى هذا العالم التـــي تسعى الى المحافظة على السلام وعلى الحلــول السلمية والعادلة للنزاعات ستجد فينا حلفـــاء مخلصين واكيدين »(٨١). وفي اليوم ذاته سلمت الحكومة ٢٠ الف قناع غاز للاسرائيليين الذيـن كانوا ينتظرون في طائرتهم في فرانـكفورت قــرار الالمان حول الطلب الاسرائيلي .

خلال احدى جلسات البوندستاغ التي عقدت في السابع والعشرين من حزيران (يونيو) ، اعرب عدة زعماء غربيون عن رأيهم في الحـــرب . فالمستشار ، جورج كيسنغر ، شجب حكومـــة جمهورية المانيا الديموقراطية: « بالنظر الى التاريخ الاخير لشعبنا فانه أمر مأساوي حقا ان حكام الجزء الاخر من المانيا يحاولون زيادة حدة النزاع عــن طريق سلوك غير مسؤول قطعيا . ومن الواضح انهم يفعلون هذا ... للحصول على المزيد مــن الاعتراف »(٨٢).

لا بد ان يكون السلوك الالماني الشرقي الذي أشار اليه كيسنغر هو شجبها اسرائيل لبدئهـــا الحرب ومطالبتها اسرائيل بسحب قواتها مــن الاراضي المحتلة . وتحدث برانت عن « اقتناعي الشخصي ، الذي لا شك في أن اخرين يشاركوني فيه ، بأن عدم تدخلنا وبالتالي حيادنا بالمعنــى الذي يعطيه اياه القانون الدولي ، لا يمكن ان يعني اللامبالاة المعنوية او عدم الاكــتراث »(٨٣). كما أنه من المهم هنا ايراد اقوال زعماء الحزب الديموقراطي الاشتراكي والاتحــاد الديموقراطــي المسيحي ــ الاتحاد الاجتماعي المسيحي فــي البوندستاغ ، اذ أن هذه الاحزاب كانت تشكل الحكومة الائتلافية . فقد قال هيلموت شميت ، من الحزب الديموقراطي الاشتراكي:«لقد أصبنا بصدمة عميقة باندلاع الحرب ، التي كان يجري التحضير لها بصورة منظمة منذ شهور . وبقدر ما نتعلق بصداقتنا التقليدية مع الشعوب العربية علينا أن نحتج على نية زعمائها لتدمير اسرائيل ، اننا نعيد الى الذاكرة ان خلق هذه الدولة قد شاءه واقره قرار من الامم المتحدة . لقد نجح هذا الشعب في ايجاد ديموقراطية . وليس لدينا شك حــول رغبته في نمو دولته نموا سلميا ، ولا يسعنا ان نسمع التهديدات الموجهة ضد وجود هذه الدولة والتهديدات المعبر عنها علنا وبصورة سافرة لتدمير هذا الشعب دون عطف عميق . ومن الواضح ان الاتحاد السوفياتي يستخدم الازمـــة في الشرق الاوسط لاقامة جبهة توتر ثانية ضـــد الولايـــات المتحدة بريح فيتنام الشمالية . واذا ما طــرأ المزيد من التطورات على هذه الامور ، فقد يخرج ... الاتحاد السوفياتي من الدردنيل الى البحر المتوسط وعن طريق الخليج العربي الى المحيــط الهندي . من الواضح تماما ان عددا من الدول العربية في الايام العدة الاخيرة قد وقعت اكثــر فاكثر تحت النفوذ السوفياتي ... والامر المحفوف بالخطر هو تقويض المركز النفسي ــ السياسي للتحالف الغربي . وكل تغير في ميزان المصالــح الالمانية يؤثر في الامن الالماني . كذلك الامر ، فان كل تغير في الميزان لغـير مصلحة الولايـــات المتحدة يهدد المحافظة على نظام الدفاع الغربــي بالخطر . انا على يقين من أن واشنطن تدرك تمام الادراك التضمينات العالمية النطاق لازمة الشرق الاوسط ... في هذا الوضع تتحـــول انظــار الاوروبيين وانظار الالمان وهي مفعمة بالامل ولكن ملؤها الثقة أيضا نحو الرئيس الاميركي » . وقال رينر بارزل من الاتحاد الديموقراطي المسيحي ــ الاتحاد الاجتماعي المسيحي : « ان اسرائيل هي دولة تعترف بها الامم المتحدة . وسيتساءل بعض جيران اسرائيل الان عما اذا كانت قيادتهم صالحة عندما دعا زعماؤهم الى تدمير اسرائيل واتاحوا الكثير من المجال للنفوذ الاجنبي ــ وعما اذا كان العرب بحاجة الى توسل الاسلحة لحل مشكلاتهم. لن أقرأ بصوت مرتفع مجموعة الاستشهـــادات المذهلة من الصحف الالمانية التي اوضحت النيــة التدميرية ... واننا جميعا نعي وجود معـــاهدة لمنع ومعاقبة وابادة الاجناس ... وموقفنا هو موقف القانون الدولي ــ بالا يضطر احد الــى التصرف دفاعا عن النفس(٨٤).

يصعب علينا تصديق ان المانيا الغربية وقفت الى جانب اسرائيل احتراما منها لحرية البحار او لتصورها ان الاسرائيليين يتوقون دوما الــى السلام وانهم يقاتلون من أجل وجودهم في حين ان العرب المتعطشين للدماء يريدون الغزو ، وحتى

ابادة الاجناس. ولما كانت الحكومة الالمانية الغربية على اتصال متواصل مع الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا بالاضافة الى خبرائها هي منذ بداية الازمة[٨٥]، فلا بد وان تكون علمت بالاستفزازات الاسرائيلية التي سببت اعلان الرئيس جمال عبد الناصر عن الحصار البحري وخطة التسوية التي كانت ستضمن استمرار امدادات النفط لاسرائيل، ولكن اسرائيل رفضتها. ولا ريب في انها كانت على علم بأن حكومة اسرائيل تصر على مرور السفن الاسرائيلية عبر مضائق تيران، مع أن حركة المرور هذه لم تكن بالغة الاهمية لتجارتها[٨٦]. لماذا طلب الاسرائيليون اقنعة الغاز من الالمان؟ كان هذا تذكيرا فظا بالماضي الالماني، يهدف الى اخضاع الالمان الغربيين بغية اكراههم على اتخاذ موقف عاطفي متحيز لمصلحة اسرائيل. وكانت حكومة المانيا الغربية تدرك ذلك وتدرك ان هجوما اسرائيليا كان متوقعا، وان هجوما من العرب كان غير محتمل على الاطلاق وان الاخيرين، خوفا من قوة الانتقام الاسرائيلية، لن يكونوا من التهور بحيث يستخدمون الغاز ضد اسرائيل، حتى في حال الدفاع عن النفس.

ان الاسباب المعروفة التي كانت قد اثرت في الموقف الالماني الغربي من المسألة الفلسطينية منذ البداية سهلت امر التغاضي عن هذه الحقائق ومماشاة خدعة اقنعة الغاز. صحيح ان المانيا الغربية كانت في سبيل تغيير علاقتها بالشرق في ذلك الحين وبالتالي تلامس سبب اعتمادها الزائد على الولايات المتحدة واسرائيل. ففي عام ١٩٦٦ عرضت الحكومة الائتلافية الجديدة ان تقيم علاقات دبلوماسية مع دول اوروبا الشرقية وان تعقد معها معاهدة تعترف فيها المانيا الغربية رسميا بالحدود القائمة. وبحلول اواسط عام ١٩٦٧ كانت قد أقامت علاقات دبلوماسية مع رومانيا ويوغوسلافيا ووقعت معاهدة تجارية مع تشيكوسلوفاكيا. وعرضت الحكومة الائتلافية فرصا طيبة للتجارة على الالمان الشرقيين، ولكنها لم تتخل عن ادعائها تمثيل جميع الالمان. ولم يكن الاتحاد الديموقراطي المسيحي ـ الاتحاد الاجتماعي المسيحي قد تخلى عن موقفه من انه ينبغي على الغرب ان يفرض اعادة الوحدة على النظام الالماني الشرقي. وكان للحزب الديموقراطي الاشتراكي رأي مختلف، ففي آب (اغسطس) عام ١٩٦٧ تكلم برانت عن جمهورية المانيا الديموقراطية بوصفها دولة. ولذا فانه ليس واضحا ما اذا كانت الرغبة في ابقاء جمهورية المانيا الديموقراطية معزولة من شأنها ان تدفع حكومة المانيا الغربية مع هذا الى التحول نحو الولايات المتحدة للمساعدة. ومهما يكن من أمر فقد كانت الجمهورية الاتحادية تعتمد على الولايات المتحدة من اجل تسوية مؤاتية لمسألة برلين. والى ذلك كان حجب الولايات المتحدة ودول اخرى اعترافها تكتيك مساومة واضحا لاحراز تنازلات في ما يتعلق ببرلين.

وكما قلت سابقا، فان الميل المتزايد نحو « الانفكاك » بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في اوروبا اثار خوف الالمان الغربيين من أن تحالفهم مع الولايات المتحدة سيكون قليل الفائدة ضد الاتحاد السوفياتي وجمهورية المانيا الديموقراطية. وفي اوائل عام ١٩٦٧ أعطت الولايات المتحدة تأكيدات بأنها لن تسحب ايا من قواتها من اوروبا دون الحصول على تنازل مماثل من الاتحاد السوفياتي، ولكن كان من المتوقع ان تثار هذه المسألة من جديد وبقيت الشكوك حول التأييد الاميركي لهذه القضية وغيرها من القضايا[٨٧]. ويعكس هذه المصلحة الاساسية توق هيلموت شميت الى تفسير الاحداث في الشرق الاوسط، على أنها تهديد للحلف الغربي، ودعوته الى تحرك القيادة الاميركية ضد العدو المشترك. ونظرية « الجبهة الثانية، غير صحيحة[٨٨]، ولكن كان لها فضل الانسجام مع تحيزه الاساسي »[٨٩].

أحد الاسباب الاخرى للموقف الالماني الغربي من حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قد يكمن، على ما يبدو، في اعترافها باسرائيل وعلاقاتها المقطوعة مع الدول العربية. فما أن دخل السفير الاسرائيلي الحقل الدبلوماسي في بون حتى اتيحت له كل فرصة لان يراه ويسمعه السياسيون المطيعون والممونون الموترون للانباء اليومية واستغل هو هذا الامتياز استغلالا تاما. ولكن بما ان الحكومة الالمانية كانت قدمت تأييدا قويا للجانب الاسرائيلي عندما كانت الحالة المتعلقة بالعلاقات الدبلوماسية معكوسة تماما، لذا فالقول بأن وجود السفير الاسرائيلي في بون وغياب نظير عربي له فيهما

اسهما في وقوف المانيا الغربية هذا الموقف هـــو مجرد افتراض ليس الا . كما لا توجد لدينا دلائل تظهر ان المحافظة على علاقات دبلوماسية مــع الدول العربية كانت ستخلق بين الالمان الغربيـــين توقعات اقتصادية تدفع حكومتهم الى ضبط نفسـها ابان النزاع في الشرق الاوسط .

ربما كانت وسائل الاعلام في المانيا الغربيـــة احد الاسباب التي أسهمت في بيانات الحكومة المؤيدة لاسرائيل . فقد دافعت هذه البيانات عـــن الاسرائيليين وشجعتهم في كل مرحلة من مراحل النزاع . وكـــان الالمان لا مبالـــين بمصالـــح الفلسطينيين والعرب الاخرين ولا يحسون بآلامهم . ولذا كانت المقابلات تعقد مع الاسرائيليين وحدهم ، وتطرح عليهم أسئلة استدراجية رئيسية تهـدف الى وضع الاسرائيليين في أفضل ضوء ممكن . اما تقارير الوكالات الجامعة للانباء التي تظهر في الصحف الرئيسية وتكون لغير مصلحة اسرائيل فكانت تكشفها الافتتاحيات والتعليقات والصـــور والرسوم الكاريكاتورية والتقارير العاطفية التـــي تخلق انطباعات مضللة للحقائق . وكانت تقـــارير الامم المتحدة تلقى الاهمال . وشجعت وسائـــل الاعلام الالمانية الغربية الهستيريا حول كوارث وشيكة (تحل بالاسرائيليين) وكانت جميعها فـــي الواقع ادعاءات باطلة(٩٠). وبالنظر الى تأييد وسائل الاعلام تأييدا عاطفيا جامحا لاسرائيل ، فقد وجدت الحكومة سببا اخر يجعل خدعتها فـــي الشرق الاوسط مهمة مريحة .

مذكرة الاسرة الاقتصادية الاوروبية حول الشرق الاوسط

في الرابع عشر من ايار (مايو) عام ١٩٧١ وافقت الاسرة الاقتصادية الاوروبية على اقتراح مشترك لحل نزاع الشرق الاوسط . وجوهـــر المذكرة هو الطلب بأن تنسحب اسرائيل الـــى حدود ١٩٦٧ ، باستثناء تعديلات ثانوية للحدود وتدويل القدس ، وقد تأكد الان ان وزير الخارجية الالمانية ، فالتر شيل ، تراجع عن هذا الاتفاق في تموز (يونيو) التالي اثنـــــاء وجوده فـــي اسرائيل(٩١). ومما لا ريب فيه ان ردة فعـــل الاسرائيليين للدور الذي لعبه الالمان في الاقتراح الاوروبي كانت مريرة . ولا شك ايضا في أن ما فعله الاسرائيليون لشيل كان يكفي لجعل رجل قوي يندم . مثال ذلك قام كبير المدعين العامين الاسرائيليين في محاكمة ايخمان ، جدعون هاوزنر، بقيادة شيل عبر متحف تعرض فيه وثائق الفظائع الالمانية ضد اليهود ، ثم قال في خطاب له هناك: « ان الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الالمان التفكير هي في المشاركة بنشاط في بحث اسرائيل عن الامن . وعليكم ان تتركوا لنا الحكم حـــول افضل الطرق لضمان بقائنا. ونفترض بأنكم سوف تؤازروننا في كل وجه من وجوه الشؤون الدولية حيثما تجتمعون انتم وزملاؤكم . وهذا ما ننتظره منكـــم » .

وفي الرد على هذا الخطاب لم يقل شيل علنا وبصورة واضحة محددة ان علـــى الاسرائيليين الانسحاب من الاراضي المحتلة . بـــل شدد على الاعتقاد بأن للبلدان الاوروبية الغربية مصلحة شرعية في مساعدة الفرقاء على حل نزاعهم(٩٢). وفي مناسبة اخرى خلال زيارته لاسرائيل ، يبدو انه أعرب عن الرأي بان اتفاقا بين الفرقـــاء المتنازعين ضروري لايجاد تسـوية(٩٣).

ويبدو كل هذا وكأنه فرار الى الغموض وليس مناقضة صريحة للمذكرة . فالقول بأن اتفاقا بين فرقاء النزاع لا بد منه لا ينطوي فقط على المعنى الذي يفكر فيـــه الاسرائيليون : وهو وجـــوب اغلاق الباب في وجه تأثير فريق ثالث ، بل يمكن فهمه ايضا بمعنى اوسع ، بما في ذلك مشاركة الاخرين في الوصول الى اتفاق . وحينما طلب من شيل أن يبحث هذا الموضوع في الحـــادي والثلاثين من ايار (مايو) عام ١٩٧٣ ، احيط الموضوع بكثير من الضباب الدبلوماسي ، ولكنه أفسح المجال لبروز نقطتين اثنتين — ان على فرقاء النزاع التوصل الى حل وان الجمهوريـــة الاتحادية تشارك في الرأي الاوروبي الغربي في ما يتعلق بالتفسير الصحيح لقرار مجلس الامن الصادر في الثاني والعشرين من تشرين الثـــاني (نوفمبر) عام ١٩٦٧ . ومن المهم ان نلاحظ أيضا انه في رده على الطلب الفرنسي بتوضيح موقفه ، انكر ان يكون تخلى عن وجهة النظر الاوروبية الغربية(٩٤). وقـــد يكون القصد مـــن انعدام الصراحة التامة بعد اتخاذه موقفا فـــي البداية هو كبح موجة فورية من المقاومة وكذلـــك كسب الوقت ، فيما تستقر الفكرة المشؤومة وتفقد مصداقيتها . وفي كلا الحالين فان المانيا الغربيـــة

لم تؤكد مجددا بشكل واضح جوهر هذا الموقف الى ان ازدادت صعوبة مقاومة النداءات العربية نتيجة لتحول مفاجىء طرأ على الاحداث في ايار (مايو) عام ١٩٧١ .

ويبدو ان الامور التالية هي سبب الموقف الالماني الغربي ضد اسرائيل . باديء ذي بدء ، كان لديها ما يدعوها الى الخوف من أن جزءا جوهريا من امداد نفطها في المستقبل سيعتمد على رضا الدول العربية وليس فقط على حاجتها الى بيع النفط . وبحلول هذا الوقت كان سوق المشترين قد تحول الى سوق بائعين واضحت الولايات المتحدة من اهم مشتري النفط . وكان ثمة ما يشير الى ان بلدان النفط ستسيطر سيطرة كبيرة على الانتاج والتوزيع وقد تميز بين المشترين . ولا بد ان يكون هذا كله قد اقنع الالمان الغربيين بفعل شيء مؤثر في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية قبل فوات الاوان . ثانيا ، كانت المانيا الغربية تحث الاعضاء الاخرين في الاسرة الاقتصادية الاوروبية على اتخاذ موقف مشترك حول المسائل السياسة الاقتصادية ، وكانت انكلترا ، « التي صار دخولها الاسرة متوقعا »، وفرنسا قد سبق لهما ان اتخذتا موقفا بات مجسما في المذكرة . وقد يكون ان النقد الذي وجه بالاجماع تقريبا الى تصلب اسرائيل ، والذي اعرب عنه رجال الدولة في الامم المتحدة واماكن اخرى ، ترك تأثيره في الزعماء السياسيين للجمهورية الاتحادية ايضا . ثالثا ، بما أن الجمهورية الاتحادية لم تكن الا احد المشتركين في « قرار اوروبي غربي » ولا تقوم بمبادرة منفردة ، فقد تكون اعتبرت نفسها مصانة بعض الشيء ضد تهمة ان الواجب يحتم عليها اما تبني الموقف الاسرائيلي او السكوت . رابعا ، بالنظر الى ان المذكرة قالت تقريبا نفس الشيء الذي قالته خطة روجرز ، التي كانت ما تزال تمثل الحل الاميركي الرسمي رغم أنها لم تنل اكثر من تأييد شفهي كاذب ، فقد كان بوسع الالمان الغربيين الافتراض بأن لا داعي لهم للخوف من هذه الناحية .

أحد الاسباب المسهمة المحتملة الاخرى يتعلق بقدرة الصهاينة على التدخل في اهداف المانيا الغربية . اذ يبدو ان هذه القدرة تضاءلت الى حد كبير ، فقد اكتسب الاقتصاد الالماني الغربي قوة وضمانة عظيمتين في اواخر الستينات وصارت الاسواق الجديدة وفرص التثمير متوافرة في الشرق بعدما تخلت الجمهورية الاتحادية عن مطالبتها بالاراضي الشرقية في معاهدة موسكو لعام ١٩٧٠ . ولذا فان تقارير الانباء في الولايات المتحدة بان « رجال الاعمال الاميركيين » يهددون بمقاطعة الشركات الالمانية بسبب الخلافات بين الحكومتين الاسرائيلية والالمانية الغربية قد فقدت الكثير من قوتها على ما يبدو . فقد كانت حكومة المانيا الغربية تتعامل الان مع جمهورية المانيا الديموقراطية كدولة ، متخلية بالتالي عن ادعائها تمثيل الالمان الشرقيين ، علما بأن المعاهدة المتعلقة بهذه المسألة لم توقع حتى تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٢ . وقد طلبت الجمهورية الاتحادية من الدول الاخرى عدم الاعتراف بالنظام الالماني الشرقي في الوقت الحاضر اذ ان عدم الاعتراف هذا قد يكون زودها بامتياز للمساومة في المفاوضات مع جمهورية المانيا الديموقراطية فيما يتعلق ببرلين، الا انها لم تمارس اي ضغط او تنقل بأية طريقة اخرى الفكرة بأن الامر ينطوي على أي شيء ذي اهمية حاسمة . ومن الناحية الاخرى استمرت الجمهورية الاتحادية تعتمد على الولايات المتحدة للمساعدة في مسألة برلين ومن اجل الدعم العسكري ، بما في ذلك تركيز قوات في المانيا الغربية .

واخيرا ، كان اليسار في المانيا الغربية قد حطم التحريم ضد أي انتقاد لاسرائيل وطالب بفعل شيء ما حول الفلسطينيين والضحايا العرب الاخرين للتوسع الاسرائيلي . لننظر الان في بعض تاريخ هذه الحركة . لدى اندلاع حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت ثورة طالبية قد قامت في المانيا الغربية منذ بضعة أشهر . وكان في أساس الحركة اصلاح جامعي في اتجاه مشاركة اكبر لاعضاء عمدة الجامعة من غير الاساتذة ، وللطلبة والعمال في القرارات المؤثرة في الجامعة ، لكن جماعات طالبية مهمة كانت قد كرست نفسها كذلك للمثال الاشتراكي بالنسبة الى المجتمع كله واتخذت مواقف قوية حول احداث في ايران والكونغو واماكن اخرى . ولم يندد بالهجوم الاسرائيلي على الفور الا جزء صغير من الجماعات اليسارية . لكن المناقشات اطلقت كسلسلة من المفرقعات النارية وخلال الاشهر

التالية صارت جميع هذه الجماعات تتقاسم موقفا انتقاديا مشتركا من التوسعية الاسرائيلية والعطف على الفلسطينيين . واقامت علاقات وثيقة مع منظمات الطلبة والعمال الفلسطينيين . وأسست « سبارتاكوس » ومنظمات طالبية من اليسار الجديد بضع لجان فلسطينية . وقد نفذت هذه الافكار الجديدة الى الحزب الديموقراطي الاشتراكي بواسطة « الاشتراكيين الشبان » . وفي صيف عام ١٩٦٩ حاول الاسرائيليون ، الذين كان يخيفهم هذا الارتداد ضمن صفوفهم بالطبع ، ان يوقفوا التيار بتنظيم سلسلة من المناسبات التي يظهر فيها سفيرهم في الجامعات . وكانت نتيجة خطبه في الجامعات الثلاث الاولى هي الفشل التام . فوفقا للتقارير الصحافية استقبل الطلبة الالمان والعرب والاسرائيليون المنتمون الى جماعة ماتزبن السفير بأصوات الازدراء والاستهجان والهتافات المضادة وضرب الارض بأخمص الاقدام . وكان عليه أن يتخلى عن خطبه المحضرة ويشترك في نقاشات حامية تناوب هو وزعماء الطلبة فيها على الوقوف وراء الميكروفون . وقوبلت اقواله بالهزء . ولم تورد الصحف شيئا عن المجادلات التي حصلت .

وبعد هذه المواجهات قال السفير الاسرائيلي ان معاداة العرب واليساريين للصهيونية ما هي الا « لاسامية مستترة »(٩٥). وكانت وسائل الاعلام على اتفاق تام معه . فقد وصفت الطلبة بأنهم « ورثاء ادولف هتلر » ، لانهم منعوا بن ناتان من ممارسة حقه في حرية الكلام . وفي محاولتهم « اسكاته » . استخدموا « أساليب جنود العاصفة »(٩٦).

لقد نعت سفير اسرائيل ، التي تقاتل من اجل حياتها ، بالفاشية ، ومن الواضح ان صراخ الاحتجاج ضد الصهيونية كان تمويها . فهذه الكلمة في نظر هؤلاء الشبان يمكن استخدامها بحرية كمرادف لـ « الرأسمالية » و« الامبريالية » و« الفاشية » ... وهذا يكفي لتهجير المرء . يا له من توق شيطاني لاتهام الجانب الاخر دوما بالدوافع الرديئة ، لوضعه في قفص الاتهام وضربه والبصق عليه بالسم ! والنرجسية ، وفرحة الانتصار بسفاح القربى بعد الفعلة الناجحة — اجل ، اسوأ الانحرافات الالمانية . ومن هذه الخيلاء الهائجة ، وهي غير ناجمة الا عن القصور ، تما شيء لا بد من تسميته ، على وجه الدقة ، بالفاشية(٩٧).

في أعقاب هذه الاحداث دعت بن ناتان منظمة طالبية محافظة هي حلقة الطلاب الديموقراطيين المسيحيين وعدة جماعات أخرى للتحدث الى جمهور اختير بعناية(٩٨). وترك الجمهورية الاتحادية في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٦٩ . واعطي خلفه، ايضا ، فرصة كافية ليسرد روايته هو للاحداث دون خوف من التكذيب . لكن الايام التي كان سفير اسرائيلي يستطيع فيها ان يدعو الجمهور عامة الى الاستماع اليه وهو يتحدث ويكون واثقا من وجود جمهور من المؤمنين الحقيقيين قد ولت . لقد كانت وسائل الاعلام ما تزال بوجه الاجمال موالية لاسرائيل ، لكن عدد حالات الخروج عن هذا الخط كان قد ازداد . ومع ان ايا من السياسيين البارزين لم يناصر القضية الفلسطينية علنا ، فان الادراك الجديد كان حاضرا في هذه الاوساط أيضا .

معاملة الرهائن

بعدما اقتحم فدائيو ايلول الاسود مكان اقامة الوفد الاسرائيلي الى الالعاب الاولمبية ، فقتلوا اثنين من أعضاء الوفد واخذوا تسعة اخرين كرهائن هددوهم بالقتل ما لم تطلق اسرائيل سراح مئتي سجين فلسطيني ، سألت حكومة المانيا الغربية الحكومة الاسرائيلية اكثر من مرة ما اذا كانت ستلبي شروط الفدائيين او تقترح تسوية ما . فرفض الاسرائيليون النظر في هذه الحلول المحتملة واصروا على القيام بمحاولة في المانيا الغربية للتغلب على الفدائيين وتحرير الرهائن . وتظاهرت الحكومة الاسرائيلية بأنها وافقت على شروط الخاطفين واتفقت هي والفدائيون بالخروج من مكان اقامة الاسرائيليين الى مطار عسكري . وهناك فتحت الشرطة الاسرائيلية النار ، علما بأن الرهائن كانوا داخل طائرة هليكوبتر يسيطر عليها الفدائيون . وفي الاشتباك الذي تلى ذلك سقط جميع الرهائن والفدائيون الخمسة واحد رجال الشرطة الالمان قتلى(٩٩).

العلاقة بين هذه الاحداث وموضوع الدراسة الحالية هو كون الحكومة الالمانية الغربية في هذه الحالة تصرفت بانسجام مع وجهة النظر الاسرائيلية القائلة بأنه يجب الا تكون ثمة تسوية مع اي شخص يأخذ رهائن بقصد انتزاع شيء ما من

اسرائيل ، رغم ما ينطوي عليه هذا الموقف من اخطار تهدد الرهائن . ولكن لا بد من التوكيد على أن الجمهورية الاتحادية لم تكن تتخذ موقفا لصالح اسرائيل حول مسألة الرهائن بوجه عام . فقد كانت هناك ظروف خاصة في قضية الالعاب الاولمبية : فالرهائن كانوا اسرائيليين ولم يكن الا لحكومتهم سلطة اعطاء الفدائيين ما ارادوه ، وقد آثرت تلك الحكومة ان تضحي بأرواح هؤلاء الافراد لتحقيق أهدافها . ولو لم يقم الالمان بمحاولة انقاذ رغم طلب الاسرائيليين وقتل الرهائن ، اما في المانيا الغربية او في احدى البلدان العربية، لاصيبوا على الارجح بكارثة على يد وسائل الاعلام في الغرب لتركهم اليهود يقتلون . وفي احدى المقابلات اعترف المستشار الالماني الغربي بطريقة لبقة بأن الالمان الذين اتخذوا القرار كانوا قد وجدوا العناد الاسرائيلي يحاصرهم(١٠٠).

في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٠ أسر الفلسطينيون حمولة طائرة من الالمان والسويسريين واليهود الاميركيين والبريطانيين وطالبوا الجمهورية الاتحادية باطلاق سراح الفلسطينيين الذين كانوا سابقا قد حاولوا اختطاف طائرة في ميونيخ وقتلوا احد ركاب هذه الطائرة . فقامت الجمهورية الاتحادية والدول المعنية الاخرى بتفويض الصليب الاحمر باجراء المفاوضات ، وعلى الاثر اطلقت الجمهورية الاتحادية سراح السجناء وحسبما جاء في احد تقارير الانباء، انتقد بعض هذه الحكومات اسرائيل لرفضها منح الصليب الاحمر مثل هذا التفويض(١٠١). كذلك الامر اطلقت الجمهورية الاتحادية سراح من بقي حيا من اعضاء ايلول الاسود في حادثة الالعاب الاولمبية فور ان أسر رفقاء لهم احدى طائرات لوفتهانزا . وردا على الاحتجاج الاسرائيلي الذي اعقب ذلك ، قال السكرتير الصحافي للحكومة الالمانية : « نحن لم نسبب النزاع »(١٠٢).

اجراءات عقابية ضد الفلسطينيين والعرب الاخرين

في الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٢ بحث وزراء داخلية الجمهورية الاتحادية والمقاطعات الالمانية المختلفة الامن الداخلي والعرب . واعلنوا انهم يتوقعون هجمات اخرى من الفدائيين العرب في المستقبل القريب وانهم سيبعدون من البلاد«الاجانب المشبوهين» بأسرع مما كانوا يفعلون في الماضي(١٠٣). وبعد بضعة أيام ابتدأت موجة من الاعتقالات والطرد من البلاد شملت الفلسطينيين وبعض العرب الاخرين . وكان بعض المقاطعات الالمانية ايضا يمنع دخول العرب الى الجمهورية الاتحادية في ذلك الحين . وقد اعيد اكثر من ١٥٠٠ شخص، معظمهم من رجال الاعمال وأصحاب المهن ، في مطارات المانيا الغربية بين الثامن من ايلول (سبتمبر) والرابع والعشرين منه ، مع أنهم كانوا يحملون تأشيرات صادرة عن وزارة الخارجية . ولدى مغادرتهم البلاد طلب منهم الحضور الى المطار قبل موعد الذهاب بخمس ساعات(١٠٤). وفي الثالث من تشرين الاول (اكتوبر) أعلن وزير الداخلية الاتحادي منظمات الطلبة والعمال الفلسطينية لاشرعية وحلها . وبعد ذلك جرى طرد المزيد من الفلسطينيين . وبين الاول من تشرين الاول (اكتوبر) والثامن عشر منه رفضت المقاطعات الالمانية ، التي باتت موافقتها الان ضرورية قبل ان تستطيع وزارة الخارجية اصدار تأشيرات لمواطني الدول العربية،طلبات التأشيرات التي تقدم بها ١٥٠٠ شخص من أصل ٤٦٠٠ طلب، مع أن وزارة الخارجية كانت قد وافقت على الطلبات جميعها(١٠٥).

واذا ما جمع المرء الارقام الواردة في التقارير الصحافية ، وجد أن نحو ٢٠٠ فلسطيني طردوا من المانيا الغربية . وعدا عن هؤلاء ابعد عدد من الفلسطينيين بصورة اكراهية عن طريق رفض تجديد تصاريح اقامتهم(١٠٦). والى ذلك فان « اجراءات الامن » التي طبقت قد تكون اكرهت البعض على الخروج بفعل التهويل والخوف . خذ ، مثلا ، معاملة احد الطلبة في جامعة ميونيخ ، وقد علقت المحكمة الامر بابعاده بضعة أشهر لكي يستطيع تقديم الامتحانات لشهادة الماجستير . فهو لم يجبر على اثبات وجوده مرتين يوميا في مركز بعيد للشرطة فحسب ، بل ان رجال الشرطة كانوا يوقفون سيارتهم قرب منزله في الساعة السابعة من صباح كل يوم لاسابيع عدة ويتعقبونه في سيارتهم كلما خرج من بيته . وكانت هذه المراقبة تستمر حتى الحادية عشرة ليلا . بالطبع ، لم يكن بامكان الجيران الا ملاحظة هذه الاعمال الظاهرة . وكانت المصيبة أسوأ بكثير ، فقد كانت زوجة هذا الشاب في شهر حملها الخامس . وهذه الاحداث، للمناسبة ، هي موضوع فيلم وثائقي ، بعنوان

«Dienst Ist Dienst» . وجدير بالملاحظة ، ايضـا ، ان أيـا من صـحف ميـونيـخ لم تذكر طرد الطالب من البلاد عندما طرد ، رغم كون أعضاء هيئة تدريس « معهد العلوم السياسية »، حيث كان يدرس ، دعوا الى مؤتمر صحافي حول تضيته . حتى ان المؤتمر لم يحضره غير صحـافي واحد من هذه الصحف . كما أن وسائل الاعلام لم تات على ذكر حـالات الطـرد الاخـرى للفلسطينيين .

خـلال موجـة الابعاد الاولى وضعت وزارات الداخلية في المقاطعات الالمانية عقبات في طريـق الاشخاص من المعتقلين لمنعهم من الحصول علـى تحقيقات قضائية قبل طردهم . وقد قالت صحيفة سود دويتشي تزايتونغ « كان محامو الاشخـاص المتأثرين — اذا شاء المرء الا يصدق الا جـزءا صغيرا من افاداتهم المكتوبة الساخطة — دائما تقريبا يمنعون الى حد كبير او صغير من اتخـاذ الخطوات الضرورية لموكليهم . ولذا مضت فترة من الوقت قبل أن يلاحظ العرب الذين اعتقلوا يوم الخميس الماضي وقيل لهم ان تصاريح اقامتهم قد اوقفت انهم قد اعتقلوا لابعادهم من البـلاد . وقيل تكرارا للمحامين الذين سمعوا بالاعتقـالات خلال النهار ان « شيئا لم يتقرر بعد » ، وان المسألة قيد الدرس ، وانه لن يتخذ اي قرار حتى اليوم التالي. وتبين فيما بعد أن الوزارة كـانت قد أعدت قائمة المبعدين منذ بعض الوقت ، وان الاوامر كانت قد اعطيت وان الاشخاص المعتقلين كانوا قد طردوا في بعض الحالات » .

وعندما سأل صحافي احد الرسميين المسؤولين لماذا لم يتصل العرب بالمحامين ، اجاب قائلا : « لقد حدث كل شيء بسرعة فائقة » . وقال احد المحامين الذين احتجوا عـلى هذه الوسـائل : « عندما تأتي احدى النساء الي وتقول : (ان زوجي عربي ، فماذا علي ان افعل ؟) ، تكون النصيحة الوحيدة التي استطيع ان اعطيها اياها هي : (خبئيه) ! »(١٠٧).

برر المسؤولون جميع حالات الابعاد من البلاد بأسـباب الامن . ولكن ما هي الصفات المحددة التي كانت تؤلف مثل هذه الاخطار على الامـن في نظرهم ؟ لقد اخذت عينة من الحالات(١٠٨) ووجدت، كقاعدة ، ان الوزارات اشارت الى ان الفرد المعني هو مسؤول اما في اتحاد الطلبة الفلسطينيين او في اتحاد العمال الفلسطينيين . وفي حـالات اخرى أكدت الوزارات على عضوية الشـخص في احدى هاتين الجماعتين وايضا على نشاطات معينة اخرى ، كتوزيع مناشير الاتحاد على سبيل المثال . وفي ما يتعلق بابعاد الافراد الذين لا ينتمون الـى أية منظمة غير مرغوب فيها ، فان الاتصـال بأشخاص كاد « يشتبه بأنهم خطرون على امـن الجمهورية الاتحادية » ، اعتبر سببا كافيا .

كان الانتماء الى احدى المنظمات الفلسطينية في الجمهورية الاتحادية امرا غير مرغوب فيه لانه افترض انها على اتصال بحركة ايلول الاسود ، وكان يقال أن ايلول الاسود وهذه المنظمـات الاخرى هي جماعات متفرعة عن فتح ، بحيث أن تأييد المنظمات يعزز اهداف فتح . وكـان يكتفي بتأكيد وقوف فتح وراء ايلول الاسود مع التغاضي بشكل مريح عن كون المنظمات الفلسطينية فـي الجمهورية الاتحادية وفتح قـد استنكرت تكرارا اعمال ايلول الاسود الفدائية خـارج الشرق الاوسط . والى ذلك ، لم تدخل الوزارات فـي حسابها الظروف المخففة كاحتمال ان يكون لبعض اعضاء المنظمات غير الشرعية (حتى الاعضـاء النشطين) نوايا شرعية تماما . وضربوا عـرض الحائط بالنداءات التي وجهتها الكثيرات من النساء الالمانيات والاولاد الذين تركهم العرب وراءهم . وباستطاعة أي شخص ذي مشاعر وعواطف طبيعية ان يتصور تماما أية محنة حلت بهم . واخيرا ، فان احدى المقاطعات الالمانية انحطت الـى مستوى تسليم احدى الشابات الى السلطات الاسرائيليـة رغم احتجاجها وطلبها اللجوء السياسي . وقد تم اعتقالها لدى وصولها الى « اسرائيل » .

بخصوص خطر اتحادات الطلبـة والعمـال الفلسطينيين ، ادلت وزارة الداخليـة الاتحاديـة بالنقاط التالية(١٠٩): اولا ، هذه الجماعات كانت تعمل مع فتح ، و« لا يمكن استبعاد احتمال » ان تكون فتح او احدى الجماعات المتفرعة عنهـا مسؤولة عن اعمال الارهـاب في الجمهوريـة الاتحادية . وقد يكون هذا الكلام صحيحا او لا يكون . لكن عبء دليل كهذا يجعل الدفاع عـن الجماعات الفلسطينية في المانيا الغربية مستحيلا ،

ويشمل هذا فتح واية منظمة اخرى لها علاقـات مع منظمة غير شرعية . ولو كان مثل هذا النوع من المنطق مسموحا به لاستطاعت وزارة الداخلية ان تقمع وتكبت الحركة الاشتراكية كلها في المانيا الغربية في الوقت الذي لجأت فيه جماعة صغيرة من اليساريين الى العنف المادي .

ثانيا ، ان المنظمات الفلسطينية في المانيا الغربية ومقراتها في القاهرة كانت تقدم دعما مباشرا لايلول الاسود : احدى منشوراتها التي ظهرت في المانيا الغربية استشهدت بتصريح لايلول الاسود سوغت فيه هذه الاخيرة اختطاف احدى الطائرات ودعت الى المزيد من النشاط الثوري دون أن تعرب عن استنكارها . ووصفت مجلة اتحاد الطلبة العرب، التي تصدر في القاهرة ، قتلة وصفي التل بأنهم ابطال ، ولاحظت ان اعضاء ايلول الاسود منتشرون في جميع انحاء العالم للقضاء على جميع الخونة والعملاء الذين يريدون ايذاء الثورة الفلسطينية . لكن الوزير غالى في تبسيط قضيته بالتشديد على هذه الحالات المعزولة . فقد شددت الاتحادات الطالبية والعمالية الفلسطينية في الجمهورية الاتحادية تكرارا على التبرؤ من استعمال ايلول الاسود للعنف خارج الشرق الاوسط . والى ذلك فمما لا ريب فيه بأن للامر صلة وثيقة بكون المحاكم الالمانية الغربية تتطلب افادات غير دستورية متكررة من رجال الشرطة قبل ان يمكن أخذ تصاريحهم كدليل على أن احدى المنظمات تسعى الى اهداف غير دستورية . وفي ما يتعلق بالانكار المتكرر الذي اعلنته المنظمات الفلسطينية في المانيا الغربية ، خلال الالعاب الاولمبية ، فقد أكد الوزير : « ثمة أسباب تدعو الى الاعتقاد بأن هذه التصاريح ادلى بها لمنع حظر ممكن من المسؤولين الالمان » . ولكن هنا ايضا كان يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كون هذه المنظمات قد اعلنت ، المرة تلو المرة شجبها أعمال العنف خارج الشرق الاوسط . وادعى الوزير ايضا ان عبدالله الافرنجي الذي كان مسؤولا رئيسيا في منظمة الطلبة الفلسطينيين عام ١٩٧٠ ، كان هو « صلة الوصل » مع ايلول الاسود في الالعاب الاولمبية . الا انه لا يوضح ما قام به هذا الشاب فعلا ، ويشعر القارىء باغراء تخيل صور فظيعة مثيرة . فوفقا لاحد التقارير الصحافية ، اكد وزير داخلية مقاطعة هيسين ، الذي طرد الافرنجي ، ان ايلول الاسود كانت قد حاولت الاتصال به هاتفيا من القرية الاولمبية في الخامس من ايلول(١٠). وقال ناطق بلسان منظمة الطلبة الفلسطينيين في مقابلة مع المجلة الاخبارية **شبيغل** : « كان كل فلسطيني في الجمهورية الاتحادية يعرف الافرنجي ، كان يحل مشاكل مواطنيه الذين يواجهون متاعب . وكان رقم هاتفه معروفا على نطاق واسع . وكون الافرنجي لم يرد على الهاتف انما يدل على براءته(١١). واعرب مدير مكتب الجامعة العربية عن رأيه بأن الرواية كلها مشكوك بها ، اذ أن وزارة الخارجية لم تبلغ عن مثل هذه المخابرة الهاتفية الا بعد الهجوم على القرية الاولمبية بثلاثة اسابيع . ولسوء الحظ، لم تمنح المنظمات الفلسطينية الفرصة لتسمع رأيها حول هذه المسائل قبل القضاء عليها .

ثالثا ، جادل الوزير بأن خطر المنظمات الفلسطينية على الامن الداخلي للجمهورية الاتحادية كان واضحا في طرق اخرى ايضا : فقد استحسنت اغتيال التل في القاهرة ومجدت تكتيكات التوباماروس « التي يمكن تطبيقها خارج اراضي (فلسطين) » . وفي آب (اغسطس) عام ١٩٦٩ صدق الاتحاد العام لطلبة فلسطين على قرار يدعو الى تدريب أعضائه على النضال المسلح خلال عطل الصيف. وكان اعضاء الاتحاد قد قاموا بأعمال عنف في الجمهورية الاتحادية . ففي ايلول (سبتمبر) ، عام ١٩٧٠ ، على سبيل المثال ، اشترك بعضهم في محاولتين لاحتلال السفارة الاردنية . ويتكلم تقرير وزارة الداخلية للسنة ١٩٧٠ عن هذا الحدث بمزيد من التفاصيل : لقد تخلي عن الخطة لاحتلال السفارة بسبب وجود نطاق كبير من الشرطة مضروب حول المكان ، ولذلك اكتفوا بالتظاهر . وفي دفتر محاضر جلسات احدى الفروع الاقليمية للطلبة الفلسطينيين في الجمهورية الاتحادية » هناك ما يشير الى انه جرى **النظر** في المزيد من اعمال العنف في بعض الحلقات ضمن الاتحاد » . ولكن مما لا ريب فيه أن كل هذا هو براهين ضعيفة جدا لاقتراح ان هذه المنظمات تمثل خطرا فعليا على الامن الداخلي للجمهورية الاتحادية . واذا ما اضيفت الى الحجج الواهية التي يفترض انها اثبتت ان هذه المنظمات كانت تدعم ايلول الاسود والتأكيد غير المسند الى برهان حول طبيعة فتح ، لتبين ان

القضية ضد هذه الجماعات هي من الضعف بحيث ان عقوبة القمع القاسية لا بد وان تذهل كل من اقترض ان الاسباب المعطاة رسميا لهذه الخطوة هي اسباب وجيهة ، وسنعود الى هذه النقطـــة في ما بعد .

وفي الختام قال الوزير انه « بالنظر الــــى الاهتياج المفهوم بين الاهالي حول الاعمال الارهابية التي تقوم بها منظمات مثل ايلول الاسود والنشاط الدعائي لمنظمات فلسطينية راديكالية صغيرة ، فان العلاقة السلمية بين الجمهور الالماني والخمسين الف عربي المتمسكين بالقانون في الجمهوريـــــة الاتحادية يمكن ان تعكر » . والى ذلك ، « اعلن عن » هجمات جديدة قام بها ارهابيون فلسطينيون في المانيا الغربية ، وبالنظر الى موقف هـــــذه المنظمات من استخدام العنف وسرية عملياتها ، فان «الارهابيين الذين يسمون انفسهم جنود الحرية الفلسطينيين » قد يحصلون على تأييدها .

صحيح انه كان هناك اعلانات يومية تقريبـــا عن « ارهاب » وشيك بعد الخامس من ايلـــول (سبتمبر) . وان نظرة سريعة على بعض العناوين الرئيسية في الصحف المحلية تكفي لاخذ فكرة عـــن المزاج : « العرب يهددون : مزيد من الارهاب ! هجوم بالقنابل خلال عطلة نهاية الاسبـــوع ؟ » التهديد بحمام دم جديد : قرار حول ١١ عمـــلا ارهابيا » . « الارهابيون يهددون بكنباور (احد نجوم كرة القدم في المانيا الغربية) وفريقه » . « ٦٥٠٠ ارهابي ينتظرون الاشارة للهجوم » . «الارهابيون يعتزمون تفجير سفينة» . « الارهابيون يستطيعون تفجير ســـفينة المانيـــة بســـهولة » . « خمســــــة من العرب يخـططون لحـــمام دم جديد » . « فتح تهدد بهجوم جديد » . فليس مستغربا ان يقول الوزير ان الجمهور الالماني قد يهتاج ويضطهد العرب . واستنتاجه ، بوجـــوب كبت المنظمات العربية ، هو استنتاج سخيف وغير معقول . فقد لاحظ قراء المقالات المدققون ان المصادر كانت « مخابرات هاتفية من مجهول » او من « دوائر مطلعة »(١١٢) . وفي ما يتعلق بتهمة السرية ، فمن الصعب بحثها ، اذ أن الوزيـــر لم ير من المناسب للقارىء ما اذا كان الامر ينطوي على أي شيء غير اعتيادي(١١٣) .

مما لا ريب فيه ان طرد العديد من الفلسطينيين من المانيا الغربية وحرمان الذين بقوا حرية التنظيم أضر بنضالهم ضد اسرائيل . وكانت علاقتهم باليسار الالماني وحركات التحرر الاجنبية الاخرى المختلفة الممثلة في الجمهورية الاتحادية ممتازة ، حتى انهم أفلحوا أحيانا في دخول اقنية الدعاوة السائدة . والان ، في ما عدا بضع لجان فلسطينية في البلد ، فان الجماعات التي تريد تقديم المساعدة منهمكة بمهام اخرى الى حد ان كل ما تستطيع فعله هو الاعراب عن ارائها في الازمات كما ان العرب الذين ما يزالون يعملون او يدرسون في المانيا الغربية يحملون ، من حالات الترحيل والطرد ، الانطباع بأنهم ممنوعون عن القيام بأي نوع من أنـــواع النشاط السياسي — وانه يجدر بهم البقاء هادئين . ومن يلومهم ؟! حتى أن عددا متهـــم لا يحضر اجتماعات اللجان الفلسطينية على ما أعلم .

وكما ذكرت سابقا ، فان الادلة الواهية ضد منظمات الطلبة والعمال الفلسطينيين والافراد الذين طردوا من البلاد . تجعلنا نشك ما اذا كانت الوزارات قد تخلصت منهم لانها اعتبرتهم خطرا على الامن . ومع هذا فمن الممكن ان تكون طبقت هذه العقوبات من أجل منع ايلول الاسود من القيام بأعمال مقبلة في المانيا الغربية . وقد تكون هذه الاجراءات مجرد انذارات بمزيد مـــن العقـــاب الجماعي ضد الفلسطينيين . ولكن هـــــذا امر مشكوك به أيضا . فليس من الواضح انه مثل هذه الاجراءات ستخفض احتمال اعمال الارهاب من قبل أيلول الاسود في الجمهورية الاتحادية . واي فلسطيني في المانيا الغربية يقتنع بافكـــار ايلـــول الاسود ، دون أن يتوفر لديه اي مجال للتعبيـــر السياسي غير العمل السري ، قـــد يصير اكثر خطرا ، علما بأن نفسية أيلول الاسود لا تأخذ في الاعتبار اخطار عقاب جماعي مثل الابعاد والطرد . وتجدر الملاحظة ، من هذه الناحية ، بأن القيود على دخول البلاد التي فرضت علـــــى أشخاص يحملون جوازات سفر من دول عربية لا معنى لها كاجراءات امنية . وقد أشار بعض الصحافيين الى ان الذين سيقومون بتنفيذ مؤامرات ضد أشخاص في بلدان أجنبية يستعملون جوازات سفر مزيفة على أية حال . وقد يكون بالامكان الحصول على تفسير افضل بفحص السياسة الداخلية لالمانيا الغربية

وبنوع خاص الحملة ضد اليسار في وقت الالعاب الاولمبية . وقد وقع الفلسطينيون اسرى هذه الحملة .

كان هناك الكثير من الاضطراب منذ بعض الوقت. وكانت احدى أشرس المعارك تخاض حول ادخال اليساريين الراديكاليين كمعلمين في المدارس والجامعات . وفي كانون الثاني (يناير) عام ١٩٧٢ اصدر وزراء الداخلية ارشادات لحماية الخدمة الحكومية ، بما فيها المدارس والجامعات، من اعداء النظام الدستوري : لن يصار الى استخدام أي شخص تحيط به شكوك معقولة حول ما اذا كان سيؤيد النظام الدستوري ، والعضوية في احدى المنظمات للدستور تخلق مثل هذا الشك ولا بد من ان ينجم عنه رفض صاحب الطلب الا اذا تقدم بأدلة قوية لتبريد هذا الشك . وكان الاداريون في المقاطعات المختلفة سيقررون أي افراد وجماعات هم مخلصون للنظام الدستوري . وقبل الالعاب الاولمبية ببضعة أشهر ألقت الشرطة القبض على جماعة صغيرة من اليساريين كانت قد لجأت الى العنف ولم تكن الضجة حولها قد هدأت. وفي الوقت ذاته كانت المشاعر والعواطف تثار بهجمات حادة على « الاشتراكيين الشبان » يشنها الاعضاء الاكبر سنا في حزبهم ، الديموقراطي الاشتراكي ، كما يشنها عليهم اعضاء من الاتحاد الديموقراطي المسيحي — الاتحاد الاجتماعي المسيحي . وكان وراء هذا الهجوم تبني « الاشتراكيين الشبان » لفكرة تدمير المؤسسات الرأسمالية ، واستعدادهم للتعاون الى حد ما مع الحزب الشيوعي الالماني واعتراضهم على « قضية الولاء » الموجهة بوضوح ضد الشيوعيين، و« سبارتاكوس » و« اليسار الجديد » . وأنحى الاتحاد الديموقراطي المسيحي — الاتحاد الاجتماعي المسيحي باللوم على الحزبين الحاكمين ، الديموقراطي الاشتراكي والديموقراطي الحر ، للمتاعب مع اليسار وقالت هذه الاحزاب انها تتبرأ من الاشتراكيين المسالمين والمشاغبين على السواء ، ولا شك في ان الانتخابات ، التي كانت ستجري في الخريف ، لعبت دورا في توليد الشعور بالازمة وفي زيادته .

لقد نظرت المؤسسة الحاكمة والتقليدية الى الفلسطينيين كاصدقاء لليسار الالماني ، فضلا عن انهم جزء من الحركة الثورية التي تشمل العالم كله . وربما كان جزء كبير من المؤسسة ينظر اليهم بهلع واشمئزاز قبل حادث الالعاب الاولمبية بوقت طويل ، وعندما ادت عملية جمع الفلسطينيين والعرب الاخرين وابعادهم الى احتجاجات من الجماعات اليسارية المختلفة ، رأى الجانب الثاني في هذا اثباتا اخر لوجود تحالف مخيف . واصدر فرع بون لجمعية معلمي الجامعات المحافظين تصريحا يدل على العقلية السائدة : « ان تمجيد العنف والاستعداد لارتكاب اعمال الارهاب بدوافع مناهضة للصهيونية قد جمعت بين المنظمات الالمانية اليسارية والجماعات الاجنبية منذ وقت طويل ، وبخاصة خلال الاعوام الثلاثة الماضية . ولا يمكن تحقيق الامن الداخلي للجمهورية الاتحادية على نحو جاد الا اذا حطمت الصلة الوثيقة الواضحة بين الراديكاليين الالمان والمتطرفين الاجانب عن طريق حظر المنظمات الالمانية »(١١٤).

زيارات شيل وبرانت في الشرق الاوسط

في ما يتعلق باعادة تأسيس العلاقات الدبلوماسية مع مصر ولبنان عام ١٩٧٢ كان وزير الخارجية الالمانية الغربية قد وافق على زيارة الشرق الاوسط ، لكن التوترات التي نجمت عن حادث الالعاب الاولمبية ومواجهة شيل المفاجئة للانتخابات الالمانية الغربية الجديدة حوالي نهاية السنة دفعاه الى تأجيل الرحلة حتى ايار (مايو) ، عام ١٩٧٣ . وكان الموضوع الذي ظل شيل يتطرق اليه خلال وجوده في الشرق الاوسط هو رغبته العامة بمزيد من التعامل المثمر بين الالمان الغربيين والعرب . وانسجاما مع هذا الخط اقر بان القيود المفروضة على سفر العرب الى المانيا الغربية التي كانت ما تزال قائمة قد انتجت الكثير من الكرب ، ووافق على بحث المسألة مع وزير الداخلية الالماني الغربي . وتم توقيع معاهدة مع لبنان يتلقى هذا الاخير بموجبها قروضا تبلغ ٢٠ مليون مارك الماني كمعونة انمائية . اما مصر ، التي كانت قد حصلت على ١٦٠ مليون مارك الماني في شكل قروض في شباط (فبراير) ، فقد حصلت الان على اتفاق لبعض المعونة الفنية . واعد الاردن والمانيا الغربية الخطط لتسهيل استثمارات الشركات الالمانية في الاردن (١١٥). والى جانب

هذا كله ، استرضى شيل العرب بموقفه من القضية الفلسطينية . ومع انه امتنع عن تكرار اقتراح السلام الذي كانت الاسرة الاقتصادية الاوروبية قد صاغته عام ١٩٧١ ، فقد تكلم حول جولة جديدة من المفاوضات ، تشترك فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي فضلا عن الامم المتحدة ، لتحطيم الطريق المسدود الحالي . وقال كذلك ان الاسرة الاقتصادية الاوروبية يحق لها ان تتخذ موقفا حول هذه المسألة ، لان الاخلال بالسلام في الشرق الاوسط يمكن ان يتدخل في شحنات النفط والمسائل الاخرى التي لها مصلحة شرعية فيها .

وكان من الطبيعي ان تستاء الحكومة الاسرائيلية التي كانت ، في هذا الوقت ، واثقة من نفسها اكثر مما ينبغي وغير مستعجلة لقلب الوضع القائم . فهزئت من هذا الاقتراح وكررت رأيها بوجوب عدم تدخل اي فرقاء ثالثين في هذه الشؤون ، وكل ما عليهم فعله هو حمل العرب على الذهاب الى الطاولة مع الاسرائيليين لاجراء مفاوضات مباشرة(١١٦).

واثناء وجود شيل في القاهرة شعر بضرورة قول شيء ما حول العلاقة الوثيقة بين المانيا الغربية واسرائيل . كان الاسرائيليون يطالبون بتأكيدات على انها علاقة « خاصة » ، وكان العرب يريدونها ان توصف بالعلاقات « العادية » . وحاول شيل ان يسوي المسألة بالعبارة النفيسة التالية : « ليس لدينا اية علائق خاصة . فالجمهورية الاتحادية تعتبر جميع العلائق الدبلوماسية متساوية في النوعية . ومن غير ريب ، تتصف العلاقة بين بون واسرائيل « بصفة خاصة » بالنظر الى الاحداث التي وقعت في الرايخ الثالث »(١١٧).

وكانت زيارة برانت الى « اسرائيل » في حزيران (يونيو) عام ١٩٧٣ اول زيارة قام بها اي مستشار الماني غربي الى ذلك البلد . ولم يكن اي رئيس حكومة المانية غربية قد زار اي دولة عربية على الاطلاق . ومع هذا فمن الخطأ الافتراض بان الحدث اعطى اسرائيل سببا للابتهاج . وعلى العكس : كانت رسالة برانت الى الاسرائيليين في الاساس هي نفس الرسالة التي قالها شيل في البلدان العربية . وصحيح ان العلاقة بين المانيا الغربية واسرائيل لم يتغير فيها الشيء الكثير من نواح اخرى ، وتدفق المزيد من المعونات الالمانية على اسرائيل . وكانت وزارة التكنولوجيا والابحاث الالمانية الغربية قد اعلنت انها ، بالاضافة الى دعمها لمؤسسة وايزمان بخمسة ملايين مارك الماني سنويا ونصف مليون مارك لمنح الابحاث — ستوسع الى حد كبير موارد المؤسسات العلمية الاخرى في اسرائيل(١١٨). ووافق برانت خلال زيارته على ان يجتهد لتأمين امتيازات جديدة معينة لاسرائيل في ما يتعلق بالاسرة الاقتصادية الاوروبية . وقد رافقه هاوزنز الى المعارض في المتحف الذي اظهر الفظائع التي مارسها النازيون في معسكرات الاعتقال . وفي احتفال تذكاري قرأ برانت بصوت عال من المزمور ١٠٣ ، العدد ٨ — ١٦ ، الذي يعبر عن فعل ندامة . الا ان برانت أكد في خطبه ، كما أكد شيل ، على الحاجة الى جهود جديدة بقصد تسوية نزاع الشرق الاوسط . وحث مستمعيه على اعادة النظر في مطالباتهم بالاراضي وعلى عدم رفض مقترحات السلام بتأكيدات صريحة لمطالب غير مرنة(١١٩).

قبل ذلك بستة اشهر فقط كان برانت قد اعرب عن رأي مختلف تماما بقوة مماثلة . فقد قال في خطابه حول « وضع الامة » : « في الشرق الادنى نزاع طال امده يعنينا ، لانه في مثل هذا الشهر لاربعين سنة خلت ابتدأت ما سمت نفسها الرايخ الثالث . وبالنظر الى هذه الخلفية فان حق دولة اسرائيل في الوجود هو بالنسبة لنا امر لا يقبل الجدل . وفي البلدان العربية يزداد فهم موقفنا — وبمعرفة مشكلات الشعوب العربية نحن نأمل في تعزيز صداقتنا التقليدية »(١٢٠). وهذا ، بالطبع ، يترك الانطباع بان النزاع هو حول وجود اسرائيل فقط . ونلاحظ غياب حتى اوهى اعتراف بكون نوايا اسرائيل في التوسع هو ايضا احدى « مشكلاتهم » .

والاسباب التي اعطاها شيل ، خلال زيارته للشرق الاوسط ، لاتخاذ موقف حول النزاع هي كذلك ، بلا ريب ، الاسباب الكامنة وراء الاقتراح المعين الذي تقدم به الالمان الغربيون . وكان الخبراء يطلقون المزيد من الانذارات القائلة بأن الكلام على توقف في تدفق النفط الى اصدقاء اسرائيل السياسيين لم يعد مجرد وهم

وخيال(١٢١). وفي ايار (مايو) انذرت اربع دول منتجة للنفط بتوقيف تدفق النفط لساعات عدة(١٢٢). وقبل ان يتوجه برانت الى اسرائيل نشرت دراسة دعت فيها الى سياسة طاقة حيوية ، وقالت : « ان مهمة السياستين الخارجية والتجارية (للجمهورية الاتحادية) هي خلق الاوضاع الاكثر مؤاتاة لاستمرار التعاون الاقتصادي مع البلدان المنتجة للنفط »(١٢٣). ولو امتنعت الحكومة عن محو تصريح برانت السابق لكانت قد كشفت عن وعيها للخطر المتزايد .

اما تفسير اقوال برانت الموالية لاسرائيل في خطابه حول « وضع الامة » فليس واضحا . وبالنظر الى مصالح المانيا الغربية الاقتصادية في البلدان العربية كان المرء يتوقع ان تتلقى اسرائيل اكثر من مجرد تصريح حيادي . وربما كان جزءا من الهجوم الكاسح ضد العرب الذي شنته وسائل الاعلام في اعقاب حادث الالعاب الاولمبية . وفي اية حال فان ردة الفعل المعادية لايلول الاسود في المانيا الغربية لم تؤخر طويلا بيانات راسمي السياسة الخارجية الالمانية الغربية التي تؤيد القضية العربية .

حرب تشرين (اكتوبر) ، ١٩٧٣ ، وخطر النقص الوشيك في النفط .

الترتيب الزمني التالي(١٢٤) يظهر تطور موقف المانيا الغربية حول النزاع الفلسطيني في الاسابيع التي اعقبت اندلاع الحرب . العاشر من تشرين الاول (اكتوبر) : في افتتاح معرض الكتاب السنوي في فرانكفورت يوجه برانت نداء لوقف الاعمال الحربية والاعتراف بحق جميع الدول في الشرق الاوسط بالوجود . ويضيف : « ان حياة الباقين على قيد الحياة في اسرائيل مهددة بالخطر » . ومن جهة اخرى فان الجمهورية الاتحادية تدرك حق البلدان العربية في الوجود والامن » .

الرابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) : الاسرة الاقتصادية الاوروبية تحث على انهاء الاعمال الحربية وتدعو الى تسوية النزاع على اساس قرار مجلس الامن الصادر في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٦٧ .

السادس عشر من تشرين الاول (اكتوبر) : شيل يكرر تصريح الاسرة الاقتصادية الاوروبية ويقول بوجوب ضمان حق جميع الشعوب في الشرق الاوسط في الوجود ويشير الى ان قرار العرب الذهاب الى الحرب له صلة بكون اسرائيل اعتمدت على قوتها العسكرية ورفضت القبول بالضمانات الدولية لامنها .

الخامس والعشرون من تشرين الاول (اكتوبر): بعد اماطة اللثام عن ان الجنود الاميركيين يحملون السفن الاسرائيلية بالاسلحة في احد مرافىء المانيا الغربية — وزارة الخارجية تحتج على شحن الاسلحة من اراضيها الى اسرائيل وتتهم الولايات المتحدة بخرق حيادها . ويظهر شيل على التلفزيون وينتقد الولايات المتحدة لعدم التشاور مع بلدان ناتو الاخرى حول هذا الامر . وبخصوص حياد بلده ، يقول انه كان لها « علاقة خاصة » مع العرب ايضا . وادى هذا الى اعتراض السفير الاسرائيلي في بون ، ثم الى خلق صيغة جديدة وضعتها وزارة الخارجية : نظرا الى « الماضي » فان العلاقات الخاصة بين الجمهورية الاتحادية وكل من الجانبين المتنازعين هي « على مستويين مختلفين » .

السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) : اصدرت الاسرة الاقتصادية الاوروبية اقتراح سلام اخر يقول : على اسرائيل ان تنسحب من جميع الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، ويجب الاعتراف باستقلال جميع الدول وبحقوق الفلسطينيين ، ويجب ضمان الحدود واستخدام قوات الامم المتحدة لحراستها .

التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) : في جلسة للبوند ستاغ ، برانت يؤكد مجددا حياد الجمهورية الاتحادية ، ولكنه يضيف قائلا : بالنسبة الى الجمهورية الاتحادية « لا يمكن ان يكون هناك حياد القلب او الضمير . ولا يستطيع اي الماني ان يهرب من تاريخه والامثولة المريرة التي لا بد ان يستمدها منه » . وينتقل الى حظر النفط فيقول : « يستطيع المرء عن طريق التهديد والابتزاز ان يحدث تأثيرا معينا لوقت محدود . لكن المرء لا يكسب الاصدقاء بهذه الطريقة » . ودافع ممثل عن وزارة الخارجية عن قرار الاسرة الاقتصادية الاوروبية امام البوندستاغ على اساس

انه كان منسجما مع الموقف الذي اتخذته الامم المتحدة .

الحادي عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) : خلال اجتماع للمؤتمر الاشتراكي الدولي في لندن، يكرر برانت رأيه حول حياد القلب والضمير ، ولكنه (وجميع الموفدين الآخرين ما عدا هارولد ولسون) يدافع عن اقتراح السلام الذي طرحته الاسرة الاقتصادية الاوروبية وينذر غولدا مئير من ان عنادها سيفضي الى عزلة اسرائيل .

الثامن عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) : هلموت كوهن ، نائب رئيس الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، يزور اسرائيل . يكرر اراء برانت حول الحياد . ومع انه ينتقد « صيغة » قرار الاسرة الاقتصادية الاوروبية ، يشدد على انها لا تعرض حق اسرائيل بالوجود للخطر . ويجب ان تكون الحدود الجديدة « في مكان ما بين خط الهدنة الحالي وحدود عام ١٩٦٧ » .

السابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) : الاسرة الاقتصادية الاوروبية تثبت قرارها الصادر في السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) في اجتماعها بكوبنهاغن . ويقال ان برانت منع اتخاذ قرار حتى اكثر موالاة للعرب .

كل هذا يعني ، على ما يبدو ، ان الجمهورية الاتحادية تلتزم بقرار الاسرة الاقتصادية الاوروبية ولكنها تقسم يمين الولاء لاسرائيل باستثناء ما احتلته عام ١٩٦٧ . صحيح ان ملاحظة برانت الساخرة حول الضغوط التي افضت الى التصويت الالماني الغربي كانت انكارا صريحا بان الصوت قد التي باخلاص . ولكن بصرف النظر عما اثر فيه في تلك المناسبة ، فان احتجاجاته طمستها اعماله اللاحقة في لندن وكوبنهاغن . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان اتخاذ القرارات في حكومة برانت هو عملية جماعية الى حد كبير ، فان ثمة سببا وجيها للافتراض بان برانت في هذه الحال تخطى نطاق القرار الذي اتخذ في الحكومة .

ليس من الصعب ان يعرف المرء ما الذي حدا المانيا الغربية ، والاعضاء الاخرين في الاسرة الاقتصادية الاوروبية ، الى التعجيل في اصدار اقتراح السلام الجديد في السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) . كذلك ليس من الصعب ان نعرف لماذا استمرت في الدفاع عن هذا الموقف . ففي السابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) كانت البلدان العربية العشرة المنتجة للنفط قد اعلنت عن انها ستخفض انتاجها كل شهر بنسبة خمسة بالمئة الى ان تنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة . وتكلمت الكويت والعربية السعودية عن خفض فوري بنسبة ١٠ بالمئة . وبعد ذلك ببضعة ايام اعلنت الدول العشر جميعا انها ستتخذ خطوات لمنع اي من نفطها من الوصول الى الولايات المتحدة وهولندا . وفي الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) ، هددت ليبيا الجمهورية الاتحادية بمقاطعة تامة اذا امتنعت عن اظهار « حياد ايجابي » . وقبل اصدار اقتراح السلام بيوم واحد ، كان العرب قد اعلنوا عن عزمهم على ترك انتاجهم من النفط ينخفض الى ٧٥ بالمئة عما كان عليه في ايلول (سبتمبر) .

وبالنسبة لحكومة المانيا الغربية كان تصور مثل هذه التخفيضات ووقعها على الانتاج والعمال مخيفا : فقد كان النفط مصدر نحو ٥٥ بالمئة من الطاقة الكاملة للبلاد ، ولكن من ٦١ بالمئة من امداد نفطها يجيء من البلدان العربية ، وبخاصة من ليبيا والعربية السعودية .

ويبدو ان فكرة تقويض امتياز العرب عن طريق فرض عقوبات او تأليف كارتل مشترين لم ترق للحكومة في اي وقت من الاوقات خلال الازمة . وقد اعتبر الكلام المتهور حول « اجراءات مضادة ضد المقاطعة الاعتباطية » (على حد تعبير ناطق بلسان الاتحاد الديمقراطي المسيحي — الاتحاد الاجتماعي المسيحي)(١٢٥) بانه وهمي وخادع ، نصيحة كانت ستؤدي الى كارثة لو عمل بموجبها. وفي مقابلات مع السود دويتشي تزايتونغ ، صدرت في السابع عشر من تشرين الثاني ، ووصفت وزارة التعاون الاقتصادي الوضع كما يلي : اذا كان رد فعلنا هو ايقاف التجارة والتثميرات ، سيكون هناك سباق بين منافسينا للحلول في اماكننا . وسيكون قطع المعونة الاقتصادية سخيفا الى الحد ذاته . فالبلدان التي تزودنا بالنفط لا تتلقى اية معونة اقتصادية . واذا حاولنا فرض اية عقوبات ، كأن نحرم مصر من المساعدة الاقتصادية ، على سبيل المثال ، فان هذا على الارجح سيستفز العرب ويدفعهم الى

الرد بمقاطعة تامة . وقد يكون من الممكن ممارسة ضغط كبير ، اذا ما عمل جميع اعضاء الاسرة الاقتصادية الاوروبية معا ، الا انه لا يمكن تحقيق اي شيء بهذه الطريقة ، لان البعض منهم يعتبر مثل هذا العمل ضارا . وفي مناسبات لاحقة صرح المستشار بانه رفض « العقوبات الوحشية » وشجب وزير التعاون الاقتصادي الحملة الدعائية ضد البلدان المنتجة للنفط(١٢٦).

وكان موقف الحكومة هو نفسه بخصوص أسعار النفط . فقد كيفت نفسها للزيادات الهائلة في الاسعار عن طريق بذل جهود لاستخدام الطاقة بمزيد من الفعالية وتطوير بدائل للنفط. كما اتخذت خطوات لزيادة التثميرات الالمانية الغربية في البلدان المنتجة للنفط، وكذلك للدوران حول شركات النفط الدولية . ولكن يبدو ان فكرة انشاء كارتل مشترين ، يقاطع جميع اعضائه بلدانا منتجة للنفط معينة الى ان تعتمد سعرا « صحيحا » ، قد وضعت على الرف . وكانت هناك مناسبة واحدة بدا فيها كأن ممثلي المانيا الغربية شعروا باغراء الانضمام الى مواجهة كهذه . وأعني مؤتمر واشنطن في شباط (فبراير) من هذا العام . فقبل ان يبدأ المؤتمر كان وزير الخارجية الاميركية قد أوضح انه يجري اعداد خطة كهذه ، ولكن عندما اثيرت احتجاجات ، ولا سيما من فرنسا ، سارع الى اصدار تصريح حول رغبته في « التعاون » بين البلدان المنتجة والبلدان المستهلكة للنفط في سبيل التوصل الى اسعار معقولة وأرباح جيدة . وتركزت المناقشات حول مسألة ما اذا كان يجب اقامة لجنة من الدول المستهلكة للنفط للنظر في عدد من المشكلات ، بما فيها الاسعار ، تمهيدا لمؤتمر مع الدول المنتجة للنفط . وقد رفضت فرنسا هذه الخطة فتعرضت لانتقاد شديد من هيلموت شميت ، وزير مالية المانيا الغربية، لعدم ولائها للحلف الاطلنطي(١٢٧). على انه من الخطأ الاستنتاج ان هذه الخطة قد اجتذبت شميت. فبسبب غموض التعليمات الموجهة الى اللجنة (التي كانت قائمة في الواقع) لم يكن احد قد الزم نفسه بخطة الكارتل . وفي مقابلة ظهرت في دي تزايت في الثامن من شباط (فبراير) رفض شميت المطالبات « بالضغط السياسي » بغية خفض الاسعار بالقوة بوصفها غير واقعية ؟

فالبلدان المستهلكة للنفط تفتقر الى الوسائل لتحقيق هدفها بهذه الطريقة . ولعل شميت كان يفكر بأنه اذا ما امتنعت البلدان المستهلكة عن شراء النفط الى أن تصير الاسعار « صحيحة » ، فستنهار حتما تقريبا اوروبا واليابان ، وان لم يكن الولايات المتحدة ، قبل ان تذعن البلدان المنتجة للنفط ، التي لها مجموعات سكانية صغيرة ومقتصدة . وحتى لو اقتنعت الحكومة اخيرا ، كما اقتنعت بعض الحكومات الاخرى ، بأنه في سياق الازمة صارت شركات النفط الدولية وليس البلدان المنتجة للنفط هي التي تقرر حالة تسليمات النفط ، فان تقدير شميت للوضع وما نجم عنه من حذر سيكونان صحيحين للمستقبل . كما كان من المحتمل ان يكون تأثير الاسعار العالية على الاقتصاد الالماني الغربي سهل القياد . وكانت فرص التجارة الدولية المفتوحة أمامه مبشرة بالنجاح الى حد ان الخبراء تكهنوا ، في أسو الحالات ، بحد أدنى من العجز التجاري لعام ١٩٧٤ ، رغم الاسعار المرتفعة(١٢٨). وفي نهاية كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٧٣ كان لدى المانيا الغربية احتياطي يبلغ ٣٣ بليون دولار . (وكان الاحتياطي في فرنسا يبلغ ٢/١ ٨ وفي بريطانيا ٢/١ ٦ بلايين دولار) . وأخيرا كانت لدى الالمان الغربيين اسباب كثيرة تدعوهم الى اظهار ولائهم للقيادة الاميركية . فالرئيس نيكسون لم يتردد في القول ان اسهام اميركا في أمن اوروبا ، وهو اسهام عظيم جدا ، سيتوقف في المستقبل على تعاون اوروبا مع اميركا في معالجة ازمة النفط(١٢٩).

ان دعم المانيا الغربية لاسرائيل صلب الاسرائيليين وشجعهم على الاستمرار في توسعهم عبر فلسطين وفي الاقطار العربية الاخرى . ومع هذا اكد الزعماء الالمان الغربيون للعالم انهم يتصرفون بدافع الشعور بالتزام اخلاقي او بالعار، وان بلادهم تكفر عن الخطايا التي اقترفتها ضد اليهود . ومع انهم أقسموا على منع تكرار العدوان الالماني ، فقد دعموا العدوان ضد الفلسطينيين ، وباستثناء مبالغ صغيرة نسبيا من المال قدموها لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين ، فقد نظروا الى كارثتهم ببرود . ويبدو من تفحص دقيق لهذه الاحداث ان الاسباب الحقيقية وراء السياسة

الموالية لاسرائيل كانت مصالح اقتصادية وسياسية أنانية معينة .

وقد اختلفت الصورة في الاونة الاخيرة . ومع ان الجمهورية الاتحادية ما تزال تقدم تبرعات مالية فائقة لاسرائيل وتؤكد تكرارا « حق » دولة اسرائيل في الوجود ، فقد أظهرت احتراما كبيرا لمصالح الفلسطينيين الشرعية . وكانت الزيادة الكبيرة في اغاثة اللاجئين الفلسطينيين ، بالنسبة الى ما كانت عليه ، والتي تقررت عام ١٩٦٨ ، أول علامة على التغيير . وقد ضمن تقيد المانيا الغربية باقتراح السلام الجديد الذي تقدمت به الاسرة الاقتصادية الاوروبية ، كتلة مهمة من الاصوات التي يفترض ان تكون جعلت نفسها مسموعة في واشنطن وأماكن اخرى . وينطوي اقتراح السلام على تهديد ضمني بأن الاسرة الاقتصادية الاوروبية ، التي تملك سلطة منع مساعدات اقتصادية مهمة عن اسرائيل ، ستفرض عقوبة من نوع ما . وقد يكون بعض اعضائها متمنعين عن ممارسة هذه السلطة باطلاق تهديدات دراماتيكية بقطع المعونات الاقتصادية القائمة على حين غرة ، لكن النتيجة يمكن تحقيقها بمزيد من الهدوء ، جزئيا على الاقل ، بمجرد الامتناع عن اتخاذ قرارات حول منح اسرائيل مساعدات اقتصادية جديدة .

من المهم هنا ان نشير الى وجه آخر من وجوه العلاقة بين الجمهورية الاتحادية والفلسطينيين والعرب الاخرين . ففي الثامن عشر من تموز (يوليو) عام ١٩٧٣ أصدرت المحكمة الدستورية الاتحادية حكمها في اثنتين من قضايا الابعاد([١٣٠]). وكان وزير داخلية بافاريا قد حصل على احكام معجلة من محاكم ادارية تدعم أمر الابعاد الذي أصدره بحق اثنين من الفلسطينيين استنادا الى زعمه بأنهما يشكلان خطرا شديدا على الامن ، لانهما كانا مسؤولين في اتحاد الطلاب الفلسطينيين ولذلك « يمكن » للارهابيين ان يتصلوا بهما ويجروهما الى أعمال العنف . ورأت المحكمة ان الوزير ، والمحاكم الادارية ، والمشترع البافاري ، قد انتهكوا حقوقا معينة يملكها هذان الشخصان بموجب القانون الاساسي للجمهورية الاتحادية . ومع ان الادعاءات بأن احد الاشخاص قد عضد الارهابيين فعلا قد تكفي في بعض الحالات ، فان مجرد القول باتصال ممكن مع الارهابيين نظرا الى نشاطات في اتحاد الطلاب الفلسطينيين هو سبب غير كاف للابعاد . (وفي جلسة التحقيق النهائية لا بد ان يكون هناك دليل على التأييد الفعلي) . والى ذلك ، فان ابعاد هذين الشخصين الى الاردن او سوريا دون التحقيق معهما والاصغاء الى افادتهما لا يترك لهما وسيلة شرعية كافية لاسترداد حقهما ورفع الظلامة عنهما ، بامكانهما ان يرسلا افادات مكتوبة وان يطلبا من محامين حضور جلسات التحقيق والاستماع النهائية امام المحاكم الادارية ، على ان الصعوبات العملية ستعوق الى حد خطير عرض قضيتهما . وبالاضافة الى ذلك ، تتمتع الزوجة الالمانية لاحد هذين الرجلين بحق دستوري في المحافظة على زواجها وفي العيش في بلدها ايضا . ان الشرط في القانون الاساسي الذي يقصد به صيانة العائلة لا يقف في طريق كل طرد من البلاد حيث يكون احد الزوجين المانيا ، الا ان المحكمة الادارية لم تعط هذا الامر وزنا كافيا ايضا . وكان سيصير الامر الفوري بابعاد الرجلين غير شرعي ، حتى ولو كان في البداية قانونيا ، لان المحاكم الادارية ووكالة الحكومة البافارية التي كانت مسؤولة معا عن اقامة جلسات التحقيق والاستماع النهائية تركت فترة عشرة اشهر تقريبا تمر دون ان تفعل شيئا حول المسألة .

ونتيجة هذا القرار هي ان الاكثرية الساحقة من العرب الذين أبعدوا يحق لهم العودة الى المانيا الغربية لحضور جلسة الاستماع والتحقيق النهائية . وسينتصر هؤلاء الاشخاص على الارجح اذا ما اتبعت آراء المحكمة الدستورية بوجوب اثبات القضية واعطاء وزن لمصلحة الزوجات الالمانيات . وهذا القرار ، بالطبع ، لا يقرر حق الطلبة او العمال الفلسطينيين في التنظيم في المانيا الغربية . وقد قررت المحكمة الادارية الاتحادية هذه القضية ضدهم ، ولكنهم استأنفوا الى المحكمة الدستورية . والمسألة الاخرى التي يجدر بنا ذكرها هنا هي اعلان وزراء الداخلية بأنهم سيعيدون النظر في القيود الراهنة ضد دخول العرب عندما يجتمعون في أيلول (سبتمبر) .

انه من الممتع التكهن في ايسة ظروف ستصبح المانيا الغربية نصيرة للقضية الفلسطينية . فماذا

سيحدث ، مثلا ، اذا ما اخفقت جهود الولايات المتحدة لحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي المحتلة ؟ ان هذه الدراسة توضح وجوها من شؤون المانيا الغربية هي مهمة بنوع خاص لمعالجة هذه المسألة : قبضة الولايات المتحدة ، العلاقات مع أوروبا الشرقية والغربية والحاجة الى النفط والفوائد الاقتصادية الاخرى المتوافرة في الشرق الاوسط . واذا استثنينا اليسار ، وهو بعيد جدا عن مركز السلطة ، فان القوى السياسية المهمة في المانيا الغربية ما تزال تعارض كل المعارضة فكرة ترك التحالف العسكري مع اميركا وانتهاج سبيل جديد . ومن جهة اخرى ، فان علاقة المانيا الغربية بالاتحاد السوفياتي قد تحسنت بشكل ملحوظ ، ولا يمكنها الاستغناء عن اعمالها التجارية مع العرب . ويحاول زعماء البلاد تجنب الاضطرار الى الوقوف مع احد الجانبين ضد الاخر . والباقي تكهن .

---

١ — من اجل نص المعاهدة انظر *Bundesgesetzblat II*, 1953, p. 35 FF.

٢ — Nicholas Balabkins, *West German Reparations to Israel*, 1971, p. 134, 191.

٣ — *Id.* Chap. II.

٤ — انظر Rolf Vogel, Ed., *Deutschlands Weg nach Israel*, 1967, p. 29.

٥ — *Id.* p. 80

٦ — بين أهم المنشورات حول هذه الامور : E.L.M. Burns, *Between Arab and Israeli*, 1963; Fred Khouri, «The Jordan River Controversy,» *The Review of Politics*, 1965, p. 42 FF; Khouri, The Policy of Retaliation in Arab-Israeli relations », *Middle East Journal*, 1966, p. 435 FF; Carl Von Horn, *Soldiering for Peace*, 1966.

في هذا المجال أود الاشارة الى بضعة دراسات لي : *Der Nahostkrieg in der Westdeutschen Presse*, 1970, «Die Menschenrechte in den von Israel besetzten Gebieten», *Blätter für deutsche und internationale Politik*, 1971, p. 625 FF and «Die Eröffnung von Kampfhandlungen in Junikrieg 1967», *Beiträge Zur Konfliktforschung*, Vol. I, 1974.

٧ — انظر Konrad Adenauer, *Erinnerungen 1953-55*, 1966, p. 155.

يستنتج احد الكتاب ، استنادا الى تصاريح اديناور وحده ، بأن هذا الاخير اعتبر المعاهدة على انها التزام المانيا المعنوي . انظر Görg Seelbach, *Die Aufnahme der diplomatischen Beziehungen zu Israel als Problem der deutschen Politik seit 1955*, 1970, p. 7.

أيضا Balabkins : « كان (أي اديناور) ، بوصفه كاثوليكيا ممارسا ومسيحيا يفرض على نفسه انضباطا عاليا ، يؤمن بالله والخطيئة والتوبة والكفارة » . Balabkins a.a.O., p. 141.

٨ — من أجل بحث للقوانين المتعلقة بالتعويض على الضحايا الافراد ، انظر Schwerin, « German Compensation for Victims of Nazi Persecution », *Northwestern University Law Review*, 1972, p. 479 ff.

ومنذ كانون الثاني (يناير) ، ١٩٧٢ ، دفعت الجمهورية الاتحادية ما يزيد على ٤٣ بليون مارك الماني كتعويضات عن الافراد . وبنهاية ١٩٧٤ من المتوقع ان يبلغ مجموع التعويضات التي دفعت للافراد ٥٢ بليون مارك . *Süddeutsche Zeitung*, Sept. 5, 1972.

٩ — كان اديناور قد اعرب عن هذه الفكرة في خطاب امام البوندستاغ في ٢٧ أيلول (سبتمبر)، ١٩٥١ . انظر Vogel, *op. cit.*, p. 36

١٠ — انظر Franz Bohm, *Reden und Schriften*, 1960, pp. 220-22.

١١ — Georg Blessen, *Wiedergutmachung*, 1960, p. 93.

١٢ — Sydney Fisher, *The Middle East*, 1959, p. 578, cited in Gert von *Paczensky Unser Volk am Jordan?*, 1971, p. 57.

١٣ — انظر Adenauer, *op. cit.*, p. 135.

١٤ — *Id.*, pp. 139-153 and Nehum Goldman, *Staatsmann ohne Staat*, 1970, Chap. 22.

١٥ — انظر Adenauer, *Id.*, p. 135.

١٦ — *Id.*, p. 133.

١٧ — من أجل بحث لهذا الموضوع ، انظر
Mallison, «The Legal Problems Concerning the Juridical Status and Political Activities of the Zionist/Jewish Agency», *William and Mary Law Review*, 1968, p. 556 ff.

١٨ — Goldman, *op. cit.*, p. 314.

١٩ — انظر ، على سبيل المثال ،
Elmer Berger, *Who Knows Better*, 1955.

٢٠ — Herman Arnold, *Die Zigeuner*, 1965, p. 77, *Suddeutsche Zeitung*, Dec. 31, 1972 (Jan.), 1973.

٢١ — لم تتعهد الجمهورية الاتحادية الا بعد ذلك بوقت طويل — ١٩٥٦ — ان تقدم دفعات بمبلغ ٦٠ مليون مارك الماني ليوغوسلافيا تلبية لمطالب وحقوق نشأت من الحرب . وفي الوقت ذاته وافقت على منح يوغوسلافيا قروضا طويلة الاجل تبلغ ٢٠٠ مليون مارك . ومنذ عام ١٩٥٩ - وعدت الجمهورية الاتحادية بدفع مبالغ معينة الى ١١ دولة اوروبية غربية والنمسا للتعويض على مواطنيها الذين اضطهدهم الاشتراكيون الوطنيون بسبب عرقهم او دينهم او عقيدتهم السياسية . هذه الاتفاقيات كملت قانون التعويض الاتحادي الذي جعل التعويض مشروطا باقامة الشخص في المانيا بين تواريخ معينة . وعام ١٩٥١ قررت الجمهورية الاتحادية التعويض على ضحايا الاختبارات الطبية ، لكن هذا التدبير كان حتى عام ١٩٦٠ مقتصرا على الاشخاص القاطنين في بلدان تربطها علاقات دبلوماسية بالجمهورية الاتحادية . ومن اجل بحث لهذه الامور ، انظر
Schwerin, *op. cit.*, and Rumpf, «Die deutche Frage und die Reparationen,» *Zeitschrift für ausländisches öffentlishes Recht und Völkerrecht*, 1973, p. 344 ff., 353-57.

٢٢ — انظر Blessin, *op. cit.*, p. 71.

٢٣ — انظر
Adenauer, *op. cit.*, p. 154/55; Böhm, *op. cit.*, p. 232.

٢٤ — كان وجود سوق مشترين في النفط في ذلك الحين احد اسباب محاولة ايران غير الناجحة لتأميم احدى شركات البترول . يبحث هذا الموضوع في :
Christopher Tugendhat, *Oil—the Biggest Business*, Chap. 14.

٢٥ — Waldemar Besson, *Die Aussenpolitik der Bundesrepublik*, 1970, pp. 122-134.

٢٦ — من أجل بحث لهذه التصاريح انظر ،
Alfred Jüttner, *Die deutsche Frage*, 1971, Chap. 8.

٢٧ — *Id.*, p. 334.

٢٨ — Besson, *op. cit.*, pp. 122-124.

٢٩ — Richard M. Freeland, *The Truman Doctrine and the Origins of McCarthyism*, 1972, Chaps. 4 and 6 *passim*.

٣٠ — Besson, *op. cit.*, Chaps. 5 and 6 *passims*.

٣١ — Balabkins, *op. cit.*, pp. 76-80, 125-128.

٣٢ — من اجل نص المذكرة ، انظر
Vogel, *op. cit.*, p. 29 ff.

٣٣ — B. Ruhm von Oppen, ed. *Documents on Germany under Occupation*, 1945-1954, 1955, pp. 34-37, cited in Balabkins, *op. cit.*, p. 88.

٣٤ — Balabkins, *Ibid.*

٣٥ — انظر
Die Auswärtige Politik der Bundesrepublik Deutschland, 1972, pp. 234-238; See Goldman, *op. cit.*, pp. 324-328.

٣٦ — انظر
Adenauer, *op. cit.*, pp. 140-142.

٣٧ — انظر Vogel, *op. cit.*, p. 53.

٣٨ — Goldman, *op. cit.*, pp. 324-328; Balabkins, *op. cit.*, p. 152.

٣٩ — Joachim Kreysler and Klaus Jungfer, *Deutsche Israel - Politik*, 1965, p. 33.

٤٠ — *Jahresbericht des Bundesverbands der deutschen Industrie*, 1952/53, p. 85; for a discussion of the BDI and integration in the Western alliance, see Tuolyka, «Das Röhrenembargo», in : Czempiel, *Die Anachronistische Souveränität*, 1969, p. 207 ff.

٤١ — الخطب المشار اليها في النص منشورة في :
Vogel, *op. cit.*, p. 76 ff.

والارقام المعطاة لقوة تصويت الاحزاب مأخوذة
Wolfram Hanrieder, *Die Stabile Krise*, 1971, p. 138.

٤٢ — Hanrieder, *op. cit.*, pp. 135-47.

٤٣ — انظر
Kurt Grossmann, *Die Ehrensschuld 1967*, pp. 55/6; see Elisabetz Noelle and Erich Neumann, *Jahresbuch der* öffentlichen Meinung 1947-55, 1956, p. 128 and «Bericht des Allendsbacher Instituts vom September 1952 über das Abkommen mit Israel».

٤٤ — في ما يتعلق بموقف الجمهورية الاتحادية في حرب السويس ، التي كانت قد وقعت في هذه الاثناء ، أود أن أشير باختصار الى انه لا ينفي الفرضية التي أدافع عنهـا بشأن العلاقـات الالمانية — الامبركية والمسألة الفلسطينية . لقد أكـد ان المانيا الغربيـة واصلت دفـع التعويضات لاسرائيل رغـم « الضغط » مـن الولايات المتحدة لتعليقها . انظر Vogel المصدر نفسه ، ص ١٣١ . ولكن هذا غـير ثابت على ضوء المعلومات المتوفرة . والامر الصحيح هو هذا : بعد اندلاع الحرب مباشرة قدمت الولايات المتحدة في مجلس الامن اقتراحا يدعو جميع اعضاء الامم المتحدة الى الامتناع عن اعطاء اسرائيل عونا اقتصاديا الـى أن تسحب قواتها من الارض المصرية. انظر سجلات مجلس الامن الرسمية للاجتماع الـ ٧٤٩ ، في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٥٦ ، ص ٣١ . في الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٥٦ ، ورد في **النيويورك تايمز** ان الولايات المتحدة ستؤيد قرارا المانيا غربيا لتعليق دفع التعويضات لاسرائيل . Gerlach ، المصدر نفسه ، ص ١٠٣ . ولكن هذا ليس اعرابا واضحا ورسميا عن رغبة كهذه . والى ذلك ، بعدما استخدمت انكلترا وفرنسا حق الرفض (الفيتو) ضد مسودة قرار الولايات المتحدة ، فان هذه الاخيرة لم تفرض اية عقوبات مهمة ضد اسرائيل حتى آذار (مارس) ، ١٩٥٧ . انظر :
Survey of International Affairs 1956-58, 1962, pp. 156-59.

٤٥ — انظر **فرانكفورتر الغيماينه تزايتونغ** ، ٢٠ شباط (فبراير) ، ١٩٦٥ .

٤٦ — Jörg Seelbach, *op. cit.*, p. 131.

٤٧ — تكلم عبدالناصر تكرارا عن شحنات الاسلحة كهبات .
Archiv der Gegenwart, Feb. 20, 1965.
ولم تنكر حكومة المانيا الغربية هذا الامر . وقد صرح غيرهارد شرويدر ، وزير خارجيـة الجمهورية الاتحادية ، في الثامن والعشرين من شباط (فبراير) ، ١٩٦٥ ، أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة للبوندستاغ بما يلي : « ان دولة اسرائيل لم تدفع ثمن الاسلحة التي نقلت اليها . ولم تعقد اية معاهدة مع اسرائيل في ما يتعلق بدفع ثمن هذه الاسلحة » .
Archiv der Gegenwart, Feb. 28, 1965.

٤٨ — Seelbach, *op. cit.*, pp. 154-158.

٤٩ — *Id.*, p. 102.

٥٠ — انظر
Archiv der Gegenwart, Feb. 20, 1965, p. 11702.

٥١ — Compare, e.g., Seelbach, *op. cit.*, p. 106-107 with Vogel, *op. cit.*, p. 135.

٥٢ — انظر
Archiv der Gegenwart, Feb. 20, 1965, pp. 11698/11699.

٥٣ — انظر Vogel, *op. cit.*, pp. 139/140.

٥٤ — انظر Von Horn, note 6 *supra*

٥٥ — انظر
Gerhard Krauss, «Der Staat Israel, die Araber und die Bundesrepublik», *Frankfurter Hefte*, Sept. 1960, p. 609 ff., 611.

٥٦ — انظر Besson, *op. cit.*, pp. 191-328.

٥٧ — Frederick Gerback, *The Tragic Triangle*, (Columbia University dissertation), 1971, p. 270.

٥٨ — *Archiv der Gegenwart*, Feb. 20, 1965, p. 11702.

٥٩ — انظر Seelbach, *op. cit.*, pp. 67-69.

٦٠ — *Id.*, pp. 114-116.

٦١ — انظر Vogel, *op. cit.*, p. 265.

٦٢ — انظر
Inge Deutschkron, *Israel und die Deutschen*, 1970, p. 150 ff.

٦٣ — Seelbach, *op. cit.*, p. 106.

٦٤ — انظر
Adenauer, *Erinnerungen 1955-59* pp. 55-59 and chap. VIII, esp. pp. 227/228.

٦٥ — Wolfgang Wagner, «*Der Rückschlag der Bonner Politik in den*

arabischen Staaten», Europa Archiv, 1965, p. 359 ff., 361/362.

٦٦ — من أجل بحث لهذا الموضوع انظر ، Seelbach, *op. cit.,* pp. 118-122.

٦٧ — *Id.,* pp. 124/125.

٦٨ — انظر *Archiv der Gegenwart,* April 21, 1965, p. 11803.

٦٩ — انظر Wagner, *op. cit.,* p. 369.

٧٠ — *Id.,* pp. 365/366.

٧١ — انظر Gerlach, *op. cit.,* pp. 327-329.

٧٢ — Wagner, *op. cit.,* pp. 365/366.

٧٣ — من أجل بحث لردة الفعل العربية ، انظر Wagner, *Id.,* pp. 366/367 and Gerlach, *op. cit.,* chap. 12.

٧٤ — رسالة من الوزير الاتحادي للتعاون الاقتصادي الى كنيث م. ليفان ، ٥ تموز (يوليو) ، ١٩٧٣ .

٧٥ — *Suddeutsche Zeitung,* March 1, 1973.

٧٦ — Frakfurter Allgemeine Zeitung, Feb. 20, 1965.

٧٧ — John F. Defrates, «UNRWA, The Federal Republic of Germany and the Palestine Refugees», *Orient,* Sept. 1972, p. 124.

٧٨ — انظر *BRD, Israel und die Palästinenser,* Pahl-Rugenstein Publishing Co., 1973, p. 60.

٧٩ — رسالة من الوزير الاتحادي للتعاون الاقتصادي الى كنيث م. ليفان ، ٦ حزيران (يونيو) ١٩٧٣ .

٨٠ — وينطبق هذا على استثمارات المانيا الغربية كذلك . انظر تقرير وزير الاقتصاد الاتحادي ، أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٣ ، (VC 5 - 740187).

٨١ — انظر Vogel, *op. cit.,* pp. 313/314.

٨٢ — *Id.,* p. 316.

٨٣ — *Id.,* p. 320.

٨٤ — *Id.,* p. 316-319.

٨٥ — *Id.,* p. 313.

٨٦ — لاجل بحث حول هذه الامور ، انظر Lewan, *Der Nahostkrieg..., op. cit.,* pp. 10-24 *passim,* 30-32.

٨٧ — Besson, *op. cit.,* pp. 367-401.

٨٨ — انظر Wolfgang Berner, «Moskau und der Ausbruch des Arabisch-Israelischen Kreiges», *Vereinte Nationen,* Oct. 1967, p. 154 ff.

٨٩ — بحلول هذا الوقت كان الحزب الديموقراطي الاشتراكي قد تخلى عن معارضته السابقة لاندماج المانيا الغربية في الحلف الغربي كما تخلى عن مطالبته بتأميم الصناعات الاساسية. Hanrieder, *op. cit.,* p. 156.

٩٠ — انظر Levan, *Der Nahostkrieg..., op. cit.*

٩١ — انظر **سود دويتشي تزايتونغ** ، ٩ تموز (يوليو) ، ١٩٧١ .

٩٢ — انظر **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٠ — ١١ تموز (يوليو) ، ١٩٧١ .

٩٣ — انظر **سود دويتشي تزايتونغ** ، ٩ تموز (يوليو) ، ١٩٧١ .

٩٤ — انظر **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٤ تموز (يوليو) ، ١٩٧١ .

٩٥ — انظر **فرانكفورتر الغيمانه** تزايتونغ ، ١١ حزيران (يونيو) ، ١٩٦٩ .

٩٦ — **المصدر نفسه** ، ٣ حزيران (يونيو) ، ١١ حزيران ١٩٦٩ .

٩٧ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١١ حزيران (يونيو) ، ١٩٦٩ .

٩٨ — **فرانكفورتر الغيمانيه تزايتونغ** ، ٢٠ حزيران (يونيو) ، ١٩٦٩ .

٩٩ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ٩ — ١٠ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٢ .

١٠٠ — في نفس المكان .

١٠١ — **المصدر نفسه** ، ١٥ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٠ .

١٠٢ — **المصدر نفسه** ، ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٢ .

١٠٣ — انظر **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٤ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٢ .

١٠٤ — **المصدر نفسه** ، ٢٧ — ٢٩ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧٢ .

١٠٥ — **المصدر نفسه** ، ٢٤ كانون الثاني (يناير)، ١٩٧٣ .

١٠٦ — انظر Dokumentation des Münchner Palästinakomitees zu den Ausweisungsfällen, 1973.

١٠٧ — **سود دويتشي تزايتونـغ** ، ٢٧ ايلـول (سبتمبر) ، ١٩٧٢ ،
Vorwärts, Dec. 12, 1972.

١٠٨ — ورد تقرير عن عدد من القضايا في توثيق « اللجنة الفلسطينية » في ميونيخ . انظـر الحاشية ١٠٦ اعـلاه . ويرتكز تحليلـي في الفقرتين التاليتين من النص على هذه القضايا .

١٠٩ — ان نص الامر منشور في
Der neue Antisemitismus, Trikont Verlag, 1972.

١١٠ — **فرانكفورتر الغيمايـنـه تزايتونغ** ، ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٧٢ .

١١١ — **شبيغل** ، No. 43/1972

١١٢ — انظر الحاشية ١٠٦ اعلاه .

١١٣ — من الممتع ان نقارن هذه الاستجابة بردة فعل الجمهورية الاتحادية لاعمال القتل والابتزاز التي ارتكبها جهـاز الاستخبارات السريـة الاسرائيلي عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ ضـد خبـراء الصواريخ الالمان (الذين زعـم انهم يبنون الصواريخ العسكـرية لمصر) ، وضد افراد عائلاتهم وزملائهم في العمل . وقد وقع عدد من هذه الاعمال ضمن اراضي الجمهورية الاتحادية. ورغم ذلك ، لم تفـرض قيود على دخـول المواطنين الاسرائيليين المانيا الغربية أو على نشاطاتهم داخلها علـى أساس ان أمن المانيا مهدد بالخطر . وفي ما يتعلق بما اذا كان هؤلاء العلماء يطورون صواريخ عسكرية او صواريخ فضائية للابحاث قارن
Seelbach, *op. cit.*, pp. 110-13
بمقـابلة اجريت مع بعض هؤلاء العلماء نشرتها مجلة شتيرن في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٦٧ .

١١٤ — استشهد به في
Rote Blätter, Dec./Jan. 72/73
لقد طالب زعيم الاتحاد الديموقراطي المسيحي — الاتحاد الاجتماعي المسيحي بحظر جميع المنظمات الاجنبية التي توافق على استخدام القوة لتحقيق أهدافها . وأكد ان الخطـر الذي تمثله هذه المنظمات داخل الجمهورية الاتحادية ناجم ، جزئيا ، عن تعاونهـا مع المنظمات الالمانيـة الراديكالية . **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ .

١١٥ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٩ — ٢٠ ايار (مايو) ، ٢٣ أيار (مايو) ، ٢٥ أيار (مايو)، ٢٦ — ٢٧ أيار (مايو) ، ١٩٧٣ .

١١٦ — **سود دويتشي تزايتونغ**، ٢٤ أيار (مايو)، ١٩٧٣ . لاجل بحث لموقف اسرائيل وسياسة الولايات المتحـدة في ذلـك الوقت ، انظـر
Malcolm Kerr, «Nixon's Second Term: Policy Prospects in the Middle East», *Journal of Palestine Studies*, Spring, p. 14 ff.

١١٧ — **سود دويتشي تزايتونغ**، ٢٥ أيار (مايو)، ١٩٧٣ .

١١٨ — **سود دويتشي تزايتونغ**،٣ نيسان (افريل)، ١٩٧٣ .

١١٩ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ٩ ، ١٠/١١ حزيران (يونيو) ، ١٢ حزيران ١٩٧٣ .

١٢٠ — **سود دويتشي تزايتونـغ** ، ١٩ كانون الثاني (يناير) ، ١٩٧٣ .

١٢١ — على سبيل المثال ،
Jorg Modesta, «The Energy Crisis Facing the U.S.», *Middle East International*, Feb. 1973, p. 13 ff. and David Mitchell, «Oil - The Snifting Balance of Power», *Middle East International*, April 1973, p. 8 ff.

١٢٢ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٦ أيار (مايو)، ١٩٧٣ .

١٢٣ — **سود دويتشي تزايتونـغ** ، ٧ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٣ .

١٢٤ — وردت هذه الاحداث في **سـود دويتشي تزايتونغ** .

١٢٥ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ٢٣ تشريـن الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٣ .

١٢٦ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ٣٠ تشريـن الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٣ .

١٢٧ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١١ — ١٢ شباط (فبراير) ، ١٣ شباط ١٩٧٣ .

١٢٨ — انظر **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٩ — ٢٠ كانون الثاني (يناير) ، ١٥ آذار (مارس) ، ١٩٧٤ ، والمقابلة مع شميت في **دي تزايت** .

١٢٩ — **سود دويتشي تزايتونغ** ، ١٣ شبـاط (فبراير) ، ١٩٧٤ .

١٣٠ — *Entscheidungen des Bundesverfassungsgergichts*, Vol. 35, p. 382.

احاديث مع اسرائيل شاحاك

تقف في الارض المحتلة قوى تقدمية وديموقراطية متعددة في وجه الاحتلال والكبت والتعسف ، تقوم باصدار النشرات وتوزيعها ، وتوزيع العرائض ، وتنظيم التظاهرات والمسيرات. وأبرز هذه القوى وأنشطها «رابطة حقوق الانسان والمواطن الاسرائيلية»، التي يرئسها البروفسور اسرائيل شاحاك . وقد سبق لشؤون فلسطينية أن تحدثت عن هذه الرابطة وغطت نشاطاتها في أعداد سابقة كثيرة . كما نشرت عدة مقابلات مع شاحاك عقدها مراسلون وكتاب متعددون في أوروبه والولايات المتحدة . وتنشر المجلة اليوم مجموعة أخرى من الاحاديث والمناقشات التي قام بها وأعدها بعض اصدقاء المجلة في أماكن مختلفة وفي أوقات مختلفة ، وقد أرسلوها الينا ليسهم نشرها في زيادة تعريف قرائنا على الافكار التي يحملها شاحاك ورابطته ويبشران بها في المجتمع الاسرائيلي . وهي مادة اولية ، وثائقية ، قيمتها في المعلومات الواردة فيها . أما مناقشة هذه الافكار وتحليلها وتقييمها واستخلاص النتائج منها فنتركه لدراسات اخرى ومجالات اخرى .

هل لك ان تقدم نفسك ؟

ولدت في بولنده سنة ١٩٣٣ ، وعشت تحت الحكم النازي منذ سنة ١٩٣٩ ، أدخلت الى معسكر اعتقال بيرغن — بيلزن في المانيا منذ سنة ١٩٤٣ الى سنة ١٩٤٥ ، قدمت الى البلاد — يقصد فلسطين — في أيلول سنة ١٩٤٥ ، وحتى سنة ١٩٥٦ كنت صهيونيا ومؤيدا لبن غوريون ، بعدئذ تغيرت . ويرجع ذلك لامرين ، الاول : مذبحة كفرقاسم سنة ١٩٥٦ ، والثاني الحديث داخل اسرائيل اثناء حرب سيناء عن مملكة داود وسليمان، لكني لم أدخل الى النشاط السياسي الا بعد حرب حزيران وقد أثر علي في حينه أمران آخران هما أولا : رأيت بأم عيني طرد الفلسطينيين عن الجسور في منطقة أريحا وفي قطاع غزة وأماكن أخرى وذلك في الاسابيع الاولى للحرب .

وثانيا : تأكدي من استمرار الاحتلال الامر الذي حتما سيؤدي الى حرب اخرى . وأود التأكيد اني الان أعادي الصهيونية بشدة .

ما هو تخصصك في المجال العلمي ؟

اني متخصص في مجال الكيمياء العضوية . حصلت على الدكتوراه من الجامعة العبرية في القدس سنة ١٩٦١ ، تخصصت سنتين في الولايات المتحدة الامريكية ، عدت بعدها لاشغل منصب مدرس في الجامعة العبرية في القدس .

وقبل شهرين منحت لقب بروفيسور من قبل هذه الجامعة .

متى انتخبت رئيسا للجنة حقوق الانسان والمواطن الاسرائيلية وما هو النشاط الذي تقوم به هذه اللجنة ؟

انتخبت مرتين رئيسا لتلك اللجنة ، الاولى في آذار ١٩٧٠ والثانية في أيلول ١٩٧١ . أما اللجنة فقد تأسست سنة ١٩٣٥ زمن الانتداب البريطاني حيث كانت تعمل بشكل نشيط جدا بشأن النضال ضد الانجليز من قبل اليهود والعرب في البلاد . وبعد سنة ١٩٤٨ أصبح نشاطها ضعيفا جدا . لكنها عادت وجددت نشاطها عام ١٩٦٩ لدى انضمام عدد كبير من الاشخاص الجدد اليها ومع

اتخاذها لقرار النضال في جميع أنحاء العالم ضد أي اخلال بحقوق الانسان داخل المناطق الواقعة تحت حكم اسرائيل بما يتعلق بأي انسان دون التفريق بين الاصل والديانة والقومية . وكانت احدى الاعمال الاولى للجنة تقديم شهادة أمام لجنة الامم المتحدة للتحقيق في أوضاع المناطق المحتلة من قبل اسرائيل .

ونتيجة لهذه العملية هوجمت اللجنة وأعضاؤها، ومن بينهم أنا شخصيا من قبل الحكومة الاسرائيلية والصحافة في البلاد وبوسائل اخرى . وقد ترك اللجنة عدد من الاعضاء القدامى ، لكن عددا كبيرا من الاعضاء الجدد انضم اليها . كذلك نظمت اللجنة نشاطات ضد القمع في قطاع غزة وذلك في كانون الثاني وشباط سنة ١٩٧١ وخاضت نضالا مريرا ضد الاعتقالات الادارية — بموجب قوانين الطوارىء الانتدابية — في اسرائيل في السنوات ما بين ٦٩ الى ١٩٧١ كما وتشن اللجنة الان نضالا ضد الاعتقالات والتعذيب في المناطق المحتلة .

لقد سمعنا عن المشاكل التي واجهت اللجنة ومن بينها واحدة وصلت الى المحاكم في اسرائيل فما هي هذه المشكلة ؟

في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٢ كان من المقرر ان ينعقد المؤتمر السنوي للجنة . عندها نظم حزب العمل الاسرائيلي جماعة من القبضايات وحضروا الى الاجتماع في تل ابيب وطلبوا تسجيل انفسهم ليصبحوا حالا أعضاء في اللجنة . فقمت بفض الاجتماع بينما بقي القبضايات في المكان وقاموا بانتخاب لجنة جديدة ، لكن المحكمة التي نظرت في القضية ، ألغت تلك الانتخابات وأمرت باجراء انتخابات جديدة . فعاود حزب العمل الكرة مرة أخرى ، ونظم ٤٥٠ منتخبا سجلوا في نادي حزبهم القائم في شارع فروغ ١ بتل أبيب ، وحضر محامي الحزب وأراد تسليمي رزمة الاسماء مرة واحدة . وعندها رفضت تسلمها وقلت ان تسجيل الاشخاص لمؤسسة ديمقراطية يجب ان يجري بشكل فردي ، فأحضر الامر أمام المحكمة مرة اخرى وسيصدر القرار بهذا الشأن عن محكمة العدل العليا في شهر أيلول القادم (١٩٧٤) .

هل هناك شروط للعضوية في اللجنة ؟

بسبب القانون الاسرائيلي فان العضوية في اللجنة تقتصر فقط على المواطنين الاسرائيليين لكنها بالطبع لا تتقيد بالديانة او بالقومية وعلى من يرغب بالانتساب للجنة الموافقة على هدفها الرئيسي ألا وهو النضال ضد المساس بحقوق الانسان كما وبين أعضاء اللجنة يوجد يهود وعرب استشهد هنا بأسماء بعضهم : الشاعر والمترجم المشهور مردخاي أبي شاؤول نائب رئيس اللجنة والمحامي حنا نقاره والمحامية فيليتسيا لانغر والمحامي عبد الحفيظ دراوشه .

ما هي أصداء النضالات التي تخوضها اللجنة ؟

مثلا في شهر نيسان الماضي مثلت أمام لجنة تابعة لمجلس الشيوخ الامريكي كشاهد خبير لاتحدث عن الاخلال ببنود معاهدة جنيف في المناطق التي تحتلها اسرائيل . وقد كان لشهادتي هناك صدى واسع في الولايات المتحدة الامريكية ، وأماكن أخرى في العالم . كذلك تحدثت مرتين أمام عدد كبير من أعضاء البرلمان البريطاني ، كما ومثلت عدة مرات أمام لجان تابعة لهيئة الامم المتحدة بهذا الشأن أيضا . وبالنسبة لاصداء نضال اللجنة أود أن أذكر الوثائق التي نشرتها اللجنة كذلك بعض الابحاث التي نشرتها باسمي مثل البحث الذي أجريته بمساعدة المؤرخ المشهور المرحوم عارف العارف عن القرى العربية التي هدمت في اسرائيل بعد سنة ١٩٤٨ وقد نشرت جميعها في بيروت باللغة الانجليزية من قبل مركز الابحاث الفلسطيني تحت اسم : اللجنة الاسرائيلية لحقوق الانسان ، أوراق شاحاك ، وأنا فخور جدا بأن أكون الاسرائيلي الاول الذي يصدر باسمه كتاب ولاول مرة في الدول العربية .

هل لديك نسخة من هذا الكتاب ؟

كلا . لقد رأيته اثناء زيارتي لخارج البلاد لكني لا أستطيع حيازته في البيت لان القانون الاسرائيلي يمنع حيازة كتاب أو جريدة تصدر عن منظمة فلسطينية .

ضد أي مساس بحقوق الانسان في اسرائيل تناضل اللجنة ؟

على الرغم من أن الوضع في المناطق المحتلة هو سيىء للغاية فان المساس بحقوق الانسان والتفرقة العنصرية والعرقية في اسرائيل نفسها متأصل بشكل أشد . وأذكر هنا بعض الامثال أكثر

المشاكل أهمية في اسرائيل هي مشكلة الاراضي . فالاراضي العمومية هي اسرائيلية بصورة قانونية ورسمية ليست مخصصة لفائدة مواطني او سكان اسرائيل بل لفائدة او استعمال اليهود فقط . لذلك تجري ادارتها من قبل مؤسسة الكيرن كيمت لاسرائيل . ووفقا لذلك توجد في اسرائيل مدن كاملة مثل كرميئيل والناصرة العليا وحاتسور وعراد وغيرها حيث لا يمكن لمن هو ليس يهوديا ان يسكن بها او يفتح مصلحة . وفي مدن اخرى توجد احياء مثل حي — رامات اشكول — في القدس الشرقية حيث ممنوع بشكل قانوني لمن ليس يهوديا ان يشتري مسكنا فيه .

استعمل كلمة — ليس يهوديا — عن قصد رغم ان المتضررين الاساسيين هم بالطبع الفلسطينيون، وأفعل ذلك: أولا : لان هذا هو المصطلح القانوني في دولة اسرائيل ، فكل شيء هنا مقسم الى يهودي وغير يهودي . وثانيا : لانه يجب على الفلسطينيين ان يعرفوا ان هذه التفرقة موجهة ضد كل من ليس يهوديا . وهي جزء مما يسمى الطابع اليهودي لدولة اسرائيل . وبالطبع اعرف ان هذه الاراضي التي يستعملونها الان استعمالا — متميز عنصريا — كما في جنوب افريقيا ، فقد سلبت بالاساس من الفلسطينيين .

والمشكلة الثانية في دولة اسرائيل هي مصطلح « هتيشبوت » واستيطان الترجمة الفعلية لهذا المصطلح : فحكومة اسرائيل مثلا توصل الكهرباء والماء والطرق الى كل مستوطنة يهودية جديدة قبل أن يدخلها المستوطنون بينما ما زالت معظم القرى العربية في اسرائيل تنقصها تلك الخدمات — وان وجدت في بعض القرى فهي قد اقيمت بأموال سكانها العرب — ومن يعرف اللغة العبرية يعلم انهم لا يقولون بالعبرية ان عربيا يستوطن او عربي مستوطن ، بل يقولون عربي يسكن وذلك لانه أمر مؤقت . وبنفس الاسلوب يعلمون الاولاد اليهود في اسرائيل عن طهارة الارض ، ماذا تعني طهارة الارض ؟ كل قطعة ارض مالكها ليس يهوديا تعتبر انها لم تطهر بعد ، وعندما تنتقل ملكيتها ليهودي تصبح مطهرة ، ومن الجدير بالذكر ان الاشتراكيين والرأسماليين من بين الصهيونيين يعترفون بهذا المبدأ وأي اشتراكي صهيوني وحتى الاكثر يسارية يقول عن أي حقل كان يملكه فلاح فقير فلسطيني واشتراه مليونير يهودي وبهذا اختلف عن كل الصهيونيين يمينيين كانوا أو يساريين بأني اعتبر ان الارض ملك للشعب ولن يعمل بها دون التفريق بين العنصر والديانة والقومية .

مثال آخر على قضايا التفرقة في اسرائيل هو قضية دخول الاشخاص الى اسرائيل . ولهذه القضية يوجد وجهان الاول قومي عام ، والثاني شخصي ، سأتحدث أولا عن الوجه الشخصي . يستطيع كل يهودي القدوم الى اسرائيل في كل دقيقة ويحصل حالا ليس على حقوق المواطنة فحسب بل على اعفاء من ضريبة الدخل لمدة ٣ سنين ، ومسكن وقرض كبير واعفاء من ضريبة الجمرك عن الاثاث المنزلي وعن السيارة . وذلك حتى لو انه اصبح يهوديا قبل قدومه لاسرائيل بيوم واحد . فاذا ذهب ياباني الى حاخام في طوكيو وأصبح يهوديا يستطيع بعد ختم أوراق التهويد بثوان ان يحضر الى رامات اشكول والحصول على مسكن بنصف ثمنه في مبنى اقيم على ارض فلسطينية مصادرة .

اما بالنسبة للوجه الاخر من القضية فان كان أي فلسطيني مواطن اسرائيلي يرغب باحضار اخته او اخيه الذي يسكن مثلا في بريطانيا الى بيته ليس له الحق القانوني بذلك . لا يوجد له حق قانوني حتى لاحضار زوجته اذا تزوج خارج حدود اسرائيل الى بيته . وبهذا تختلف اسرائيل عن باقي دول العالم . ففي أية دولة يستطيع اي مواطن يتزوج امرأة من بلاد اخرى احضار زوجته الى بيته . فالتفرقة الخاصة في اسرائيل تنبع من حقيقة كون الصهيونيين متطيرون لدرجة الجنون مما يسمونه المشكلة السكانية او بكلمات أبسط من عدد غير اليهود الذين يسكنون في الدولة اليهودية ومثلما قالت جولده مائير رئيسة الحكومة السابقة في اكتوبر ١٩٧٢ انها أحيانا لا تستطيع النوم عندما تفكر في عدد الاطفال العرب الذين يولدون في تلك الليلة .

لذلك فان هدف الصهيونيين جميعا دون تمييز هو التقليل قدر المستطاع من عدد الذين ليسوا يهودا في دولة اسرائيل . وهذا بحد ذاته عرقية وتفرقة حسب رأيي .

ما هو نشاطك أو نشاط اللجنة بشأن التفرقة ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ؟

اني واللجنة لحقوق الانسان نعنى قبل كل شيء بالتفرقة الواضحة والموجودة في القانون فمعاملة اليهود أبناء الطوائف الشرقية السيئة أحيانا ليست معاملة قانونية . فاليهود جميعهم فئة ذات حقوق في اسرائيل والذين ليسوا يهودا جميعهم فئة بدون حقوق . لذلك فنحن حاليا نعنى بالاساس بقضايا الذين ليسوا يهودا التي من ضمنها معالجة قضية اليهود السود في ديمونا وقضايا العائلات المختلطة . وان كانت لدى يهودي من أصل مراكشي امكانية مادية باستطاعته أن يسكن في حي رامات اشكول ويشتري مسكنا هناك .

أرغب في اعطاء مثال آخر عن معاملة أوساط رسمية مختلفة لعرب اسرائيل والتي لا يلقى مثلها أبدا اليهود ابناء الطوائف الشرقية . فمثلا قبل شهرين ونصف تقريبا صرح السيد شموئيل طوليدانو مستشار رئيس حكومة اسرائيل للشؤون العربية انه يعتبر جميع العرب الاسرائيليين الذين يصوتون للاحزاب الصهيونية كلها عربا ايجابيين وكل الذين يصوتون للحزب الشيوعي الاسرائيلي — ركاح — عربا سلبيين . والحزب الشيوعي الاسرائيلي يضم في صفوفه يهودا وعربا وقد حصل في الانتخابات الاخيرة على نسبة واحد بالمئة من مجموع الاصوات في تل ابيب ، لكن لا احد يجرؤ في اسرائيل على القول بأن اليهود الذين يصوتون للحزب الشيوعي هم يهود سلبيون حتى وان كانوا يهودا من أبناء الطوائف الشرقية ، وذلك لانهم ينتمون لطبقة ذات حقوق . كذلك لا يوجد لحكومة اسرائيل مستشار خاص بشؤون يهود الطوائف الشرقية ويسيطر على امورهم مثلما يسيطر شموئيل طوليدانو على أمور عرب اسرائيل .

ما هي الخلفية التاريخية لهذه الظواهر من المساس بحقوق الانسان في دولة اسرائيل ؟

اعتقد ان السبب نابع من ماهية الحركة الصهيونية . وهنا اريد ان استند على تعريف اهداف الحركة الصهيونية من قبل البروفيسور بن — تسيون دينور وزير المعارف الاول لدولة اسرائيل وصديق قريب لبن غوريون ففي مقدمة كتاب تاريخ منظمة الهاجاناه الصادر في سنة ١٩٥٤ عن المكتبة الصهيونية التابعة للمنظمة الصهيونية كتب دينور موضحا لجميع الصهيونيين انه : يجب ان نضع نصب اعيننا بأن يصبح معظم اراضي البلاد في ايدي اليهود وأن تكون الاكثرية الساحقة من الحرف والصناعات في ايدي اليهود . والسبب الذي يعطيه دينور لذلك هو : ان اليهود هم اسياد وطنهم القديم . ويقتبس دينور اقوال الزعماء الصهيونيين قبل واحد وتسعين سنة منذ سنة ١٨٨٣ اذ يقول : اننا نتحدث حاليا عن الاستيطان وفقط عن الاستيطان ، وهذا هو هدفنا القريب ونحن نتحدث عن ذلك وفقط عن ذلك . لكن يجب ان يكون واضحا انه : يوجد مكان لنا في بلادنا ، ونحن نقول للعرب ابتعدوا واذا لم يوافقوا ويقاوموا بالقوة ، نجبرهم على الابتعاد ونضربهم على نافوخهم ونجبرهم على الابتعاد .

وحسب رأيي بقي هذا هدف الصهيونيين جميعهم الحمائم منهم والصقور حتى يومنا هذا . ويختلفون فقط في مسألة ان كان العرب سيبتعدون ببطء او بسرعة وكم يجب ان يضربوا على نافوخهم . لكني اقول العكس يجب ان يعود الفلسطينيون ولهم الحق الانساني الواضح بالعودة لاماكنهم وليس مهما ابدا سبب ترك عائلة فلسطينية لمدينة حيفا ، وان كان ذلك بارادتها او خوفا او عن طريق الطرد بالقوة ، يوجد لها الحق الكامل اذا ارادت في العودة لان هذا هو وطنها . وبهذا اختلف انا وأصدقائي عن جميع الصهيونيين . ارغب هنا ان اضيف نقطة مهمة اخرى . بعد سقوط الحكم النازي في المانيا أعلنت حكومتا المانيا الغربية والشرقية عن الحق الكامل لكل انسان اضطر الى ترك المانيا في فترة الحكم الهتلري بالعودة الى هناك . فهم لم يفرقوا بين مسيحي ويهودي كذلك لم يفرقوا بين من طرد وبين من ترك بمحض ارادته . وبالفعل استغل عدد كبير من اليهود هذه المناسبة وعادوا الى المانيا فلو كان هذا الحق مقتصرا على المسيحيين في المانيا فقط كان العالم اجمع يتهم المانيا باللاسامية وبنفس الشكل اقول من يسلب هذا الحق الانساني من الفلسطينيين بالعودة الى اماكنهم فهو يتصرف بالضبط مثل اللاساميين .

من هم الصهيونيون حسب رأيك في اسرائيل ؟

هم اعضاء احزاب وشخصيات ينتمون الى

المنظمة الصهيونية . وباصطلاحات سياسية مـن مئير بعيل — زعيم حزب موكيد — حتى مناحيم بيغن زعيم حزب ليكود ، ومثال على كم هـو الفـرق صغير بينهم ، قام مئير بعيل قبل عدة اشهر بزيارة للولايات المتحدة وتحدث هناك عن برنامجه قائلا : اننا نعطي قطعة سلام مقابل قطعة ارض فانبرى من بين الحضور شخص فلسطيني من نابلس ويقيـم في الولايات المتحدة وسأله : كيف تعطي نابلـس هل هي ملكك ؟ فأجاب مئير بعيل انها بالفعل ملكه ولليهود حقوق فيها . وهذا هو كل الفرق في نظري. فأنا اقول ان الحق في نابلس هو لاهل نابلس . ولا اقول انه توجد لي او لاي يهودي قد غير دينـه أمس اية حقوق تاريخية .

هل هناك تفرقة بين اليهود والعرب في اسرائيل بشأن النشاط السياسي ؟

نعم وبشكل واضح جدا.فلليهود مسموح تأسيس المنظمات والاحزاب بينما للعرب غير مسموح . وهكذا لم تحصل منظمة الاكاديميين العـــرب في اسرائيل على ترخيص ، كذلك توجد رقابة خاصة في اسرائيل على كل الاشياء المكتوبة باللغة العربيـة وهي أشد بكثير من الرقابة العبرية . والتفرقـة تصل الى مجال النوادي الثقافية والرياضيـة . فمن الصعب جدا الحصول على تصريح لتأسيـس ناد ثقافي ريـاضي عربي في اسرائيل ان لم يكن تابعا لمنظمة صهيونية مثل الهستدروت او منظمات هبوعيل ومكابي الخ ..

وكي اوضح مدى التفرقة السياسية اذكر هنـا حادثة جرت لدى انعقاد المحكمة للنظر في قضيـة لجنة حقوق الانسان والتي ورد ذكرها سابقـا ، فمحامي حزب العمل لم يخجل من مهاجمة اللجنـة لحقوق الانسان لانها تضم في صفوفها الكثير مـن العرب . وعندما استنكرت ذلك امام المحكمـة ، ولكن الحاكم بدلا من ان يقول اية كلمة للمحامـي العنصري فانه هددني باخراجي من قاعة المحكمة.

مثال اخر على التفرقة هي اوامر الاقامة الجبرية وتقييد حرية التنقل المفروضة على مواطني اسرائيل العرب فقط وخاصة اولئك الذين ينادون بالتعاون العـــربي اليهودي . فمواطنون عرب كثـيرون يستيقظون في الصباح ليجدوا في بريدهم قصاصة ورق تتضمن امرا بمنعهم من الخروج من القريـة او المدينة التي يسكنون فيها دونما اي سبـب .

وفي هذه الحالة اذا ارادوا الخروج لمكان مـا يتوجب عليهم طلب تصريح خـاص من الشرطـة واذكر هنا بعض الحوادث التي جرت في هـذا المجال ومن خلال عملي في اللجنة لحقوق الانسان. عندما تدخلت مرة في قضية مواطن عربي من الرملة تقيم ابنته في الناصرة وهو ممنوع من ترك الدولة ويريد زيارة ابنته ورؤية احفاده قيل لي في الشرطة انهم لا يعطونه تصريحا لانه باستطاعة ابنتهالحضور الى الرملة وهو ليس مضطرا للذهاب اليهـا . وحادث اخر لمواطن من قرية الطيبة في المثلث كان لديه مرض في اسنانه ، وبعد ان حصل على تقرير طبي ينص على وجوب حصوله على علاج خـاص — وبالطبع لا يسكن في أي قرية عربية في اسرائيل طبيب اسنان حتى وان كان عدد سكان القرية يصل الى ١٥ الف نسمة — حصل على تصريح خاص من الشرطة للقيام بثماني زيارات لدى طبيب اسنـان في مدينة ناتانيا . لكن بعد الزيارة الرابعة منعتـه الشرطة من مواصلة العلاج وعندما استفسرت عن الامر حصلت على جواب شفهي مفاده ان المريض شوهد وهو يتمشى في الشارع مقابل عيادة الطبيب بدلا من الدخول اليها والحصول على العـلاج . وقبل ثلاثة اشهر تقريبا وجهت جماعة من الطلبة في جامعة تل — ابيب دعوة الى مستشرقين للتحدث عن الوضع الراهن وهما البروفيسور متتياهو بيلد — وهو جنرال احتياط — والدكتور اميل توما وقد وافق الاثنان على الحضور . لكن الدكتور تومـا ممنوع من مغادرة حيفا دون تصريح من الشرطـة فطلب التصريح كما وقام الطلاب بدورهم بتقديـم طلب من الشرطة للسماح للدكتور توما بالحضـور الى تل — ابيب ، لكن الشرطة اجلت الرد حتى الدقيقة الاخيرة وفي النهاية لم تعط التصريح .

ومن الجدير بالذكر انه لا يوجد تقريبا في اسرائيل صهيونيون مستعدون للنضال من اجل الحقـوق الاولية هذه مثل حرية الحركة وذلك لان المتضررين من هذا الاضطهاد هم فقط العرب . فأي يهـودي في اسرائيل يستطيع التحدث عن التمرد ضـد السلطة ولا يحدث له اي شيء وان حدث يهـب معظم الصهيونيين لنجدته لكنهم ليسوا مستعدين لعمل اي شيء بشأن التفرقة ضد الذين ليســوا يهودا . وهذا ثانية الفرق بيني وبينهم .

كيف ترى المستقبل ؟

اني متفائل بالنسبة للمستقبل البعيد لكني متشائم بالنسبة للمستقبل القريب . فأنا متأكد ان الصهيونية ستندثر في المستقبل البعيد ، ربما بعد حوالي ١٥ — ٢٠ سنة . وذلك لانها تعمل بعكس الافكار المشتركة لمعظم شعوب العالم . وثانيا لانها وفي الشرق الاوسط بالذات ستجلب كارثة على المنطقة وقبل كل شيء على اليهود انفسهم . وثالثا لان الاضطهاد والتفرقة التي ينتهجها الصهيونيون في دولة اسرائيل وفي المناطق المحتلة اصبحت واضحة ومفهومة لدى اوساط واسعة في العالم . وبسببها ينتهج قسم كبير من الصهيونيين طريق عدم التنازل وعدم الاعتراف بأي من حقوق الفلسطينيين او حتى بالحقوق الانسانية الخاصة لاولئك الذين ليسوا يهودا وعدم التنازل هذا يصل بي حتما الى التشاؤم في المرحلة القريبة وأنا متأكد ان مفتاح الانتصار على الصهيونية موجود في النضال المشترك القائم على الاسس التقدمية لدى الفلسطينيين واليهود على حد سواء . واعتقد انه قد تم الوصول الى انجازات اولية جيدة في هذا النضال وأنا متأكد انه بقدر رؤية ان الصهيونية من بدايتها قائمة فقط على اساس التفرقة التي يجب ان تنتهي بواسطة هذا التعاون المشترك فان هذا النضال سينتصر وسيوصلنا الى حياة مشتركة على اساس العدل والديمقراطية .

ما الذي يجعلك تهتم بمشكلة السجناء السياسيين في اسرائيل ؟

لا انسى ابدا لدى العمل مع شعب من الشعوب ان على المرء ان يحاول تخفيف الام الشعب قدر الامكان ، والا عزل نفسه عن الشعب اذا اكتفى بوضع النظريات فقط . وان اهتمام المرء بالسجناء السياسيين في اسرائيل وبآلامهم الفعلية وتعذيبهم هو افضل طريقة لتثقيف الشعبين الفلسطيني واليهودي على السواء بحقيقة ما يحدث ، وبالتالي جعلهم يعون مشكلاتهم — وبوسعك القول ، لتوعيتهم لحملهم على اخذ مصيرهم بأيديهم ، لرؤية المشكلة الحقيقية للصهيونية ، المشكلة الحقيقية كما هي الصهيونية — لا كأيديولوجيا بل ما تفعله الصهيونية للشعب كل يوم من الناحية العملية . واعتقد ان مشكلة السجناء السياسيين هي احدى اهم المشكلات التي ينبغي توعية الشعب بها .

ما هو تعليقك على حقيقة ان هناك سجناء سياسيين يهودا فضلا عن العرب في اسرائيل ؟

ان كلا الشعبين يعيان ببطء المشكلة الحقيقية للصهيونية ، والفلسطينيون اسرع من اليهود في وعيهم لها . عليك ان تفهم ان الصهيونية تضطهد اليهود بقدر ما تضطهد الفلسطينيين . انها تضطهد البشر ، على أن اضطهاد اليهود ليس سريعا الى هذا الحد ، وليس مكشوفا كاضطهاد الاخرين ، وفي الواقع كان يكون هناك المزيد من السجناء السياسيين اليهود لو لم يكن لهم في قوانين الدولة امتيازات وحماية . وبالطبع عليهم ان يحاولوا بالطريقة الصحيحة التخلي عنها لخوض نضال مشترك من اجل اهداف سياسية مشتركة مع الفلسطينيين . ومشكلة السجناء المعنيين هي ايضا ، بالطبع ، مشكلة ما فعلوه ، وهل كان يصح فعله في الظروف الموضوعية ، وما الى ذلك. فأنا في الوقت الحاضر ، على سبيل المثال ، متهم رسميا بالخيانة في اسرائيل لارتكابي جريمة مزعومة ، هي جريمة نزولي ضيفا على لجنة فلسطين الهولندية .

أهذا هو السبب الوحيد ؟

انه احد الاسباب المهمة واعتقد انني مستعد لمواجهة التهمة اذا ما حاكموني . ذلك ان الامر الاهم هو ، باديء ذي بدء ، ان على اليهود التخلي عن امتيازاتهم ، لانهم بهذا نقط يمكنهم ان يأملوا في خوض نضال مشترك مع الفلسطينيين . الامر الثاني هو ان عليهم القيام بذلك على نحو يكون فيه اكبر قدر من الفائدة للنضال ضد الصهيونية ! ولا اعني بالضرورة الطريقة الاكثر تعبيرا من الناحية العاطفية بل ، على ما اعتقد ، الطريقة التي يكون أصعب على الصهاينة الرد عليها .

يبدو هذا وكانك ترفض ايديولوجيا الصهيونية رفضا باتا .

بالطبع ، ولا شك في ذلك . بل اكثر من ذلك . فانا لا اوصف بانني مناهض كليا للصهيونية فحسب — ولا اعتقد ان هناك كثيرين يفوقونني مناهضة للصهيونية — بل انني اقول ان التحالف مع الصهيونية امر رديء جدا من الناحية السياسية .

ولن يكون هناك أي تحالف بين الصهاينة والمناهضين للصهاينة على الصعيد السياسي الا في المسائل ذات الطابع المحدود وغير المهم . اعني ان على المعسكر المناهض للصهيونية ان يبقى منفصلا انفصالا تاما داخل اسرائيل وخارجها . وسأقدم لك مثلا فعليا عن شيء حدث منذ شهرين : كان هناك ما سمي بالمستوطنة المتطرفة الاولى في سبسطية قرب نابلس . وقد عارضها الصهاينة اليساريون ولكنهم قالوا — او بالاحرى قال السيد النائب زعيم موكيد مئير بعيل ، الحزب الصهيوني اليساري ، انه يعارض المستوطنة في سبسطية لانها ستحدث عنفا بين اليهود . لا بين الاسرائيليين ولا بين البشر بل بين اليهود . وكسبب ثان قال : انها ستعطي عرب اسرائيل فكرة الرغبة في العودة الى قراهم المدمرة . اما انا فاريد ان يعود العرب ، اسرائيليين ام غير اسرائيليين ، الى قراهم . اذا ، كيف يمكنني ان اتفق مع الصهاينة اليساريين ؟ ولذلك توجد لاعضاء جماعتنا قاعدة سياسية واحدة : لا يمكن التحالف بين الصهاينة والمناهضين للصهيونية . اذ لا يسعك التوصل الى اي نوع من التفاهم . وفي الواقع نحن غاضبون من هؤلاء الفلسطينيين والعرب الذين يريدون الاتصال بالصهاينة والذين حتى يمتدحون الصهيونية والصهاينة . ونشعر ان الفلسطينيين الذين يريدون الاتصال بالصهيونية انما يطعنوننا في الظهر . وبالمناسبة ، انا عندما اقول نحن ، لا اعني اليهود او الفلسطينيين ، فجميع حركاتنا ، ومنها عصبة الحقوق المدنية التي ارأسها انا والحركات الاخرى التي تتعاون معنا ، هي حركات متكاملة مؤلفة من اليهود والفلسطينيين على نفس الاساس الديموقراطي . وجميع الاحزاب الصهيونية والحركات الصهيونية هي حركات عنصرية لا تدخل اليها عربا ، او على الاقل لا تدخل اليها عربا على قدم المساواة .

الى أية درجة تعتبر الدولة الديموقراطية العلمانية التي تدعو اليها منظمة التحرير الفلسطينية لفلسطين مطلبا واقعيا ؟

انني اعتبرها احد الحلول الممكنة بشرطين اثنين ، اعتبرهما شرطين ديموقراطيين جدا : اولا ، سأطالب بان تتوجه منظمة التحرير بهذا الحل مباشرة الى اليهود الذين يعيشون في فلسطين والذين تعتقد انهم مواطنوها المستقبليون . وهذا يعني اصدار بيان ونداءات موجهة الينا بدل مخاطبة الشعب الفرنسي على التلفزيون الفرنسي مثلا . ولو ان المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في الاول من حزيران (يونيو) اذاع نداء موجها مباشرة الى اليهود المقيمين في فلسطين لكان هذا ، في نظري ، خطوة مهمة نحو القبول بدولة ديموقراطية علمانية . المطلب الثاني هو : أريد مقترحات تشير الى ماهية الدولة الديمقراطية العلمانية على وجه الدقة ، وبحث هذه المقترحات. مثال ذلك : يهمني جدا أن تعني الدولة العلمانية فصل الدين عن الدولة ، فانا في الدولة العلمانية وفي اية دولة افضل فصل الدين عن الدولة كما في فرنسا والولايات المتحدة — ولا ادري ما هو الوضع في سويسرا — واريد كجزء من حقوقي الديموقراطية ان تكون ثمة تربية عبرية وعربية وان تكون هناك لغتان وثقافتان . واذا ما تحقق هذان المطلبان الديمقراطيان جدا أكون على أتم الاستعداد لبحث الدولة الديموقراطية والعلمانية .

الى اي حد تعتقد ان الاسرائيليين مستعدون للقبول بهذه الامور ؟

اقول حال تحقق هذه الامور يمكنكم ان تبدأوا البحث معهم وربما كان هناك استعداد من نوع ما ، والامر الذي يجعل شعار « دولة ديموقراطية علمانية » في فلسطين غير عملي قطعيا ضمن السكان اليهود في اسرائيل هو ٢٥ عاما من الدعاوة الصهيونية التي كانت طوال الوقت تشدد على أمر واحد فقط : ان جميع الفلسطينيين ، جميع العرب ، يريدون قتلكم . وكاقتراح عملي اولي في هذه المرحلة ، أدعو الى مجموعة كاملة من الحلول السياسية ، ولك ان تفهم بالضبط انها جميعها مناهضة للصهيونية . انني لا احصر نفسي في هذا الامر ، لكن كل حل يجب ان يوجه الينا ، للسبب الديموقراطي البسيط ان علينا أن نأخذ هذا الحل وندعو له بين الشعب . وكاقتراح عملي ليقم المفكرون الفلسطينيون المؤيدون لمنظمة التحرير الفلسطينية بكتابة سلسلة من الرسائل الى يهود فلسطين ، الى مواطنيهم في المستقبل ، يشرحون لهم فيها بصورة ايجابية ، بصورة يمكن استخدامها في الدعاوة اليومية ، ما هي الدولة التي تدعو اليها المنظمة ، وانا واصدقائي مستعدون تمام

الاستعداد لنشرها في اسرائيل .

ان المعاملة التي تلقاها الفلسطينيون على يد الاسرائيليين في الماضي والحاضر لا تشجعهم على كتابة الرسائل ببساطة ، وهناك السؤال الاخر : ما هو مدى تأثير امثالك من الاشخاص فعلا في اسرائيل ؟

بادىء ذي بدء ، لا اشعر انني انا نفسي مسؤول عن اعمال دولة اسرائيل التي أشجبها والتي اقاومها في اسرائيل وخارجها . والطريقة السياسية لتغيير الحالة ليست الطريقة العاطفية بل هي رؤية كيفية تغيير الحالة واقعيا . وربما كان الانغماس في العاطفة هو طريقة ابقاء الحالة على ما هي عليه . واقول انه على الرغم من أن الحكومة الاسرائيلية تمارس ، وستمارس ، بالطبع ، اعمال الارهاب ضد الشعب الفلسطيني، فان تلك الاعمال يمكن ان تكون في المستقبل اسوأ بكثير مما كانت في الماضي . واذا ما نظرنا الى الامر واقعيا ، وجدنا ان افضل حليف للفلسطينيين هو القسم المناهض للصهيونية من السكان اليهود في اسرائيل ، وان واجبهم نحو انفسهم يحتم عليهم ان يشجعونا . ما يزال حجمنا صغيرا ولكنه ليس صغيرا بقدر ما كنا نعتقد — ومساندتهم لنا قد تساعدنا على النمو . اننا افضل حليف على الصعيد العملي المتوفر .

على أي وجه من وجوه عملكم تركزون اكثر نشاطاتكم وأية اهمية تعلقون على رحلاتكم الاخيرة الى الولايات المتحدة واوروبا ؟

ان الهدف التكتيكي الرئيسي لعملي كما هو الان هو عزل المؤسسة الصهيونية عن اصدقائها . فالمؤسسة الصهيونية والقوى الصهيونية تتألف من جزئين : قوم صهيونيون بصورة عمياء تامة ، سواء كانوا في اسرائيل او سويسرا او الولايات المتحدة وفي الوضع الحالي لا يمكننا ان نفعل اي شيء عملي بهم ، لكن لديهم ايضا جسما اكبر بكثير من الانصار هم عادة اشخاص مخدوعون ، احيانا ذوو نوايا حسنة يعرفون واقع الحال ولانهم لا يعرفون الواقع هم اصدقاء اسرائيل الصهيونية. والمهمة الرئيسية الان هي : تقسيم المعسكر الى هذين الجزئين ، الامر الذي يعني عمليا التركيز على تلك الوجوه من الحالة التي لا يستطيع الصهاينة الاجابة عنها . لذلك عندما اقوم بجولة، عندما ادعى هنا الى التلفزيون والراديو ، اركز على الاسئلة المباشرة ، التي تحدث للشعب طوال الوقت ، والتي لا جواب هناك عنها . فأتكلم عن اسرائيل بوصفها مجتمع تفرقة عنصرية، بوصفها مجتمعا لا تستطيع اكثرية الفلسطينيين الاقامة فيه على الاراضي الاسرائيلية . واركز بخاصة على الكيبوتز فأقول ان الكيبوتز مؤسسة تفرقة عنصرية لانه ، كما تعلمون ، المسرح الرئيسي للدعاوة الصهيونية ، واقول ان العمال الفلسطينيين في الكيبوتز لا يمكنهم ان يصيروا اعضاء فيه ، واقول ان اعضاء الكيبوتز بصورة جماعية هم السيد الذي يخدمه الفلسطينيون بأجور استغلالية . وبهذا التركيز احاول ان ادمر اهم سلاح دعاوي لدى الصهاينة وهو ، كما تعلم ، اسطورة الكيبوتز . وانني اطرح السؤال : هل اشتراكية التفرقة العنصرية هي اشتراكية ؟ لانهم لا يدرون ان الاشتراكية في اسرائيل هي تفرقة عنصرية . ولا يوجد لدى الصهاينة جواب عن هذا السؤال ، ولدى التكلم عن الفلسطينيين ، في الاراضي المحتلة على سبيل المثال ، فان الحقيقة الاكثر اساسية للحالة في نظري هي العائلات الفلسطينية المفرقة المبعثرة ، حقيقة ان عائلة فلسطينية في نابلس ، مثلا، قد يكون لها شقيق في جنيف لا يحق له المجيء الى نابلس . ويستخدم هذا الامر كأداة لطرد الفلسطينيين من فلسطين . ويقال للعائلة : اخرجي واتحدي خارج فلسطين .

الا يدعونهم الى الدخول ...؟

بالطبع — وبهذا ادمر ايضا اسطورة الزيارات الصيفية . فالزيارات الصيفية تستخدم في الواقع للم شمل العائلات لمدة ستة اسابيع في الصيف لكي يؤذيها الوضع اكثر فتخرج لتتوحد .

هل لديك اية ارقام تشير الى عدد الاشخاص الذين يدخلون اسرائيل للقيام بزيارات صيفية ؟

الصيف الاخير بلغ الرقم نحو ١٥٠,٠٠٠ وجميعهم اقرباء . وهم ليسوا زائرين او سائحين كما تزعم الدعاوة الصهيونية — بل جميعهم اقرباء واشقاء وآباء وابناء عم وخال وشقيقات يحظر عليهم البقاء . وهكذا فان الزيارات الصيفية هي في الواقع اداة لاخراج الفلسطينيين من فلسطين . وانني اقدم هذه الحجج لانه لا يمكن للصهاينة الرد

عليها . واذا استطعنا اجراء بحث على هذه الاسس ، فاننا نثقف الجمهور الاوروبي بواقع الصهيونيين فعلا . ولاضرب لك افضل مثلا : عندما قدمت الحجة حول كون الكيبوتز تفرقة عنصرية في هولندا في بداية هذا الشهر ، قال لي صحافي صهيوني جدا : اجل هي تفرقة عنصرية ولكنها كذلك من اجل الامن . فقلت له : حسنا جدا ، اكتب في صحيفتك ان الكيبوتز تفرقة عنصرية لاسباب امنية . فقال لي : انت لا سامي ، وانت كذا وكذا — وفي هذه الاثناء ادرك الصحافيون الاخرون ما هو فعلا . والامر المهم هو تحطيم الاسطورة الصهيونية .

كيف والى اي حد ، في رايك ، تستطيع احدى اللجان الفلسطينية في اوروبا ان تدعم بصورة فعالة السجناء السياسيين في اسرائيل ؟

أعتقد ، قبل كل شيء ، ان كل ما تفعلونه مفيد ، لكن الطريقة التي انصحكم باتباعها هي باتخاذ حالات معينة ، حالات افراد ، والنضال من اجلهم بأية طريقة ولا سيما بطرق التظاهر . خذوا سجينا يتبع فعلا في السجن ، سجينا اشتكى من التعذيب . خذوا سجينا واحدا وباسمه قوموا بتظاهرة ، تظاهرة امام السفارة الاسرائيلية او أمام المنظمات الصهيونية ، مركزين على حالة واحدة فقط يوجد لديكم الكثير من المعلومات حولها. بوسعي ان اعطيكم اي عدد من الاسماء تريدون . لنقل أنكم اخذتم حالة سليمان النجيب ، فتقولون للناس : اكتبوا لسليمان النجيب في سجن الجلمه، اكتبوا لشقيقته واسألوا من جديد لماذا لا يتمتع سليمان النجيب بالحرية ولماذا لم يحقق في تعذيبه وهلم جرا . خذوا بضع حالات معينة ، ولا تكتفوا بالتعميمات ، وركزوا عليها وكونوا مثابرين ومصممين بغية ازعاج السفارات الاسرائيلية والمنظمات الصهيونية . قوموا بتظاهرة واحدة في الاسبوع ، حتى ولو تألفت من شخص واحد امام السفارة الاسرائيلية او أمام المنظمات الصهيونية في برن او في جنيف — لا أعلم اين هي . وتحتاجون الى بضعة أشخاص فقط يقومون بذلك على نحو متواصل . سأخبركم لماذا : لا لانني اعتقد انه سيكون له تأثير قوي جدا هنا فحسب بل لان هذا هو ما يريده الفلسطيني . فان اعظم خطر على الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة واسرائيل هو القنوط . وكثيرا ما يقولون : لقد نسينا الجميع ، ولا احد يفكر بنا ، انهم يضعون النظريات ، ولا يتحدثون عن آلامنا . وقد تكون افضل طريقة هي التقاط صورة او صورتين واظهار اهتمامكم بالسجناء الفلسطينيين . وهذا في الدرجة الاولى عن الفلسطينيين في الاراضي المحتلة منذ ١٩٦٧ . اما في اسرائيل فأقدم لكم اقتراحا اخر : ركزوا في بحوث جدية على طبيعة التفرقة العنصرية للمجتمع الاسرائيلي استنادا الى مصادر رسمية اسرائيلية . افترض ان الكثيرين منكم طلبة وتعلمون كيف تعلمون . اقدم لكم اقتراحا عمليا بسيطا : احصلوا على « الحولية الاحصائية الاسرائيلية » وحاولوا ان تنشروا وان تنبهوا الشعب الى الطبيعة العنصرية لهذا المنشور بوصفه مرآة للمجتمع الاسرائيلي . نبهوا الشعب ، مثلا ، الى ان لا اسرائيليين في الاحصاءات الاسرائيلية : فهناك يهود وغير يهود فقط . وستجدون صفحة احصائية منفصلة لمعدل وفيات الاطفال اليهود ومعدل وفيات الاطفال غير اليهود ، وان معدل وفيات الاطفال غير اليهود هو ، بالطبع ، ضعف معدل وفيات الاطفال اليهود . ولم يتغير الفرق في معدل وفيات الاطفال اليهود وغير اليهود في اسرائيل ، لقد تحسن كلا الجماعتين لكن الفرق ظل ثابتا . وهذا أمر جوهري ذو دلالة . وعن طريق قيامكم بأبحاث جدية فعلا حول هذا الموضوع يمكنكم التوصل الى أمثلة اخرى كثيرة . واهمية هذا الامر هو انه لا يوجد لدى الصهاينة جواب عنه . فهو مستقى من مصادرهم ، وهي حقيقتهم الخاصة ، كما انها تثقفكم بالحقائق الفعلية وانتم ايضا تثقفون الشعب السويسري بالحقائق الفعلية . وسأقترح عليكم شيئا اخر هو بحاجة ماسة الى البحث والعمل : انه وضع العمال من قطاع غزة الذين يعملون في اسرائيل واوضاعهم في معسكرات الاعتقال . كم من الشعب السويسري يعلم ان قطاع غزة محاط بالاسلاك الشائكة احاطة تامة ... نعم احاطة تامة . فقطاع غزة على الخريطة تحيط به الاسلاك الشائكة ولها بوابات ومن هذه الناحية المادية يمكن القول : انه معسكر اعتقال بأكمله . لكن العمال من قطاع غزة يؤخذون الى مصانع في اسرائيل . ويتركز قسم كبير من هذه المصانع في مكان يقع فعلا على حدود القطاع ، في موقع يدعى

« حاجز أراس » . وهو يدعى « حاجزا » لانـه البوابة الرئيسية ، لذا فان الحاجز يعين انه يؤتى بهم تحـت حراسة مسلحـة ويوضعون داخـل المصانع ، ولا يمكنهم مغادرة هذا المصنع ، احيانا لمدة يوم واحيانا اخرى لمدة اسبوع ، اي انهـم ينامون في خيام في ساحة المصنع . وتوثيق هـذه الاوضاع — سواء بزيارة هذه المصانع اذا سمحوا لكم بذلك أو بالتحدث الى العمال بعد خروجهم منها او بتسجيل ان المصنع لا يسمح للاجانب بفحصها — يمكن ان يظهر حقا ما هو الوضع هناك . اذهبوا الى الشعب في الاراضي المحتلة ، تثبتوا من حقيقة الحالة ، وسجلوها . فالصهيونية لا تنتعش الا لانها تخفي الحقيقة وتضع مكانها اسطورة ، ترتكز على صور مزيفة ، ولذا فان واجبكم هو تحطيم الاسطورة عن طريق اظهار الواقع . واستنادا الى الواقع تطرحون اسئلة ، وما من صهيوني يستطيع ان يجيبكم على السؤال : لماذا يفصلون الاطفال الاسرائيليين الى يهود وغير يهود .

هل هم مفصولون فعلا في المستشفيات ؟

كلا . بل هم مفصولون ، بطبيعة الحال ، لانه لا يمكن للفلسطينيين الاقامة الا في مناطق معينة ، كما تعلم . لذا فانهم الى حد كبير مفصولون بطبيعة الحال ، لكن الامر المهم هو انهم مفصولون في الاحصاءات . وربما وضع الطفل الفلسطيني في غرفة واحدة مع الطفل اليهودي — ولكن هذا يعني انه عندما ينهي الطبيب العلاج ويدونه في الاضبارة ، فان الاضبارتين تذهبان الى دائرتين مختلفتين اختلافا تاما ، وهذا يثبت ان الطبيب لا يمكنه ان يعالجهما بنفس الطريقة والا كان وضعهما على نفس الاضبارة . وثمة أشـكال عديدة جدا من التفرقة العنصرية وثمة تفرقة عنصرية فعالة جدا من هذا النوع .

ما هي الحوادث في موجة القمع الاخيرة في الاراضي المحتلة التي تعتبرهـا أنت صفة مميـزة لاسرائيل ؟ ولماذا أقدمت اسرائيل على زيادة القمع في هذا الوقت بالذات ؟ هناك حالات عديدة مدعومة بالوثائق من الارهاب المادي والنفسي الذي تعرض له السجناء السياسيون في اسرائيل . ما الذي يجعل الارهاب ممكنا في اسرائيل ، برأيك ؟

ج : سأجمع بين السؤالين . فالامن في اسرائيل لا يشمل العنف المزعوم او النضال المسلح فحسب، بل يعني ان رسم شعار على الجدار ووجود علم فلسطيني في حوزتك هو ايضا جريمة . وانا في الواقع دافعت عن فتيان أصغر سنا من أي منكم هنا ، فتيان لا أعتقد ان سنهم تتجاوز الخامسة عشرة او السادسة عشرة حكم عليهم بالسـجن فترات طويلة لارتكابهم جريمة رفع علم فلسطيني على مدرستهم . فهذه جريمـة خطـيرة جدا في اسرائيل . لكن المحاكمات الامنية ترتكز عـلى الاعتراف . ولا يحاكم أحد بأية تهمة أمنية في اسرائيل الا اذا كان المدعي العام قد جاء ومعه اعتراف محضر وموقع عليه من قبل السجين . واذا لم يعترف السجين ، سواء كان اسرائيليا او عربيا، يطلق سراحه — في النهاية . ويستغرق هذا بعض الوقت ، ولكن في نهاية المطاف يطلق سراحه. واذا كان من الاراضي المحتلة يزج به في السجن بمـا يسمى احتجازا اداريا . وهو احتجاز لا يتطلب الا امرا عاديا من ضابط عسكري فالضـابط العسكري يوقع على ورقة تقول : آمر بأن يوضع هذا الرجل في السجن لمصلحة أمن دولة اسرائيل. وهذا يكفي .

أما التعذيب فكثيرا جدا ما يستعمل في كل من اسرائيل والاراضي المحتلة . وهو يستعمل أكثر في الاراضي المحتلة ، وذلك ببساطة تامة لحمـل الاشخاص على الاعتراف . لانه من الافضل كثيرا اذا اعترفوا ، فالاعتراف لا يمكن الغاؤه أبدا والسلطات دائما تنجح في الحصول عليه — وثمة صعوبة أعظم في الدفاع عن سجين حكم عليـه بالشكل القانوني — وبالطبع أنا أتكلم بسخرية — في محاكمة استندت الى اعترافه ، من الدفاع عن سجين يقبع في سجن اداري . وان انا ذكرت ، على سبيل المثال ، سليمان النجيب الذي اشتكى من انه تعرض للتعذيب ولكنه لم يوقع على أي شيء ، فبامكانك ان تثير قضيته وبامكانك ان تقول انه لم توجه اليه أية تهمة ، وانه يقبع في السجن دون أي تهمة . ولكن اذا كان هناك سـجين آخر اعترف بأنه ارهابي ، ولا يهمني اذا كان اعترف بحق او بخطأ ، فانك ستواجه صعوبات كـبيرة حتى ولو كانت تهمة الارهاب هذه غير منطقية تماما، لان هناك اعترافا تضمن أشياء معينة ولا يسعك هنا في جنيف ان تشرح للناس بوضوح لماذا هـذا

الاعتراف مزور . ولذلك يستخدم الارهاب . وانا على يقين تام من ان التعذيب يستخدم — وأعني التعذيب لا الضرب ، فالضرب شائع جدا . والفرق بين التعذيب والضرب هو ان الضرب يقوم به رجال شرطة عاديون او جنود عاديون ، ويقومون بـــه في حمأة الغضب ، بمعنى انهم يضربون اينما كان ، أما التعذيب فيقوم به اخصائيون ، وعلى نحو متعمد . واعتقد ، استنادا الى روايات الكثيرين جدا من الاشخاص — الاحرار منهم وهؤلاء الذين التقى بهم في السجن محامون اصدقاء لي — بأن السلطات الاسرائيلية تمارس التعذيب على نطاق واسع ، وسأصف المراحل المعتادة من التعذيب كما يمارس عادة لانه أضحى روتينيا بطريقة ما . المرحلة الاولى تكون بنزع ثياب السجين . وعليك ان تفهم ان استجواب الفلسطينيين يجـــــري والفلسطينيون الذكور عراة عريا تاما (نادرا جدا ما تعتقل النساء). في هذا الوضع يضربون السجين الفلسطيني على المناطق الحساسة من جسمه ، وبخاصة الاعضاء الجنسية . والمرحلة الثانية من التعذيب يمكن ان تستغرق وقتا طويلا . فالمرحلة الثانية من التعذيب تكون عادة بوضع الســـجين ، وهو ما يزال عاريا ، في ما يسمى زنزانات العقاب ، وهي زنزانات صغيرة جدا . وبالطبع هناك أحجام كثيرة ولكنها عادة لا تزيد عن مترين بمتر واحـــد وبعلو منخفض جدا ، لا يزيد عادة عن مترين . وتصنع الزنزانات من شكل خشن خاص من أشكال الاسمنت بحيث توجد في جميع انحاء الزنزانـــة أسنان واطراف حادة . والسجين الذي ما يزال عاريا لا يتلقى حتى حراما ، بحيث ان كل حركـــة يقوم بها تسبب له الالم . ولا تستخدم المرحـــلة الثالثة من التعذيب على الجميع ، بل على أشـــد السجناء وأتواهم فقط . فهم يقيدون أيدي السجناء لفترات طويلة — ولا بد لي ان أضيف ان رباطات من المطاط تستخدم بحيث يحـــدث انحباس للدم ، فيبقى السجين معلقا بيديه لفترة طويلة — او انهم يوثقونه بسلسلة الى قضبان النافذة ، او حتى أكثر وحشية ، الى باب الزنزانة الحديدي .

أهو اجراء يمارس بصورة منتظمة فعلا ؟

المرحلتان الاوليان تمارسان بانتظام ، ولا تستخدم المرحلة الثالثة الا في أقلية من الحالات . والى ذلك ، هناك اهواء المحققين غير المنتظمة — وكل واحد منهم له هواه الخاص الذي يقصد به اذلال السجين واشراكه فعلا في اذلال نفسه ومعاقبـــة نفسه . مثال ذلك : يأمره بالوقوف ، وهو ما يزال عاريا ، على ساق واحدة او يجعله يقف على مائدة ، او يدب على يديه وقدميه معا ، او يأمره بأن يصرخ : « أنا كلب » ، او « أنـــا حمار » . كل هذا لا يمكن وصفه تفصيليا لان لكل من المعذبين هواه الخيالي الخاص .

ربما كان بامكانك ان تصف لنا احدى القضايا .

باعتقادي ان افظع القضايا الاخيرة كانت قضية سليمان النجيب . وتجدونها مسجلة بكثير مـــــن التفصيل بالانكليزية والفرنسية على ما أعتقد . وهي قضية تبناها طلبة الجامعة العبرية في القدس وقد دونوها بأكملها ، هي والقضـايا الاخرى .

نعود الى موجة القمع الاخيرة في الاراضـــي المحتلة : لماذا تعتقد ان هذا حدث الان ؟

يجب ان تتصور وضع الفلسطينيين بعد ما يزيد على سبعة أعوام في الاراضي المحتلة ، بمعنى ان لا مستقبل لهم . ولذا من الطبيعي جدا في مثل هذه الحالات ان تكون هناك موجات من النضال السياسي يعقبها قمع لكن الامر يتصل ايضا ، على ما اعتقد ، بالحالة السياسية العامة . فقد تركزت موجة القمع ضد اليساريين من كل الانواع لانهم الفوا منظمة فعالة تماما تدعى الجبهة الوطنيـــة الفلسطينية . وبوسع الجبهة ان تنظم عدة تحركات فعالة جدا كالاضرابات والتظاهرات وهلم جرا ، واخذت تصير صوتا فعالا جدا للفلســـطينيين . والحالة الان أسوأ بكثير ، بالطبع .

هل تقول ، بوجه عام ، ان السكان الفلسطينيين في الاراضي المحتلة لا يقبلون بمستقبل اسرائيلي ؟

كلا ، بالطبع ، كلا ، بالطبع . ولن تجد من يقبل به . حتى هؤلاء الاشخاص الذين ارادوا القبول به في ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، لم يعودوا متوهمين ، وهم في الواقع يريدون التخلص مـــن الغزاة الى درجة ان الخطر هو ان يقبلوا بأي شيء للتخلص من الغزاة . لا أحد يجهـــل خطر الاسرائيليين كغزاة . ان نظام الاحتلال يمنـــع الشعر ويحظر الفولكلور ، ويضع المدارس تحت اشراف مفتشين يهود يحاولون ان يزيلوا مــــن

المدرسة كل ذكر لفلسطين وللهوية الفلسطينية وما شابه ذلك . والغزو الاسرائيلي في الواقع يميل الى الابادة الجماعية للشعب الفلسطيني ، الشعب ككل ، واذا ما استمر يمكنه في الواقع القضاء على الفلسطينيين في فلسطين . وهذا خطر حقيقي جدا . وهكذا فانك لن تجد فلسطينيا تسيطر عليه أية أوهام عن الغزو .

نتحول الان الى المشروع الذي يسميه الكثيرون بانتوستان(أ) على الضفة الغربية ، وخلق دويلة فلسطينية . ما هو الشعور في اسرائيل ، فلسطينيا واسرائيليا ؟

ثمة سؤالان : اولا ، ما هو ممكن بالنسبة الى الحكومة الاسرائيلية ، وثانيا ، ما يريد تحقيقه الدعاة الصهاينة الى ما يسمى الدويلة الفلسطينية — او ما تسمونه انتم بحق : بانتوستان . أقول ان حكومة رابين او أية حكومة اخرى تعتبر هذه الدولة حلما مستحيلا كليا . ذلك ان هناك في الحركة الصهيونية أكثرية كبيرة جدا تعارض لسبب وجيه جدا — من وجهة نظرها — أي شكل من اشكال الدولة الفلسطينية ، لانهم يقولون — وقد كان هذا موقفهم طيلة الاربعين سنة الماضية على ما أعتقد — ان أية مساومة مع دولة عربية خارج فلسطين يمكن تغييرها في المستقبل ، أما الدولة الفلسطينية فما ان تتأسس حتى يصير من الصعب ازالتها او تدميرها .

قد يكون هذا أحد الاسباب التي تحدوهم الى الوقوف مثل هذا الموقف المتشدد ضد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني .

أجل ، أجل ، وليس الاعتراف بمنظمة التحرير فحسب بل الاعتراف بأي شكل من أشكال الوجود السياسي . وهم لن يعترفوا الا بصيغة كالصيغة التالية : هناك مشكلة فلسطينية يجب حلها في الاردن . انها صيغة غامضة . والسياسة التي يدعو اليها رابين نفسه هي طرد الفلسطينيين ماديا او جزءا منهم الى شرق الاردن . لذا ، لا أعتقد ان أية حكومة اسرائيلية في الوقت الحاضر او في المستقبل ستوافق على أي نوع من انواع التفاهم او التسوية مع اية دويلة فلسطينية صغيرة من أي نوع . وقد توافق — مع ان الفرص هنا ليست جيدة — على تسوية ما مع الاردن ، ولكن ليس مع دولة فلسطينية . لا اعتقد ذلك . واريد ان أعرض امامك الحقائق الاسرائيلية . فان احدا في اسرائيل لا يتكلم عن قطاع غزة . وصيغة الحمائم الاسرائيلية هي : جزء من الضفة الغربية . لماذا الضفة الغربية ؟ ان الضفة الغربية مقسمة الآن جغرافيا الى قسمين : ما يسمى وادي الاردن الذي امتد ويكاد يصل الى نابلس ، على مسافة ١٢ كلم الى ١٣ كلم شرقي نابلس . وهو الان منطقة خالية من الفلسطينيين وقد كانت جزءا من بلدة اريحا . وقد أخرج الفلسطينيون منها . وتسيطر عليها المستوطنات اليهودية المقامة على طريقين عسكريين . وهي الان عمليا منطقة يهودية — اسرائيلية لا يريد أحد في اسرائيل اعادتها الى العرب . اذا ، ماذا يبقى ؟ يبقى مفهوم يدعى : اراضي الضفة الغربية الاهلة بالسكان العرب ، جيب عربي ضمن اسرائيل الكبرى . وهذا شيء غير واقعي البتة . والان نصل الى الحمائم الصهيونية ، أي الاشخاص الذين هم الى يسار الحكومة الاسرائيلية ، ولكنهم يدعون الى دولة فلسطينية ، سأترك معكم مقالة كتبها ، على ما اعتقد ، أكثر الحمائم الصهيونية صهيونية : بوعز عفرون . انه يقول بوضوح تام لماذا يدعو الى دولة فلسطينية واية دولة فلسطينية يريد . يقول : ان الدولة الفلسطينية التي ادعو اليها ستكون تحت سيطرة عسكرية ، وسنحافظ على مراكزنا العسكرية ، وسنحتفظ بوادي الاردن ، ولن نقيم الا دولة تبقى اقتصادها مندمجا اندماجا كليا في الاقتصاد الاسرائيلي. وسيكون الاقتصاد الاسرائيلي اكبر من اقتصاد تلك الدولة بعشرين مرة، وسيذهب الى حد القول ان دولة كهذه ستصوت دوما لنا في الامم المتحدة لانه لن يكون لها أي خيار . وهذا وهم ، وسوف لن يحقق حلمه ، الحلم الاستعماري المعتاد بالحكم غير المباشر . كيف كان البريطانيون

أ — المحرر : البانتوستان (المشتقة من كلمة بانتو التي يستخدمها الجنوب افريقيون البيض للاشارة الى الافريقيين) هي الدويلة التي تعمل جنوب افريقيا رسميا على اقامة الكثير منها وتخصص كل واحدة لاحدى القبائل السوداء على ان تبقى جميعها خاضعة وتابعة لها فعليا .

يحكمون الهند ؟ بايجاد مراكز عسكرية قوية هنا وهناك وبجعل الهنود يحكمون الهند نيابة عنهم . هذا هو الحلم ، ولكنه حلم القرن التاسع عشر وهو غير واقعي البتة . انني لا اتطرق الى المسائل التكتيكية ، المتصلة بما اذا كان خيرا للحركة الفلسطينية او سيئا لها ان تطالب بدولة كهذه كخطوة تكتيكية بغية فضح طبيعة الصهيونية . وهذه مسألة تكتيكية قابلة للنقاش ولكن يجب ان يكون واضحا ان لا احتمال هناك ابدا بالسماح لقيام اية دولة فلسطينية في ظل الاوضاع الراهنة .

اذا اخذنا بعين الاعتبار العلاقات الفلسطينية — الصهيونية في الماضي والحاضر ، والتصميم المستمر على سياسة استعمار استيطاني اسرائيلية لم تخبىء لمعظم الفلسطينيين الا الطرد وتدمير البيوت ومصادرة الاراضي الخ ، ومن الناحية الاخرى اذا فكرنا بانغلاقية الصهيونية على نفسها كعقيدة وبطبيعتها التمييزية — فماذا ، برأيك ، ستكون السياسة البعيدة المدى لاسرائيل بغية مصالحة الجانبين العدويين ؟

سأقول هذا : بادىء ذي بدء يجب ان نتحدث عن سياسات الشعوب وليس عن سياسات الدول ، فالدول ليست الا ادوات . والد اعداء السلام والتفاهم في الشرق الاوسط — لا بالنسبة للفلسطينيين فحسب بل بالنسبة الى جميع شعوب المنطقة — هو الصهيونية . وهدف السياسة التي ادعو انا اليها في اسرائيل هو اقامة اي نوع من العلاقات التي تمكن من القضاء على الصهيونية . وطالما بقيت اسرائيل دولة صهيونية لا يمكن للمرء ان يتوقع الا وقف نار على ابعد تقدير . ومهما دعي وقف النار هذا فلن نحصل على سلام بوجود الصهيونية ، وبالتالي ، فان ما ادعو انا اليه — وما ينبغي عليكم انتم ان تساعدوني فيه — هو توعية اكبر نسبة ممكنة من اليهود الاسرائيليين وافهامهم ان مصلحتهم هي في ان يكونوا ضد الصهيونية .

اتقول ، بكلام اخر ، ان الصهيونية عامل يجرد الناس من صفاتهم الانسانية وانه يجب ازالة الطابع الصهيوني عن اسرائيل ؟

يجب تجريد اليهود الاسرائيليين من صفاتهم الصهيونية ، وستحذو حذوهم طبيعة الدولة — مهما كانت . اجل . والى ذلك ، فان اسرائيل الصهيونية والحركة الصهيونية سيسببان كارثة ، لا لليهود الاسرائيليين فحسب ، بل ستحل الكارثة باليهود في العالم كله لانهما يجردانهم من انسانيتهم ايضا . فالصهيونية تحول اليهود في جميع انحاء العالم الى خدم للرجعية ، لا للرجعية الاسرائيلية فحسب بل للرجعية العالمية كذلك . مثال ذلك ، لو ان المنظمة الاكثر ليبرالية ليهود اميركا ، وهي ما يسمى اللجنة الاميركية — اليهودية ، منحت منذ نصف سنة جائزتها ، المسماة جائزة اشعيا ، النبي ، الى سيناتور ولاية واشنطن هنري جاكسون ، جزار الفيتنام ، فانه يعني ان يهود اميركا — كيهود — قد اضحوا خدما للرجعية . واذا كانت جميع المنظمات اليهودية تؤيد ، تأييدا سلبيا او عمليا ، سياسة التفرقة العنصرية التي تنهجها حكومة جنوب افريقيا ، فان هذا يعني شيئا كذلك الامر . ولذلك هناك خطر ربط جميع الجاليات اليهودية في العالم — عن طريق دعمها لاسرائيل الصهيونية — بالرجعية العالمية . وان دعمنا في الواقع لاسوأ العناصر في السياسات العالمية — كقولهم مثلا في الولايات المتحدة : اننا نؤيد نيكسون لانه فاسد والتأثير في رئيس جمهورية فاسد اسهل من التأثير في رئيس غير فاسد — انما يجلب الكارثة علينا .

الجنرال السابق دايان زار اخيرا جنوب افريقيا وشجع اليهود — وهناك نحو مئة الف يهودي في جنوب افريقيا — على الهجرة الى اسرائيل .

اجل . ان تشجيعه لن تكون له اثار كبيرة على الهجرة الى اسرائيل . الا ان ما فعله كان اسوأ بكثير : فقد شجعهم على دعم سياسة التفرقة العنصرية اثناء وجودهم في جنوب افريقيا . وقال لهم ان التفرقة العنصرية نظام معقول لا يمكن توجيه الانتقاد الى اشياء كثيرة فيه . وهذا امر اسوأ بكثير . لاقدم لكم شيئا محددا اكثر : فان جميع الجمعيات الدينية العالمية التي لها هيئات تمثلها في الولايات المتحدة وقفت ونددت بسياسة التفرقة العنصرية الجنوب افريقية في الامم المتحدة . وهناك سبع او ثماني منظمات يهودية لها نفس الوضع في الولايات المتحدة الا ان ايا منها لم يشترك حتى في بحث التفرقة العنصرية في لجان الامم المتحدة . وهي لم تفعل ذلك ، في الواقع ،

الا بسبب الضغط الصهيوني . واحد الامور التي يمكنكم ابرازها بمنتهى السهولة هو ان تسألوا لماذا المنظمات اليهودية — لا الافراد اليهود ، لانها خدعة صهيونية ماكرة جدا ان يقول المرء : انا كفرد اشجب التفرقة العنصرية لكن منظمتي لا تشجبها — لماذا المنظمات اليهودية هنا في سويسرا لا تشجب التفرقة العنصرية ولا تطلب من اليهود في جنوب افريقيا شجبها ايضا .

بالطبع ، هناك الصلات التجارية .

كلا ، لا علاقة للصلات التجارية بين الجاليتين في سويسرا واسرائيل ، بل ان الدعم التجاري المقدم من جنوب افريقيا لاسرائيل هو الذي يؤثر في اليهود السويسريين فلا يطالبون اليهود بشجب التفرقة العنصرية .

هناك مزاعم بان النساء الفلسطينيات اللواتي يدخلن المستشفى ليضعن يخرجن من المستشفى معقمات . هل لديك اي تعليق على هذا ؟

لا اعتقد ان هذا صحيح . وبالاحرى كنت علمت به لو كان صحيحا . ولكنني اضيف اليه ما يلي : انها ليست سياسة جيدة الاهتمام باتهامات كهذه من مختلف الانواع الا اذا كان لديك اسم معين واتهامات معينة ، حتى ولو تبين انها غير صحيحة. ومن الناحية التكتيكية انا انصح لجنة فلسطين بانها اذا سمعت زعما كهذا ، بان امرأة ما قد ادعت بانها عقمت في مستشفى محدد ووقت محدد، عليها ان تلاحق الزعم وتحقق فيه ، ولكن لا يجب من الناحية التكتيكية ، ان تلاحقوا اتهامات معممة، حتى ولو اعتبرتم انها صحيحة لانكم لن تستطيعوا اثباتها وستحصلون على نتيجة معاكسة . وهي ، ببساطة ، سياسة رديئة . ويجب ان تقولوا هذا للذين قالوا لكم ذلك . ولست اقول انه يجب بالضرورة ان يكون صحيحا في بعض المناطق لكن طريقة اظهاره ، ومكافحته ، هي باثارة قضية واحدة . والا فانكم لن تستطيعوا فعل اي شيء.

هل هناك في اسرائيل منظمات مناهضة للصهيونية ؟ وما هي ؟

اجل ، ان جميع المنظمات السياسية المناهضة فعلا للصهيونية في اسرائيل هي ، بالطبع ، يسارية جدا ، وبالتالي فانا لست عضوا فيها . هناك الحزب الشيوعي الاسرائيلي وهناك اربعة احزاب تنتمي الى اليسار الجديد ، الى جانب لجان ذات طابع محدود للطلبة الفلسطينيين — الاسرائيليين . ربما كنتم لا تعلمون ذلك ، لكن الفلسطينيين في اسرائيل لا يمكنهم تأليف احزاب خاصة بهم ، ولذا فانهم لا يؤلفون احزابا بل لجانا ، وضمن هذه اللجان يقاومون الصهيونية — ولذا اقول هناك الان اربعة احزاب من اليسار الجديد . ويدعى احدها ماتزبن ، وثان « الاممية الرابعة » ويسمى اعضاؤه تروتسكيين . ويسمى الحزبان الاخران مافاك ، ويعني « النضال » ، و « الطليعة » .

وماذا عن « سيح » ...؟

كلا ، سيح ليس مناهضا للصهيونية ، وسيح منحل الان عمليا . وهناك ، كقوى راديكالية وقوية جدا ، لجان الطلبة الفلسطينيين ، التي تدعى رسميا لجنة الطلبة العرب في القدس ، في تل ابيب وحيفا ، ولجنة ثالثة للمثقفين في الناصرة ، اي انها تضم حملة الشهادات . وبهذه الاوضاع يمكن ان تكون هناك حركة في اسرائيل ، تشمل جميع هذه الهيئات واخرى عديدة لا اذكرها.

هل يصار دوريا الى بعثرة هذه الجماعات عن طريق موجات الاعتقال والاشكال الاخرى لقمع المعارضة السياسية ؟

صار بامكاننا الان الصمود والبقاء رغم الاعتقال . ان اعضاءنا الفلسطينيين يتعرضون للاعتقال ، ولكن بالانضباط والتثقيف لا يعرض اعضاؤنا الفلسطينيون على المحاكمة ابدا لانهم لا يوقعون على اية اعترافات . واذا ما وقع اشخاص على اعترافات تكون هذه ، مهما فعلوا، علامة على الانضباط الرديء والثقافة السياسية الرديئة . ومعظم اعضائنا يوقعون على اعترافات . ولو قبل معظم الفلسطينيين بالتوقيع على اعترافات لما كنت انا في جنيف لان عددا من اصدقائي الفلسطينيين تعرضوا للضرب والتعذيب بغية التوقيع على اعترافات لتوريطي . فلم يوقعوا وانا حر وهم احرار . على المنظمات ، بما فيها الاعضاء العاملون في « عصبة الحقوق الانسانية »، ان تنظم نفسها على اساس وجود نواة من الاعضاء العاملين المعروفين وجماعة اكبر بكثير من

المتعاطفين الذين ، رغم عدم انطواء الامــر على اي شيء سري ، لا يكشفون كليا عن اعمالهــم في اسرائيل . وانا اقوم من حين لاخر بعقد اجتماع علني في الجامعة ــ فالجامعات مفتوحة لــي ــ ولكنني واصدقائي نذهب في كثير جدا من الاحيــان ونتكلم امــام اجتماعــات تضم ١٠ ، ٢٠ ، ٢٥ شخصا في المنازل الخاصة لان هذه هي الطريقة الصحيحة للعمل في هذه الاوضاع . والســـلاح الفعال ضدنا هو ليس الاعتقال : انه طردنا مــن العمل . وفي الاجتماع العلني ، بالطبع ، تكــون الشرطة السرية حاضرة ، وكذلــك المصورون ، والاشخاص الجدد . ثم يذهبون الى رب عملهم ويضغطون عليه ليصرفهم من العمل . وهـــذا سلاح اقوى بكثير من الاعتقال . لذا يجب علينــا ان نعمل بحيث ان الاشخـــاص المعروفين فقــط يستمرون في ان يكونوا معروفين ، وفي حين لا يطلب من الباقين النزول الى ما تحت الارض ، فانــه يجدر بهم ان يكونوا حذرين . وعلينا ان نعمــل على هذا النحو الان لان الضغــط الاقتصــادي والاجتماعي شديد ، على كل من الفلسطينيــين واليهود .

وسأذكر شيئا اخر هو اقوى من الاعتقال ايضا. وهو ان يهاجموك عن طريق عائلتك . فمعظــم الفلسطينيين الاكبر سنا ليسوا مناضلين ، مع ان معظم العائلات اليهودية الاكثر قدما هي ــ تعرفون ما هي . وافضل شيء يمكن ان تفعله الشرطــة السرية هو ان تذهب الى الاب او الام او العم او الجد ــ والاجداد اناس طيبون بنوع خــاص ــ وتقول لهم : ان ابنكم (او ابنتكم) قد انضم الى الاشرار . ونحن نريد مصلحته واذا ظل عاقــلا واغلق فمه تكون حياته مفتوحة امامه . وهــؤلاء يؤثرون في الابن او الابنة وهلم جرا . وهــذه طريقة فعالة جدا لممارسة الضغط في كل مــن العائلات الفلسطينية واليهودية . وهي تستخــدم على نطاق واسع . وقد استخــدمت ضدي انــا ايضا . انها تستخدم طوال الوقت ، ولكني اكبر سنا من معظم الاعضاء واستطيع مقاومتهـــا ــ ولكنها تستخدم مع هذا . وسأعطيــك مثلــين ، احدهما يتعلق بيهودي والاخر بفلسطيني : عندما انضم عضو يهودي من اعضاء الجماعة التروتسكية الى هذه المنظمة ، واعتقــد ان ذلــك كان عام ١٩٦٩ ، ذهبوا الى عائلته . فتشاجر مع عائلتــه وذهب الى القدس . وبعد اسبوعين تلقى برقية : اصيبت امك بنوبة قلبية . وهكذا ، بالطبيـــع ، يستقل سيارة باص ويذهب الى بيته قرب حيفــا ليجد مشهدا حضر سلفا : الام مع طبيب الخ ... ولم يطل به المقام حتى اكتشف انهــا لم تصــب بنوبة قلبية ، وان الامر هيء سلفا مع الطبيب . كما ان العائلة كلها التي كانت تتألف من عشـــرة اشخاص او خمسة عشر شخصا دخلت مع الرجل من « شين بيت » (الشرطة السرية) ، وبهــذه الاوضاع قامت بهجوم عــاطفي عليه . وبالطبــع خضع الشاب . وكذلك فان فلسطينيا صديقا لي كان في منظمة اخرى لاعوام عــدة ، وحدث ان والده مات وظلت مزرعة العائلة بلا شخص بالغ يديرها . وهي الاوضاع الصعبة المعروفة . وبعد ايام قليلة من مــوت والده استقبل زائرا مــن « شين بيت » ، رجلا معروفا من رجال الشرطــة السرية في القرية . وهــو بالمناسبة فلسطيني .

وبعدما قدم تعازيه قال له : لاجل مصلحــة عائلتك اعرض عليك منصب نائب مدير المصــرف الاسرائيلي الرئيسي في قريتك ــ والقرية هي في الواقع بلدة يبلغ عدد سكانها ١٥ الف نسمـــة ــ بشروط معينة معروفة بالطبع . وهذا الاستعمال لكل شيء نفسي هو السلاح الرئيسي . خذ حالة اخرى : اعتقد ان رامي ليفنه نصب لــه شرك ليعترف ــ وقد اكتشفنا ذلك فيما بعد . فقبــل ان يصبح رامي ليفنه مناضلا ، أمضى اعواما عــدة في كيبوتز . وقبل اعتقاله ذهبت الشرطة السريــة الى هذا الكيبوتز . ومع الامين العام للكيبوتــز اجرت مقابلات مع اعضاء الكيبوتز الذين عرف ان صداقة تربطهم معه وبحثوا معهم نفسيته ــ مــا هي مواطن الضعف عنده ، وما هي مواطن القوة، وما هي اهتمامــاته . واعتقد ــ مــع انني لا املك اي اثبات ــ انهم بعد معرفته معرفة جيدة استطاعوا ان يوقعوه في الشرك ويجعلوه يعترف. والصمود لهذا الهجوم ، بين انواعه العـــدة ، هو الاصعب .

اعتقد ان العصبة الاسرائيلية لحقوق الانســان تعرضت السنة الماضية لمشكلة التدخل في شؤونها.

حدث هذا لسنتين خلتا وهو ما يزال مستمرا

ولكننا صمدنا له على النحو الافضل ، وهذا يعني ان القضية في طريقها الى المحكمة . وما تـزال الهيئة التنفيذية القديمة تخدم ولكني اواجه الان مشكلة شخصية . فالكثيرون من الرجال المهمين بين الحمائم الصهيونية يطالبون بان احاكم انا بتهمة الخيانة وبأن أصرف ايضا من منصبي الجامعي ، واخر جريمة اتهمت بها هي انني كنت ضيفا على لجنة فلسطين الهولندية ، الهيئة الشقيقة لكـم ، اذا سمحتم . لقد قلت ما ظننت انه صحيـح . وسنرى ما سيحدث .

ماذا سيحدث في اعتقادك ؟

لا ادري ، والمسألة هي بين ـ بين الان ، لان الهجوم بارز في الواقع . وهم عادة لا يهاجمون في الصحف بهذه الطرق الكثيرة دون ان يعنوا شيئا . ولكي يثبت اصدقائي في اسرائيل انني لست وحيدا ، سينظمون تظاهرة صغيرة ، لجنة استقبال في مطار اللد ، وآمل ان يؤازرني جميع اصدقائي داخـل اسرائيل وخارجها . وسنرى ما سيحدث .

نتمنى لك حظا سعيدا بكل تأكيد .

سأترك معكم المقالة الاكثر اثارة للقلق كتبهـا أمنون روبنشتاين الذي يعتبر من الحمائم . وقد اتيت على ذكره نظرا الى التحديد الجديد للحرية الجامعية . فهو يقول ان على اسرائيل ان تحفظ حرية الطلبة في الجامعات ، لا ان تصغي الـى محاضرات اسرائيل شاحاك ...

هذا هو الفرق ... الى اية درجـة يـدرك اليهود الشرقيون ان الصهيونية ايديولوجيا عنصرية بمعنى انها ايديولوجيا معادية لليهـود ومعاديـة للعرب ؟

اعتقد انهم يدركون انها ايديولوجيا تمييزيـة لكن الجيل الاقدم من اليهود يميلون الـى القول ان كل ما هو خير لليهود هو خير . ومن الصعب جدا تغيير هذا الموقف . ويجري استقطاب الجيل الاصغر سنا في اتجاهين اثنين ، احدهما هـو الافضل والاخر هو الاسـوأ . وسأعطيكم مثـلا واقعيا لانه سيريكم ما يحدث مع اشخاص في مثل سنكم . وحتى الان في الجامعة العبرية بالقـدس هناك نظام للتعليم على بطاقات الطلبة بحرفـين بالعبرية يعنيان ، عضو الاقلية . ويوضع هذان الحرفان على بطاقة الطالب الفلسطيني . لان عدد الطلبة الفلسطينيين آخذ في الازدياد ، فقد وجهوا هذا الصيف احتجاجا ضد هذا النظام وانضم الى هذا الاحتجاج الكثيرون من الطلبـة اليهـود ، كما انضم اليه ، على ما اعتقد ، حزب نـسال في الانتخابات الاخيرة نحو ٣٠ بالمئة . الا ان حزبـا اخر ، يمينيا ، واقوى حتى من الحزب اليساري ـ ففي الجامعة العبريـة ٣٠ بالمئة يساريون ، ٤٠ بالمئة يمينيون ، و ٣٠ بالمئة متدينون ، وهـم ايضا يمينيون . ولا يوجد اي وسط في عضوية حزب العمل الاسرائيلي . الوسط الصهيوني لا وجود له بين الطلبة . وهـذا لا يبشر بالخـير لمستقبلهم . وهكذا طالـب اليمينيون لا بالابقـاء على بطاقات الطلبة كما هـي فحسب بل ايضـا بوجوب منع العرب واليهود من استخدام نفـس الحمامات . وهكذا ، كمـا ترى ، فان حـالة التفرقة العنصرية هي حالة لا يمكن ان تـدوم . بوسعك الانطلاق منها في اتجاهات عدة ، والجيل الجديد منقسم على نفسـه . فالجيـل الاقـدم اراد التفرقة العنصرية الى مستوى معين . وهذه المطالبة بحمامات منفصلة سببت لاساتذة الجامعة صدمة قوية جدا . فهم يريدون البطاقات ، ولكنهم لا يريدون الحمامات . ولا يمكن لهذه الحالة ان تدوم ، بل يمكنها ان تنطلق في اتجاه او اخـر ، ويتوقف ذلك ، قبل كل شيء ، على قوة الولايات المتحدة ، وثانيا على الفلسطينيين ، وثالثا علـى الرأي العام العالمي .

دليل الباحثين

اعداد المقدم الهيثم الايوبي

نشرت « شؤون فلسطينية » الحلقة الاولى من « دليل الباحثين » ، حول أفكار حركة فتح ، السياسية والعسكرية ، في ١٩٧٤/١/١ عدد رقم ٢٩ . وسوف يوالي المقدم الايوبي السلسلة بحلقات مقبلة تنشرها المجلة في النصف الثاني من هذا العام وتغطي افكار كل من الصاعقة والجبهة العربية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة .

[١]

افكار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين السياسية والعسكرية
(من شباط ١٩٦٩ حتى كانون الاول ١٩٧٢)

كانت هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ صدمة عنيفة هزت المجتمع العربي من جذوره ، واسقطت الكثير من المقولات والمسلمات التي كانت سائدة قبل الحرب العربية — الاسرائيلية الثالثة . وتحولت الانظار نحو الكفاح المسلح كوسيلة للصراع ضد الغزوة الامبريالية — الصهيونية . والتفت الجماهير حول هذا الكفاح الذي كانت « فتح » و « جبهة التحرير الفلسطينية » و « ابطال العودة » قد بدأت به قبل العام ١٩٦٧ . ورأت الاحزاب والحركات والشخصيات الوطنية ان الظروف غدت ناضجة للبدء بالكفاح المسلح ضد العدو الاسرائيلي الذي اتسعت رقعة الارض التي يحتلها ، وشملت فلسطين الجغرافية كلها ، واجزاء من الاراضي المصرية والسورية . وكان من بين القوى السياسية التي قررت البدء بالكفاح المسلح « حركة القوميين العرب » .

واعتمادا على هذا القرار ، وعلى التحليل الموضوعي لاسباب هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، والظروف التي نجمت عنها ، تحالف « شباب الثأر » (اقليم فلسطين لحركة القوميين العرب) ، مع « جبهة التحرير الفلسطينية » و « ابطال العودة » ، وبعض العناصر المستقلة . وانبثقت عن هذا التحالف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي اصدرت بيانها التأسيسي في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ .

ولقد مرت الجبهة الشعبية خلال مسيرتها بثلاثة انشقاقات ، تم الاول في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ ، عندما خرجت عناصر « جبهة التحرير الفلسطينية » ، والعناصر المستقلة ، وكونت تنظيما مستقلا حمل اسم « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة » . وفي ٢١ شباط (فبراير) ١٩٦٩ انشقت عناصر اخرى منحدرة اصلا من حركة القوميين العرب وشكلت « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » . وفي اذار (مارس) ١٩٧٣ انشقت عناصر جديدة من الجبهة الشعبية لتشكل تنظيما مستقلا تحت اسم « الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين » . ولم يبق في الجبهة الشعبية سوى قسم من « اقليم فلسطين لحركة القوميين العرب » ، و « ابطال العودة » . ولقد جرى دمج هذين القسمين في تنظيم واحد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ .

وقبل تقديم دليل أفكـار « الجبهة الشعبيـة لتحرير فلسطين » لا بد من طرح الملاحظات التالية:

١ — ان الجبهـة الشعبية لتحرير فلسطـين كفصيل سياسي مقاتل على الساحة الفلسطينية ، ولما توصلت اليه من نتائج التجربة السياسيـة والنضالية ، هي ليست وليدة ردود فعل حزيران سنة ١٩٦٧ ، أو انعكاسها لواقع معين اصـاب الوضع العربي في الصميم ، وهي ليست كذلـك مقطوعة الجذور عن تاريخ نضالي وطني طويـل تعايش في الساحة العربية عـلى اثر الوجـود الاسرائيلي (كدولة) سنة ١٩٤٨ وما بعده واثناء المد القومي العربي ، الـذي ابرزته واظهرتـه كانجازات الناصرية ، وقد كان هذا التعبير مـن خلال (حركة القوميين العرب) . لذلك لا يمكـن ان نرى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ببنيانها القائم مفصولة قسريا عن مرحلة تاريخية سابقـة لحزيران سنة ١٩٦٧، بل متفاعلة، متطورة،نامية، جدلية مع الاحداث ، حققت قفزة نوعية في فكرنا عما مثلته الحركة قبل حزيران ، فيما مثلته مـن تطور في اعتماد النهج العلمي كأداة للتحليل وتفسير الظواهر ، وتحديد المواقف .

٢ — ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي حصيلة تطور متنام يوميا ، تدفعه طموحات مشروعة على طريق التحول نحو حزب ماركسي — لينيني . وهذا ما يؤكد صحة تدرجها في النمو ، وهي ليست وليدة قيصرية ، او مفتعلة ، او منفعلة ، بقدر ما هي نمو جنيني حي عبر مراحل نضالية محـددة وصولا الى مواقع ونتائج سليمة .

٣ — ان الجبهة الشعبية ، وهـي تـدرك ان مسيرة الثورة طويلة وشاقـة ، ولا بد ان تلـد المعاناة على طريقهـا الكثـير من المعضـلات والتحـولات ، تـرى أن السنوات القـادمة ستحمل مجموعة من المراجعات النقدية المشروعة ، لتجديد مسيرتها ، وهي تؤمن بسلامة القوانـين العلمية في محاكمة الاشياء ، لذا لن تكون نظرتها لمراجعها استاتيكية ، تنعكس عند حدود معينة ، توقعها ضحية جمودها في مواجهة الاشيـاء ، ولكنها تدرك ان التاريخ حركـة لولبية لا تسـير الاحداث فيه على خط مستقيم ، لكنه حركة صاعدة، وان انتابته التواءات طبيعية ومساره سيبقى الى الامام ، ولمصلحة الشعوب المناضلة .

٤ — ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعتبر البيان التأسيسي الوحيد الصادر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ ، لا يمثل سوى الحد الادنـى في تلك الفترة ، وانه كتب تحت دواعي الدعـوة للقتال ، دون ان تسبقه مناقشة سياسية نظريـة مطولة لاستخراج برنامج متكامل . ولم يعتمد لديها كأدبية . لذا فاننا لم ندخله في كشف افكارهـا السياسية والعسكرية .

٥ — ان الجبهة تعتبر ان كتابات مجلة الحرية قبل اعلان بيان تأسيسي الجبهة الشعبية تمثـل وجهة نظر القوميين العرب في فترة كانت فيهـا الحركة تعاني من مخاض وصراع وجهات نظر داخل التنظيم . ولذلك فاننا لم ندخلها في كشف افكارها السياسية والعسكرية .

٦ — ان الجبهة الشعبية تعتبر نشرة «الشرارة» نشرة حزبية يصدرها فرع الجبهة في لبنان ولا يمكن اعتبارها كأدبيات مركزية ، وهي لا تمثل بالتالـي وجهة نظر الجبهة مركزيا ، خاصة وانها جاءت في فترة معاناة من تأرجحات سياسية وفكرية وتنظيمية عكست نفسها سلبا على وحدة الجبهة الشعبية . لذا فاننا لم ندخلها في كشف افكارها السياسيـة والعسكرية .

٧ — ان الجبهة لا تعتبر كتابات الشهيد غسان كنفاني في الصحافة العربية (عدا مجلة الهـدف) كتابات مراقبة مركزيا . ولذا فانها لا تتحمل مركزيا مسؤولية كل ما جاء فيها ، رغـم انها تعتبرهـا مسايرة للخط العام للحركة قبل نشوء الجبهـة ، ولخط الجبهة بعد نشوئها . ولذا فاننا لـم نقـم باثبات كتابات الشهيد غسان كنفاني في الصحـف العربية ، كجزء من افكار الجبهة الشعبية .

٨ — تعتبر الجبهة الشعبية ان ما كان يرد في الهدف من تحليلات سياسية ونظرية ودراسـات (دون التوقيـع بالاسماء) يمثـل موقفها المركزي تجاه القضايا المطروحة . ولكنها ترى في الوقـت نفسه ان هذا لا يلغي او يقلل من صحة ما كـان يكتب بالتوقيع . ولكنه لا يلزم الجبهة بكل ما يرد فيه بالتأكيد . واننا اذ نذكر هذه الملاحظة نـود لفت نظر الاخوة الباحثين الى اننا ذكرنا في هـذا الدليل أهم ما ذكرته الهدف سواء كـان ممهورا

بتوقيع او بدون توقيع ، تاركين للاخوة الباحثين مهمة اعتبار المقالات غير الموقعة مقالات مركزية والمقالات الموقعة للاطلاع فقط .

* * *

ولقد تم اعداد الدليل الحالي استنادا الى الادبيات التالية :

— الاستراتيجية السياسية والتنظيمية ، شباط ١٩٦٩ .
— مهمات المرحلة الجديدة ، أيار ١٩٧٢ .
— الجبهة وقضية الانشقاق ، ١٩٧٠ .
— النظام الداخلي ١٩٧١ .
— كتاب الهدف (الفكر العسكري) ، ١٩٧٠ .
— كتاب الهدف (العمليات الخارجية) ، ١٩٧٠
— كتاب الهدف (الكادحون والثورة الفلسطينية)، ١٩٧٠ .
— كتاب الهدف (المقاومة الفلسطينية ومعضلاتها) ، ١٩٧٠ .
— كتاب الهدف (هزيمة حزيران وانطلاق المقاومة) ١٩٧٠ .
— كراس الثورة والعمال ، ١٩٧٠/٥/١٠ .
— كراس نحو التحول الى تنظيم بروليتاري ثوري ، ١٩٧٠ .
— كراس فلسطين نحو حل ديمقراطي ، ١٩٧٠.
— كراس رحلة الاستسلام من قرار مجلس الامن الى مشروع روجرز ، ١٩٧٠/٨/٥ .
— كراس مؤتمر صحفي عن المؤتمر الوطني الثالث .
— كراس الثورة وقضية تحرر المرأة ، ١٩٧٠ .
— كراس حول قضايا الثورة ، ١٩٧٠/٧/١٠ .
— كراس لماذا تشترك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في المجلس الوطني الفلسطيني السابع ، وبشكل رمزي ؟ بيان ٣٠ أيار ١٩٧٠ .
— كراس مشاريع لتنظيم حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان ١٩٧٠/٧/١٣ .
— بيان سياسي بمناسبة مرور ثلاث سنوات على هزيمة حزيران ، ١٩٧٠/٦/٥ .
— كراس ذكرى هزيمة الخامس من حزيران ١٩٧١/٦/٥ .
— مجلدات الهدف الاول والثاني والثالث .
— مداخلة غسان كنفاني (رئيس تحرير مجلة الهدف) في ندوة المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن . شؤون فلسطينية، عدد ٢ أيار ١٩٧١ .
— حديث الدكتور جورج حبش (الامين العام للجبهة الشعبية) ، شؤون فلسطينية ، عدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .
— حديث اجراه كاتب سويدي مع غسان كنفاني قبل استشهاده في عام ١٩٧٢ باسابيع قليلة، شؤون فلسطينية ، عدد ٣٥ ، تموز ١٩٧٤ .

آ — الافكار السياسية

١ — تحديد العدو ونفئيته

ص ١٦ — ٢٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية، الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١١٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية ، طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٤ — ٥ الهدف ٢٨ اذار ١٩٧٠ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ١١ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٨ — ٩ الهدف ١٢ كانون الاول ١٩٧٠ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ١٩ كانون الاول ١٩٧٠ .
ص ٦ — ١٣ الجبهة الشعبية والعمليات الخارجية ، ١٩٧٠ .

٢ — الامبريالية

ص ٩٣ — ١٠٠ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية ، الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١٨ — ٢٦ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢) .
ص ٣ الهدف ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ١٤ — ١٥ الهدف ٧ اذار ١٩٧٠ .
ص ١٢ الهدف ٩ أيار ١٩٧٠ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ٢٧ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ١٢ حزيران ١٩٧١ .
ص ٨ — ٩ الهدف ١٦ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ١١ الهدف ٥ شباط ١٩٧٢ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ١٤ تشرين الاول ١٩٧٢ .

ص ٤ كراس سياسي بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة حزيران ٥/٦/١٩٧٠ .

٣ ــ البورجوازية الكبيرة

ص ٥٤ ــ ٥٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١٢ ــ ١٣ الهدف ١٦ ايار ١٩٧٠ .

٤ ــ البورجوازية الصغيرة

ص ١٤ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .
ص ٤٤ ــ ٥٣ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١٢٥ ــ ١٤١ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢)
ص ٨ ــ ٩ الهدف ٤ نيسان ١٩٧٠ .
ص ١٢ الهدف ١١ نيسان ١٩٧٠ .
ص ١٠ الهدف ١٣ حزيران ١٩٧٠ .
ص ١٢ ــ ١٣ الهدف ٢٥ ايلول ١٩٧١ .
ص ١٠ الهدف ٢ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ٨ ــ ٩ الهدف ٩ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ٢٣ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ١٧ ــ ٢٢ كراس الجبهة وقضية الانشقاق ، ١٩٧٠ .

٥ ــ الثورة وقواها واصدقاؤها

ص ٧ ــ ٨ كراس الكادحون والثورة ، ١٩٧٠ .
ص ١٢ ــ ١٣ الهدف ٦ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ١٦ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ١١ الهدف ٥ شباط ١٩٧٢ .
ص ١٠١ ١٠٥ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٩ النظام الداخلي ١٩٧١ .

٦ ــ الثورة والجماهير

ص ١٤٨ ــ ١٥٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١٠٥ ــ ١١٠ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢).
ص ٨ ــ ٩ الهدف ٢٠ كانون الاول ١٩٦٩ .
ص ١٢ الهدف ١٧ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ٣١ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ٢٨ اذار ١٩٧٠ .
ص ٤ الهدف ١١ نيسان ١٩٧٠ .
ص ١٠ ــ ١١ الهدف ١١ نيسان ١٩٧٠ .
ص ١٠ ــ ١١ الهدف ١٦ ايار ١٩٧٠ .
ص ١٢ ــ ١٣ الهدف ٢٣ ايار ١٩٧٠ .
ص ٤ ــ ٥ الهدف ٦ حزيران ١٩٧٠ .
ص ١١ الهدف ٢٧ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٩ ايلول ١٩٧٠ .
ص ٥ الهدف ١ ايار ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٨ ايار ١٩٧١ .
ص ٨ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .
ص ٢١ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .
ص ٤٦ ــ ٤٨ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢) .
ص ٢٢ كراس الكادحون والثورة ، ١٩٧٠ .
ص ١٥ ــ ١٦ النظام الداخلي ، ١٩٧١ .
ص ٢٩٢ ــ ٢٩٤ شؤون فلسطينية ، عدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .
ص ١٤٠ شؤون فلسطينية ، عدد ٣٥ ، تموز ١٩٧٤ .

٧ ــ الثورة الفلسطينية والانظمة العربية

ص ٢٦ ــ ٣٠ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢) .
ص ٣٦ ــ ٣٩ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢) .
ص ٤٣ ــ ٤٦ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢) .
ص ٩ الهدف ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ١٢ ــ ١٣ الهدف ١٠ كانون الثاني ١٩٧١ .

٨ ــ الثورة الفلسطينية والثورة العربية

ص ١١ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .
ص ٧٠ ــ ٧٤ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١١٦ ــ ١٢٣ مهمات المرحلة الجديدة (١٩٧٢)
ص ١٢ ــ ١٣ الهدف ٦ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٨ ــ ٩ الهدف ٢٤ تشرين الاول ١٩٧٠ .
ص ٧ الهدف ١٠ تموز ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ٢٣ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ٤ ــ ٥ الهدف ٣٠ ايلول ١٩٧٢ .
ص ٨ النظام الداخلي ١٩٧١ .

٩ ــ البعد العربي للمعركة

ص ١٨ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .

ص ٦٨ ــ ٦٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٨ ــ ٩ الهدف ٢٠ كانون الاول ١٩٦٩ .
ص ١٠ ــ ١١ الهدف ١٦ ايار ١٩٧٠ .
ص ١٠ ــ ١١ الهدف ٢٧ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٩ الهدف ١٢ حزيران ١٩٧١ .
ص ٣٤ ــ ٣٨ كراس الفكر العسكري ، ١٩٧٠ .
ص ٩ ــ ١١ كراس المقاومة ومعضلاتها ، ١٩٧٠ .
ص ٢٠ ــ ٢٤ كراس المقاومة ومعضلاتها ، ١٩٧٠

١٠ ــ فلسطينية المعركة

ص ١١ الهدف ٨ تشرين الثاني ١٩٦٩ .

١١ ــ طبقية المعركة والثورة الاجتماعية

ص ١٠ ــ ١١ الهدف ١٦ ايار ١٩٧٠ .
ص ٦ ــ ٧ الهدف ٦ حزيران ١٩٧٠ .
ص ١٠ ــ ١١ الهدف ٢٧ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ١٢ حزيران ١٩٧١ .
ص ١٤ ــ ١٦ كراس الكادحون والثورة ١٩٧٠ .
ص ٩ ــ ١٠ كراس المقاومة ومعضلاتها ١٩٧٠ .
ص ٦٢ شؤون فلسطينية ، عدد ٢ ، ايار ١٩٧١ .

١٢ ــ الانظمة الوطنية

ص ١٠ ــ ١١ الهدف ٢٣ ايار ١٩٧٠ .
ص ١٠ ــ ١١ الهدف ٣٠ ايار ١٩٧٠ .
ص ٤ ــ ٥ الهدف ٦ حزيران ١٩٧٠ .
ص ١٤ ــ ١٥ الهدف ١٣ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٢٧ ــ ٢٩ كراس الجبهة وقضية الانشقاق ١٩٧٠ .

١٣ ــ مسالة عدم التدخل بالشؤون الداخلية العربية

ص ١٩ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .
ص ٣ الهدف ١٠ تموز ١٩٧١ .
ص ٢٤ ــ ٢٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية، الطبعة الثانية (١٩٦٩) .
ص ٧٥ ــ ٩٢ الاستراتيجية السياسيةوالتنظيمية، الطبعة الثانية (١٩٦٩) .
ص ٢٤ ــ ٢٦ كراس الجبهة وقضية الانشقاق ، ١٩٧٠ .

١٤ ــ التمييز بين اليهود والصهاينة

ص ١٦ ــ ١٧ الهدف ٢٣ اب ١٩٦٩ .
ص ١٤ الهدف ٢٥ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٣ ــ ١٤ كراس فلسطين نحو حل ديمقراطي فلسطيني ، ١٩٧٠ .
ص ١٠ النظام الداخلي ، ١٩٧١ .

١٥ ــ الدولة الفلسطينية

ص ٧١ ــ ٨٢ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢
ص ٣ الهدف ١١ تشرين الاول ١٩٦٩ .
ص ١٤ ــ ١٥ الهدف ١١ تشرين الاول ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ٢١ شباط ١٩٧٠ .
ص ٩ الهدف ٢٩ اب ١٩٧٠ .
ص ١٠ الهدف ٥ ايلول ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٤ تشرين الاول ١٩٧٠ .
ص ٦ ــ ٧ الهدف ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
ص ٤ الهدف ٥ كانون الاول ١٩٧٠ .
ص ٧ الهدف ١٩ كانون الاول ١٩٧٠ .
ص ٤ الهدف ٢٣ كانون الثاني ١٩٧١ .
ص ٥ الهدف ٢٧ شباط ١٩٧١ .
ص ٦ ــ ٧ الهدف ٦ اذار ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ١٣ اذار ١٩٧١ .
ص ٤ الهدف ٢٧ اذار ١٩٧١ .
ص ١٢ الهدف ٢ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ٢٢ ــ ٤٢ كراس فلسطين نحو حل ديمقراطي فلسطيني ، ١٩٧٠ .

١٦ ــ الدولة الديمقراطية

ص ١١٨ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١٢ ــ ١٣ الهدف ٢٨ اذار ١٩٧٠ .
ص ١١ الهدف ٢٥ نيسان ١٩٧٠ .
ص ١٠ الهدف ٢٠ حزيران ، ١٩٧٠ .
ص ١٠ ــ ١١ الهدف ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
مجمل كراس فلسطين نحو حل ديمقراطي ، ١٩٧٠ .

١٧ ــ الحل السلمي

ص ١٨٥ ــ ١٨٨ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ٣ الهدف ٢٦ تموز ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ١٩ اب ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ٢٥ تشرين الاول ١٩٦٩ .
ص ١٤ الهدف ٨ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٩ الهدف ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ٢٠ كانون الاول ١٩٦٩ .

ص ٦ ـ ٧ الهدف ٣ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٢٠ الهدف ٣ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٧ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ١٣ الهدف ٢٥ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٨ ـ ٩ الهدف ٩ ايار ١٩٧٠ .
ص ٦ ـ ٧ الهدف ٤ تموز ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٨ اب ١٩٧٠ .
ص ٥ ـ ٩ الهدف ٨ اب ١٩٧٠ .
ص ٦ ـ ١١ الهدف ١٥ اب ١٩٧٠ .
ص ٢٠ الهدف ١٥ اب ١٩٧٠ .
ص ٣ و ٦ ـ ٩ الهدف ٢٢ اب ١٩٧٠ .
ص ٣ و ٥ و ١٠ ـ ١١ الهدف ٢٩ اب ١٩٧٠ .
ص ٣ و ٨ و ١١ الهدف ٥ ايلول ١٩٧٠ .
ص ١٤ ـ ١٥ الهدف ١٢ ايلول ١٩٧٠ .
ص ١١ الهدف ١٩ ايلول ١٩٧٠ .
ص ٧ الهدف ١٣ اذار ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٢٠ اذار ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٥ حزيران ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ٣ تموز ١٩٧١ .
ص ٥ الهدف ١٠ تموز ١٩٧١ .
ص ٢٠ الهدف ٤ ايلول ١٩٧١ .
ص ٨ ـ ٩ الهدف ١٨ ايلول ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ٦ ت ٢ ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ١٣ ت ٢ ١٩٧١ .
ص ٦ الهدف ٢٠ ت ٢ ١٩٧١ .
ص ٤ ـ ٥ الهدف ١٩ شباط ١٩٧٢ .
ص ٣ الهدف ١٢ اب ١٩٧٢ .
ـ كراس رحلة الاستسلام من قرار مجلس الامن الى مشروع روجرز ، ١٩٧٠ .
ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ شؤون فلسطينية ، عدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .

١٨ ـ الوحـدة الوطنيـة

ص ١٧ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .
ص ٦٥ ـ ٦٨ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٤٩ ـ ٥٢ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ٩٤ ـ ١٠٤ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ٧ النظام الداخلي ١٩٧١ .
ص ٦٣ و ٧٤ شؤون فلسطينية ، عدد ٢ ، أيـار ١٩٧١ .
ص ٢٩٣ ـ ٢٩٧ شؤون فلسطينية ، عدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .
ص ٣ جريدة فتح عدد ٥ عموز ٤ ـ ٥ .
ص ١ جريدة فتح عدد ٢٥ .
ص ٤ الهدف ٢٦ تموز ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ١٦ اب ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ٣٠ اب ١٩٦٩ .
ص ٨ ـ ٩ الهدف ٦ ايلول ١٩٦٩ .
ص ٨ ـ ٩ الهدف ١١ تشرين الاول ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ٦ كانون الاول ١٩٦٩ .
ص ٨ ـ ٩ الهدف ٢٠ كانون الاول ١٩٦٩ .
ص ٨ ـ ٩ الهدف ٣ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ١٢ ـ ١٣ الهدف ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٨ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٧ اذار ١٩٧٠ .
ص ٨ ـ ٩ الهدف ٧ اذار ١٩٧٠ .
ص ١٠ ـ ١١ الهدف ١٤ اذار ١٩٧٠ .
ص ٣ ـ ٤ الهدف ٢٨ اذار ١٩٧٠ .
ص ١٠ ـ ١١ الهدف ١٦ ايار ١٩٧٠ .
ص ١٢ ـ ١٣ الهدف ٢٣ ايار ١٩٧٠ .
ص ١٠ ـ ١١ الهدف ٢٠ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٧ حزيران ١٩٧٠ .
ص ١٠ ـ ١١ الهدف ٤ تموز ١٩٧٠ .
ص ١٠ ـ ١١ الهدف ٢٥ تموز ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٠ تشرين الاول ١٩٧٠ .
ص ٦ ـ ٧ الهدف ١٠ تشرين الاول ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٤ تشرين الاول ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٧ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
ص ٦ ـ ٧ الهدف ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
ص ٩ الهدف ٢٦ كانون الاول ١٩٧٠ .
ص ٦ و ٩ الهدف ٢٣ كانون الثاني ١٩٧١ .
ص ٤ الهدف ٦ اذار ١٩٧١ .
ص ٦ الهدف ١٣ اذار ١٩٧١ .
ص ١١ الهدف ٢٠ اذار ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ٣ تموز ١٩٧١ .
ص ٣ و ٦ الهدف ١٠ تموز ١٩٧١ .
ص ١٠ ـ ١٤ الهدف ١٧ تموز ١٩٧١ .
ص ٢٠ الهدف ٤ ايلول ١٩٧١ .
ص ١١ الهدف ٢ تشرين الاول ١٩٧١ .

ص ٩ الهدف ١٦ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٨ نيسان ١٩٧٢ .
ص ٣ الهدف ١٥ نيسان ١٩٧٢ .
ص ٤ — ٥ الهدف ٢٢ نيسان ١٩٧٢ .
ص ٣ الهدف ٦ أيار ١٩٧٢ .
ص ٣ الهدف ٢٧ أيار ١٩٧٢ .
ص ٣ الهدف ١٩ اب ١٩٧٢ .
ص ٢٣ — ٢٦ كراس الجبهة وقضية الانشقاق ، ١٩٧٠ .
ص ٤٩ — ٥١ كراس الفكر العسكري ، ١٩٧٠ .
ص ٢٢ — ٢٤ الكادحون والثورة ، ١٩٧٠ .
— كراس مشاريع لتنظيم نشاط حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان مقدمة الى اللجنة السياسية المركزية للفلسطينيين في لبنان ، ١٩٧٠ .
ص ٢ — ١٤ كراس لماذا تشترك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في المجلس الوطني الفلسطيني السابع ، وبشكل رمزي ؟ ١٩٧٠ .
ص ٢٦ — ٢٧ المقاومة ومعضلاتها ، ١٩٧٠ .

١٩ — التحرر الوطني

ص ٣٤ — ٣٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٥٤ — ٥٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٧٤ — ٧٥ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١١ الهدف ٥ شباط ١٩٧٢ .
ص ٨ النظام الداخلي ، ١٩٧١ .

٢٠ — اهمية الفكر السياسي والعمل السياسي

ص ٩ — ١٦ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٣١ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية الطبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٤ — ٥ الهدف ٢٨ اذار ١٩٧٠ .
ص ١٢ — ١٣ الهدف ٣٠ ايار ١٩٧٠ .
ص ٩ الهدف ١٢ حزيران ١٩٧٠ .
ص ١٣ الهدف ١١ ايلول ١٩٧١ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ٢١ تشرين الاول ١٩٧٢ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٢ .

ص ٢٧ — ٣٣ كراس الجبهة وقضية الانشقاق ، ١٩٧٠ .
ص ٨ — ٢٦ كراس المقاومة ومعضلاتها ، ١٩٧٠ .

٢١ — اسباب هزيمة حزيران ١٩٦٧

ص ١٠ بيان سياسي هام بمناسبة مرور ٣ سنوات على هزيمة ١٩٦٧ .

٢٢ — المجلس الوطني الفلسطيني

ص ٤ الهدف ٩ اب ١٩٦٩ .
ص ٧ الهدف ٦ ايلول ١٩٦٩ .
ص ٨ — ٩ الهدف ١١ تشرين الاول ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ٣٠ أيار ١٩٧٠ .
ص ٦ — ٧ الهدف ١٣ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٨ — ٩ الهدف ٥ ايلول ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٧ شباط ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٦ اذار ١٩٧١ .
ص ٣ و ٧ الهدف ١٣ اذار ١٩٧١ .
ص ١١ الهدف ٢٠ اذار ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٢٢ ايار ١٩٧١ .
ص ٢ الهدف ٢٦ حزيران ١٩٧١ .
ص ٥ الهدف ٣ تموز ١٩٧١ .

٢٣ — الصراع الطبقي

ص ٣٤ — ٣٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٨ — ٩ الهدف ٢٥ تشرين الاول ١٩٦٩ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ٣٠ ايار ١٩٧٠ .
ص ٨ — ٣١ تشرين الاول ١٩٧٠ .

٢٤ — حول موقف النظام الاردني من الثورة

ص ١١ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ١٣ — ١٨ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ٣٩ — ٤٣ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ١٧١ — ١٨٤ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ٤٩ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ١٠ جريدة فتح عدد ٥ عموز ٢ .
عدد يومي خاص من الهدف ١٣ — ٢ — ١٩٧٠
ص ٣ — ٤ الهدف ١٤ شباط ١٩٧٠ .
ص ٦ — ٩ الهدف ٢١ شباط ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٨ شباط ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ٧ اذار ١٩٧٠ .

ص ٦ الهدف ٢٨ اذار ١٩٧٠ .
ص ٤ الهدف ١١ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢ أيار ١٩٧٠ .
ص ٦ — ٧ الهدف ٩ ايار ١٩٧٠ .
ص ٤ — ٥ الهدف ١٣ حزيران ١٩٧٠ .
الهدف عدد يومي خاص ١٢ — ٦ — ١٩٧٠ .
ص ٣ — ٤ الهدف ٢٠ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٨ — ٩ الهدف ٢٠ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٧ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٨ تموز ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٥ اب ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٩ ايلول ١٩٧٠ .
الهدف اعداد يومية من ٢٢ حتى ٢٩ ايلول ١٩٧٠ .
الهدف عددان يوميان خاصان ١ و ٣ تشرين الاول ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٧ تشرين الاول ١٩٧٠ .
ص ٤ الهدف ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٢ كانون الاول ١٩٧٠ .
ص الهدف ١٩ كانون الاول ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٦ كانون الثاني ١٩٧١ .
ص ٤ و ٦ الهدف ٢٣ كانون الثاني ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٣٠ كانون الثاني ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ١٢ اذار ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ١٠ نيسان ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ١٧ نيسان ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ١ ايار ١٩٧١ .
ص ٢ الهدف ٨ ايار ١٩٧١ .
ص ٦ — ٧ الهدف ٢٩ ايار ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ٣ تموز ١٩٧١ .
ص ٤ الهدف ١٠ تموز ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ١٧ تموز ١٩٧١ .
ص ٦ — ٧ الهدف ٢٤ تموز ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٣١ تموز ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٢١ اب ١٩٧١ .
ص ٨ — ٩ الهدف ٢٨ اب ١٩٧١ .
ص ١٠ و ٢٠ الهدف ٤ ايلول ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ١١ ايلول ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ١٨ اذار ١٩٧٢ .
ص ٦ — ٧ الهدف ٨ نيسان ١٩٧٢ .
ص ٨ — ١٠ الهدف ٨ تموز ١٩٧٢ .
ص ٨ — ١٠ الهدف ١٥ تموز ١٩٧٢ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ٢٩ تموز ١٩٧٢ .
ص ١٩ — ٢١ كراس الكادحون والثورة ، ١٩٧٠.
ص ٢١ — ٢٢ كراس بيان بمناسبة مرور ثلاث سنوات على هزيمة حزيران، ٥ — ٦ — ١٩٧٠
ص ٢٩١ — ٢٩٣ شؤون فلسطينية ، عدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .
ص ٢٩٦ شؤون فلسطينية ، عدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .

٢٥ — حول موقف النظام اللبناني من الثورة

ص ٦ الهدف ١ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ٨ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٩ الهدف ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٦ و ٩ الهدف ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٦ و ٢٠ الهدف ١٧ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٨ — ٩ الهدف ١٤ اذار ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢١ اذار ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٣ اذار ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٢٥ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٦ الهدف ٣٠ ايار ١٩٧٠ .
ص ١٦ الهدف ٦ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٤ الهدف ٢٥ تموز ١٩٧٠ .
ص ٤ — ٥ الهدف ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
ص ٦ — ٧ الهدف ١٧ تموز ١٩٧١ .

٢٦ — منظمة التحرير وجيش التحرير

ص ١١ — ١٢ كراس لماذا تشترك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في المجلس الوطني الفلسطيني السابع ، وبشكل رمزي ، بيان ٣٠ ايار ١٩٧٠ .
ص ٤ — ٥ الهدف ٢ تشرين الاول ١٩٧١ .

٢٧ — المركزية الديمقراطية

ص ١٦٧ — ١٧٧ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .
ص ٣٣ — ٣٧ كراس الجبهة وقضية الانشقاق ، ١٩٧٠ .
ص ١١ — ١٢ النظام الداخلي ، ١٩٧١ .

٢٨ — الحزب والتنظيم

ص ٦٠ — ٦٤ الاستراتيجية السياسية والتنظيمية طبعة ٢ (١٩٦٩) .

ب ــ الافكار العسكرية

ص ٤ — ١٤ كراس نحـو التحول الى تنظيـم بروليتاري ثوري ، ١٩٧٠ .

١٣ — اخطاء الثورة ومعضلاتها

ص ١٢ — ١٣ الهدف ٢٣ ايار ١٩٧٠ .
ص ٦ الهدف ٩ كانون الثاني ١٩٧١ .
ص ٣ الهدف ٢٠ شباط ١٩٧١ .
ص ٨ — ٩ الهدف ٢٧ اذار ١٩٧١ .
ص ١٠ الهدف ٢ تشرين الاول ١٩٧١ .
ص ١١ — ١٤ كراس المقاومة ومعضلاتها ١٩٧٠ .
ص ١١ — ١٨ بيان سياسي بمناسبة مرور ثلاث سنوات على هزيمة حزيران ٥ — ٦ — ١٩٧٠
ص ٦٢ شؤون فلسطينية ، عدد ٢ ، ايار ١٩٧١.
ص ٢٩١ — ٢٩٤ شؤون فلسطينية ، عـدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .

١٤ — أمـن الـثورة

ص ٤ — ٥ الهدف ٤ تموز ١٩٧٠ .
ص ٦ الهدف ٢٥ تموز ١٩٧٠ .
ص ١٣ الهدف ١٧ نيسان ١٩٧١ .
ص ١٢ — ١٣ الهدف ٢٤ نيسان ١٩٧١ .
ص ١٢ — ١٣ ١ ايار ١٩٧١ .

١٥ — العنف الثوري

ص ١١١ — ١١٦ مهمات المرحلة الجديدة ١٩٧٢ .
ص ١٢ الهدف ٢١ شباط ١٩٧٠ .
ص ٧ النظام الداخلي ١٩٧١ .
ص ٢٩٥ — ٢٩٦ شؤون فلسطينية ، عـدد ٤ ، ايلول ١٩٧١ .

١٦ — العمليات الخـارجية

ص ٤ — ٥ الهدف ١٣ ايلول ١٩٦٩ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
ص ٣ الهدف ١٧ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ١٢ الهدف ٢١ شباط ١٩٧٠ .
ص ٤ — ٥ الهدف ٧ اذار ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ١٢ ايلول ١٩٧٠ .
ص ٤ و ٨ الهدف ١٩ ايلول ١٩٧٠ .
ص ١٣ الهدف ٧ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
ص ٢٠ الهدف ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٠ .
ص ٣ — ٧ الهدف ١٩ حزيران ١٩٧١ .
ص ١٠ — ١١ الهدف ٢٦ حزيران ١٩٧١ .
ص ٧ الهدف ١٠ تموز ١٩٧١ .
ص ٦ — ٧ الهدف ١٨ اذار ١٩٧٢ .
ص ٤٥ — ٤٧ كراس الفكر العسكري ، ١٩٧٠ .
مجمل كتاب الهدف — العمليات الخارجية .
ص ٢٩٨ شؤون فلسطينية ، عدد ٤ ، ايلـول ١٩٧١ .

١٧ — ضرب المصالح الامبريالية

ص ١٠ — ١١ الهدف ٢٦ تموز ١٩٦٩ .
ص ٤ و ٦ الهدف ٣٠ اب ١٩٦٩ .
ص ١٢ الهدف ٣٠ اب ١٩٦٩ .
ص ٤ الهدف ٦ ايلول ١٩٦٩ .
ص ١٢ الهدف ٦ ايلول ١٩٦٩ .
ص ١٢ — ١٣ الهدف ١٣ ايلول ١٩٦٩ .
ص ٤ الهدف ٣ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٣١ كانون الثاني ١٩٧٠ .
ص ٣ الهدف ٤ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٢٠ الهدف ٤ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٨ الهدف ١١ نيسان ١٩٧٠ .
ص ٨ — ٩ الهدف ٢٣ ايار ١٩٧٠ .
ص ٦ الهدف ١٠ تموز ١٩٧١ .
ص ٣٠ — ٣٦ كتاب الهدف العمليات الخارجية ، ١٩٧٠ .

١٨ — العمليات العسكرية وخسائر المدنيـين

ص ١٢ الهدف ٢٠ حزيران ١٩٧٠ .
ص ٤٨ — ٤٩ كراس الفكر العسكري ، ١٩٧٠ .

١٩ — الميليشيـا

ص ٤ الهدف ٢٣ كانون الثاني ١٩٧١ .
ص ٦ — ٧ الهدف ٣٠ كانون الثاني ١٩٧١ .

٢٠ — الديمقراطية العسكرية

ص ١٠ — ١٢ الهدف ١٠ نيسان ١٩٧١ .

٢١ — العمليات الكبيرة وقصف الصواريخ

ص ٤٢ — ٤٥ كراس الفكر العسكري ، ١٩٧٠ .

[٢]

افكار الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين

في ١٩٦٩/٢/٢١ ، وبعد صراع فكري طويل ابتدأ قبل حرب ١٩٦٧ داخل حركة القوميين العرب (التي شكل جناحها الفلسطيني فيما بعد احد أطراف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) ، ثم استمر داخل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نفسها أعلن أحد الطرفين المتصارعين انشقاقه عن الجبهة، وتشكيل تنظيم مستقل تحت اسم « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » .

ولقد اعتبر الطرف المنشق انه يمثل الجناح التقدمي الثوري في الجبهة وان الطرف الاخر يمثل القيادة التقليدية*. وبرر انشقاقه (بيان ٢/٢١/ ١٩٦٩) بالتناقض القائم بين عناصر القيادة التقليدية في الجبهة وعناصر الجناح التقدمي الثوري النامي في الحركة والجبهة ، وظهور خطين متعاكسين بدأت تظهر نتائجهما على كافة البرامج الفكرية والسياسية والتنظيمية والعسكرية لجناحي الحركة والجبهة منذ الاشهر الاولى لتشكيل الجبهة . ويذكر بيان ١٩٦٩/٢/٢١ ان الصدام بين الجناحين برز منذ « مؤتمر نيسان ١٩٦٨ » ، الذي نجم عنه انشقاق عملي غير معلن ، أعقبته حملة اعتقالات شنتها القيادة ضد عناصر الجناح المعارض في ١٥ تموز ١٩٦٨ ، الامر الذي أدى الى عقد « مؤتمر آب ١٩٦٨ » .

وبعد هذا المؤتمر اتجهت الجبهة الشعبية نحو تبني برنامج تقدمي ثوري (سياسي وعسكري) ونحو التحول الى حزب ماركسي — لينيني . ولكن الجناح المعارض لم يكتف بهذه النتيجة ، واعتبر قبول القيادة بالخط الجديد مناورة مؤقتة ، لذا لم يؤد مؤتمر آب ١٩٦٨ الى حسم الصراع الفكري السياسي والتنظيمي داخل الجبهة الشعبية . واستمر هذا الصراع بشكل خفي حتى انفجر في ١٩٦٩/١/٢٨ على شكل صدام عنيف راح ضحيته عدد من مناضلي الطرفين ، وكاد ان يؤدي الى مجزرة دموية لولا توسط اطراف فلسطينية عديدة استطاعت انهاءه في ١٩٦٩/٢/٢١ ، حيث أعلن الجناح المعارض انشقاقه ، واتخذ القرارات التالية :

١ — الالتزام بقرارات وبرنامج آب ١٩٦٨ .

٢ — ادانة ممارسة يمين حركة القوميين العرب الذي يقود يمين الجبهة الشعبية .

٣ — انهاء العلاقة مع حركة القوميين العرب ، والبدء بعمل مستقل ايديولوجيا وسياسيا وعسكريا وتنظيميا .

٤ — تبني اسم « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » .

٥ — النضال من اجل اقامة جبهة وطنية عريضة تضم كافة القوى الوطنية تحت قيادة النضال المقاتلة الثورية .

٦ — تبني استراتيجية حرب التحرير الشعبية .

٧ — تبني الكفاح المسلح والعنف الثوري .

وظهر منذ ذلك اليوم تنظيم « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » الذي طرح نفسه (كما طرحت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نفسها من قبل) كتنظيم ماركسي — لينيني .

وقبل تقديم دليل افكار « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » لا بد لنا من طرح الملاحظات التالية :

١ — كانت هذه المنظمة توقع ادبياتها باسم « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ». وبقي هذا التوقيع مستخدما حتى ١٩٧٣/١٠/١٢ ، حيث ظهر بيان بتوقيع « الجبهة الديمقراطية

---

* لسنا هنا في معرض تقييم صحة هذا التقسيم الذي تبنته عناصر الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، ورفضته عناصر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ونحن نترك مثل هذا التقييم للباحث الذي يستطيع الاطلاع على أفكار الفريقين وممارساتهما العملية ليصدر أحكامه ، ولكننا سنلجأ الى استخدامه في هذه المقدمة كوسيلة للتعبير (مستعارة من أدبيات ج.ش.د.ت.ف.) لا كوسيلة لتحديد وجهة نظر .

الشعبية لتحرير فلسطين » . وفي ١٩٧٤/٦/٥ ظهر بيان بتوقيع « الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين » ثم ظهرت بيانات بتوقيع « الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين » ، وبقيت البيانات في فترة (حزيران ١٩٦٤ — أوائل أيلول ١٩٦٤) تحمل هذا التوقيع تارة وتحمل التوقيع الاخر تارة اخرى ، الى أن استقر التوقيع باسم « الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين » .

٢ — يعتبر بيان مؤتمر آب ١٩٦٨ معبرا عن وجهة نظر الجناح التقدمي في « ج.ش.ت.ف. » حينذاك . الا انه لا يعتبر احد وثائق الجبهة الديمقراطية التي يمكن اعتمادها بعد قيامها .

٣ — ان كافة المواقف التي تتعلق بالقضية الفلسطينية التي طرحت على صفحات الحرية منذ آذار ١٩٦٩ حتى الان هي نفس مواقف الجبهة . يضاف الى ذلك المواقف التي تتعلق بالقضايا العربية والتي طرحت على صفحات الحرية منذ أواخر ١٩٧٢ ، أي بعد عودة الحرية الى الصدور وحتى الان .

٤ — ان تقرير المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية المقدم الى المؤتمر التأسيسي المنعقد في الاردن في ٧٠/٨/٢٢ هو أحد وثائق الجبهة التي يمكن العودة اليها .

* * *

ولقد تم اعداد الدليل الحالي استنادا الى الادبيات التالية :

— كتاب « حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن » ، من منشورات دار الطليعة ١٩٦٩ .
— كتاب « حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية » ، من منشورات دار الطليعة ١٩٦٩ .
— كراس « المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية » ، ١٩٦٩ .
— كراس « مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة » ، ١٩٦٩ .
— كراس « حملة أيلول — دروس ونتائج » ، ١٩٧٠ .
— كراس « موضوعات مقدمة الى المجلس الوطني الفلسطيني الثامن بالقاهرة » ١٩٧١ . وهو منشور أيضا في مجلة الحرية ١٩٧١/٣/١٥ .
— تقرير المكتب السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين المقدم الى المؤتمر التأسيسي المنعقد في الاردن في ١٩٧٠/٨/٢٢ (وسيشار اليه في الدليل باسم تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢) .
— مجلد مجلة الحرية لعام ١٩٦٩ ، اعتبارا من عدد ١٩٦٩/٢/٢٤ .
— مجلد مجلة الحرية لعام ١٩٧٠ .
— مجلد مجلة الحرية لعام ١٩٧١ .
— اعداد مجلة الحرية لعام ١٩٧٢ (من عدد ١٣/ ٧٢/١١ حتى عدد ٧٢/١٢/٢٥) وهي موجودة في مجلد مجلة الحرية لعام ١٩٧٣ .
— حديث امين عام الجبهة الشعبية الديمقراطية الى مجلة شؤون فلسطينية العدد الخامس ، تشرين الثاني ١٩٧١ . وهو منشور أيضا في مجلة الحرية (اعداد ١١/١ ، و١١/٨ ، و١٥/ ١١ ، و١٩٧١/١١/٢٢) .
— كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني ١٩٦٩ .

أ — الافكار السياسية

١ — أسباب الانشقاق

ص ٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٢/٢٤ .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/١٤ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٩ .

٢ — تحديد العدو وتفتيته

ص ٣٧ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١١ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٩ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٩ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .

ص ١٦ كتاب حركة المقاومة فلسطينية في واقعها الراهن ١٩٦٩ .
ص ١٦٥ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن ١٩٦٩ .
ص ٤٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١ — ٣ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ ملحق رقم ١ .
ص ٨ — ١١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ ملحق رقم ١ .

٣ — الامبريالية .

ص ٣٩ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤٠ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٢ — ٣ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٥/١٩ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٢/٧ .
ص ٨ — مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١ (أنظر أيضا مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .

٤ — البورجوازية الكبيرة

ص ٢٤ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٢٥ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٤١ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٤٩ — ٥٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٠٣ — ١٠٤ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٠٧ — ١١٥ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .

٥ — البورجوازية الصغيرة

ص ٣٤ — ٣٥ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٤٢ — ٤٤ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٤٨ — ٤٩ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٥١ و ٥٦ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢١ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن ١٩٦٩ .
ص ٢٥ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن ١٩٦٩ .
ص ٣٢ — ٣٤ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن ١٩٦٩ .
ص ٢٥ — ٢٩ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٥٢ — ٥٤ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٩١ — ٩٦ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٠٤ — ١٠٥ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٠٧ — ١١٥ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١١٧ — ١١٨ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٢٧ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٢ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام . .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٩ .

٦ — القيادات الفلسطينية التقليدية

ص ٦ — ١٦ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢٠ — ٢١ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢٤ — ٢٦ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢٨ — ٣١ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٣٤ — ٣٨ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .

ص ٨ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٥ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٢١ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٢٩ — ٣٢ حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٤٣ — ٤٤ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٥٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١ .

٧ — الجماهير ودورها

ص ١٦ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٣٨ — ٤٤ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٥٦ و ٥٨ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٦٣ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٩ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٥ — ١٦ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤٠ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤ كراس مشروع جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٥ — ١٦ كراس مشروع جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٧ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٤٢ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٥٣ — ٥٦ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٦٥ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٨٨ — ٨٩ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١١١ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١١٩ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٤٢ — ١٤٣ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٥١ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٢٤ — ٢٩ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٢/٢٤ .
ص ١٥ مجلة الحرية ٩/١٥ /١٩٦٩ .
ص ٣ مجلة الحرية ٢/١٦ /١٩٧٠ .
ص ٨ مجلة الحرية ٨ /١٩٧١/١١ (انظر ايضا مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .

٨ — المقاومة الفلسطينية والانظمة العربية

ص ٩ — ١٢ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ١٩ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢٦ — ٢٧ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٣٠ — ٣١ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٥٦ — ٥٧ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٦١ — ٦٣ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٨ — ١٤ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٨ — ١٩ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢٢ — ٣٥ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤٤ — ٤٦ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤ — ٥ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٠ — ١١ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية

فلسطينية موحدة (ايلول ١٩٦٩) .
ص ٣٠ — ٣٢ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (ايلول ١٩٦٩) .
ص ٣٣ — ٣٨ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (ايلول ١٩٦٩) .
ص ١٤ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٣٦ — ٣٩ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٤٣ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٥٧ — ٦٠ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٦٦ — ٦٧ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٤٤ — ٤٧ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٨٧ — ٨٨ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٢٢ — ٢٣ كراس حملة أيلول دروس ونتائج (١٩٧٠) .
ص ٥ — ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/٢١ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٥/١٩ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١ .
ص ١٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١٥ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٢ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٢/١٥ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/٢١ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/٢٨ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/٢٨ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٧١/٤/١٢ .
ص ٨ — ٩ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/٢٦ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٨/٩ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٨/٢٣ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/١٠/١١ .
ص ٨ — ١٠ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١ (انظر أيضا مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧١) .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/٢٢ .

٩ — المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربية

ص ٦٣ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٩ — ١٣ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٦ — ٣٧ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (ايلول ١٩٦٩) .
ص ٣٧ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٩١ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٠ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ٤ — ٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني الفصل الثاني .
ص ٢ — ٣ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .
ص ٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .
ص ٤ — ٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ ملحق رقم ١ .
ص ١٤ — ١٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٩ .
ص ١٢ مجلة الحرية ١٩٦٩/١١/٣ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٢٣ .
ص ١٢ — ١٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٤/٢٧ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١ .
ص ٣ — ٤ مجلة الحرية ١٩٧٢/١٢/٤ .

١٠ — البعد القومي للنضال الفلسطيني

ص ٦ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/١٤ .

١١ — البعد الطبقي للنضال الفلسطيني

ص ٥٣ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢٣ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٤٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .

ص ٥ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني ــ الفصل الاول .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٧١/٤/١٤ .
ص ٨ ــ ٩ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/٨ . (انظر أيضا مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .

١٢ ــ الانظمة العربية الوطنية

ص ٥٣ ــ ٥٤ كتاب حول أزمــة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٦٠ ــ ٦٢ كتاب حول أزمــة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٦٥ ــ ٦٨ كتاب حول أزمــة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٢٤ ــ ١٢٥ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٥ وص ٨ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ١٢ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ٩ ــ ١٠ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني ــ الفصل الثاني .
ص ٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ الملحق رقم ١ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٩ .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/٢ .

١٣ ــ الانظمة العربية التقليدية

ص ٥ ــ ٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ ملحق رقم ١ .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١ .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/٢ .
ص ١٢ مجلة الحرية ١٩٧٢/١٢/٤ .

١٤ ــ مسألة عــدم التدخل بالشؤون الداخلية العربية

ص ١٨ كراس المقاومة الفلسطينيــة والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٤ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣١ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٩ ــ ٢٠ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٣٩ كتاب حــركة المقاومة الفلسطينيــة في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٥٧ كتاب حــركة المقاومة الفلسطينيــة في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٤٤ ــ ٤٦ كتاب حول أزمة حركــة المقاومة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٧٠ ــ ٧٥ كتاب حول أزمة حركــة المقاومة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .

١٥ ــ فلسطينية المعركة

ص ١١ كراس المقاومــة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .

١٦ ــ التمييز بين اليهود والصهاينة

ص ١٨ ــ ٢٠ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٦٥ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ١٥٥ ــ ١٥٦ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/١١/٣ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٢ .
ص ٨ ــ ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٢٣ .

١٧ ــ الدولة الفلسطينية

ص ٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ ملحق رقم ١ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/٢٤ .
ص ٤ ــ ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٠/٢٦ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/١١/٣٠ .
ص ١٢ ــ ١٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/١١/٣٠ .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٢/٢٢ .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٢/٢٨ .
ص ٢ مجلة الحرية ١٩٧١/٩/٦ .

١٨ ــ الدولة الديمقراطية

ص ١٦٦ ــ ١٦٧ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .

ص ٧ ـــ ٨ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ ملحق رقم ١ .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٩ .
ص ١٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/١١/٣ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٢ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٩ .
ص ١٠ ـــ ١١ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/١٦ .
ص ٨ ـــ ١٠ مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٢٣ .

١٩ ـــ الحل السلمي

ص ٦٠ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢٠ ـــ ٢٨ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٣ ـــ ٣٤ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤٠ ـــ ٤٢ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٣ ـــ ١٤ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣١ ـــ ٣٢ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٩ ـــ ٤٠ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٦٢ ـــ ٦٤ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٠٠ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١ ـــ ٢ كراس موضوعات مقدمة الى المجلس الوطني الفلسطيني الثامن ١٩٧١ .
ص ٦ كراس موضوعات مقدمة الى المجلس الوطني الفلسطيني الثامن ١٩٧١ .
ص ٣ ـــ ٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ١٠ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ١١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني ـــ الفصل الاول .
ص ١٨ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني ـــ الفصل الاول .
ص ٤ ـــ ٥ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام للجبهة .

ص ٤ ـــ ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/٧ .
ص ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/١٤ .
ص ٦ ـــ ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/٢١ .
ص ٦ ـــ ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٨/١٨ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٩ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٠/٤/١٣ .
ص ٤ ـــ ٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٦/١٥ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٦/٢٢ .
ص ٣ ـــ ٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/٧/٢٧ .
ص ٤ و١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/٣ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/١٠ .
ص ٢ و٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/١٧ .
ص ١٣ ـــ ١٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/٢٤ .
ص ٣ ـــ ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/٣١ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/٧ .
ص ٦ ـــ ٧ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/٧ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/١٤ .
ص ٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٠/١٢ .
ص ٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٠/٢٦ .
ص ١٢ ـــ ١٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/١١/٣٠ .
ص ٤ ـــ ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٢/٧ .
ص ٤ ـــ ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٢/١٥ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/١/١٨ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٢/١ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧١/٢/٨ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧١/٢/١٥ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٤/٥ .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٧١/٦/٥ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/٧/١٢ .

٢٠ ـــ الوحدة الوطنية

ص ٥٩ ـــ ٦٠ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٣٠ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤٢ ـــ ٤٣ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣ ـــ ٤٧ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤٤ ـــ ٤٦ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٥١ ـــ ٥٣ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في

واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٦٤ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٧٥ — ٨٤ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٨ كراس موضوعات مقدمة الى المجلس الوطني الفلسطيني الثامن ١٩٧١ .
ص ١١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ٣٦ — ٥٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٢/٢٤ .
ص ٦ — ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/١٤ .
ص ٥ — ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٨/٢٥ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١ .
ص ١٠ — ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١٥ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٢ .
ص ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٩ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٥/١٨ .
ص ١٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٦/١ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٧/٦ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٣/١ .
ص ١٢ — ١٤ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .
ص ١٢ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١٥ . (انظر أيضا مجلة شؤون فلسطينية العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٢/١١/١٣ .
ص ٧ — ٨ مجلة الحرية ١٩٧٢/١١/٢٠ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٢/١١/٢٧ .
ص ٨ — ٩ مجلة الحرية ١٩٧٢/١٢/٤ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٢/١٢/١١ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٢/١٢/١٨ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٧٢/١٢/٢٥ .

٢١ — التحرر الوطني

ص ٢٣ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٢١ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٩١ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٣١ — ١٣٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١ — ٢ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ — فصل البرنامج العام .
ص ١٢ — ١٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٥/٢٦ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .

٢٢ — اهمية الفكر السياسي

ص ٥٣ — ٥٥ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٦٣ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٢٢ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢٠ و ٢٢ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٣٧ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٩٨ — ١٠٠ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .

٢٣ — أسباب هزيمة حزيران ١٩٦٧

ص ٥٥ — ٦٠ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٦/٢ .
ص ١٢ — ١٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٢/١ .

٢٤ — المجلس الوطني الفلسطيني

ص ٣٥ — ٣٦ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ١٢٧ — ١٢٨ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٥ — ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٨/٢٥ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١٥ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٣/١ .
ص ٢ مجلة الحرية ١٩٧١/٦/١٤ .
ص ١٥ و ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .

٢٥ — آراء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ص ١٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ١٩ — ٢٠ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .

ص ٤ — ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٢/٢٤ .

٢٦ — حول موقف النظام الاردني من الثورة

ص ١٤ — ١٥ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١١٥ — ١١٦ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٥٢ — ١٥٣ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٢ — ٥ كراس موضوعات مقدمة الى المجلس الوطني الفلسطيني الثامن (١٩٧١) .
ص ٣ — ٤ كراس حملة أيلول دروس ونتائج ١٩٧٠ .
ص ١٤ — ٣٠ كراس حملة أيلول دروس ونتائج ١٩٧٠ .
ص ١١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ٥ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٨ — ٢١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الثاني .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٤/٢١ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٦/٢ .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٧/٧ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٧/١٤ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٨/٤ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/١٦ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٦/١٥ .
ص ٢ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٦/٢٢ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٧/٦ .
ص ٣ و ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٧/٢٠ .
ص ٣ — مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/١٧ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/٢٤ .
ص ٣ — ٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/١٤ .
ص ٣ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٩/٢١ .
ص ٣ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٠/١٢ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٠/٢٦ .
ص ٢ و ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/١١/٢ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/١١/٩ .
ص ٤ — ٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/١١/١٦ .
ص ٦ — ٧ مجلة الحرية ١٩٧٠/١١/٢٣ .
ص ٣ — ٤ مجلة الحرية ١٩٧١/١/١٨ .
ص ١١ مجلة الحرية ١٩٧١/٢/٢٢ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٤/٥ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٤/١٢ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٧١/٥/٢٥ .
ص ٣ و ٥ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/٢٦ .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٧١/٨/٢٣ .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٩/٢٠ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١ (راجع أيضا مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .
ص ٩ — ١٠ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/٨ (راجع أيضا مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١٥ .
ص ١٢ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١٥ (راجع أيضا مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .
ص ١٠ — ١١ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/٢٢ (راجع أيضا مجلة شؤون فلسطينية عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .
ص ١٦ مجلة الحرية ١٩٧٢/١١/١٣ .

٢٧ — المقاومة الفلسطينية والنظام اللبناني

ص ٢٨ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٥/١٢ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٦/٩ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٦/١٦ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٠/٢٦ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/١١/٣ .
ص ٨ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٢/١٥ .
ص ٨ — ١٠ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٢/٢٢ .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٢ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/٩ .
ص ٣ — ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٢٣ .
ص ٣ — ٧ مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٣٠ .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/٥/٢٥ .

٢٨ — حول منظمة التحرير

ص ٤٤ — ٤٨ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٣٥ — ٣٦ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٤٥ — ٥٢ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٦٥ — ٦٦ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ١٣٠ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٤٥ — ٤٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني ، الفصل الاول .
ص ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٣/١٧ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١٥ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٢ .
ص ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٩ .

٢٩ — المركزية الديمقراطية

ص ٨ — ٩ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .

٣٠ — الحزب والتنظيم

ص ١٦ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٥٥ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ١٤٩ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٥٧ — ٦٨ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني ، الفصل الاول .
ص ١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .

٣١ — قيادة البروليتاريا

ص ٣٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٠١ — ١٠٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٤٧ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٤٠ — ٤١ تقرير المكتب السياسي ، ٨/٢٢/ ١٩٧٠ القسم الثاني ، الفصل الاول .

٣٢ — اليسار وبناء الجبهة اليسارية الثورية

ص ٦ — ٨ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني ، الفصل الثاني .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١ . (انظر ايضا مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .
ص ١٣ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١٥ . (انظر أيضا مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .

٣٣ — النقد والنقد الذاتي

ص ٢٤ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٣ مجلة الحرية ٧١/١١/١٥ (انظر أيضا مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .

٣٤ — الجبهة الديمقراطية وحركة القوميين العرب

ص ٦ — ٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الثاني .
ص ٤ — ٦ مجلة الحرية ١٩٦٩/٢/٢٤ .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/١١/٢٤ .

٣٥ — شعار لا سلطة فوق سلطة المقاومة

ص ٣٢ — ٣٣ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٣ — ٣٧ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ١٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٠/٦ .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/٢٣ .
ص ٢ مجلة الحرية ١٩٧٠/٨/١٧ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧١/١١/١ (راجع ايضا مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١) .

٣٦ — الحقوق الوطنية (القومية) للشعب الفلسطيني

ص ٦ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .

٣٧ — حركة التحرر الوطني الاردنية — الفلسطينية والجبهة الوطنية الاردنية — الفلسطينية

ص ١٥١ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .

ص ٩٨ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٢ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .

٤٩ — ايديولوجية البروليتاريا والثورة

ص ٧ و ٩ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ١٨ — ١٩ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٥٤ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٩ .

٥٠ — السمات المميزة لحركة المقاومة الفلسطينية

ص ١٧ — ١٨ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .

ب — الافكار العسكرية

١ — حرب التحرير الشعبية

ص ١١ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢٢ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٧ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢٢ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٣٥ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٦٧ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١ — ٢ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٤ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٢/٢٤ .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٦/٢ .
ص ٩ مجلة الحرية ١٩٧٠/١/١٩ .

٢ — الكفاح المسلح

ص ٥٤ كراس ملامح تطور النضال الفلسطيني بدون تاريخ .
ص ٧ و ١٣ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٨ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٧ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢١ — ٢٢ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٦٧ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٦ كراس موضوعات مقدمة الى المجلس الوطني الفلسطيني الثامن ١٩٧١ .
ص ٥ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٥ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام للجبهة .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٦٩/٢/٢٤ .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٥/١٩ .
ص ١٢ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١ .

٣ — قيادة الكفاح المسلح

ص ٤٤ — ٤٥ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ١٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١٥ .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٠/٦ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٢/٢٢ .

٤ — أهداف حركة المقاومة

ص ٧ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣٦ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٤ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢٠ — ٢٣ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية

فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٥١ — ١٥٢ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ١ — ٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الثاني .
ص ١ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .
ص ٣ — ٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ فصل البرنامج العام .

٥ — مهمات حركة المقاومة

ص ٩ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٧٠/٦/١ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .

٦ — العصابات والجيوش النظامية

ص ١٧ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٥/١٩ .

٧ — هانوي العربية

ص ١٢ المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .

٨ — عمليات الداخل وقواعد الداخل

ص ٣ — ٤ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٧ مجلة الحرية ١٩٧١/٧/١٢ .

٩ — أخطاء المقاومة ومعضلاتها

ص ٦ — ٨ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ١١ — ١٤ كتاب حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن (١٩٦٩) .
ص ٨ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٣٠ — ١٤٦ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٤ — ١٥ كراس حملة ايلول دروس ونتائج (١٩٧٠) .
ص ١١ — ١٣ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الاول .
ص ١٥ — ١٦ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ١٣ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/١٥ .

١٠ — العنف القمعي والعنف الثوري

ص ٣٢ — ٣٤ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .

١١ — العمليات الخارجية

ص ٣ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ١٠ — ١١ مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٢ .

١٢ — ضرب المصالح الامبريالية

ص ١٤ — ١٥ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٦٦ كتاب حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ٤ — ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/٦/٩ .

١٣ — العمليات الكبيرة

ص ١٤ مجلة الحرية ١٩٦٩/٩/٢٢ .

١٤ — الميليشيا

ص ١٧ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢٩ — ٣٠ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٤٣ — ٤٤ كراس المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٢٣ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ٣١ — ٣٢ تقرير المكتب السياسي ، ٢٢/٨/١٩٧٠ القسم الثاني — الفصل الاول .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٦٩/١٢/٨ .
ص ١٢ — ١٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٣٠ .
ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/١٠/١٢ .
ص ٤ مجلة الحرية ١٩٧١/١/١٨ .
ص ٥ مجلة الحرية ١٩٧١/٢/٨ .

١٥ — القيادة الموحدة لحركة المقاومة

ص ٥٠ — ٥٧ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢ القسم الثاني — الفصل الاول .

ص ٣ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/١٦ .
ص ٦ مجلة الحرية ١٩٧٠/٢/٢٣ .

١٦ ــ الانقلابات العسكرية

ص ٢٥ ــ ٣٦ كتاب حول أزمة حركــة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .
ص ١٦ ــ ٢٢ تقرير المكتب السياسي ١٩٧٠/٨/٢٢
القسم الثاني ــ الفصل الاول .

١٧ ــ حول جيش التحرير

ص ٢٤ ــ ٢٥ كراس مشروع برنامج جبهة وطنية فلسطينية موحدة (أيلول ١٩٦٩) .
ص ١٣٠ كتاب أزمة حركــة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٩) .

مراجعات

اميل حبيبي ، الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل ،
(حيفا ، مطبعة الاتحاد ، ١٩٧٤)

في اللوحة السادسة من لوحات « سداسية الايام الستة » كتب اميل حبيبي يقول : « هذه القصة التي بين ايديكم الان ، ايضا ، لم اكن أنا واضعها ، ولكنني أعدت كتابتها مرة ، وأعدت كتابتها مرتين ، وثلاث مرات ، حتى اخفي معالمها عن أصحابها فلا أشقيهم فشقيت ، وحتى أخفي معالمها عن حابسيهم فلا أثيرهم ، فثرت » . وهذه الفقرة في واقع الامر ذات دلالة مهمة . فهي تلقي الضوء على عملية الابداع الادبي كما يراها اميل حبيبي عامة ، وعلى الابداع القصصي بصورة خاصة . فاميل حبيبي كاتب من الجيل المتقدم ، لكننا لم نستطع ان نلم بمحاولاته القصصية التي نشرها قبل السداسية ، وازاء هذا لا بد من الاتكاء على هذه الفقرة ، للاهتداء الى مفتاح نلج بواسطة عالم (أبي سلام القصصي).

فالقصة عنده ، اذن ، ليست خيالا محضا ، ولا واقعا حرفيا متكلسا على نفسه ، ان الجماهير هي التي تضع القصة ، وما على الكاتب الا ان يصوغها مرات ومرات طبقا لما تفرضه وسائله الفنية التي تمكنه من سكب افكاره في قوالبها . ومع ان اميل حبيبي يعترف بأن اعادة صياغة الواقعة قد تتم من أجل عدم مواجهة الواقع بصلابته الجافية ، الا انها لا تسلمه من المعاناة . كان الكاتب يحاول تجنيب أبطال قصته الشقاء فشقي هو نفسه . وكان يريد تجنيب حابسيهم الاثارة فثار هو نفسه . فمخاض القلق الفني لا ينجب الارتياح ، والهدوء ، بقدر ما ينجب التأزم ، والقلق .

ويمضي اميل حبيبي الى القول : « فلفحة الالم تعتمل في صدر الكاتب تسعة أشهر ، تسعة أعوام ، العمر كله ، حتى تعصف به آلام المخاض فيلدها قصة ، اذا تنفست هواء ارضنا عاشت ، وأما اذا هبطت علينا من كوكب آخر ، لا يتنفسون فيه هواء كوكبنا ، اختفت ... وولدت ميتة » .

يؤكد اميل حبيبي في النص السابق على أمر ذي أهمية ، وهو ان العمل الفني يولد في أحضان الالم ، بل ان بذرة العمل الفني تنمو في نفس الكاتب كما ينمو الجنين في الرحم . وحين يتشكل العمل ، وينسكب في صورته المادية ، تصاحبه آلام تهون معها آلام الولادة . والقصة — الجنين — حين تخرج من رحم النفس المبدعة لا تبقى في فراغ بل تأوي الى رحم الارض ، أي رحم الواقع . فقصص الابراج العاجية لا تكتب لها الحياة ، ولا تكسب البقاء والديمومة .

مثل هذه المداخل لعالم اميل حبيبي القصصي ، ضروري جدا التعرف عليها والالمام بها . والسبب هو اننا نفسر بواسطتها طريقته الخاصة في خلق وتركيب البنية القصصية ، هذه البنية التي لا يشاركه في صفاتها ، وطبيعتها أحد .

والذي يهمنا ، من السداسية ، في المقام الاول ، الاجابة على السؤال التالي: « هل نعد السداسية من الادب الروائي ، أم انها من القصص القصيرة ؟ » ولسنا وحدنا الذي اثار هذه القضية ، فالكتاب أخضع لمثل هذه المناقشة من قبل . فهذا رجاء النقاش يقول : « القصة هي رواية قصيرة كتبها المؤلف على شكل ست لوحات، او ست قصص قصيرة »(١). أما محمد دكروب فيذكر انها : « سلسلة اقاصيص ، او حكايات ، او قصة طويلة ، او رواية »(٢). أما أحمد سعيد

محمدية فقد كتب يصف الكتاب : « هي رواية ، وهي قصص قصيرة في الوقت نفسه ... وهذه هي معادلتها الصعبة »([٢]).

غير ان معظم هؤلاء النقاد — كما يبدو — لم يفرقوا بين طبيعة الرواية بوصفها فنا ذا خصائص، ومزايا جوهرية مستقلة عن غيرها من خصائص القصص ، وبين القصة القصيرة ذات الخصائص المميزة ، وهذا يوجب علينا ان نوجز ما نرتأيه حول طبيعة فن الرواية .

والواقع ان جميع ما كتب حول فن الرواية يتفق تمام الاتفاق على تعريف واحد لها . فهي في الغالب الاعم حكاية ، يسيطر عليها الحس بالزمان . اذ انه ينتظمها من البداية حتى النهاية. سواء أكان انتظاما تصاعديا او تنازليا . وحتى تلك الروايات التي كتبها أصحابها ليثبتوا أنهم يستطيعون الاستغناء عن عامل الزمن فانها من أكثر القصص تكريسا له ، أعني روايات تيار الشعور. فهي كتلة من الشعور المتزامن .

ولما كان الزمان عنصرا هاما في الرواية ، ينتظم احداثا ، واشخاصا ، فمن تحصيل الحاصل ان تكون الرواية ذات بنية مترابطة ، عضويا . وهذه حقيقة تجابه أي قارىء لاية رواية كلاسيكية، او حديثة . وحتى تلك الاعمال التي يعدها أصحابها مفككة — بلا حبكة — هي من الترابط والتماسك بحيث حلت علاقات الانفصام محل التشابك ، والتماس . فأي انسان يستطيع ان يدعي — بعد قراءة رواية من الروايات الحديثة — انها تفتقر الى الترابط ؟.

وما يتميز الرواية عن غيرها من الفنون طابعها الشمولي . فهي عمل يدور حول قطاع كبير من مجتمع ، ولو ان بعض الروايات تركز في المقسام الاول على شخصية او اثنتين ، فمـن خـلال العلاقات ، تبرز تلك الجماعات البشرية التي تشارك في رسم الصورة العامة للرواية وأحداثها.

من خلال هذه المنطلقات نستطيع ان نميز بين الرواية والقصة القصيرة . فمن المتفق عليه ان القصة القصيرة تعتمد على الموقف العاطفي ، او النفسي لشخصية واحدة ، في شريحة حنيفة من عمر الزمان ... مكتوبة بلغة مشحونة ، أقرب الى الشعر منها الى لغة النثر العادي . ومهما تعددت، واختلفت ، أنماط القصص القصيرة فانها تتفق على هذا المحور الذي يكاد يخرقها جميعا ، بلا استثناء ...

واذا رغبنا في اخضاع « سداسية الايام الستة » لهذا التحليل ، وتلك المناقشة ، وجب ان نرفض — لا بشكل قطعي — كل ما قيل عن وحدة الرواية والقصة القصيرة في هذا العمل . فلو كانت السداسية رواية بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح لما التبس على النقاد المذكورين فيخلطوها بالقصة القصيرة . ولو كانت المجموعة قصصا قصيرة محضة لما التبس عليهم فيخلطوها بالرواية . اذن ؟ ما طبيعة هذا العمل الفني ؟.

بمعزل عن الرؤية البانورامية للمجموعة كاملة نستطيع ان نعد كل لوحة منها قصة قصيرة متكاملة الجوانب ، بارزة المعالم والملامح .

فاللوحة الاولى « حين سعد مسعود بابن عمه » قصة قصيرة ، ذات موقف نفسي واحد ، هو شرح وتبيان لمشاعر الصبي الذي اكتشف بعد الخامس من حزيران ان له اعماما وأبناء أعمام . وانه — وهو المقيم في فلسطين المحتلة — له امتداد في الضفة الغربية ، بل في الكويت ...

لا ترتكز القصة على سرد لجزئيات الموقف من خلال اللقاء شبه التاريخي بين مسعود وابن عمه سامح . واذا قرأنا كل قصة من القصص ، بمعزل عن الاخرى وجدناها مثل القصة الاولى .

فقصة « العودة » : تحليل نفسي للحظة زمنية يمر فيها أحد عرب الناصرة ، حين يزور القدس في الذكرى الاولى للخامس من حزيران . وعودة « جبينة » قصة مماثلة ، فهي تتركز حول تحليل مشاعر فتاة عادت الى أمها في الارض المحتلة بعد فراق دام عشرين عاما . وقصة « الحب في قلبي » عبارة عن ثلاث رسائل تجسد الواقع النفسي الذي تحياه مناضلة من المناضلات المعتقلات في سجن الرملة بفلسطين المحتلة .

ويعزز قولنا عن هذه اللوحات بأنها قصص قصيرة ما قدمنا به لهذه الدراسة . فحين وصلت اميل حبيبي طريقته في كتابة القصة اوحى لنا بأن القصة الاخيرة — الحب في قلبي — ذات أجـواء مختلفة عن اجواء غيرها من القصص . وهي ثمرة معاناة طويلة ، تضرب جذورها في تلك اللحظات

التي قضاها بمدينة لينينغراد ، وتسمو فروعهـا في رسائل شوق بعثت بها مناضلة لامها . وما يصل بين هاتين الفترتين هو التداعي ، الذي اختزل المسافة الزمنية الكبيرة ، ودغمهما في لحظة نفسية واحدة .

ويؤكد رأينا — من جهة ثانية — لجوء أميل حبيبي في احدى القصص للحكاية الشعبية ، دون غيرها من القصص . فهي اذن قصة ذات مخاض مختلف عن مخاض القصص الاخرى . في حين ان العمل الروائي ، المتكامل ، تنسكب اجزاؤه في ظل معاناة واحدة ، وعبر انهمـار فكري وفني متواصل .

يبقى السؤال الذي طرحناه في البداية حول وجه اللبس امام هذا العمل ، والحقيقة ان المقارنات قد تسعفنا في بعض الحالات ، ومن جملتها هذه الحـالة .

فلو نظرنا في القصص الغربي لوجدنا نموذجـا مماثلا للسداسية ، لا من حيث المضمون ، ولكن من حيث الشكل . أعني به مجموعة قصص للكاتب الامريكي جون شتاينبك عنوانها : « مراعـي السماء » . فهي عبارة عن قصص قصيرة الا انها تشترك — جميعها — في حمل مضمون متشابه ، مضمون فكري واحد . وتدور احداثها في بيئة واحدة ، وتتكرر فيها بعض الاسماء ، وقد حـار النقاد فعلا في الاجابة حول سؤال حول ما اذا كان الكتاب مجموعة قصصية او رواية .

وفي أدبنا العربي نجد مثالا لهذه الحالة ، فقصص غسان كنفاني « عن الرجال والبنادق »(٤) مجموعة لوحات تشكل كل واحدة منها قصة قصيرة. ولكن ينتظمها جميعا خيط فني واحد هو الفكـرة والبيئة . وربما تكرار بعض الاسماء . وفعل غسان كنفاني الشيء ذاته في « أم سعد »(٥) التي درسها بعض النقاد مع الروايات ، ودرسها بعضهم مع القصص القصيرة(٦).

وعندما يتساءل الباحث عن الحوافز التي تجعل القاص يلجأ لهذه الطريقة لا يجد اجابة مقنعة ، ولكننا نستطيع ان نستنتج من قراءة هذه النماذج أمرا قد ينطوي على شيء من الصحة . وهو ان هذه الاعمال تعبر عن مراوحة الكاتب بين الفنين ازاء موضوع واحد يناسبه كلاهما .

ففي « مراعي السماء » أراد شتاينبك ان يصور مخاوف قرية من القرى من الاشباح . وهو موضوع يستطيع ان يعبر عنه في رواية كما يستطيع ان يعبر عنه في قصص قصيرة ، وعندما لم يجد فرصة كافية لاختيار الاحسن اضطر تحت ثقل المضمون ان يراوح بين الفنين فكتب قصصا قصيرة تطمح ان يكون لها شكل الرواية ، وقوتها .

وحين كتب غسان كنفاني «عن الرجال والبنادق» اراد ان يصور نضال شعب . وهو موضوع يستطيع ان يعبر عنه في الرواية كما يستطيع التعبير عنه في قصص . ولما كانت مشاغله الصحافية اليومية ترهقه وتمنعه من الاسترسال في التصور والتركيب لجأ الى هذا الشكل السريع : ان يكتب قصصا قصيرة تطمح ان يكون لها شكل الرواية ، وقوتها.

وهناك وجه شبه بين اميل حبيبي وغسـان كنفاني غير تشابههما في الانتماء ، وهو العمـل الصحافي . ومن أجل ذلك نستطيع التكهن بأن اميل حبيبي لجأ تحت ثقل المضمون الى تصوير التقاء الفلسطينيين ببعضهم تحت ظل الاحتلال من خلال أعمال فنية سريعة التشكيل ، لكنها تطمح — في المدى البعيد — ان يكون لها شكل الرواية ، وقوة الرواية .

خلاصة الامر اننا لا نستطيع الاتفاق مع القائلين بأن السداسية رواية قصيرة ، او رواية فحسب. والصحيح ان يقال : ان السداسية عبارة عـن ست قصص قصيرة ، ينتظمها مضمون واحد ، وتدور احداثها في بيئة واحدة .

وهي — في المدى البعيد — تطمح ان يكون لها من الشكل شكل الرواية . ومن القوة قوة العمل الروائي .

وبعبارة اوجز نستطيع القول : ان السداسية ارخت لفترة المراوحة بين القصة القصيرة والرواية عند اميل حبيبي ، فأيهما الذي سيغلب عليه ؟؟ هـذا ما سنعرفـه عند قـراءة العمل الثاني : « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحـس المتشائل » .

[٢]

عندما يتساءل المرء عن ابرز الاركان التي تقوم عليها الرواية فانه يجد عدة كتب حاولت الاجابة

على هذا السؤال ، في شيء من الاكاديمية والعمق والشمول . ولعل على رأس هذه الكتب كتاب «جوانب الرواية» للكاتب الانكليزي فورستر[٧]. فهو خلاصة لتجاربه في ميدان الرواية والنقد . وثمة كتاب لا يقل فضلا عن كتاب فورستر ، وهو كتاب هنري جيمس « فن الرواية »[٨]. وهناك كتاب ثالث عنوانه « بحث في الرواية »[٩] لمؤلفه الناقد البريطاني روبرت ليدل . وكتاب اخر عنوانه « صنعة الرواية »[١٠] لبرسي لوبوك .

والخلاصة التي يخرج بها الباحث من الكتب المذكورة ، وسواها ، ان الرواية تقوم على عدة اركان : الحكاية ، الشخصية ، الحبكة ، النموذج او الايقاع ، ثم الخيال الخلاق . وعناصر أخرى تختلف من عمل الى اخر . ومن عصر الى عصر .

وعند التطبيق نجد ان ما يقصد بكلمة الحكاية هو الزمن ، والاحداث ، والوقائع . اماالشخصية فيقصد بها عموم البشر الذين يشتركون في احداث الرواية . واما الحبكة فهي العمود الفقري الذي ينتظم الاحداث وفقا لقانون العلة والمعلول . ويتضح ان النموذج او الايقاع انما يعني الطريقة، او الشكل ، الذي يسكب القاص فيه عناصر عمله الروائي . فهناك طريقة السرد العادي . وهناك طريقة الرسائل. او المذكرات . وأما الخيال فهو القوة القادرة على صهر جميع الامور في بوتقة واحدة لصبها في القالب الروائي وكأنها مادة من معدن واحد .

واثناء التحليل الدقيق لرواية اميل حبيبي « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » يتضح ما يلي :

اولا : بالنسبة للحكاية او الزمان ، او الاحداث ، فهي تنسجم مع متطلبات البنية الروائية شكلا وفحوى . فمن الناحية الاولى يثير عنوان الرواية « الوقائع » احساسا اوليا بوجود الاحداث التي تتطلب وجود عامل الزمن والتتابع . وقد جعل اميل حبيبي روايته تدور عبر فترة زمنية واسعة جدا . فهي من الناحية الشكلية تبدأ منذ عام ١٩٤٨ ، وتنتهي حين الفروغ من كتابة السطور الاخيرة ، بل هي — في الواقع — لا تنتهي ، لان العبارات الاخيرة منهاأوحت بمطالبة القاص للقارىء ان يستمر معه في البحث عن شخصية ابي النحس.

على أن الرواية ، من الناحية العملية ، لا تكتفي بهذه الفترة الزمنية من ١٩٤٨ — ١٩٧٤ ، بل تزداد اتساعا من خلال ربط بعض الاحداث التي تمر بالاشخاص بفترات تاريخية سابقة اما طبقا لقانون التداعي ، او انطلاقا من سرد التفاصيل المتعلقة بأبي النحس . ففي المجال الاول يتقهقر المؤلف بنا الى فترات الحروب الصليبية ، والى عهد الجزار .. واحيانا صلاح الدين ، وتاريخ عكا . وعهد الانتداب ، وقد تأخذ وقفته عند بعض هذه الاحداث فترة طويلة او قصيرة ، وفي المجال الثاني يحلل نسب البطل ، فيرجعه الى اصول واغلة في القدم ، وهذه السمة من سمات الشخصية تمنحه حرية الحركة في الزمان .

وهنالك امر ثالث يكسبه المرونة الزمنية ، وهو ربط التعبير عن الحاضر بالتعبير عن الماضي . فكثيرا ما نجد الكاتب يعود بنا الى كتب الجاحظ ، أو الى الف ليلة وليلة ليصف الامير موسى وقد دخل الى مدينة النحاس . او الى كتاب رحلة بن بطوطة حين يصف اسوار عكا ، ومناخها ، وحركة السفن . فكأن الكاتب يريد ان يدمج الماضي في الحاضر ، وان يمزج الاسطورة بالواقع . وهذه الحركة ، في الزمان ، اساس من اسس العمل الروائي . ولا يضير الكاتب تصرفه بهذا العامل ، فهو نهج دأب عليه كتاب القصة المحدثون ... حتى اصبح اسلوبا عاما في الرواية الحديثة لدى وليم فولكنر وجويس وبروست[١١]، وان كانت الطريقة التي استخدمها اميل حبيبي تختلف عن طريقة هؤلاء الكتاب تمام الاختلاف .

ثانيا : بالنسبة للشخصية ، فانها تتجسد من خلال تسمية الرواية أيضا .

واذا كان فورستر قد استدل من تسمية بعض الروايات باسماء بعض شخصياتها مثل « اما » و« جين اير » و« أنا كارنينا » على أنها قصص تقوم في الدرجة الاولى على الشخصية[١٢] فان الاعتبار ذاته يسري على رواية اميل حبيبي ، وليست التسمية وحدها هي الدليل على أهمية الشخصية فيها ، بل هناك أيضا العناية ، والدقة ، في الاتكاء على هذه الركيزة الفنية .

ومع أن الشخصية اما ان تكون ثابتة او نامية فان اميل حبيبي جعل شخصية سعيد تجمع بين

الثبات والنمو . وهو أمر قد لا نجد له مثيلا في أية رواية . فأبو النحس شخصية ثابتة بالنظر الى افكارها ، وطبيعة تكوينها ، واسلوب انتمائها ، ومواقفها من الاحداث ، ولكنها نامية من حيث تعرفها على ما يحيط بها .

ففي كل فصل ، وكل عنوان ، نجد ان النحس يكتشف شيئا جديدا . قد يتعلق هذا الشيء به هو مثل اكتشافه للكثير من أسرار العائلة . وقد يتعلق هذا الشيء بما هو حوله مثل اكتشافه لكثير من أسرار الرجل الكبير .. ومعلمه يعقوب .. ويعاد .. وباقية .. واخرين . فالشخصية ، اذن ، لا تنحصر ضمن اطارها فقط بل تنعكس على شخصيات كثيرة ، مما يؤكد اعتقادنا بأن أبا النحس شخصية اسطورية ، ترمز الى طبقة من الطبقات ، هي طبقة العملاء الذين تعاونوا ، ويتعاونون مع الاحتلال .

وقد أخلص اميل حبيبي في تصوير شخصيته اخلاصا كبيرا . والذي عمق احساسنا بهذا الاخلاص رفده وقائع القصة بكثير من الاحداث التاريخية الحقيقية ، الموثقة بالتاريخ ، واليوم والشهر والسنة ، ولعل احاديثه عن الانتخابات الاسرائيلية ، وعن حكاية الولد الذي تسبب في غرامته لانه عربي ، وعن السجون ، يثبت ذلك .

ان اتساع شخصية المتشائل ، مع ما رافقها من كشوف ، وسرد لحقائق الواقع في الاراضي المحتلة ، وامتزاج التاريخ بالاسطورة والواقع فيها ، وحركتها الدائمة في ميدان زماني فسيح ، يجعلنا نؤكد ما سبق ان نوهنا به من طابع ملحمي لهذه الرواية ، وهذه الشخصية[١٣] رغم ان شخصية المتشائل سلبية لا ايجابية ، وهنا يتضح عالم المفارقة والسخرية في الرواية .

ثالثا : بالنسبة للنموذج او الايقاع فقد عرف فن الرواية عدة أنواع من النماذج . اولا : طريقة السرد العادي ، وهي أما ان تكون بلسان المتكلم، واما ان تكون بضمير الغائب . وثانيا : طريقة المذكرات . وثالثا : طريقة الرسائل . ورابعا : طريقة المنولوج او تيار الشعور .

وقد يلجأ الكاتب لاكثر من طريقة من هذه الطرائق. غير أن اميل حبيبي اوصى لنا منذ البداية أنه يكتب روايته على نمط الرسائل . وهذه حقيقة وكدها في ختام الرواية عندما ذكر ان راوي القصة ذهب بنفسه للبحث عن شخصية باعث هذه الرسائل . وظل الكاتب حريصا على تذكيرنا بهذه الحقيقة . ففي مطلع كل كتاب من كتب الرواية الثلاثة يقول : « كتب الي سعيد ابو النحس المتشائل ، قال : » . ثم يستأنف سرده للاحداث. وطبيعي ان يأتي السرد بلسان المتكلم ، لكن ليس هنا موضع الحديث ، وانما نريد ان ننبه الى شيء اخر هو اغتنام الكاتب لفرص كثيرة من اجل اظهار براعته الروائية باستخدام اكثر من طريقة .

فعلاوة على اسلوب الرسائل، وطريقة المذكرات، وجدناه يستخدم التداعي ، وتيار الشعور ، والمنولوج . وهناك صفحات كثيرة يحدث فيها أبو النحس نفسه . وهناك فقرات جمة يذكرها أبو النحس لان شيئا ما ذكره بها . وهناك لحظات يمتزج فيها حلم الشخصية بواقعها . وهذا النسيج الروائي يضيف الى مباهج الرواية شيئا كثيرا يمتع القارىء ، ويشده الى تفاصيلها الدقيقة ، وعباراتها الساخرة .

رابعا : اما الخيال ، فهو اما ان يكون تصويرا لاشياء يمكن تصديقها ، والقبول بامكانية حدوثها ، وهذا النمط يتجلى في كثير من الاعمال الروائية . واما ان يكون خارقا ، لا يصدقه العقل ، ويأباه المنطق . وكان هذا الضرب من التخيل شائعا في قصص الرومانس ، وقصص الفرسان والخوارق. وهو ما سماه فورستر في كتابه : « الاغراق في الخيال » .

وفي النماذج الروائية التي تسير على هذا النهج لا بد من وجود شخصيات ميتافيزيقية ، كالمردة والجان ،والالهة ، وما شابه . وقد اورد فورستر امثلة على وجود هذا النمط في الروايات المعاصرة[١٤].

ولكن اميل حبيبي يجب ان يعطينا في هذه الرواية مثالا على تحقق النوعين في رواية واحدة . فمن حيث الخيال المعقول فقد تضمنت الرواية تصويرا لاحداث ليست مقبولة فقط ، بل هي احداث حقيقية ، وقعت فعلا ، فضلا عن احداث ممكنة الوقوع ، واضاف — علاوة على ذلك — النمط الثاني من الخيال ، ممثلا بوجود الرجال الفضائيين الذين ينقذون أبا النحس المتشائل عن خازوقه ، ويأخذونه

الى ما وراء هذا العالم . ومن المكان الجديد يبعث أبو النحس برسائله للراوي كشفا للكثير من الوقائع التي اكتنفت اختفاءه . وكان اميل حبيبي يضيف عاملا جديدا لتأكيد مزاوجته بين التقليد والمعاصرة في روايته .

— ٣ —

ولعل في الاستقصاء السابق للاركان الروائية في كتاب « المتشائل » ما يثبت ان اميل حبيبي هو كاتب روائي في المقام الاول . وان كتابه هذا يشتمل على الركائز الضرورية للمعمار الروائي طبقا لما هو معروف في ميدان الابداع الروائي ، والنقد الروائي . ولكن السؤال الذي يحتاج الى اجابة شافية ومقنعة هو : ما الذي تحظى به رواية المتشائل من قيمة ؟. وهل هي مجرد اضافة كمية الى الرواية العربية والفلسطينية ام انها اضافة نوعية تخطو بهذا الفن خطوة الى الامام ؟. وما هي العناصر المميزة لهذه الرواية ، وهل هناك مقاصد عبر عنها الكاتب لم يسبقه احد اليها ؟ ما هو مستقبل هذه الرواية في مجالات التقويم التاريخي والنقدي ؟.

ترد هذه الرواية على مسامع القراء مجموعة من الرسائل تلقاها الراوي الملقب « بالمحترم » من سعيد ابي النحس المتشائل بطل الرواية ، يعرفه فيها بالاسرار الغريبة التي جعلته يدرك واقعه في الحياة ، وانه منذ ادراكه لهذا الواقع وهو جالس على خازوق يتمنى من ينقذه ، فيتاح له احد رجال الفضاء ، فيأخذه ويطير به نحو الفضاء . اما الذي جعل سعيد نموذجا للتعاسة والنحس فهو انه استند على وصية ابيه الذي قتل اثناء نزوح ١٩٤٨ في تصريف أمره للبقاء في الارض المحتلة . واعتماده على اظهار الولاء والاخلاص لدولة الاحتلال . وعمله في التشويش على الاحزاب الوطنية لصالح حزب الماباي الاسرائيلي في الانتخابات . ومواقفه التي تعد نموذجا للانهزامية ، والسلبية ، واخيرا موقفه من احتلال عام ١٩٦٧ .

ورغم ان أبا النحس يبذل جهده في اظهار الولاء للعدو .. فان هذا العدو لا يترك له فرصة أن يحيا على هواه ، بل يزج به في السجن غير مرة . ولقد صور اميل حبيبي بطله المهزوم بصورة ساخرة، ينتقد فيها طبقة من المتعاونين مع الاحتلال .

ويعرض بين يدي القارىء صورة وافية ، دقيقة التفاصيل ، محددة المعالم ، بارزة الخطوط والالوان ... لتطور حياة الاقلية العربية في فلسطين المحتلة ، بدءا من عام ١٩٤٨ — ١٩٧٤ .

ويسلط الاضواء على نضال الفئة الوطنية منهم، ذاكرا بعض الاحداث والوقائع بالتحديد . كما يصور انعكاس حرب ١٩٦٧ عليهم ، ويصور الظروف الجديدة بعد الاحتلال ، وبروز المقاومة من ليل الاضطهاد ، بشكل اصعب على التصديق من الموت على الاحياء ، كما يقول أبو النحس .

ويأخذ الكاتب بيد القارىء في جولات عبر فلسطين من اقصاها الى اقصاها ، عارفا بكل تفاصيلها الجغرافية والبشرية والنباتية ، ملما بلغة شعبها على اختلاف لهجاته وعاداته الطبقية الفلاحية والعمالية . ويمر به عبر ديماميس عكا ، والسهل الساحلي ، وعبر سجن شطة ، والعفولة ، وسجن الرملة ، ونابلس . ويتنقل به عبر مسافات زمنية لا تحدها تخوم ، ولا تفصل بينها حواجز . ويطرح افكارا سياسية تفضح الديمقراطية المزيفة في « اسرائيل » . وتكشف عن وجود صراع ايديولوجي وعملي بين الاحزاب العربية والاسرائيلية هناك . وينتقد الامراء ، والحكام ، الذين جروا على بلدانهم نكسة مثل نكسة حزيران . كما ينتقد الانهزاميين ، والسلبيين ، والمتخاذلين . ويطرح — بعد ان ينتهي من حملته التهكمية — البديل عنهم بطريقة رمزية شفافة ، وكأنها نهاية قصيدة « عندما تذهب هذه الغيمة تشرق الشمس » . والمقصود بالغيمة — هنا — أبو النحس . رمز الانهزامية ، والتخاذل المطلق ، وهو لا يمثل شخصيته ، انما يمثل الاف الاشخاص الموجودين بيننا .

في آخر سطر من الرواية يقول الكاتب على لسان الراوي : « فكيف ستعثرون عليه ، يا سادة يا كرام ، دون ان تتعثروا به ؟ » . فهو يقول لنا : لا تبحثوا عنه بعيدا . فهو بينكم ، تتعثرون به كلما تحركتم ، وكلما زايلتم مواقعكم .

والرواية التي تقول كل هذا ، دفعة واحدة ، **لا شك انها رواية عظيمة من حيث المضمون ، ومن** حيث الافكار . فهل كانت على هذا المستوى من حيث اصالة البنيان ، وقوة المعمار الفني ؟.

والاجابة على هذا السؤال هي الطرح الموضوعي، الحقيقي ، لفحوى الخاص في هذا العمل الروائي، وهو الغاية الاساسية لكل ما بحثناه حتى الان .

وقبل ان نحدد القيمة الادبية التي تحظى بهـا هذه الرواية ، استنتاجا من الكشف عـن الخاص فيها ، نعود القهقري الى العهد الذي نشأت فيـه الرواية . وهنا لا بد من أن نستعين ببعض البحوث الاكاديمية في مجال القصة والرواية .

فثمة كتاب يدور حول منشأ الرواية في مصـر للدكتور عبد المحسن طه بدر ، واخر يبحث فـي نشأة الرواية عربيا الدكتور محمد يوسف نجـم . وثالث للدكتور عبد الرحمن ياغي ، ورابع للدكتور عبد الجواد طاهر حول الرواية العراقية .

وهي كتب تجمع على تصدير ظهور فن الروايـة على شكل صدام بين حضارتين : العربية والغربية. فعندما تيقظ وعـي المثقف العربي ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، رأى ما لـدى الغربيين الوافدين على شكل موجات استعمارية متلاحقة من ادوات تعبيرية ، بعضهم حسبها غريبة كل الغرابة ، فراح يقلدها تعويضا عن نقص رآه في الاداب العربية . والنوع الاخر رأى هذا الفن ماثلا في الاداب العربية ، وبحث عن الشكل المقابل له فوجد في المقامة ما يشاكل الرواية ، فعكـف عليها يحملها تجاربه المعاصرة(١٥). وهكذا وجدنا مدرستين متمايزتين في الرواية : مدرسة المقامات، التي تسمرت في الماضي ، وحجبت عن نفسهـا نسائم المعاصرة(١٦). وقسم انساق وراء الفـن الوافد الجديد ، فألف قصصا ، وروايات ظلت في ميزان النقد اشبه باللقيط الذي لا يعرف له أب ولا نسب ، وما على هذا تعود العربي .

وانهـــارت مدرسة المقامـات في عهد حافـظ ومعاصريه(١٧).

وازدهرت الرواية المقطوعة النسب على يـد سليم البستاني ومعاصريه ، ومن تبعوه .. وظل الحنين قائما لفن روائي يجمع بـين هذا الوافـد الجديد ، وتلك النسوغ الممتلئة بالحياة والعافية في تراثنا الادبي التالد .

واذا اطلق الدارس نظرة بانورامية على فن الرواية يجد ان المحاولات لايجاد هذا النمط قـد توقفت ، حتى لقد نسي الكثيرون ان يراعوا وجود هذه الثغرة ... الى ان جاء اميل حبيبـي .. فوقع على حدس فني متميز بزج الكل في الواحد ، والقديم بالجديد ، والمحلي بالانساني ، والشرقي بالغربي .. ليعطي خلال هذا الخليط الفني الرفيع نموذجا روائيا ذا نكهة خاصة ، واصالة متفردة ، أما ركائز هذه الاصالة الخاصة فهي :

١ ــ التواصل مع التراث من خلال : الاسلوب اللغوي اولا . فالعبارة لدى اميل حبيبي عبـارة مركبة بطريقة قديمة ، تذكرنا باسلوب القصـص العتيق ، والمقامات مع فارق بسيط هو التخلص مـن المحسنات البديعيـة الثقيلة . ومن خـلال الاقتباس المتكرر لمقتطفات من التراث: من الجاحظ، ومن ألف ليلة وليلة ، ومن شعر المتنبي ، وأبـي نواس .. وسواهما . ومن خلال المزج بين الماضي والحاضر بالوسائل الفنية التي سبق وصفها .

٢ ــ الشكل الخـارجي : فقد اتخذ اميـل حبيبي لروايته شكل المقامة ، التي تبدأ على نمط معين ، ويكون لها بطل ساذج . وكلما ذكر الكاتب، عبارة كتب الي سعيد أبو النحس قال .. ذكرنـا بقول الهمذاني في مستهل كل مقامة : « حدثني عيسى بن هشام : قال ... » .

٣ ــ السخرية : فالهزل الذي يمزجه اميـل حبيبي بالجد ، والطرافة التي يسكبها من خـلال المعاناة والمرارة ، تذكرنا على نحو ما بطريقـة الجاحظ في التعبير عن افكاره الجادة ، العميقة ، باسلوب هزلي ساخر ، وبغيره من الاساليـب المعاصرة كأسلوب مارون عبود مثلا(١٨).

٤ ــ الاخلاص للمحلية : فاميل حبيبي يرى ان الوصول الى العالمية لا يتم الا باستيعاب كل مـا هو متميز في البيئة المحلية . ونحن الذين ولدنـا خارج فلسطين ، وعشنا خارج فلسطين ، لا نجد كتابا يقوضنا على ما فاتنا من زمن لم نقضه فيها غير رواية اميل حبيبي . فمن خلالها نتلمـس التراب الفلسطيني. ونستنشق الهواء الفلسطيني، ونرى البحر والشاطىء الفلسطيني . ونتحسس صلابة الاسوار في عكا ، وجمال المراكب في ميناء حيفا ، وجلال الحواري العتيقة في القدس ، ومهابة الناصرة التاريخية .

وهنا يطرح اميل حبيبي فهمـا جديدا لـلادب

الملتزم ، الادب الشعبي ، فالقصة تتحول الى سيرة شعبية من خلال البطل الكاريكاتوري ابي النحس . سيرة تخضع للنقد ، والحساب العسير، لا للتهويل والتهويش ، ولا لليأس والتثبيط .

٥ — الصدق : وهو هنا ناتج عن المعاناة الحقيقية ، والمشاركة الفعلية في الاحداث ، والجرأة في قول الحقائق رغم حراب الاحتلال . والبراعة في سكب المرارة بقالب السخرية الضاحكة البالية . وهو نابع ايضا من الاخلاص للمحلية ، كما ذكرنا من قبل .

٦ — التفاؤل : والتفاؤل هنا ناتج عن الفهم الواعي لديالكتيك الواقع . فأبو النحس يمثل الجيل المنهزم ، المنخور ، المنهار من شدة غبائه ، وحمقه السياسي ، وجبنه القومي : وهي الصورة المشوهة للواقع تسير في موازاتها — وبحركة جدلية — صورة مضيئة ، بل تنبثق من خلالها . وهي ، هنا ، متمثلة في حكاية السمكة الذهبية ، والابن الذي سمي ولاء ليكون اسما على مسمى ، فاذا به يقف في الموقع المناقض لموقع الاب . واذا بالتحاقه مع المقاومة يكون اصعب على التصديق من الموت على الاحياء . واذا بباقية الطنطورية تلتحق بابنها هي الاخرى . واذا بسعيد ، ابن « يعاد » يصبح هو الاخر مناضلا ، واذا « بيعاد » الثانية تتمنى زوال ابي النحس ، وبقايا جيله ، لكي تشرق الشمس على كامل تراب الوطن .

وعلى هذا الاساس يدرك الدارس مدى موضوعية الاحساس بالتفاؤل لدى اميل حبيبي ، ويدرك المدى الواسع للافق السياسي الذي يمارس اميل حبيبي العمل الفني من خلاله .

زبدة القول ان الطابع الخاص لرواية اميل حبيبي يكمن في اصالتها وفرادة بنائها ، وصدق مشاعر كاتبها ، وقوة مغزاها السياسي والجدلي. وذلك يجعله نموذجا قيما في الرواية العربية عامة ، بل لا يكاد يرقى الى مستواها اي عمل روائي كتب في القضية الفلسطينية . وهي — في هذا المجال — تكاد تكون رواية القضية الفلسطينية الجديرة بكل احترام واكبار واجلال : انها — أولا واخيرا — معجزة روائية ، لا رواية وحسب .

وحسبنا ذلك ، للتدليل على المدى التطوري الذي قطعه اميل حبيبي من السداسية الى الوقائع في مجال الامساك بالبنية الحقيقية للرواية العربية الاصيلة . وهو في ذلك انما يؤكد حقيقة ما نوهنا به وهو أن الوقائع حسمت فترة المراوحة بين فن القصة القصيرة وفن الرواية ، لصالح الاخير . وهو — في الوقت نفسه — يضع حدا للحنين الفني الذي ظل يداعب خيالات الكتاب لتشكيل صنعة روائية عربية صميمة ، تنفلت من عقابيل الماضي ، وتسلم من الخضوع للجديد المستورد .

وبهذا يكون اميل حبيبي قد اضاف الى جهود التطوير الروائي جهدا محمودا لا على صعيد الرواية الفلسطينية فقط ، بل على صعيد الرواية العربية كاملة .

---

١ — ص ٥ من التقديم لطبعة دار العودة ١٩٦٩ .

٢ — المرجع السابق ص ٧ .

٣ — المرجع السابق ص ٩ .

٤ — غسان كنفاني : من الرجال والبنادق — دار الاداب — ١٩٦٩ .

٥ — المؤلف نفسه : دار العودة ١٩٧٠ .

٦ — راجع : أحمد محمد عطية : الاداب ع ٨ آب ١٩٦٨ ص ٨ .

٧ — Forster, Aspects of the Novel, Edward Arnold and Co. London 1947

٨ — James, H.: The Art of Fiction and Other Essays, Oxford, 1948

٩ — Liddel, R.: A Treatise on the Novel, London, 1947

١٠ — Lubbock: The Craft of Fiction, N.Y., 1947

١١ — طلبا للاستزادة راجع : القصة السيكولوجية لليون ايدل : ترجمة الدكتور محمود الشمرة .

١٢ — راجع الفصل الثاني والثالث من كتابه السابق ذكره .

١٣ — راجع ما كتبناه عن الرواية في صحيفة الدستور الاردنية بتاريخ ١٩٧٤/٩/٣٠ .

١٤ — راجع الفصل السادس من كتابه السابق ذكره .

١٥ ــ من الامثلة على ذلك : المويلحي في كتابه : حديث عيسى بن هشام .
١٦ ــ تتمثل مدرسة المقامات في نتاج المويلحي والشدياق وحافظ ابراهيم .
١٧ ــ راجع بهذا الصدد كتاب الدكتور شكري عياد عن القصة العربية القصيرة : الجامعة العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة .
١٨ ــ راجع : اميل توما : دراسة عن رواية المتشائل في الاتحاد : ع ٧٤/٩/٢٠ وهو القسم الثاني من الدراسة .

ابراهيم خليل

شوقي عبد الكريم ، **اساطير وفولكلور العالم العربي** ،
(منشورات روز اليوسف ، القاهرة ، نوفمبر ١٩٧٤) .

يحاول هذا الكتاب البحث في أصول الفولكلور والاساطير في العالم العربي ، منذ أبعد العصور . لذلك فهو يسعى للتنقيب عن الجذور والعلاقات، والتطورات التي أثرت ، وبلورت تلك الاساطير .

قبل ان اتعرض لفصول الكتاب ، وللكثير من الاخطاء ، أود أن اشير الى خطورة ما جاء في مقدمة الكتاب ، بقلم الكاتب ، يقول الاستاذ شوقي عبد الحكيم : « كما أن في مقدور هذه الدراسات ، الادلاء بدلوها الايجابي في ايجاد الحلول العادلة لمشكلة الشرق الاوسط ، خاصة وكل الاطراف مقبلة اليوم على مرحلة انهاء حالة الحرب ، واطلاق طاقات الجهود السياسية ، المتضمنة بالضرورة للجهود الفكرية من تاريخية واسطورية وعقائدية . وكم سيكون مفجعا ان تكتشف الاجيال القادمة سواء هنا او في اسرائيل ، مدى سيطرة الخرافات على العلم ، ومدى تعنت الاساطير وجبروتها في الدفع والتحكم في حركة التاريخ كما يقول فريزر » .

يبدو ان الاستاذ شوقي عبد الحكيم لا يؤمن بحتمية زوال اسرائيل التي قامت على افكار اسطورية واستعمارية في ذات الوقت . وان تفاؤل الاستاذ شوقي عبد الحكيم يدعو الى الدهشة ، هل ستظل اسرائيل أجيالا اخرى ؟ وهل أن كل الاطراف مقبلة فعلا على مرحلة انهاء الحرب ؟ كيف ستنتهي الحرب ؟ وعلى اية اسس، وما هي الحلول التي ستتحقق ؟ الاستاذ شوقي لا يجيب على هذه الاسئلة في مقدمته ، لانه كما يبدو لم يطرحها على نفسه .

في الصفحتين ٢٥ ، ٢٦ يقول الاستاذ شوقي : والدولة الاخيرة امتد سلطانها حتى شواطىء البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي وبحر العرب .

الخليج عربي ، ليس فارسيا ، والا ، فان أطماع ايران تصبح مشروعة ، واحتلالها للجزر العربية ، بل وسواحل الامارات تصبح ايضا مشروعة ، لقد ظل الخليج عربيا طيلة التاريخ ، حتى جاءت بريطانيا وعملت على تأجيج الاطماع الايرانية .

يتحدث الفصل الاول من الكتاب : (مشاكل التراث العربي السامي) عن صعوبة المشاكل التي تعترض الباحث في تتبع احوال اساطير وفولكلور هذه المنطقة .

أما الفصل الثاني : اساطير السومريين عند العرب الساميين ، فيتحدث عن دور بابل واشور، وكونهما ، المنبع الاكثر خصوبة وتحضرا ، والذي فاض على ما يجاوره من تخوم وقبائل ، مثل القبائل العربية .

ويختتم الاستاذ شوقي هذا الفصل بالنتيجة التالية : يتضح من هذا ان منابع الميثولوجيا العربية تضرب بجذورها على مدى ٦ الاف عام ، اي منذ السومريين غير الساميين ، الذين توارثهم العرب واليهود الساميون . ولكن الباحث لا يوضح لنا ، لماذا اختلفت اساطير وفولكلور العرب عن اليهود ، ما دام ان الاصول واحدة .

في الفصل الثالث : اساطير وفولكلور بر الشام : سورية ، لبنان ، فلسطين . يقول الباحث في مقدمة هذا الفصل ، وطبعا ان لهذه القبائل الكنعانية او الفنيقية ، اسطورتها الام ، التي ترسم وتحدد لهم أرض ميعادهم في الشام وفلسطين بنفس ما حدث مع شقيقاتهم — من الاقوام — السامية الاخرى ، مثل اسطورة أرض ميعاد يعرب ، التي حددت لها الميثولوجيا القحطانية ارض اليمن ، او أرض المر (واسطورة أرض ميعاد قبيلة ابراهيم العبرية في أرضفلسطين ، أرض اللبن والعسل) .

هذا الكلام الذي يسوقه الباحث ، يتنافى مع وجهة النظر ، في صفحة ١٣٣ : باختصار : هو تراث طوطمي قبائلي ، لا يختلف كثيرا عن تراث العرب البائدة ، وورثتهم الجاهليين .

ومن هنا فمن العبث دراسة هذه المنطقة ، قلب العالم القديم ، بمعزل عن هذا التراث العربي السامي . وبنفس هذا المنهج يتلقانا العالم المتحضر ، على اعتبار اننا منطقة متوحدة التراث . ما دام الباحث يرى في الفصل الثالث : الاقوام التي جاءت الى فلسطين قبل اليهود بالاف الاعوام كان لها (وعودها) بامتلاك تلك الارض فلماذا نترك الاصل ، ونعتمد على (مـاري) و(رأس شمرا) عن حضارة ماري ، وتعاليم حمورابي ، وتوراة الكنعانيين .

ثم لماذا يحترمنا العالم المتحضر على اساس اسطوري ، وليس على اساس انساني تقدمي . ان دراسة الفولكلور ، والاساطير ، تعطينا وجهة نظر عن تطور الانسان في هذه المنطقة وفي العالم ، وتدفعنا الى الاسهام في التطور ، وليس الالتصاق في الاساطير .

يقول الباحث ص ٥٤ : وكذلك دعمتها كشوف (رأس شمرا) في فلسطين .

وهذا خطأ . فرأس شمرا ، في شمال سورية ، وقد تم اكتشافها صدفة عام ١٩٢٩ ، عن طريق احد الفلاحين فقد كان ذلك الفلاح يحرث ارضه ، ثم بدأ يكتشف بعض الحجارة ، والاثار ، فأبلغ السلطات ، ويومها كان الاستعمار الفرنسي ، وبعد حملة التنقيب التي اجريت أعلن رسميا عن اكتشاف (رأس شمرا) .

يقول الاستاذ شوقي عبد الحكيم في الصفحة ٨٨ : ولقد واصل اليونان والرومان بعد ذلك اتهام هؤلاء الكنعانيين بالخسة والوضاعة مثلما فعل جيرانهم الساميون من العرب واليهود .

هذا الكلام يعني ، ان الكنعانيين ليسوا عربا ، ويعني أيضا ان العرب ليسوا اول من سكن فلسطين : فالاستاذ الباحث يفرق بين الكنعانيين والعرب ، ويجمع العرب واليهود معا .

ردا على هذا الرأي الخطير سأورد هنا وجهة نظر (بروكلمن) التي تقول : (ان العبرانيين (أي اليهود) كانوا قد تعمدوا اقصاء الكنعانيين من جدول انساب سام ، بسبب العداء الذي كان بينهم وبين الكنعانيين والذي يتمثل في قصص الحروب التي نشبت بين الطرفين ودونت اخبارها في أسفار التوراة ، فحملهم عداؤهم هذا لهم ، وحقدهم عليهم على التنصل منهم ، وعلى التبرؤ من الحاق نسبهم بشجرة انساب سام بن نوح . (من كتاب العرب واليهود في التاريخ للدكتور احمد سوسة) .

يقول الاستاذ شوقي ص ٩٦ : ويسمى وادي البقاع بسورية بسهل نوح ، الصحيح ان سهل البقاع تابع للبنان وهو غير معروف باسم سهل نوح اطلاقا .

في الفصل الرابع : دور اليهود في تدوين هذا التراث ، يبدأ الباحث الفصل : لم ولن تكون الميثولوجيا العبرية والتراث اليهودي عامة ، حكرا ووقفا على اليهود ، ذلك أنها الجانب التسجيلي المبكر لمجرى الاحداث المبكرة لتاريخ الشرق الادنى القديم بهجراته ومنازعاته ولاهوته ومعتقداته ونكباته ، وأدق خصائص كل رهط وقبيلة ومدينة ودولة وشعب ، ولاقوام الشعوب السامية او غير السامية التي تنازعت الوجود على أرض هذا الجزء من العالم وهو شرقنا الادنى الموغل في القدم والعراقة والتجرد الدائم .

الميثولوجيا العبرية ، ما هي ؟ انها ما جاء في التوراة ، والتوراة عبارة عن كتاب كتب في وقت متأخر عن الحوادث التي ذكرت فيه ، بزمن طويل . والكثير من المعلومات التي تحتويها التوراة ، اما انها مأخوذة عن الكنعانيين والفينيقيين ، والمصريين ، واما أنها غير صحيحة. اضافة الى ما تحتويه من أحقاد ووحشية تتناقض مع تعاليم : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، الخ (الوصايا العشر) .

لقد حاول اليهود (الصهاينة) ان يربطوا تاريخ المنطقة ، بما جاء في الاسفار التوراتية ، ولكن المدرسة النقدية الحديثة في الاثار ، والتي يتزعمها الهولندي هنريكوس فرانكين ، وجون لاب ، ترى أن الحفريات والاثار هي التي تثبت الصحيح ، وتكشف الخطأ والتزوير .

ان الميثولوجيا العربية ، قصة الخلق ، وادم وحواء ، وسادوم وعامورة ، موجودة في تراث الاقوام السابقة ، ومكتشفات ماري ورأس شمرا كشفت أنها سبقت التوراة بالاف الاعوام، وكشفت ان الكنعانيين كانوا يؤمنون باله واحد (ايل) ، وانه كان لهم توراتهم الخاصة .

أما عن كون الميثولوجيا العبرية هي المثل لجميع الاقوام فهذا غير صحيح ، لانها كتبت في (الشتات) وبعد السبي ، وهي مليئة بوعود يهوه وتعاليمه . اعتقد ان على الباحث الكريم ان يطلع على كتاب فرويد الهام : موسى والتوحيد .

يقول الاستاذ شوقي ص ١٠٧ : وبشكل مجمل يمكن القول بأن أسفار التكوين الاحد عشر الاولى، تنتمي بكاملها الى الميثولوجيا الكنعانية المتوارثة مباشرة من الحثيين والبابليين . انني ارى أن الاستاذ شوقي بهذا الكلام ، يرد على افكاره السابقة عن اهمية الميثولوجيا العبرية .

ما دمنا نرى ان الاصل عند الكنعانيين ، اذا لماذا (نجير) حضارتهم السامية العربية لصالح اليهود ودعاة الصهيونية ، بوعي ، او بغير وعي .

في الصفحة ١٣٣ جاء : وهي نفسها الخطيئة التي بسببها جز الفلسطينيون رأس شماول هذا (وسمروها في بيت (الههم) داجون واله الحبوب) ولكن هذا الكلام يتناقض مع ما جاء في صفحة ٦١، حول داجون ، وشرحه في الهامش كالهة سومرية .

ان داجون هو اله فلسطيني ، نصفه سمكة ، ونصفه انسان ، وهذا راجع لعلاقة الفلسطينيين بالبحر ، ثم أن الهة الاقوام التي كانت تنتصر على غيرها ، هي التي كانت تسود ، وتلغي ما عداها من الالهة ، فالعبادات لم تكن ثابتة ، او مستقرة، مثل اوضاع تلك الشعوب ، او القبائل .

هذه اهم الافكار ، التي وجدتني مدفوعا للتعرض لها ، لما فيها من خطورة برأيي ، ولانها تطرح لاول مرة على القارىء العربي .

رشاد أبو شاور

Clara Halter, **Les Palestiniens du Silence**,
(Paris, Belfond - Collections Elements, 1974).

كلارا هالتر صحفية فرنسية معروفة بولائهـا للحركة الصهيونية ، لكنها تخفي وجهها الحقيقي وراء قناع يساري داع للسلام ، ورغم صهيونيتها التي تنكشف رغم القناع اليساري فان كلارا هالتر تأبى الا ان تنصب نفسها محاميا عن مصالح وتطلعات الشعب الفلسطيني ! ولنر الان كيف تدافع كلارا عـن الفلسطينيين ولاي هدف ؟

قبل أن نضع الضوء على السموم التي تبثها وتدعو لها هذه الصحفية ، لنر من هي ؟ ، وما هي الطريقة والاسلوب اللذان تنهجهما لتدافع عن المصالح الصهيونية وتسيء الـى القضيـة الفلسطينيـة .

كلارا هالتر مناضلـة فـي صفوف الحركـة الصهيونية ، لكنها تحاول من خلال موضوعيـة زائفة الظهور بمظهر الانسان المحايد ، الداعي للسلام ووقف الحرب ، ويبدو للوهلة الاولى ان ما تدعو اليه سليما ، لكن هذا الانطباع يتلاشى عندما نعرف معنى الحرب والسلام عند كلارا هالتـر فالسلام بالنسبة لها يعني قبول الواقع الاسرائيلي ، قبول دولة اسرائيل كدولة شرعية في المنطقة ، دون تقديم اي حل للمشكلة الفلسطينية ، ودون الاعتراف بالنضال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني من أجل تقرير مصيره . كما أن مفهومها للحرب لا يتعدى هذا المنطق ، فهي عندما تدين الحـرب والعدوان في الشرق الاوسط ، انما تعني ادانـة أي محاولة يمكن ان تهدد الكيان الصهيوني ، وهي تعتقد ان مصدر الحرب وسببها هـو الشعوب والحكومات العربية التي ترفض الاعتراف بواقـع اسرائيل الشرعي . ان السلام بالنسبة لكلارا هالتر هو قبول اسرائيل بكل سياستهـا ، أي الرضوخ للاستعمار الصهيوني .

ان صوت كلارا هالتر الداعي « للسلام » لم يظهر ويرتفع الا بعد ظهور المقاومة الفلسطينية وتحولها الى حركة قادرة على فرض نفسها فـي أكثر من مجال ، أي عندما أصبحت المقـاومة الفلسطينية قادرة على فضح حقيقة الكيـان الصهيوني وتسليـط الضـوء علـى ممارساته الجرمة . ان كلارا هالتر لم تتحدث عن السلام قبل هذا ، فمنذ اغتصاب فلسطين وحتى عام ١٩٦٩ لم تجد كلارا هالتر أي سبب للتكلـم عن السلام ولم تر مخيمات اللاجئين ولا ظروف حياتهم البائسة ، لم تلتفت الى ساحة الشرق الاوسط ، الا عندمـا بدأ الفدائيون الفلسطينيون يقرعون بقبضـاتهم جدران اسرائيل ، وبدأ العمل الاعلامي الفلسطيني يجد له جمهورا حتى في قلاع الصهيونية في اوروبا الغربية . بعد عام ١٩٦٩ وجدت كلارا ضرورة للتكلم عن السلام في الشرق الاوسط « كي تعود الحياة الى سابق عهدها » ، فأسست مع عناصر صهيونية اخرى مجلة « عناصر » التي جعلت من شعارها : « من أجل سلام قائم على التفاوض في الشرق الاوسط » . والمضمون السياسي لهذا الشعار واضح كما نرى كل الوضوح ، فسلام قائم على التفاوض يعني الاعتراف الرسمي بشرعية الكيان الصهيوني ، وضمن هذا الحديث القائم عن السلام لم نكن نرى اي مكان للشعب الفلسطيني ، وان وجد هذا المكان فهو بالضرورة خارج حدود اسرائيل ، أضف الى ذلك فان منطق هذه المجلة كان يظهر ان العدوان الاسرائيلي هو عدوان مبرر ، حالة دفاع شرعية عن النفس ، ذلـك ان العدوان الحقيقي يأتي من هؤلاء ، من العرب . ولما ترى في ظهور المقاومة الا عملا غير متعقل يكسر قـانون الهدوء الذي يسود الشرق ويقف عثرة في اعادة السلام واستمراره في المنطقة . ولكي تنشر كلارا هالتر سمومها بحذق وفاعلية ، استعانت بأقلام صهيونية اخرى مثل هربرت ماركوز وناحـوم شومسكي وفلاديمير جانكليفتش . لم تكن مجلـة عناصر الا مطية براقة للدفاع عن مصالح اسرائيل والصهيونية والاساءة لنضال الشعب الفلسطيني ، وكان نشاط هذه المجلة ينمو ويتصاعد بتصاعد دور المقاومة ونشاطها ، ويخبو ويتضاءل كلما تناقص دور المقاومة وضعف تهديدها للوجود الاسرائيلي ، أي كانت تكون جبهة اعلامية لتحد من أثر الاعـلام الفلسطيني من ناحية ، ولكي تمسح الغبار والقذى الذي بدأ يتراكم فوق جبهة اسرائيل كدولـة معتدية . واذا كانت مجلة كلارا قد ملأت فرنسـا

وأوروبا الغربية صراخا من أجل السلام ، فان هذا الصراخ أخذ بالبرود بعد ضرب المقاومة في عام ١٩٧٠ ، ثم أصبح صوتها أكثر بروزا بعد ذلك .

بعد تطور نضال المقاومة السياسي في الساحة العالمية ، لم تقف كلارا هالتر مستسلمة ، بل لجأت الى أساليب جديدة في العمل تلائم متطلبات المرحلة الجديدة . واذا كان همها في البدء تشويه صورة الكفاح المسلح الفلسطيني ، فانها الان تدعو لافكار تعرقل وحدة الشعب الفلسطيني والتفافه حول الخط السياسي الذي تنهجه المقاومة الفلسطينية .

في كتابها الجديد « فلسطينيو الصمت » تروج كلارا هالتر لفكرة هدامة جديدة ، فهي تدعو الفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية وغزة بأسم فلسطينيي الصمت ، وهي بذلك تضع حاجزا مصطنعا بين هؤلاء والمقاومة الفلسطينية ، وهي تدعي بأن العالم عرف المقاومة من « خلال عملياتها الاستعراضية كتحويل الطائرات والقاء المتفجرات » ، غير أن هذا العالم لا يعرف شيئا عن الرأي السياسي لفلسطينيي المناطق المحتلة الذين لا يقاسمون المقاومة لا فكرها السياسي ولا استراتيجيتها العسكرية . وهي بذلك تشير الى أن المقاومة ليست الناطق الشرعي بأسم كل الفلسطينيين بل باسم قطاعات معينة منهم ، وهي بالتالي غير مؤهلة للتصرف بأسم مستقبل الشعب الفلسطيني بأسره . بل تذهب المؤلفة الصهيونية أبعد من ذلك ، اذ تدعي أن الفلسطينيين في المناطق المحتلة لا يجرؤون على التعبير عن أفكارهم خوفا من نقمة المقاومة، وذلك ان المقاومة — حسب رأيها — تقوم بقمع كل فكر فلسطيني يناقض فكرها . وهي تستعمل اساليب قمعية تجعل الفلسطينيين يلوذون بالصمت كي لا تحل عليهم نقمة المقاومة .

وتنتقل كلارا لتثبت جملة سموم أخرى ، فهي تشير الى أن المقاومة قد سعرت العداء بين اليهود والفلسطينيين ، وأنه قبل مجيء المقاومة كانت العلاقات أفضل بين الطرفين ، ثم ان الارهاب والعسف الذي يتعرض له الفلسطينيون هو نتيجة منطقية لوجود المقاومة . فالسلطات الاسرائيلية مضطرة لصيانة الامن والنظام ، وبالتالي فعليها معاقبة كل من يتعامل مع المقاومة ، وهذا يعني أن الفلسطينيين قادرون على شراء حريتهم بالتخلص من المقاومة ، ذلك ان المقاومة كانت ترى في نفسها « عقربا يسرح في رمال الصحراء لكن هذا العقرب لم يقتل الا نفسه » ، ومعنى ذلك أن الفلسطيني الذي يحتضن فدائيا ينتهي بتلقي الدمار ، ولكي يتفادى الفلسطيني دماره عليه أن يطرد هذا العقرب ويرجع الى حالة « توازنه » السابقة ، محاولا ان يحسن ظروف حياته بطرق « ديمقراطية » ، خاصة وان المقاومة كانت تمنع الفلسطينيين عن التحدث عن الشعب اليهودي . وهكذا تقدم كلارا صورة قاتمة عن المقاومة ، فهي تصورها كحركة عنصرية ارهابية مسؤولة عن تدهور وضع الفلسطينيين في الاراضي المحتلة . كما انها مسؤولة بدورها عن عزلة « القوى الديمقراطية » في اسرائيل التي هي مستعدة للدفاع عن الشعب الفلسطيني على شرط أن تغير المقاومة منهجها في العمل ، اي تكف عن القتال المسلح وتلجأ الى طرق دبلوماسية « انسانية » .

ان كلارا هالتر تلهث كي تظهر اسرائيل بمظهر المجتمع الانساني الديمقراطي الذي أكرهته المقاومة على اتباع سبل العنف والارهاب ، وهي هنا تحاول ان تشرح الامر بليونة ولباقة ، فبالنسبة لها المقاومة الفلسطينية هي حركة متطرفة ولدت تطرفا اخر هو سياسة الحكومة الاسرائيلية . ومعنى ذلك ان المعتدى عليه يساوي المعتدي ، وبالتالي فلا يمكن لوم الحكومة الاسرائيلية . والحل يكمن في القضاء على المقاومة وازالتها ويستدعي في نفس الوقت بعض التغيير في السياسة الاسرائيلية ، فاذا توفر هذا الشرط عاد السلام من جديد ليرفرف فوق هضاب الشرق الاوسط ، لكن هذا السلام ، كما نرى ، لن يعطي الا تأييدا للوجود الاسرائيلي وتأييدا موازيا لتشرد الشعب الفلسطيني وتكريس بؤسه .

والموضوعة التي تحاول ان تدافع عنها كلارا حتى القطرة الاخيرة هي الفرق والتباين بين الفلسطينيين الموجودين تحت الكيان الاسرائيلي والفلسطينيين في الخارج ، فبين الاثنين تباين في التفكير والسلوك ونمط المعيشة ، وكل منهما

يرى حلا للمشكلة الفلسطينية يغاير الحل الذي يرتأيه الاخر . بعد ذلك ترسم كلارا لوحة اخرى كي تساعدها في هذا التمييز ، وكي تصل الى نتيجة (لا تقولها بشكل مباشر) هي ان الفلسطينيين في اسرائيل ليسوا في حالة سيئة كثيرا ، فهم يجدون العمل ، كما أن تحسن مستواهم المعاشي قضى على كثير من الظواهر السلبية الماضية ، فنسبة الوفيات بين الاطفال أقل من السابق . كما أن وسائل الحياة العصرية قد وصلت الى كل بيت . اضف الى ذلك ان الفلسطينيين لا يؤمنون جميعهم بانتصار المقاومة ، وهي لتدعم مثل هذا الرأي تستند الى مقابلة أجرتها مع ريموندا الطويل ، واذا كان هذا الانتصار مستحيلا فيمكن — وهو الافضل في رأيها — ان يستفيد الفلسطينيون من ديمقراطية النظام الاسرائيلي ، حيث ان هذا النظام يتساهل في شؤون عديدة ، كارجاع بعض العائلات التي غادرت منازلها بعد حرب ٥ حزيران ، والسماح للكثيرين ممن يعملون او يدرسون في الخارج بزيارة اهلهم .

بعد كل هذه الحزمة من التزييف والتشويه تلوح الكاتبة الى فكرة سوداء اخرى ، هي ان الاحتلال الصهيوني يمكن أن يؤدي الى التقارب بين العرب واليهود ، اذ أنه يسنح بالاحتكاك المباشر اليومي بين الطرفين ، وهذا من شأنه ان يبخر كثيرا من الافكار السابقة ، ويعطي مجالا للحوار بين العرب واليهود يمكنه ان يعطي نتائج ايجابية .

والمؤلفة هنا تنسى أن الحوار تحت الاحتلال أمر مستحيل ، أضف الى ذلك ان هذه الفكرة تناقض ما قلته سابقا ، هو أن الكراهية الموجودة الان بين العرب واليهود ترجع الى المقاومة .

ولكي تمرر كلارا كل سمومها لا تنسى ان تنوه الى انضباط الجندي الاسرائيلي واحترامه لكبرياء الانسان العربي ، فالجندي الاسرائيلي لا يسمح لنفسه بجرح المواطن العربي لا في تقاليده ولا أعرافه .

والمؤلفة بعد أن تفرد كل بضاعتها الفاسدة ، تحاول ان تعطي لكتابها طابعا موضوعيا ، فهي تتكلم بين الحين والحين عن الدمار الذي لحق بأملاك الفلسطينيين وتهديم بيوتهم ، والظلم والقمع اللذين يتعرضون لهما . لكن كل ذلك حسب منطقها ليس الا نتيجة للحرب بين اسرائيل والمقاومة .

وكي تدعم الكاتبة اطروحاتها تلحق بكتابها جملة مقابلات أجرتها مع بعض المثقفين الفلسطينيين والاسرائيليين ، نلمس منها ان اراء الفلسطينيين وتوجهاتهم غير متجانسة ولا تسير كلها في نفس الاتجاه ، بينما تبدو اراء الاسرائيليين في منتهى الوضوح ، والمنطق الاسرائيلي كما نلمسه هنا يتميز بأمرين اولهما : « العطف على الفلسطينيين والتأسي لبؤسهم » وثانيهما : ان الاسرائيلي غير مستعد ان يتخلى عن أي جزء من «وطنه» من أجل الفلسطينيين ، فهؤلاء هم شعب ولهم تطلعات قومية ويجب ان يكون لهم وطن ، ولكن خارج اسرائيل . بل يحاول بعض المثقفين الاسرائيليين ان يصور الامر الراهن كأمر واقع يجب ان يسلم به ، فاليهودي الذي اضطهدته اوربا جاء الى فلسطين وكون لنفسه وطنا ، وشاءت الظروف ان يتخاصم مع الانسان الفلسطيني ، وان يترك هذا الاخير وطنه ويصبح لاجئا ، اذن فهو انسان مظلوم ويجب ان يساعد حتى يتجاوز ظلمه ويحصل على وطن ، ولكن خارج اسرائيل ، فاسرائيل حدود لا تلمس وهي تعود لسكانها الاسرائيليين الان .

الكاتبةكما نرى لا تتكلم الا عن وضع الفلسطينيين بعد حرب ٥ حزيران ، فميلاد اسرائيل في عام ١٩٤٨ يبدو لها كأمر عادي لا نقاش فيه ، فهو أمر شرعي ويجب ان تكرس شرعيته، ان اللاشرعي في رأي كلارا هالتر هو التشكيك او الهجوم على الكيان الاسرائيلي . بل ان المقاومة الفلسطينية تفقد شرعيتها وتستحيل الى حركة ارهابية لانها تهاجم كيانا شرعيا . ان المقاومة في رأيها لا شرعية ولا يمكنها ان تعبر عن رأي كل الفلسطينيين ، خاصة الذين « صقلتهم الحضارة الاسرائيلية » .

ان فلسطينيي الضفة الغربية وغزة ليسوا صامتين ، بل هم يعبرون عن عدائهم للاحتلال الصهيوني بشكل يومي ، ويشهد على ذلك عدد السجناء في سجون اسرائيل ، وكلنا يعرف موجة الاعتقالات التي شنتها سلطات الاحتلال ضد القوى الوطنية في شهر نيسان ١٩٧٤ ، على سبيل المثال .

ان « فلسطينيي الصمت » لا وجود لهم الا في مخيلة صحافة صماء ، او صحافة صهيونية تناضل

لتشويه صورة المقاومة الفلسطينية في فترة بدأت المقاومة تفرض نفسها ليس فقط على المستوى الفلسطيني والعربي ، بل حتى على المستوى العالمي . ولا شك ان النجاح الاخير الذي أحرزته المقاومة في الامم المتحدة سوف يجعل كل صحافة صماء تفكر مرتين قبل أن تتكلم عن « فلسطينيي الصمت » . وان كلارا هالتر رغم اسلوبها الصحفي الشيق لا يمكن أن تكون محاميا عن الفلسطينيين ، بل كانت وما زالت محامية لاسرائيل وللقوى الصهيونية في العالم .

الدكتور فيصل دراج

تقارير

استشهاد القائد العسكري للجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة

في الحادي والعشرين من كانون الثاني (يناير) الماضي ، استشهد المناضل عمر أحمد عوض الله في سجن عسقلان الاسرائيلي ، وهو السجن الذي تميز ، عن غيره من السجون الاسرائيلية ، بالارهاب الشديد وبالاساليب الوحشية البالغة التي يستخدمها حراس السجن ضد نزلائه .

وكانت اخر مهمة كفاحية للشهيد هي قيادة الجناح العسكري للجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة ، منذ شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، وحتى اعتقال سلطات الاحتلال الاسرائيلي له ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ ، حين فاجأته القوات الاسرائيلية في مخبئه بمحلة الرمال بغزة ، وهو المخبأ الذي لا يبعد سوى أمتار قليلة عن المخبأ الذي قتل فيه محمد الاسود (غيفارا غزة) ، قائد الجبهة الشعبية في قطاع غزة ، في اذار (مارس) ١٩٧٣ .

ويبلغ الشهيد عوض الله الاربعين من عمره . وقد ترك وراءه زوجة وطفلين هما : احمد (سبع سنوات) ، وغيفارا (خمس سنوات) .

وحياة الشهيد سجل حافل بصور الكفاح والتضحية . فمنذ نعومة اظفاره ، وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره بعد ، انتسب الى « عصبة التحرر الوطني » بقطاع غزة ، وهي التنظيم الذي ضم الشيوعيين العرب الفلسطينيين، بعد انشقاقهم عن الحزب الشيوعي الفلسطيني ، في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ . وكان طبيعيا ان يعمل عمر عوض الله ، عند انتسابه للعصبة ، في التنظيم الطلابي للعصبة ، حيث كان الشهيد لا يزال طالبا في الصف السابع الابتدائي بمدرسة الامام الشافعي الابتدائية للاجئين بغزة ، وذلك في عام ١٩٥٠ .

وفي العاشر من آب (اغسطس) ١٩٥٢ ، القت سلطات الحكم العسكري المصري القبض على كافة أعضاء عصبة التحرر في قطاع غزة ، بعد أن نجحت هذه السلطات في اعتقال سكرتير العصبة بالقطاع ، وعثرت معه على كراس صغير سجل فيه أسماء كافة أعضاء العصبة بالقطاع ، بنفس طريقة الحرفيين في تسيير اعمالهم ! ولم يفلت من هذه الضربة سوى اربعة اعضاء عاملين بالعصبة، بالاضافة الى كل اعضاء التنظيم الطلابي ، عدا مسؤوله ، عبد الرحمن عوض الله . اذ كان سكرتير العصبة قد كتب اسم مسؤول التنظيم الطلابي لديه ، دون اسماء اعضاء هذا التنظيم . الا أن مسؤول التنظيم الطلابي انهار واعترف على كافة أعضاء تنظيمه ، لقاء وعد من مسؤول المخابرات في القطاع بالافراج عنه وتحويله الى « شاهد ملك » ! عندها فقط القي القبض على الطالب عمر أحمد عوض الله ، ضمن بقية أعضاء التنظيم الطلابي . حيث قضت المحكمة العسكرية في غزة بسجنه ثلاثة اشهر بتهمة الانتماء لجمعية غير مشروعة .

وفي أوائل عام ١٩٥٣ ، جرى تشكيل « الحزب الشيوعي الفلسطيني بقطاع غزة » خلفا لعصبة التحرر ، اذ كانت اللجنة المركزية للعصبة قد أصدرت قرارا بحلها في الضفة الغربية ، حيث مقر اللجنة المركزية ، منذ عام ١٩٥١ ، حيث جرى تكوين الحزب الشيوعي الاردني ، من أعضاء العصبة في الضفة الغربية ومن اعضاء الحلقات الماركسية في الضفة الشرقية للاردن .

وسارع عمر عوض الله للانضمام الى الحزب الجديد ، وتولى قيادة حرس المؤتمر الاول للحزب، الذي عقد في احدى بيارات القطاع ، في اواخر عام ١٩٥٤ .

وفي ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٥٥ ، شنت القوات الاسرائيلية هجومها المشهور على مدينة غزة ، وفي هذا الهجوم قتل ٣٨ عربيا ، حيث ذبح أغلبهم ذبح الشياه . وانفجرت المظاهرات الغاضبة في قطاع غزة ، احتجاجا على التقصير في الدفاع عن غزة ، وانطلقت الشرارة من « مدرسة فلسطين الثانوية بغزة » ، ومنها انتقلت الى بقية المدينة ، فارجاء القطاع . وكان الطالب عمر عوض الله ، الطالب في الصف الخامس الثانوي بمدرسة فلسطين الثانوية ، احد ابرز مشعلي شرارة المظاهرات . وهي المظاهرات التي استمرت زهاء خمسة ايام متواصلة ، جرى فيها اشعال النار في مخازن التموين التابعة لوكالة غوث اللاجئين ، وأحرقت بعض سيارات القادة العسكريين المصريين ، وهوجم اصحابها بالطوب . مما حدا برجال الادارة المصرية الى تهريب عائلاتهم واثاث منازلهم الى العريش ، لحمايتها ، بعد أن أفلت زمام الموقف من الادارة المصرية في القطاع ، وانتقلت المبادرة الى يد حركة الجماهير ، وبرز الحزب الشيوعي كقائد ، بلا منازع ، لهذه الجماهير .

ولم تتوقف المظاهرات — بالرغم من سقوط أكثر من ثلاثين قتيلا منها برصاص الشرطة وقوات الجيش التي استقدمتها السلطات الى القطاع لاخماد المظاهرات . وبعد خمسة ايام توقفت المظاهرات بعد وعد حاكم مدينة غزة ، سعيد حمزة قادة المتظاهرين بتحقيق مطالبهم ، وهي : الغاء مشروع التوطين في سيناء ، وتسليح اهالي القطاع ، وتعزيز الدفاع عنه . كما اصدر الحاكم العام لقطاع غزة ، اللواء عبد الله رفعت ، بيانا وعد بشرفه العسكري ان يحقق مطالب المتظاهرين وأن لا يتخذ اجراء ضد أحد ، الا ضد « من أتلف أو خرب » !!

وتلقى قادة المظاهرات وعود المسؤولين بنية حسنة ، وسارعوا الى وقف المظاهرات وتهدئة نفوس الجماهير الثائرة . وسرعان ما أخذت الاحوال تعود — تدريجيا — الى طبيعتها ، وعادت أجهزة الامن تشدد من قبضتها الفولاذية على حركة الجماهير من جديد ، فشنت حملة اعتقالات شملت ٦٨ عنصرا ، من الشيوعيين والاخوان المسلمين والمستقلين ، وذلك في العاشر من اذار (مارس) ١٩٥٥ ، اي بعد خمسة ايام — فقط — من وعود كل من حاكم غزة والحاكم العام للقطاع . وكان عمر عوض الله احد هؤلاء المعتقلين ، الذين سيقوا الى « سجن مصر » بالقاهرة ، حيث تعرضوا لصنوف شتى من التعذيب ، ليس اشدها الجلد بالسياط !

وبعد ثمانية أشهر من تاريخ هذا الاعتقال ، أخذت أفواج المعتقلين الفلسطينيين تخرج تباعا من « سجن مصر » ، ولكن في مجموعات غاية في الصغر . ثم نقل المعتقلون الفلسطينيون الى « سجن القناطر » بالقناطر الخيرية في ضواحي القاهرة . وتوالت افواج المعتقلين تعود الى أرض الوطن . وبالرغم من الافراج عن كافة المعتقلين المصريين ، في تموز (يوليو) ١٩٥٦ ، بمناسبة صدور الدستور المصري الجديد واتمام جلاء القوات البريطانية عن الاراضي المصرية ، الا أن معتقلي قطاع غزة استثنوا من هذا الافراج العام. ولم يفرج عن اخر معتقل منهم الا في أول تموز (يوليو) ١٩٥٧ ، اي بعد انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة بنحو اربعة اشهر ، وكان شهيدنا واحدا من سبعة مناضلين خرجوا في الفوج الاخير للمعتقلين من سجن القناطر .

وهكذا ، أدى اعتقاله في مصر الى حرمانه من نيل الثانوية العامة ، ومن المشاركة في الكفاح ضد المحتلين الاسرائيليين في قطاع غزة ، اثناء العدوان الثلاثي ، وهو الاحتلال الذي دام أكثر من اربعة أشهر (من ١٩٥٦/١١/٢ — ١٩٥٧/٣/٧) .

وعاد عمر عوض الله الى الكفاح من جديد ، وحصل على الثانوية العامة (البكالوريا) ، الا أن أجهزة الامن حالت دون انتسابه للجامعات المصرية ، بل ومنعته من مجرد السفر الى مصر . ثم قامت باعتقاله ، في العاشر من اب (اغسطس) ١٩٥٩ ، في السجن الحربي بالقاهرة ، ضمن واحد وثلاثين ممن اتهمتهم هذه السلطات بالشيوعية . ومن « السجن الحربي » الرهيب

الى سجن الواحات الخارجة انتقل المعتقلون الفلسطينيون ، في اب (اغسطس) ١٩٦٠ ، ولم يفرج عن عمر عوض الله الا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) ١٩٦١ ، تاركا وراءه عشرة معتقلين من زملائه .

وخرج عمر ليجدد كفاحه داخل حزبه الشيوعي . وجاء الاحتلال الاسرائيلي الى قطاع غزة في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وشكل الحزب الشيوعي مع حزب البعث وجبهة تحرير فلسطين (ج.ت.ف.) وبعض رموز المستقلين « الجبهة الوطنية المتحدة »، في اب (أغسطس) من السنة ذاتها . وظل الشهيد مسؤولا عن اللجنة المحلية لمدينة غزة ، حتى شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، حيث اصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ومسؤولا عن الجناح العسكري للحزب وللجبهة الوطنية المتحدة ، التي اصبحت — منذ نيسان (ابريل) ١٩٦٨ — تنظيما جماهيريا للحزب الشيوعي . بعد أن كف كل من حزب البعث وج.ت.ف. عن المشاركة في نشاطها .

وتوسعت الجبهة في اعمالها العسكرية ضد الاحتلال الاسرائيلي وضد عملائه والمتعاملين معه في القطاع ، وجاء هذا التصعيد مواكبا وموازيا لصعود مجمل حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة، في السنوات الثلاث السابقة على ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . علـى أن الانكماش أصاب النشاط السياسي والعسكري للجبهة الوطنية المتحدة ، مع انحسار حركة المقاومة الفلسطينية ككل ، في أعقاب نجاح النظام الاردني في اغتيال هذه الحركة في شرقي الاردن في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

واستغلت سلطات الاحتلال الاسرائيلي هذا الانكماش لتنقض على المقاومة في قطاع غزة . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ ، نجحت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في اعتقال عمر احمد عوض الله ومعظم اعضاء تنظيم الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة ، بعد ان تمكن من الاختفاء في قطاع غزة البالغ الضيق قرابة العامين . وفي تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧١ ، قضت محكمة عسكرية اسرائيلية بمدينة غزة على عمر عوض الله بالسجن لمدة ٣٧ عاما ، لم يقض منها في السجن سوى اربعة اعوام ، كان خلالها موضع احترام كافة الفصائل المقاتلة داخل السجن ، ولعب الشهيد دورا بارزا في توحيد صف الفدائيين المعتقلين ضد ادارة السجن ، وخاض مع زملائه الفدائيين اضرابين عن الطعام ، نجح فيهما في انتزاع مكاسب غير هينة لكل السجناء ، وأفاد في معركته هذه من خبرته الطويلة في التعامل مع ادارة السجن في المرات السابقة التي اعتقل فيها .

وانتهت سنوات السجن الاربع ، ليؤكد عمر عوض الله بعدها انه ظل يقاتل حتى الاستشهاد .

عبد القادر ياسين

مسرحية ((البراز)) في حيفـــا

تعرض في هذه الايام ، علـــى الجمهـــور الاسرائيلي ، مسرحية ، لو نقلت فصولها ومحتواها الى علم الرأي العام العالمي ، لاغنت عن الف مقال وخطاب ، لانها تصور النظـام والمجتمـــع الاسرائيلي على ما لا يشتهي حكـام اسرائيل ، وكذلك فانها تحكي قصة « شايلوك » الجديد على لسان أهله ، لا على لسـان المعادين للسامية .

المسرحية مأخوذة من صميم واقع الحيـــاة السياسية والاجتماعية في اسرائيل ، اذ يقول مؤلفها — حانوخ ليفين — مؤلف مسرحية « ملكـة الحمام » التي أثارت ضجة كبــيرة وحظــرت السلطات الاسرائيلية استمرار عرضها — : « لقد نقلت هذه المسرحية من واقعنا ، ففي كل يوم كنت أتصفح جريدة الصباح ، فأعثر على فصل جديد لمسرحيتين ، وبعد ذلك ، كل ما تبقى علي ، ان أصوغ الفصل الجديد صياغة مسرحية » .

اختار حانوخ ليفين لمسرحيتـــه الجديدة اســـم « شيتس » (أي البراز) ، وهو اسم العــائلة بطلة المسرحية ، وهـــي مكونة من أب وام ، وابنتهما .

تقول الام ، في بداية المسرحية ، لابنتها القبيحة : « متى تتزوجين ، ونستريح منك ! ألم يحن الوقت لتصطدمي بعريس ؟ » . . فترد الابنة : « بعد أن تموتي ، يا اماه ! موتي اولا ، فستجدينني قــد تزوجت ! » .

تذهب الابنة ذات ليلة الى حفل ، وهناك تلتقي بضالتها ، العريس المنشود ، وهو شاب ينـــافس والدها في صفات الاستغلال والابتزاز والقتل ، « الا انه يمارس كل هذه الجرائم — كما يقول مؤلف المسرحية — بظرف بحيث يصعب عليك ان تغضب منه » .

يتضح ان العريس ، أيضا ، كان يبحث عـــن عروس لها نفس « مؤهلات » الانسة « براز » ، اذ أن سيارتي النقل ونصف البولدوزر التي يملكها والدها ، تسيل لعاب العريس اكثر مما تفعـــل « مزايا » العروس الخلقية . ولهذا فان العريس على استعداد لتحمل كل « المتاعب » لدرجة تقبيل العروس القبيحة . وماذا يضيره ، اذا كـــان سيزيل من على شفتيه طعم القبلة المقزز ؟

قبل ان يدور الحديث بين العريس وعروسه ، يكون العريس قد انتهى من اجراءات المســـاومة والابتزاز مع والدها . فنفقات حفل الزواج ، بما فيها اجرة قاعة الاحتفالات ، وتكاليف الطعــــام الذي سيقدم للمدعوين وفرقة الموسيقى وملابس العروس ، كل هذا مطلوب من ... العروس .

وعندما يثير والد العروس سؤالا بديهيا يحيره : « وماذا قدم العريس ، من جانبه ؟ » ، يأتيه الرد على لســان العريس : « قدم لكم عريســـا لابنتكم ! » .

كل هذا لم يشبع جشع العريس ، فهو يضيف الى مطالبه وشروطه ، شروطا أخرى ، مثل تأمين منزل مكون من ثلاث غرف (في اسرائيل يعتبر اي زوجين نفسيهما سعيدين اذا حظيا بغرفة ونصف مطبخ) ، وسيارة ذات اربعة ابواب ، و٢٥٠ الف ليرة عدا ونقدا .

هذا وقد اعتاد حانوخ ليفين أن يضمن مسرحياته بعض الاغاني ، فهكذا فعل في مسرحية « ملكـــة الحمام » حيث سخر بعد حرب ١٩٦٧ من ســوق الشباب الاسرائيلي بحشود ، الى الحرب وكأنهم قطيع غنم ، فيقول في احدى أغاني المسرحية :

أبي العزيز ، عندما تقف على قبري
لا تقف فخورا ، ولا ترفع رأسك
فلا تقل انك قدمت ضحية
لان الذي ضحى .. أنا

وفي مسرحية « شيتس » — المعروضة حاليا على مسرح حيفا البلدي — يقول في احدى اغانيها على لسان والد العروس ، المعتز بشجعه للمال ، ويصف فيها المؤلف استهانة قتل الانسان في المجتمع الاسرائيلي وتقديس البقرة على الانسان :

لي شاحنتان عزيزتان
احداهما سوداء وأختها حمراء
في الليل أبقارا تنقلان
وفي الصبح عمالا فقراء

. . .

وذات يوم وقع السائق في ارتباك
فبدلا من الابقار ، حمل العمال
ونقلهم الى المذبح ، للهلاك
وهناك ذبحوا بالاتصال

. . .

قضت له المحكمة بالتعويض
ودفعت أسرة الضحية
فرق خسارتي ، هكذا أريد
بين سعر العامل والبقرة الابية

. . .

ولمنع تكرار هذا الحال
شرعنا تشريعنا الصارم
من يركب شاحنتي من العمال
ينشد لنا أنشودة الجارم

. . .

لي شاحنتان عزيزتان
احداهما سوداء واختها حمراء
في الليل ابقارا تنقلان
وفي الصبح عمالا فقراء

. . .

بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي ، لا يستطيع احد ان يتهم مؤلف المسرحية بالمبالغة او التجني ، حتى عندما يدخل في مسرحيته لمحة طريفة تصور جشع شايلوك الجديد ، فيقول ، على لسان والد العروس :

« أرى هناك اثنين يتسللان الى القاعة دون ان يدفعا شيئا » . فتهدئه زوجته ، قائلة : « هذان هما العروسان » .

ورغم ان والد العروس ليس اطهر ذيلا من صهره ، الا انه ، بالطبع ، لا يرى الا عيوب غيره ، فيقول ، مثلا ، مشيرا الى جشع عريس ابنته : « لدي صهر مرتبط بالدولار ، ولدي ابنة مرتبطة بالسجق (المقانق) » . والاشارة الى تعلق ابنته بالسجق ، مفهومة طبعا .

الى هنا تنتهي معالجة المشاكل الاجتماعية في اسرائيل ، وتنتقل المسرحية الى طبقة السياسيين والعسكريين الاسرائيليين ، الذين أثروا من الحروب والسمسرة في الاسلحة ونهب مهمات الجيش ، كما تصور صراعهم وتطاحنهم على الاثراء السريع دون اهتمام بالوسائل .

تصور المسرحية العريس الشاب وهو يتخذ من صهره قدوة في السرقة والنهب ، فيقول في نفسه بعد أن نشبت الحرب : « اذا كان صهري قد نهب ما قدر عليه من وزارة الدفاع ، فان في استطاعتي أن أنهب أكثر منه » .

ويعود العريس ، وهو ضابط في الجيش ، من الحرب ، التي لم تطل الا أياما ، وهو يمني نفسه بالامال العريضة .

ويبدو تهكم المؤلف وسخريته من الشعارات الطنانة التي يطلقها قادة اسرائيل على لسان الضابط الشاب : « الكل يعمل ويبني في هذا البلد دون تمييز في الجيش او الدين او القومية ، فهم يعملون الشيء الضروري جدا ، يعملونه من أجل هذا البلد ! »

لا شك ان حانوخ ليفين أراد أن يوحي — في احد فصول مسرحيته — بأن حكام اسرائيل ، بصفتهم اكثر الناس استفادة من الحرب ، يعمدون الى اشعال الحروب على فترات متقاربة ، فهو يصور في مسرحيته نشوب حرب ثانية ، لكن هذه الحرب لم تكن مبهجة ، ان كان في الحروب ما يبهج — وأغلب الظن انه قصد هنا الاشارة الى الفرق بين حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ . ففي هذه الحرب الاخيرة ، يلقى العريس حتفه .

واذا كان هناك من هو في حاجة الى فكرة متعمقة عن اخلاقيات المجتمع الاسرائيلي ، فقد قدم حانوخ ليفين هذه الفكرة ، اذ يتحدث في مسرحيته عن تفكك الاسرة ووضع المصلحة الذاتية فوق كل اعتبار عندما يصور أسرة « البراز » هذه وقد تعودت الحياة بدون صهرها الشاب اثناء خدمته في الجيش ، وتمنت ان لا يعود ! كذلك صور مؤامرة الضابط الشاب وحماته (والدة العروس) على الاب للتخلص منه ووراثته !

يقول يوسف يادين ، احد المشتركين في تمثيل هذه المسرحية ، وهو ، بهذه المناسبة ، شقيق يغئال يادين — استاذ الاثار بالجامعة العبرية حاليا ورئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي في الفترة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، معلقا على هذه المسرحية : « يقول التلمود : لا يستطيع الانسان ان يعيش في هذا العالم بدون عطار ودباغ . هنيئا لمن تكون مهنته العطارة ، والويل لمن تكون مهنته الدباغة . وهذه المسرحية ، تتناول دابغ الجلود » .

وتعترف حانا روط — احدى المشتركات في تمثيل المسرحية — مشيرة الى الجيش والسلطات العسكرية في اسرائيل ، التي جعلت من « أمن اسرائيل » بقرة مقدسة يحظر المساس بها « هذه المسرحية تنسف كل الابقار التي عندنا » .

ويقول ممثل آخر ، هو ايلان دار : « ان كان هناك انعكاس مسرحي لكل ما حدث خلال السنوات الاخيرة عندنا ، فان هذه المسرحية هي ذاك الانعكاس » .

صبحي النجار

التهديدات الصادرة عن الولايات المتحدة ورد الفعل السوفياتي من خلال صحافته

تولي الصحف السوفياتية اهتماما بارزا منذ ما يزيد عن شهرين لمسألة « أزمة النفط في العالم » ومؤامرات الاحتكارات النفطية ضد الدول المنتجة للنفط خاصة في منطقة الشرق الاوسط ، اذ أن هذه المنطقة من أهم المناطق في العالم التي تتصارع عليها الدول الغربية نظرا لموقعها الجغرافي كملتقى لطرق استراتيجية هامة من جهة ، ومن جهة اخرى لما تحويه من احتياط النفط والمواد الخام الاخرى . وكانت التصريحات الاخيرة التي صدرت عن المسؤولين في الولايات المتحدة والتي هي بمثابة تهديد لاحتلال منابع النفط اذا تعرض الغرب لعملية مشابهة لتلك التي تعرض لها أثناء حرب تشرين ١٩٧٣ .

وقد ربط معظم المعلقين الصحافيين السوفيات بين التهديدات الامريكية وأزمة الشرق الاوسط السياسية على اعتبار أن اسرائيل والصهيونية هما من أذرع الولايات المتحدة في المنطقة .

وفي هذا التقرير عن رد الفعل السوفياتي من خلال ما كتبته الصحف السوفياتية عن التهديدات الامريكية سوف انقل مقتطفات من اهم ما كتب حول هذا الموضوع تاركة للقارىء العربي حرية تقدير الموقف .

تحت عنوان « يستحيل رسم خط فاصل بين احتلال آبار النفط بالقوة وحرب عالمية ثالثة كتب المعلق السوفياتي فلاديمير سيمنوف بتاريخ ٧٥/١/٩ مقالا ، اوردته وكالة انباء نوفستي يقول فيه : « منذ زمن بعيد والتهديدات بالاستيلاء على الاستثمارات النفطية العربية بالقوة ، لم تعد تؤخذ على محمل الجد . واليوم ، فان المنشورات الامريكية تمتلىء بالتفسيرات المتصلة لهذه العملية العسكرية الامريكية المفترضة حتى وصل الامر الى اعطائها الاسم الرمزي — بترول لاند — » . ويتابع المعلق السوفياتي قائلا : « ان روبرت تايكر ، الاستاذ في مادة العلاقات الدولية في جامعة جون هوبكنز ، هو الذي سار شوطا ابعد من الشوط الذي قطعه الاخرون في الاعماق المذهلة لعملية — بترول لاند — . ويبدو له بأن هجوما مسلحا ضد حقول النفط في الخليج العربي بمثابة قضية بسيطة اذا اخذنا بعين الاعتبار مقاله في عدد كانون الثاني من مجلة « كومانتري » وقد عثر تايكر على مكان ملائم من اجل عملية انزال : من ساحل الكويت الى قطر حيث البلدان الاعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط تستخرج ٤٠٪ من نفطها . وفي هذه الاماكن يوجد القليل من الناس والقليل من

الاشجار ، كما يقول البروفسور ، ولهذا السبب فان « اقامة سيطرة فعالة لا يمكن ان تقارن ابدا مع الفيتنام » .

ويستطرد المعلق السوفياتي فلاديمير سيمنوف قائلا : « وقبل شهر ارادت مجلة نيوزويك الاسبوعية الامريكية ، ان تسمع من له اذان للسمع ان الفرقة الثانية والثمانين التابعة للقوات الجوية والمدربة خصيصا للقيام بعمليات انزال بالمظلات ، يمكنها ان تحقق بنجاح المهمة البسيطة ، مهمة الاستيلاء على ابار النفط ، وذكرت فضلا عن ذلك ان وحدات حليفة يمكن ان تجر للاشتراك في العملية » . وبعد أن يشرح المعلق آراء سياسية امريكية متعددة يصل للقول : « ومهما بدا الامر غريبا فان السياسيين هم اكثر اقبالا على تداول فكرة — فيتنام بترولية — من اولئك الذين يمكن ان يكلفوا بتحقيقها . ولا يشك الخبراء العسكريون بلاواقعية هذه الخطط . فهم يجهلون كيف يمكن رسم خط فاصل بين عملية — بترول لاند — وحرب عالمية ثالثة . ولكن حتى في حالة النجاح ، فسان نتيجة العملية ستكون صفرا ، اذ يتبين من الابحاث العسكرية السرية التي تسربت حتى الان الى الصحافة الامريكية ان اغراق ناقلتي نفط يكفي لكي يمكن ان يظل النفط ، المنتزع بقوة السلاح ، محصورا زمنا طويلا في الخليج العربي » .

وتحت عنوان « ازمة البترول والتهديدات الفاشلة سلفا » كتب ليونيد ميدفيدكو المعلق في صحيفة البرافدا الناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بتاريخ ٧٥/١/١٠ يقول : « عادت مسألة البترول لتبرز بشكل دائم على صفحات الصحافة الغربية . وبالاضافة الى الاتهامات المزعومة التي اصبحت سخيفة والموجهة للبلدان المنتجة للبترول « المسؤولة » كما يدعون عن الصعوبات الاقتصادية في العالم الرأسمالي ، تبرز اليوم تهديدات وقحة موجهة اليها اكثر فاكثر . وتشير الصحافة الرجعية في مجال الكتابة عن احتمال وحتى عن « ضرورة » اللجوء الى القوة المسلحة لاعادة السيطرة على منابع البترول ، تشير الى دول معينة وهي الكويت وقطر وليبيا ». وبعد أن يتطرق ميدفيدكو لما كتبته النيويورك تايمز حول افكار المدعو روبرت تايكر الاستاذ الامريكي، يتابع معلق البرافدا قائلا : « وتبدو مثل هذه الافكار كتحذيرات ، خاصة في ضوء الحديث الاخير الذي اجراه كيسنجر مع مجلة « بزنس ويك » والذي وصف من قبل العديد من الصحف في العالم، بانه يعبر عن رغبة الولايات المتحدة في ان تستخدم « في اطار ازمة بالغة الحدة » ليس فقط الضغط السياسي ، بل الوسائل العسكرية ايضا لحماية المصالح البترولية الامريكية في الشرق الاوسط ». وبعد أن يتطرق الكاتب لموضوع زيادة اسعار النفط من قبل دول منظمة الاوبيك وكذلك تأميم النفط في بعض الدول ، وازمة النظام الرأسمالي العالمي يقول في ختام مقاله بالبرافدا : « اما التضخم المالي وغيره من ظواهر ازمة العالم الرأسمالي فمن المعروف انها سابقة على زيادة عائدات البترول . ومع ذلك يحاول حماة مصالح الاحتكارات ، اليوم ، ليس فقط ان يتهموا البلدان المنتجة بالمسؤولية عنها ، بل أن يلجأوا الى التلويح باستعمال القوة ضدها . ان محاولات الاوساط الاحتكارية التي تصعد « حرب البترول » لتشكيل نوع من كتلة لمستهلكي البترول تقف ضد البلدان المنتجة او اللجوء الى سياسة التهديد باستعمال القوة التي فشلت حتى الان ، محكوم عليها ايضا بالفشل » .

وتقول البرافدا ٧٥/١/١٥ تحت عنوان « الاستفزازات والتهديدات الصادرة عن الولايات المتحدة ضد بلدان الشرق الادنى » : « يتتبع الرأي العام العالمي بيقظة الوضع في الشرق الادنى ، هذه المنطقة المتفجرة من العالم حيث تمارس الاوساط الحاكمة الاسرائيلية سياسة الاستفزاز ضد الدول العربية المجاورة . ان التصريحات الصادرة عن واشنطن والتي تهدد بشن تدخل عسكري ضد البلدان العربية اذا واصلت هذه البلدان ممارسة سياستها المستقلة في مجال انتاج وبيع النفط ، قد صبت الزيت على نار الخطر العسكري المتأججة تحت الرماد . ويدرك كل الناس العقلاء تمام الادراك العواقب التي يمكن ان تنبثق عن التدخل العسكري الامريكي في الشرق الادنى . ولهذا السبب فقد اثار هذا التهديد موجة استنكار عنيفة ليس فقط في البلدان العربية ، بل ايضا في بلدان اخرى ومن ضمنها الولايات المتحدة ذاتها » . وبعد شرح لتاريخ الاستعمار في الشرق الاوسط وكيف تم انتزاع

المنطقة من تحت السيطرة العثمانية وتحولها لمنطقة نفوذ للامبريالية « المتحضرة » يقول المعلق غوساروف بتاريخ ٧٥/١/٢٠ تحت عنوان « تاريخ نهب الاحتكارات النفطية للبلدان العربية » : « وخلال ٥٠ سنة من كل مراحل تطور الانتاج النفطي في البلدان العربية كانت الاحتكارات النفطية الاجنبية تنهب هذه البلدان . وفضلا عن ذلك يجب القول ان اساليب هذا النهب كانت تتطور من اشكال فظة ومباشرة الى اشكال دقيقة ومستورة . وفي العشرينات اغتصبت مجموعة من ٥ احتكارات امريكية وشركتين اوروبيتين شكلت في ١٩٢٨ كارتيلا دوليا ، الثروات النفطية الطائلة للعرب . وسيطرت على المواقع الرئيسية في هذا الكارتيل اكبر العناصر المالية الامبريالية : روكفلر، ومورغان ، وميلون ، وروتشيلد ، واكبر المصارف الامريكية والانجليزية . وحتى الاونة الاخيرة فان النفط الذي تملكه بعض الدول العربية الشكلية السيادة كانت تديره الشركات النفطية الاجنبية التي تركز بين يديها كل عمليات الانتاج ، وكانت امتيازات الشركات النفطية تتيح لها عدم دفع الضرائب والرسوم الجمركية في معظم البلدان العربية . وفي الواقع لم تكن البلدان العربية « منتجة » ولا « مصدرة » للنفط ، لان النفط كان ينتج ويصدر من قبل الشركات النفطية الاجنبية ».

ويتابع غوساروف شرح تاريخ نهب الثروات العربية من قبل الاحتكارات النفطية والتي كانت تحدد فترات امتيازها ما بين ٥٠ ــ ٧٥ سنة ويصل للقول : « وتتناول الامتيازات في عدد من البلدان العربية كافة الاراضي بما في ذلك المياه الاقليمية، كما هي الحال مثلا في الكويت ، وعمان ،والامارات المتصالحة ، والبحرين وغيرها . وهذا يعني وقوع دول باسرها في قبضة الاحتكارات النفطية . وتحدد هذه الاحتكارات بنفسها اولوية ودرجة استثمار حقول النفط ، مسترشدة فقط بمصالحها الخاصة التي تتناقض مع مصالح البلدان العربية .وانطلاقا من مصالحها الانانية بالذات بنت الاحتكارات النفطية الموانىء ، وخطوط الانابيب ، والطرقات».

ويقول المعلق غوساروف : « ومن جهة اخرى كانت عقود الامتياز الاولى تتضمن نقاطا تضمن الاحتكارات النفطية الاجنبية بموجبها ، ليس استخراج ونقل وتصريف النفط في الاسواق الخارجية فحسب بل وايضا بيع النفط والمنتجات النفطية الاخرى داخل كل بلد عربي يمنحها الامتياز » . وقبل ان يختتم مقاله يستشهد بما قاله الرئيس هواري بومدين لصحيفة « لوموند » عن تاريخ نهب الثروات العربية من قبل الشركات الاحتكارية الغربية وكيف ان اول برميل نفط باعته شركة « سونتراك » الوطنية الجزائرية كان سعره ١٫٢٨ دولار ، ثم ينهي مقاله قائلا : « ان الشعوب العربية لم تقبل ابدا ان تكون ثرواتها في تصرف الامبريالية . فقد تعاظم نضالها ضد سيطرة الاحتكارات النفطية في كافة المجالات والاشكال المذكورة آنفا ، وبصورة خاصة خلال الستينات التي كانت نهاية السيطرة الامبريالية على الاقتصاد في بعض البلدان العربية ، بما في ذلك الصناعة النفطية . لقد اصبحت انتصارات الشعوب العربية ممكنة بفضل تأثير وقوة ونفوذ الاتحاد السوفياتي المتعاظم دائما . وبفضل الدور المتعاظم الذي لعبته الانظمة التقدمية في الشرق العربي وبفضل توطيد روابط الصداقة بين الدول العربية والدول الاشتراكية » .

وتورد البرافدا ٧٥/١/٢٢ مقالا مطولا للمعلق فيكتور مايفسكي تحت عنوان « النفط والتهديدات الاميركية الخطرة » يشرح فيه تاريخ استثمار النفط وحصول البلدان العربية على استقلالها السياسي ، وبعد شرح حول ذلك يصل للقول : « وبالرغم من ان الولايات المتحدة قادرة على تأمين حاجتها الخاصة من النفط ، وبالرغم من انها اقل حاجة من اوروبا الغربية واليابان للنفط المستورد ، تستفحل في الولايات المتحدة اليوم حملة جامحة ضد البلدان المنتجة للنفط ، وتنشر الصحف الامريكية تصريحات مدوية عديدة تزعم بان تدابير هذه البلدان تهدد الاقتصاد المالي بالافلاس ومن شأنها المساهمة في خنق العالم الصناعي ، وانه ينبغي انقاذ الغرب من الضائقة الاقتصادية . وتشاهد بسهولة ، وراء هذه العبارات الطنانة ، الرغبة في صرف اهتمام الرأي العام عن الاسباب الفعلية للازمة الاقتصادية التي تستفحل في العالم الرأسمالي والقاء مسؤولية هذه الازمة على الدول المنتجة للنفط وبالدرجة الاولى الدول العربية » .

وبعد ان تطرق مايفسكي لما نشرته مجلة « كومنتري » التي تصدرها اللجنة اليهودية

الامريكية من انكســـار استاذ العلاقات الدوليـــة الامريكي تايكر ، يصل لتصريحات كيسنجر لمجلة « بزنس ويك » والتي انتشرت بسرعة في مختلف ارجاء العالم ، يقول مايفسكي : « وليس وليـد الصدف ، على ما يبدو ، ان توجد حاليـا في منطقة المحيط الهندي مجموعة من سفن الاسطول السابع الامريكي على رأسها حاملة الطائـرات الذرية « انتربرايز » وكمـا اعلنـت الصحافـة الاجنبية ، فقد طلبت الحكومة الامريكية ، فـي الوقت ذاته ، من اتحاد الامارات العـــربيـــة الواقعة في الجنوب العربي ، السماح للمدمـرات الامريكية بالقيام ، على سبيل « التدريب » بعملية انزال في جزر لم يذكر اسمها . كل ذلك قد اثـار قلقا جديا في بلدان المحيط الهندي والخليج » .

ويتابع المعلق السوفياتي مقالـه رابطا بــين الاستعدادات الامريكية والاعتداءات الاسرائيليـة قائلا : « وفي الوقت الذي تتدرب فيه وحـدات انزال امريكية استعدادا لاي طارىء » في صحارى تكساس وكاليفورنيا ، وفي حـين تقوم السفـن الحربيـة للاسطولـين الامريكيـين ، السادس والسابع ، بمناورات تخويف ، يواصل الجيـش الاسرائيلي القيام بدور المسدس المصوب ضـد البلدان العربية . ولدى هذا الجيش ، منذ وقت طويل ، تجربة الحرب في الصحراء والاستيلاء على الاستثمارات النفطية المصرية في سيناء .

واطلق « هرمان كهن » ، مدير معهد «هدسون» في صفحات مجلـة « يونايتد ستايتس نيـوز أند وورلد ريبورت » فكرة انه اذا وصلت القـوات الاسرائيلية الى الخليج في حالة وقوع حرب جديدة، فان ذلك من شأنه ان يغير بصورة اساسية الوضع في سوق النفط العالمية » .

وبعد ان يتطرق لاوضاع دول الخليج وعلاقاتها مع الولايات المتحدة وشروط الولايات المتحدة على بيع السلاح لتلك الدول والتي تركز على ضرورة عدم اعطاء تلك الاسلحة لاي بلد اخر خاصة مصر يقول بعد ذلك : « ويهدف نشاط الاحتكـارات النفطية الامريكية والمجموعة العسكرية الصناعية، في مجمله ، الى تقويض وحدة البلدان المنتجة للنفط وبالدرجة الاولى زرع الشقاق بين البلدان العربية وبلدان غيرها في الشرقـين الادنى والاوسـط ، والقضاء على امكانية قيامها باعمال مشتركة . وتبذل بعض الدوائر الامريكية كل جهد من اجـل تسعير الخلافات بين العراق وايران ، وبـين العراق والكويت ، حول قضايا اقليمية وغيرها ، ومن اجل تعميق الخصام بين العربية السعوديـة وايران فيما يتعلق بالمواقع في الخليج ، وتوجـه حملة دعائية ضد سوريا من اجل عزلها ، وتدعو بكل الوسائل الى تسوية لنزاع الشرق الادنـى تحصل بموجبها مصر على بعض التنازلات من قبل اسرائيل ويجري تحييدها وفصلهـا عن سوريا والبلدان العربية الاخرى ، وتشجع الخلافات بين ليبيا ومصر ، الخ . ويولى اهتمام خاص لمحاولات تقويض مواقع منظمة التحرير الفلسطينية » . وبعد شرح مفصل للاستثمارات الجديـدة في بعض دول النفط خاصة السعودية وبعض دول الخليج ينهي مقاله : « وحين يرفض الرأي العام السوفياتي والرأي العام العالمي بأسره سياسة الشانتـاج والتهديد والتخويف التي تلجأ اليها الاوسـاط الحاكمة الامريكية بذريعة الدفاع عن الغـرب » يعلن بان هذه السياسة تخالف الاتجاه نحو الانفراج ونحو تطوير العلاقات بين الدول علـى اسـاس مبادىء المساواة والتعاون » .

اما المعلق فيكتور كودريافتسيف فيقول في مجلة « أوغنيوك » ٧٥/٢/٦ تحـت عنوان « هـل ان التهديدات الامريكية الموجهة الى البلدان العربيـة المنتجة للنفط هي مجرد زلة لسان » ؟ : « تجـدر الاشارة الى ان الزعماء السياسيين الامريكيـين الذين هددوا باللجوء الى القوة تجاه الشعـوب العربية اذا لم ترضخ هذه الشعوب لارادتهم فيما يتعلق بالنفط ، يسعون الان ، بجميع الوسائـل لـ « لفلفة » الطابع العدواني لتصريحاتهـم . وهم يريدون ، بعد الان ، تطمين الرأي العـام العالمي بانه لم يكن موضوع بحث سوى « ظروف افتراضية » تتعلق باتخاذ « اقصى التدابـير » وهكذا دواليك . لكن الذين وجهت اليهم هـذه الاقوال لا يعتزمون ابدا اعتبار هذه التهديـدات مجرد اقوال « تجريدية » او انها « ليست ذات صفة راهنة » . ان بعض التدابير السياسيـة الامريكية المتخذة في الاونة الاخيرة تعطيهم مجـالا لاستخلاص بعض الاستنتاجات » . وتتابع المجلـة السوفياتية القول : « ان نشاطات وزارة الدفاع

الامريكية في منطقة الخليج وفي شمالي غربي المحيط الهندي ، لا تنطوي على أي شيء افتراضي . والنبأ الاخير بهذا الصدد يتعلق بالمساعي من اجل الحصول على قاعدة عسكرية في جزيرة « مصيرة » التابعة لعمان وذات الاهمية الستراتيجية الكبرى، ومن اجل توسيع هذه القاعدة » .

ويتابع معلق المجلة السوفياتية مقاله شارحـا الدور الذي ستقوم به اسرائيل بمساعدة الولايات المتحدة من اجل تنفيذ مخططاتها في المنطقة ويقول: « ان الاوساط الامريكية تسعى الى زيادة المساعدة الى اسرائيل ، الامر الذي يمكن ان يثير تأزمـا جديدا في الوضـع في الشرق الادنى . وتهـدد اسرائيل حاليا بالخلاص من « فتح لاند » ويعني ذلك في لغة اوساطها الحاكمة هجمات مكثفة ضد مخيمات اللاجئـين الفلسطينيـين في الاراضي اللبنانية ، هجمات من شأنها القضاء تماما علـى اللاجئين ، وفي اثناء ذلك ، تبحث واشنطن مسألة منح اسرائيل مساعدة اضافية تبلـغ مليـاري دولار » .

وبعد ان يشرح المعلق محاولات بعض الدوائـر الامريكية العـودة لسياسة الحـرب الباردة ، والتهديد باستخدام القـوة وسياسة البوارج الحربية يخلص للقول : « وقبل اعوام قليلة وفي خضم ازمة الطاقة ، طرح فريق من الاختصاصيين الامريكيين في مجال السياسة ، نظرية تقول بـان الخليج يمكن ان يصبح ، نظـرا للاهمية التـي يكتسبها في الميزان النفطي للبلدان الرأسمالية ، منطقة « نزاع دولي جديد » . ويمكن ان نشاهد حاليا محاولات لتحويل هذه المنطقة الى بـؤرة جديدة للتوتر بواسطة الدسائس الاستعماريـة ، وتحريض بعض دول الخليج ضد بعضها الاخـر ، « تهديـدات مكشوفـة واستعراضات حربيـة مفضوحة » .

وينهي الكاتب مقالـه قائـلا : « ان احـدى المهمات الرئيسية لسياسة الانفراج الدولي هي منع ظهور نزاعات دولية جديدة . ان اسس العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة تشـدد بصورة خاصة على التزام الطرفين ببذل كل جهد يتوقف عليهما لكي لا تبرز نزاعات جديدة وأوضاع من شأنها زيادة التوتر الدولي . ويصبح هـذا البند ذا صفة راهنة ملحة على ضوء الاحـداث الاخيرة » .

كانت تلك نبذة مختصرة عن اهم الموضوعـات التي عالجت بها الصحف السوفياتية التهديـدات الامريكية باحتلال منابع النفط العربية . وقد كتبت عدة صحف تحليلات اخرى معطية ارقاما عن انتاج الدول العربية ، وكيف تذهب معظم الارباح لجيوب الاحتكارات النفطية .

سامية النونو

الموقف الياباني وأزمة الشرق الاوسط

في الدورة الاخيرة للجمعية العامة ، صوتت اليابان لصالح القرار رقم ٣٢١٠ الخاص بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية — كممثل للشعب الفلسطيني — للاشتراك في المناقشات المتعلقة بالقضية الفلسطينية على أساس ان الفلسطينيين هم — من وجهة النظر اليابانية — المعنيون مباشرة بالقضية ، وغياب ممثليهم معناه افتقار النقاش الى الواقعية . الا أن اليابان آثرت الامتناع عن التصويت على القرار رقم ٣٢٣٦ الخاص بتأكيد حقوق شعب فلسطين في تقرير المصير ، وفي السيادة الوطنية .

وحقيقة الامر ان فهم هذا التصرف لن يتأتى الا من خلال دراسة الموقف الياباني حيال أزمة الشرق الاوسط بصفة عامة . ويمكن القول اجمالا ان حرب اكتوبر كانت فاصلا بين مرحلتين متميزتين في هذا الموقف . المرحلة الاولى اتصفت بالسلبية حيث تبنت اليابان موقف الحياد برغم وضوح مبلغ الجرم الذي ارتكبته اسرائيل في حق العرب باعتدائها على كل من مصر وسوريا والاردن في يونيو ١٩٦٧ واحتلالها للاراضي العربية . اما المرحلة الثانية فقد اتسمت بالايجابية حيث أعلنت اليابان عن موقف جديد قوامه شجب السياسة الاسرائيلية وتأييد الحق العربي . وقد جاء هذا التحول في السياسة اليابانية استجابة لعدة متغيرات أبرزها الاستخدام العربي الفعال لسلاح البترول .

حرب يونيو وسلبية الموقف الياباني : يكشف تحليل السلوك الياباني تجاه قضية الشرق الاوسط قبل حرب اكتوبر عن حقيقة أساسية مفادها محدودية اهتمام اليابان بهذه القضية ، وهو ما تجلى في هامشية دورها خلال المناقشات التي دارت في الامم المتحدة عام ١٩٦٧ ، ثم في فهمها الخاطيء للقضية الفلسطينية .

١ — هامشية الدور الياباني في الامم المتحدة : قررت الجمعية العامة في دورتها الحادية والعشرين (١٩٦٦) اختيار اليابان لتشغل — مدة عامين — أحد المقاعد العشرة غير الدائمة في مجلس الامن ، وهو ما أتاح لها أن تعايش أزمة الشرق الاوسط منذ بدايتها . والواقع أن مراجعة التحرك الياباني في مجلس الامن خلال مرحلة نشاطه الاولى — والتي تمتد من ٢٤ مايو الى ١٤ يونيو ١٩٦٧ — تؤكد مدى هامشية هذا التحرك سواء في الجلسات السابقة للعدوان ، او اللاحقة به ، اعتقادا بأن النزاع في الشرق الاوسط يمس أولا وقبل كل شيء مصالح القوى الكبرى . وهكذا ففي أول اجتماع عقده المجلس بتاريخ ٢٤ مايو ١٩٦٧ على اثر تفاقم الموقف في الشرق الاوسط ، تحدث مندوب اليابان « أكيرا ماتسوى » باقتضاب شديد مطالبا الاطراف المعنية (يقصد العرب واسرائيل) بضرورة ضبط النفس وتجنب كل ما قد يؤدي الى تفجير الموقف ، ثم عاد الى ترديد نفس المطلب في ٣١ مايو ، وان دعا المجلس الى دعم جهود السكرتير العام الرامية الى تقليل التوتر في المنطقة . وعلى اثر قيام اسرائيل بشن هجومها في ٥ يونيو ، اجتمع المجلس على الفور لبحث الموقف. وكانت هناك وجهتا نظر : احداهما أمريكية ومؤداها الاكتفاء بدعوة الاطراف المتحاربة الى وقف اطلاق النار ، والاخرى سوفييتية ومضمونها الربط بين وقف اطلاق النار ، وبين عودة القوات المتحاربة الى المواقع التي كانت فيها قبل بدء العمليات العسكرية . وقد أعلن المندوب الياباني تأييده لوجهة النظر الامريكية ملتقيا في هذا أيضا مع مندوبي كل من بريطانيا وكندا واثيوبيا والصين ومالي والارجنتين . وفي ١٢ يونيو تقدم الوفد السوفييتي بمشروع قرار يتضمن — في فقرته الاولى — ادانة للعدوان الاسرائيلي ، وأصر على ضرورة طرحه للتصويت ، الا ان المشروع لم يحصل على الاغلبية المطلوبة لاقراره ، حيث امتنعت اليابان — ومعها عشر دول اخرى — عن التصويت عليه بحجة ان حقائق الموقف لم تتضح بعد بشكل يدفعها الى ادانة او عدم ادانة العدوان الاسرائيلي .

وخلال مناقشات الجمعية العامة في دورتها الاستثنائية الخامسة التي بدأت في ١٧ يونيو تأكدت من جديد عدم فاعلية الموقف الياباني حيث لم تحاول اليابان ان تتقدم بمشروع قرار ، سواء بمفردها أو بالاشتراك مع غيرها من الدول الاعضاء ، وانما اكتفت بمجرد ابداء « اتجاه » حيال مشاريع القرارات المختلفة التي طرحت للتصويت في ٤

يوليو . فقد صوتت لصالح مشروع القرار الخاص بمساعدة منكوبي الحرب ، ومشروع القرار الخاص بدعوة اسرائيل الى الامتناع عن تغيير مركز القدس . وهما المشروعان اللذان وافقت عليهما الجمعية العامة . ولعل السلوك الياباني في هذا الخصوص لا يعدو كونه امتدادا للاجماع العالمي الذي لم تشأ اليابان ان تخرج عليه . كذلك صوت الوفد الياباني لصالح كل من مشروع قرار دول عدم الانحياز الذي طالب بالانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية ، ومشروع القرار اللاتيني الذي يربط بين الانسحاب وبين انتهاء حالة الحرب ، وهو المشروع الذي قدمته دول امريكا اللاتينية — بايعاز من الولايات المتحدة — لمناوأة مشروع دول عدم الانحياز . الا أن أيا من المشروعين لم يحصل على الاغلبية اللازمة لاقراره وهي أغلبية الثلثين . وقد حاول « أكيرا ماتسوي » في حديثه بتاريخ ٥ يوليو تفسير السلوك التصويتي لبلاده ، فأبرز الامور الاتيــة : ● انطلقت اليابــان في تأييدها لمشروع الدول غير المنحازة من ميثاق الامم المتحدة الذي يرفض ضم الاراضي بالقوة ، ثم من الاقتناع بأهمية الانسحاب في الوصول الى سلام دائم في الشرق الاوسط . ● ٢ — صوتت اليابان الى جانب المشروع اللاتيني اعتقادا منها بأنــه يعكس وجهة نظرهــا الاساسية بشأن التسوية السلمية لصراع الشرق الاوسط . ● ان اليابان لا يساورها شك في أن مجرد الانسحاب لن يأتي بحل دائم للصراع العربي — الاسرائيلي . اذ توجد مشكلات اخرى ملحة من بينها : الاشراف على وقف اطلاق النار ، وانهاء حالة الحرب ، وحل مشكلة اللاجئين بصفة نهائية ، وكفالة حرية المرور في الممرات الدولية ، ومشكلة القدس ، ثم قضية التنمية الاقتصادية لدول المنطقة .

وأمام صعوبة التوصل الى قرار داخل الجمعية العامة ، عادت القضية من جديد الى مجلس الامن الذي بدأ مرحلة نشاطه الثانية في ٩ نوفمبر ١٩٦٧ ليجد أمامه مشروعي قرارين ، أحدهما قدمته الهند بالاشتراك مع مالي ونيجيريا (يعرف باسم المشروع اللاتيني) وطالب بانسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة ، وانهاء حالة الحرب ، وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . والثاني قدمتــه الولايات المتحدة، وربطت فيه بين انسحاب اسرائيل من « أقاليم محتلة » وبين المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل . وأثناء المناقشات ، أعــرب المندوب الياباني سنجم تسوروكا — جــريا على النهج الياباني المشار اليه — عن اقتناعه الكامل بكلا المشروعين ، ولكنه استطرد قائلا « يبدو ان أيا منهما لا يعكس رضاء المجلس بشكل كاف ، وما زال وفد بلادي يأمل في مزيد من المشاورات ابتغاء التوصل الى حــل توفيقي يحظى برضاء وتأييد كل أعضاء المجلس » . وعلى اية حال ، فبعد مداولات ومناقشات ، أصدر المجلس في ٢٢ نوفمبر بالاجماع القرار رقم ٢٤٢ . وبرغم الغموض الذي اكتنفــه بشكل فتح البــاب أمام تعــدد التفسيرات ، الا أن المندوب الياباني أبدى اقتناعه الكامل بالقرار حيث ذكر انه يحدد — في ألفاظ بسيطة وواضحة — المبادىء والاهداف التي ينبغي أن يرتكز عليها السلام في الشرق الاوسط .

٢ — خطأ الفهم الياباني للقضية الفلسطينية : قبل الحرب الاخيرة في الشرق الاوسط ، نظرت اليابان الى القضية الفلسطينية على انها قضية لاجئين في حاجة الى المساعدة المادية مــن جانب المجتمع الدولي . ومن هذا المنظور تحدث مندوبها ماتسوى في الدورة الاستثنائية الخامسة للجمعية العامة ، فطالب الامم المتحدة بأن تعمل ، من خلال تنظيماتها المتخصصة ، وبالتعاون التــام من كل أعضائها ، على توسيع أنشطتها ، وتقديم أقصى مساعدة ممكنة للاجئين الفلسطينيين . وجدير بالذكر ان الحكومة اليابانية قررت في ١٩٧٣ رفع نسبة اشتراكها في ميزانية وكالة غوث وتشغيل اللاجئين من ٥ر١ مليون دولار الى ٥ ملايين دولار . ومعنى هذا ان التصور الياباني لم يكن يرى في القضية الفلسطينية قضية شعب يملك حق استخدام العنف لاستعادة وطنه المسلوب . وعلى هذا الاساس يمكن تفسير رد فعل اليابان ازاء حادث مطار اللد الذي وقع في ٣٠ مايو ١٩٧٢ ، وتعاون في تدبيره مع المقاومة الفلسطينية ثلاثــة من الفدائيــين اليابانيين المنتمين الى منظمة « الجيش الاحمر » فقد أعلنت الحكومة اليابانية رسميا ادانتها لهذا التصرف ، واعتذرت للحكومة الاسرائيلية ، بل ووعدت بتقديم تعويضات لاسر الضحايا . وكان طبيعيا ان يثير هذا السلوك الياباني استياء العرب وبصفة خاصة منظمة التحرير الفلسطينية ، فتقدمت

في ١٩٧٢/٦/١٥ بمذكرة الى الجامعة العربية تطلب فيها بحث موقف اليابان من الثورة الفلسطينية . وجاء بالمذكرة « ان موقف اليابان يشكل علامة خطيرة منها تجاه الثورة الفلسطينية ، وتعضيدا لاعدائها في الوقت الذي تحصل فيه علـى معظم احتياجاتها البترولية من الاراضي العربية ... ان المقاومة تضم في صفوفها أفرادا من أوربا وآسيا وافريقيا ، ولو حذت كل دولة يعمل بعض مواطنيها مع المقاومة حذو اليابان لكان معنى ذلك انها تضع نفسها في الموقف المعـادي للثورة الفلسطينيـة والشعب العربي » .

حرب اكتوبر وايجابية الموقف الياباني : يتفق المراقبون السياسيون على أن ثمة تغيرا ملموسا قد حدث في السياسة اليابانية تجاه ازمة الشرق الاوسط عقب الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة ، وهو تغير أملته اعتبارات مختلفة ، وعبرت عنه مظاهر عديدة .

دوافـع التغيير : لا شك في ان الاستراتيجية البترولية التي قررت الدول العربيـة المصـدرة للبترول انتهاجها في مؤتمري الكويت بتاريـخ ١٧ اكتوبر ، ٤ نوفمبر ١٩٧٣ ، كان لها ابلغ الاثـر في دفع اليابان الى تأييد الحق العربي . فالمعروف ان اليابان تعتمد على امدادات الموارد الطبيعيـة الاجنبية . وحيث يتم الحصول على تلك المـوارد بسهولة ، يتقدم الاقتصاد الياباني بشكل مرض ، الا انه يتدهور بشكل مؤسف حينما تتعثر عمليـة الحصول على هذه الموارد لسبب او اخر . وطبقا للاحصاءات الرسمية اليابانيـة ، بلغت نسبـة مساهمة البترول في الطاقة ٧٤٫٩٪ في ١٩٧٢ ، وبلغت نسبة المستورد من هذا البترول ٩٩٫٧٪ ، والنسبة الباقية ــ وهي ٠٫٣ ٪ ــ تنتج محليا . وحوالي ٨٠٪ من هذا البترول المستورد يأتي من دول الشرق الاوسط (بواقع ٤٣٪ من الـدول العربية المصدرة للبترول ، ٣٧٪ من ايـران) . ولهذا فبعد ان قررت الـدول العربية المصـدرة للبترول في نوفمبر ١٩٧٣ تخفيض امداداتها البترولية الى اليابان بنسبة ٢٥٪ عما كانت عليه في سبتمبر ١٩٧٣ ، كان طبيعيـا ان ينخفض الحجم الكلـي لواردات البترول بحوالي ١٠٪ في ١٩٧٤ حتـى بغرض ثبات مستوى الامدادات البترولية من المناطق الاخرى . وهذا معناه انخفاض معدل نمو الناتج القومي الاجمالي (مع العلم بأن هذا المعدل بلـغ ١٠٪ سنويا ، بل وتراوح في سنوات الكسـاد بين ٥٪ ، ٤ ٪ سنويا) . وما كان بمقدور اليابان ان تسلك سياسة « الاكتفاء الذاتي » في الطاقة لمـا لذلك من آثار سيئة على النشاط الاقتصادي وعلى مستوى المعيشة . واذا كان المسئولون اليابانيون قد اتجهوا الى البحث عن مصادر بترولية اخـرى سواء في ألاسكا او سيبيريا ، فليس يتم ذلك عن رغبة في الاستغناء ــ مستقبلا ــ عـن البترول العربي ، لان هذا ليس ممكنا على وجه الاطلاق ، خاصة بالنظر الى واقع التوزيع الراهن للاحتياطي البترولـي ، اذ يشكـل البترول العـربي ثلث الاحتياطي العالمي الذي يبلغ ٨٤ مليار طن .

يضاف الى ذلك ان السياسة اليابانية الجديدة جاءت ــ في جانب منها ــ استجابة للوضع الجديد الذي آل اليه ميزان القوى في الشرق الاوسـط بفضل الانتصار العسكري العـربي ، حيث مـال هذا الميزان لصالح العرب ، وتأكدت قوة الارادة العربية كعامل مؤثر وفعال في تقرير مجريات الامور في المنطقة ، ولم تعد اسرائيل هي « الدولة القائد » كما كانت تزعم في الماضي . وفضلا عما سبـق ، لم تشأ اليابان ان تظل متمسكة بسياستها الحيادية السابقة في نفس الوقت الـذي اتجهت فيه دول أخرى . الى اتخاذ مواقف مؤيدة ــ ولو معنويا ــ لوجهة النظر العربية . فقد اصدرت دول الجماعة الاوروبية التسع في اوائل نوفمبر ١٩٧٣ بيانا تضمن صراحـــة تأييدا غير مشروط لحقوق العـرب المشروعة ، وادانة قوية للسياسة التوسعيـة الاسرائيلية ، كما راحت الدول الافريقية تتسابـق في قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل مما كان له اثره في اكتمال عزلة هذه الاخيرة .

مظاهر التغيير : المطـالبـة بالانسـحاب الاسرائيلي الكامل : اصدرت الحكومة اليابانيـة في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٣ بيانا طالبت فيه صراحـة ــ ولاول مرة ــ بضرورة جلاء القوات الاسرائيلية عن كافة الاراضي العربية التي احتلتها في معـارك يونيو ١٩٦٧ وذلك كشرط اساسي لاحلال السلام في المنطقة ، بل وهددت باعادة النظر في سياستها تجاه اسرائيل اذا لم تنسحب . وفي هذا الخصوص رحبت اليابان باتفاقيتي فصل القوات المتحاربة بين مصر واسرائيل من جانب ، وسوريا واسرائيل من

جانب اخر . كما قررت في يناير ١٩٧٤ تقديم مبلغ ٢،٥٣٠،٠٠٠ دولار مساهمة منها في تمويل عمليات قوات الطوارىء الدولية ، ثم قررت في اغسطس ١٩٧٤ تقديم مساهمة اضافية قدرها ٢،١٤٥،٠٠٠ دولار .

الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره : وهذا ما تضمنه البند الرابع من البيان المشار اليه آنفا . ومما يذكر ان مناقشات جرت في لجنة الشئون الخارجية بالبرلمان الياباني في ٢٠ فبراير ١٩٧٤ حول موقف اليابان من منظمة التحرير الفلسطينية وذكر بعض الاعضاء — مثل أشينو ، وكاواكامي — انه ينبغي على الحكومة ان تتبنى موقفا اكثر ايجابية من هذه المنظمة خاصة وان قرارات القمة العربي في الجزائر في نوفمبر ١٩٧٣، ومؤتمر القمة الاسلامي في فبراير ١٩٧٤ قد تضمنت الاعتراف بها كممثل للشعب الفلسطيني ... الا أن تاناكا ، رئيس الوزراء ، تساءل عن كيفية تمثيل المنظمة لشعب فلسطين مع العلم بأن عدد أعضائها يتراوح بين ٣٠ و٥٠ الفا ، بينما يصل عدد اللاجئين الفلسطينيين الى ثلاثة ملايين .

وعلى اية حال ، فلقد اعترفت اليابان — ضمنيا — بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني وذلك من خلال موافقتها على قرار الجمعية العامة رقم ٣٢١٠ . وفي كلمة امام الجمعية العامة بتاريخ ١٨ نوفمبر الماضي ، طالب المندوب الياباني باحترام حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على اساس المساواة مع جيرانه ، ووفق ميثاق الامم المتحدة كشرط حتمي نحو احلال السلام في الشرق الاوسط . الا انه ربط ذلك بتطبيق القرار رقم ١٩٢ الذي اصدرته الجمعية العامة في دورتها العادية الثالثة في ١١ ديسمبر ١٩٧٤ . وهو القرار الذي نص في فقرة ١١ منه على تقرير حق اللاجئين اما في العودة الى ديارهم للراغبين في ذلك واما في الحصول على تعويضات لمن لا يرغب في العودة .

ولم تشأ اليابان ان تتخذ موقف المعارضة او التأييد بالنسبة لقرار الجمعية العامة رقم ٣٢٣٦ . وانما اكتفت بالامتناع عن التصويت . وبرر مندوبها هذا السلوك في حديثه امام الجمعية العامة بتاريخ ٢٢ نوفمبر بأن القرار المذكور لم يراع المبادىء الرئيسية لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي تعتبره الحكومة اليابانية اساس التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . اذ يربط هذا القرار الاخير بين ايجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين وبين عدم تهديد الكيان الاسرائيلي . هذا بينما يقتصر قرار الجمعية العامة على تأكيد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين دون اي ذكر لوضع الكيان الاسرائيلي .. ومهما يكن هذا التبرير الياباني ، فالذي لا شك فيه ان اليابان — تحت تأثير الضغوط الامريكية والصهيونية — لم تصل بعد الى حد الاقتناع الكامل بمبدأ الدولة الديمقراطية العلمانية الذي تتمسك به منظمة التحرير الفلسطينية اعتقادا منها بأن ذلك ينطوي على تهديد الدولة الاسرائيلية . ومن هنا كان سلوكها التصويتي المشار اليه .

اليابان والسعي نحو توسيع نطاق التعاون مع العالم العربي : بعد حرب اكتوبر ، نمت العلاقات اليابانية — العربية بشكل ملحوظ . فقد قام المسئولون اليابانيون في اواخر ١٩٧٣ ، واوائل ١٩٧٤ بزيارات متتابعة للدول العربية . نذكر منها زيارة تاكيو ميكي ، نائب رئيس الوزراء ، وزيارة ناكاسون ، وزير التجارة والصناعة وينتارو كوساكا ، وزير خارجية سابق. وقدم هؤلاء المسئولين — خلال زياراتهم ، عروضا اقتصادية تراوحت — وفق التقديرات غير الرسمية — بين بليونين وثلاثة بلايين دولار . وقد اخذنا العلاقات اليابانية — المصرية كنموذج، نلاحظ كثافة الزيارات المتبادلة على المستوين الرسمي والشعبي ، فمنذ اواخر ١٩٧٣ وحتى الان ، قام اليابانيون بسبع زيارات لمصر اولها زيارة تاكيو ميكي في ديسمبر ١٩٧٣ ، واخرها زيارة توشيو كيمورا ، وزير الخارجية في نوفمبر الماضي ، اما المصريون فقد قاموا بست زيارات لليابان ، اولها زيارة د. محمد عبد القادر حاتم في فبراير الماضي ، واخرها زيارة المهندس سيد مرعي في اكتوبر الماضي . واقترنت هذه الزيارات بابرام اتفاقيات لدعم التعاون المتبادل في شتى المجالات . فاثناء زيارة د. حاتم وعد المسئولون اليابانيون بتقديم قرض قيمته ١٤٠ مليون دولار لتمويل المرحلة الاولى لمشروع تعميق وتوسيع قناة السويس ، كما عرضوا تقديم قرض اخر قيمته ١٠٠ مليون دولار بفائدة ٣،٥٪ ، على

ان يستخدم نصفه في انجاز احد المشروعسات الصناعية ، والنصف الاخسر في شراء سلسع استهلاكية .

السرأي العسام الياباني والسياسة اليابانيسة الجديدة : رحبت غالبية الشعب الياباني بالتغسير الذي طرأ على سياسة اليابان تجاه نزاع الشرق الاوسط ، وأبدت انتقادها لعدم الاهتمام الذي ميز مسلك الحكومة قبل حرب اكتوبر . وهذا ما اكدته دراسة لاستطلاع الرأي العام قامت بها صحيفسة السانكي شيمبون بالتعاون مسع مكتب الجامعسة العربية في طوكيو بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ على عينية مكونة من ١٠٠ شخص . ويوضح الجدول الاتي نتائج الدراسة .

السـؤال	الاجـابة ٪		
	نعم	لا	لا أعلـم
١ ــ هل تعتقد أن الحكومة كانت مهتمة بمشكلات الشرق الاوسط قبل حرب اكتوبر	٩	٧٥	١٦
٢ ــ هل ترحب بالتغيير الجديد في سياسة اليابان تجاه الشرق الاوسط	٧٢*	١٩	٩
٣ ــ هل تظن ان اليابان يجب ان تدعم علاقتهـا بالدول العربية من خلال التعاون الاقتصـادي والفني ، أم من خلال أساليب اخرى .	٧٥	١٤	١١

* رحب ٢٠٪ بالتغيير لتحقيق المصالح القوميـة ،أما الباقون ــ ونسبتهم ٥٢٪ ، فقد رحبوا به على أساس ان الظروف الدولية تقتضيه .

وهكذا اظهر التحليل السابق أمريـن : أولهما أن سلاح البترول العربي كان العامل الحسـاسم وراء التحول الايجابي في موقف اليابان من ازمـة الشرق الاوسط ، وهو تحول يعد رصيدا ضخمـا للقضية العربية يجب ان نحافظ عليـه وندعمه ، وثانيهما ان العرب لديهم مقدرات قوة متنوعة ان أحسنوا استخدامها ، أضحى بامكانهم ان يؤثروا في سلوك الدول الاخرى بما يتفق مع مصالحهـم القومية .

كمال المنوفي

حرف « القدس » المطبعي :
اقتراح فلسطيني من اليابان

هذه الحروف هي التصاميم لحرف مطبعي عربي جديد . سميته « القدس » لانه مبني على الخطوط العربية الموروثة ، القديمة ، الجميلة (كالقدس الحبيبة) وفي نفس الوقت صممته بحيث يفي بمتطلبات العصر الحديث والطباعة الحديثة — اذن المستقبل (القدس المحررة) .

هذا ما حاولت عمله ، وبما ان الحرف المطبعي العربي قد أثار بما فيه الكفاية من الجدل والمؤثرات والمشاريع « لحل » مشاكله فلن أزيد الطين بلة ولن أدعي ان هذا هو الخط المثالي : بل هو خط بسيط حديث عملي للاستعمال اليومي في كتب الاطفال ولمحو الامية .

الخطوط العربية الموروثة كثيرة وتختلف كثيرا عن بعضها البعض في شكل الاحرف (كمثال ، فكر بشكل الكاف بخطوط الثلث والنسخ والرقعة) . في خط « القدس » حاولت ايجاد جوهر الحرف كما تداوله وكتبه العرب وكما وصلنا اليوم : الشكل المتوسط بين الاشكال المختلفة . وفي بداية هذا المشروع قبل ١٢ سنة طلبت من مئات من اطفال الصف الاول الابتدائي كتابة جملة تحوي جميع أحرف العربية بمواقعها المختلفة . وجدت أن الاطفال حلوا المشكلة بأنفسهم : الكاف تتربع والواو تتدور بشكل جميل بسيط . اذن يمكن استعمال الحرف المطبعي الجديد لطباعة كتب الاطفال ولتعليم القراءة والكتابة — قبيل تعليمهم خط الرقعة الذي يتطلب « مسكة وريشة واناء حبر » والذي يصعب على تلاميذ الصفوف الابتدائية .

الطباعة بلاء وتحد نزل على خطوط العالم كافة . الخط يعني الخط اليدوي الذي يكتبه الخطاط . تاريخ الخط العربي كثيف وغني ، تطور من الخطوط السامية القديمة الى الخط الكوفي الاصلي الذي كتبت به مصاحف صدر الاسلام(١) وعبورا بخط الثلث في القرن العاشر م. الذي وضع قوانينه ابن قتيبة (ويقال أنه بنى مقاييس الاحرف في دائرة قطرها طول الالف) . ومع الانحطاط العثماني زاد الحرف زركشة وتم ابتكار خط الرقعة للمراسيم الحكومية الروتينية . وفي القرن الماضي كانت مشكلة المطبعة العربية هي تقليد الحرف المخطط باليد حتى انهم كانوا يفتخرون بأن الكتاب المطبوع يبدو للناس وكأنه كتب باليد ! وكان عدد الاحرف في الصناديق المطبعية يتعدى المئات . أما الان فقد تطور الحرف المطبعي العربي ولم يعد عدد الاحرف المطبعية من المشاكل الاساسية . المشكلة كما أراها هي في نوع الحرف وتصميمه . لم ينتبه الا القلائل الى الانحدار المخيف في مستوى وشكل الحرف المطبعي العربي الذي نقرأه كل يوم في الكتب والجرائد ومطبوعا على العلب والقوارير وكافة المصنوعات العربية . انه حرف كادت نقاطه ان تختفي . الاحرف تموج وتلتصق ببعضها بأي طريقة كانت . كثافة جسم الحرف تكبر وتقل دون ضابط . المحاولات في تحسين الاحرف المطبعية المتداولة غير شاملة وتقتصر على حرف دون حرف . ولعل الخوف من اعتراضات فقهاء الخط هو من أهم العوامل لبقائنا في هذا المستنقع المطبعي . العامل الثاني هو الاهمال والجهل .

في حرف « القدس » النقاط مدورة وكبيرة لتسهيل القراءة ولان النقطة المربعة لها زوايا تبدو مشوشة عندما تطبع على ورق غير مصقول كورق الجرائد (بالمناسبة كانت النقاط مدورة على خط الثلث المكتوب في القرن العاشر) . كثافة جسم الحرف متساوية قدر الامكان فأنا لا اريد تقليد الخط المكتوب بالبوصة (استقلال الحرف المطبعي عن الحرف المكتوب باليد ظاهرة عالمية في الاحرف الحديثة نجدها حتى في الحرف الياباني(٢)) وحاولت أن أصمم الاحرف بحيث ان تكون المسافة بين الاحرف وبين خطوطها ونقاطها كافية للقراءة المريحة .

لتسهيل مهمة العامل المطبعي الذي يصف الاحرف ، صممت ذيلا موحدا للباء والتاء والثاء

والفاء النهائية بحيث نوفر ٣ احرف فـي الصندوق المطبعي . وذيل آخر للعين والغين والحاء والجيم والخاء النهائية مما يوفر ٦ أحـــرف اضافية . (أنظر الشـكل) . وجدت هذه الفكرة مطبوعة في كتيب نشر في استنبول قبل أن يتفضل اتاتورك فيحل مشكلة الحرف العربي بلغيه واستبداله بالحرف اللاتيني . وأظن ان مشاريع توحيد الحرف العربي او استعمال الحرف اللاتيني غـــير ناجحة لعدة أسباب أحدها ان ذلـــك يحطم شـكـل الكلمـــة وسلاستها : لقد أثبتت التجـــارب العلمية ان القارىء يعي الكلمة او الجملة بنظرة واحدة ولا يحلل كل حرف بحرفه — وبطبيعة الحال نجد لكل كلمة عربية مكتوبة شكلا مميزا يختلف عن الكلمة الثانية دون ان تكون أحرف الكلمة الواحدة مبعثرة. وهذه ميزة تسهل القراءة .

لم اتطرق لمسألة التشكيل وتوضع الحركات لحرف « القدس » بالطرق المطبعية العادية .

أرجو ان يســـد حرف « القدس »(٣) بأحجامه المختلفة الحاجة لحرف مطبعي عربي حـــديث(٤). والمطلوب من الجيل القادم ان يتذوق الطباعـــة الجيدة المتقنة عامة والحـــرف المطبعي خاصة . وأرجو أن يتفرغ بعض الشباب لدراسة فن تصميم الاحرف المطبعية لسبك أحرف جديدة تليق بآمالنا وبتراثنا .

---

١ — ليس بالخط الكوفي المزركش الذي نقش على المساجد الفاطمية . أتيحت لي الفرصة في لندن سنة ١٩٦١ لعمل دراسة شاملة لمصحف من القرن الثامن م. والهمني خطـــه ذو البساطة المتناهية مع الروعة ، بل الرهبة ، في جماله وفي تركيب أحرفه .

٢ — انظر كتاب «Typography» by Eric Gill وهو للنحات والخطاط الانكليزي « جيل » الذي صمم الحرف الشهير المسمـــى باسمه . ومن الجدير بالذكر ان أحرف مبسطة جديدة ظهرت زمن الثورة الروسية وابان جمهورية ويمار في المانيا في مدرسة الباوهاوس .

٣ — على الصفحـــة التالية عينـــة من الحرف المقترح .

٤ — من الافضل ان لا يستعمل هذا الحرف كما هو الان لصف الكتب اذ ان ذلك يتطلب تصميما خاصا لحرف ذي حجم صغير (بنط ١٢ أو أصغر).

فلاديمير فائق تماري

ابتة ث جحخ

د ذ ر ز سس ش

ش صص ضض

طظ عع غغفق

ق كك لل لا مم

ن هـه ويي ي

أئؤء

٠٩٨٧٦٥٤٣٢١

مناقشات

ملاحظات على مقالة غازي الخليلي

لا شك انه عمل تاريخي ذلك العدد من « شؤون فلسطينية » ، الذي صدر في مطلع هذا العام ، بما ضمه من مقالات ودراسات ، تناولت قضيتنا الوطنية خلال السنوات العشر الماضية ، من مختلف الزوايا .

ولا أستطيع الزعم انني انتهيت من قراءة كل مقالات هذا العدد ، وان بدأت بمقال الاخ غازي الخليلي عن « صحافة المقاومة في عشر سنوات » . الذي أمتعني وأفادني في الوقت نفسه . على ان ما لفت نظري في المقال المذكور ان الكاتب تجاهل صحف المقاومة التي تصدر — سرا — في الارض المحتلة ، ولا زال بعضها يصدر حتى اليوم . وهي بالتحديد :

١ — **المقاومة** : التي صدر العدد الاول منها في أول آب (أغسطس) ١٩٦٧ ، في قطاع غزة ، عن الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة ، وظلت تصدر اسبوعيا حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ ، وان احتجبت خلال تلك المدة لفترات متقطعة محدودة ، في اعقاب كل ضربة يوجهها الاحتلال الاسرائيلي لجسم الجبهة .

و « **الجبهة الوطنية المتحدة** » تحالف ضم الحزب الشيوعي وحزب البعث وجبهة تحرير فلسطين (ج. ت. ف.) وبعض المستقلين . وسبق لشؤون فلسطينية ان نشرت مقالا لكاتب هذه السطور عن هذه الصحيفة السرية ، في العدد ١٢ منها .

١ — **الجماهير** : وصدر العدد الاول منها في أول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، عن « طلائع المقاومة الشعبية » في قطاع غزة ، وهي المنظمة التي تشكلت بعد نحو خمسة أشهر من الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة ، وضمت حركة القوميين العرب في القطاع ومؤآزريهم . وكانت اسبوعية بالطبع ، وانقطعت لاسابيع قليلة بعد الثاني والعشرين من كانون الاول (يناير) ١٩٦٨ ، لتعاود الصدور من جديد . وان كنت لا ادري تاريخ انقطاعها النهائي .

٢ — **الوطن** : وهي نشرة نصف شهرية ، سرية ، أصدرتها « جبهة القوى الوطنية في الضفة الغربية » غداة الاحتلال الاسرائيلي للضفة ، وظلت تصدر حتى ١٩٧٢ ، وان أصبح الحزب الشيوعي ، منذ ١٩٦٩ ، هو مصدرها .

٣ — **فلسطين** : وهي التي صدرت عن «الجبهة الوطنية الفلسطينية » في اوائل ١٩٧٤ ، واعتقد في اول اذار (مارس) .

ولا أدري ما السبب الذي حدا بالاخ الكاتب الى تجاهل هذه الصحف المقاتلة ، هل هو الجهل بها ام التجاهل المؤسس على تجاهل واستصغار شأن المقاومة في الداخل ؟!

اكرر تهنئتي بالعدد التاريخي ، وتحيتي للاخ غازي على المواضيع الكفاحية التي يتناولها .

عبد القادر ياسين

ملاحظات على مقالة د. خيرية قاسمية

أود قبل كل شيء أن أثني على العدد الممتاز ٤١/٤٢ من المجلة ، وان كنت آمل لاسباب متعددة ان تكون صفحاتها أكثر انفتاحا على التيارات الوطنية الفلسطينية المختلفة .

سوف أقتصر رسالتي هذه على ما جاء في دراسة الدكتورة خيرية قاسمية « تأريخ حركة النضال الفلسطيني خلال فترة الانتداب » ، تلك الدراسة التي تنطلق في جوهرها من السؤال التي تطرحه في السياق « ترى ما هي المحاولات العربية الجادة في السنوات العشر الماضية لتسجيل تاريخ حركة النضال الفلسطيني في فترة الانتداب استنادا الى المصادر التاريخية الاولية ؟ »

اني اتفق مع الدكتورة خيرية ، وهي الباحثة القديرة، في معظم ما جاء في دراستها المشار اليها، الا اني أختلف معها في بعض النقاط التي وجدت من واجبي تبيانها تعميما للفائدة ، ووضعا للامور في نصابها . الملاحظة الاولى تتعلق بتقسيمها للاتجاهات الثلاثة في تسجيل تاريخ حركة النضال الفلسطيني : الحيادي والاعتذاري والانتقادي التحليلي . واعتقد مخلصا ان التوفيق جانب الدكتورة الجليلة عندما وصفت كتابي « تاريخ فلسطين الحديث » ضمن الاتجاه الاول على الرغم من قولها « الكتاب بمجموعه تصوير للصراع السياسي الذي خاضه الفلسطينيون منذ أواخر القرن الماضي وحتى ١٩٣٩ بأسلوب علمي رصين وبشجاعة وتجرد وموضوعية في معالجة مراحل الصراع » ، وعلى الرغم من قولها انه « يترك الاراء والتقييمات والاحكام الى صفحات الكتاب الاخيرة التي تحدد بنظرة عميقة مكثفة المفاهيم والخطوط العامة التي ألف الكتاب بقصد ابرازها».

وغني عن البيان ان في أقوالها تلك ما يؤكد علمية الاسلوب ووطنية الهدف . ولعل ما جاء في مراجعة الاستاذ ناجي علوش لكتابي (مجلة شؤون فلسطينية (العدد٢) ايار ١٩٧١) يزيد الامر وضوحا « ان الدكتور كيالي باعتماده على وثائق السلطات البريطانية او الحركة الصهيونية وعلى الصحف قد استطاع بما بذل من جهد ان يعرفنا بالكثير من غوامض تاريخنا ، وان يقدم لنا براهين واثباتات على ما كنا نصل اليه بالاستنتاج » .

أيكون ذلك حيادا أم موضوعية وهي موضوعية هادفة تخدم تبيان الحقيقة الناصعة لنضال شعبنا البطل بالدليل التاريخي الصحيح لا بالاستنتاج وحسب . ألا ترى معي الدكتورة خيرية أهمية دحض الادعاءات الصهيونية والرد على محاولات العدو المحمومة لتزييف تاريخنا وذلك بأسلوب علمي حاسم وتبيان المحتوى القومي الانساني والجوانب الاجتماعية والاقتصادية العامة لهذا النضال دون اللجوء الى الاسلوب التدريسي والى القوالب الجامدة والاحكام المسبقة . أين هو الحياد في سد هذا النقص الخطير بالنسبة لنا وللعالم . من هنا اقول ان التوفيق قد جانب الزميلة الفاضلة خصوصا وانها لا تجهل مواقعي داخل صفوف العمل الوطني الفلسطيني .

وفي مجال تعداد مصادر دراستي تقول الدكتورة انني ارتكزت « ارتكازا اساسيا على وثائق الحكومة البريطانية السرية بثقة زائدة رغم استعانته بمواد ارشيفية اخرى كالوثائق الصهيونية السرية والمصادر العربية المتوفرة » . وهنا لا بد من الملاحظة بأنه كان على المؤرخة المجتهدة ان تشير الى أن دراستي هي الاولى من نوعها من حيث استفادتها الكاملة من فتح الارشيف السري البريطاني والى أنني لم استخدم هذا الارشيف بثقة زائدة لانني رجعت الى كل المصادر الاولية المتاحة حيث انني كنت أول من جمع وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (انظر وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ — ١٩٣٩ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨) وكنت من الذين انكبوا على مراجعة الجرائد العربية وهذا ما اشار اليه الاستاذ ناجي علوش في مقاله المشار اليه اذ قال « ان كتاب الدكتور كيالي يهدي الباحثين الى كنز من المعلومات بعودته الى عدد من الصحف الفلسطينية والعربية وخاصة جريدة الكرمل . ان هذا المصدر لم تجر الاستفادة منه حتى كتابة هذا الكتاب » .

والملاحظة الاخيرة تتعلق بتصنيف كتاب الاخ ناجي علوش من ضمن كتب التأريخ . انني شخصيا من الذين يقدرون للاخ ناجي نشاطه واجتهاداته ومن

المتفقين معه في الكثير من وجهات النظر والاهداف الا انني اعتقد انه لا يوافق على اطلاق لقب مؤرخ عليه وكتابته ليست كتابة تاريخية بالمعنى المتعارف عليه بل هي ، وهذا لا يضيرها في شيء ، كتابات سياسية تستخدم بعض الاحداث التاريخية لاغراض محددة .

د. عبد الوهاب الكيالي

ملاحظات على تقرير سهيل الناطور

كنت آمل من المشرفين على اختيار المقالات والدراسات التي تنشر في « شؤون فلسطينية » اهتماما أكبر لتقصي حقيقة ما يقدم لهم من أبحاث ومقالات ، خاصة اذا كان هذا الموضوع يتعلق بنشاط مرتبط بـ م.ت.ف وممثليها في احدى الدول . ان التقرير الذي نشر بالعدد ٤٣ تحت عنوان « لجان دعم فلسطين في سويسرة » مليء بالمغالطات المقصودة وغير المقصودة . جزء منها يدل على عدم معرفة الكاتب س. ن بالوضع في سويسرا ، والجزء الاخر بعدم موضوعية الكاتب الذي يمثل احدى المنظمات الفلسطينية التي يسميها بـ « الفريق اليساري » .

ولذلك أرى من الواجب توضيح بعض النقاط :

١) يقول الكاتب بأن لجان فلسطين شكلت منذ ثلاث سنوات فقط . هذا غير صحيح فلجان فلسطين انشئت في الاشهر الاولى بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . وقامت بدور فعال لشرح أبعاد القضية الفلسطينية في سويسرا . وقد أصدرت منذ ذلك الوقت حتى الان عددا لا بأس به من النشرات الدورية والكتيبات باللغات الفرنسية والالمانية . وقامت اللجان عام ١٩٧٠ بتصوير فيلم عن الثورة الفلسطينية « بلادي » يعتبر من أنجح الافلام التي عملت عن القضية ، وحاز هذا الفلم على جائزة مهرجان لوجارنو بنفس العام .

٢ — اعضاء لجان فلسطين هم طبعا يمثلون مختلف الاتجاهات اليسارية في سويسرا ، وشرط العضوية هو الالتزام ببرنامج اللجنة السياسي . ان الحديث عن سيطرة مجموعة سويسرية او أكثر في اللجان ادعاء غير صحيح . طبعا الاعضاء المنظمون في مجموعة سياسية لهم نشاط اكثر من الافراد العاديين . وهذا وضع طبيعي . ان هناك خلطا في المقال بين مواقف هذه المجموعات السياسية في أدبياتها الحزبية وبين نشرات وكتب اللجان التي تلتزم ببرنامج اللجنة وموقف م.ت.ف الرسمي .

٣ — يذكر الكاتب أن اجتماعا تم بشهر سبتمبر ١٩٧٤ لكل اللجان في مدينة برن لتوحيد المنهج والبرنامج . ان هذا الاجتماع كان مهما ، ولكنه أحد الاجتماعات التنسيقية التي تتم بين حين وآخر بين اللجان المختلفة . وأذكر أنه حال استلامي لمهامي كممثل لـ م.ت.ف في سويسرا عام ١٩٧١ تمت أول مبادرة من م.ت.ف لوضع استراتيجية لعمل اللجان في اوروبا بشكل عام وسويسرا بشكل خاص . وقد تم عقد مؤتمر لممثلي لجان فلسطين في شهر ديسمبر ١٩٧١ في برن حضره ٢٥ (خمسة وعشرون) شخصا يمثلون مختلف لجان دعم فلسطين في فرنسا ، والمانيا الاتحادية ، هولندا ، بلجيكا وسويسرا .

أذكر هنا مبادرة اخرى قامت بها م.ت.ف وهي دعوة ممثلي لجان فلسطين في اوروبا الى مؤتمر تم عقده في بيروت في شهر ابريل ١٩٧٣ وقد مثلت في هذا المؤتمر سويسرا بستة أشخاص مثلوا مختلف اللجان . وقد تم بهذا المؤتمر وضع برنامج سياسي وبرنامج عمل ملزم للجان في اوروبا . وأذكر أيضا ان مركز الابحاث الفلسطيني قام باستقبال أعضاء المؤتمر شارحا لهم أهدافه وعارضا عليهم تزويدهم بالمعلومات والدراسات اللازمة لتسهيل مهامهم . فأين غياب استراتيجية العمل الفلسطيني في سويسرا ؟ !

٤) لفت انتباهي في هذه المقالة استعمال عبارة « لاول مرة » مما يعطي الانطباع بأن ما يتم الان من نشاط في سويسرا يحصل « لاول مرة » بعد زيارة الاخ س. ن (سهيل ناطور) الى سويسرا. ان فلم « بالروح بالدم » الذي يذكره الكاتب موجود لدى ممثل م.ت.ف في سويسرا منذ عام ١٩٧٢ وتم عرضه في مختلف المناطق السويسرية عديد من المرات حتى أصبحت النسخة الموجودة شبه غير صالحة للاستعمال . وقد قامت لجنة لوزان بتقديم هذا الفلم الى مهرجان نيون / لوزان في اواخر عام ١٩٧٢ . ان حضور محاضر من مركز الابحاث الفلسطيني (بصفته الشخصية) الى سويسرا تم لاول مرة ، وبناء على موافقة ممثل م. ت.ف وطلب رسمي منه الى السلطات السويسرية لمنحه سمة الدخول ، وقد تم هذا . وكذلك وبناء على طلب ممثل م.ت.ف في سويسرا من المسؤولة المالية للجنة جنيف تمت التغطية المالية لتكاليف السفر والاقامة للمحاضر . وأود هنا ذكر عددا من الاسماء لمحاضرين تمت دعوتهم الى سويسرا بالتنسيق بين لجان فلسطين وممثل م.ت.ف لالقاء محاضرات عامة أو عمل مقابلات اذاعية او تلفزيونية : جبران مجدلاني ، كلوفيس مقصود ، الكاتب المصري محمد سيد احمد ، مونترون ، البير بول لانتان ، جلبير سوري ، سامي مسلم (باحث فلسطيني مقيم في المانيا) ، محمود حسين ، عز الدين القلق (ممثل م.ت.ف في فرنسا) سهيل ناطور وغيرهم .

ان التعرض الذي تم لشخصي (بأسلوب اللمز والغمز) في نهاية المقال له تفسيره أيضا. وهو أنني هنا أمثل م.ت.ف حسب ميثاقها القومي وبرنامجها السياسي وتعليمات اللجنة التنفيذية والدائرة المختصة وهي الدائرة السياسية . ولذلك وقفت ضد محاولة « الفصيل اليساري » الذي يذكره الكاتب وينتمي اليه لجعل لجان فلسطين أداة ومنبر لهذا الفريق الفلسطيني او ذاك . وللاسف كان لكاتب المقال سهيل ناطور (س.ن) دور أساسي في الانقسام الذي حصل في لجنتي فلسطين في جنيف ولوزان بدعم من « الفريق اليساري » الذي ذكره في مقالته . انا ما زلنا نعاني من هذا الانقسام حتى الان .

انني لا أدعي أن العمل الفلسطيني في سويسرا وصل الكمال . ولكن تطوير العمل وتحسينه لا يتم بالعرض اللاموضوعي وغير الدقيق الذي قام به كاتب المقال .

داود بركات

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

ذكرى الكرامة

لم تكن الكرامة ، التي مرت ذكراها السابعة في الشهر الماضي ، بوقائعها العسكرية فحسب ، ولا بالنصر المباشر الذي ترتب على هذه الوقائع على عظمة النصر وجلاله ، وانما هي في الدرجة الاولى مثلت مختبرا لكل اطروحات المقاومة وصدق تنظيراتها . فالنصر الذي تحقق ، على الرغم من انه كان نصرا باهظ التكاليف ، او لانه كان نصرا باهظ التكاليف ، صنع من الكرامة رائز الفرضية الثورية الفلسطينية ، واوصل هذه الفرضية من خلال الممارسة التجريبية الى مستوى النظرية بل المسلمة . ان اللبنة الاولى التي بنت عليها حركة المقاومة بنيانها الثوري هي ان عنصر الحسم في حرب الفقراء ، حرب الجماهير في مواجهة آلة الحرب المتفوقة المتطورة المنيعة ، هو العنصر البشري ، الانسان المسلح بارادة القتال حتى أسنانه . فبكل مقاييس موازين القوى العسكرية كان لا بد ان تكون الكرامة « حماقة فلسطينية » او مغامرة غير محسوبة المعطيات والنتائج لولا هذه اللبنة الاولى . فعلى جانب كانت القوات الاسرائيلية التي انتصرت قبل أشهر قليلة انتصارا نادرا في التاريخ على عدد من الجيوش العربية ، وعلى هذا الجانب كان التفوق العسكري المشبع من أخمص القدم حتى قمة الرأس بجميع الوسائل التكنولوجية وآلات الدمار المتوفرة لدى جيش « لا يقهر » . وعلى جانب آخر كان مئة وبضع عشرات بأسلحتهم الفردية (كثير منها كان صدئا جمع بعد ان اسقطته الجيوش التي حاربت في حزيران) يتصدون لآلة الحرب المتفوقة ، بارادة القتال وبارادة النصر . وعلى الرغم من ان هاتين الارادتين غير قابلتين لان توضعا في مختبر المقاييس الكمية او العددية فقد مثلت الكرامة هذا المختبر الذي جعل من « الحماقة » نصرا هو الاول من نوعه منذ عقود ، وكان هذا النصر المشهود البرهان العلني الاول الذي تقدمه حركة المقاومة الفلسطينية على فعالية حرب الشعب ومقدرتها على مواجهة التفوق الذي يتمتع به الخصم . كما كان الاثبات التجريبي الاكثر مصداقية للفكرة التي روجت لها الثورة الفلسطينية حتى قبل البدء بعملها العسكري وهي ان تأجيل الصدام مع العدو الى ان يستكمل الجانب العربي قوته المتكافئة مع قوة العدو سواء تأتى هذا التكافؤ من مصدر الوحدة أم من مصدر البناء العسكري ، انما هو وهم وركض خلف سراب ، ما دام تفوق العدو لا ينبع من مقدرته الذاتية المحضة وانما هو تفوق من خلال ارتباطه العضوي بالمعسكر الامبريالي المعني بالمحافظة على الوجود الاسرائيلي في المنطقة قوة تهديدية واستنزافية هائلة قادرة على ان تكون القاعدة الامامية لهذا المعسكر بكل امكاناته وقدراته . وبذلك فان « سباق التكافؤ » كان وسيظل محكوما بالفشل لمصلحة الجانب الاسرائيلي ما لم تجر معادلته ثم التفوق عليه بمخزون الطاقة البشرية التي اثبتت تاريخيا ومن خلال ثورات الشعوب ونضالاتها التحررية ، انها المعادل الموضوعي لطغيان القوة المادية (العسكرية وغيرها) المتوفرة لدى المعسكر الامبريالي . غير ان تفجير هذا المخزون البشري ، الذي راهنت الثورة الفلسطينية عليه ، كان يتطلب وضعه مباشرة في قلب التحدي واثارة حوافزه لا بالخطب الذباعية والتنظيرات ، وانما من خلال مواجهات

صدامية تكسر الجليد الذي يغلف هذا المخزون ويجعله في تماس يومي مباشر مع ساحة الصدام بحيث تستقطب هذه المواجهات الصدامية العناصر الاكثر حركية بين الجماهير ، التي تكون بدورها أكثر فعلا وتأثيرا في جسم المخزون فتدب فيه الحياة. وكان لا بد لهذه الصدامية ان تحقق نصرا يقنع الجماهير بصحة منطلقاتها ، نصرا يلهب مخزون الطاقة ويمنحها الثقة بقدراتها ، فكان نصر الكرامة الذي ابتدأت به مرحلة جديدة من النضال الجماهيري كان معلمها الرئيسي صدق نظرية حرب الشعب وممارستها فعلا .

المعركة في تل ابيب

في السادس من آذار الماضي هاجمت مجموعة انتحارية من فتح فندق سافوي في تل ابيب، وكان حصيلة الهجوم سقوط عدد كبير من الاسرائيليين وبعض نزلاء الفندق وسقط سبعة شهداء من المجموعة وأسر الثامن . وكان من بين القتلى الاسرائيليين في هذه العملية الكولونيل عسوزي يائيري الذي وصفته صحيفة « جيروساليم بوست » الاسرائيلية (٣/١٣) بأنه « واحد من أبرز ضباط الجيش الاسرائيلي خبرة وشجاعة وقدرة » وذكرت انه « اشترك في غالبية العمليات التي قام بها الجيش الاسرائيلي خارج الحدود ضد الفدائيين الفلسطينيين منذ العام ١٩٦٧ » . وقد ذكرت صحيفة « الفجر » العربية (٣/١٤) التي تصدر في القدس « ان يائيري قاد العملية الاسرائيلية التي جرت في ١٠ نيسان ١٩٧٣ في بيروت واستشهد فيها القادة الفلسطينيون الثلاثة كمال ناصر وابو يوسف وكمال عدوان » . وبجانب هذا الانجاز تعتبر عملية سافوي من أكفأ العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون في عمق الارض المحتلة لجهة اختيار الهدف (تل ابيب) ووسيلة الوصول اليه اذ نقلتهم قوارب مطاطية من سفينة في عمق البحر الى الساحل الفلسطيني . وكفاءة العملية جعلت اذاعة اسرائيل (٣/٨) تعترف بأنه « اتضح نتيجة التحقيقات ان المجموعة [الفدائية] كانت مدربة جيدا » .

غير ان المدلول السياسي لهذه العملية يظل ذا اهمية خاصة . فقد تم التنفيذ عشية وصول كيسنجر الى المنطقة لاجراء جولة جديدة من المحادثات تستهدف ايجاد تسوية ما تشير جميع التحليلات الى انها ستكون منافية لمصلحة الشعب الفلسطيني وعلى حسابه . فبالاضافة الى ان العملية هي جزء من النضال الفلسطيني المسلح المستديم ضد العدو الا انها بنتائجها المباشرة وتوقيتها تعتبر تذكيرا بوجود العنصر الفلسطيني طرفا أساسيا في الصراع ، وبقدرة هذا العنصر على التأثير في مجرى الاحداث بل تحويل هذا المجرى ان لم يكن متماشيا مع مصلحة الشعب الفلسطيني وكان يتنافى مع مصلحة قضيته . وتدرك اسرائيل هذه الحقيقة التي عبر عنها الجنرال موردخاي غور ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، اثناء جولة تفقدية قام بها يوم ١٣ آذار على الجبهتين المصرية والسورية، بقوله «ان آلافا من الفلسطينيين المدربين في سوريا تواجههم الان اسرائيل وهم يشكلون القوة الضاربة الاولى التي قد تنزلها سوريا أو أي قوة عربية أخرى الى الميدان لتحقيق اهداف مختلفة بينها تفجير اتفاق قد يحصل بيننا وبين المصريين . وهؤلاء يمكنهم ان يفعلوا ذلك اما عن طريق ضرب مواقع عسكرية اسرائيلية او حتى مواقع مدنية كما يمكنهم ان يتحركوا من دون ان تكون لذلك علاقة باتفاق مصري – اسرائيلي ». وبغض النظر عن هذا الايحاء الذي تقصده رئيس الاركان الاسرائيلي باخضاعه الارادة الفلسطينية لـ « أي قوة عربية اخرى » فان التأثير الفلسطيني في الحسم أصبح حقيقة مسلما بها ولا يمكن تجاهلها .

المقاومة والتحالفات العربية

منذ حرب تشرين الاول كان التصور الذي ساد هو ان نتائج الحرب الايجابية وضعت الصراع العربي – الاسرائيلي في مرحلة جديدة ستجد فيها اسرائيل نفسها ، بفعل تأثيرات الحرب المحلية والدولية ، مضطرة الى الانسحاب من بعض الاراضي العربية : الفلسطينية والسورية والمصرية. واذا كان مصير الاراضي المصرية والسورية معروفا: عودتها الى الدولة صاحبة السيادة ، فان النضال التحريري المسلح والسياسي الذي خاضته حركة المقاومة خلال سنوات عدة سبقت الحرب الاخيرة وضعها وجها لوجه امام مسؤولياتها تجاه الاراضي الفلسطينية فبدأت نضالها السياسي لتثبيت حقها في التصرف بمصير هذه الاراضي وتقرير مستقبلها ،

وهو الامر الذي اصطلحت عليه منظمة التحرير الفلسطينية في برنامجها المرحلي الاخير باقامة السلطة الوطنية على الارض الفلسطينية المحررة . وحول هذا المحور تحديدا بنت منظمة التحرير تحالفاتها العربية ووطدت علاقاتها مع مصر وسوريا باعتبارهما الشريكين المعنيين أكثر من سواهما بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية . التحالف اذن من وجهة نظر المقاومة يخدم غرضا معينا هو تمكينها من تحقيق برنامجها المرحلي باقامة سلطتها الوطنية على الارض الفلسطينية التي سوف تجبر اسرائيل على الجلاء عنها ، ولكن ضمن شرط أكثر اتساعا هو عدم التفريط بالحق العربي بكامل التراب الفلسطيني ودون التنازل عن واجب الاستمرار في النضال لنيل هذا الحق كاملا . والا غدون التمسك بهذا الشرط يغدو تعبير «استعادة حقوق الشعب الفلسطيني» تعبيرا أجوف خاليا من المضمون العملي .

وعلى الرغم من ان هدف التحالف كان واضحا من جانب المقاومة فان الموقف المصري العملي — بغض النظر عن التأكيدات العلنية المخالفة لذلك — كان يثير أكثر من علامة تساؤل حول التزامه بأهداف هذا التحالف . وكان بيان الاسكندرية الذي صدر عن محادثات الملك حسين والرئيس السادات والذي نزع عن منظمة التحرير شمولية تمثيلها للشعب الفلسطيني وفوض الملك بتمثيل جزء من الشعب بالاضافة الى اضاءة اشارة خضراء امامه لاستعادة دوره بالنسبة لفلسطين الوسطى ، كان هذا البيان سببا في مأزم مرت به العلاقات الفلسطينية — المصرية ومظهرا من مظاهر عدم الالتزام بالهدف الذي كان من أجله التحالف الفلسطيني — المصري . واذا كانت حركة المقاومة قد استطاعت تجاوز هذا المأزم في مؤتمر الرباط بتأكيد حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني وحقها في تقرير مصير الارض الفلسطينية ، فانه يبدو منطقيا ان يكون ذلك التجاوز مؤقتا في ظل اختلاف الاهداف المرحلية والوسائل الكفيلة بانجازها .

يظهر هذا الاختلاف جليا في ان الجهد المصري منصب الان على تأمين انسحاب اسرائيلي من جبهة سيناء . فمع ان الرئيس السادات أعلن عشية جولة كيسنجر قبل الاخيرة (في شباط الماضي) انه « اذا استطاع كيسنجر ان يأتي بموافقة اسرائيل المبدئية على امكان انسحابها من الجولان والضفة الغربية مع تحديد موعد لبدء محادثات في هذا الشأن ، فان مصر ستكون مستعدة لمحادثات حول انسحاب اسرائيل من جبهة سيناء » (حديث لـ « التايمز » نشرته « الاهرام » ٢/١١) ، مع هذا الاعلان ، ومع ان كيسنجر لم يأت بهذه الموافقة المبدئية كما اشارت الى ذلك نتائج جولته تلك ، فقد كانت محادثات تلك الجولة منصبة اساسا على موضوع الانسحاب من سيناء ، كما ان الانسحاب من فلسطين الوسطى لم يكن ضمن جدول المباحثات . فقد نقلت وكالة « يونايتد برس » (٢/١٠) عن مصادر دبلوماسية في القاهرة تفاصيل المقترحات التي سيثيرها الجانب المصري في محادثاته مع كيسنجر وأبرز ما في هذه المقترحات : « ١ — ان يرافق الاتفاق حول سيناء او يتبعه مباشرة اتفاق مشابه حول الجولان . وسيصر الرئيس السادات في محادثاته مع كيسنجر على ان تنسحب القوات الاسرائيلية مسافة تشمل على الاقل المرتفعات المطلة مباشرة على القنيطرة السورية . ٢ — تريد مصر ان تنسحب القوات الاسرائيلية من حقول النفط في ابو رديس ومن ممري ميتلا وجدي ولكنها ترفض ان تعلن رسميا انهاء حالة العداء مع اسرائيل . ٣ — مصر مستعدة لتقديم دلائل عن نياتها السلمية في مقابل الانسحاب الاسرائيلي . فهي اولا ستعيد فتح قناة السويس للملاحة الدولية وهي ثانيا ستسمح للسفن غير الاسرائيلية الآتية من اسرائيل والذاهبة اليها بالمرور في القناة . أما السفن الاسرائيلية فلن يسمح به من قبل تحقيق التسوية الشاملة . ٤ — مصر مستعدة لخفض قواتها في بعض المناطق من سيناء ولتجريد المناطق التي تنسحب منها اسرائيل من السلاح . كما انها مستعدة لوضع ممري جدي وميتلا باشراف قوات الطوارىء الدولية وضمن منطقة عازلة بين الخطين المصري والاسرائيلي » .

لم تكن المقاومة لتعارض مثل هذا الانسحاب فوفق تصريح السيد فاروق قدومي ، رئيس الدائرة السياسية في المنظمة لـ « النهار » (٢/١٣) « اننا مع تحرير كل شبر عربي ونؤيد انسحاب اسرائيل من أي جزء من الاجزاء العربية المحتلة ، على الا يكون في مقابل ذلك ثمن سياسي او اخلال

بمقررات الرباط التي ترفض الحل الجزئي وتؤكد ضرورة تحرير الاراضي العربية واقامة السلطة الوطنية الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية » . غير ان معطيات المرحلة تشير الى ان الهدف من تحرك كيسنجر وسياسة الخطوة — خطوة التي يتبعها مقصود بها مصر دون غيرها بالقامها مكسبا اقليميا يتيح لاميركا واسرائيل كذلك امتصاص ايجابيات حرب تشرين واطالة أجل الاحتلال . وأكثر من ذلك فان الثمن الذي يمكن ان تناله اسرائيل مقابل انسحابها من بعض الاراضي المصرية وهو انهاء مصر لحالة الحرب معها سواء أكان هذا الانهاء من خلال تعهد معلن او ممارسة فعلية ، سيجعل اسرائيل قادرة على الانفراد ببقية الجبهات في وضع أكثر قدرة على المساومة وفرض الشروط . ولا يخفي المسؤولون الاسرائيليون مثل هذا الاتجاه في سياستهم الرسمية المعلنة ، ففي تصريح ادلى به اسحق رابين ، رئيس الوزراء الاسرائيلي ، للاذاعة الاسرائيلية (٢/٢٣) قال « انني اؤمن بأن المشكلة الاساسية هي التوصل الى تفاهم بين اسرائيل والدول العربية ، او على الاقل دولة عربية واحدة ... ومن دون تبديل في مواقف الدول العربية ، او دولة عربية واحدة على الاقل ، تجاه اسرائيل لا يمكن ان يطرأ أي تحول ... ولدى هذه الحكومة في كل ما يتعلق بالتسوية المصرية — الاسرائيلية تفويض كامل لاتخاذ أي قرار تؤمن الحكومة بأنه يقرب السلام » .

تزداد هذه القناعة رسوخا من خلال الاطلال على العلاقة المصرية — الاميركية النامية باستمرار، فاميركه التي صنفت تاريخيا بأنها العدو رقم واحد لحركة الجماهير العربية التحررية ونضالها الاجتماعي بدأت تلقى في مصر معاملة الدولة « الاكثر رعاية » ، وما « العزيز هنري » الا الترميز الاكثر كثافة لهذه العلاقات المادية النامية باستمرار . وخلال اسبوع واحد من الفترة التي تغطيها هذه الشهريات ، برزت ثلاثة احداث ذات مدلول خاص تشير الى منحى تطور العلاقات المصرية — الاميركية . فقد ذكرت وكالة انباء الشرق الاوسط (٢/٩) ان هوارد كلارك ، رئيس مجلس ادارة اميركان اكسبرس الذي كان يزور القاهرة آنذاك وقع اتفاقا لانشاء شركة مشتركة بين شركته والمؤسسة المصرية العامة للسياحة والفنادق يبلغ رأسمالها اربعة ملايين دولار مناصفة بين الجانبين. وفي ٢/١١ ذكرت « الاهرام » ان وفدا اميركيا من رؤساء مجالس ادارة ٢٥ شركة عالمية سيصل القاهرة لاجراء محادثات في مجالات التخطيط والصناعة والنقل والتجارة والمواصلات ، حول المشروعات المشتركة التي يمكن تنفيذها في مصر . وفي ٢/١٣ وقع كيسنجر في القاهرة مع اسماعيل فهمي ، وزير خارجية مصر ، اتفاقية التعاون الاقتصادي بين مصر والولايات المتحدة التي تقدم اميركه بمقتضاها قرضا قيمته ٨٠ مليون دولار الى مصر لتمويل الواردات من المعدات الزراعية والصناعية وقطع الغيار والسلع الاساسية والخدمات الضرورية المتعلقة بتنشيط وتوسيع الطاقة الانتاجية للاقتصاد المصري ، وسيتم سداد القرض على ٤٠ عاما مع عشر سنوات سماح بفائدة قدرها ٢٪ سنويا خلال فترة السماح و٣٪ بعد ذلك (الاهرام ٢/١٤) .

هذه المواقف المصرية وطبيعة العلاقات تثير بلا شك نوعا من الارتياب حول تماثل الخطين الفلسطيني والمصري . وقد عبرت « فلسطين الثورة » المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية (٢/٢٣) عن هذه الشكوك عندما أعلن الرئيس السادات للواشنطن بوست انه « مستعد للموافقة على تدويل القدس بكل قطاعاتها كحل بديل لقيام سيادة عربية على القدس العربية وحدها » (الاهرام ٢/١٨) فكتبت المجلة : « بأي حق يطالب عربي مسؤول ان تدول مدينة القدس ؟... لقد قلنا منذ البداية ان المخطط الامبريالي التصفوي يستهدف فلسطين وشعب فلسطين ، ودعاة التدويل يسيرون في هذا المخطط ... والمسألة باختصار شديد ان هناك صفقة أعدها كيسنجر ثمنها وطن الشعب الفلسطيني وثمنها القدس . فمقابل كل قطعة ارض تعود من سيناء يجب ان يدفع ثمنها الشعب الفلسطيني من وطنه ومن حقوقه ومن قدسه وقدس كل العرب . فليس من قبيل المصادفة ان يتحدث « مسؤول عربي كبير » عن موافقته على تدويل القدس ، بينما كيسنجر يضع مع رئيسه فورد اللمسات النهائية على التسوية الجزئية في سيناء.. ان ما يعتبرونه خطوة عسكرية هو تسوية جزئية تقترن باعلان انهاء حالة الحرب بين مصر والعدو

الصهيوني . وليس المهم هنا هذا الضباب الكثيف الذي يغطي التسوية الجزئية المنفردة بل المهم القيود الجديدة التي يضعها المساومون في يد القوة العربية لمنعها من القتال لتحرير فلسطين ».

بمثل هذه الخلفية يبدو ان افتعال توتر في العلاقات المصرية ــ الفلسطينية أمر قابل للتفسير ، خاصة اذا جاء هذا الامر من الجانب المصري قبيل الزيارة الاخيرة التي قام بها كيسنجر للمنطقة . وكان بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي وجهته الى الامة العربية في ٢/٢٦ المبرر لهذا التوتر . فقد حمل البيان على اميركه والحركة الصهيونية اللتين « تضاعفان من نشاطهما المكثف وتآمرهما الاجرامي لتجريد العرب من أسلحة قدرتهم ومقدرتهم التي فجرت معركة تشرين المجيدة وحققت منجزاتها وذلك بمحاولة محمومة لضرب التضامن العربي وتمزيق وحدة العمل العربي المشترك وتفتيت الوحدة القتالية العربية التي جسدتها معركة تشرين بين قوى المواجهة العربية الرئيسية ، ممثلة في مصر وسوريا والثورة الفلسطينية ، وتجزئة القضية العربية وذلك عن طريق مشروعات ومبادرات اميركية مشبوهة يعبر عنها كيسنجر بسياسة الخطوة خطوة التي تستهدف بالاضافة الى كل ما تقدم تجميد الصراع مع العدو وفك عزلته الدولية ، واعطاء الغزوة الصهيونية فرصة جديدة لتدعيم وجودها ، وتثبيت اغتصابها للارض العربية ، وتجميد دور بعض قوى التصادم العربي بهدف اخراجها من الصراع في محاولة لفرض التسوية الاميركية على المنطقة وتصفية قضية فلسطين » . وأكدت اللجنة في بيانها « ان كافة مشاريع التسوية الاميركية التي تتجسد بالحل الجزئي المنفرد انما تستهدف مقايضة جزء من الارض العربية المحتلة بالقضية القومية كلها وضرب الثورة الفلسطينية والالتفاف على اهداف النضال الفلسطيني وطعن حركة التحرر العربي خطوة بعد خطوة » .

وفي اليوم التالي الذي اذيع فيه البيان اوردت وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية ان « السيد اسماعيل فهمي ، وزير الخارجية ، استقبل السيدين سعيد كمال مساعد رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية وربحي عوض ممثل فتح في القاهرة بعد عودتهما من بيروت . وقد نقلا الى الوزير قرار اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بارسال وفد منها الى القاهرة لمقابلة الرئيس السادات ووزير الخارجية . وحيث انه صدر من اللجنة التنفيذية البيان الذي وجهته الى الامة العربية حول التحرك المصري ، فبعد عرض طلب اللجنة التنفيذية على الرئيس قرر سيادته عدم استقبال الوفد المشار اليه وطلب حضور اللجنة التنفيذية بكامل هيئتها الى القاهرة اذا ارادت اجراء حوار في أي موضوع يتعلق بالقضية الفلسطينية والتحرك الفلسطيني ــ المصري » .

كان القرار المصري قاسيا وكان واضحا من ردة الفعل المصرية السريعة ومن الحملات التعبوية التي قامت بها الصحف المصرية ضد المنظمة ان الموقف المصري كان ينتظر سنوح هذه الفرصة التي جاء توقيتها مع تحرك كيسنجر الجديد و«التفاؤل» المصري الذي ارتبط بامكانية تحقيق تسوية جزئية على الجبهة المصرية ، لفتح معركة استباقية تضع المنظمة في موقف دفاعي في محاولة لالجامها عن « التمادي » في انتقادها للتحرك الاميركي ــ المصري .

أعلنت المنظمة ردها على هذا الموقف المصري بتصريح ادلى به السيد فاروق قدومي (٢/٢٧) قال فيه « نحن اذ نعلن اسفنا لهذا القرار فاننا كنا نتمنى على الرئيس السادات ان يتروى قبل اتخاذ قرار خطير مثل هذا حتى لا تتاح الفرصة لمخططات التآمر الاميركية والاسرائيلية ان تجد مكانها بين الاشقاء . ويبدو ان الاجواء السائدة الان غير ملائمة لاجراء مثل هذا الحوار مع الاشقاء في مصر ، لذلك تقرر تأجيل اجراء مثل هذا الحوار حتى يوجد المناخ الصحي لاجرائه » .

مع هذا الموقف الفلسطيني فان الاتصالات بين الطرفين لم تنقطع على الرغم من تصلب الموقف المصري وقد كتبت الاهرام (٣/٢) ان مبعوثا خاصا طار من القاهرة الى بيروت يحمل تفاصيل اجتماع فهمي مع سعيد كمال وربحي عوض . وفي هذا الاجتماع لخص فهمي وجهة نظر مصر كما يلي : « ١ ــ ان الموقف يتطلب ارتفاع كافة الاطراف المعنية الى مستوى المسؤولية لمواجهة خطورة ودقة المرحلة . ٢ ــ ان مصر ليست في حاجة الى ان

تؤكد على صحة منطلقاتها وهي ترفض أية عمليات للتشكيك في التزاماتها الوطنية والعربية . ٣ — ان مصر ترفض البيان الاخير للجنة التنفيذية ، وهي ترى انها ليست في حاجة الى ان تؤكد حرصها الكامل على كافة الحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين ، وان تؤكد ايضا دعمها الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية في كافة المحافل الدولية والعربية . ٤ — ان مصر تحذر قيادة المقاومة من ان تستخدم « كمخلب قط » بتنفيذ مخططات تستهدف ضرب العلاقة بين القاهرة ومنظمة التحرير . ٥ — ان مصر ترى ان الرؤية الصحيحة للامور تتطلب حضور كل قيادة منظمة التحرير الى القاهرة للاجتماع بالرئيس السادات واسماعيل فهمي » . على ان الموقف المصري تجاه منظمة التحرير سيزداد تحديدا وسيتخذ له قالبا واضح المعالم بعد انتهاء جولة المحادثات التي بدأها كيسنجر في ٨ آذار الماضي وما تسفر عنه هذه المحادثات على الجبهة المصرية .

غير ان التطور المهم في هذا الشأن والذي سيكون له نتائجه المثيرة والمؤثرة على الموقف الفلسطيني تجاه نتائج التسوية الجزئية واحتمالاتها على الجبهة المصرية اعلان الرئيس السوري حافظ الاسد يوم ٣/٨ عن استعداده « حتى لاقامة قيادة سياسية سورية — فلسطينية واحدة وقيادة عسكرية سورية — فلسطينية واحدة ، اذا كان ذلك يتجاوب مع متطلبات النضال الفلسطيني ويعزز الكفاح الفلسطيني والدعوة الوطنية الفلسطينية . وبطبيعة الحال فان ما يعزز الكفاح الفلسطيني يعزز ايضا التضامن العربي » . وقد جاءت هذه الدعوة لتشير بوضوح الى التقاء الموقفين السوري والفلسطيني تجاه ما يتعلق بالتسوية الجزئية على الجبهة المصرية ولاقامة تحالف ثنائي يسعى الى الوقوف في وجه هذه التسوية . وقد كان الرد الفلسطيني المباشر على هذه الدعوة ما أعلنه السيد ياسر عرفات من « ان الشعب الفلسطيني وثواره وقيادته الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية ترحب ترحيبا حارا بدعوة الرئيس الاسد الى تشكيل قيادة عسكرية سياسية سورية — فلسطينية لتعزيز الموقف العربي الواحد من أجل التحرير والعودة » . غير انه حتى كتابة هذه الشهريات لم يكن قد تبلور بعد أي اجراء عملي لوضع هذه الدعوة موضع التنفيذ .

الوضع في لبنان

جميع المحاولات التي استهدفت نسخ التجربة الاردنية في تعريب تصفية المقاومة ونقل التجربة الى لبنان كانت دائما تصطدم بخصوصية الوضع اللبناني المبني على نمط خاص من التوازنات الاجتماعية الذي كان يكبح القوى الانعزالية المعادية لحركة المقاومة من تنفيذ نقل التجربة . يضاف الى ذلك جملة عوامل اخرى بعضها يتعلق بحركة المقاومة نفسها التي استفادت من الدروس الاردنية ، وبعضها يختص بالحركة الوطنية اللبنانية التي تشكل أحد دروع حركة المقاومة في لبنان ، وبعضها الثالث له علاقة بالاوضاع العربية وسوريا على وجه التخصيص التي كانت تجربتها باقفال الحدود مع لبنان في ايار ١٩٧٣ عامل ردع مناسب أمام أي مغامرة جديدة تستهدف الوجود الفلسطيني في لبنان . وعلى الرغم من فشل المحاولات السابقة الا ان القوى الانعزالية لا تفتأ لدى كل مناسبة عن تجربة حظها ان لم يكن بهدف ضرب المقاومة فعلى الاقل بالتعبئة ضدها . وكان المثل الاخير الاحداث اللبنانية الداخلية التي ابتدأت بتظاهرة صيدا في ٢٦ شباط الماضي . لقد كانت التظاهرة والاحداث التي لحقتها شأنا لبنانيا بحتا بدأ عندما تظاهر صيادو الاسماك في صيدا ضد امتياز كان قد منح لشركة بروتيين لصيد السمك في السواحل اللبنانية . وكان واضحا للصيادين ان هذا الامتياز الاحتكاري سيكون مضرا بمصالحهم فحددوا مطالبهم بالغاء امتياز الشركة الاحتكارية . غير ان الاحداث تتالت عندما أصيب المناضل الشعبي معروف سعد المعروف بمواقفه المؤيدة للمقاومة الفلسطينية ، برصاص توجه الاتهام بعده الى عناصر مدسوسة بمحاولة اغتياله لخلق اضطراب داخلي يستهدف الحركة التقدمية في لبنان والمقاومة الفلسطينية نفسها . وبتأزم الموقف اعطيت تعليمات للجيش باحتلال صيدا فهمت منه الحركة الوطنية انه موجه لها خاصة عندما فتح الجيش النيران على المتظاهرين . أما بالنسبة لحركة المقاومة فقد كانت حريصة على الا تنجر الى صراع مكشوف مهما كانت نتائجه فهو سيلهيها عن توجيه انتباهها الكامل الى تطورات القضية الفلسطينية خاصة

وقد جاءت الاحداث في لبنان متزامنة مع جولة كيسنجر في المنطقة ، ومع هذا الحرص الذي وصل ذروته في تدخل المقاومة وسيطا بين الجيش والمتظاهرين في صيدا لتهدئة الاوضاع بسحب الجيش منها ، فقد وجدت القوى الانعزالية فرصتها في التعبئة غير المباشرة ضد المقاومة بما تروجه عن وجود « سلطتين » و « دولتين » على الارض اللبنانية . غير ان مصلحة المقاومة كانت تفرض عليها ان تضبط اعصابها رغم خسارتها الكبيرة باستشهاد معروف سعد الذي توفي متأثرا بجراحه في ٦ آذار والذي خسرت فيه المقاومة رفيق نضال وواحدا من الرعيل الاول الذي كان له شرف الكفاح ضد الحركة الصهيونية قبل ١٩٤٨ ، وتمكنت حركة المقاومة رغم هذا الجرح من تفويت الفرصة باستفزازها وجرها الى المصادمة ، رغم انها اثناء الازمة ظلت وفية للبنان فكانت بوجودها نفسه سببا في وقف النزف الدموي الذي تعرضت له صيدا .

الاردن

تشير الانباء الواردة من الاردن الى ان ثمة ما يسميه الفلسطينيون هناك بـ « أيلول سياسي » موجه ضد المواطنين الفلسطينيين يستهدف الضغط عليهم والتمييز ضدهم بأمورهم الحياتية . وقد بدأ هذا « الايلول » بعد مؤتمر قمة الرباط مباشرة وحذرت منه اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي صدر عنها بيان ذكرت فيه انها درست « المعلومات المتوافرة عن الوضع الراهن في الاردن وخاصة ما يتعلق منها بالمشاريع التي يتم الاعلان عنها او اشاعتها والتي تحاول المساس بالهوية الوطنية لشعبنا الفلسطيني وحقوقه والضغط على مصالحه المعيشية وتكريس سياسة التمييز الاقليمي البغيضة ضده ... ان نشر مثل هذه المشاريع يهدف كذلك الى زرع روح انعدام الثقة وتمزيق اواصر الاخوة والتضامن بين الشعبين الشقيقين الفلسطيني والاردني . لقد أكدت قرارات قمة الرباط والالتزامات التي ترافقت معها أمام مجموع الملوك والرؤساء العرب والاوضاع التي اتفق على الحفاظ عليها في الجلسات السرية والخاصة على عدم المساس بالاوضاع الفلسطينية بأي وجه من الوجوه حتى يتم تحرير الارض واقامة السلطة الوطنية » (وفا ٧٤/١١/٢٤) .

وردا على اجراءات التضييق هذه صرح مصدر مسؤول في المنظمة بأن « منظمة التحرير الفلسطينية على استعداد كامل لتحمل مسؤولياتها تجاه جميع الفلسطينيين في الضفة الغربية والفلسطينيين المقيمين في الاردن ، على ان يتم تحويل المبالغ التي قررها مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم في ايلول ١٩٦٧ ، بالاضافة الى المبالغ التي قررها مؤخرا مؤتمر القمة العربي في الرباط ، لحساب منظمة التحرير الفلسطينية بدلا من الاردن الذي يتقاضى هذه المساعدات للقيام بالالتزامات تجاه مواطنينا في الضفة الغربية وشرق الاردن » (وفا ١٢/٧) .

غير ان هذه الاوضاع غير الطبيعية كان يؤمل ان يوضع لها حد في الاجتماع الرباعي الذي عقد في القاهرة يومي ٤ و٥ كانون الثاني الماضي والذي ضم وفودا رئسها وزراء خارجية كل من مصر وسوريا والاردن ورئيس الدائرة السياسية في المنظمة . وكان المجلس المركزي للمنظمة قد اتخذ قرارا في اجتماعه يوم ٧٤/١٢/١٤ بـ « أهمية المؤتمر الرباعي في اقرب وقت ممكن حتى يتمكن من وضع مقررات الرباط موضع التنفيذ بما ينسجم تماما مع المحافظة على جميع الحقوق المكتسبة للشعب الفلسطيني في شرقي الاردن دون ان يؤثر ذلك على القرارات السياسية لمنظمة التحرير وعلى اعتبار ان هذه القرارات تكف يد الملك حسين عن الشعب الفلسطيني » (وفاه ١٢/١) .

قدم رئيس الوفد الفلسطيني السيد فاروق قدومي الى المؤتمر مشروعا لتنفيذ مقررات الرباط نص على ما يلي : « ١ — استمرار التسهيلات والالتزامات من قبل الحكومة الاردنية تجاه شعبنا في المناطق المحتلة وعدم المس بالحقوق المكتسبة للفلسطينيين في الاردن ، مثل حق العمل والجنسية والتنقل . ٢ — تأليف لجان ثنائية بين المنظمة وكل من مصر وسوريا والاردن لتنظيم العلاقات والجهود التي تكفل تنفيذ قرارات الرباط في جميع الميادين ومختلف المجالات والاصعدة . ٣ — تدعيم مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ودوائرها في الاردن بما يكفل تنفيذ قرارات الرباط ودعم صمود شعبنا ودوره النضالي في الوطن المحتل . ٤ — دعم المنظمة في نضالها على الصعيد الدولي لتنفيذ قراري الامم المتحدة رقم ٧٤١ و ٧٤٢ اللذين صدرا

في الدورة الاخيرة . ٥ ـ العمل على توحيد وتنسيق القوى الاربع عسكريا وحشد جميع الامكانات العربية المادية والعسكرية والسياسية والنفطية ، في خدمة المعركة والتحرير . ٦ ـ الاتفاق على ان تكون الاجتماعات دورية رباعية وثنائية وكلما اقتضت الظروف ذلك .

غير ان المؤتمر (كما ذكرت وفا ١/٥) لم يصل الى اتخاذ اية خطوات اساسية على طريق تنفيذ مقررات الرباط وقد عمد الوفد الاردني منذ بداية الاجتماع الى تجنب المواضيع الاساسية . وعلى الرغم من ذلك فقد صدر بيان عن المؤتمر (١/٥) جاء فيه « تأكيدا للالتزام بالنقاط الخمس الواردة في القرار الثالث لمؤتمر القمة العربي السابع ثم الاتفاق على اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذها عن طريق تنظيم اجتماعات ثنائية بين المنظمةوالحكومات الاردنية والمصرية والسورية ، وكذلك تنظيم اجتماعات دورية بين قوى المواجهة يدعو اليها الامين العام [للجامعة العربية] وتعقد في القاهرة ودمشق وعمان ، وذلك لمعالجة القضايا المشتركة. وتم الاتفاق على اتخاذ الخطوات الايجابية والامتناع عن اتخاذ اجراءات او الادلاء بتصريحات لا تساعد على تطوير العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية والمملكة الاردنية الهاشمية . وقد اخذ المجتمعون علما باجراءات الحكومة الاردنية من اجل اعطاء قرار مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط معناه ومضمونه مع المحافظة على الحقوق المكتسبة للفلسطينيين ، فضلا عن الالتزامات تجاه المناطق الفلسطينية المحتلة » . غير ان هذا البيان بصيغته العامة كان يخفي فشل المؤتمر وقد اكد الاخ ابو عمار ذلك في تصريح ادلى به لصحيفة « لوموند » قال فيه « لم يتم تسوية اية مشكلة اساسية خلال الاجتماع الرباعي ... ولقد ارسينا فقط المشاورات الثنائية والرباعية التي نأمل ان تتيح تنفيذ قرارات مؤتمر الرباط عمليا » . وقال ان لديه انطباعا اليما « بأن الملك حسين لم يتخل بالرغم من ظواهر الامور عن طموحه في التحدث باسم الفلسطينيين ، ولكننا لن نوافق على الاطلاق بأن تحل حكومة عمان ولو مؤقتا او جزئيا محل منظمة التحرير الفلسطينية التي اعترف بها ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني » .

ع.س.

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

بالنسبة للتطورات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية تتسلط الاضواء في الفترة الحالية بشكل كامل على المفاوضات التي يجريها كيسينجر حاليا عبر تنقله بين عدد من البلدان العربية واسرائيل من أجل التوصل الى اتفاقية جديدة « لفصل القوات » في جبهة سيناء . وقد جاءت جولة كيسينجر هذه على اثر سلسلة من التحركات والمواقف من جانب عدد من الاطراف المعنية بالنزاع في الشرق الاوسط شكلت الخلفية السياسية الدولية للمهمة الحالية للوزير الامريكي . ويمكننا تلخيص أهم عناصر هذه الخلفية بالنقاط التالية :

(١) الخطاب الهام الذي ألقاه ليونيد بريجنيف في منتصف شهر شباط والذي حدد فيه بوضوح موقف الاتحاد السوفياتي من مساعي كيسينجر الحالية وفكرة التسوية « الجزئية المنفردة » على جبهة سيناء . وقد أكد بريجنيف الامور التالية في خطابه : (أ) ان الوضع في الشرق الاوسط ما زال ينذر بخطر الانفجار وهو سيبقى على هذه الحال ما دامت اسرائيل تحتل أراض عربية وتمنع بذلك تحقيق السلام العادل في المنطقة . (ب) ان الانسحابات الجزئية من أية أراض عربية محتلة هي اجراءات مفيدة اذا جاءت كخطوات ترمي الى تحقيق التسوية السلمية العاجلة واذا لم تستغل كذريعة لتجميد الوضع في الشرق الاوسط واضعاف وحدة الدول العربية وابعاد احتمالات تحقيق التسوية السلمية . (ج) ان الاجراءات الجزئية الشبيهة باجراءات فصل القوات التي جرت عقب حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ليست الا وسيلة من

وسائل التخدير من أجل جعل الشعوب العربية تخلد للهدوء وتنسى مطالبها في ازالة آثار العدوان تماما . وقد أثبتت التجربة ان مثل هذه الاجراءات لم تخفف من حدة التوتر في المنطقة ولم تمنح الهدوء لشعوبها . كما انها لم تقلص سباق التسلح الجاري في بلدانها . لذلك شدد بريجنيف انه ليس بالامكان استبدال التسوية السلمية الحقيقية بأي شيء آخر كما ان اطالة أمد حلولها غير مسموح به . (د) ان الاتحاد السوفياتي يدعو بحزم الى الاستئناف العاجل لاعمال مؤتمر جنيف للسلام ، على أن يرتفع فيه صوت ممثلي الشعب الفلسطيني فيه على قدم المساواة مع الاصوات الاخرى المشتركة في المؤتمر .

(٢) الاجتماع الذي انعقد بين كيسينجر وغروميكو في جنيف في منتصف شهر شباط حيث بحث الوزيران مشكلة الشرق الاوسط بالاضافة الى قضايا مرتبطة بالعلاقات الثنائية بين البلدين . وقد ذكرت المصادر المطلعة ان محادثات الوزيرين تطرقت الى موضوع امكان استئناف مؤتمر جنيف للسلام في المستقبل القريب وتمهيد الطريق امام اجتماع القمة الامريكي السوفياتي الذي سينعقد في الصيف المقبل . وذكرت هذه المصادر أيضا أن أجواء الاجتماع لم تكن مرتاحة تماما بسبب الموقف المتشدد الذي أعلنه بريجنيف حول جهود كيسينجر في الشرق الاوسط ، هذا بالاضافة الى قيام موسكو الغاء الاتفاقية التجارية التي كان من المفترض ابرامها بين البلدين . وقد صدر بيان مشترك عن الاجتماع اتصف بطابع تقليدي جدا جاء فيه « بأن الجانبين يعتقدان بأن مؤتمر جنيف ينبغي ان يقوم بدور مهم في تحقيق السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط كما ينبغي ان يستأنف اعماله في وقت مبكر » . وواضح ان الاشارة الى استئناف أعمال مؤتمر جنيف صيغت بصورة توفيقية تعكس الخلاف المعروف حول هذه المسألة بين الموقفين السوفياتي والامريكي . كذلك أشار البيان الى أن الوزيرين أوليا الوضع في الشرق الاوسط اهتماما خاصا في محادثتهما وانهما أكدا عزمهما على بذل كل جهد للوصول الى حل قضايا السلام في المنطقة وفقا لقرار مجلس الامن ٣٣٨ « آخذين في الاعتبار المصالح المشروعة لجميع شعوب المنطقة بما فيها الشعب الفلسطيني واحترام حق الوجود المستقل لكل دول المنطقة » .

(٣) الانباء التي ترددت حول التفاهم الذي جرى بين كيسنجر وشاه ايران خلال الاجتماع الذي عقداه في بداية النصف الثاني من شهر شباط الذي اشتمل على تعهد قدمه الشاه بتزويد اسرائيل بالنفط اذا أعادت حقول ابو رديس النفطية الى مصر . وبهذه المناسبة صرح الشاه بأن بلاده لن تشارك في أي حظر قد يفرض على شحن النفط اذا اندلع القتال في الشرق الاوسط في المستقبل .

(٤) الانباء التي ترددت عن مصادر امريكية رفيعة حول قيام المراجع الامريكية بدراسة اقتراح تقدم به الرئيس السادات ينص على ان تضمن الولايات المتحدة أمن اسرائيل من خلال عقد معاهدة دفاعية بين البلدين مقابل انسحاب اسرائيل من المناطق العربية المحتلة . ولم تستبعد وزارة الخارجية الامريكية احتمال عقد مثل هذه المعاهدة الدفاعية مع اسرائيل . وصرح ناطق بلسان هذه الوزارة قائلا بأنه « سيتم النظر في هذا الموضوع في الوقت المناسب » .

(٥) التصريحات التي أدلى بها الرئيس السادات في بداية النصف الثاني من شهر شباط وذلك لصحيفة « الواشنطن بوست » حيث ذكر النقاط الهامة التالية : (أ) انه بالامكان تحقيق تقدم نحو السلام اذا قامت الولايات المتحدة بدور الضامن بين مصر واسرائيل . (ب) ان مصر لن تهاجم اسرائيل ما دام البحث عن السلام مستمرا . (ج) ان الدكتور كيسينجر هو أفضل وسيط بين الجانبين العربي والاسرائيلي وهو القادر على اخماد فتيل الوضع الحالي الخطر في المنطقة . لذلك يجب ازالة حدة الخطر قبل الذهاب الى مؤتمر جنيف لان انعقاد المؤتمر على أساس الوضع الحالي سيؤدي الى فشله . (د) ان مصر مستعدة لقبول تدويل مدينة القدس بكاملها . وقد كرر اسماعيل فهمي فيما بعد هذه الدعوة الى تدويل المدينة المقدسة بقوله ان « هذه الوسيلة هي الوسيلة الوحيدة لتسوية مشكلة القدس » . وجدير بالذكر ان بعض اجهزة الاعلام المصرية ذهبت الى أبعد من ذلك بقولها انه اذا كان العرب يقبلون مقررات الامم المتحدة كأساس للتسوية في المنطقة فعليهم أيضا أن يقبلوا بتدويل القدس لان القرارات المذكورة

تنص على ذلك . وأضافت هذه الاجهزة قائلة بأنه « اذا كانت منظمة التحرير لا تقبل بهذه القرارات فلماذا وافق رئيسها ياسر عرفات على الذهاب الى هيئة الامم والتحدث فيها ؟ » وقد رفضت قيادة منظمة التحرير بصورة رسمية هذه الدعوة الجديدة لتدويل المدينة المقدسة .

(٦) التصريحات التي أدلى بها جوزيف سيسكو حول منظمة التحرير حيث قال بأن بلاده لا يمكن ان تميل الى اجراء مفاوضات مع المنظمة ما دامت الاخيرة لا تعترف بوجود دولة اسرائيل وما دام لا يوجد اي دليل يشير الى أن المنظمة عازمة على تغيير موقفها هذا في المستقبل المرئي. وبالنسبة لاشتراك منظمة التحرير في اعمال مؤتمر جينيف أكد سيسكو مجددا الموقف الامريكي القائل بأن مسألة اشتراك أعضاء آخرين في المؤتمر متروكة لاعضاء المؤتمر أنفسهم .

(٧) الانزعاج السوري الشديد من انجاز تسوية جزئية منفردة على جبهة سيناء . وبهذا الصدد فقد ترددت انباء موثوقة تقول بأن كيسينجر لم يقدم « شيئا ملموسا » يمكن أن تقبل به سوريا خلال محادثاته مع الرئيس الاسد اثناء جولته الاستطلاعية السابقة . كما انه لم يتقدم بأية ضمانات جدية حول استئناف أعمال مؤتمر جينيف في المستقبل القريب . ان كل ما تقدم به من اقتراحات لم يتعد حدوث انسحاب اسرائيلي مرحلي محدود بدون أن يشمل جميع الاراضي المحتلة وانعقاد مؤتمر جينيف في وقت ما بدون مشاركة منظمة التحرير مع ربط حدوث أي انسحاب اسرائيلي جديد على جبهة الجولان بموافقة سوريا على ألا تتمسك بضرورة اشتراك المنظمة في مؤتمر جينيف . وقد ذكرت هذه الانباء ان الرئيس الاسد رفض المقترحات الامريكية على الفور لانها منحازة كليا لمصلحة اسرائيل وتعمل على تفتيت الصف العربي كما انها لا تأخذ بعين الاعتبار فلسطين والشعب الفلسطيني ومن شأنها ان تؤدي الى اندلاع الحرب مجددا .

عشية وصول الوزير الامريكي الى مصر للاجتماع بالرئيس السادات في اسوان كانت الانباء الصحفية الصادرة عن مصر تميل الى التفاؤل الشديد حول نجاح كيسينجر في التوصل الى تسوية جزئية جديدة . في مقابل ذلك كانت الانباء الصادرة عن اسرائيل اكثر ميلا الى التحفظ والحذر والتشديد على الصعوبات الكبيرة التي ما زالت تعترض الوصول الى مثل هذه التسوية وعلى الهوة العميقة التي ما زالت تفصل بين الموقفين المصري والاسرائيلي . كانت المصادر الصحفية على الجانب المصري تميل الى القول بأن « اتفاقا مصريا — امريكيا — اسرائيليا مهما جدا سيوقع خلال زيارة كيسينجر المقبلة للمنطقة » . وسيكون لهذا الاتفاق صفة عسكرية وسيتضمن انسحاب اسرائيل من الممرات الاستراتيجية الثلاثة في سيناء ومن حقول النفط في ابو رديس واعادة فتح قناة السويس بالاضافة الى تعهد مصري بعدم القيام بأية عمليات عسكرية خلال السنتين القادمتين . كذلك سيشمل هذا الاتفاق ضمانات تقدمها امريكا لاسرائيل لسد حاجات الاخيرة من النفط بأسعار ثابتة مسبقة ، وتمديد فترة انتداب قوات الطوارىء الدولية من ستة اشهر الى ٢٤ شهرا ، وتعهد من جانب مصر امام الولايات المتحدة بأن لا تبدأ أي حرب أو تنضم الى حرب أثناء فترة هذا الاتفاق ، على ان تعطي اسرائيل للولايات المتحدة تعهدا مماثلا وان يسمح بمرور الشحنات الاسرائيلية على السفن التي لا تحمل العلم الاسرائيلي في قناة السويس . ولن يأتي هذا الاتفاق على أي ذكر واضح لمؤتمر جينيف او لاية مفاوضات مع سوريا .

وعشية وصول كيسينجر الى مصر أيضا أدلى الرئيس السادات بتصريحات هامة الى التلفزيون الاسوجي قال فيها : (أ) ان فرص تحقيق السلام الدائم والعادل في الشرق الاوسط تلوح الان لاول مرة منذ ٢٦ عاما . (ب) بأن المنطقة قد وصلت الان الى احرج مرحلة لانها اما ان تتجه الى السلام الدائم او الى « بدبل خطير جدا » . (ج) ان مصر لا تستطيع انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ما دامت القوات الاسرائيلية تحتل أرضا عربية . (د) ان جهود كيسينجر منذ وقف اطلاق النار كانت ناجحة كما كانت عاملا مهما لان الثقة معدومة بين الطرف العربي والطرف الاسرائيلي وكيسينجر هو الشخص الذي « نثق فيه نحن » ونثق فيه اسرائيل ايضا .

في نهاية الاسبوع الاول من شهر آذار بدأ الوزير الامريكي « جولته الحاسمة » في المنطقة

بعقد محادثات مع الرئيس السادات في اسوان وزيارة كل من دمشق واسرائيل . وما زالت تنقلات كيسينجر مستمرة والتكهنات والانباء الصحفية عنها كثيرة وكثيفة . وحتى لحظة كتابة هذه السطور يمكننا تقسيم جولة كيسينجر الى مرحلتين تفصل بينهما زيارته الى انقره التي قام بها في العاشر من شهر آذار . بعد اجتماعه الاول بالرئيس السادات عقد الوزير مع مضيفه مؤتمرا صحفيا مشتركا جرى فيه التشديد على ان الحكومة الامريكية تعتقد بأن السير خطوة اخرى نحو السلام في الشرق الاوسط قد اصبح ممكنا . وذكر كيسينجر بهذا الصدد بأنه استنادا الى مناقشاته مع السادات اصبح التقدم نحو السلام ممكنا . كما أشار الى ان محادثاته تطرقت الى « وضع سوريا » أيضا . وقد ذكرت الانباء الصحفية الواردة من القاهرة ان الرئيس المصري أكد لمساعديه بأن احتمالات فشل كيسينجر في مسعاه الحالي لا تتعدى ١٠ — ٢٠ بالمئة . كما حددت الصحافة المصرية الموقف الذي ناقش السادات على أساسه بالنقاط التالية :

(أ) ان الانسحاب الاسرائيلي من الممرات وآبار نفط ابو رديس لا تراجع فيه . وان مصر ترى في هذا الانسحاب التزاما امريكيا لان الانسحاب الاول عند الفصل بين القوات بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ارتبط بمرحلة انسحاب اخرى كان لا بد ان تتم في المستقبل القريب ولكنها تأخرت بسبب الاوضاع الداخلية في الولايات المتحدة .

(ب) ان الفصل الاول بين القوات كما ارتبطت به امريكا يؤدي الى الانسحاب الجديد في اطار التسوية الشاملة في المنطقة والانسحاب على كل الجبهات .

(ج) ان الانسحاب على الجبهة السورية سيستكمل الانسحاب الذي سيتم في سيناء ، وان انسحاب القوات الاسرائيلية من الجبهتين يمثل خطوة ضرورية لانعقاد مؤتمر جنيف .

(د) اثارت مصر مرة اخرى موضوع الدعوة التي ابلغتها الولايات المتحدة حول اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر جنيف .

(هـ) ان مصر لن تعلن انهاء حالة الحرب الا عند الوصول الى الحل الشامل والكامل للنزاع في مؤتمر جنيف . والى أن يتم ذلك ستحدد مصر فترة تجديد ولاية قوة الطوارىء الدولية على أساس مدى الانسحاب الاسرائيلي من الجبهتين المصرية والسورية والفترة الزمنية المتوقعة لامكان انعقاد مؤتمر جنيف .

قبل وصول كيسينجر الى دمشق أعلن الرئيس الاسد في خطاب هام استعداد سوريا لانشاء قيادة سياسية وعسكرية سورية — فلسطينية موحدة وذلك لتعزيز الكفاح الفلسطيني وبذل كل جهد لمواجهة « كل مسعى يستهدف طعن التضامن العربي » . وقد رحبت قيادة منظمة التحرير فورا بهذا الاقتراح . كما عقد الرئيس الاسد مؤتمرا صحافيا أمام الوفد الصحفي المرافق للوزير كيسينجر (وذلك قبل اجتماعه بالوزير الامريكي) أكد فيه مجددا الخطوط الرئيسية للموقف السوري في المرحلة الحالية من مساعي التسوية السلمية . ذكر الرئيس السوري : (أ) ان سوريا لن تشترك في مؤتمر جينيف اذا لم يحضره الفلسطينيون . (ب) تحدث بصورة مفصلة عن اقتراحه انشاء القيادة السياسية والعسكرية الموحدة مع منظمة التحرير حيث قال بأن سوريا مستعدة لتنفيذ ذلك الان اذا كان الفلسطينيون على استعداد لذلك . (ج) ان هذه القيادة يمكن ان تتيح الفرصة لتمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جينيف من جهة كما انها قد تمنع سوريا من الذهاب الى المؤتمر من ناحية اخرى « لاننا اما ان نذهب معا او لا نذهب » . (د) ان سوريا ستوافق على اتفاق مؤقت جديد مع اسرائيل اذا اخذ بعين الاعتبار كل الجبهات لان سوريا تقف « ضد الاتفاقات الجزئية المنفردة » . (هـ) أكد ان سوريا على استعداد لانهاء حالة الحرب مع اسرائيل وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الذي ينص على الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي العربية المحتلة وعلى اعادة الحقوق المشروعة للفلسطينيين . (و) أشار الى ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي يستند اليه القرار ٣٣٨ لا يوجد فيه ما يشير الى عقد أية معاهدات سلام مع اسرائيل .

وعند وصول كيسينجر الى دمشق صرح بأنه سيبحث مع الرئيس الاسد في الخطوات التي يمكن تحقيقها في اتجاه احلال السلام في المنطقة وأشار الى أن هذا السلام غير ممكن بدون اشتراك كل

الدول المعنية بالنزاع . وذكرت الاوساط الصحفية المرافقة للوزير الامريكي بأن هدف زيارته لدمشق هو محاولة اقناع القيادة السورية تقبل انسحاب اسرائيلي جديد في سيناء على اساس ان تتضمن اتفاقية هذا الانسحاب اشارة الى وجوب تحقيق انسحاب آخر على جبهة الجولان وتحديد موعد لمؤتمر جينيف .

من دمشق طار كيسينجر الى تل آبيب حيث قرا بيانا قصيرا على الصحافيين في المطار قبل فيه بانه سيبلغ الحكومة الاسرائيلية نتائج مباحثاته في مصر وسوريا . وذكرت الاوساط المطلعة بأن كيسينجر نقل الى رئيس الوزراء الاسرائيلي افكارا ومقترحات مصرية لتدرسها السلطات الاسرائيلية وترد عليها عند زيارته المقبلة لتل ابيب .

مع عودة كيسنجر من أنقره الى تل ابيب بدأت الجولة الثانية من مساعيه وذلك باجتماع عقده مع رابين وبعض اعضاء حكومته . وذكر مسؤولون اسرائيليون عقب المباحثات ان الخلاف مع مصر لا يزال كبيرا وان الافكار المصرية التي نقلها كيسنجر لم تضق شقة الخلاف . أما كيسنجر نفسه فقد صرح وهو في طريقه من تل أبيب الى اسوان ان الطرفين المصري والاسرائيلي جادان في التوصل الى اتفاق حول المرحلة الثانية من فك الارتباط وبعد اجتماع مكثف مع الرئيس السادات استمر ثلاث ساعات أعلن ناطق أمريكي ان الرئيس المصري والوزير الامريكي ما زالا متفائلين حول التوصل الى اتفاق على جبهة سيناء . اما على الجانب المصري فقد اعلن مصدر مسؤول ان هذه الجولة من مساعي كيسنجر تمثل اهم مراحل المباحثات لصياغة عناصر الاتفاق حول المرحلة الثانية من فك الارتباط كما ان هذه الجولة ستتناول مسألة تحديد المواقف بدقة اكبر والتقريب بينها بعد ان اتيحت الفرصة للطرفين المصري والاسرائيلي التعرف على مواقف الطرف الاخر . وحتى كتابة هذه السطور كانت هذه الجولة من مباحثات كيسنجر قد شملت ايضا زيارة اخرى لدمشق ومباحثات مع الملك حسين عاد بعدها الوزير الامريكي الى التنقل مجددا بين اسوان وتل أبيب. وقد صرح الرئيس السادات عقب واحد من الاجتماعات الكثيرة التي عقدها مع كيسنجر قائلا بأن المباحثات قد انتقلت من مرحلة الخطوط العامة الى مرحلة صياغة افكار محددة سيحملها الوسيط الامريكي الى اسرائيل ليعود بالرد عليها فيما بعد. ورفض الرئيس السادات التكهن بأي شيء ابعد من ذلك قبل عودة كيسنجر من تل ابيب باستثناء قوله « انها مفاوضات صعبة » . اما كيسنجر فقد وصف اجتماعه بالسادات بقوله انه كان بناء ومثمرا للغاية . واكد من جانبه ان المباحثات قد انتقلت بالفعل من مرحلة دراسة المبادىء العامة الى مرحلة دراسة الافكار المحددة التي سيحمل « بعضا منها » الى اسرائيل . وذكر الوسيط الامريكي بانه يتوقع ان يحمل معه افكارا اسرائيلية محددة ايضا عندما يعود الى اسوان . كما نفى ان يكون قد قدم « افكارا امريكية » حتى هذه اللحظة . وعلى اثر نقل هذه الافكار المحددة الى الوزارة الاسرائيلية صدرت تصريحات اتصفت بذات التحفظ والحذر الذي اتصفت به التصريحات الاسرائيلية عموما منذ بداية زيارة كيسنجر للمنطقة . فقد اعلن مسؤول كبير في الوفد المرافق لكيسنجر « باننا لن نعرف قبل عشرة ايام اذا كان الاتفاق حول سيناء ممكنا ام لا » . كما اعلن كيسنجر نفسه أن مهمته « قد دخلت الان مرحلة المساومات الشاقة » وانه يعتزم البقاء في المنطقة الى ان يتبين بوضوح ما اذا كان من الممكن التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل ام لا . ورفض الخوض في موضوع ما اذا كانت اسرائيل باقية على اصرارها في الحصول على اعلان بانهاء حالة الحرب من جانب مصر . اما بالنسبة للجانب الاسرائيلي فقد صرح مسؤول كبير في رئاسة الحكومة بأن الاقتراحات المصرية « لا تبدو مرضية » وأن المشاكل الرئيسية لا تزال بدون حل كما أن الوضع لم يتحرك في نقاط عديدة على المستويات العسكرية والسياسية . كما وجه هذا الناطق النقد الى الانباء المتفائلة الصادرة من القاهرة قائلا انها « ليست صحيحة » .

أما في دمشق حيث قابل كيسنجر الرئيس الاسد فقد اعلن الوسيط الامريكي بانه اجرى محادثات وافية جدا ومفصلة مع الرئيس السوري حول احتمالات السلام في الشرق الاوسط وانهما اتفقا على ان يعود الى دمشق مرة ثالثة لمواصلة هذه المحادثات قبل استكمال جولته في المنطقة . وقد ذكر مصدر امريكي بهذا الصدد انه ليس من

المستبعد قيام مفاوضات لفك ارتباط جديد بين اسرائيل وسوريا في المستقبل لكن شيئا من هذا لن يتم خلال جولة كيسنجر الحالية . وبعد اجتماعه بالملك حسين في عمان صرح كيسنجر بأنه قام باطلاع الملك على « احتمالات السلام كما يراها » واشار الى ان موضوع اشتراك الاردن في مؤتمر جنيف هو « أمر يعود للاردن » . اما اخر الاخبار التي وصلت من القاهرة فقد ذكرت ان مصدر مصري مسؤول قال ان محادثات فك الارتباط التي يجريها كيسنجر مع الرئيس السادات تتناول قضية الشرق الاوسط ككل بحيث تؤدي الى فك ارتباط على كل الجبهات وتمهد لعقد مؤتمر السلام في جنيف . وأن كيسنجر سيقوم بزيارة جديدة للمنطقة في حال نجاح جولته الحالية من اجل تحقيق فك ارتباط اخر على جبهة الجولان .

من ناحية اخرى نشطت الدبلوماسية السوفياتية على الصعيد العربي خلال جولة كيسنجر باتجاه العمل والحث على عقد مؤتمر جنيف في فترة قريبة قدرت الانباء الصحفية ان تكون في شهر ايار المقبل . ويبدو ان الدبلوماسية السوفياتية قد تحركت على اعتبار انه ان نجحت مهمة كيسنجر الحالية أم لم تنجح فان الخطوة الطبيعية التالية يجب ان تكون عقد مؤتمر السلام في جنيف . وقد تجلى هذا النشاط السوفياتي من خلال تحركات بارزة متعددة اهمها : (أ) استدعاء السفير السوفياتي في دمشق الى موسكو لاجراء مشاورات مع حكومته . (ب) الرسالة التي بعثها بريجنيف الى رئيس منظمة التحرير حيث ذكرت المصادر الدبلوماسية ان الزعيم السوفياتي اكد فيها دعم بلاده لقيادة منظمة التحرير وللخط السياسي الذي تسير عليه وتأكيده بأن السلام العادل والدائم لا يمكن ان يتحقق بدون ضمان الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني وعلى رأسها حقه في ان يكون له كيانه الخاص . (ج) الوفد السوفياتي الرفيع الذي زار عمان في نهاية الاسبوع الثاني من شهر اذار برئاسة نائب الرئيس بودغورني . وجدير بالذكر أنها المرة الاولى التي يأتي فيها وفد سوفياتي بهذا المستوى الى عمان . وقد تبع زيارة الوفد وصول دبلوماسي سوفياتي رفيع الشأن جدا الى عمان هو فلاديمير فينوغرادوف السفير السابق في مصر وممثل الاتحاد السوفياتي بمؤتمر جنيف . وقد اجمعت الانباء على ان الهدف الاساسي من هذا النشاط السياسي السوفياتي الرفيع في عمان هو محاولة اقناع الملك حسين المشاركة في مؤتمر جنيف الى جانب منظمة التحرير وانهاء مقاطعته المعلنة للمؤتمر . ولم يتبين ما اذا كانت هذه المساعي السوفياتية قد حققت هدفها أم لا في الوقت الحالي . وجدير بالاشارة هنا أن البيان المشترك الذي صدر عن محادثات الوفد السوفياتي في عمان قد اشار الى اهمية وضرورة استئناف اعمال مؤتمر جنيف للسلام في اقرب وقت ممكن « باشتراك كل الاطراف المعنية » . كما أشار البيان « الى أهمية القرارات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي في الرباط » من اجل توطيد وحدة جهود الدول العربية وشعوبها في النضال من اجل انهاء الاحتلال الاسرائيلي والتوصل الى سلام عادل ودائم في المنطقة . (د) قيام وفد من اللجنة السوفياتية للتضامن مع شعوب اسيا وافريقيا بزيارة سوريا بهدف الاطلاع على اخر تطورات الموقف في المنطقة واجراء مباحثات مع زعماء منظمة التحرير والاتصال بالمنظمات السورية واللبنانية التي تؤيد كفاح الشعب الفلسطيني . (هـ) انتقال فينوغرادوف من عمان الى بيروت حيث أشارت مصادر مطلعة بأن الدبلوماسي السوفياتي سيجري اتصالات « غير رسمية » مع جهات لبنانية موضوعها دور لبنان في المرحلة المقبلة من مساعي التسوية اذ من المستبعد ان يبقى لبنان خارج اطار مؤتمر جنيف حتى النهاية . كما اكدت مصادر فلسطينية ان فينوغرادوف سيجتمع برئيس منظمة التحرير ويتناول معه موضوع دور المنظمة في المرحلة المقبلة من تطورات الوضع في المنطقة . ولم يترك فينوغرادوف مجالا لاي شك او تأويل خلال زيارته الشرق اوسطية هذه بأن موقف الاتحاد السوفياتي هو انه لا يمكن اقرار اي سلام في المنطقة الا بانسحاب اسرائيلي شامل من كل الاراضي العربية المحتلة وعبر انعقاد مؤتمر جنيف بحيث تشارك فيه منظمة التحرير الى جانب الاطراف المعنية الاخرى .

اخيرا جدير بالاشارة ان مصادر دبلوماسية مطلعة ذكرت ان الاتحاد السوفياتي أيد بهدوء دعوة سوريا الى انشاء قيادة سياسية وعسكرية موحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية .

(٣) المناطق المحتلة

تجدد النشاط الاردني في الضفة الغربية

كما كان متوقعا ، عاد الحكم الاردني لمواصلة نشاطاته في الضفة الغربية ، للالتفاف حول مقررات مؤتمري قمة الجزائر والرباط الخاصة بالتمثيل الفلسطيني ، بعد ان قبل بها مرغما . وجاء تحرك الحكم الاردني هذا مستندا الى المعطيات في الموقف العربي ، حيث بدا التضامن العربي الذي تحقق بعد حرب تشرين معرضا للانتكاس . كما ان المناورات الاميركية ومواقف التشدد الاسرائيلية من منظمة التحرير ، أعطت الحكم الاردني دافعا قويا للتحرك على صعيد المناطق المحتلة . وقد تمثل هذا التحرك المتجدد بدعوة عدد من الرموز السياسية المعروفة بولائها للاردن لزيارة عمان ، وبتدفق القروض والاموال مرة اخرى الى الضفة الغربية ، وبمجموعة من التسهيلات المالية وغيرها لتجار المناطق المحتلة .

وباستعراض سريع لصحف الضفة الغربية وما تضمنته من انباء وتعليقات حول هذا الموضوع ، نجد ان الحكم الاردني قد استخدم كافة الوسائل المتاحة له لاستعادة وجوده السياسي في الاراضي المحتلة . فذكرت جريدة الشعب في عددها الصادر يوم ١٩٧٥/٢/١٤ ان الحكم الاردني قد اوعز لرجالاته « ولوجوه جديدة تظهر في هذه الايام في الضفة الغربية ، للقيام بعملية استقطاب طبقة الموظفين ، بكتابة العرائض الى رئيس الوزراء الاردني وبواسطة وزير كل دائرة ، للمطالبة باعادة صرف الرواتب المجمدة لمدة ٣٢ شهرا مع صرف العلاوات المستحقة حاليا وطلب المساواة الكاملة بموظفي الدولة ... وبالفعل تقوم عناصر بادرت وباشرت في تنفيذ هذا المخطط التآمري لجمع التواقيع . فنظمت مثل هذه العرائض وتم توقيعها من عدد بسيط من المعلمين فيجهاز التربية والتعليم، الا ان عددا كبيرا من المعلمين رفض توقيعها بعد ان ادركوا خطورتها والمقصود منها » . واوردت الصحيفة نص احدى هذه العرائض الموجهة لرئيس الوزراء الاردني بواسطة وزير التربية والتعليم . ثم تساءلت لماذا لم يخطر على بال معدي هذه العرائض اعدادها في السنوات السابقة ولماذا جاءت في هذه الايام فقط ؟ . ثم تجيب : ان الاردن يحاول الحصول على هذه العرائض بواسطة الاغراءات المادية من اجل ان تكون مستمسكا بين يديه ، لابرازها اما في مؤتمر جنيف او في اجتماعات عربية اخرى لتدليل على موقف سكان الضفة الغربية المؤيد للاردن .

وذكرت الصحيفة ايضا وسيلة اخرى يعتمدها الحكم الاردني لاستمالة سكان الضفة الغربية ، وهي ان بعض شركات استيراد السيارات في الاردن بدأت بالايعاز لسائقي السيارات في الضفة الغربية بالحضور الى الاردن وتزويدهم بالسيارات والشاحنات المستوردة ، باثمان بسيطة ، على ان يحسب للسائق حصة كبيرة في السيارة على أقساط رمزية طويلة الامد . واضافت « الشعب » ، ان عددا من السائقين قد توجهوا الى عمان بالفعل ، وان عددا منهم باعوا سياراتهم في الضفة الغربية وذهبوا الى الاردن للحصول على السيارات . ولاحظت الصحيفة ان الحكومة الاردنية بدأت « باغداق الاموال الطائلة على البلديات والمجالس القروية والمؤسسات ، لعمل المشاريع العمرانية في المدن والقرى ... لاشعار المواطنين بأن الاردن مهتمة بمصالح السكان ومؤسساتهم . ويلاحظ في هذه الايام اجراء انتخابات للمجالس البلدية والقروية كما هو حاصل في محافظة الخليل — يطا، الظاهرية — وذلك لكي يتمكن الاردن من ارسال المبالغ من المال للموالين له ، لايجاد تكتلات مؤيدة للاردن . ونرى ايضا بان حكومة الاردن بدأت بالايعاز لرجالاتها في الضفة بتشجيع العمال للعمل في الاردن ، حيث ان الاجور هناك مرتفعة ... كما ان بعض العناصر العدائية للشعب الفلسطيني بدأت في هذه الايام بأعمال وحملات التشكيك من أجل اضعاف عزيمة الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية ، وهذه العناصر تروج يوما بعد يوم بعودة الاردن . وحكمه للضفة الغربية » . وذكرت جريدة الفجر من جانبها ان مجلس الوزراء الاردني قد وافق في « نطاق محاولات عمان احياء السيطرة على الضفة الغربية وزيادة النشاط الهاشمي

المدعوم من بعض الزعامات التقليدية وفي محاولة مكشوفة لتطويق حق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني ، في دعم ما وصفه بصمود الاهل في الضفة ، وذلك بتخصيص مبلغ ٤٥٠ الف دينار بصرفها للبلديات والمجالس القروية في الضفة ، وكذلك مبلغ ١٤ الف دينار لصرفها على موظفي الحكومة في الضفة ، وكفالة بلدية نابلس بأخذ قرض بمبلغ ١٥٠ الف دينار » (الفجر ١٩٧٥/٢/١٣) .

وذكرت صحيفة الشعب من ناحية اخرى ، ان « المذكرة المشبوهة والمشكوك في امرها تتكشف أبعادها يوما بعد يوم ، ولا تزال تمر في سرية على جميع موظفي الدوائر بالضفةالغربية الذين يتقاضون رواتب من الحكومة الاردنية . وعلم أمس ان حاملي هذه المذكرة قد أنهوا مهمتهم في المدينة ووصلوا فيها الى مدارس القرى ليوقع عليها بقية المعلمين ... » (الشعب ١٩٧٥/٢/١٦) .

ونشرت صحيفة الجروزاليم بوست الاسرائيلية نبأ يؤيد ما ذكرته صحف الضفة الغربية . فنقلت عن بعض الوجاهات التقليدية ان الاردن خصص ملايين الدنانير هذه السنة لصرفها على الضفة الغربية . وقالت ان سلطات الاحتلال الاسرائيلية وافقت على ١٣٥ مشروعا جديدا . وان عمان أخذت في زيادة مستورداتها من الضفة والقطاع ، وقالت ان ١٣٠ شاحنة تنقل يوميا الى الاردن منتوجات الضفة الغربية اثناء المواسم . وقالت الصحيفة الاسرائيلية ان مستوردات الضفة الغربية بدورها قد زادت من الاردن (الجروزاليم بوست ١٩٧٥/٢/١٦) . وأيدت صحيفة يدعوت أحرونوت الاسرائيلية كذلك انباء المذكرة المشبوهة التي تحدثت عنها صحف الضفة الغربية ، فقالت ان معلمي الضفة الغربية قد بدأوا «الهجوم» للحصول على راتب مزدوج من الاردن واسرائيل ، وانهم قد بدأوا بالتوقيع على عريضة تدعو الحكومة الاردنية للاخذ بعين الاعتبار وضعهم الاقتصادي الصعب . واضافت ان وفدا سيسافر هذا الاسبوع الى عمان ليسلم العريضة الى رئيس الوزراء الاردني (يديعوت احرونوت ١٩٧٥/٢/١٦) .

وكشف الكتاب السنوي للحكم العسكري في المناطق المحتلة ان ٥٠٪ من ميزانية المجالس البلدية والقروية في الضفة الغربية تقدمها الحكومة الاردنية . وذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت ان موازنة البلديات هذه قد بلغت في العام الماضي ٥١ مليون ليرة اسرائيلية و ١٦ مليون ليرة لميزانيات التطوير ، وان الاردن قدم منها ٢٤ مليون ليرة اسرائيلية (الشعب ١٩٧٥/٢/١٧) .

ويبدو ان الحكومة الاردنية قد استجابت سريعا لهذه التحركات الموحى بها . فنقلت جريدة القدس في عددها الصادر يوم ١٩٧٥/٢/٢٠ ، خبرا مفاده ان مجلس الوزراء الاردني قرر تخصيص مبلغ ٤٠٠ الف دينار لبلديات الضفة الغربية ، ومبلغ ٢٠ الف دينار لانفاقها على موظفي هذه البلديات . وكان مجلس الوزراء الاردني قد قرر صرف مبلغ ٤٥٥ الف دينار لصندوق قروض البلديات والقرى لتوزيعها على بلديات الضفة . وذكرت مصادر وزارة الداخلية للشؤون البلدية والقروية في عمان، ان لجنة رسمية ستشكل في الاسبوع المقبل لوضع قواعد وأسس توزيع المبالغ والمساعدات التي قرر مجلس الوزراء منحها لبلديات الضفة وقالت هذه المصادر انه من المتوقع ان تبدأ الحكومة بصرف هذه المساعدات التي ستمنح لبلديات الضفة على أقساط وحسب الحاجة ، في النصف الثاني من شهر آذار (مارس) ١٩٧٥ . ومن ناحية اخرى قرر مجلس الوزراء منح بلدية عرابة قرضا بمبلغ ٣٥ الف دينار لتنفيذ عدد من المشاريع العمرانية والصحية والاجتماعية .

ومن ناحية اخرى ذكرت صحيفة الراي الاردنية ان لجنة تضم ممثلين عن رئاسة الوزراء وديوان الموظفين ووزارة الداخلية للشؤون البلدية والقروية ودائرة شؤون الوطن المحتل ، شكلت لبحث وسائل تطبيق قرارات زيادة رواتب موظفي الدولةوالبلديات بالضفة الغربية ووضعها موضع التنفيذ .

وكان قرار الحكومة الاردنية السماح بدخول سيارات الشحن القادمة من قطاع غزة والمحملة بمنتوجات القطاع الزراعية الى الاردن ، لاول مرة منذ حرب ١٩٦٧ ، مؤشرا بالغ الاهمية على نوايا الحكومة الاردنية في هذه المرحلة .

التحركات الاردنية والاسرائيلية تتم بموازاة الخلافات العربية

على خط مواز للتحركات الاردنية في الضفة

الغربية، تكشفت نوايا سلطات الاحتلال الاسرائيلية لتمرير مخططاتها المشبوهة في المناطق المحتلة ، بما لا يتعارض مع أهداف السياسة الاردنية التقليدية في هذه المناطق . فقد ذكرت صحيفة الجروزاليم بوست الاسرائيلية ان بيغال الون وزير خارجية اسرائيل ، اقترح اثناء زيارته الاخيرة لواشنطن ، ان تدخل اسرائيل في مباحثات غير سياسية مع الاردن ، تتناول بعض المسائل مثل الامن على طول الحدود المشتركة والتعاون في استغلال ثروات البحر الميت واستغلال مياه نهر الاردن وايجاد منفذ للاردن على البحر المتوسط . وقالت الصحيفة ان الدوائر الاميركية أعربت عن اهتمامها بهذه الاقتراحات . واستذكرت الصحيفة ان الدولتين تتعاونان بالفعل في المجال السياحي وان حوالى ١٦ الف سائح تقريبا عبروا الجسور من الاردن الى اسرائيل (الجروزاليم بوست ١٩٧٥/٢/١) ،

واضافت صحيفة معاريف الاسرائيلية الى ذلك ، ان سلطات الاحتلال أبلغت شخصيات معينة في الضفة الغربية بتنمية علاقاتها بالحكم الاردني وقيل لهم « انه من المرغوب فيه ان يستمروا بالنظر الى الملك حسين كعامل سياسي يستطيع مساعدتهم » (معاريف ١٩٧٥/٢/٣) .

وقد دفع هذا الامر بصحيفة الشعب الى التساؤل عن طبيعة هذا التنسيق الاردني — الاسرائيلي في مجال المناطق المحتلة . ووجهت الصحيفة تساؤلها هذا الى الدول العربية الموقعة على قرارات مؤتمر الرباط قائلة : « الذي نعرفه ان الدول العربية قررت دعم صمود الاهل في الوطن المحتل عبر النظام الاردني ، فهل وضعت الدول العربية في حسابها ان التزام الاردن بأهدافها (العربية) من هذا الدعم ؟. ألم تسأل الدول العربية نفسها عن الاموال التي يدفعها النظام الاردني ثمنا لتحركات عملائه ورجالاته والمذكرات التي تنسق وتعتمد ، والتكتلات السياسية والاجتماعية التي تتكشف حقيقتها يوما بعد يوم ؟ ألم تسأل الدول العربية نفسها عما اذا كانت أموال الدعم التي رصدتها قد صرفت في الوجوه التي أعدت لها ، أم في اقامة القصور والانشاءات الصناعية في الضفة الشرقية ؟ . ألم تسأل الدول العربية عن الاموال التي رصدت عبر مقررات الرباط وكيف تصرف الان للالتفاف من حول مقررات الرباط وطعن الاجماع العربي الرسمي ؟ (الشعب ١٩٧٥/٢/١٢) .

غير ان الامر الملفت للانتباه حقا ، هو ما ذكرته احدى الصحف الاسرائيلية عن نوايا سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، أحياء فكرة الحكم الذاتي للضفة الغربية . فقد ذكرت « معاريف » ان وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وهي المسؤولة عن ادارة المناطق المحتلة ، تعتزم ان تقترح على مجلس الوزراء الاسرائيلي في اجتماعاته القريبة المقبلة ، جملة من الاجراءات التي تمثل خطوة هامة نحو الحكم الذاتي للضفة الغربية . وقالت الصحيفة ان هذه الاجراءات تتضمن ان تعهد بعض المناصب الادارية الكبيرة لاشخاص من الضفة الغربية ، وانشاء ادارات على المستوى الاقليمي. وذكرت الصحيفة ان ابناء الضفة الغربية رفضوا دائما في الماضي المبادرات الاسرائيلية للحكم الذاتي في الضفة الغربية ، خشية ان تسيء الى احتمالات تولي منظمة التحرير الفلسطينية السلطة عندما يتم تحرير الاراضي المحتلة . (معاريف ١٩٧٥/٢/٢٨) .

وقد تكون اعادة احياء فكرة الحكم الذاتي قد جاءت من جانب سلطات الاحتلال ، في وقت ظهر فيه الخلاف الفلسطيني — المصري على السطح ، بسبب سياسة الدكتور هنري كيسنجر والمتمثلة في الاستفراد بكل جبهة عربية على حدة . وقد دفع هذا الامر صحف الضفة الغربية الى المناداة بضرورة الحرص على التضامن العربي ، نظرا للاخطار التي تتربص الامة العربية وخاصة ما يتصل منها بالمناطق المحتلة . فقالت صحيفة القدس في افتتاحية لها ، ان اية ثغرة تحدث في التضامن العربي سوف تكون بداية « للانسياب والضياع والتشرذم » . واضافت الصحيفة قائلة : « واستنادا الى الفهم المتبادل والادراك الموضوعي لدور كل فريق ، فان الامال كبيرة في ان تكون الخلافات التي برزت اخيرا بين مصر والمنظمة ، ستكون مجرد سحابة صيف ستزول وتنقشع عن قريب، وان الفريقين سيعمدان الى الحوار الصريح البناء فيما بينهما » (القدس ١٩٧٥/٣/١) .

أما صحيفة الفجر فقد ذكرت في افتتاحيتها ،

بأن التضامن العربي كان دائما هو الهدف الذي تسعى الجماهير العربية لتطبيقه من مواقع النضال ضد الامبريالية . وقالت : « ولما كانت القضية الفلسطينية هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله القضايا الاخرى المتفرعة عنها ، كاحتلال اراضي سيناء والجولان ، ولما كانت خطة كيسنجر ترمي الى تجزئة القضية الواحدة واظهارها على شكل خلاف مصري اسرائيلي ، وآخر سوري اسرائيلي ، وثالث فلسطيني اسرائيلي ، ولما كان مؤتمر القمة العربي قد حذر من التورط في الوقوع في مثل هذا التفسير وأصر على وحدة القضية ، ولما كانت مصر وكما هو واضح قد سارت أشواطا ليست بالقصيرة مع المخطط الكيسنجري الذي يرفضه كل العرب وعلى رأسهم الفلسطينيين ، لهذا رأت منظمة التحرير ان تقول كلمتها فاصدرت بيانها الواضح الملتزم بقرارات القمة وارادة الجماهير الفلسطينية ، واجماع الامة العربية ، وأعلنت سوريا موقفها الملتزم ايضا ، والذي قررت فيه ان الفلسطينيين وحدهم هم اصحاب الكلمة ». وختمت الصحيفة تعليقها بالقول : « نعم ، لقد كان من الواجب الالتزام الكامل والاصيل بمقررات الرباط. ونعود لنذكر مصر بحرصنا الدائم على ضرورة التضامن العربي ووحدة المواجهة النابعة من وحدة القضية ، ونأمل ان يعلن المسؤولون المصريون موقفهم بوضوح والتزام تام بالقضية ...» (الفجر ١٩٧٥/٣/١) .

اعتقالات ، اضرابات ، ابعادات :

مع ازدياد النهوض الوطني الفلسطيني في الارض المحتلة ، وتعدد اشكاله النضالية ، ازدادت حدة القمع الاسرائيلي بمختلف أشكاله ايضا للجماهير الفلسطينية . وقد انعكس هذا الامر في الاخبار التي تناقلتها صحف الضفة الغربية يوميا ، وبشكل بارز ، لانباء الاعتقالات والمحاكمات في الاراضي المحتلة .

والى جانب ذلك كله ، واصلت سلطات الاحتلال تجديد احكامها الادارية لعدد من ابناء الضفة الغربية وقطاع غزة .وقد اثار هذا الامر حملة استنكار واسعة امتدت لتشمل قطاعات ديمقراطية من المجتمع الاسرائيلي،كما أدت الى اشتداد النضال الجماهيري واتساع نطاقه ، تحت شعارات اطلاق سراح الموقوفين ووقف الاجراءات التعسفية بحقهم. فقد بعثت الهيئات النسائية والمرأة العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بنداء الى كل من سكرتير هيئة الامم المتحدة كورت فالدهايم ، الامين العام لجامعة الدول العربية محمود رياض ، ولجنة حقوق الانسان والصليب الاحمر الدولي في جنيف ، يطالبن فيه التدخل للوقوف الى جانب المعتقلين والافراج عنهم (الشعب ١٩٧٥/٢/٢٤) . وتوجه عدد من عائلات الموقوفين الى السفارات الاجنبية في القدس والى اعضاء الكنيست الاسرائيلي ، محتجين على استمرار توقيف ابنائهم الذين أعلنوا الاضراب عن الطعام وطلبوا تدخل الجميع بغية الافراج عنهم او تقديمهم للمحاكمة بعد ان ساءت صحتهم كثيرا (القدس ١٩٧٥/١/٢٨) . وكان السجناء في سجون نابلس والخليل ورام الله وبيت ليد والرملة ، قد بدأوا منذ صباح ١٩٧٥/٢/٢٤ اضرابا عن الطعام والعمل لمدة اسبوع ، احتجاجا على تمديد سلطات الاحتلال فترة الاعتقال الاداري لمدة ستة أشهر اخرى . وقالت صحيفة الفجر التي أوردت النبأ ، ان السجناء بعثوا بلوائح اعتراض لمدراء السجون لتسليمها للسلطات المختصة ، معبرين عن احتجاجهم الشديد لاستمرار اعتقالهم وسجنهم المؤبد بالتقسيط (الفجر ١٩٧٥/٢/٢٥).

وفي نطاق ذلك كله ، اعتصمت يوم ١٩٧٥/٢/٢٨ سبعون سيدة وفتاة يمثلن زوجات وامهات واخوات وبنات المعتقلين الاداريين في مقر الصليب الاحمر الدولي في القدس ، تضامنا مع المعتقلين الاداريين. ووجهت النساء المعتصمات برقيات احتجاج الى كل من وزير الشرطة ووزير الدفاع الاسرائيليين ، أعربن فيها عن تضامنهن مع المعتقلين وطالبن بالاستجابة الى مطالبهم والافراج عنهم . وسلمت النساء رسالة الى الصليب الاحمر الدولي تطالبه بالتدخل للافراج عن ذويهن المعتقلين . وكان الى جانب النساء العربيات ، عدد من النساء الديمقراطيات الاسرائيليات برئاسة السيدة روث لوفيتش رئيسة اتحاد النساء الديمقراطيات الاسرائيليات ، وتضامن معهن النائب الشيوعي ابراهام لفتبراون. واثناء الاعتصام وصلت المحامية فليتسيا لانغر وابلغت المعتصمات نبأ ابعاد سلطات الاحتلال لخمسة من المعتقلين ، منهم ثلاثة من المعتقلين الاداريين (الفجر ١٩٧٥/٣/١) . وكانت

سلطات الاحتلال قد ابعدت بالفعل دفعة جديدة من المواطنين الفلسطينيين الى الحدود اللبنانية وهم : سليمان النجاب من رام الله ، محمود شقير من القدس ، عبدالله السرياني من القدس ، حسن حامد صالحه من غزة ، توفيق محمد بني حسن من طولكرم . وكان لخبر الابعاد هذا صدى واسع في المناطق المحتلة ، حيث عبرت اوساط شعبية مختلفة عن استنكارها لاعمال الابعاد . واستنكر هذه الخطوة جميع رؤساء بلديات الضفة الغربية (الفجر ١٩٧٥/٣/١) .

ويذكر ان اتحاد لجان الطلاب العرب في اسرائيل قد اصدر بيانا طالب فيه سلطات الاحتلال باطلاق سراح المعتقلين الاداريين العرب ، واقامة لجنة محايدة للتحقيق في معاملة المعتقلين في السجون ، وبالانسحاب الاسرائيلي الكامل من المناطق المحتلة والاعتراف رسميا بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره على ارضه . وقال البيان الذي نشرته صحيفة الفجر ، منذ عدة شهور وسلطات الاحتلال تقوم باعتقال العشرات من الشخصيات الفلسطينية وزجهم في السجون دون ان توجه لهم أية تهمة . ومن بين المعتقلين اكاديميون وطلاب وعمال وقادة نقابيون ، « ان معظم هؤلاء المعتقلين لم يقدموا للمحاكمة حتى الان ، وتم تجديد اعتقالهم الاداري لمدة ستة أشهر اخرى حسب قوانين الطوارىء لسنة ١٩٤٥ والتي استعملها المستعمر البريطاني في حينه ضد اليهود والعرب على السواء . ولذا فاننا نعلن استنكارنا الشديد للاعتقالات الادارية ونطالب باطلاق سراح المعتقلين فورا ، واقامة لجنة محايدة للتحقيق في قضايا المعاملة في السجون ». وجاء في البيان مطالبة السلطات بالانسحاب من الاراضي المحتلة والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . (الفجر ١٩٧٥/٢/١٣) .

محاولات الاستيطان الجديدة

في الوقت الذي كان عدد من الفدائيين الفلسطينيين يجتازون شبكات الانذار الاسرائيلية ويدخلون الى تل ابيب يوم ٦ اذار الحالي ، كان عدد من المستوطنين الاسرائيليين يجتازون الحواجز التي اقامها الجيش الاسرائيلي في الطرقات المؤدية الى بلدة سبسطية القريبة من نابلس ، ليبدأوا عملية استيطان جديدة في هذه البلدة التي تحتوي اثارا من عهد الدولة العبرية السامرية البائدة .

ولم تكن هذه المحاولة الاستيطانية في سبسطية هي الاولى من نوعها. فقد جرت في سبسطية نفسها محاولتان سابقتان في العام الماضي ، قام بهما متطرفون ينتمون في غالبيتهم الى الحزب الديني (المفدال) واحزاب المعارضة . وقد آزر محاولاتهم تلك عدد من اعضاء الكنيست الاسرائيلي أحدهم ينتمي الى حزب العمل الحاكم في اسرائيل . الا ان المحاولتين فشلتا امام تمسك الحكومة الاسرائيلية ببرنامجها الاستيطاني الخاص ، وشعورها ان المعارضة تحاول احراجها سياسيا بفرض وقائع سكانية جديدة تحول دون امكانية انسحاب اسرائيلي من المناطق المحتلة . ومن الملاحظ ان المحاولة الاخيرة لاستيطان سبسطية قد جاءت في ذروة النشاط السياسي الذي يبذله الدكتور كيسنجر لاحراز انسحاب اسرائيلي من بعض المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ . ولم تشذ المحاولتان السابقتان لاستيطان سبسطية عن هذه القاعدة ، حيث جرتا في وقت كان فيه كيسنجر يهم ببدء جولة جديدة في عواصم المنطقة لاحراز تقدم في التسوية السياسية .

واذا كانت المحاولات المتكررة لاستيطان سبسطية قد جوبهت برفض قاطع من قبل الحكومة الاسرائيلية لاسباب تتعلق بفرض هيبتها الداخلية وقوانينها وبرنامجها الاستيطاني الخاص من جهة ، ومنع محاولة احراجها سياسيا من جهة ثانية ، فان موقف الحكومة الاسرائيلية ذاتها من محاولة استيطانية اخرى جرت في اوائل هذا الشهر ، يتسم بقدر من الغموض والارتباك الواضحين .

ففي اوائل اذار الحالي تكررت محاولة استيطان « الخان الاحمر » من قبل جماعة متطرفة ينتمي اعضاؤها الى احزاب المعارضة الاسرائيلية . وبالرغم من مجابهة الحكومة لهذه المحاولة الاستيطانية في مراحلها الاولى ، الا انها عادت وسمحت ببقاء المستوطنين في الاماكن التي اقاموها في هذه المستوطنة .

ومرد هذا التراجع في موقف الحكومة الاسرائيلية هو انها كانت قد قررت في وقت سابق اقامة هذه المستوطنة ، دون ان تلزم نفسها بتاريخ محدد لبدء عملية تنفيذ الاستيطان . فمنذ عام ١٩٧٢ بدأ

الاعداد لاقامة مستوطنة في الخان الاحمر ، على الطريق بين القدس واريحا ، تحت اسم « معاليه ادوميم » . فقررت اغلاق ما مساحته ٧٠ الف دونم في هذه المنطقة ، واقامة منطقة صناعية سكنية تشغل ما مساحته ٥ الاف دونم . الا انه بعد صدور قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية ، قررت الحكومة الاسرائيلية رسميا يوم ١٩٧٤/١١/٢٤ بعث مشروعها القديم باقامة مستوطنة معاليه ادوميم وفي نطاق قرارها ذلك تقرر بناء مساكن للعمال الذين سيعملون في المنطقة .

وعندما جرت المحاولة الاخيرة لاستيطان الخان الاحمر ، وبضغط من بعض الوزراء — خاصة وزراء حزب المفدال — اتخذت الحكومة من قرارها اقامة مساكن للعمال ، ذريعة للسماح للمستوطنين بالبقاء في اماكنهم ، على ان يعلنوا عن أنفسهم كعمال في مشروع اقامة المستوطنة . وعندما ثار الخلاف بين وزراء الحكومة ، واحتج على ذلك وزراء حزب مابام ، حيث يتألف المستوطنون من أسر وليس من عمال ، قيل ان قرار الحكومة السابق لم ينص على منع اصطحاب العمال لعائلاتهم .

وقد واجه قرار الحكومة الاسرائيلية باقامة مستوطنة معاليه ادوميم ، حملة مضادة للاستيطان شملت قطاعات من الرأي العام الاسرائيلي . وكان أبرز ما جاء في نطاق هذه الحملة المضادة ، قيام عدد من اساتذة الجامعات بالتوقيع على عريضة احتجاج ضد قرار الحكومة . وجاء في العريضة : « ان مشروع معاليه ادوميم يصحبه ضم مناطق واسعة من الضفة الغربية ، وانه يمكن ان يمس احتمالات التسوية مع الفلسطينيين او مع الاردن » (هآرتس ١٩٧٥/١/٩) .

وجاء في احد التقديرات ، ان قرار الحكومة الاسرائيلية باقامة مستوطنة في الخان الاحمر ، يبعد ١٤ كيلومترا عن القدس شرقا ، قد اتخذ في غمرة احساس الحكومة بقرب انسحابها من الضفة الغربية ، وان هذه المستوطنة سوف تكون الحد الذي ستنسحب اليه اسرائيل من الضفة الغربية. ومما يرجح هذا التقدير ، ان مشروعات الاستيطان المقررة في برنامج الحكومة الاسرائيلية ، تندرج جميعها في اطار مشروع الون ، الذي ما زال معتمدا من الحكومة بشكل غير رسمي ، الا انه في مجال الاستيطان منفذ بشكل فعلي .

عيسى الشعيبي

(٤) اسرائيليات

[١]

اسرائيل متمسكة بموقفها من التسوية ، حكومتهـا مشلولة ... وكيسنجر « متفائل »

انتهت زيارة وزير الخارجية الاميركي كيسنجر الى اسرائيل ودول المنطقة الاخرى بالاعلان ان المحادثات التي تمت خلال هذه الزيارة الاستطلاعية كانت « مفيدة ومثمرة » ، رغم ان الفجوة بـين موقفي مصر واسرائيل « بقيت كبـيرة » ، وان كيسنجر سيعود الى المنطقة في الشهر القادم لاستكمال مهمته ومحاولة حمل الاطراف علـى الوصول الى اتفاق جزئي آخر . وخـلال زيارة كيسنجر ، بقيت اسرائيل ، علنا على الاقـل ، متمسكة بمواقفها السابقة من المرحلة القادمة من التسوية مع مصر ، اذ عاد رئيس حكومتها يتسحاق رابين واعلن اكثر من مرة (رال ، ٧/٢/ ١٩٧٥ ودافار ، ١٣/٢/١٩٧٥) ان القوات الاسرائيليـة لن تنسحب من ممري المتلا والجدي وحقول النفط في أبو رديس الا اذا وافقت مصر على الاعلان عن انهاء حالة الحرب مع اسرائيل .

غير انه ظهر ، مع انتهاء زيارة كيسنجر ، وكأن تغييرا طفيفا قد طرأ على الموقف الاسرائيلي ، الذي كان يشير الى انسحاب اسرائيلي مسافـة ٣٠ — ٥٠ كم من سيناء ، بما في ذلك الانسحاب من ممري المتلا والجدي وابو رديس او أي منها ، مقابل موافقة مصر على انهاء حالة الحرب مـع اسرائيل وتعهدها بالمحافظة « علـى الهدوء » و« عدم التدخل » على الجبهات الاخرى ، وذلك لمدة ١٢ سنة ، وهي المدة التي تقلصت فيما بعد الى ١٠ سنوات ، ثم الى ٥ واخيرا الـى ٣ سنوات . والتغيير الذي طرأ على هذه المواقف يشير الى ان اسرائيل قد توافق على الانسحاب مسافة ٣٠ — ٥٠ كم من سيناء ، دون ان يشمل هذا الانسحاب الممرات او ابو رديس ، مقابـل موافقة مصر على تمديد فترة عمل قوات الطوارىء الدولية لمدة ١٨ شهرا ، وعلى ان لا يتم تنفيذ هذا الاتفاق الا بعد انعقاد الدورة الثانية من مؤتمـر جنيف ، وبعد ان تتضح مواقف مصر ونواياهـا خلال هذا المؤتمر . وقد « وافقت اسرائيل على تقديم هذه التنازلات بعد ان اقتنعت حكومتها انه من غير المعقول مطالبة مصر بانهاء حالة الحرب مـع اسرائيل ، وعزل نفسها عن العالـم العربي » بسبب ذلك .

اسرائيل تسعى لكسب الوقت

كثرت في اسرائيل ، قبيل زيارة كيسنجر وخلالها ، الاحاديث والتعليقات والانباء حول الهدف من تلك الزيارة والموقف الاسرائيلي منها ، ثم من التسوية عامة . ويتضح من متابعة الاراء التي تطرح خلال هذا النقاش ان هدف اسرائيـل الرئيسي مـن تحركاتها ومواقفها الحالية ، ان كانت تلك التي تدعو الى السير على طريق التسوية الجزئية او تلك التي تعلن موافقتها على عقد مؤتمر جنيف او تلك التي تطالب بالاثنتين معا ، كان — ولا يزال — كسب الوقت لتستطيع اسرائيل اجتياز « السنين السبع العجاف » ، التي كان رابين قد تحدث عنها في احدى مقابلاته الصحفية قبل نحو الشهرين ، والتي أثارت في حينه ضجـة ملحوظة داخـل اسرائيل ، وخـاصة في اوساط المعارضـة . و« المطلوب الان اكثر من أي شيء اخر هو منع تجدد الاعمال العدائية وكسب الوقت ، بواسطة تهدئة الخواطر وتهيئة الجو للسلام . وعـامل الزمن سيخدم قبل كل شيء مصالح اسرائيل . انها بحاجة للهدوء لكي تستعيد قواها من هزة يوم الغفران سنة ١٩٧٣ وتعيد تنظيم نفسها وتجـدد تسليح قوات جيش الدفاع الاسرائيلي ، وهـو المجال الذي انجزت فيه بعض النتائج الجيدة ، ولكي تمنح وقتا لاوروبا للتغلب على وباء مقاطعة النفط والارتفاع المتصاعد في اثمان هذا السائل الحيوي ، ولكي تمنح الولايات المتحدة وقتا كافيا لتنظيم الدول المستهلكة للنفط في مقابل الـدول

المنتجة ، ومن خلال الموافقة على المشروع الاميركي بهذا الشأن . ان هذا المشروع يتحدث عن تخفيض قليل ، نسبيا ، لاسعار النفط — الى ان يتم ... تطوير مصادر طاقة اخرى » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٧) . ولهذا لا بد من المثابرة في السير على طريق التسوية الجزئية، والابتعاد عن جنيف ، حيث لا بد من أن تثار هناك أيضا القضية الفلسطينية ، « بينما مصلحة اسرائيل والاردن ، وكذلك الولايات المتحدة ، هي ابقاء القضية الفلسطينية معلقة خلال فترة من الزمن ، حتى يتضح لجماهير الفلسطينيين ان مكاسب ياسر عرفات السياسية لا تحل [أية مشكلة] وحتى تضعف الخلافات الداخلية منظمة التحرير الفلسطينية . وعندئذ يحين الوقت لحل فدرالي ،يمنح ضمنه دور رئيسي لحكومة عمان وللمعتدلين من بين الفلسطينيين ولرجالهم في الضفة الغربية » (المصدر نفسه) .

مع التسوية الجزئية ...

ان المبررات التي أشرنا لها لتفضيل اسرائيل السير على طريق التسوية الجزئية لا تحظى بموافقة الجميع في اسرائيل ، اذ ان هناك ايضا من يرفضها ، لاعتقاده بأنه « ليس هناك من ضمان بأن تتحقق هذه الامال . بل ينبغي ان نفترض ، في مقابل ذلك ، ان تزداد قوة الدول العربية بسبب غناها من أرباح النفط ، وربما يضعف ايضا استعداد الولايات المتحدة لاخذ مسؤولية الدولة الكبرى على عاتقها ... » ، مما قد يضع اسرائيل عندها في موقف اكثر حراجة من موقفها الحالي . ولكن اولئك يرون ، على الرغم من هذا ، « ان الذهاب الى دورة اخرى من مؤتمر جنيف ... لن يعود بأي فائدة . وينبغي التفتيش عن مخرج في تسوية جزئية اخرى او سلسلة من التسويات الجزئية ، يساهم كل منها مساهمة فعلية في تسوية المشاكل الاساسية للنزاع العربي الاسرائيلي » (جرشوم شوكن — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٧) . وفي الوقت نفسه يشير اخر الى ان اسرائيل ، ان شاءت او أبت ، لا تستطيع الا ان توافق على تسوية جزئية اخرى ، ان أصرت الولايات المتحدة على ذلك ، وما على اسرائيل الا ان توضح شروطها للموافقة على هذا ، وهي « مقابل سياسي ذا مغزى ...واتفاق واضح وخطي » (جدعون سامط — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٦) .

... ومع جنيف

يلاحظ ، من ناحية ثانية ، ان المطالبة باتباع طريق التسوية الجزئية لحل أزمة المنطقة قد خفت مؤخرا في اسرائيل ، وحلت بدلا منها نغمة اخرى تدعو الى تفضيل التسوية الشاملة ، وتنتقد كيسنجر من جهة ورابين وحكومة اسرائيل من جهة اخرى ، خاصة وان الاميركيين — بحسب رأي البعض — لا يريدون تسوية شاملة ، لان مثل هذه التسوية « تلزم اشراك الروس » . ولهذا لا ينبغي « النظر الى اقوال كيسنجر ... وكأنه على الاسرائيليين ان يقرروا اذا كانوا يفضلون وساطته او مؤتمر جنيف ، بهذا المدى من البساطة . ان له [كيسنجر] مصلحة واضحة في تفضيل المفاوضات الجزئية على جنيف ... ان المفاوضات الجزئية ليست مصلحة اسرائيلية فقط ، وانما اميركية ايضا » (دان مرغليت — هآرتس ، ٧٥/٢/٤) . وهذه « المصلحة الاميركية » لا تتطابق بالضبط مع مصلحة اسرائيل ، لانه « ليس سرا ان الاميركيين يسعون الى تسوية تستند الى حدود ١٩٦٧ . كانت هذه هي خطة الادارة الديمقراطية (مشروع روجرز) ، وهذا ايضا ، كما يبدو ، اتجاه الادارة الجمهورية ووزير خارجيتها كيسنجر ... وحاولت حكومات [اسرائيلية] مختلفة تغيير هذا الموقف الاميركي ، ولكنها لم تنجح . حاولت ذلك حكومة التكتل الوطني ، وحكومة غولده بدون ليكود ، وحاليا تحاول حكومة رابين القيام بذلك — ولكن حتى الان دون جدوى » (اهرون جيفع — دافار ، ٧٥/٢/٥) . ويبدو ان هذا الاستنتاج بشأن اهداف السياسة الاميركية تجاه اسرائيل ، التي تعمل على ارجاعها في نهاية الامر الى حدود ١٩٦٧ ، ولكنها تفضل تنفيذ ذلك بواسطة التسويات الجزئية لكي تدعم نفوذها في العالم العربي ، في اثناء ذلك ، هو الذي يدفع البعض (أ. شنايتسر — هآرتس ، ٧٥/٢/٧) الى التحذير « من المراهنة على خطط كيسنجر » ، لانه « هو ورابين مرتبطان ببعضهما البعض » ويريدان نجاح التسوية الجزئية للحفاظ على مراكزهما ، « وان من انتخب السيد رابين كرئيس للحكومة ويحتفظ به في هذا

المنصب ، يشهد على نفسه بان الرهان على ما يخبأه المستقبل ، مفضل لديه » ، ويحمل اخرين على القول بان للتسوية الجزئية فائدة اخرى ، بالنسبة للسيد رابين ، ذلك بانها تعترف بمشاكله الداخلية كرئيس لحكومة اسرائيل وتحاول تجاوزها باستعمال « نظرية المراحل » (شلومو اهرونسون — هآرتس ، ٧٥/٢/٥) .

ويظهر ان هذا التقويم الذي اشرنا له ، والذي يصل الى نتيجة مفادها ان التسوية الجزئية ، في نهاية الامر ، تخدم مصالح امريكا قبل مصالح اسرائيل هو الذي يدعم تلك الاصوات ، التي تسمع في اسرائيل مؤخرا ، وتدعو الى العمل على استئناف مؤتمر جنيف ، حيث يمكن لاسرائيل ان تحاول الوصول الى حل شامل لازمة المنطقة ، مع كل الاطراف المعنية ، او — اذا تعذر ذلك — المماطلة وكسب الوقت ، خاصة بعد ان اتضح لدوائر اسرائيلية عديدة انه من غير الممكن تجاهل النفوذ السوفيتي في المنطقة ، وان اسرائيل لا تستطيع ان تكون شريكا في محاولات « طرد » الاتحاد السوفيتي من العالم العربي . ويلاحظ ان الدعوة الى العمل على عقد مؤتمر جنيف وتفضيله على طريقة التسوية الجزئية ، التي بدأت منذ نحو شهر في اسرائيل ، آخذة في الاتساع وتضم شخصيات بارزة من معسكري كل من « الحمائم » و « الصقور » في اسرائيل ، رغم الخلافات شبه الدائمة في وجهات نظرهم حول المسائل الاخرى . فبعد ان اعلن بعض زعماء « الحمائم » عن تأييدهم لعقد مؤتمر جنيف ، ومن بينهم بنحاس سابير ، رئيس الادارة الصهيونية والوكالة اليهودية وناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، وآبا ايبن وزير خارجية اسرائيل سابقا ، انضم اليهم في مطلبهم هذا « الصقر » — كما يعرف نفسه — بروفيسور بنيامين اكتسين ، مرافق جابوتينسكي سابقا واحد ابرز اركان الفكر اليميني الصهيوني ، الذي يحظى « باحترام » كافة فصائل اليمين . فقد اعلن اكتسين (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/١١) « ان هناك من هو على استعداد لتجريب طرق اخرى في المفاوضات : تسوية شاملة باشتراك الاتحاد السوفيتي ... ربما يكون من المفيد التفكير في ذلك ، لانه اذا كان هناك تيارات واشخاص مختلفين عن بعضهم بعضا ... الى حد كبير ، مثل موكيد ، مبام والدكتور ناحوم غولدمان من جهة ، وموشي دايان واريك شارون وزعامة « ليكود » وأنا ... قد توصلنا الى نتيجة مشتركة بأن التفتيش عن تسوية شاملة — من خلال استعداد للتنازلات — مفضل على سياسة خطوة — بعد — اخرى ، مع وساطة امريكية لوحدها ، فان للامر مغزاه » . واضاف اكتسين : « هناك امكانية بان يخف العداء السوفيتي تجاهنا في مؤتمر جنيف ، الى حد ما ... ان مؤتمر جنيف سيفيدنا اكثر من السير دون انقطاع وراء الدكتور كيسنجر ، الذي يسعى الى ابقاء الاتحاد السوفيتي بعيدا عن المسرح » (المصدر نفسه) .

كذلك انضم الى اكتسين « صقر » اخر ، النائب امنون لين من ليكود ، المعروف بآرائه المتطرفة تجاه العرب ، فقد جاء في مقال كتبه لين (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/١٠) قوله « ان حكومة اسرائيل مخطئة في سعيها للوصول الى تسوية مؤقتة منفردة مع مصر ، والمعنى الحقيقي لهذا هو — انسحاب اسرائيلي من سيناء وترك مناطق حيوية لامننا ، دون اي مقابل ... ان الوقت مناسب الان للغاية للاعلان ان اسرائيل مستعدة للقاء كل الدول العربية سوية في جنيف ، لكي تبحث معها في ماهية السلام » . واضاف لين انه على اسرائيل « ان تعمل لاختراق الدائرة السحرية ، بالاعلان بصورة واضحة انها على استعداد للقاء الدول العربية في جنيف ... مما يمنحها مكاسب ديبلوماسية عديدة [تمكنها] من تغيير الرأي العام في العالم » . وانضم الى المطالبين بعقد مؤتمر جنيف ايضا شالوم روزنفيلد، محرر معاريف (٧٥/٢/١٤) اوسع الصحف الاسرائيلية انتشارا ، بقوله ان الوقت ليس متأخرا ، بالنسبة لاسرائيل ، « لتصحيح ما فاتنا خلال السنة الاخيرة ، ويمكن القيام بذلك بواسطة اعلان واضح اننا لسنا مستعدين للذهاب الى جنيف فحسب ، بل اننا نفضل هذه المنصة واسلوبها في المفاوضات مع العرب على الاساليب والطرق الاخرى ، الحافلة بالاخطار التي تنطبق على عقد مؤتمر جنيف مجددا ودون اي من مكاسبه المتوقعة » . وفي جنيف تستطيع اسرائيل امتحان نوايا الاتحاد السوفيتي او حمله على الاعتراف بها مجددا ، خاصة وانه « ليس لنا مصلحة في

تخليد عدائه لنا » ، وكذلك كشف حقيقة الموقف العربي ومعرفة « اذا كانوا مستعدين للموافقة على وجود دولة يهودية في ارض اسرائيل والعيش معها بسلام ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها » (المصدر نفسه) .

ويبدو ان احد العوامل الرئيسية الكامنة وراء بروز هذه الاراء الداعية الى عقد مؤتمر جنيف وتعددها ، بدلا من اتباع طريق التسوية الجزئية ، ناجم عن الانباء القائلة بأن المرحلة المقبلة من اي تسوية جزئية بين اسرائيل ومصر ، او بين اسرائيل واي من الدول العربية ، وحتى اذا نجحت تماما ، ليست الا خطوة على طريق جنيف ، حيث يفترض ان يتوجه الاطراف بعد ذلك الى هناك . « واذا كان الامر كذلك — فما فائدة التسوية الجزئية ؟ لماذا لا نذهب حالا الى جنيف ؟... يبدو ان كل مسالة التسوية الجزئية ليست الا مضيعة للوقت ... [اذ] قبل الذهاب للحديث عن سلام وانسحاب شبه شامل ، يتجادلون حول الممرات او ابو رديس او هذا الشرط او ذلك بشأن انهاء حالة الحرب » (ماتي غولان — هآرتس ، ١٤/٢/٧٥) .

وخلال النقاش حول المرحلة المقبلة من التسوية الجزئية ، طرحت ايضا مسالة الضمانات التي قد تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل ، لحملها على الموافقة على الانسحاب من مناطق معينة او تغيير موقفها ، هنا او هناك . غير ان معظم الاراء اتجهت الى رفض فكرة الضمانات ، داعية الى التمسك باتفاقيات مباشرة مع العرب . « ان ضمانات الولايات المتحدة ، رغم ضرورتها لحمل اسرائيل على الانسحاب ، لا يمكن ان تكون بحد ذاتها ركيزة كافية . ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تضمن تصرفات العرب ، بينما سيطلب ذلك من اسرائيل . وفي عالمنا غير المستقر قد يؤدي النفط او المشاكل الاوروبية او اية مشاكل اخرى في مجال السياسة الخارجية او الداخلية ، الى ابعاد الولايات المتحدة عن تعهداتها لاسرائيل . ربما تكون هناك حاجة لضمانات امنية واضحة من قبل الولايات المتحدة — ولكن هذه بحد ذاتها ليست شرطا كافيا لانسحاب اسرائيل » (عاموس بيرلموتر — معاريف ، ٧/٢/٧٥) . وظهر ان هناك اكثر من كاتب او معلق يؤيد هذا الرأي (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧/٢/٧٥ ، جرشوم شوكن — هآرتس ، ٧/٢/٧٥ وبنيامين اكتسين — يديعوت احرونوت ، ١٢/٢/٧٥) .

الخلافات تشل حكومة رابين

في الوقت الذي تدور فيه المفاوضات حول التسوية الجزئية ، يستمر الحديث عن خلافات وانقسام في الرأي داخل الحكومة الاسرائيلية تكاد تشلها وتمنعها عن اتخاذ اي قرار حاسم بشأن تسوية جزئية من جهة او عقد مؤتمر جنيف من جهة اخرى . « ان الانكار لا يفيد . الحقيقة ان هناك فروقا واضحة بين موقفي رابين وبيريس . فرئيس الحكومة لا زال مؤمنا بامكان اتفاق جزئي اخر ضمن اطار « خطوة بعد اخرى » ، ولا زال متمسكا باعتقاده بان لاسرائيل ما ستربحه خلال الوقت الذي سيمر بين مرحلة واخرى . وفي مقابل ذلك يفقد وزير الدفاع تدريجيا الامال التي علقتها الحكومة على صيغة التسوية الجزئية الاخرى ، وكذلك [يفقد] صبره مما يبدو كامكانية ضئيلة في الحصول على تنازلات حقيقية من مصر ، مقابل انسحاب اخر من سيناء » (جدعون سامط — هآرتس ، ٦/٢/٧٥) . وقد اكد وزير المواصلات الاسرائيلي ، جاد يعقوبي ، زميل بيريس في الكتلة والرأي ذلك ، بقوله (في مقال له في معاريف ، ١١/٢/٧٥) « ان التنازل عن مصدر مستقل يزود اسرائيل باساس طاقتها النفطية ، او الدفاع عن سيناء من خلال اقل جهد عسكري ممكن ، اي [التنازل] عن ممري المتلا والجدي ... لا يمكن ان يتم مقابل كسب وقت فقط » . واضاف يعقوبي « ان اي انسحاب في سيناء ... سيؤدي بالضرورة الى تطويل خط دفاعنا ، وتعريض اسرائيل لمخاطر واعباء امنية كثيرة للغاية ... ان هذا التطور قد يكون مختلفا اذا تم هذا الانسحاب في اطار تغيير جوهري في علاقات الدول — اي اذا خلق واقعا سياسيا جديدا ومختلفا ، واقعا يشكل مرحلة نحو السلام » (المصدر نفسه) .

وليست هذه هي الاسباب الوحيدة وراء الخلافات في وجهات النظر داخل الحكومة الاسرائيلية ، فهناك ايضا خلاف مواز حول نوايا

مصر ومواقفها الحقيقية من اسرائيل . « ويسـود حكومة اسرائيل اليوم رأيان متناقضان بشأن نوايا السادات . وبحسـب الرأي الاول يسعى السادات ، بصدق ... ، الى انهاء حالة الحرب ... مع اسرائيل » ، ذلك « لان العرب استنفذوا سلاح النفط ضد اسرائيل ، بينما لن تسمح الولايات المتحدة بأي عمل عسكري حاسم ضدها. ولهذا من المفضل ربط التسوية السياسية بتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة وبشكل يستجيب الى مشاكل مصر الاقتصادية الراهنة . ويشير اصحاب هذا الرأي الى معطيات عديدة، تدعم بحسب رأيهم ... هذا الاتجاه : من اعادة اعمار مدن القناة واقامة عشرات المصانع على طول السويس وحتى استعداد مصر للدخول في نزاع مـع الاتحـاد السوفييتي » . اما اصحاب الرأي الاخر فيرون ان هذه الاتجاهات ليست الا « خدعة كبيرة » ، خاصة بعد ان حدثت « عدة تغييرات جدية فـي الاستراتيجية العربية ، فاذا كان العرب قد تحدثوا مرة بعنف وتصرفوا باتزان ، فان الوضع انقلب الان ... والفكر العربي لم يعد ملتصقـا الان بساحة القتال فقط وانما يمتد ايضا الى المجـال السياسي [لمحاربة اسرائيل] ... واذا كـان الحلم مرة ، في المجال العسكري ، هو القضـاء فجأة على اسرائيل فقد تم الان تبني الرأي القائل بانه ينبغي القضاء عليها بواسطة مجموعة ضربات وسلسلة من الضغوط العسكرية تتفجر من حـين لاخر » (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ٧٥/٢/١٠). وعليه ينبغي الحذر من « قدرة العـرب علـى الخداع » والعمل فقط على الوصول الى اتفاقيات نهائية واضحة معهم .

وهناك ايضا من « يقسم » الحكومة الاسرائيلية باسرها الى ٣ اقسام ، لجهة موقفها من التسوية وحل مشاكل المنطقة . ويتضح من هذا التقسيم ان هناك ٩ وزراء من « الحمائم » في حكومةاسرائيل، هم فيكتور شمطوف ، شلومو روزن ، ابراهـام عوفر ، يهوشواع رابينوفيتش ، جدعون هاوزنر، موشي كول ، حاييـم تسادوك ، يغئال الـون وموشي برعـام ، وفي مقابلهـم ٩ من الوزراء « الصقور » : يتسحاق رفائيل ، يوسف بورغ ، يسرائيل غليلي ، ميخائيل حزاني ، شمعـون بيريس ، جاد يعقوبي ، شلومو هيلل ، اهـرون يدلين واهرون ياريف (الذي لا يزال يقوم بمهـام الوزير ، وحتى يستبدل بآخر) ، وفي الوسط يقف يتسحاق رابين وحاييم بارليف ، « اما موقف اهرون اوزن فغير واضح بما فيه الكفاية » (شلومـو نكديمون — يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٣١) . وهناك من يتبع « تقسيما » اخر ويضيف الى الفئة التي تقف في الوسـط ، رابين وبـارليف ، كل من برعام واوزن ويدلين ، بحيث تضم كـل من فئتي « الحمائم » او « الصقـور » ٨ وزراء (المصدر نفسه) .

ومما لا شك فيه ان هـذه الخلافات داخـل الحكومة الاسرائيلية تشل قـدرتهـا على الحركة وتمنعها من اتخاذ اي قرارات حاسمة ، لجهـة الموافقة على تسوية جزئية او الاتجاه نحو جنيف، اذ ان اي من الفئات المختلفة لا تستطيع الاصرار على ارائها او محاولة تنفيذها ، خوفا من سقوط الحكومة ، خاصة في ضوء الازمة الداخلية التـي يمر بها التجمع العمالي الحاكم في اسرائيل حاليـا (المزيد من التفاصيل أنظر رقم [٦] من هذا الباب) ولهذا يبدو ، وهو ما يلفت النظر ، ان رئيـس الحكومة رابين (وغيره) يسعى الى كسب تأييد ... رئيسة الحكومة السابقة . « ففي غيـاب يد بنحاس ساپير القوية ، ولعدم وجود [شخصية] ذات سلطة في رئاسة الحكومة والحزب [العمل]، وهو ما ميز فترة غولده مئير ، بدأوا يتجهون ثانية الى ... غولده مئـير . واذا حكمنا بموجـب [مناصب] الذين « يحجون » اليها ، يبدو ان الجميع عمليا لا يزالون يعترفـون بسلطتهـا : فيتسحاق رابين يزورها في اوقات متقاربة « قبـل كيسنجر وبعد كيسنجر » ، قبل ان تقوم رئيسـة الحكومة السابقة بلقاء الرئيس فورد وبعد ذلك . وفي كل المواضيع السياسية الكبيرة ، غولـده مئير « في الصورة » .

« ويغئال الون يذهـب ايضا الى غولـده . ويهوشواع رابينوفيتش يذهب اليها قبل اية خطوة حاسمة في المجال الاقتصادي والمالي ، ويهتـم بالحصول على بركتها ، وشمعون بيريس ، عندما اراد ايجاد مؤيدين له في مواقفه السياسيـة في الحكومة ، ذهب الى غولده وبحث معها كما يبدو في الاستيطان في معاليه هآدوميم [الخان الاحمر] والمرات وابو رديس . وان شمعون بيريس يعتبر

نفسه منفذا « لسياسة غولده » (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/٢/٧) . ومئير ، كما هو معلوم ، غير معروفة بمواقفها « الحمائمية » ، ويبدو ان تلك الاتصالات معها تفسر ، الى حد ما ، سر « التصلب » في الموقف الاسرائيلي .

والنتيجة ؟

على الرغم من مواقف اسرائيل المعلنة من المرحلة المقبلة من التسوية ، التي اشرنا لها من جهة والخلافات داخل الحكومة الاسرائيلية من جهة اخرى ، اعلن ان كيسنجر « متفائل » من نتائج زيارته الاخيرة للمنطقة ، وانه سيعود اليها بعد نحو اسبوعين في « زيارة عملية » ، فسرت وكأنها تهدف الى تنفيذ الاتفاق بين مصر واسرائيل حول مرحلة اخرى من التسوية الجزئية في سيناء .

ويستفاد من الانباء الواردة من اسرائيل ان كيسنجر استطاع ، في نهاية الامر ، وبعد ان اجتمع الى مئير واجرى محادثات مع المسؤولين الاسرائيليين ، اعرب خلالها عن « تفهمه » لموقف رابين و « انتقاده » لبيريس ، الحصول على موافقة اسرائيلية على تنفيذ مرحلة اخرى من التسوية بين اسرائيل ومصر . وبموجب هذا الاتفاق تنسحب اسرائيل مسافة ٣٠ — ٥٠ كم من سيناء ، بما في ذلك حقول النفط في ابو رديس ، التي يعتقد كيسنجر انها « في جيبه » (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/٢/١٤) ، وذلك لقاء تعهد اميركي بتأمين تزويد اسرائيل بالنفط — كما يبدو من ايران (واعلن في هذا الصدد ، من ناحية ثانية ان حكومة اسرائيل قد شكلت لجنة خاصة لتعيين مبالغ تعويضات نهاية العمل لعمال ابو رديس — معاريف ، ٧٥/٢/٩) . أما بالنسبة لمري المتلا والجدي ، فان الاتجاه السائد هو تقسيمها بين اسرائيل ومصر ، بينما تسيطر قوات طوارىء دولية على جزء من الممرات بين الطرفين . وسيكون امد الاتفاق ، على الاقل ، ١٨ شهرا ، غير انه يتوقع ان يستمر عمليا اكثر من ذلك ، نظرا لانتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة خلال السنة المقبلة .

صبري جريس

[٢]

اسرائيل امام مرحلة ثانية من الانسحاب في سيناء

تستعد اسرائيل لاستقبال الدكتور كيسنجر ، وزير الخارجية الاميركي ، في زيارته المقبلة للمنطقة في وقت يجمع فيه معظم المعلقين والمسؤولين الاسرائيليين على ان الهدف من هذه الزيارة هو تنفيذ اتفاق جزئي مرحلي اخر من الانسحاب من سيناء ، وانها ستكون « زيارة مهمة وحاسمة »، بينما يعلن رابين ان اسرائيل ستضطر قريبا الى « اتخاذ قرارات » بشأن موقفها من اقتراحات التسوية ، بعد أن « وافق السادات على سياسة المراحل » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٩) . وفي هذا الاطار يتوقع « ان يأتي كيسنجر للشرق الاوسط لمدة ثلاثة اسابيع على الاقل . وافتراضه الاساسي ان اسرائيل مستعدة للانسحاب من ابو رديس ومن ممري المتلا والجدي ايضا ، وان المفاوضات الاقليمية ستتركز في المساومة حول عمق الانسحاب في الجهة الشرقية من الممرات في سيناء . وبموجب هذا التقدير سيحصل السادات على معظم مطالبه الاقليمية ، من خلال تفاهم غير مكتوب بأن مؤتمر جنيف سيستأنف حالا ، وان مفاوضات ستجري مع السوريين حول هضبة الجولان » (دان مرغليت — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٨) . وعلى هذا الاساس ، يفترض ان يعالج كيسنجر ، خلال زيارته المقبلة ، مسائل اخرى منها مدة الاتفاق بين مصر واسرائيل ، و « أسس » انهاء حالة الحرب بين البلدين .

ويبدو ، من ناحية ثانية ، ان اجراءات عديدة « هادئة » اتخذت خلال الفترة الاخيرة ، خلال زيارات كيسنجر للمنطقة وفيما بينها ، حملت اسرائيل على التخلي عن « تصلبها » واتخاذ المواقف المنسوبة لها . فبالنسبة للانسحاب من حقول النفط في ابو رديس يتضح ، استنادا الى اخبار وتعليقات اسرائيلية عديدة بهذا الشأن ،

ان اسرائيل وافقت على ذلك بعد أن تعهدت الولايات المتحدة بتأمين تزويدها بحاجتها من النفط من ايران ، وذلك بعد ان وافقت ايران على ذلك وقدمت تعهدا بهذا الشأن الى اميركا ، وقد تم هذا بمعرفة مصر وموافقتها . كذلك يفترض أن تقوم الولايات المتحدة بدفع ثمن ذلك النفط ، على شكل هبات او قروض تمنح لاسرائيل،وان تتعهد تجاه اسرائيل بالمثابرة على القيام بذلك لمدة طويلة. وأكدت بعض المصادر (دان مرغليت — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٠) ان كيسنجر قطع « مرحلة الاحاديث العمومية وبدأ بمعالجة تفاصيل الكفالة الايرانية الاميركية ، التي ستمنح لاسرائيل لتزويدها بالنفط عند الانسحاب من ابو رديس » . وأعلن أيضا في هذا الصدد ، من جهة اخرى ، ان ابار النفط في ابو رديس ستنضب ، على اي حال ، خلال ١٩٨٠ — ١٩٨٢ (شلومو غريبر — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٠) .

أما فيما يتعلق بالانسحاب من ممري المتلا والجدي ، التي لا يزال الوضع بالنسبة لهما « غامضا » ، بينما كانت قد ترددت بشأنهما اقتراحات معينة تفيد انها قد تقسم بين اسرائيل ومصر ، في حين تقف قوات الامم المتحدة بينهما ، فقد ذكر ان كيسنجر يقترح صيغا معينة لحمل اسرائيل على الانسحاب من المنطقة ، منها ان لا يكون اخراج قوات الطوارىء من المنطقة في المستقبل متعلقا بارادة اي من الطرفين ، مصر او اسرائيل ، وانما بقرار من مجلس الامن (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٥) . وكذلك ستحدد الفترة التي يتم فيها الانسحاب الاسرائيلي في سيناء وفقا لقدرة اسرائيل على بناء خطوط دفاعية جديدة في المنطقة التي تنسحب اليها (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٦) .

وتجدر الاشارة هنا ، على ذكر الانسحاب الاسرائيلي من سيناء الى ان وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريس كان قد اعلن ، في مقابلة مع احدى محطات التلفزيون الاوروبية ، واذيعت ايضا في اسرائيل (يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٥/٢/٢٠) ان الانسحاب الاسرائيلي من سيناء ، على المدى الطويل ، يتم بشكل يهدف الى خلق وضع تقوى فيه سيطرة مصر على قناة السويس والمناطق المحيطة بها ، بينما تؤمن السيطرة الاسرائيلية على شرم الشيخ ومضائق تيران . كذلك تطرق العميد يشعياهو غافيش (في مقابلة مع دافار ، ١٩٧٥/٢/٢١) ، احد قادة المنطقة الجنوبية سابقا ، التي تضم سيناء أيضا ، الى مسألة الانسحاب من ممري المتلا والجدي معلنا ان مثل هذا الانسحاب يمس بقدرة اسرائيل وتحركاتها العسكرية في تلك المنطقة ويمنح مصر قاعدة أصلب للوثوب منها ومهاجمة الجيش الاسرائيلي في المستقبل ، رغم قيود نزع السلاح التي قد تفرض هناك . وبتصريحاته هذه انضم غافيش الى زميله السابق في قيادة المنطقة الجنوبية ، اريئيل شارون ، الذي كان قد أبدى اراء مماثلة في مناسبات عديدة ، غير أن غافيش استطرد قائلا ان لمثل هذا الانسحاب ميزات أيضا، اهمها تقصير خطوط امدادات الجيش الاسرائيلي، بعد تقليص المساحة التي يسيطر عليها في سيناء، وبالتالي زيادة قدرته على الحركة (المصدر نفسه) .

وفيما يتعلق بماهية الاتفاق السياسي ، وعلى الرغم من ازدياد المطالبة داخل اسرائيل بالتوجه الى تسوية شاملة مع العرب ، في اطار مؤتمر جنيف او غيره ، فقد علم ان الانسحاب المقترح من سيناء لا يعدو كونه ، في نهاية الامر ، خطوة اخرى على طريق التسويات الجزئية ، « ولهذا تعارضه سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية » (اهود يعري — دافار ، ١٩٧٥/٢/٢١) . وعلم أيضا (المصدر نفسه) انه على الرغم من تصريحات رابين المتكررة بشأن عدم موافقة اسرائيل على الانسحاب من سيناء الا مقابل اعلان مصري بانهاء حالة الحرب ، فان الاتفاق المزمع عقده لن يكون الا نوعا من « نصف سلام » ، يبقى نافذ المفعول لمدة تتراوح بين ١٨ شهرا و٣ سنوات ، تتعهد مصر « بعدم التدخل » خلالها اذا حدث شيء ما على الجبهات الاخرى ، وخاصة الجبهة السورية . وتشير انباء اخرى الى ان مصر رفضت هذا الاقتراح واعلنت ، في مقابل ذلك ، انها ستكون على استعداد للالتزام بمثل هذا الشرط اذا ظهر ان هناك ، من ناحية اسرائيل ، استعدادا « لاستمرار تقدم دائم في السعي نحو السلام » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٨/٢/ ١٩٧٥) . وتلمح بعض المصادر الاسرائيلية الى

ان تعهد « عدم التدخل » هذا ينطبق ايضا في حالة عقد مؤتمر جنيف ، اي أن تمتنع مصر خلال فترة الاتفاق ، وحتى اذا عقد مؤتمر جنيف باشتراك كل الاطراف ، عن توجيه اية ضغوط الى اسرائيل لحملها على تغيير موقفها ، اثناء المؤتمر ، من التسوية على الجبهات الاخرى .

ضمانات اميركية لاسرائيل

طرحت خلال زيارة كيسنجر السابقة للمنطقة ، وبعد ذلك ، مسألة منح ضمانات اميركية لاسرائيل وذلك — كما يقول البعض — لمساعدتها على « ابتلاع القرص المر » والموافقة على الانسحاب من سيناء ، وثارت المسألة بشكل خاص بعد ان أعلن متحدث بأسم وزارة الخارجية الاميركية ان وزارته طلبت اجراء دراسات حول الموضوع ، للاستعانة بها عند الحاجة ثم تأكيد كيسنجر نفسه لذلك فيما بعد . واقتصرت ردود فعل المسؤولين الاسرائيليين الفورية على عدم « تشجيع » الفكرة، اذ أعلن وزير الخارجية الون ان مسألة تقديم ضمانات اميركية لاسرائيل لم تبحث مع كيسنجر خلال محادثاته في اسرائيل (معاريف ، ٢١/٢/١٩٧٥) . وانه لا يحبذ ذلك ، بينما أعلن رابين ان حلفا دفاعيا مع الولايات المتحدة لا يمكن ان يكون بديلا عن تسوية مع العرب (معاريف ، ٢١/٢/١٩٧٥). ونسب أحدهم (موشي زاك — معاريف، ٢٣/٢/١٩٧٥) الى رابين قوله ايضا انه « في اللحظة التي سيخرج فيها مصير اسرائيل ، فيما يتعلق بالدفاع عن نفسها ، من أيديها ، ستكون اسرائيل اخرى ... تعيش تحت رحمة الاخرين . ليس هناك من سبب او مبرر او حاجة للانحراف عن الخط الذي تنتهجه الحكومة بأن الدفاع عن اسرائيل يستند الى قوتها ، وقوتها الذاتية فقط » .

ويستفاد من معظم الانباء الواردة حول مسألة منح ضمانات اميركية لاسرائيل ان القصد من ذلك ، على أي حال ، هو البحث في هذه الناحية في حالة وصول اسرائيل الى اتفاق تسوية نهائي مع العرب ، وان الهدف من طرحها في هذه المرحلة بالذات دعم حكومة رابين « وتشجيعها » في السير على طريق التسويات الجزئية وتقديم « تنازلات » للعرب . ولكن على الرغم من ذلك، أثارت هذه الاقتراحات نقاشا واسعا في اسرائيل، خاصة وان مسألة منح ضمانات اميركية لاسرائيل هي — بحسب رأي البعض — احد « أمراض طفولة » السياسة الخارجية الاسرائيلية ، اذ كان ابا ايبن ، وزير خارجية اسرائيل سابقا ، قد طالب بذلك ، مثلا ، قبل ما يزيد على ٢٠ سنة .

بدأ الحديث عن ضمانات اميركية لاسرائيل قبل ان يطرح الموضوع علنا من قبل الاميركيين ، واتجهت اراء معظم الذين تطرقوا الى هذه الناحية من الاسرائيليين الى عدم الموافقة على هذا الاتجاه ، لان « كل من يضع اسرائيل في موقف المحتاجة الى حلف عسكري مع الولايات المتحدة، لا يضيف لها اصدقاء وتعاطفا لدى الرأي العام الاميركي وانما ، على العكس ، يبعد عنها التعاطف ويشكل رادعا لزيادة المساعدات الاميركية لها » (موشي زاك — معاريف ، ٢١/٢/١٩٧٥). غير أن هذه اللهجة تغيرت بعد أن راح الاميركيون أنفسهم يتحدثون عن الضمانات ، بحيث بدا وكأن هناك اجماعا من قبل المعلقين الاسرائيليين لتأييد ذلك، شرط أن تكون « ضمانات واضحة ومعقولة » تكفل فعلا امن اسرائيل ووجودها . ونسب البعض الى كيسنجر قوله ، اثناء محادثاته مع زعماء اسرائيل ، ان ما يدفعه الى التفكير في تقديم ضمانات اميركية لاسرائيل هو « أن ٣ ملايين نسمة يقطنون اسرائيل فقط ، ولكنها محاطة بـ ١٢٠ مليون عربي ، وهؤلاء الجيران المعادون يزدادون غنى بشكل دائم ، في الاساس بسبب النفط . ان هؤلاء الجيران العرب يعملون على امتلاك صناعات ويشترون اسلحة بمليارات الدولارات . باستطاعة اسرائيل الصمود سنة او سنتين ، وربما اكثر ، ولكن ماذا يخبىء لها المستقبل البعيد اذا استمرت واقفة ، دون انقطاع ، في وضع صدامي مع الحركة العربية المتطرفة ؟ والى متى ستستطيع الصمود ؟ كما ان النفط عقد مشكلة اسرائيل ، اذ ليس باستطاعة العرب الحصول على تأييد سوفييتي فقط وانما ، وبطرق غير مباشرة ، يستطيعون ايضا كسب تأييد اوروبي — غربي وياباني — من دول ترتبط صناعاتها بالنفط العربي ، او من قبل حكومات لا تجرؤ على اغضاب مزوديها بالنفط . ان

هذه الحقيقة تبعث الشك ايضا في مصداقية المساعدات الاميركية خلال السنوات العشر القادمة . وعليه ... فالنتيجة ... هي انه من الافضل لاسرائيل ان تنسحب ، نحو السلام — عندما تحين الفرصة لذلك ، بدلا من المخاطرة...» (شموئيه سيغف — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١) .

وتطرق معلقون اخرون ايضا الى البحث في مسألة الضمانات الاميركية لاسرائيل، فأشار احدهم الى ان هذه الضمانات « قد تكون أساسا مهما في تقوية امننا ، وبمثابة اضفاء طابع قانوني على العلاقات الخاصة ، القائمة بيننا وبين صديقتنا الكبيرة ، فيما وراء المحيط » (يعقوب كروز — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٢٠) . ولكن على اسرائيل ان تهتم بشكل خاص بتوضيح مضمون تلك الضمانات ، « ويأكفي ان نتذكر تجربتنا المرة مع تصريح الدول الكبرى الثلاث في أيار ١٩٥٠ وووعد الولايات المتحدة في اذار ١٩٥٧ بشأن حرية الملاحة في قناة السويس ومضائق تيران » — التي « تبخرت » ، بحسب رأيه (المصدر نفسه) . كذلك طالب اخر « بعدم الاستخفاف بقوة الضمانات الاميركية ، حتى اذا كانت تنقص الولايات المتحدة اليوم الارادة الصادقة لتنفيذها عنوة ، عندما يطلب منها ذلك . فالضمانات الاميركية ، في نهاية الامر ، جزء حيوي من اتفاقيات الفصل ، وستكون جزءا حيويا أيضا من الاتفاقية المقبلة مع مصر . ولا شك ان تسويات اخرى ، ان تمت ، ستحتوي على تلك الضمانات، ولا شك أيضا ان فحوى هذه الضمانات يعتبر عاملا في الحسابات الاسرائيلية عند البحث في انسحاب اخر . ان للضمانات الاميركية قوة رادعة تجاه العرب والروس ، ولها أيضا مغزى كبير لجهة مساعدات الولايات المتحدة السياسية والعسكرية والاقتصادية لاسرائيل . ان مسألة تصرف الولايات المتحدة ، مثلا ، في حالة هجوم اسرائيلي على سوريا كانت ستقلقنا اقل لو كان الوضع على حدود الجولان منظما بمساعدة ضمانات اميركية » (ناحوم برناع — دافار ، ١٩٧٥/٢/٢٧) .

وتشير معظم التعليقات الاسرائيلية الى « ان الاميركيين سيقدمون ضمانات لحدود اسرائيل الجديدة ... شرط الا تكون مختلفة بصورة جذرية عن حدود حزيران ١٩٦٧ » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٢١) أي ، بصيغة اخرى ، بعد موافقة اسرائيل على مشروع روجرز، والانسحاب من كل المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ مع « تعديلات طفيفة » في الحدود ، وهو المشروع الذي يدعي الاسرائيليون ان كيسنجر لا يزال يعمل على تنفيذه (شموئيل سيغف — معاريف، ١٩٧٥/٢/٢١) وناحوم برناع — دافار ، ١٩٧٥/٢/٢٧) .

ولخص احدهم ، من ناحية ثانية ، النقاش حول اقتراحات تقديم ضمانات اميركية لاسرائيل بقوله « ... اننا نتحول بسرعة من دولة مستقلة، متعلقة حقا بمساعدات من الخارج ، الى محمية، تعيش على حساب الولايات المتحدة . اننا ننوي طلب ٥ر٢ مليار دولار من الولايات المتحدة ، خلال سنة الميزانية ١٩٧٦ ، منها ١٫٨ مليار مساعدة أمنية . واذا أيد الكونغرس والادارة [الاميركيان] هذا الطلب ، ستقف اسرائيل لاول مرة في رأس قائمة المحتاجين الى مساعدة اميركية ... ويبدو أننا نقترب من الوصول الى وضع متناقض ، يتقلص فيه استقلالنا السياسي كلما ازدادت قوتنا العسكرية . ان هذه الصيغة سيئة بالنسبة لاسرائيل وسيئة ايضا ، عمليا ، بالنسبة لاميركا » (ناحوم برناع — المصدر نفسه) .

استمرار الدعوات لعقد مؤتمر جنيف ...

رغم انهماك الاسرائيليين في مناقشة ماهية المرحلة المقبلة من التسوية مع مصر والانسحاب الجزئي من سيناء ، ومن ثم مسألة الضمانات الاميركية ، استمرت في الوقت نفسه الدعوات المطالبة بالعمل على عقد مؤتمر جنيف ، خاصة وان « مجال المناورة الذي بقي [امام اسرائيل] يبدو الان ضيقا للغاية ، بل يبدو وكأنه غير موجود تقريبا ، بحسب رأي بعض كبار الوزراء في القدس . ومن هنا يبدو ان الذهاب الى جنيف واقعي اكثر ، ويكاد يصعب منعه ، حتى اذا تم اتفاق جزئي مع مصر . لقد تم الاتفاق على هذا، لا بالنسبة للعرب والسوفييت فقط ، وانما بالنسبة لكيسنجر ايضا » (يهوشواع تدمور — دافار ، ١٩٧٥/٢/١٨) . ولهذا لا بد لاسرائيل من

الاستعداد لذلك ، لانه « لا يمكن ان تهبط في جنيف دون استعدادات مسبقة ودون اجـراء محادثات منفصلة ، اولا مع كل دولة عربية للوصول الى تفاهم حول سلم الافضليات . وبدون هذا سيحكم على المؤتمر بالفشل قبل انعقاده ، وذلك دون أن نتحدث عن الحاجة الى الاتفاق مسبقا حول طريقة البحث في المسألة الفلسطينية ، بما في ذلـك الموقف الاسرائيلي ، غير القابل للتأويل ، الداعي الى عدم الاشتراك في مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية » (المصدر نفسه) .

وحذر اخر ، من ناحية ثانية ، من ان « عقد مؤتمر جنيف مجددا وتحويله الى مؤتمر دولي على غرار مؤتمر جنيف لسنة ١٩٥٤ ، الذي عقد لانهاء الحرب في الهند ـــ الصينية ، قد يفرض علينـــا تسوية شاملة ونهائية سيئة » ، لانه من الصعب على اسرائيل ان ترى كيف ستتمكن الولايـات المتحدة من الوقوف بصلابة الى جانب اسرائيل « مقابل جبهة عربية متراصة ، وجبهة عربية ـــ سوفييتية مشتركة ... واذا افترضنا بأنه تـم حقا الوصول الى اتفاق اخر مع مصر وجاء دور سوريا ، فمن الممكن ان يزداد الضغط السوفييتي على واشنطن لدرجة لا تستطيع معهـا الزعامـة الاميركية الوقوف الى جانبنا ... ان الكرملين لن يوافق على اتفاق اسرائيلي مع سوريا ... يصاغ في مفاوضات ثنائية بأشراف الولايات المتحـدة وحدها » (فولص ـــ هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢١) . كذلك ينبغي على اسرائيل ان تحذر من مغبـة خططها الهادفة الى « عزل » مصر عـن العالم العربي ، اذ على الرغم من قبول مصر باتفـاق فصل القوات بعد حرب ١٩٧٣ ، بحيث اضطرت سوريا ايضا على القبول بالشيء نفسه في نهايـة الامر ، وعلى الرغم من موافقتها على تسويـة جزئية اخرى مع اسرائيل ، لم تحظ برضى العرب باجمعهم ، « فلا يمكن ان نفترض [ان مصر] قد تبدي لا مبالاة تامة لما سيحدث ، او لا يحدث ، بعد ذلك في هضبة الجولان والضفة الغربيـة والقدس وقطاع غزة . انها [مصر] تريد ارجاع اسرائيل الى « حجمها الطبيعي » (المصدر نفسه). وأعلن اخر في الوقت نفسه ، « ان اسرائيل ترفض بتاتا مفهوم السادات بشأن اهداف مؤتمر جنيف . ان مؤتمر جنيف ، بحسب مفهوم اسرائيل مؤتمر للسلام وليس مؤتمرا لانهاء حالة الحرب . ان انهاء حالة الحرب منصوص عليه في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، الذي وافقت عليـــه مصر » (اريئيل غيناي ـــ يديعوت أحرونوت ، ٢/١٨/ ١٩٧٥) .

وعلى غرار مطالبة مصر الاتحاد السوفييتي ـــ كما أشارت بعض الانباء ـــ بتعويضها عن الاسلحة التي فقدتها خلال حرب تشرين ، قبل ان تذهب الى جنيف ، طالب النائب السابق يزهار هراري اسرائيل بالاعلان انها لن تذهب ايضا الى جنيف، الا بعد ان يستأنف الاتحاد السوفييتي علاقاتـه الديبلوماسية معها ، « ومـا دامت روسيـا السوفييتية لا تعترف بنا ، ولا تريد تجديد اعترافها بنا وبوجودنا كدولة ، لا نستطيع الاشتراك في مؤتمر كهذا ، ان كان في جنيف او في اي مكان اخر . واحدة من اثنتين : اما مفاوضات مباشرة مع كل واحدة من الدول العربية صاحبة العلاقة، واما مؤتمر « باشراف مناسب » لدولتين تعترفان ... بكل دولة مشتركة في هذا المؤتمر ، على قدم المساواة » (من مقـال له فـي هآرتس ، ١٦ /١٩٧٥/٢) .

... واستمرار الانتقادات للحكومة الاسرائيلية

كانت مصادر عديدة قد أشارت ، خـلال الشهرين الاخيرين ، الى وجود « خلافات » في وجاهت النظر بين الوزراء « الثلاثة الكبار » في الحكومة الاسرائيلية ـــ رئيس الحكومة رابـين ووزير الدفاع بيريس ووزير الخـارجية الون ـــ بشأن مواقفهم من التسوية الشاملة عامـة والتسوية الجزئية مع مصر خاصة ، حيث وصف بيريس بانه « متصلب » والون « معتدل » ، بينما يقف رابين « في الوسط » . كذلك وجهت ، من ناحية ثانية ، انتقادات عديدة لجهة استئثار هذا الثلاثي ، او احد افراده ، بادارة سياسـة اسرائيل الخارجية والامنية وتقديمه ، مثـلا ، الوعود الى الولايات المتحدة او نقضها ، بشـأن الانسحاب من سيناء وغير ذلك ، دون ان يعمل على بحث الامر في الحكومة او حتى دون محاولة معرفة رأي باقي الوزراء .

ولم تتوقف هذه الانتقادات خلال الاونة الاخيرة، ولكنها اتخذت طابعا يكشف ـــ كما يبدو ـــ جانبا

اخر من مواقف اولئك المسؤولين الاسرائيليين وطرق عملهم ويظهر ان مواقفهم المعلنة ، رغم التصريحات العديدة المتشددة التي يطلقونها لدعمها ، ليست مواقفهم الحقيقية . وقد انصبت الانتقادات بشكل خاص على وزير الدفاع شمعون بيريس ، الذي اتهم بأنه رجل « متلون » ، يبدي في الاجتماعات المغلقة اراء مغايرة لتلك التي يطلقها علانية . وأشار البعض (ماتي غولان — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/١٧ ويوسف حاريف — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١) الى ان بيريس اتخذ خلال اجتماعات الحكومة الاسرائيلية الاخيرة ، التي بحثت فيها بعض جوانب الاتفاق مع مصر « موقفا معتدلا ، اذهل حتى الوزراء الحمائم » وحمل بعضهم على معارضته ، وذلك رغم استمراره في اطلاق التصريحات العلنية المتشددة. كذلك اتهم اخرون بيريس بانه يسير على خطى دايان ويريد ان « يكسب الدنيا والاخرة » ، وذلك باتخاذ مواقف « واقعية » داخل الحكومة لكي تستطيع الاستمرار في تأدية مهامها ولا تتعرض للسقوط ، بينما يطلق التصريحات المتشددة علنا لكي يكسب شعبية ، ويعد نفسه لاستلام منصب رئيس الحكومة في المستقبل .

كذلك نال رئيس الحكومة رابين قسطا من هذه الانتقادات ، ولكن من نوع اخر . فبعد ان كانت معظم المعلومات السابقة تشير الى ضعف مركز رابين في النظام الاسرائيلي وعدم قدرته على السيطرة على حكومته ، بحيث يتصرف وكأنه يتخذ القرارات وينفذها خفية ، تشير انباء اخرى الى ان رابين يقوم بذلك عن وعي وادراك كاملين وانه يطالب بالاعتراف بحق الحكومة في « حرية الحركة » (يوسف حاريف — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٨) ، ويسعى أيضا للوصول الى زعامة حزب العمل ، وبالتالي تأمين استمراره في تولي منصب رئيس الحكومة . وفي هذا الاطار ، وعلى صعيد الموقف العملي من التسوية مع مصر ، تفيد الانباء ان رابين كان ، ولا يزال مصرا على مطالبته مصر بانهاء حالة الحرب مع اسرائيل في المرحلة المقبلة من التسوية ، وانه « جاد » في مطلبه هذا ، رغم معارضة عدد من الوزراء الاسرائيليين ، لاقتناعهم باستحالة قبول مصر بذلك في المرحلة الراهنة ، مما قد ينسف مساعي التسوية ويعرض اسرائيل لحرب جديدة . وعلق أحدهم على ذلك ، منتقدا رابين ، بقوله « ان شعار انهاء حالة الحرب أصبح خط جبهة محصن » (شلومو اهرونسون — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٨) ، « ويصعب علينا ان نرى كيف سننجو من هذه الصيغة ... اذا قرر السادات توريط السيد رابين في دوامة بين جنيف دون اتفاقية مرحلية مسبقة وبين التهديد بالحرب . ومن الممكن ان رئيس الحكومة يقدر ان المصريين غير مستعدين للحرب ، او ان قوتنا تسمح لنا بهذه المخاطرة ... ولكن من سيدفع [مصاريف] الحرب ، او مصاريف تجنيد مستمر خلال اسابيع واشهر . ألم يقرأ العدو بعناية كل اقوال الوزراء بشأن تسديد ديون حرب يوم الغفران ، التي استغلت لتبرير الخطوات [الاقتصادية] التي اتخذت في مطلع هذا الاسبوع ؟ هل يسمح الوضع الاقتصادي لاسرائيل بخيار عسكري مفتوح حقا لمجابهة حرب استنزاف على جبهة واحدة او جبهتين ، او حرب شاملة على جبهتين او ثلاث جبهات ؟ وان لم يكن الامر كذلك ، فلماذا الصراع حول « انهاء حالة الحرب » الذي قد ينتهي بجمود او بالتهديد بالحرب ؟ » (المصدر نفسه) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان الحديث في اسرائيل حول المرحلة التالية من التسوية الجزئية يكاد لا يتطرق ابدا الى الجبهة السورية ، التي « ربما » يحين دورها في المستقبل ، بينما يعتبر الوضع على الجبهة الاردنية مجمدا . وتفيد اخر الانباء بهذا الشأن (دافار ، ١٩٧٥/٣/٢) ان شمعون بيريس « يفكر » حاليا في مشروع لطرحه على الحكومة الاسرائيلية يهدف الى منح « صلاحيات حكم » للسكان في المناطق المحتلة ، وخاصة الضفة الغربية وذلك تنفيذا لمطالبة بعض الدوائر الاسرائيلية القيام بذلك ، فيما يبدو وكانه محاولة لخلق « ثقل مضاد » للاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية في آن واحد .

ص. ج.

[٣]

زعماء الخليل يبحثون مشاريع اسرائيل الاستيطانية
موجة واسعة مـــن النشاط الفدائي
والاعتقـــالات في المناطق المحتلــة

عقد نحو ١٥٠ شخصا من زعماء ورؤساء بلديات منطقة الخليل اجتماعا برئاسة رئيس بلدية الخليل محمد علي الجعبري ، في مطلع هذا الشهر ، لبحث قضايا الاستيطان اليهودي في المنطقة ، والاجراءات الاخيرة التي اتخذتها اسرائيل في سبيل تدعيـــم هذا الاستيطان وتوسيعه وخـاصة في مستوطنة كريات اربع ، الواقعة بمحاذاة مدينة الخليــل . واصدر المجتمعون قرارا يقضي بمطالبة العمـــال العرب بالتوقف عن العمل في بناء الحي اليهـودي في كريات اربع . ووصف هذا القرار بأنه « أعنف قرار اتخذه زعماء الخليل برئاسة الجعبــــري » (دافار ، ١٩٧٥/٢/٤) لانه يؤدي الى زيادة تأزم العلاقات بين المدينة العربية والمستوطنين اليهود في المنطقة ، « والتي لم تكن ابدا علاقات جـوار حسنة ، لان مستوطني كريات اربع يريدون تحويل حيهم الى مدينة يهودية كبيرة ، والغاء الطابــع العربي — الاسلامي لمنطقة الخليـل ويتحدثـون صراحة عن ذلك ، بينما يعتبر هذا الامر بمثابـة سيف على عنق الزعامة المحلية بقيادة الجعبري » (داني روبينشتاين — دافار ، ٧٥/٢/٧) .

اما الاسباب المباشرة التي دعت الى عقد هذا الاجتماع ، فتعود الى الاجراءات الاخيرة التـي اتخذتها الحكومة الاسرائيلية لتدعيم الاستيطـان اليهودي في كريات اربع ، واولها الامر الـذي اصدره الحاكم العسكري لمنطقة الضفة الغربيـة قبل اربعة شهور تقريبا ، وهو « امر ادارة كريات اربع » ، وبموجبه يسمح باقامة سلطة محلية في كريات اربع تقوم بتقديم الخدمات البلدية للحـي اليهودي . وعمليا ، يمكن هذا الامر المستوطنـين الاسرائيليين من ادارة شؤونهم داخل الحي حسب نصوص التشريع البلدي الاسرائيلي ، مما يعني فرض القانون الاسرائيلي على جزء من المناطـق المحتلة ، وان تم ذلك بطريقة غير مباشرة ، وهو ما تجنبته السلطـات الاسرائيليـة حتى الان ، باستثناء مدينة القدس . اما الاجراء الثاني الذي اتخذه الحكم العسكـري في سبيل تدعيم مركـز المستوطنين من ناحية قانونية ، فقد تمثل في اصدار « أمر ترخيص » ، يعتبر بمثابة تسجيل اولـي للمساكن والاراضي التي صادرتها اسرائيـل ، باسم المستوطنين الاسرائيليين في الحي (المصدر نفسه) . وبموجب هذا الامر يستطيع المستوطنون ايضا شراء قطع الارض المخصصة للبناء واقامة مساكن خاصة بهم في كريات اربع (دافار ، ٤/٢/ ١٩٧٥) . كما صادقت السلطات الاسرائيلية مؤخرا على مشروع شق طريق جديدة من كريات اربع الى القدس ، بينما اعلن الحكم العسكري اثر ذلـك عن مصادرة اراض عربية ، ومعظمها لاقـــارب الجعبري ، من اجل شق هذه الطريق (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٤) ، مما يدل على رغبة السلطات في توسيع الاستيطان في كريات اربع . اما الامر الاخير الذي اثار زعماء المنطقة فكان عقد مؤتمر حيروت في كريات اربع ، بحضور رئيس الدولة وبعـض وزراء الحكومة (المصدر نفسه) ، وذلك رغـم برقيات الاحتجاج التي ارسلها الشيخ الجعبـري للسلطات الاسرائيلية والتصريحات العلنية التـي ادلى بها ، في سبيل منع عقد هذا المؤتمر هناك ، والتي لم يستجب احد لها ، باستثناء رد فعـل عدائي من قبل لجنة المستوطنين في كريات اربـع ، التي اعلنت ان احتجاج الجعبري يشكل تدخلا في قضايا اسرائيلية رسمية ، ويذكر بالايام الغابـرة في الخليل (والاشارة الى احداث ١٩٢٩) (داني روبينشتاين — دافار ، ١٩٧٥/٢/٧) .

وعلى خلفية هذه الاحداث ، عقد اجتماع وجهاء منطقة الخليل الذي صدرت عنه عـدة قـرارات اهمها ، كما اشرنا ، دعوة العمال العرب الـى التوقف عن العمل في كريات اربع ، ثم ارســال بعثة الى الدول العربية لشرح المشاكل المحليـة ومتطلبات السكان في المنطقة وجمع الاموال في سبيل

اقامة الابنية العامة في مدينة الخليل . وورد في القرارات ايضا بعض الفقرات التي تتحدث حول الخطر الكامن لمدينة الخليل العربية ، بسبب توسيع كريات اربع . كما استنكر المجتمعون عقد مؤتمر حيروت في الحي اليهودي ، بحضور رئيس الدولة وبعض الوزراء (دافار ، ١٩٧٥/٢/٤) .

وقد اثارت هذه القرارات ، من ناحية ثانية ، موجة من الاستياء بين المستوطنين اليهود في كريات اربع ، « حيث توجهوا الى قائد المنطقة الوسطى والحاكم العسكري لمنطقة الضفة الغربية طالبين التدخل ووضع حد للتحريض البشع الذي يقوم به وجهاء منطقة الخليل ضد المستوطنات اليهودية في المنطقة » (توفيق خوري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٥) . ويعتبر تعقيب حاخام كريات اربع، المدعو موشي ليفينجر على قرارات المؤتمر افضل تعبير عن الكراهية وجو العداء السائدين بين المستوطنين اليهود وبين المواطنين العرب ، حيث اعلن أنه : « اذا لم تعمل الحكومة بصورة مفيدة ، سيضطر سكان كريات اربع الى اخذ المبادرة من اجل وضع حد لهذا التحريض البشع . آمل ان لا يحدث هذا الامر ، والا تتكرر ايام الاصطدامات في المنطقة » (المصدر نفسه) . واضاف ليفينجر : « لقد اقمنا المستوطنة ، ونستعد لتطويرها من خلال علاقات طيبة مع سكان المنطقة، ولكن اذا قرر المواطنون افساد العلاقات او نشر بيانات كهذه ، فنحن واثقين من ان وضعهم سيسوء ، وربما يذكرهم ذلك باحداث الايام الغابرة » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٥) .

وفي مقابل رد الفعل المتطرف الذي اعلنه المستوطنون اليهود في المكان ، ظهر رد فعل اخر يدعو الى الحذر « اذ ان المنطق السياسي يلزم اسرائيل بمحاولة التقليل من نقاط الاحتكاك . لن نجد حلا للصراع الاساسي حتى بدون شق طريق مباشر من القدس الى كريات اربع، وبدون مصادرة الاراضي لاجل ذلك . ولكننا مهتمين بتقليل الشعور بالعداء ، حتى اذا كتب علينا عدم المقدرة على ازالته من اساسه ، لاننا لا نستطيع ذلك . وستحسن الحكومة وذراعها التنفيذي والحكم العسكري صنعا ، اذا تصرفوا بالحد الاقصى من الحذر وعدم اثارة المشاعر . ان الم الرأس في الخليل هو الامر الاخير الذي نحتاجه في هذه الساعة » (افتتاحية هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٥) .

كما تخشى السلطات الاسرائيلية من ان تؤدي قرارات زعماء منطقة الخليل تلك الى تشجيع العمل الفدائي في المنطقة ، خاصة وان هناك « مجموعات تخريبية في منطقة الخليل تعمل في الاساس على تهديد العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل . وقد هاجم افراد هذه المجموعات عدة مرات سيارات النقل التي تنقل العمال الى اسرائيل » (توفيق خوري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٥) ، وعلم ان اكثرية العمال العرب في كريات اربع لم تستجب لنداء مقاطعة العمل هناك .

زعماء المناطق في حالة ارتباك

يبدو ان الاهمية الكبيرة التي علقتها الاوساط الاسرائيلية على قرارات المطالبة بمقاطعة العمل في كريات اربع ، لا تعود في الاساس الى مضمون هذه القرارات ، خاصة وان نداءات مماثلة كانت قد صدرت في الماضي ، بقدر ما تعود الى مصدر توجيهها ، اي وجهاء منطقة الخليل برئاسة الجعبري ، احد الزعماء « البارزين والمعتدلين في المناطق المحتلة » ، على حد تعبير الاسرائيليين ، الذين حاولت اسرائيل اقناعهم مؤخرا بقبول اقتراحها المتمثل في اقامة حكم مدني مستقل في المناطق ، وفشلت في ذلك . ويبدو ان وضع هؤلاء الزعماء ليس سهلا ، « اذ انهم يقفون على مفترق الطريق بين اسرائيل ، والاردن و — م.ت.ف. » (يهودا ليطني — هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٦) . انهم لا يرغبون ، اولا ، في الوصول الى مواجهة مباشرة بينهم وبين السلطات الاسرائيلية خوفا من النفي والاعتقالات . كما ان لمعظمهم ، ثانيا ، ارتباطات وثيقة مع الاردن ، حيث يسافرون الى عمان ويلتقون بكبار الموظفين والوزراء وحتى مع الملك حسين . وفي مقابل ذلك ، ثالثا ، اقام بعض هؤلاء الزعماء ، مثل رئيس البرلمان الاردني سابقا حكمت المصري وحاكم القدس سابقا انور الخطيب، علاقات وثيقة مع قيادة م.ت.ف. في بيروت ، حيث اعربوا علنية عن تأييدهم المطلق لمنظمة التحرير الفلسطينية (المصدر نفسه) . ويبدو ان هؤلاء الزعماء استطاعوا حتى الان الحفاظ على علاقاتهم مع هذه الجبهات الثلاث رغم التناقض بينها . وعلق احدهم على علاقة هؤلاء الزعماء بالاردن بقوله انهم لا يستطيعون قطع علاقاتهم بالاردن ،

« طالما لم تحسم قضية الضفة الغربية نهائيا بين الاردن او م.ت.ف. ... كما ان الاردن الذي لا زال يرسل الاموال الى الضفة الغربية مهتم بالحفاظ على علاقات وثيقة مع الزعماء هناك ، ويخشى ان يفلت زمام القيادة من رجاله . فرغم مقررات الرباط ، يأمل الاردن بالعودة السعى ان يكون عاملا فعالا في المفاوضات حول مستقبل المناطق . ان الملك حسين — على حد قول احد الزعماء — يحتفظ بالضفة الغربية على « نار هادئة » ، لانه لن يتنازل عنها ابدا ، ولذلك فهو يواصل اتصالاته مع زعماء القدس الشرقية ونابلس والخليل ، لئلا ينقطع تماما عما يحدث » (يهودا ليطني — هآرتس ، ١٩٧٥/١/٢٦) .

حزب شيوعي فلسطيني

اما التيار الاخر الذي برز في المناطق المحتلة ، وكسب تأييد ومشاركة قطاعات من السكان ، وخاصة الشباب ، فهي الجبهة الوطنية الفلسطينية ، التي اعلنت عن تأييدها لـ — م.ت.ف. ، والتي يكوّن الحزب الشيوعي في الضفة الغربية احد فروعها الاساسية . وقد اطلق هذا الحزب على نفسه مؤخرا اسم « الحزب الشيوعي الفلسطيني » بعدما كان يعتبر في الماضي جزءا من الحزب الشيوعي الاردني ، وبدأ يعمل لوحده في الضفة الغربية (داني روبينشتاين — دافار ، ١٩٧٥/١/١٨) . وتفيد بعض المصادر الاسرائيلية ان تغييرات معينة حدثت بعد حرب ١٩٦٧ في الحزب الشيوعي الاردني اثر المناقشات المتواصلة داخله بصدد التعاون مع م.ت.ف. حيث ايدت اكثرية قيادة الحزب تعاونا كهذا ، واقيمت منظمة فدائية دعيت « قوات الانصار » ، ولكنها لم تنضم الى صفوف م.ت.ف. ولم يسمع عنها شيء في الاونة الاخيرة . وفي مقابل ذلك انضم بعض الشيوعيين ، مثل فائق وراد من رام الله (الذي طردته السلطات الاسرائيلية) الى المجلس الوطني الفلسطيني . وعلى هذا الاساس حدث خلاف في قيادة الحزب الشيوعي الاردني ابعد على اثره بعض رؤساء الحزب ، مثل رشدي شاهين من نابلس وفهمي سلفيتي عن اي نشاط ، بسبب عدم موافقتهم على اسلوب التعاون مع م.ت.ف. « ويتضح انه بعد مؤتمر الرباط قرر الحزب الشيوعي بان تعمل خلاياه في الضفة بصورة مستقلة عن الحزب الشيوعي الاردني ، واطلقت على نفسها اسم : الحزب الشيوعي الفلسطيني » (المصدر نفسه) .

وبعد تأسيس الجبهة الوطنية في المناطق المحتلة ، بدأت اسرائيل بحملة اعتقالات واسعة بين صفوفها ، حيث تم اعتقال معظم زعماء الخلايا الشيوعية في الضفة وبينهم سليمان النجاب ، « ابرز الشيوعيين في الضفة » ، متهمة اياهم بالاستعداد لممارسة النشاط العسكري في الداخل ، وما زال اكثر من ٥٠ شخصا من بينهم في الاعتقال الاداري داخل السجون ، باستثناء اثنين قدما مؤخرا الى المحاكمة وهما المهندس محمود ياسين ، الذي حكم عليه بالسجن لمدة ٨ سنوات بعد اتهامه بالتدرب على استخدام الاسلحة في موسكو « وبالتآمر ضد الدولة » (على همشمار ، ١٩٧٥/١/٢٤) وبشير البرغوتي ، الذي بدأت محاكمته في المحكمة العسكرية في رام الله يوم ١٩٧٥/١/١٩ ، ووجهت له تهمة التجسس لصالح المنظمات الفدائية ، وهو من اعضاء الحزب الشيوعي البارزين في الضفة (معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٠) . وقد قدم النائب الشيوعي مئير فيلنر ، اقتراحا لجدول اعمال الكنيست ، في ١٩٧٥/١/١٣ ، طالب فيه باطلاق سراح المعتقلين الاداريين ، والغاء المحاكمات الصورية ضد اعضاء الحزب الشيوعي في الضفة ، ولكن اقتراحه رفض وشطب من جدول اعمال الكنيست . وقد وصف وزير الدفاع بيريس، اثناء النقاش ، اعضاء الجبهة بانهم « مجرمين »، لان الحزب الشيوعي في المناطق المحتلة ساهم كثيرا في تحريض الجمهور ، واقام ذراعا خاصة لممارسة اعمال العنف ، حيث نفذ عدة عمليات اثناءالحرب. واضاف انه من الصعب تقديم المعتقلين الاداريين الى المحاكمة لعدم وجود اثباتات كافية ضدهم (معاريف ، ١٩٧٥/١/١٤) . ونشرت زو هاديريخ (١٩٧٥/١/١٥) ، صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) الاسبوعية باللغة العبرية ، اسماء بعض المعتقلين الاداريين في الضفة الغربية، ومعظمهم اعتقل في نيسان ١٩٧٤ ، ومنهم : لبيب فخر الدين ، خلدون عبد الحق ، محمد عباس عبد الحق ، دكتور فرحان ابو ليل ، عبد الباسط الخياط ، جمال فريتيخ ، خليل حجازي ، احمد دحدول ، راجح غانم ، بسام عميرة ، بسام

شخشير ، زهير عميرة — من نابلس وسليمان النجاب ، تيسير عاروري ، غسان حرب ، عدنان داغر ، حسين الطويل ، عادل برغوتي ، رجب برغوتي — من القدس وحسين حداد ، عبد المجيد حمدان ، عطا الله الرشماوي ، خليل الرشماوي، داوود سيدياني ، ابراهيم العابد ، محمد سعادة ومصطفى طالب ابو سنينه — من بيت لحم والخليل . وهذا عدا عن المعتقلين في قطاع غزة .

وخلال محاكمة اعضاء من الجبهة الوطنية الفلسطينية مؤخرا ، قضت المحاكم العسكرية الاسرائيلية ان الجبهة « منظمة غير قانونية » لا يجوز لها ممارسة اي نشاط ، مثل باقي المنظمات الفدائية .

موجة جديدة من النشاط الفدائي والاعتقالات

تقوم السلطات الاسرائيلية مؤخرا ، من ناحية اخرى ، بحملة اعتقالات واسعة بين السكان في جميع انحاء الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة بتهمة ممارسة النشاط الفدائي . فقد اعلنت السلطات الاسرائيلية عن اعتقال ٤٠ شخصا في قطاع غزة (معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٩) بتهمة الانتماء الى خلايا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع ، وبينهم قائد الجبهة الشعبية هناك . واعلن ان اعضاء هذا التنظيم قاموا بعدة عمليات فدائية في الاونة الاخيرة ، منها القاء قنبلة على سيارة التلفزيون الاسرائيلي في الشارع الرئيسي في غزة (المصدر نفسه) . كذلك اعلنت السلطات الاسرائيلية عن اكتشاف خلية لحركة « فتح » في القطاع واتهمتها بوضع عبوة ناسفة في سيارة باص اسرائيلية في ريشون لتسيون في كانون الاول ١٩٧٣ (دافار ، ١٩٧٥/٢/٤) . وبلغ عدد المعتقلين في غزة خلال الشهر الماضي فقط نحو ٨٠ معتقلا (را ، ١٩٧٥/٢/٢) .

وفي الضفة الغربية ، اعلن عن اعتقال مجموعة من الشبان في نابلس ، بتهمة تنظيم خلايا سرية مسلحة تنتمي الى الصاعقة ، وبين المعتقلين هالة الطاهر وطه عبد المؤمن (دافار ، ١٩٧٥/٢/٤)، هذا عدا عن الاعتقالات الجماعية التي تتم بعد تنفيذ كل عملية فدائية ، ولا يتم نشر التفاصيل الكاملة حولها . وتجري هذه الاعتقالات في الوقت الذي تواجه فيه اسرائيل موجة متصاعدة من العمليات الفدائية ، وخاصة في القدس ، حيث يكاد لا يمر يوم الا ويعلن فيه عن وقوع انفجار في سيارات النقل او الحدائق او المباني . « ورغم التصعيد الكبير لعمليات التخريب في القدس ، فان قوات الامن تجهل اليد الموجهة لجميع هذه العمليات » (غابي برون — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٦) .

توقع بطالة عشرة الاف عامل من المناطق المحتلة

اعلنت وزارة العمل الاسرائيلية انها تتوقع بطالة عشرة آلاف عامل عربي من المناطق المحتلة ، الذين يعملون اليوم في اسرائيل ، خلال سنة ١٩٧٥ ، حيث سينخفض عددهم الى ٦٠ الف عامل بدلا من ٧٠ الف عامل يعملون هناك اليوم . واعلن مساعد وزير العمل لشؤون المناطق المحتلة ، شلومو امير ، ان الحكومة مهتمة بالحفاظ على وضع العمالة الكاملة في تلك المناطق ولذلك فانها تعد مشاريع مختلفة هناك لاستيعاب العمال الذين ستتم اقالتهم ، وتشمل بناء مساكن اللاجئين العرب ، اقامة منشآت صناعية ، شق طرقات واقامة قاعدة جديدة لشبكة الري في الضفة الغربية . وقد خصصت اسرائيل مبلغ ١٥٠ — ٢٠٠ مليون ليرة سنويا لاستيعاب هؤلاء العمال في اماكن عمل جديدة (يسرائيل تومر — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/١/٩) واضاف امير ان الـ ٦٨ الف عامل عربي الذين يعملون في اسرائيل ، باستثناء عمال القدس ، يشكلون ٣٠٪ من طاقة العمل في المناطق المحتلة نفسها ، و ٧٪ من طاقة العمل في اسرائيل ، ويعمل نصفهم في البناء و ٢٠٪ منهم في الصناعة و ٢٠٪ في الزراعة ونحو ١٠٪ في الخدمات (المصدر نفسه) .

خطة طويلة الامد لاسكان اللاجئين في قطاع غزة

اما بالنسبة لبناء مساكن اللاجئين العرب ، وهو احد المشاريع التي يفترض ان تستوعب العمال العرب العاطلين عن العمل في المناطق المحتلة ، فقد اعلن وزير الدفاع شمعون بيريس انه تقرر بناء الف وحدة سكنية ، وابنية عامة وقاعدة لتزويد الخدمات لاسكان عدد من اللاجئين في قطاع غزة ، خلال هذه السنة . ويعتبر هذا جزءا من خطة شاملة طويلة الامد تهدف الى بناء ١٩ حيا

جديدا في قطاع غزة ، ونقل معظم سكان مخيمات اللاجئين في القطاع ، البالغ عددهم نحو ١٧٥ الف لاجيء ، اليها (معاريف ، ١٩٧٥/١/١٤) . وقد تم خلال السنة الماضية بناء ١٥٠٠ وحدة سكنية ، انتقلت اليها ١٥٠٠ عائلة (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٥) . وتتميز هذه المساكن بصغر مساحتها ، حيث لا تتعدى مساحة المسكن الواحد منها ٥٠ م٢ ، مع منح العائلة حرية توسيع مسكنها حسب رغبتها . وقد بدأت اسرائيل بهذا المشروع قبل ٣ سنوات تقريبا ، عندما باشرت في هدم بعض الاحياء وشق « طرق امنية » داخل المخيمات في اطار الحرب ضد الفدائيين (داني تسدقوني — دافار ، ١٩٧٥/١/١٩) .

حنه شاهين

[٤]

الحكومة الاسرائيلية تواجه الغليان القومي بين العرب في اسرائيل باتباع سياسة الدمج العرب يقيمون تنظيمات مستقلة للدفاع عن حقوقهم

حفلت السنة الاخيرة من حياة العرب في اسرائيل بالكثير من القضايا والاحداث على الصعيد السياسي الداخلي والصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ، كان بعضها استمرارا لقضايا سابقة رافقت العرب هناك منذ قيام اسرائيل ، والبعض الاخر قضايا واحداث مستجدة ، وليدة الاتجاهات الجديدة التي حدثت في الوسط العربي بعد الحرب الاخيرة وبعد المكاسب التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيدين الدولي والعربي .

كان للاحداث التي اشرنا لها تأثيرها على مواقف العرب في اسرائيل ، وخاصة تلك الطبقة من المثقفين الشباب الذين ضربوا عرض الحائط بتهديدات السلطة ، التي ردعت الكثيرين في الماضي ومنعتهم من الاعراب عن ارائهم ، وقضت على كل تحرك وطني بين العرب الفلسطينيين في اسرائيل ، حتى ولو كان تحركا اجتماعيا بحتا . وتجدر الاشارة هنا الى تلك الحركة الطلابية التي شملت الطلاب العرب في المدارس الثانوية وجامعات حيفا وتل ابيب والقدس ، والتي ما زالت تتفاعل حتى اليوم ، حاملة شعار الاعتراف بالحقوق القومية للفلسطينيين وبمنظمة التحرير الفلسطينية كممثلة وحيدة للشعب الفلسطيني ، ثم دعوة اسرائيل الى التخلي عن الاحتلال ومطالبتها ايضا بمنح حقوق كاملة للعرب في اسرائيل والكف عن اضطهادهم وسلب اراضيهم . ويحاول هؤلاء الطلاب العرب نشر آرائهم وشرحها داخل حرم الجامعات ، سواء بواسطة عقد ندوات خاصة حول موضوع الهوية الفلسطينية ، او بواسطة الحوار والنقاش مع الطلاب اليهود ، الذي ينتهي غالبا بتبادل الشتائم والضرب ، كما حدث في جامعة تل ابيب مؤخرا . وقد خلق هذا الوضع توترا دائما بين الطلاب العرب واليهود في جميع جامعات اسرائيل ، ودفع الصحافة الاسرائيلية الى شن حملات التحريض ضد الطلاب العرب بهدف تشويه آرائهم والنيل من نشاطهم ، وأدى بالتالي الى ازدياد ملاحقات ومضايقات الشرطة لهم وخاصة في الليل (انظر ايضا « قضايا اسرائيلية » ، العدد ١ (٨) ، ٧٥/١/٩ ، ص ٢٩ — ٣٢) .

سياسة الدمج والاستيعاب

حاولت السلطات الاسرائيلية ، كعادتها ، التصدي لهذا الغليان القومي وقمعه بالقوة . غير انها ، بالاضافة الى ذلك ، نشطت ايضا في مجال سياستها المتجددة تجاه العرب ، التي كانت قد اقرتها منذ عدة سنوات والهادفة الى معالجة هذا الغليان والتقليل من حدته بشتى الوسائل ، وخاصة بواسطة « دمج المثقفين العرب في حياة الدولة » وايجاد اماكن عمل لهم لاستيعابهم . ويزداد هذا الاتجاه قوة بازدياد المشكلة تأزما ، على حد تعبير مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، شموئيل طوليدانو (في مقابلة مع

معاريف ، ١٩٧٤/١١/٢٢) ، « اذ سيكون عندنا، خلال سنتين ، نحو ٢٠ الف شاب عربي مثقف ، من خريجي المدارس الثانوية والجامعات ، يرغبون بالاندماج في حياتنا . ولكن ليس هناك اي احتمال لتحقيق مطامحهم ... ان الخطر الناجم عن تبلور جمهور من الشباب العربي يعيش بغليان دائم وبخيبة امل كبيرة ، اكبر بكثير من الخطر الناجم بعد استيعاب هؤلاء الشباب ، وزوال الشعور بالتمييز لديهم بسبب انتمائهم القومي ... [رغم] انه لا يوجد حل كامل للمشكلة ... ربما يعتقد البعض ان الوظائف والمراكز تقضي على الرغبات القومية ... انني انفي ذلك . ان السؤال هو كيف يمكن العيش على افضل وجه مع اقلية قومية ، ليس لرغباتها القومية حل في اسرائيل » . ويضيف طوليدانو ان الثقافة تزيد من حدة المشاعر القومية ومن قدرة التعبير عنها وتمنحها اكثر قوة ووزنا (المصدر نفسه) ، مبررا بذلك نشاط الحركة الطلابية العربية داخل الجامعات الاسرائيلية ، والشعور القومي المتزايد لدى العرب في اسرائيل .

ويشارك طوليدانو في رأيه هذا مساعده بنيامين غور — اريه حيث اعلن في محاضرة القاها في النادي الهندسي في حيفا ، انه يتوقع ان يصل عدد العرب خريجي المدارس الثانوية والجامعات في اسرائيل، في عام ١٩٨٠ ، الى ٢٠ الف شخص، « واذا لم يستوعبوا ستزداد بينهم مشاعر خيبة الامل الناجمة عن وضعهم الاقتصادي بالاضافة الى خيبة املهم على اساس قومي » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/١٧) . واضاف غور — آريه ان سياسة الحكومة تهدف الى دمج العرب — الذين ازداد عددهم من ١٥٦ الفا في سنة ١٩٤٩ الى ٤٤٠ الفا في سنة ١٩٧٥ — في جميع مجالات الحياة بدون صهرهم ، وذلك « في سبيل خلق توازن بين هويتهم القومية وبين اخلاصهم للدولة . ان الحرب الاخيرة وازدياد التأييد لـ — م.ت.ف. قد خرق هذا التوازن ، حيث ان معظم العرب في اسرائيل يؤيدون اليوم اقامة دولة فلسطينية مجاورة لاسرائيل » (المصدر نفسه) .

تعيين عرب في مناصب حكومية عالية

ولم تبق اقتراحات طوليدانو حبرا على ورق ، خاصة بعد ان ادرك « انه اذا لم يمنح المواطنون العرب ... حقوقا ايضا ، وفي الاساس سياسية — عامة ، يتوقع ازدياد خيبة الامل السائدة ، على اي حال ، بين جيل الشباب المثقف ، وخاصة ان هذا الجيل معرض لتحريض دائم من وسائل الاعلام العربية » (رؤوفين مروز — حوتام ، ١٤/٢/ ١٩٧٥) . ولهذا اقترح طوليدانو تخصيص عدد من الوظائف الحكومية العالية للمثقفين العرب ، وقامت الحكومة فعلا باتخاذ قرار يقضي بتخصيص ٢٤ وظيفة كبيرة من هذا النوع في الدوائرالحكومية (انظر « قضايا اسرائيلية » ، العدد (٦) ، ١٩٧٤/١٢/١٢ ، ص ١٩٧ — ٢٠١) . وفي هذا الاطار تم انتخاب رسمي بيادسي واحمد الناطور لاشغال منصبين كبيرين في مكتب المستشار للشؤون العربية ، الاول كنائب للمستشار والثاني مساعدا له ، وهذه اول مرة يعين فيها عربي في مثل هذا المنصب في مكتب المستشار للشؤون العربية . وذلك وبالاضافة الى يوسف ملا (رئيس مجلس بركا سابقا) دكتور ابو كشك اللذين عينا من قبل في منصبين كبيرين في مكتب المستشار . ويحمل بيادسي والناطور شهادات جامعية اهلتهما بالفوز بهذين المنصبين من بين ٢٨ مرشحا (المصدر نفسه) . واعلن بيادسي بعد انتخابه (في مقابلة مع صحيفة « الانباء » ، ١٩٧٥/٢/٧) انه لا يرى في هذه الوظيفة مجرد تظاهرة ، « وانما ارى فيها علامة بارزة على امتداد طريق اشراك المواطن العربي في عملية صنع القرارات ، اولا المتصلة بالمواطنين العرب ، وثانيا ... بالمواطنين عامة — عربا ويهودا . من هنا يخيل الي ان هذا التعيين يحمل معه بشرى بصيرورة التصريحات التي تتحدث عن اسناد وظائف عالية لمثقفين عرب حقيقة قائمة » . ويرى بيادسي ان نقطة الانطلاق لحل مشاكل المواطن العربي هي تبديل نظرة المواطن اليهودي تجاهه ، بحيث يراه « مواطنا كسائر المواطنين » . كذلك قسم بيادسي مشاكل الوسط العربي الى مشاكل مزمنة ، مثل ايجاد اماكن عمل للعمال العرب داخل قراهم « تحررهم من ضرورة البحث عن لقمة العيش بعيدا عن قراهم وعائلاتهم وخاصة في المدن ، ... علما بان هذا الانتقال من القرية الى المدينة يتسبب في مشاكل اجتماعية ما زال الوسط العربي يعاني منها ... والوسيلة لحل هذه المشكلة هي تصنيع الوسط العربي » ،

ثم مشاكل متجددة مثل مشكلة المثقف العربي ومشاكل المجالس المحلية (المصدر نفسه) .

وتعتبر التعيينات التي أشرنا لها خطوة اخرى على طريق تنفيذ سياسة الدمج التي تعتبرالوسيلة الوحيدة ، تقريبا ، امام السلطات الاسرائيلية لتخفيف حدة المشاعر الوطنية القومية التي سيطرت على جيل الشباب العربي في اسرائيل ، ومتنفسا لخيبة املهم ، سواء على المستوى القومي او على المستوى المهني ، خاصة وان هناك مجالي عمل فقط مفتوحين امامهم : التدريس والعمل المكتبي ، بينما لا يزال الطريق نحو العمل في مجالات اخرى مسدودة تماما امامهم ، مهما كان تخصصهم .

الاحزاب وسياسة الدمج

تهدف السلطة الاسرائيلية من وراء سياسة الدمج والاستيعاب هذه الى محاربة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) ايضا ، الذي بدأت تعتبره « حلقة وصل بين م.ت.ف. وعرب اسرائيل » ، على حد تعبير رعنان كوهين ، مدير الدائرة العربية في حزب العمل (في مقابلة مع معاريف ، ١٠/٢/١٩٧٥) ، ومأوى للمثقفين العرب الذين لم يجدوا مبررا او سبيلا للاندماج في دولة اسرائيل ، « ولذلك فهو يشكل خطرا ، لانه ينمي روح العداء للصهيونية ويعمل على منع تنفيذ سياسة الدمج بين عرب اسرائيل . انه يحرض ضد سياسة الحكومة ويؤيد اقامة دولة فلسطينية برئاسة م.ت.ف. ويمكن ان يؤدي نشاطه الى وضع تفقد معه الاحزاب الصهيونية كل نفوذ لها في الوسط العربي خلال عشر سنين ، بحيث تنتقل السيطرة تدريجيا الى راكاح . ان الدول العربية، التي كانت تنظر حتى حرب الايام الستة الى نصف المليون عربي في اسرائيل كعامل ضعيف وغير هام ، تعتبرهم اليوم جزءا من العالم العربي . ويشكل عرب اسرائيل نحو ١٥٪ من السكان في الدولة ، ويوجد بينهم نحو ١٩٠ الف شخص من اصحاب حق التصويت للكنيست ، اي ١١ مقعدا [في الكنيست] وما فوق . ان ٢٨٠ الف شخص ، اي ٧٥٪ من هذا الجمهور هم من الشباب الذين لا تزيد اعمارهم عن ٢٩ سنة ، الذين نشأوا في اسرائيل وتأثروا بمجرى الحياة داخلها ، ولكنهم تأثروا ايضا بابواق الدعاية التي تبثها الدول المجاورة » . ولهذا ، وفي سبيل تقليل « خطر » راكاح في الوسط العربي ، قرر حزب العمل تنشيط مجرى « فتح ابوابه نظريا وعمليا امام اعضاء عرب ، وقبولهم في مؤسساته. وكمرحلة اولى وضع الحزب خطة لفتح ١٨ فرعا في القرى الكبيرة ، التي يقطنها نحو ٤٥٪ من اصحاب حق التصويت بين العرب » (المصدر نفسه) . وعلم ايضا ان حزب العمل عاد الى ممارسة سياسته القديمة الهادفة الى منع اعضاء الحزب الشيوعي من الاشتراك في ادارة المجالس المحلية العربية ، وفي هذا الاطار اقيم ائتلاف جديد في مجلس محلي كفر ياسيف (دافار ، ١٠/١٢/ ١٩٧٤) ، بعد ان دبر حزب العمل « انقلابا » ضد الائتلاف السابق ، الذي اشترك الشيوعيون فيه .

كذلك عقدت اللجنة السياسية لحزب مبام ، من ناحية ثانية ، اجتماعا خاصا لبحث اوضاع العرب في اسرائيل ، قدمت خلاله مذكرة حول المشاكل التي يعاني العرب منها وطرق حلها . وافتتح طوليدانو الاجتماع بقوله : « ان الوضع السياسي للعرب في اسرائيل معقد جدا ، وليس هناك اية اقلية قومية في العالم تعيش في وضع معقد كهذا ... وما دمنا في حالة حرب مع الدول العربية المجاورة ، لن يكون حل كامل لمشاكل العرب في اسرائيل ... ولكن يمكن التقليل من حدتها بواسطة دمج العرب بحيث يصبحون جزءا من الدولة » (عل همشمار ، ٩/١/١٩٧٥). وتحدث في الاجتماع ايضا ابراهيم شباط ، احد نشيطي مبام في الوسط العربي ، مؤكدا ان معظم المشاكل ناتجة عن عدم وجود سياسة حكومية رسمية تجاه العرب في اسرائيل ، « ليس للمدى القصير ولا البعيد » . أما محمد وتد ، وهو ايضا احد نشيطي مبام في الوسط العربي ويعمل في تحرير صحيفة الحزب الاسبوعية باللغة العربية ، « المرصاد » ، فقد اعلن « ان حل مشكلة الشعب الفلسطيني بواسطة اقامة دولة خاصة به الى جانب اسرائيل ، سيخفف على ضمير العرب في اسرائيل » (المصدر نفسه). ومن الجدير بالذكر ان حزب مبام كان قد فتح ابوابه امام العرب في اسرائيل ووافق على قبولهم فيه منذ ما يزيد على ٢٠ سنة ، ولذلك فان قضية « دمج » العرب بين صفوفه ليست جديدة بالنسبة له .

الدروز — « طائفة خاصة »

فرضت اسرائيل الخدمة الالزامية في الجيش على الدروز والشركس منذ سنة ١٩٥٧ ، وذلك كما تدعي ، « بناء على طلب شيوخهم » ، وخاصة اولئك منهم المتعاونين مع السلطة وعلى رأسهم النائب جبر (الداهش) معدي . وكانت سلطات اسرائيل قد اعلنت اكثر من مرة انها ستمنح الدروز معاملة خاصة ، « مكافأة » لخدمتهم في الجيش ، ولكن هذا لم يتحقق ابدا . فالدروز كانوا اول من صودرت ارضيهم ، ولم يتعد مستوى معيشتهم المستوى القائم في القرى العربية عامة ، بل ربما كان احيانا اقل منه . كما ان الخدمات الحكومية لم تتعد المستوى المتوفر في باقي القرى العربية . وعلى هذا الاساس بدأت تظهر بوادر الخلاف بين الشباب الدروز الذين يطالبون بمساواة كاملة في الحقوق مع اليهود ، بصفتهم جنودا مسرحين ، وبين الزعامة التقليدية التي ترفض بقوة احداث اي تغيير في وضع الطائفة ، لئلا تفقد السيطرة داخلها ، وذلك بالاضافة الى التيار الاساسي ، الذي يرفض الخدمة في الجيش الاسرائيلي جملة وتفصيلا . ويتضح من الانباء التي ترد من اسرائيل ان شباب الطائفة الدرزية ينقسمون الى فئتين من الرافضين ، لكل منهما موقفها الخاص بها .

ترى الفئة الاولى ان الخدمة في الجيش يجب ان ترتبط بمعاملة خاصة من جانب السلطات ، تتمثل في منح حقوق متساوية للجنود الدروز المسرحين ، وتطوير القرى الدرزية بواسطة تصنيعها وبناء المدارس الملائمة بها ومدها بالكهرباء والماء . ولكن ما دام الدروز لا يحصلون على هذه الحقوق ، فليس هناك مبرر لخدمتهم في الجيش . كما يطالب هؤلاء باخراج مسألة معالجة قضايا الدروز من اطار الاقسام العربية القائمة في الدوائر الحكومية المختلفة ، وخاصة مكتب المستشار للشؤون العربية . ويعارض الزعماء التقليديون ، وعلى رأسهم نائب وزير المواصلات وعضو الكنيست جبر معدي هذا الاتجاه بشدة ، لانه قد يسبب مشاكل كثيرة للدروز ، بسبب الحساسيات التي يمكن ان يخلقها بينهم وبين المسلمين والمسيحيين ، كما ان الاقسام العربية تعمل الكثير في سبيل حل مشاكل الدروز (توفيق خوري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/١٩) .

اما الفئة الثانية من الرافضين فهي تلك التي تطالب بالغاء الخدمة الالزامية في الجيش ، لان الدروز عرب مثلهم مثل المسلمين والمسيحيين ، وان « القومية الدرزية » ليست الا اختراعا اسرائيليا لا اساس له من الصحة . وقد انتظمت هذه الفئة التي يترأسها الشيخ فرهود شيخ الطائفة الدرزية في قرية الرامة ، في لجنة اطلقت على نفسها اسم « اللجنة الدرزية المستقلة » ، واخذت على عاتقها مسؤولية العمل على الغاء التجنيد الالزامي ، والغاء التفرقة بين الدروز وباقي العرب في اسرائيل واعادة الطائفة الى اصلها الحقيقي اي ، على حد تعبير احد اعضاء اللجنة (حوتام ، ١٩٧٤/١٢/١٣) « طائفة اسلامية ظهرت في القرن الحادي عشر ، وهي جزء غير منفصل من الشعب العربي . وليست حكومة اسرائيل ولا الصهيونية هي التي تقرر اذا كنا عربا ام لا » . وتدعي السلطات الاسرائيلية ، في مقابل ذلك ، ان معظم مؤيدي هذه اللجنة ينتمون الى الحزب الشيوعي (راكاح) .

ولكن على الرغم من ذلك فان ظواهر رفض التجنيد بين الدروز ، التي برزت مؤخرا ، تقلق بال السلطات ، وخاصة بعد تلك المظاهرة الصاخبة التي استقبل بها يتسحاق رابين في احتفالات النبي شعيب في السنة الماضية ، التي كان قد نظمها الشباب الدروز مطالبين بالغاء الخدمة الالزامية . وفي اعقاب هذه الحادثة قرر مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية تشكيل لجنة خاصة لسماع شكاوى الدروز وتقديم توصيات لحل مشاكلهم ، برئاسة دكتور جبرئيل بن — دور من جامعة حيفا وفايز عزام من عسفيا وسلمان فراج من الرامة . وقد قدمت اللجنة مؤخرا توصياتها الى المستشار للشؤون العربية ، بتنفيذ ما يلي : (١) اقامة قرية درزية جديدة في منطقة الحدود في الشمال ، لاستيعاب الجنود المسرحين من بين الدروز . (٢) توصي اللجنة بان تتعاون وزارات الزراعة ، التجارة والصناعة ، الداخلية ومديرية عقارات اسرائيل سوية في سبيل تطوير القرى الدرزية . (٣) اخراج مسألة معالجة قضايا الدروز من اطار الاقسام العربية القائمة في وزارات الحكومة ، واقامة لجنة حكومية على مستوى رفيع للاهتمام بمسألة دمج الدروز ، تقوم بوضع

الاجراءات والتوجيهات المطلوبة لنقل معالجة شؤونهم الى الوزارات الحكومية المختلفة . (٤) فتح ابواب فرق اخرى في الجيش امام الجنود الدروز ، بدون الغاء فرقة الاقليات التي تضم معظم الجنود الدروز . (٥) العمل على تحسين جهاز الخدمات في القرى الدرزية ، واعداد خرائط هيكلية لتلك القرى ، لتسهيل اعمال البناء فيها ، واقامة مشاريع بناء عامة مختلفة . (٦) اقامة لجنة خاصة للاهتمام بقضية تسوية حقوق ملكية الاراضي « التي ولدت شعورا بالظلم وفسرت على انها عمليات مصادرة » . (٧) تخطيط الزراعة في القرى الدرزية بواسطة ادخال الطرق الزراعية الحديثة ، وزيادة كميات المياه المخصصة للري ، وتغيير طريقة الضرائب وحل مشكلة مزارعي التبغ . (٨) الاسراع في تصنيع القرى الدرزية وتصنيفها كمناطق تطوير ، وذلك لتسهيل حصولها على المساعدات المالية وتخفيف الضرائب . (٩) السعي الى زيادة عدد المعلمين الدروز واقامة مدارس اقليمية شاملة وجديدة وتشجيع نشاط حركات الشبيبة في القرى الدرزية . (١٠) اقامة مجلس درزي مركزي يتمتع بصلاحيات واسعة في مجال القضاء والوقف ، يأخذ على عاتقه تمثيل الطائفة وادارة شؤونها (توفيق خوري — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/١٩ ودافار ، ١٢/٥/ ١٩٧٤) .

اوضاع السلطات المحلية العربية

تعاني السلطات المحلية العربية من وضع مالي متدهور بسبب سياسة التمييز التي تتبعها الحكومة تجاهها لجهة تقديم المساعدات المالية الحكومية لها ، الامر الذي يشلها عن العمل تقريبا ، ويزيد اوضاع القرى العربية سوءا . وكانت وزارة الداخلية قد عينت في شباط ١٩٧٢ لجنة خاصة برئاسة دكتور سامي جرايسي ، المسؤول عن مراقبة الاحداث العرب في اسرائيل وعضوية خمسة من كبار موظفي وزارة الداخلية في الوسط العربي ، لدراسة اوضاع المجالس المحلية في القرى العربية . وفي نهاية ١٩٧٣ قدمت اللجنة تقريرها ، الذي عرف فيما بعد بأسم « تقرير لجنة جرايسي » ، الى المدير العام لوزارة الداخلية حاييم كوفرسكي . وجاء هذا التقرير بمثابة لائحة اتهام ضد الحكومة التي تقدم المساعدات المالية للقرى العربية وتتبع سياسة التمييز بين المجالس المحلية العربية واليهودية ، اذ بينما تتراوح المساعدة المالية الحكومية للشخص في معظم السلطات المحلية اليهودية بين ٧٠ — ١٢٥ ليرة ، فانها لا تتجاوز ٧ — ١٠ ليرات في الوسط العربي و ٢٠ ليرة للدروز والشركس . كذلك لا تحصل السلطات المحلية العربية على نصيبها في ضريبة الاملاك ، رغم ان وزارة المالية تقوم بجباية هذه الضريبة من سكان القرى العربية . وكشف التقرير ايضا عن الوضع الصحي والتعليمي المتردي في الوسط العربي (يوسف فاكسمان — معاريف ، ٢٩/٨/ ١٩٧٤) . ولكن حرب تشرين اجلت البحث في هذا التقرير وتسببت في استمرار المشاكل وتأزمها .

وبعد الانتخابات الاخيرة للكنيست والمجالس المحلية (١٩٧٣/١٢/٣١) ، تجددت مطالبة رؤساء المجالس بتنفيذ توصيات هذه اللجنة . وقد عقد هؤلاء ثلاثة اجتماعات اقليمية ، قبل سنة تقريبا ، في المثلث والجليل الشرقي والجليل الغربي ، وشكلوا ثلاث لجان اقليمية سرعان ما اجتمعت لتشكل لجنة متابعة قطرية (دافيد غورن — عل همشمار ، ١٩٧٥/٢/١٦) . وبعد اجتماعات ومناقشات اجرتها هذه اللجنة ، توصلت الى صيغة شاملة لمطالبها ، ترتكز اساسا على « تقرير لجنة جرايسي » ، وقامت بارسال مذكرات الى وزارات الحكومة ومكتب رئاسة الحكومة ورؤساء مركز الحكم المحلي . وتضمنت المذكرة التي ارسلتها اللجنة الى الحكومة المطالبة بحل مشاكل عديدة ، منها تصنيع القرية العربية ، بسبب النقص في الاراضي ، وبناء ٤ الاف غرفة للتعليم مع تغيير المناهج الدراسية واعادة تنظيم القسم العربي في وزارة المعارف ودمج مثقفين عرب في جهاز التعليم ، بذل جهود اضافية لتحسين الوضع الصحي في القرى العربية ، حل مشاكل البناء وتحديد المسطحات الهيكلية وسد الثغرة في منح القروض والمساعدات .

وقد اجتمع اعضاء اللجنة ، قبل نحو ثلاثة اشهر ، الى رئيس الحكومة ، بناء على طلبهم وعرضوا عليه مطالبهم (المصدر نفسه) كذلك اجتمعوا الى لجنة الداخلية في الكنيست ، في ٧٤/١٢/٣١ ، بحضور زئيف ميليون ، سكرتير مركز السلطة المحلية في اسرائيل ، وذلك بناء على قرار

الكنيست في شهر تموز الماضي ، الذي احالت بموجبه طلب النائبين توفيق طوبي وجبر معدي بشأن مناقشة اوضاع المجالس المحلية العربية ، الى البحث في لجنة الداخلية . وقد عرض اعضاء اللجنة الوضع المتردي في القرى العربية وعجز المجالس عن القيام بمهامها بسبب ميزانياتها القليلة ، وطالبوا باجراء تحويل جذري في سياسة الحكومة تجاه القرية العربية والمجالس المحلية العربية (الاتحاد ، ١٩٧٥/١/٣) .

وكان آخر النشاطات ، التي بادرت اليها اللجنة القطرية ، تنظيم اجتماع لاعضاء ورؤساء المجالس المحلية العربية ، عقد في الناصرة في ١٩٧٥/٢/١٦ بحضور مدير عام وزارة الداخلية حاييم كوفرسكي ، ورئيس لجنة الداخلية في الكنيست النائب يوسف تامير ، ونائب وزير المواصلات جبر معدي ، ومستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية شموئيل طوليدانو ، واعضاء الكنيست العرب ، ورؤساء الاقسام العرب في معظم الدوائر الحكومية (عل همشمار ، ٢/١٧/ ١٩٧٥) . وتحدث مدير عام وزارة الداخلية كوفرسكي في الاجتماع فأعلن ان لجنة جرايسي أنهت عملها في نهاية ١٩٧٣ ، ولكن بسبب الحرب لم تطبق توصياتها حتى الان (دافار ، ٢/١٧/ ١٩٧٥) . كما أعلن كوفرسكي ان وزارته قررت مساواة الهبات التي تمنح للسلطات المحلية العربية مع تلك التي تمنح للسلطات اليهودية ، وحث رؤساء الحكومات العربية على زيادة اعمال التطوير في القرى واعلن عن نية وزارته في اقامة مركز ارشاد ، تستطيع المجالس المحلية العربية الاستعانة به عند الحاجة (عل همشمار ، ٢/١٧/ ١٩٧٥) . كما أعلن سكرتير مركز الحكم المحلي في اسرائيل زئيف ميليون ، ان مؤسسته تؤيد مطالب السلطات المحلية العربية تأييدا كاملا (دافار ، ١٩٧٥/٢/١٧) . وفي نهاية الاجتماع اتخذت القرارات الاتية : المطالبة بمساواة كاملة بين الحكم المحلي العربي واليهودي ، الاسراع في وضع الخرائط الهيكلية للقرى العربية ، تخصيص ميزانيات كافية لتزويد المدارس العربية بالاجهزة العلمية ، وفتح نواد ثقافية ورياضية للشبيبة ، زيادة الخدمات الصحية في القرى وخاصة في المدارس ، تغيير نظام توزيع الاموال التي تقدمها الحكومة مقابل ضريبة الاملاك ، اعفاء السلطات المحلية العربية من كل مسؤولية تجاه الاجراءات المتعلقة بربط القرى العربية بشبكة الكهرباء (عل همشمار ، ١٩٧٥/٢/١٧) .

بدو النقب ينشطون في الدفاع عن اراضيهم

عرضت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا ، في اطار سياستها « لحل » مشكلة اراضي البدو في النقب ، حلا وسط « للتعويض » على البدو ، لقاء الاراضي التي استولت عليها السلطة . وقام مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية شموئيل طوليدانو بأرسال « وثيقة » الى مشايخ البدو تتضمن نص صيغة هذا الحل . وكانت الحكومة الاسرائيلية قد صادرت في بداية الخمسينات مساحات شاسعة من الاراضي التي يدعي البدو بملكيتها في النقب ، ضمن الاجراءات التي اتخذتها يومها لمصادرة اكبر مساحة ممكنة من اراضي العرب في اسرائيل . ولا تزال المشكلة معلقة منذ ذلك الوقت ، بعد أن رفض البدو استلام تعويضات عن اراضيهم ، ولكن يبدو ان السلطات الاسرائيلية قررت العمل على تصفيتها لتتمكن من تخصيص تلك الاراضي نهائيا لاغراض الاستيطان اليهودي .

يعتمد الحل الذي تقترحه الحكومة على ثلاثة خيارات للتعويض عن البدو ، يستطيع هؤلاء اختيار واحدة منها : (١) يستطيع البدو الحصول مقابل اراضيهم على تعويضات مالية فقط حسب قيمة الاراضي الموجودة في حوزتهم ، ويتراوح ثمن دونم من الارض ، بموجب هذا الاقتراح ، كما قررته مديرية عقارات اسرائيل ، « بحسب نوعية الارض وجودتها » ، بين ٥ — ٦٠٠ ليرة اسرائيلية. وبموجب هذا الاقتراح يحصل البدوي على ٦٥٪ من قيمة ارضه ، اي أنه — في احسن الحالات — يحصل على ٣٩٠ ليرة مقابل الدونم ، وفي أسوأها — على ثلاث ليرات فقط ، وذلك بعد ان يثبت ملكيته للارض . وفي اطار هذا الخيار ورد ايضا أن البدو يستطيعون الحصول مقابل الاراضي التي لم تعترف الدولة بملكيتهم عليها ، على تعويضات بنسبة ٢٠ ٪ من قيمة الارض ، و٦٥٪ من قيمة آبار المياه والسدود والابنية (مردخاي جيلات — حوتام ، ١٩٧٥/٢/٧) . (٢) يستطيع كل بدوي ، اعترفت الدولة بملكيته على ٤٠٠ دونم وما

فوق ، الحصول مقابل ثمن اراضيه على تعويضات عينية بأرض اخرى ، ومقابل ثلاثة اثمان أخرى من الارض على تعويضات مالية بنسبة ٦٥ ٪ من قيمتها ، اي ما معناه ان الدولة تحصل على نصف الارض مجانا (المصدر نفسه) . (٣) « أما البدوي الذي اعترف بملكيته على ١٠٠ دونم وما فوق ، فيستطيع الحصول على تعويض بـأرض للسقي ويستلم ايضا مخصصا من الماء قدره ٥٠٠ كوب سنويا لدونم الواحد ، بحسب الجدول التالي : ١٠٠ — ١٩٩ دونم يستلم (١) دونم واحد تحت السقي ، ٢٠٠ — ٢٩٩ دونم يستلم (٢) دونمين تحت السقي ، ٣٠٠ — ٣٩٩ دونم يستلم (٣) ثلاثة دونمات تحت السقي ، ٤٠٠ — ٤٩٩ دونم يستلم (٤) اربعة دونمات تحت السقي » (الاتحاد ، ١٩٧٥/٢/٤) .

ويعتبر دونم ارض تحت السقي مساو في قيمته لـ — ٥ر١٦ دونم ارض « عادية » ، ويتم حساب التعويضات المالية على الارض المتبقية على النحو التالي : تقسم الارض التي اعترف بملكيتها الى نصفين حيث يحسم من النصف الاول الـ ٥ر١٢ دونم ، وتدفع الدولة مقابل النصف الثاني ٦٥ ٪ من قيمتها (مردخاي غيلات — حوتام ، ٧/٢/ ١٩٧٥) .

وعلم ان البدو يرفضون هذه الاقتراحات تماما، اذ أنها تهدف الى الاستيلاء كليا على اراضيهم . وقد اجتمع ١٥ شيخا منهم وانتخبوا « لجنة لتحقيق ملكيتهم على الارض » ،تتألف من الشيوخ سليمان الهزيّل ، جدوع الهزيل ، فاعور الاسد ، سليمان العجدي ، ابراهيم ابو رقيق واخرين (دافار ، ١٩٧٥/٢/٣١) . وتتمثل مهمة هذه اللجنة في الضغط على الحكومة لحملها على الاعتراف بملكية البدو على مساحات واسعة جدا في النقب « ولكن المسألة ليست بسيطة الى هذا الحد ... لان البدو يتجاهلون ذلك التغيير الذي حدث في النقب ، وينظرون الى الامور وكأنه لم يحدث شيء ، رغم ان الدولة استثمرت مليارات كثيرة في تطوير النقب ، وهكذا تحولت اراضيه الى كنز ثمين لها ، على حد تعبير احد الخبراء ... » في السابق كان بالامكان شراء اراضي مقابل أكياس من القمح ، واليوم لا تكفي لشرائها أكياس من المال » (مشولام عاد — دافار ، ١٩٧٥/٢/١٨). كما أن هناك صعوبة اخرى يواجهها البدو في نضالهم من أجل اثبات ملكيتهم على اراضيهم ، وهي عدم توافر وثائق رسمية من ايام الانتداب تثبت ذلك ، وهو ما تطالبهم به السلطات الاسرائيلية . ولذلك فان نضال بدو النقب صعب جدا ، وهناك احتمال كبير بأن يفرض عليهم «حل» ما من قبل السلطات الاسرائيلية ، يسعى الى نزع ملكيتهم على اراضيهم نهائيا ، يبدو ان السلطات جادة في سعيها نحو فرض حل كهذا .

يبدو من خلال هذا العرض للمشاكل التي يعاني منها العرب في اسرائيل حاليا ، ان سياسة الحكومة تجاه الاقلية العربية قد فشلت حتى الان في حل مشاكلهم الخاصة ، رغم سعيها الى « دمجهم في حياة الدولة » ، وأدت بدلا من ذلك الى بروز ظاهرة الميل نحو الانعزالية واقامةتنظيمات مستقلة في الوسط العربي ، على غرار اللجان المستقلة للطلاب العرب في الجامعات الاسرائيلية ، والتنظيم الاخير لرؤساء المجالس المحلية العربية، ولجنة بدو النقب « واللجنة الدرزية المستقلة ». ورغم ان الحكومة تعارض قيام مثل هذه التنظيمات المستقلة « لان المفهوم الذي يدعم سياستها هو ، بسبب الواقع السياسي والقومي في البلد ، ان كل جسم عربي مستقل ليس الا منبت لظهور متطرفين من العرب في اسرائيل ، وثمة خطر بأن ينزلق نحو ممارسات غير مرتبطة بأعماله الجارية . والتقدير هو أن متحدثين راديكاليين ومتحمسين من بين العرب في اسرائيل ... يمكن ان يصلوا الى قيادة تنظيمات من هذا النوع ، فيسببوا في زيادة التوتر القومي القائم على اي حال ، ويقضوا على جهود دمج النشاط العربي في اطارات اسرائيلية شاملة . ولكن المشاكل الخاصة للعرب في اسرائيل شديدة الى درجة لا يمكن معها وقف اتجاه كهذا، وافضل مثال على ذلك تنظيم رؤساء المجالس المحلية » (داني روبينشتاين — دافار ، ٢٥/٢/ ١٩٧٥) . لذلك يبدو انه اذا لم تجد السلطة وسيلة لمنح العرب في اسرائيل تمثيلا ملائما في مؤسسات مختلفة هناك ، لن يكون بالامكان منع اقامة تنظيمات عربية مستقلة ، « ولا حاجة هنا الى البحث عن مشاكل سياسية وأمنية . فالحديث يدور حول مجالات التعليم ، والاسكان واستيعاب

العرب في الاحزاب الاسرائيلية واوضاع العمال، وربط القرى بشبكة الكهرباء ، والخرائط الهيكلية للبناء في القرى العربية ، ثم تعيين عرب كرؤساء للاقسام العربية المختلفة وما شابه ذلك » (المصدر نفسه) . والواضح انه لن يكون من السهل على السلطة معارضة اقامة مثل هذه التنظيمات ، خاصة وانها ليست تنظيمات سياسية بحتة يمكن التصدي لها تحت ستار متطلبات الامن .

ح . ش .

[٥]
المؤتمر اليهودي العالمي ينعقد في القدس ويعيد انتخاب غولدمان رئيسا له

عقد في القدس ما بين ١٩٧٥/٢/٣ و١٩٧٥/٢/١٠ « المؤتمر اليهودي العالمي » باشتراك ٦١٢ مندوبا عن التنظيمات والجاليات اليهودية من معظم انحاء العالم ، وحضر وفدان فقط من بلدان المجموعة الاشتراكية ، يمثلان الجاليات اليهودية في رومانيا ويوغوسلافيا .

ومن الجدير بالذكر ان المؤتمر اليهودي العالمي، كان قد تأسس في جنيف عام ١٩٣٦ ، اثر تصاعد النازية في اوروبا ، بغرض « ضمان وجود ووحدة الشعب اليهودي » والدفاع عن مصالح اليهود في جميع المجالات وفي جميع البلدان . وكان الدكتور ناحوم غولدمان من أبرز الشخصيات التي حضرت للمؤتمر التأسيسي للمؤتمر اليهودي العالمي ، وقد اختير رئيسا للجنة ادارة المؤتمر ، ومن ثم أصبح رئيسا له (١٩٥٣) ، ولا يزال يحتفظ بمنصبه هذا حتى اليوم ، وذلك بالاضافة الى شغله مهام كبيرة في الحركة الصهيونية قبل وبعد تأسيس المؤتمر ، وشغله منصب رئاسة الادارة الصهيونية لفترة بعد قيام اسرائيل ، ثم رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية (١٩٥٦ ـ ١٩٦٨) . وقد نقل مقر المؤتمر اليهودي العالمي عند اندلاع الحرب العالمية الثانية من جنيف الى نيويورك ولندن .

ومن الملاحظ ان هذا هو المؤتمر الاول الذي يعقده المؤتمر اليهودي العالمي في القدس ، ويبدو ان نقاشات طويلة قد جرت لعقده هناك ، ذلك انه كان من المقرر عقده في الخارج وفق رغبة رئيس المؤتمر الدكتور غولدمان ، وذلك ـ بحسب رأيه (رأا ، ١٩٧٥/٢/١٠) لسببين : « الاول خارجي » ، اذ ان هنالك مجموعة كبيرة قوامها ٦٠٠ ممثل يهودي من حوالي ٦٠ دولة ... واعتقد ان شخصيات اميركية كانت ستأتي لحضور جلسات المؤتمر ... لو عقد في واشنطن . وهذا اهم بكثير اسرائيل ، واعتقد ان هذه هي احدى كوارث اليهودي والصادر في القدس . والسبب الثاني ، هو انني أصر دائما على أن لا يكون للاحزاب تأثير في المؤتمر . ليس لدينا [في المؤتمر] بصورة رسمية احزاب . ليس هنالك حزب عمل ولا حزب حيروت . هناك منظمات تمثل مناطق معينة، وانني لا اعرف بلدا اخر تتحكم فيه الاحزاب كما في اسرائيل ، واعتقد ان هذه هي احدى كوارث اسرائيل . وانا اقول هذا منذ عشرين عاما ، لذا خفت وبحق أن نأتي الى اسرائيل وان تبدأ الاحزاب بالتأثير اكثر مما ينبغي » . الا ان وجهة النظر الثانية التي سعت الى عقد المؤتمر في اسرائيل ، اعتبرت عقده في القدس ، خاصة في ضوء العزلة التي تعيشها اسرائيل ، بمثابة وقوف جميع الجاليات اليهودية في العالم الى جانبها ، واعتراف تلك الجاليات بمركزية اسرائيل بالنسبة لها .

وهناك ملاحظة اخرى تتعلق بتأخر المؤتمر اليهودي العالمي في عقد دورته الاخيرة ، اذ ان اخر دورة له عقدت في بروكسل عام ١٩٦٦، ومن المفروض بحسب دستوره عقد المؤتمر الثاني بعد

أربعة أعوام ، الا ان ذلك لم يحدث الا بعد مضي تسعة اعوام ، على الرغم من المشاكل الكثيرة والقضايا الهامة التي مرت على يهود العالم واسرائيل في تلك الفترة ، وهذا الواقع يشير الى الخلل التنظيمي في المؤتمر اليهودي العالمي والمؤسسات والتنظيمات اليهودية المرتبطة به (راجع ايضا مجلة غيشر ، آذار ١٩٧٤ ، ص ٥ — ١٢) .

الجلسة الافتتاحية للمؤتمر

افتتح المؤتمر في « بيت الامة » في القدس بحضور كبار الشخصيات في اسرائيل ، مثل رئيس الدولة افرايم كتسير ورئيس الحكومة يتسحاق رابين وبعض الضيوف الاجانب . وتحدث في المؤتمر عدد من كبار المسؤولين فيه وفي اسرائيل .

وفي هذه المناسبة حذر غولدمان من ظاهرة انصهار اليهود في مجتمعاتهم في الخارج وانسلاخهم عن اليهودية ومن الزواج المختلط ، لان ذلك ، بحسب اعتقاده يعرض الوجود اليهودي في الخارج لخطر كبير . كما وحذر من امكانية دخول اليهود في خلاف علني مع حكوماتهم حول سياستها تجاه الشرق الاوسط بقوله : « لقد قام جيل جديد لم يعرف هتلر ، ويختفي لديه الاحساس بالخجل الذي كان يشعر به اباؤه حيال جرائم النازية . ان البلدان الديموقراطية تتنصل من كل مسؤولية تجاه الكارثة ومن الاحساس بالذنب . وفي اعقاب ذلك طرأ تغيير أيضا في موقف تلك البلدان تجاه الجاليات اليهودية في المهجر وتجاه اسرائيل . ان موجهي النقد لاسرائيل لا يشعرون اليوم برادع عند مهاجمتهم لها » . واضاف « ان هذه النسخة الجديدة للاسامية ربما لا تبشر بكارثة ومذابح ، ولكن الان عندما وصل شهر العسل بين اسرائيل وبين العالم غير اليهودي الى نهايته ، فمن المحتمل ان يزج يهود العالم الحر في خلاف علني مع حكوماتهم حول موضوع سياسة تلك الحكومات تجاه الشرق الاوسط » . ومن ثم انتقل غولدمان الى قضية ازدواجية الولاء اليهودي ، ودعا اسرائيل ان تعمل ضد اتهام اليهود بازدواجية الولاء ، من خلال عدم دفعهم لاتخاذ موقف في الصراعات الدولية . ومن جهة ثانية ذكر بأنه « ينبغي على يهود العالم ، بما في ذلك اولئك الذين يشككون في نجاعة السياسة الاسرائيلية ، ان يدركوا بأن واجبهم هو الوقوف الى جانب اسرائيل عندما يطلب منهم ذلك ، [ولكن] من ناحية اخرى ، ليس بوسع اسرائيل ان تطلب لنفسها الولاء الكلي لهؤلاء اليهود » .

وهاجم غولدمان في كلمته ايضا ، اولئك الذين ينتقدونه بسبب ارائه ويطالبون بابعاده عن رئاسة المؤتمر ، مشددا على انه له الحق في التعبير بشكل شخصي عن آرائه تجاه السياسة الاسرائيلية . ثم تطرق الى قضية يهود الاتحاد السوفييتي « ونضالهم » من أجل الهجرة من هناك ، منتقدا التنظيمات اليهودية المتطرفة مثل رابطة الدفاع اليهودية التي « قارنت بين اللاسامية السوفييتية واللاسامية النازية ، والحقت الضرر بالدبلوماسيين السوفييت » . واختتم غولدمان كلمته بقوله « ان المهمة الاساسية للمؤتمر هي ضرورة القيام بمحاولة لاعادة المثقفين اليهود الهاربين من بين صفوف الشعب الى الحياة اليهودية ، واقامة جهاز ثقافي واسع لليهود في المهجر ، يحول اللغة العبرية الى لغة ثانية لكل يهودي في المهجر » .

أما رئيس الدولة ، بروفيسور افرايم كتسير ، فقد اشار في كلمته الى « الساعات المصيرية في حياة الشعب اليهودي التي تجتازها الامة اليوم » ، ودعا الى الوحدة بين اليهود في العالم وبين اسرائيل . كذلك اشار كتسير الى مهمات « الشعب المختار » بقوله : « في هذا العالم كثير التبدلات ، الذي نعيش فيه ينتظر الشعب اليهودي دور كبير المسؤولية ، ليكون شعبا مختارا ، وينعكس ذلك في طريقة حياته ، وقيمه الاخلاقية ، وطهارته ، والعدل الاجتماعي والقومي وهي المزايا التي تعتبر من اسس تراثه الروحي » .

اما يتسحاق كورن ، رئيس الادارة الاسرائيلية في المؤتمر اليهودي العالمي ، فقد ذكر في كلمته انه « على الرغم من النضال المتواصل الذي نجتازه لم تهن عزيمتنا ، ولم نفقد الايمان بقوتنا . اننا في هذه الايام بالذات نقف منتصبي القامة اكثر من

أي وقت مضى امام حليفنا الواحد الوحيد ، الشعب اليهودي في المهجر » (معاريف ، يديعوت احرونوت وهآرتس ، ١٩٧٥/٢/٤) .

قضية اعادة انتخاب غولدمان

شغلت قضية اعادة انتخاب غولدمان كرئيس للمؤتمر اليهودي العالمي اهتمام وسائل الاعلام الاسرائيلية وكذلك الرأي العام في اسرائيل ، اكثر مما شغلت اهتمامه القضايا المطروحة في المؤتمر ، ذلك أن غولدمان لا يعتبر شخصية مرغوبا بها في اسرائيل ، على الصعيدين الحكومي والشعبي ، بسبب تصريحاته وافكاره المناوئة للسياسة الرسمية الاسرائيلية . ومنذ مدة يحمل غولدمان السياسة الاسرائيلية مسؤولية عدم التوصل الى السلام مع العرب بسبب اتسامها بالتعنت ، كما ويرى ان عامل الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل في المستقبل ، ولهذا الصق به معارضوه لقب « نبي السوء » . وبالرغم من أن أفكار غولدمان لا تخرج ابدا عن الاطار الصهيوني ، وانما تعبر عن الجناح المعتدل في ذلك الاطار ، فان الاوساط اليمينية المتطرفة ، وكذلك بعض الاوساط الحكومية تعتبر تلك الافكار بمثابة خروج عن الخط الصهيوني . وقد طالب العديد من الكتاب الاسرائيليين اليمينيين بعدم اعادة انتخاب الدكتور غولدمان مرة اخرى ، بينما انهمكت الصحافة الاسرائيلية ووسائل الاعلام بهذه الناحية دون ان تغطي اهداف المؤتمر ومطالبه ، بحيث بدا وكأن المؤتمر عقد في القدس لمهمة واحدة تتمثل في انتخاب رئيس جديد له . وقد دفع هذا الواقع بعض الكتاب الاسرائيليين الى توجيه انتقادات لاذعة للمؤتمر بشكل عام ، مثل النائب الحاخام مناحيم هكوهين الذي أعلن (في مقال له في يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/٤) انه: « من المشكوك فيه أن يكون هنالك نفر من اليهود في دولة اسرائيل ، يعرفون ما هو ... المؤتمر اليهودي العالمي ، المنعقد الان في القدس . كذلك فانني غير مقتنع اذا ما كان مندوبو المؤتمر بالذات يستطيعون ان يتحدثوا ويشرحوا ماذا فعل المؤتمر، وماذا يفعل ، وما هي برامجه للمستقبل ؟ وعلى الرغم من ذلك ، فهنالك اهتمام ملحوظ من قبل الجمهور بعقد المؤتمر واحترام النقاش حول قضية من سيكون رئيسا له . فمنذ اسابيع لا يمر علينا يوم دون أن تعالج وسائل الاعلام التركيبة الشخصية للمؤتمر فقط » . وتطرق اخر الى الموضوع نفسه بقوله انه « بالنسبة للاكثرية من الاسرائيليين دار الاجتماع السادس للمؤتمر اليهودي العالمي ، الذي اختتم اجتماعاته صباح أمس ، حول اعادة انتخاب الدكتور ناحوم غولدمان لرئاسة المؤتمر . ان هذه المسألة احتلت معظم العناوين ومراكز التقارير الصحفية والاذاعية والتلفزيونية ، مع طمس القضايا المركزية لعلاقات اسرائيل والمهجر ، ووضع الشعب اليهودي حيال الامتحانات الصعبة ، التي تنتظره على الجبهتين الداخلية والخارجية على حد سواء – خطر الاندماج من ناحية ، وخطر المواجهة مع الدول التي يعيش فيها اليهود بسبب عزلة اسرائيل سياسيا من ناحية اخرى » (شلومو شفير – دافار ، ١٩٧٥/٢/١٢) .

وقد تصدى اليمين الصهيوني بشكل قوي لاعادة انتخاب غولدمان ، ووجه له تهما كثيرة مصورا اياه وكأنه قد خرج عن الخط الصهيوني بشكل قوي لاعادة انتخاب غولدمان ، ووجه له تهما كثيرة مصورا اياه وكأنه قد خرج عن الخط الصهيوني . وكتب احدهم تحت عنوان « يجب على غولدمان ان يذهب » (اليعيزر ليفنه – هآرتس ، ١٩٧٥/١/١٧) قائلا : « هل يجب أن نقول ، بانه من غير الممكن ان يبقى [غولدمان] حتى ليوم واحد رئيسا للمؤتمر . اذا كان يرغب أن يستخدمه كبوق دعاية لتنظيم النازيين العرب ومطامح السلام الخاصة بهم ، فليفعل ذلك وفق رأيه ، كما فعل الدكتور شاحاك وشمعون تسابار . ولكن ما الذي يربط الدكتور غولدمان بالشعب اليهودي الذي يناضل نضال الحياة والموت ضد تجدد النازية بلباس عربي ؟ هكذا اغلقت دائرة غولدمان : قبل ستين عاما ، في عام ١٩١٥ ، ارتفع نجمه في برلين حين نشر مقالا يشيد فيه بالامبريالية الالمانية في الحرب العالمية الاولى ... وينتهي الرجل بامتداح تنظيم الدم العربي الذي يقتل امام عينيه الرجال والنساء والاطفال اليهود ، ويعتزم ابادة دولة اليهود . ان الدائرة اغلقت ، كما وان خصوم الدكتور غولدمان سيأسفون لانغلاق الدائرة بهذا الشكل » .

وعلى نفس الاوتار ، ونفس شدة الهجوم على الدكتور غولدمان اعلن اخر، عشية عملية انتخابات الرئاسة ؛ « ان الذي يصوت الى جانب الدكتور غولدمان ، يصوت مع وجهة النظر القائلة بأن الاعلان عن قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ كان خطأ جسيما ، وان الهجرة الكبيرة في السنين الاولى لقيام الدولة بمثابة خطأ تراجيدي ، وان الصهيونية ارتكبت خطأ عندما توجهت لبناء البلد دون اخذ موافقة العرب ، وان اليهود هم المذنبون في جميع الحروب التي مرت على اسرائيل منذ ١٩٤٨ وحتى اليوم ، كما وانهم فوتوا جميع فرص السلام . ان الذي يصوت الى جانب غولدمان ، يصوت الى جانب الرأي القائل بأن حكومة بن غوريون ارتكبت جميع الاخطاء السياسية الممكنة، وان حكومة غولده مئير استمرت في ذلك الخط ، بينما تلتزم حكومة رابين جانب الصمت . ولكن الحكومة التي ستعقبها ، ربما ، ستقوم بتحقيق السلام مع العرب . ان الذي يصوت الى جانب الدكتور غولدمان يعطي صوته للايمان القائل بأن دولة اسرائيل لا ينبغي لها ان تكون مكانا لجميع اليهود ، بل مركزا روحيا فقط ... من الافضل لمن يرفع يده الى جانب غولدمان ، ان يعرف بأنه يرفع يده ضد شعب مقاتل في ساعة ضيق شديد للغاية». (شموئيل شنيتسر — معاريف ، ٧٥/٢/٩) .

وكانت حركة حيروت قد تزعمت المطالبة بابعاد غولدمان عن رئاسة المؤتمر وأيدها « صقور » الاحزاب اليمينية وبعض صقور الاحزاب العمالية، وبلغت حدة نشاط حيروت في هذا المجال درجة دفعت يوسف كلارمان ، مندوبها في ادارة الوكالة اليهودية الى تقديم استقالته من منصبه كرئيس لشعبة هجرة الشباب لمدة وجيزة لاظهار احتجاجه، الا أن ادارة الوكالة أعلنت ان مسألة اعادة انتخاب غولدمان ليست ضمن مجال عملها (هآرتس، ٧٥/٢/٣) .

كذلك انضمت الى الحملة ضد غولدمان عناصر أخرى مثل يعقوب تسور رئيس الكيرن كاييمت ، الذي بعث برسالة الى كل من ناحوم غولدمان وبنحاس سابير يعلن فيها معارضته لاعادة انتخاب غولدمان . كما وبعثت رئيسة وزارة اسرائيل السابقة غولده مئير برسالة الى سكرتير حزب العمل والى رئيس الوزارة والى رئيس الوكالة اليهودية وعدد من الشخصيات ابلغتهم فيها معارضتها لاعادة انتخاب غولدمان كرئيس للمؤتمر . ومن الجدير بالذكر ان مئير لم تحضر حفل افتتاح المؤتمر بحجة مرضها ، وانكرت ان يكون وراء تغيبها اسباب سياسية ، حيث « انني لا اهرب من اسباب سياسية » (معاريف ، ٧٥/٢/٤) .

سابير يقف الى جانب غولدمان

على الرغم من هذه الحملة ضد غولدمان ، وقف الى جانبه قسم كبير من حزب العمل وحزب مبام وكذلك البعض من « حمائم » الاحزاب اليمينية . الا ان الدعم الاساسي لناحوم غولدمان تمثل في وقف بنحاس سابير رئيس الادارة الصهيونية الى جانبه، وبفضله وقفت اكثرية حزب العمل مع غولدمان ، وأمنت بذلك اعادة انتخابه ، على الرغم من انها غير متحمسة له . وقد دافع سابير عن غولدمان كثيرا ، قائلا انه « ليس بحاجة مني الى شهادة صلاحية . انه من وجهة نظري صهيوني ... » .

اما السبب في ذلك ، فهو ان سابير وغولدمان قطعا خطوة مهمة في سبيل غلق الهوة بين الادارة الصهيونية والمؤتمر اليهودي العالمي ، حين وقعا على اتفاق يتم بموجبه « احلال علاقات خاصة ومميزة بين المؤتمر اليهودي العالمي والحركة الصهيونية على اساس الاعتراف بوحدة الشعب اليهودي ومركزية اسرائيل » . وبحسب هذا الاتفاق ستشترك الادارة الصهيونية بشكل كامل ، وتتمثل في مؤسسات المؤتمر اليهودي العالمي ، سواء في الادارة المقلصة او في الادارة العامة . وقد اتفق على ان يتم تشكيل الادارة المقلصة للمؤتمر من سبعة اشخاص ، ثلاثة من الادارة الصهيونية وأربعة من المؤتمر اليهودي العالمي ، وبذلك اصبح المؤتمر اليهودي العالمي يخضع بشكل أو بآخر لاشراف الحركة الصهيونية ، اكثر من اي وقت مضى (هآرتس ودافار ، ٧٥/٢/٣) .

وليس هنالك شك بأن هذا الاتفاق الذي وقعه غولدمان مع سابير ، قد ساعد غولدمان على اعادة انتخابه للمؤتمر ، وقد اتضح ان استشارات ونقاشات جرت بين غولدمان وبين كتلة حزب العمل، وافق فيها غولدمان على شروط الكتلة مقابل تأييدها له ، وهي انتخاب غولدمان لفترة محدودة فقط ،

ودون تحديد الفترة الزمنية ، الى ان ينتخب وريثه بتنسيق مع المنظمة الصهيونية العالمية ، ثم تقييد التصريحات السياسية التي يدلي بها . ويفهم من الخطاب القصير الذي ألقاه غولدمان اثر اعادة انتخابه بأنه سيتقيد بالشرطين السابقين ، وانه « سيحاول تقييد نفسه في المستقبل من حيث الادلاء بتصريحات » ، وانه لا يعتزم استكمال مدة رئاسته للمؤتمر التي تستمر اربعة اعوام (دافار ، ١٠/٢/٧٥) .

وكان من نتيجة وقوف كتلة العمل الى جانب غولدمان ، بعد اتفاقه مع سابير ، ثم موافقته على الشروط التي فرضت عليه ، وبفضل غياب شخصية قوية يمكن ان تنافسه على رئاسة المؤتمر — كان من نتيجة ذلك كله ان فشلت حملة اليمين ضده وأعيد انتخابه بالتصويت بأكثرية كبيرة .

الجلسة الختامية

اختتم المؤتمر اليهودي العالمي مداولاته ، يوم ١٠/٢/٧٥ ، حول موضوعات عديدة ، من بينها العالم اليهودي في عالم التبدلات ، « الارهاب » العربي وتبعاته ، حملة « الابتزاز » الاقتصادية التي يقوم بها العرب ، « نضال » يهود الاتحاد السوفييتي ووضع اليهود في الاقطار العربية ، انصهار اليهود في مجتمعاتهم وفقدانهم هويتهم اليهودية ، الزواج المختلط ، وابتعاد الجيل اليهودي الناشىء عن اليهودية .

وألقى الدكتور غولدمان في هذه المناسبة كلمة أشار فيها الى المهام الثلاث التي تواجه اليوم الادارة الجديدة للمؤتمر وهي :

« ١ — ضمان وقوف الشعب اليهودي الى جانب اسرائيل في هذه المرحلة الراهنة الحاسمة لاحتمالات السلام وخطورة الحرب .

٢ — تحقيق القرار الذي اتخذ بناء على طلب رئيس الحكومة ، بشأن توثيق الاتصالات بين دولة اسرائيل ويهود المهجر من خلال خلق اطار مناسب لذلك .

٣ — النضال من أجل تأمين الكيان اليهودي في كل مكان : تأمين حقوق اليهود كأقلية في بلدان مختلفة ، والاهتمام بالثقافة اليهودية — بما في ذلك الثقافة من اجل الهجرة لانه بدون ذلك لن يكون هنالك مستقبل للشعب اليهودي كشعب» (معاريف، ١١/٢/٧٥) .

القرارات

اما القرارات التي اتخذها المؤتمر ، فقد أشارت اليها المصادر الاسرائيلية باختصار ، وهي (يديعوت احرونوت ومعاريف ، ١١/٢/٧٥) :

« ١ — يعلن المؤتمر اليهودي العالمي عن التعاطف غير المتحفظ ليهود العالم مع دولة اسرائيل ، في هذه الساعة المصيرية ، ويعلن عن تأييد ومساعدة اليهود لاسرائيل من أجل تقويتها .

٢ — قرر المؤتمر رفض فكرة اقامة « دولة علمانية فلسطينية » هدفها تصفية اسرائيل .

٣ — العمل لالغاء القرارات المناوئة لاسرائيل التي اتخذتها اليونيسكو .

٤ — المناشدة بدعم اسرائيل في حربها ضد الارهاب العربي .

٥ — الاعراب عن الامل بأن يتم التوصل في المستقبل القريب الى تفاهم بين اسرائيل وشعوب المنطقة .

٦ — يطالب المؤتمر بالسماح ليهود الاتحاد السوفييتي بالهجرة » .

عبد الحفيظ محارب

[٦]

التجمع العمالي (المعراخ) الحاكم يعيش أزمة داخلية متفاقمة

ننشر فيما يلي التقريرين الثالث والرابع مـن سلسلة التقارير حـول الاوضاع الراهنة للمجموعات الحزبية الرئيسية في اسرائيـل . وقد نشرت شؤون فلسطينية التقريرين الاولين في العدد الماضي .

يمر التجمع العمالـي (المعراخ) الحاكم في اسرائيل ، منذ مدة ، في أزمة داخلية في مختلف النواحي الفكرية والتنظيمية والسياسية . وتؤثر هذه الازمة تأثيرا كبـيرا على سياسة الحكومـة الاسرائيلية وتصرفاتها وتكاد تمنعها ، احيانا ، من ممارسة مهامها بشكل فعال . وقد وجدت هـذه الازمة مؤخرا تعبيرا عنها في استقالة وزير الاعلام الاسرائيلي ، أهرون ياريف ، من منصبه .

وقبل أن نسلط الاضواء على ما يجري داخل حزب العمل وداخل المعراخ (تجمع حزبي العمل ومبام) ، لنتعرف على طبيعة هذه الازمة في نواحيها المختلفة ، لا بد من تقديم لمحة تاريخية موجزة عن هذا التكتـل الحزبي وعـن مكانته في النظـام الاسرائيلي .

حزب العمـل الاسرائيلي هو اكبر حـزب في اسرائيل . تأسس عام ١٩٦٨ ، كنتيجـة لاتحاد ثلاثة احزاب هي : مباي (حـزب عمال أرض اسرائيل) ، أحدوت همفوداه (وحدة العمل) ورافي (قائمة عمال اسرائيل) . وحزب العمل يشكل مع مبام (حزب العمال الموحد) المعراخ (التجمع) الحاكم بالائتلاف مع حزبـي الاحـرار المستقلين والمفدال (الحزب الديني القومي) .

تأسس حزب مباي وهو اكبر كتلة في حزب العمل عام ١٩٣٠ ، نتيجة لاتحاد حزب هابوعيل هاتسعير (العامل الشاب) مع حزب آخر كان قد تأسس سنة ١٩١٩ وعرف باسم احدوت همفوداه (وحدة العمل) ، وأصبح عند تأسيسه القوة الرئيسية بين المستوطنين اليهود في فلسطين ، ومن ثم في المؤسسات الصهيونية قبل قيـام اسرائيل وبعد ذلك . وحاول مباي ، من حيث المضمون النظري ، الخلط بين الاشتراكيـة الديمقراطية والنظريـة الصهيونية ، وأصبح عضـوا في الاشتراكية العالمية وفي المنظمة الصهيونية العالمية . وخلال ١٩٤٤ — ١٩٤٦ انشق عن الحزب ، نتيجة للخلاف حول خطة تقسيم فلسطين ، جناح أطلق عليه اسم « الكتلة ب » . وفي عام ١٩٤٨ اتحدت هذه الكتلة مـع هاشومير هاتسعير ، وهو تنظيم «صهيوني يساري» ومع « عمال صهيون اليساريون » ، فقام حزب العمال الموحد (مبام) ، غير ان هذه الكتلة عادت وانشقت عن الحزب الموحد ، عـام ١٩٥٥ ، وأقامت حزب أحدوت همفوداه . وفي عام ١٩٦٥ أقام حزب احدوت همفوداه « تجمعا » مع مباي ولكن بعد خلاف شديد داخل مباي انشق على أثره جناح دافيد بن غوريون عن الحزب مؤلفا حـزب رافي ، الذي خاض معركة الانتخابات سنة ١٩٦٥ كحزب مستقل . وفي كانون الثاني ١٩٦٨ أقامت كل من مباي واحدوت همفوداه ورافي حزب العمل، الذي أقام بدوره « تجمعا » جديدا مع مبام قبيل الانتخابات للكنيست السابع سنة ١٩٦٩ . ويسيطر ممثلو هذه الاحزاب على الحكـم في اسرائيل منذ ذلك الوقت .

يضم حزب العمل نحو ٣٠٠ الف عضو ، ٤٥ ألفا منهم من الشباب (دون ٣٥ سنة) ، وقد فتح باب العضوية امام العرب ، وسمح بانضمامهم اليه ، بعد تحالفه مع مبام فقط . وللحزب ٦ دوائر تنظيمية كبيرة هي تل ابيب ، حيفا ، القدس ، الموشافيم ، الكيبوتس الموحد ، واتحاد الكيبوتسات والكيبوتسيم ، وله ايضا ٨٢ فرعا و١٥١ فرعا ثانويا في كافة انحاء اسرائيل . وفي الانتخابات الاخيرة للكنيست الثامن (١٩٧٣) حاز التجمع (المعراخ) على ٥١ مقعدا ، بخسارة ٥ مقاعد عما كان له في الكنيست السابق . وتنقسم مقاعـد الحزب في الكنيست بين كتله على النحو التالي : مباي : ٣٠ مقعدا ، احدوت همفوداه : ٧ مقاعد، رافي : ٧ مقاعد ، مبام : ٧ مقاعد .

ومن حيث تمثيل كتل الحزب في المؤتمر العام وفي المؤسسات الحكومية والنقابية ، يحتل مباي ايضا المركز الاول . ففي الانتخابات الداخلية الاخيرة التي جرت قبل ٤ سنوات حاز مباي على ٦٧ ٪ من أعضاء المؤتمر (الذين يمثلـون المعراخ) ، واحدوت هعفوداه على ٢٠ ٪ ورافي على ١٣ ٪ . وفي المؤسسات الرسمية وفي الهستدروت يصل تمثيل مباي الى ٥٧ ٪ وكل من احدوت هعفوداه ورافي الى ٢١٫٥ ٪ (معاريف ، ٧٥/١/٣١) .

ولكن منذ اقامة حزب العمل مـن هذه الكتل الثلاث ظهر ان كتلة مبـاي راحت تذوب داخل الحزب ، في حين حافظت كل من رافي واحدوت هعفوداه على أطرها التنظيمية . ومع ان كتلة مباي هي القوة الاكبر ، تاريخيا وعدديا ، ظهر انها ضعفت بشكل واضح خاصة بعد اقامة حكومة رابين الحالية ، الامر الذي دفع بعض اعضـاء الكتلة المركزيين الى محاولة اعادة تنظيمها ، في حين عارض الاخرون هذه الفكرة خوفا من امكانية الاستقطاب وبالتالي الانشقاق . ويعد هذا مظهر واحد فقط من مظاهر الازمة المتفاقمة التي يمر بها هذا الحزب .

الازمة القديمة تشتد

هناك مظاهر عديدة تدل على ان حزب العمل يمر مؤخرا في أزمة داخليـة . ففي الانتخابات الاخيرة مني الحزب بانتكاسة وخسر ٥ مقاعد في الكنيست ، كما أشرنا . وبعد الانتخابات استمرت المفاوضات لتأليف الحكومة اربعة اشهر كاملة ، الامر الذي لم تكن له سابقـة في تاريخ تشكيل الحكومات في اسرائيل . وبعد أن تشكلت حكومة غولده مئير بعد تلك المفاوضات المضنية لم تصمد أكثر من شهر واحد وسقطت ، حيث قام يتسحاق رابين بتشكيل الحكومة الحالية . ومنذ ذلك الوقت تعمقت التناقضات داخل الحزب . فبدلا من حل الكتل جرت ، وما زالت تجري ، محاولات لاحيائها وظهرت تنظيمات داخلية جديدة ، منها ما قام على اساس الانتماء الحزبي داخل اجنحة العمل ومنها ما قام على اساس المواقف السياسية الصقرية او الحمائمية . ويتفق العديد من شخصيات الحزب ، ومن المعلقين الاسرائيليين من ذوي الاتجاهـات السياسية المختلفة ، على ان حزب العمل يمر بأزمة خطيرة متفاقمة .

ويقول اسحاق بن اهرون احد قادة حزب العمل من كتلة احدوت هعفوداه ، وأول المبادرين الى توحيد الاحزاب العمالية الصهيونية في اسرائيل مع بداية الستينات : « كان حزب العمل خيبة امل كبيرة بالنسبة لي . فهذا المخلـوق الذي بذلت قصارى جهدي لاقامته أراه خاويا ، ولا اعتقد ان قوى جديدة ستستطيع الظهور فيه لاعادة الحياة اليه ... ان المعراخ [التجمع العمالي] اليوم لا معنى له ، ولا يملـك الاجوبة على المسائل الحاسمة بالنسبة للمستقبل السياسي والامني... » (يديعوت احرونت ، ٧٤/١٠/٧) .

وفي خطاب القاه في مركز مبام ، الذي انعقد في تل أبيب بتاريخ ٧٥/١/٢٢ ، قال السكرتير العام للحزب مئير تلمي : « ان حزب العمل يمر في أزمة ، والمؤسف ان هذا يحدث قبل عدة شهور من انعقاد مؤتمـر جنيف ... » (دافار ، ٧٥/١/٢٣) . ووصف وزير الخارجية السابق أبا ايبن (الذي أصبح منذ خروجه من الحكومة في الصيف الماضي ، واحدا من المشرفين على النشاط الحزبي ورئيسا لبيت بيرل — المقر النظري لحزب العمل) مـا يجري في حزبه اليوم ، على انـه « فوضى » (معاريف ، ٧٥/١/١٧) . واتهم اوري اغمي ، سكرتير فرع حزب العمل في حيفا ، حزبه بأنه أجل الانتخابات الداخلية بسبب الازمة التي يعانيهـا والتوتر بين الكتل . وكان من المقرر ان تجري هذه الانتخابات في كانون الثاني الماضي ولكنها تأجلت الى الصيف القادم ، على ما يبدو (دافار ، ٧٥/٢/٦) . وحذر السكرتير العام الحالي لحزب العمل ، مئير زرمي ، من تفـاقم الازمة التنظيميـة داخـل الحزب ، قائلا : « ان حزب العمل اذا لم ينجح في القضاء على التكتلات الداخلية فيه فسوف تنجح التكتلات في القضاء عليه ... » (معاريف ، ٧٥/١/٣) .

وأما بنحاس سابير ، وزير المالية السابق ، الذي يعتبره الكثيرون حتى الان على انه الرجل القوي في حزب العمل ، فقد عبر عن الازمـة السياسية والتنظيمية في حزبه بقوله : « اذا كان من الممكن الغاء الكتل في الحزب ، يجب الغاؤها ، ولكن ليست هذه هي المشكلة التي تهدد الان حزب العمل ، بل ان ما يهدده هو الخلاف السياسي

داخل الحزب . فهناك من يعتقدون ، مثلي ، انه عندما يحين الوقت لاتخاذ قرار حول الضفة الغربية ، يجب الانسحاب منها ، ما عدا القدس ، ومع تعديلات بسيطة . وهناك من يعتقدون غير ذلك ... » (دافار ، ٧٥/١/٣) .

ويتفق مع اولئك الزعماء الحزبيين في الرأي العديد من المعلقين ، ففي رأي احدهم « يسود حزب العمل اليوم الهدوء الذي يسبق العاصفة... ان التوتر في الحزب سيؤدي ، وربما ، الى الغليان ... وحدوث انشقاق » (دانييل بلوخ — دافار ، ٧٥/١/٢٠) . ويرى آخر ان « حزب العمل يعاني من الفراغ في القيادة ... ويجب على [أعضائه في] الحكومة توجيه المزيد من الاهتمام له ، واشراكه في عملهم قبل ان يتدهور ، الامر الذي ينتظره العرب وجزء من اليهود » (حغاي ايشد — دافار ، ٧٥/١/٢٤) . وكتب ثالث : « ان العلاقات الداخلية المتوترة في المعراخ تتجه نحو منعطف خطير » (ي. تدمور — معاريف ، ٧٥/١/٢٨) . أما رئيس تحرير صحيفة معاريف سابقا فيضيف انه « كان لحزب العمل مضمون فكري وعملي ، وكان له صندوق مليء . اما اليوم فهو خاو من المضمون الفكري والعملي ، وصندوقه أيضا خال من المال » (اريبه ديسنتشيك — معاريف ، ٧٥/١/٢٢) .

أزمة ايديولوجية

يدور الحديث عن أزمة حزب العمل الايديولوجية في العديد من الاوساط السياسية في اسرائيل . وهذه الازمة ، على أي حال ، قديمة ولكن حرب تشرين عمقتها . « وهي تعود الى أزمة المزج بين الاشتراكية الديمقراطية وبين الايديولوجية الصهيونية ... ولكن هذه الازمة تتعدى المجال النظري الى مجال الممارسة والتطبيق . فبحجة الامن ابتعد الحزب عن حركة العمال وقيمها ، واقترب في سياسته الخارجية والاقتصادية من اليمين المتطرف مما أدى الى تقوية تكتل ليكود والمفدال . والاستمرار في هذا الاتجاه سيهدد حكم حزب العمل بواسطة ليكود ... » (زاهي كركبي — زو هاديريخ ، ٧٥/١/١) .

وقد أيد هذا الرأي حول الازمة الايديولوجية في حزب العمل وقدمها، عدد من المعلقين الاسرائيليين، ومنهم من ينتمون الى حزب العمل نفسه . فرئيسة تحرير صحيفة دافار الناطقة بلسان الهستدروت ، حانه زيمر ترى ان « الاشتراكية الديمقراطية تمر في أزمة في كل مكان ... والاساس الايديولوجي لها لم يكن سيئا الى هذا الحد في اي يوم مضى في كل الدول ، ولكن يبدو ان الحال في اسرائيل أسوأ مما هو عليه في أي مكان آخر ... » (دافار ، ٧٤/١٢/١٣) . وأيدها في رأيها هذا يهودا غوتهيلف ، احد « منظري » حزب العمل ، لان « الازمة الفكرية [في حزب العمل] ليست جديدة ، وقد اتحدت عدة عوامل لتعميقها ، فالضباب الفكري الناجم عن حالات الطوارىء المتواصلة أدى الى طمس الخط الفاصل بين حزب العمل وبين خصومه في تكتل ليكود اليميني » . (دافار ، ٧٤/٤/١٩) .

ويؤيد هذا الرأي معلق آخر بقوله « على الصعيد الداخلي وصل حزب العمل منذ وقت طويل الى نهاية الطريق ... هذه الحقيقة كانت صحيحة قبل يوم الغفران ، وليست نابعة من اخطائه ... ان اساس الداء ، هو فقدان المنابع الروحية لحزب العمل ، وفي الجفاف الفكري فيه ، وبسبب تضحية الحزب بمضامينه الاجتماعية ، وعمليا ، تضحيته بشبابه على مذبح السلطة ولاجلها ... » (يرمياهو يوفال — هآرتس ، ٧٤/٤/٢٤) .

من جهة ثانية ، اثبتت حرب تشرين ان الايديولوجية الصهيونية نفسها تمر في أزمة ، وهذا ينعكس بالتالي على حزب العمل « فقد ثبت ان احتلال اراض جديدة لم يعد ممكنا . بل ثبت ان استمرار احتلال الاراضي المحتلة حاليا لم يعد ممكنا ايضا ... وحكام اسرائيل لن يستمروا طويلا في اداء دور الحارس للمصالح الاميركية في المنطقة ... » (زاهي كركبي — زو هاديريخ ، ٧٥/١/١) .

أزمة تنظيمية — سياسية

اضافة الى الازمة العقائدية ، هناك أيضا أزمة تنظيمية — سياسية يعاني منها حزب العمل . فرغم فشل سياسة حكومة غولده مئير في حرب تشرين وسقوطها نتيجة لذلك ، لم يغير حزب العمل سياسته الداخلية او الخارجية ، كما توقع الكثيرون . ولكي تنقذ زعامة الحزب سمعة حزبها

ومكانته الشعبية واستمراره في الحكم ، قامت بتبديل القيادة الحكومية ، فأصبح يتسحاق رابين « الشاب » رئيسا للحكومة ، التي ضمت عددا من الوزراء الجدد . ولكن بعد مرور عدة اشهر من تشكيل الحكومة الجديدة ، خاب أمل الذين توقعوا ان تكون هذه الحكومة « حكومة استمرار وتغيير »، سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية . فالازمة الاقتصادية والاجتماعية لم تحل بل تفاقمت ، وعزلة اسرائيل الدولية ما زالت مستمرة ، « ومع ان حكومة غولده مئير تركت للحكومة الجديدة اتفاقيات فصل قوات في حاجة ماسة الى تتمات عاجلة ، لم يحدث شيء حتـى الان » (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ٧٤/١٢/٢٧) . ومع ان رابين « وعد بالانتقال مع مصر من فصل القوات الى حالة انهاء الحرب ... ووعد بالتوصل الى السلام التعاقدي مع الاردن ، لم يتحقق شيء من هذا حتى الان ...» (ماتي غولان — هآرتس ، ٧٥/١/٢٤) . أمـا استمرار الحكومة الجديدة في اتباع نفس السياسة السابقة فقد « أدى الى تعميق التناقضات في حزب العمل ، بين رابين ومؤيديه الذين أرادوا الاستمرار في السياسة المغامرة وبين آخرين ارادوا الاعتدال والواقعية مثل يتسحاق بن أهرون وآرييه الياف ويوسي سريد وغيرهم » (زاهـي كركبي — زو هاديريخ ، ٧٥/١/١) .

وقد وصلت هذه التناقضات الى حد جعل ستة من نواب المراخ يصوتون في الكنيست ضد حزبهم. فعندما اقترح زعيم ليكود مناحم بيغن مناقشة مقابلة رابين مع صحيفة هآرتس (٧٤/١٢/٣) حول « السنوات السبع العجـاف » الشهيرة (راجع « قضايا اسرائيلية » العدد ٧ ، ٧٤/١٢/٢٦ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٦) اقترح رابين احالة مناقشـة الموضوع الى لجنة الخارجية والامن ، واما النواب الستة من حزبه ، ومنهم بن أهرون والياف وسريد، فقد صوتوا لصالح اقتراح مئير باعيل ، نائب موكيد ، الذي اقترح اسقاط الموضوع من جدول الاعمال ، « الامر الذي يعتبر دليلا لا مثيل له على ازمة حزب العمـل وكتلته البرلمانية » (المصدر نفسه) . وقد علقت هآرتس (٧٤/١٢/١١) على ذلك قائلة « ان هذا يدل على التفكك وانعدام الصلاحية لدى قادة المراخ » . أمـا بنحاس سابير فقد علق على ذلك بقوله : « من المشكوك فيه ان كتلة المراخ ستبقى كتلة في ضوء ما يجري فيها » (المصدر نفسـه) .

وقد دلت على هذا التفكك في المراخ احداث اخرى ، منها توقيع دايان وثلاثة آخرين من كتلة رافي على عريضة ليكود ضد الانسحاب من الضفة الغربية ، ودعوة الوزير المستقيل ياريف وعدد آخر من رفاقه في الحزب لاقامة حكومة تكتل مع ليكود ، ثم اقامة تنظيم حمائمي في كتلة المراخ البرلمانية دعي « المنصة الحرة » واقامة تنظيم مضاد مـن الصقور ، بالاضافة الى مجموعة مـن الحلقات الفكرية القائمة في الحزب مثل « اتجار » و« الحلقة لتوضيح قضايا الدولة والمجتمع » وغيرها . وتضاف الى هذا ايضا المحاولات الجارية لتجديد كتلة مباي والتوتر بين الكتل ، والخوف من زعماء الحزب الذين خرجوا من الحكومة ويوجهون النقد الشديد لها ، مثل دايان وايبـن والوفي . ويتضح ان التكتلات داخل الحزب تنحصر في دائرتين ، تقوم الاولى منها على اساس الانتماء الى الكتل الاصلية في المراخ ، والثانية علـى اساس المواقـف السياسية المعتدلة او المتطرفة .

التناقضات بين الكتل تتعمق

على الرغم من اعلان كتل حزب العمل ، منذ اتحادها عن نيتها في الغاء نفسها تدريجيا ، فانها حافظت عمليا على اطرها . « فالكتل هي التي تحكم في الحزب ، وعندما يعرض موضوع أمام اللجنة المركزية للحزب ، فانه يعرض فقط بهدف المصادقة عليه ، بعد أن تكون قد تمت تسويته بين الكتل مسبقا ، وممثلو الكتل في المفاوضات — أي قادة هذه الكتل — هم الذين يعينون انفسهم . وهذا ما حدث [مثلا] بالنسبة لوثيقـة غليلي [حول المناطق المحتلة] وغيرها ... » (آشر منيف — دافار ، ٧٥/١/١٤) .

والكتل هي التي ترشح ممثليها في الحكومة وفي الكنيست وهي التي ترشح أعضاءها في مؤتمـر الحزب العام ، مما دفع البعض الى الاعلان انه « لا يمكن الغاء الكتل في حزب العمل » وتنسب بعضـهم الى احد زعماء حـزب العمل قوله « ان العضوية في حزب العمل هي بمثابة تأمين على العضـو ، والعضوية في الكتلة هي بمثابة تأمين ثانوي ، وفي ظروفنا التأمـين الثانوي اهم مـن

التأمين الرئيسي » (ليفي يتسحاق هيروشلمي — معاريف ، ١٠/٢/٧٥) .

محاولات لاحياء كتلة مباي

اضعف خروج زعماء مبـاي التقليديين ، مثل غولده مئير وبنحاس سابير وابـا ايبن ويوسف الموغي ، من الحكومة الجديدة ، كتلة مباي مـن الناحية التنظيمية ومنـح مكاسب لكل مـن رافي واحدوت هعفوداه . وقد دفع هذا الوضع بعض زعماء مباي الى محاولة اعادة تنظيم كتلتهم في الحزب ، الامر الذي يقلق الكتلتين الاخريين ، بينما يعارض زعماء آخرون من مباي هذه الفكرة خوفا من حدوث انشقاق في الحزب . ومن بين الذين يؤيدون فكرة احياء الكتلة : بنحاس سابير ، ابا ايبن ، ابراهام عوفر ، دافيد كلدرون مدير بنك الزراعة ، وافرايم رايئر سكرتير هيئة العاملين (حفرات هاعوفديم) ، يعقوب لفنزون مدير بنك العمال والنائبان فورتمان وغرشوني . ومـن بين المعارضين ، خوفا من احداث الاستقطاب وبالتالي الانفصال : يهوشواع رابينوفيتش وزيـر المالية الحالي والوزيران يدلين وبرعام وغيرهم (هتسوفيه ، ١٥/١/٧٥) .

وكان العامل الرئيسي الذي دفع بعض زعماء مباي الى محاولة احياء كتلتهم هو الاشاعات حول نية دايان دخول معركة ضد حكومة رابين «والنشاط الملحوظ الذي يبديه مؤخرا في كتلة رافي في البرلمان واتصالاته مع رفاقه في الكتلة مثل شمعون بيريس وجاد يعقوبي وماتيلدا غيز وغيرهم ، هذا النشاط الذي يفسر على انه محاولة لاحيـاء كتلة رافي » (شاؤول مايزليش — هاتسوفيه ، ٢٣/١/٧٥) .

وبما ان قادة كتلة مباي منقسمون على انفسهم حول فكرة اعادة احياء مباي ، اقترح بعضهم حلا وسطا يتمثل في اقامة « قوة مركزية » ، فسرها البعض على انهاء غطاء لاعادة تنظيم مباي ، على ان تضم رئيس الحكومة ووزراء مباي وامناء سر فروع حيفا وتل ابيب والقدس وسكرتير الحـزب وسكرتير الهستدروت . ولكن هذه المحاولة لم تنجح حتى الان . وفي الاجتماع الذي عقده ٣٥ عضوا من شخصيات مباي في مركز الكتلة في تل ابيب ، بتاريخ ١٢/٢/٧٥ ، رفض معظم الحضور فكرة احياء الكتلة او اقامة الكتلة المركزية كستار لها (ر أ أ ، ١٣/٢/٧٥) . كذلك حاول زعماء مباي ضم رجل الحزب في حيفا ورئيس بلديتها ، يوسف الموغي ، الى الحكومة بعد استقالة ياريف لتقوية مباي داخل الحكومة وتقوية الحكومـة نفسها ، ولكن هذه المحاولة فشلت ايضا لان الموغي تعهد لناخبيه في حيفا بعدم ترك رئاسة البلدية قبل انتهاء الفترة القانونية ، وبحسب الفتوى القانونية التي أصدرها وزير العدل لا يجـوز للموغي شغـل المنصبين معا (معاريف ، ٦/٢/٧٥) .

وقد اتهم البعض رابين بانه سعى الى ضم الموغي الى الحكومة لتقويتهـا ، وليس لتقوية الحزب ، خوفا من « دايان المتربص » وفي الوقت نفسه انتقدوا رابين لانه لم يقترح ضم ابا ايبن الى الحكومة ، بدلا من ياريف ، الامر الذي من شأنه تقوية الحكومة والحزب ، وعزوا سبب ذلك الى الخلافات الشخصية بين الاثنين منذ كان رابين سفيرا في واشنطن وايبن وزيرا للخارجية (دانيئيل بلوخ — دافار ، ٧/٢/٧٥) .

ومن ناحية ثانية تحدث بعض المعلقين عن توتر متزايد بين كتلتي مبام واحدوت هعفوداه . فبعد نشر الاخبار القائلة ان السكرتير السياسي لحزب مبام ، نفتالي فيدر ، اجتمع بممثل م.ت.ف. في براغ ، اشتركت أحدوت هعفوداه في الحملة الصاخبة التي ثارت ضد مبام بسبب ذلك . وفي المقابل هاجم مبام أحدوت هعفوداه لان احد زعمائها ، يسرائيل غليلي ، هو الذي وضع خطة استيطان الخان الاحمر ، على طريق القدس — اريحا ، «الامر الذي اعتبره مبام معرقلا للتسوية السلمية» (يديعوت أحرونوت ، ٢٠/١/٧٥) . وفي اجتماع مركز مبام في تشرين الاول الماضي أعلن ان الحزب سيعقد مؤتمره خلال سنة لكي يقرر فيما اذا كان سيستمر في التحالف مع حزب العمل ، وقد انتقد بعض الخطباء عمل مؤسسات المعراخ المركزيـة واتهموها بتقييد نشاطات حزبهم . كذلك انتقـد سكرتير مبام ، مئير تلمي ، الوزير شمعون بيريس (رافي) لانه اقترح الابقاء على الجنسية الاردنية لسـكان الضفة الغربية تحت الحكم الاسرائيلي (يديعوت أحرونوت ، ١/١١/٧٤) .

تكتلات جديدة : « حمائم » و « صقور »

بالاضافة الى الكتل التقليدية في حزب العمل ،

بدأت تظهر تكتلات جديدة تعبر عن الخلافات السياسية داخل الحزب . فبعد ان ارسل تسعة أعضاء من الحزب رسالة الى يتسحاق رابين طالبوه فيها بالعمل على اقامة حكومة تكتل وطني باشتراك ليكود (ومنهم أهرون ياريف ، يوسف الوفي ، موشي شاحل وعوزي فاينرمان من مباي ، وموشي كرمل ، جاك امير ، وشوشانه اربيلي — الموزولينو من أحدوت هعفوداه) ، كان ذلك دافعا لمجموعة من المعتدلين في الحزب لعقد اجتماعات اسبوعية في الكنيست ، وكان هدف الاجتماع الاول معارضة اقامة حكومة تكتل وطني . ونوقشت في الاجتماعات التالية شؤون السياسة الخارجية والامن ، وظهر ان هؤلاء النواب يجمعهم الطابع الحمائمي ، وبلغ عددهم ٢٢ نائبا (ومنهم يوسي سريد ، دوف زاخين ، ابراهام زلبربرغ ، اوري انكوريون ، اوره نمير ، نزهة قصاب ، تسفي غرشوني ، ايلي مويال ، يهودا يودين وغيرهم). وقد اطلق هؤلاء على مجموعتهم اسم « المنصة الحرة » و« أصبحوا يشكلون فرقة ضغط حمائمية » (عوزي بنجيمان — هآرتس ، ٧٥/١/١٢) .

ويشترك في هذه المجموعة اعضاء من الكتل المختلفة وهي تمثل جيل الشباب المعتدلين ، خاصة من مباي ومبام ، وأبرز قادتها يوسي سريد (مباي) ودوف زاخين (مبام) . وقد تعرضت هذه الجماعة للنقد من قبل بعض المعلقين والحزبيين في حين نالت تأييد معلقين آخرين . وذكر ان بنحاس سابير ويتسحاق بن أهرون يؤيدانها (يديعوت أحرونوت ، ٧٥/١/٢٤) .

وأحدث ظهور هذه الجماعة رد فعل مضاد عند صقور حزب العمل ، مما دفع النائب مردخاي بن بورات للمبادرة الى تنظيم فرقة ضغط صقرية من نواب رافي وأحدوت هعفوداه وقد أطلقت هذه الجماعة على نفسها اسم يتسحاق طابنكن الذي كان قبل وفاته من زعماء أحدوت هعفوداه واتصف بتطرفه . وبالاضافة الى هذين التكتلين الجديدين هناك تكتلات كانت موجودة سابقا . ويقال ان هذه التكتلات تقلق رئيس الحكومة رابين الذي يسعى لتقوية مكانته الحزبية ويخشى من تفكك الحزب (معاريف ، ٧٥/١/١٦) .

الخوف من دايان

منذ تشكيل حكومة رابين في حزيران الماضي ودايان يعيش في عزلة سياسية ، بعيدا عن مركز الاحداث . ولكن على الرغم من ذلك لا يزال زعماء حزب العمل وغيرهم ، من مؤيديه ومعارضيه ، مهتمين بتحركاته السياسية وامكانية عودته مرة ثانية الى الحياة السياسية . وقد وصف اريه الياف موقف دايان ومؤيديه على انه يشبه تصرفات رعاة البقر الشريرين الذين يتجولون على خيولهم في البلدة « وبين فترة واخرى يضعون أيديهم على مسدساتهم . انهم لا يطلقون النار على أحد ، ولكنهم يخيفون الجميع ويسيطرون على البلدة والشريف والقاضي والمواطنين ... » (هآرتس ٧٥/١/٢٤) . ويعني الياف ان دايان ، وان لم يدخل في معركة مواجهة مع حكومة رابين حتى الان، لا يزال يؤثر عليها وعلى الوضع الداخلي في الحزب الحاكم .

وبينما اتهم مؤيدو دايان زعماء مباي بأنهم يثيرون الاشاعات حول « خطر دايان » لانهم يريدون « بعبعا » يبررون به احياء كتلتهم (يديعوت أحرونوت ، ٧٥/١/٢٤) أخذ بعض المعلقين يرسمون الخطط التي قد يحاول دايان اتباعها للاطاحة بحكومة رابين ، واجمعوا على انه فيما اذا اراد ذلك ، فسوف يتحرك على اساس التطورات السياسية المنتظرة . وذكر البعض ان دايان نفسه طلب من ليكود تأجيل طرح « عريضة ليكود » للنقاش في الكنيست الى ما بعد نشر تقرير اغرانات وعندها قد يسبب ازمة حكومية فيما اذا تعاون مع ليكود والمفدال وكتلة رافي .

ومن ناحية ثانية ، يتوقع أكثر من معلق ان يقود موشي دايان ، مع مؤيديه ، حملة « لتطهير » الحزب ، اذ قد يفقد مستقبله السياسي اذا سكت طويلا . وربما يستغل قضايا سياسية مهمة لاستعمالها في معركته ، بدلا من المواجهة الشخصية المباشرة ، مثل مسألة الانسحاب او الاستيطان (شلومو نكديمون — يديعوت أحرونوت ، ٧٥/١/٢٠) . ويتوقع آخرون ان يحاول دايان اسقاط الحكومة بالتعاون مع ليكود ورافي او جزء منها وان « المناسبة التي ينتظرها هي المفاوضات حول الضفة الغربية ... وقد يعمل دايان على احداث

انفصال في حزب العمل حتى اذا لم يرجعه ذلك الى الحكم مباشرة ، لانه اذا بقي هكذا في الصحراء السياسية لحزب العمل فسيخسر حياته السياسية » (ران كسليف — هآرتس ، ٧٤/١٠/١٨) .

المعراخ لا زال مسيطرا

على الرغم مما اشرنا له من الصعب الاعتقاد ، من ناحية ثانية ، ان حزب العمل قد يصل الى حد الانفصال ورغم هذه التناقضات الحادة فيه ، فاذا كانت السلطة هي الهدف بالنسبة لكل أجنحة المعراخ ، فانها تعلم ، في الوقت نفسه ، انها بانفصالها قد تخسر تلك السلطة . ولذلك تسعى كل الكتل الى ايجاد نوع من التوازن الداخلي ، رغم انعدام الوحدة الداخلية . وكانت مؤسسات حزب العمل قد قامت قبل مدة باغلاق مجلة الحزب الاسبوعية « أوت » ، وعلق بعضهم على هذا الاجراء بقوله ان تلك المجلة « ما أغلقت الا لان الحزب يخشى ان ينظر فيها الى بنيته المهلهلة والتي لا يشدها الى بعضها الا الترقيع المصطنع » (داني شفيط — دافار ، ٧٤/١١/١٧) .

ويعتقد البروفيسور بنيامين اكتسين ان وجود الخلافات داخل حزب العمل بدون حدوث انشقاق « ليس دليلا على الليبرالية ، بل دليل ضعف » ويحذر من ان تفكك الاحزاب قد يؤدي الى وصول ائتلاف من « الشراذم » الحزبية الكثيرة والمزقة الى الحكم ، « وبعد ذلك قد يجيء رد فعل متطرف ، أي حكم دكتاتوري صارم » (يديعوت أحرونوت ، ٧٤/٨/٧) .

ان هذا الوضع المعقد داخل حزب العمل وداخل المعراخ الحاكم قد يفسر الشلل الذي يصيب حكومة رابين ويجعل الكثيرين يوجهون اليها الاتهام بأنها غير قادرة على اتخاذ القرارات . ويعتقد البعض ان دخول المفدال الى الائتلاف الحكومي بالشكل الذي تم فيه ذلك ، لم يزد من قوة هذه الحكومة . ويرى الكثيرون ان مستقبل حزب العمل والحكومة الحالية سيتقرر « عندما يحين الامتحان الصعب ، وهو اتخاذ القرارات العملية وخاصة بالنسبة للضفة الغربية » (ران كسليف — هآرتس ، ٧٥/١٠/١٥) .

وعلى أية حال ، يبدو ان ازمة حزب العمل « ستستمر طالما ان سياسة الحزب الحاكم لا تتغير ، على الرغم من استحالة تحقيق هذه السياسة ، لانها تتجاهل مصالح كل شعوب المنطقة » (زو هاديريخ ، ٧٥/١/١) .

يوسف حمدان

[٧]

الاحزاب الاسرائيلية الكبيرة
تسعى لتسديد ديونها من خزينة الدولة

كشفت بعض التطورات الاخيرة ، على الصعيد الحزبي في اسرائيل ، جانبا اخر من النظام الاسرائيلي ، لم ينشر عنه الكثير حتى الان ، يتعلق بطبيعة هذا النظام وتركيبه وطرق عمله . وبدأ ذلك منذ عدة أشهر ، عندما أعلن ان الاحزاب الاسرائيلية الكبيرة تسعى الى تسديد ديونها المتزايدة على نفقة الدولة ، عندما بادرت الاحزاب الكبيرة ، وهي حزب العمل الحاكم بالاتفاق مع كتلة حيروت في ليكود المعارض ومع الحزب الديني القومي (المفدال) المشترك في الائتلاف الحكومي، الى طلب قرض من خزينة الدولة ، يكاد يكون هبة بسبب شروطه السهلة ، لتسديد ديونها وبما أن هذه الاحزاب الثلاثة هي اكبر الكتل البرلمانية في اسرائيل ، ولها اكبر تمثيل في لجنة المالية في

الكنيست ، فقد بات الاحتمال كبيرا بأن تنجح في الحصول على مرادها ، رغم رد الفعل الغاضب على الصعيد الشعبي والصحفي ، ورغم معارضة الاحزاب الصغيرة .

ومن بين الاسباب التي جعلت رد الفعل على محاولة الاحزاب الكبيرة هذه قويا ما يلي : (١) ان هذه المحاولة تجري في ظروف أزمة اقتصادية متفاقمة تمر بها اسرائيل ، وتتوالى فيها نداءات المسؤولين الاسرائيليين الى الجمهور « بشد الاحزمة » ، وترتفع الاسعار والضرائب بشكل مستمر ، في حين تقلص ميزانية الخدمات العامة . (٢) انه بموجب « قانون الانتخابات للكنيست وللسلطات المحلية (التمويل وتقييد النفقات وتدقيقها) لسنة ٥٧٢٩ — ١٩٦٩ » (الوقائع الاسرائيلية — كتاب القوانين رقم ٥٥٠ ، ٢٨/٢/١٩٦٩ ، ص ٨٦ — ٩٢ بالعربية) تدفع الدولة اليوم للاحزاب « ٢٥ مليون ليرة اسرائيلية سنويا لتغطية المصروفات الجارية . بالاضافة الى ٣٥ مليون ليرة لتغطية نفقات الانتخابات العامة » (معاريف ، ١١/٢/١٩٧٥) . وهذا بالاضافة الى مصادر اخرى ، كالهستدروت والوكالة اليهودية والمؤسسات الاقتصادية المختلفة ، تساهم في تمويل تلك الاحزاب ايضا . (٣) ان خيوط بعض الفضائح الاقتصادية ، التي انكشفت مؤخرا ، مثل فضيحة بنك « اسرائيل — بريطانيا » و« الشركة لاسرائيل » وغيرها امتدت الى بعض الاحزاب الكبيرة . (٤) ان بعض الاحزاب الكبيرة، وخاصة كتلة مباي في حزب العمل ، لديها أملاك خاصة كثيرة .

من هنا فأن محاولة الاحزاب الكبيرة « لمحو ديونها » وردود الفعل على هذه المحاولة والضجة الناجمة عن ذلك ، سلطت الاضواء على كيفية تمويل الاحزاب الصهيونية وعلى كيفية تراكم ديونها وعلاقاتها الاقتصادية ، وكذلك على الطرق التي تتبعها هذه الاحزاب للتخلص من ديونها ، وبالتالي مدى الضغوط التي توجه اليها من قبل الفئات التي تساهم في تمويلها ، وتأثير ذلك على مواقف تلك الاحزاب وتصرفاتها .

قانون تمويل الانتخابات

في ٢٨ شباط ١٩٦٩ أقر الكنيست قانون تمويل الانتخابات للكنيست والسلطات المحلية لعام ١٩٦٩ ، على أن يكون القانون تجريبيا لتلك السنة فقط . ولكن ، منذ عام ١٩٧١ ، علم ان هذا القانون « سيطبق في الانتخابات القادمة أيضا » (هاعولام هازيه ، ٢٠/٧/١٩٧١) ، اي في عام ١٩٧٣ . وبموجب هذا القانون منح كل حزب مبلغا من خزينة الدولة تبعا لعدد المقاعد التي شغلها في الكنيست نتيجة للانتخابات السابقة . ولم يقبل اقتراح بعض الكتل بأن يدفع المبلغ بموجب نتائج الانتخابات الجديدة (اقتراح تعديل النائب اوري افنيري — محاضر الكنيست ، ١٩/٢/١٩٦٩ ، ص ١٦٦٧) . وقد نص القانون على اعطاء مبلغ ١٢٠ الف ليرة اسرائيلية لكل نائب ، بحيث حصل، مثلا، التجمع العمالي في تلك السنة ، بحسب عدد أعضائه في الكنيست ، على مبلغ ٧٫٤٤٠٫٠٠٠ ليرة ، وحصلت كتلة غاحال (حيروت — الاحرار) على مبلغ ٣٫١٢٠٫٠٠٠ ليرة والحزب الديني القومي على مبلغ ١٫١٢٠٫٠٠٠ ليرة . ولوحظ ان الكتل التي عارضت مشروع القانون او تحفظت عليه لم ترفض استلام حصتها من الخزينة ، ولوحظ ايضا، من مناقشات الكتل في الكنيست ، ان مقدمي مشروع القانون اعتمدوا في اقتراحهم على امثلة من برلمانات اخرى في العالم كالبرلمان السويدي والالماني ، مثلا ، وعلى ضرورة عدم خضوع الاحزاب لمصادر تمويل اخرى حفاظا على « استقلالها ودعما للديمقراطية في الدولة » (المصدر نفسه) .

ومع ان القانون نص على «تمويل الانتخابات» وليس على « تمويل الاحزاب » ، الا انه يراعي مصاريف الاحزاب الجارية طوال السنة ... وقد عمل كل من المعراخ وليكود على زيادة هذا المبلغ بنسبة ٥٠ ٪ » (هآرتس ، ١٧/٢/١٩٧٥) . وهذا يعني ان القانون أتاح زيادة المبلغ لكل نائب، وفقا لغلاء المعيشة ، بحيث أصبح هذا المبلغ ، حتى آب ١٩٧٣ ، « ١٩٥ الف ليرة ، وارتفع بعد ذلك التاريخ الى ٢٩٣ الف ليرة لكل نائب » (يسرائيل تومر — يديعوت احرونوت ، ١٦/٢/١٩٧٥) . ولوحظ أيضا ان القانون المذكور أتاح لمراقب الدولة مراقبة الحسابات المتعلقة «بالنفقات الانتخابية» ، رغم انه « حتى مراقب الدولة لا يستطيع الاطلاع على كل حسابات ومصروفات وديون الاحزاب ... » (المصدر نفسه) . ومع

انه يمكن معرفة كل ما يجري داخل جلسات اجهزة ومؤسسات الاحزاب « فلا يمكن معرفة أي شيء مما يجري داخل المؤسسات المالية لهذه الاحزاب » (دانيئيل داغان — معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٩) . وقد دفعت هذه الظاهرة البعض الى اتهام الاحزاب الكبيرة بأنها « تبذر بدون حساب وتصرف على أجهزتها الحزبية الضخمة بلا رقيب » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٠) وان لها في الوقت ذاته « مصادر تمويل سرية وغير سرية » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٢) ، وعلاقات مشبوهة مع شركات ومؤسسات اقتصادية . ودفع هذا الوضع بعضهم الى المطالبة ، من ناحية اخرى ، بسن « قانون احزاب ، ينظم نشاطات الاحزاب في كل الميادين ويفتح دفاتر حساباتها امام الجمهور » (مئير برالي — دافار ، ١٩٧٥/١/٢٨) .

الهستدروت تمول الاحزاب

بعد اقرار قانون تمويل الانتخابات من خزينة الدولة ، تم الاتفاق بين الاحزاب ونقابة العمال العامة (الهستدروت) بأن تدفع ما سمي « ضريبة سياسية » للاحزاب . وبينما تدفع الدولة لكل حزب مبلغا حسب عدد نوابه في البرلمان ، فان الهستدروت تدفع للاحزاب بموجب نسبة تمثيلها فيها . ففي سنة ١٩٧٤ ، مثلا ، « بلغ ما دفعته الهستدروت للاحزاب ٠٠٠ر١٨٤ر١٧ ليرة اسرائيلية . وحصل حزب العمل على حوالي نصف هذا المبلغ ، حيث ان نسبة تمثيله في الهستدروت هي ٤٧ ٪ » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٩) . (بينما يشير مصدر اخر الى ان الاحزاب استلمت منخزينة الهستدروت في سنة ١٩٧٣ مبلغ ٨٣٣ر٦٥٢ر٩ ليرة وفي سنة ١٩٧٤ مبلغ ٣٥٦ر٢٢٩ر١٠ ليرة فقط . اي ان الهستدروت دفعت للاحزاب خلال العامين ١٩٧٣ و١٩٧٤ حوالي ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٣) . ويشمل هذا المبلغ كتلا اخرى ، ممثلة في الهستدروت وغير ممثلة في الكنيست ، مثل الفهود السود وجبهة اليسار الاشتراكي وغيرها . وتبين ان الاحزاب العمالية تحصل على مبالغ من الهستدروت اكبر مما تحصل عليه الاحزاب اليمينية ، وان المبالغ التي تحصل عليها هذه الاحزاب لا تقتصر على « الضريبة السياسية » المخصصة لنشاطات الكتل وفروعها في الهستدروت في المجالات التنظيمية والاعلامية ، بل انها تحصل على اموال من جباية الهستدروت التي تجمع تبرعات اليهود في الخارج (دانيئيل بلوخ — دافار ، ١٩٧٥/٢/١٩) . وقد حذرت بعض الاوساط المعارضة لفكرة منح قرض من خزينة الدولة للاحزاب الكبيرة انه في حال المصادقة على مثل هذا القرض « سيجر ذلك الى اتباع نفس السياسة بالنسبة للهستدروت أيضا » (عوزي بنجيمان — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/١١) .

الوكالة اليهودية تمول الاحزاب

لم يكن الرأي العام في اسرائيل يعلم أن الوكالة اليهودية أيضا تمول الاحزاب الصهيونية ، ولكن الضجة الجديدة حول تمويل الاحزاب كشفت بعض جوانب هذا الموضوع . فقد أعلنت مصادر ادارة الوكالة اليهودية ، ان الوكالة تدفع نحو ١٥ مليون ليرة في السنة للاحزاب الصهيونية (دافار ، ١٩ /١٩٧٥/٢) . ومما يلفت النظر ان رئيس الحكومة ، يتسحاق رابين ، أعرب في تصريح له عن « دهشته » في تمويل الاحزاب بواسطة الوكالة اليهودية ، ولكن ادارة الوكالة اعلنت بدورها عن « دهشتها » من تصريح رابين هذا (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/١٩) .

وعلم ان الجباية اليهودية الموحدة تقوم أيضا بتمويل الاحزاب الاسرائيلية ، وانها والوكالة اليهودية تقومان بذلك حسب اتفاق مع الاحزاب ، تمتنع الاخيرة بموجبه عن القيام بجباية خاصة بها في الخارج ، كما كان الوضع في السابق ، « لكي لا تضر بعمل الجباية ، والوكالة اليهوديتين » (معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٢) .

ومع ان هذه المعلومات حول تمويل الاحزاب الصهيونية في اسرائيل بواسطة مختلف الجبايات الصهيونية في العالم تأكدت مؤخرا فقط ، فقد كان النائب السابق اوري افنيري قد فضحها في الماضي بقوله : « ان المنظمة الصهيونية العالمية ضرورية فقط للاحزاب الصهيونية . انها بحيرة اصطناعية تتجمع فيها الاموال اليهودية قبل وصولها الى اسرائيل . وعندما تكون مجمعة هناك تمتص الاحزاب الاسرائيلية وفروعها في الخارج جزءا كبيرا منها بدون عائق . وفي المنظمة الصهيونية العالمية لا يوجد اي ذكر للديمقراطية . كل شيء يتم حسب مبدأ : احرس لي احرس لك .

يد واحدة تغسل اليد الاخرى ، بينما اليـــدان متسختان ... » . وتابع افنيري قائلا : « ان ملايين الدولارات تنقل مباشرة الــى احــــزاب اسرائيلية بشكل سري ، ولكن رسمي ، بحجـة « تنازل » هذه الاحزاب عن جمع الاموال بنفسها بواسطة جباية خاصة بها . والعشرات من الملايين الاخرى توزع من تحت المائدة ، بواسطة دعـم منظمات الشباب الحزبية و« مؤسسات ثقافية » حزبية و« مشاريع بناءة » حزبية واجور نشيطين حزبيين ورحلات حزبية ... » (هاعولام هازيـه ، ١٩٧٥/١/٢٦) . وبهذا يفضح افنيري ، وربما من حيث لا يدري او لا يقصد ، جانبا اخرا للقضية وهو خداع نظام الضرائب الاميركي ، الذي يعفي التبرعات اليهودية مــــن الضرائب بشرط ان لا تستخدم للاغراض السياسية او العسكرية .

ويظهر من جدول نشر مؤخرا عن المبالغ التي دفعتهـا الوكالة اليهوديـــة للاحزاب الاسرائيلية ومؤسساتها ، ان الاحزاب اليمينية تنال ــ بحسب الارقام المنشورة ــ حصة الاسد ، فمقابل مبلغ ١٫٤٩٠٫٧٦٨ ليرة استلمته الهستدروت وحزبــــا العمل ومبام ، استلمت احزاب اليمين والوسط مبلغ ٦٫٨٤٢٫٠٠٩ ليرات اسرائيليــة (معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٨) . وقد فسرت ادارة الوكـــــالة اليهودية ذلك بأن « الاحزاب العمالية تأخذ مـــن الهستدروت اكثر مما تأخذه الاحزاب اليمينيـــة » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/١٩) . ويبدو ان الاحزاب الصهيونية في السلطة والمعارضة متفقة علــــى « صفقة » معينة بهذا الخصوص ، « ... فمبــدا التقسيم يسود بين الاحزاب وحتى تلك التي في المعارضة ، ومن هنا عدم كشف الفساد ... » (هاعولام هازيه ، ١٩٧١/١٢/٢٢) .

مصادر تمويل مشبوهة

« اتهم النائب بوعز موآف (من حركة حقـــوق المواطن) الاحزاب الكبيرة بأنها تمتلك ، بالاضافة الى مصادر التمويل المذكورة ، « مصادر تمويل مشبوهة كشفت عنهــــا قضية تسفي روزنباوم وغيره ... » (معـــاريف ، ١٩٧٥/٢/١٢) . واتهم حزب العمل الاسرائيلي ، مثلا ، بأنه تحايل على القانون للحصول على تبرع من شركة «سوليل بونيـــــه » . فالقـــانون الاســـرائيلي يمنـــــع الشركات الاسرائيلية من التبرع للاحزاب ولكنه لا ينص على الحظر نفسه بالنسبة للشركات الاجنبية، ولهذا « دفعت شركة سوليل بونيه [الهستدروتية] مبلغا من المال الى شركة تابعة لها في الولايات المتحدة ، وهذه الشركة حولت المبلغ الى حزب العمل لاستعماله في تمويل انتخابات عام ١٩٧٣ » (معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٢) . كذلك ارتبط اسم حزب العمل بفضائح اقتصادية اخرى « وكان عضو لجنة المالية في الكنيست من كتلة حيروت ، حاييم كوربو ، يلمح الى ذلك عندما قال : اريد الافتراض ان دين حزب العمل تابع مـــن النشاط السياسي ايضا ... » (يديعوت احرونـــوت ، ١٦/٢/ ١٩٧٥) .

كذلك وجهت الاتهامات الى الحزب الدينـــي القومي أيضا بأن له علاقات اقتصادية مشبوهة ، اذ انه « يواصل العمل مع شركات السكان وخدمات وغير ذلك ، وله علاقات مع مؤسسات اقتصادية. وعندما تلاقي هذه المؤسسات المصاعب ، كما حدث لبنك اسرائيل ــ بريطانيا ، يضطر الحزب الــى تقديم المساعدة . وعلى الرغم من ذلك أفلس البنك المذكور مما يدل على الوضع المالي المتـــــردي للمفدال ... » (موشي مايزلس ــ معاريـــف ، ١٩٧٥/٢/٢١) .

وكان البعض قد اتهم الاحزاب الصهيونية بأنها أيضا « أقامت مشـاريع ليس لهدف ، الا لتمكين أموال الجمهور من التدفق الى جيوب الاحـــزاب التي تربح من وجود الفساد » (هاعولام هازيه، ١٩٧١/١٢/١٥) .

تمويل خصب ... وافلاس

رغم مصادر التمويل العلنية والسرية هــــذه تشكو الاحزاب الصهيونية ، وخاصة المعـــــل وحيروت ، من تراكم ديونها وتسعى ، في الـــوقت نفسه ، لتحسين اوضاعها المالية على حســـاب دافع الضرائب الاسرائيلي . وقد وصل مجمـــوع ديون الاحزاب الثلاثة الكبيرة نحو ٧٠ مليون ليرة: « دين العمل ٣٠ مليون ليرة ، ودين حيروت ٣٠ مليون ليرة ودين المفدال ١٠ ملايين ليرة » (يديعوت احرونت ، ١٩٧٥/٢/١٦) .

والاسباب الظاهرة لافلاس حزب العمل هي ان

هذا الحزب يحصل على دخل شهري — علني — من خزينة الدولة ومـــن الهستدروت قـــدره ٠٠٠ر٠٥٠ر١ ليرة اسرائيلية (٦٥٠ الف ليرة عن التمثيل في الكنيست و ٤٠٠ الف ليرة عن التمثيل في الهستدروت — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٠) ، بينما تصل نفقاته الشهرية المعلنة الى٠٠٠ر٦٠٠ر١ ليرة . وهذه النفقات مقسمة على الشكل التالي: ٧٥٠ الف ليرة رواتب شهرية ومصاريف العاملين في الجهاز الحزبي ، ٣٠٠ الف ليرة نفقات نشاطات فروع الحزب ، ١٥٠ الف ليرة نفقات الاعـــلام ، وهذا بالاضافة الى مبلغ ٤٠٠ الف ليرة يدفع قسطا شهريا لبنك العمال تسديدا لدين سابق (معاريف، ١٩٧٥/٢/٢١) . وبحسب هذه الارقام يبقى الحزب في حاجة الى ٥٥٠ الف ليرة شهريا .

وقد ذكر ان حزب العمل لم يسدد حتـــى الان ديونا لشركات عملت لحسابه في معركة الانتخابات الماضية وانه عاجز عن تسديد رواتب موظفـــي جهازه ، البالغ عددهم ٣٢٠ موظفا ، منهم ١٢٠ موظفا في مركز الحزب و٢٠٠ موظف فـــي فروعه الثمانين المنتشرة في كافة انحاء اسرائيل (معاريف، ١٩٧٥/١/٢٢) . وذكر ايضا ان سكرتير عـــام الحزب ، مئير زرمي ، وافق على تولي مهـام منصبه قبل نحو ٧ اشهر ، بشرط ايجاد حل عاجل لمسألة ديون الحزب ، وانه يهدد بالاستقالة فيمـا اذا لم يتم التوصل الى حل (دافار ، ١٩/٢/ ١٩٧٥) . والواضح ان هذه الارقام لا تعبر الا بشكل جزئي عن المشكلة المالية لحزب العمل ، بينما اتهمه البعض بأنه يعمل على تمويل نفسه من الحكومة « لانه بات يخاف من الاستمرار في التمول من المصادر المشبوهة بعد انكشاف الفضـــــائح الاقتصادية الاخيرة ... » (دانييل داغـــان — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٢) . ويدعي اخرون ان تراكم ديون حزب العمل بدأ منذ عام ١٩٦٩ ، اذ « حتى ذلك الوقت شغل منصب سكرتير الحزب بنحاس سابير وقبله غولدة مئير . والاثنان عمـــلا على ايجاد مصادر لتمويل الحـــزب » (موشي مايزلس — معاريف ، ١٩٧٤/١٢/٢٧) . ويعتقد ايضا أن انشاء حزب العمل ، عام ١٩٦٨ ، زاد من ديونه لان الكتل الثلاث ، التي شكلته ، كـانت مدينة فتجمعت ديونها معا . وقد نجم جزء كبير من هذا الدين عن التنافس الشديد بين رافي ومباي في انتخابات عام ١٩٦٥ (المصدر نفسه) .

ويدعي ممثلو حزب حيروت أن مصدر جزء من ديونه يعود الى ما قبل قيام الدولة ، اي النفقات التي تطلبتها نشاطات المنظمة الارهابية ارغـــون تسفائي ليئومي — اتسل (المعروفة ايضا بأسم الارغون ، وهي المنظمة التي انبثق منها حـــزب حيروت) وصيانة معسكراتها ودفـــع نفقاتهـــــا العسكرية . واما الجزء الاخر من الديون فيعود الى اقامة « بيت جابوتينسكي » ، وهـــو مقـــر الحزب السياسي والتنظيمي والثقافي ، وفروعه الكثيرة (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١) . ويعتقد ان ديون حيروت هذه هي التي لا تمكنه من اصدار جريدة يومية خاصة به ، مثل باقي الاحزاب .

واما ديون الحزب الديني القومي فيعتقد انها نابعة من ارتباطاته مع مؤسسات اقتصادية كانت قد واجهت مصاعب مالية خلال السنوات العشر الماضية ، وربما ايضا لانه بقي خـــارج الائتلاف الحكومي لعدة أشهر . واعلن ، من ناحية ثانية، ان المفدال « حصل عند دخوله الحكومة [فـــي ١٩٧٤/١٠/٣٠] على قرض من الوكالة اليهودية بمبلغ ٦٠٠ الف دولار (معاريف ، ١٩٧٥/١/٢٢). ويبدو ،بشكل عام ، ان للوضـــــع الاقتصادي المتدهور في اسرائيل بعد حرب تشرين ولانخفاض أموال الجباية اليهودية بنسبة ٥٠٪ في السنـــة الماضية (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/١٠) علاقة مباشرة بمشاكل الاحزاب المالية .

معارضة برلمانية وشعبية .

اتهمت الصحف الاسرائيلية الاحزاب الكبيرة ، وخاصة حزبي العمل وحيروت ، بأنها اقـــامت « تحالفا مقدسا » بهدف التغلب على مشاكلهـــا المالية على حساب المواطن الاسرائيلي : « يقال انوزير المالية يتدرب لان يصبح مضيفا جويـــا ، فهو يقول ويكرر كل يوم : شدوا الاحزمة ... » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٢) . ولكن ، في المقابل لا تقوم الاحزاب الكبيرة ، ومن بينها حزب العمل، بشد الاحزمة ، ولا تبيع من أملاكها الكثيرة لسد ديونها ، بل تتوجه الى خزينة الدولة وتفعل ذلك في الوقت الذي « خفضت فيـــه ميزانية التغذيـــة في مدارس الاولاد وغيرها ... » (معاريف ،

١٩٧٥/٢/٩) . وعلم أن المجالس البلدية ايضا عارضت فكرة منح قرض للاحزاب الكبيرة ، « لان هذه الخطوة تعني تفضيل ديون اجهزة الاحزاب على ديون الخدمات العامة » (هآرتس ، ١٧ /١٩٧٥/٢) .

وكان الاتفاق قد تم بين ممثلي حزب العمل وحزب حيروت ، بتأييد المفدال ، ان تحصل كل الاحزاب الاسرائيلية على قرض يزيد على ٦٠ مليون ليرة ، لتسديد ديونها ، من خزينة الدولة وكفالتها، باعتبار الاحزاب « مشاريع مصادق عليها من قبل الحكومة » ، على أن تكون مدة القرض ٢٠ سنة ، وبفائدة ثابتة لا تتأثر بغلاء المعيشة ، مما دفع البعض الى اعتبار القرض وكأنه « هبة وليس قرضا » (يديعوت احرونوت ، ٢/١٦/ ١٩٧٥) .

وفي ١٩٧٥/٢/١٠ ناقش الكنيست موضوع تخويل لجنة المالية صلاحية البت في اعطاء الاحزاب قروضا من الدولة وقبل الاقتراح . ولكن ظهر من النقاش أن كل الكتل الصغيرة عارضت فكرة القرض من خزينة الدولة ، ومن بينها ايضا أحزاب متحالفة مع حزب العمل او حيروت . فقد اتخذ حزب مبام ، وهو جزء من المعراخ (التجمع العمالي) موقف المعارضة ، وأيده في موقفه هذا حزب الاحرار ، المتحد مع حيروت في اطار غاحال وليكود ، « مما اثار توترا داخل ليكود » (دانيئيل داغان — معاريف ، ١٩٧٥/٢/١٢) . وقد فسر البعض دوافع الاحزاب المعارضة على أنها تريد كسب الرأي العام ، نظرا للوضع الاقتصادي الراهن ، من جهة وانها لا تعاني من الديون الثقيلة نظرا لصغر اجهزتها الحزبية ، من جهة اخرى .

ونتيجة للمعارضة البرلمانية والشعبية ولهجوم الصحف الشديد على محاولة الاحزاب الحصول على القروض « ظهرت معارضة لفكرة القرض في حزب العمل نفسه » (ران كسليف — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٠) ، وأعرب ٤ أعضاء من ممثلي الحزب العشرة في لجنة المالية عن معارضتهم لذلك (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/٢٠) . وقد أدى هذا الى عقد اجتماع لمكتب حزب العمل السياسي، في ٧٥/٢/٢٠ ، لبحث فكرة القرض ، فتمت مصادقة الحزب على ذلك بأكثرية ٩ أصوات ضد صوتين : يتسحاق بن — اهرون ومردخاي بن — بورات (معاريف ، ٧٥/٢/٢١) .

وفي ٧٥/٢/٢٧ قرر الكنيست اجراء نقاش حول موضوع تقديم القرض لسد ديون الاحزاب ، في اعقاب اقتراحين مستعجلين ، قدمتهما كتلتا موكيد وحركة حقوق المواطن . ورغم انه كان من المتوقع ان يحال الموضوع الى لجنة المالية ، تقرر ان يبحث في الكنيست اولا ، وبذلك تم ارجاء حسم الموضوع ، نظرا لما قد يثيره من توتر داخل التجمع وتكتل ليكود بسبب المعارضة الداخلية فيهما . وكانت النائبة شولاميت الوني قد أعلنت اثناء النقاش في الكنيست « ان الاموال لم تخصص لدعم الديمقراطية بل لدعم مكانة الاحزاب الكبيرة على حساب الاحزاب الجديدة » (ر ا ا ، ٢/٢٨/ ٧٥) ، وذلك في معرض ردها على ادعاءات ممثلي الاحزاب الكبيرة من انها تريد دعم خزينة الدولة المالي لها « لاسباب ايديولوجية » (هآرتس ، ٧٥/٢/١٩) .

ولكن على الرغم من ارجاء حسم الموضوع يميل البعض الى الاعتقاد بأن الاحزاب الكبيرة ، بقوتها البرلمانية وبتمثيلها القوي في لجنة المالية ، « ستتغلب على معارضة الرأي العام ... » ، رغم ان مثل هذا العمل قد يعتبر فسادا « ولا مثيل له في انظمة الحكم البرلمانية الاخرى » (افتتاحية هآرتس ، ٧٥/٢/١٧) .

ي. ح.

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

١ ـ عملية تل ابيب « فندق سافوى » :

مثلما كانت معركة « الكرامة » ، التي جرت في ٢١ آذار (مارس) ١٩٦٨ ، تمثل تطبيقا خلاقا في توظيف العمل العسكري الثوري في خدمة الهدف السياسي المرحلي للنضال الفلسطيني (نظرا لانها قدمت نموذجا من المواجهة المباشرة لا يتفق واساليب حرب العصابات من أجل تثبيت أقدام الثورة في الاردن ورفع معنويات الجماهير بعد هزيمة ١٩٦٧)، كذلك جاءت عملية « الشهيد ابو يوسف » التي جرت يوم ٧٥/٣/٥ في تل ابيب ، بفندق سافوى ، نموذجا جديدا في توظيف العمل العسكري الثوري في خدمة الهدف السياسي الحالي لنضال الثورة الفلسطينية ، الا وهو اثبات ان الحرب والسلام في الشرق الاوسط قضية لا يمكن لاي جهة ان تبت فيها بعيدا عن ارادة الشعب الفلسطيني الموجود في بؤرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

وقد قامت بالعملية قوة من مقاتلي « حركة فتح » ضمت ٨ مقاتلين نقلتهم على ما يبدو سفينة (كما يفهم من الخريطة التي وزعتها « وفا » عن العملية ونشرتها النهار في ٧٥/٣/٨) الى نقطة تبعد نحو ٨٠ ميلا من شاطىء تل ابيب ، ثم استقلوا زورقين صغيرين (من طراز زودياك مجهزين بمحركات ووقود يكفل لها السير مسافة ١٠٠ كلم[١]) حتى وصلوا الى مسافة ٦٠ ميلا من الشاطىء ، وهناك انقسمت القوة الى مجموعتين احداهما بأسم الشهيد « سامر عيونو » والاخرى باسم الشهيد « جاد الله » واتجهتا نحو الشاطىء بحيث يتم وصولهما شمال وجنوب فندق سافوى بمسافة قصيرة . وفي حوالى الساعة ١١،١٥ مساء ٧٥/٣/٥ نزل رجال المجموعتين على الشاطىء واقتحموا فندق سافوى وهم يطلقون نيران أسلحتهم وسيطروا على الفندق محتجزين عددا من الرهائن داخله ، وبعد فترة من تبادل اطلاق النار مع قوات الامن الاسرائيلية بدأت في الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريبا مرحلة مفاوضات بين الفدائيين الفلسطينيين والسلطات الاسرائيلية بواسطة فتاة من الرهائن حول الافراج عن ١٠ من المعتقلين في سجون اسرائيل (ومن بينهم المطران كبوجي وزكية شموط والسماح لهم بمغادرة الارض المحتلة بطائرة الى سوريا ومعهم الرهائن والسفير الفرنسي ، وبطبيعة الحال استغلت السلطات الاسرائيلية فترة التفاوض والساعات التي أعقبتها حتى تعد اجراءاتها المعتادة في هذه الحالات لاقتحام الفندق، وتم ذلك الاقتحام بواسطة طائرات الهليكوبتر التي أنزلت جنودا فوق الفندق في الساعة الخامسة والربع من صباح ٧٥/٣/٦ قامت به وحدة خاصة مدربة على هذا النوع من العمليات وتعد من أفضل وحدات الجيش الاسرائيلي كما قال « شلوموهيلل » ودارت اثر ذلك معركة عنيفة استمرت نحو ربع ساعة انتهت بنسف الفدائيين للطابق الثالث من الفندق واستشهاد سبعة منهم تحت الانقاض ، فضلا عن قتل ١٢ من الرهائن والجنود الاسرائيليين الذين كان منهم ضابط برتبة عقيد يدعى « عوزي يائيري » قيل انه من كبار ضباط الاستخبارات الاسرائيلية [٢]. كما ذكرت صحيفة « جيروزاليم بوست » انه اشترك في غالبية العمليات المضادة للثورة الفلسطينية خارج الحدود منذ عام ١٩٦٧ ، وذكرت صحيفة « الفجر » في القدس انه قاد عملية « الفردان » في ٧٣/٤/١٠[٣]. (ذكرت اذاعة اسرائيل ان ٣ جنود و٤ مدنيين اسرائيليين قتلوا في العملية بالاضافة لخمسة من السياح الاجانب الذين كانوا ضمن الرهائن[٤]) ، واثناء رفع انقاض الفندق اطلق الفدائي الثامن ، الذي كان لا يزال حيا تحت الانقاض ، « موسى أحمد جمعة » النار على الاسرائيليين القريبين منه فأصاب اثنين من الجنود واثنين من المدنيين القائمين برفع الانقاض (وفقا للرواية الاسرائيلية [٥]) .

وقد طارد زورق صواريخ اسرائيلي مساء يوم ٧٥/٥/٦ سفينة شراعية صغيرة على بعد ١٣٠ كلم من الشاطىء الفلسطيني وأسر بحارتها الستة زاعما ان هذه السفينة هي التي أقلت الفدائيين الى نقطة انطلاقهم نحو شاطىء تل ابيب . ولا شك ان « عملية الشهيد ابو يوسف » تعكس درجة عالية من كفاءة التدريب والتخطيط والتنفيذ من جانب الثورة الفلسطينية ، فضلا عما تحمله من تأكيد لروح الفداء والتضحية الى أقصى حد التي يتمتع

بها المناضلون الثوريون الفلسطينيون في تحديهم المباشر للقوة العسكرية الاسرائيلية الذي جسدته من قبل معركة « الكرامة » وعديد من العمليات الفدائية مثل « معلوت » و « كريات شمونة » الخ . ذلك لان مثل هذه الاغارات الفدائية البرمائية تتطلب من الجيوش النظامية تدريب وحدات خاصة وتوفير امكانات نقل بحري واساليب تضليل لاجهزة الرادار ودوريات الحراسة الساحلية ، الامر الذي لا يتوفر بالدرجة المطلوبة لقوات الثورة الفلسطينية ذات الامكانات المحدودة للغاية في هذا المجال او النوع من العمليات . الا ان الحافز المعنوي الضخم والاستعداد الكامل للتضحية لدى قيادة وافراد المقاومة أديا الى تعويض ذلك النقص المادي في الامكانات المفترضة لهذه العمليات ، وادى ذلك الى تحقق عنصر المفاجأة اللازم لنجاح العملية ، واصبح واضحا للعدو الاسرائيلي ان أسوار الاسلاك الشائكة المكهربة وترتيبات الامن المعقدة الاخرى المعدة على الحدود الشمالية لا تشكل عائقا امام ارادة الثورة الفلسطينية المسلحة ، الامر الذي اضطر معه وزير الشرطة الاسرائيلي « شلوموهيلل » الى ان يعلق على العملية بقوله « واذا كان كل قصدهم قتل عدد من اليهود ، فما كان الامر يتطلب هذه العملية ، التي كانت حقا متطورة من ناحيتهم ، بل يمكن القول انها كانت محكمة »(٦).

لقد اضطرت اسرائيل مثلا الى اعداد مخطط دقيق لعملية « الفردان » التي جرت في ٧٣/٤/١٠ ضد قادة ومكاتب الثورة الفلسطينية في بيروت ، واستفادت الى أقصى حد من ظروف الامن والسياحة الخاصة في لبنان ، وحشدت للعملية مجموعة كبيرة من القوات الخاصة ورجال الاستخبارات أعدت لهم سيارات عدة لنقلهم الى أماكن عملياتهم وارسلت زوارق صواريخ وطائرات هليكوبتر لتأمين انسحابهم . ورغم ذلك كله ومع عدم وجود وسائل فعالة لدى الثورة الفلسطينية لتأمين رد مناسب سريع ومطاردة المهاجمين والحيلولة دون انسحابهم فقد اوقعت فيهم خسائر ملموسة في الافراد .

على حين ان الثورة الفلسطينية لم يكن لديها في عملية « سافوى » سوى وسائل بسيطة للغاية ادت كفاءة استخدامها الى نجاح العملية بالصورة التي تمت بها ، ولكن دون ان يتوفر لها بطبيعة الحال أية امكانات لتأمين سحب المقاتلين القائمين بها كما استطاع الجيش الاسرائيلي ان يفعل في « الفردان » ، وهنا يكمن عنصر التفوق المعنوي الفلسطيني ، لان المقاتل الاسرائيلي الذاهب لتنفيذ عملية مثل « عملية الفردان » كان يدرك مسبقا ان هناك احتمالا كبيرا للغاية في عودته سالما أو شبه سالم من العملية ، على حين ان الفدائي الذاهب الى تل ابيب في عملية «الشهيد ابو يوسف» كان يعرف مسبقا بوضوح أن نسبة الامل في عودته او بقاءه حيا بعدها تكاد تكون معدومة تماما .

لقد اثبتت هذه العملية انه لا توجد في اسرائيل خطوط دفاع امينة ايا كانت قادرة على منع المقاومة الفلسطينية من الوصول الى أي مكان في عمق الارض المحتلة ، وان هناك قدرة عسكرية فلسطينية ذات فاعلية لا يستهان بها على الاطلاق ، وانها اذا كانت قد اختارت في هذه المرحلة من النضال أهدافا مثل مدرسة « معلوت » وفندق « سافوى » الخ. لاسباب سياسية واعلامية معينة تخدم الخط السياسي المرحلي ، فانها قادرة ايضا من الناحية الموضوعية على مهاجمة اهداف عسكرية حيوية من النوع الملائم لمثل هذا الطراز من العمليات الثورية الخاصة في المستقبل .

٢ — مصر والاسلحة السوفييتية :

أصبح من الواضح ان الاتحاد السوفييتي بدأ يزود مصر من جديد بكميات من الاسلحة المتطورة عقب زيارة غروميكو الاخيرة للقاهرة في٧٥/٢/٣،ففي نبأ لوكالة يونايتد برس من لندن يوم ٧٥/٢/١٦ قيل ان الاتحاد السوفييتي وافق على تزويد مصر بـ ٣٦ طائرة من طراز « ميغ ٢٣ » وكمية معينة من الدبابات(٧). وفي ٧٥/٢/١٩ أعلن مسؤولون في وزارة الخارجية الامريكية ان مصر تسلمت من الاتحاد السوفييتي ٦ طائرات مقاتلة من طراز ميغ ٢٣ خلال الاسابيع الاخيرة مع بعض الذخيرة وعدد قليل من الاسلحة الاخرى(٨). وفي ٧٥/٢/٢٦ قالت مجلة « الصياد » اللبنانية ان مصر تلقت من الاتحاد السوفييتي ١٨ طائرة من طراز « ميغ ٢٣ » وان هناك أربعة أسراب اخرى من طراز متطور من طائرات « ميغ ٢١ » ستصل قريبا الى مصر .

واذا ما صحت هذه الارقام المختلفة التي

اوردتها أنباء لندن ومجلة الصياد لكميات الطائرات السوفييتية من طرازي « ميغ ٢٣ » و « ميغ ٢١ » (أي حوالى ٣٦ ميغ ٢٣ و٧٢ ميغ ٢١) فان الاتحاد السوفييتي يكون في طريقه الى تعويض مصر عن خسائرها في الطائرات خلال حرب ١٩٧٣ ، والتي قال الرئيس السادات انها بلغت ١٢٠ طائرة لم يتم تعويضها .

وهذا وتعتقد مصادر الاستخبارات الامريكية ان مصر ستتلقى ما مجموعه ٤٨ طائرة « ميغ ٢٣ »، وان هذه الطائرات اذا ما أضيفت اليها الـ ٤٥ طائرة ميغ ٢٣ الموجودة لدى سوريا والـ ٤٠ طائرة الاخرى من الطراز نفسه الموجودة لدى العراق تهدد ميزان القوى في المنطقة لانها « ستصبح عقبة كأداء لسلاح الجو الاسرائيلي في حالة نشوب حرب اخرى »(٩). وكانت الاستخبارات الامريكية قد ذكرت من قبل في ١٩٧٤/١٠/٢٢ ان ليبيا ستحصل من الاتحاد السوفييتي على نحو ٥٠ طائرة « ميغ ٢٣ » ايضا ، وهذا يعني ان الدول العربية الاربع المذكورة سيكون لديها معا نحو ١٨٠ طائرة « ميغ ٢٣ » ، وهي قوة جوية قادرة على مواجهة التفوق الجوي الاسرائيلي المستند حاليا على نحو ١٥٠ طائرة « فانتوم » (سوف تصل في نهاية العام الحالي تقريبا الى نحو ٢١٠ طائرة عند استكمال تنفيذ صفقات الاسلحة الامريكية لاسرائيل) ، وذلك متى تم استيعاب هذه الطائرات على النحو المطلوب في الاسلحة الجوية العربية ، ومتى توفر تنسيق فعال بين هذه الاسلحة الجوية في حالة تجدد القتال على نطاق واسع مرة اخرى مع اسرائيل . ذلك لان « الميغ ٢٣ » تتمتع بقدرات تقنية وقتالية أفضل من « الفانتوم » ، اذ تبلغ سرعتها في الارتفاعات العالية ٢٠٣ ماك مقابل ٢٠٢ ماك للفانتوم ، ويصل مداها القتالي الى ١١٢٦ كلم مقابل ١٠٥٦ كلم للفانتوم في الحالة نفسها ، كما ان اجنحتها المتحركة تتيح لها قدرات تسارع ومناورة أفضل من الفانتوم ، خاصة وان نسبة قوة الدفع الى الوزن لديها تصل الى ٩٧٪ تقريبا على حين ان النسبة المذكورة تصل الى ٧٥٪ فقط في الفانتوم .

ولما كان التفوق العسكري الاسرائيلي يعتمد أساسا على التفوق الجوي الذي يوفر الحماية اللازمة للعمق الاسرائيلي ولطرق امدادات الجيش وتعبئة الاحتياط ، ويهدد العمق العربي ويحد من حرية مناورة المدرعات العربية ، فان في اسرائيل اليوم شعور بالقلق المتزايد من حصول الدول العربية المذكورة على طائرات الميغ ٢٣ وتسعى للحصول بسرعة على نحو ٥٠ طائرة امريكية حديثة للغاية من طراز « ف ــ ١٥ » « ايغل » التي يقال انها تفوق « الميغ ٢٣ » ومعدة أصلا لمواجهة « الميغ ٢٥ » .

٣ ــ الاسلحة الغربية للدول العربية :

منذ ان انتهت حرب تشرين الاول (اكتوبر) وارتفاع سعر النفط العربي ، ومن ثم ارتفاع عائدات النفط المالية للدول المنتجة له ، والمنطقة العربية تشهد اندفاعا من الدول الغربية والولايات المتحدة نحو تصدير الاسلحة بكميات كبيرة الى عدد من الدول العربية لامتصاص جانب كبير من عائدات هذه الدول ، وتدعيم النفوذ السياسي الغربي في المنطقة والحد من اعتمادها على الاسلحة السوفييتية (بالنسبة للدول العربية التي تتزود أصلا بالاسلحة من الاتحاد السوفييتي) . فقد عقدت الولايات المتحدة صفقة أسلحة مؤخرا مع السعودية بلغت قيمتها نحو ٧٥٦ مليون دولار ضمت ٦٠ طائرة مقاتلة من طراز « ف ــ ٥ اي » من نوع « تايجر ٢ » وأجهزة رادار ومنشآت ارضية للتوجيه، وهي من طائرات الصف الثاني الامريكية (الصف الاول « ف ١٤ » و« ف ١٥ » و« ف ١٦ » و« ف ١٧ » ، والصف الثاني «ف ٤» أي الفانتوم و«ف ٥» الخ) وتبلغ سرعتها ١،٦ ماك على ارتفاع ١١ الف متر، ومدى الطائرة القتالي بدون خزانات وقود اضافي ٢٧٨ كلم (على حين ان مدى « الميغ ٢١ م ف » في هذه الحالة يبلغ ١١٠٠ كلم) ومداها مع خزانات اضافية يبلغ ٨٨٦ كلم ، اما حمولتها من القنابل فتصل الى ٣١٧٥ كلغ . كما ستزود الولايات المتحدة الاردن بنحو ٢٤ طائرة من هذا الطراز ضمن برنامج المساعدات العسكرية الامريكية البالغ قيمتها ١٢٠ مليون دولار الذي وعدت به الاردن .

وعقدت الولايات المتحدة ايضا صفقة أسلحة مع الكويت ضمت ٣٦ طائرة قاذفة ــ مقاتلة من طراز « أ ــ ٤ » « سكاي هوك » قيمتها نحو ٢٥٠ مليون دولار ، وكتيبة صواريخ أرض ــ جو من نوع « هوك » تبلغ قيمتها نحو ٢٠٠ مليون دولار ،

هذا بالاضافة الى نفقات نحو ٢٠٠ مدرب امريكي سيدربون القوات الكويتية على استخدام هذه الاسلحة والطائرات . ولن تتسلم الكويت هذه الطائرات والصواريخ قبل بداية العام ١٩٧٦ ، وسوف تستغرق عملية التسليم نحو سنتين(١٠) . وطائرات « سكاي هوك » مخصصة أصلا للدعم الارضي المباشر ولا تستطيع ان تعمل في حالة وجود مقاتلات متطورة معادية في سماء المعركة ، وقد سقطت منها أعداد كبيرة خلال حرب ١٩٧٣ على جبهتي القناة والجولان . وهي طائرة بطيئة لا تزيد سرعتها من ٠,٩ ماك ، ومداها القتالي بدون خزانات وقود اضافي يبلغ ٥٤٧ كلم (في حالة حمل ١٨١٤ كلغ من القنابل) ، وتتميز اساسا بقدرتها على حمل كمية من القنابل تصل الى ٤١٧٠ كلغ كحد أقصى .

وقد ابدت اسرائيل بعض القلق لهذه الصفقات من الاسلحة الامريكية للدول العربية ، خصاصة بالنسبة لصفقة السعودية التي اعتبرت ان حجمها يزيد عما تحتاجه للدفاع عن نفسها(١١) .

ولكن احتمال تأثير هذه الاسلحة الامريكية على ميزان القوى العربي ــ الاسرائيلي يتوقف على تحقق عدة امور ، منها السماح باستخدام هذه الاسلحة (خاصة الطائرات) ضد اسرائيل ضمن اطار تعاون عسكري عربي فعال من جانب ، وتوفر قطع الغيار والذخيرة اللازمة لاستخدامها بصورة مجدية ، وتحقق قدر كاف من السيطرة الجوية العربية على ساحات القتال ، نظرا لان « السكاي هـوك » أو « ف ــ ٥ » لا تستطيع مجابهة « الفانتوم » او « ف ــ ١٥ » . وقد دخلت فرنسا هي الاخرى سباق صفقات السلاح مع الدول العربية ، اذ بعد ان باعت ليبيا من قبل ١١٠ طائرة ميراج ٣ و ٥ ، اتفقت مجددا مع ليبيا على صفقة تضم ٣٨ طائرة « ميراج ف ــ ١ » ، وبذلك سيصبح لدى ليبيا نحو ١٤٨ طائرة ميراج ، وهي اكبر نسبة من طائرات الميراج تملكها دولة عربية . هذا بالاضافة لصفقة اخرى تضم ٣٨ طائرة ميراج « ٣ اى » و « ميراج ٥ » عقدتها مع السعودية لصالح مصر ، وصفقة مع الكويت تضم ٢٠ طائرة ، وصفقة مع ابو ظبي تضم بين ٨ و ١٢ طائرة(١٢) . والصفقة التي اتفقت عليها مصر مباشرة مع فرنسا خلال زيارة الرئيس السادات الاخيرة لها والتي ضمت ٤٤ طائرة « ف ــ ١ » (سيجري تسليمها ابتداء من عام ١٩٧٦ وحتى ١٩٧٩) ولم يتم التوقيع عليها بعد . وقد ذكرت « لو بوان » الفرنسية في ١٩٧٥/٢/٢٣ ان هناك مفاوضات تجري بين فرنسا والسعودية لعقد صفقة اسلحة ضخمة بمبلغ ٤٧ مليار فرنك ، اي ٢٧٠٠ مليون جنيه استرليني ، وأن هذه الاسلحة التي تضم طائرات ومعدات رادار قد تنقل الى دول عربية اخرى . ولكن لم يتأكد من مصدر اخر حتى الان صحة هذا النبأ ، خاصة من حيث ضخامة المبلغ الذي ستعقد به الصفقة ، كما لم تنشر اي ارقام عن الاسلحة الجاري التفاوض عليها(١٣) . ولكن الثابت حتى الان ان قيمة طلبيات السعودية من السلاح الفرنسي بلغت خلال عام ١٩٧٤ نحو ٤ مليارات فرنك ، وان صفقات السلاح هذه تضمنت عددا من الدبابات (يقدر بنحو ٢٠٠ دبابة ام اكس ٣٠ وام اكس ١٣) ومعدات برمائية ورشاشات وافتتاح مدرسة لتعليم الطيران في السعودية يتولى التدريس فيها ضباط فرنسيون . وسوف تتضمن صفقات السلاح الفرنسي الى مصر ، كما هو متوقع ، صواريخ « كروتال » أرض ــ جو ، وصواريخ بحر ــ بحر من طراز « اكسوست » ، واجهزة رادار(١٤) ، وصواريخ مضادة للدبابات من طراز « ميلان » ، وطائرات تدريب من طراز « الفا ــ جت » . وقد اثارت هذه الصفقات قلق المانيا الغربية بالنسبة لانواع الاسلحة التي يجري انتاجها بصورة مشتركة بينها وبين فرنسا مثل طائرات التدريب « الفا ــ جت » ، والصاروخ المضاد للدبابات « ميلان » ، والصاروخ المضاد للطائرات « رولان »(١٥) ، نظرا لان وصول هذه الاسلحة الى الدول العربية سيضع المانيا الغربية في موقف حرج مع اسرائيل التي اضطرت المانيا الى وقف تصدير الاسلحة اليها من اجل تحسين علاقاتها السياسية مع الدول العربية . كما دخلت بريطانيا هي الاخرى في عمليات تزويد الدول العربية ببعض الاسلحة والمعدات ، ولكن على مستوى ونوعية مختلفة بالقياس لفرنسا ، وتركزت اتفاقاتها اساسا مع مصر اذ وافقت على بناء مصنع لطائرات هليكوبتر من طراز « لينكس » في مصر من المفروض ان ينتج ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ طائرة من الطائرات المذكورة التي تستخدم بصفة رئيسية في القتال ضد الدبابات ، وكذلك بناء مصنع اخر لطائرات

التدريب المتقدم « هوكر سيدلي » الجديدة المعروفة باسم « هوك »(١٦).

ولكن الشيء الرئيسي في صفقات الاسلحة الغربية للدول العربية الذي قد يحمل بعض التأثير الفعال على ميزان القوى الجوي بين العرب واسرائيل هو طائرات « الميراج » بانواعها الثلاثة « ٣ اي » و « ٥ » و « ف — ١ » ، اذ ان جملة هذه الطائرات المتعاقد عليها مع فرنسا بواسطة ليبيا ومصر والسعودية والكويت وابو ظبي تزيد عن ٢٥٠ طائرة ، وهي توفر للاسلحة الجوية العربية قدرات جيدة في القصف الارضي الميداني وفي عمق اسرائيل ، كما انها تحقق درجة جيدة من التوازن في قدرات القتال الجوي ضد « الفانتوم » و« الميراج » الاسرائيلية و « ف — ١٥ » المتوقع حصول اسرائيل على كميات منها في المستقبل من الولايات المتحدة (والمقصود هنا طائرات الميراج ف — ١ التي ستحصل عليها مصر وليبيا اساسا)، ولكن تحقيق الفائدة المطلوبة من هذه الطائرات تفترض سرعة توريدها للدول العربية من جهة فرنسا وعدم عرقلة وصول قطع غيارها وذخيرتها خلال الاوقات الحاسمة التي يحتدم فيها القتال مع اسرائيل ، كما يفترض تنسيق استخدامها من قبل قيادة عسكرية عربية مشتركة في الوقت المناسب .

٤ — الاسلحة الامريكية الجديدة لاسرائيل :

في الوقت الذي تمارس فيه الولايات المتحدة سياستها المزعومة نحو تحقيق السلام في الشرق الاوسط وفقا لاسلوب « الخطوة — خطوة » الذي يطبقه « كيسنجر » ، تستمر جهودها بنشاط في اعادة تسليح اسرائيل بكميات كبيرة من الدبابات ستصل في جملتها (منذ حرب ١٩٧٣ وحتى نهاية عام ١٩٧٥ تقريبا) الى نحو ١٠٠٠ دبابة « باتون م — ٤٨ » و « م — ٦٠ » ، ولذلك قامت شركة « كريزلر » التي تصنع هذه الدبابات بالتوسع في انتاج هذا النوع من الدبابات بحيث يصل عدد الدبابات المنتجة من هذا النوع خلال العام ١٩٧٥ الى ٥١٠ دبابة بدلا من ٣٦٠ دبابة كانت تنتج سنويا حتى عام ١٩٧٤ ، وذلك لتعويض النقص الذي وجد في احتياطي الجيش الامريكي من هذه الدبابات نتيجة لتزويد اسرائيل بمئات الدبابات منذ نشوب حرب ١٩٧٣ وبدء الجسر الجوي الامريكي(١٧). وفي الوقت نفسه ستبدأ الولايات المتحدة في تزويد اسرائيل قريبا بالدفعات الاولى من نحو ١١٠ صاروخ ارض — ارض من طراز « لانس » من مخازن الجيش الامريكي في المانيا الغربية(١٨). وهو صاروخ تكتيكي يبلغ طوله نحو ٦ امتار وقطره ٥٥ سم ووزنه عند الانطلاق حوالي ١٥٢٠ كلغ ويصل مداها عند تسليحه برأس متفجر عادي يضم ٩–١٥ رأسا صغيرا ، غير مزودة بمحرك دافع خاص ، تتجه من الصاروخ الام فوق منطقة الهدف نحو العربات المدرعة (دبابات او ما يماثلها) بفضل اجهزة توجيه ذاتية حرارية ، الامر الذي يجعل الصاروخ فعالا في مساندة القوات البرية لانه يوجد منطقة قتل واسعة ضد الدبابات في عمق كبير نسبيا ، كما انه يمكن تزويده برأس متفجر شديد ضد الاهداف المبنية الكبيرة في المدن او المصانع او المطارات او الموانىء الخ . وهو يسير بسرعة تفوق سرعة الصوت ويرتفع الى مسافة ٤٥ كلم اثناء اتجاهه الى منطقة الهدف ، ويصل مداه (في حالة الرأس المتفجر التقليدي بنوعيه) الى نحو ٧٥ كلم ، نظرا لان وزن الرأس المتفجر التقليدي يبلغ ٤٥٣ كلغ ، اما في حالة تسليحه برأس نووي وزنه ٢١١ كلغ (وهذا هو تسليحه الرئيسي في الجيش الامريكي) فيصل مداه الى نحو ١١٠ كلم . ويمكن اطلاقه من فوق مجنزرة من طراز « م — ١١٢ » كما يمكن اطلاقه من فوق منصة صغيرة نسبيا يمكن نقلها مع الصاروخ بواسطة طائرة هليكوبتر ثقيلة من طراز «شينوك»، الامر الذي يزد من قدرة المناورة بالصاروخ وزيادة مداه في حالة تسلل الهليكوبتر الى عمق الخصم .

ويعتبر صاروخ لانس هو الرد الامريكي على تزويد الاتحاد السوفيتي لسوريا ومصر بكميات كبيرة نسبيا من صواريخ ارض — ارض طراز « فروغ ٧ » التكتيكية (التي يبلغ مداها ٧٠ كلم تقريبا) وصواريخ ارض — ارض طراز « سكود » العملياتية (التي يبلغ مداها نحو ٣٠٠ كلم) ، وذلك بهدف زيادة قدرة اسرائيل على ضرب بطاريات الصواريخ العربية بمختلف انواعها دون الاضطرار لاستخدام الطيران في جميع الحالات ، فضلا عن زيادة قدرتها في ضرب المدن والتجمعات العسكرية القريبة نسبيا من الجبهة ، مثل « دمشق » ومدن منطقة القناة ، وسيؤدي وجود هذا الصاروخ لدى اسرائيل الى زيادة قدرتها على

الرمي المعاكس لبطاريات الصواريخ ارض ـ ارض طراز « فروغ » ، خاصة وان مدى الاخيرة يقل بعض الشيء عن مدى صواريخ « لانس » ولكنه لن يكون فعالا ضد بطاريات صواريخ «سكود» في حالة وجودها خارج مداه (وهو الغرض المتوقع بطبيعة الحال من الجانب العربي) .

ويشكل تزويد الولايات المتحدة لاسرائيل بهذه الصواريخ الجديدة نوعا من الضغط الامريكي غير المباشر على الارادة السياسية العربية خلال مرحلة المفاوضات من اجل التوصل الى تسوية سلمية على النمط « الكيسنجري » ، وتستطيع اسرائيل ان تستخدمه حاليا كأحد اسلحة الحرب النفسية، أو كأحد الاسلحة الحربية الفعالة نسبيا عند نشوب حرب جديدة في المنطقة .

محمود عزمي

---

١ ـ نشرة « رأ » ـ مركز الابحاث الفلسطيني ـ عدد ٣٧١ ـ صفحة ١٥٥ .
٢ ـ النهار ـ عدد ٧٥/٣/٨ ـ صفحة ١٣ .
٣ ـ نشرة « رأ » ، المرجع السابق ، صفحة ١٥٥ .
٤ ـ النهار في ٧٥/١٢/١٤ ،صفحة ١٤ .
٥ ـ المرجع السابق ، صفحة ١٥٢ .
٦ ـ نشرة « رأ » ـ مركز الابحاث الفلسطيني ـ العدد ٧٧٢ ـ صفحة ١٩٢ .
٧ ـ نشرة « رأ » ـ مركز الابحاث الفلسطيني ـ العدد ٧٥٥ ـ صفحة ٤١٦ .
٨ ـ النهار ـ عدد ١٩٧٥/٢/٢٠ .
٩ ـ نشرة « رأ » ـ مركز الابحاث الفلسطيني ـ العدد ٧٥٧ ـ صفحة ٤٧٣ .
١٠ ـ النهار ـ عدد ٧٥/٢/٢١ .
١١ ـ نشرة « رأ » ـ العدد ٧٦٦ ـ صفحة ٩.
١٢ ـ النهار ـ عدد ١٩٧٥/٣/٥ .
١٣ ـ النهار ـ العدد ١٩٧٥/٢/٢٤ .
١٤ ـ النهار ـ عدد ١٩٧٥/٣/١٥ .
١٥ ـ النهار ـ عدد ١٩٧٥/٢/١٩ .
١٦ ـ Interconair Aviation and Marine No. 9, 1974, p. 35.
١٧ ـ Interconair Armies and Weapons, 15 January - 15 March 1975, p. 16.
١٨ ـ Aviation Week, February 17, 1975, p. 46.

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٢/١١ — ١٩٧٥/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
١	— ٢/١١	—	كريات شمونة(١)	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير واشعال النيران في قسم ماكينات ومستودعات المواد الخام في مصنـع تكسيل كورداني لنسيج الكتان وقدرت الخسائر بمليون ليرة اسرائيلية	—	—	—	رقم ٧٥/٥١	٢/١٢
٢	— ٢/١١	٢٣٠٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير جزء من مطعم في شارع يافيت يرتاده ضبـاط مخابرات العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٥٢	٢/١٢
٣	— ٢/١١	١٦٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوة في أحد مساكن ضباط العدو في شارع ازوربحي وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٥٣	٢/١٢
٤	— ٢/١١	—	ناثانيا(٢)	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	اشعال النيران في فندق « الاربع عونرت » والذي يسكنه المهاجرون الصهاينة	—	—	—	رقم ٧٥/٥٤	٢/١٢
٥	— ٢/١٢	٩٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير عدد من السيارات قرب حديقة ماميلا في القدس المحتلة	—	—	—	رقم ٧٥/٥٥	٢/١٢

٦	٢/١٢	—	القدس(٣)	—	—	١	—	تمكن احد الثوار من قتل جندي في محطة الباصات المركزية لشركة ايجد اثناء قيامه بمهمة	—	—	—	رقم ٧٥/٥٦	٢/١٢
٧	٢/١٢	—	ناثانيا(٤)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير واشعال النيران في منزل وكراج رئيس بلدية ناثانيا	—	—	—	رقم ٧٥/٥٧	٢/١٣
٨	٢/١٣	٥٠٠	كريات جان(٥)	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في المركز التجاري في كريات جان حيث أتت على معظـــم محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٥٨	٢/١٣
٩	٢/١٤	٧٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد		اشعال النيران في محطة الوقود في شارع شموئيل هانبي في منطقة مندلبوم وامتدادها الى المناطق المجاورة	—	—	—	رقم ٧٥/٥٩	٢/١٤
١٠	٢/١٧	—	الرملة	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		تدمير سيارة عســـــكرية محملة بالذخائر	—	—	—	رقم ٧٥/٦٠	٢/١٧
١١	٢/١٥	—	حولوف	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		اشعال النيران في داخل أحد الورش العسكرية	—	—	—	رقم ٧٥/٦١	٢/١٩
١٢	٢/١٨	—	دير البلح/غزة	هجوم	قنابل يدوية	غيرمحدد		تدمير سيارة عســـــكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٦٢	٢/١٩
١٣	٢/٢٠	—	رمات جان(٦)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اشعال النيران في مطعم مجاور لسينما « كيسم » وامتدادها لمحلات مجاورة	—	—	—	رقم ٧٥/٦٣	٢/٢٠
١٤	٢/٢٠	—	ناثانيا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في منزل رجل مخابرات في ميدان الاستقلال وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٦٤	٢/٢١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١٥	٢/٢٣	—	خان يونس/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير وحرق عدد من الورش العسكرية داخل المنطقة الصناعية	—	—	—	رقم ٧٥/٦٥	٢/٢٤
١٦	٢/٢٣	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوات داخل سوق« محنى يهودا » في شارع يافا وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٦٥	٢/٢٤
١٧	٢/١٦	—	كالية/ساحل البحر الميت الغربي	تفجير	ألغام	غيرمحدد		تدمير عربة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٦٦	٢/٢٤
١٨	٢/٢٥	٧٠٠	بيت لحم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير جزء كبير من منزل أحد ضباط مخابرات العدو واصابة مبان اخرى بأضرار وانفجار عبوة اخرى بأحد خبراء المتفجرات اثناء محاولة تفكيكها	—	—	—	رقم ٧٥/٦٧	٢/٢٥
١٩	٢/٢٤	—	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في مبنى بنك الهستدروت وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٦٨	٢/٢٥
٢٠	٢/٢٤	—	سفي ريمون/جنوب النقب	تفجير	الغام	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٦٩	٢/٢٥
٢١	٢/٢٢	—	رفح/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير موتور المياه الخاص بأحد عملاء العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٧٠	٢/٢٥

٢٢ — ٢/٢٥	—	دورا/الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مكتب العمل الصهيوني واتلاف جميع محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٧١	٢/٢٦
٢٣ — ٢/٢٥	١٨٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير اجزاء كبيرة من منزل أحد ضباط الجيش في تلبيوت	—	—	—	رقم ٧٥/٧١	٢/٢٦
٢٤ — ٢/٢٦	٧٠٠	القدس	—	—	١ —	مقتل احد خبراء متفجرات العدو اثناء تفكيكه عبوة داخل نادي هوكسوت للمنتجين الصناعيين	—	—	—	رقم ٧٥/٧١	٢/٢٦
٢٥ — ٢/٢٦	٧٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوات في موقف أحد الباصات بالقرب من باب الخليل وابطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٧١	٢/٢٦
٢٦ — ٢٥—٢/٢٦	—	ناثانيا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	تدمير واتلاف محتويات مصنع البراكيات في حي سلع	—	—	—	رقم ٧٥/٧١	٢/٢٦
٢٧ — ٢/٢٦	٩٠٠	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من المحلات التجارية داخل السوق المركزي	—	—	—	رقم ٧٥/٧١	٢/٢٦
٢٨ — ٢/٢٦	١٥٠٠	حولون	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة ايجد	—	—	—	رقم ٧٥/٧٢	٢/٢٧
٢٩ — ٢/٢٧	٨٠٠	تل ابيب(٧)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير واشعال النيران في مصنعين لتزويد قطع غيار الاسلحة	—	—	—	رقم ٧٥/٧٣	٢/٢٨
٣٠ — ٢/٢٧	١٥٠٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء كبير من مباني ملعب كرة القدم	—	—	—	رقم ٧٥/٧٣	٢/٢٨
٣١ — ٢/٢٧	—	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوات في أحد النوادي العسكرية وابطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٧٣	٢/٢٨
٣٢ — ٢/٢٥	—	رام الله	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير سيارة عيسى سليم مصلح أحد عملاء العدو بالمدينة	—	—	—	رقم ٧٥/٧٤	٢/٢٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٣٣	٢/٢٨	١٦٠٠	هرتسليا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اشعال النيران داخل مصانع الصباغة وخزانات الوقود التي انفجرت فيما بعد حيث امتدت النيران الى المناطق المجاورة	—	—	—	رقم ٧٥/٧٥	٢/٢٨
٣٤	٣/ ٤	—	كريات جان(٨)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير خط سكة الحديد بين بئر السبع وتل ابيب وتدمير عدة عربات وخروجها عن الخط	—	—	—	رقم ٧٥/٧٦	٣/ ٤
٣٥	٣/ ٥	٢٢٣٠	تل ابيب(٩)	اشتباك	أسلحة مختلفة	١٠٠اصابة		احتلال فندق سافوي وتدمير أجزاء كبيرة منه	٧	—	١	رقم ٧٥/٧٧	٣/ ٦
٣٦	٣/ ٦	—	رحفوت/جنوب شرق تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد		تدمير جزء كبير من أحد المباني التي يسكنها أحد ضباط العدو واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٧٨	٣/ ٧
٣٧	٣/ ٩	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير عدد من سيارات مخابرات العدو اثناء وجودها في الكراج	—	—	—	رقم ٧٥/٧٩	٣/١٠
٣٨	٣/ ٨	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبسوة في الحديقة بشارع هرتسل وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٧٩	٣/١٠
٣٩	٣/ ٩	—	الظاهرية/الخليل	تفجير	عبوات حارقة	—	—	احراق محتويات مكتب العمل في القرية واتلاف محتوياته	—	—	—	رقم ٧٥/٧٩	٣/١٠

٤٠ — ٣/١٠	—	نابلس	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في احدى سيارات النقل العسكرية واصابة سيارات اخرى بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٨٠	٣/١١
٤١ — ٣/١٠	٢٢٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوة في احد المباني وابطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٨٠	٣/١١

---

١ — ادعى العدو بأن الشرطة اعتقلت أحد عمال المصنع بتهمة اشـــعال النيران فيه وذلك انتقاما من صاحبه لانه مظلوم . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٥١ ، صفحة ٢٨٥ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/١٢) .

٢ — ادعى العدو بأن الانفجار كان بسبب تماس كهربائي (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٥١ ، صفحة ٢٩٥ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/١٢) .

٣ — ادعى العدو بأن جريحا فارا من الجيش معروف لدى الشرطة قد أصيب اثر حادث اشتباك بين حراس وبعض المشاغبين (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٥١ ، صفحة ٢٩٥ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/١٢) .

٤ — ادعى العدو بأن الحريق في منزل رئيس بلدية ناتانيا كان بسبب تماس كهربائي (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٥٢ ، صفحة ٣٣٢ ، بتاريخ ١٩٧٥/١٢/١٣) .

٥ — اعترف العدو بالحادث وانما ادعى بأنه لا يستطيع ان يشتبه بأن الحريق كان متعمدا (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٥٢ ، صفحة ٣٣٣ بتاريخ ١٩٧٥/٢/١٣) .

٦ — ادعى العدو بأن القنبلة التي ألقيت كانت لتصفية حسابات شخصية مع صاحب المطعم (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٥٨ ، صفحة ٥٠٠ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢٠) .

٧ — ادعى العدو بأن الحريق في المصنعين كان بسبب الاهمال (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٦٥ ، صفحة ٦٨٢ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢٨).

٨ — ادعى العدو بأن خط سكة الحديد قد تعطل لخروج عربة عن خط السكة ؛ راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٦٨ ، صفحة ٨٠ ، بتـاريخ ١٩٧٥/٣/٤) .

٩ — راجع نشرة « وفا » التي تصدر عن الاعلام الموحد في منظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦ حول تفاصيل العملية .

ملاحظة : تصدر التصريحات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترفبها العدو الصهيوني من ٢/١١ — ١٩٧٥/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	خسائر العدو البشرية جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	٢/١٢	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم تفجير عبوة في حديقة الاستقلال	—	—	—	ن.عدد٧٥١،ص٢٩٨	٢/١٢
٢	٢/١٤	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	انفجرت العبوات في بوابة مندلباوم في شـارع النبي صموئيل	٢	—	—	ن.عدد٧٥٣،ص٣٦٩	٢/١٤
٣	٢/٢٠	—	ناثانيا	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في ميدان الاستقلال وابطل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٧٥٩،ص٥١٦	٢/٢١
٤	٢/٢١	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة على مدخل المحطة المركزية وابطل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٧٦٠،ص٥٣٤	٢/٢٢
٥	٢/٢٣	٢٠٠٠	شتولا	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	—	—	١	—	—	ن.عدد٧٦١،ص٥٧٦	٢/٢٤
٦	٢/٢١	—	دير شرف/نابلس	قتل	آلة حادة	—	١	—	—	—	—	ن.عدد٧٦١،ص٥٧٧	٢/٢٤
٧	٢/٢٣	١٨١٥	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في شارع يافا وابطـل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٧٦١،ص٥٧٧	٢/٢٤
٨	٢/٢٤	—	بات يام	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشـاف العبوة أمام منزل سـكني وأبطل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٧٦٢،ص٦٠٧	٢/٢٥
٩	٢/٢٤	—	الخليل	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة وأبطل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٧٦٢،ص٦٠٧	٢/٢٥
١٠	٢/٢٥	—	بيت لحم	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	أحدثت بعض الاضرار في منزل قرب مبنى البلدية	—	—	—	ن.عدد٧٦٢،ص٦١٣	٢/٢٥
١١	٢/٢٥	—	بيت لحم	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة وابطل	—	—	—	ن.عدد٧٦٢،ص٦١٣	٢/٢٥

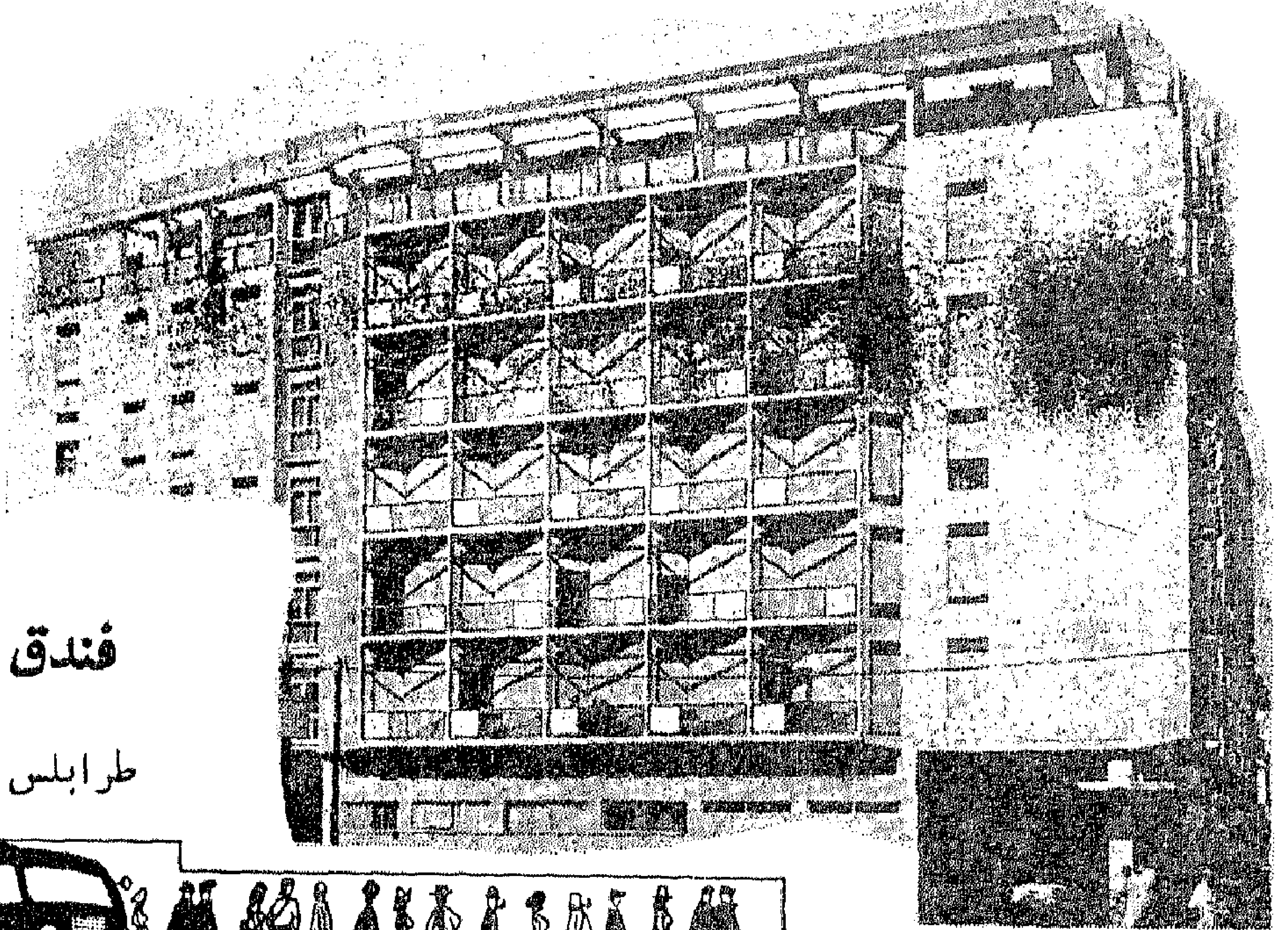
١٢	٢/٢٦	—	سيلع/ناثانيا	تفجير	عبوة حارقة	—	—	اشعال النيران في خمسة أكـواخ اثنـان منهـا مستودعين	—	—	—	ن٠عدد٧٦٣،ص٦٣١	٢/٢٦
١٣	٢/٢٦	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة قرب بوابة يافا وأبطـل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٦٣،ص٦٣٦	٢/٢٦
١٤	٢/٢٦	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوة ناسفة	—	٢	انفجرت العبوة تحت أحد « البسطـات » في السوق	—	—	—	ن٠عدد٧٦٣،ص٦٣٦	٢/٢٦
١٥	٢/٢٦	—	حولون	تفجير	عبوة حارقة	—	—	اشعال النـيـران في اوتوبيس وحرقه تماما	—	—	—	ن٠عدد٧٦٥،ص٦٨٧	٢/٢٨
١٦	٢/٢٧	—	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٦٥،ص٦٨٨	٢/٢٨
١٧	٢/٢٧	١٥٠٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	لم تحدث أية اضرار في شارع يهودا	—	—	—	ن٠عدد٧٦٥،ص٦٨٨	٢/٢٨
١٨	٣/ ٥	٢٣٠٠	تل ابيب[1]	اشتباك	أسلحة مختلفة	٢٠ اصابة		تدمير فندق سافوى واصابة مبان مجاورة بأضرار	٧	—	١	ن٠عدد٧٧٠،ص١٤٥	٣/ ٦
١٩	٣/ ٩	١٩٣٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	انفجرت العبوة في شارع عين جوفيل ولم تحدث أية اضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٧٢،ص٢٣٣	٣/١٠
٢٠	٣/ ٩	—	الظاهرية	تفجير	عبوة حارقة	—	—	اشعال النيران في مكتب العمل واتلاف محتوياته	—	—	—	ن٠عدد٧٧٣،ص٢٦٦	٣/١١

---

١ — لتفاصيل هذه العملية راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٧٠ ، بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦ ، وعدد ٧٧١ بتاريخ ١٩٧٥/٣/٨) .

ن — نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد





صوت فلسطين

شهرية فلسطينية سياسية
تعالج مختلف جوانب القضية بآراء حرة

- مجلة « الوحدة الوطنية الفلسطينية » يصدرها جيش التحرير الفلسطيني ، جيش الوحدة الوطنية ، ويشارك في تحريرها عدد من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين والعرب الذين يمثلون اتجاهات شعبنا الفلسطيني ويعبرون عنها بوضوح .
- تسلط الضوء على الواقع الفلسطيني بصراحة وجرأة ، تعالج السلبيات وتبرز الايجابيات، وتطرح تصورات المثقفين الثوريين لتقويم مسيرة الثورة .
- تلتزم بارادة الغالبية العظمى لجماهير شعبنا الفلسطيني ، وتنطلق من شعارات منظمة التحرير في الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير .
- تغطي أحداث الوطن المحتل ، وتطورات القضية في الساحات الفلسطينية والعربية والدولية عبر أبوابها الثابتة :
- مع الاحداث .
- قضايا وآراء .
- دراسات سياسية واقتصادية .
- دراسات عسكرية .
- ملف الادب والفن .
- صوت فلسطين .

يقرأها شهريا ٢٠٠ الف مواطن فلسطيني وعربي وتوزع في مختلف انحاء الوطن العربي .

- الاشتراك السنوي : للافراد ٢٥ ل.س. او ما يعادلها ، للمؤسسات الرسمية ٥٠ ل.س. او ما يعادلها ، يضاف اليها أجور البريد الجوي .
- سعر النسخة : سورية ولبنان ١٥٠ ق.س.ل. وما يعادلها في بقية الاقطار العربية ، مصر ١٠٠ مليم .

العنوان : دمشق — صالحية — شهداء — بناية عصاصة ص ب ٣٥٧٧

هـاتف ٣٣٤٠٦٥

المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

رئيس التحرير : صفوان قدسي

المراسلات : باسم رئاسة التحرير ، جادة الروضة ، دمشق ،
الجمهورية العربية السورية

الاشتراك السنوي ، خارج الجمهورية العربية السورية ، ١٢ ليرة سورية أو ما يعادلها ، يضاف اليها رسوم البريد (عادي او جوي حسب رغبة المشترك) .

ترسل قيمة الاشتراك حوالة بريدية او شيكا او تدفع نقدا الى محاسب مجلة المعرفة ، جادة الروضة ، دمشق .

يتلقى المشترك كل سنة كتابا هدية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

ثمن العدد : ١٠٠ قرش سوري ، ١٠٠ قرش لبناني ، ١٢٥ فلسا اردنيا ، ١٢٥ فلسا عراقيا ، ٢٠٠ فلس كويتي ، ٢،٥ روبية ، ٣،٥ شيلن ، ١٥ قرشا مصريا ، ١٥ قرشا سودانيا ، ١٥ قرشا ليبيا ، ريالان سعوديان ، ٣،٥ دينار جزائري ، درهمان مغربيان ، درهمان تونسيان .

مواقف

للحرية ، والابداع ، والتغيير

العدد ٣١/٣٠ شتاء/ربيع ١٩٧٥

الاشتراك – البلدان العربية :
للافراد : ٢٥ ل.ل. (أو ما يعادلها) (بريدجوي)
للمؤسسات : ٥٠ ل.ل. (أو ما يعادلها) (بريدجوي)

البلدان الاجنبية :
للافراد : ١٢ دولارا (أو ما يعادلها) (بريدعادي)
١٦ دولارا (أو ما يعادلها) (بريدجوي)
للمؤسسات : ٤٥ دولارا (أو ما يعادلها) (بريدعادي)
٧٥ دولارا (أو ما يعادلها) (بريدجوي)

ترسل الاشتراكات مقدما لحساب مجلة « **مواقف** » : البنك العربي المحدود ، بيروت ، رقم الحساب ٢ – ٥١٠٨٠/٣٧٣٧٠ ، ويمكن الاشتراك بواسطة مكتبة رأس بيروت ، شارع بلس ، ص.ب ٢٧٩٦ – ١١ ، هاتف ٣٤٨٠٥٦ .

الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وفكر انساني متفتح

مجلة شهرية جامعة - تصدرها
المؤسسة العامة للصحافة
في الجمهورية العربية الليبية

رئيس التحرير : احمد ابراهيم الفقيه

يشترك في تحريرها — نخبة من كبار المفكرين والكتاب والشعراء العرب

نحو ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحوي مجموعة من المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية والاقتصادية والعلمية، إلى جانب الأبواب الثابتة من شعر وقصة وفنون.

ثمن العدد ليبيا ١٠٠ درهم • ج م ع ١٠٠ مليم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش
الكويت ١٥٠ فلسًا • الاردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ١٥٠ فلسًا
دبي : ريال ونصف • السعودية : ريال ونصف • ابوظبي : درهمان
مسقط ٢٠٠ بيسه • قطر: ريال ونصف • السودان ١٠٠ مليم • الجزائر: ديناران
تونس ١٠٠ مليم • المغرب : درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلسًا • اليمن ١٠٠ بقشة

الاشتراك السنوي في الجمهورية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي ، وخارج الجمهورية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

العنوان مجلة «الثقافة العربية» ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ج.ع.ل.



الوكالة الليبية للنقل الجوي

المكتب الرئيسي : طرابلس ــ ليبيا

١٢٤ ــ ١٢٦ شارع أمحمد المقريف ، ص.ب ٩٧٧

هاتف : ٣٢٩٩٠ ــ ٣٥٩٩٠ ــ ٣٧٥٠٠ ــ ٣٥٦٨٦

برقيا : « التـــا »

الفرع : بنغـــازي ــ ليبيا

١٠ شارع الفتح ، ص.ب ٢٤٩٠

وكلاء عموميون بليبيـــا :

الخطوط الجوية الالمانية ــ لوفتهانزا

الخطوط الجوية الجزائرية

الخطوط الجوية الســـعودية

الخطوط الملكية المغربيـــة

الخطوط الجوية الملكية الاردنية « عاليــه »

شركة الطيران العربية السورية

الخطوط الجوية الســـودانية

الخطوط الجوية البلغارية (بلكان)

الخطوط الجوية التشيكوسلوفاكيـــة

مؤسسات ابراهيم حافظ للتجارة والمقاولات

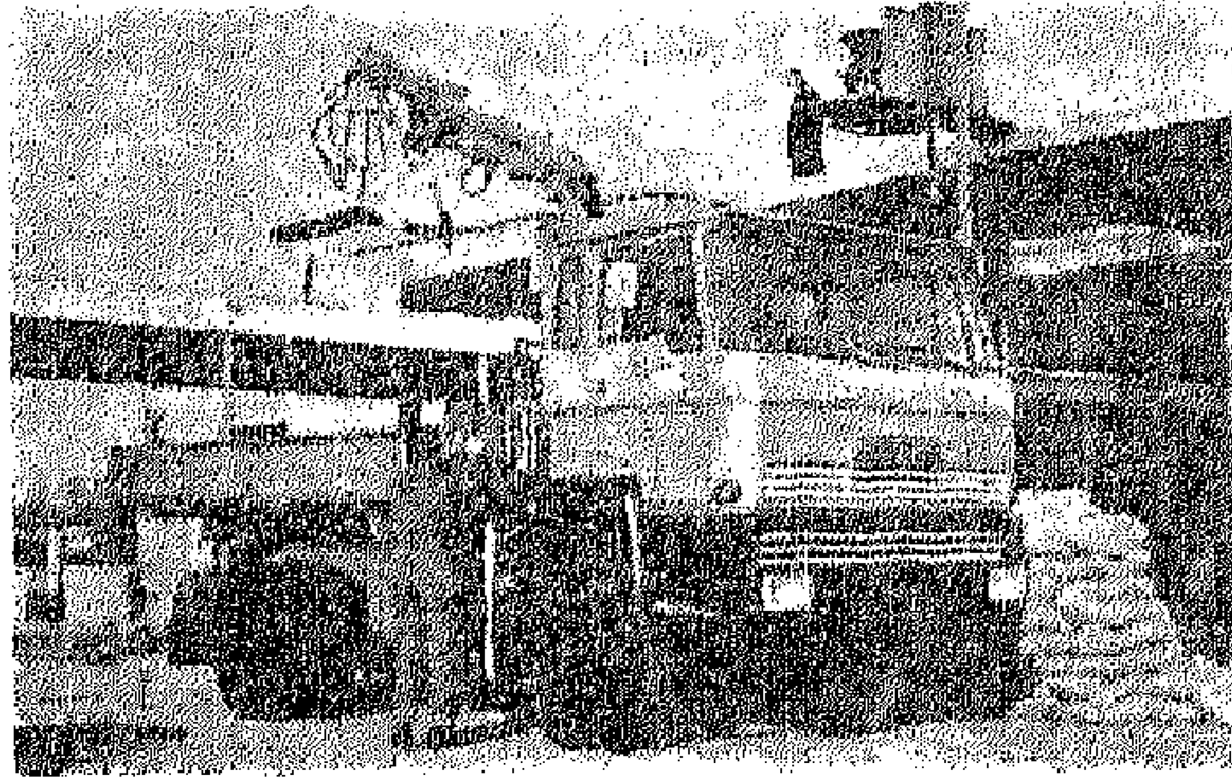
مقـــاولات عـــامـة

- **وكلاء أجفـــا (المانيا وبلجيكا)**
- **وكلاء شركة كرايزلر بانجلترا**
- **وكلاء شركات الطيران العـــالمية**
- **مصنع رخـــام وأعمال النجارة**
- **تجـــارة مواد البنـــاء**

طرابلس : ٥ شارع محمد رشيد رضـا ، طريق السواني كم ٤١/٢
طريق السواني كم ٢١/٢

هاتف ٣٠١٤٩ — ٤١٠٨٠ — ٣٠٦٧٥
ص٠ب ٥٨٢

بنغـازي : شارع جمال عبد الناصر



شركة الصحارى للسيارات

وكلاء شركة داف طرابلس ج٠ع٠ل٠
ذات الشـهرة العالمية

تقدم أجمل التهاني بمناسبة اجلاء قوات الاحتلال الاجنبيـــة
عن ارض الوطن العربي الليبي ، ومولد سيد الكائنات صلوات الله عليه

شركة الصحارى للسيارات ، المكتب : ٣٨ رواق الاستقلال ، هاتف ٣٦١٦٠
الورشة : ٨ شـارع المطمر ، زاوية الدهماني ، هاتف ٣٥٥٣٨
برقيـــا : **صحـــاراوتو** ، طرابلس — ليبيـــا

شركة الصابون والمواد الكيماوية

تأسست شركة الصابون والمواد الكيماوية عام ١٩٦٢ م. كشركة وطنية .
يوجد مصنعان تابعان للشركة ... مصنع لصناعة المنظفـات التركيبية مسحوق الصابون (تايد) والآخر لصناعة صابون الرائحة .

تبلغ طاقة مصنع المنظفات التركيبية حوالى ٤ آلاف طن سنويا .

جهز المصنع بأحدث الآلات التي تعمل تقنيا ويدير المصنع مجموعة من اكـفأ الفنيين والخبراء الوطنيين الذين أرسل عدد كبير منهم في بعثات للتدريب بالخارج .

يبـلغ رأسمال الشركة ٤٠٠ ألف دينـار ليبي ويبـلغ عدد المسـاهمين ٣٥٠ مساهما .

يقوم المصنع بصناعة صابون التايد تصنيعا محليا ١٠٠٪ بأيد وطنية .

يبلغ عدد العاملين بالمصنع (٧٥) عاملا واداريا .

تدار الشركة بواسطة مجلس ادارة وجمعية عمومية .

كانت الشركة في مقدمة الشركات التي قامت بتوزيع نسـبة من الارباح على العاملين وبلغ نصيب العاملين من الارباح نقدا (٢١) الف دينار ليبي مما ساعد على اقبال كثير منهم على شراء أسهم بالشركة عندما طرحت أسهم جديدة وكان للعمال أولوية في الحصول على هذه الاسهم بقيمتهـا الاصليـة تشجيعا لهـم .

يتمتع العاملون بالمصنع بالرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية .

يتمتع المصنع برعاية الدولة وتشجيع وزارة الصناعة .

تتجه النية الى توسيع المصنع لزيادة الطاقة الانتاجية على مراحل كما تجري الاستعدادات لاعادة تشغيل مصنع صابون الرائحة لسد حاجة البلاد .

وتقوم وزارة الصناعة بتذليل كافة العقبات حتى يتم اعادة تشغيل هـذا المصنع .

يلاقي انتاج الشركة صابون (التايد) اقبالا منقطع النظير في الاسـواق ويغطي الانتاج كافة انحاء الجمهورية .

لأنظف غسيل
وأنصع بياض





تايد بجودته الفريدة يعطيك غسيلاً في منتهى النظافة والبياض

للحصول على أفضل النتائج
إتبعي هذه التعليمات البسيطة:

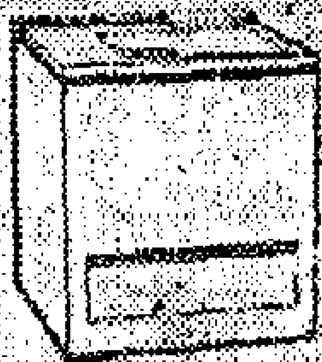
- ذوبي تايد في الماء ثم ضعي الثياب في المحلول
- إفصلي الثياب دائماً كالتالي:
  - الثياب المتسخة.
  - الثياب المتسخة جداً.
  - الثياب ذات الألوان غير الثابتة.
- بللي الأماكن المتسخة جيداً بالماء ورشي عليها القليل من تايد ثم افركيها بين يديك أو بفرشاة، إشطفي بعد تركها في الماء وافصلي الثياب ذات الألوان غير الثابتة.

تايد
للغسيل باليد



إستعملي كمية كافية من تايد للحصول على رغوة وافرة. تايد رفيق بيديك ويعطيك أفضل غسيل بسرعة وبسهولة.

تايد
للغسيل بالغسالات



تايد يعطيك أفضل غسيل في الغسالات الكهربائية ذات الخلاط والحقاق. أضيفي مقداراً كافياً من تايد لعمل رغوة وافرة ودائمة طوال عملية الغسيل.



صنع في ج.ع.ل. في مصنع شركة الصابون والمواد الكيماوية ش.م.ل. طبقاً لمواصفات بروكتر أند جامبل

شركة الصابون والمواد الكيماوية

الجمهورية العربية الليبية ــ طرابلس

هاتف ٣٦٧٩٤ ــ ص.ب ٢٣٠٤


TOYOTA

شركة

الراحلة

المحدودة

طرابلس – ليبيا



تقدم

جولف

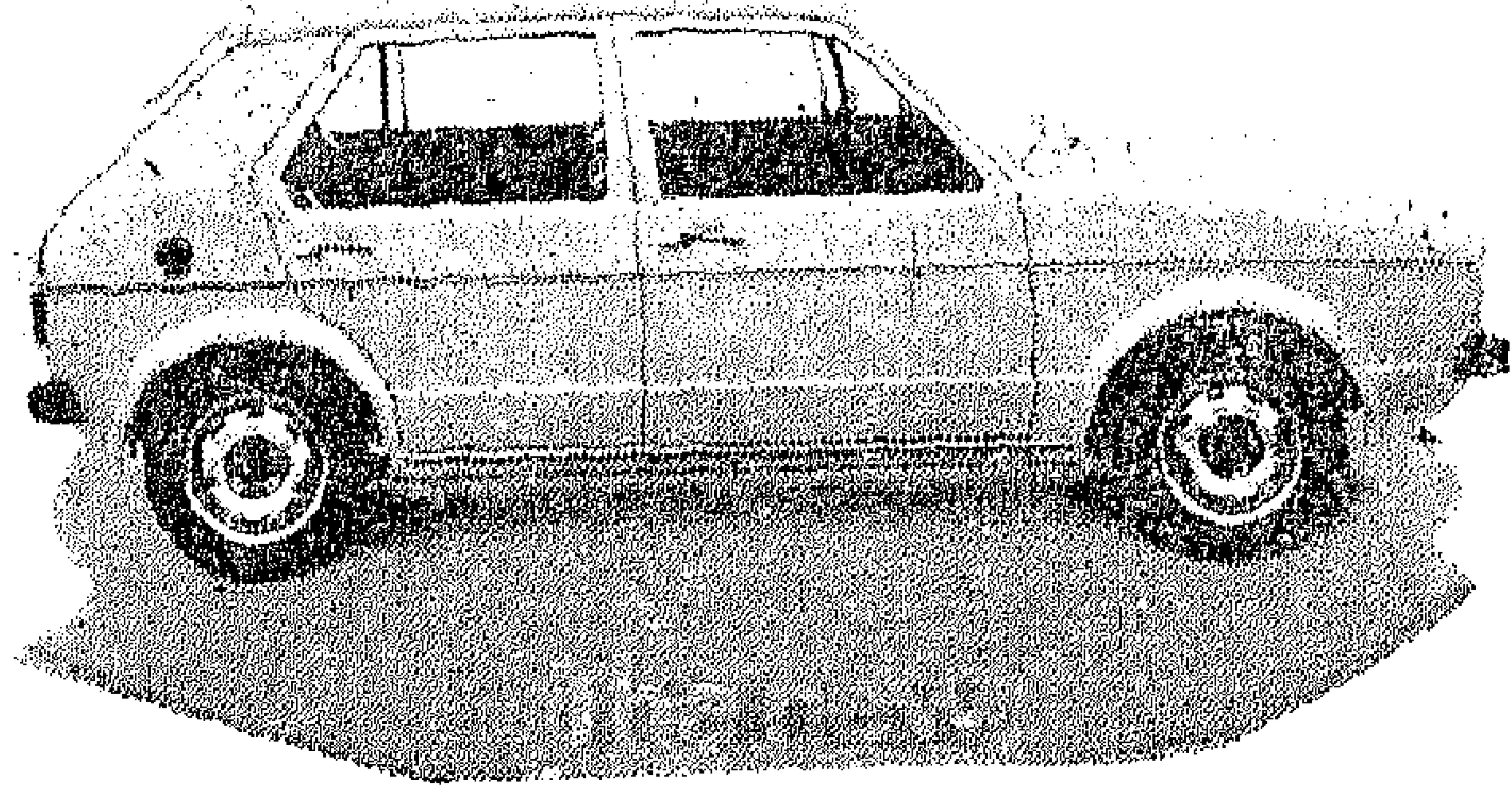
الانتاج الجديد للفولكس واجن

تجمع بين

الاقتصاد

والمتانة

والاناقة



مريحة وممتعة في كل شيء :

- **في القيادة**
- **في اصطحابك للأسرة**
- **في نقل ما تريده من عفش**
- **في الشكل والجوهر**

ومميزاتها عديدة اهمها :

- **محرك رياضي متين أربعة سلندر بقوة ٥٠ حصان ، ٧٠ حصان**
- **استهلاكها من البنزين قليل للغاية ٨ لتر للمحرك قوة ٥٠ حصان ، ٨،٥ لتر المحرك قوة ٧٠ حصان .**
- **حجم غرفة العفش ٣٥٠ لتر ويمكن زيادته للضعف بثني الكرسي الخلفي .**

اليست السيارة « **جولف** » كما قلنا متعة في كل شيء !!

للاستعلام والحجز: طرابلس شارع محمد المقريف هـ/٣٨٢٤٠

وبنغازي شارع عبدالمنعم رياض وطريق طرابلس هـ/٩٤٤٣٧



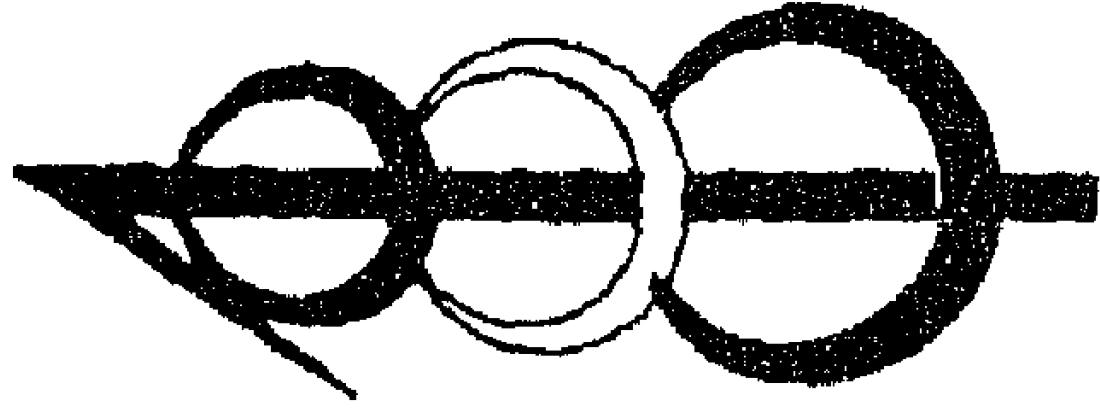
يسر مستخدمو شركة اسو ستاندرد ليبيا المساهمة
ان يرفعوا الى الشعب العربي الليبي وقادته الاحرار
أطيب التهاني بمناسبة ذكرى اجلاء القوات البريطانية
عن تراب الوطن العزيز

شركة اسو ستاندرد ليبيا المساهمة

شارع الجمهورية ، هاتف ٣٠٠٢١ ، ص.ب ٣٨٥

طرابلس ــ ليبيا

شركة التنمية الوطنية التضامنية



سجل تجاري : طرابلس رقم ٤١٦ ـ بنغازي رقم ٨١٧

المركز الرئيسي ، طرابلس
طريق السواني، ٢ كم ، ص.ب٣٤٣
هاتف ٣٢١٠٨ ـ ٣٢١٠٩
برقيا : الوطنية

فرع بنغازي
شارع جمال عبد الناصر ص.ب٦٤٧
هاتف ٩٣٥٩٣ ـ ٨٥٣١٢
برقيا : ناديكو

مقـــــاولات عــــــامة

تجـــــارة ـ صنـــــاعة

تـــوريــد ـ تصـــديــر



OM
OM130



شركة البترول الوطنية الكويتية

تأسست شركة البترول الوطنية الكويتية عام ١٩٦٠ وأصبحت في العام التالي لتأسيسها صاحبة الحق الوحيد في توزيع وبيع المنتجات البترولية في دولة الكويت . وفي عام ١٩٦٨ بدأت مصفاة الشركة في الشعيبة بالعمل ، وأصبحت منتجاتها منذ ذلك التاريخ تسوق على نطاق عالمي

يبلغ رأسمال الشركة ١٥،٠٠٠،٠٠٠ دينار كويتي موزعة على مليوني سهم ، قيمة كل منها ٧،٥٠٠ د.ك.، كلها مصدرة ومدفوعة بالكامل . وتملك حكومة الكويت ٦٠٪ من الاسهم المصدرة هذه ، في حين ان الاسهم الباقية والتي تبلغ ٨٠٠،٠٠٠ سهم يملكها ويتداول شراءها وبيعها مواطنون كويتيون من القطاع الخاص . وشركة البترول الوطنية الكويتية هي اليوم أكبر مؤسسة تجارية تعمل في الكويت ويسيطر على ادارتها مواطنون كويتيون ، كما أن المصفاة التي تمتلكها الشركة في الشعيبة تعتبر احدى اولى المصافي الكبرى في الشرق الاوسط التي تم بناؤها دون دعم من أية شركة من شركات النفط العالمية .

وقد وقع اختيار شركة البترول الوطنية الكويتية منذ البداية على تصميم مصفاة متطورة وفريدة في نوعها تتصف بمرونة تتيح لها القدرة على تكرير النفط الخام خفيفا كان أم ثقيلا بصورة فعالة . وقد ادركت الشركة ان توفر الغاز الذي يصاحب عمليات انتاج خام الكويت يفسح المجال أمام استغلال الهيدروجين استغلالا مؤاتيا في عمليات التصنيع النهائية .

ولما كانت عملية التصنيع بالهيدروجين مع استعمال العامل الكيماوي المساعد تدخل في عمليات كل من الوحدات التي تدفع اليها منتجات وحدة الخام ذات المرحلتين فقد أصبحت مصفاة الشعيبة تعرف بأنها أول مصفاة في العالم تعمل كليا بالهيدروجين . وتعتبر وحدة تصنيع الهيدروجين التي تقوم بانتاج وتزويد ما تطلبه المصفاة من كميات ضخمة من الهيدروجين أكبر معمل من نوعه انشيء حتى الآن . وتبلغ طاقة الانتاج التصميمية لمعمل استخلاص الكبريت عند لقمه بالخام الثقيل المحتوي على نسبة عالية من الكبريت ٩٧٠ طنا انجليزيا في اليوم ، وهي أعلى من طاقة انتاج أية مصفاة أخرى قائمة .

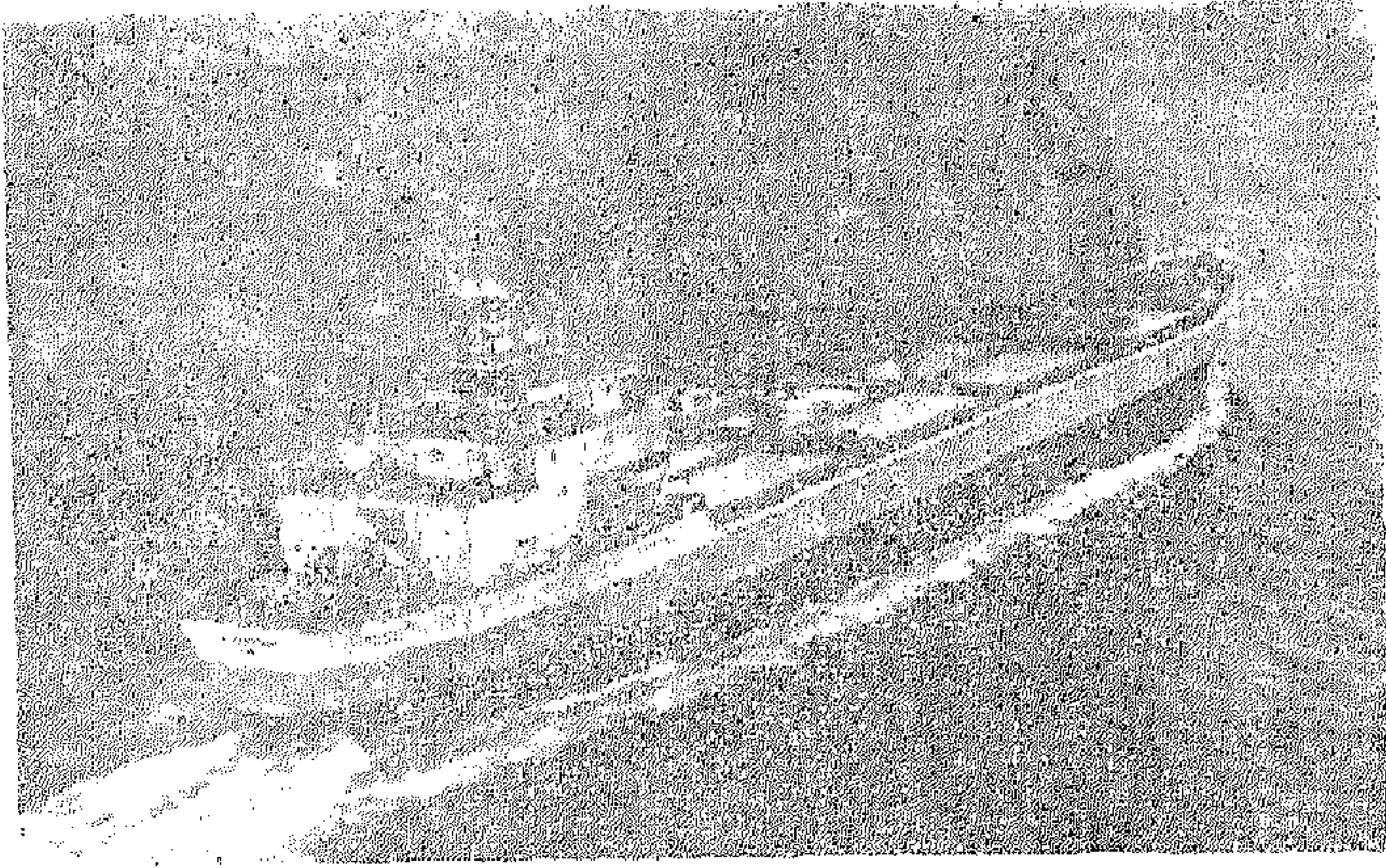
وتتلقى المصفاة ، اثناء عمليات التشغيل ، الغاز من حقول النفط في الكويت لصنع الهيدروجين الذي يدخل في عمليات التكسير الهيدروجيني للمخلفات وزيوت الغاز الثقيل وفي عمليات أربع وحدات تقوم بنزع الكبريت بالمعالجة بالهيدروجين تحت ضغط عال . وتشمل المنتجات النهائية : النافثا البتروكيماوية ذات الجودة العالية والبنزين والكيروسين وزيت ديزل السيارات وزيت الديزل البحري وزيت الوقود والكبريت .

ويباع في الوقت الحاضر ١٤٠،٠٠٠ برميل في اليوم من مصفاة الشعيبة . ومن المقرر ان تزداد هذه الكمية في منتصف عام ١٩٧٥ الى ١٨٠،٠٠٠ برميل في اليوم بعد انجاز مشروع توسيع المصفاة.

وبالاضافة الى ذلك فان شركة البترول الوطنية الكويتية مسئولة عن تسويق ٦٠٪ من انتاج مصفاة شركة نفط الكويت، ، حيث ان هذه الكمية هي حصة حكومة الكويت ، وتصل في مجملها الى ١٦٠،٠٠٠ برميل في اليوم .

شركة البترول الوطنية الكويتية ، شارع الجزائر

ص. ب ٧٠ ، هاتف ٤٢٠١٢١ ، الكويت



شركة الملاحة الكويتية

ش.ك.م

خطوط منتظمة حول العالم

بواخر الشركة

الباخرة		الحمولة	
القادسية	حمولة	١٣٬٤٤٠	طن
الصباحية	//	١٣٬٤٤٠	//
الجابرية	//	١٣٬٤٤٠	//
المنصورية	//	١٣٬٤٤٠	//
العديلية	//	١٣٬٤٤٠	//
الشامية	//	١٦٬٦٠٠	//
الاحمدية	//	١٦٬٦٠٠	//
الرميثية	//	١٦٬٦٠٠	//
القرينية	//	١٣٬٤٤٠	//
العمرية	//	١٣٬٤٤٠	//
الخالدية	//	١٣٬٤٤٠	//
العارضية	//	١٣٬٤٤٠	//

الباخرة		الحمولة	
الصليبية	حمولة	١٣٬٤٤٠	طن
الفروانية	//	١٣٬٤٤٠	//
الشدادية	//	١٣٬٤٤٠	//
الصالحية	//	١٣٬٦٠٠	//
ابن خلدون	//	٩٬١٠٠	//
ابن ماجد	//	٩٬١٠٠	//
المباركية	//	٢٢٬٣٠٠	//
السالمية	//	٢٢٬٣٠٠	//
ابن بطوطة	//	٢٢٬٣٠٠	//
ابن رشد	//	٢٢٬٣٠٠	//
ابن حيان	//	٢٢٬٣٠٠	//
ابن طفيل	//	٢٢٬٣٠٠	//

الرحلات المنتظمة

- رحلة واحدة كل عشرة ايام من موانئ شمال اوروبا والمملكة المتحدة الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل ثلاثة اسابيع من موانئ اليابان وهونج كونج وسنغافورة الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل شهر من موانئ امريكا « الساحل الشرقي » الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل شهر من موانئ الخليج العربي الى ومن موانئ البحر الاحمر والهند وباكستان

التسهيلات والخدمات

١- خدمات نقل وتخليص وتغليف من مستودعاتكم بواسطة شركة النقل العربية « ارامكس »
٢- شحن المعدات الثقيلة لغاية ٦٠ طن للقطعة الواحدة على أي باخرة و ١٠٥ طن للقطعة الواحدة على أي باخرة من بواخرنا الحديثة
٣- قبول القطع الطويلة لغاية ١٠٠ قدم في الطول .
٤- عطاءات اجور الشحن من أي ميناء في العالم الى موانئ الخليج العربي .

للمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بـ :

شركة الملاحة الكويتية ش.ك.م

برقياً

الشويخ - شارع جمال عبد الناصر - هاتف ٨١٦٣٢٣ ، ٨١٩١٢٢ ، ٨١٩٣٩١ ص.ب ٢٦٣٦ تلكس ٢٠١٨ / ٢٢٨٢

Palestine Affairs

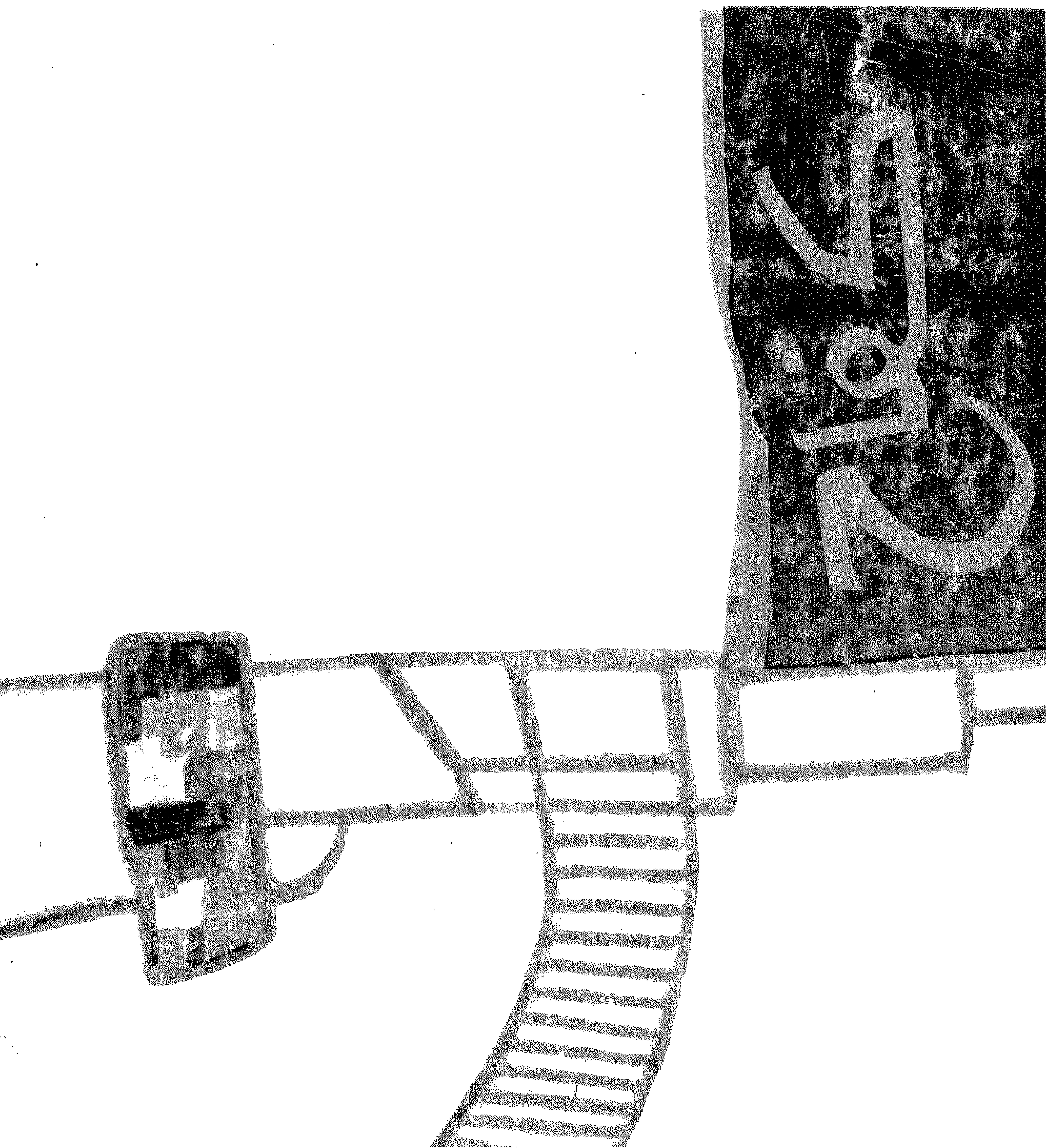
Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon L L 40, Syria S L 50, other Arab countries LL 50 or equivalent, Africa and Europe LL 65, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

شؤون فلسطينية

٤٥

ايار (مايو) ١٩٧٥



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤٥ — **ايار (مايو) ١٩٧٥**

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

في الذكرى الثانية للشهداء الثلاثة

فاروق قدومي (ابو لطف)
رئيس الدائرة السياسية
في منظمة التحرير الفلسطينية

يقف الانسان في هذه اللحظات الدقيقة بخشوع أمام جلال الذكرى وهو يستذكر لحظات عاشها مع من سقطوا شهداء القضية والعدالة خدمة للوطن والشعب .

انها ذكرى قادة ثلاثة قدموا انفسهم قربانا على مذبح النضال ، فكانوا شموعا متقدة ، تنير طريق الحياة ، طريق النضال والمستقبل ، لجماهيرهم المشردة المحرومة .

انهم ثلاثة من القادة ، عانقوا البنادق في حياتهم ، وعانقوا القمة في شهادتهم ، هم ابو يوسف وكمال ناصر ، وكمال عدوان ، الذين رضوا لانفسهم في الحياة بشقاوة الكفاح ، وبمرارة الثورة ، لعلهم يتذوقون وشعبهم ، بعد طول كفاح حلاوة النصر ومذاق الانتصار ،

بعد عامين من سقوط هؤلاء الشهداء ، نهض نفر من تلامذتهم يحثهم العزم ، وساروا في الدرب الطويل كما علمهم الشهداء ، وقذفوا بأنفسهم على شواطىء أرضنا المحتلة ، باصرار عنيد ، فصنعوا ملحمة الثأر لقادتهم ولشعبهم حتى جعلوا الساعي الامريكي كيسنجر يعلن بأسى سقوط مبادرته وفشل سياسة الخطوة خطوة ، وبالتالي هزيمة الامبريالية الامريكية ،

ذهبوا يحملون البنادق والاغصان ، ويطالبون بتحرير اخوة لهم في الاسر ، ولكن الغزاة الصهاينة اطلقوا الرصاص الجبان ، فسقط غصن الزيتون واحترق وتمزق السلام مرة أخرى على أرض السلام ، فانبرى تلامذة أبي يوسف يصلون العدو بحممهم ورصاصهم ، فاتقنوا صناعة الموت كما قال الشهيد القائد ورسموا على جدران سافوي وحوله كلمات الحرية والعدالة والسلام ،

لقد كانت اصواتهم تلعلع بزهو وكبرياء ، مرحبا بلقاء الشهداء !!

لقد ذهبوا الى السماء ، ليحتضنوا قادتهم الثلاثة ، وليرووا لهم كيف أدوا واجبهم الوطني بحرص واتقان .

نعم ، انهم افراد مجموعة الشهيد ابي يوسف الـــذي سارت على دربه ، والتي تعلمت الدروس من كلماته ، والتي حطت على جبين الزمن ، اكليل الغار .

لقد ناضل شهداؤنا الثلاثة من اجل قضيتهم ، فكانوا اعلاما شامخـــة ، ومنارات تهدي كل مناضل وكل ثائر ،

لقد تركوا خلفهم ارثا كبيرا للاجيال من بعدهم علها تعتبر من عبراتهم وتأخذ الدروس من حياتهم ، وحتى تستمر في مسيرتهم ، رافعة راية النضال والجهاد حتى النصر ،

عاش قادتنا الثلاثة في مرحلة سادها الشك والبلبلة ، بين الاشقاء ، وغطت سحب الهم المنطقة العربية بأسرها ، وكانت اصابع الامبريالية الامريكية تتحرك وتعبث في الخفاء ، وتجد لها بعض الصدى ، هنا أو هناك ، فدفع الشهداء نتيجة هذه الاوضاع دمهم ثمنا لعودة الوحدة والتضامن بين الاشقاء ، ففتحوا الباب واسعا امام حـــرب تشرين .

لم يبخلوا بأرواحهم ، ولم يبخل شعبنا الشقيق في لبنان باكرامهم وتقدير تضحياتهم السخية ، فسارت مئات الالوف من هذا الشعب الصادق الوفي ، يودعونهم الى مثواهم الاخير ، ويعلنون بأعلى صوت وقوفهم مع الثورة الفلسطينية، كدرعيحميها ، ويصونها ، ويدفع عنها كل من اعتدى عليها أو تعدى ،

كان شعب لبنان رائعا في انتفاضته ، وفي قـــدسية غضبته ، وفي مسيرة وداعـــه الطويلة لابناء فلسطين الشهداء ،

لقد كانت القوى الوطنية ، سيفا حادا يضرب الفتنة في مهدها ، وقد انبرت هـــذه القوى الوطنية من موقفها المعلن الشريف تدافع عن روابط الاخوة بين الفلسطينيـــين واللبنانيين ، حتى عاد الوئام الى ساحة لبنان وارتد الاخ الى أخيه يعانقه ويحتضنه من جديد .

وفي نفس العام ، انطلقت طلائع صانعي حرب تشرين ، حرب رمضان ، وقفزت جنود العرب الى مواقع جديدة ، فكان ذلك العام عام الشهداء ، عـــلى طول الارض العربية وعرضها ، فقد سقط فيه الالاف من شهداء العرب ، وهم يتصدون لقوى البغي الاسرائيلي ، ويقاتلون جيوشا أعدتها امريكا بأحدث الاسلحة والمعدات .

لقد صنعت حرب تشرين لامتنا مجدا جديدا ، فقد حطم الجنـــدي العربي نظريـــة الامن الاسرائيلي ، واسقط أسطورة هذه الدولة ، وهزم ولو الى حين ، جيشها الذي لا يقهر ، واصيب المجتمع الاسرائيلي بالتصـــدع ، وبحالـــة انعـــدام الثقة بقادتـــه العسكريين والسياسيين على السواء ، وعاد العالم وشعوبه يحترمون من جديد ارادة العرب وحقهم العادل .

ولكن ، كان علينا أن نستمر في اعدادنا واستعدادنا لجولة قادمة لا أن نكتفي بهذا القدر من الحرب والنزال ، حتى تتحقق كل أهدافنا الوطنية والقومية .

لقد حددت أمتنا العربية اهدافها المرحلية في مؤتمر القمة بالجزائر ، فكانت تنـــص على تحرير الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وتحرير القدس ، وعدم القبول بأي وضع يمس عروبتها ، واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني كما تقررهـــا منظمة التحرير .... وقامت منظمة التحرير بعد ذلك في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني بتحديد الاهداف المرحلية فخرجت على الناس ببرنامجها المرحلي ذي النقاط العشر ، وكان محور الارتكاز في هذا البرنامج هو هدف اقامة سلطة وطنية

مستقلة على كل شبر من الارض يتم تحريره ، وقد استقطبت هذه الاهداف المرحلية كل الجماهير ، فأيدتها وباتت تناضل من اجل تحقيقها ، وتمكنا بفضل ذلك من احراز المزيد من المكاسب والمنجزات ، والتزم الواقع العربي والدولي بتأييدها .

ولقد جاء مؤتمر القمة في الرباط مؤكدا ضرورة اقامة هـذه السلطة ، ومسانـدة العرب لها ، عند قيامها ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني اينما وجد ، في الداخل أو الخارج .

وعملت منظمة التحرير الفلسطينية بالحوار على تطوير مواقف الاصدقاء في المعسكر الاشتراكي ، من مساندتهم لاماني شعب فلسطين ، الى دعمهم لمصالحه الحيويـة ، الى تأييدهم حقوقه الوطنية ، ثم الى المناداة باقامة دولته المستقلة .

ووقفت دول عدم الانحياز تتبنى هذه المطالب الفلسطينية وجاءت مؤتمرات القمـة الافريقية والاسلامية لتسير في هذا الاتجاه ، بل لتتجاوزه الى المزيد من الدعم السياسي والمعنوي ، ولا شك أن انتصاراتنا هذه ، لم تتحقق بدون معارك وحوارات مضنيـة شاقة على المستويات الوطنية والعربية والدولية ،

لقد انتزعنا بايماننا وجهدنا الصابر المثابر الانتصار بعد الانتصار ، حتى شملت هذه الانتصارات الميدان الدولي ، فصدر القرار ٣٢٣٦ عن الجمعية العمومية للامم المتحدة في نفس اليوم الذي كان قد صدر فيه قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ في ١٩٦٧/١١/٢٢ .

وكان القرار ٣٢٣٦ ينص على تأكيد الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين بما في ذلك حقه في تقرير مصيره وحقه في السيادة والاستقلال الوطني ، وحقه في العودة الى دياره وممتلكاته ،

كما نصت على ان الفلسطينيين هم طـرف أصيل في اقامة سـلام دائم وعادل في منطقة الشرق الاوسط .

وكان العالم بهذا القرار يضع القواعد والاسس التي يمكن ان ينطلق منها أو يعتمد عليها اي بحث أو مناقشة او معالجة للقضية الفلسطينية على كافة المستويات ، وفي مختلف الميادين والمحافل الدولية .

وكان هذا القرار تنفيذا للنقاط العشر التي ترفض القرار ٢٤٢ ، ولا تتعامل معـه على اي مستوى كان .

لقد سارت الثورة منذ بدايتها على خطوط ثلاثة :

ـــ كان أولها خط الكفاح المسلـح ، خط واسع عـريض تحكمه الحتمية في البقاء والاستمرار ويبقى ، بغض النظر عن تقلب الظـروف والاوضاع وتعدد المراحـل واختلافها ، هو القاعدة الصلبة لاي عمل آخر .

ـــ والخط الثاني خط سياسي يتعامل على المستويات الوطنية والعربية والدولية مع الجماهير والمؤسسات ينقل اليها اهداف العمل المسلح ومضمونه التحرري ومدلولـه الانساني ويعالج كل القضايا والمشاكل بروح صابرة دائبة .

ـــ وخط ثالث ديبلوماسي يراعي اصول العلاقات الدولية بهدف استقطاب اعتراف كل الاطراف بشرعية نضالنا المسلح وانسانية اهدافه ، ويعمل على اتساع الدعـم الدولي لنضالنا واهدافنا التي نناضل من اجل تحقيقها .

ان اعتمادنا على العمل المسلح ، واستعدادنا المستمر لملاقاة العدو ، هو الاساس لكل عمل سياسي ، ولا شك ان سير هذه الخطوط الثلاثة بمحاذاة بعضها بعضا يجعل النصر امرا واقعا لا محالة ، وهذا ما يدفعنا الى القول بثقة ، أن المساعي السياسية في المنطقة العربية التي تمارسها الاطراف العربية لا بد ان ترتكز على اعداداتنا العسكرية قبل كل شيء .

والا ، ستصطدم هذه المساعي السياسية العربية بمزيد من التعنت الاسرائيلي المؤيد بالتشجيع الامريكي لهذا الموقف الاسرائيلي ، وسوف تكون نتيجة كل هذه المساعي هي الفشل المحتوم .

كما يجب ايضا ان تفقد اسرائيل عنصر السلامة والامن ، حتى تبقى مستنفرة الاعصاب مرهقة العقل ، فاقدة القدرة على المبادرة .

يجب ان لا نتعامل مع اعدائنا او حلفاء اعدائنا بالنوايا الحسنة ، أو اعتمادا على تطورات مرتقبة هنا وهناك تخدمنا او تغير من العلاقات المصيرية بين امريكا واسرائيل ،

لان هذا الانتظار يفقدنا عنصر الزمن الذي نحن بأمس الحاجة اليه ، في هذه المرحلة الخطرة من مراحل نضالنا القومي المعاصر .

كما يجب ان نبتعد عن كل ما يمكن ان يمس تضامننا العربي ، على ان تحكم العلاقات العربية في هذه المرحلة على الاقل قرارات الجزائر والرباط ، فهي برنامج عملنا السياسي على المستوى القومي . ولا يجوز ان نتجاهلها او نتخطاها باسم المرونة السياسية او التكتيك أو كسب الرأي العام العالمي .

كما يجب علينا ان نحافظ على الاوراق الرابحة بايدينا حتى لا نضيعها بلا ثمن او دون مقابل ،

وليس عيبا ان نختلف حول او في وسائل عملنا اليومي ، ما دمنا نتفق على هدفنا المرحلي وهدفنا الاستراتيجي ونلتزم بهما التزاما صادقا .

لنتعلم الدروس من اعدائنا وهم يختلفون فيما بينهم ، ولكنهم يحرصون على وحدتهم وضرورة الحفاظ على هدفهم .

يجب ان لا ننزلق من الخلاف في الراي الى العداوة والتجريح والتشهير .

كما اننا مطالبون في هذه المرحلة بان نبتعد ما امكن عن طرح خلافاتنا القطرية أو الاقليمية مهما كانت هذه الخلافات بالغة او هامة ، حتى لا تلهينا عن المعركة الاساسية مع عدونا الاسرائيلي ،

فواقع التجزئة ومنطقها في الحقيقة هو الذي يصور ان هناك خلافات جوهرية فيما بيننا كعرب ،

ولو تصورنا من خلال فهمنا القومي هذه الخلافات ، لشعرنا بتفاهتها ، ولاختفت من حياتنا اليومية باسرع مما نظن ،

والان ، اود ان أؤكد ان الثورة الفلسطينية ، ستبقى تحمل السلاح دفاعا عن القضية العادلة ، وسوف تبقى تعمل من اجل التضامن العربي والوحدة القومية

وازالة الخلافات ، لكي تقف هذه الامة بكل قواها موحدة الرأي والعمل والهدف ، في مواجهتها للغزوة الصهيونية وللامبريالية الامريكية .

ولا شك أن مسيرة ثورتنا هي مسيرة الشهداء ولن تكون غير ذلك ،

انها مسيرة النصر بدءا باقامة السلطة الوطنية ، وانتهاء باقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية على كامل التراب الفلسطيني .

ان الصراع هو الصورة والعلاقة الجدلية بيننا وبين العدو الصهيوني ، ولا يمكن ان ينتهي هذا الصراع العدائي وان تعددت او اختلفت اشكاله وصوره ،

فهذه هي حقيقة العلاقة بيننا وبين اعدائنا ، فالتناقض مع الصهيونية تناقض رئيسي ،

ولا يمكن أن يصبح غير ذلك الا بهزيمة الصهيونية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية على كامل ترابنا السليب ،

ومن اجل ذلك ايها الاخوة ، سقط شهداؤنا الثلاثة ، وسقط الشهداء من قبلهم ومن بعدهم في هذه المسيرة الطويلة ،

لقد سقط هؤلاء الابطال واولئك القادة ، دفاعا عن فلسطين ومن اجل اقامة مجتمع تقدمي تسوده العدالة الاجتماعية والاخاء والمساواة بين كل المواطنين من عرب ويهود .

انهم شهداء من اجل الانسان وحريته ، بغض النظر عن دينه او عرقه او عقيدته ، حتى يعيش مكسور القيد ، طليقا في هذا العالم الواسع ، بعيدا عن كل اضطهاد سياسي او استغلال اقتصادي .

لقد ذهب القادة الثلاثة ، شهداء يجسدون صورة العدالة والحرية والسلام ، وينقشون على اعمدة السماء وعلى جبين الشمس اسم فلسطين واسم شعبها الى الابد .

وثورة حتى النصر !!!

حرب اكتوبر واحتمالات تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي

الدكتور ابراهيم ابو لغد

اتجه قدر كبير من كتابات مرحلة ما بعد اكتوبر ١٩٧٣ ، الى تأكيد أن مجمل العوامل الاقليمية والدولية ، يلتقي على اجراء تسوية تفاوضية لنزاع أزعج العالم بأسره على مدى أكثر من جيل . ولقد قيل بصورة مقنعة نوعا ما ، القول بأن الفريقين المعنيين مباشرة بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، أصبحا ينظران الى الحل العسكري لنزاعهما على انه أمر متعذر التحقيق، وان اطالة أمد النزاع نتيجة للافراط في الثقة، والغطرسة، أو سوء الفهم من قبل طرف أو أكثر من أطراف النزاع ، سوف يقود الى التورط المباشر لدولتي الثقل العظميين وما يجره من عواقب فاجعة ، وان اطالة أمد النزاع سوف تعني في الواقع ، وبالاستناد الى منجزات حرب اكتوبر ، ان حربا في الشرق الاوسط ، سوف تكون حربا **شاملة** بين أطراف النزاع المباشرين ، وسوف تعني بالضرورة تدمير المراكز السكانية المدنية في المنطقة ، واستخدام امدادات النفط بغية وقف الدعم الغربي ، والامريكي خاصة ، لاسرائيل ، وان استخدام هذا السلاح الاقتصادي من جانب العرب ، الذي أصاب الانظمة الصناعية في الغرب بفوضى كبيرة ، سوف يؤدي الى كارثة شاملة لبنية الاقتصاد العالمي .

وبالاضافة الى ذلك،فلقد اعتقد المراقبون الغربيون لمسرح الشرق الاوسط، ان العالم العربي شهد تبدلات مهمة في السنوات القليلة المنصرمة ، وان هذه التبدلات ساهمت في خلق مناخ أكثر مؤاتاة للتسوية السياسية . ويقطع هؤلاء المراقبون ، بأن العالم العربي ، بالرغم من أية ظواهر معينة يمكن أن تدل على العكس ، قد خفف من قوة دفعه الثوري . وفي رأي هؤلاء المراقبين ، ان تولي الرئيس السادات للسلطة في مصر ، في أعقاب جمال عبد الناصر الذي كان أقوى نزوعا الى النضال ، قد خلق فعلا تغييرات مهمة في التوجه المصري في السياسات الداخلية والخارجية على السواء . ويشير هؤلاء المراقبون الى أن الثروة الجديدة في العالم العربي ، في مناطق تلتزم التطور القانوني الهادىء من خلال الارتباط بالغرب ، وتزايد نفوذ الانظمة الملتزمة بهذه الصيغ من التطور ، هذا كله ساهم بشكل هائل في الدعم الحثيث لعملية البحث عن تسوية يمكن أن تصون الكرامة العربية ، وتقوي الانظمة التي تسعى الى نظام عربي مستقر ، وتستبعد ، في الوقت ذاته ، من حلبة الصراع السياسي الداخلي ، أحد أبرز موضوعات الشقاق في العصور الحديثة ، أعني موضوع الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

ويوازي هذا في الاهمية ، ان المراقبين ميالون الى تسجيل تحول اساسي في المواقف

---

* ان هذا البحث فصل من كتاب سيصدر باللغة الانكليزية عن المواجهة العربية ــ الاسرائيلية في اكتوبر ١٩٧٣ اعده الدكتور نصير عاروري .

العربية ازاء اسرائيل ككيان . فالاصوات التي كانت تدعو ، بنبرة خفيضة ، الى شيء من القبول باسرائيل مغيرة — بحيث تكون أكثر اعتدالا بمطامحها الاقليمية ، وأكثر ارتباطا بالمنطقة من حيث نزعاتها وارتباطاتها، وأكثر قبولا لمساواتها بالدول المجاورة — مثل هذه الاصوات أصبحت تجد جمهورا أكثر تقبلا في العالم المتغير في مرحلة ما بعد اكتوبر .

تستند هذه التحولات المهمة في حقائق الشرق الاوسط ، او في المفاهيم السائدة في الشرق الاوسط ، بشكل حاسم الى حرب اكتوبر . فلقد كشفت تلك الحرب بصورة قاطعة انه لم يعد من الممكن النظر الى القدرة العسكرية العربية ، بالازدراء الذي عوملت به في حرب حزيران وما لحقها . كما انها أوضحت قدرة الدول العربية على استخدام طاقتها النفطية — بغض النظر عن المغالاة في المزاعم المتعلقة بذلك الاستخدام — في مساندة الغايات العسكرية — السياسية . وان حقيقة التضامن السياسي العربي لتحقيق أهداف محدودة ، جعلت تأكيد العرب على تحقيق تضامن أعظم في المستقبل ، من أجل أهداف قومية أوسع ، أمرا قابلا للتصديق . وهذا الامر يهدد جديا جميع القيود الراهنة أو المحتملة على السيادة العربية في جميع أوجه الحياة الوطنية .

بالنسبة لاسرائيل ، كانت حرب اكتوبر حدثا كاشفا . فلقد أبانت ليس فقط استحالة قدرة اسرائيل على السيطرة على جميع الدول العربية كل الوقت ، بل أيضا انه يمكن التصدي لسيطرتها على قطعة محدودة من العالم العربي . وكلما واصلت اسرائيل الاستناد الى مفهوم السيطرة المطلقة ، كلما عززت ، بالمقابل ، تحدي تلك السيطرة . وبينما يجادل الاسرائيليون في مدى أهمية الانجاز العسكري العربي وفي دلالته النهائية بالنسبة لاستمرار الوجود الاسرائيلي ، فانهم قد استنتجوا ان تعاملهم مع الدول العربية على أساس الفرضيات القديمة ، يحمل في طياته مخاطر عظيمة عليهم ، انهم ما عادوا يستطيعون أن يؤكدوا سيطرتهم المقررة بدون وازع أو عقاب .

ولعل الاهم من هذا ، تطوران ظهرا غداة حرب اكتوبر :

الاول ، ان الدعم السياسي والدبلوماسي المتزايد ، الذي حظي به العرب من المجتمع العالمي ، نبه اسرائيل الى عزلتها المتزايدة في العالم . وكان التحول الجذري في بنية العلاقات مع الدول الافريقية — وهي علاقات حرصت اسرائيل على تمتينها بكل عناية مسنودة بالدعم الامريكي على مدى عقدين من الزمان — واحدا من الاضرار الهامة التي أصابت اسرائيل بسبب حرب اكتوبر ، على الرغم من أن هذا التحول كان رمزيا أكثر مما كان حقيقيا . لكن التحول ، ذا المغزى الاكثر أهمية بالنسبة لاسرائيل ، كان في العلاقات المتبدلة مع اوروبا . لم يكن هناك مناص من أن تدرك اسرائيل أن مواصلتها التعامل مع الفلسطينيين والعرب على اساس الفرضيات الموروثة من مرحلة الهيمنة الاوروبية / الاميركية المطلقة ، سوف يبعد اسرائيل بصورة متزايدة عن أوروبا .

والتطور الثاني البارز الذي ظهر غداة حرب اكتوبر ، هو أصوات « المنشقين » داخل اسرائيل ، وهذه الاصوات المطالبة بقدر من التوفيق مع الفلسطينيين والدول العربية ، أصبحت أكثر ارتفاعا وصخبا . وهكذا مورست ضغوطات على المؤسسة الاسرائيلية كي تتوصل الى تفاهم مع العرب ، ليس على أساس الانكار الكامل للوجود الفلسطيني ، والتفوق العسكري المطلق على الدول العربية ، وانما على أساس تلبية بعض المطامح الوطنية للفلسطينيين ،واعادة السيادة الوطنية الى بعض المناطق المحتلة

في حزيران ١٩٦٧ . وباتت المسألة بالنسبة للاسرائيليين يوما بعد يوم ، تأكيد شرعية اسرائيل ، وتوفير قدر معين من الامن ، وفي الوقت نفسه ، تأمين الوجود الوطني للفلسطينيين واعادة السيادة العربية على المناطق الواقعة تحت احتلال اسرائيل .

ان التحولات الاقليمية في علاقات القوى وفي مواقف الخصوم تبدو انها متجهة نحو التقارب والالتقاء ، ومن ثم ، فانها تتحرك بصورة حثيثة نحو ايجاد تسوية قائمة على التفاوض ، لا على التنازل . ولقد غدا السوفيات أكثر صراحة في الدعوة لحل سياسي النزاع ، والاصرار على تضمين مثل هذه التسوية بنودا ملائمة لكفالة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

على أن الامريكيين ، الذين اتسموا بقدر من الجمود بدا انهم ، من جهة أخرى ، وبسبب حرب اكتوبر فقط وما نتج عنها ، يتجهون الى اتخاذ موقف أكثر مرونة . ان هذه المرونة الجديدة ، هي التي أتاحت للولايات المتحدة — بالرغم من مواقفها السابقة المعرقلة للتسوية — أن تتخذ مبادرة أكبر وجدت استجابة لدى معظم أطراف الصراع ، وهي مبادرة نجمت عنها اتفاقيات فصل القوات بين اسرائيل ومصر ، وبين اسرائيل وسوريا . وكان استئناف الولايات المتحدة العلاقات الدبلوماسية مع جميع الدول العربية باستثناء العراق ، ووعودها بتقديم بعض العون الاقتصادي والتقني لمصر وسوريا ، مؤشرا للطبيعة المتغيرة للعلاقات بينها وبين الدول العربية . لقد تحولت الولايات المتحدة من كونها خصما رئيسيا للآمال العربية — وذلك عائد الى حد كبير الى التزامها الكامل باسرائيل — لتصبح وسيطا نشطا بين العرب واسرائيل ، بحثا عن تسوية تلبي — على الاقل — المطالب الدنيا لفريقي النزاع .

لا ريب في أن القضية الفلسطينية والصراع العربي — الاسرائيلي لا زالا يهيمنان على تفكير كل من العرب والاسرائيليين . ومع ذلك فان حقائق الموقف في فترة ما بعد حرب اكتوبر ، اتجهت الى احالة النزاعات الاقليمية في المنطقة ، الى أحداث عرضية لقضية أكبر بكثير . اذ غدا واضحا بصورة متزايدة ، أن اهتمام صانعي السياسة الامريكية يتوجه الى الاهمية العالمية لمسائل كشفت عنها المجابهة العربية — الاسرائيلية ، أكثر من توجهه الى هذه المجابهة ذاتها . هذه الضرورات الملحة للتعاطي مع المسائل الاكبر ، سواء منها الاقتصادية أو السياسية ، هي التي دفعت بصورة حثيثة المساعي الامريكية الجدية من أجل تسوية سياسية مقبولة . فمن المأمول فيه ، ان مثل هذه التسوية ستكون مدخلا لتعاون متزايد وممكن بين الدول العربية وبين الولايات المتحدة، بما يكفل للولايات المتحدة تأمين سيطرتها العالمية . وهذه التسوية تقوم على ايجاد حل معقول لمسألة الطاقة ، ولتأمين تدفق الاموال العربية الى الولايات المتحدة بسهولة ، وكذلك ضمان تزايد تدفق السلع الصناعية الامريكية على أسواق جميع الدول العربية ، واثناء ذلك ، وفي الوقت نفسه ، الحفاظ على السلامة الاقليمية للدول العربية ، وكرامتها ، ونموها الداخلي .

ان ما أرمي اليه في هذه المقالة، هو التعريف بمكونات مثل هذه التسوية التي يفترض أن تكون مقبولة لدى جميع الاطراف المتصلة بالنزاع العربي — الاسرائيلي . ومن الامور البدهية بالنسبة للعرب ومسانديهم في العالم ، ان الاطراف الرئيسية لا تشمل الدول العربية واسرائيل فقط ، بل أيضا وعلى الدرجة ذاتها من الاعتبار ، الفلسطينيين . ان رفض اسرائيل لهذا الامر ، ورفض الولايات المتحدة على درجة اقل ، هو جزء من السجل التاريخي . ومع ذلك ، ومنذ انتهاء حرب اكتوبر ، تزايد التسليم بأن أية تسوية يقدر لها الدوام في الشرق الاوسط ، يتحتم ان تشمل الفلسطينيين كجماعة وطنية قائمة بذاتها .

ان الدعم الذي ناله الموقف العربي على الصعيد العالمي ، تأكد بصورة ساطعة ، في اكتوبر ١٩٧٤ ، عندما لم تكتف هيئة الامم المتحدة بتوجيه الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية لعرض وجهة نظرها في ما يريده الفلسطينيون ، بل بالاضافة الى ذلك ، اضفت على منظمة التحرير الفلسطينية الشرعية التي كانت قد اكتسبتها على الصعيد الاقليمي . ان عودة الامم المتحدة ، في نوفمبر ١٩٧٤ ، الى تأكيد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، أوضحت لجميع المعنيين ، ان ترضيــة الفلسطينيين شرط أساسي لتحقيق أية تسوية قابلة للحياة للنزاع العربي ــ الاسرائيلي .

[٢]

يحدد أطراف النزاع العربي ــ الاسرائيلي مطالبهم بصيغ مطلقة . لقد أصرت الدول العربية على الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع المناطق المحتلة ، كشرط ضروري لتسوية نهائية . (من وقت الى آخــر تضيف بعض الدول العربية بعض الشروط الاضافية ، ولكن من المفترض أن واضعي هذه الشروط الاضافية ، لا ينظرون اليها بصورة جدية) . ولقد أصر الفلسطينيون على اعادة تكوين كلية لكيان اسرائيل ، ومنذ أن استهلوا نضالهم ضد الصهاينة الاوروبيين ، تمثلوا فلسطين في تصورهم على انها ينبغي أن تكون دولة واحدة يكون الحكم فيها ديموقراطيا . ان التبدل الجذري الذي طرأ على فلسطين في الوقت الحاضر ، والتغير الحاســم في الطبيعة السياسيــة والديموغرافية والاقتصادية للمجتمع الفلسطيني ، لم يغيرا الرؤيا الاساسية لفلسطين تشمل الفلسطينيين العرب واليهود الاسرائيليين .

وفيما يواصل الفلسطينيون تمسكهم برؤيــا لاسرائيل محولة جذريــا ، مورست عليهم ضغوط ذات شأن من قبل بعض الدول العربية ، والاتحاد السوفياتي ، وعدد من المساندين لهم من الافارقة والاسيويين والاوروبيين لتعديل مخططهم . ينطلق هؤلاء الانصار والمؤيدون من فرضية ان ما يناضل الفلسطينيون من أجله حقا، هو وطن خاص وهوية وطنية يمكن أن تكون معالجة بنــاءة لاوضاع شعب مشرد . ولهذا فان هذه الضغوط ترمي الى التخلي عن الرؤيا الفلسطينية لفلسطــين علمانية ديموقراطية ، لصالح دولة فلسطينية في أجزاء من فلسطين عند جلاء القوات الاسرائيلية عنها .

فيما تبقى خريطة اسرائيل غير معلنة ، من المفهوم عامة أن من الضروري اجراء بعض التعديلات على خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ للقضاء على الشعور الاسرائيلي المزمن بأن تلك الحدود غير آمنة . ولقد أعطى وزير الخارجية الامريكية السابق روجرز في اقتراحيه في ديسمبر ١٩٦٩ وأغسطس ١٩٧٠ ، فكرة عن نوعية التعديلات التي يوجد اعتقاد بضرورتها . وتتضمن الابحاث حول أشكال وجودها تجريد بعض المناطق من السلاح ، مع تخل عن السيادة . لكن مهما كانت هذه التعديلات الاقليمية ، فانه ينبغي اجراؤها من خلال توخي اقامة علاقات طبيعية او اعتيادية بــين الدول العربيــة واسرائيل . وبشكل أو بآخر ، ان النتيجة المقصودة هي الاعتراف باسرائيل والتسليم بوجودها . ان تاريخ تفاعل فرقاء النزاع ، يدل على ان هذه المسألة موضع خلاف . لقد كررت بعض الدول العربية بصورة لا لبس فيها ان الاعتراف باسرائيل ممكن في اطار تسوية شاملة . ولا تزال اسرائيل تطعن في هذا الموقف المعلن بالاستناد الى الممارسات السابقة لهذه الدول العربية .

ان انكار الاسرائيليين المطلق للوجود الفلسطيني ، وما يقابله من مطلب الفلسطينيين المطلق باعادة تشكيل كلية للوجود الاسرائيلي ، يجعل من المحتم على هذين الفريقين

اللجوء الى الصراع المسلح . لا يوجد أي امكان لاقامة حوار على أساس هذه الفرضيات المطلقة . لقد انتج التاريخ الطويل للنزاع العربي — الاسرائيلي ارتيابا متبادلا وهواجس متبادلة بين الفريقين . ولهذا ينظر الى توكيدات اسرائيل لنواياها السلمية بالدرجة نفسها من الشك وعدم الثقة التي تنظر بها اسرائيل الى العروض السلمية العربية . ان غياب أي حوار هادف في الماضي ناشىء جزئيا عن هذه القراءة المتبادلة لنوايا كل من فريقي النزاع .

لم يكن هناك نقص في مساعي التوفيق في الماضي . لقد انبثقت عن هيئة الامم المتحدة لجنة توفيق في العام ١٩٥٠ . ولقد اتخذت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا مبادرات فردية في الخمسينات . وفي أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ قام وسيط الامم المتحدة غونار يارنغ بجهود أخرى ، وكذلك في ١٩٧٢ بواسطة بعثة رؤساء الدول الافريقية . ولم ينجح أي من هذه الجهود في التوصل الى التسوية المنشودة . وفي أعقاب حرب أكتوبر ، جاءت آخر المساعي وتولتها هذه المرة الولايات المتحدة الامريكية عبر وزير خارجيتها . ولقد خلقت هذه المبادرة حتى الآن* آمالا باحتمال أن يصبح هذا النزاع الذي طال ، وأخيرا ، قابلا للحل . وعلينا أن ننتظر لنرى كيف ستتطور الامور ، لكن الحاسم والملح في هذه اللحظة ، هو أن نعي فرضيات ونوايا الوسيط ، كي نفهم طبيعة التسوية التي قد يتم الوصول اليها .

على أنه ينبغي التوكيد في هذا المقام بالذات ، على أن السياسة الخارجية لدولة عظمى ليست بالضرورة انعكاسا لافكار رجل واحد وجهوده . ذلك ان المصالح الاساسية للدولة العظمى ضمن واقع عالمي متغير ، أقوى وأبقى بكثير من ميول أي وزير للخارجية .

ومع ذلك فان وزراء الخارجية الامريكيين في الماضي ، خلفوا وراءهم علامات مميزة على عملية رسم السياسة وتطبيقها ، وفي كثير من الاحيان كانوا المقررين لنهج السياسة التي تسلكها الدولة العظمى . ولا حاجة بنا لان نشير الى أن رؤيا وزير الخارجية دالس للعالم ساهمت في الاستقطاب الحاد الذي شهده المجتمع العالمي ، وقادت الولايات المتحدة الى أن تنظر بامتعاض الى مجهودات اللامنحازين ، والى تبني سياسة الهوس بالاحلاف والتهديد بالانتقام الواسع النطاق .

وبالرغم من أن وزير الخارجية كيسينجر أكثر ميلا الى الدبلوماسية الشخصية مما كان عليه وزير الخارجية دالس ، فانه لا ينبغي افتراض ان أسلوبه غير قابل للتحدي أبدا ، او أن فرضياته هي الفاصلة . ذلك لان من الجلي ان ضغوطات من أجل تسوية تفاوضية تكون مقبولة لدى العرب ، قد وجهت من جماعات داخلية ، وهي جماعات مؤثرة في المجتمع الامريكي . ومن البيّن أن الشركات المتعددة الجنسيات والقطاع المصرفي ، قد مارست ضغوطا هائلة في هذا الاتجاه . ومع ذلك فان مكانة كيسينجر على امتداد السنوات الماضية ، والدور المنفرد الذي لعبه في التعامل مع الشرق الاوسط يسوغان اهتمامنا بنمط التسوية التي يتخيلها ، والفرضيات التي تهدي خطاه في جهوده نحو تلك التسوية .

---

* كتب هذا المقال قبل ظهور نتائج مساعي كيسينجر الخائبة من أجل تسوية مرحلية أخرى في سيناء .

[٣]

ينبغي النظر الى مساعي كيسنجر الحالية ، والسياسة التي تمثلها ، في ضوء خلفية سياستين مترابطتين انتهجتهما الولايات المتحدة في الماضي وكان لهما نتائج مختلطة .

السياسة الاولى كانت أساسا سياسة مجابهة . وكانت قاعدة هذه السياسة ، فرضية ان القومية العربية كما تجسدت في السياسة النشطة للرئيس الراحل جمال عبدالناصر (وهي سياسة السعي لتغيير معتدل للبنية الداخلية للعالم العربي ، من بنية تبعية (غير مستقلة) ، وذات قاعدة زراعية ، واقطاعية ـ رأسمالية في نمط الانتاج ، وممزقة سياسيا ، الى بنية أخرى استقلالية ، تصنيعية ، اشتراكية في الاساس ، مع تحقيق درجة ما من التماسك السياسي) شكلت تهديدا خطيرا للمصالح الغربية ، وبالتحديد الامريكية ، الاقتصادية والاستراتيجية في الشرق الاوسط .

ان التعاظم المستمر في مكانة عبد الناصر في العالم العربي ، واندفاعه الدينامي واصراره على أهدافه ، استتبع بالضرورة التزاما مصريا وعربيا جديا بالكفاح الفلسطيني ضد الصهيونية واسرائيل . أضف الى ذلك ، ان رؤيا القوميين العرب والتعهدات الداخلية كلاهما استلزما انتهاج سياسة دولية نشطة ، تتعاون مع دول النظام الاشتراكي وتدعم بصورة فعالة حركات التحرير على امتداد العالم برمته . وكان من المنطقي أن تعارض مثل هذه السياسات نظام الحكم الغربي الاستعماري .

على الرغم مما شهدته السياسة الامريكية على امتداد العقدين المنصرمين ، من تعرجات ، فان خط المجابهة الذي رسمته بقي ثابتا . ان الجهود الدؤوبة التي بذلها صانعو السياسة الامريكية بحثا عن حلفاء داخل العالم العربي ، بما في ذلك اقامة نظام تحالفي جهيض ، ودعم اسرائيل والاعتماد عليها كمعقل محتمل ضد الاندفاع القومي العربي الفعال ، وفرض العقوبات على الانظمة العربية النشيطة ايديولوجيا ، وزرع الاشواك في طريقها ، كل هذا يكشف بوضوح عن خط المجابهة المشار اليه .

استلزم خط المجابهة قيام الولايات المتحدة بمساندة هجمات اسرائيل على الدول العربية ، ومساندة الانظمة التي كانت موضع تهديد الانظمة القومية العربية . ان حرب حزيران ١٩٦٧ ، وسياسة العداء المكشوف التي انتهجتها الولايات المتحدة في أعقابها ، كانت تصعيدا مثيرا لسياسة المجابهة . وكانت الغاية النهائية لهذه السياسة ، تقويض ومن ثم تدمير جميع أنظمة العالم العربي ذات الهوية القومية ـ الاصلاحية .

وتضمنت الفرضية الثانية الكامنة وراء خط الولايات المتحدة المجابه ، عنصرين متناقضين : فمن ناحية كان الافتراض أن التعهدات العربية للفلسطينيين أو بدعم الانظمة المنخرطة في الصراع مع اسرائيل ، هي تعهدات مطلقة أو ثابتة . ومن الناحية الاخرى كان الافتراض خلال حرب حزيران ١٩٦٧ وما تلاها ان مثل هذه التعهدات العربية كانت تخضع في الواقع للمساومة من قبل تلك الانظمة التي استشعرت خطر القوميين ، وكان الافتراض ان هذه الانظمة سوف تذعن للامر الواقع الذي سوف يحط من قوة وخطورة القوميين بقيادة عبدالناصر .

ان حقيقة اخفاق هذه الانظمة في توجيه أي ضغط على الولايات المتحدة في السنوات القليلة التالية لحرب حزيران ١٩٦٧ ، كان ينظر اليها باعتبارها دليلا ساطعا على ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، على جديته ، يوازيه في الوقت عينه نزاع عربي داخلي يعادله في الجدية . وهكذا أتيح للولايات المتحدة امكان ممارسة سياسة المجابهة المباشرة مع القوميين ، مع قدرتها في الوقت نفسه على تزويد اسرائيل بالعون

الاقتصادي والعسكري دون خشية المجازفة بأية عقوبات قد تفرضها عليها تلك الدول العربية حيث تقع المصالح الاقتصادية الامريكية .

والسياسة المساعدة الثانية التي انتهجتها الولايـات المتحدة خلال هذه السنوات نفسها ، تمثلت في التحالفات الانتقائية مع أنظمة حكم كان المعتقد أنها موضع تهديد من القوميين العرب . ان تقوية الاردن امام بروز تهديد حركة المقاومـة الفلسطينية ، وتقديم الدعم للعربية السعودية ، وتعزيز قوة ايران ، ودعم عُمـان ضد الجبهـة الشعبية لتحرير عمان ، هذا كله يكشف أن التقويم الامريكي للعالم العربي انه عالم ممزق ، وان لكل من دوله مصالحها الخاصة ، ومخاوفهـا الخاصة ، ومشكلاتهـا الخاصة .

من هذه الزاوية ، فان هذه الانظمة ، بالرغم من حرصها الى حد ما على توفير حل للنزاع العربي ـ الاسرائيلي وفق شروط تكون مقبولة لدى خصوم اسرائيل من العرب، فانها ـ هذه الانظمة ـ مستعدة للتعاون مع الولايات المتحدة ، برغم دعمها الشامل لاسرائيل ، وذلك مقابل ما ستحصل عليه هذه الانظمة من مساندة امريكية في الصراع العربي الداخلي .

لقد أخفقت هذه السياسات على امتداد الاعوام في تحقيق غايتها الاساسية ، وهي شل ناصر مصر . ومثل ذلك كان فشلها في انهاء النزاع العربي ـ الاسرائيلي بنـاء لشروط لصالح اسرائيل . ومع ان القوة المصرية والنفوذ المصري في العالم العربي قد انحسرا بصورة كبيرة للغاية بعد حرب حزيران ، فلقد بقيت مصر قادرة على أن تكسب الدعم للفلسطينيين وقضية كفاحهم ، ولسياسة دفاعية لمواجهـة ترسيخ الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . ان المشاركة السوفياتية المتعاظمة في النظام الدفاعي في مصر ، مكن الاخيرة من الصمود أمام الضغط الامـريكي / الاسرائيلي المشتـرك والمتواصل .

أخفقت السياستان في منع النزاع العربي ـ الاسرائيلي من الانفجار في ١٩٧٣ ، وهذا هو الأسوأ ، ان معاداة الولايات المتحدة تزايدت في مناطق كانت فيها خافتة بعض الشيء . وكان الحظر العربي على النفط في اكتوبر ١٩٧٣ ، نذيرا بتدهـور لاحق في علاقات جميع الدول العربية بالولايات المتحدة ، وأكد بجـلاء كاف مركزية النـزاع العربي ـ الاسرائيلي بالنسبة لمجمل الهيكل السياسي للعالم العربي . ولهذا تطلبت الحاجة وضع سياسة جديدة من شأنها أن تؤدي الى تسوية شامـلة والى اصلاح العلاقات مع جميع الدول العربية كهدف عاجل .

[٤]

تستهدف السياسة الامريكية المعدلة ، تثبيت أوضاع المنطقة بتوفير الشرعية لنظام الدول بأسره ، واذا أمكن تأمين هذا الاستقرار « يصبح من الممكن لجميع الدول أن تضبط خلافاتها في اطار النظام بدلا من الاطاحة به »(١) . يبدو ان تفسـير الدكتور كيسينجر للنزاع العربي ـ الاسرائيلي كما يتجلى في الخطوات التي اتخذها توصلا الى حله ، يعزو عدائية اسرائيل وانفلاتها الى حد كبير ، الى افتقاد اسرائيل الى الشرعية داخل العالم العربي . وعلى هذا فان الواجب الرئيسي للسياسة الامريكية هو تأمين الشرعية لاسرائيل التي طالما سعت لنيلها دون جدوى . ولقد قامت السياسة الامريكية منذ حرب اكتوبر على فرضية مؤداها ان تأمين الشرعية لاسرائيل أمـر في متناول

الامكان . وفي حال تحقق هذه الشرعية ، يصبح من الممكن لاسرائيل أن تفاوض الدول العربية حول النزاعات الاقليمية .

ومع ذلك فان اسرائيل انتهجت حتى الآن سياسة خارجية تمزيقيــة في المنطقة ، بسبب احساسها بالتهديد . او بلغة كيسينجر ، فان اسرائيــل انتهجت « سياسة خارجية ثورية ، لكن هدفها قد يكون دفاعيا . انهـــا قد تكون حقا مخلصة في ما تعلنه من الاحساس بالخطر . لكن السمـــة المميزة للسلطة الثوريــة ليس كونها تشعر بالتهديد . . . بل ألا يوجد ما يكفل توفير الطمأنينة لها . ان الامن المطلق — تحييد الخصم — هو وحده الممكن اعتباره ضمانة كافية ، وهكذا فان رغبة دولة واحدة بالامن المطلق تعني عدم الامن المطلق لجميع الدول الاخرى »(٢).

ان تاريخ العلاقات بين الدول العربية واسرائيل هو أساسا تاريخ التصادم بين دول تنتابها المشاعر القلقة لافتقاد الامان . ان سياسة اسرائيل في السيطرة المطلقة المنطلقة من اعتباراتها الامنية ، حالت دون وصول فريقي النزاع الى أية صيغة للتسوية . وعلى هذا فالواجب الآن هو التفاوض من أجل تسوية كفيلة بتوفير ما تفتقده اسرائيل من احساس بالامن ، انما دون أن تكون التسوية قائمة على مفهوم السيطرة . وكون دكتور كيسينجر قد سعى للتوصل الى تسوية بين الفريقين المتصلين بالنزاع يكشف بوضوح ان تفسيره للاحتياجات والمطالب المصرية يقوم على الاساس ذاته .

منذ عدة سنوات ، يلاحظ مراقبون ان مصالح مصر الاساسية قد تحولت بصورة بارزة . لقد قيل انه بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، بدأت الطبقة التكنوقراطية والنخبة الصانعة للسياسة المصرية ، بالضغط من أجل سياسة التنمية الداخلية التي عرقلها في الماضي انغماس مصر المباشر في شؤون العالم العربي وعلاقاتها العدائية مع الغرب . ان التراخي المتدرج لسياسة عبدالناصر النشطة في العالم العربي، وتوصله الى التفاهم مع منافسيه وخصومه السابقين — مع ان هذا كان نابعا جزئيا من رغبته في الحصول على مساندتهم السياسية والمالية لدفاع مصر عن نفسها امام اسرائيل — والتشديد على هذا الخط في عهد الرئيس السادات ، أوجد وهما بأن مصر مهيأة ، في ظل ظروف معينة ، لفك ارتباطها بالنزاع العربي — الاسرائيلي . وان هم الوسيط اذن ، هو أن يدبر تسوية تستهدف اعادة الكرامة الى مصر ، وفي الوقت نفسه توفير أمنها .

ومع ان تطور سوريا وارتباطاتها تختلف عن مصر ، الا أنه تم التوصل الى تشخيص مماثل لوضعها . لقد كان هناك توكيد على ان التزام سوريا المطلق بالكفاح الفلسطيني، هو دالة على رفضها للتجزئة السياسية في العالم العربي ، وهي تجزئة ناتجة عـــن تأثير الكولونيالية الاوروبية . ومن ثم فان عداء سوريا لاسرائيل يمثل جزئيا دفاعها عن الوطن القومي العربي . ومع ذلك فان صانعي السياسة الاميركية يظنون بأن تطور السياسات السورية في العقد المنصرم يدل على ان سوريا توصلت الى التفاهم مع الحقائق الجديدة في العالم العربي ، وهي حقائق تعطي الشرعية للدول القائمة .

وبهذا يصبح جليا ان مقاربة كيسينجر للنزاع تقوم على محـــاولة لتلبية معقولـــة للآمال الوطنية لمصر وسوريا — طالما تميزت عن آمال أشقائهم من العرب — بأسلوب ذي شقين : من جهة اعادة كرامتهما برد مناطقهما المحتلة من قبل اسرائيل، ومن الجهة الأخرى بالاستجابة الايجابية لحاجاتهما للنمو الاقتصادي عبــر المساعدة الاميركية الاقتصادية المباشرة والاميركية — العربية . ان اتفاقيات فصـــل القوات ، ومتابعة السعي من أجل اتفاقيات مؤقتة أخرى تستهدف تحقيق انسحابات اسرائيلية أخرى ، تمثل مجهودات للفصل بين فريقي النزاع والمباعدة بينهما بصورة كافية لتبديد المخاوف

من هجوم عسكري . ومهما كانت الصيغة التي ستتبلور فيها الاتفاقيات ، فمن الواضح بصورة معقولة انه لا بد من تجريد المناطق التي تنسحب منها اسرائيل من السلاح ، ووضعها تحت رقابة محايدة .

بهذا الاسلوب يمكن اصابة عدة عصافير :

أولا : الامن لاسرائيل وللدول العربية .

ثانيا : رد الكرامة الوطنية للدول العربية باجلاء القوات المحتلة .

وثالثا : صيغة ما من الشرعية السياسية لاسرائيل .

وسوف تكافأ الدول العربية بالعون الاقتصادي والرساميل الخارجية المشتركة المنشودة بلهفة من أجل التنمية الداخلية الاقتصادية والاجتماعية . ان كون مصر قد عدلت سياستها الفعالة تجاه دول شبه الجزيرة العربية وتجاه الولايات المتحدة الامريكية ، ييسر حصولها على ذلك العون الاقتصادي الذي كان عبد الناصر قادرا على جلبه من الاتحاد السوفياتي . ان تحولا أساسيا في الخط الوطني للدول العربية التي ستنسحب اسرائيل من اراضيها ، هو اذن احد الاهداف الرئيسية التي تريد السياسة الامريكية الوصول اليها ، الامر الذي قد يغري اسرائيل بالتخفيف من سياستها السابقة ازاء العرب القائمة على السيطرة .

[٥]

اذا كان تحقيق اتفاقية قد ينتج عنها اسباغ الشرعية التي تريدها اسرائيل امرا ليس بالعسير من ناحية نظرية ، فان توجه مصر العربي يلقي عثرات ذات شأن في طريق تسوية كهذه . ان ارتباط مصر بالفلسطينيين تاريخي ، ولقد كان من المفهوم بجلاء ان التزام مصر ذاك ، يستوجب منها القبول بما يبلوره الفلسطينيون لانفسهم من اهداف وطنية ، ومع ذلك لوحظت بعض التبدلات في السياسة المصرية في السنوات القلائل الاخيرة . فمن ناحية بدأت وسائط الاعلام المصرية باثارة شكوك حول معقولية وامكان تحقيق الاهداف الوطنية الفلسطينية كما قررها المجلس الوطني الفلسطيني . ومن ناحية أخرى قيل ان المناخ الدولي لا يسمح بتحقيق هذه الاهداف الوطنية ، ومن ثم فانه يفرض على قدرة العرب لتحقيقها ، قيودا مهمة .

عندما أعلنت مصر استعدادها للقبول باسرائيل كدولة ، اصبح من المستحيل عليها ان تقف وقفات متناقضة : وقفة تقبل بوجود دولة اسرائيل ، ووقفة أخرى تلتزم فيها بدعم الهدف الوطني الفلسطيني وهو تحرير فلسطين . ومن هنا طرحت مصر موضوعة دولتين شرعيتين في فلسطين ضمن حدود الانتداب السابق . ولقد غدا واضحا بصورة متزايدة ان استعداد مصر للتفاهم مع اسرائيل — مهما كان شكل التسوية المصرية — الاسرائيلية يتوقف على تحقيق الاهداف الفلسطينية بانشاء دولة في أجزاء من فلسطين . ان الضغط الذي مورس منذ حزيران ١٩٧٣ ، لاقامة دولة فلسطينية مستقلة في اجزاء من فلسطين ، يرتبط اذن بصورة مباشرة بالجهود المبذولة لانجاز تسوية مصرية — اسرائيلية . ومن زاوية النظر هذه ، ان مصر هي مفتاح التسوية . ومهما راودت سوريا من شكوك ، تفترض اميركا انها لن تخاطر بالبقاء وحيدة في الكفاح ضد اسرائيل . وهكذا فان تسوية ما بين اسرائيل وسوريا مرهونة بالترتيبات الجديدة لعلاقات القوى التي ستنبثق عن اتفاقية مصرية — اسرائيلية محتملة .

وهكذا غدت مشروعية المطامح الفلسطينية مسألة مهمة في السياسة الامريكية . وكان من رأي البعض في وقت من الاوقات ان مصر قادرة على الوصول الى اتفاقية منفردة مع اسرائيل ، لكن الحقيقة الساطعة هي ان اية اتفاقية تعجز عن تلبية بعض المطامح الفلسطينية ، لن تنال اية تزكية . ان الضغط العربي المشترك لن يسمح بوجود مثل هذه الاتفاقيه . واكثر من ذلك ، ان الالتزام القوي لبعض الدول العربية بالمطامح الفلسطينية ، واستعداد اخرين لاجراء تسوية معقولة لمسألة القدس ، يمنعان وصول تسوية ثنائية بين مصر واسرائيل الى نهاية الشوط .

وفيما أصر البعض على ان تحقيق تسوية بين اسرائيل والاردن قد يحل اشكالا معينا ، فان اتفاقية كهذه سوف تؤدي الى اطالة أمد النضال الفلسطيني ، وقد تتسبب في عواقب يصعب التنبؤ بها تؤثر على الاستقرار في المنطقة . ولهذا من المعتقد ان اسباغ الشرعية على المطامح الفلسطينية ، الامر الذي يمكن الولوج اليه بخلق دولة اقليمية في اجزاء من فلسطين ، قد ينتج دولة فلسطينية محكومة بتعهدات ، دولة سترسي القواعد الضرورية الملائمة لنظام سياسي مستقر . وهكذا يغدو تحويل خط سير المقاومة الفلسطينية الى دولة فلسطينية ، غاية مهمة لتحقيق تسوية نهائية تمنح الشرعية لمجمل النظام السياسي في المنطقة .

وكما يفترض ان يكون لاسباغ الشرعية على اسرائيل ضمن العالم العربي تأثير مهم على سياسة اسرائيل التمزيقية السابقة ، يفترض أن يكون لاسباغ الشرعية على الفلسطينيين ـــ بالمثل تماما ـــ الى مجتمع فلسطيني اكثر اعتدالا . ويجب أن نعيد الى الاذهان ان احتواء الدفع الثوري في العالم العربي ، كان باستمرار هدفا عزيزا على قلب السياسة الخارجية الامريكية . وبناء لذلك الهدف ، فان تلك السياسة عملت طيلة السنوات القليلة المنصرمة اما لتصفية او لتحويل الثورة الفلسطينية . ان تعزيز الولايات المتحدة العسكري لاسرائيل في جهودها لتدمير المقاومة الفلسطينية ، ودعمها للاردن ، ومساعيها الماكرة في لبنان ، ذلك كله استهدف انهاء الثورة الفلسطينية . الا ان التغير التدريجي في الموقف الامريكي الذي يمكن ملاحظته في العامين الماضيين ، باتجاه الاستجابة لاحد المطامح الفلسطينية ، والذي استدعى بقوة تناولا مختلفا للمسألة الفلسطينية ، سوف يؤدي الى ضغط على اسرائيل والاردن معا . ومع انه لا يجري الاعتراف على نطاق عام بهذا التغير في الموقف الامريكي ، الا ان من الجلي تماما من التصريحات الرسمية المؤيدة « لمصالح » الفلسطينيين ، وهي مصالح « يجب ان تنسجم من تماشي التسوية » ، ان اصحاب فكرة اقامة دولة فلسطينية في اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، نجحوا في اقناع صانعي السياسة بأن هذه الدولة ضرورية لاضفاء قدر من الشرعية على بعض المطامح الفلسطينية ، بغية ارساء دعائم الاستقرار في المنطقة . ومن هنا كانت الضغوط على اسرائيل من اجل ان « تتعامل » مع الفلسطينيين .

ولقد كان هناك ايحاء في وقت مبكر ، بان كل طرف من أطراف النزاع تنتظره بعض المكافآت ، بحيث ان كلا من الفرقاء أصبحت له مصلحة ما في تسوية تفاوضية . ما الذي يمكن ان يكسبه الفلسطينيون من سياسة قد تعترف بمشروعية بعض مطامحهم لاكلها ؟ يدافع البراغماتيون عن هذا التوجه بقولهم ان منافع الدولة هي في تقديمها حلا لمسألة الهوية الوطنية والمشكلات الانسانية الناشئة عن التشرد . وعلى القدر نفسه من الاهمية ، مسألة ما يمكن ان يكون مصير الفلسطينيين فيما لو لم تخلق دولة فلسطينية ، لان من الجلي تماما انهم في أحسن الاحوال لن يواجهوا سوى سياسة « الاهمال اللطيف » ، الامر الذي سيجعلهم في وضع لا يختلف كثيرا عن الوضع الذي

كان سائدا بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وربما يدرك الفلسطينيون ان اقامة دولة في أجزاء من فلسطين تمثل أمل النجاة الوحيد لانقاذ هويتهم الوطنية .

وفيما يلي تحليل دكتور كيسنجر لمأزق مماثل تواجهه دولة مهزومة ، وهو تحليل قد يكون مناسبا ايراده بالنسبة للمأزق الذي يواجه الفلسطينيين . انه يتحدث عن الخيار الذي قد تلجأ اليه دولة مهزومة . انه يلاحظ انها « قد تتوصل الى الاقتناع بعمقها الطبيعي فتناضل لانقاذ وجودها الوطني وذلك بالتكيف مع الفريق المنتصر . ان هذه ليست بالضرورة سياسة بطولية ، الا انها في ظروف معينة قد تكون اكثر السياسات بطولة على الاطلاق . أن تتعاون دون أن تفقد الروح ، ان تساعد دون ان تضحي بذاتيتها الخاصة ، أن تعمل من اجل انعتاقها وهي في رداء العبودية وفي ظل تكميم الافواه ، فهل هناك أي اختبار أقسى من هذا للصلابة الخلقية ؟ »(٣) هل في وسعنا أن نفترض ان السياسة الامريكية ازاء الفلسطينيين اليوم ، تستهدي بهذا التقييم ؟

[٦]

وهكذا تصبح شروط وغايات تسوية نهائية ، واضحة : **أولا** ، ان تسوية كهذه يقيض لها ان تضفي الشرعية على اسرائيل والفلسطينيين ، ليصبح كلاهما أعضاء في نظام الدولة في الشرق الاوسط . **ثانيا** ، ان الاقاليم العربية التي يراد اجلاء اسرائيل عنها ، تصبح حاجزا لفترة من الزمن ، وبذلك ضمان للامن المتبادل لجميع الفرقاء . **ثالثا** واخيرا ، تضمين التسوية اتفاقية وضمانة عامتين للامن المتبادل لجميع دول المنطقة . ومع ان تسوية كهذه سيتم التوصل اليها اخيرا بين دول المنطقة نفسها ، فان كفالتها قد تأتي أولا من الولايات المتحدة الامريكية وربما من الاتحاد السوفياتي . ويبقى السؤال الذي يستحق البحث عن جواب : هل يمكن لتسوية مؤسسة على هذه الفرضيات والشروط ان تمر في العالم العربي المعاصر ؟

ان سياسة امريكية تقوم على ضم عدة دول عربية ، انما ليست جميعا ، الى نادي أصدقائها ، ستواجه بالتأكيد مصاعب جدية . ولسبب وحيد ، ان الدول التي آثرت انتهاج الصراع طريقا للتسوية النهائية ، تمتلك القدرة ضمن نظام الدول العربية لتسبب تمزيقا خطيرا .

في ظل هذا التواجد المتزامن لدول تنتهج أساليب متباينة ، لا يكون التأثير الثوري للجهد القومي السابق ولحركة المقاومة الفلسطينية قوة خائرة . وقد تفترض السياسة الامريكية ان الثروات الجديدة في العالم العربي ، واستراتيجية التنمية التي تتبناها النخبات التكنوقراطية الجديدة ، سوف تقود الى التسليم بالنهج البورجوازي للتنمية . على ان ما هو واضح ان الثروة الجديدة ، غير الموزعة بالتساوي بين الدول العربية ، وغير الموزعة او المنتفع بها بالتساوي داخل كل دولة منها ، ستخلق بالضرورة تناقضات أقوى داخل كل مجتمع عربي . ان كون الانظمة السياسية في العالم العربي قد قبلت استراتيجية للتنمية تستوحي أساسا النمط الاوروبي/الامريكي ، في وقت تشتد فيه الحاجة الى تغييرات جسورة وجذرية في البنية القاعدية للمجتمع العربي ، هذا الامر سيفرز في الوقت الملائم اتجاهات جديدة للحركة الثورية العربية التي تنشد الاستقلال الكامل . اي ان تلك الانظمة التي تبدي استعدادها للموافقة على استلاب جزء مهم من الوطن العربي ، وعلى اضفاء الشرعية على الدولة التي ظهرت في ذلك الجزء ، سوف تؤدي ببساطة الى اذكاء اضافي لشعلة السخط والاستياء .

ان الرؤيا الامريكية لنظام سياسي شرعي في المنطقة ، يتألف من دول ذات سيادة ملتزمة بالحفاظ عليها ، وينهج كل منها ما كان قد جرى تعريفه على أنه مصالحها « الوطنية » بالترادف مع المصالح الامريكية ، يبدو منطقيا بما فيه الكفاية ، لكن العالم ليس عالما ميكانيكيا يتألف من مجموعة من الالات التي تنتظم في مواضعها باحكام . ان مخططات امريكية اخرى لخلق نظام سياسي مستقر تحولت الى هباء : في كمبوديا ، وفيتنام ، واليونان ، والبرتغال ، واثيوبيا ، وقبرص . فلماذا يمكن ان يكون العالم العربي ، هذا العالم الذي تمرس في العقدين المنصرمين باختبارات ايديولوجية وتكوينية ذات شأن ، ان يكون استثناء ؟ ان تسوية من الطراز الذي شرحناه آنفا ، مع انها قد تبدو على المدى القصير جدا قابلة للحياة ، ستفرز بالتأكيد ، وفي النهاية ، نقيضها الجدلي الخاص .

---

١ ــ هنري كيسنجر ، **عالم مرمم** ، بوسطن : هيوتن ميفلن ، ١٩٥٧ ، ص ٥ .

٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢ .

٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٩ .

في سبيل حظر عالمي على تصدير الاسلحة الى اسرائيل

الدكتور محمد عادل الزعيم

لن يطول الزمن حتى تتوضح للرجل العادي في مختلف بقاع الارض فداحة الخطأ التاريخي الذي تتحمل مسؤولياته المجموعة الدولية كلها بترك الكيان الصهيوني « اسرائيل » ينمو ويتوسع على صورة دولة بغير حدود في منطقة حيوية هي من أهم مناطق العالم استراتيجيا واقتصاديا وحضاريا وروحيا ، فقد تطور هذا الكيان ، في داخله وفي خارجه على السواء ، ضمن مناخ المؤامرة والمغامرة وانتهاك الحقوق والاستهتار بكل ما توصل اليه العالم المتمدن من قيم ومبادىء ، وما زال يشكل بؤرة للعدوان والاضطراب والفساد وتهديد السلم والامن ليس في منطقة الشرق الاوسط وحدها بل في العالم كله .

وقد بدأت تظهر بوادر **الانفصام** بين الكيان الاسرائيلي وبين ما تعارفت عليه شعوب العالم من صفات « الدولة » وقيامها بما تفرضه المواثيق الدولية من واجبات ، فواجهت اسرائيل بصورة فعلية خلال التصويت الرسمي على قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية (دورة ١٩٧٤) ، وعلى صعيد المواقف المنفردة للدول ، الملامح الصارمة لوجه المجتمع الدولي الذي ساءته تصرفات اسرائيل واستنكر أعمالها وأمرها باعادة الحق الى نصابه وتنفيذ متطلبات العدل والامن .

لا شك ان التطور الجديد في الرأي العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية يرجع في جزء كبير منه الى تعاظم الاحساس بمبادىء الحق وقواعد العدالة ، ولكنه لا يمكن ـ الى جانب ذلك ـ نكران **ادراك الدول ـ حكومات وشعوبا ـ للمخاطر العالمية** التي نشأت والتي ستنشأ عن مظاهر « الشخصية الاسرائيلية » ككيان دولي قائم على الغزو والعدوان والعنف ، وكخلية استعمارية لها أطماعها القديمة الجديدة وارتباطاتها العضوية مع الصهيونية العالمية . ويضاف الى ذلك كله استخفاف اسرائيل بالمجتمع الدولي واستهتارها **بقرارات الامم المتحدة** ورفضها الثابت والمستمر لموجبات السلم والعدالة في المنطقة .

ولعل أهم مظاهر الاستهتار الاسرائيلي بمبادىء السلم والامن الدوليين صدور تهديدات رسمية عن الحكام الاسرائيليين **باستخدام الاسلحة النووية** في حرب مستقبلة في الشرق الاوسط ، وقيام اسرائيل بتجميع كميات هائلة من **الاسلحة المعروفة وغير المعروفة** استعدادا لاشعال حرب كبيرة مدمرة قد تلهب العالم كله ، وليس ذلك بالامر الذي يمكن لشعوب العالم ان تتهاون في عدم اعارته ما يستحقه من الاهتمام والحذر لانه سينسف بناء السلام الذي ظلت تعمل على تشييده حجرا حجرا منذ أن وضعت الحرب العالمية الاخيرة أوزارها .

وقد حدا هذا الادراك الواسع للخطر المحيق بالسلام العالمي بدول كثيرة كانت في الماضي أداة طيعة للخطط الامبريالية — الصهيونية لان ترفض استمرار الخضوع **للتحالف الاميركي — الاسرائيلي** ، فكشفت بجرأة وصراحة عن مواقفها المناهضة لسياسة العدوان والعنف والمؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني ، بل أصبح موقف أكثرية الدول الاوروبية — وهذا تطور هام في تاريخ القضية الفلسطينية — مخالفا لموقف الولايات المتحدة الاميركية في منح الدعم المطلوب لاسرائيل وتهيئة غطاء دائم لها من الحماية السياسية والعسكرية اقوى كثيرا من كل ما يمكن تصوره من اشكال التحالف المعروفة في العلاقات الدولية .

وانعكس هذا الادراك على صيغة الروابط الدولية المعروفة من قبل ، سواء من حيث اتساع الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني أمام مختلف أشخاص القانون الدولي ، أو من حيث علاقة العالم العربي المتضامن في مواجهة الخطر الاسرائيلي مع الكتل والدول والمنظمات العالمية ومؤتمرات الشعوب ، وأصبحت **القضية الفلسطينية** مرتبطة بصورة اكثر تلازما واشد وضوحا مع مسائل انهاء الاستعمار ومكافحة التمييز العنصري واحترام حقوق الانسان والاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها — ليس على الصعيد الفكري والعاطفي بل على الصعيد القانوني أيضا — مما يعتبر نصرا كبيرا لهذه القضية على مستوى الامم المتحدة والتزامات الدول الاعضاء بمبادئها وادانة كاملة للكيان الصهيوني **لمخالفته احكام الميثاق وخروجه على القواعد والاعراف الدولية وامتناعه عن تنفيذ مقررات الهيئة الدولية .**

ونتيجة لهذه التطورات كلها على صعيد الرأي العام العالمي وعلى صعيد مهمات الامم المتحدة وصلاحياتها فقد أصبح لزاما على المجتمع الدولي ، بموجب مقتضيات النظام العالمي المتمثل في ميثاق الامم المتحدة ، وتنفيذا لمبادىء القانون الدولي والاعراف الدولية ، ان يبحث عن **وسائل قسرية** تكبح جماح اسرائيل وتضعها في المكان الذي يمكن فيه حفظ الامن والسلم الدوليين واحترام المواثيق الدولية وتنفيذ القرارات الصادرة عن الامم المتحدة وخاصة مسألة انسحابها من الاراضي التي احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني .

لقد طالبت أصوات كثيرة بفرض « عقوبات اقتصادية » على اسرائيل ، وقاطعتها فعلا على صعيد العلاقات الثقافية منظمة دولية كبرى هي الاونيسكو المنبثقة عن الامم المتحدة ، نتيجة استهتار الحكام الاسرائيليين بحقوق الانسان وبالقيم الروحية والثقافية للشعب الفلسطيني وللارض الفلسطينية — ولكن التعنت الاسرائيلي يحتاج الى تدابير اكثر زجرا واشد فعالية وخاصة في موضوع **ردع اسرائيل عن العدوان المسلح** . فالامر الذي يجب ان يستأثر باهتمام المجموعة الانسانية ، كتلا دولية ومنظمات وشعوبا وحكومات — هو مسألة تقليص التسلح الاسرائيلي المتزايد المقترن بالتهديد العسكري المستمر والحصول على اكثرية كبيرة من الدول تلتزم **بعدم مد اسرائيل بالعتاد الحربي** وما يتفرع عنه من مساعدات فنية وخبرات عسكرية ومواد استراتيجية . ان مثل هذا الحظر العالمي — متى توفرت امكانيات تحقيقه — سيقوم بجانب كبير من مهمة الردع المطلوب ، لان بعض الاجراءات الزجرية الاخرى — كالعقوبات الاقتصادية البحتة — قد يؤدي الى خلق ردود فعل سلبية ، وقد تحمل اسرائيل على الاسراع في الحرب ما دامت تملك وسائلها لتغيير المناخ القائم في المنطقة ومحاولة ضرب التضامن العربي واحراز مكاسب عسكرية تعوض سياسيا ونفسيا — وربما اقتصاديا ايضا — عن آثار ومفاعيل الاجراءات المتخذة .

سوف يقال أن مثل هذا الحظر العالمي على تصدير العتاد الحربي الى اسرائيل لن يكون مجديا عمليا ما دامت **الولايات المتحدة الاميركية** ستستمر رغم كل شيء في سد حاجات اسرائيل من الاسلحة والذخائر والمعدات الحربية والخبـرات الفنية في كـل الاوقات ، الهادئة والعاصفة معا ، وقبل المعارك وأثناءها وبعدها ، فما الفائدة اذن من هذا الحظر الذي لن تعترف به الولايات المتحدة ، أكبر ترسانات العالم للاسلحة ؟ ان مثل هذا القول يمكن ايراده على كل صعيد وفي كل ميدان وليس على مسألة الحظر وحدها ، ويمكننا ان نتساءل اذن عن جدوى كل المساعي والجهود المبذولة في أروقة الامم المتحدة وفي المحافل الدولية الاخرى منذ انشاء اسرائيل حتى اليوم : أكان يمكن الاستمرار في بذلها اذا كانت تواجه منذ البداية الشعور بالعجز والاستسلام أمـام معارضة الولايات المتحدة لكل ما يمس اسرائيل . أكان ممكنا قيام حرب تشرين وما حققته من آثار عسكرية وسياسية واقتصادية على مستوى العالم كله ؟ أكان ممكنا الحصول على القرارات الاخيرة للامم المتحدة في دورة عام ١٩٧٤ ؟

لنفترض بالمقابل استبعاد فكرة الحظر العالمي من قبل أكثرية دول العالم ، بما في ذلك الدول الاوروبية المنتجة للاسلحة الحربية والتي أصبح أغلبها مقتنعا بعدالة القضية الفلسطينية او على الاقل بعدم التورط مع الولايات المتحدة في معاداة العالم العربي ، فما الذى يمكن توقعه نتيجة لذلك ؟

اولا ــ سوف تستمر اسرائيل في تأمين جزء مهم من معداتها العسكرية التي لم تكن الولايات المتحدة تقوم ، لسبب او لآخر ، بتوريدها في الماضي الى الكيان الاسرائيلي(١) .

ثانيا ــ سوف تتمكن اسرائيل من متابعة استخدام الاسلحة والمعدات والتجهيزات العسكرية التي كانت قد استوردتها في السنوات الماضية من دول اوربا عن طريق استمرار حصولها على الذخائر وقطع التبديل ولوازم الصيانة والتعمير .. وغير ذلك من المواد اللازمة للاستخدام المفيد للعتاد الذي ما زال يستعمله الجيش الاسرائيلي او ما يزال مخزونا في مستودعاتها (٢) .

ثالثا ــ سوف تعمل اسرائيل على اغراء الدول الاوروبية(٣) والدول الاخرى المنتجة للسلاح في العالم بشراء صفقات مهمة من العتاد الحربي مستفيدة من الازمة الاقتصادية الحالية ، وخاصة البطالة المتزايدة في أكثر الدول الصناعية(٤) .

رابعا ــ سوف يستمر استيراد الخبرات العلمية والفنية والعسكرية الى اسرائيل من الدول الاوربية لخدمة اغراض التسليح الحربي تحت ضغط اغراءات المال (يستوي في ذلك قدوم اليهود الاوربيين أو غيرهم من مواطني الدول الاوربية) .

خامسا ــ سوف تكون بعض المراكز الصناعية والتجارية وخطوط المواصـلات والتسهيلات الجمركية والمؤسسات المصرفية في الدول الاوربية في خدمـة التسلـح الاسرائيلى سواء أقامت بمهمة المحطات او الروافد او كانت مراكز لاعادة التصدير للعتاد المتوجه الى اسرائيل .

سادسا ــ سوف تستطيع اسرائيل ان تناور بصـورة أكثر حرية على مسـتوى علاقاتهـا الاقتصادية والمالية والسياسية مع الدول الاخرى بمـا في ذلك الولايات المتحدة نفسهـا في مقابل حـالة « الاسواق المفتوحة » للعتـاد الحربـي فـي دول اوربـا .

اننا نرى ان الظروف الحالية التي تمر بها القضية الفلسطينية تعتبر مؤاتية من جميع النواحي السياسية والقانونية والنفسية لقيام الدول العربية بمجهود جديد للحصول

من أكثرية دول العالم — وبشكل خاص من الدول الاوربية المنتجة للاسلحة(٥) — على قرارات **بالحظر على تصدير العتاد الحربي الى اسرائيل** رغم الصعوبات الكثيرة الممكن تصورهـا — وهي أمر واقــع يجب مجابهته — نتيجة الدعم الاميركي المطلوب لتسليح اسرائيــل .

ولكي يكون هذا الحظر في خدمة السلام الحقيقي وتحقيق هدفه المشروع المتمثل في ردع اسرائيل عن العدوان والزامها بتنفيذ قرارات الامم المتحدة ، ينبغي ان يكتسي هذا الاجراء ثوب **المشروعية الدولية** سواء من حيث شروط اصداره او من حيث طرائق تطبيقه ، وهذا هو ما سندرسه في النقطتين التاليتين :

النقطة الاولى — وسائل الحصول على حظر عالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل .

النقطة الثانية — اسلوب تنفيذ الحظر العالمي على تصدير الاسلحــة الحربيــة الى اسرائيل .

ونود ان نشير الى ان هذه الدراسة ستقتصر على بحث النقاط الموضوعية المتعلقة بانطباق الحظر العالمي المطروح بحثه هنا على قواعد القانون الدولي وانسجامه مع الاعراف الدولية وحقوق المنظمات العالمية ، فهي أزمة بمثابة بيان لخطة **مجهود حقوقي دولي** اكثر من أن تكون خطة عمل دبلوماسي ، فهذا الميدان الاخير هو المجال التطبيقي المتنوع الاساليب والاشكال للحصول على أهداف محددة بصورة مسبقة ، وبالتالي فــان تنظيم العمل علــى هذا الصعيد يتم بصورة مختلفــة تماما عن منهج هــذه الدراسة .

النقطة الاولى

وسائل الحصول على حظر عالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل

تحت ستار **مبدأ توازن القوى** في الشرق الاوسط استطاعت الولايات المتحدة ودول صناعية اخرى تعمل بتوجيهها وارشادها او تتصرف تحت ضغطها السياسي ان تجعل من اسرائيل ترسانة متخمة بصنوف الاسلحة المتنوعة اللازمة لكل العمليات الحربية البحرية والجوية والبرية ومختلف المواد والتجهيزات والمعدات الضرورية لاعمال جيش « الدفاع » الاسرائيلي في الداخل وتطويق العمليات الفدائية واضطهــاد المواطنــين الفلسطينيين ، وباقي الاعمال الاخرى المتممة للعمليــات الحربية كالاختراق المحدود للحدود العربية المجــاورة والتخريب والتجسس والمخابرات العسكرية والمواصلات وغيرهــا ...

وقد ظهر دور الولايات المتحدة في هذا المضمار واضحا منذ سنين طويلة سواء على صعيد علاقاتها المباشرة بالاحلاف العسكرية التي خلقتها ، وخاصة بدول أوربا الغربية المنخرطة في حلف الاطلسي ، أو بالدول الاوربية منفردة ، كالمانيا الغربية مثلا في مسألة التعويضات الالمانية لاسرائيل(٦)، وحينما انقطعت فرنسا عن امداد اسرائيل ببعض الاسلحة الهامة ، كالطائرات المقاتلة مثلا ، هبت الولايات المتحدة لمساندة اسرائيل واصلاح هذا الخلل مباشرة ، كما انها لم تعد تخشى — بعد حرب تشرين التحريرية — أن تصبح المورد الرئيسي بل الوحيد لتسليح اسرائيل اذا اقتضى الامر ، مــع دعم سياسة التسليح هذه بكل الوسائل المادية والعسكرية والدعائية .

وقد فضح هذا الموقف بصورة حاسمة الاكذوبة الاميركيــة حول **التفاهم الاميركي — السوفياتي** التي ارادت الولايات المتحدة ايهام العالم بوجوده حول مسألة توازن القوى

في الشرق الاوسط ، واصبحت عاجزة اليوم عن الادعاء انها تستطيع ــ بحكم هــذا التفاهم المزعوم ــ أن تحد من كميات وانواع السلاح الشرقي المتوجه لبعض الــدول العربية من الاتحاد السوفياتي ، وانه يمكنها أن تلتزم ــ من جانبها ــ بتحديد أنواع وكميات العتاد الاميركي المصدر الى اسرائيل . ان مثل هذا الادعاء لم يكن عليه اي دليل مادي محسوس ، بل على العكس فان تعبير « سباق التسلح » في منطقة الشرق الاوسط كان يشكل الوصف السائد للوضع منذ سنوات طويلة ، مما ينفي أي اتفاق دولي بين رأس العالم الغربي ورأس العالم الاشتراكي على حدود التسلح في هــذه المنطقة(٧) .

وعلى فرض وجود حد أدنى من التفاهم السياسي الضمني بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة حول حدود التسلح في منطقة الشرق الاوسط ، فان مثل هذا الالتقاء في سياستي الدولتين الكبريين فيما يتعلق بتوازن القوى في المنطقة أصبح مستحيلا بعد أن اثبتت الولايات المتحدة انها لاتقف عند أي حد في امداد اسرائيل بالعتاد الحربي الذي تحتاجه ولو أدى الامر ــ كما حدث فعلا ــ الى فتح مخازن احتياطي الجيش الاميركي نفسه ــ بل تجريد بعض الوحدات العسكرية الاميركية من سلاحها كما كشفت ذلك بعض المجلات الاميركية(٨)لارضاء الاحتياجات الاسرائيلية. ولم يقتصر الامر علىتعويض اسرائيل عن العتاد الضخم الذي فقدته أمام المفاجأة العسكرية العربية منذ الايــام الاولى من حرب تشرين ، بل استمر جسر الامدادات العسكرية الاميركية طيلة الشهور التي تلت هذه الحرب وحتى في الاوقات التي كانت تسمح الولايات المتحدة لنفسهــا فيها بالظهور بمظهر المشرف على احلال السلام في الشرق الاوسط ، والوسيط الرئيسي بين القوتين المتصارعتين .

ان التناقض الاساسي ــ لوجهة النظر القانونية الدولية الصرفة ــ بين التزامــات الحليف المناصر لجهة من جهات النزاع الدولي وبين موقف الوسيط الذي يفترض التجرد والحياد وعدم الانحياز يجعل دور الولايات المتحدة الحالي مثيرا للشكوك خاصة وأنها تقدم بصورة فعلية للرأي العام العالمي صورة مشـــوهة عن استعدادات الفريقـــين المتنازعين للسلام، وتجعل من سياسة « الحل على مراحل » واسلوب «خطوة خطوة» مركبا لوصول اسرائيل لاهدافها في ضرب التضامن العربي وزعزعة جبهـــاته . ولكن الدول العربية ادركت منذ وقت ليس بالقصير عقم الحلول المطروحة وزيف الاســلوب الاميركي في الوصول الى السلم في المنطقة ، وما دام الدعم الاميركي المطلق لتســليح اسرائيل يسير جنبا الى جنب مع المحاولات الدبلوماسية المشبوهة لايجاد حلول جزئية للصراع القائم في منطقة الشرق الاوسط ، فان الولايات المتحدة ستتعرى تدريجيا عن ثياب الوسيط الدولي لتتولى نهائيا التزامات الحليف تجاه متطلبات اسرائيل ومخططاتها العسكرية .

ويبدو ان هم الولايات المتحدة الرئيسي الان ــ في لعبة الوسيط والحليف معا ــ هو كسب الوقت ، وجعل اسرائيل قادرة على الصمود في **معركة جديدة مع العرب** عنــد فشل المحاولات الدبلوماسية الموضوعة طبقا لرغبات اسرائيل . والهدف المباشر الذي تسعى اليه الولايات المتحدة في المرحلة الحاضرة هو تمكين اسرائيل بما يحتويه جوفها من تكدسات السلاح من الاستمرار في المعارك الحربية لفترة من الزمـــن تتراوح بين أسبوع واحد وثلاثة أسابيع دون الاعتماد مسبقا على الجسر الجوي الاميركي الذي قد لا يتمكن من تأدية المهمة المطلوبة في ظروف الحرب ، وضمن المنــاخ الدولي الــذي سيكون قائما حينذاك ، بالاضافة الى ان حرب تشرين اثبتت ارتفـــاع تكاليف هــذا

الجسر ، وأن له بعض التعقيدات الدولية ومنها اضطرار الولايات المتحدة الى أخذ موافقة دول اخرى على مرور العتاد فوق اراضيها او في أجوائها .

وهكذا فان مبدأ توازن القوى المزعوم لم يعد يصلح للادعاء به كوسيلة من وسائل السلم في منطقة الشرق الاوسط ولا يمكن ان يؤدي ، في اية صيغة ، الا لخدمة تنفيذ المخططات الاميركية — الصهيونية . ومن جهة فان تصريحات المسؤولين الكبار في الولايات المتحدة عن الاسراع في اغراق اسرائيل بالاسلحة ، مع الاصرار على عدم التكتم في هذا الامر ، لا ينسف هذا المبدأ من أساسه فقط بل ينبىء عن تمسك الولايات المتحدة بسياسة **ارهاب الدول العربية** ومؤيديها من جهة **وتأزيم الوضع الدولي** ووضعه على حافة الحرب من جهة ثانية .

لذلك كله لا بد من توقع حدوث ردود فعل عالمية كلما تقدم الزمن وبقي الوضع المتفجر في الشرق الاوسط على حاله . وبين ردود الفعل العالمية هذه يأتي بالدرجة الاولى ظهور الحاجة الى الاقلال مما يصل اسرائيل من **وسائل الدمار وآلات العدوان** ، وبالتالي الحصول على موافقة أكثرية الدول الراغبة في السلام العادل على حظر عالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل للحد من عدوانها واجبارها على سلوك طريق السلام .

فالحظر المقصود اذن هو **الحظر الارغامي** الذي يهدف الى اجبار اسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، وبمعنى اخر الزامها بالقيام بالواجبات التي تفرضها قواعد القانون الدولي وموجبات السلم والامن ، وهو يختلف عن **الحظر الوقائي** الذي لا يهدف الى الزجر والمعاقبة بل الى تأكيد التمسك بقواعد الحياد وعدم التدخل بين قوتين تمتلكان قدرا متساويا من الامكانيات الحربية . وهذا الحظر الاخير قد يصلح كمؤيد لمبدأ توازن القوى — لو أنه كان موجودا حقيقة — ولكنه في الظروف الحالية للوضع في الشرق الاوسط لن يكون الا في صالح اسرائيل سواء من الوجهة المادية او النفسية ، لان آثاره ستنسحب أيضا على العالم العربي الذي يدافع عن قضية عادلة اعترف بها المجتمع الدولي نفسه ، في حين تنجو اسرائيل من وصمة العدوان والخروج على ميثاق الامم المتحدة وقواعد القانون الدولي .

ان المبادىء السائدة اليوم في القانون الدولي تجعل من الحظر عملا مشروعا تستطيع ان تقوم به **الدول منفردة** كعمل من اعمال السيادة ، كما يمكن ان تقوم به **المنظمات الدولية والاقليمية** ضد دولة تعتبر تصرفاتها واعمالها خارجة على قوانين المجموعة الدولية وقواعد الامن والسلم الدوليين .

والامثلة على الحظر الذي يمكن أن تقوم به الدول **بصورة منفردة** كثيرة نذكر منها :

— الحظر الذي فرضته بلجيكا وسويسرا على شحنات الاسلحة المتوجهة الى كل من فرنسا والمانيا في حرب عام ١٨٧٠ (وهو من قبيل الحظر الوقائي) .

— الحظر الذي فرضته دول اوربية متعددة على تصدير العتاد الحربي الى اسبانيا خلال الحرب الاهلية الاسبانية من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ (وهو أيضا من اشكال الحظر الوقائي) .

— الحظر السوفياتي على تصدير البترول الى اسرائيل عام ١٩٥٦ عقب الاعتداء الثلاثي على مصر (وهو حظر ارغامي بحت) .

— الحظر الفرنسي على تصدير الاسلحة الى الشرق الاوسط عقب حرب حزيران ١٩٦٧ (وقد دعي هذا الحظر بالحظر الوقائي — الارغامي) .

ـ الحظر الفرنسي على تصدير جميع انواع العتاد الحربي الى اسرائيل في ٣ كانون الثاني١٩٦٩ عقب عدوانها على مطار بيروت الدولي (وهو حظر ارغامي) .

واما **الحظر الجماعي** فقد كانت له في عصرنا الحاضر أمثلة متعددة منها ما تم في ظل عصبة الامم ومنها ما تقرر في ظل هيئة الامم المتحدة ومن ذلك :

ـ الحظر الوقائي الذي فرضته عصبة الامم في عام ١٩٧٤ على تصدير العتاد الحربي الى كل من بوليفيا وباراغواي نتيجة النزاع المشهور بينهما بأسم نزاع شاكو .

ـ الحظر الارغامي الذي فرضته العصبة بعد ذلك ضد باراغواي وحدها لاعلانها الحرب على بوليفيا في قضية شاكو نفسها خلافا لمبادىء عصبة الامم ، في حين رفع الحظر السابق عن بوليفيا .

ـ الحظر الارغامي المفروض من قبل العصبة في عام ١٩٣٥ ضد ايطاليا لقيامها بالاعتداء على الحبشة .

ـ الحظر الارغامي الذي قررته منظمة الامم المتحدة على روديسيا وجنوب افريقيا بسبب سياسة التمييز العنصري وعدم تنفيذ مقررات مجلس الامن والجمعية العامة .

ـ الحظر الارغامي الذي فرضته الامم المتحدة على البرتغال لاستمرار استعمارها لشعب انغولا (في ظل العهد الديكتاتوري السابق) .

ونلاحظ في الامثلة السابقة وجود النوعين المتميزين من الحظر : الحظر الوقائي والحظر الارغامي ، في حين ان الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير السلاح الى منطقة الشرق الاوسط في عام ١٩٦٧ دعي في ذلك الحين **بالحظر الوقائي ـ الارغامي**، وهو حظر كان مفروضا أن يوجه الى اسرائيل وحدها تطبيقا للتحذير الذي كان وجهه الجنرال دوغول الى كل من الفريقين قبل نشوب الحرب بفرض الحظر على الجهة البادئة بالهجوم . بينما ان الحظر الوقائي ـ الارغامي الذي فرضته فرنسا في ٥ حزيران ١٩٦٧ ـ والذي الغته مؤخرا ـ كان يستهدف اسرائيل وكلا من مصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق والكويت والسعودية . وكانت اسرائيل قد اعتبرت من جانبها هذا الحظر بمثابة قطع لعلاقات الصداقة التي كانت قائمة بينها وبين فرنسا قبل حرب ١٩٦٧ رغم علمها بأن هذا الحظر ينطبق على الدول العربية المجاورة ايضا . الا أن فرنسا نفسها استخدمت فيما بعد ضد اسرائيل الحظر الارغامي او ما يدعى **بالحظر ـ العقوبة** وذلك عقب عدوانها على مطار بيروت الدولي ، وكان من نتائج هذا الحظر المفروض في ٣ كانون الثاني ١٩٦٩ ايقاف جميع انواع العتاد الحربي الفرنسي الى اسرائيل بما في ذلك القطع التبديلية التي لم يكن يشملها الحظر السابق .

لقد اثبتت بعض انواع الحظر الفردي جدواها في حين عانى الحظر الجماعي ـ وخاصة في ظل منظمة الامم المتحدة الحالية ـ محاولات كثيرة للتهرب من تطبيقه ، كما يحدث في تنفيذ قرارات الحظر الجماعي على تصدير الاسلحة الحربية الى روديسيا وجنوبي افريقيا ، وذلك لاسباب تتعلق بالنظام الدولي نفسه وعدم وجود رقابة فعالة على تنفيذ اجراءات الحظر .

ولا تعرف المنظمة الدولية الحالية اشكالا من الحظر غير الحظر الارغامي الممكن اتخاذه تطبيقا لاحكام المادة ٤١ من الميثاق . وفي الواقع فان هذا النوع من التدابير الزجرية لحماية الامن والسلام الدوليين كان احدى المسائل التي عهدت بها الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٥١ الى لجنة خاصة مكلفة بدراسة « العقوبات » التي

نص عليها الميثاق والتي يمكن ان تفرض على الدول المخالفة لاحكامه . **ولم تطبق المنظمة اطلاقا الحظر الوقائي**(٩) .

والواقع ان ميثاق الامم المتحدة ينص في المادة ٤١ منه على امكان اتخاذ « عقوبات اقتصادية » في حالة وجود تهديد للسلام أو خرق للسلام والقيام بعدوان ، أي بعد أن يكون العمل غير المشروع قد تم ارتكابه من قبل دولة ضد دولة اخرى . ولما كان تفسير هذه المادة يجب ان يتم في ضوء المادة ٣٩ من الميثاق التي تمنح مجلس الامن هذه الصلاحية من أجل الحفاظ على السلم ، فان الميثاق يكون قد اعتبر **الحظر الارغامي** هو الحظر الوحيد الممكن تطبيقه واستثنى بالتالي امكانية تطبيق الحظر الوقائي .

ويفهم من هذا النص أيضا ان **مجلس الامن الدولي** هو السلطة التي تستطيع اتخاذ قرارات الحظر باعتباره شكلا من أشكال « العقوبات الاقتصادية » ، ولكن **سابقة دولية مهمة** جرت في أوائل الخمسينات وغيرت مبدأ هذا الحصر اذ تمكنت الولايات المتحدة الاميركية عقب اندلاع الحرب الكورية من التهرب من الفيتو السوفياتي في مجلس الامن واستطاعت جمع الاصوات اللازمة في **الجمعية العامة للامم المتحدة** لاصدار قرار في عام ١٩٥١ يتضمن حظر تصدير الأسلحة الحربية الى كل من الصين الشعبية وكوريا الشمالية . ومن الضروري ان يؤخذ بعين الاعتبار تشكيل الجمعية العامة في ذلك الوقت من الخمسينات حيث لم تكن دول كثيرة من العالم الثالث قد انضمت الى الامم المتحدة ، وحيث كانت الولايات المتحدة تمارس ضغطا شديدا على الدول الصغيرة في الجمعية العامة . وفي الواقع لم يكن قرار الحظر هذا الا حلقة من حلقات الحرب الشرسة التي قادتها الولايات المتحدة ضد الشعب الكوري المكافح في سبيل تحرره ، واستطاعت بذلك اكساء صفة المشروعية على القرارات التي كانت قد اتخذتها مع اعوانها وحلفائها قبل اجتماع الجمعية العامة . وطبيعي أن مثل هذا القرار قد قلب رأسا على عقب الغاية الرئيسية من الحظر الارغامي الذي ينبغي أن يكون عونا لحروب التحرير ودعما لحق الشعوب في تقرير مصيرها لا أن يكون أداة في يد الدول الاستعمارية تضغط به على الدول الصغيرة وتحرمها من حق الدفاع عن نفسها والنضال في سبيل وجودها .

ان المبدأ الذي يجب ان يحكم اجراء الحظر هو تطبيق روح الميثاق والمبادىء الاساسية للعدالة والحق التي ينص على احترامها ، وليس موضوع اختصاص هيئة من هيئات الامم المتحدة باصدار القرار هو وحده الذي يهم الشعوب في حماية هذه المبادىء وتطبيقها ، فعلى الرغم من اتخاذ قرارات دولية صادرة بصورة نظامية عن مجلس الامن بشأن حظر تصدير العتاد الحربي الى روديسيا وجنوبي افريقيا فان عددا من الاعضاء (الكبار) في مجلس الامن وفي مقدمتهم الولايات المتحدة لم تلتزم بصورة جدية وفعالة بموجبات هذه القرارات ، ولم يكن في مقدور الدول الاخرى — وخاصة دول العالم الثالث في الجمعية العامة — ان تراقب تنفيذ قرارات الحظر هذه لعدم وجود الوسائل الكافية لديها(١٠) .

ومن جهة اخرى فان الشركات الكبرى العاملة في انتاج العتاد الحربي وتجارته العالمية في الدول الغربية — وهي مؤسسات احتكارية عملاقة ذات نفوذ سياسي واسع — تمارس ضغطا شديدا في أكثر الاحيان على المسؤولين في الدول الصناعية كيلا يطول أمد الحظر المفروض ، أو على الاقل لتحديد الحظر واقتصاره على عدد معين من المنتجات ، وهو ما يدعى أحيانا **بالحظر الانتقائي** ، والغرض الاساسي منه هو

تخفيف عبء الحظر المفروض وتقليل آثاره الاقتصادية على الدول المنتجة للسلاح ، الا انه تحت ستار هذه الاعتبارات نفسها قد تتمكن الدولة المتعرضة للحظر من التآمر مع هذه الشركات الاحتكارية للمطالبة بالحظر الانتقائي لقاء اغراءات مالية كبيرة ، وقد كانت تسمع في فرنسا خلال السنوات الاخيرة الماضية مثل هذه المطالبات بالحظر الانتقائي والغاء الحظر الشامل الذي فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة الى اسرائيل في عام ١٩٦٩ .

هذه الصعوبات كلها سوف تواجه بشكل أو بآخر الجهود التي يمكن أن تبذل في سبيل استصدار قرار عالمي يحظر تصدير الاسلحة الشامل الى اسرائيل ، وخاصة ان الولايات المتحدة ستلجأ الى الضغط على الدول الاخرى بغية عدم اتخاذه لانه سيستهدف اسرائيل وحدها باعتباره حظرا ارغاميا . ومع ذلك فاننا نرى انه من الممكن تفادي الكثير من الصعوبات أثناء الجهود المبذولة لتحقيق الحظر المقترح وذلك عن طريق اتباع **أسلوب تسلسلي** يبدأ على صعيد الدول منفردة ، ثم على صعيد المنظمات الاقليمية لينتهي أخيرا في اكبر اجتماع دولي هو الجمعية العامة للامم المتحدة ، ونعتقد أن هذه الجهود سوف تستغرق مده من الزمن لا تقصر عن موعد اجتماع الجمعية العامة للامم المتحده القادم في ايلول ١٩٧٥ .

والمنطلق الاساسي في هذا الاسلوب التسلسلي للحصول على قرار عالمي بالحظر على تصدير الاسلحه الحربية الى اسرائيل هو واقع أن أكثرية دول العالم قد اتخذت موقفا محددا من اسرائيل اضعف صوره هو مطالبتها بتنفيذ قرارات الامم المتحدة الاخيره ، وقد ظهرت هذه المواقف بأشكال مختلفة منها التصريحات الفردية والبيانات الثنائية والبيانات الدولية المتعددة الاطراف(١١)، ومنها قرارات بعض المؤتمرات الدولية والمنظمات الاقليمية وعدد من المنظمات والهيئات العالمية المنبثقة عن الامم المتحدة(١٢) أو عن جمعيتها العامة(١٣).

ويتطلب الحصول على **قرارات الدول الفردية بالحظر** مجهودا دبلوماسيا كبيرا من جانب الجامعة العربية ، كمنظمة اقليمية ، ومن جانب الدول الاعضاء فيها بشكل افرادي ، لاقناع الدول الصديقة سواء في العالم الثالث أو في كتلة الدول الاشتراكية أو بعض الدول الاوربية المؤيدة للحق العربي بضرورة الحظر المقترح . وسيكون لهذه القرارات الفردية أثرها الكبير على نجاح المراحل التالية ، ونعتقد أن الفرصة مواتية في الوقت الحاضر للحصول على عدد كبير من هذه القرارات .

وتأتي **المرحلة الثانية** بعد أن يتم الحصول على عدد معقول من قرارات الحظر الفردية لاقناع **المنظمات الاقليمية** باتخاذ قرارات بالحظر على المستوى الاقليمي ، وهذه القرارات التي تتخذ بالاكثرية يمكن من ناحية أن تزيد من عدد المشتركين في الحظر ، كما سيكون لها من ناحية أخرى صداها الدولي . وطبيعي أن ينصب الجهد الاساسي في هذه المرحلة على دول السوق الاوروبية المشتركة ، لان صدور قرار بالحظر من هذه السوق سيقطع من الناحية العملية على اسرائيل طريق الحصول على جزء مهم من العتاد الحربي ، وسيحقق نصرا كبيرا للقضية الفلسطينية من حيث مغزاه الادبي .

وأما **المرحلة الثالثة** فهي عرض موضوع الحظر العالمي على **الامم المتحدة** كمؤيد قانوني دولي لتنفيذ القرارات التي قامت الجمعية العامة باصدارها في دورة عام ١٩٧٤ والمتعلقة بالقضية الفلسطينية وارغام اسرائيل على الالتزام بها . وفي هذه المرحلة الاخيرة ، وهي أدق المراحل وأصعبها ، يمكن لقرار الحظر الجماعي المتخذ بأكثرية الاصوات في الجمعية العامة ان يضمن النتائج التالية :

أولا ــ تجنب مشكلات التصويت في مجلس الامن وخاصة الفيتو الاميركي .

ثانيا ــ تغطية قرارات الحظر الفردية المتخذة من قبل الدول الاعضاء افراديا .

ثالثا ــ دعم القرارات المتخذة في المنظمات الاقليمية .

رابعا ــ تشجيع الدول المترددة على الانخراط في تنفيذ القرار الجماعي .

خامسا ــ الاطمئنان الى عدم تسرب الاسلحة الحربية الى اسرائيل عبر الدول التي لم تصدر قرارا فرديا بالحظر أو لم تنضم الى القرار الجماعي بحيث يجعلها هذا القرار الاخير رغم معارضتها له قبل التصويت او عدم قيامها بالتصويت عليه مجبرة على تنفيذه ومسؤولة دوليا عن تسرب الاسلحة الى اسرائيل في حال حدوثه .

سادسا ــ تأكيد صفة الارغام والعقوبة لقرارات الحظر على صعيد المجتمع الدولي ضد اسرائيل .

سابعا ــ تحميل الولايات المتحدة اذا استمرت علــى تسليح اسرائيل رغم قرار الحظر العالمي مسؤولية كل النتائج التي قد تحدث نتيجة قيام اسرائيل بعدوان على الدول العربية أو الامتناع نهائيا عن الانسحاب من الاراضي التي تحتلها منذ عام ١٩٦٧ والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

اننا نعتقد ان هــذا الاسلوب **بمراحله الثلاث** سوف يؤدي الغاية المطلوبة ، ولا يشترط التلازم بين هذه المراحل ، كما لا يشترط أن تتحقق كل هذه المراحل تباعا ، ولكنه يمكن احراز النجاح الكامل بتحقيق المراحل الثلاث كلها .

وفي الواقع فان بعض القرارات الفردية للحظر الممكن الحصول عليها في المرحلة الاولى لن تكون الا **تثبيتا لواقع فعلي** ، فالدول الاشتراكية لا تصدر الآن الى اسرائيل أية أنواع من الاسلحة ، رغم انها دول منتجة للعتاد الحربي ، وأكثرية دول العالم الثالث سوف لن تتأخر عن اصدار القرارات الفردية بالحظر ، كما انها ستلتزم بوجهة النظر العربية اذا عرض موضوع الحظر الجماعي على الامم المتحدة . واما فرنسا التي تعتبر من أكبر مصادر العتاد الحربي في العالم فقد وقفت صراحة الى جانب الحــق العربي ، واذا كانت قد الغت مؤخرا قرار الحظر الوقائي الذي كانت قد فرضته في عام ١٩٦٧ على تصدير الاسلحة الحربية الى منطقة الشرق الاوسط فان موقفها الحالي يدل على انها ما زالت تمتنع عن تصدير الاسلحة الى اسرائيل ، وسيكون استبدال الحظر الوقائي بالحظر الارغامي بالنسبة لاسرائيل أمرا يمكن مناقشته في مباحثات دبلوماسية مع المسؤولين الفرنسيين . واما الدول الاوروبية الاخرى فقد ينحو بعضها النحو الفرنسي ولكن بعضها الآخر قد يظل متعنتا في تأييده للكيان الصهيوني كهولندا وسويسرا والدانمارك ، ويلاحظ بصورة خاصة أن بلجيكا ، وهي من كبريات الدول المنتجة للسلاح ، قد أبدت مؤخرا موقفا سياسيا مرنا مشابها ، الى حد ما ، للموقف الفرنسي ، وقد يؤدي **الحوار الاوروبي ــ العربي الحاضر** الى نتائج حسنة فيما يتعلق بالتعاون بين العالم العربي ودول أوربا علــى المستويين السيــاسي والاقتصــادي وسيساعد ذلك بالتالي على انجاح الجهود المتعلقة بالحظر . اما بالنسبة لانكلترا فقد تكون هنالك صعوبات كبيرة للتفاهم معها حول مسألة الحظــر ، الا أنه اذا امكــن الحصول على عدد من قرارات الحظر الاوروبية فقد يكون الموقف البريطاني اقل تصلبا ، ونعتقد أنها لن تصدر مع ذلك قرارا فرديا بالحظــر ، وقد تمتنع عــن التصويت في الجمعية العامة عند بحث مشروع قرار جماعي بالحظر ، ولكنها لن تعارض في هذا

القرار اذا رأت أن اغلبية الاعضاء في الجمعية العامة ستوافق على هـذا الحظر ، وستقبل ضمنا بتنفيذ القرار الجماعي الصادر بالاغلبية .

صحيح انه ينبغي التركيز في مسألة الحظر على الدول المنتجـة للسلاح ، ولكن اشتراك الدول الاخرى في الحظر ، بأكثرية مناسبة ، سيكون له اهمية بالغة على صعيد السياسة الدولية وسيؤثر في مواقف الدول المنتجة للسلاح نفسها ، ونعتقد أنه سيكون بين الثلاثة عشر دولة المنتجة للاسلحة علـى المستوى العالمي(١٤) سبع الى ثماني دول ستلتزم بهذا الحظر سواء بصورة صريحة عن طريق قرارات الحظر الفردية او بصورة ضمنية عن طريق تنفيذ القرار المتخذ بالاغلبية في الجمعيـة العامة للامم المتحدة .

النقطة الثانية

أسلوب تنفيذ الحظر العالمي على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل

سواء اتخذ قرار فرض الحظر على الاسلحة الحربية المتوجهة الى اسرائيل بشكل فردي أو جماعي ، في ظل الامم المتحدة او خارجها ، فان نجاح هذا الحظر سيكون متوقفا على تحقيق **شروط معينة** داخل دولة الحظر وعلى صعيد التعاون مع الدول الاخرى التي قامت باجراء تدبير مماثل .

ففي **حدود الدولة التي تقرر هذا الاجراء** يتجلى قرار الحظر كعمل منتج للحقوق والواجبات ، ومرتبط من جهة بالنظام العام الداخلي ومن جهة أخرى بالقانون الدولي العام :

فهو منتج للحقوق والواجبات بحيث يرتب للسلطة العامة في الدولة التي فرضت الحظر حق منع تصدير أي نوع من أنواع الاسلحة الحربية بما في ذلك القطع التبديلية والذخائر وأدوات التدريب وأعمال الصيانة والتعمير والخبرات الفنية المتعلقة بذلك . وقرارات الحظر تتضمن غالبا ، بالاضافة الى منع التصدير ، ايقـاف كل **الخدمات والفعاليات** التي يمكن أن تضعف من آثار قرار الحظر المفروض . وهكذا فانه يمكن منع اعادة تصدير المواد الحربية المباعة الى دولة اخرى غير التي وجه اليها قرار الحظر ، وذلك عن طريق ايراد نصوص خاصة في العقود المبرمة مع هذه الدول تتضمن هذا المنع . ومن جهة أخرى فان قرار الحظر يمكن أن يشمل جميع المواد المحظر تصديرها التي تماثل الاسلحة المصنوعة محليا والتي تتوفر لدى الشركات الصناعية والتجارية وبين أيدي تجار الاسلحة الفرديين ولو كان مصدرها خارجيا . وفي أغلب الاحيان يلحظ منع نقل المواد المحظورة عن طريق الترانزيت فوق أرض الدولة التي قررت الحظر باتجاه الدولة التي فرض عليها هذا الاجراء . وينبغي على الشركات والافراد المتعاملين في هذا الميدان ، وعلى الموظفين العاملين في الدولة التي فرضت الحظر ، التقيد المطلق بقرارات الحظر المفروض تحت طائلة العقوبات التي يفرضها النظام والقوانين الداخلية لكل دولة .

ونذكر على سبيل المثال تعليمات أصدرتها السلطات الفرنسية عقب قرار الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل في ٣ كانون الثاني ١٩٦٩ والتي جاء فيها ما يلي : « بالنسبة لكل عملية تصدير الى اسرائيل أو اعادة تصدير اليها أو نقل بالترانزيت أو نقل من واسطة شحن الى أخرى ، للعتاد الحربي وما يماثله ، بما في ذلك قطع التبديل ، فان جميع الاجراءات في الجمارك يجب أن تتوقف

وذلك بمجرد ظهور هذه البضائع ، ويجب ابلاغ ذلك الى السلطات ، وأن يذكر في التقرير المرفوع نوع وقيمة المواد ورقم رخصة التصدير » .

ومن الجدير بالذكر أن قرار الحظر يلغي من تاريخ صدوره جميع رخص التصدير الممنوحة للسلاح المتوجه للجمارك حتى ولو كان هذا السلاح جاهزا للشحن في المرافىء او في المطارات أو في مخارج الحدود البرية .

ومن جهة ثانية فان قرار الحظر هو عمل من أعمال السيادة تستطيع الدولة أن تقرره بصورة منفردة وعلى مسؤوليتها الدولية علـــى هدى قواعد القانون والعرف الدوليين ، كما ان عليها واجب تنفيذ الحظر الجماعي الصادر عن منظمة اقليمية أو منظمة عالمية تنخرط في عضويتها سواء اشتركت في التصويت على قرار الحظر أو كانت مخالفة له ، لان قرارات المنظمات الدولية نادرا ما تنص على الاجماع ، كما ان قرارات المنظمة العالمية (الجمعية العامة) واجبة التنفيذ سواء أخذت بالاجماع او بالاكثرية .

وأما على **صعيد التعاون بين دول الحظر** لتنفيذ القرار الجماعي ، فانه يمكن اللجوء الى وسائل مختلفة لتحقيق هذا التعاون :

أ ــ فاذا كان القرار المتخذ بالحظر صادرا عن الجمعية العامة للامم المتحدة أو كان صادرا عن احدى المنظمات الاقليمية فانه سوف يكون من الملائم تشكيل لجان خاصة تتولى **الاشراف على تطبيق قرار الحظر** ويكون لها حق الاتصال المباشر مع حكومات الدول الاعضاء للتعاون معها على ازالة الصعوبات التي تعترض تنفيذ القرار ، وعلى ان ترفع اقتراحاتها وتوصياتها مرفقة بتقاريرها عن مراحل تنفيذ الحظر بشكل دوري ومتتابع الى الجهة أو الهيئة التي أصدرت القرار .

ب ــ اما اذا كان الحظر مطبقا عن طريق قرارات فردية صادرة عن الدول بصورة مستقلة عن الامم المتحدة ، فنرى أن واجبا أساسيا يقـــع على عاتق **جامعـــة الدول العربية** ، كمنظمة اقليمية ، وعلى عاتق **الدول العربية منفردة** ، لتتولى عـــن طريق الاتصال المستمر بحكومات الدول التي قررت الحظر ، وبالمنظمات الاقليمية والكتل الدولية التي تنتمي اليها ، وبحكومات الدول الاخرى أيضا التي لم تصدر قرارا بالحظر لسبب أو لآخر ، مهام انجاح الحظر المفروض والتعاون بين مختلف الجهات لتحقيق الغايات المشروعة التي طبق من أجلها الحظر وهي ارغام اسرائيل على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها بصورة مخالفة للقانون الدولي واعادة الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطيني .

ومن جهة أخرى فان **منظمة التحرير الفلسطينية** نفسها ، بما لها من اتصالات مع الحكومات والشعوب تمتلك وسائل كثيرة لانجاح قرارات تنفيـــذ الحظر ، باعتبارها صاحبة العلاقة المباشرة وممثلة الشعب الفلسطينـــي الذي يتحمل بالدرجـــة الاولى الاضطهاد والعدوان والانتهاكات الاسرائيلية للحقوق والواجبات الدولية .

ان حملة من **الدعاية المنظمة** عن طريق الدول الصديقة والدول الاشتراكية وبعض الدول الاوربية المؤيدة للعرب يجب أن تقترن بهذه الجهود كلها ، وينبغي أن يكون **شعار العمل** لتنفيذ الحظر هو « ارغام اسرائيل على تطبيـــق قرارات الامم المتحدة » لتظل مشروعية تنفيذ الحظر لاصقة بكل الاجراءات المتعلقة به من وجهة القانون الدولي ، والا يكون هنالك تفريق بين الدول المنتجة للسلاح والدول غير المنتجة له ، لان القصد هو حفظ السلام العالمي وتطبيق قواعد العدالة والحق ، وهذا يتطلب تعاونا كاملا بين مختلف الدول ، لان للحظر الارغامي مغزاه الادبي بالاضافة الى مفاعيله المادية ، كما

ان الدول غير المنتجة للسلاح والتي لا تتعاون مع الدول الاخرى في تطبيق قرار الحظر قد تشكل ثغرات أساسية في اجراءات التنفيذ لانها قد تصلح لان تكون ممرا او محطات لمرور الاسلحة المحظورة في طريقها الى اسرائيل .

ولا شك ان أهم الصعوبات التي ستواجه تنفيذ قرارات الحظر الفردية أو الجماعية على تصدير الاسلحة الحربية الى اسرائيل ستنشأ عن **ردود الفعل الاميركية** ، لانها ستسعى جاهدة لتطويق اجراءات الحظر عن طريق الضغط السياسي والمادي على الدول التي تنضم الى قرار الحظر وخاصة الدول المنتجة للسلاح الحربي، كما قد تسعى في الامم المتحدة نفسها للحصول على قرار عكسي لقرار الحظر الجماعي المفروض ، مما يستوجب بذل جهود دبلوماسية كبيرة من جانب الدول العربية والدول الصديقة لاحباط المحاولات الاميركية المرتقبة . ونرى أن احتمالات نجاح ردود الفعل الاميركية في خلق ثغرات في اجراءات تنفيذ قرارات الحظر الفردية ستكون اكثر من احتمالات نجاحها في حال صدور قرار جماعي عن الامم المتحدة لان ثلاث دول كبرى على الاقل من الدول الخمس الكبرى في مجلس الامن ستكون في جانب تنفيذ قرار الحظر بالاضافة الى أن أكثرية الاصوات ككل في هذا المجلس ستكون أيضا في جانبه . أما بالنسبة للجمعية العامة فقد أحرزت القضية الفلسطينية أصوات الاغلبية الساحقة عند مناقشة القرارات المتعلقة بهذه القضية ، وليس قرار الحظر ومتابعة تنفيذه ، بالنسبة للجمعية العامة ، الا مؤيدا قانونيا صرفا لقرارات الامم المتحدة ، لذلك فان من المستبعد كثيرا أن تنجح الولايات المتحدة في الاستحصال من الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار معاكس يعطل تنفيذ قرار الحظر المفروض .

أما اسرائيل نفسها التي سيكون الحظر الفردي او الجماعي موجها ضدها **كعقوبة دولية** فسوف تعمل على جميع المستويات وبمختلف الوسائل لاضعاف مفاعيل الحظر ، سواء عن طريق الاغراءات المادية التي تستطيع الصهيونية العالمية أن تمولها تجاه بعض الدول الصناعية التي تعاني من أزمات اقتصادية ، أو عن طريق التحايل على نظام الحظر المفروض من قبل الدول والاتفاق مع الشركات الخاصة والافراد والموظفين على تهريب الاسلحة والذخائر والمواد الممنوع تصديرها اليها ، وان لاسرائيل خبرتها الطويلة ، منذ قيامها ، في عمليات تهريب العتاد الحربي ، وليست حادثة تهريب القوارب الخمسة من ميناء شربورغ الفرنسي ببعيدة ، رغم الحظر المطلق الذي كان مفروضا على تصدير السلاح الى اسرائيل . لذلك يتحتم على الدول العربية أن تعمل منذ البداية وحتى قبل صدور قرارات الحظر على أخذ الاحتياطات الضرورية ضد ردود الفعل الاسرائيلية ، وذلك بالمبادرة الى تقوية الصلات الاقتصادية مع الدول الصناعية التي يحتمل أن توافق على الحظر ، وأن لم تتضمن هذه الصلات عقد صفقات أسلحة معينة ، فذلك يعود الى اختيار الدول العربية السياسي وأسلوب تعاملها الدولي في هذه الشؤون . ولا شك ان الدول العربية تمتلك اليوم اكثر من أي وقت مضى وسائل اقناع مادية ومعنوية هامة تمكنها من حماية نظام الحظر المفروض من محاولات التحايل والتسرب للاسلحة المتوجهة الى اسرائيل والتي قد تقوم في بعض الدول التي تفرض الحظر .

---

١ — من المعروف اعتماد اسرائيل في الوقت الحاضر ، وبصورة رئيسية ، على الدبابات والطائرات المقاتلة والصواريخ الاميركية ، ولكنها كانت تستورد جزءا كبيرا من هذه الاسلحة ومن المعدات والتجهيزات الاخرى من أكثر دول اوربا الغربية كالمانيا الاتحادية وفرنسا (قبل الحظر الذي فرضته على تصدير العتاد الحربي الى منطقة الشرق الاوسط عام ١٩٦٧) وانكلترا

وسويسرا وبلجيكا والدول الاسكندنافية .

٢ ـ ان لدى اسرائيل كميات كبيرة من الطائرات المقاتلة وطائرات الهلوكبتر الفرنسية والدبابات والعربات المصفحة الانكليزيـة ومدفعية ميدان ومدفعية مضادة للطائرات من صنع أوروبا .

٣ ـ كما قد تعمل على دفع الولايات المتحدة الى الضغط سياسيا واقتصاديا على هـذه الدول لخدمة التسليح الاسرائيلي كما فعلت مع ألمانيا الغربية في قضية التعويضات التي استمرت حتى عام ١٩٦٦ .

٤ ـ تذكر بعض الاحصاءات ان في المانيا الغربية وحدها أكثر من مليون عامل عاطل عن العمل .

٥ ـ تأتي في مقدمـة هذه الدول فرنسا وألمانيا الغربية وايطاليا التي أظهرت خلال حرب تشرين التحريرية وبعدهـا مواقف مغايرة للسياسـة الاميركية فيما يخص الشرق الاوسط ، أما دول أوربا الغربية الاخـرى فيمكن ان تقسـم الى مجموعات تتراوح مواقفها ودرجة تأييدها للحظر بالنسبة لعوامل مختلفة سياسية واستراتيجية واقتصادية ودعائية (ونفطية) ، الا أنه لا يجوز استثناؤها بشكل مطلق من امكانيات الحصول على قرار الحظر .

٦ ـ ان قسما من التعويضات الالمانية لاسرائيل تجسد بشكل أسلحـة ومعدات حربية ومـواد استراتيجية مما تنتجه المانيا الغربية أو مـا تشتريه من الدول الصناعية الاخرى ، بالاضافة الى ما كانت تبيعـه المانيا الغربية من العتاد الحربي الى الكيان الصهيوني عن طريق الاتفاقات الثنائية بالاسلوب التجاري العادي .

٧ ـ يشبه هذا الموضوع ادعاء الولايات المتحدة بالقبول الضمني للاتحاد السوفياتي بالسماح لليهود الروس بالهجرة كشرط لتنفيـذ الاتفاق التجاري الطويل المدى الموقع بين البلدين في عام ١٩٧٢ ، وقد أدى هـذا الادعاء الذي أكـده الكونغرس الاميركي في نهـاية عام ١٩٧٤ الى انسحاب الاتحاد السوفياتي من هذا الاتفاق رغم أهميته الاقتصادية والسياسية .

٨ ـ يونايتد برس نيـوز في مقال نقلت موجـزه صحيفة « الثورة » السورية في العدد الصادر بتاريخ ١٩٧٥/١/١٤ .

٩ ـ يبدو ان تجنب اللجوء الى الحظر الوقائي في ظل المنظمة الحالية يعود الى الصعوبات التي كانت قد واجهتها عصبة الامـم حينما أرادت تطبيق حظر وقائي على تصديـر الاسلحة الى بوليفيا وباراغواي في نزاع شاكو . فقد كان لا بد للموافقة على مثـل هذا الحظر من اجماع مجلس العصبة بما في ذلك صوتا الطرفين ذوي العلاقة ، لهذا عدلت العصبة عن اتخاذ توصية في المجلس يتضمن هذا الحظر ولجأت الى أسلوب آخر هو استشارة الاعضاء افراديا في موضوع الحظر ، وقرر مجلس العصبة بتاريخ ١٩ أيار ١٩٣٤ تكليف لجنة من ثلاث دول للقيام باستشارة حكومات الدول الاعضاء لمعرفة مـا اذا كانت توافق أم لا على اقرار حظر تصدير الاسلحة الحربية الى كل من بوليفيا وباراغواي . وفي الواقع فان اغلبية اعضاء عصبة الامم كانت قد اتخذت تدابير فردية بهذا الصدد ، ولم يبق الا عدد قليل من الاعضاء الذين اشترطوا لاتخاذ مثل هذا التدبير قيام الاخريـن به ، وهكذا امكن التوصل الى قرار شامل فعلي بالحظر فريد من نوعه في تاريخ عصبة الامم .

وبالعكس فقد كان من الممكن اتخاذ الحظر الارغامي بمجـرد لجوء دولة الـى العدوان واعتبارها بذلك مخالفة لصك العصبة وخاضعة بصورة آلية للعقوبات التي نصت عليها المادة ١٦ من الصك بما في ذلك قطـع كل العلاقات التجارية والمالية معها .

١١ ـ مما يؤسف له ان ميثاق الامم المتحدة لم ينص بصورة محددة على قاعدة أو اجراء يمكن اتخاذهما لمواجهـة تقصير الدول في احتـرام قرارات الحظر والاجراءات الزجرية الاخرى . وكل ما اتخذ في الامم المتحدة بعد صدور قرارات المقاطعة والحظر في قضية روديسيا مثلا أن شكل مجلس الامن لجنة للمتابعة في حين كلف الامين العام للمنظمة بتلقي تقارير من الدول الاعضاء حول الاجراءات المتخذة وفقا لقرارات الحظر واعلام مجلس الامن بكل المعلومات المستقاة من هذه الدول عن الموضوع . وقد شعرت الجمعية العامة أن ذلك وحده لا يكفي لسد هذا النقص فشكلت لجانا خاصة لمتابعـة تنفيذ اجراءات المقاطعة والحظر وخاصة اللجنة المكلفة بدراسة تطبيق الاعلان المتعلـق بمنح الاستقلال للبلاد

والشعوب المستعمرة ، غير ان الاجراءات تقف عند هذا الحد ولا تتعداه ، وعندئذ لا بد من العمل خارج المنظمة لاحكام عمليات الحظر عن طريق بعض الهيئات والمجموعات الدولية كمنظمة الدول الافريقية مثلا ، وبعض الهيئات المنفصلة التي شكلت من بعض الدول الافريقية لمتابعة تنفيذ قرارات الحظر والمقاطعة .

١١ — في كثير من الاحيان لم تكن اي من الدول العربية طرفا في مثل هذه التصريحات ، وهذا ما يؤيد الحق العربي واستنكار التعنت الاسرائيلي.

١٢ — كمنظمة اليونسكو .

١٣ — كلجنة حقوق الانسان .

١٤ — هذه الدول التي تأتي في مقدمة الدول المنتجة للسلاح في العالم هي : الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية والصين الشعبية وفرنسا وانكلترا وبلجيكا وايطاليا وسويسرا والسويد واليابان وكندا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا .

الأساس الاقتصادي العالمي للحرب الخامسة

احمد شرف

انعكس جو الشتاء المتقلب لهذا العام على الصراع السياسي في منطقتنا العربية . فتتالت موجات متناقضة ، بعضها قارص وبعضها حار مترب . ومنذ تباشير فصل الشتاء ومن منتصف الخريف ، أخذ جو الصراع السياسي في منطقتنا ينذر ، هو الآخر ، بحلول العواصف المصاحبة لحرب جديدة .

ان نظرة عامة على صحافة الغرب ، في الاشهر الماضية ، وتتبع تصريحات المسؤولين هناك ، ترسم ـ والى حد بعيد ـ ابعاد موقف أحد طرفي الصراع الممتد الى منطقتنا . وتوضح ما يدور في ردهات الدوائر الاستعمارية والصهيونية من تحركات ومخططات . وقبل الخوض في هذا السبيل ، علينا ان نتذكر جميعا ، ان قيام دولة اسرائيل كان تتويجا لالتقاء مصالح الاحتكارات الاستعمارية العالمية بفصائلها المتعددة ، بما فيها الصهيونية ، باعتبارها فكر الدوائر الاحتكاريه ليهود العالم ، كما ان تطور دولة اسرائيل وتوسعها ارتبط هو الآخر بالمصالح العامة الاقتصادية والاستراتيجية للدوائر الاستعمارية والاحتكارية ، وذلك بطريقة موقوتة ، هدفت دائما الى اجهاض دعائم الاستقلال والبناء الذاتي للدول العربية . لذلك ليس من قبيل الصدف أن نجد تلازما الآن بين أزمة النظام الرأسمالي ، المتمثلة في الركود والتضخم ، والتي يحاول زعماء النظام الرأسمالي ردها الى غلاء أسعار البترول ، وبين تهديداتهم بالحرب وتعدد تصريحاتهم بارسال مزيد من الاسلحة الى اسرائيل تارة ، او بالتهديد باحتلال منابع البترول تارة أخرى . ان هذه الاقوال لم تقف عند حد النطق بها فقط ، بل تعدت ذلك الى دلائل مادية واضحة على هيئة تدريب قوات للقتال في أراض صحراوية مشابهة لطبيعة اراضي دول البترول العربية ، أو على هيئة تلويح بالقوة ، وبعث حاملات الطائرات والقطع البحرية العسكرية للمنطقة ، او على هيئة فتح ترسانات الولايات المتحدة العسكرية لامداد اسرائيل حتى نفادها . ان كل هذه الاجراءات تهيب بنا ألا نقف مكتوفي الايدي ، متصورين أن هذه كلها حركات في مشاهد مسرحية يؤديها الغرب ضمن سياسة الوفاق ، فالتاريخ وحده هو الذي يجبرنا على أن نأخذ هذه الاجراءات مأخذ الجد ، ونضعها موضعها الصحيح .

في خطاب الرئيس فورد ، أمام الجمعية العامة في اواخر سبتمبر (أيلول) الماضي ، ألمح الى استخدام القوة لاحتلال منابع البترول . ثم جاء وزير خارجيته هنري كيسنجر واكد ذلك بعد بضعة أيام . وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ أعاد كيسنجر نفس تصريحاته ، وبعد ذلك جاء فورد ليؤكد قول وزير خارجيته وكأن الامر كرة متداولة بين الاثنين ، أحدهما يلقيها والاخر يتلقفها ، ثم يأتي دور الثاني في الالقاء ، وهكذا .

في ٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ علقت مجلة « جويش اوبزيرفر » البريطانية الاسبوعية على التصريحات الامريكية بقولها «وجهت أمريكا هجوما دبلوماسيا ضخما في محاولة لتخفيض أسعار البترول، ولقد بدأت الحملة بخطاب من الرئيس فورد فــي

الاسبوع الماضي، حذر فيه الدول المنتجة للبترول من ان عدم تخفيض أسعار البترول التي ارتفعت بشكل كبير يمكن ان يؤدي الى كارثة اقتصادية على مستوى العالم أجمع. وزادت حدة الخطاب عندما تضمن تهديدا مقنعا باحتمال التدخل العسكري لتخفيض الاسعار. وذكر «فورد» ان الدول عبر التاريخ كانت تخوض الحروب بسبب الموارد الطبيعية ... ثم القى كيسنجر، بعده، خطابا يتسم بالخط المتشدد مؤكدا ان واشنطن قد عزمت اخيرا على أن تتصرف لمواجهة آثار زيادة أسعار البترول على اقتصاديات دول العالم الغربي ... كذلك تحدث كثيرون في الولايات المتحدة من رجال الكونجرس الى جانب فكرة الاستيلاء بالقوة العسكرية الامريكية على حقول البترول العربية »(١).

واذا كان هذا اشارة لجملة من تصريحات مسؤولين غربيين، فان صحيفة « باري ماتش » الفرنسية كتبت تحت عنوان: « البترول ... انها ليست أزمة ... ولكنها الحرب » تقول: « ان السبب الجوهري للتضخم العالمي يكمن في زيادة سعر البترول، وهذه الزيادة تؤدي الى تفاقم ازمة التضخم والاسراع به. ان البلاد العربية وايران وفنزويلا قد أحاطت عنق الغرب بحبل لا بد حتما ان يطبق عليه ويخمد أنفاسه ». واستطرد المقال من خلال الارقام يبين حجم الفوائض البترولية، ومقارنتها بأرقـــام النواتج الدولية والمصروفات النقدية الامريكية والاوربية الى أن وصل الى القول « ان جيرالد فورد ليس خطيبا مفوها. ولو ان خطابه خلا من المواهب الخطابية فانه يتضمن ان الزيادة المفرطة التعسفية لسعر البترول لا تشكل شيئا يقل عن العدوان في ذاته. اذ أنها تخلق بالنسبة للعالم الغربي موقفا مفجعا لا يمكن تحمله. والعدوان يعني حق الدفاع الشرعي. وفي الاوساط الحاكمة الآن، كما هو الحال في دوائر الرأي العام، تسمع عبارات تردد أن العرب في حاجة الى عملية تأديب وانه سيكون من الصعب تفادي القيام بهذه العملية ». وتساءلت الصحيفة « فهل يزمع السيد فورد، وهو الحاكم الاول في أقوى امة بالعالم، أن يمضي في طريقه، ولو أدى به الامر الى بلـــوغ هذه النتيجة ؟ » .

الواقع اننا نستطيع أن نلمح شبح الحرب، بل الحرب نفسها، في تصريحاته، وهو يقول « يتعين في بعض الاحيان على الامم أن تختار بين الصدام والخنوع، ولا تستطيع الدول صاحبة السيادة ان تسمح بأن تقرر مصائرها تدبيرات مصطنعة أو تشويهات تجري في السوق العالمية للسلع. وعبر التاريخ دخلت الامم حروبا من أجل المصادر الطبيعية، مثل الماء والمنتجات الغذائية، أو طرق المواصلات البرية والبحرية ». ثم تستطرد الصحيفة، بعد هذا الاقتباس من خطاب فورد، الى القول « ان هذا الخطاب يعطي، ولا شك، أمم الغرب الحق الشرعي في أن تفك بالقوة الوثاق الذي أطبق عنقها يريد خنقها »(٢).

ولكن ماذا عن بعد ازمة النظام الرأسمالي العالمي وعمقها ؟ وهل هي كفيلة حقا بالخروج الى حيز الحرب باعتبارها الحل الوحيد لكسر ضلوعها الحديدية المطبقة على أنفاس النظام الرأسمالي العالمي.

وفي سلسلة من المقالات حول تصدي أمريكا للازمة، تقول صحيفة « الاكسبريس » الفرنسية أن « كل شيء مترابط، من الدولار الى البترول، ومن البورصة الى القدس، وهذه هي الازمة الحقيقية ... التضخم يتزايد بسرعة كبيرة ... وانهيار البورصة وتفاقم البطالة لم يحدث أبدا من قبل ... لقد أجمع الخبراء على ان التضخم هو أشد الاخطار جميعا، وفي رأيهم أن المجتمع الامريكي يستطيع، لوقت ما، أن يتحمل معدل بطالة يتعدى ٥ ٪، ونمو يقارب الصفر. ولكنه في مقابل ذلك لا يقوى على مجابهة

ارتفاع الاسعار التي وصلت الى ١٢ ٪ ، وذلك دون أن يتفسخ . ففي أشد الاوقات العصيبة خلال حرب فيتنام لم تتجاوز هذه الاسعار ، في أي يوم من الايام ، أعلى من ٦ ٪ زيادة . بل لقد هبطت هذه الزيادة الى ٣ ٪ عام ١٩٧٢ ... لقد هبطت اسعار (وول ستريت) ، في ١٨ شهرا ، بما يقرب من ٤٥ ٪ ، وذلك يمثل خسارة بالنسبة للمدخرين تصل الى حوالي ٥٠٠ مليار دولار . ولكي ندرك ضخامة هذا المبلغ فعلينا معرفة ان الناتج الامريكي كله ١٣٠٠ مليار دولار سنويا » .

بعد ذلك أشارت الصحيفة الى اقوال المؤيدين والمعارضين للوفاق مع العرب ، فهذا وليم فولبرايت ، السناتور الامريكي السابق ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الامريكي ، يقول قبل مغادرته للكونجرس مهزوما « ان التضخم يساوي البترول ، والبترول يساوي العرب ، والعرب يساوون القدس ، اذن فاعطوهم القدس » . واضافت الصحيفة « اما في نيويورك فيمكن للمرء أن يلتقي ، اكثر من وشنطن ، بأنصار القيام بعملية عسكرية ضد العرب ويقول هؤلاء (يجب ألا ننظر الى عملية احتلال حقول البترول على انها عملية بالغة الصعوبة ، فالروس لن يتحركوا مثلما لم نتحرك نحن ازاء تشيكوسلوفاكيا) »(٣) .

وهكذا نرى كيف تتحرك أبعاد أزمة النظام الرأسمالي العالمي في كل دوله ، وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ، من اجل خلق جو الحرب كمتنفس اخير امام طحن هذه الازمات ، من كساد وتضخم . ان الأمر ليس كما تصوره صحافة الغرب ، مجرد ارتفاع لاسعار البترول ، باعتباره سببا لازمة هذه الانظمة . فارتفاع اسعار النفط في حد ذاته ، بالاضافة الى عدم كونه السبب الرئيسي لازمات النظام الرأسمالي ، الا انه هو أيضا محل اختلاف لمصالح هذه الاحتكارات فيما بينها . فبينما تدخل الاحتكارات الامريكية البترولية كمقتسم اساسي لهذه الزيادات ــ ومن ثم لا يضير الولايات المتحدة كدولة هذا الارتفاع في الاسعار ــ نجد أنظمة أوروبا الغربية تنوء بهذه الارتفاعات . لذا نجد أن تصريحات فورد تعدلت الى ما يسمى بعملية خنق النظام الرأسمالي .

ولكن ما صورة هذا العمل العسكري وبأي وسيلة سيكون ؟!

اجابت صحيفة « لاكرو » الفرنسية على هذا السؤال ، بصراحة ، في مقال بعنوان « البترول بين الحرب والسلام » ، وذلك بعد تحليلها للوضع القيادي للنظام الامريكي داخل النظام الرأسمالي ككل ، ومدى فاعلية الشركات المتعددة القوميات ، ودورها في ربط الانظمة الرأسمالية وتأثرها ببعضها ، كتبت تقول « ... ولما كانت الولايات المتحدة الامريكية هي أول دولة عسكرية في العالم ، فانها ستحاول أن تستخدم قوتها هذه اما بطريق مباشر واما عن طريق اسرائيل ، وذلك لتأديب الدول العربية الصغيرة . ومن هنا راجت في الاسابيع الاخيرة الشائعات حول استخدام السلاح »(٤) .

وعند هذا الحد ، نصل الى حقيقة خطيرة ، وهي اعتراف بأن اسرائيل واردة كطريق غير مباشر لاستخدامات القوة من قبل العالم الاستعماري ، بزعامة الولايات المتحدة الامريكية . ان هذه الحقيقة التي قد تغيب عن ذهن البعض ، ما زالت ماثلة لدى خصمنا ــ الاستعمار وعميلته اسرائيل ــ فليتنا لا نغالط انفسنا . واذا كان الامر كذلك ، فما هي أبعاد هذا الموقف ؟

تعلق نشرة وكالة الانباء السوفييتية « نوفستي » على وضع اسرائيل الداخلي وموقفها من التسلح الامريكي بقولها « تحتل اسرائيل الآن المركز الاول بين بلدان العالم بالنسبة لحجم النفقات العسكرية ، متقدمة بذلك على الولايات المتحدة التي تحتل المركز

الثاني في هذا المجال . وتبلغ النفقات العسكرية السنوية في اسرائيل بالنسبة للفرد الواحد ما يزيد على الف دولار امريكي ، ويعني ذلك أن حوالي نصف الانتاج القومي الاسرائيلي يخصص للانفاق على الاغراض العسكرية . ويبلغ الدين العام لاسرائيل الآن حوالي ستة آلاف مليون دولار ، أما احتياطها النقدي فقد تضاءل بشكل حاد . بينما تدهورت معدلات التنمية الاقتصادية ، وما زالت تتدهور ، في الوقت الذي يتزايد فيه العجز في الميزان التجاري ، حيث ينتظر أن يبلغ خمسة آلاف مليون دولار تقريبا هذا العام . ويؤدي سباق التسلح الى ارتفاع ، لم يسبق له مثيل ، في نفقات المعيشة داخل اسرائيل . ومنذ أوائل العام الحالي ارتفعت أسعـــار المواد الغذائية والاستهلاكية بمقدار ٣٠ ــ ٣٥ ٪ ، وازدادت أسعار الوقود والكهرباء والماء بشكل حـــاد وكذلك ايجارات المساكن ، بينما تزداد الضرائب »(٥).

ولكن ما دلالة هذه الاوضاع الداخلية في اسرائيل ، وما علاقتها بموضوعنا المطروح ؟

تتولى مجلة « الاكسبرس » الفرنسية الرد عنا ، وذلك في دراسة عـــن احتمالات الحرب في الشرق الاوسط ، حيث قالت « لقد توفرت كافة العوامل التي تكفل تطبيق القاعدة من جديد . فكلما شعرت اسرائيل انها في مأزق أصبح قيامها برد فعل عنيف امرا ممكنا ، بل ومحتملا ايضا ، وفي الظروف الراهنة تحركها طاقة يولدها اليأس وليس ثمة اختيار آخر . . . انه أمر حتمي وذلك حين تواصل السحب تراكمها بالمعدل الذي تراكمت به خلال الاسابيع القليلة الماضية حتى تصل الى درجة التشبع . وتبدو الآفاق اليوم ملبدة حيث يتعين أن يقع أو ينفجر شيء ما »(٦). ثم تستطرد الصحيفة في وصف صورة الحرب القادمة ودرجة الاستعداد لها .

أما صحيفة « الايكونوميست » البريطانية فانها تستعرض في مقال بعنوان « هل تنشب الحرب ؟ » أهمية التوقيت بالنسبة لاسرائيـــل وذلك مـــن الناحية العسكرية المحضة . ثم انتقلت الى حالة تسليح اسرائيل والبلاد العربية ، وكيفية سير المعارك في حالة حدوثها، لتقول «والتكهن بالطريقة التي قد يسير عليها القتال أمر تخميني بحت. . . ولكن البداية المرجحة هي توجيه ضربة مفاجئة من جانب اسرائيل ، ومن المرجح أن تتم في مرتفعات الجولان . اذ أن الاسرائيليين سيحاولون التقدم في عمق سوريا في محاولة لتدمير الجيش السوري ، وربما الاستيلاء على دمشق ، وسيتمثل احد الاهداف في منع السوريين من استخدام صواريخ سكود ، الطويلة المدى، ضد المدن الاسرائيلية ــ وبما انه من المرجح أن يكون الجيش السوري افضل تسليحا من جيش مصر ويعتبر ايضا أكثر قربا من اسرائيل فربما أدى ذلك الى قيام اسرائيل بمهاجمته أولا ، في الوقت الذي تقوم فيه باعاقة تقدم المصريين في الجنوب . . . » واستطردت الصحيفة في التنبؤ ببيان سير العمليات حتى وصلت الى القول بأن النتيجة ستكون في صالح اسرائيل ، ما لـــم تشل حركتها في الايام الاولى للقتال(٧).

وهكذا وصلت الصحف الغربية الى حد وصف أحداث لم تقع بعد ، واسهبت فيها . ومع ذلك فان الذي يشجعها على هذه الاستطرادات هـــو تطورات الموقف ، خاصة تصريحات ومواقف المسؤولين الامريكيين . ان هذا الامر ينعكس بأوضح ما يكون في مقال للفيننشيال تايمز البريطانية ، تحت عنوان : « هل تصبح المفاجأة هي القاعدة السائدة ؟ » اذ كتبت تقول « أعلن البنتاجون انه ليس لديه تعليق على الانباء التي قالت أن الولايات المتحدة قد التزمت ببرنامج عاجل للمساعدات الى اسرائيل ، وكتب المعلق جوزيف السوب يقول ــ ان جيمس شيلزنجر وزير دفاع أمريكا قد أعطى موافقته بعد موافقة الرئيس فورد على برنامج للاسلحة الى اسرائيل يتسم بقدر اكبر مـــن الجراة

والعجلة ، وسوف يتم تفريغ ترساناتنا اذا لزم الامر ، وسيتم الاقتراض مـــن وحداتنا المقاتلة » . ثم استطردت الصحيفة، بعد هذا الاقتباس من كلام السوب المعلق الامريكي المعروف ، الى مقارنة تسليح اسرائيل وسوريا ومصر ، وتحدثت عن عنصر المفاجأة وكيف انه العنصر الذي سيحاول كل طرف أن يصل اليـــه ، حيث قال فيمـــا يختص باسرائيل « انه يجب تذكير المرء بأن اسرائيل اتبعت لمدة طويلة مبدأ ليدل هارت الخاص باتخاذ موقف الاقتراب غير المباشر ، وعنصر المفاجـــأة سيكون القاعدة المتبعة بعـــد ذلك »(٨).

ولكي تكتمل أبعاد الصورة لا بد من استعراض ما قالته صحيفة هآرتس الاسرائيلية، حينما كتبت تقول « ان اسرائيل تعاني الآن من وضع اقتصادي صعب ، ولا أحد يختلف في ذلك ولا أحد يختلف على أعراض المرض ... أن هناك عـــدم موازنة خطيرة بين التصدير والاستيراد وهذا يعرض وجود الاحتياطي من النقد للخطر ، ويعرض معه الدور السليم للاقتصاد للخطر أيضا . والخطر هو خطر فوري ويجب ان تكون هناك أعمال وقائية اصطناعية لمواجهته »(٩).

وهكذا تتضح لنا جليا صورة الموقف : **في العالم الغربي** ، حيث السيادة لدوائـــر الاحتكارات الرأسمالية ـــ تضخم وكساد والازمة خطيرة ، الاسعار في ارتفاع مضطرد ومعدل البطالة في تزايد والحركات العمالية والصراع الاجتماعي علـــى أشده . **وفي اسرائيل** ، نفس الشيء ، وهنا يمكن ـــ كما كان دائما ـــ أن تتلاقى مصالح الاحتكارات العالمية بفصائلها المختلفة سويا ، من أجل شن حرب جديدة ، تكون بمثابة المتنفس لهذه الاوضاع المعقدة . ان هذا هو منطق التاريخ ولقد كان فورد صريحا حينما لم يغفل هذه الحقائق في خطابه . مما يوجب علينا نحن العرب الاصغاء لمنطق التاريخ واستيعاب تجاربه، فنحن أصحاب حق ، وحركتنا حركة تتمشى في الاتجاه الصحيح لمسيرة التاريخ، وعليه فالاجدر بنا ، ونحن كذلك ، ان نستوعب حقائق التاريخ اكثر .

ان القوى الرافضة واليمينية الشرسة داخل الانظمة الغربية تحس بقبضة الصراع وقد أصبحت مطبقة عليها ، مما يجعلها تتصرف بهمجية ، وتضحي بمصالح هي أحوج ما تكون لها ، وليس أدل على ذلك من اعاقتها لنمو سياسة التعايش السلمي والانفراج الدولي . ان نفس هذه القوى ضالعة تماما مع الصهيونية العالمية ، أو بتعبير أدق : ان الصهيونية تشكل قلب هذه القوى المقامرة المتخلفة ، لذلك فانها تمد يدها لصنيعتها اسرائيل ، باسطة الكف ، فاتحة الخزانة ، والترسانة ، بأوسع ما يكون الانفتاح ، لعل الاخيرة ـــ أي اسرائيل ـــ تجد لها مخرجا من العنت المطبق عليها . فربما تكون الحرب مخرجا لقوى الاحتكار ، أو وسيلة لتأمين المصالح الاحتكارية لهذه الدوائر في منطقة من أغنى مناطق العالم بأهم المواد حيوية الآن ، ألا وهي البترول . هذا مـــن جانب ، ومن جانب آخر فربما في هذه المنطقة بالذات لانها أضعف الحلقات التي يمكن أن تنكسر بلظى الحرب .

ان الامر ليس هذرا ، وليس أدل على ذلك من أن مجلة تايم الامريكية نشرت حديثا للرئيس فورد في يناير (كانون الثاني) الماضي أكد فيه ما قاله منذ بضعة أشهر وألح على ما قاله هنري كيسنجر ، وزير خارجيته ، في مجلة بيزنس ويك ، عن احتمالات التدخل العسكري الامريكي في حالة اختناق العالم الغربي بسبب أزمة الطاقة(١٠).

ان الاحتمال يكاد يكون حقيقة ، ولا شك أن المستقبل لن يخرج في تخاطبه على لغة الحاضر والماضي . ان هذه اللغة لن تتغير الا في حالة واحدة ، ينقلب فيها النمر الى حمل وديع ، وهذا ليس من طبيعة الاشياء . الا اذا هدمت الغابة من أولها ، ونمت

جنان السلام والمساواة بين الدول ، وهذا لن يتــم الا اذا قضى على الاحتكارات ، وأفلتت دولها من قبضتها ودخلت مرحلة الاشتراكية والتسليم بحقوق الغير في العيش الكريم المستقل .

---

١ ــ **جويش اوبزيرفر** البريطانيــة الاسبوعية ، ١٩٧٤/١٠/٤ .

٢ ــ ريمون كارتييه ، « البترول انها **ليست أزمة** ... ولكنها الحرب » ، **باري ماتش** الفرنسية ، ١٩٧٤/١٠/٥ .

٣ ــ مارك أولمــان ، « كيف تتصــدى امريكا للازمة ؟ » ، **الاكسبريس** الفرنسية ، ٢٣ ــ ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤ .

٤ ــ **لاكروا** الفرنسية ، ١٩٧٤/١٠/٧ .

٥ ــ نشرة **نوفوستي** للانباء ، ١٩٧٤/٩/٢٢ .

٦ ــ **الاكسبريس** الفرنسية ، ١٩٧٤/١١/١١ .

٧ ــ **الايكونوميست** البريطانية ، ١٩٧٤/١١/٩ .

٨ ــ **الفينانشيال تايمز** البريطانية ، ١٩٧٤/١١/٥ .

٩ ــ **هآرتس** الاسرائيلية ، ١٩٧٤/١١/٣ .

١٠ ــ **التايم** الامريكية ، ١٩٧٥/١/١٣ .

آراء غولدمان في الصراع العربي الاسرائيلي

عبد الحفيظ محارب

تثير آراء وأفكار الدكتور ناحوم غولدمان رئيس المؤتمـــر اليهودي العالمي ، تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ضجة في اسرائيل مشفوعة بالاستياء ، كما وتثير ، ربما بسبب تلك الضجة ، اهتمامات من قبل المتتبعين للنزاع العـــربي الاسرائيلي . ولعل الحديث الجم عن اتصالات جرت وأخرى لم يقدر لها أن تجري بينه وبين الحكام العرب قد أعطت نوعا من الاهتمام على الصعيد العربي بالافكار التي يطرحها غولدمان . فقد ذكرت المصادر الاسرائيلية ان الدكتور غولدمان قد عقد اجتماعا مع الملك الحسن الثاني دون أن تفند المصادر المراكشية ذلك . كما وقيل أيضا أن غولدمان تلقى عرضا للتوجه الى القاهرة باسم حكومة اسرائيل ، وقدم غولدمان العرض الى رئيس حكومة اسرائيل الاسبق ليفي اشكول ، الا أن الاخير درس الموضوع بحذر وفضل عدم الترويج له . وفي عام ١٩٧٠ عادت المصادر الاسرائيلية وذكرت أن غولدمان تلقى دعوة من قبل عبدالناصر لزيارة القاهرة بواسطة الصحفي المصري احمد حمروش ، ونقلت على لسان غولدمان انه تلقى الدعوة في احدى الليالي عندما كان عائدا الى منزله في باريس بعد مشاهدته عرضا في دار الاوبرا هناك ، حين اتصل به الصحفي الفرنسي اريك رولو ، قائلا له انه آت اليه مع شخصية مصرية موفدة من قبل عبدالناصر، ويذكر بأن الاجتماع عقد في منزله حيث تلقى دعوة للاجتماع بعبد الناصر . وخلال تزايد الحديث عن احتمال سفر غولدمان الى القاهرة ومعارضة الحكومة الاسرائيلية لهذه الخطوة ، أنكر المتحدث الرسمي باسم الجمهورية العربية المتحدة بشدة ، ان تكون القاهرة قد وجهت دعوة الى غولدمان لزيارتها ، واتهم السلطات الاسرائيلية بأنها هي التـــي تقوم بترويج ذلك . (انظر هآرتس ٧٠/٤/٨) .

وقبل مدة طلعت علينا وسائل الاعلام الاسرائيلية بعنـــاوين بارزة ، عـــلى لسان غولدمان مثل « جرت ثلاث محاولات لعقد اجتماع بيني وبين عرفات » ويذكر غولدمان أنه رفض العروض للاجتماع برئيس منظمـــة التحرير الفلسطينية بعـــد ان استشار المسؤولين الاسرائيليين : « انني أؤيد تأييدا مطلقا موقف رابين المعارض للقاء كهذا ، طالما ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تعلن اعترافهـــا بدولة اسرائيـــل » (يديعوت احرونوت ٧٥/١/١٠) وقد فند مصدر فلسطيني مسؤول هذه الاقوال ووصفها بانهـــا محض افتراء . وفي الحديث الصحفي الاخير مع غولدمـــان ، يتطرق الى ما اشيع عن وساطة لاحداث لقاء بينه وبين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية . ويذكر بأن الملك الحسن الثاني كان وراء ذلك ، الا انه يعرب عن رايه بأن الامر لم يكن « متفقا عليه » مع عرفات « لقد حاولوا عقـــد لقاء بيني وبين فلسطينيين ، ورجاني المـــلك الحسن وآخرون ان اجتمع بعرفات ولكن الامر لم يكن واضحا ، ولا مرة ، بان الموضوع متفق عليه معه . ولقد عارضت على الرغم من ان الطريق ممهدة . اما اليوم فـــان الامر لا يزال غير ممكن لاجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ، فطالما أنهم لم يلغوا

الارهاب بشكل تام ، وعلى غير استعداد للاعتراف باسرائيل ، فان اسرائيل لن تعترف بهم . بدون الاعتـــراف باسرائيل لا يمكـــن التحدث معهـــم » (ملحق عل همشمار ٧٥/١/٣١) .

وقبل التطرق الى افكار غولدمان التي تحدث استياء في اسرائيل ، ورغبة في المتابعة خارجها ، تجدر الاشارة هنا الى ان غولدمان الذي يناهز الثمانين من عمره قد امضى حوالي ستين عاما في خدمة الحركة الصهيونية وغدا في عام ١٩٣٦ رئيسا للجنة ادارة المؤتمر اليهودي العالمي الذي تأسس في ذلك العام ، ومن ثم اصبح رئيسا له عـــام ١٩٥٣ ، ولا يزال يحتفظ بمنصبه هذا حتى اليوم حين اعاد المؤتمـــر اليهودي العالمي الذي عقد في شهر فبراير (شباط) من هذا العام انتخـــابه لرئاسة المؤتمر ، وذلـــك بالاضافة الى شغله رئاسة المنظمة الصهيونية لفترة تمتد من ١٩٥٦ ــ ١٩٦٨ ، كما ويعود له الفضل الاكبر في اتفاق التعويضات بين المانيا الغربية واسرائيل .

هنالك ملاحظتان يجدر تسجيلهما :

١ ــ ان غولدمان الذي يحاول في مقالاته الاخيرة تصويـــر نفسه بانه كان ضمـــن المجموعة « المعتدلة » في الحركة الصهيونية مثل وايزمان وماغنس ومارتن بوبر يتجاوز الحقيقة في هذا الموضوع ، اذ انه كان يتخذ حتى الستينات موقفا متذبذبا بين الجناحين المعتدل والمتطرف في الحركة الصهيونية ، وفي اواخر الستينات وبداية السبعينات بدأ يميل الى موقف « المعتدلين » .

٢ ــ ومن هنا فان الذي يود البحث عن الفكرة تجاه الصراع العربي الاسرائيلـــي ومفاهيمه لهذا الصراع ، واهتمامه بالطرف العربي ، لن يعثر علـــى شيء يذكر في كتبه ، وانما سيجد في المقابل افكارا في طور التبلور في مقالاته التي درج على نشرهـــا منذ خمسة اعوام في صحيفة هآرتس على شكل مسلسلات بين الفينة والاخرى ، تزيد على عشرين مقالا ، وفي تصريحاته ومقابلاته الصحفية منذ ذلك الحين . (فقد اعتمدنا في هذا المقال بشكل رئيسي على مقالاته آنفة الذكر) .

ان الطابع المميز لهذه المقالات هو الطابع النقدي الاصلاحي للسياسة الاسرائيليـــة تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، كما وتتسم كتاباته بتكرار الفكرة ، ومن هنا ارتأينا ان نركز على افكاره تجاه ثلاثة موضوعات ، العامل الزمني ، وتجاهل القضية العربية ، ونظرته الخاصة للاتحاد السوفييتي ، لنصل بعد ذلك الى ارائه في حل الصراع العربي الاسرائيلي .

العامل الزمني : يكاد لا يخلو مقال او حديث صحفي للدكتور ناحوم غولدمان مـــن التطرق الى عامل الزمن في الصراع العربي الاسرائيلي . ومن المعروف ان وجهـــات النظر الاسرائيلية تجاه هذا الموضوع مختلفة بعض الشيء ، فهنالك من يرى بـــأن العامل الزمني هو لصالح اسرائيل في هذا الصراع ، ويقف مع وجهة النظر هذه معظم الزعماء الاسرائيليين ، ولذا فانها تكاد تكون هي السائدة ، وهناك من يرى بان العامل الزمني هو لصالح من يستغله ويعمل بدون كلل لتسخيره لخدمته ، ولا تختلف وجهـــة النظر هذه كثيرا عن وجهة النظر الاولى على أساس ان القائلين بأن العـــامل الزمني يعمل لصالح اسرائيل يعتقدون ان اسرائيل تعمل اكثر من الطرف الاخر على تسخير العامل الزمني لصالحها . امـــا وجهة النظر الثالثة وهي وجهة نظر يتبناها بعـــض الاشخاص وعلى راسهم غولدمان فتعتقد ان العامل الزمني يعمل لصالح العـــرب ، او كما يقول غولدمان ، لغير صالح اسرائيل ، وبسبب نظرته هذه حظي بعدة القاب ونعوت مثل « المتشائم » و « نبي السوء » وما شابه . غير ان هذه النعوت لم تدفع

غولدمان الى تغيير وجهة نظره التي يرددها في كل مناسبة ، بل ويزداد اقتناعا بها مع مرور الزمن ، وقد درج على ترديـــد عبارة « ليت نبوءتي لـــم تصدق » او « ليت ان القائلين بغير وجهة نظري هم الذين صدقوا » . من بين الاسباب التي يركز عليهـــا غولدمان في مقولته احتمال وصول العرب الى تفوق في الجودة والنوعية بالاضافة الى تفوقهم المضمون في العدد خاصة وانهم اصحاب حضارة . حول ذلك يقول في مقالة له في (هآرتس ١٩٧٠/٤/٣) : « لقد قلت دائما بأن الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل ومن هذه الناحية فانني لا اقف ضد تفكير بن غوريون فقط ، بل ايضا ضد تفكير كثير مـــن الزعماء الاسرائيليين الحاليين ، كل واحد يعترف بان التفوق العددي للعرب سيزداد . ان التفوق الحقيقي لاسرائيل في الوقت الحاضر يتمثل في النوعية والطابع والقـــدرة والمعرفة . ولكن ينبغي علينا ان لا ننسى ان العرب هم اصحاب تاريخ طويل مع كثير من الاحداث المجيدة ، ذلك انهم لـــم يخلقوا فقط حضارات عظيمة وواحدة من اهـــم الديانات في العالم ، بل حققوا في فترات تفوقا عسكريا واحتلالات ، ولا يمكـــن لاي شخص معرفة المـــدة الزمنية التي يحتاجهـــا العرب لكي يتساووا مـــع اسرائيل في التكنيلوجية الحديثة ، ولا سيما فيما يتعلق بقطع السلاح . انني اعرف ان هنالـــك نظريات يعتمدها اخصائيون تنص على ان الهوة التكنيلوجية ستزداد لصالح اسرائيل ، انني لست اخصائيـــا ، الا انني استخـــدم عقلي ، وبموجبـــه فانني ارفض هـــذه النظريات » وهنالك تصريحات واقوال كثيرة اخرى شبيهة بهذا المعنى للدكتور غولدمان تشير كلها الى اعتقاده بأن الكم العربي قابل للتحول الى نوع ، وبما ان اسرائيل بعيدة كل البعد من ان تتساوى مع الكم العربي ، فان الخطر سيحدق بها حين يتحول هـــذا الكم الى نوع .

وهنالك اسباب اخرى تقف وراء ايمان غولدمان بان العامل الزمني هو لغير صالح اسرائيل ، من بينها اتساع روح الكراهية تجاه اسرائيل بين اوساط الجيـــل الشباب والاجيال العربية المتلاحقة في حال عدم التوصل الى سلام نتيجة اتساع الهوة بـــين الطرفين المتنازعين . ويخالف بعض الزعماء الاسرائيليين ، ويذكر في هذا المجال انه كان قد أجرى في السابق نقاشات مع بن غوريون ومع آخرين من المتربعين على سدة الحكم في اسرائيل حول ما اذا كان الجيل الجديد اكثر استعدادا من الجيل القديم لقبول اسرائيل ، وانه كان يقف ضد وجهة النظر القائلة بأن الجيل الجديد لم يعان من عقدة الهزيمة في عام ١٩٤٨، ولذا فانه على استعداد اكثر لنسيانها ، والنظر الى الصراع العربي الاسرائيلي بمنظور يتسم بواقعية اكثر ، ويرى غولدمان في ذلك افتراضا غير صحيح لان العالم العربي حسب رأيه عانى ، بما في ذلك الجيل الشاب اليوم ، في حرب حزيران ١٩٦٧ من هزيمة اشد وأمر (انظر هآرتس ١٩٧٠/٤/٣) .

بالاضافة الى ذلك يرى غولدمان ان التقادم على المآسي التي ارتكبها هتلر بحـــق كثير من الشعوب ، ومن بينها مآسي اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ، من شأنه ان يضعف روح التعاطف والتأييد بين اوساط الرأي العام الغربي تجاه اسرائيل . ومن المعروف ان من بين الاسباب التي عجلت وساعدت على قيام اسرائيل ظهور الحركة النازية في المانيا وارتكابها مجازر ضد اليهود ، ابان نمو الحركـــة الصهيونية ، الامر الذي دفع الاخيرة لاستغلال تلك المجازر بعد سقوط النازية ابشع استغلال بين اوساط الرأي العام الغربي ، لتحقيق الجريمة في فلسطين من خلال التلويح بعقدة الذنـــب . حول ذلك يقول غولدمان « ... يحظى الشعب اليهودي بمكانة ممتازة في الرأي العام العالمي . وليس فقط ان الامم المتحدة صوتت بأكثريـــة الثلثين الى جانب قيام دولـــة يهودية ، بل ايضا حظيت الاقلية اليهودية في بلـــدان مختلفة من العالم وخـــاصة في

الولايات المتحدة بنفوذ سياسي كبير للغاية .. واحد هذه العوامل التي كان العالم غير اليهودي بسببها يلتزم جانب التأييد والتسامح تجاه الاقليات اليهودية وتجاه اسرائيل ، يكمن في الضمير الشرير للعالم الديموقراطي عقب الكارثة . هذا العالم شعر ، وحتى لو لم يعترف بذلك ، بأنه تصرف بشكل غير اخلاقي وبجبن تجاه التهديد النازي للوجود اليهودي وانه لو اتخذ موقفا مختلفا تجاه هتلر ، لكان بامكانه انقاذ مئات الالاف ، ان لم يكن الملايين من اليهود . هذا الضمير الشرير يفسر بما فيه الكفاية مسلك العالم تجاه الشعب اليهودي عامة وتجاه اسرائيل خاصة . الا انه يتلاشى بسرعة ، وحتى انه قد اختفى » (هآرتس ١٠/١١/٧٤) اي انه يريد القول بأن عقدة الذنب التي لازمت الرأي العام الغربي بسبب تقصير دول الحلفاء في منع هتلر من تنفيذ مجازر ضد اليهود ، آخذة بالتلاشي مع مرور الزمن وخاصة بين اوساط الجيل الشاب ، ولذا فان التلويح أخذ يفقد مفعوله بفعل التقادم .

وهنالك عوامل اخرى يعتبرها غولدمان بانها ستؤثر على اسرائيل لفترة طويلة ، العامل الاول يتمثل في دخول العالم الغربي في مرحلة من الضعف الاقتصادي ، مقابل تعزز اقتصاد المنظومة الاشتراكية والعالم الثالث « ... ومن هنا ندرك التأثير الكبير المباشر علينا ، ذلك ان الدول الديموقراطية كانت طيلة عشرات السنين صديقة طبيعية للشعب اليهودي ، في الوقت الذي كانت فيه علاقاتنا مع البلدان الاشتراكية سيئة ، او في احسن تقدير ، علاقات تتسم باللامبالاة » والعامل الثاني يتمثل في الملل الذي أصاب العالم الغربي من تتبع الصراع العربي الاسرائيلي ، خاصة وان وسائل الاعلام الغربية درجت على اشغال الرأي العام الغربي بقضايا اسرائيل ، دون وجود أمل في التوصل الى سلام ، وبالتالي تخفيف حدة انشغال الرأي العام الغربي بقضايا الدولة الصغيرة ، او كما يقول غولدمان موجها سهامه ضد السياسة الاسرائيلية : « ان معظم اصدقائنا من الدول الديموقراطية ، غدوا ضيقي الصدر تجاه اسرائيل بسبب سياستها ، وملوا من المعالجة في قضية الشرق الاوسط التي لا نهاية لها ، وكذلك في العلاقات الاسرائيلية العربية . انهم لم يتحولوا الى مؤيدين للعرب ، ولا زال الجمهور في تلك البلدان متعاطفا باكثريته الكبرى مع اسرائيل ، الا ان هؤلاء الاصدقاء بدأوا يسائلون انفسهم : لماذا ينبغي على هذه الدولة الصغيرة ان تشغل العالم في قضاياها ، بشكل دائم ، وبشكل اكثر من القضايا الخطيرة والهامة » (يديعوت احرونوت ٣١/١/٧٥) .

اما العامل الثالث فيتمثل في رؤية غولدمان للتقدم الاقتصادي المرتقب للعالم العربي من خلال موارد النفط ، وارتباط الاقتصاد الغربي بالنفط ، الامر الذي يعزز من تصاعد نفوذ العالم العربي في المستقبل ، وما ينجم عن ذلك من انعكاس سلبي على اسرائيل ، وفي هذا الخصوص يذكر غولدمان بانه « للاسف الشديد » قد صدق في نقاشه مع المسؤولين الاسرائيليين بالنسبة لعامل الزمن ، وبشكل اكثر مما كان يتوقع « يجب النظر في تأثير القوة المالية والاقتصادية والسياسية المتصاعدة للعرب ، وتعاظم قوتهم العسكرية ، لكي ندرك باي سرعة نما وزنهم . انني اعرف بان هنالك اسرائيليين يحاولون الهرب من هذا الواقع المؤلم ، من خلال الامل بان يضعف ارتباط العالم بالنفط العربي بسرعة ، بينما يعيش اخرون في ايمان بليد بأن الدول الغربية ستستخدم الوسائل العسكرية لكي تضع حدا لهذه السيطرة العربية . ان هذين الاملين بمثابة وهم » (هآرتس ٨/١١/٧٤) .

نتيجة ايمان غولدمان بأن العامل الزمني لا يعمل لصالح اسرائيل ، نجده يحذر

في كل مناسبة من تفويت فرص السلام ملوحا بالعامل الزمني ، فعندما كانت المفاوضات على اشدها بين سوريا واسرائيل حول اتفاقية فصل القوات ، حث غولدمان اسرائيل للاسراع في السعي من اجل السلام ، مشددا على عامل الزمن ، قائلا بنوع من النقد الساخر : « اذا ما اجرينا مفاوضات حول كل مستوطنة في الجولان ، فاننا سنصل الى اتفاق بواسطة هذا الايقاع ، قبل يوم من مجيء المسيح » (معاريف ٧٤/٥/١٣) .

كما وأنه ينتقد اسلوب المراحل الذي يعتمده الدكتور كيسنجر لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، لان هذا الاسلوب حسب اعتقاده يحتاج الى وقت طويل ، مما من شانه ان يعزز من قوة العرب ، ومن ثم يجعلهم يتخذون مواقف اكثر تطرفا « مع كل تقديري للدكتور كيسنجر وصبره وثقافته المتألقة وفهمه التكتيكي ، فان اسلوبه يحتوي على نقطتي ضعف ، انه يطيل اكثر من اللازم سياق المصالحة والاتفاق ، ازاء حالة عدم الاتزان للعالم العربي ، وقوته المتصاعدة والتي ستدفعه ليكون اكثر تطرفا وعنادا في مطالبه ، كما وانه يضعف المصالح السوفييتية في التسوية وبالتالي يضعف استعداد السوفييت للمساعدة » (هآرتس ٧٤/١١/١١) .

ويعود ويؤكد باسلوب ساخر معارضته لطريقة كيسنجر مشددا على العامل الزمني بقوله : في المرة الاخيرة عندما كنت في اسرائيل ، وعندما كان الدكتور كيسنجر يجري مفاوضات حول فصل القوات السورية الاسرائيلية ، قلت في مؤتمر صحفي — بضحك ممزوج بالجدية — انه اذا كنا بحاجة الى بضعة اسابيع لاتخاذ قرار بشأن بضع مئات من الدونمات ، فانني اتخيل بأن التسوية النهائية ستحل قبل فترة وجيزة من ظهور المسيح ، ومن الواضح حينذاك بأن جهود الدكتور كيسنجر من اجل السلام لا قيمة لها ، لان المسيح بدون شك سيقوم بالمهمة بشكل افضل منه » (نفس المصدر) .

وربما يبدو في ذهن المرء تساؤل حول الفائدة التي يجنيها العرب من التوقيع على اتفاق سلام مع اسرائيل والاعتراف بها ، ما دام العامل الزمني يعمل لصالح العرب ؟ لماذا لا ينتظرون حتى يقعوا ثم يقومون بتصفية اسرائيل ؟ حول ذلك يجيب الدكتور غولدمان في اخر مقال نشر له حين يذكر بان لا احد يستطيع الاجابة على ذلك بشكل قاطع ، ولكن من الافضل تقديم اقتراح السلام على شكل تجربة ، ويرى ان هنالك بعض الاسباب التي تعزز من احتمالات الرد الايجابي من جانب العرب ، منها ان « المعتدلين » من بين الحكام العرب يعتقدون انه لا يمكن تصفية اسرائيل حتى ولو تفوقوا عسكريا على اسرائيل لان دول اوروبا وعلى رأسها الولايات المتحدة وكذلك الاتحاد السوفييتي ستبذل قصارى جهدها للحيلولة دون ذلك ، كما ويذكر ان هنالك سببا اخر يدفع العرب للاستجابة الى سلام حقيقي يتمثل في رغبتهم في التخلص من القضية الفلسطينية للتركيز على تطوير بلدانهم (انظر يديعوت احرونوت ٧٥/١/٣١).

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان العامل الزمني في الصراع العربي الاسرائيلي وفق منظور غولدمان لا يخدم اسرائيل ، بسبب التفوق العددي العربي والذي يمكن ان يتحول الى تفوق نوعي ، لان العرب هم اصحاب حضارة ، وان الكراهية تجاه اسرائيل تتصاعد مع الاجيال العربية المتلاحقة ، كما وان عقدة الذنب في العالم الغربي آخذة بالزوال ، كما ويرى أن العالم الغربي يسير القهقرى في المجالات الاقتصادية بينما يخطو العرب والمجموعة الاشتراكية خطوات الى الامام في تلك المجالات .

التغاضي عن القضية العربية : من بين الامور التي تستحوذ على تفكير الدكتور غولدمان ، تجنب الحركة الصهيونية منذ بدايتها عن الاهتمام بالطرف الآخر ، أي الطرف العربي ، وقد أدى هذا التجاهل حسب اعتقاده الى عدم تمكن الحركة

الصهيونية من تقييم العرب تقييما موضوعيا ، وبالتالي عدم التوصل معهم الى سلام يضمن اعترافهم باسرائيل ، ويعتبر ذلك مرة نقطة ضعف في الحركة الصهيونية وتارة « خطيئة قديمة » لتلك الحركة . ففي مقال له في هآرتس (٧٠/٤/٣) يقول حول هذا الخصوص : « ... أن احدى نقاط الضعف والتغاضي الاساسي للحركة الصهيونية يتمثلان في عدم اهتمامها بالقضية العربية أو انها استخفت بشكل كبير في أهميتها ، ففي كتابات وأقوال المفكرين الايديولوجيين للحركة تحتل النظرة الى العالم العربي دورا لا يذكر . اننا نفكر بمفاهيم القرن التاسع عشر ، حين لم تشغل شعوب لم تصل بعد الى استقلال سياسي — مثل العرب وآخرين — دورا ملموسا على الصعيد العالمي . لقد كانت الاهداف السياسية للحركة الصهيونية موجهة دائما وقبل كل شيء ، لدفع أكثرية الشعب اليهودي أو على الاقل قسم كبير منه لقبول الحل الصهيوني للقضية اليهودية ، وثانيا ، لنيل عطف الدول الكبرى » . وفي مقال آخر يتطرق الى هذا الموضوع ويصف تغاضي الحركة الصهيونية عن العامل العربي ومدى تأثيره في المستقبل بأنه بمثابة خطيئة « ينبغي على الجميع في اسرائيل — كما آمل — ان يدركوا بأن القضية العربية أخذت تصبح القضية الاساسية والحاسمة بالنسبة لمستقبل اسرائيل ، وهي التي تقرر ليس فقط العلاقات بين اسرائيل والدول العربية ، بل أيضا بين اسرائيل وجميع دول العالم ، بما في ذلك الولايات المتحدة . ان المصدر الاساسي للصعوبات في هذا الموضوع تكمن بما اسميه « الخطيئة القديمة » للحركة الصهيونية . ولم نعمل جميعا ، بما في ذلك أنا بالذات ، طيلة سنوات كثيرة لكي نفهم المعنى المركزي لهذا الموضوع . ان تيودور هرتسل الذي قلص أبعاد الصهيونية الى قضية تقنية تتمثل في نقل أناس بلا أرض الى أرض بلا أناس ، ليس فقط انه لم يعرف شيئا عن القضية العربية ، بل وللأسف الشديد لم يفهم تعقيدات المشكلة اليهودية . ان هذا الجهل والتبسيط الزائد ، هما اللذان مكناه من كتابة « دولة اليهود » . » (يديعوت احرونوت ٧٥/١/١) . ويرى غولدمان انه نتيجة هذا الاستخفاف من قبل منظري الحركة الصهيونية سواء السابقون أو اللاحقون منهم ، بالقضية العربية، وعدم التعمق بنفسية العرب وتاريخهم، انه لم يخطر مثلا على بال أحد من قيادة الحركة الصهيونية بأن العرب « سيردون بحرب على قيام دولة يهودية » ومع ذلك فانه يذكر بأنه كان يوجد في الحركة الصهيونية أقلية صغيرة كانت دائما تنظر بجدية نحو القضية العربية ، ويؤكد في مقالات عدة انه هو كان من بين هؤلاء ، مثل مارتن بوبر ويهودا ماغنس وارنست سيمون ، الا أن هذه الاقلية لم تكن تملك من قوة التأثير لدرجة تستطيع معها تغيير مجرى تفكير الاكثرية . ومن المعروف أن الحركة الصهيونية كانت ولا تزال يتنازعها تياران ، الاول متطرف وهو السائد ، ولا يعير الرأي العام العالمي أو الطرف العربي اهتماما خاصا في حال الاقدام على اجراءات تخدم الهدف الصهيوني ، بينما التيار الثاني « المعتدل » يسعى لتحقيق تلك الاجراءات بشيء من الليونة والليبرالية . ويعتقد غولدمان أن استخفاف التيار الاول بالقضية العربية كانت له نتائج خطيرة : « تأتي عن هذا الاستخفاف بالقضية العربية نتائج خطيرة . لم نحاول أن نجعل من العرب في أرض اسرائيل مشاركين في بناء البلاد . حقا اننا لم نرد أن نمسهم وتأملنا أن نقيم معهم علاقات قلبية ، وصحيح أيضا اننا بذلنا في بعض الاحيان محاولات لاصلاح الوضع والتوصل الى أي اتفاق معهم . فقد حاول وايزمن الذي فهم المسألة اكثر من اي شخص آخر ، حاول تحقيق الامر في مباحثاته الشهيرة مع الامير فيصل وبعد ذلك كانت لدافيد بن غوريون وموشيه شاريت والدكتور فيكتور يعقوبسون ولي بعض الاتصالات مع العرب، الا أن اي واحد من هذه الاتصالات لم يستمر طويلا بحيث يسفر عن شيء ، ولا حتى مباحثات بن غوريون مع موسى العلمي التي ربما تكون أخطر هذه المباحثات » (هآرتس ٧٠/٤/٣) . ويرجع سبب

فشل هذه الاتصالات الى تصلب الموقف الصهيوني الذي كـــان يطالب باقامة دولــة اسرائيلية على كامل التراب الاردني الفلسطينـــي ، بدل المطالبـــة باقامة دولة على فلسطين أو جزء منها ! ولذا فانه يرى بأن الزعماء العرب في ذلك الوقت لم يستطيعوا الاستمرار في المفاوضات للوصول الى تفاهم امام المطلب الصهيوني ، الامر الذي زاد من الهوة بين مواقف الطرفين ، وأدى كما يعتقد غولدمان الى نشوب عدة حروب بين العرب واسرائيل . الا أن أهم شيء يريد الدكتور غولدمان قوله هو ان القوى السياسية في اسرائيل قد فشلت حتى الان في التوصل الى تسوية مع العرب لانها « تفتقر الى فهم نفسيتهم » لان صعوبات الصراع بين العرب واسرائيل ، حسب رأيه ، لا تتمثل فقط في المشاكل الموضوعية والواقعية ، بل في الناحية البسيكولوجية . يقول في هذا المجال : « ان الطابع الحقيقي والصعوبة الحقيقية للصراع العربي الاسرائيلي هما قبل كل شيء بمثابة أمر بسيكولوجي ، فمن خلال الرغبة الصادقة يكون من الممكن حل معظم القضايا في العالم ، ولكن في غياب رغبة صادقة تصبح حتى أسهل القضايا ، قضايا مستعصية الحل . **ان العرب هم أناس توجههم مشاعرهم وغرائزهم أكثر مما يوجههم عقلهم** ، انهم لا ينسون ولا يسامحون ، ولذا ، فان لديهم ميل قوي للتغاضي عن الواقع ، والعيش ضمن اطار الاماني والاوهام . فالهزيمة لا تؤثر عليهـــم ، بل تدفعهم فقط الى تأجيل آمالهم بالنصر لبضع سنين أخرى ... ان العرب لا يلتفتون بشكل حقيقي الى الهزائم المتكررة التي يلاقونها ، ويجدون تعزية وتبريرا في أحداث كثيرة من تاريخهم وخاصة حادثة الحروب الصليبية عندما نجح أجانب ــ كما يعتبروننا نحن أيضا ــ في اقامة دولة في سوريا وأرض اسرائيل طيلة فترة معينة ، وفي النهاية سقطت دولتهم وأبيدوا على يد صلاح الدين » (نفس المصدر) .

اذن يعتقد الدكتور غولدمان ان أحجية الجـــانب النفسي في الصراع التي لم تدركها الحركة الصهيونية وتتعمق بها لايجاد حل للصراع نفســـه ، تتمثل في الصفة الملازمة للعرب « ان لديهم ميلا قويا للتغاضي عن الواقع والعيش ضمن اطار الاماني والاوهام » هذه الصفة الناجمة عن طبيعتهم « العرب هم أناس توجههم مشاعرهم وغرائزهم أكثر بكثير مما يوجههم عقلهم » .

ومن الغريب والطريف حقا يرى أن اليهـــود أيضا يشاركون العرب في صفة الميل القوي للتغاضي عن الواقع ، والعيش ضمن اطار الاماني والاوهام ، ولكنه في الوقت نفسه يعتقد بأن هذه الصفة في حالة كونها مرادفة لليهود فانها ناجمة عن « عبقرية » ، ففي نفس المقال يذكر غولدمان « لو ان الشعب اليهودي رضخ للواقع ، فانه لن يكون قائما اليوم ، هذا هو ايماني الصلب . ان الانجاز العظيـــم لعبقرية شعبنا يتمثل في محافظته على وجوده في ظروف غير قابلة للتحمل ، ولا يستطيع أي شعب آخر الصمود أمامها . وقد تغاضى عن الواقع الفظيع وهرب الى داخل الاماني والصلوات والاوهام . ففي الفترات التي كان يوجد فيها على أكثر تقدير مليون ونصف مليون يهودي في العالم يعيشون تحت المطاردة والتمييز والضيق والتحقير ، تناقش الزعماء الدينيون والروحيون من شعبنا في حماس حول القوانين واللوائح الخاصة بالايام التي سيأتي فيها المسيح عندما يعيد بناء المقدس من جديد ، وتقام مرة أخرى دولة يهودية » أي ان غولدمان يريد القول بأن صفة التغاضي عن الواقع والعيش مـــع الاحلام مشتركة بين العـــرب واليهود ، الا أنها نابعة عن طبيعتين مختلفتين ، طبيعة « الغبـــاء » بالنسبة للعرب ، وطبيعة « العبقرية » بالنسبة لليهود !

وللبرهنة على عناد العرب وعدم تسامحهم ورغبتهم في العيش ضمن اطار الوهم ، يستعين غولدمان بالمقارنة ما بين وضعين مختلفين ، ينعدم فيهما وجه الشبه « لقد

سبق لي وأن قلت في أحيان كثيرة بأن لو كان العرب انجليز لكنا منذ مدة نعيش معهم بسلام ، لان الانجليز يتحلون بقدره عبقرية لملاءمة انفسهم مع الواقع . فقد اثبتت فترتنا الامر بشكل بارز للغاية ، ذلك ان الانجليز عندما فقدوا أمبراطوريتهم الكبرى في العالم ، لم يصبحوا تعساء مكسوري القلب ازاء هذه الخسارة » (نفس المصدر) .

من الواضح أن وجه الشبه بين الحالتين مفقود ومضلل ، الا انه يمكن القول ، لو ان الحركة الصهيونية اقتطعت جزءا من بلاد الانجليز ، وأصبح وضع الانجليز كوضع العرب بالفعل ، فمن المشكوك فيه حينذاك أن يتحدث الدكتور غولدمان عن « عبقرية » الانجليز الذين يلائمون أنفسهم مع الواقع ، ومن غير المستبعد أن يلصق بهم صفة العيش مع الاحلام الناجمة عن طبيعة « الغباء » و« توجههم مشاعرهم وغرائزهم أكثر مما توجههم عقولهم » .

ويعزو الدكتور غولدمان سبب تعزز بسيكولوجية العرب هذه ـ وفق مفاهيمه ـ الى وضع العرب الجيوبوليتي ، لاعتقاده بأنه « لا أمل » في أن تنجح الدولة اليهودية بابعاد العرب من الشرق الاوسط ، وان أي انتصار اسرائيلي جديد ، لن يغير من الحقيقة الاساسية بأن الدولة اليهودية قد حكم عليها بأن تبقى الى الابد واقفة أمام تفوق عددي عربي حاسم آخذ بالتنامي ، ولذا فانه لا يرى بأن الهزائم المتكررة التي يلاقيها العرب تنطوي على معنى مأساوي بالنسبة للعرب ، كما وان العرب يمكنهم أن يخسروا معارك كثيرة دون أن يخسروا الحرب النهائية في الوقت الذي يمكن أن تعرض فيه هزيمة واحدة اسرائيل الى الدمار ، ثم يقرر « ان هذه المقولة مبررة ، وتبشر بالسوء عندما يحظى العرب بموقف أفضل بكثير على المدى الطويل » .

لا يعتقد الدكتور غولدمان بأنه يمكن تغيير بسيكولوجية العرب بين عشية وضحاها ، لان ذلك حسب رأيه يحتاج الى صبر ووقت طويل ، مع العمل خطوة خطوة لدفع الامور لصالح التغيير ، دون ان يفعل أو يشرح ماهية تلك الخطوات ، الا أنه يركز على نقيضها المتمثلة في سياسة الارغام والقوة « . . .لقد تأملنا الحصول على الامر (اعتراف العرب باسرائيل) بواسطة توجيه ضربات عسكرية ، أو بواسطة تدخل ومساعدة دول من الخارج ، ووفق رؤيتي للامور فان هذا الاسلوب خاطىء من أساسه» (نفس المصدر) .

كتلخيص لما سبق يمكن القول ان الدكتور غولدمان يؤمن بامكانية التعايش بين الحركة الصهيونية والعرب ، خاصة لو عملت الحركة الصهيونية منذ نشوئها على معرفة العرب وأشركتهم في أعمال البناء والمشاريع ، ونظرت اليهم نظرة مختلفة ، لكسبهم الى جانبها أو على الاقل عدم التصادم معهما ، وكان يفضل لو ان الحركة الصهيونية حصلت على « وعد بلفور » عربي ، كما أعلن أكثر من مرة بدل حصولها عليه من بريطانيا ، ومع ذلك فانه لا يرى بأن السلام مستحيل بين اسرائيل والدول العربية ، بل يمكن تحقيقه لان الصراع ليس حتميا كما يعتقد ، وانه اذا ما ركزت اسرائيل اهتمامها بالقضية العربية وابتعدت عن الاستخفاف بالعرب وغيرت من سياسة التعنت فانه يمكن حينذاك الحصول على سلام .

النظرة تجاه الاتحاد السوفييتي : في الوقت الذي نرى فيه الدكتور غولدمان ينتقد الحركة الصهيونية وزعماءها ومن ثم السياسيين الاسرائيليين المتربعين على سدة الحكم حول نظرتهم تجاه العرب ، ويطالب بتغيير تلك النظرة التي تتسم بالاستخفاف الى نظرة موضوعية ، نجده ايضا ينظر الى الاتحاد السوفييتي بنظرة أخرى مغايرة لكثير من الاسرائيليين حيث نجد قسما منهم يعتقد بأن الاتحاد السوفييتي يعتبر من جبهة أعداء اسرائيل ويرى انه يجهز العرب بالاسلحة بغرض تدمير اسرائيل ، ويرى قسم

آخر فيه بأنه على أقل تقدير لا يمكن أن يصبح من أصدقاء اسرائيل ، أما الدكتور غولدمان فيعتقد بضرورة تغيير سياسة اسرائيل تجاه الاتحاد السوفييتي ، لاعتقاده بأن الاتحاد السوفييتي هو المستفيد الاول من وجود اسرائيل ، ولا يريد أن يسعى الى تدميرها ، ولا يترك فرصة تفوته سواء في حديث صحفي أو مقال دون أن يذكر مقولته تلك ويعطي غولدمان بعض الاسباب التي يعتقد بأن الاتحاد السوفييتي غير معني بالقضاء على اسرائيل من أجلها :

١ ــ ان الاتحاد السوفييتي يدرك بأن الولايات المتحدة والعالم الغربي لن يسمحوا بذلك ، ومن المؤكد انه معني بمنع حدوث المواجهة الكبرى بين الشرق والغرب الناجمة عن هذا الامر .

٢ ــ باستثناء ذلك ، ومن ناحية السياسة الواقعية للاتحاد السوفييتي ، فان قيام اسرائيل يعتبر بمثابة هدية من السماء بالنسبة له ، وقبل مدة بسيطة قال لي سياسي اميركي كبير عندما سألته عن رأيه، ليس هنالك ثمن لا يكون الاتحاد السوفييتي مستعدا لدفعه لكي يبقي اسرائيل على قيد الحياة . لقد كان حتى الآن المستفيد الاكبر على الصعيد العالمي من قيام دولة اسرائيل ... » (هآرتس ٧٠/٤/٦) . وفي مناسبة أخرى يذكر بأن الاتحاد السوفييتي معني باستمرار وجود اسرائيل ، لان هذا الوجود منحه فرصة « للتوغل » في المنطقة « ... ومن ناحية أخرى فان الاتحاد السوفييتي يريد استمرار قيام اسرائيل ، ان لم يكن لاسباب اخلاقية فمن خلال دوافع أنانية ، فلولا اسرائيل لكان العالم العربي بأكثريته مؤيدا لاميركا وللغرب . فبفضل ظهور اسرائيل فقط استطاع الاتحاد السوفييتي الذي سعى الى ذلك مئات السنين ولكن بدون نجاح ، استطاع أن يتوغل في الشرق الاوسط حتى بدون حرب ، وان يحظى بموقع نفوذ سياسي واقتصادي » (يديعوت احرونوت ٧٥/١/٣١) .

ومن خلال هذه الرؤيا تجاه الاتحاد السوفييتي فانه يطالب اسرائيل مرارا بتغيير سياستها تجاه الاتحاد السوفييتي مع المحافظة على الصداقة الحميمة مع الولايات المتحدة والعالم الغربي ، ويوجه كثيرا من النقد لتشنج السياسة الاسرائيلية تجاه السوفييت .

وفيما يتعلق باحلال السلام وحصول اسرائيل على اعتراف عربي ، يرى غولدمان بأنه لا يمكن تحقيق ذلك بدون الاتحاد السوفييتي ، ولذا فاننا نراه من بين العناصر الصهيونية القليلة التي تطالب بالاسراع لعقد مؤتمر جنيف لكي يكون للاتحاد السوفييتي دور فيه ، ويساعد بذلك على تحقيق التسوية ، وقد مر معنا أنه يعارض اسلوب كيسينجر المعتمد على المراحل لسببين ، العامل الزمني ، والآخر ابعاد السوفييت بواسطة هذا الاسلوب عن المساهمة في حل الصراع ، ويرى في ذلك بمثابة تضييع لفرص السلام ، لان السلام الذي يتأتى عنه اعتراف العرب باسرائيل لن يحل في المنطقة « اذا لم توحد الدولتان الاعظم جهودهما ، ولم تتعاونا على تقريب السلام ، وليس بوسع الولايات المتحدة لوحدها ، أو بوسع الاتحاد السوفييتي لوحده ، القيام بذلك . الا أنهما معا يمكن لهما أن تؤديا الى اتفاق ، ذلك انه بدون الدولتين الاعظم لا يمكن لاسرائيل أو للعرب أن يتقدما سواء على الصعيد السياسي والاقتصادي أو العسكري» . (يديعوت احرونوت ٧٥/١/٣١) .

وجهة نظر غولدمان تجاه السلام مع العرب : نأتي الآن الى شكل السلام الذي يتوخاه الدكتور غولدمان ويسعى اليه . وقبل التطرق الى ما يطرحه في هذا المجال لا بد من الاشارة الى أن غولدمان لا يتطرق الى اجراءات السلام أو ماهيته بنفس المقدار

الذي يتطرق فيه الى شرح وجهة نظره في الصراع العربي الاسرائيلي ، ولا يجد المرء برنامجا واضح المعالم للسلام الذي يطرحه ، بل سيجد كلاما عاما حول شروط السلام ومبادئه . وتسهيلا للبحث، ومن أجل القاء مزيد من الضوء على تصور غولدمان لشروط السلام ارتأينا تقسيم وجهة نظره تجاه هذا الموضوع الى قسمين ، الاول تصوره للتسوية بشكل عام مع العرب والثاني تصوره للتسوية مع الفلسطينيين .

بالنسبة للتسوية مع العالم العربي يرى غولدمان انه من الافضل أن تحيط التسوية بجميع القضايا الاساسية على شكل صفقة مع اتفاق تعاقدي رسمي وملزم ، مع ضمانات دولية . وقد أورد تصوره هذا في مجموعة مقالاته الا انه شرحها بشكل أوسع في مقال له نشر في هآرتس (٧٠/٤/٨) حين ذكر المبادىء التالية للتسوية :

« ١ ــ ينبغي أن تحيط التسوية بجميع القضايا الاساسية ، ولا يمكن ان تتم التسوية قطعة قطعة ، ومن المؤكد انه لا يمكن حدوث أي انسحاب اسرائيلي من المناطق المحتفظ بها قبل التوصل الى اتفاق تام .

٢ ــ اذ كان من غير الممكن التوصل الى سلام فوري ، فانه من الضروري أن توقع الدول العربية على اتفاق تعاقدي رسمي وملزم توافق بموجبه على انهاء حالة الحرب ، وتعمل على الحفاظ على حرمة الحدود ، ومنع أعمال انتهاك من جانب مجموعات ارهابية . وسيقرر شكل توقيع واعلان هذا الاتفاق التعاقدي الذي يضع حدا لحالة الحرب من خلال الاستشارات مع الطرفين سواء بواسطة مجلس الامن او محكمة العدل العليا في لاهاي ، وستصر اسرائيل بعد انهاء حالة القتال بشكل قانوني وتعيين الحدود بموافقة الطرفين ، على ان تكون هذه الحدود مفتوحة للحركة والاشخاص ومرور البضائع .

٣ ــ بعد تثبت انهاء حالة الحرب بشكل قانوني ، لن يكون لمصر حتى من وجهة نظرها هي ، حجة أخرى لمنع أو لحظر حرية الملاحة الاسرائيلية ، لا في خليج العقبة ولا في قناة السويس ومن الواضح انه بدون ذلك لن تكون هناك تسوية .

٤ ــ سيكون من الضروري تجريد المناطق المحتفظ بها من السلاح ، باستثناء بعض التعديلات الطفيفة مثل اللطرون وقلقيلية ، اي انه فقط بواسطة اتفاق بين اسرائيل والدول العربية ــ في حال التوصل الى سلام ــ سيكون من الممكن اجلاء قوات الامم المتحدة بناء على طلب الطرفين ... »

ومن الجدير بالذكر هنا ان هذه المبادىء يجب ان تطرحها اسرائيل ، كما يطالب غولدمان ، عند الاعلان عن موافقتها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

بالاضافة الى ذلك يشدد غولدمان على قضية الضمانات الدولية ، اذ يعتبرها سواء على شكل ضمان الحدود التي يتم الاتفاق عليها بعد التوصل الى اتفاق ، او على شكل حماية تلك الحدود بواسطة مرابطة قوات على امتدادها ، ان تعمل على تعزيز السلام بين الاطراف . ومن المعروف ان المسؤولين الاسرائيليين لا يعطون هذا الموضوع أهمية ، بل وفي بعض الاحيان يسخرون من الضمانات مستشهدين بما حدث لقوات الطوارىء الدولية عشية حرب حزيران ، ومدعين ان الجانب العربي أبعد من ان يكون حريصا على احترام تلك الضمانات ، الا أن غولدمان يرى في أي اتفاق سلام مثله كالضمانات قابل للانتهاك من قبل اي طرف ، ولذا ، ومن خلال وقوفه على الصراع العربي الاسرائيلي ، وفهمه الخاص له ، فانه يعتقد بضرورة الضمانات التي يجب أن تكون حسب رأيه « رسمية وملزمة من الناحية القانونية » ، كل ذلك بغرض كسر حدة

العداء بين الطرفين المتنازعين ، وتقليص الهوة البسيكولوجيـة القائمة بينهما ودفع المنطقة نحو السلام : « ان أفضل الامور لجميع دول المنطقة هو منح ضمانات مشتركة من قبل الدول الكبرى للحدود الجديدة التي سيتفق عليها بمفاوضات تنتهي بنجاح أو ضمانات موسعة بتوقيع مجلس الامن ، لان ذلك سيخفف من حدة التوتر في الشرق الاوسط ، ويسهل تحسين العلاقات بين اسرائيل والدول العربية » (هآرتس ١٥/١/٧٤) .

وفيما يتعلق بمرابطة قوات دولية بين الاطراف استكمالا للضمانات الدولية ، يرى أن السلام يمكن أن يتعزز بذلك ، ويناقش اولئك الذين يعترضون على رأيه ويدعون بأن القوات الدولية بين مصر واسرائيل لم تحرك ساكنا عندما أمرها الرئيس عبد الناصر بالانسحاب عشية حرب حزيران ، قائلا بأن تلك القوات كانت ترابط في حدود طرف ، وكان هو يود مرابطتها على جانبي الحدود ، ويرفق ذلك بشروط من بينها عدم السماح بابعاد القوات الدولية الا بموافقة الطرفين . ويذكر ان بن غوريون رفض ذلك بحجة ان من شأن مرابطة قوات في الجانب الاسرائيلي مس السيادة الاسرائيلية : « .. ولاسباب تتعلق على ما يبدو بـ « سيادة » اسرائيل رفض بن غوريون بصورة قاطعة السماح بوضع جنود الامم المتحدة على ارض اسرائيلية . وتحدثت معه حول ذلك مرات عدة بناء على طلب همرشولد ، وحاولت اقناعه بأنه مـــن الافضل لاسرائيل الموافقة على الاقتراح ، ولكنه بقي مصرا على رأيه » (نفس المصدر) .

ويخرج غولدمان من ذلك ، بانه من مصلحة اسرائيل ، بالاضافة الى اتفاق السلام الموافقة على ضمانات من قبل قوات دولية على جانبي الحدود ، وان ذلك افضل بكثير من تمسك اسرائيل بالمناطق المحتلة : « وباختصار ، فان اتفاق سلام رسمي يتضمن اعترافا عربيا باسرائيل ، وضمانات ملزمة ورسمية موقعة على الاقل من قبل الدولتين الاعظم ، وتشكيل قوة دولية يمكنها الانسحاب اذا طلب الطرفان ذلك ، هو افضـــل من تمسكها بالمناطق التي لن يتوقف العرب عن محاولاتهـــم لاحتلالهـــا ثانية ، والتي ستحول دون اي اتفاق سلام » . (نفس المصدر) .

ان المتتبع لما يصدر عن غولدمان من افكار واراء وتصريحات ، لا يستطيع الوقوف على جملة صريحة واضحة تنص على ضرورة انسحاب اسرائيل من جميع المناطـــق المحتلة مقابل السلام ، بل يقف على بعض الجمل العامة التي تشير الى انه « يفضل » السلام على المناطق « المحتفظ بها » او على جمل غامضة مثل « انني لست خبيرا في الشؤون الامنية العسكرية ، وليس بوسعي ان اسدي النصيحة حول كم من المنـــاطق يجب أن نتنازل مقابل السلام ، الا انه مع ذلك يجب على اسرائيل ان لا تتنازل اكثـــر من اللازم في اطر التسويات المؤقتة » . (يديعوت احرونوت ٢٩/١/٧٥) .

الا ان هناك شيئا واضحا عند غولدمان ، ولا يدع فرصة تفوته دون التأكيد عليه ، وهو ضرورة بقاء اسرائيل قوية مع جيش قوي بعد التوقيع على اتفاقية السلام مـــع العرب ، فهو يردد دائما عبارات بهذا المعنى ، مثل « ينبغي ان يكون الامر واضحـــا لاسرائيل . انني لا اقول بان منطقتنا ستعيش عقب التسوية في جنة عدن . بـــل ان الامر يتطلب ان تكون اسرائيل قوية مع جيش قوي لمدة طويلة » (٨/٥/٧٤) ومثـــل عبارة « بودي ان اضيف هنا ، لكي نمنع سوء فهم ، انه حتى اذا ما نجحت سياســـة السلام ، فيجب على اسرائيل ان لا تعتمد عليها فقط ، بل ينبغي عليها ان تعمل كـــل ما في وسعها لكي تبقى قوية ، وتتابع تطورات اتفاق السلام ، لتتأكد اذا ما كان العرب على استعداد لاحترامه بكامله » (يديعوت احرونوت ٣١/١/٧٥) .

نظرة غولدمان تجاه حل القضية الفلسطينية : تتسم الحلول التي يطرحها غولدمان للقضية الفلسطينية بالغموض ، الا ان المرء يمكن ان يقف على بعض الجوانب التي يطرحها غولدمان بشكل واضح ، مثل قضية القدس واللطرون وقلقيلية ، ومشكلة اللاجئين .

يعتقد غولدمان بضرورة ابقاء ثلاث مناطق من الارض الفلسطينية المحتلة حديثا تحت السيطرة الاسرائيلية ، عقب التوصل الى سلام . وهذه المناطق هي اللطرون وقلقيلية (ضمن اطار التعديلات الطفيفة) والقدس . وبالنسبة للقدس يطالب غولدمان بضرورة تمسك اسرائيل بوحدة المدينة ، وهذا يعني كما يقول المحافظة على ايجاد اكثرية اسرائيلية ثابتة في المدينة ، الامر الذي يتطلب توجيه قسم كبير من المهاجرين اليهود الى القدس . ومن الجدير بالذكر هنا ان غولدمان يشدد في معظم كتاباته عند تطرقه لمستقبل القدس على توحيدها باكثرية يهودية ، وليس على ضمها رسميا لتخوفه ليس فقط من رفض العرب لعملية الضم ، بل من احتمال عدم تمشي الدول الاربع الكبرى مع اجراء كهذا . ومع ذلك ، ولاعتقاده بأن القدس تعتبر المركز الروحي لليهود ، فانه يطالب بضمها الى اسرائيل ليس بشكل رسمي ، اذا كان ذلك من شأنه اثارة المشاكل أمام اسرائيل ، بل على مشكل توحيد المدينة : « الا ان قضية رسمية الضم لا تبدو امامي ضرورية ، ان الامر الضروري هو توحيد المدينة ، حيث تتمخض عنه اكثرية يهودية واضحة في ادارتها ، ومن حق اسرائيل ان تقيم هناك عاصمتها ، واذا كان من الضروري ، ففي القسم الجديد من المدينة ، حيث لا يوجد للعالمين الاسلامي والمسيحي شأن فيه » (هآرتس ٧٠/٤/٨) . اما بخصوص الاقلية العربية، فانه يطالب بمنحها حكما ذاتيا ضمن التوحيد ، ويدعو كذلك للمحافظة على حرمة الاماكن المقدسة ، ويتوقع في حال قيام صفة دولية خاصة للقدس ، حدوث تطور عظيم في المدينة « الفريدة من نوعها » ، ويتمثل ذلك حسب توقعات غولدمان في تحول المدينة خلال فترة قصيرة الى مركز للمؤسسات الدولية الى جانب كونها مركزا للمؤسسات الدينية .

أما بخصوص قضية اللاجئين فانه يعتبرها من القضايا الصعبة جدا ، ولكنه يشير بوضوح وبصراحة بانه يتفهم الموقف الرسمي الاسرائيلي تجاه هذه القضية . يقول حول هذا الموضوع : انني اتفهم رفض اسرائيل للمطالب العربية المستندة الى قرارات الامم المتحدة ، والقائلة بمنح اللاجئين حرية الخيار بين العودة الى اماكنهم او قبول تعويضات . ان معنى عودة جماعية للاجئين الذين تربوا اكثر من عشرين عاما على كراهية اسرائيل ، يمكن ان يكون ليس كما يقال احيانا وضع حد لدولة اسرائيل ، بل خط عظيم متواصل . ومن الناحية الاخرى فان العرب رفضوا بشكل قوي التنازل عن مبدأ حرية الخيار ، في الوقت الذي تعود فيه الامم المتحدة بالتصديق عليه ، ويقف الى جانبه كل من الشرق والغرب . كما وان الولايات المتحدة اتخذت موقفا شديدا من أجل الحفاظ على هذا المبدأ . انني لا أملك مقترحات حل عملية » (هآرتس ٧٠/٤/٨) .

من الامور التي يعترف بها غولدمان عند حديثه عن القضية الفلسطينية مسألة وجود الشعب الفلسطيني ، وينتقد بشدة اولئك المسؤولين الاسرائيليين الذين درجوا على القول بأن الشعب الفلسطيني غير موجود . اما فيما يتعلق بقضية تمثيل الشعب الفلسطيني ، فان غولدمان كان يود ويتمنى على الحكومة الاسرائيلية ان تعمل على خلق ممثلين من بين صفوف سكان المناطق المحتلة « خلال الاعوام السبعة منذ ان احتلت اسرائيل يهودا والسامرة ، كان عليها ــ بالاضافة الى امور كثيرة نفذتها بتعقل مثل فتح الجسور واعطاء فرص اقتصادية ومهنية للعرب ــ ان تحاول قبل كل شيء

خلق تمثيل رسمي للعرب في المناطق المحتفظ بها . الامر الذي قد يكون من شأنه الحيلولة دون أن تصبح منظمة التحرير الفلسطينية الممثل المعترف به للفلسطينيين » (هآرتس ٧٥/١/١٣) ولكن بما ان الفرصة ضاعت بسبب ما يسميه بتطرف السياسة الاسرائيلية ، وبما ان منظمة التحرير الفلسطينية غدت هي الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني في نظر الاكثرية الساحقة من دول العالم ، فانه يقترح على اسرائيل ان لا تضيع الفرصة ويدعوها الى اعلان استعدادها للتفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية مقرنة هذا الاستعداد بثلاثة شروط شجب منظمة التحرير للاعمال الارهابية ، واعترافها بحق دولة اسرائيل في الوجود ، والتنازل عن المطالبة باقامة دولة فلسطينية علمانية تضم عربا ويهودا وتلغي وجود اسرائيل . ومن المفيد هنا أن نقف على وجهة نظر غولدمان تجاه الدولة العلمانية في فلسطين والتي يتساوى فيها اليهود والعرب في الحقوق والواجبات . يرى غولدمان في الدولة العلمانية في فلسطين خطرا على المجتمع اليهودي ، ونقيضا للمشروع الصهيوني ، ويتمثل الخطر ، في التكاثر العربي ، اذ يعتقد بان نسبة الولادة عند العرب أعلى منها لدى اليهود كما وان اليهود لن يستطيعوا منافسة العرب في هذا المجال حتى لو بقي باب الهجرة مفتوحا الامر الذي يحول العرب الى اكثرية واليهود الى اقلية ، ويتمثل النقيض في ان هذه الدولة لن تكون دولة اليهود (انظر هآرتس ٧٠/٥/٦) .

ما الحل الذي يطرحه غولدمان بالنسبة لمصير الضفة الغربية ؟ يقول غولدمان « بان هنالك حلاً يمكن ان يقبله الطرفان : عقب الجلاء عن يهودا والسامرة ، او جزء منهما ، تتسلم الامم المتحدة بشكل مؤقت الادارة هناك ، وتقوم بتنظيم استفتاء شعبي للفلسطينيين هناك ليقرروا اذا كانوا يرغبون ليكونوا جزءا من الاردن ، او دولة متمتعة باستقلال داخلي ومرتبطة بالاردن باتحاد فدرالي ، او دولة مستقلة . وهنالك عدد من الدبلوماسيين الاميركيين والشيوعيين يفكرون في هذا الاتجاه ، ويعتقدون ايضا بان هنالك احتمالا جيدا لتحقيق فكرة اتحاد فدرالي بين الدولة الفلسطينية والاردن . وهنالك من يعتقدون بان مسألة موافقة العرب على تجريد هذه الدولة من السلاح عقب قيام الدول الكبرى بضمان الحدود بين اسرائيل والدولة الفلسطينية لا تعتبر مسألة مستحيلة ، وبذلك لا تشكل خطرا دائما على اسرائيل الامر الذي يسبب قلقا عنيفا ومبررا لاسرائيل » (هآرتس ٧٤/١١/١٣) .

الا ان غولدمان يشكك في مناسبة اخرى فيما اذا كان الفلسطينيون يقبلون باقامة اتحاد مع الاردن ، ففي مقابلة صحفية (ملحق همشمار ٧٥/١/٣١) يجيب على سؤال وجه اليه ، هل تدعو الى حل من خلال اقامة دولة فلسطينية ؟ بقوله : انني لا ادعو الى الركض لدولة فلسطينية . ليس من الممتنع ، على سبيل المثال ، تحقيق اتحاد فدرالي اردني . الا انه يبدو بانهم هم انفسهم لا يريدون ذلك . لقد حدثت مذبحة في الاردن ولا زالت ترافقهم » . . كتلخيص للحل الضبابي الذي يطرحه غولدمان تجاه القضية الفلسطينية يمكن القول ، انه بعد ان يسلخ ثلاثة اماكن من المناطق المحتلة حديثا ، القدس واللطرون وقلقيلية ينصح حكومة اسرائيل ان تبدي استعدادها للتفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية بشروط ثلاثة ، اعتراف المنظمة بالكيان الاسرائيلي وشجبها لاعمال « الارهاب » وتخليها عن مطلبها في اقامة دولة فلسطينية علمانية في فلسطين .

*

لعل الدكتور غولدمان يعفينا من عناء تقييمه بعد ان وقفنا على افكاره الخاصة بالنزاع العربي الاسرائيلي ، فهو خير من يقيم نفسه ، اذ يرى بانه بمثابة « قفاز الحرير » للحركة الصهيونية وهذا القفاز مكمل « لليد الحديدية » التي تقود اسرائيل . ففي حديث مع صحيفة عل همشمار ٧٢/٢/٤ نسب غولدمان الى بن غوريون قوله : « ... لن يصغي العرب اليك ، لانهم بحاجة الى يد قوية ، يد من حديد . وهذا ما اتولاه انا (اي بن غوريون) لا انت . وقلت له : انك على حق ، ولكن يقال ان السياسة بحاجة الى يد من حديد والى قفاز من حرير ، يمكنك ان تكون أنت اليد الحديدية وانا قفاز الحرير .. قال سيأتي يوم وادعوك ، ولم يأت هذا اليوم بعد » .

مدخل لدراسة الدعاية الصهيونية واسلوب مواجهتها

حسني خشبه

هذه الورقة* هي محاولة لطرح رؤوس اقلام للبحث حول تحليل ومواجهة الدعاية الصهيونية ، وثمة تفرقة بديهية ولكن هامة يجب ان نضعها في الاعتبار بادىء ذى بدء تلك هي التفرقة بين الدعاية المعادية من ناحية ، والدعاية الصهيونية من ناحية ثانية ، والدعاية الاسرائيلية من ناحية ثالثة ، والدعاية اليهودية من ناحية رابعة فكل هذه المسميات وظائف متميزة بنائيا ، والعلاقة بينها — وظيفيا — هي علاقة حركة وليست علاقة سكون ، فقد تتطابق هذه المسميات جميعها وظيفيا وقد تتكامل او تتنافس وتتضاد . كذلك قد تكون العلاقة علاقة تتابع (مراحل) او علاقة تزامن . وبعبارة أخرى ، الدعاية الصهيونية ليست هي الدعاية المعادية الوحيدة الموجهة للانسان العربي ، ولكنهما قد يتماثلان من حيث الاهداف والوسائل والاساليب ، كذلك فالدعاية الصهيونية ليست بالضرورة صورة طبق الاصل من الدعاية الاسرائيلية ، على سبيل المثال ذلك النزاع الشهير بين ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية ، وجولدا مائير ، رئيسة وزراء اسرائيل السابقة . لقد كانت الوظيفتان في هذه الحالة اقرب الى التنافس ، وتحييد بعضهما البعض بدرجة قليلة على الاقل كذلك الدعاية اليهودية قد لا توجه للعرب ولكنها اساسا موجهة للناشئة اليهود ، وربما تكون العلاقة بينها وبين الدعاية الصهيونية علاقة مراحل . بمعنى ان الدعاية اليهودية قد تعد كوادر المستقبل للدعاية الصهيونية ومن ثم فان رصد التغير حال حدوثه في مضمون الدعاية اليهودية ، يكون مدعاة لتوقع تغير في مضمون الدعاية الصهيونية مستقبلا اذا حيدنا كافة العوامل الاخرى .

وقد يبدو من هذه التفرقة انها نوع من الانفراط في التاصيل ولكن ذلك سوف تتضح أهميته عند طرح رؤوس الاقلام التالية ، والتي هي خلاصة مجموعة من الدراسات تقدمنا ببعض منها للجنة الدائمة للاعلام العربي التي تنعقد في اطار جامعة الدول العربية مرتين في العام .

ح. خ

---

* تدمت هذه الدراسة كورقة عمل الى الحلقة الدراسية التي عقدت في بغداد في الاسبوع الثاني من ديسمبر ١٩٧٤ حول الدعاية المضادة والحرب النفسية .

الاطــار التصوري : (مفاهيـــم)

١ ــ **التعريف بالدعاية** : الدعاية هي محاولة التأثير في سلوك الاخرين . بعبــارة اخرى الدعاية وظيفة اتصاليه تهدف من خلال استخدام الرمز الى احداث نمط او انماط سلوكية لدى الاخرين .

٢ ــ **عناصر الوظيفة الدعائية** : يضم هذا التعريف الموجز كافة العناصر الداخلــة في هذه الوظيفة الاتصالية فهي **اولا** محاولة قد تنجح بقدر ما قد لا تنجح بطبيعتهــا في احداث الاثر المطلوب ، **ثانيا** هذه المحاولة تصدر عــن شخص (او اشخــاص) هو المرسل لقضية ما . **ثالثا** تهدف هذه المحاولة الى التأثير ، وهنا يكمن عنصر الغائية في العملية الدعائية ، اي أن الداعية يعرف او المفروض انه يعرف أبعاد ما يريد تمامــا ، **رابعا** : هناك الرسالة الدعائية (او القضية) وهي نسق رمزي بطبيعتها اي ان الرمز هو اداة الاتصال الوحيدة في الوظيفة الدعائية ويترتب على ذلك ان اي وسيلة تستخدم الضرب او القهر المادي المباشر لا يمكن ان تدخل في اطار مفهوم الدعاية الا اذا كــان الضرب او القهر المادي يحدث لشخص (او اشخاص) بهدف التوصيل الرمزي لشخص اخر . فهنا يكون الضرب دعاية (أو حربا نفسية) . **خامسا** : للدعاية هدف او غاية هي التحكم في سلوك الاخرين ، هؤلاء هم جمهور الدعاية (او المستقبل) .

٣ ــ **الدعاية عملية نفسية اجتماعية** : اذا كان الهــدف من الدعاية هو التأثير في سلوك الاخرين ، فهي بالتالي عملية نفسية والدعــاية تحدث اثرها فقط من خــلال استخدام نسق من الرمزية الاجتماعية ــ اللغة مثلا ــ وفي اطار اجتماعي ، من حيث ان الهدف هو التأثير في السلوك الاجتماعي للفرد ومــن ثم فالدعايــة عملية نفسية اجتماعية . فلا وجود للدعاية دون مجتمع واذا كانت الدعاية اداة من ادوات السياسة تستهدف هدفا سياسيا ــ كما هو معلوم الا انها تعمل اساسا مــن اطار مجتمــع ، والسلوك السياسي المستهدف هو اولا سلوك اجتماعي .

٤ ــ **المحددات الاجتماعية للدعاية** : الدعاية بوصفها محاولة للتأثير ــ هي بطبيعتها وظيفة مساعدة ، لا تخلق شيئا من عدم ولا تعمل في فراغ . فهي تستخدم مفاهيــم مسبقة لدى الفرد ، وحالات التهيؤ النفسي ومحتوى الميثولوجيــا الاجتماعية للفــرد والجماعة اطارا لتوجيه سلوكه . فاذا كان الرمز هو اداة الاتصال الاجتماعي فهو كذلك النسق الحامل لمجموعــة من الانساق الاجتمــاعية اي انساق القيمة والمعتقــدات والميثولوجيا ، او مكونات ما يطلق عليه الاطار الدلالي للفــرد والمجتمع هذا الاطــار الدلالي هو اهم مكونات بيئية الوظيفة الدعائية فهو اطار التأثر بالقضية الدعائية .

٥ ــ **الاطار الدلالي وآلية الهيكلة** : لكي يتضح لنا مبلغ تأثير هذا الاطار الدلالي في نجاح أو فشل الوظيفة الدعائية (بعبارة أخــرى قبــول او رفض او تحوير القضية الدعائية) لنأخذ المثال التالي : ــ ان القطة او الكلب الذي أربيه في منزلي هو ذلــك الحيوان اللطيف الوديع الذي احس بسعادة في مداعبته على العكس تماما من الكلــب الذي يربيه جاري والذي ربما ارى فيه حيوانا منفرا ومزعجا . والكلبين معا بالنسبة لشخص ثالث ربما يستويان ولا يختلفان كثيرا عن اي حيوان اخر من نفس الفصيلة . ما مرجع وجود ثلاثة مستويات من التقييم لدى ثلاثة أشخاص ؟ ان الانسان يحكم على المواقف من خلال تجاربه الماضية ونمط تنشئته ــ اي من خلال اطاره المرجعي والذي يفعله الاطار المرجعي هنا انه يساعدنا على (هيكلة) المواقف الاتصالية أي اعطائها شكلا (أو بناء) .

٦ ـــ **الادراك** : ان الهيكلة هي شق من شقي عملية الادراك فالادراك عملية مـــن شقين : آ ـــ عملية الانتباه الى الاشياء او المواقف ـــ اي وصولها الى دائرة انتباهنا من خلال حواس السمع او البصر او اللمس . . . الخ . ب ـــ عملية اضفاء المعنى على هذه المثيرات (اي المواقف والاشياء) وهنا تكمن اخطر امكانيات الدعاية والحـــرب النفسية فعملية اضفاء المعنى هي عملية التفسير فالانسان في صدر عهده بالحياة وقبل أن يطور رصيدا كافيا من المفاهيم العلمية عن الظواهر الطبيعية كان يقف مشدوهـــا امام ظاهرة هبوب الرياح وشروق الشمس وغروبها ليرجع ذلك الى فعل العفاريـــت والارواح الشريرة واليوم هل تغيرت الظواهر ؟ بالطبع لا انمـــا ما تغير هو الاطـــار المرجعي للانسان .

الرمزية والواقع : الرمز هو علامة اصطلاحية تعني شيئا اخر متفق عليه اجتماعيا وليست ثمة علاقة بين الرمز وما يشير اليه سوى من خلال التواضع الاجتماعي فكلمة « قلم » مثلا بالنسبة لمن لا يعرف اللغة العربية لا تعني شيئا وهي تعني للمتكلمـــين بالعربية ذلك الشيء المسمى بها من خلال اتفاق جماعة العرب على هذه التسمية فيما بينهم فالكلمات اذن رموز اجتماعية واللغـــة هي نسق للرمزيـــة الاجتماعية والرمز (او الكلمة) هو أصغر وحدات المعنى تنتظم في وحدات أكبر هي الجملة او القضية ، فاللغة اذن هي أداة الاتصال الرئيسية بين جماعة البشر ولما كانت اللغة (او الرمزية الاجتماعية) شيء والواقع شيء اخر فثمة احتمالات هـــائلة امام الدعاية لطـــرح مستويات من التقييم تبعد عن الحقيقة وتكون أقرب لقضيتها بما يحدث الاثر السلوكي المستهدف وسوف نوضح ذلك تطبيقا على الدعاية الصهيونية فيما بعد . اما الان فلا مناص من ايضاح المقصود في عجالة ذلك ان الدعاية الصهيونية طرحت منذ بـــدء النزاع على أرض فلسطين مفهومين استطاعت بهما احتـــواء حجم غير ضئيل مـــن المواطنين الاوروبيين ذلك هو قولها حق اليهود التاريخي في فلسطين وقولها حق العرب التاريخي في فلسطين ، فالقضية الاولى تعني ان لليهود حقا اقره التاريخ في فلسطين (او يقر التاريخ بأهميته) والقضية الثانية تعني ان للعرب ماضيا في فلسطين . هذه المشكلة في الخلط الناشىء عن تعدد مستويات التقييم او الانفصال بين الواقع واداة الاتصال المستخدمة للحديث عنه هي ما يعالجه علم دلالة الالفاظ .

٨ ـــ **نسق المعتقدات الاجتماعي والميثولوجيا الاجتمـــاعية** : نسق المعتقدات هـــو مجموعة من الافكار والاتجاهات والقناعات تتمركز حول قيم الجماعة او مجموعة من الاشياء تعتز بها هذه الجماعة . ويتميز نسق المعتقدات باحتوائه على مجموعة مـــن الافكار المنطقية ، وأفكار العلوم ذات الطبيعة الامبيريقية من ناحية ، وافكار الغيبيات والسحر من ناحية اخرى وهذه الاخيرة هي التي تكون الميثولوجيا الاجتماعية وليـــس بالضرورة ان تكون الميثولوجيا الاجتماعية افكار السحر والخرافة وانما هي مجموعة المعتقدات الشعبية ذات السمة الغيبية أساسا .

مداخل نوعية نظرية ومداخل تطبيقية

اولا ـــ مداخل نوعية نظرية لدراسة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية واليهوديـــة

١ ـــ على ضوء ما تقدم ـــ وباعتبار ان الدعاية عملية اجتماعية اساسا ـــ يجب ان تكون دراسة وتقييم هذه الانماط الثلاثة من الدعاية من المداخل التالية جميعا لكل نمط : آ ـــ علم الاجتماع السياسي للصهيونية . ب ـــ علم الاجتماع الاسرائيلي . جـ ـــ علم اجتماع اليهودية بشكل خاص ، وعلم اجتماع الدين بشكل عام .

هذه الفروع الثلاثة من علم الاجتماع سوف تعطينا الانماط التصورية الثابتة تقريبا ، او القوانين المتحكمة في حركة ومحتوى الدعاية بابعادها الثلاثة (صهيونية واسرائيلية ويهودية) .

٢ ـ **يقصد بعلم الاجتماع السياسي للصهيونية** ـ لاغراض هذه الورقة ـ دراسة اوضاع الجاليات اليهودية والمنظمات الصهيونية في كل بلد على حدة (من بلاد العالم دون اسرائيل) بوصف هذه « الجاليات » والمنظمات تمثل بنيات اجتماعية لها قدر من التميز النوعي بالمقارنة بالمجتمع « المضيف » ، وتشارك او تساعد على تحقيق اهداف سياسية فوق اقليمية ، بعبارة اخرى ، دراسة اوضاع اليهود في بلد ما ـ دون اسرائيل ـ للتحقق من درجة وجود هؤلاء اليهود « كجالية » او جماعة اقلية ذات بناء اجتماعي هامشي تعتمد على البناء الاجتماعي الاكبر لبعض وظائف بقائها ، وفي نفس الوقت تستقل بسمات ثقافية وبنائية نوعية . ومن ناحية اخرى مدى كون هذه البنية الاجتماعية الهامشية ـ في اطار العمل الصهيوني ـ جماعة ضغط ومصلحة متميزة اغراضها تحقيق اهداف سياسية فوق اقليمية ـ هي خدمة ودعم وجود اسرائيل .

هذا ، على مستوى الجالية المفردة . ويجري بعد ذلك دراسة شمولية لتبين درجة التماثل الاجتماعي والثقافي والبنيوي بين الجاليات وبعضها وادوارها السياسية . كذلك يسعى البحث في هذا المجال الى الاجابة على سؤال : هل هناك بناء صهيوني ؟ وما هي وظيفته ؟

٣ ـ **ويقصد بعلم اجتماع اليهودية** التوصل الى انماط البعد الاجتماعي للدين اليهودي (بطوائفه المختلفة) . مثلا الى اي درجة تعد اليهودية السوفيتية بناء اجتماعيا متميزا برغم عدم وجود منظمات صهيونية وبالمقارنة بيهود انجلترا مثلا وفرنسا . بكلام اخر الى اي مدى يعتبر الدين اليهودي في كل بلد من البلاد التي بها عدد كبير من اليهود ـ يعتبر عامل تميز وابتعاد اجتماعي حتى ولو لم يكن للجالية بعينها ـ افتراضا ـ دور سياسي او ايمان بفكرة الدولة اليهودية في اسرائيل . على سبيل المثال اليهودية الاصلاحية في بريطانيا . فهي تتعاطف مع اسرائيل حقيقة انطلاقا من فكرة ان اسرائيل دولة من دول يمكن ان يعيش فيها اليهود . ولكن اليهودي لا يجب ان يكون التزامه تجاهها اكثر من التزام ادبي او وجداني وليس سياسي .

٤ ـ **اما علم الاجتماع الاسرائيلي** فتستهدف دراسته بشكل أساسي للتوصل الى مجموعتين رئيسيتين من الانماط الاجتماعية او القوانين : اولا : القوانين الاجتماعية الضابطة لحركة المجتمعات الاستيطانية . ثانيا : القوانين الاجتماعية الضابطة لحركة المجتمعات العقائدية .

فالمجموعة الاولى تزودنا بالضوابط المتحكمة في سلوك المجتمع الاستيطاني ، ومن ثم مداخل دعايته في مجتمعات استيطانية اخرى واساليب منطقه استشهادا بهذه المجتمعات كسوابق . والمجموعة الثانية تبين لنا قدر مساهمة الفكرة الصهيونية في خلق المجتمع الاسرائيلي . ومن ثم فان تعرض هذه الفكرة الصهيونية للحوار او الجدل او المراجعة من شأنه أن يغير من مداخل دعاية هذا المجتمع .

من ناحية اخرى ، تعطينا هذه المجموعة من القوانين الضابطة لحركة المجتمعات العقائدية حجم الانحراف بين التطبيق والفكرة، فالمعروف ـ على سبيل المثال ـ ان العقيدة السائدة في سنوات خلق المجتمع الاستيطاني بفلسطين هي الصهيونية العمالية الاشتراكية ، او ايديولوجية الكيبوتز . وهنا يتبين لنا نوع من الانحراف ـ او التضاد . تضاد بين الصهيونية والاشتراكية ، من ناحية ، وتضاد بين دعوى

الاشتراكية والسلوك السياسي للمجتمع من حيث دوره الثابت في خدمة الاستعمار العالمي ، ومدى التماثل في اهداف المجتمع ، وأهداف الاستعمار العالمي .

٥ — **ان دراسة هذه الفروع الثلاثة في علم الاجتماع** سوف تمكننا من الوقوف على مكونات نسق المعتقدات الاسرائيلي ، هذا النسق هو — بديهيا — اطار منطلقات الدعاية الاسرائيلية والصهيونية داخليا — في اسرائيل والجاليات اليهودية — وخارجيا لدى الراى العام العالمي والشعوب العربية . ونورد فيما يلي — على سبيل المثال بعض مكونات نسق المعتقدات الاسرائيلي التي يمكن الخروج بها من دراسة فروع علم الاجتماع المنوه عنها :

آ — **صراع الاضداد — او الجدلية** ، تلك النظرة الفلسفية التي تمثل البناء الفكري للايديولوجية الصهيونية منذ نشأتها وحتى اليوم . ومؤداها ، ان اليهود صاروا امة بفعل وجود عدو لهم هو عالم الاغيار . ولقد كانت فلسفة بن جوريون وغيره من مؤسسي اسرائيل ان عداء العرب لاسرائيل مطلوب لفترة تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة يتمكن فيها الاستيطان اليهودي من التبلور في شكل مجتمع له مقومات البقاء . وتسعى الصهيونية من بين ما تسعى اليه الى تأكيد الابتعاد الاجتماعي بين اليهود والمجتمعات التي يعيشون فيها ، بهدف — ضمن اهداف اخرى — هو تغذية روح الاحساس بالتمايز او — الاختلاف لدى هذه المجتمعات بما يجره ذلك من عداء لليهود من شأنه ان يبقي على هويتهم المتميزة .

ب — **الداروينية الاجتماعية** ، وما نود ان نؤكد عليه قبل التعريف بهذا المفهوم ، ان استخدامه بخصوص المجتمع الاسرائيلي ليس من قبيل الترافة الفكرية — او اقحام النظريات . بل ان الداروينية الاجتماعية هي فلسفة المجتمع الاسرائيلي وستظل لفترة غير قصيرة .

المقصود بالداروينية الاجتماعية قضية البقاء للاصلح في الحقل الاجتماعي . ولقد كانت هذه القضية هي ركن الفكر الاوروبي في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ، ومنها تطورت نظرية الاستعمار وفتح المستعمرات كمصدر عظمة وفخر للدولة المستعمرة .

وفي هذا النصف الثاني من القرن العشرين نجد ان الفكرة المحورية في الايديولوجية الصهيونية والتي تطرحها مؤسسات الاتصال الجماهيري في اسرائيل هي مبدأ « آين بريرا » « أي ليس لنا خيار — أما أن نقتل العرب واما ان يقتلنا العرب » . وهذا في رأينا هو الترجمة الاسرائيلية (العبرية) لفكرة الداروينية الاجتماعية .

جـ — **اللاسامية قائمة لا محالة في أي مجتمع يوجد به يهود** ، بعبارة اخرى أن اللاسامية هي نتاج التضاد اليهودي / الاممي . ومن ثم فلا مناص من الفصل المكاني بين الطائفتين ، وذلك بابعاد اليهود الى دولة خاصة بهم .

ان فكرة اللاسامية والتي بدأت بها الصهيونية في دعوتها لاقامة الوطن اليهودي ، هي — في هذه الايام الاخيرة — خاصة بعد طرح قضية فلسطين للمناقشة كبند مستقل على الامم المتحدة — اهم واخطر منطلقات الدعاية الصهيونية . وسوف نعود لها فيما بعد .

٦ — كذلك تمكننا هذه المداخل من الوقوف على خصائص التميز البنائي لمؤسسات الدعاية فنستطيع مثلا تمييز مؤسسات الدعاية الصهيونية داخل اسرائيل من مؤسسات الدعاية الاسرائيلية . وتمييز مؤسسات الدعاية الاسرائيلية في دول العالم

من مؤسسات الدعاية الصهيونيـــة . ثم تمييز مؤسسات الدعـــاية الصهيونية او اليهودية عن بعضها البعض . خاصة وان التطور الاخير الذي شهده الصراع العربي الاسرائيلي قد اعاد طرح الفكرة الصهيونية من جديد ، وربمـــا تنشأ ثانية مجموعـــة « المدارس » الصهيونية التي كانت قائمة قبل قيام اسرائيل . هذا في حالة ما اذا تطور الصراع مرة اخرى ــ وبشكل حاسم ــ لغير صالح اسرائيل .

٧ ــ كذلك تفيدنا هذه المداخل في تبين خصائص التميز (او الاختلاف) في المحتوى بين الوظائف الدعائية المختلفة (من معادية وصهيونية واسرائيلية ويهودية) . بمـــا ينعكس بدوره على زيادة فاعلية المواجهة الاعلامية العربية لهذه الدعايات ، واستثمار امكانية تحييد بعضها للبعض . ويجنبنا استخدام هذه المداخل الوقوع في الاخطاء التي من شانها توسيع قاعده الدعايه المعادية . على سبيل المثال ــ هناك في الطوائـــف اليهودية ما يصل في شدة رفضه للكيان الصهيوني درجة تقترب من الرفض العـــربي لـــه . وبديهي خطوره الجمع بين الطرفين في شريحة واحدة .

ثانيا ــ مداخل تطبيقية لدراسة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية

٨ ــ تزودنا المداخل السابقة بمجموعة اطر نظرية ثابتة الى حد ما ، سواء مـــن حيث مكونات بيئية الدعاية او اهدافها ، او منطلقاتها او اساليبها . وثمة مجموعـــة اخرى من المداخل التطبيقية يمكن اعتمادها لدراسة الدعـــاية على النحو التالي ــ (رغم ان هذا الفصل بين مداخل نظرية واخرى تطبيقية لا وجود له بهذا الوضوح في الواقع وانما هو فقط لاغراض التحليل) ــ اولا : دراسة المتغيرات في بيئية الدعاية المعادية . ثانيا : دراسة التطور في خصائـــص الدعاية انعكـــاسا لمتغيرات البيئية . ثالثا : دراسة تطور أهداف الدعاية الصهيونية والاسرائيلية ، بما يتواءم مع متغيرات البيئية . رابعا : دراسة تطور منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية . خامسا : دراسة اساليب الدعاية الصهيونية والاسرائيلية بمنهج علم دلالة الالفاظ أساسا .

٩ ــ **المتغيرات في بيئة الدعاية المعادية** ، تضم بيئية الدعاية مجموعتين من الثوابت والمتغيرات . تتمثل المجموعة الاولى في المكونات الاساسية للصراع على مستويين . المستوى الاول وهو مستوى السطح وهو الصراع العـــربي الاسرائيلي ، والمستوى الثاني ، مستوى الخلفية والكمون ، هو الصراع الغربي العربي . وليس ثمة ما يمنع ان يبرز هذا المستوى الاخير الى السطح ــ بين الحين والآخـــر ــ في شكل صراع مباشر ، كما اتضح مؤخرا من تهديدات الرئيس فورد ووزير خارجيته بالتدخل من أجل البترول .

اما مجموعة المتغيرات فهي اما تلك التطورات التي تطرأ على ثابت او اكثـــر ، او معطيات جديدة تحدث بالضرورة اثرها في حركة الدعاية ومنطلقاتها ، أما بالتجديد او درجة التشديد والتكثيف على منطلق دون الاخر .

قمنا بتحليل مادة الدعاية المعادية في فترتين تاليتين حرب اكتوبر ١٩٧٣ لتبين اهم المتغيرات المؤثرة في حركة الدعـــاية المعادية . وجاء ذلـــك في دراستين للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي . وكـــانت الفترة الاولى هي فبراير ــ مايو ١٩٧٤ ، والفترة الثانية يونيه ــ نوفمبر ١٩٧٤ . واتضح ما يلي :

١٠ ــ المتغيرات في بيئة الدعاية المعادية بعد حرب اكتوبر،من فبراير ــ مايو ١٩٧٤ :

١ ــ النجاح في الحرب ــ لجانب العرب ــ كرمز للنجاح الحضاري من نـــاحية ، وبصفته نجاحا له من وجهة نظر التحليل الاجتماعي بعد ميتولوجي .

٢ ــ السلوك الدولي للدول العربية ــ ونقصد هنا القبول بمساعي السلام على الاقل من جانب اطراف المواجهة ، وقيمة ذلك من الناحية الدعائية في اسقاط مزاعم اسرائيلية وصهيونية .

٣ ــ تأثير الحرب في جانب العدو ــ اي الانشقاق على النفس او ما يقال عنه « حرب اليهود » ، والتصدع في الائتلاف الاسرائيلي الصهيوني ، وتأثير الحرب على علاقات اسرائيل بالدول الاخرى .

٤ ــ الاثر المكمل للحرب وعمليات المقاومة الفلسطينية (كيريات شمونة ومعلوت) في نفسية المستوطن الاسرائيلي ، بل والرأي العام الغربي . وذلك هو اعتبار المقاومة الفلسطينية أداة من أدوات استراتيجية عربية ، وما احدثته من أثر تراكمي بعد الحرب مؤداه قناعة الاسرائيليين انه لا بد من حل يساهم فيه الفلسطينيون* .

١١ ــ المتغيرات في بيئة الدعاية المعادية بعد حرب اكتوبر (يونيه ــ نوفمبر ١٩٧٤) :

١ ــ اتساع دائرة الشرعية الدولية للقضية العربية في اتجاه التطابق مع الشرعية القومية العربية (حيث تمثل ذلك في اتساع الاعتراف الدولي بالقضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية) .

٢ ــ اشتداد حدة ازمة المال العالمية والطاقة وتعاظم الارصدة العربية في بنوك الغرب .

٣ ــ استقالة (او تنحية) نيكسون ، ولاول مرة يأتي في تاريخ الرئاسة الامريكية ، رئيس ويسمى نائب رئيس كلاهما نتاج اللوب الصهيوني ودون اصوات الناخبين ، في وقت بدأت فيه مرحلة تقارب عربي امريكي .

٤ ــ اشتداد حدة الازمة الاقتصادية في اسرائيل .

٥ ــ تعاظم التراكم العسكري على كلا جانبي الصراع .

٦ ــ القول بتأثر اقتصاديات الدول الافريقية نتيجة ارتفاع اسعار البترول خاصة بعد الحرب .

٧ ــ مرور عام على احداث الحرب ، بما يقلص البعد الميتولوجي فيها . وسوف نبين في فقرات تالية اثر هذه المتغيرات في السمات التي عكستها الدعاية المعادية في هاتين الفترتين . وقد انعكست هذه المتغيرات في شكل مجموعة من السمات الجديدة شهدتها حركة الدعاية المعادية في كل فترة على حدة .

١٢ ــ السمات المميزة للدعاية المعادية (فبراير ــ مايو ١٩٧٤)

١ ــ ميوعة موقف الدعاية المعادية ، وعدم وضوح المنطق الدعائي في كثير من الاحيان ، وعدم وضوح سمة الغائية في الدعاية .

٢ ــ التوازن النسبي في عرض القضايا من جانب الاعلام العالمي والذي كان في السابق دعاية معادية بتأثير الدعاية الصهيونية . بل ان الدعاية الصهيونية

---

* راجع تفصيل ذلك في : النشاط المعادي (فبراير ــ مايو ١٩٧٤) دراسة تحليلية مقارنة لاتجاهات النشاط المعادي في فترة الاعداد للسلام في الشرق الاوسط ، للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي دور الانعقاد ٢٦ ، يوليه ١٩٧٤) .

والاسرائيلية ، كانتا في كثير من الاحيان تتميزان بهـذا التوازن ـ ولا يجب ان يخدعنا هذا القول ، فالتوازن قد يكون مفروضا على جهاز الدعاية ـ وقد كان كذلك في هـذه الفترة ـ بفعل الاحداث مما يضطر مؤسسات الدعاية بقبوله حتى لا تفقد مصداقيتها من ناحية ، وكدعاية ذكية غير مباشرة من ناحية اخرى .

٣ ـ اسقاط الانباء او فرض حالة من التعتيم الاعلامي على احداث الحرب قـدر الامكان من جانب الدعايه الصهيونية ، وقد حلت الصحـافه العالمية محل الدعايـة الصهيونيه في مهمة عرض الاحداث وتحليلها . وابراز صورة طيبة للانسان العربي .

٤ ـ اثارة القضايا الجانبية (كالقول باللاسامية) ويهود سوريا والعراق والاتحاد السوفييتي) .

٥ ـ الاختفاء النسبي للتوجه الدعائي المباشر للمواطن العـربي او حتى عنـه ، واصبح التوجه الدعائي في معظمـه اما للـذات او لطرف ثالث هو الانسان الغربي واليهودية العالمية .

٦ ـ التحول عن المنطق الدعائي السابق للحرب والتالي لها مباشرة . هذا المنطق الذي كان اشبه باطار للحرب النفسية التي تهدف الى تفكيك البناء النفسي العربي .

(راجع الدراسة السابقة الاشارة لها) .

١٣ ـ **السمات المميزة للدعاية المعادية (يونيه ـ نوفمبر ١٩٧٤) .**

١ ـ اتسمت بداية الفترة بحالة من الترقب ، ودرجة اقل من الميوعة في الموقـف الدعائي سرعان ما اختفى عندما تبلور حجم الشرعية الدولية للقضية العربية علـى النحو الذي وصل اليه . فكان رد الفعل الدعائي اشبه بالفعل المنعكس الشرطي ـ او رد فعل الرجل الواحد ، فقد تبينا من دراسة الاعـلام الاسرائيلي الداخلي بعـد قرارات مؤتمر الرباط والتي اعترف لمنظمة التحرير الفلسطينية بحقها كممثل شرعـي وحيد للشعب الفلسطيني ، تبينا انه ربما لاول مرة لا تطرح الصحافة الاسرائيلية جدلاً حول موقف معين . وكان رد الفعل الاعلامي متطابقـا تمامـا لرد الفعل السياسي الرسمي وغير الرسمي .

وتفسير ذلك بسيط اذا اخذنا البعد النفسي للمستوطن الاسرائيلي ، فهو يحس أن الكيان الاسرائيلي قد اقيم ليحل محل الكيان الفلسطيني ، وقد اقيم هذا الكيان بفعـل تركيب الامم المتحدة في ذلك الوقت . ومن ثم فالان حين تتخذ الامم المتحدة ومؤتمـر القمة العربي قرارات مثل هذه التي صدرت فان معناه امام الذهنية الاستيطانية عملية احلال جديدة ، اي تبادل الادوار .

٢ ـ انتهاج الحكومة الاسرائيلية لسياسة حافة الهاوية كخط سياسي له ابعـاده الدعائية الهامة . وكان المنطلق الاساسي المطروح هو « عقدة شمشون » ، اي « اذا كنت سأسقط فليسقط الجميع معي » . وكان في ذلك تلويح واضح بسلاح غير تقليدي .

٣ ـ اتجاه حجم كبير من مادة الدعاية للاهتمام بالوضع داخل اسرائيل واوضاع اليهودية العالمية والصهيونية العالمية ، في محاولة لاستدرار العطف عليها ، أكثر من مهاجمته الدول العربية (وهذا امر لم يكن يحدث قبل الحرب) .

٤ ـ تقلص حجم الحرب النفسية ضد العرب ، الا في شكل سياسة حـافة الهاوية وعقدة شمشون . كذلك تقلص منطلقات التشويـه بالطابع القومي العربي وصورة

الانسان العربي حضاريا ، ويستثنى من هذه السمة حركة الدعاية المعادية في افريقيا على وجه الخصوص .

٥ ــ اتسم الاعلام الغربي (والذي كان في السابق دعاية معادية) ، اتسم كثيرا بطابع تقريري في عرض انباء الصراع العربي الاسرائيلي ، وغابت كثيرا الاتجاهات القيمية .

٦ ــ الضيق الواضح في نطاق تغطية الدعاية المعادية ، حيث تميزت الفترة بتكثيف التغطية على منطلق واحد أكثر من غيره ، هو التهديد بوجود حركة لا سامية عالمية* .

١٤ ــ التطور في أهداف الدعاية الصهيونية والاسرائيلية :

تبين الدراسة التتبعية لاهداف الدعاية الصهيونية (والاسرائيلية فيما بعد) عن وجود المراحل التالية :

آ ــ **مرحلة ((تأميم)) المشكلة اليهودية** ، على النطاق الداخلي بين اليهود . أي اثارة المشكلة اليهودية كمشكلة « قومية » . وطرح في هذه الفترة منطلق الوطن القومي اليهودي في فلسطين . (من ثمانينات القرن ١٩ حتى ١٩٤٢ مؤتمر بلتيمور) . وقد شهدت هذه المرحلة كذلك كخط مواز عملية « تنميط مشكلة الاقليات القومية اليهودية » . أما على نطاق الغير فقد كانت هذه المرحلة هي **مرحلة تدويل المشكلة اليهودية** ، أي جعلها مشكلة عالمية يهتم بها العالم ويناقشها في حلقاته الدولية على حد تعبير هرتزل .

ب ــ مرحلة تكريس الفكرة القومية ذات البناء السياسي (الدولة اليهودية) ٤٢ ــ ١٩٦٧ ذلك انه اعتبارا من مؤتمر بلتيمور دخل عنصر السيادة (الدولة) كمنطلق للدعاية الصهيونية .

جـ ــ مرحلة تعزيز القوة الذاتية وانهاك الخصم ٦٧ ــ ١٩٧٣ . وكانت أهم منطلقات هذه الفترة هي « مساعدة ارتداد الخصم على الذات بفعل الهزيمة العسكرية ، وفك العالم العربي من خلال تكريس اليأس » .

د ــ مرحلة تكريس الحرب النفسية من خلال استثمار معطيات التهيؤ النفسي العربي (خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣) .

هـ ــ مرحلة الميوعة الدعائية (فبراير ــ مايو ١٩٧٤) ومحاولة رأب الصدع في جهاز الدعاية الصهيونية . وقد شهدت هذه الفترة عملية اعادة طرح الفكرة الصهيونية ، وفكرة الدولة اليهودية .

و ــ مرحلة امتصاص الصدمة واعادة تخطيط المواجهة الدعائية من خلال منطلق الردع المتمثل في « عقدة شمشون » (يونيه ١٩٧٤ حتى الآن) . وقد شهدت هذه الفترة منطلقا هاما للغاية هو اعادة طرح التهديد باللاسامية العالمية .

١٥ ــ التطور في منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية :

في دراسة عن منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية (سبق الاشارة اليها) أمكننا رصد مجموعتين من المنطلقات الدعائية : آ ــ منطلقات نوعية . ب ــ منطلقات مرحلية مساعدة .

---

* راجع تفصيل ذلك في دراستنا عن « منطلقات الدعاية المعادية في اطار المتغيرات الدولية ــ يونيه ــ نوفمبر ١٩٧٤ » للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي دور الانعقاد ٢٧ ، فبراير ١٩٧٥ .

المنطلقات النوعية ، هي تلك المنطلقات التي تعود باصولها للفكرة الصهيونية واسلوب العرض الصهيوني النوعي للتاريخ اليهودي وما تسميه بالمشكلة اليهودية . اما المجموعة الثانية ، فهي تلك المنطلقات المرحلية المساعدة .

ومع ذلك فالذي يتضح لنا ان الدعاية الصهيونية في فترات بعينها تجعل لمنطلق مرحلي سمة السيادة الدعائية على منطلقاتها النوعية كما يلي :

١٦ ــ منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية في الفترة بين يونيه ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ :

ذكرنا ان المنطلق الاساسي في هذه الفترة كان مساعدة الخصم على الارتداد على الذات بفعل الهزيمة ، بعبارة اخرى كثفت الدعاية على منطلق مرحلي مساعد ــ ونحت نسبيا تكثيفها على المنطلقات النوعية . فراحت الدعاية تؤكد على دونية الانسان العربي والثقافة العربية ، والطابع القومي العربي . (تقارير النشاط المعادي لادارة الاعلام للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي قبل حرب اكتوبر) .

في هذا الشأن ركزت الدعاية كذلك على قوة الردع الاسرائيلي من ناحية ، وعلى وهم القيادات السياسية العربية من ناحية اخرى ففي تصريح سابق لحرب يونيه ١٩٦٧ (يوليو ١٩٦٥) لابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي السابق جاء قوله : « ليس من المستحيل ان نتوقع من الزعماء العرب ان يطالبوا في المستقبل بالعودة الى حدود ١٩٦٦ و١٩٦٧ مثلما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ التي سبق لهم ان رفضوها في حينه » .

ان هذا التصريح يذكرنا بمنطلق هام من منطلقات الدعاية الصهيونية والاسرائيلية اسقطته حرب اكتوبر ذلك هو « قضية الهندي الاحمر » فاسرائيل كانت دائما تقارن نفسها بالمجتمعات الاستيطانية في العالم الجديد ــ الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلاندا أساسا . وتعتبر صراعها مع العرب هو نموذج محدث لصراع الانسان الاوروبي في امريكا مع الهندي الاحمر .

١٧ ــ منطلقات الدعاية الصهيونية الاسرائيلية بعد اتساع دائرة الشرعية الدولية للقضية العربية :

عادت في هذه الفترة السيادة الدعائية للمنطلقات النوعية ، وهذا ربما أهم ما نخرج به من دراسة حركة الدعاية المعادية اخيرا . فقد اعادت الدعاية طرح المسألة اليهودية وراحت تردد بوجود حركة لاسامية عالمية . وان العالم اليوم يمر على اعتاب ازمة اقتصادية طاحنة تذكر بما حدث في الانهيار الاقتصادي عام ١٩٢٩ . وان اليهود سوف يكونوا كبش الفداء لهذا الوضع الاقتصادي ، وان ثمة حركات يمينية تشهدها اوروبا (وامريكا ايضا) تحمل اليهود مسؤولية الخراب الاقتصادي المتوقع وتنادي بنازية جديدة .

١٨ ــ أساليب الدعاية الصهيونية ، وأهمية منهج دلالة الالفاظ في معالجتها :

السمة الاولى المميزة لمنطق الدعاية الاسرائيلية والصهيونية هو « التبرير » بعبارة اخرى احتواء أصل القضية بتفريعات حولها تصوغ منها مبررات وجود الدولة . هذه السمة هي المسؤولة عن استخدام الدعاية عددا كبيرا من « حيل البلاغة » نورد بعض نماذج منها على سبيل المثال وليس الحصر ــ حيث ان الغرض هو فقط طرح رؤوس اقلام . من هنا فان المنهج الامثل للتصدي للدعاية الاسرائيلية والصهيونية وتحليلها هو منهج دلالة الالفاظ الذي يكشف علميا الزيف في هذه الحيل .

من هذه الحيل ما يلي :

آ ــ **اسلوب المنطق المغالط** (او الترتيب غير المنطقي) وهو اسلوب تستخدمه الدعاية في المعادلة بين الصهيونية والسامية ، بحيث يصبح المعادي للصهيونية ، معاد للسامية . وخطأ هذا المنطق واحد ، فهو ترتيب نتيجة على مقدمات غير سلمية .

ب ــ **اسلوب افتراض ما هو واجب الاثبات** وذلك حين تردد الدعاية أهمية الحدود الآمنة . فالذي يجب طرحه اولا من الذي في حاجة لحدود آمنة .

جـ ــ **اسلوب الخلط بين القضية والانسان** ، هذا الاسلوب من ابرع ما تستخدمه الدعاية الصهيونية في تاريخها ، والخطورة فيه هو قدرته اللاعقلانية على احتواء الجمهور المستقبل للدعاية . فحين تقصر امكانات الدعاية الصهيونية على توفير الدليل المنطقي على قضيتها تلجأ الى مناشدة الجمهور من خلال المكانة الاجتماعية او الجماهيرية للشخص الذي يعرض القضية. نذكر على سبيل المثال ابراز مجلة الجويش اوبزرفر لصورة أبا ايبان في الامم المتحدة بعد حرب ١٩٧٣ وتحتها تعليق: « ان ابا ايبان ببلاغة تعبيره وما ناله من شهرة خطابية جعلته يدمغ كل حجج الطرف العربي . والقصد الدعائي هنا هو تنحية القضية الاساسية والقاء الضوء على شخصية الذي يعرض القضية . وهناك العديد من الامثلة على ابراز اعمال حاييم وايزمان في الكيمياء وغيره من الصهيونيين بما يستتبع احداث الاثر ان الرجل « العظيم » في مجال معين لا به وانه يطرح قضية عادلة . . . الخ .

د ــ **اسلوب المقابلة الخاطئة** كما يحدث كخط دعائي هام في المقابلة بين الصراع العربي الاسرائيلي ، والصراع الاوروبي مع الهنود الحمر كما سبق بيانه .

هـ ــ **القياس الخاطىء** كالقول مثلا ان العرب يعادون الصهيونية فهم معادون للسامية ، والاتحاد السوفييتي يؤيد القضية العربية فهو بالتالي معاد للسامية .

و ــ الى جانب ذلك هناك العديد من حيل البلاغة كالتهكم (أي فن استخدام المدخل المعاكس او الكذبة الكبيرة او التقرير الحاسم والذي يهدف الى احداث الانطباع بأن الداعية على قدر من الثقة لا يحتمل التشكك فيه . كذلك اسلوب روح القطيع حين تطرح الدعاية استفتاءات للرأي العام مبينة ان الغالبية تتعاطف مع اسرائيل والاثر هنا هو استثارة الرغبة الطبيعية في ان يكون الانسان مع الاغلبية ، او في جانب المكسب . ولا تطرح الدعاية بطبيعة الحال ان وجود الاغلبية هذا ــ ان افترضت صحته ــ مرده الى عوامل اخرى بعيدة تماما عن عدالة القضية المطروحة .

خلاصة : الدعاية وظيفة مساعدة لا تخلق شيئا من عدم ، ومن ثم راحت الدعاية الصهيونية توائم بين اهدافها ومنطلقاتها مع متغيرات بيئية الدعاية المعادية . وحتى اذا كانت هذه المتغيرات الاخيرة سياسية في معظمها ، الا ان استخدام الدعاية لها او تأثرها بها جاء اساسا في بعد اجتماعي . فالبعد الميتولوجي للانتصار العربي في الحرب هو الذي افقد الدعاية الصهيونية كثيرا من منطلقاتها امام المواطن الغربي . وبالنسبة للدعاية المعادية (حجم كبير من الاعلام الغربي) وجدنا انه تحول الى اعلام تقريري يرصد الاحداث ويقتبس وجهات النظر دون محاولات مكثفة ــ كما كان في الماضي ــ لطرح اتجاهات قيمية وحين تستخدم الدعاية الازمة المالية الحالية فانها تستخدمها ببعد اجتماعي كذلك امام المواطن الغربي ، بـبعد التهديد بانفجار المشكلة اليهودية ، وبـبعد كراهية الانسان العربي لحضارة الغرب وتقدمه . ومن ثم فان

مواجهة الدعاية الاسرائيلية والصهيونية يجب ان يتم بالدرجة الاولى من خلال التحليل الاجتماعي ودلالة الالفاظ .

ثالثا ـــ توصيات مقترحة

اولا : التوصية لدى مراكـــز البحث المختصة بضرورة متابعة البعـــد الاجتماعي للصهيونية كبناء ، من ناحية ، والدعاية الصهيونية كوظيفة اتصالية من ناحية اخرى بهدف تبين مكامن القوة والضعف في حركتها داخل مجتمعات الدول المضيفة لها .

ثانيا : ان السمة السائدة التي تميز منطق الدعايـــة الاسرائيلية والصهيونية هي « التبرير » بما يستدعي ذلك استخدام حيل البلاغة والمنطق المغالط لاحتواء جمهور الدعاية . وعلى اجهزة البحث في الشئون الاسرائيلية والصهيونية ، والاجهزة المنوطة بمتابعة هذه الدعاية والتصدي لها ، ان تكثف استخدامها لمنهج دلالة الالفاظ لكشف هذا الزيف في الدعاية الصهيونية .

ثالثا : ان الدعاية الصهيونية والاسرائيلية في الايام الاخيرة ، وازاء حرجها امـــام اتساع دائرة الشرعية الدولية للقضية العربية راحت تستخدم اسلوبين عواقبهمـــا وخيمة : آ) اسلوب حافة الهاوية ـــ وترديد ما تسميه « عقدة شمشون » لارهـــاب العالم بنوايا الانتحار لديها وتدمير الذات مع الخصم ، وتلوح في هذا الشأن باستخدام سلاح ذري . ب) ان الدعاية الصهيونية والاسرائيلية اما أنها تضخم مـــن حـــالات فردية مما تسميه باللاسامية (ان صح ادعاؤها) او انها تعمل على احداث هـــذه اللاسامية المزعومة بهدفين : خلق حالة من الفوضى تحول انتباه العالم عن القضية المطروحة وتجعله درءا لخطر تصور يتنحى عن مسانـــدة العدل ، والضغط علـــى المواطنين اليهود من خلال تهديد حياتهم حتى تتدفق موجة هجرة واسعة النطاق على اسرائيل ، وتضع العالم والعالم العربي أمام امر واقع جديد يهدد بأخطار جسيمة .

الصهيونية من زاوية التحليل النفسي

هل تعاني اسرائيل من عقدة الاثم والنزعة الانتحارية ؟

خالد قشطيني

من الامور التي طالما اشار اليها العرب وشكوا منها المواقف والمعاملات الاستثنائية التي حظيت بها اسرائيل . انه امر اكدت عليه اسرائيل وشددت على حقها في المعاملة الخاصة . وسواء جاءت الادبيات من قلم يهودي او غير يهودي ، صهيوني او غير صهيوني ، فلا نلبث في مطالعاتنا للمشكلة اليهودية حتى نتعثر بكلمات « الاستثنائي » « انفرادي » ، « وحيد » ، « خاص » ، « شاذ » . وهي كلمات تتجمع بسهولة في العبارة الدارجة في العيادات الطبية والنفسية : « حالة غير اعتيادية » .

وعندما نفكر بتعريف عملي للحالة غير الاعتيادية فيمكننا القول انها الحالة التي لا تستجيب لاساليب المعاملة والعلاج الاعتيادية . واذا شئنا البحث عن مثل تاريخي فهو المسألة اليهودية التي فشلت في حلها كافة المحاولات العسكرية والسياسية والاجتماعية والدينية من عهد بختنصر الى عهد لينين واخيرا بن غوريون . وقد شهد العالم على عهد الاخير فشل المحاولة الصهيونية في حل المشكلة وتحويل اليهود الى مجموعة كغيرها من الناس ، مجموعة غير شاذة .

ويعطينا الانغلاق الذي صاحب النزاع العربي الصهيوني جانبا آخر من الانغلاق غير الاعتيادي الذي ميز المصير اليهودي . بالطبع يعزو الصهاينة ذلك الى تصلب العرب وعنادهم مستفيدين من سكوتهم على الحقائق . ولكن الوثائق والتصريحات التي جاءت في السنوات الاخيرة كشفت عن سلسلة متواصلة من المحاورات بين زعماء الجانبين للوصول الى تسوية وتعطينا تعهدات الملك فيصل بن الحسين مثلا شائعا لاستعداد الجانب العربي . كما كشف المعتدلون في الحركة الصهيونية والمنشقون منها ان قادة المنظمة كانوا هم الذين انتكصوا عن المحاولات(١). واتفق الجميع على ان حرب ١٩٦٧ اعطت تل ابيب احسن فرصة لانهاء النزاع . واستمر اولئك المتفائلون بعد خيبتهم بالامس يتفاءلون الان من محاولات كيسنجر . بيد ان غيرهم ممن لم يصل تفاؤلهم هذا الحد ، يئسوا من مواقف الحكومة الاسرائيلية ورأوا القبر الذي تحفره اسرائيل لنفسها مشيرين الى الطريق الانتحاري الذي سيؤدي اليه .

لقد نظر البعض بتحفظ الى ما كتبناه قبلا(٢) عن التوسع الاسرائيلي كجانب نفسي من العقدة الانتحارية لاسرائيل . لقد لاح لهم تشاؤميا و« غير ماركسي » . بيد ان الايام التي مرت كشفت لا عن تصاعد مد ثوري او ظهور جيل تقدمي متفهم وانما عن استقطاب يميني وجيل متشبث بالعنصرية والمدفع . ولم يجد المراقبون في الاخير غير الجري في فيافي النفس بحثا عن تفسير لما عز تفسيره بالمفاهيم الاعتيادية . ونشير هنا الى مثل هذه التحولات في كتابات شخص ثائر مثل اكيفا اور .

هذا ميدان محفوف بالمخاطر ، فان فهم الطبقات النفسية للفرد امر بحد ذاته عظيم الصعوبة وان محاولة الانتقال بالنظريات السايكولوجية من نطاق الفرد الى نطاق المجموعة تنطوي على مجازفة بينة ولا سيما عندما نفكر بمشكلة الانتقال والوراثة . ولكن فرويد كان من اول من ذهب ، وبحق ، الى ان مشاكل الوراثة في البايولوجيا لا تنطبق على علم النفس الجماعي . وعلى كل فان صحة او بطلان التفسير لا يبطل وجود العلة وانما يؤكد على وجودها .

من الوقائع التي نجعلها منطلقا لنا ظاهرة الاثم التي تصاحب الوجود اليهودي (يجب ان نحاذر من الخلط بين نفسية المجموعة ونفسية الفرد فسلوك الافراد واقوالهم لا تعبر عن المجموعة بالضرورة) . لقد اشار الاستاذ ماكس فيبر بعد استعراضه للفضيلة والرذيلة في مصر ويهودا الى ان الفرق الاساسي بين اخلاقية الطرفين هو فكرة الاثم التي تطغى على الديانة اليهودية(٣) . واصبح الاثم الفكرة التي تلتقي عندها آراء اليهود وغير اليهود في حديثهم عن الوجود اليهودي ولم تفترق الا في التفسير . فتش اعداء السامية عن مصدر الاثم في الاعمال الشريرة التي نسبوها الى اليهود . ورأت الكنيسة ان صلب المسيح هو الاثم الابدي الذي يظل يحمله اليهود . وانبرى سيغموند فرويد ففتش عن تفسير جديد للظاهرة في رسالة « موسى والتوحيد » قائلا ان الذنب الابتدائي الذي وقعوا به هو قتلهم موسى في سيناء ، كما افترض . ونعطي فيما يلي تفسيرا اخر للمركب .

اولا لا بد للذهان* من استعداد نفسي وحساسية خاصة . وقد تكون ذلك عند العبريين اولا من شيئين : ممارسة التجارة وتضخم الانا الاعلى او الضمير . فمن المسلم به ان التاجر بما يحيط به من قلق وتشرد وحياة ارتقابية ذهنية مجردة اكثر عرضة من الفلاح او الحرفي للهزات النفسية . وقد ولد هذا الشعب التجاري في ظروف قاسية اضطرته الى عبور الصحراء مرتين . القيام بذلك ومواجهة العدو تلو العدو تطلب خضوعا مطلقا لقيادة حكيمة ، لم تجد امامها غير ان تشد ازر تابعيها بسلسلة من التوجيهات الآمرة والناهية بعضها عملي وبعضها خرافي تطيري . بمرور الزمن استبدل الشعب عبء حياته اليومية بعبء التنظيم الاخلاقي الذي نسيت اصوله . لقد اصبح ضميرا لا شعوريا متضخما .

ترتبط مأساة الشعب العبري ارتباطا وثيقا بفكرة الخلود التي رادها وهام بها انسان الشرق الاوسط . وبينما سعى ابن مصر وبابل الى تحقيق الخلود لذاته فاغتبط الاول بعالم الاموات الرغيد وشقي الثاني بادراكه عقم المحاولة ، اضطر العبريون تحت الضغوط والاخطار الى السعي وراء خلود المجموعة . لا يمكننا ان نتصور احدا يسعى للبقاء بنفسه في معزل عن المجموعة في متاهة سيناء . هناك غرست بذرة خلود الشعب وتغذت بروح العصبية القومية تحت الضغط العالي وانعكست في الفولكلور العبري . وما اظننا بحاجة الى شاهد فيكاد يرتبط اسم اسرائيل بالابد والخلود حيثما وجدناه في العهد القديم . انما يجدر بنا ان نشير الى مدى تأثير ذلك على قصة المسألة اليهودية والحركة الصهيونية . فقد اكد مفكرو الحركة الصهيونية على خلود الشعب اليهودي وضرورة ذلك واشار حتى الملحدين منهم مثل سمولنسكي وللينبلوم الى « الشعب المقدس » . ودافع لوزاتو في القرن المنصرم عن اهمية خلود الشعب اليهودي لانها تنطوي على خلود الله نفسه . وبعد ان اعترف بان الشعوب تولد وتشب ثم تموت نفى تلك القاعدة عن الشعب اليهودي لانه « التجسيم الكامل للذات الالهية »(٤) .

---

* Neurosis.

ولما كانت الآلهة القديمة مرآة لتفكير اتباعها فقد رأينا العبريين يسبغون على يهـوه الخلود الذي منحوه لانفسهم مثلما اسبغت بابل الزوال والغير على الآلهة التي عبدتها. أصبح يهوه اله الحرب الذي لا يقهر او يزول ، واصبح بقاء اسرائيل جزءا من بقائه . نشأت هنا علاقة وطيدة بين العابد والمعبود نستشف منها علاقة اشبه بعلاقة الابـوة القبلية . اسرائيل هي التجسيم الكامل للذات الالهية كما قال لوزاتو . ونجد صـدى لمثل هذه النظرة في مقاطع كثيرة من العهد القديم بينما دأب التلمود على تسمية اليهود بابناء الواحد الاعلى . ومن الناحية الاخرى تؤيد العبادة الفيتيشية* التي اتبعتهـا اسرائيل حسب رأي ادوارد ماير(٥)والتنظيم المعبدي والقبلي مثـل تلك النظرة اذا اقررنا بان تابوت الرب الذي تتوجه اليه الصلاة هو في الواقع فيتش او طوطم لا اكثر وان الطوطم هو تقليديا روح او جسم أب أو جد عظيم الشأن .

بعد اجيال قليلة تعرض هذا الشعب الناشـيء المفرط الحس القلق النفسية الـى صدمة رضية (تروما) في سني ترعرعه الاولى . لقد قدر له ان يخوض حروبا مستمرة ضد قدماء الفلسطينيين الذين تفوقوا عليه بمعرفتهم صهر الحديـد ومن ثم صنـع الاسلحة . وبعد هزيمة مرة في معركة بن عيزر وقع قادة اسرائيل بالخطأ المهلك بـأن قرروا سد الهوة التكنولوجية بشحنة دينية . قرروا اخراج تابوت الرب وتسليمـه مقدمة الجيش ظنا بأن اله الحرب سيكفي فعلا لكسب الحرب . كانت النتيجة سقوط التابوت اسيرا بيد الفلسطينيين بعد هزيمة دامية . وبالرغم من العفوية التي يـروي بها سفر صاموئيل المعركة ، فان عباراتها مشحونة بالدلالات . يحمل النبأ الى المدينة رجل شق ثوبه وعفر رأسه بالتراب ـــ العلامات التقليدية على موت عزيز . يجـد في طريقه عالي (حاكم اسرائيل) متنكبا قارعة الطريق قلقا على تابوت الرب . فمـا ان يسمع عالي صراخ المدينة ويدرك الخبر حتى يسقط فيكسر رقبته فيموت . ويسـرع المخاض الى كنته فتلد ولدا تسميه ايخابود قائلة « قد زال المجد عن اسرائيل لان تابوت الله قد أخذ »(٦) .

وعاشت اسرائيل الفترة التالية في وجوم وفوضى متخذة لنفسها آلهة أخرى . ولاول مرة شعرت بشذوذها فردد أبناؤها نريد ملكا كبقية الشعوب . مـات الرب عاش الملك . فكان أن نصبوا شاؤل على العرش ، ولا يخلو هذا من فحواه فقد كان اول ملك لاسرائيل مبتل بنوبات دورية من الكآبة والملنخوليا والبارانويا . وبالرغم من اعـادة تابوت الرب اليهم فان هؤلاء تركوه منسيا في زاوية من بيت ابيناديب كشيء مـن سقط المتاع . وعندما أعيد له اعتباره ، نهجوا تدريجيا على اسقاط اسمه والاشارة اليه بكلمة « ادوني » ، أي الرب أو السيد بدلا من اسمه الصريح « يهـوه » الذي كان شائعا قبلا . من تقاليد الحداد الشائعة عند الساميين الامتناع عن ذكر اسم المتوفى .

ولا بد من طرح السؤال بعد مأساة بن عيزر : ما الذي أودى بيهوه ، اله الحـرب الابدي السرمدي ؟ ولا بد ان جاء الجواب بالكلمات التي طالما وردت كلما حلت كارثة باسرائيل . انه انقسامهم وعصيانهم وكفرانهم . لقد قصروا بحق الرب فتركوه يسقط في المعركة . انها بعبارة أخرى جريمة قتل الرب (ديسايد) . وبالنظـر اليها من الزاوية الاوديبية الفرويدية قتل الاب (بترسايد) نظرا لسمة الابناء ـــ الاب التي وسموا بها علاقة اسرائيل بالرب .

وبرأي أهل التحليل النفسي ، ان مثل هذا التوهم يؤدي اخيرا الى مركب الاثم ، ومن ثم الكآبة ولا سيما عندما يجابه مواقف مساعدة . والتقى العبريون بكثير مـن هذه

---

* Fetishism .

المواقف . لم يمض غير بضعة أجيال حتى سقطت مملكة اسرائيل بيد آشور وتعرض التابوت لمصير مشابه . وتكرر الحدث في أورشليم وكأننا بالقدر يسخر من محاولة الانسان الخلودية فيمني الشعب الذي تمسك بخلوده وخلود الهه بأقصر الآجال . على يد الفلسطينيين سقط الرب في المعركة ، وعلى يد البابليين سقط الشعب . ويبدو لاول مرة ان صدمة سبي بختنصر هي الصدمة التي غرست الاثم ، وهي كذلك لو لم تكن أقرب الى الشعور الواعي . ان من الضروري لنا ان نفتش عن البذور في الاعماق المنسية من هذا التاريخ لنلتقي بحادثة بن عيزر . السبي هو الحدث الذي أطلق شجون الحادثة من عقالها فسمعنا العويل نغمة مكررة على ألسنة حكماء اسرائيل .

يبدو ما أوردناه باقتضاب تأملا نظريا صرفا وقد يبدو للبعض مغاليا في افتراضاته وتعليلاته . ولكن قبول التفسير او رفضه لن يؤثر في حقيقة الوقائع . لقد كانت الوقائع الموضوعية لظاهرة الاثم وذهانها الكآبي هي البداية ومنها خرجنا الى التعليل .

تعطينا الصور والرموز التي انهالت من ألسنة شخصيات العهد القديم الابعاد الاثمية المعذبة بوضوح . تطالعنا هنا صور البغاء والعهر والمهانة والحقارة والقذارة والغائط والدم والجيفة . عندما تزوج النبي هوشع بعاهرة لم يجد غير الاشارة الى أمر الرب بأن يتزوج « زوجة زنى وينجب أولاد زنى لان البلاد اقترفت زنى عظيما »(٧) . وارتبط عذاب هوشع بخيانات زوجته بحالة اسرائيل . وعمد حزقيال بعده الى حلق شعره (رمز القوة وحلقه رمز حدادي) واكل الغائط . ودأب ارميا على تطويق رقبته بنير دابة وأحس بأن الرب قد اغتصبه كما تغتصب البنت البكر . وأوقع زكريا جروحا مؤلمة على بدنه .

ووجد الاثم تعابير متنوعة على لسان اشعيا : « صرنا كنجس وأعمالنا كثوب بال . لقد ذبلنا كالورقة وأصبحت آثامنا كريح تحملنا بعيدا » . وتتوالى الافاعي جنبا الى جنب مع مشاهد الموت والعدم وعتمة القبور وضباب الموتى . يجسم النبي اثم المجموعة قائلا « نفتش عن حكم بحقنا فلا نجد وعن خلاص لانفسنا فلا نصبه لان ذنوبنا استفحلت ووقفت تشهد ضدنا »(٨) . هناك كثير من الشكوك حول كتابة سفر اشعيا ويذهب الظن الى ان اكثر من شخص قد كتبه . ويعطي ذلك صوره الذهانية المالنخولية صفة فولكلورية واسعة تعبر عن ضمير الشعب ككل .

وقد وصف فيبر الحالة النفسية للزعماء الروحيين بقوله : « الواضح ان الكاهن المعتاد في اسرائيل كان يجد نفسه في حالة توتر مستمر ويستغرق في تأملات كئيبة تصبح خلالها أتفه الاشياء اليومية العادية الغازا مخيفة »(٩) .

والواقع ان حياة شخصيات العهد القديم تطالعنا باستمرار بأعراض الطيرة والهلع والقلق والهوس والتوهمات السمعية والبصرية والاحلام والكوابيس والتصرفات الشاذة والانتقال السريع المفاجىء بين شعور بعظمة وأهمية وشعور بتفاهة وحقارة واخيرا الشعور بحمل رسالة مسؤولية تجاه البشر واداء واجب المنقذ . كل ذلك من الاعراض العيادية المألوفة في الكآبة . وظلت الاضطرابات النفسية من مميزات زعماء اسرائيل من شاؤول الى شبتاي تزفي وأخيرا هرتزل . ويعطينا أبو الصهيونية نفس التذبذب بين القداسة والدناسة وتضم يومياته النتف المألوفة المعبرة عن الحقارة « نحن جنود رديئون لاننا عارون عن الشرف » . وأيضا « الجمهورية لا تصلح لنا نظرا لنقص أخلاقنا » . ويذكرنا بأفاعي اشعيا في مقطع يصور فيه اليهود بالعقارب(١٠) .

وقد بذلت محاولات اصلاحية للانعتاق من الدوامة حديثا في الكنيس الاصلاحي وقديما بدعوة ارميا ولكن الذهان والظروف الموضوعية كانت أقوى من ذلك فقدر

لليهودية ان تأخذ شكلها المتكامل لا من ارميا وانما من حزقيـــال الذي أعطانا صورة متكاملة للظاهرة النفسية . وفي سلسلة من الرموز والاحلام والكوابيس وأحلام اليقظة يعطينا كتابه سلسلة من صور العدم والقفر ، الاجسام العـــارية المشمينة ، الجنس الشاذ المروع ، النيران التي تلتهم الاطفال ، قمم الصخور المضرجة بالدماء ، القدور المليئة باللحم والعظام تحت طفاوة من الحثالة يرش عليها شيء من التوابل ثم تغلى حتى تتحول الجيفة الى كتلة منسجمة(١١) . ويبدأ هذا السفر بتخيل يرى فيه حزقيال خلائق مريعة لها أربعة رؤوس وأجنحة يظهر بعدها الرب يتصاعد اللهيب من منطقته الجنسية فيخبر الكاهن بأنه يعيش بين عقارب ثم يسلمه كتابا . يحتوي الكتاب مراثي يبادر حزقيال بالتصرف الاصيل للكآبة فيزدردها . هنا يأمره الرب بأن يأكل ويشرب بمقياس صغير وان يخلط أكله بغائط انسان . وعندما يحتج الكاهن يسمح له الرب بتبديل غائط الانسان بروث بقر . وتتوالى الصور الابتلاعية (Oral intojection) الشرجية (anal) .

ثم تنجلي السحابة وتعود بارقة الامل فاذا بها شمس ساطعة . وفي حالة المسعور بألمانيا يطل من الافق خلاص اسرائيل وتسنمها المجد والسؤدد بين أكاليـــل الرموز الخلودية .

ويغرق الكهان في بحر من الاوامر والنواهي المفرطة التي يتعـــذر تفسيرها بشيء غير النفسية الذهانية المتطيرة . ويقع التركيز على الازدراد الاكلي والايلاج الجنسي والتفريغ الشرجي ويقسم العالم برمته الى نظيف وغير نظيف . لحم الحمل بلبن امه غير نظيف لا تقربه . المرأة الحائض غير نظيفة لا تقربها . الذكر بشطفته غير نظيف لا تقربيه . الطير آكل اللحم غير نظيف وكذا الماشية التي لا تجتر والسمك بدون زعانف أو أصداف . اي عيب في حيوان يجعله غير نظيف . ولاول مرة اصبح جسم الانسان العاري غير نظيف والجنس مكروه . وما ذلك في الواقع الا جزء من ظاهرة العزوف عن اللحم والجنس عموما التي تصاحب الكآبة . وأعطانا دانيال مشهدا مسرحيا عندما دعاه الامير الى اكلة لحم فالتجأ دانيال الى شتى الحيل حتى استبدل اللحم بالجريش . اصبح الاكل المفضل البصل والثوم والحبوب .

ونستشف مما سبق هبوطا بارزا في الطاقة الجنسية (الليبدو) الى حد أصبح يميز التراث اليهود العبري عن بقية الحضارات القديمة التي اعتـــزت بالجنس وجمال الجسد . ونلفت النظر الى أن اللغة العبرية لم تعرف كلمة العفة الجنسية حتى عهد السبي . وربما القت ظاهرة الختان ضوءا آخر على هذه الناحية . فالثابت ان هذه العادة لم تكن شائعة بين العبريين حتى العهود اللاحقة عندما أصبحت واجبا بعـــد السبي(١٢) . وينظر علماء الاجتماع اليها كبديل لعملية الاخصاء التـــي كان البدائيون يوقعونها بالعدو . وقد لاحظ هربرت سبنسر ان القبيلة المنتصرة كثيرا ما تساهلت مع عدوها المنهزم فاكتفت بختان رجاله بدلا من ذبحهم . هل جاءت العادة اخيرا كبديل عن قتل النفس واخصاء النفس وتعبيرا عن النزعة الانتحارية ؟

ودخلت المجموعة في شرنقة تعيش فيها في عالم خاص بها معزول عن العالم . اصبح اليهودي يميل الى السرية والعزلة لا يكلم أحدا عن دينه أو حياته ولا يريد أن يناقشك فيها . قال فرويد « الامور اليهودية هي الامور التي نتكلم عنها بين أنفسنا فقط » . وعندما تحاول أن تجره الى المناقشة تلقى نفس المقاومة التي يلقاها الطبيب النفسي في جر المريض الذهاني الى الكلام . خـــط الاتصال مقطوع ولا تجـــده يأبه ان اشرقت الشمس أو اغربت خارج عالمه الخاص . واذا القى نظرة مـــن نافذته الى العالـــم الخارجي وقف شعره رعبا انه عالم مخيف لا يبيت له غير الاضطهاد والابادة . هذا هو

العالم الذي عاشته اليهودية عبر القرون الخالية . وعندما كتب احاد هاعام رسالته « قانون القلب » لم يجد بدا من التنديد بالحياة الشاذة التي عاشها اليهود وعجزهم عن الاستجابة للعالم الخارجي . ولكن الرائد الصهيوني نفسه وقع في نفس المركب الذهاني من زاوية المحافظة والنظر الى الوراء والحنين الى رحم الام بدعوته الى الرجوع الى ما قبل التوراة الى سني طفولة الشعب (حيث كان الشعب بريئا من الاثم) . « التهرب من الواقع » هو الصفة التي لفتت نظر اللجنة الملكية البريطانية في يهود فلسطين سنة ١٩٣٦(١٣).

لا يملك المختص بعلم النفس أمام هذا الاستعراض الوجيز غير أن يجد نفسه حيال صورة من صور الكآبة الذهانية ولن يحدوه الى التردد سوى انها تتعلق بشعب لا بفرد . ومن رأينا أن معاناة المجموعة لعلل نربطها عادة بالافراد أمر لا يساعدنا فقط على تفسير سلوك المجموعة بل سيعين أيضا المختصين على فهم كثير من معاناة الافراد . وعلى كل فطالما لفت الجانب رواد الحركة الصهيونية سواء بن بوروخوف او برنر او بنسكر . تساءل برنر هكذا : « حقا ان أدبنا يعاني ما يعانيه الرجل العجوز من اضطراب . انه أدب باثولوجي جدا . أعصابه محطمة ومحيطه ممزق . وقد اصبحت حياتنا ذاتها حياة باثولوجية . أفيمكن أن ينجو احتقار النفس الذي نحمله من ان يكون هو أيضا باثولوجيا ؟ »

للموضوع طبعا بعده السياسي العملي الخطير . ويتجلى ذلك من فهم ميكانيكية مركب الاثم والكآبة . على الرغم من محاولة التخلص من الاثم يجد صاحبه نفسه يلف ويدور حول ذات النقطة التي يريد نسيانها . انه مركب ذاتي الحركة يوقد نفسه بنفسه الى أن يجد الشخص نفسه مضطرا الى اعادة تمثيل الصدمة الرضية . ولكنه ما ان ينتهي من اعادتها حتى يكون الاثم قد زاد عمقا وتفاقما . الموقف الطبيعي للشعوب هو قبول سنة الحياة : الولادة فالنمو ثم الموت والانحلال . ولكن العقدة التي أتينا الى ذكرها حالت دون قبول بني اسرائيل نفس المصير . فراحت آلية الاثم تعيد التجربة تلو التجربة . لا يملك القاتل غير ان يعود الى مشهد الجريمة . وفي عصرنا هذا تضافرت عوامل موضوعية لاعادة التجربة مرة اخرى على يد الحركة الصهيونية .

اذا قبلنا بذلك نستطيع ان نفهم لماذا استطاع زعماء الصهيونية تحقيق المعجزة تلو المعجزة الا معجزة واحدة ، ابسط المعجزات وأيسرها : الوصول الى تفاهم مع جيرانهم . انه يتناقض مع النزعة الانتحارية وآلية الصدمة الذهانية . طالما ادعت تل ابيب بأنها تريد ان تعلم العرب درسا . الدرس الوحيد الذي نجدها نجحت في تعليمه للعرب هو فن الحرب ، كيف يقاتلون ويباغتونها . هل كان ذلك مجرد صدفة ؟ ليس هناك شيء اسمه صدفة في سلوك البشر . هناك شيء اسمه لاشعوري .

طالما ادعت انها تعمل للسلام والسكينة . لثلاث سنوات تقريبا ساد السلام والسكينة جبهة الاردن بعد ان قامت عمان بتصفية العمل الفدائي العلني . وعندما بدأ كيسنجر بفصل القوات أصرت تل ابيب على عدم اعطاء اي شيء للاردن . قصرت تنازلاتها على مصر وسوريا ، الدولتين اللتين هاجمتاها على حين غرة . هل كان ذلك تشجيعا للامان والسكينة ، أم مكافأة لمن يشحذ سيفه للاجهاز عليها ؟

البعد السياسي الاخر هو ان لذهان الكآبة جانبا مسعورا مانيا* . وغالبا ما يتوالى الجانبان توالي الليل والنهار . وعندما نكون في الدور المانى نمتلىء حيوية ونشاطا وقدرة الى حد شاذ يكتسح كل من يقف في طريقها . ومن رأينا أن تاريخ المجموعة

---

* Manic.

اليهودية مر بسلسلة من هذه الادوار انتهت بدور ماني في العصر الامبريالي . بيد انه ليس من شأن الحيوية المانية أن تستمر الى ما لا نهاية فسرعان ما تستنزف وقودها . وعندما سيحدث ذلك ستقع اسرائيل في هوة من القنوط واليأس يتعذر خلالها أن تحقق أي شيء . متى سيحدث ذلك موضوع يتوقف على مجموعة من العوامل المساعدة . واذا كان زعماء اسرائيل يسخرون من مثل هذا التحليل فانهـم بدون شك يسيرون بهديه . انهم يفعلون بشعبهم كل ما يحلو لهم ولكنهم يتهيبون بذعر من أي خدش يصيب معنوياته .

النقطة الثالثة هي ان عقدة الاثم جوعى الى الحب والاعجاب . ويتحول هذا الجوع الى المعنى الحرفي للكلمة أحيانا ، الى حب ابتلاعي بشكل نهم في الاكل والجنس ، وحب تملكي بالتهالك على المال . ويؤدي الجوع الى الاعجاب الى انجـاز المعجزات أحيانا والحماقات أحيانا والجرائم احيانا . وعندما ينقطع حبل الحب والاعجاب تحدث موجة من اليأس والهلع . السياسة التوسعية لاسرائيل هي تجسيم لهذا المركب ومثل ذلك نقول عن دأبها في فرض ارادتها على الدول الكبرى. وربما سيعطي انسداد هذا الطريق من كل جوانبه ولمدة كافية عاملا مهما في الاطاحة بالكيان النفسي واشاعة اليـأس والانقباض .

هذا أو ذاك ، ان المعارك العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية ستقوم بوظيفتها كعوامل مساعدة نحو المعركة النفسية ـــ معركة اسرائيل مع نفسها ـــ وليس العكس.

---

١ ـــ أنظر مثلا ما ذكره نورمان بنتويتش، **جوداس ماغنز** ، لندن ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٢ .

٢ ـــ أنظر « **الى أين اسرائيل** » ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٦٨ .

٣ ـــ فيبرز ، ماكس ، **اليهودية القديمة** ، فري برس ، غلينكو ، ص ٢٤٠ .

٤ ـــ **الفكرة الصهيونية**، تنقيح هرتزبرغ، نيويورك، ١٩٦٠ ، ص ٦٧ .

٥ ـــ نوث، م، **تاريخ اسرائيل** ، لندن ، ١٩٥٨ ، ص ١٢١ ، ايضا كاوتسكي ، **اسس المسيحية**.

٦ ـــ صموئيل الاول ، ١٣ ـــ ٢٢ .

٧ ـــ هوشع ، ٢/١ .

٨ ـــ اشعيا ، ٦/٥٩ .

٩ ـــ فيبر ، ص ٢٩١ .

١٠ ـــ **يوميات هرتزل** ، الجزء ١ ، ص‌ص ٦٢ و٧١ و٧٢ .

١١ ـــ حزقيال ، سفر ٢٤ .

١٢ ـــ نوث ، ص‌ص ٦٩ ، ٢٩٦ ـــ ٢٩٧ .

١٣ ـــ سي. م. د. ، ٥٤٧٩ ، ١٩٣٧ .

إنه الرمل ..

محمود درويش

إنهُ الرملُ على الرملِ . وأدعوكِ الى هذا الرحيلْ
في اتجاه الشمس ، ضدّاً ودليلْ .
أبيضٌ هــذا المســاءْ
ضيّقٌ هــذا المســاء
ونهــائيٌ ..
ولا يشبهنا بحرٌ
وهذا جَسَدي
يحرس الموت الذي نسكنه بعد قليلْ .

إنه الرمل على الرمل . وأدعوكِ الى هذا الرحيل
في طريق الخيلِ .. أدعوكِ الى وقت النخيل .
ووداعاً لغروب الشمسِ
لا وقت لهــذا الحقل في عاصــفة الخيلِ
ولا وقت لهــذا العمر في ذاكرة الــنهرِ
وقال الرمــلُ : لا وقت لهــذا الوقتِ .
قلتُ : الآن مرّتْ وردةٌ نحــو مهبُ الشمسِ

قلت : الآن عــاد الشرق مــن تابوته ِ ـ الأمس ِ
وفرَّ البحرُ مــن شَيخُوخة الشاعر ِ
والنورسُ من قبَّعة التاجر
نحو الشرق ِ .. نحو الشرق ِ .. نحو الشرق
قلتُ الآن يأتي وقتنا من ساعة العُشْب البدائيِّ ومن ريش الحمامْ .
من بخار الخندق السريّ في الغابة ِ
من سبعة أطفال يموتون على سبعة الغام
ويحيون على سبعة أيّام جديدة .
هكذا يبتدىء البدء . وفي السابع يأتيك إله .. وقصيدة .
وانتهى وقتُ المناديل التي تذهبُ في الغيم ، ولا تأتي مع الغيم ِ
أنا الشاهد والعائدُ من تفّاحة الأولى
ومن أوّل مشروع اغتيالْ
وأنا الشاهد والعائدُ
مني وعليّ
بحث النهر عن النبع ، فمات البرتقال .

إنه الرمل على الرمل ِ ...
ولكنْ لم نسىء يوماً الى أحزاننا
نحن مطعونان ِ بالعادة في هذا المساء ِ الاعتياديِّ .. المساء الأبيض
الآتي الى ميعاد ِه ِ
مثلما نختار شاي الصبح أو .. نوع الوفاة .
كنتُ في الأمس الفضوليِّ أسيء الظنّ بالصُدْفة ِ :
هل كان ضروريا جنوني بالحياة
ولماذا لم تكن أمّي غزالهْ
أو ندى أو برتقاله

ذكريـــات
ذكريـــات
ذكريـــات .
وأنا العائد والشاهدُ
منّي وعليّ
سأل النهر عن النبع ، فمات البرتقال .

إنه الرملُ . وأدعوك الـــى هـــذا الرحيل
في طريق الخيل .. أدعوك الى وقت النخيل
إذهبي نحو الجهات الخمسِ
لا تبتعدي عنها كثيرا
تجدِيني
بين منديلين منسيين في درب الخيولْ
واذهبي نحو الحواس الخمسِ
لا تبتعدي عنها كثيراً
تجدِيني
بين عينين تضيئان على ظلّ النخيل
ووجدتُ البحر . لا تأتي الى الشّعر بلا موتٍ .
ولا تأتي الى الموت بلا شعرٍ
وجدتُ البحر في طيّة منديلٍ
ولا تقتربي مني . ولا تبتعدي عني
وجدتُ البحرَ
هل أمضي الى جلدي الذي تمضغه الشرطةُ والصفصافُ والحب القديمْ
أيّ نهر يرتدي جلداً ويحيا !
كنتُ في الأمس الفضوليّ أسميكِ بأسماء النباتات . الصناعات

البدائية . أعضاء الفصول . العمل الجنسيّ . أشكال السموات التي أعرف
أو لا أعرف . السحر
وكنتِ النارَ في شكل صلاةْ
ذكريــات
ذكريــات
ذكريــات .
ووجدتُ البحر . أطويه كما تُطوى سجاجيد المصلّينَ
على وقت النخيلْ .
وأسميكِ . ولا أسماء لي أو لكِ
لا أسماء للاشياء في هذا المساء الاعتياديّ الجميل

إنه الرملُ على الرمل على الرملِ
ولكنْ لم نسىء يوماً الى أحلامنا
نحلم الشرقَ كما كُنّا ، وشبّاكين مفتوحين
للناي وللقمح ، ككُلّ الفقراء
لم نسىء يوماً إلى أحلامنا
فلماذا تلبس الأنهارُ جلدا من حرير ودماءْ
ولماذا يتعرّى النسر في حوض الفضاء
ولماذا نلتقي المساءَ الاعتياديّ طبيعيّين عاديّين
من دون لقاء وانتحار
مثلما نختار شكل الموت أو لون الرداء .

إنّه الرملُ على الرملِ . وأدعوكَ الى هذا الرحيل
في اتجاه الشمس .. ضدّاً ودليل .
فسّر البحرُ يدينا ، فاقتربنا من يدينا

أنتِ تهتمين بالورد كثيرا
وأنا اهتمّ بالقيد كثيرا
وبلا وردٍ
تعودين الى النومِ
وفي نومك أصحو
دون قيدٍ
وأُربّي الكلمات
ذكريـــات
ذكريـــات .
فسّر البحرُ خطانا ، فابتعدنا عن خطانا
حبُّكِ الواقعُ بين الماء والرملِ
تمنّاكِ امتداداً لغزالْ
وتمنّاني سهوبْ
هل تكونين نهايات الجنوبْ
أم تكونين بدايات الشمالْ
وقف البرقُ على عصفورة فاحترَقتْ
وجمعتُ الكلمات
ذكريـــات .
ذكريـــات .
وانتهى وقتُ المناديلِ . ولكنّ المناديلَ مناديلُ نُسمّيها قماشَ الحزن أحياناً
وأحياناً نُسمّيها عباءات العصافيرِ
وأحياناً نسميها بديل الكلمات .
وتغيّرنا ..
تغيّرنا على مرآة هذا البحرِ . عنواني مياهُ النهرِ . ماذا بعدُ ؟

عمري يتلاشى من يدي كالماءِ
هل مشّطت هذا الماءَ
هل كنتِ ضفافاً أم يدينْ ؟
وتغيّرنا مع العمر . ونادانا المساءُ الاعتياديُّ . وهذا الدمُ يجري
هادئاً أو لاجئاً فوق جميع الطرقاتْ
والعصافيرُ بَنَتْ أعشاشها في حائطِ الاعدام ، في خاصرة الطفلِ
الذي يمشي على سبعة ألغام .. على سبعة أيام جديدة
كلُّ موتٍ يتهجّاكِ شهيدةْ
كلُّ موت يتمنّاك قصيدةْ .
وتغيّرتُ لكي أسأل قرب البحر : هل كان المساء الاعتياديُّ مسائي.
وتغيّرتِ .. تساءلتِ أمام البحر : هل كان المساء الأبيض الرخوُ
مسـائي
وتغيّرنا . تساءلنا
وهذا دمنا
هادئا يجري
هل الموت الذي نشهدُهُ فوق يدينا
موتنا ؟
لا !
إنه الرملُ . وأدعوكِ الى هذا الرحيل
في طريق الخيل . أدعوك الى وقت النخيل
إننا نمشي الى مسقط رأس الشمسِ
نمشي
في اتجاه الخطوات
لم نكن أكبر ، أو أصغر ، من قبرٍ
لنحيا أو نموت

نحن نمشي في اتجاه الخطوات
حاولي أن تخرجي من قبضة القلب
تموتي .
حاولي أن تذهبي في قبضة القلب
تموتي .
ووداعا لغروب الشمس
لم نذهب سدى
نحو نهر غامض . مر كثيرون
وما فرَّ المدى .
والمناديل التي ضاعت مع الغيمِ
نهاياتُ اليد المستسلمهْ
وبداياتُ اليد المقتحمهْ
ووداعا لغروب الشمس
ولتشتعلي
في طريق الخيل منديلاً من النار
ويــدْ
إذهبي واشتَعِلي
واشتعلي
في طريق الخيل منديلاً
ويــد !

سعيد القروي وحلوة النبع

مريد البرغوثي

افتتـــاحية

نتغيرُ ، يتغيرُ ماءُ النهرِ اذا نحن عبرناه
ولكلٍّ الاشياءِ طفولتُها / أمطارُ الميلادِ تصبُّ بانهارِ الموتْ / لكن الأمطار أبدْ
من رحم الأم الأول تبدأ
من قبرك تبـدأ
وتصير الانسانَ الحجَرَ النّار الريحَ العصفورْ
فانهضْ يا ابن الامطارِ الأبديةِ وازرعْ كلَّ الطـُرُقات
وتنـاثرْ ،
ستجمّعُكَ مصابٌ نائيةٌ لا تعرفُها
إنهضْ وابـدأ ..
تـُمْسِكُ في كفـّيْكَ دوائرْ
منها ينبثقُ الثديُ المثقلُ والفهدُ الخارجُ من انثاه / وتعريجاتُ الغيمِ الأسودْ
والكلمةُ فوقَ الشاهدةِ الحجريةِ ، والأكتافُ العاريةُ ، البريةُ والبحرُ
وافخاذُ الحطـّاب المشعرةُ ، وعَدْوُ الافراسِ البيضاء ، ودولوُ البئرِ
وشيءٌ ما يكمنُ في الداخلِ / يحيـا ويموتُ / وينقسمُ الى ضدّينِ
وتكمنُ حربٌ ، فـَتجّر لحظتَها خـُضـّها وابدأ
قم يدعوكَ الناقوسُ / فإمّا عرساً او موتاً
لكن قم ...!

أشواق سعيد القروي

دعني أخرجْ للرؤيا / أقفزْ في اللامعلوم / ودعني أطلعْ عاري الصدرِ
الى مملكة الوعرِ وهات يديكَ الراعشتين وأبلِـغْ عنـّي

أني سأسمي الغيمة بحراً
وأسمي الجذرَ المدفونَ بأعماقِ الأرض ِ ثماراً في الريحْ
واذيبُ الأزمانَ جميعاً في زمن اللحظةِ
وأمرُّ بعربي من قطراتِ الماءِ أبل بها حلقاً جففه رملُ الصحراءِ العربيّة
وغبارُ خيولٍ فقدت خلف الكثبانِ أصالتَها العربية ..
أبلغ عني أن الكون سؤالٌ متصلٌ
وأطالبُ ان أطرَح كلَ الأسئلةِ ولا أُقتَلْ
فاتسعي يا عينيّ تألق يا عُربي في قطَراتِ الماءْ
وامتدي يا كفـّي كي يسقطَ بين خطوطِك نجمٌ لهبٌ يُفشي سر الطـُرُقات لقلبي
وأمـر
أصيرُ الرحلةَ والراحلَ / وأصير السرَّ وكشفَ السرِّ
وأبحثُ بين صخور الوعرْ
عن تلك الحاملةِ جميعَ الأضداد – فتاةِ النبـع ِ الأولْ
أفتحُ عينيَّ على شهواتٍ حرَّمها السلطانُ
وأبلغْ عنـّي أني امتلكُ الممنوعاتِ جميعاً / الاسئلةَ ، الحبَ ، السيفَ ، المنشور /
وتمرُّ بعينيَّ قوافلُ جلاديَّ ومَنْ حلـّل دمَّ الخارجِ عن طاعتهِ
والباعةُ والشارونَ وقناصةُ حرسِ الليلِ وأناتُ الغرقى
أبلغْ عنـّي أن الراحلَ قد يهلك لكن الرحلة تبقى !
أبلغ عنـّي أني ساخوّض في الماءِ وأني ساسمّي حفارَ قبور الشهداء بإسم ِ القابلةِ
وأدخلُ بين الأسودِ والأبيض / أرفعُ ألوان الطيفِ وأجعلـُها علـَماً
في رحلةِ كشفي المغضوبِ عليهـا ،
أبلغ ان خرائطـَنا لم تـُرْسَمْ بعدُ / وأني ساسمّي النبعَ مصبّاً / وأسمي
الخطوَة في الوعر بلاغاً أولْ ،
أبلغ أني أخطو في العتم وأني ابدأ
يتلوّى في دربي الأفعى وبني آوى ، يتجشأ ضبعٌ وتـُدَبدِبُ من حولي
أجسادُ زواحفَ تتلوّى
تختلطُ الأصواتُ الكاسرةُ على اذني وتنقُّ ضفادُع تنعق بوماتٌ وأرى
أثرَ المخلبِ في الأرضِ

وأمضي ، أخطو ، ابدأ
يدعوني الغامضُ ، ابدأ / يدعوني الشائخ أن أتأملَ ما يولدُ منهُ فتيّاً
أبلغْ أنّ الفلقة نصفانِ / فنصفٌ ضدّ النصفِ الآخرْ :
إن يتحطمْ جسرٌ فوقَ النهر / يظل الشطُ الأيمنْ ، متّصلاً بالشطّ الأيسر
ويواصلُ بينهما التيارُ هديره !
فانهض يا ابن الأمطار الأبديةِ ، وابدأ / إصعد كي تتعرفَ بالسفح الآخر
من جبل الدنيا
ما من نهر يشبه نهراً / لكن قبور القتلى في الحربِ جميعاً تتشابه
ترتسم صفوفاً في الصحراءِ وتحملُ أرقاماً
لا تحفظ رقماً
فالقتلى ليسوا احصائيةَ مصنعِ كبريت
غص في قاع القبر
اسأل كلّ قتيلٍ عن قصتهِ وأبحثْ عما لم يُحْكَ قبيلَ دخولِ الطلقةِ
في صدره
إسأل عن ليلاه وعن فاطمته ..
اسأله عن الطين القرويّ ، عن الحلمِ ، وعن لقمةِ والدهِ لما سقطتْ
— ساعةَ موتهْ —
في الهوّةِ ما بين الكفّ وبين الفمْ
إسألْ عن حيٍّ زحف بكاملهِ ينتحبُ ببيتِ الجنديّ الغائبْ / ويعددُ
كلَ محاسنهِ وحميدِ صفاته
لا تقرأ ما كتَبَ الضباطُ الأحياءُ على الشاهدةِ —
إقرأ صلصلةَ اللطمِ اقرأ قدّ الثوبِ اقرأ وحشةَ غربتهِ بردَ سريرهْ
اقرأ كيفَ اهتزتْ معدتهُ في الريحِ / اقرأ كيفَ تصلّبَ كفاهُ على الرملِ
اقرأ كيف يُحَدّقُ فيكْ
اقرأ لحظةَ نصر قد يصنعها تتقطرُ دماً ونشيداً وطنياً
اقرأ خفق العلم على أرضٍ حين يحررها
اقرأ فرحةَ من عادوا من مهجرهم وشتاتِ المنفى
اقرأ دورةَ مفتاحِ الشيخِ ببابِ البيتِ المردودِ إليهِ بدمِّ الميّتْ

واقرأ مزج الكاكي بالأحمر والأبيض والأصفر والأخضر والأزرقْ
واقرأ تاريخاً لا رقماً
وتنصّتْ لمعلمةِ التاريخ تقول لأطفال القرية :
قد كان هنا في هذي الأرض عدوٌ ، وهزمناه

سعيد القروي يبدأ الرحلة

(١) كلُّ أرضٍ تُقلّني
لِيَدي بصمةٌ بها / ولخطوي بها أثرْ
أمزجُ النار بالرياحْ / والمواعيدَ بالخَطرْ
ولهذا أسميتُها / موطناً لي أو كفني /
كلُّ أرضٍ تُقلّني .
(٢) طالعاً من حُلمِ أطفالي ومن صوتِ جدودي
حاملاً وعداً بموتي ووعوداً بالحياة
خادماً للبيرقِ الطيفيّ / فعلي سيّدٌ / وجبيني عبءُ جيل
مُزّقتْ أطرافُهُ من قبل ان آتي وضاعتْ / صارتِ الارضُ
عذاباً للذي يأتي
أتيتْ
وانا هذي المِزَقْ / جَمّعتني ريحُ أهلي / جَسَدي صار الوطن :
كلُّ سوطٍ رسَمَ الجرحَ على ظهري أنا / رسمَ الحدَّ على وجهِ الخريطة
وأتيتْ
أعرف الشيء وضده / بادئاً من آخر الخطوِ وفي ريحِ الفصولْ
زارعاً شتلاتي الخضراءَ في ريحِ الفصولْ
تركتني حلوةُ النبعِ بلا وعدٍ وضاعتْ في الزمانْ
قلتُ من أجدرُ منّي بالجميلة ؟
وخطوتْ
باحثاً عن وجهها الراضي ولم ترضَ ، ابتعدتْ
وألحَّ العشقُ في قلبي خطوتْ
صرتِ حُلماً ، حلوةَ النبعِ ، وقد طالَ ارتحالي / وخرجتْ /
علّني ألمحُ عينيكِ وثنياتِ الجديلَة

وأتيــتْ
حلُمُ عينيك ينادي كلَ عاشقْ
قلتُ ، من أجدرُ منّي بالجميلة ؟..
(٣) أحمل يومي كما يحملُ طفلٌ صغيرْ
حقيبةَ الكتُبِ التي ينوء بها / طولَ الطريقِ الى المدرسةِ النائية
أمشي مع الأيامِ والأصواتُ تتبعُني :
« ان أنتَ لم تمشِ فالأيامُ ماشيةٌ وحدَها
وان رجعتَ فإنّ الدربَ لا يرجع » .

سعيد القروي ، ايلول ١٩٣٥

سيدي القسام أحضرتُ رغيفاً ، فلتشاركْني العشاء
سبع حباتٍ من الزيتونِ ، شاركني العشاء
وعليها سوف أقسم / أن سر النار محفوظٌ بقلبي / ان من حنطةِ أطفالي نصيبٌ للرجال
هات كفّك / أيها الشيخُ وشاركني العشاء
ألمح الليلة نجماً لاح في الأفقِ كما قطرةُ فضّة / والعصافير التقتْ بعد ارتحال
أسمعُ الليلةَ يا شيخُ صدى / وأرى ما لا يُرى
هات كفيك وخذ مني القَسَمْ / هات كفيكَ وشارِكني العشاء !

سعيد القروي ، تشرين الاول ١٩٣٥

بندقيّــة
خندقٌ ، ليلٌ ، وبردْ
بندقيّــة
شَجَراتُ البرّ لا تعرفُ ما نبغي ولا هذي اليمامة
ورذاذُ المطرِ الليليّ لا يدري ولا أم البنين
ساحةُ الدار خلا منها الحطبْ
يسمنُ البردُ برعشاتِ صغاري الآن يا أمّ البنين
هل توددتِ لهُ هذا المساء ؟

شاغليه / وافردي معطفيَ البالي على الأطفالِ إنْ ناموا
وهل تقسو عليهم أيها البردُ الفلسطينيّ إذ يمضي أبوهم للعراءْ
خَفّفْ الوطءَ عن الأطفالِ يا بردُ ، وغُصْ في جَسَدي
وتسرَّبْ بين أكتافي وصاحِبْني وعدَّ اللحظاتْ
وارقبِ الأعداءَ إن مرّوا وشدد وخزتكْ
سيمرُّون فلا تبرحْ ، وشاهِدْ موتهُمْ ، في فجوةٍ ما بين كفّي والزناد ..
بندقيّة
خندقٌ ، ليلٌ ، وصوتْ
بندقيّة
تعرف القصةَ من أولها :
سُفُنٌ تُلقي على الشطّ الغُزاة / ونُعاسُ القومِ ميناءٌ وريحٌ في القلوع
والطغاةُ الكُثْرُ يدرونَ ولكنْ ذبّحوا طائر اليقظةِ فينا واستراحوا
ها هو الشيطانُ قُدّ اثنينِ ، في الداخلِ والخارجِ ، وانهالا علينا بمواعيد الهلاكْ
فاستفقنا وبأيدينا حبالٌ أجنبية / وحبالٌ عربية
صارت الأشجارُ والأنهارُ والأرضُ وما يحيا عليها ، بندقيّة
بندقيّة
تعرف القصةَ من أولها ، وهي التي تروي البقيّة
بندقيّة
أبطىء الخطوةَ يا ليلُ سيأتونَ قريباً / واهدأي ، لا تفزعي من طلَقاتِ
النارِ يا هذي اليمامة
وضَعَي معطفي البالي على الاطفالِ يا أمّ البنين ..

سعيد القروي تشرين الثاني ١٩٣٥

سيدي القسام قتلاهم بلا عدٍّ ولكنْ هاهمو يأتونَ من كلِّ اتجاهْ
سيدي القسام حوصِرْنا فما دربُ النجاة ؟
زخةٌ من قَصْفِهِمْ تتبعُ زخّة / كشفوا موقعنا يا شيخُ هيا ننسحبْ
زخةٌ في تلو زخة ...
« سيدي القسام .. آه .. »

بَعْثَرَتْ صرختُه جسمَ الفضاء
خَرَجَ القسامُ من خندقِه / صبّ كل النار من رشاشهِ نحو الغزاة
« كشفوا موقعنا يا شيخ هيا ننسحب »
جاء صوت الشيخ : « موتوا شهداء .. »

سعيد القروي ١٩٣٦

أمة يوقظها دمُ الرجال
تبدأ القصةَ فيها بندقيّة / تختتُم القصةَ فيها بندقية
أمة يوقظها دم الرجال .
خرج الناسُ الى الساحاتِ واربدّ البَحرْ
جادت الغيمةُ يا قسام أضحى الدمُ حنّاءً يغطي من ثرانا كلَّ ركنِ
هذه الأمةُ يا قسام من مأتمها قامت تغني
أمة يوقظها دم الرجال .
حلوةُ النبعِ أشارتْ من بعيدٍ بيديها
باركَتْ من جاءَ يفدي مقلتيها
والرجالْ / خَرَجوا من كل بيتٍ وسفينة ، بالبنادق
بعصيّ البرّ والفاسِ وبالجوع المقيم / حاربوا أعداءَ هذي الأرضِ يا شيخُ / وفي ستةِ أشهرْ
أقفرت كل الشوارعْ / بـدأ الفعلُ دموعاً في وداعك / ثم صارَ الدمعُ اضراباً ، فعصياناً فثورة
أمـة كاملة من قبرها قامت تقاتل ..
مَنحَتْها حلوةُ النبـعِ يدَيها وابتسامة
أوقَدَتْ في ليلِها كل القناديلِ وقالتْ / وُلدِتْ لي فيكُمُ اليومَ علامة ..

سعيد القروي ١٩٤٨

إنقدّ الشيطانُ اثنينْ
والأرضُ انقدّتْ أرضينْ
والجرحُ سيوغِلُ منذ اليومْ

وأتاكَ زمانُ السبي ففتشْ عن خيمة
الكلُ جريحٌ يا جدّي ، الكلُ جريحْ
كلُ الأيدي تقبضُ ريحاً / والأوجهُ تذروها الريح
سكت الصوت ، وَمَرَّ بنا موتٌ مرسومٌ بأصابعهِمْ وأصابعِنا
سقطت كشهابٍ ممدودِ الذيلِ اللعبة
هُزِمَ المهتوفُ لهم / وانهتكوا صفا صفا
وعميقاً غاصت في الأجساد نصالُ النكبة
فَقَدَ الأطفالُ طفولتهمْ من ذاك اليوم !
كانوا فقراء الأرض فصاروا فقراء المنفى !
جوعى الأرض وجوعى المنفى !
دم الأرض ودم المنفى !
خرجت للبرّ وحوشُ البرِّ وأطبقَ كفُّ الأيام
يخنقُ من يطرحُ أسئلةً / وانسرقَ رغيفُ القسّامْ
مَسحوا أسماءَ الشهداءِ المنقوشةَ فوقَ سلاحه / فُصِدَ الشريانُ وسال الدمْ
فَقَد الأطفالُ طفولتَهُمْ من ذاك اليوم
نثرتهُمْ ريحُ الوُجَهاءِ فعاشوا جوعى الأرضِ وجوعى المنفى
دمٌ الأرض ودمٌ المنفى
وتعالَتْ صيحاتُ الأرضِ الدمّ الدمّ الدمُّ !

سعيد القروي ١٩٦٧

سقطَ الحلمُ وظلَّ الدمْ
ألِفَتْ أعيننا شكلَ القضبانِ وزيّ الشُرْطة
لم يغمُرْنا وهجُ الأرض الطيّب / وانفطرَ فؤادُ الحلوةِ عند النبع
وامتدتْ بين وجوهِ الناسِ وبين يديها الصحراءْ
سرقوا منا الطرقاتِ وقالوا هذا الموت مبارك
تمتدُ الصحراءُ ويمتدُ القتلى / ينجزرُ العمرُ ويعلو مدُّ الموتْ
قلنا إن الوطن رجالٌ / قالوا ان الوطن بيان رسميّ
قالوا هذا الموت مبارك / فخرجنا للريح وقلنا :

« كوني يا ريحَ الصيفِ سلاماً فوق وجوه القتلى / ذودي عنهم وحشَ البرّ وجوعى الطير
وزيحي الكثبانَ على الأشلاءِ وغطّيها
بأناةٍ يا ريحَ الصيفِ فما من قبرٍ في هذي الأرضِ المنسيةِ نعرفُه ما منْ قبرْ
لا تُحصي القتلى يا من تحصيهم في هذي الحربْ / فالقتلى ليسوا عدداً ..
أو أرقاماً تحملها الشاهدةُ الحجرية / لا تحفظْ رقماً ، غُصْ في قاع القبر
إسأل كل قتيلٍ عن قصتهِ وأبحثْ عما لم يُحكَ قبيلَ دخولِ الطلقةِ في صدرهْ
اسأل عن ليلاهُ وعن فاطمتهْ / إسأله عن الطينِ القرويّ عن الحُلُمِ
وعن لقمةِ والدهِ لما سقطتْ ، ساعة موتهْ ، في الهوّة ما بينَ الكفّ وبينَ الفمْ
إسأل عن حيٍّ جاء بكاملهِ ينتحبُ ببيت الجنديّ الذاهبْ
ويعدّدُ كل محاسنهِ وجميلِ صفاته ،
لا تقرأ ما كَتَبَ الضباطُ الأحياءُ على الشاهدةِ
اقرأ صلصلةَ اللّطمِ ، اقرأ قدّ الثوبِ اقرأ وحشةَ غرفتِه بردَ سريرهْ
لا تقرأ رقمَ الشاهدةِ / اقرأ كيفَ اهتزتْ معدتُه في الريحِ
اقرأ كيفَ تصلّب كفاهُ على الرملِ
اقرأ كيفَ يحدّقُ فيكَ يحدقُ فيكْ
اقرأ ، غُصْ في قاعِ القبر !

سعيد القروي ـــ ايلول ١٩٧٠

سَقَطَ الحلمُ وظلّ الدمْ
يهوي من فوق جبالكِ يا عمّانْ
يتجمّعُ في الوادي نهراً عربياً / تطفو فيه الأشلاءُ ، يباركُ ميتتها السيّدْ
خرَجَتْ للبرّ وحوشُ البرّ وأطبقَ كفُ الأيامِ
يختنق من يطرح اسئلة / وانسرق رغيفكَ يا عز الدين القسّامْ
مسَحَوا أسماءَ الشهداءِ المنقوشةَ فوق سلاحِكَ يا جدّي
فُصِدَ الشريانُ وسال الدمْ
كنا قتلى « يعبد »
فغدونا قتلى عمّان

يا جدّي الشيخ تعالَ وقُلْ ثانيةً « موتوا شُهداء »
متنا يا جدي شهداء، ونهضنا ثانيةً في الأرض .
قَدَّسني في الليلِ رغيفُك يا جدّي الشيخْ
وحَمَلتُ سلاحي في وجهِ الأعداءْ
أرسلتُ بمهازي فَرَسَ الخَطَرِ الحمراءْ
فراحَتْ تصهَلُ في بريّتهمْ باسمِكْ / واسمِ الأرضِ وجوعى الأرض
وجوعى المنفى
لم أُخطىءْ أنَّ بأعيُنهِمْ يتّقِدُ السخْطُ الراعشُ والخوفْ
فشهرتُ سلاحي يا جدّي الشيخ / وقالوا العنفَ فقلتُ العنفْ
والقصةُ عادت يا جدي الشيخ كما تدري
فاذا بي منفردٌ عاري الصدرِ وعارٍ ظهري
وتناثرَ من حولي القتلى وامتدَّ نزيفكَ من « يعبد » / حتى عمّانْ
سقَطَ الحلمُ وظلَّ الدمْ
وخرجنا / وتركْنا الدمَّ يغطي كلَّ جبالِكِ يا عمّانْ
سيظلُ الدمُّ يغطي كلَ جبالكِ يا عمّانْ !

× ×

خارجا نحو المنافي
في حفافي وحشةِ البعدِ عن النبعِ وهذا الحزن أنثى تلدُ الحزنَ
تساءلتُ لماذا خُطُواتي لم تصل ؟
جاءني صوتكَ يا شيخُ وقال :
« كلُّ وقتٍ صالحٌ للبدءِ فابدأ
انما الحاضرُ ماضٍ
وإلى مستقبلِ الأيام نمشي » .
جاءني صوتُكَ يا شيخُ ابتدأتْ
وانحنى طفلي يناديني ابتدأتْ
ومن الأنقاضِ يا شيخُ ابتدأتْ
خارجاً من نزفيَ السيابِ مخفوضَ الجبينْ
مَسَّني ريحُ بلادي ودعاني للمجيء

دلّني صوتٌ على سبعِ دروبٍ لحياتي
قلتُ ما دربُ الوطن ؟ / قال دربُ البندقية
فاتيتْ !

سعيد القروي يواصل الرحلة

أنا سيّدُ يومٍ لمْ يغمرني فيه الموتْ
أتناسخُ في كلِ عناصرِ هذا الكونِ الهاربِ منّي / والاحقُهُ ،
اتعثّرُ أبدأُ ، أولدْ ،
إن تَنْبُتْ سيفانُ القمحِ بأثلام البيدر أولدْ / إن تسقطْ شمسُ الصبحَ
على الحنطةِ أولدْ
ان يَصْهَلْ مهرٌ فضّيٌ فوقَ التلّةِ أولدْ
أفتحُ في الريحِ ذراعيَّ وأرسمُ بالجسدِ دوائرَ شوقي للمحبوبِ وأولدْ
بحنوّي الفياضِ على إنسانِ العالمِ أولدْ
في طفلٍ يخرُج من تحتِ الأنقاضِ ليبحثَ عن والدِهِ أولدْ
ان تخبو النار أزدْها حطباً وان وابتعدَ المرجوُّ دنوتْ
وأنادي شرَّ الكونِ بنبضِ القلبِ وأعلى صوتْ :
أنا سيدُ يومٍ لمْ يغمرني فيه الموت .

× ×

— الوردةُ فاسٌ وترابٌ ويدٌ ومطرْ
— الدنيا مزرعةُ الموت ،
أما الموت ففلاحٌ صخريّ الكفّينِ ويضربُ في الصخرْ
— وأرى بين الصخرين ينابيع !

× ×

تلك قوافلنا / تتبدّلُ في دربِ مسيرتها اسماءُ الأمصارِ واسماءُ الموت
ويسقطُ من فوقِ الصهواتِ رجالٌ / تتحطم مقادِمُ بعضِ الخيلْ

ويوماً ما ، بعضٌ منّا سوف يصلْ
وينادي في الناس تعالوا !

× ×

أرتقي لي جوربي ثم اتركيني
أفتحُ البابَ وأمضي / باحثاً عن عملٍ
عند الزوابع !
وأسأل ريح العرَبْ / كيف تلقى من يهبون للقياها بأيام الخَطَرْ
بغبارِ السم او حجب المطرْ / عَصتَ الغيمةُ مَنشاها / فمنذُ اليوم
إغضبْ وتكلّمْ يا بحَرْ !

× ×

هذه اجيالُنا ترسي صفوف الصخرِ كي تبني بوحشاتِ الليالي مُرتَجاها
عَرَقٌ في الكفِّ والكتفِ وفي الظهرِ الحناء / وهي تبني ،
وعلى الراسِ هراوة / وهي تبني / وعلى الصدر دماء / وهي تبني
ثم تنهدُ صفوفُ الصخرِ صخرة

إثرَ

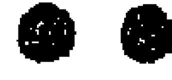
صخرة

إثرَ

صخرة

ويغطي الردمُ وجهَ الجيل من جيلٍ لجيلْ
عَصَتِ الغيمةُ منشاها / فمنذ اليوم إغضبْ وتكلمْ يا بحَرْ
إننا نأتيكَ مجلودين بالقانونِ / متبوعين من كلْبِ الأثر
وحفاةٌ وبأيدينا شِباكٌ قدّدَتها ألفُ كفٍ دبرتْ موتاً لنا في إثرِ موتٍ /
فرميناهـا
وجئناكَ ، باجسادٍ يهبُّ الجوُع فيها كالخماسينِ وأبحرْنا
عبرنا موجَكَ القاسي على جذع الشجر / وتوغّلنا / فما لاحت لنا شطآنك الأخرى
ولا بانت لنـا الأولى

... ولكننا نواصِلُ فيكَ رحلتنا بما تـُخفي وما تظهرْ
سنأكل أردأ الأسماكْ / ونشربُ ماءَكَ المالِـحْ / ونوقدُ نارَنا في الليلْ
ونحلمُ أن فوق الموجِ في يومٍ سنلقاها / ضياءَ سفائنٍ أخرى
ونحلم أن بعد الموجِ في يومٍ سنبصُرها / طيورَ الشاطىءِ الأخَرْ .



يـلِدُ الدمُّ دماءً / وسعيدُ القروي / عادَ للبحرِ وأعطى الريحَ إسْمَهْ
حلَّ في الأشجارِ والزهرِ وأعطى الريحَ إسمه / طار في الجوِّ عقابٌ جارحٌ
وأتاه الصوت مشروخاً يقول :

-- يا سعيد ارجع ستهزم !

... ...

— « أصبح الموت بكفي قنبلة
كلما فجرتها أحيا / وان ظلت مواتا بين كفي انتهيت »

... ...

وتمادى الصوت مشروخا يقول :
يا سعيد ارجع ستهزم

... ...

— « دلني صوت على سبـع دروب لحياتي
قلت ما درب الوطن ؟ / قال درب البندقية
فاتيـت .. »

وأصر الصوت مشروخاً يقول :
يا سعيد ارجع ستهزم

... ...

— « بَعَثْتْ ريحُ المنـافي / صُوَرَ القتـلى / وصرخاتِ
المواليدِ / أتيتْ
تركتني حلوةُ النبـعِ فلمْ أحفظْ هواها ذاتَ يومٍ

فخرجتُ
قُلتُ من أجدرُ منّي بالجميلة ؟
جَرَسُ الرحلةِ لم يصدأ ونادانِي أتيتْ
عُدْتُ لا أملكُ إلا ما تواتيه يداي / ومن الفعلِ الى الفعلِ مَرَرْتْ
حلوةُ النبعِ ستاتيها العلامة / انني أجدرُ من يعطي هواها عمرهُ
وينادي باسمها في الغابةِ السوداءِ من موتٍ لموتْ
آهِ من أجدرُ مني بالجميلة ؟
وهي تدري أنني العاشقُ إن لم أُعطِها
قبلةَ الحبِّ فموتي في هواها قبلةُ الوجدِ الطويلة
جَرَسُ الرحلة لم يصدأ وناداني أتيتْ
كلما قالوا انتهى فاجأتُهُمْ أني ابتدأتْ .. »

× ×

صوت (١) شاهدت سعيد القروي يواصل درس التدريب
صوت (٢) شاهدت سعيد القروي يقاوم بالصمت خبير التعذيب
صوت (٣) شاهدت سعيد القروي يعلم كنته درساً في التصويب
صوت (٤) شاهدت سعيد القروي يقاتل ثانية في تل ابيب
صوت (٥) شاهدتُ سعيد القروي يُخَبِّىء مطبعةً في قبوٍ سرّيْ
صوت (٦) شاهدتُ سعيد القروي يجولُ الزيتونَ بأطراف البلدة
صوت (٧) شاهدتُ سعيد القروي يلملمُ باقاتٍ النرجسِ والوردِ البريّ ويهديها لبنات الحارة
صوت (٨) شاهدتُ سعيد القروي يغنّي موالاً عند النبع
صوت (٩) شاهدتُ سعيد القروي يدوسُ بحيترهِ الثلجَ الكانونيّ بجبلِ الشّيْخْ
صوت (١٠) شاهدتُ سعيد القروي بعكا
صوت (١١) وبحيفا (١٢) والقدس (١٣) ووادي عربة (١٤) وكفرشوبا

(١٥) في راشيا الفخار وعمواس ويالو (١٦) شاهدت سعيد
يقـول :
/ إني سيدُ يومٍ لم يَغْمُرْني فيه الموتْ / وينادي في الناس تعالوا !

الخـاتمة

يلِدُ الدمُ دماءً / وسعيد القرويّ / طَلَعَ الليلةَ من دمِّ الجميعْ
باحثاً عن حلوةِ النبعِ ، بكفيه دوائر / مرّ من كلِ الطرُقْ / حَلَّ في
كلّ العنـاصر
وسعيد القروي / طَلَعَ الليلةَ من حلم الجميع / بادئاً من آخر الخطو
وفي ريح الفصول
زارعاً شتلاته الخضراء في ريح الفصول /
مزج الأزمانَ في اللحظة وامتدت خطاه
في حفافي الوعرِ ، صار الكاشفَ الباقي وعطشان الأزل
مزج الأزمان في اللحظة / أضحى رحلة السر وصار المرتحِلْ
عَدْوُ أفراسٍ أصيلاتٍ بنظراتِ عيونه / حاملاً كلَّ طيوفِ اللونِ أعلاماً ،
وأوصافَ الجميلة
وسعيد القروي
خَرَجَ الليلةَ من موتِ الجميعْ
ورأى فيما يرى
حَمَلاً يرضع في المرعى
وفهداً لاحقاً انثاهُ في ضَوءِ القَمَرْ
وفتاةً غجريّة
كَشَفَتْ في الوعرِ ثدييها النحاسيَّينِ
تعـدو
لملاقـاةِ الحبيب

اشارات :

« سعيد القروي » : وجه شعري تكرر ظهوره في بعض قصائد الشاعر .
« يعبد » : القرية الفلسطينية التي استشهد عز الدين القسام بالقرب منها في تشرين الثاني ١٩٣٥ .
موتوا شهداء : صيحة القسام الشهيرة لرفاقه المناضلين قبيل استشهاده .

الانعكاس المباشر وغير المباشر لفلسطين روائيا في السينما العربية

فــايز غالي

ربما تكون قضية نضال الشعب الفلسطيني بل القضية الفلسطينية عموما مــن أخطر القضايا السياسية التي عاشتها الامة العربية وتعيشهــا حتى اليوم بل تعلو فوق كل القضايا الاخرى التي عاشتها الامة العربية (النضال من أجل الاستقــلال ـــ القضاء على الملكية والاقطاع) ففي هذه القضية تكمن مأساة الامة العربية ليس فقط في معاناة الشعب الفلسطيني الذي تتألم من أجله هذه الامة بل معاناة الامة العــربية كلها اليوم من مجرد ظهور كلمة (اسرائيل) على الخريطة السياسية في ١٥ مايو ١٩٤٨ وفي الابعاد السياسية التي ترتبت على ظهورها في المنطقة والدليل على ذلك ان نضال الامة العربية من اجل انهاء الاحتلال قد أتى اليها بالاستقــلال وقضى على ملكيــات ورجعية واقطاع ودفع ببعض الدول العربية الى التنمية والتقدم . الا ان بقاء قضية فلسطين خارج اطار الحل ومن ثم تثبيت اركان اسم (اسرائيل) على الخريطة جعــل الاستقلال والتنمية والتقدم هذه تهتز وتفرغ هذا الاستقــلال من معناه بشكل أو بآخر وجعل دولا اخرى تتوقف عند محاولة الخروج من التخلف بالتنمية والتقدم . أي أن وجود اسرائيل على أرض الشعب الفلسطيني المشرد قد غدا من حيث لا ندري او حيث لم يدر به المناضلون من أجل الاستقلال في الامة العربية وفي غمرة حمــاسهم الوطني المحلي ـــ تكرارا لنفس المأساة التي افنوا نفسهم من أجل الخروج منها بحيث وبعــد تسعة عشرة عاما في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وجدوا نفسهم في نفس موقع الخطر القديم بل وما هو اشنع ربما لانه لم يكن في حسبانهم انه ببقاء اسرائيل فان الخطر يبقى كما هو أو لانهم لم يملكوا النظرة الشمولية والتكاتف والتساند والوحدة الحقيقية قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ والذي كان يعني الفهم الحقيقي لمعنى الوحدة بين النضال من أجل أنهاء الاحتلال والحصول على الاستقلال كنضال وطني محلي وبين عدم ظهور اسرائيل كجزء من هذا النضال والذي كان لا بد ان يكون شاملا هذا الفهم الذي كــان يعني بالضرورة ان النضال لا يتجزأ .

واذا كانت هذه النظرة القاصرة المحدودة الرؤيا قد استمرت ردحا طويلا من الزمن على المستوى السياسي حتى تغيرت اليوم ليس في الدول العربية فحسب بل وفي كثير من بلدان العالم .. بعــد أن أوضح الخامس من يونيو بنكسته الحقيقة كاملة عارية للجميع . فأن ما انسحب على المستوى السياسي قد انسحب ايضا على السينمــا العربية كصناعة وفن بقيت هي الاخرى بمعزل حقيقي عن هذه القضية ـــ وللحق فان السينما العربية قبل ظهور اسرائيل كانت بمعزل عن كل شيء وحتى على مستــوى النضال المحلي قبل الاستقلال ثم بشكل محدود وتجاري ودعائي خــاص بالمناسبات الوطنية او عقب الحروب بعد الاستقلال ـــ (وانا هنا اتحدث عن مصر على وجــه

الخصوص باعتبارها السينما الوحيدة التي كان لها كيان وقدم راسخ كصناعة في المنطقة العربية والافريقية بعد ظهور هذا الفن بقليل حيث عايشت احداث تلك المرحلة بكاملها بينما كانت دول عربية اخرى ما زالت تتعثر بها صناعة السينما او غير موجودة على الاطلاق فقد تكون السينما قد اصبح لها فيها شأن اليوم) — ومن هنا ظلت القضية مفقودة الرؤيا على الشاشة العربية حتى قفزت بكل ثقلها اخيرا كتعبير حقيقي عن الفهم والربط بين قضايا نضال الشعب العربي على المستوى المحلي في علاقته العضوية ككل لا يتجزأ ببقاء اسرائيل . بل خطت السينما العربية خطوة أبعد من مجرد الدعاية الفجة الى سينما متقدمة تفوز بجوائز . وكان فيلم المخدوعون — قصة الكاتب الفلسطيني الشهير (غسان كنفاني) . المنتج من سوريا والمخرج مصري وهو (توفيق صالح) — عن قضية فلسطين والحائز على جائزة لجنة تحكيم مهرجان قرطاج الاولى لخير مثل على هذه السينما المتقدمة . وتلك القيمة العضوية التي تضافرت فيها جهود فلسطينيين وسوريين ومصريين في اظهارها . وهو ابلغ مثل للنظرة الشاملة المتضامنة التي حدثت عقب يونيو ١٩٦٧ والتي كانت يجب ان تكون منذ زمن طويل .

كذلك شتان بين الامس . (سعد الدين توفيق) ناقد سينمائي كتب كتابا كاملا عن تاريخ السينما في مصر وليس فيه ذكر لقضية فلسطين على الشاشة . واليوم ناقد سينمائي مثل (سمير فريد) لمع اسمه من خلال تمزق ونار النكسة ليسخر نفسه ومقالاته الناقدة من اجل نضال شعب فلسطين على الشاشة العربية والدعوة له . والفرق بين الاثنين لم يأت من مجرد وجود فهم ملموس من السينمائيين لقضية فلسطين اليوم بحيث ظهر المخرج السينمائي الذي يضع هذه القضية في عمل روائي سينمائي او تسجيلي بحيث يأتي دور الناقد السينمائي بالحتمية انما الفرق في المحل الاول انه قد ظهر الناقد الجاد ذو الرؤية الشمولية التي جعلته يشعر بأن عليه دورا نحو هذه القضية حتى لو لم يوجد الفيلم الذي يتناوله بالنقد . هذا الدور الذي حدا بناقد (كسمير فريد) ان يدعو دائما للقضية مؤكدا دور الناقد الملتزم سياسيا ومؤكدا النظرية التي تقول ان النقد الجيد والشريف يمكن ان يخلق الفن الجيد المتقدم . وربما تكون ايضا تلك هي الحقيقة التي واجهتها وأنا اكتب هذا البحث . ان حقيقة الرؤيا الشاملة التي ترى لها دورا ملتزما سواء من السينمائيين او القائمين على نقدها . تلك الرؤيا التي كانت مفقودة على المستوى السياسي وعلى المستوى الفني قبل النكسة ثم انبلاجها بعدها . هذا الدور يعني عدم تجزئة النضال لان الخطر في النهاية واحد . والنضال يعني الاستقلال وهو بنفس الدرجة القضاء على اسرائيل التي هي ايضا معادل للاستقلال او هو الحد الادنى لبداية مستقبل خارج دائرة التخلف والفقر لان الحرية هي الحرية الاقتصادية وآدمية الانسان . وهكذا فاننا يمكننا ان نقسم « فلسطين » من خلال السينما المصرية والعربية(١) الى عدة مراحل تتلخص في أربع فترات اولها قبل هزيمة الجيوش العربية حتى اعلان اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ ثم من أعلان اسرائيل حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثم ١٩٥٢ حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ ثم مرحلة ما بعد نكسة ١٩٦٧ .

١ — قبل هزيمة الجيوش العربية واعلان اسرائيل

في هذه الفترة وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ لم يكن لفلسطين اي ذكر على الشاشة العربية أو على الخصوص (السينما المصرية) وقد يبدو هذا القول غامضا بعض الشيء باعتبار ان القضية الفلسطينية لم تتفجر حقيقة الا بعد ظهور اسرائيل ثم تشرد الشعب الفلسطيني . . . أو بمعنى أوضح انه بعد هزيمة الجيش المصري وعودته منتكسا

من الحرب عسكريا وسياسيا عام ١٩٤٨ وبعد أن اختلطت جماعات الفلسطينيين المشردة بشعوب الدول العربية المجاورة بتركها ديارها اكراها او سلبا واضطهادا نجد ان هذه الهزيمة قد ولدت من خلال الجندي والضابط المهزوم في الحرب والفرد الفلسطيني المشرد شعورا ساحقا بالمرارة ومن هنا تفجر المعنى الحقيقي لكلمة (اسرائيل) على المستوى الشعبي بحيث أصبح هذا الطرح الجديد نوعا من الوعي عن قرب والذي راح بشكل غير مباشر يضغط على وجدان تلك الشعوب فأدى في المرحلة الثانية في مصر الى ظهور أول فيلم عن فلسطين في أول نوفمبر عام ١٩٤٨ الا انه حتى ظهور أول فيلم وبعد ستة أشهر ونصف من اعلان اسرائيل وهزيمة الجيوش العربية وتشرد الشعب الفلسطيني والذي كان بمثابة اعلان للوعي بالقضية لا يعفي السينما في مصر على الاقل من انها لم تتعرض من قريب او من بعيد لهذه القضية الا في شخصية (الشامي) الشهيرة التي كانت تظهر بكل فيلم مصري كنوع من التسلية والكوميديا والتي برع فيها الممثل الراحل (بشارة واكيم) .. وحتى وان كانت هناك أسباب موضوعية لا تتعلق كما قلت بقضية فلسطين وحدها بل بقضية النضال الوطني المصري نفسه في علاقته بالسينما الا اننا وحتى يصبح كل شيء في موقعه الحقيقي لا بد من تقديم تلك الاسباب كاملة وهذه الاسباب تتلخص في اسباب مباشرة وغير مباشرة متداخلة .

الاسباب المباشرة

- الاستعمار والملكية والاقطاع — كان لرضوخ الامة العربية تحت وطأة الاستعمار الانجليزي والفرنسي — وبخاصة في مصر التي كانت مناط تلك الفترة — اثرا بالغا في عدم مقدرة السينمائي الملتزم بل ظهوره أصلا .. ان يتناول قضاياه الوطنية الملحة حتى على المستوى الاقليمي . ففي مصر مثلا كان اولى بالسينما ان تعالج نضال الشعب المصري من أجل التحرر من نير الاحتلال وكشف الفساد الطبقي وتحالف الملكية والاقطاع ضد الشعب المصري ومع ذلك باءت حتى المحاولات الاولى منها بالفشل . ففيلم العزيمة مثلا اخراج كمال سليم رائد الواقعية في مصر ، رغم انه اعظم افلام تلك الفترة منذ عرفت مصر السينما من حيث واقعيته وصدقه نجد انه فشل على المستوى السياسي حيث حل التناقض الطبقي بشكل ملائكي بعودة البطل الى العمل في حظيرة الباشا رغم زواجه من فتاة فقيرة مثله . ورغم هذا الحل المهادن للسلطة الرجعية الاقطاعية الملكية فأن واقعيته من طرف اخر تسببت في عدم تكراره لان السينما كان لا بد لها أن تمضي في واد اخر في مصر هذا الوادي كان مرتبطا بالضرورة بفكر القصر والبورجوازية والاحتلال والتي كانت مهتمة بالسينما باعتبارها ترف فاذا ما كان هذا على المستوى الداخلي في مصر فان قضية الشعب الفلسطيني في علاقات صراعه على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي والتي كان يمكن من خلالها تقديم درامات هائلة والتي كانت تتكاثر داخل الارض المحتلة يوما وراء يوم من حيث جسامة وبشاعة ما يجري فيها من قمع وارهاب وتنكيل وسلب ونهب وطرد واستيلاء على ارض وبيوت هذا الشعب تصبح بالنظرة الضيقة موضوعا محليا جدا قياسا الى نضال الشعب المصري غير المطروح أصلا على الشاشة المصرية بالنظرة الاعم والاشمل المستمدة اصلا من هذه النظرة الضيقة .
- ان السينما السياسية وبصفة عامة السينما كوسيلة فنية لها مقدرة هائلة على التأثير السياسي والفني لم تكن قد تبلورت بعد الا على المستوى الفني بدرجة محدودة وكانت السينما الهوليودية هي النموذج السائد وهو المعتمد على الابهار والمطاردات والمغامرات والقصص العاطفية التافهة ومن هنا كان مستحيلا على سينما

مصرية محدودة الامكانيات رغم انها كصناعة كانت الثانية في مصر بعد القطن من حيث الربح والامكانيات والثقل ... امام سينما كهوليود الا ان تمضي في فلكها .

الاسباب غير المباشرة

- خضوع السينما المصرية بالكامل لسيطرة التجار وبخاصة فترة ما بعد الحرب(٢) العالمية الثانية حيث زاد الانتاج السينمائي ، ودخل الانتاج عدد كبير من الذين أثروا ثراء سريعا بسبب الحرب ولم يكن معظمهم يهتم بالفن قليلا او كثيرا انما هدفهم الاول والاخير هو التجارة .
- عدم وجود سينما عربية مقارنة بل كلها كانت سينما بدائية متعثرة تصب كلها في السينما المصرية .
- عدم وجود اي شكل من أشكال السينما في فلسطين (وهو عامل من اخطر العوامل) رغم كل الظروف الموضوعية التي يمكن ان تكون وراء ذلك ...

ومن هنا ورغم الاسباب الموضوعية والتي تجعل السينما مشتركة اشتراكا عضويا مع مناخ تلك المرحلة لكنها بنفس الوقت ومن خلال الحقائق الثابتة التي عرفها العالم كله فيما بعد عن فلسطين عن الصراع الانساني المرير والذي كان يمكن له أن يقدم درامات سينمائية رفيعة المستوى عن مأساة هذا الشعب مع اليهود الذين راحوا يتكاثرون على أرضه في صمت لم تكن هذه السينما لتظهر حتى لو كانت السينما المصرية تعالج بالفعل قضايا النضال الوطني في حرية في مصر لان السينما المصرية فيما بعد الثورة المصرية طوال تسعة عشر عاما لم تفعلها حتى نكسة ١٩٦٧ بل حتى اليوم وتلك مأساة اخرى سنوضحها فيما بعد حينما نرى فلسطين قد طرحت في السينما السورية الوليدة وليس في السينما المصرية المخضرمة العتيدة .

٢ ــ مرحلة ما بعد ١٥ مايو ١٩٤٨

كان لاعلان اسرائيل وهزيمة الجيوش العربية في حربهم الاولى وعودة الجيش المصري مهزوما الاثر الذي اسلفناه مؤذنا بانبلاج الحقيقة حيث استغلت السيدة « عزيزة أمير » وهي من رائدات الفن السينمائي في مصر الموقف الملتهب بعد عودة الجيش مهزوما فقامت بانتاج أول فيلم عن فلسطين عرض في أول نوفمبر عام ١٩٤٨ ، وهو « فتاة من فلسطين » وهو عن فكرة كتبتها المنتجة وكتب لها الحوار يوسف جوهر وقام بالتمثيل فيه سعاد محمد ، محمود ذو الفقار ، حسن فائق ، زينب صدقي ، صلاح نظمي وقام بتصويره وحيد فريد وأخرجه محمود ذو الفقار .

ويحكي الفيلم (١٢٠ ملم) قصة فتاة (سعاد محمد) هاجرت من فلسطين بعد انشاء اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ وأقامت عند أسرة مصرية في القاهرة ويقع ابن هذه الاسرة (محمود ذو الفقار) في حب الفتاة الفلسطينية ويهمل خطيبته وتتهم خطيبة الشاب الفتاة الفلسطينية بسرقة حبيبها فتحزن وتهرب من المنزل وفي النهاية يتمكن الشاب من العثور عليها والزواج منها . وهكذا خرج أول فيلم عن فلسطين يحوي عدة ملاحظات أساسية بعضها يتعلق بالجوانب الفنية والاخرى بالجانب النفسي لتلك المرحلة . بالنسبة للجوانب الفنية فقد جاء موضوع الفيلم والذي اختارته المنتجة موضوعا ميلودراميا وهو الموضوع الذي كانت تدور حوله مجموعة كبيرة من أفلام ما بعد الحرب العالمية الثانية وهو موضوع المرأتين اللتين تتنافسان على حب رجل ، ولكن في هذه المرة جاءت احدى المرأتين فلسطينية فظهر الفيلم وكأنه تأكيد للمناسبة بل يمكن اعتباره أول أفلام المناسبات الهامة والتي ظلت السينما المصرية تعمل بها حتى اليوم مع كل

مناسبة أو كارثة أو حرب الخ وآخرها فيلم (الرصاصة لا تزال في جيبي) حيث ينتج فيلم او فيلمين عنها اثباتا للوجود . ومثل الغالبية الساحقة من افلام ما بعد الحرب تضمن الفيلم ثمانية أغان للمطربة سعاد محمد مجموعة منها للاغاني السعيدة وأخرى للاغاني غير السعيدة الا ان الفيلم رغم سذاجته وبعده عن أي احساس حقيقي بما جرى وحتى أبسط الاشياء بالفهم ، مثلا لماذا هاجرت الفتاة أو موقفها من الهجرة ومن وطنها وهي في المهجر وتسليمه بهجرة كحقيقة عادية . . . الا انه عكس جانبا نفسيا غير مباشر اضافة الى ما يقول (سمير فريد) وهو يتعلق بتزويج الفتاة الفلسطينية المهاجرة من بطل الفيلم وهو وان أخذناه على هذا الاساس فانه يعني النظرة العاطفية الساذجة لسيكلوجية السينمائيين المصريين بشكل غير مباشر في ذلك الوقت امام المأساة من حيث تقديم كل القضية بزواج مصر من الفلسطينيين واحتضانهم لقضية ثبت مع التاريخ انها كانت احدى المشاكل التي هددت عالمنا الانساني بالدمار وما زالت تهدده ولكن ما الحيلة أمام السذاجة والتجارة والملكية والاستعمار . وتمر تلك الفترة بكاملها حتى عام ١٩٥٢ الا من هذا الفيلم اليتيم ويبقى رمزا لتلك المرحلة مرحلة العاطفة الساذجة غير الواعية لشيء .

٣ — مرحلة عام ١٩٥٢ — ١٩٦٧

وهكذا يأتي عام ١٩٥٢ وتتفجر الثورة المصرية في الثالث والعشرين من يوليو ... ويتبلور الصراع الوطني المحلي بانهاء الملكية ثم الجلاء الكامل عن مصر وتحدث أكبر خلخلة سياسية في المنطقة العربية . وتلوح في الافق الاعمال السينمائية الوطنية لكنها تخرج أيضا ساذجة محتفظة بنغمة الدعاية للثورة من القضاء على الملكية والاقطاع ومساوىء الاحتلال وابراز التناقض الطبقي الذي كان يسود مصر والذي أتت الثورة وأنهته . وكان أبرز هذه الاعمال (مسمار جحا) اخراج ابراهيم عماره ، (صراع في الوادي) اخراج يوسف شاهين ، (حكم قراقوش) اخراج فطين عبد الوهاب ، (الله معنا) اخراج احمد بدرخان . وتظل أيضا هذه الفترة من ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ الى ١٨ يناير عام ١٩٥٧ خلوا من أي اهتمام بالقضية الفلسطينية في السينما المصرية بل تبدأ عملية انبلاج فصل القضية الوطنية من خلال السينما المصرية عن قضية فلسطين او على الاقل اعتبارها بشكل غير مباشر واردة في فكر السينمائيين المصريين كجزء من النضال وهو أخطر ما وجه لهذه القضية في مهد الثورة والتي كان يمكن للسينما المصرية معالجتها على انها جزء من حركة التحرر من الاستعمار أي أن تكون القاهرة بوقا من خلال السينما لهذه القضية ولعل الاسباب التي حالت دون ذلك تكمن في نقطتين . اولاهما عامة وهي تتعلق بالثورة ذاتها والتي لم يكن لها منهج فكري وسياسي واضح ازاء السينما كوسيلة اتصال بالجماهير ومن هنا يندرج تحت هذه النقطة عدم توظيف السينما ككل بشكل مخطط لصالح قضايا النضال الوطني الشاملة. أما النقطة الثانية فهي تتعلق باعتبارات الفهم للطرف الثاني الذي كان يتحرك بحرية والذي يعمل بلا أي هدف سوى الربح وهو السينمائيون المصريون بصرف النظر عن السياسة الرسمية للدولة والذين ظلوا حتى اليوم خارج فهم الثورة كجزء من فهمها الشامل لدور السينما ، بحيث بقي كثير من هؤلاء السينمائيين مرتبط بالملكية والاقطاع والنظرة الطبقية الى الواقع وبقايا ورواسب أفكارهم التجارية من أجل الربح تحركهم في كل شيء . بينما كان العدد القليل الذي اهتم بتقديم النضال الوطني المصري على الشاشة ظلت اعتبارات الفهم لهؤلاء القلة خالية من اي فكر محدد وواضح بحيث بدت الافلام الوطنية التي خرجت في هذه الفترة وحتى اليوم تقريبا مجرد دعاية على حسب المناسبة التي يطلب فيها العمل السينمائي أو تقتضيه الظروف الملحة .

وهكذا جاءت مثلا حرب عام ١٩٥٦ لتنتهي بخروج عدد من الافلام لظروف المناسبة وهي (سجين ابي زعبل) اخراج نيازي مصطفى ، (بورسعيد) اخراج عز الدين ذو الفقار، (عمالقة البحار) اخراج سيد بدير . وفي ١٨ يناير عام ١٩٥٧ ولنفس المناسبة خرج الفيلم المصري الثاني والثاني بالنسبة للقضية العربية عن قضية فلسطين وهو(٤) (أرض السلام) الذي أنتجته شركة الفيلم العربي وأخرجه كمال الشيخ عن سيناريو لعلي الزرقاني ، وصوره محمود نصر ، وقام بالتمثيل فيه (فاتن حمامه ــ عمر الشريف ــ عبد السلام النابلسي ــ فايده كامل ــ عبد الوارث عسر ــ توفيق الدقن) .

في أرض السلام (٨٠ مم) يشترك أحمد [عمر الشريف] في فرقة فدائية واثناء احدى العمليات داخل الارض المحتلة يتعرف على سلمى [فاتن حمامه] التي تساعده في تنفيذ العملية وبعد صعوبات عديدة تنجح العملية وفي النهاية يتزوج احمد سلمى بعد العودة الى مصر وتتكرر نفس المأساة ولكن هذه المرة بعد قيام الثورة المصرية بخمس سنوات ونصف ، فبدلا من ميلودراما الحب والزواج يتغـير الحال الى ميلودرامـا المغامرة والشجاعة التي تنتهي أيضا بالحب والزواج دون تحليل لطبيعة العمل الفدائي أسبابه وأغراضه خاليا من أي محاولة لتحليل أبعاد الصراع . وكما كان (فتاة مــن فلسطين) قبل الثورة استغلالا للموقف الملتهب عــام ١٩٤٨ كان (أرض السلام) استغلالا للموقف الملتهب بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ وقد عرض الفيلم بعد ثمانية أسابيع من خروج القوات المعتدية من بورسعيد في ٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٦ (كما الفيلم استغلالا لقصة الحب الحقيقية التي تتحدث عنها البورجوازية المصرية في مصر والعالم العربي كله بين فاتن حمامه نجمة عصرها الاولى وبين عمر الشريف الوجه الجديد الذي كان جديدا حقا على السينما المصرية) . لكن هذا الفيلم رغم كل ما يمكن ان يوجه اليه الا أنه من الناحية التاريخية قد أكد الحقيقة التي تقول ان الانفصال بين قضية النضال الوطني في السينما المصرية وبين قضية فلسطين شيء لا يمكن تجزئته ورغم انه ادراك غير واع وغير متقدم وسطحي الا أنه على أية حال لوح بأن هنـــاك قضية فلسطينية سجينة تحت السطح وان هناك اعمالا فدائية تتم داخل الارض المحتلة بل ان هناك أرضا محتلة(٥) من قبل اسرائيليين حتى ولو كانت هذه الاعمال تتم بواسطة مصريين . كذلك فانه أكد جانبا نفسيا هاما ومضحكا وهو أن الفلسطينية دائما ما يتزوجها المصري في النهاية كحل لتخليص القضية الفلسطينية أو كخلاص لضمير أولئك البورجوازيين السينمائيين التجار الذين يهيمنون على السينما في مصر من مأساة فلسطين وهو جزء من تخليص الضمير العام في مصر تجاه أي مشكلة عاطفية او غير عاطفية وطنية او غير وطنية اقتصادية او غير اقتصادية وذلك بتزويج البطل بالبطلة وحل المشكلة .

وتمر السنوات ويسدل الستار على القضية الفلسطينية حتى عام ١٩٦٦ التي أنتج فيه فيلم تافه وهو بمثابة الفيلم الثالث باسم (جريمة في الحي الهادىء) (٩٠ مم) ولو انه عرض في سبتمبر عام ١٩٦٧ أي بعد النكسة الا انه كحقيقة تاريخية لا يمت لما بعد النكسة بصلة لبس لان النكسة غيرت من أفلام (حسام الدين مصطفى) هذا المخرج التاجر ولكنه ينتمي الى واقع تاريخي لا يمكن اغفاله . على ان أهم ما في هذا الفيلم انه من انتاج (المؤسسة المصرية العامة للسينما) أي انه من انتاج القطاع العام بعد أن سيطرت الدولة على الانتاج . والفيلم عن سيناريو من تأليف حسن رمزي ، والسيــد زياده ، وصوره وديد سري ، وقام بالتمثيل فيه (ناديه لطفي ، رشدي أباظه ، زوزو نبيل) . وكان يمكن أن يكون هذا الفيلم أحد الافلام السياسية الهامة في خلال هــذه الفترة وما سبقها كلها اذ كان يدور حول حادثة اللورد (موين) عام ١٩٤٤ في القاهرة الذي اغتالته العصابات الصهيونية ، الا أنه جاء تأكيدا جديدا للمأساة التي ظلت تتبلور

حتى وصلت — بعد تجزئة النضال المصري مـــن أجل التحرر والاستقــلال والملكية والاقطاع وفصله عن قضية فلسطين وجعلها دائما غير واردة علـــى الشاشة الا في المناسبات(٦) — وصل الى حد استغلال الحقائق التاريخية التي تتعلق بالصهيونية كنوع من الحكايات البوليسية مستغلا الاشارة الرخيصة في عملية الاغتيال ومستغلا نجاح أفلام (جيمس بوند) التي كانت تنتجها وكالة المخابرات المركزية الامريكية . بل وصل الى حد استخدام المخرج موسيقى الفيلم الاول لبطل المخابـــرات الامبريالي الذائع الصيت .

وجعل الفيلم من اللورد (موين) من حيث لا يدري بطلا وطنيا وشهيدا من شهداء النضال المصري ضد الصهيونية رغم أنه كان من الواجب ابراز الخفايا السياسية التي تربط مقتل عدو لمصر بقاتله والذي في الوقت نفسه عدو آخر لمصر ... حتى وان كان قد قال لحكومته (أنت غلطانه علشان تشجعي الصهيونية وتقفي ضد العرب) كما جاء في الفيلم . لكن الفيلم اوضح ما هو أبشع من مجرد استغلال الحادثة مـــن النـــاحية البوليسية وهو أنه بعد أن آلت السينما المصرية الى الدولة في ذلك الوقت لم يتغير شيء بل زاد الامر سوءا حيث أصبحت الدولة أو الثورة في مصـــر تشارك القطاع الخاص بشكل سافر في تلك النظرة القاصرة العاجزة المقصودة او غير المقصودة التي تســـيء الى القضية الفلسطينية وقضايا النضال الوطني في مصر والعالم العربي عموما .

٤ — ١٩٦٧ النكسة وبدء الوعي

قد يبدو للناظر لاول وهلة بعد نكسة يونيو السوداء عام ١٩٦٧ ان الوعي بقضية فلسطين قد أتى الى السينما العربية والمصرية مـــن خلال تدرج سياسي بمعنى أن السلطة في مصر مثلا قد وعت الحقيقة فأصدرت فرمانا بالوعي السينمائي لدى بعض السينمائيين بالعلاقة الديالكتيكية التي تربط قضية فلسطين بقضيـــة النضال الوطني المصري والا لكان الجميع قد تغيروا لكن الذي حدث غير ذلك بكثير فقد كانت نكسة ١٩٦٧ في ضمير الشعب المصري وشعوب الامة العربية بمثابة خنجـــر فجر الدم في الصدور ومزق استارا كثيفة وحجبا سوداء ووضع كل شيء في موضعه الصحيح في قلوب الشباب المصري السينمائي الذي كان قد خرج للتو مـــن المعاهد الفنية ومنها السينما التي أنشأتها الدولة والذي كان يجد نفسه ضائعا بين قطاع خاص فاسد وقطاع عام دخله من هم أكثر فسادا من القطاع الخاص فخربوه وكان يحارب بين جبهتين من أجل أن يخرج الى النور ملتزما جادا . وتكشف أمام هذا الشباب الطلسم الذي ظل مختفيا تحت السطح بفعل التجار الذين استشروا في الوسط السينمائي — هذا الطلسم الذي اختفى في ظل التناقضات الوطنية والذي لم يجعل للسينما المصرية طبيعة محددة تتسق مع الالتزام الوطني اذا ما جاز لنا مثل هذا القول والذي ، لو حدث ، لكنا اليوم ننقب عما كان يجري أو نقبنا منذ زمن طويل عما كان يجري في داخل فلسطين قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ بل ولنقبت مصر نفسها عن سبب النكسة قبل حدوثها لان هزيمة الشعب المصري كانت هزيمة لتناقضاته التي عاشت داخل كيان الثورة نفسه وترعرعت بل ما كانت النكسة قد حدثت أصلا وهذا ليس بقليل على مقدرة السينما التي صنعت مثلا مستقبل الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي والتي تستعملها الولايات المتحدة اليوم كأخطر سلاح موجه لفكر الشعوب بالقاء السم في الدسم اليها وقلب نظم الحكم الوطنية فيها وتخريب العقول فيها بقوة وذكاء . لكن الاماني شيء والواقع شيء آخر .

على انه كانت أول علامات هذا الوعي هو ظهور أول تجمع سينمائي شاب مع أحزان النكسة في عام ١٩٦٨ وهو « جماعة السينما الجديدة » كذلك جمع هذا التجمع بين

دفتيه عناصر كانت ثائرة على واقع السينما المصرية من قبل وهم الذين كانوا قد اهتموا بالجمعيات السينمائية من خلال تقديمهم الافلام السينمائية المتقدمة بها وذلك منذ أوائل الستينات . ثم عناصر من معهد السينما ومنهم من أتى من الخارج كالمخرج الفلسطيني الشاب (غالب شعث) الذي درس السينما في النمسا وجـاء ليشارك في اقامة هذا التجمع ويخرج فيلما يتضمن القضية الفلسطينية بشكل متقدم وعقلاني . وهذا الفيلم لم يعرض حتى اليوم وهو ما سنتحدث عن اسبابه فيما بعد .

كذلك بدء سينما قومية في سوريا من مؤسسة السينما السورية التي عرفت دورها القومي والوطني عقب النكسة رغم انها قامت منذ عام ١٩٦٣ ، وذلك مـن خلال مجموعة المخرجين العائدين من دراستهم السينمائية في شرق وغرب أوروبا ، مما جعل هذه السينما تقفز الى الصدارة في تعرضها للقضية الفلسطينية .

خلقت النكسة اذن عدة نتائج جوهرية في معرض تحليلنا هذا للحتمية التاريخية والتي صنعت هذا الوعي وهي :

أولا : الرؤيا الشاملة للأبعاد العضوية ما بين حقيقة النضال من أجل تحرير فلسطين والتعرض لها سينمائيا وبين استقلال الشعوب العربية وطرح قضايا نضالها الوطني في السينما ، بعد أن ظهرت أبعاد الخطر الحقيقي والذي أكل جزءا جديدا من الاراضي العربية .

ثانيا : ظهور مجموعة من النقاد السينمائيين العرب الذيـن يدعون الى القضيـة الفلسطينية حتى دون أن تكون هناك الاعمال المصاحبة لدعوتهم ، بل أصبحوا يدعون الى ظهور مثل هذه الاعمال .

ثالثا : ظهر المخرج الذي يعرف كلمة (الديالكتيك) ويفهمها فهما عميقا على المستوى الفني وعلى المستوى السياسي أي فهمه للعلاقة الديالكتيكية بـين تمزق وطنه مـن الداخل من خلال تناقضاته وبين تمزق كيان شعب مشرد مرتبط بـه بالحتمية ، هذا التمزق الذي يصب أيضا في الآخر بقوة ، وان هذا لا بد أن يخرج الى الشاشة واضحا جليا سواء من خلال علاقة جدلية كفيلم « الظلال في الجانب الآخر » لغالب شعث ، او مستقلة كفيلم « المخدوعون » لتوفيق صالح .

رابعا : ان هذه الرؤيا الشاملة انبلجت بشكل فردي في دولة وبشكل رسمي في دولة أخرى . فبينما كان القطاع العام في مصر قد وصل الى قمة فساده على أيدي تجار القطاع الخاص واللصوص الذين دخلوه كان الشبان يتجمعون بشكل فردي في شكل جمعيات للتثقيف السينمائي أو تثقيف سينمائي وانتاج كجمعية الفيلم ، وجماعة السينما الجديدة . كان نضوج مؤسسة السينما السورية كمؤسسة حكومية رسمية هو الذي ساند وضوح الرؤيا في السينما السورية وذلك من خلال القطاع العام .

وان كان الشكلين قد صنعوا اخيرا وهو ما سنتحدث في اسبابه فيما بعد لكن الذي يهمنا من خلال هذا البحث اولا هو تلك الرؤيا الشاملة العميقة التي قدمت أول طرح حقيقي للسينما الفلسطينية على الشاشة العربية . وهكذا نجد انفسنا فجأة امام السينما السورية .

فلسطين على الشاشة السورية

احيانا يتساوى الشكل الفردي مع الشكل الجمعي الرسمي الذي تسانده الدولة في اخلاصه لقضية ما . فرغم ان « جماعة السينما الجديدة » وهي مجموعة صغيرة من الشبان جمعتهم أحزان النكسة وأحلام واحدة من أجل ايجاد سينما متقدمة ــ وكذا

مؤسسة السينما السورية(٧) تبنت نفس الاهداف تقريبا وتحرك الفريقان في اتجاه واحد في أعقاب النكسة . بل ان أعمالهم تكاد تكون ظهرت في أوقات متقاربة جدا ، حيث قدمت « جماعة السينما الجديدة » أول فيلم لها عام ١٩٧٢ وهو « أغنية على الممر » اخراج علي عبد الخالق . وخلصت نسخة العمل لفيلم « الظلال في الجانب الآخر » في نوفمبر عام ١٩٧١ وهو من اخراج غالب شعث وان كان لم يعرض رسميا حتى الآن . وقدمت مؤسسة السينما السورية أول أعمالها الروائية الطويلة عن القضية الفلسطينية عام ١٩٧٠ وهو « رجال تحت الشمس » اخراج نبيل المالح ومروان مؤذن ومحمد شاهين ، ثم « السكين » اخراج خالد حمادة عام ١٩٧١ ثم « المخدوعون » اخراج توفيق صالح عام ١٩٧٢ .

الا أن الذي يفرق جماعة السينما الجديدة عن مؤسسة السينما السورية بحيث يجعلنا نقدم التجربة السورية على التجربة المصرية اولا يتمثل في عدة حقائق :

أولا : حقيقة مرتبطة ببحثنا هذا عن القضية الفلسطينية . فمؤسسة السينما السورية منذ انشائها لم يكن لها انتاج روائي ذو بال وعند أول محاولة جادة لصيغة عامة في المؤسسة نجدها قد تمثلت في طرح قضية فلسطين وليس في شيء سواها . أي ان قيمة الانتاج السينمائي السوري بقيمة عرض القضية الفلسطينية من خلال أفلامها باعتبارها أساس النضال واي سينما تقدم للمتلقي . وهذا يعتبر في نظري شيئا أكبر من مجرد الادراك الواعي الشامل لعلاقة القضية الفلسطينية بالقضية العربية الى ادراك عالمي لنضال الانسان ضد الاستعمار وقوى الشر في العالم اجمع وفي العالم الثالث .

ثانيا : ان الشكل الانتاجي الذي اخرج فلسطين على الشاشة السورية بشكل جاد ومتقدم هو الدولة . فمع كل التقدير الذي يمكن أن يصاحب جهود الشباب في « جماعة السينما الجديدة » ومحاولتهم الرائعة والمخلصة الا ان الذي أكثر روعة هو الدولة لانه يصبح أكثر قيمة بالنسبة للقضية الفلسطينية ان يتطابق فكر الدولة وفكر مؤسساتها . وهذا فرق كبير بينه وبين جماعة من الشبان استطاعوا أن يضغطوا على الدولة بشكل ما ، كي تتبنى تحت الضغط نظاما انتاجيا (وهو نظام المشاركة أي أن تشترك الدولة مع الجماعة كمجموعة من الافراد بنسبة في الانتاج) بحيث أصبح الانتاج خارجا بدرجة ما من فم الدولة حيث بدا ما تم نوعا من الارغام وهو ما تثبته سجلات جماعة السينما الجديدة مع المسؤولين عن مؤسسة السينما في مصر وان كانت المحاولتان قد ضربتا فيما بعد بخنق جماعة السينما الجديدة ، وتغيير هيكل مؤسسة السينما السورية اداريا .

ثالثا : ان خروج فلسطين على الشاشة السورية كان خروجا متكاملا ومحددا وواضحا ومباشرا (والمباشرة هنا هي مباشرة القضية من خلال قواعد الفن) وهذا نابع من العوامل السابقة بينما خرجت اعمال جماعة السينما الجديدة ممثلة في (اغنية على الممر) اخراج علي عبد الخالق ، في مس القضية الفلسطينية بشكل غير مباشر جدا ، في حدود اطار النضال العام ، اي نضال الجندي المصري اثناء انسحابه اثناء النكسة عام ١٩٦٧ . بينما مس فيلم (غالب شعث) « الظلال في الجانب الآخر » القضية بشكل غير مباشر ، أي من خلال شخصية فلسطينية (عمر) داخل اطار عام لبناء درامي لمجموعة من الشباب المصري ممزق نفسيا عقب النكسة .

رابعا : ان الفيلم الثاني للجماعة وهو (الظلال في الجانب الآخر) رغم ان نسخة العمل انتهت في نوفمبر ١٩٧١ الا ان هذا الفيلم لم يعرض تجاريا حتى هذه اللحظة رغم

عدم مباشرته للقضية الفلسطينية(٩)، وان كان قد تم عرضه في جمعيات سينمائية ومراكز ثقافية بشكل غير رسمي .

الافلام السورية عن فلسطين

أنتجت سوريا عن فلسطين في الفترة من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٢ أي في أربع سنوات خمسة أفلام وهي (ثلاث عمليات داخل فلسطين) قطاع خاص — اخراج مروان صالح الكيالي عام ١٩٦٩ ، (رجال تحت الشمس) قطاع عام اخراج نبيل المالح — مروان مؤذن ، محمد شاهين عام ١٩٧٠ ، (عملية الساعة السادسة) قطاع خاص — اخراج سيف الدين شوكت عام ١٩٧٠ ايضا ، (السكين) قطاع عام — اخراج خالد حمادة عام ١٩٧١ ، (المخدوعون) قطاع عام — اخراج توفيق صالح عام ١٩٧٢ . أي أن مؤسسة السينما السورية والقطاع الخاص قاموا في خلال أربع سنوات . بانتاج افلام عن القضية الفلسطينية . رغم عمر السينما القصير فيها بما يساوي عدد الافلام التي انتجتها مصر عن القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم أي ما انتجته مصر في ربع قرن .

على انني سوف اتناول فيلمين فقط من التجربة السورية لانهما حققا الامال التي كانت مطلوبة في عرض القضية الفلسطينية والفيلمين من انتاج مؤسسة السينما السورية .

رجال تحت الشمس : (اخراج نبيل المالح — مروان مؤذن — محمد شاهين . انتاج المؤسسة العامة للسينما بسوريا عام ١٩٧٠ تصوير حسن عز الدين ، جورج خوري ، قيس الزبيدي ، مونتاج قيس الزبيدي ومروان عكاوي . وقام بالتمثيل ريجينه البريشت — عاطفة الخالدي — نبيلة نابلسي — يوسف حنا — خالد تاجا — سليم موسى — جورج كنعان) .

يتناول الفيلم ثلاث قصص او بالاحرى ثلاثة افلام قصيرة روائية داخل فيلم واحد يربطها ببعضها خيط درامي رفيع مستغل من الطبيعة وهو (الشمس) التي تتحرك من خلالها الشخوص في الثلاثة افلام والتي يمثل كل فيلم منها موقفا مستقلا له بداية ونهاية هذه الشمس التي يتحرك تحتها هؤلاء الشخوص تلفحهم حرارتها ونورها بكل ما يمثله هذا المعنى من ابعاد انسانية . . اي ان هذه القيمة الدرامية . . . التي تمثلها الشمس بمثابة اللحن الناعم الذي في الخلفية والذي يترك مهداة على العمل كله بزمانه ومكانه وابطاله ومواقفه الثلاثة المستقلة . . .

والثلاث قصص هي المخاض ، اللقاء ، الميلاد ، ومن أول لحظة يقابلنا المعنى الفكري الديالكتيكي الذي تمثله الثلاثة أسماء اي ان الفيلم من خلال الثلاث قصص انما يقدم قضية فلسطين منذ لحظة مخاضها حتى ميلادها . . . حتى وان كانت الثلاث قصص مختلفة كل منها موقف درامي مستقل يمكن ان يحمل كل منهم في داخله المعنى العام . . وهو المخاض واللقاء والميلاد . . والثلاث قصص شخوصها مطاردون من قبل الاسرائيليين داخل الارض المحتلة . . اي يتناول فلسطين وفلسطين وحدها من خلال سوريا . . **الاولى** لرجل يهرب مع زوجته مع اهل قريته بعد مداهمة الاسرائيليين لها والموقف يتطور من خلال المخاض السعيد الذي كان يعيش فيه الرجل وزوجته من خلال التداعيات بالصورة وبين الحاضر ببشاعته وهو يفر امام كلاب البوليس الاسرائيلية التي تتعقب اثرهم والام المخاض التي تعانيها الزوجة اثناء ذلك حتى تضع وليدها لتتلقفهم في النهاية دوريات المقاومة الفلسطينية . . **والثانية** موقف فتاة نرويجية جاءت

الى الارض المحتلة لتزور والدها الذي يعمل داخل اسرائيل ، وبدلا من مقابلته تلتقي بفدائي فلسطيني بعد عملية فدائية قتل فيها الفدائي الفلسطيني سائق السيارة التي تستقلها لتواجه النرويجية بواقع جديد من خلال العلاقة الوجيزة تقوم بينها وبين الفدائي والتي لا يكف فيها الاسرائيليون عن مطاردة الفدائي والفتاة معه حيث تعرف الفتاة فيها البعض عن حياة الفدائي وعن القضية من خلال الصورة ايضا بدلا من الحوار ليتركها الفدائي في النهاية في نفس لحظة احاطة القوات الاسرائيلية بالقرية التي كانوا يختبئون فيها داخل كنيسة حيث يخرج الاسرائيليون أهالي القرية منها ليفجروها بكاملها وحيث تقف الفتاة مروعة بما جرى . **والثالثة** لفدائي فلسطيني كان يعمل مدرسا قبل انضمامه للمقاومة الفلسطينية ومن خلال تداعيات مستمرة بالصورة لماضيه من خلال ذكرياته مع مدرسته واطفالها وزوجته وبين الحاضر بما فيه من شراسة المعارك التي يخوضها الفدائي ينتهي الموقف باصابته في احدى العمليات ... ثم قتله لاحد الجنود الاسرائيليين بالقاء قنبلة عليه حيث يطلق النار في النهاية محموما .

وربما يكون اول ما يميز (رجال تحت الشمس) هو انه اختار ان ينسج نفسه عن الفلسطينيين وحدهم .. انه فيلم سوري مئة بالمئة وهذا هو الفهم الشامل لحقيقة ابعاد الصراع الوطني . فالفلسطيني بقضيته هو سيد الفيلم كله لا تلفيق ولا مزايدة ولا اقحام لعناصر لا قيمة لها بالموضوع كأن تقحم سوريا في الحدث لاي سبب لمجرد انها الدولة المنتجة . كما جرت العادة في السينما المصرية مثلا ... كذلك فان الثلاثة مواقف التي ينسج عليها الفيلم درامته مواقف بسيطة من واقع حياة المواطن الفلسطيني دون فلسفة او تعقيد أو دعاية او ادعاء ما هو غير مملوك ... كذلك تلك العقلانية الشديدة في طرح القضية من خلال الصورة المرئية . بعيدا عن الميلودراميا والمأساويات وكذا الدعاية وتصوير البطولة . فالفيلم بكل شخوصه ليس فيه بطل الا القضية الفلسطينية والتي استطاع مخرجوها ان يعبروا عنها بشكل راق تنفذ الى العقل ثم الوجدان بمنتهى النعومة التي تصدم في النهاية بحقيقة مروعة ، تماما كالنرويجية(١٠) (آن) التي تقف مروعة بما ترى وهي تسمع صوت الانفجارات تنسف القرية والتي تبدو على ملامح وجهها فقط من خلال وجه جامد في كادر ثابت هو نهاية القصة الثانية .

ولعل أقوى ما في (رجال تحت الشمس) ليس طرح القضية الفلسطينية بهذه الصورة من التركيز والقوة والعقلانية .. انما في شيء أشمل وهو تحرر الفيلم الروائي العربي من ديماجوجية الحوار والحدوته والخطابية التي تميز مثل هذا النوع من الافلام الى الصورة السينمائية البليغة القادرة على تحريك الشخوص مع ايصال المعنى العام من خلال هذه الصورة ولكن بشكل حاد ومؤثر يصل الى مستوى الصدمة .. على أن هذه العقلانية الراقية ترقى الى مستوى المثقف العربي ورجل الشارع في العالم المتقدم وذلك شيء افتقدناه زمنا طويلا وهو المقدرة على مخاطبة الفكر المتقدم في صميم اسلوب تفكيره وقياسه للاشياء والاحداث والقضايا التي يعيش بعيدا عنها أو بمعزل عنها ..

على اننا يمكننا ان نخلص الى شيئين استطاع (رجال تحت الشمس) أن يدشنهما: **اولا** : فلسطين كاملة على الشاشة بالنسبة للسينما العربية . **ثانيا** : المستوى الراقي والمتقدم لاسلوب طرح القضية على المستوى الخاص والمستوى العام اي المحلي والدولي .. والذي نال بسببه الجائزة الاولى شركة مع فيلم يوسف شاهين (الاختيار) — في مهرجان قرطاج عام ١٩٧٠ . **ثالثا** : انه لم يكن يتسنى ذلك الا من خلال نار النكسة التي فتحت من بشاعة الحقيقة بابا لنفاذ الفهم الكامل والرائع لابعاد الصراع الشامل والنظرة السينمائية المطلوبة ازاء كلمة (اسرائيل) . **رابعا** : العناصر

السينمائية الشابة التي اخرجت هذا الفيلم والعائدة من الخـارج والتي استوعبت كيفية الاستقبال والارسال الى العالم بنفس شفرته .

المخدوعون : سيناريو واخراج توفيق صالح . انتاج المؤسسة العامة للسينمـا السورية عام ١٩٧٢ . عن قصة « رجال في الشمس » للكاتب الفلسطيني الشهيـد (غسان كنفاني) ومناظر لبيب رسلان — تصوير بهجت حيـدر — موسيقى صالحي الوادي — تمثيل (محمد خير حلواني) — عبد الرحمن ال رشي — بسام لطفي ابـو غزالة — صالح خلقي) .

اول شيء تلمسته في عملية انتاج هذا الفيلـم هو حقيقـة اكثر روعـة وهو ان المؤسسة في سبيل تأكيد القضية الوطنية الشاملة في المنطقة العربية ذاتها في داخلها الحدود الاقليمية للعناصر التي اخرجت الفيلم الى الوجود مع احتفاظه بالمستوى الفني والفكري في عرض القضية المتصدى لها . فالمنتج هو مؤسسة السينما السورية — بينما الكاتب هو الكاتب الشهيد غسان كنفاني . والعاملون بالفيلم سوريون وكـاتب سيناريو الفيلم ومخرجه مصري وهو توفيق صالح .. والقضية هي واقع الشعـب الفلسطيني المشرد في دولة عربية وهي الاردن .

ويقوم الموقف الدرامي في المخدوعون ممثلا في ثلاثة اجيال منه من شرائح مختلفـة في العمر يمثلون القضية منذ بدايتها حتى اليوم يقدمهم توفيق صالح على التوالي (أبو قيس — اسعد — مروان) — ماضيهم ومعاناتهم حتى حاضرهم حيث يجمعهم هـدف واحد وهو الانتقال الى الكويت سرا للعمل هناك حيث يأملون في بدء حياة أكثر آدمية في وسط مجتمع صنع البترول ثراءه حيث يسر العمل والنقود الكثيرة التي يمكن لهم بها أن يسدوا أودهم وأود عائلاتهـم التي تركوهـا خلفهم كل منها في مأساة . وذلـك بالنسبة (لابو قيس ومروان) امـا بالنسبة (لاسعد) فهـو مطرود من الرملة صبيا صغيرا ويعيش في حلقة متصلة من الهرب فهو قادم من العـراق خلسة هربا مـن مطاردات الشرطة الاردنية واسمه مسجل في جميع نقط الحدود لاعتقاله ... لكـن الثلاثة يموتون أثناء توقف السيارة التي يختبئون داخل خزانهـا الفارغ من البترول — والتي يعمل عليها فلسطيني وهو (أبو الخيزران) والذي يعمل لدى أحد الاثريـاء الكويتيين في الفترة التي يقضيها هذا السائق الفلسطيني داخل نقطة حدود كويتيـة حيث تزيد الفترة الزمنية التي يقضيها السائق عن الحد المقرر لاختبائهم فيختنقون داخل الفنطاس من حرارة الشمس القائظة والتي تقلي البيض من شدتها . ويكون سبـب زيادة الفترة الزمنية هو محاولة العاملين الكويتيين في النقطة المكيفة الهواء الهزر مع السائق حول عشيقة له تعمل راقصة بالبصرة يتهموه بان له علاقة بهـا وتنفق عليه عشقا في مخولته .. بينما هو في الحقيقة (فاقد للرجولة) لاصابته بشظية لغم اثنـاء نضاله ضد الصهاينة . ويخرج السائق ليلقي بالجثث الثلاثة على كوم قمامة على جانب الطريق .

على انه اذا كان « رجال تحت الشمس » كان أول فيلم عربي — سوري ينسـج نفسه عن الفلسطينيين من خلال واقـع المقـاومة الفلسطينية . فـان فيلـم (المخدوعون)(١١) يعتبر اعمق تحليل للواقع الفلسطيني المشرد حتى الان . بل ان هذا الفيلم الفذ من ناحية اخرى (دعوة الى الثورة) . فالمخدوعون ليس مجرد فيلم يعرض لحادثة بل هو تشريح اجتماعي وسياسي لواقع القضية من خلال شخصياته الرئيسية (أبو قيس — أسعد — مروان — أبو الخيزران) الواقع الاجتماعي الذي أتى منـه ومأساة كل منهم . أبو قيس الذي وعى نكبة الطرد لاجئا جائعا هو وأسرته ثم أسعد

الشاب المستمر الهرب ومطلوب الاعتقال ــ ثم مروان الذي سبقه اخوه الى الكويت ثم قطع عن أبيه وامه واخوته النقود التي كان يساعدهم بها . فاضطر الاب الى الزواج بأنانية بفتاة مبتورة الساق تستعيض عنها بساق خشبية وتملك منزلا ليجد مروان نفسه أمام لهيب الحياة وجوع امه واخوته مضطرا هو الاخر الى النزوح الى الكويت حتى يعولهم . . ثم أبو الخيزران ذلك الرجل الذي خصته شظية لغم ويعيش هائما بين العراق والكويت بسيارة ثري كويتي لا يعرف معنى لحياته سوى جمع المال من اجل تأمين مستقبل لمن لا مستقبل له تأكله مأساة فقد رجولته .

ثم الواقع السياسي الذي تتحرك عليه الشخصيات والذي يتمثل في الجزء التسجيلي المأخوذ عن الصور الفوتوغرافية للحكام العرب الذين صنعوا واقع المأساة.

على أن جملة ما في هذا الفيلم لا يفيه هذا التحليل المقتصر لما يمتلىء به نسيجه . . . من رموز واشارات ودقائق للعلاقات الانسانية التي تقوم من خلال علاقاته . . . بحيث يصبح ما قدمت ان هو الا ضلوع العمل واركانه الذي بني عليها . وعندما فاز (المخدوعون) بالجائزة الاولى في مهرجان قرطاج لم يكن هذا بقليل عليه فهو فيلم استطاع ان يضع يده على نبض الحياة الفلسطينية المشردة والواقع الحافل المحيط بها ابتداء من ابيات شاعر المقاومة محمود درويش التي تقول :

وأبي قال / الذي ما له وطن / ما له في الثرى ضريح / ونهاني عن السفر .

الى الاية المعلقة في الجامعة العربية « كنتم خير أمة اخرجت للناس » . الى اجهزة التكييف التي يجلس الى جوارها الكويتيون في نقطة الحدود والتي طغت بهديرها على طرقات الثلاثة الذين يختنقوا داخل الفنطاس وسط اللهيب .

وبهذا تكون السينما السورية قد قدمت الحقيقة بعد أكثر من عشرين عاما من الجهل والعجز قدمت الحقيقة في اقوى صورة كان الانسان يحلم بانبلاجها بها وأن كان هذا ليس كل شيء . . .

جماعة السينما الجديدة

اذا كان (رجال تحت الشمس) و (المخدوعون) حتى الان يعتبران أعلى وأكمل فيلمين تعرضا لفلسطين حتى اليوم فأن فيلم (الظلال في الجانب الاخر) اخراج غالب شعث يكمل تلك الثلاثية ولكن من زاوية مختلفة .

وفيلم (الظلال في الجانب الاخر) من انتاج (جماعة السينما الجديدة) مشاركة مع المؤسسة المصرية العامة للسينما عام ١٩٧٣ . (لم يعرض بعد) . عن قصة (لمحمود دياب) وتصوير سمير فرج وسيناريو واخراج (غالب شعث) وقام بالتمثيل فيه (محمود ياسين ــ نجلاء فتحي ــ احمد مرعي ــ محمد لطفي ــ محمد حمام ــ مديحة كامل ــ عايده عبد العزيز) . « ما أكثر ما تخفيه الظلال من حقائق ولكي نرى واقعنا بدون ظلال لا بد ان تتعدد مصادر النور » تلك هي الرؤيا التي أقام عليها غالب شعث فيلمه . فمن خلال الحقيقة عن علاقة تقوم بين فتاة في السادسة عشرة (روز) (نجلاء فتحي) ومحمود (محمود ياسين) الطالب بكلية الفنون والتي يكون ثمرتها (طفلة) تموت ، بعد انجابها اثر مرض بعد أن تركها محمود وهي حامل . حيث تحكي تلك الحقيقة وجهات نظر مختلفة من خلال محمود نفسه . ثم من خلال زملائه بالكلية (مصطفى) (أحمد مرعي) ، ثم من خلال بكر (محمد حمام) ثم من خلال (روز) نفسها والاثنين الاخيرين كانوا يقيموا في عوامة انتقل اليها محمود بعد تركه الفتاة حيث يقيم معهم زميل رابع وهو (عمر) الشاب الفلسطيني (محمد لطفي) . تبدأ في

استكشاف عالم بكامله من خلال تلك الشريحة من الشباب المصري الذي يعيش في ظل احزان النكسة وتمزقه حيث يعيش هذا الشاب الفلسطيني أيضا فيه يمزقه واقعين واقع قضية شعبه المشرد والواقع الجديد لشعب ذاق بدرجة ما ذاق شعبه .. ويجد الشاب الفلسطيني نفسه في النهاية تاركا هذا الواقع الى واقعه الحقيقي حيث يرسل بعد رحيله الى القدس خطابا الى (بكر) يقول فيه « انني وجـدت الاسلوب الـذي استطيع به ان اعبر عن نفسي وعن قضيتي خصوصا بعد ان اصبحت للمرة الثانيـة بلا وطن . اننا لا نملك الا أن نخوض هذه الحرب فلم يبق لدينا ما نخشى ان نفقده ».

ونحن هنا امام مخرج اختار بشكل واع ومقصود ان يخرج الواقع المصري بعـد النكسة في تلك المجموعة من الشباب المزق ممثلا في (محمود ، ومصطفى ، وبكر) . الواقع الفلسطيني المعاصر من خلال شخصية (عمر) الفلسطيني الذي يدرس الفنون معهم في القاهرة .. (ومهم هنا ان نعلم ان هذه الشخصية لم تكن موجودة اصلا في قصة محمود دياب الاصلية) وتلك هي الزاوية المختلفة عن (رجال تحت الشمس) ، و (المخدوعون) .. فبينما كان كمال الفيلمين في انهما قدما القضية الفلسطينية دون جزء بينها وبين شيء اخر من الخارج وبشكل مباشر . فان غالب شعث قد قام بعملية المزج هذه من اجل رؤيا اكثر شمولا .. لحقيقة النضال العربي ضد اسرائيل .. ولكن بشكل غير مباشر اي ان يدور لها من الخلف .. ومن هنا ايضا تتضح بعد الفكرة التي نسج عليها غالب شعث بناؤه الدرامي الذي يقدم من خلاله وجهات النظر المختلفة لكل شخصية في الاخرى بينما تبقى شخصية (عمر) الفلسطيني خارج اطار اللعبة معلقة لا رأى لها فيما يجري حيث نجدها فجأة تمارس دورها الحقيقي وسط اهلها .. لان الامر لم يعد يحتمل ان يكون الانسان بلا وطن مرتين .. حيث تتعالى على الواقع الذي عاشت فيه اخيرا تاركا اياه الى غير رجعة لتمزقاته .. التي ولدتها النكسة وراحت تأكله وتأكل شبابه .. هكذا كانت ايضا تلك الرؤيا المتقدمـة للمخـرج الفلسطيني (غالب شعث) .. عن واقع قضيته في أول افلامه الروائية الطويلة .. بعد أول فيلم روائي قصير اخرجه بالنمسا قبل مجيئه الى القاهرة حيث عمل بالتلفزيـون كمخرج (فيديو) .. وحيث كون مع سمير فريد ، ورافت المهي ، ومحمد راضي ، وفتحي فرج، أول جمعية سينمائية شابة جادة في مصر هدفها انتاج سينما جادة متقدمة ملتزمة .

على ان الاهتمام بفيلم الظلال يصاحبه اهتمام المخـرج ليس لقيمة العمل الفنيـة والفكرية التي قدمها للسينما المصرية وانما الى هويته الفلسطينية ... وكما قلنـا من قبل فان احد عوامل عجز الشعب الفلسطيني عن التعبير عن مأساته قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ وحتى ولوج هذا المخرج كان متمثلا في عدم وجود سينما فلسطينية داخل الارض المحتلة .. كان يمكن لها أن تعي الكثيرين قضاياها برغم الاسبـاب الموضوعية وراء ذلك .. وهكذا فقد كان ظهور هذا المخرج الشاب بمستواه السينمائي المتقدم هذا لهو ايذان ببدء تاريخ جديد للسينما الفلسطينية يقوم بها شبابها واصحابها باعتبار المخرج هو الاول ومن خلفه يتذلل كل شيء .

مستقبل السينما الجادة بالنسبة لقضية فلسطين وغيرها في مصر وسوريا

ربما يكون من الاوفق لنا ونحن نتعرض (لفلسطين) علـى الشاشة العربية ان نتوقف لحظة امام مستقبل السينما الجادة حول هذه القضية وغيرها .. لان التوقف هنا واجب قومي ليس من اجل فلسطين فقط على الشاشة العربية بعد صراع مريـر من اجل تدشينها وانما من اجل مستقبل السينما العربية عامة لانه بهذه الصـورة

الواعية والناضجة لهؤلاء الشبان الجدد فانه ليست هناك اي فصلة بين فلسطين والسينما الجادة في كل القضايا الاخرى في الدول العربية .

فأن ما حدث اخيرا من خنق جماعة السينما الجديدة وهي في المهد وفيلمها الثاني (الظلال في الجانب الاخر) ما زال حبيس علبة لم يعرض رسميا وتجاريا من الان .. ثم بعد ان قام المسئولون السوريون بتغيير ادارة مؤسسة السينما السورية فان الموقف قد اصبح غامضا واقرب بالظلام منه الى النور .

فعندما عاد غالب شعث بعد عشر سنوات من النمسا عام ١٩٦٨ محملا بالامال الكبار في ان يقدم سينما على مستوى سياسي وفني حيث التقى بالناقد السينمائي لجريدة الجمهورية (سمير فريد) والسيناريست (رأفت المهي) و (محمد راضي) ، المخرج السينمائي و(فؤاد التهامي) مخرج الافلام التسجيلية ، و(فتحي فرج) مدير نوادي السينما بالثقافة الجماهيرية بالقاهرة و (أحمد متولي) المونتير واخرين حيث اسسوا جماعة السينما الجديدة التي رأسها في مرحلتها الاولى (محمد راضي) وجاهدوا من اجل ايقافها على قدميها ثم اجبروا الدولة من خلال صراع مرير وانساني ان تقدم لهم العون من خلال نظام المشاركة الذي ابتدعوه من اجل ايجاد صيغة مشتركة بينهم وبين الدولة حتى قدموا فيلميهم اليتيمين ... فماذا كانت النتيجة ..؟؟ والاجابة كانت القضاء نهائيا على مؤسسة السينما المصرية كمؤسسة منتجة وتحويلها الى مجرد معرض لمنتجي القطاع الخاص . ومات بالتالي نظام المشاركة دون اصدار قرار . وانبلج عهد جديد للقطاع الخاص الذي قام بمهمة الاجهاز على كل شيء معقول قدمته المؤسسة ولتقبل السينما الوليدة الجديدة كما قتل من قبل (العزيمة) وكأن التاريخ يعيد نفسه ولكن بادوار جديدة وعادت سينما الترف والتسلية تأخذ مكانها في الصدارة كما كانت دائما سينما العوالم (بمبة كشر) . وسينما المناسبات وكانت المناسبة هذه المرة هي عبور ٦ اكتوبر ممثلة في فيلم (الرصاصة لا تزال في جيبي) اخراج حسام الدين مصطفى . وهكذا رحل غالب شعث عن مصر تاركا اياها ربما لمستقبل أفضل وكذلك رحل (فؤاد التهامي) ذلك المخرج الشاب الذي كان مستقبله يبشر بالخير الى العراق ، وبقي رأفت المهي يصارع من أجل الاحتفاظ بكتابة سيناريوهات تملك الحد الادنى من الفن والتجارة وعلى دربه سلك محمد راضي في الاخراج بينما اصبح سمير فريد نهبا للهجوم عليه من التجار من اجل التزامه .

ثم كانت الطاقة الكبرى في المؤسسة العامة للسينما في سوريا بنقل مديرها الشاب المتفتح الافق عبد الحميد مرعي الى وزارة التخطيط ليأتي واحدا اخر من اجل مؤسسة للربح وليس للفن تمهيدا لاشياء اخرى قد يكون مآلها كمآل مؤسسة السينما المصرية. ومن هنا تبدو الامور اكثر قسوة وفظاعة من قبل لان الردة التي حدثت للسينما لا يعرف أحد حدودها ومن هنا فان الواجب الوطني والقومي يقتضي على كل اولئك الذين صنعوا مستقبل تلك القضية قضية فلسطين وغيرها من قضايا النضال عليهم ان يجدوا منفذا من جديد لكن على الاقل بالتجمع ضد تلك الردة الثقافية والتي بلا شك لا تمثل المنطلق الحقيقي لمعنى النضال الثقافي وانما هي سقطة سوف ينهار القائمون عليها لان الذين فتحوا الباب لهؤلاء الشبان بوعي او بدون وعي وبحتمية التاريخ لن يستطيعوا ان يوقفوا ما فتحوه بردتهم الاخيرة لان التاريخ لا يرتد الى الوراء ابدا .

فلسطين في (لبنان والاردن والجزائر)

يبقى بعد ذلك تجربة لبنان والاردن والجزائر . ففي لبنان خرجت اربع تجارب وهي (الفلسطيني الثائر) اخراج رضا ميسر ، و (فداك يا فلسطين) اخراج انطوان

رعي ، و (اجراس الصورة) اخراج تيسير عبـود .. ثم (كلنا فدائيون) اخـراج جاري جرابتيان . عام ١٩٦٩ وهو الفيلم الوحيد الذي يستحق التنويـه . فهو أول فيلم روائي عربي طويل عن المقاومة (٩٠ ق) عن سيناريو لانطوان غندور وصـورة (سامي جو جاتيان) ومثله (سامي عطاره ـ ومنى سعد ـ وغسان مطر ـ وجوزيف نانو ـ وبرج فازليان) وانتجه ادموند نحاس . (وقد لقي المخرج و ٢٢ اخرون بينهم المنتج والمصور والممثل الاول مصرعهم اثناء تصوير المشهد الاخـير بسبب انفجـار قنبلة حقيقية كانت مستخدمة فيه) .

الا ان النزعة الخطابية وبوليسية تنفيذ مشاهد الفيلم والدعاية السخيفة التـي حواها الفيلم ، كانت كلها ضد القيم الفنية والانسانية التي كان يحتويها الفيلم حيـث كان الفيلم يحمل موقفا طيبا لشاب عربي يلجأ اليه بعض الفدائيين من اجل الطعـام حيث يشي بهم تحت الضغط من حاكم القرية الاسرائيلي . وينتهي الموقف باستشهادهم جميعا ويتحول الشاب الى فدائي ينضم الى الثورة الفلسطينية .. لكن الفيلم بخلوه الا من مشاهد العنف والمطاردات واطلاق النار بهدف وبدون هدف . والكلمات الثقيلة على السمع من حيث غلظ خطابيتها قد أفقده كل المطلوب منه .

اما الافلام الثلاثة الباقية فهي جزء من الرخص الذي قدمت به القضية الفلسطينية من قبل وهو استمرار (لفتاة من فلسطين) و (أرض السلام) وغيرها في مصر .

وفي الاردن قدمت فيلما من نفس النوع بعنوان (الطريق الى القدس) مـن اخراج عبد الوهاب الهندي .

أما الجزائر ، فقد انتجت فيلما بعنوان (سنعود) اخراج محمد سليم رياض عـام ١٩٧٢ وكتبه مع أنياس فرانكومس واحمد رشدي وصوره رشيد مرابطين .

على أن اهم ما يميز هذا الفيلم هو تعبيره تعبـيرا جليا عـن(١٢) مبـادىء الثورة الفلسطينية ربما اكثر من اي فيلم روائي طويل اخر . وتدور احداث الفيلم في الارض المحتلة ايضا عن عمليات الفدائيين .. ويستخدم الفيلم تكتيكا اقـرب الى الافـلام الحربية التي انتجتها هوليود عن افلام العصابات في كوريا وغيرها من شكل الحركـة واساليب المعارك التي يخوضها الفدائيون حيث النزعة التجارية من اجـل الربح . من خلال مثل هذا النوع من الافلام رغم انه حاول محاولة جادة من اجل تقديم القضية الفلسطينية تقديما واضحا .

خاتمة :

انه اذا كانت فلسطين على الشاشة العربية قد نالت حظها خـلال الفترة الماضية وبالتحديد من الفترة عقب النكسة حيث تم فيها اكبر اعلام سينمائي فكري وفني روائيا .. بعد مرارة بدأت منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ ... واذا كانت هذه السينما قد انبلجت في سوريا ومصر بقوة مع احزان النكسة ، في غير الارض المحتلة ومع الوعي الشامـل بالقضية ثم بظهور المخرج الفلسطيني الواعي القادر على التعبير عن قضيته بمستوى راق ومتقدم . فان هناك دورا ما زال قاصرا مقصورا بليغا ربما لا بد ان يظهر في مدى قريب . اعتقد انه الحل الوحيد امام استمرار هذه السينما وهذه القضية لانه بالحتمية هو الخطوة التالية وهذا الحل متمثل في أصحـاب القضية انفسهم وهـم الثـورة الفلسطينية . لا بد لها ان تدرك من اليوم البعد الحقيقي للسينما كما ادركها العـالم كله من قبل كسلاح اخطر من القنبلة والمدفع عن النفاذ الى الرأي العام العالمي مـن خلال السوق والدولة والمهرجان .

الهوامش :

١ ـ أردت أن أفصل بين السينما المصرية والسينما العربية لانه لا يمكن المقارنة بين سينما ظهرت ورسخت لصناعة منذ ظهور السينما نفسها وبين دول عربية لم يزد عمر السينما فيها عن عشر سنوات او ما زالت السينما تتعثر بها او غير موجودة .

٢ ـ قصة السينما في مصر ، تأليف سعد الدين توفيق ، أفلام ما بعد الحرب ، ص ٨٣ .

٣ ـ نشرة نادي القاهرة للسينما ـ السينما الفلسطينية بقلم سمير فريد ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٥ .

٤ ـ نشرة نادي القاهرة للسينما : السينما الفلسطينية بقلم سمير فريد ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٦ .

٥ ـ أحب أن أوضح انني افصل بين القضية من حيث التعريف بها من خلال السياسة الرسمية الى العالم وبين القضية معلنا عنها من خلال السينما لان السينما لها وسيلة دعايتها ومقدرتها الوصول الى اقاصي الارض .

٦ ـ نشرة نادي القاهرة للسينما ، السينما الفلسطينية ، بقلم سمير فريد ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٧ .

٧ ـ انشئت المؤسسة العامة للسينما السورية عام ١٩٦٣ من قبل الدولة واعتبرت مؤسسة انتاجية مستقلة وهذه المؤسسة كانت البداية الحقيقية للسينما السورية رغم انه كانت هناك بعض الافلام الطويلة والتي انتجها ممولون مستقلون .

٨ ـ لا يتعلق اغنية على الممر بقضية فلسطين بل بهزيمة عام ١٩٦٧ وبطولة عدد من الجنود المصريين اثناء انسحاب القوات المصرية من سيناء والفيلم مأخوذ عن مسرحية (ليلى سالم) بنفس الاسم .

٩ ـ ان الموقف المحزن الذي تقفه مؤسسة السينما المصرية والشريكة في انتاج هذا الفيلم بتأجيل عرض هذا الفيلم رسميا حتى الان وعدم مساندتها له بسبب الموقف العام الذي تأخذه وزارة الثقافة من هذه الجماعة لهو خير مثل لمأساة المؤسسة والردة التي وقعت فيها السينما المصرية بسقوطها في براثن القطاع الخاص بتجاره ومنسقيه الذين يقدمون الان (بمبه كشر) ، و(الرصاصة لا تزال في جيبي).

١٠ ـ سامي السلاموني ، نشرة نادي القاهرة للسينما ، العدد ١ ، الموسم الخامس ، تحليل فيلم (رجال تحت الشمس) .

١١ ـ سمير فريد ، نشرة نادي سينما القاهرة ، « السينما الفلسطينية » ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٩ .

١٢ ـ السينما الفلسطينية ، سمير فريد ، نشرة نادي السينما القاهرة ، السنة السادسة ، النصف الاول ، العدد ١٩ ، ص ١٩ .

التروتسكيون المصريون وقضية فلسطين

عبد القادر ياسين

نعم ، كان في مصر تروتسكيون*. ولهم مساهماتهم في الحركة السياسية المصرية ، ان نظريا أو عمليا . وان اتسمت هذه المساهمات بالمحدودية . كما كان لهم موقف من قضية فلسطين . سنعنى هنا بالقاء الضوء عليه .

ليون كاسترو هو أحد أبناء الطائفة اليهودية في مصر ، وصديق حميم لسعد زغلول باشا — رئيس حزب الوفد المصري — ويبدو أن سعدا احتضنه درعا للاتهام بضرب المصالح الاجنبية في مصر . وكاسترو هذا صهيوني يساري ، أصدر بعد انضمامه للوفد مجلة « ليبرتي » باللغة الفرنسية ، وتعني « الحرية » ، وكانت تصدر عن الوفد .

وبعد وفاة سعد زغلول ، عام ١٩٢٧ ، تراجع دور كاسترو في الحركة السياسية المصرية وداخل حزب الوفد على الأخص . وفي عـــام ١٩٣١ ، أسس كاسترو جمعية « Essayistes » وهي كلمة فرنسية تعنـــي : المحاولون . وضمت هذه الجمعية ، في صفوفها ، اليسار اليهودي في مصر ، وجعلت هدفها المعلن : مقاومة الفاشية . وفي ١٩٣٣ — ١٩٣٤ ، انشقت عن هذه الجمعية مجموعة « Et puis » ، وتعني بالعربية « ثم ماذا ؟ » ، ولكن سرعان ما انشق عنها منظمتان أخريان ، الاولى « اتحاد انصار السلام الدوليين » ، والثانية « الفن والحرية » . وهدف هاتين المنظمتين هو الوصول الى المثقف المصري . وضمت الاولى كلا من يوسف درويش وأحمد صادق سعد وريمون دويك ، الذين أسسوا وقادوا منظمة « الطليعة الشعبية » الشيوعية السرية المصرية في أواسط الاربعينات . وضم هؤلاء الى « الاتحاد » شوام ويونانيين ، وأصدروا مجلة « L'effort » ومعناها بالفرنسية « الجهد ». كما أصدروا مجلة أخرى باسم « La gerbe » وهي كلمة فرنسية تعني « الحزمة » . أما جماعة « الفن والحريـــة » ، فاتجهت الى المثقفين المصريين من خلال الفن والفن التشكيلي . ومنهم خرج لطف الله سليمان ، وأنور كامل ، ورمسيس يونان ، وغيرهم(١)، و« غرض هذه الجماعة كان ينحصر في نشر الثقافة المتقدمة ، وايقاف الشباب المصري على الحركات الفنية في العالم، وتشجيع الآداب والفنون في مصر ، وذلك عن طريق اصدار المجلات ، والقاء المحاضرات ، واقامة المعارض ، وما الى ذلك من مختلف وسائل النشر المشروعة »(٢).

وكانت « الفن والحرية » أقرب الى التروتسكية منهـــا الى الماركسيـــة اللينينية

* التروتسكية ، نسبة لليون تروتسكي ، أحد زعماء البلاشفة في الربع الاول من القرن الحالي . وقد طرد من الحزب الشيوعي السوفييتي في عام ١٩٢٧ ، بعد دأبه على ممارسة العديد من الانحرافات ، وانتهى به الامر الى تبني أفكار مغامرة ، اهمها : « الثورة الدائمة » و « الثورة العالمية » وادانته للتحالف مع الفلاحين ، واعتباره اياهم طبقة رجعية ، وفي الاربعينات ، وبعد خروجه من الاتحاد السوفييتي ، كون تروتسكي ما عرف بـــ « الاممية الرابعة » ، في مواجهة الاممية الثالثة .

الستالينية . وبذا يمكننا اعتبار عام ١٩٣٩ بداية النشاط التروتسكي في مصر ، الذي ابتدأ مصبوغا بالطابع الفني والادبي ، ولم يكن اتجاهه السياسي واضحا ، في حين كان ثمة اتجاه اجتماعي داخل الجماعه ، وكتبت بعض المقالات في هذا الاتجاه ، دون ان تحمل توقيع كاتبها ، في مجلة « التطور »*. وان لم يفهم صراحة ان مجلة « التطور » كانت تعبر عن التروتسكيين في مصر ، فطابعها الغالب كان الفن والادب ، وان كان الفن الرامي الى التغيير(٣).

وفي افتتاحية العدد الاول من « التطور » ، قال أنور كامل : « نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغير المستمر . نحن نقاوم الاساطير والخرافات ، ونكافح القيم المتوارثة التي وضعت لاستغلال قوى الفرد في حياته الماديه والروحية » . وترجم شعار « التطور الدائم والتغير المستمر » شعار تروتسكي الاساسي عن « الثوره الدائمة » ، كما عكس في الوقت نفسه ليبرالية في الفكر والتنظيم لدى جماعة الفن والحرية . وخلال صفحات المجلة انتشرت الشعارات الاثاريه المختلفة ، مثل : « مجلة التطور تحارب الرجعية ، وتثور على القديم ، تدافع عن حقوق الافراد ، وتنادي بحق المرأة في الحرية والحياة » و« خلقت العراقيل لتكتسح » و« فلتأخذ المرأة حريتها بنفسها ، ولا تنتظر من أحد أن يمنحها هذه الحرية » و« المرأة التي تخدم الرجل ، والرجل الذي يخدم الرئيس ، كلاهما من طبقة واحدة : طبقة العبيد » و« سنكون أقوى في الغد . وأنت » و« نحن لا نريد منك أن تتبعنا ، وانما نريد أن تشق معنا الطريق » و« الفن كالخبز والجنس ، ضرورة يجب أن تكفلها الدول لكل فرد فيها » و« الدولة التي لا عدالة فيها ، خير لها ألا تكون » و« لكل فرد في الدولة الحق في أن يعيش حرا ٢٤ ساعة كل يوم » و« يجب وضع حد ادنى للاجور وحد أقصى لساعات العمل » و« كل قرش ينفق في غير موضعه ، اهدار لحقوق الفقير » و« الموت خير من الحياة في عالم لا يقترن فيه الحلم والعمل » و« لسنا أحرار ، ما دامت هناك سجون » ... وغيرها من الشعارات السياسية والاجتماعية العميقة والتحريضية .

ويقول أنور كامل : « كنا نجمع تكاليف الاعداد من أعضـــاء الجماعة » . وكانت « التطور » توزع نحو ألف نسخة . وباعتراف أقطاب الادب في مصر ، كانت « التطور » تضارع المجلات المتقدمة في أوروبا(٤).

ولم تكن جماعة « الفن والحرية » منسجمة في تشكيلها ، اذ ضمت أكثر من تيار ، وأكثر من اتجاه ، وأفسحت المجال لكل شخص كي يعبر عن رأيه في اشتراط الجديد والتقدمية . وأبرز عناصر « الفن والحرية » كان : جورج حنين ، ورمسيس يونان ، وكامل التلمساني ، ولطفالله سليمان ، والدكتور مجدي وهبه ، وأنور كامل(٥).

ومن داخل « التطور » برزت مجموعة لها اتجاه اجتماعي أكثر من غيرها ، على رأسها أنور كامل . وشكلت هذه المجموعـــة جماعة « الخبـــز والحرية » ، كتنظيم سياسي ، في سبتمبر عام ١٩٤٠ ، واتخذت مقرا لها في شارع محمد علي بعمارة المؤيد بالقاهرة ، وأبرز مؤسسيها هم : أنور كامل ، وعبد العزيز فهمي هيكل ، وأسعد حليم جرجس ، وفتحي الرملي ، وصالح عرابي(٦). ولم يكن لهذا التنظيم نشرات ، وان استعيض عنها باجتماعات صغيرة تناقش فيها القضايا العامة . وقد نظم المشتركون

---

* صدر العدد الاول من « التطور » في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ . ولم يصدر منها سوى تسعة أعداد فقط ، كان آخرها في أيلول (سبتمبر) من العام نفسه . وصاحب الامتياز ورئيس التحرير هو أنور كامل . وهي شهرية تباع بعشرين مليما ، وتصدر في ٦٨ صفحة من القطع المتوسط (١٥×٢٠ سنتم) .

في التنظيم داخل حلقات سرية . ووصلت « الخبز والحرية » ، بتأثيرها ، الى الطلبة والعمال والمثقفين والجيش ، وبصفة خاصة سلاح الطيران ، وبشكل أدق الى صفوف صف ضباط الطيران . وفي صيف ١٩٤٢ ، ألقي القبض على نحو ستين شخصا من « الخبز والحرية » ، بتهمة محاولة قلب نظام الحكم بالقوة ، وانتهى الامر الى تقديم نحو عشرين منهم الى المحاكمة ، الا ان المحكمة برأتهم جميعا . وظلت القضية تتأجل أمام المحاكم المصرية ، حتى نظرت نهائيا بعد قيام ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، حيث برىء الجميع عام ١٩٥٤(٧).

وفي مجال النشاط الفكري ، أصدرت « الخبز والحرية » العديد من الكراسات العلنية ، مثل « مشاكل العمال في مصر » ، ١٩٤١ ، بقلم أنور كامل ، و« اخرجوا من السودان » بقلم أنور كامل ولطف الله سليمان ، و« الصهيونية » بقلم أنور كامل ، ١٩٤٤ ، وكراس « لا طبقيات » بقلم أنور كامل . واعتبر الكراس الاخير بمثابة البرنامج السياسي لجماعة « الخبز والحرية »(٨).

هذا ، في الوقت الذي استمرت فيه جماعة « الفن والحرية » تمارس نشاطها الفكري ، فاشترت امتياز « المجلة الجديدة » الاسبوعية من المفكر الفابي المصري المعروف ، سلامة موسى . ومنذ شباط (فبراير) ١٩٤٣ ، ثبت اسم رمسيس يونان كصاحب امتياز ، ووداع مينا كرئيس لتحرير المجلة الجديدة . وأخذنا نقرأ أسماء : جورج حنين ومصطفى كامل منيب وعادل مظلوم وعصام الدين حفني ناصف ولطف الله سليمان وعزمي الدويري ويوسف الشاروني وعبد الحميد الحديدي والبير قصيري وش. مان وسلامه موسى وأحمد عادل وفؤاد كامل وفتحي البكري ولويس عوض ضمن كتاب المجلة . وفي العدد ٤٣٠ ، الصادر في منتصف نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ، أصبح رمسيس يونان رئيسا للتحرير بالاضافة لكونه صاحب الامتياز . و فيالعدد ٤٣٤، منتصف ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ ، قالت « المجلة الجديدة » في صفحتها الثالثة أنها ليست « لسان حال حزب ، انها المنبر الحر حيث يجب ان يسمع خالصا كاملا ، صوت جميع العناصر المجددة وخاصة الشبيبة المثقفة ». واستمرت المجلة الجديدة في الصدور حتى أواخر عام ١٩٤٤ .

وفي اواخر ١٩٤١ ، ألقي القبض على أنور كامل ، وفتحي الرملي ، وعبد العزيز هيكل ، وأسعد حليم ، وخضر محمود خضر ، ولبيب حنا ، وآخرين ، بتهمة الاتفاق الجنائي على قلب نظام الحكم بالقوة . الا ان هذه القضية حفظت لعدم وجود أدلة(٩).

ثم أعيد اعتقال مجموعة كبيرة من « الخبز والحرية » في صيف ١٩٤٢ ، وأفاد انور كامل في محضر التحقيق معه ، انه كان ينوي الدعوة الى اجتماع عام ، يعقد في ١٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٢ ، يضم جميع العناصر ذات الميول الاشتراكية في مصر ، ليعلن تأليف « الحزب الاشتراكي » .

وعندما سأله وكيل النيابة عن مبادىء جماعة « الخبز والحرية » ، رد أنور كامل « ... توزيع عادل لوسائل الانتاج ، بمعنى ان تتولى الحكومة الاشراف على هذه الوسائل . فتستغل جميع الافراد من الدولة ، كل فرد منهم حسب مقدرته ، وتعطي أجرا لكل فرد حسب العمل الذي يقوم به »(١٠). وبذا تكون مبادىء هذه الجماعة هي المبادىء الماركسية اللينينية نفسها ، والتي تدعو الى الملكية العامة لوسائل الانتاج ، وتطبيق شعار « من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته » .

في مواجهة المسألة الفلسطينية

كان طبيعيا ، بسبب الحاح القضية الوطنية المصرية ، ان ينصب اهتمام القوى السياسية المصرية ، ومن جملتها التروتسكيين ، على قضيتهم الوطنية قبل غيرها . خاصة وان القضية الفلسطينية لم تكن قد اشتعلت في السنوات الخمس الاولى من الاربعينات . وهي سنوات اشتداد النشاط التروتسكي في مصر .

ولان التروتسكية في مصر انحصرت في شكل حلقة فكرية دون التنظيم ، لذا كان طبيعيا ان تقتصر اسهامات هذه الحركة على الجانب النظري دون العملي ، في القضية الفلسطينية .

وباستقراء مجلة « التطور » ، لم نصادف كلمة واحدة عن فلسطين ، بينما اكتظت الاعداد التسعة التي صدرت من المجلة المذكورة ، بمواضيع فنية وأدبية ، والقليل من المسائل السياسية والايديولوجية البحتة .

وحتى المجلة الجديدة ، التي أشرفت جماعة « الفن والحرية » على اصدارها أكثر من عام ونصف ، لم تحتو طوال هذه المدة الا على مقال واحد لاحمد عادل ، بعنوان « الصهيونية لا تحل مشكلة اليهود » . وفي هذا المقال يقول كاتبه : « ... لا نجد ما يبرر الدعوة للصهيونية ، بل على الضد نجد ما يبرر مقاومتها » . ويفسر المقال صعود الصهيونية « بنمو مركز صناعي جديد في فلسطين . وقد ساعد على هذا النمو ، من ناحية ، هجرة بضعة آلاف من مهرة العمال والاخصائيين من اوروبا اليه ، والحاجة الحربية الى زيادة الانتاج ، من الناحية الاخرى » . ويلاحظ أحمد عادل ان العالم يقترب « من نهاية الحرب في خطوات سريعة ، ومع اقتراب هذه النهاية يزداد النشاط بين الدوائر العالمية المسؤولة في الاستعداد وتدبير الخطط ورسم المشاريع لمواجهة مشاكل ما بعد الحرب ، وأولى هذه المشاكل ، ولا شك ، هو الانتقال من الانتاج للحرب الى الانتاج للسلم . والاختلاف من هنا ليس فقط في النوع ، بل هو اختلاف جوهري في الكم » . ويشير الكاتب الى عمل الحلفاء لرفع المستوى الاقتصادي للشعوب ، بهدف زيادة القدرة الشرائية لها ، لمواجهة هذا المشكل . الا ان كاتب المقال يستبعد نجاح هذا الحل ، مما يجعله يؤكد على حتمية توجه تفكير الدوائر المسؤولة « الى ضرورة القبض على زمام الانتاج وكبح غلوائه الحالي ، وتقييد المراكز الصناعية الصغيرة التي نشطتها حمية الحرب» . وهذا — في رأي الكاتب — « أحد الاعتبارات العامة التي تكيف سياسة الدول الكبرى من المسألة الصهيونية » . وينتقل احمد عادل بعد ذلك الى الحديث عن امريكا ، فيشير الى ازمة الاقتصاد الامريكي في أواخر الثلاثينات ، قبل حكم روزفلت ، ثم سياسة « نيوديل » التي استنها روزفلت ، والقاضية بتخفيض الانتاج والعمل على رفع القدرة الشرائية بين الشعب الامريكي ، وهي السياسة التي انتشلت الاقتصاد الامريكي . ويبين كيف ان اعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة قد « نزع السدادة عن القارورة السحرية التي يكمن فيها الجن المارد » على حد تعبير احدى نشرات الدعاية الامريكية ، وكيف ان هـذه الحرب قفزت بالانتاج الامريكي قفزات واسعة الى الامام . ويعيد المقال الموقف الامريكي القائم على ستر تأييده المحموم للصهيونية الى « اهتمام امريكا بعطف شعوب الشرق الاوسط » الذي « لا يقل عن اهتمامها بعطف بقية الشعوب ، وقد كان لاكتشافها منابع البترول في المملكة السعودية، وما أثاره من مشروعات عظيمة ، ما زاد في شدة هذا الاهتمام ، ومن هنا كان حذر الحكومة الامريكية في تصريحاتها عن موقفها من هجرة اليهود » . وبعد هذا كله يعود كاتب المقال الى فلسطين ، حيث يلاحظ ان فيها « طائفة صغيرة من اليهود المثقفين

تنبهت الى سخف الفكرة الصهيونية . وتلاقي لذلك أشد العنت والاضطهاد من بقية اليهود — وادركت ان الحل الحقيقي للمسألة اليهودية — لا في فلسطين وحدها بل في العالم أجمع — لا يكون بالدعوة المدفوعة بعوامل الانانية القومية والتعصب العنصري، بل بالاشتراك المخلص مع بقية البشر في الوصول الى المجتمع الذي يكفل الامن والرخاء للجميع . لقد استطاعت هذه الطائفة ان تغسل عقولها وقلوبها من النظرة الصهيونية السقيمة الضيقة ، كي تعمل في تضامن حميم أمين مع جميع الساعين الى الاصلاح العميق ورفع المستوى الاقتصادي بين شعوب هذا الشرق »(١١).

أما الاسهام النظري الذي يستحق هذه التسمية ، فكان لانور كامل ، الذي أصدر في ١٩٤٤ كتاب « الصهيونية » .

ويروي أنور كامل قصة تأليف هذا الكتاب ، فيقول : « كانت تصلني بعض النشرات من الخارج ضد الصهيونية . وفي الداخل كان هناك غليان ضد الصهيونية ، وكشخص مهتم بقضايا الشعب المختلفة ، تصديت لدراسة هذه المسألة ، فجمعت بعض البيانات والاحصاءات والمعلومات ، وصغت منها هذا الكتاب . وكانت لي فيه وجهة نظر ، خلاصتها : ان اليهود لهم مشكلة فعلا ، لكن حل هذه المشكلة لا يجيء على حساب الشعب الفلسطيني. ثم وفي حالة قيام دولة يهودية في فلسطين لا تحل المسألة اليهودية، وانما الحل في مجتمع عالمي ، قائم على الحرية والمساواة . وتحايلا على القريب ، استخدمت في كتابي جملة « مركب الحريات جمعاء » ، وقصدت بها الحريات السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية. وقلت ايضا ان المشكلة لا يحلها الا « جيش التحرير الافقي » ، وقد فسرته للرقيب بأنه أحد جيوش الحلفاء ! في حين قصدت به « جيش الثورة العالمية » . وأذكر انني طبعت من هذا الكتاب الف نسخة ، لضيق ذات اليد»(١٢).

وبعد ذلك ، قدم المؤلف عرضا اقتصاديا تاريخيا للمسألة اليهودية ، عبر المراحل العبودية والاقطاعية والراسمالية . فأشار الى « ان المسألة اليهودية كانت لا تبرز الى الوجود . . . الا في فترات التقلص والانكماش » . ويضرب لذلك مثلا في الامبراطوريتين اليونانية والرومانية ، حيث لعب اليهود في مرحلة نموهما دورا بارزا في التجارة والاعمال المالية ، فكان « اليهود يمثلون هنا حاجة اجتماعية تاريخية . ساهموا في التوسع التجاري بأكبر نصيب ، وقدموا القروض الضخمة لاباطرة الرومان ، فمنحهم هؤلاء من الامتيازات ما نالوه في ظل الاسكندر ». وبعد تصدع الامبراطورية الرومانية « هنا ، وهنا فقط ، عمد هؤلاء السادة الى اتخاذ اجراءين : الاول التخلص من اليهود ، وقد كانوا دائنين لجزء كبير منهم ، والثاني خلق (كبش فداء) من اليهود ، يتحول اليه سخط الجماهير الثائرة . وهكذا ، بدأت حملات التطهير ضد اليهود ، ببدء التصدع في مجتمع العبودية القديم . . . وهكذا بدأت تتولد لليهود (مسألة) . . . لانهم كانوا قد بدأوا ، في ظروف التقلص الاجتماعي والانكماش التجاري ، يفقدون وظيفتهم ، او بتعبير آخر ، لانهم أصبحوا — في هذه الظروف — لا يمثلون الحاجة الاجتماعية التاريخية التي كانوا يمثلونها فيما مضى »(١٣).

وواجه اليهود الدورة نفسها في المجتمع الاقطاعي ، في حين أدت الراسمالية الى تحرر اليهود التدريجي ، الا ان المجتمع الراسمالي — بعد الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ — ١٩٣٢) أخذ في التصدع ، وتعمقت متناقضاته « واذن ، فالى (كبش الفداء) التاريخي : الى اليهود ، كمركز للتصادم يمكن ان يتحول اليه سخط الجماهير الثائرة » . وهكذا بدأت ، منذ عام ١٩٣٣ ، في المانيا أشد الحملات تطرفا ضد اليهود ، بعد ان وصلت الفاشية الى الحكم(١٤).

ويرى أنور كامل ان مفتاح المسألة اليهودية يجب ان يبحث عنـــه « في الاجتماع والتاريخ ، أي في تطورات الوضع الاقتصادي الذي احتله اليهود داخل المجتمع خلال مراحله التاريخية المختلفة وفي تطورات العلاقات الاجتماعية التي نشأت كانعكاس طبيعي لتطورات ذلك الوضع » . وان المسألة اليهودية « تولدت خـــلال العصـــور كانعكاس للظروف الاجتماعية التاريخية ، التي شاهدتها هذه العصور . فاليهود قد ظلوا يكونون جزءاً من المجتمع منذ حوالي ٣٥٠٠ سنة ، ومن هنا فان مشاكل اليهود لا يمكن أن تكون منفصلة ، أقل انفصال ، عن مشاكل هذا المجتمع »(١٥) .

ويؤكد الكاتب أن الحركة الصهيونية ان هي « الا انعكاس لتحول النظام الرأسمالي من الحرية الى الاستعمارية ، انعكس على النهضة اليهودية ، فتحولت من الهســـكالا الى الصهيونية » (ص ٢١) .

ويشير الكاتب نفسه الى ان الوطن القومي « لم يتحول من مجرد فكرة تطوف برؤوس زعماء الصهيونية الى حقيقة سياسية واقعة الا في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) . . . ان هذا التحول لم يكن في امكان اليهود تحقيقه الا اذا اعتمدوا على القوى الاستعمارية السائدة في فلسطين » . ويستعرض الكاتب التجاء الصهيونية المتكرر للقوى الكبرى ، كظاهرة ملتصقة بالصهيونية(١٦) .

ويبدأ الكاتب في الحديث عن وعد بلفور ، حين يؤكد ان التحالف الاســـتعماري الصهيوني لم « يصطبغ بالصبغة العملية الا في الحرب العالمية الاولى » . والتناقض بين القوى المتعددة التي كانت تتنازع على اعادة اقتسام العالم في هذه الحرب هو الذي عجل في تحقيق هذا التحالف . ومظهر من مظاهر هذا التناقض كان يتمثل في انقسام الحركة الصهيونية نفسها الى فريقين : فريق قوي يؤيد المانيا « وفريق آخر يرى ان خدمة القضية الصهيونية لن تكون الا بوضع الحركة الصهيونية تحت تصرف بريطانيا بصفة خاصة والحلفاء بصفة عامة . ووجد رئيس الوزارة الانجليزية ، لويد جورج ، ووزير خارجيته ، آرثر بلفور ، في هذا التأييد كسبا للحلفاء . وكان تصريح بلفور ، في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ « أحد مواليد هذه الظروف »(١٧) .

ويورد أنور كامل ، بعد هذا ، جملة تصريحات لزعماء صهيونيين ، تعكس مدى ارتباط الصهيونية بالامبريالية . ثم يعزز هذا المعنى بالاشارة الى حجم رأس المال الانجليزي والامريكي المصدر الى فلسطين (الاول ٢٠ مليون جنيه، والثاني عشرة ملايين جنيه استرليني)(١٨) .

ويرى مؤلف كتاب « الصهيونية » ان الحل الصحيح للمسألة اليهودية « يتمثل في كفاح الشعوب من أجل بناء مجتمع جديد ، لا اثر فيه لأي شكل من أشـــــــــكال الاضطهاد »(٩) .

وينتقل الكتاب الى الصهيونية في التطبيق ، فيصف دعوات زعماء الصهيونية الى التآخي مع العرب ، بالمخادعة والكذب . ويدلل على ذلك بأن « الهجرة اليهودية قد طردت عددا كبيرا من الفلاحين العرب من الاراضي التي كانوا يعيشون عليها . . . وان الاقتصاد الاسرائيلي اليهودي قد وقف عثرة في سبيل الاصلاح الزراعي في البلاد » . ويشير الى اعتراف الزعيم الصهيوني ، سميلانسكي ، بأن ٩٠ الى ٩٥٪ من الاراضي التي بيعت للصهيونيين كانت ملكا لكبار الملاك . ويصل الكاتب من ذلك الى استنتاج مؤداه انه «لو كان الفلاح العربي يمتلك الارض التي يرتبط بها ويعمل فيها مدى الحياة، لما استطاع الصهيونيون اغراءه بأية وسيلة من الوسائل على ان يتنازل عنها . . . ومن

هنا محاربة الصهيونية لاي اصلاح زراعي أو أي تحسن في حالة الفلاح .... ومن الواضح ان ظروف شراء الارض ستسوء بتحسن الظروف الزراعية »(٢٠).

ويرد انور كامل على اعلان الصهيونيين المستمر بأنهم حولوا فلسطين الى بلاد صناعية ، بأن الصهيونية تقاطع الصناعة العربية الفلسطينية ومنتجات الفلاح العربي واليد العاملة العربية(٢١).

ويدلل بجملة من الاحصائيات الرسمية، ليدحض ادعاءات الصهيونيين بأنهم ساهموا في التقدم الصحي والثقافي في فلسطين(٢٢).

ويشير المؤلف الى رفض الصهيونيين تحقيق نظام دمقراطي في فلسطين ، ويستشهد بمقال لبن غوريون ، نشره عام ١٩٢٨ ، قال فيه : « من أجل المحافظة على السلم في البلاد ، ومن أجل حماية جماهير الفلاحين من مـلاك الارض الكبار ، ومن أجل تأمين هجرة اليهود ، وصيانة حقهم في الوطن القومي ، يجب استمرار حكم الانتداب »!(٢٣).

ويتحدث الكاتب ـــ بعد ذلك ـــ عن موقف الاقطاعيين العرب الفلسطينيين مـن الصهيونية ، فيشير الى ان « أغلبيتهم الساحقة معادية للصهيونية ، بل معادية لليهود كيهود . انهم بحكم طبقتهم يكرهون أي تغيير يطرأ على حياة البلاد ، ويتوقون الى ظروف الماضي واوضاعه : ظروف النظام الاقطاعي الآخذ في التصدع . ومن هنا حملات الارهاب والافناء التي يثيرونها ضد اليهود . ولكن هذا لا يمنع ـــ بطبيعة الحال ـــ من وجود فريق من بينهم مستعد لاتباع سياسة التوفيق اما مع الاستعمارية على حساب الصهيونية ، واما مع الاستعمارية والصهيونية معا »(٢٤).

والبورجوازيون العرب الفلسطينيون ـــ في رأي المؤلف ـــ « تابعون لرأس المـال الاجنبي في معظم الحالات . فالرأسمالية العربية لم تنم بعد النمو الكافي ، ولم تستقل بعد الاستقلال الكافي ، اللذين يسمحان لها بأن تضع يدها على مفاتيح الصناعـة الفلسطينية ، أو أن تنزع هذه المفاتيح من بين يدي رأس المال الاستعماري . هـذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الصناعة الخفيفة بأكملها تكاد تكون في ايدي الصهيونيين. ومن هنا الصراع الاقتصادي ، ثم السياسي ، الذي تخوضه الرأسمالية العربية ضـد رأس المال الاستعماري وضد رأس المال الصهيوني . ولكن نظرا لضعف الرأسمالية العربية من ناحية النمو الاقتصادي ، ونظرا لاعتمادها على رأس المال الاجنبي ، ونظرا لارتباطها بطبقة مـلاك الارض ، فان اقساما منها يؤدي بها كفاحها الى المساومة ، ثم الى التعاون على نحو من الانحاء »(٢٥).

« واما الطبقات العاملة ... فان مقاومتها للصهيونيين اشد واعنف ... فالطبقات الدنيا في المجتمع العربي هي التي لاقت من التوسع الصهيوني أشد أنواع الضـغط وأعنف ألوان الاضطهاد . يضاف الى هذا انه ليس في مصلحتها ، ولا من مصلحة فريق منها ، أن يتبع سياسة المساومة او التعاون .... لقد كان لزحف اليهود الى فلسطين رد فعل طبيعي في عرب فلسطين . فالدعـوة الى الزحف قابلتها دعـوة أحد ضـد الزحف ... ولسوف يستمر الكفاح كأعنف ما يكون الكفاح ، حتى يتحقق للشعب العربي في فلسطين أمل الاستقلال والحرية »(٢٦).

ويلقي المؤلف الضوء على اتجاهين ماكرين في الحركة الصهيونية ، وهما اتجاهي « هاشومير هاتسعير » و « ايحود » ، ويحمل الاول شعار « من أجل الصهيونية ، من أجل الاشتراكية ، ومن أجل التضامن بين الشعوب » . وتمثل الاتجاه الثاني جماعة صغيرة من البورجوازيين الليبراليين أمثال الدكتور ماغنس وكالفاريسكي ، تدعو الى التعايش بين العرب واليهود . ومن خلال كتابات وخطب زعماء هذين الاتجاهين ،

يصل المؤلف الى ان الاتجاه الاول يدعو الى المساواة العددية بين اليهود والعـرب ليس في فلسطين فحسب بل مضافا اليها البلاد المجاورة . أما الاتجاه الثاني فيتفق مع الصهيونية في الاهداف وان اختلف معها في الاساليب(٢٧) .

ويكشف أنور كامل سر الرداء الاشتراكي الذي ارتدته الحركة الصهيونية ، فيعيد ذلك الى دخول كثير من فقراء اليهود الى الحركة الاشتراكية، مما أفزع قادة الصهيونية، وأقنعهم بضرورة ارتداء ثوب عمالي مزيف بهدف تضليل العمال اليهود ، والزعم لهم « ان الطبقات العاملة اليهودية لا يمكن ان توفق ما بينها والطبقات العاملة العالمية ، نظرا للهوة السحيقة التي خلقتها بينهما الظروف الاجتماعية والتاريخية » . ويعيد المؤلف وقوع قطاعات واسعة من العمال اليهود في فلسطين تحت تأثير الصهيونية الى الاسباب التالية : ١ ــ لانهم يتمتعون بامتيازات يتفوقون فيها على العمال العرب . ٢ ــ ولانهم يعيشون داخل اقتصاد صهيوني مغلق ، وفي احضان مجتمع صهيوني ، بينه وبين المجتمع العربي هوة بعيدة الغور ، الامر الذي كان له اكبر الاثر على تنميـة الاحساس « الطائفي » بينهم . ٣ ــ وبسبب عدم اعتناء حكومات الحلفاء ، العناية الكافية، بيهود اوروبا، مما قوى الاعتقاد لدى يهود العالم بأن لا خلاص الا في فلسطين. ٤ــ واخيرا ، بسبب نجاح قادة الصهيونية في تصوير الحركة الوطنية الفلسـطينية كحركة رجعية، معادية لليهود، الامر الذي جعل اليهود يعتقدون ان في تقوية الصهيونية حماية لليهود من « الخطر العربي » !(٢٨) .

وينتهي الكاتب التروتسكي المصري الى «ان الصهيونية حركة استعمارية مركبة . . . وان نجاح (الجيش الافقي) يتطلب القضاء النهائي على هذه الحركة » . وأوضح ان التقدميين يحاربون الصهيونية « هذه الحرب (لانها) حركة تعمل على تضليل (جيش اليهود الافقي) ، وتوجه كفاحه الى غير وجهته المنطقية الصحيحة ، بابعاده عن موجة (التحرر العام) »(٢٩) .

ولعل في هذا العرض الموجز الوافي لكتاب «الصهيونية»، ما يوضح مدى تمسك كاتبه بالفكر الماركسي اللينيني ، والمنهج المادي . وانور كامل في كتابه هذا مخلص للموقف التروتسكي القديم من الصهيونية . فتروتسكي كان له موقف الماركسية اللينينية منها ، ولا يكاد يختلف في شيء عنها . اذ من المعروف انه تصدى للبوند في مؤتمر حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، المنعقد في تموز (يوليو) ١٩٠٣ ، حين طالبوا بتنظيم مستقل لليهود . ورأي تروتسكي ان حل المشكلة اليهودية « ليس في تأسيس دول يهودية ضمن دول أخرى غير يهودية ، ولكن في اعادة تركيب المجتمع تركيبا أمميـا متماسكا » . وضمَّن تروتسكي مقالا له ، نشره في اول كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، هجوما قاسيا على الصهيونية حيث اتهمها بالافلاس . وظل تروتسكي على موقفه هذا من الصهيونية حتى عام ١٩٤٠ ، حين تراجع عنه ، وأقر ــ تحت ضغط تأثره بالمذابح التي نظمتها النازية لليهود ــ بأهمية ان يكون لليهود وطن(٣٠) وعليه لا يكون أنور كامل مستجيبا للموقف التروتسكي الجديد من الصهيونية . مما يجعل كتابه عنها مطابقا ــ من الناحية الفكرية ــ للموقف الماركسي اللينيني ، لا التروتسكي .

وصدور كتاب أنور كامل عن « الصهيونية » ، في هذا الوقت المبكر ، وبهذا الفكر العلمي الواضح ، اعتبر ــ بحق ــ فتح جديد في مجال الابحاث والدراسات عن هذه الحركة الخطيرة . ويمكن اعتباره ــ دونما خشية من مبالغة ــ رائدا في هذا المجال في الوطن العربي ، اذ بعد صدور هذا الكتاب جاء كتاب فرج‌الله الحلو في لبنان ، وكتاب

قاسم حسن في العراق ، وكتاب صادق سعد في مصر ، في الموضوع نفسه وبالمنهج الماركسي ايضا .

* * *

وعانت المجموعة التروتسكية من الملاحقة الحكومية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وغابت مواقف هذه المجموعة الخاصة بالقضية الفلسطينية مع تقلص النشاط الكلي للمجموعة . وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين ، ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، أصدر أنور كامل كراس «أفيون الشعب» ، معتبرا «موسكو أفيون الشعب»، حسب عنوان أحد الفصول . وقال انه يريد فقط ابراز « مدى المسخ الذي يمكن ان تعمد اليه ــ لتبرير اخطائها ــ طبقة حاكمة جديدة . أليس من العجيب ، مثلا ، ان يتهم تروتسكي بالجاسوسية ، حتى في الوقت الذي كان يتولى فيه وزارة الدفاع ، ويقود الجيش الاحمر، ويقهر المحاولات التي بذلتها الدول الرأسمالية لسحق الثورة ؟ » وينتهي أنور كامل الى التنديد بما أسماها « البيروقراطية الكرميلينية » ، لموافقتها على تقسيم فلسطين ، والشيء نفسه فعله المؤلف عند حديثه عن ستالين وعن الاحزاب الشيوعية العربية . وفي نهاية الكراس يعتذر الكاتب « للاصدقاء الاعزاء، الذين حاولوا ان يثنوني عن نشر هذه الاحاديث ، حرصا على مستقبلي السياسي ، فيما يتصورون » . وكأنه أحس بمدى رد الفعل والاستنكار لما أقدم عليه ! وانتهى أنور كامل ــ في كتابه هذا ــ الى مطالبة الشعوب بتكوين معسكر ثالث ، غير المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي(٣١) .

وبصدور « أفيون الشعب » لفظت جماعة « الخبز والحرية » آخر أنفاسها . اذ اعتبر هذا الكراس ارتدادا من قائد الجماعة عن الماركسية . وبذا طويت صفحة التروتسكية في مصر الى يومنا هذا .

---

١ ــ د. رفعت السعيد : جلسة معه ، ١١/٨/ ١٩٧٠ . (ويعتبر الدكتور السعيد ــ بحق ــ مؤرخ اليسار المصري) .

٢ ــ النيابة العسكرية العليا (القاهرة) : أقوال المتهم الاول، أنور كامل ، أمام النيابة العسكرية العليا في قضية الاشتراكية ، المتهم فيها مع اعضاء جمعية « الخبز والحرية » ، بالاتفاق الجنائي على قلب نظام الحكم بالقوة ، حزيران (يونيو) ١٩٤٢ (مخطوط أطلعني عليه الاستاذ أنور كامل مشكورا) .

٣ ــ أنور كامل ، جلسة معه ، ١٩٧٢/١١/٢٢.

٤ ــ النيابة العسكرية العليا ، مصدر سبق ذكره .

٥ ــ أنور كامل ، جلسة معه ، ١٩٧٢/١١/٢٢.

وقد توفي جورج حنين عام ١٩٧٣ في باريس ، وكان أحد أبرز قادة سكرتارية باريس ، احدى انشقاقات الاممية الرابعة ، واتهم قبل وفاته بالاشتراك في تدبير اضطرابات سيلان عام ١٩٧٢ . أما رمسيس يونان فكان أبرز النقاد التشكيليين في مصر ثم سافر الى باريس حيث عمل مذيعا في اذاعتها ، الا انه هجرها عام ١٩٥٦ ، بعد ان شاركت فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر . وعمل بعد ذلك ناقدا للفن التشكيلي في صحيفة « الاهرام » القاهرية الى ان وافته المنية في اواخر ١٩٦٦ . وكامل التلمساني من مخرجي الواقعية في السينما المصرية ، وتوفي في اواخر ١٩٧٣ . أما لطفالله سليمان فهو صاحب دار النديم للنشر في القاهرة والتي صادرتها الحكومة المصرية في اوائل عام ١٩٥٩ ، بعد ان قدمت طوال أكثر من ثلاث سنوات العديد من الكتب التقدمية ، ولطفالله الآن في باريس ، بعد ان ترك الجزائر حيث عمل ضمن مستشاري الرئيس الجزائري السابق ، أحمد بن بيلا . والدكتور مجدي وهبة هو الآن وكيل وزارة الثقافة المصرية ونجل

مراد وهبة باشا . وبالاضافة الى كل هؤلاء كتب في « التطور » كل من : توفيق حنا ، فيصل عبد الرحمن شهبندر (سوري) ، زكي سلامه ، حسن محمود ، زاهر غالي ، واحمد رشدي ، عبد العزيز هيكل ، محمد صادق دراج ، أنور شتا ، ومحمد العزاوي .

٦ ــ النيابة العامة العسكرية العليا ، مصدر سبق ذكره .

٧ ــ أنور كامل ، جلسة معه ، ١٩٧٢/١١/٢٢ .

٨ ــ المصدر نفسه .

٩ ــ النيابة العامة العسكرية العليا ، مصدر سبق ذكره .

١٠ ــ المصدر نفسه .

١١ ــ المجلة الجديدة ، العدد ٤٣٩ ، آذار (مارس) ١٩٤٤ ، ص ٦ــ٧ .

١٢ ــ أنور كامل ، جلسة معه ، ١٩٧٢/١١/٢٢.

١٣ ــ أنور كامل ، الصهيونية ، دار المطبوعات الشعبية ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٤٤ ، ص ١٣ــ٤١ .

١٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٩ــ١٢ .

١٥ ــ المصدر نفسه ، ص ٨ــ٩ .

١٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٢ــ٢٤ .

١٧ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٥ــ٢٦ .

١٨ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٧ــ٢٨ .

١٩ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

٢٠ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٩ــ٣٤ .

٢١ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٦ــ٣٨ .

٢٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٩ــ٤٠ .

٢٣ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٠ــ٤١ .

٢٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٢ــ٤٣ .

٢٥ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٣ــ٤٤ .

٢٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

٢٧ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٥ــ٥١ .

٢٨ ــ المصدر نفسه ، ص ٥٢ــ٥٨ .

٢٩ ــ المصدر نفسه ، ص ٥٨ــ٥٩ .

٣٠ ــ ناجي علوش: الماركسية والمسألة اليهودية، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٦ــ٣٨.

٣١ ــ أنور كامل ، أفيون الشعب ، القاهرة ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، ص ٢٢ ، ٣٧، ٦١ ــ ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ .

اليسار الاميركي والقضية الفلسطينية

كـارن فرسـون
د. سميح فرسون
السكسي عـجي

هدف هذا المقال تحليل مواقف وممارسات التنظيمات اليسارية في الولايات المتحدة من الصراع في الشرق الاوسط ، وخاصة ما يتعلق بحرب تشرين والقضية الفلسطينية*. وتعتمد هذه الدراسة على تحليل لمضمون منشورات هذه التنظيمات كالبرامج الحزبية والبيانات والاجابات على الاستفسارات المكتوبة(١). وتعتبر التنظيمات المشمولة في هذا المقال نفسها ماركسية ومعادية للاستعمار ، وهي منظمة رسميا على نطاق وطني و/او اقليمي ، وهي تصدر برامج سياسية رسمية . وتشكل هذه التنظيمات ومطبوعاتها قطاعا عريضا من وجهات النظر حول اليسار ، وهي تشمل تقريبا كل التنظيمات اليسارية الرئيسية الاميركية الناشطة حاليا . ولكن تجدر الاشارة الى ان عضوية هذه التنظيمات والاحزاب تضم نسبة صغيرة لا تزيد على ١٥ ــ ٢٠ ٪(٢) من مجموع اليساريين في الولايات المتحدة . وهكذا فان الغالبية العظمى من اليساريين لا ينتمون الى هذه الاحزاب ، وهم غير منظمين ومتفرقون في ارجاء البلاد . ورغم ذلك فان معظم اليساريين يقرأون مطبوعات التنظيمات اليسارية كما تدل على ذلك ارقام توزيعها(٣). وهناك آخرون يقرأون صحفا سرية يقوم معظمها بتفسير الاحداث المحلية والعالمية من وجهة نظر تقدمية(٤). ورغم ان هذه المنشورات والمطبوعات تمثل جزءا صغيرا من اليسار الاميركي ، فان مضمونها يعتبر المصدر المنتظم الوحيد لمواقف اليسار من الشرق الاوسط . وهكذا فان تقييم مواقف هذه الفئة يعرفنا الشيء الكثير عن اليسار الاميركي كله .

كانت أول تنظيمات يسارية ظهرت في الولايات المتحدة الحزب الاشتراكي (الذي سمي الديمقراطية الاشتراكية ، الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، والحزب الديمقراطي في مراحل مختلفة من نموه) ، وحزب العمل الاشتراكي (وهو محصلة الاحزاب العمالية التي أنشأها المهاجرون الالمان وغيرهم) ، وعدد من احزاب العمال التقدمية مثل عمال العالم الصناعيين ، حزب الفلاح والعامل في منيسوتا ، وحزب العمل الاميركي في ولاية نيويورك . وتلتزم معظم هذه الاحزاب تكتيكيا ، ان لم يكن فلسفيا ، بالوصول الى السلطة السياسية عن طريق الانتخاب وبالاصول البرلمانية . كما ان معظم هذه الاحزاب اصلاحية في متابعة أهدافها الاقتصادية داخل اتحادات العمال ، وفي دعوتها لتأميم الخدمات والصناعات الاساسية ، وفي معارضتها لسياسة الولايات المتحدة الخارجية المتعلقة بالاستيلاء على أراضي الاخرين خارج اميركا ، وبالاشتراك في الحرب العالمية الاولى .

وتم انشاء الحزب الشيوعي الاميركي في اوائل العشرينات ، على اثر انتصار ثورة اكتوبر في روسيا . وقد ازدادت قوة هذا الحزب بسرعة في العشرينات (على حساب الاحزاب الاشتراكية

---

* كان من المفروض ان ينشر هذا المقال الذي وصلنا في صيف ١٩٧٤ في عدد اكتوبر من «شؤون فلسطينية» ، أي في الذكرى الاولى لحرب تشرين . الا ان رئاسة التحرير اضطرت الى تأجيله مرارا بسبب طوله بالنسبة الى الحجم المعتاد في دراسات المجلة .

والعمالية الى حد ما) ولكنه ما لبث ان انقسم على نفسه نتيجة للانقسام الستاليني — التروتسكي في الاتحاد السوفياتي . وقد تم انشاء حزب تروتسكي في أواخر الثلاثينات وهو حزب العمال الاشتراكي .

ولم يتمكن اليسار القديم من الانطلاق اثناء الازمة الاقتصادية الكبرى في اوائل الثلاثينات لان التحركات الشعبية (الى داخل والى خارج التنظيمات الاشتراكية والعمالية) و« صفقة روزفلت الجديدة » ، والتطهيرات الستالينية ، قد افقدت اليسار الكثير من رونقه . ومع ذلك فان تأثير اليسار في شكل ميول يسارية — ليبرالية قوية كان ملموسا في اوساط المفكرين والصحفيين والطلاب ومسؤولي « الصفقة الجديدة » ، والمستشارين ، واليهود الذين كان وجودهم في قوى اليسار لا يتناسب مع نسبتهم العددية(٥).

ويبدو ان اليسار القديم كان متعاطفا مع الصهيونية ، ولكن موقفه المؤيد للصهيونية تبلور اثناء تصاعد النازية في المانيا ، والارهاب النازي ، والحرب الفلسطينية التي ادت الى خلق دولة اسرائيل . والامر الذي ادى الى تقوية مشاعر اليسار القديم تجاه الصهيونية واسرائيل كان (وربما لا يزال) الشعور القوي بالذنب نظرا لعدم فعالية رده على الفظائع النازية . وبالاضافة ، فان كون حكومات اسرائيل خضعت باستمرار لسيطرة حزب يميني اشتراكي (اشتراكي ديمقراطي) ، ووجود اتحاد العمال الاشتراكي « الهستدروت » وحركة « الكيبوتزات » التعاونية قد دعمت من عطف اليسار على اسرائيل . وهذا يفسر جزئيا الدعم الذي تلقاه اسرائيل من الاحزاب الاوروبية الاشتراكية الديمقراطية والتي كانت تسمى بالاحزاب العمالية أو الاشتراكية . اما الحزب الشيوعي الاميركي فقد اتبع ، كالاحزاب الشيوعية في أوروبا ، موقف الاتحاد السوفياتي في الاعتراف بدولة اسرائيل .

ويبدو ان اليسار القديم لم يكن يعتبر الفلسطينيين العرب بشرا ، أو ربما تكون الدعاية الصهيونية التي ركزت على « فلسطين ارض بلا شعب » قد قبلت بدون أي تساؤل . وفي كلا الحالتين ، ومع قيام دولة اسرائيل وتشتت الفلسطينيين اتخذ الصراع في الشرق الاوسط شكل صراع بين دول : اسرائيل من جهة والدول العربية من جهة اخرى .

وقد استمر اليسار القديم في اوروبا والولايات المتحدة في تأييد اسرائيل ما بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ . وكان هذا اليسار يعمل تحت تأثير خرافات كثيرة، كخرافة الديمقراطية الاسرائيلية(٦)، وخرافة كون اسرائيل بالنسبة للعرب كداود بالنسبة لجوليات . وهكذا فقد تجاهلت احزاب اليسار القديم الطبيعة الاستيطانية — الاستعمارية للصهيونية واسرائيل .

ومع ان اسرائيل مارست سياسات رجعية ، داخليا وخارجيا ، منذ انشائها ، فان اليسار الغربي — ربما باستثناء الاحزاب الشيوعية — اما تجاهل تلك السياسات او وجد لها تبريرا طبقا لخطوط الدعاية الصهيونية . فقد تجاهل اليسار الاوروبي تأييد اسرائيل لتدخل الولايات المتحدة في كوريا ، وتأييدها لفرنسا في فيتنام مع معارضتها لنضال الشعب الجزائري الوطني التحرري ، واشتراك اسرائيل في الهجوم الاستعماري الثلاثي على مصر (حرب السويس عام ١٩٥٦) ، وموقف اسرائيل المؤيد للاستعمار الاميركي في حرب فيتنام ، وموقف اسرائيل الصريح المؤيد للاستعمار في مجال العلاقات الخارجية . اما في المجال الداخلي ، فان رفض اسرائيل عودة اللاجئين الفلسطينيين ، واضطهادها للاقلية العربية الفلسطينية التي لم تنزح ، ووضع هذه الاقلية تحت الحكم العسكري ، يبدو انها أمور لم تنتقص من حماس وتأييد اليسار القديم لاسرائيل .

ولم يحدث اي تغيير جذري في موقف اليسار من الصهيونية واسرائيل وفلسطين ، وبالتالي من العرب ، الا بعد بروز اليسار الجديد في الولايات المتحدة وعالميا في الستينات. وقد اتت حرب حزيران ١٩٦٧ ، مع تطور الحركة المعادية للاستعمار في الولايات المتحدة حول دور اميركا في فيتنام ، لتنسف خرافات اليسار الاميركي حول اسرائيل ، ولتفضح طبيعتها الحقيقية . وقد كانت تلك اللحظة نقطة تحول تاريخي في علاقة اليسار الاميركي (والاوروبي) بالصهيونية واسرائيل ، لدرجة ان الالتزام التام للمفكرين واليساريين — الليبراليين والديمقراطيين الاشتراكيين قد انتهى منذ تلك اللحظة(٧).

اليسار الجديد والاستعمار وتحرير العالم الثالث : ان المصادر البنيوية لليسار الجديد تأتي من التناقضات المتزايدة في الحدة للرأسمالية

الاميركية والاستعمار الاميركي . وتمتد جذور اليسار الجديد الى فترة الستينات الحرجة والدقيقة التي ولدت عدة حركات احتجاج وحركات تقدمية: الحقوق المدنية والقوميــة السـوداء ، الحضارة البديلــة (الهيبيون) ، الحركة الطلابية (وخاصة الطلاب من اجل مجتمع ديمقراطي) ، وحركات السلام والعداء للحرب (فيتنام) ، والحركة النسائية(٨). وقد نمت كل هذه الحركات عقائديا باتجاه تأييد نضال السود في اميركا ، وضد التدخل في فيتنام ، ومن اجل تحرير النساء .

وقد تطورت هذه الحركات باتجاه تجمعات ذات وجهات نظر سياسية ثورية تشدد علــى التحليل المادي للمجتمع الامــيركي ، والى عقيدة معادية للرأسمالية ومعادية للاستعمار تعمل للتضامن بين البروليتاريا ، وفي العالم الثالث وبين الشعوب المضطهدة الاخرى . وعلى اساس هذه العقيدة ، بدأت حركة المقاومة الفلسطينية — التي بعثت بعد حرب ١٩٦٧ — وحركة التحــرر العربية المعادية للاستعمار الغربي الجديد — وخاصة الاستعمار الاميركي الجديد — بدأت تحظــى بعطف اليسار الاميركي بسرعة متزايدة، وكذلك بعطف بعض فصائل اليسار القديم التي اعيــد احياؤها ، وخاصـــة الفصائل المهتمة بمركزية حركات التحرر الوطني في العالم الثالث بالنسبة الى التطور الثوري العالمي.

بعث اليسار : ادى اليســار الجديد في اميركا الى خلق عدة منظمات جديدة رسمية وغير رسمية. وتشكل هذه المنظمات ، بالاضافــة الى منظمات اليسار القديم التي اعيد تنشيطها ، بعث اليســار في الولايات المتحدة واوروبا . وهذا اليسار الجديد ماركسي الاتجاه الى حد كبير ، وقد وجه انتقادات خطيرة الى اليسار القديم الليبرالي والــى الميول الديمقراطية الاشتراكية . ولكن هذه التنظيمات ليست كبيرة من حيث عددها وعدد اعضائها وتوزيع مطبوعاتها . وهي لم تستطع للآن تغيير مواقف عدد كبير من الناس من العقيدة البورجوازية المسيطرة ، كما انها لم تبعدالقراء عــن متابعة الصحــافة الليبرالية والتجارية السائدة . ولكــن من ناحية اخرى يقوم الذين يعتنقون أفكار اليسار الجديد ، وخاصة الماركسيــون ، بنشر افكارهم مــن خلال نشاطات اجتماعية وسياسية عديدة . فهم يشاركون وغالبا ما يقودون نشاطات لها قاعدة جماهيرية ، مثل اقامة وحماية العيادات الصحية المجانية او الزهيدة التكاليف ، والاحتجــاج على تلويث البيئة بمشاريع الاعمار ، واقامة المهرجانات السياسية المحلية المعادية لاجهزة البلديات الحكومية الفاسدة، وانشاء التعاونيات المختلفة للبقالة والمؤن والاسكان ورعاية الاطفال ، وتنظيــم مظاهرات احتجــاج للمستهلكين ضد التضخم المالي . وهم يعملون أيضا على بناء حركة من صغار الموظفين والعمال داخل النقابات(٩)، ويساعدون على تنظيم حملات تأييد للنقابات التقدمية . ومن الامثلة على ذلك ، تأييد اتحاد عمال الزراعة الاميركي ، واتحاد عمــال الحياكة ، واتحاد عمال المستشفيات رقم ١١٩٩ . وتهدف كل هذه الحملات الى تنظيــم القطاعات العمالية المستغلة اكثر من غيرها والتي لم تنضم الى النقابات .

ويشارك الماركسيون ايضا في التنظيمات الطلابية الجامعية ، بما فيها التحالف المعادي للاستعمار بين الاقلية الاميركية والطلاب الاجانب . وقد أنشأوا العديد من الحلقات التعليمية الصغيرة في معظــم الجامعات لدراسة الماركسية وتطبيقها على الوضع الحالي في اميركا . وقــد نشــط الماركســيون بشكل خــاص في تطــوير « الصحافة السرية »، وهــي نتيجــــة لتــكاثر الصحف المحــــلية المنــاوئة للمؤســســة الحــاكمة والموجهــة الى الفقراء والبروليتاريا . وتقوم « الصحافة السرية » باعطاء معلومات عن الصراعات المحلية (مثل نضال العمال والمدافعين عن البيئة اللذين ذكرا قبلا) وبتحليلها وتقديــم تفســيرات بديلــة للاخبــار العالمية(١٠). ومن الامثلة على الصحف السرية صحيفتا **سبارك** التي تصدر في منطقة واشنطن ، و **اون ذي لاين** التي تصدر في بلتمور ، ماريلاند .

وهناك جانب أساسي من اليسار المعاصر في الولايات المتحدة يجب ان نشير اليه وهو انه ممزق وان كل فئة من فئاته متعصبة لنفسها ولفكرها كثيرا. فكل فئة تنتقد غيرها انتقادا مريرا وغالبا ما تشتبك هذه الفئات مع بعضها بعضا . وقد يكون هــذا التمزق عاملا حاسما مــن عوامل عجز اليسار الاميركي بشكل عام . وهكذا يجب ان يبقى واضحا في ذهن القارىء ان اليسار الاميركي ما يزال نسبيا قوة هامشية في اميركا رغم الزيادة الكبيرة في حجمه مؤخرا . وسنعالج في هذا المقال كل فئة او تنظيم

على حدة .

التيارات الرئيسية الحالية

في أوساط اليسار عدة تيارات رئيسية حاليا . ورغم اننا سنفصل بين هـذه التيارات لتسهيل التحليل ، فهناك في الواقع بعض التطابق والتبادل فيما بينها ، لان التطور الجدلي للافكار والخبرة التاريخية تخلق تغييرا او تحولا في العقيدة والعضوية والتحالفات فيما بين هذه التنظيمات المختلفة .

هناك اولا الحزب الشيوعي الاميركي الذي يتبع خط موسكو . وهذا الحزب يتألف من اجنحة يسارية من تنظيم « عمال العالم الصناعيين » و« الحزب الاشتراكي» اللذين كانا قائمين في أوائل العشرينات . وقد كان هذا الحزب المنظمة الماركسية الاولى في الولايات المتحدة ، وخاصة في العشرينات وأثناء الازمة الاقتصادية الكبرى . وهو ما يزال يتبع خط موسكو ، ويصدر صحيفة يومية **ذي دايلي ورلد** (والتي كانت تسمى سابقا **ذي دايلي وركر**) وهي اوسع مطبوعات اليسار الاميركي انتشارا .

يتألف التيار الثاني من عدد مـن التنظيمات التروتسكية . ومن بين هذه التنظيمات : « حزب العمال الاشتراكي » وتنظيمه الشبيبي ، و« التحالف الاشتراكي الشاب » . والتنظيم الاخير هو اكبر وأقدم التنظيمات التروتسكية ، على الاقل من حيث حجم توزيع صحيفته **ذي ميليتانت** . وقد نشأ حزب العمال الاشتراكي في العشرينات على اثر انشقاق تروتسكي عن الحزب الشيوعي الاميركي بعد المؤتمر الشيوعي العالمي الرابع . وقد تم تأليف الحزب رسميا في اواخر الثلاثينات (وشكل جناحه الشبيبي في الستينات) ، وهو ما يزال التيار التروتسكي المهيمن . وحزب العمال الاشتراكي، ككل التنظيمات التروتسكية ، هو حزب كوادر ، وكان يتألف من عمال صناعيين ما بين ١٩٤٠ و١٩٦٠ . ومنذ عام ١٩٦٠ عمد الحزب الى توسيع القاعدة الطبقيـة لكوادره .

وقد أدت تيارات فرعية داخل التيار التروتسكي العام الى انشقاقات من حزب العمال الاشتراكي والاحزاب الاخرى في الخمسينات مثل الاشتراكيين العالميين ، الذي يصدر **وركرز بـاور** وفي السنوات الاخيرة مثل الحلف الثوري الاشتراكي، الذي يصدر **تورش** ، والحلف الاسبرطي ، وفرعه للشبـان المسمى سبارتكوس الصغير (يونغ سبارتكوس) ، وهو يصدر **وركرز فانكارد** ، وعصبة العمال ، الذي يصدر **ذي بوليتين** ، وعصبة الصراع الطبقي، الذي يصدر **كلاس ستراغل** .

وقد ابتعد حزب العمال العالمي ، وهو انشقاق قديم عن حزب العمال الاشتراكي ، عن العقيدة التروتسكية — وخاصة حول الصين وفيتنام — الى درجة يمكن معها اعتباره التيار الثالث المستقل . ولكوادر هذا الحزب ومؤيديه ، وخاصة في جناحه الشبيبي المسمى «الشبان ضد الحرب والفاشية» ، نشاط ملموس من اجل عدة قضايا بما فيها قضية فلسطين ، وبكافة الاشكال كالتظاهرات والحلقات الدراسية والمحاضرات وأيام التضامن الخ . اما صحيفة الحزب فهي **وركرز ورلد** .

اما التيار الرابع فقد ظهر على المسرح الاميركي منذ الستينات فقط . وهو يضـم مجموعة مـن المنظمات الماركسية — اللينينيـة التي تستوحي افكارها من الفلسفة الثورية الصينية ، ولكنهـا منقسمة على نفسها . وهذه المنظمات المناوئـة لليسار القديم تشكل تيارا رئيسيا من تيارات اليسار الجديد . وتنتمي كوادر هذه المنظمات الى العمال والطلاب والمثقفين ، وهي تضم « عصبة اكتوبر » التي تصدر صحيفة **ذي كول** (النداء) ، و« الاتحاد الثوري » وتنظيمه الطلابي « كتيبة اتيكا » ولهما صحيفتا **ريفوليوشن** (الثورة) و **فايت باك** . ويجب ان نذكر ان هنـاك عددا كبيرا من المجموعـات الدراسية ومجموعات العمل الجماهيري التي تلتزم فلسفيا بهذا التيار ، ولكنها غير منظمة ضمن الاطر الحزبية . وأوسع مطبوعة مقروءة لهذا التيار هي **ذي غارديان** ، والتي لا تصدر عن اي حزب معين . ولكن **ذي غارديان** تنشط في محاولة تجميع هذا التيار كله في حزب وطني . وينشط كوادر ومناصرو هذا التيار في تنظيم العمال والطلاب وفي اظهار تضامنهم مع نضال حركات التحرر في العالم الثالث بما فيها فلسطين .

اما حزب العمل التقدمي ، وهو انشقاق يساري عن الحزب الشيوعي الاميركي ، فقد كان يؤيد صين ماو في بداية عهده ، لكنـه اخذ — منذ العـام ١٩٧٠ — ينتقد بشدة ما يراه على انه اتجاه وسطي ويميني في جمهورية الصين الشعبية . وهذا الحزب

بالتالي يشكل التكتل الخامس المستقــل ، وهو يحاول حاليا تنظيم مؤتمر عالمي جديد لليسار . وهذا الحزب ينشط في تنظيم العمال وفي اظهار تضامنه مع نضال الشعوب المضطهدة في الولايات المتحدة وخارجها . وهو يصدر صحيفة **ذي تشالنج** .

أما التيـــار السادس فيتألف مــن المنظمات والمؤتمرات الحزبية داخل التنظيمــات العريضة للاقليــات المضطهــدة في اميركــا ، كالســـود والبورتوريكيين وغيرهم . ويضم هذا التيار على وجه التحديد المنظمات الراديكالية السوداء « كالفهود السود » و« مؤتمر العمال السود » و« حلف العمال السود الثوري » و« عصبة العمل في المدينة » . وتقوم هذه المنظمات بالاشتراك مــع « الحزب البورتوريكي الاشتراكي » و« منظمة العمال البورتوريكيــين » و« حركـــة الهنـــود الاميركيين » باظهار تضامنها مع حركات التحرر في العالم الثالث بما فيها الحركة الفلسطينية . وقد فوجئت حركة «تشيكانو» المؤيدة تماما للفلسطينيين، وخاصة فرقتها المسرحية ، حــين أعلن ســيـزار تشافز — زعيم منظمة « عمال الزراعة المتحدين » المناضلة تأييده العلني لاسرائيل(١١).

أما التيار السابــع فيتألف من الديمقراطيــين الاشتراكيين ومن مجموعات تقدمية أخرى لم تتخذ لنفسها أسماء . ويعتمد الجناح اليميني لهــذا التيار على « الحزب الاشتراكي » السابق وعلى امتداداته التي تحولت بتأثير ميشال هارنغتون الى « الحزب الديمقراطي الاشتراكي » ، الذي يصدر صحيفة **نيو اميركا** . وقد طور هذا الحزب عقيدة اصلاحية ليبرالية — يسارية تنادي بدولة الرفاهية، ويدعم على الصعيــد المحلي بيروقراطية اتحــاد العمال ، وليس له مواقف سياسية واضحة — اذ ينتقد سياسة اميركا في الهند — الصينية ويؤيدها في الشرق الاوســط . و« الحزب الديمقراطـــي الاشتراكي » علــى عكس الاحزاب اليساريــة الماركسية التي تعتمد على الكوادر ، هــو حزب جماهيري .

ومن الحركات التي تحاول بناء احزاب جماهيرية « الحركة الاميركية الجديدة » التي تصدر مطبوعة بالاسم نفسه ، و« حزب الشعب » الذي يصدر **غراس رووتس** . ويمكن اعتبار هاتين الحركتين الجناح اليساري للتيار الديمقراطي الاشتراكي .

ومن بين اعضاء هاتين الحركتين عدد كبير من المثقفين الذين أتوا مباشرة من حركة « الطلاب من اجل مجتمع ديمقراطي » ، ومن الحركة المناوئة للحرب.

ويضم التيار السابع « حزب العمل الاشتراكي » القديم الذي يصدر **ذي ويكلي بيبول** . وتمتد جذور هذا الحزب ، مثل «الحزب الديمقراطي الاشتراكي» الى الحركات العمالية في القرن التاسع عشر . وهو يعتمد علــى الاسلوب البرلماني لكسب السلطـــة السياسية ، ولكنــه ، علــى عكس « الحـــزب الديمقراطي الاشتراكي » ، يدعي انه ماركسي . وقد كان هذا الحزب قويا في السابق وله أطراف في كافة انحاء الولايات المتحدة ، غير انه محصور الان في مدينة نيويورك .

وهناك مجموعة من بقايا المنظمات التقدمية التي جاء بعض أعضائها من العسكريين وبعضهم الاخر من حركات الاحتجاج في الستينات ومــن اليسار الجديد. وتضم هذه المجموعة « قدماء محاربي فيتنام ضد الحرب» التي تصدر « **ونتر سولدجر** » و« **هاي واي ١٣** » و« اتحاد العسكريين الاميركيين » الذي يصدر **ذي بوند** .

وفيما يلي نقــدم تقييما مفصلا حــول مواقف التيارات والفئات المختلفة خلال وحتى مرور ثلاثة شهور على حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .

الحزب الشيوعي للولايات المتحدة الاميركية :

يظهر من صحيفة الحزب ، **ذي دايلي ورلد** (سابقا ذي دايلي وركر) ان الحزب يتبع الخط السياسي للاتحاد السوفياتي . وهذا يعني ، من ناحية ، تأييد سياسة الوفاق والتعايش السلمي مع الغرب الرأسمالي ، وتأييد دور الاتحاد السوفياتي في الشؤون الدولية « كقوة سلام » ... مثل السماح لقرار وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ بالمرور في الامم المتحدة(١٢). وهو يعني ، من ناحية اخرى، الموافقة على دعم السوفيات لنضال حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار الغربي . والحزب ينظر الى الدعم الاقتصادي والعسكري السوفياتي للدول العربية ، على وجه الخصوص ، على انه بناء لمواجهة الاستعمار الاميركي هناك(١٣). وقد كان ذلك الدعم بالاضافة الى الدبلوماسية السوفياتية العامل الذي اجبر نيكسون على التراجع عن انذاره العدواني والضغط على اسرائيل لكي تشترك في مفاوضات وقف اطلاق النار . ويرجع الحزب في

الواقع الفضل في جعل « انتصار » العرب في اكتوبر ١٩٧٣ وفي تهديم اسطورة اسرائيل التي لا تقهر ، الى الدعم السوفيـاتي لمصر وسوريا ، وخاصة في مجال التخطيط العلمي والتخطيط العسكري العقلاني[١٤].

ويؤيد الحزب الشيوعي الاميركي مظاهر التضامن في العالم الثالث، مثل قطع الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، والتضامن الذي أظهره العرب في مؤتمر الجزائر وحظر شحن النفط[١٥]. ويرى الحزب ان الفائدة النهائية لهذا التضامن تكمن في توسيع المعسكر المعادي — للاستعمار بقيادة الاتحاد السوفياتي ، وفي الوقت نفسه زيادة عزلة الولايات المتحدة واسرائيل[١٦]. ويفترض الشيوعيون ان التعايش السلمي سيصبح مضمونا أكثر عندما تعلم اميركا واسرائيل حدود قوتهما .

وينظر الحزب الشيوعي الاميركي الى حرب اكتوبر على انها نضال عادل من جانب مصر وسوريا لاستعادة الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧[١٧]. وبالتالي فتلك الحرب في نظر الحزب كانت حرب تحرير وطني محدودة (لا تشمل اهداف الفلسطينيين في استعادة كل الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٤٨ وما بعد) . ويلقي اللوم في الحرب على سياسة الضم الاسرائيلية في الاراضي المحتلة مما حدا بمصر وسوريا الى القيام برد عسكري[١٨]. وهم يشيرون الى قول السادات « كان هدف مصر تحرير الاراضي المصرية المحتلة وليس تدمير اسرائيل »[١٩]. ويوافق الحزب الشيوعي الاميركي على رغبة مصر واسرائيل في قبول وجود دولة اسرائيل ، وفي تطبيق قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، وفي دعوة مصر الى قيام قوات اجنبية بتطبيق وقف اطلاق النار ، وعلى تحركات السادات للوفاق مع الولايات المتحدة[٢٠]. ولم تكن أي من تلك الخطوات ممكنة لولا النصر المحدود الذي حققته مصر وسوريا في الحرب المحدودة .

ويرجع الحزب السياسات التوسعية لاسرائيل في الاراضي المحتلة الى زمرة دايان العسكرية العدوانية الحاكمة[٢١]. وهو يعتبر قادة تحالف حزب العمل الاسرائيلي الحاكم عملاء للاستعمار الاميركي ولمبدأ نيكسون في الشرق الاوسط ، وانهم كانوا يلعبون دور البوليس في المنطقة لحماية مصالح النفط الاميركية ، ولمنع العرب من تحقيق تحررهم القومي ، ولتصفية الحقوق العادلة للشعب الفلسطيني[٢٢]. ويقوم الحزب بتدعيم نظريته هذه بتقارير حول المساعدة العسكرية الاميركية الضخمة لاسرائيل وبناء ترسانة سلاح هناك ، وحول مدى اعتماد اسرائيل اقتصاديا على الولايات المتحدة[٢٣]. ويركز الحزب على ان دولة اسرائيل والشعب الاسرائيلي قد عانوا من عدم تمكنهم من التمتع بالسلم والاستقرار نتيجة لسياسة مائير — دايان . وان معنويات الاسرائيليين منخفضة نتيجة لارتفاع نسبة الاصابات بينهم في حرب اكتوبر ، ولانعزال اسرائيل الدبلوماسي على نطاق عالمي . كما ان الاقتصاد الاسرائيلي مرهق نظرا للانفاق الكبير على المتطلبات العسكرية والذي يقتطع من ميزانية الخدمات الضرورية ، ونتيجة لانخفاض نسبة الانتاج بسبب تعبئة الطاقة العمالية في القوات المسلحة . كما ان العمال وعائلاتهم لا يجدون ما ينفقون بسبب التضخم المالي وارتفاع الضرائب وشراء الاسهم الوطنية اجباريا ... وهذه الامور كلها ترجع الى حالة الحرب المستمرة او الدائمة[٢٤]. ونقلت **ذي دايلي ورلد** عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) قوله: «ان العقيدة والممارسة الصهيونيتين (اشارة الى استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧) تتعارضان مع المصالح الاشتراكية والتقدمية في العالم ومع رغبة الشعوب في التحرر الوطني . ونحن نود في ان نشدد على ان العقيدة والممارسة الصهيونيتين تتناقضان مع مصالح العمال اليهود في كل مكان ، ومع المصالح الوطنية لشعب اسرائيل »[٢٥].

ويرى الحزب الشيوعي الاميركي ان الطريق الوحيد للسلام ولتحقيق مصالح اسرائيل الوطنية هو من خلال تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ومن خلال المفاوضات مع العرب[٢٦]. وهذا الطريق سيوفر الامور التالية : (١) انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، (٢) الاعتراف بالسيادة الاقليمية لكل دول المنطقة ، بما فيها اسرائيل ، على اساس حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ (مع ضمانات دولية لهذه الحدود) ، و(٣) تحقيق حقوق الفلسطينيين[٢٧]. وينقل عن شيوعي اميركي بارز اسمه هربرت ابشكر قوله : « العدوان في الشرق الاوسط يأتي من حكومة تل — ابيب ، ويمول

ويدعم من حكومة الولايات المتحدة ... التي تمثل بدورها قلب الاستعمار . ففي الشرق الاوسط ، لا يقف العربي ضد اليهود ، وانما الاستعمار ضد التحرر الوطني ، ودعاة الاحتلال ضد من يطالبون بأملاكهم وبيوتهم ... والسلام يتطلب قبول اسرائيل بقرارات الامم المتحدة ، ويتطلب اعادة اراضي الاخرين ، ويتطلب العدالة للشعب الفلسطيني ... وعندما توافق حكومة اسرائيل على هذا ستتوقف عن كونها حكومة مجرمة وستتمكن من العيش بسلام وكرامة وسط جيرانها »(٢٨). ولا ينكر ابشكر وجود الفلسطينيين وأهميتهم اذ يقول : « ... كما ان اصحاب تلك البلاد الذين سيقوا بمئات الالاف من ديارهم ومنعوا بالقوة من العودة اليها ، يعتبرون عنصرا اساسيا في النزاع في الشرق الاوسط»(٢٩).

ولكن الحزب الشيوعي الاميركي يؤيد « حق اسرائيل » في الاراضي التي كانت تسيطر عليها قبل حزيران ١٩٦٧(٣٠). وهذا هو الموقف السوفياتي ايضا ، وهو موقف تشير تقارير الحزب الشيوعي الاميركي الى انه كان ثابتا منذ نشوء المسألة الوطنية في فلسطين(٣١). وقد رفض الاتحاد السوفياتي باستمرار تمسك العرب بحقهم في اقامة فلسطين عربية مستقلة ، وصوت الى جانب مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ ، واعترف بدولة اسرائيل في منتصف ايار ١٩٤٨ من اجل الحفاظ على « الاعتراف بحق كل الامم وحماية السلم والامن »(٣٢). وقد لخص هذا الموقف خطاب ألقاه احد قادة الحزب الشيوعي الاسرائيلي امام الكنيست في ١٨ تموز ١٩٧٣ حول « الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني » : « كان الاساس لقرار التقسيم الاعتراف بوجود شعبين في البلاد : الشعب اليهودي والشعب العربي في فلسطين ، وحق كل منهما في تقرير مصيره وفي اقامة دولته المستقلة »(٣٣). وأوصى القائد الشيوعي بـ : « ... بعد اقامة حدود معترف بها وآمنة ودائمة بين اسرائيل والدول العربية ، يبقى حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ... اما باقامة دولة مستقلة او بالعيش مع الاردن ضمن دولة واحدة »(٣٤).

اذن فالحزب الشيوعي الاميركي يعتقد ان القضية الفلسطينية قابلة للحل من خلال تطبيق قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ومن خلال المفاوضات التي تنتج عنه . وقد جاء في افتتاحية لصحيفة الحزب **دايلي ورلد** : « ان الطريق الى السلم الدائم يكمن في التقيد التام بوقف اطلاق النار الحالي وبقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . فذلك ، وليس القوة العسكرية ، سيضمن السيادة والوحدة الاقليمية لمصر واسرائيل وسوريا وشعوب الشرق الاوسط الاخرى . كما ان تطبيق القرار رقم ٢٤٢ سيساعد على ايجاد حل عادل للحاجات الملحة للشعب الفلسطيني »(٣٥).

ويؤجل الحزب الشيوعي الاميركي احقاق الحقوق الفلسطينية الى ما بعد تأمين حقوق الامم الاخرى ، وخاصة اسرائيل . وهو يفترض انه بينما تخضع التطلعات الوطنية الفلسطينية للمساومة ، فان الحقوق الوطنية الاسرائيلية لا تقبل اية مساومة (داخل حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧) . والحزب يوافق على منح اسرائيل كل الاراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ ، والتي زادت كثيرا عن مساحة حدودها التي نص عليها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وأخيرا ، لا يهتم الحزب بمعالجة مسألة اين يقيم الفلسطينيون دولتهم (خارج اسرائيل) ولا بمسألة طبيعة الاستغلال والعداء الذي ستتعرض له هذه الدولة سواء من اسرائيل او من الاردن .

ويشجب الحزب الشيوعي الاميركي الصهيونية لانها عنصرية واستعمارية من حيث استمرار احتلالها للاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧(٣٦)، ولكنه لا يصف الصهيونية التي أدت الى خلق دولة اسرائيل بهذه الاوصاف . ولا ينظر الحزب الى صلب الصراع في الشرق الاوسط بأنه جاء نتيجة لقيام اوروبا بانشاء دولة يهودية استيطانية — استعمارية في فلسطين وما نتج عنها من طرد السكان الفلسطينيين العرب ، ثم فيما بعد المواجهة الفلسطينية — الصهيونية . بل هو ينظر الى الصراع على انه نتيجة العداء الذي يظهره العرب تجاه اسرائيل (بمن فيهم فلسطينيو الضفة الغربية)(٣٧).

وتدعم صحيفة **دايلي ورلد** وجهة النظر هذه بتقارير عن الاستيطان الاسرائيلي والاضطهاد الاسرائيلي لسكان الضفة الغربية وغزة ، مثل الاستيلاء على الاملاك العربية ومحاولة « تصفية الوجود الوطني الفلسطيني هناك »(٣٨). وتوحي الصحيفة الى ان اسرائيل تشجع اليهود السوفيات على الهجرة اليها لكي يساهموا في المخطط

الاستيطاني هذا(٣٩). كما ان الصحيفة تستشهد ايضا بتقارير عن الوحشية الاسرائيلية في منطقة القناة ، وعن انتهاكاتها في سيناء والجولان(٤٠).

ويتوقع الحزب الشيوعي الاميركي مستقبلا باهرا لاسرائيل بعد اتمام المفاوضات وتطبيق قرار ٢٤٢ . ويعترف الحزب بأن اسرائيل مجتمع رأسمالي لــه نظام حكم بورجوازي ديمقراطي(٤١)، ولكن الحزب لا يقوم بأي تحليل للتكوين الطبقي او للصراع الطبقي في اسرائيل ، كما انه لا يدعو الى قيام نظـام اشتراكي او شيوعي في اسرائيل . وانما يتوقع الحزب ان يزدهر الاقتصاد الاسرائيلي بعد اقرار السلام بسبب الدعم الخاص والحكومي المستمر من الولايات المتحـدة ، والدعم المتوقع مـن الدول الاشتراكية ، واقامة علاقات تجارية طبيعية مـع الدول العربية . وعند بحث البند الاخير لا يشير الحزب بتاتا الى ان التعـاون الاقتصادي بـين اسرائيل ومصر سيكون ، مثلا ، ذا طبيعة استغلالية واستعمارية ــ جديدة(٤٢).

أما موقف الحزب الشيوعي الاميركي من امكانية التحول الاجتماعي في اسرائيل فيظهر في نقدهم لموقف « حزب العمال الاشتراكي » التروتسكي الاميركي . ويقول توم فولي(٤٣) ان عـدم الاعتراف « بحق اسرائيل القومي » سيؤدي الى ان يشن العرب حربا لتدمير اسرائيل تدميرا كاملا . وهذا التهديد الخطير يعطي الصهاينـة والاستعماريين التبرير الافضل للاستمرار في عدوانهم . كما ان لهـذا التهديد تأثيرا كبيرا على توحيد كافة الطبقات في اسرائيل للدفاع القومـي ، وبالتالي يساعد على تغطية النزاعـات الطبقية ويؤخر نمـو الصراع الطبقي .

ومن ناحية أخرى ، يقوم الحـزب الشيوعي الاميركي والاتحاد السوفياتي بتأييد الدول العربية لانها تمر في مرحلة صراع داخلي ولانها تقاتل من اجل التحرر الوطني من الاستعمار . فهما يعترفان ان مصر وسوريا والعراق واليمن الجنوبية دول تقدمية . كما انهما يثنيان على العراق والجزائـر وليبيا لتأميم صناعاتها النفطية . ويلقى العراق ثناء خاصا لمساهمته في حرب اكتوبر ، ولان الحزب الشيوعي العراقي شكل تحالفا مع حزب البعث في جبهة وطنية . اما مصر فتلقى آيات الاعجاب من الشيوعيين على انتصارها في حرب اكتوبر ، وعلى تحطيمها للاسطورة القائلة بأن اسرائيل لا تقهر ، ولاظهارها بالبرهان الملموس ان « ابناء » الفلاحين الذين كانوا يخضعون لسلطة الاقطاع يستطيعون القيام بانجاز كبير ضمن اطار حديث(٤٤).

وحتى الانظمة الملكية تنال علامات جيدة مـن الحزب الشيوعي الاميركي . فهو يصف الكويت بأنها « نظام اقطاعـي مرتبـط بالاستعمار الاميركـي والبريطاني » ، ولكنه يظهر ميولا تقدمية من خلال اتحاداته ونقاباته التي تحث الحكومة على تأميم النفط(٤٥). اما الملك فيصل فيقال عنه انه وافق على حظر النفط خوفا من القوى التقدمية في الجيش السعودي والدول العربية المجاورة ، واحتراما للانتصار العسكري الذي حققته مصر وسوريا بفضل المعونة السوفياتية ، وكاعتراف باحتمال اقامـة علاقات اقتصادية مع دول غير الولايات المتحـدة كنتيجة للمنافسة فيما بين القوى الاستعمارية(٤٦). كما ان الحزب قد أثنى على كل الدول التي شاركت في حظر النفط لانها ساعدت على اظهار درجة عالية من الوحدة العربية(٤٧). وقد نقلت **دايلي ورلد** عن جريدة **النهار** البيروتية قولها ان محادثات سوفياتية ــ سعودية سرية تجري الان(٤٨).

ويبدو ان الاهتمام « بالتحـرر الوطني » او بسيادة الدولة(٤٩) كشرط مسبق للنضال من أجل الاشتراكية بند رئيسي من بنود النظرية السوفياتية والسياسة الخارجية السوفياتية . ويشكل هذا البند بالاضافة الـى الارتباط السوفياتي بدولـة اسرائيل والتحرك السوفياتي الاخير نحو الوفـاق والتعايش السلمي ، العوامل الاساسية لموقف الحزب الشيوعي الاميركي مـن مسألتي الصراع الفلسطيني ــ الصهيوني والعربي ــ الاسرائيلي .

ويعترف الحزب الشيوعي الاميركي ، مثل الاتحاد السوفياتي ، منذ العام ١٩٤٧ على الاقل « بالحقوق القومية للشعب اليهـودي ــ الاسرائيلي » فـي فلسطين ، لدرجة انه لا يعتبر اسرائيل بحدودها السابقة لعام ١٩٦٧ دولة صهيونية . واذا تتبعنا الخط السوفياتي ــ الشيوعي الاميركي نجد انه يتعامى عـن التناقض الرئيسي بـين الصهيونية والشعب الفلسطيني ، وانه يعتقد ان المشكلة يمكن ان تحل من خلال نظرية القوميتين (العربيـة ــ الفلسطينية والاسرائيلية ــ اليهودية) ومن خلال اقامة دولتين متجاورتـين واحدة عربية وأخـرى

اسرائيلية . ولا يبدي الحزب أي اهتمام بالحل الذي قدمه الفلسطينيون انفسهم وهو اقامة دولة علمانية ديمقراطية واشتراكية في فلسطين يعيش فيها العرب واليهود بسلام .

ويعتقد السوفيات والحزب الشيوعي الاميركي بأن الفلسطينيين انفسهم في طريقهم للوصول الى هذا الاستنتاج « الواقعي » . فقد ذكرت **دايلي ورلد** ، مثلا ، في تقريرها حول مؤتمر السلم في موسكو ما يلي : « ... ضمن لجنة الشرق الاوسط (مجموعة نقاش) يقول رجل اسرائيلي كبير في السن انه مع السلم لكنه يختلف مع العرب حول عدد من المسائل . وبعد قليل يقول شاب ناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية (لم يكشف اسمه) انه لا يتفق مع الاسرائيليين على كل المسائل ، ولكنه يتفق معهم بأن ايجاد حل سياسي لمشاكل الشرق الاوسط افضل من القتال لحل الخلافات القائمة »(٥٠).

فالاعتقاد بأن التسوية السياسية افضل من النضال المسلح يعطي فكرة خاطئة عن الفرق في القوى بين الاسرائيليين والفلسطينيين . كما ان الاعتقاد بأن الحل السلمي للصراع بين المضطهد والمضطهد امر ممكن يجعلهما متساويين وغير متعاديين . وهذه المعتقدات ، في وضع الشرق الاوسط ، تحمل الافتراض بأن الفلسطينيين سيقتنعون في النهاية بحل جزئي للتناقض . وهذا يقود الى السؤال الاكبر وهو هل يعتزم السوفيات اتباع سياسة الوفاق والتعايش السلمي مؤقتا لردع الرأسمالية الى أن تصبح القوى الاشتراكية اقوى ، ام انه يعتزم اتباع السياسة « الواقعية » بشكل دائم ؟

التيار التروتسكي : يتألف التيار التروتسكي ، كما اشرنا في المقدمة ، من حزب رئيسي — حزب العمال الاشتراكي — وعدد كبير من الاحزاب والفرق الصغيرة التي تتصارع مع حزب العمال الاشتراكي وفيما بينها حول نفس الانصار في أغلب الاحيان . كما ان مطبوعاتهم تمتلىء بالتهجمات المتبادلة ضد بعضهم بعضا حول مسائل تنظيمية وايديولوجية (تتعلق بالمواقف من المسائل المحلية والخارجية والمؤتمر العالمي الرابع) ، بالاضافة الى تهجمات عاطفية على قادة الاحزاب(٥١). ولكن لم تتطرق اية من هذه التهجمات الى مواقفهم حول الصراع في الشرق الاوسط . وان مراجعة موقفهم ، بشكل عام ، يدل على موقف نقدي ليس للاستعمار الاميركي وانما لسياسات الاتحاد السوفياتي ونواياه حول الشرق الاوسط ، وعلى انتقاد للتأثير السلبي للقوتين العظميين على الثورة **الاشتراكية** للجماهير العربية والفلسطينية(٥٢).

فالتروتسكيون لا يؤيدون اي نظام اشتراكي قائم في العالم وبالتالي ليس لهم ارتباطات عقائدية خارجية . وهم ما زالوا على طرفي نقيض مع الاتحاد السوفياتي منذ الانشقاق الستاليني — التروتسكي . وهكذا فان شكهم وعداءهم الطويل للاتحاد السوفياتي يقفان خلف موقفهم المشكك بالسياسة السوفياتية والموقف السوفياتي في الشرق الاوسط . وهم ينتقدون ايضا جمهورية الصين الشعبية .

سنركز في تحليلنا في هذا الجزء من الدراسة على مضمون مطبوعة **ذي ميليتانت** التي يصدرها حزب العمال الاشتراكي ، ثم سنراجع موقف الاحزاب التروتسكية الاخرى كمجموعة واحدة(٥٣).

حزب العمال الاشتراكي : بينما يركز الحزب الشيوعي السوفياتي تحليله وتعليقاته حول العلاقات بين دولة ودولة في الشرق الاوسط ، ويرى ضرورة وامكانية ايجاد تسوية سياسية للصراع ، فان حزب العمال الاشتراكي يشدد على دور الاستعمار والصهيونية وعلى التناقضات الطبقية الكامنة خلف الصراع الدائم في المنطقة . فقد جاء في تحليل للحزب : « لم تحل أي من التناقضات التي أدت الى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بل بالعكس فقد زادت الحرب من حدة كل هذه التناقضات . فاسرائيل خرجت من الحرب وهي تحتل اراضي عربية اكثر مما كانت تحتله قبلها ، وحقوق الفلسطينيين ما زالت مهملة ... حتى ان الانظمة العربية خفضت مدى التزامها الكلامي بهذه الحقوق، وتعرت هذه الانظمة التي دخلت الحرب نتيجة لضغط داخلي كبير لمتابعة النضال ضد العدوان الاسرائيلي وكشف انها عاجزة عن شن تلك الحرب »(٥٤). ... « ومهما كانت نتائج دبلوماسية كيسنجر او نتائج جولة اخرى من القتال في الشرق الاوسط ، فان امثال نيكسون وكيسنجر لن يتوصلوا الى ايجاد حل عادل ، ولن يمكن تحقيق سلام دائم . فالحرب هناك ستستأنف طالما ان الاستعمار يسيطر على المنطقة ، وطالما ان اسرائيل قادرة على ترسيخ نفسها على حساب

الفلسطينيين »(٥٥).

وقد أشارت **ذي مليتانت** في مقال حول « الزيت العربي ، اسرائيل ، والاستعمار » الى ان الشرق الاوسط حيوي بالنسبة للاستعمار الاميركي . فقد قالت : « فالشرقان الادنى والاوسط ما يزالان ذين اهمية استراتيجية للولايات المتحدة لانهما مركز سياسي وعسكري واقتصادي ، ولان نفط الشرق الاوسط عنصر حيوي للغرب . وحجم ما يطمح اليه الاستعمار في المنطقة هو حقيقة ان ٧٠ ٪ من احتياط النفط في العالم يوجد هناك ... ومعظم الزيت تمتلكه خمس شركات اميركية . ورغم كل الحديث عن « الابتزاز العربي » وما يسمى بسلاح النفط العربي ، فان حقيقة الوضع في الشرق الاوسط هي انه واقع تحت سيطرة الاستعمار اقتصاديا وسياسيا »(٥٦).

فالدول العربية مضطهدة وخاضعة للاستعمار الجديد . وبالرغم من بعض الاجراءات المناوئة للاستعمار في دول كمصر وليبيا وسوريا والعراق فان « الاستعمار الاميركي والاوروبي يسيطران على الحياة الاقتصادية لهذه البلدان ويضعفان من تطورها »(٥٧). وبالتالي فان هذه البلدان ظلت متخلفة وغير نامية وضعيفة ومجزأة . « ويعتمد الاستعمار (خاصة الاميركي) على ابقاء هذه الاوضاع قائمة في العالم العربي لكي يستمر في السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية على المشرق العربي »(٥٨).كما ان الاهداف الاستراتيجية للاستعمار الاميركي والاوروبي في المنطقة هي احباط أو احتواء محاولات الشعوب العربية لتحقيق تحررها الوطني(٥٩). فاذا اتحد العرب وسيطروا على ثرواتهم يصبح بامكانهم انهاء السيطرة الاستعمارية. اما الاداة الرئيسية التي يسيطر الاستعمار الغربي بواسطتها على العرب فهي اسرائيل ، « ... ان دور اسرائيل الدائم في الشرق الاوسط هو ضرب حركة التحرر الوطني من خلال العدوان العسكري والارهاب(٦٠).وهي رأس جسر استعماري في العالم العربي وتخدم كرأس حربة لمركة الاستعمار ضد الثورة العربية»(٦١).

وهكذا فان على اسرائيل ان تضرب اي تحرك ثوري او تحرري في العالم العربي . وعليها ابقاء العرب مهزومين ويائسين(٦٢). مثلا : « كان عدوان اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ هو رد فعل الطبقة الصهيونية الحاكمة في اسرائيل على مجموعة من العوامل المتشابكة . فالعوامل الرئيسية كانت ولادة الوعي والتنظيم الفلسطيني من جديد ، وتأثير تلك الولادة في الاردن ، وراديكالية النظام السوري ، وتصميم الاستعمار الاميركي على ازالة نظام عبد الناصر في مصر »(٦٣). وهذا الدور الاسرائيلي المعادي للثورة دور مهم في المشرق العربي كله ، وليس في الدول المجاورة فقط . « فمن وجهة النظر الاستعمارية ، ان تكرار هزيمة ١٩٦٧ العربية سيؤدي الى جعل الدول العربية النفطية اكثر طواعية ، وسيحبط معنويات جماهير العمال والفلاحين العرب ... وسيكون ضربة اخرى توجه الى حركة التحرر الفلسطيني »(٦٤). وهذا سبب رئيسي وراء مساعدة اميركا العسكرية لاسرائيل .

بينما يتمثل دور اسرائيل في الشرق الاوسط بدور عميل محلي ورجل بوليس للمصالح الاستعمارية ، فان اسرائيل ليست مجرد أداة . فاسرائيل والحركة الصهيونية **تشارك** في الاهداف الاستراتيجية الاستعمارية في المنطقة . وفي الواقع ، « ان التحالف الصهيوني — الاستعماري الذي برز للوجود منذ اقامة دولة اسرائيل يعتمد على مجموعة المصالح تلك »(٦٥). و« اسرائيل دولة استعمارية — استيطانية وتوسعية»(٦٦)...« ومبنية على اساس الاضطهاد والتمييز ضد الشعب العربي »(٦٧). وقد جاء في عدد **ذي مليتانت** في الاسبوع الثاني لحرب اكتوبر : « ان المعتدي الحقيقي هو دولة اسرائيل . وان سبب الحرب الحالية — كالحروب السابقة في الشرق الاوسط — هو دولة اسرائيل الاستعمارية — الاستيطانية التي اقيمت فوق ارض تخص الشعب الفلسطيني . وان الدولة الصهيونية في فلسطين ، التي خلقت بدعم من الاستعمار الغربي ، قد بنيت من خلال طرد اصحاب البلاد العرب بالقوة ، وعلى اساس انتهاك حق الفلسطينيين الديمقراطي في تقرير المصير »(٦٨).

واضافت صحيفة **ذي مليتانت** قائلة : « ان وجود اسرائيل بحد ذاته يقوم على **العدوان الدائم** ضد الفلسطينيين والعرب الاخرين ، وقد كان كذلك منذ عام ١٩٤٨ »(٦٩). ومن اجل ان تتمكن الدولة الصهيونية من المحافظة على وجودها بالقوة ، كما يحدث في دورها كشرطي للاستعمار ، فان عليها « ألا تكتفي بالقضاء على أي تيار ثوري أصيل ...

وانما عليها ان تسحق اي تحرك نحو التغيير الاجتماعي في المشرق العربي مهما كان هذا التحرك محدودا »(٧٠). وهكذا فان **ذي مليتانت** و« حزب العمال الاشتراكي » يعتبران ان للاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي والاستعمار الغربي ، وخاصة الاميركي ، أهدافا مشتركة في المنطقة مضادة للتغيير الاجتماعي الثوري العربي . وقد وضعت اسرائيل نفسها في موضع القوة الرئيسية التي تكبت التحرر الوطني الفلسطيني والعربي .

ويعتقد حزب العمال الاشتراكي بأن دور الصهيونية واسرائيل المعادي للثورة هو دور مخالف لمصالح اليهود وليس لمصالح العرب فقط . ويعتبر الحزب ان الصهيونية هي فخ لليهود(٧١): « ان الصهيونية لا تمثل أو ترعى مصالح الشعب اليهودي . ويقوم الصهيونيون ، داخل اسرائيل ، بقيادة الجماهير اليهودية نحو فخ معارضة النضال الوطني التحرري للشعب العربي ، وهو نضال ديمقراطي وعادل »(٧٢)... « وان خلق الدولة الاسرائيلية ، التي هي بطبيعتها معادية للشعب العربي المحيط بها وبالتالي فهي على عداء دائم مع الدول والشعوب العربية ، يجعل اسرائيل اليوم أخطر مكان في العالم لوجود اليهود . وستستمر هذه الحالة الخطرة الى ان تتخلى الجماهير اليهودية — الاسرائيلية عن الحركة الصهيونية وتتحد مع الجماهير العربية في نضال مشترك ضد السيطرة الاستعمارية على الشرق الاوسط »(٧٣).

وطبقا لـ **ذي مليتانت** « فان الماركسيين الثوريين يميزون بين اليهود الاسرائيليين والدولة الصهيونية »(٧٤). وفي الواقع « ان الرأسمالية الاسرائيلية تستغل العمال اليهود بالاضافة الى استغلالها الكبير للعمال العرب . وان اضطهاد البوليس للعرب يحمل اضطهادا متزايدا لليهود الذين يعارضون الصهيونية »(٧٥). وهناك « تناقضات اجتماعية متزايدة داخل اسرائيل ، لان الحكومة تطلب من العمال الاسرائيليين تقديم تضحيات اكبر في سبيل الصهيونية . وان حاجة العمال للدفاع عن مصالحهم الطبقية سيجبرهم على معارضة حاجات الدولة الاستيطانية . وسوف ينهض العمال ، بالخفاء اولا ، ثم علنا فيما بعد ليتحدوا الصهيونية نفسها »(٧٦). وهكذا « فان المصالح الاساسية للجماهير اليهودية في اسرائيل تكمن في التحالف مع النضال الوطني الفلسطيني وفي دعم هدف اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين »(٧٧). وباختصار فان الصهيونية ودولة اسرائيل تعتبران قوى مضادة للثورة تقف ضد المصالح الحقيقية للجماهير العربية واليهودية .

وان التمييز ما بين الدولة والشعب او الجماهير الذي يستعمله حزب العمال الاشتراكي في تحليله لاسرائيل ، يستعمله ايضا في تحليله للدول العربية. وتنظر **ذي مليتانت** الى الدول العربية على انها أساسا انظمة رأسمالية تهتم ببقاء واستمرار طبقتها الحاكمة ، وهي بالتالي تعارض اية تعبئة ثورية . وبالتالي « ان النظم الرأسمالية في العواصم العربية تسعى للوصول الى حل دبلوماسي من خلال المناورات العسكرية . وهدفهم هو الحصول على تنازلات من اسرائيل لمجابهة الجماهير العربية»(٧٨). « واما الهدف من الحرب بالنسبة لتلك الدول فهو الوصول الى تسوية بين اسرائيل والانظمة العربية يكون اقل عداوة للبورجوازيات والبيروقراطيات العسكرية العربية ، بحيث تمكنهم هذه التسوية من احتواء تعبئة الجماهير العربية ضد الصهيونية والاستعمار ضمن حدود تكون مقبولة من وجهة نظر مصالحهم الاقتصادية والسياسية »(٧٩). فمنذ حرب حزيران ١٩٦٧ وحكام هذه الدول يخضعون لضغوط هائلة من الجماهير العربية من اجل استعادة الاراضي التي فقدوها . وتستشهد **ذي مليتانت** بمظاهرات شعبية وجماهيرية شارك فيها الطلاب والعمال في عدة مدن عربية . وقد لاحظت ان هذه التظاهرات كانت تطالب بتأميم ممتلكات المستعمرين الامريكيين ، وتسليح الجماهير لتجارب اسرائيل ، وانهاء سياسة المفاوضات من خلال الامم المتحدة « والاستيلاء على ثروة اغنياء الحرب من الرأسماليين العرب لتمويل النضال ضد العدوان الصهيوني »(٨٠). وقد كان رد فعل السلطة ارسال الجيش والبوليس لمهاجمة المتظاهرين ووضعهم في السجن . وهكذا « فبدلا من تعبئة هذه المشاعر ضد اسرائيل لشن نضال ثوري ، سعى الحكام العرب الى استعادة الاراضي المحتلة من خلال الدبلوماسية وتقديم التنازلات (٨١). وقد خشوا ان تؤدي تعبئة الشعب العربي ضد اسرائيل وحماتها الاستعماريين الى ثورة اجتماعية ضد الحكام العرب في الوقت نفسه »(٨٢).

ويعارض الحكام البرجوازيون العرب تعبئة الجماهير حتى لهدف تحرير الاراضي المحدود، والذي سيجري على ارض المعركة . وباختصار ، يرى « حزب العمال الاشتراكي » ان البرجوازيين العرب والبيروقراطيين العسكريين المتحالفين معهم يشكلون عقبة في طريق الثورة الاشتراكية الحقيقية في الشرق الاوسط . وهذا الامر يضع البورجوازية العربية في مواجهة الجماهير العربية بشكل دائم وثابت . وهكذا ، فان الاهداف الثورية العربية في التحرر الوطني ، والتنمية الاقتصادية الوطنية ، والمهمات الديمقراطية الاخرى يمكن تحقيقها كاملة وضمانها من خلال « انتصار الطبقة العاملة علـى رأس الجماهير الكادحة ، وخاصة الفلاحين ، في ثورة ضد الاستعماريين وعملائهم الاسرائيليين ، وضـد البورجوازية العربية الوطنية ، وبقايا الاقطـاع العربي »(٨٣). ويبدو ان حزب العمال الاشتراكي يرى ضرورة شن نضال تحرر وطني ونضال طبقي داخلي في آن واحد . والحزب لا يقدم اية نظرية مرحلية للثورة ، اولا ديمقراطية ثم اشتراكية ، حيث يكون التعاون ضروريا ومفضلا بين الطبقات في المرحلة الاولى . ومن الواضح ان الحزب يقترح ثورة اشتراكية من مرحلة واحدة يغذيها الصراع الطبقي الدائم في الشرق الاوسط(٨٤).

ورغم انتقاده للحكام العرب ، فان حزب العمال الاشتراكي ذكر في مقال حول لماذا يجب ان يؤيد الاشتراكيون الجانب العربي ؟ ان المسألة الاساسية في حرب اكتوبر في الشرق الاوسط هـي مسألة الصـراع بـين شعب مضطهـد ومضطهديهـم الاستعماريين . وكما قال مرارا مرشح حـزب العمال الاشتراكي لمنصب رئيس بلدية نيويورك ، السيد نورمان اوليفر ، وكما كتب في جريدة الحزب: « لقد دخلت القوات المصرية والسورية اراضيها . وحزب العمال الاشتراكي يؤيد حق الدول العربية في القتال لاسترجاع اراضيهم التي استولى عليها المعتدون الاسرائيليون »(٨٥). ويقف حزب العمال الاشتراكي الى جـانب العرب المضطهدين رغـم تحفظاته تجاه القيادات العربية(٨٦). وان انتصار العرب في حرب اكتوبر ضد اسرائيل هـو انتصار على الاستعمار(٨٧).

وقد تم وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط ، وبدأ العمل من اجل احلال تسوية على اساس مؤتمر جنيف باشراف الولايات المتحدة والاتحـاد السوفياتي . وقد عادت ذي مليتانت الى انتقـاد الحكام العرب لقبولهم بهذه المبادرة : « لا يمكن لاتفاق الدول العظمى ان يجلب السلام الى الشرق الاوسط . ومهما تكن حدود التسويات الجارية حاليا، فالنقطة الاساسية فيها هي الاعتراف «بحق» اسرائيل في احتلال الاراضي العربية التي احتلت عند انشاء الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ ، والتي زيدت في ثلاث حروب توسعية »(٨٨). وان التسوية الاميركية — السوفياتية التي في صالح اسرائيل يجري فرضها ضمن اطار سياسي تبلته الانظمة العربية منذ زمن طويل ، وهـو بقاء اسرائيل ووجودها الدائم(٨٩).

فالانظمة العربية ترفض تعبئة الجماهير للنضال الثوري ضد الدولة الاستيطانية — الاستعمارية من اجل تحرير فلسطين . فتلك التعبئة ستهدد الحكم الرأسمالي في الدول العربية . وهكذا فان للقيادات العربية أهدافا محدودة في الحرب . فهي تهتم فقط بكسب ما يكفي لاسكات حماس الجماهير للتحرير .

اما النقد المرير فمحفوظ للاتحـاد السوفياتي والحزب الشيوعي الاميركي ، اللذان يصفهما حزب العمال الاشتراكي بأنهما ستالينيان بيروقراطيان . وهذا النقد يعكس العداوة القائمة بين الطرفين منذ الانشقاق الستالينـي — التروتسكي . وترفض صحيفة ذي مليتانت ادعاء الحزب الشيوعي الاميركي بأن التسوية الحالية في الشرق الاوسط هي انتصار لشعوب المنطقة ، لان الحزب الشيوعي يتجاهل الشعب الفلسطيني . اما حـق الفلسطينيين في فلسطين فهو « اساس التفـاوت في المواقف بين الستالينيين الاميركيين واسيادهم في البيروقراطية السوفياتية من جانب ، والمناضلين الفلسطينيين من جانب آخر . ويؤيد الستالينيون استمرار وجود دولة اسرائيل الاستيطانيـة — الاستعمارية ، وبالتالي فهم يعارضون مطالب الفلسطينيين في حق تقرير المصير »(٩٠).

وينتقد حزب العمال الاشتراكي الحزب الشيوعي الاميركي والحزب الشيوعي السوفياتي على اساس ان موقفهما ليس جديـدا وانما ينبع من دعـم « الستالينيين » المادي لاسرائيل في حرب ١٩٤٨ الاستعمارية ضد الفلسطينيين والشعوب العـربية الاخرى(٩١). وقد شجبت ذي مليتانت تصريحات

غس هال ، السكرتير العام للحزب الشيوعي الاميركي ، حول الشرق الاوسط(٩٢).

ويسخر حزب العمال الاشتراكي من الحزب الشيوعي الاميركي والحزب الشيوعي السوفياتي لاجل « هدفهما الطوباوي في التوفيق بين الشعب العربي والاستعمار الاسرائيلي »(٩٣)، على اساس قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ . ولكنهم يلقون اللوم اكثر على « الستالينيين » لقبولهم « بالتعايش السلمي » والوفاق : « فالوفاق لا يهدف الى احلال السلام . وهدفه اخماد النضال الطبقي وايقاف مسيرة الثورة . ويرمي الوفاق الى اضعاف وكبت الانتفاضات الثورية عندما تحدث ، والمحافظة على توازن القوى المتفق عليه بين الاستعمار والسوفيات »(٩٤). و« يشمل هذا الاتفاق في الشرق الاوسط المحافظة على اسرائيل كقوة عسكرية متفوقة وكمخفر للعدوان الاستعماري »(٩٥).

ولكن لا يمكن ان يكون هناك تعايش سلمي بين المضطهد والمضطهد ، حسبما تقول **ذي مليتانت** . وطالما يبقى الفلسطينيون خارج ديارهم ، وطالما تحتل اسرائيل اراضي عربية ، فان بذور مقاومة جديدة ما تزال مزروعة(٩٦). وفي الواقع ، ان التناقضات الوطنية والاجتماعية في الشرق الاوسط تستطيع بسهولة ان تنسف مؤتمر جنيف . واكثر هذه التناقضات حدة التناقض القائم بين الشعب العربي والمستعمرين الذين يملكون احتياطات البترول : « احد الدروس الهامة الذي يجب استخلاصه من الحرب الاخيرة هو ان الوفاق بين واشنطن وموسكو لا يمكنه احتواء الصراع الطبقي، ولا يمكنه احلال السلام والاستقرار في اي مكان في العالم . فالصراع الطبقي سوف يشق طريقه من خلال اية اتفاقات دبلوماسية واية حلول مزيفة »(٩٧).

ولم يأت حزب العمال الاشتراكي على اي ذكر للمساعدة السوفياتية للدول العربية ، على عكس الحزب الشيوعي الاميركي الذي كال المديح للسوفيات من خلال صحيفته **دايلي وركر** . والحزب يتجاهل ايضا دور السوفيات في الحرب ، ولكنه ينتقد الحزب الشيوعي السوفياتي على دوره في احلال وقف اطلاق النار وفي محاولة فرض تسوية . وتكرر **ذي مليتانت** القول بأن الاتحاد السوفياتي قد خان الثورة العالمية منذ ستالين ، ومن خلال قبوله بالتسوية والوفاق . ولكن حزب العمال الاشتراكي لا يتهم الاتحاد السوفياتي بأنه دولة استعمارية بشكل عام او فيما يتعلق بدوره في الشرق الاوسط . كما ان الحزب لا يتهم الاتحاد السوفياتي « بالاستعمار الاجتماعي » كما يفعل الماويون . (هذه النقطة ستبحث فيما بعد) . ومع ذلك فان الحزب يتهم الاتحاد السوفياتي باقامة وفاق مع الولايات المتحدة من اجل اقتسام مناطق النفوذ .

كما ان حزب العمال الاشتراكي ، على عكس الحزب الشيوعي الاميركي والماويين ، لا يتحدث اطلاقا حول تضامن العالم الثالث — وخاصة افريقيا — مع الحق العربي ، كما انه لا يشير الى التيارات التقدمية في العالم العربي . ولكنه يذكر ويمتدح استعمال العرب لنفطهم في الصراع السياسي . وقد اهتمت **ذي مليتانت** بشكل خاص بنمو الثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العالمية الدائمة . واهتمت بالتالي « بخيانة » الانظمة العربية البورجوازية للثورة الفلسطينية . وهكذا « لكي يحقق الشعب العربي تحرره الوطني ، على الدول العربية الابتعاد عن سياسات الحكام العرب التي تفرض قيودا على التحرر العربي . ويجب استبدال الرأسماليين العرب من خلال الثورة الاجتماعية التي ستضع السلطة في ايدي العمال العرب والفلاحين الفقراء »(٩٨).

ويعتقد حزب العمال الاشتراكي ان الثورة الاجتماعية هي التي تجلب السلام . فالسلام لا يأتي من خلال اتفاق القوى العظمى ، بل من خلال انهاء الاحتلال الصهيوني للارض العربية ، والاكثر اهمية ، من خلال تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني بالعودة الى وطنه والحصول على حقوق سياسية واجتماعية ودينية مساوية لحقوق اليهود الاسرائيليين(٩٩). وهكذا « فان الحل الواقعي الوحيد والطويل الامد هو قلب الدولة الصهيونية في اسرائيل وعودة فلسطين للفلسطينيين ، مما يزيل سبب العدوان »(١٠٠). ولكن « مطلب اقامة دولة علمانية ديمقراطية في فلسطين ليس كافيا بحد ذاته. فنحن نطرح ثورة اجتماعية تتوج بخلق دولة عمالية كوسيلة لتحقيق وضمان فلسطين ديمقراطية وعلمانية »(١٠١).

وبينما يؤيد حزب العمال الاشتراكي الفلسطينيين

بقوة ، فهو لا يشرح استراتيجيته لتحرير فلسطين ولخلق دولة عمالية . كما ان الحزب لا يعطي تصوره ، باستثناء رفض مؤتمر جنيف ، للخطوات التي يجب ان يتبعها الفلسطينيون لمواصلة نضالهم في المرحلة الحالية .

الاحزاب التروتسكية الاخرى : تتفق كل الاحزاب التروتسكية الصغيرة على ان جذور الصراع في الشرق الاوسط هي التناقض الصهيوني — الفلسطيني ، وعلى ان اسرائيل دولة رجعية استعمارية استيطانية تضطهد المواطنين العرب[١٠٢]. وهم يوافقون ايضا على ان الصهيونية والاستعمار حلفاء في الشرق الاوسط ، على اساس ان اسرائيل تقوم بدور العميل والشرطي للاستعمار ، وخاصة لاميركا[١٠٣]. وهم ينظرون الى طبيعة اسرائيل على انها قلعة — جيتو (« سجن » ، « فخ قاتل ») للجماهير اليهودية ، ولكن اليهود الاسرائيليين (الشعب الذي يتكلم العبرية) يشكلون **الآن** أمة شرعية في فلسطين ، بالرغم من أصول هذه الامة[١٠٤].

وتنظر الاحزاب التروتسكية الى الدول العربية نظرة عدم رضى لانها تعتبرها دولا « برجوازية وطنية » . فالحلف الاسبرطي والاشتراكيون العالميون يعتبرون الدول العربية عدوة للجماهير العربية وعلى قدم المساواة مع اسرائيل في هذا المجال . ويشجب هذان الحزبان على وجه الخصوص قيام الدول العربية بسحق او احتواء الحركة الفلسطينية[١٠٥]. اما عصبة العمال والعصبة الثورية الاشتراكية فينتقدان الحكام العرب والحالة الثورية المبتورة في بلادهم ، ولكنهما يحذران من المساواة بين اسرائيل والقومية الاسرائيلية (الرجعية والعنصرية) وبين الدول العربية والقومية العربية (التي نمت كرد فعل تقدمي على الاستعمار الاستيطاني والصهيونية)[١٠٦].

وعلى عكس حزب العمال الاشتراكي والحزب الشيوعي والماويين الخ، فقد رفضت ثلاث مجموعات تروتسكية (الحلف الاسبرطي ، والاشتراكيون العالميون ، والعصبة الثورية الاشتراكية) حرب اكتوبر كلية على اساس ان اهداف القادة العرب من وراء الحرب لم تكن تقدمية ، بل كانت ترمي الى التعايش مع اسرائيل وتقوية الاستعمار في الشرق الاوسط[١٠٧]. وقد رحب حلف العمال في البداية بحرب اكتوبر ، ولكنه ما لبث ان سحب تأييده للعرب بعد خيبة امله باهداف الحرب المحدودة وسرعة دعوة السادات الى وقف اطلاق النار[١٠٨]. والحزب التروتسكي الوحيد الذي أيد العرب في حرب اكتوبر كان « عصبة الصراع الطبقي ». وقد ايد هذا الحزب العرب على اساس ان تحرير اية ارض محتلة يعتبر عملا تقدميا الى حد ما[١٠٩].

وتتفق كل الاحزاب التروتسكية الصغيرة على ان حل الصراع في الشرق الاوسط يأتي من خلال حركة بروليتارية عالمية ، تضم العمال من كل القوميات ، تعمل من اجل قيام اتحاد للدول الاشتراكية في الشرق الاوسط[١١٠]. وهذه الاحزاب تشدد بشكل خاص على عدم اهمية القومية كوسيلة تقدمية (فهذه الاحزاب تقول ان القومية تفيد الاستعماريين فقط لانهم يقسمون الجماهير على نفسها) . كما ان هذه الاحزاب ، بعكس حزب العمال الاشتراكي والماويين ومجموعات اليسار الجديد ، لا تتبنى اقتراح منظمة التحرير الفلسطينية باقامة دولة ديمقراطية وعلمانية (واشتراكية) حيث يعيش شعبا فلسطين . ويقترح حزبان تروتسكيان هما « عصبة الصراع الطبقي » و « الحلف الاشتراكي الثوري » بدلا من الدولة العلمانية الديمقراطية ان يعامل « المتحدثون بالعبرية » كأقلية تتمتع بالحماية وبكافة الحقوق الديمقراطية[١١١]. اما الاحزاب الثلاثة الاخرى فقد اقترحت وجود قوميتين في فلسطين مع احتفاظ كل وحدة قومية بحق تقرير المصير (بما فيه حق الانسحاب)([١١٢]). ومن المفارقات ان يتبنى هؤلاء اليساريون الذين يشكون بالقومية شكا كبيرا فكرة دولة ذات قوميتين في فلسطين . وهذا الاقتراح يدعم موضوعيا ادعاء الصهيونية بحق اقامة دولة يهودية صرفة ، ويدعم ايضا اقامة « جيتو » لليهود في الشرق الاوسط .

التيار الماوي : ان المنظمات والمطبوعات التي تنتمي الى التيار الماوي هي : الصحيفة الاسبوعية **ذي غارديان** ، ومجلة « الاتحاد الثوري » الشهرية **ريفوليوشن**، وجناحه الطلابي «اتيكا بريغاد» الذي يصدر المطبوعة الشهرية **فايت باك** ، و « عصبة اكتوبر » التي تصدر المطبوعة الشهرية **ذي كول** . وان اعضاء وقراء كل هذه المنظمات والمطبوعات

من الماركسيين — اللينينين ومن الملتزمين بافكار ماوتسي — تونغ . ومن اجل تسهيل التحليل سندعو كل هذه المنظمات « الماويين » في هذا المقال .

ورغم ان هذه الاحزاب تختلف فيما بينها حول الاستراتيجية الثورية المحلية ، فانها كلها قريبة من الموقف الصيني في الشؤون الخارجية ، ومتفقة في انتقادها للاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة كقوتين استعماريتين . وهذه الاحزاب تؤمن بأن التناقض الرئيسي في العالم اليوم هو بين الاستعمار والتحرر الوطني ، وبان على الشيوعيين الثوريين ان يعملوا اولا وقبل كل شيء من اجل بناء جبهة عالمية موحدة معادية للاستعمار تتشكل من كل بلدان العالم الثالث التي تسعى للتحرر الوطني من الاستعمار الاميركي المتقهقر ومن الاستعمار السوفياتي المتصاعد .

ويتضح هذا التناقض الرئيسي في الشرق الاوسط من التناقض بين الصهيونية (وهي نسخة محلية للاستعمار) والجماهير الفلسطينية والعربية : ... « الصهيونية والاستعمار هما العدوان الرئيسيان للشعب العربي ... »(١١٣). « وان لب المشكلة في الشرق الاوسط هو ان مليونا ونصف المليون من الفلسطينيين قد اقتلعوا من اراضيهم وبيوتهم ومتاجرهم والقي بهم في المخيمات منذ العام ١٩٤٧ . وهم يشعرون بان لهم الحق في الارض التي عاشوا عليها وعاش اجدادهم عليها لاكثر من الف سنة »(١١٤). « كما ان المقاومة البطولية للشعب الفلسطيني (للصهيونية) والدعم الذي يلقاه نضالهم من الجماهير العربية هي جذور الصراع الحالي ، وتشكل تهديدا مباشرا للقوتين العظميين »(١١٥). « وان ما يوحد الاستعمار والاستعمار الاجتماعي،والطبقات العربية الحاكمة، والصهيونيين هو الخوف من نشوء حركة جماهيرية حقيقية في الشرق الاوسط ... موجهة ضد الصهيونية والسيطرة الاجنبية بكل اشكالها »(١١٦).

ويعتبر الماويون الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قوتين عظميين تحاولان انشاء التوافق الاستعماري في الشرق الاوسط والمحافظة عليه . وهاتان القوتان تكونان احيانا في وضع تنافسي ، كما هي الحال في دعمهما لزبائنهما المتحاربين ، ولكن احيانا تتفقان للمحافظة على مصالحهما المشتركة .

وترتكز المصالح الاستعمارية الاميركية حول حماية الشرق الاوسط لاسباب عسكرية — استراتيجية ، وسحق حركات التحرر العربية وغير العربية ، وبالطبع تأمين استمرار تدفق النفط : « ان الولايات المتحدة تستعمل اسرائيل (ككلب حراسة) لحقول النفط في الشرق الاوسط ... وهم يريدون استمرار تدفق النفط اليهم باسعار منخفضة. وهم يتعمدون ابقاء الشرق الاوسط ضعيفا لابقاء سيطرتهم عليه . فلا حرب ... ولا سلم ... بل غليان ... »(١١٧). وتحقق الولايات المتحدة ذلك بدعمها للاقتصاد الاسرائيلي ، وبتزويد اسرائيل والدول العربية الرجعية بالسلاح والمعدات الحربية، وبابقاء التهديد العسكري قائما من خلال استنفار الاسطول السادس وتدريب القوات الاميركية على حرب الصحراء(١١٨).

وينتقد الماويون الاتحاد السوفياتي بشكل مشابه لنقدهم للولايات المتحدة : « وفي الشرق الاوسط ، يقف الاتحاد السوفياتي من الامبراطورية الاميركية المتهاوية ، كموقف الولايات المتحدة من الامبراطورية البريطانية المتهاوية بعد الحرب العالمية الثانية : فقد هلل المستعمرون الاميركيون لاعلان استقلال المستعمرات السابقة لكي يلهوها عن تحركهم لوراثة المصالح البريطانية والفرنسية . والان يغلف المستعمرون السوفيات اطماعهم بالاعلام الحمراء الاشتراكية ومعاداة الاستعمار من اجل تغطية محاولتهم للسيطرة على استقلال الامم التي تسعى الان لتحرير نفسها من الاستعمار الاميركي »(١١٩).

والسوفيات ، كالاميركان ، يخشون الاستقلال الاصيل لدول العالم الثالث . وهم يزاحمون الاميركيين على ثروات الشرق الاوسط ، وخاصة النفط ، ويحافظون على الوفاق معهم على حساب الامم الصغرى ، كما حدث في القرار المشترك للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لفرض وقف اطلاق نار غير مقبول جماهيريا (لانه يعني لا حرب ولا سلم) من خلال مجلس الامن الدولي(١٢٠). ويظهر هذا الامر ايضا من علاقة القوتين العظميين مع اسرائيل والدول العربية : « فقد دأبت القوتان العظميان منذ زمن على تشجيع عدوان اسرائيل . وقد تابعت الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بالقاذفات

والدبابات ، بينما ظل الاتحاد السوفياتي المصدر الاساسي الذي يزود اسرائيل بالطاقة البشرية »(١٢١). فان سماح الاتحاد السوفياتي بهجرة ٣٠,٠٠٠ يهودي سوفياتي سنويا الى اسرائيل يعتبر عاملا رئيسيا من عوامل مشكلة الشرق الاوسط(١٢٢). كما ان الماويين ينتقدون ستالين والاتحاد السوفياتي لمساعدتهما في خلق اسرائيل في المكان الاول . ويذهب رئيس تحرير **ذي غارديان** ، اروين سيلبر ، الى حد انتقاد نفسه وبقية اعضاء اليسار الاميركي القديم لدعمهم اسرائيل في السنوات التي تلت العام ١٩٤٨(١٢٣).

ويعالج سيلبر في المقال نفسه طبيعة العلاقات السوفياتية ــ العربية الحالية ، ويشير الى الدعم العسكري والدبلوماسي الذي قدمه السوفيات للعرب لاستعادة اراضيهم المحتلة عام ١٩٦٧، والى ان السوفيات قد زودوا المقاومة الفلسطينية بالاسلحة(١٢٤). ولكن هذه المساعدات صحبها المستشارون السوفيات الذين لعبوا دور كبح جماح الجيوش العربية ، وكانت الاسلحة دفاعية وليست هجومية . كما ان الاتحاد السوفياتي ضغط على الفلسطينيين للاعتراف بوجود اسرائيل واعادة تجميع شعبهم في دولة في الضفة الغربية(١٢٥). وترتكز سياسة الاتحاد السوفياتي على الاعتراف بهم وتدعيم الصهيونية ودولة اسرائيل .

ويقول الماويون ، من ناحية ثانية ، ان الصهيونية وطبيعة اسرائيل نفسها هما جذور المشكلة : « ... ان الدولة الصهيونية الاسرائيلية ملتصقة بالعدوان ونهب الاراضي المسروقة ... وقد اوجدتها الصهيونية ، وهي حركة قام بها بعض اليهود الاوروبيين الشرقيين ، وقادتها القوى البورجوازية ، وساعدتها الدول الاستعمارية الكبرى . فاسرائيل دولة اصطناعية ، وهي مستعمرة استيطانية غربية اقيمت بالقوة في قلب العالم العربي »(١٢٦).

وينظر الماويون الى اسرائيل على انها « اسرع دولة توسعت في العالم ، اذ ضاعفت مساحتها ثلاث مرات في ٢٥ عاما . وطبيعتها نظرية ، وهي دمية في يد الاستعمار »(١٢٧). ويشرح مقال تاريخي اعلامي نشرته « وكالة انباء التحرير »كيف ان توسع اسرائيل ما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كان السبب في طرد العرب من ديارهم(١٢٨). اما بعد العام ١٩٤٨ فقد « سارع الصهيونيون الى الكشف عن دورهم كعملاء للاستعمار الاميركي ، ومارسوا التوسع العدواني على حساب الشعب العربي منذ ذلك التاريخ »(١٢٩). فمثلا ، كان هدف اشتراك اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في حرب السويس الاستعمارية عام ١٩٥٦ هو منع مصر وسوريا من الانتقال الى المعسكر الاشتراكي ، وكان احد أهداف حرب الايام الستة في ١٩٦٧ هو اسقاط نظام حكم عبد الناصر في مصر وحكم حزب البعث في سوريا ، لان كلا النظامين كانا يقاومان السيطرة الغربية(١٣٠). وتؤيد اسرائيل ايضا الاستعمار الاميركي في مناطق اخرى من العالم ، مثل الحرب الكورية ، وحرب الهند ــ الصينية ، واختراقها لاتحادات العمال الافريقية(١٣١). كما ان التناقض بين الصهيونية والفلسطينيين وغيرهم من العرب قد ازداد منذ العام ١٩٦٧ بسبب سياسات اسرائيل الاستعمارية في الاراضي المحتلة ، مثل اقامة المستوطنات شبه ــ العسكرية ، واستغلال ثروات المناطق المحتلة والايدي العاملة الرخيصة فيها(١٣٢).

كما ان التناقضات داخل اسرائيل قد ازدادت حدة منذ العام ١٩٦٧ ، مع تردي اوضاع البطالة والتضخم والتمييز ضد اليهود الافريقيين والاسيويين(١٣٣). ويرى الماويون ان الصهيونية عقيدة تستعمل ضد مصالح الطبقة العاملةاليهودية. فقد ابعدتهم عن الصراع الطبقي في الدول التي كانوا يقيمون فيها اصلا(١٣٤). والان : « يريد رجال الاعمال الكبار اصدقاء اسرائيل ، ان يمنعوا الشعب اليهودي في الشرق الاوسط من الحصول على ما يضمن له الحق في الحياة ... اي دولة ديمقراطية متعددة القوميات يعيش فيها اليهود والعرب بدون سيطرة استعمارية »(١٣٥).

ويبحث الماويون ايضا بشكل نقدي طبيعة الدول العربية واوضاعها الداخلية ، ويفرقون فيما بين هذه الدول(١٣٦). فصحيفة **ذي غارديان** ترى انه يجب عدم الدفاع عن النظم الاجتماعية العربية الحالية : « لقد أصيبت الدول العربية بتشوهات تاريخية نتيجة للاستعمار ... فما زالت بعض هذه الدول تخضع لسيطرة الطبقات شبه الاقطاعية والبرجوازية الكومبرادورية . ولكن هناك تيارات تقدمية تبرز للوجود : فان استقلال الدول العربية

والوحدة المتصاعدة بينها تخلق افضل الظروف لحركة العمال والفلاحين في الدول العربية »(١٣٧).

ويعتبر الماويون حرب اكتوبر ، وحظر النفط ، وحركة الوحدة العربية دلائل على الاتجاه نحو جبهة مالية موحدة ومعادية للاستعمار في اوساط العالم الثالث ، مما يدعم ايمانهم بان التناقض الرئيسي الحالي هو بين الاستعمار والتحرر الوطني(١٣٨). فالمنافسة الحالية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة من اجل توسيع مناطق نفوذهما قد خلقت الظروف الملائمة للنضال من جانب الدول العربية ودول الشرق الاوسط . وقد كانت النتيجة ان هذه الدول اخذت تتصدى للقوى العظمى وتلعب دورا اكثر استقلالية ... »(١٣٩). وايضا ، « ان النصر العربي يعني ، في نهاية المطاف ، كسبا اضافيا لاستقلال الدول الاصغر في العالم ، وبداية النهاية للاستعمار والاستعمار الاجتماعي والصهيونية في الشرق الاوسط »(١٤٠).

وتماشيا مع المعادلة الشيوعية الصينية القائلة « البلدان تريد الاستقلال ، والامم تريد التحرر ، والشعب يريد الثورة » ، فان الاستراتيجية الماوية لتحقيق انتصار الجماهير الفلسطينية والعربية النهائي هي : « ان يتابع الشعب العربي تطوير نضاله بالاعتماد على نفسه وعلى حرب الشعب » لان « أي من القوتين العظميين لن تنسحب من تلقاء نفسها »(١٤١).

اما الاعتبارات التكتيكية القصيرة — المدى فتفرض اتحاد الانظمة العربية الحالية في جبهة واحدة معادية للاستعمار . وحتى لو كانت هذه النظم بورجوازية او اقطاعية ، يبقى لها تناقضات مع الصهيونية والاستعمار تحولها الى (قوى وسطية) تنخرط في التيار الثوري المتصاعد للدول الصغيرة التي تتصدى للسيطرة الاميركية والسوفياتية بغية نيل استقلالها(١٤٢).

ويتبع الماويون الاميركيون المنطق نفسه لتفسير ودعم السياسة الخارجية الصينية بشكل عام ، ومواقف الصين في الشرق الاوسط والامم المتحدة بشكل خاص . فالصين الشعبية « التي تؤيد بقوة اماني الشعب الفلسطيني المشرد » وتفضل «نضالا طويلا حتى النهاية » عارضت وقف اطلاق النار الذي انهى حرب اكتوبر ، ولكنها امتنعت عن التصويت في مجلس الامن تضامنا مع مصر وسوريا ومع حكومات عربية اخرى اتخذت موقفا تقدميا الى حد ما اثناء الحرب . فالصين الشعبية تحاول الحفاظ على الجبهة الموحدة المعادية للاستعمار من خلال عدم عرقلتها للاهداف القومية لهذه البلدان ، « حتى وان كانت حكوماتها الحالية لا تمثل اماني وتطلعات شعوبها »(١٤٣). وهكذا فان الماويين يحترمون اهداف الدول العربية التي شنت حرب اكتوبر لاجلها ، ولكنهم في الوقت نفسه يدركون طبيعة تلك الاهداف المحدودة ويشددون على ضرورة اهداف اكبر في المستقبل . وقد كانت الاهداف المحدودة لحرب اكتوبر الرد المباشر على العدوان الاسرائيلي في العام السابق ، وفرض تسوية سياسية لوضع لا يطاق ، ولتحدي احتلال اسرائيل للمناطق التي اخذتها عام ١٩٦٧(١٤٤). « ... فمن الواضح ان الحرب التي تشن حاليا في الشرق الاوسط ليست حربا شعبية هدفها تحرير فلسطين كلها ... فالهدف الرئيسي للعرب فيهذه الحرب هو استعادة الاراضي التي فقدوها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبشكل ثانوي تمكين اللاجئين الفلسطينيين من العودة لوطنهم »(١٤٥). ولكن الماويين مقتنعون ايضا بان الدافع الخفي للحرب كان الضغط الجماهيري من اجل التحرير الوطني ، ليس للاراضي المحتلة فقط وانما لفلسطين ايضا(١٤٦). فقد كانت الحرب في آن واحد تعبيرا عن هذه التيارات وصمام أمان لاطلاق تلك الضغوطات بدون تحقيق المطالب المطروحة .

وقد رأى الماويون ان النتائج الفورية للحرب كانت زيادة مستوى الوحدة العربية وزيادة الدعم للفلسطينيين . ولكنهم قدموا ثلاثة تحفظات: **اولا** ، ان بعض الحكام يهدد الوحدة العربية بتصرفاته الفردية ... وهذا مثال على ضرورة عدم الثقة بالقيادة الحالية . **ثانيا** ، ان على الدول العربية ان تعتمد على نفسها في تحركاتها العسكرية والا تبقى معتمدة على الاتحاد السوفياتي . **ثالثا** ، « ان اية تسوية — عسكرية أم دبلوماسية — لا تلتقي والاماني القومية للشعب الفلسطيني محكوم عليها الا تعمر طويلا »(١٤٧).

وانطلاقا من هذا الالتزام ، تقوم الصحف الماوية في اميركا بنقل العديد من التصريحات والمواقف التي يطلقها او يتخذها الفلسطينيون . ومع تحول الموقف

الفلسطيني بعد حرب اكتوبر بابداء الرغبة في بحث قيام سلطة وطنية في الضفة الغربية وغزة ، فقد حافظ الماويون الاميركيون على استراتيجيتهم ذات الخطين التي تفرضها فلسفتهم حول الجبهة الموحدة المعادية للاستعمار. فهم من ناحية يلتزمون بالنضال المسلح طويل الامد وحرب الشعب كطريق لاقامة دولة حرة وديمقراطية فوق كل فلسطين ، ويوافقون في الوقت نفسه على تحقيق أهداف قومية محدودة وقصيرة المدى تعطي الفلسطينيين حدا أدنى من تقرير المصير القومي والاستقلال .

وقد نشرت **ذي غارديان** خلال الاشهر الثلاثة التي شملتها هذه الدراسة بيانات عديدة صدرت عن منظمات المقاومة الفلسطينية وحولها . ومن بينها بيان للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين صدر في ايار ١٩٧٠ بعنوان « نحو حل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية »(١٤٨). وكذلك نص « برنامج النقاط السبع » الذي أقرته اللجنة المركزية لفتح في كانون الثاني ١٩٦٩ والذي دعا ايضا الى دولة ديمقراطية علمانية(١٤٩). ونشرت **ذي غارديان** في آخر نوفمبر مقالين منفصلين حول كيف ان غالبية المقاومة الفلسطينية (باستثناء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) قد « وافقت على الاشتراك في مؤتمر دولي وعلى قبول قيام دولة فلسطينية كخطوة اولية ». وقد جرى التشديد على ان هذا القبول يشكل مرحلة انتقالية نحو تحقيق الهدف النهائي باقامة دولة ديمقراطية في فلسطين **كلها** . ونشرت **ذي غارديان** في ديسمبر ١٩٧٣ مراجعة لمقابلة مع نايف حواتمة ظهرت في مجلة **أفريكاسيا** عدّد فيها أسباب قبول الجبهة الشعبية الديمقراطية بدولة فلسطينية(١٥١). وقد نقلت **ذي كول** في الشهر نفسه تقارير حول رفض بعض الفلسطينيين والعرب الاخرين لوقف اطلاق النار وللتسوية عن طريق الامم المتحدة ، وشددت على ضرورة تحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وضرورة متابعة الكفاح المسلح وحرب الشعب لتحصيل تلك الحقوق كاملة(١٥٢).

ويرفض الماويون شروط ومبدأ التسوية المقترحة من قبل القوى العظمى ، لانهم يرون فيها خسارة أكيدة للفلسطينيين: « ان حركة التحرير الفلسطينية تطعن في الظهر من قبل اصدقائها المفترضين (الاتحاد السوفياتي مثلا) . وبالرغم من انه سيسمح لدولة الضفة الغربية — اذا تم تحقيقها — القيام ببعض الدعاية « التحررية » ، فان « أمن » دولة اسرائيل المستعمرة ستضمنه القوتان العظميان . وان اية محاولة تقوم بها قوات التحرير الفلسطينية لقلب هذه المعادلة النظيفة التي تضع الاسس لمصالح كل من القوتين في الشرق الاوسط ، ستجابه بقمع اميركي روسي مشترك »(١٥٣). وسيكون الفلسطينيون ضحية هذه التسوية لانها لا تقر بأن الصهاينة هم المعتدون ، ولانها تفترض **مسبقا** ان للدولة الصهيونية الحق في الوجود فوق الوطن الذي كان يعرف باسم فلسطين(١٥٤).

ويؤمن الماويون بأن السلم العادل والدائم في الشرق الاوسط لا يمكن تحقيقه الا بتحقيق شروط معينة . وهذه الشروط هي : (١) ازالة نفوذ القوى العظمى(١٥٥) ، (٢) انهاء المساعدة العسكرية الاميركية لاسرائيل(١٥٦) ، (٣) عودة الاراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧(١٥٧) ، (٤) اعادة الحقوق العادلة للشعب الفلسطيني ، والمعرفة بالحقوق الوطنية في كل فلسطين بالمشاركة مع اليهود الاسرائيليين في دولة علمانية ديمقراطية(١٥٨).

ويحاول الماويون تحقيق هدفين من وراء تقاريرهم وتحليلهم لشؤون الشرق الاوسط : **اولا** ، انهم يحاولون الالتزام بمبادىء الفكر الماركسي — اللينيني — الماوي ، مثلا اهمية التحرر الوطني والجبهة الموحدة المعادية للاستعمار ، وتطبيقها على الصراع الفلسطيني — الصهيوني والصراع العربي — الاسرائيلي . **ثانيا** ، انهم يتوجهون أساسا الى اليسار المؤيد للصهيونية — اليهودي وغير اليهودي — في الولايات المتحدة ، والذي لم يغير موقفه منها . ولهذا السبب نجد ان مطبوعاتهم تحتوي على نبذات تاريخية طويلة ، وحقائق موثقة ، وتحليل طبقي لاسرائيل والصهيونية ، وهي معلومات لم تكن متوافرة للشبان اليساريين قبل بضع سنوات .

حزب عمال العالم : يعبر هذا الحزب من خلال صحيفته **عمال العالم** عن موقف سياسي معاد بشدة للصهيونية وللاستعمار الغربي . وهو يتخذ موقفا نقديا من الاتحاد السوفياتي والصين دون ان يلتزم بالمعسكر التروتسكي(١٥٩). ويعتبر حزب عمال العالم ان الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية

بلدان اشتراكيان شقيقان(١٦٠)، ويعترض على وصفهما « بالقوى العظمى » ، لان هذا الوصف يخفي الفرق بين هذه القوى . فالاتحاد السوفياتي ما يزال دولة اشتراكية عمالية والولايات المتحدة دولة استعمارية عدوانية . ويقدر حزب عمال العالم دور المساعدة العسكرية والمادية السوفياتية الهائلة للعرب في تمكينهم من مقاومة الاستعمار(١٦١).

وينتقد « حزب عمال العالم » ، في الوقت نفسه، الاتحاد السوفياتي والصين على سياستهما الخارجية التي تعمد الى الوفاق والتعايش مع الولايات المتحدة : مثلا ، شجب البلدان العدوان الاسرائيلي بدون أن يأتيا على ذكر الاستعمار الاميركي اثناء حرب اكتوبر . ويؤمن « حزب عمال العالم » بأن الوفاق الدائم أمر غير ممكن ، وان الحروب التي تسببها الامبريالية أمر حتمي(١٦٢). كما ان الحزب يلقي اللوم في سياسة الصين الخارجية بعد العام ١٩٧٠ والعداء الصيني للاتحاد السوفياتي على الافكار غير التقدمية لشو آن لاي(١٦٣).

أما الاتحاد السوفياتي فيلقى انتقادا عنيفا من الحزب على سياسته الداخلية والخارجية . فالحزب يقول ان ستالين أيد تقسيم فلسطين لاسباب انتهازية ، للحصول على موطىء قدم في الشرق الاوسط من خلال نفوذه على القادة الصهيونيين الذين كانت لهم جذور اشتراكية ، وان عمل ستالين ذلك يعتبر « خيانة لسعي العرب للتحرر الوطني »(١٦٤). ورغم ان الاتحاد السوفياتي يساعد العرب فهو لا يعطيهم كل ما يريدونه ويحتاجونه (مثلا ، الاسلحة الهجومية) بسبب تحريفية البروقراطية السوفياتية (التي تسعى الى تجنب الصدام من خلال الوفاق والتعايش مع الولايات المتحدة) وانتهازيتها فيما يتعلق بالتحرر الوطني والصراع الطبقي . وان اتفاق الاتحاد السوفياتي مع الاميركيين على اجراء محادثات سلام « بدون اشتراك ممثلين فلسطينيين يعتبر انتهاكا خطيرا لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وخيانة للمبادىء التي قاتل من اجلها الشعب السوفياتي في ظل لينين »(١٦٥).

ويعتبر الحزب الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى الاعداء الدائمين والحقيقيين للشعب العربي ، الذين يريدون المحافظة على سيطرتهم على منابع النفط ، كما يهمهم احتواء واخضاع العرب . ويمكن معرفة مدى اهمية الشرق الاوسط بالنسبة للولايات المتحدة من خلال وقوف الطبقة الحاكمة كلها ، رغم وجود تناقضات داخلية فيما بينها (مثلا ، رغبة المؤسسة الليبرالية في اتهام ومحاكمة نيكسون) ، من كندي الى مسكي الى موندال الى ستيفنسون الى **النيويورك تايمز** خلف اعلان نيكسون الاستنفار النووي اثناء حرب اكتوبر . كما ان نيكسون لقي دعما من مجموعة روكفلر في استعمال « النقص في النفط » كمسادة دعائية لتبرير دعم اسرائيل ودعم احتلالها للاراضي العربية ولتمكين شركات النفط من زيادة ارباحها غير المعقولة(١٦٦).

ويرى الحزب ان قاعدة الصراع في الشرق الاوسط هو التناقض بين الاستعمار والتحرر الوطني ، وان اسرائيل تلعب دورا اساسيا في هذا الصراع كعميل للاستعمار . « ... لا يمكن فهم الشرق الاوسط الا كجزء من صراع اوسع ، الصراع الطبقي في العالم . وان النضال العربي في الشرق الاوسط يهدف الى تحرير تلك المنطقة من قبضة احتكارات النفط الاميركية . وقد أوجد المستعمرون اسرائيل لاقناع اليهود الذين نجوا من المذبحة النازية بأن يصبحوا اسفينا في قلب الثورة النامية في المنطقة »(١٦٧). ويمكن معرفة كيفية خدمة اسرائيل للاستعمار من خلال هجماتها على قنال السويس : « لقد جعلت اسرائيل قنال السويس هدفا لاعمالها العسكرية مرة اثر اخرى ، وحرمت الحكومة المصرية من مصدر دخل أساسي ، وقوت بذلك من مركز حليفها السياسي جنوب افريقيا (لان معظم السفن اضطرت للدوران حول افريقيا) ، ومنعت ايضا الاتحاد السوفياتي من الوصول بحرا بسهولة الى الشرق الاقصى »(١٦٨).

كما ان اسرائيل لا تشكل حلا طويل المدى لمشاكل اليهود : « ... اسرائيل ليست ملجأ آمنا للشعب اليهودي ، ولكنها مصيدة قاتلة خلقت لخدمة الاحتكارات النفطية الاميركية ... » . « اما الشعب الفلسطيني فهو يقاسي أكثر من اي فئة اخرى نتيجة لتجاهل حقه العادل في العودة الى وطنه ، وتحول الى « مشكلة لاجئين » بنظر الامم المتحدة »(١٦٩).

وتقر صحيفة **عالم العمال** بالمركز الاساسي للفلسطينيين والصهيونية في صراع الشرق الاوسط

ولكنها تخصص حيزاً اكبر للصراع بين حركة التحرر الوطني العربية والاستعمار . وقد كتب العديد من المقالات حول الانظمة العربية الحاكمة والدول العربية المختلفة ، من وجهة وصفية وتقييمية . وان تحليل « حزب عمال العالم » لطبيعة الانظمة العربية يسمح للحزب بتقديم الدعم لهذه الانظمة في بعض الظروف مع الاحتفاظ بحقه في ادراك محدودية الحكام العرب الطبقية . ويرى الحزب ان الحقيقة الاساسية التي يجب ان يقف ازاءها كل العرب هي الخطر الامبريالي . وينفي احد الكتاب التهمة القائلة بأن القادة العرب كانوا يؤيدون النازية ، ويدافع عن ثورة ١٩٤١ العراقية بأنها كانت موجهة ضد الاستعمار البريطاني ولم تكن من وحي اية عقيدة اجنبية . وهو يرفض القول بأن الدول العربية تخضع للسوفيات ، ويصر على ان لكل دول العالم الثالث الحق في النضال من اجل التحرر بأية اسلحة تتوافر لديهم ومن اي مصدر كان(١٧٠). ويؤيد الحزب تأميم العراق لشركة نفط العراق ، والاتفاقات التي عقدها مع السوفيات ويعتبرها أعمالا « تقدمية » تخشاها الامبريالية وتحاول ازالتها من خلال تأييدها للعدوان الايراني ضد العراق ، ومحاولة ايران السيطرة على الخليج(١٧١).

كما ان الحزب يحتفظ بتقدير كبير لموقف مصر المضاد للاستعمار في ظل عبدالناصر . ففي عام ١٩٥٦ « بدأ عبدالناصر والعناصر الوطنية المحيطة به ببناء درجة من الاستقلال عن الاستعمار الغربي من خلال اقامة علاقات مع المعسكر الاشتراكي »(١٧٢). ومن هذه العلاقات التقرب من الصين الشعبية ، والمشاركة في مؤتمر باندونج ، وصفقة السلاح التشيكية ، وتأميم شركة القنال ، وتأميم الممتلكات البريطانية والفرنسية . كذلك قام عبدالناصر في العام ١٩٦٧ بطرد قوات الامم المتحدة من سيناء لانه كان يعلم ان اسرائيل تخطط لحرب عدوانية ضد الحركة الفدائية الفلسطينية وضد الحكومة التقدمية في سوريا(١٧٣).

ويقف حزب عمال العالم موقفا غير ايجابي من نظام السادات . فقد وصف الساداتي في مقال بعنوان « التعايش الاميركي — الساداتي ليس في مصلحة القضية الفلسطينية » بأنه قد تحول الى « البورجوازية الوطنية » باتجاه اليمين عندما أعاد العلاقات مع الولايات المتحد ، وطبق سياسة العودة عن التأميم ، ودعا الى توظيف رؤوس الاموال الاجنبية في بلاده ، بالرغم من انه ما يزال يعارض اسرائيل ويمتدح الصداقة السوفياتية ويعترف بفضل السوفيات(١٧٤).

ويعتبر **حزب عمال العالم** حرب اكتوبر وحظر النفط عملين تقدميين ولكن محدودين(١٧٥). فالحرب كانت محاولة شرعية من جانب العرب لاستعادة أراضيهم بالقوة . وكانت احدى النتائج الملموسة للحرب اسقاط خرافة « اسرائيل التي لا تقهر » من خلال عمل عسكري كفؤ . وقد رفعت المكاسب المحدودة للحرب ولحظر النفط معنويات العرب وأكسبتهم « ثقة جديدة » في معاداتهم للاستعمار . وقد وجه حزب عمال العالم « رسالة الى اليمن المحررة » أعلن فيها : « نحن نحيي نضال الشعب العربي كله لتحرير نفسه من نير الاستعمار الاميركي وعميله اسرائيل . وقد أظهر قتال اكتوبر تصميم الجماهير العربية على الانتصار في المعركة. ونحن ندعم حق هذه الجماهير بمتابعة القتال بكل سلاح تحت ايديها ، بما فيه مصادر النفط والسيطرة على المضائق المائية »(١٧٦).

ويعتقد حزب عمال العالم بأن الحكام العرب قد شنوا الحرب وحظروا النفط لانهم لم يعودوا قادرين على احتواء المد المعادي للاستعمار في اوساط الشعب العربي . « ان يقظة ملايين الجماهير العربية هي بدون شك القوة الدافعة وراء صمود الحكومات العربية »(١٧٧).

ويرفض حزب عمال العالم احلال تسوية عن طريق الامم المتحدة ، لانه لا يمكن ايجاد اي حل سلمي للتناقض بين التحرر الوطني والاستعمار . ويعتبر الحزب الامم المتحدة أداة في يد الولايات المتحدة ساهمت في خلق دولة اسرائيل ، وتمرير مشروع التقسيم (نوفمبر ١٩٤٧) ، والاعتراف بالتوسع الاقليمي الصهيوني من قبل الولايات المتحدة (١٥ ايار ١٩٤٨) ومن قبل الامم المتحدة (١١ أيار ١٩٤٩)(١٧٨). ويعتبر الحزب كذلك ان قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ارادة اميركية لهضم الحق العربي وانكار الحق الفلسطيني .

وعلى أي حال ، فان حزب عمال العالم يقول : « ان المناخ الحربي الدائم في الشرق الاوسط لن يحل بأي اتفاق حول الحدود . فحل كهذا سيكون

اجراء مؤقتا . والحل الوحيد هو تخليص الشرق الاوسط من دولة اسرائيل العميلة واقامة دولة يعيش فيها العرب واليهود على أسس متساوية »(١٨٠).

وقد اتخذ حزب «الشبان ضد الحرب والفاشية» موقفا مماثلا خلال مسيرات الاحتجاج والتظاهرات التي حدثت اثناء وبعد حرب اكتوبر . فقد قال « جويل مايرز » المتحدث باسم الحزب : « ان الحل الوحيد هو ارجاع الفلسطينيين الى وطنهم وخلق دولة على أساس المساواة بين العرب واليهود ، تكون مستقلة عن الاستعمار الاميركي »(١٨١).

حزب العمل التقدمي : تقول الصحيفة نصف الشهرية لحزب العمل التقدمي بأنها ماركسية — لينينية ، وتختلف اختلافا جذريا في تفسيرها لصراع الشرق الاوسط عن الحزب الشيوعي الاميركي والماويين وحزب عمال العالم . وباختصار ، ان حزب العمل التقدمي لا يعترف بالمسالة القومية في فلسطين ، ولا يحترم اية قومية (وهو يقول ان القومية « مصيدة »)(١٨٢)، ويؤمن بأن الاولوية يجب ان تعطى لوحدة البروليتاريا العالمية وللصراع الطبقي . ويعتبر الحزب ان اسرائيل صنيعة امبريالية ، وان كل دول الشرق الاوسط دمى امبريالية غير قادرة على اتخاذ اي عمل مستقل ، وبالتالي فان حرب اكتوبر كانت حربا امبريالية ستمكن السيد الامبريالي من حكم الشرق الاوسط . وأخيرا ، يعتبر الحزب الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والدولة الاوروبية والصين الشعبية دولا امبريالية .

وطبقا لتحليل حزب العمل التقدمي ، فان منطقة الشرق الاوسط لا تمتلك حياة او طاقة ذاتية — باستثناء وجود حركة عمالية فيها مشابهة للمناطق الاخرى — بل هي مسرح للمواجهة الاستعمارية . ويرجع هذا الامر الى ان الشرق الاوسط « استراتيجي من الناحية الجغرافية ، ويحتوي على ثلثي أهم المواد الخام بالنسبة للصناعة الحديثة »(١٨٣). وان الولايات المتحدة أقوى أمة استعمارية لانها تسيطر على الدول المنتجة للنفط وعلى اسرائيل . « وقد أثار نمو الحركة العمالية العربية قلق الامبريالية الاميركية — البريطانية ودفعها عام ١٩٤٧ الى انشاء مستعمرة اسرائيل لتكون : (١) شرطي حراسة لشركات النفط . (٢) مغناطيس يحول الغضب العربي عن شركات النفط الى الصهيونيين القتلة و(٣) حجة تستعملها الولايات المتحدة لتسليح الانظمة الرجعية العربية ضد شعوبها ، من أجل ترسيخ هؤلاء الحكام التابعين لها »(١٨٤).

كما ان الحزب لا يعتبر الصهيونية قوة قائمة بذاتها ، بل أداة استعمارية . وكما ظهر في الحرب الاخيرة : « لقد كشف موقف الاسرائيليين الفاشيين انهم ليسوا اكثر من دمى تعيسة في يد الاستعمار الاميركي . فقد قام المستعمرون الاميركيون بشحن أكثر انواع الاسلحة تطورا بطريق الجو الى اسرائيل ، وبارسال العملاء و« المتطوعين » لتدعيم الدولة الصهيونية المتهاوية ، وارسال الاموال ، وتنظيم المسيرات المؤيدة لاسرائيل ، واستعمال سلاح الجو الاميركي في مهمات « استطلاعية » لصالح عملائهم في تل — ابيب »(١٨٥). وتقوم قوى امبريالية اخرى بمنافسة الولايات المتحدة لتقويض سيطرتها الانفرادية في الشرق الاوسط . وهكذا « ... فقد استغل المستعمرون السوفيات المناسبة لزيادة نفوذهم وسيطرتهم في الدول العربية الوطنية من خلال ارسال السلاح والمستشارين ايضا . أما المستعمرون الفرنسيون فيكسبون من « الانحراف » نحو الجانب العربي . أما المستعمرون الاخرون (كالانجليز) فيدعون الحياد او يصدرون بيانات مؤيدة للعرب (كالصينيين) »(١٨٦).

والدول العربية ، مثل اسرائيل ، مجرد مخالب في هذه اللعبة ، « فقد نادى الخاضعون لفرنسا والخاضعون للسوفيات بتأميم شركات النفط الاميركية ، وذلك لمساعدة اسيادهم على انتزاع المنطقة من الولايات المتحدة »(١٨٧). وينتقد حزب العمل التقدمي الاتحاد السوفياتي بمرارة على دوره في الشرق الاوسط ، وخاصة لقيامه بتدعيم القومية وخذل الصراع الطبقي . وان تكتيك الاتحاد السوفياتي يعتمد على « خذل ثورية الطبقة العاملة الاممية والتحالف مع أشد القوميات عداء للشيوعية خارج اسرائيل » . ويتهم الحزب الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بمحاولة « الابقاء على الهستيريا العنصرية — القومية منتعشة في الشرق الاوسط لتغطية حقيقة اسباب وجودهما في المنطقة »(١٨٨).

ويمكن المحافظة على هذه الهستيريا من خلال

الوجود الدائم والتهديد الدائم الذي تمثله اسرائيل. ويسمي الحزب « الشلة الحاكمة الاسرائيلية » نظاما عنصريا وفاشيا ، ويشبه خرافة تفوق الصهيونية العنصرية و« اسرائيل التي لا تقهر » على « المقاتلين المتخلفين » للجيوش العربية بالخرافة النازية حول تفوق العنصر الآري(١٨٩). وهذا يشكل تحديا مستمرا للعرب كعرب ، وليس كعمال ، وتستنفد طاقاتهم في صراع بعيد كل البعد عن قتال اعدائهم الطبقيين . وتقوم « دولة اسرائيل العنصرية العسكرية » بمساعدة الاستعمار الاميركي « على تحويل حركة الطبقة العاملة العربية التي انتعشت بعد الحرب العالمية الثانية نحو مصيدة القومية » ، وعلى منع الوطنيين العرب من الاستيلاء على حصة كبيرة من ارباح النفط(١٩٠).

كما ان الطبيعة الداخلية للمجتمع الاسرائيلي تعكس العنصرية الفاشية لاسرائيل من خلال التمييز في معاملة العرب واليهود الداكني البشرة . « ان اصرار اسرائيل على الاحتفاظ بشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان (لا تذكر الضفة الغربية هنا ولا في أي مكان آخر) يرجع لكلمة واحدة : الارباح . فالعمال العرب في هذه المناطق يصدرون الى اسرائيل لكي يعملوا في الصناعات الاساسية بأجر أقل من معدل أجر العامل الاسرائيلي »(١٩١).

وقد أوردت صحيفة تشالنج مقالا بعنوان « اسرائيل تأمر بترحيل ١٥ عاملا اسود بشكل نازي » جاء فيه ان ٣٥٠ شخصا ادعوا انهم من أحفاد العبرانيين الاصليين (وهو ادعاء رفضته حكومة اسرائيل) سوف يجري ترحيلهم بناء على اوامر « الفستابو » بشكل يذكرنا « بترحيل النازيين لليهود من اجل «تنقية» المانيا »(١٩٢).

ان التناقض بين الصهيونية والشعب الفلسطيني، الذي يعتبره الحزب الشيوعي الاميركي والماويون اساسيا في تحليلهم للصراع ، ليس اساسيا او حتى مهما بالنسبة لحزب العمل التقدمي . كذلك لا يرى الحزب ان التناقض بين اسرائيل والامة العربية هام بحد ذاته ، بل كغطاء للتنافس الامبريالي في المنطقة . وعلى أساس هذا الخط التحليلي ، لا يقوم الحزب بالتفريق بين الانظمة العربية المختلفة (الا على أساس انتمائها للقوى الاستعمارية المختلفة) ولا يمنحها اي احترام او ثقة اسوة باسرائيل . فكل هذه الدول دمى استعمارية بالرغم من « اسقاط الانظمة الرجعية العميلة لاميركا في سوريا والعراق ولبنان واليمن وليبيا واليمن الجنوبية والسودان » على اثر الثورة المصرية عام ١٩٥٢ . « وقد وقعت هذه الانظمة العربية الوطنية الحديثة تحت سيطرة المستعمرين السوفيات والالمان والفرنسيين والطليان او تحالفات من هذه القوى »(١٩٣).

ويذكر الحزب المملكة العربية السعودية بشكل خاص نظرا لعلاقتها البارزة مع الولايات المتحدة ولدورها في سياسة النفط الحديثة . وتزعم تشالنج انه بينما « استعمل زعماء الولايات المتحدة الاسرائيليين النازيين كسلاح لضمان طاعة الوطنيين العرب ولحماية ارباح النفط العالية، فانهم حاولوا تأمين استثماراتهم الضخمة في السعودية من خلال استغلال ضعف حكام تلك البلاد »(١٩٤). ويعتبر حزب العمل التقدمي حظر النفط ودور السعودية البارز فيه مجرد غطاء لاستمرار السيطرة الاميركية(١٩٥). وهكذا ، فان حزب العمل التقدمي لا يعترف بأن حظر النفط كان تعبيرا صادقا عن المشاعر الوطنية للجماهير العربية . ولا ينظر الحزب الى حرب اكتوبر على انها حرب تحرير شعبية للارض ، ولكن « هذه الحرب ، كالحربين السابقتين ، سببها التنافس الذي يزداد حدة باستمرار فيما بين القوى الامبريالية ، وخاصة التنافس بين المستعمرين الاميركان من جهة، والمستعمرين السوفيات والسوق المشتركة من جهة ثانية »(١٩٦). ويرجع الحزب الفضل في الانجازات العسكرية العربية الى السوفيات وليس الى العرب : « ان الحرب الاخيرة في الشرق الاوسط هي انعكاس للنفوذ السوفياتي النامي باستطراد ، اذ قام جيش عربي آخر سلحه وقاده ودربه السوفيات بغزو اسرائيل وتحقيق بعض الانتصارات العسكرية والسياسية »(١٩٧).

اما النتيجة الرئيسية للحرب فهي تزعزع سيطرة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط من خلال تزعزع موقف اسرائيل. فقد حطمت الحرب اسطورة المناعة الاسرائيلية بعد أن أظهرت ان العسكرية الاسرائيلية نمر من ورق . وقد وصفت ذي تشالنج الخسائر العسكرية الاسرائيلية بأنها خطيرة وقالت : « وهذا علامة بداية النهاية للمستعمرة الصهيونية في الشرق

الاوسط ، وأكثر من ذلك انه يشكل اكبر هزيمة أنزلت حتى الان بزعماء الولايات المتحدة الاستعماريين »(١٩٨).

ولم يعتبر الحزب ان تزعزع السيطرة الاميركية قد أدى الى زيادة الاستقلال الذاتي لدول المنطقة ، وانما كان التراجع في سيطرة اميركا لصالح المستعمرين الاخرين ، وخاصة السوفيات : « ان الدليل على تراجع الامبريالية الاميركية يؤخذ من مبادرة الوطنيين العرب الى مهاجمة اسرائيل . ويبدو ان القادة السوفيات واتباعهم العرب قرروا تحدي اميركا في المنطقة »(١٩٩).

وان الاستراتيجية الامبريالية في استعمال اسرائيل والحكام العرب لكبح جماح الوطنيين العرب قد ارتدت على أصحابها . اولا ، ادت « أعمال الابادة الاسرائيلية النازية » الى تقوية رفض الوطنيين العرب للولايات المتحدة ودفعت بهم نحو مصادر المعونة والسلاح الامبريالية الاخرى . ثانيا ، أصبح بامكان الحكام العرب المطالبة والحصول على « شريحة أكبر من أرباح النفط » من خلال نمو مبادلاتهم التجارية مع اليابان وأوروبا على حساب الولايات المتحدة . « ... والاكثر أهمية ان تطور الاتحاد السوفياتي الى قوة عالمية قد أعطى منتجي النفط العرب ، وخاصة الناصريين ، مصدرا جديدا للاسواق والاسلحة المتطورة»(٢٠٠).

وطبقا لتحليل حزب العمل التقدمي ، لا يمكن اعتبار هذه النتائج « تقدمية » لانها ساعدت على تدعيم مكانة الحكام العرب وعلى ابدال السيطرة الاميركية بالسوفياتية . ويخطيء العمال العرب اذا اعتبروا هذه النتائج « تحريرا » (على المستوى الوطني) او « تقدمية » (على المستوى الاشتراكي). « لسوء الحظ ، ان قيادات الطبقة العاملة العربية وقيادات حركات التحرر العربية يقعون تحت تأثير الفكرة الانحرافية بضرورة « الدعم الحيوي » من أعداء العمال العرب من الحكام ، وضرورة «وحدة» كل الطبقات في وجه العدوان الاسرائيلي ، وبالتالي فمن الممكن لدمية عميلة ان يستمر في الحكم لمدة أطول »(٢٠١).

ويوصي حزب العمل التقدمي بأن تكون الاستراتيجية الفلسطينية الاساسية ليس تحرير فلسطين ، وانما القيام بثورات في الدول العربية المجاورة . « يجب على قادة حركة الشعب الفلسطيني ان يتخلوا عن السياسة الفاشلة في الحصول على « الدعم الحيوي » من الانظمة الرجعية الوطنية العربية واسيادهم السوفيات . وعليهم أن يتخلوا نهائيا عن سياستهم الوطنية الماضية . وعليهم ان يعملوا اولا وبكل قوتهم لقلب الطبقات الحاكمة في البلاد العربية . وهذه بعض الشروط الضرورية لازالة خطر الفاشية الاسرائيلية »(٢٠٢).

ويرى حزب العمل التقدمي ان على العمال العرب ان يتجنبوا التحالف مع الطبقات العربية الاخرى ، وان يحاولوا التحالف مع طبقات عمالية اخرى ، وخاصة الطبقة العاملة الإسرائيلية . وقد أوردت ذي تشالنج تقريرا حول الميول التقدمية للعمال اليهود في اسرائيل لتظهر امكانية التحالف بينهم وبين العمال العرب : « يجد حكام اسرائيل الحاليون ان عليهم اثارة الحس العنصري عند اليهود من اجل تنفيس غضب الطبقة العاملة الاسرائيلية المتزايد بسبب التضخم والرواتب الصغيرة وسياسة الحكومة الحربية . وقد نظم العمال الاسرائيليون في العام الماضي عددا من الاضرابات يفوق مثيله في أي بلد آخر . وقد دفع هذا الامر ، بالاضافة الى نمو اليسار الاسرائيلي (الذي قبض على بعض اعضائه مؤخرا وصدرت بحقهم احكام طويلة بالسجن) والاحتياجات الحالية للامبريالية الاميركية سيدة اسرائيل ، الحكومة الاسرائيلية لان تصبح عنصرية اكثر واكثر بشكل مفضوح. وتظهر هذه السياسة الضعف الاستراتيجي لحكام اسرائيل ، لان العمال وحلفاءهم اصبحوا مستاءين جدا من هذه العنصرية الطبقية (مثلا ضرب الطائرة الليبية بالصواريخ وقتل عشرات العرب فيها) وبالتالي فان الحركة الهادفة للاطاحة بهؤلاء الطفيليين سوف تنمو »(٢٠٣).

ويرى الحزب ان الصراع الطبقي يتصاعد في المنطقة كلها ، وخاصة في اسرائيل ، مع موجة الاضرابات في السنوات الاخيرة ، ومع نمو الحركة الشيوعية في اسرائيل ودعوتها لاقامة تحالف عمالي عربي ــ اسرائيلي . وطريق الخلاص الوحيد لسحق الشلة الصهيونية الحاكمة يتأتى من اقامة وحدة عمالية عربية ــ اسرائيلية ، سواء كان العمال فلسطينيين أم غيرهم من العمال العرب(٢٠٤).

وتلخص هذه السياســة بشعارات حزب العمل التقدمي : « اتحدوا لكي توجهوا البنسادق نحو الولايات المتحدة والسوفيات والاسرائيليين والحكام العرب » و« حولوا الحرب الامبريالية الى حرب طبقية » .

الاميركيون السود : منذ بروز حركة الحقوق المدنية ، تبنت الاقليات المضطهدة في الولايات المتحدة عقيدة وممارسة مناوئة للاستعمار ، ومتحالفة مع الشعوب المضطهدة في العالم الثالث . وقد تم في الستينات انشاء وتقوية حركات ومنظمات التحرر في أوساط السود ، والبورتوريكيين ، والتشيكانو ، والهنود ، والاميركيين — الصينيين . وقد قامت هذه الحركات والمنظمات بتأييد النضال التحــرري الفلسطيني والعربي ضد الصهيونية وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ . وقد بدأ هذا التأييد مع صدور عدد حزيران — تموز ١٩٦٧ من صحيفة **نيوزلتر** التي تصدرها « لجنة التنسيق الطلابي المسالم » . ومنذ ذلك الحين اظهرت الاجنحة اليسارية في حركات الاقليات تضامنـا فعالا مع النضـــال العربــي والفلسطيني .

وسوف نبحث في هــذا الجزء موقف الحــركة السوداء لان فكرها منشور ومتوافر بسهولة ، بعكس وضع بقية الحركات . وحتى بين السود ، نجد ان فكر المنظمات المتطرفة « كمؤتمر العمال السود » و« الحلف الثوري للعمال السود » غير متوافر وغير منشور . وبالتالي لا يمكن معرفة مواقفهم الا مــن خلال خطب وتصرفات القــادة والاعضاء .

ومن المعتقد أن قطاعا كبيرا او القطاع الاكبر من الجالية السوداء يتعاطف مع قضايا الفلسطينيين والعرب . والمنظمات السوداء التي تؤيد النضال العربي ضد الاستعمار هي « السود المتطرفون » ، و« الوحدة الافريقية »، و« منظرو العالم الثالث »، و« المسلمون السود » ، وبعض المنظمات الاميركية — الاسلامية السوداء الحديثة(٢٠٥). وقد اجرت صحيفة **محمد يتكلم** التي يصدرهــا « المسلمون السود » استفتاء اثبت ان غالبية الاميركيين السود يؤيدون الامة العربية والفلسطينيين : « أجــري الاستفتاء على عينة تتألف من ٣٢٠٠ أسود اختيرت من احياء هارلم وبدفورد وستويفسانت وايست هارلم (نيويورك) . وقد أيد ٧١ ٪ من افراد العينة العرب ، بينما وقف ٢٩٪ الى جانب اسرائيل او لم تكن لهم آراء . وهذه النتيجة تعتبر تحولا بارزا عن مواقف السود عام ١٩٧٠ ، عندما أيد ٤٠ ٪ منهم العرب بينما قال ٣٨ ٪ انهم يتعاطفون مع اسرائيل . وقد قال ٦٥ ٪ من الافريقيــين — الاميركيين الذين شملهم البحث الاخير انه يحــق للفلسطينيين المطالبة بالارض والممتلكات التي أخذتها منهم دولة اسرائيل »(٢٠٦). وفي المقابل نجد ان « الوجاهة » السوداء ، بما فيهــا قيادة حركة الحقوق المدنيـة الليبرالية ، تؤيــد اسرائيــل والصهيونية (كما يثبت اعلان غطى صفحة كاملة من صحيفة نيويورك **تايمز**) . بينما يشعر السود الفقراء ، سكان الجيتو ، والطبقة العاملة السوداء بالتضامن مع الفلسطينيين والعرب المسحوقين . وهذه حقيقة حتى لو كانت ارقام استفتاء **محمد يتكلم** مضخمة بعض الشيء .

وعلى اي حال ، فان العناصر النشطة في القيادة الوطنية السـوداء ، وخاصــة الوطنيين السـود والوحدويين الافريقيين والذين يملكون حسا أسود قويا ، هي عناصر مناوئة للصهيونية ومؤيدة للعرب. وقــد اورد وليــام غرايــدر المحــرر في صحيفة **ذي واشنطن بوست** تقريرا من « المؤتمر الوطني السياسي الاسود » الذي عقد مؤخرا في ليتل روك، في اركنساس جاء فيه : « لقد صيغت كل الفروقات في قرار واحد وهو شجب اسرائيل وتأييــد الدول العربية الافريقية ، بالاضافة الى ادانة كل النواب الذين صوتوا الى جانب تزويد اسرائيل بالسلاح ، ومن بينهم ١٢ نائبا اسود . وقــد ابدى القــادة من نيويورك وانديانا معارضتهم للقرار ، ولكــن القرار فاز بالاكثرية وعكس سيطرة الوطنيين والافرو — امــيركيين علــى المؤتمــر الــذي ضم ١٢٠٠ مندوب »(٢٠٧). ومن الجدير ان نشير هنا الى ان عددا من النواب السود قد صوتوا **ضد** مشــروع المساعدة العسكرية لاسرائيل .

وقد نشطت منظمات عمالية سوداء متطرفة وتؤمن بالنضال المسلح مثل « مؤتمر العمال السود » في دعمها للقضية العربية . ففي ٢٨ نوفمبــر ١٩٧٣ انضم العمال السود واعضاء « مؤتمر العمــال السود » الى العمـــال الاميركيــين — العرب في ديترويت اثناء احتجاجهم على قيام رئيس « اتحاد عمال السيارات » بشراء أســهم اسرائيلية بمبلغ

مليون دولار من اموال النقابة . وقد هاجم قادة « مؤتمر العمـال السود » في المهرجان تلـك الممارسات ، والحركة الصهيونية والاستعمـار الاميركي ، وعبروا عن تأييدهم للنضال العربي والفلسطيني العادل(٢٠٨).

أما صحيفة **بلاك بانثر** التي تصدر عن « حزب الفهود السود » فتقف موقفا صلبا في وجه موقف الاستعمار الاميركي من صراع الشرق الاوسـط ، ولكنها ليست ضد اسرائيل باستمرار . فقد كتبت الصحيفة : « ان الصراع والموت المأساوي للناس في الشرق الاوسط ليس سوى استمرار للعـدوان الامبريالي الذي بدأ باختلاف الدول الاوروبية حول اقتسام ثروات افريقيا في الحرب العالمية الاولى ، واستمر وشمل المحاولة الفاشلة لقهر او تدمير جنوب ــ شرق اسيا »(٢٠٩).

وفي الواقع ان شركات النفـط الاميركية قـد استغلت الثروات واليد العاملة الرخيصة في الشرق الاوسط ، وخلقت بعبع ازمة الطاقة(٢١٠). وبالتالي فان صحيفة **بلاك بانثر** تحث الشعب الاميركي على رفض التدخل لصالح اسرائيل وعلى رفض امدادها بالمال والمعدات الحربية . وتؤيد صحيفة **بـلاك بانثر** قيام الدول الافريقية بقطـع عـلاقاتها مع اسرائيل . ولكن هذه الصحيفة لم تذكر فلسطين او الفلسطينيين في اعدادها التي صدرت في اكتوبر ١٩٧٣ . وقد تركت الصحيفة في عرضها لموقف غانا انطباعا عند القراء بان التسوية السلمية في الشرق الاوسط يمكن ان تتحقق من خـلال العودة الـى قرارات الامم المتحدة ، وخاصة قرار ٢٤٢ . وقـد أيدت الصحيفة انسحاب اسرائيل من الاراضـي العربية المحتلة ، وبقاء اسرائيل متماسكة وسالمة، بدون ان تذكر حقوق الفلسطينيين(٢١١).

ولكن اعداد هذه الصحيفة الصادرة في نوفمبـر ١٩٧٣ أبرزت اعترافا بالفلسطينيين وتعاطفا معهم، ووضعت اسرائيل بشكل ثابت في صف الرجعيـين والامبرياليين . وقد قام دافيـد م. سيبكو(٢١٢)، وهو ممثل « لمؤتمر الوحدة الافريقية » عن ازانيـا (جنوب افريقيا) ، بالتحـدث عن « التحـالف الرجعي بين سياسة التمييز العنصري في جنـوب افريقيا والصهيونية الاسرائيلية »(٢١٣)، واشـار الى دور بلفور في خلق كلا الدولتين ، والى الدعم المالي الذي يقدمه صهيونيو جنـوب افريقيـا لاسرائيل . وقد عبر ايضا عن : « تعلق السود في كل انحاء العالم بالنضال البطولي الذي يخوضه اخوتنا في مصر ، ورفاقنا في سوريا ، وفوق الجميع رفاقنا العظام في السلاح حركة التحرر الوطنـي الفلسطيني التي تناضل ضد الاحتلال الصهيونـي الاسرائيلي لفلسطين وضد العدوان الاسرائيلي على الدول العربية ، وبالنسبة لنا فـوق كل شـيء العدوان الغاشم على افريقيا الام »(٢١٤).

وقد اشارت الصحيفة في مقابلة(٢١٥) اجرتهـا مع ابو فيصل ، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية، حول دور الفدائيين الفلسطينيين في حرب اكتوبر ، الى ابو فيصل بأسم « الاخ فيصل » ، ووصفـت منظمة التحرير الفلسطينية بانها « حركة لتحريـر فلسطين من السيطرة الصهيونية » ، و « مجموعات عربية مصممة على تحرير وطنها » .

واخيرا ، اعادت صحيفة **بلاك بانثر** نشر مقاطع من مقال بعنوان « كل مـا تريد ان تعرفـه عـن الصراع في الشرق الاوسط .. ولكنك كنت تخشى ان تسأل » صدر عن « لجنة نيويورك للتنسيق حول الشرق الاوسط » . وينتهي المقال بالجملة التالية : « لن يكون هناك سلام بين اسرائيل وجيرانها حتى تعاد الاراضي العربية المحتلة طبقا لقرار مجلـس الامن الدولي ، وحتى تعترف اسرائيل بحقـوق الفلسطينيين في العيش في وطنهم في دولة تقدميـة ديمقراطية حيث يمكن لكل فرد ان يتمتع بحقـوق ومزايا متساوية ، بغـض النظر عـن العرق أو الدين »(٢١٦). ولكن لم يتضح اذا كانت صحيفـة **بلاك بانثر** قد اوردت هذا الكلام لاسباب اعـلامية ام انها تتبنى شطري هذه الجملة .

الديمقراطيون الاشتراكيون والجماعات التقدمية الاخرى : هذه المجموعة من المنظمـات متفاوتـة تفاوتا كبيرا ، وقد جمعناها في فئة واحدة تسهيـلا للتحليل . فاولا ، هناك حزبـان ديمقراطيـان اشتراكيان ينشطان حاليا . والجناح اليميني لهذا التيار هو « الحزب الديمقراطي الاشتراكي » الذي كان يعرف سابقا بأسم « الحـزب الاشتراكي » ، والذي يقوده ميكائيل هارنغتون . وهذا الحـزب حزب جماهيري من الناحية التنظيمية ، ويشـدد على « الحرية والديمقراطية » مـن الناحيـة العقائدية ، وهو بالكاد يعتبـر حزبا معاديـا للاستعمار . وهذا الحزب يؤيد السياسة الاميركية

في الشرق الاوسط . وهو ربما يكون الحزب الوحيد او التيار الوحيد المتبقي من الليبراليين الذي يؤيد اسرائيل بلا تردد . وقد تجاهل هذا الحزب منذ العام ١٩٦٧ الحقوق الوطنية للدول العربية المجاورة لاسرائيل ، كما تجاهل دائما الحقوق الوطنية للفلسطينيين . ويبرر الحزب الديمقراطي الاشتراكي موقفه هذا على اساس ان اسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة(٢١٧). ويتقبل الحزب معظم الدعاية الاسرائيليةوالصهيونية حول الشرق الاوسط ، وبالتالي فهو يعكس التأييد الاوروبي — الاميركي الديمقراطي الاشتراكي لاسرائيل .

اما الجناح اليساري للتيار الديمقراطي الاشتراكي والذي يمثله حزب « الحركة الاميركية الجديدة » ، فقد اتخذ موقفا اكثر تقدمية حول الشرق الاوسط . فقد تبنى الحزب في اجتماعات مجلسه الوطني في اوائل ١٩٧٤ قرارا سماه قرار الحد الادنى وجاء فيه : « ان الصهيونية شكل مشوه لاحتياجات الشعب اليهودي للتحرر،واسلوب غير ملائم لمحاربة اللاسامية . ونحن نؤيد نزع الصفة الصهيونية عن دولة اسرائيل . كما اننا نؤيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارض فلسطين . والطريقة الوحيدة لتحقيق هذه الاهداف هي انصهار الفريقين في نضال من اجل مجتمع اشتراكي في الشرق الاوسط »(٢١٨). ورغم ان القرار غامض بعض الشيء ، فهو يعتبر خطوة الى الامام بعد الجدال الطويل الذي حدث في الاجتماعات حول ما اذا كان على الحزب اتخاذ اي موقف من مسألة الشرق الاوسط .

وكانت صحيفة « الحركة الاميركية الجديدة » نام قد نشرت في وقت سابق تحليلا للصراع في الشرق الاوسط اعده « مشروع البحث والاعلام حول الشرق الاوسط »(٢١٩). وكذلك نشرت صحيفة الثورة الاشتراكية ، وهي صحيفة فكرية تتأثر الى حد كبير بصحيفة نام ، في عدد سبتمبر نسخا معدلة من تقارير مشروع البحث والاعلام حول الشرق الاوسط التي عالجت حرب اكتوبر . (وان « مشروع البحث والاعلام حول الشرق الاوسط » هي مجموعة البحث الراديكالية الوحيدة في الولايات المتحدة التي تهتم كلية بالشرق الاوسط . وان تحليلها الماركسي يملأ فراغا اساسيا في معرفتنا حول البنيان الداخلي للمجتمعات العربية والمجتمع الاسرائيلي ، وحول علاقات هذه الدول مع بعضها، وحول ارتباطها بالاستعمار . فعدد حرب اكتوبر مثلا ، يبحث التاريخ الحديث وديناميكية الصراع الطبقي في مصر وسوريا واسرائيل اللذين اديا الى الحرب والى البحث عن حلول سلمية . ورغم ان اعضاء هذه المجموعة لا ينتمون الى اي حزب او طائفة ، فانهم قد التقوا عام ١٩٧٠ تحت الظروف والاسباب نفسها التي أدت الى ظهور المجموعات والمنظمات اليسارية الاخرى . وهذه المجموعة ، بالتالي ، عنصر هام من عناصر ظاهرة اليسار التي نقوم بتناولها في هذه الدراسة .

وان احد اقدم المنظمات الاشتراكية الاميركية هو « حزب العمل الاشتراكي » . ويعرف هذا الحزب نفسه بانه ماركسي ومستقل . وهو ينتقد الحزب الشيوعي الاميركي والاتحاد السوفياتي ولكنه لا يأتي على ذكر التروتسكيين او الماويين . وهو حزب جماهيري يهتم بالسياسة الانتخابية وبتنظيم نقابات العمال . وتحاول صحيفة الحزب ذي ويكلي بيبول ان تأخذ موقفا « موضوعيا » من نقل احداث الشرق الاوسط ، فلا تؤيد علنا الفلسطينيين او اسرائيل . وترى الصحيفة ان الفرقاء في صراع الشرق الاوسط هم مجرد دمى في ايدي القوى العظمى ادخلت في مسرحية لا تتحكم بادوارها او احداثها (٢٢٠). وبهذه الطريقة يتجنب « حزب العمل الاشتراكي » بحث طبيعة الصهيونية واسرائيل ، ولا يواجه مشكلة الفلسطينيين او التحرر الوطني ، ولا يقوم باي تحليل للبنىالداخلية للبلدان المعنية .

وبالاضافة ، فقد قالت صحيفة ذي ويكلي بيبول ان حظر النفط العربي للولايات المتحدة قد يثير « الاسد الاستعماري » ويدفعه الى تدخل عسكري اكبر والى « كارثة للعرب وللاسرائيليين وللعالم كله »(٢٢١). وبعدم اتخاذ « حزب العمل الاشتراكي » اي موقف من ازمة الشرق الاوسط ، يكون في الواقع قد اتخذ موقف القبول بالوضع الراهن ، خاصة وانه يستعمل « قضية السلم العالمي » كحجة لكبح جماح « قضية التحرر الوطني » . وهذا الموقف يعتبر موضوعيا موقفا مؤيدا للصهيونية .

اما « حزب الشعب » ، وهو ائتلاف وطني

لاحزاب جماهيرية واحزاب كوادر ، فيدعو نفسه معاديا — للاستعمار ولكن ليس « اشتراكيا او شعبيا بالتحديد »(٢٢٢) . وتتعاون مجموعات هذا الحزب مع الوحدات المحلية « للحركة الاميركية الجديدة » ، و « حزب العمل الاشتراكي » في مشاريع جماهيرية . كما ان الحزب يساهم في السياسة البرلمانية وغير البرلمانية (مثل انشاء تعاونيات غذائية ، ومدارس مجانية ، وعيادات مجانية ومؤسسات مشابهة)(٢٢٣). اما الحل الذي يطرحه « حزب الشعب » لمشكلة الشرق الاوسط(٢٢٤) فهو ينص على الاستغناء عن الكيان الديني لاسرائيل وعن قانون العودة ، واعادة بناء اسرائيل « كدولة ذات قوميتين حيث يكون لليهود والعرب نفس الحقوق كمواطنين ، ونفس المساهمة في الحياة الاقتصادية والثقافية للبلد »(٢٢٥) . ويكون لكل من يعيشون في اسرائيل حاليا وكل من عاشوا هناك قبل العام ١٩٤٨ واحفادهم الحق في المواطنية . ورغم ان موقف « حزب الشعب » هذا لا يدعو الى الاشتراكية ، الا انه يدعو الى سحب المعونة العسكرية الاميركية والى تأميم الاستثمارات الاميركية في اسرائيل ... وهذا موقف معاد للصهيونية ومعاد للاستعمار .

اما المنظمات التقدمية للعسكريين ، فهي مثل « الحركة الاميركية الجديدة » « وحزب الشعب » ، فلها جذور في الحركة المضادة للحرب التي ظهرت في الستينات . وقد طورت هذه المنظمات موقفها من معارضة التدخل العسكري الاميركي في فيتنام الى موقف معارض بشكل اوسع للاستعمار اينما كان ، وبما فيه الاستعمار الصهيوني ، بدون ان تصبح منظمات ماركسية بشكل واضح . وهكذا فان صحيفة **ذي بوند** التي تصدرها « نقابة الجنود الاميركيين » نشرت مقالا بعنوان « ايها الجنود : يجب الا نقاتل في الشرق الاوسط » وجاء فيه ان الاستعمار الغربي قد اوجد اسرائيل لحماية مصالحه النفطية على حساب عرب فلسطين ، وان كيان اسرائيل الداخلي يديم « نسبة البطالة العالية ، والتمييز العنصري ضد اليهود الداكني البشرة »(٢٢٦). وبما ان اسرائيل لم ترجع الاراضي العربية التي احتلتها في العام ١٩٦٧ « فان اللجوء الى الحرب كان الاسلوب الوحيد المتوافر للدول العربية لاسترجاع اراضيها ... » وعلى اي حال « ... فان وجود دولة اسرائيل بحد ذاته يمثل عدوانا على العرب »(٢٢٧) .

وقد قامت نشرة اخرى يصدرها قدماء المحاربين ، وهي **هاي واي ١٣** ، بشجب التورط العسكري الاميركي في الشرق الاوسط . ولكنها كانت مترددة في موقفها من طبيعة رد العرب على اسرائيل ، لانها اعتبرت اسرائيل والعرب « ضحايا ودمى للاستعمار السوفياتي — الاميركي ، وكلاهما ابعد ما يكون عن الشعوب التقدمية »(٢٢٨) . وترى هذه الصحيفة ان اسرائيل دولة دينية توسعية تعتمد على الاستعمار الاميركي وهي فريسة في « مخالب الصهيونية الفاشية » . بينما ترى ان الدول العربية » « تخدم وتخضع لمصالح الطبقات البورجوازية شبه الاقطاعية او الشلل العسكرية الارهابية »(٢٢٩) . وترى الصحيفة ايضا ان الفلسطينيين « الذين ما زالوا يستعملون مثل كيس الملاكمة للجميع » ليس لهم أي دور مستقل . وتعتبر الصحيفة ان حرب اكتوبر قد « خدمت الاهداف الاقتصادية والسياسية للطبقات الحاكمة في كلا الجانبين . كما انها افادت القوى الامبريالية التي تمسك بخيوط الدمى بنفس المقدار تقريبا »(٢٣٠) . وموقف هذه المجموعة معاد للاستعمار وللصهيونية ، ولكنه لا يهتم بمسألة التحرر الوطني .

الخلاصة

كل الاحزاب التي تناولها التحليل احزاب ماركسية باستثناء الحزب الديمقراطي الاشتراكي . وتشترك كل هذه الاحزاب بالنظرة المادية للتاريخ ، وفي نظرية اساسية حول الاستعمار ، وفي تقديرهم للاندماج والتضامن على النطاق العالمي الذي حققته الرأسمالية اثناء محاولة القوى الغربية ، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، السيطرة على بلدان العالم الثالث . وهكذا فان كل هذه الاحزاب تنظر الى الصراع في الشرق الاوسط بمنظار التغلغل الاستعماري في المنطقة من اجل اهداف اقتصادية واستراتيجية . وتتفق كل هذه الاحزاب (باستثناء الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، وحزب العمل الاشتراكي ، والى حد ما الحزب الشيوعي) على ان الصهيونية — فكرة امة يهودية تغرس كمستعمرة استيطانية في فلسطين — هي نتاج للقوى الراسمالية

والاستعمارية . وترى هذه الاحزاب ان الصهيونية حركة بورجوازية نمت من التناقضات داخل الراسمالية الاوروبية ، وانها لعبت دورا رجعيا في تحويل الجماهير اليهودية عن الصراع الطبقي في بلدانها الاصلية . اما اساس الصراع في الشرق الاوسط ، فترى هذه الاحزاب انه خلق هذه المستعمرة بمساعدة الاستعمار ، ورد فعل العرب وخاصة الفلسطينيين على هذا العمل. وترى هذه الاحزاب كذلك ان اسرائيل دولة رجعية عنصرية تضطهد العرب الواقعين تحت سيطرتها ، وتلعب دور المصيدة للشعب اليهودي ، ودور العميل للاستعمار من اجل عرقلة التحرر العربي الوطني والاشتراكي .

وتختلف هذه الاحزاب ، من ناحية اخرى ، فيما بينها على مسائل عديدة اهمها : الاستراتيجية المتبعة لتحقيق التحرر الوطني ، وطبيعة الدول العربية ، والحلول التي يجب أن يتبناها الفلسطينيون لمشكلتهم . وهناك بشكل عام موقفان رئيسيان للاحزاب من هذه المسائل . اولا ، الذين يؤمنون باستراتيجية الجبهة الموحدة المعادية للاستعمار ، وأهمية تحقيق التحرر الوطني في العالم الثالث كخطوة ضرورية لتحقيق الاشتراكية . والاحزاب التي تتبنى هذه الاستراتيجية هي الحزب الشيوعي الاميركي ، والماويون ، وحزب عمال العالم ، والمجموعات السوداء . ونجد من الجدير الاشارة الى ان فكرة الحزب الشيوعي حول الجبهة الموحدة تقول بأن على كل دول العالم الثالث ان تتبع الاتحاد السوفياتي ، وان تدرك ان الحلول السلمية ممكنة . أما الماويون وحزب عمال العالم فيؤيدون الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة الامد . ثانيا ، الذين يؤمنون بأن للصراع الطبقي أولوية على التحرر الوطني ، وان القومية هي انحراف باتجاه التعاون الطبقي بعيدا عن التضامن الطبقي ، وان الاشتراكية ممكنة التحقيق فقط من خلال ثورة بروليتارية عالمية . والاحزاب التي تتبنى هذه الاستراتيجية هي الاحزاب التروتسكية ، وحزب العمل التقدمي ، وبشكل مبطن هاي واي ١٣ . ويعكس هذان الموقفان الانشقاق النظري القديم حول « الاشتراكية في بلد واحد » مقابل « الثورة الدائمة » . أما المسألة الكبرى ، وهي مسألة أي استراتيجية ستتبع لتحقيق الاشتراكية كهدف بعيد المدى فهي مرتبطة بالحكم على الدول العربية كدول تقدمية أم رجعية . والحزب الشيوعي الاميركي هو الحزب الوحيد (ربما باستثناء حزب الفهود السود) الذي يقدم دعما مطلقا للدول العربية التقدمية . أما الماويون وحزب عمال العالم فهم أكثر حرصا في تقييمهم للدول العربية على تمييز درجة التقدمية وصبغة النضال الوطني لهذه الدول . وأما التروتسكيون وحزب الشعب وهاي واي ١٣ فتحكم على الدول العربية بأنها غير تقدمية اطلاقا . ويصدر الحزب الديمقراطي الاشتراكي حكما مماثلا على اساس ان الدول العربية ليست ديمقراطية (بالمعنى البورجوازي) كاسرائيل .

وتؤثر هذه التقييمات بشكل عام على دعم كل من هذه الاحزاب للعرب في حرب اكتوبر . فقد أيد الحزب الشيوعي الاميركي العرب تأييدا مطلقا في حرب اكتوبر ، بينما كان الدعم محدودا من جانب الماويين وحزب عمال العالم وصحيفة ذي بوند (التي تصدرها نقابة الجنود الاميركيين) وحزب العمال الاشتراكي ومجموعة تروتسكية أصغر (عصبة الصراع الطبقي) ، وذلك بناء على اعتقادهم ان مصر وسوريا كانتا تهدفان الى تحرير أراضيهما من الاحتلال الصهيوني ، ولم تهدفا الى تحرير فلسطين ايضا .

وتصبح الصورة أكثر تعقيدا حين نقارن مواقف الفرق المختلفة من الحل الذي يجب ان يسعى الفلسطينيون لتحقيقه . والحزب الشيوعي الاميركي هو الحزب الوحيد الذي يقف الى جانب ترك اسرائيل قائمة ضمن حدودها السابقة لحرب ١٩٦٧ ، وربما محاولة ايجاد دولة مستقلة للفلسطينيين . ويؤيد الماويون وحزب عمال العالم وحزب العمال الاشتراكي فكرة اقامة دولة ديمقراطية علمانية (واشتراكية بنظر حزب العمال الاشتراكي) في فلسطين ، أي تفكيك دولة اسرائيل . أما الاحزاب التروتسكية الصغيرة والحركة الاميركية الجديدة وحزب الشعب فلا يذهبون الى هذا الحد . فهم أما يتخذون موقفا غامضا حول مستقبل اسرائيل / فلسطين أو يدعون الى ايجاد تسوية مثل اقامة دولة ذات قوميتين ، أوحماية مكانة اليهود ضمن اطار الدول الاشتراكية المتحدة للشرق الاوسط .

أما قدماء المحاربين والسود (الذين يتصف

تحليلهم بأنه محدود ، وتتصف ممارستهم بأنها عملية وفورية أكثر من الاشتراكيين والشيوعيين) فلا يتخذون أي موقف من مسألة الحل الذي يجب ان يسعى اليه الفلسطينيون . وكذلك حال حزب العمل التقدمي وحزب العمل الاشتراكي (اللذين لا يعطي تحليلهما مكانا للارادة الذاتية والاستقلال الذاتي للانظمة في الشرق الاوسط ، على اساس ان هذه الانظمة تفعل ما يمليه أسيادهـــا الاستعماريون) .

ولم تتخذ كل الاحزاب موقفا من امكانية اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة . فقد اتخذ حزب العمال الاشتراكي موقفا مشابها لموقفه من اتفاق السلام الفيتنامي الموقع في باريس اذ عارض قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة كحل للنزاع لانه اعتبر هذه التسوية خيانة للثـــورة الدائمة . أما حزب عمال العالم والماويون فيؤيدون اقامة الدولة الفلسطينية طالما هي مرحلة يتم على أساسها تصعيد النضال في سبيل التحرير الكامل . أما الحزب الشيوعي الاميركي فيرى في الدولة الفلسطينية حلا نهائيا لتحرير فلسطين ، وايجاد مرحلة جديدة من التعايش السلمي .

وهناك قدر كبير من الاتفاق فيما بين الاحزاب الماركسية حول المهام المتوجبة على اليسار الاميركي بالنسبة لصراع الشرق الاوسط . والمهام التي ذكرتها صحيفة **ذي مليتانت** الناطقة باسم حزب العمال الاشتراكي تنطبق على بقية التنظيـمات اليسارية الاميركية : « وقد تركز عمل « حزب العمال الاشتراكي » السياسي في هذا المجال على تنظيم حملة تعليمية لمقاومة الدعاية الصهيونية ضد الثورة العربية . وتتخذ هذه الحملة شكل تغطية صحافية دقيقة للتطورات في الشرق الاوسط، وزيادة نطاق توزيع المواد الاعلامية عن الموضـــوع ، والمشاركة في المناقشات والمناظرات ، وتنـــظيم المحاضرات في المناطق ، ووسائل اخرى لتعليم القوى الجديدة في اليسار ... »(٢١٢).

ويحرص الماويون على اضافة نقد ذاتي لتأييدهم السابق لاسرائيل .

ويجاري الحملات التعليمية في الاهمية ، تنظيم المظاهرات والمسيرات وايام التضامن مع الشعب العربي والفلسطيني ، والاحتجاج على الـــدعم والتدخل العسكري الاميركي في الشرق الاوسط . وتنشط المنظمات التقدمية السوداء و « التحالف الاشتراكي الشاب » و « الشبان ضد الحرب ومن أجل الحرية » و « كتيبة اتيكا » والمنظمات الماوية الاخرى في مشاركة الطلاب والعمال العرب في اظهار التأييد للقضية الفلسطينية ، وخاصـــة في الجامعات . ويقيم الحزب الشيوعي الاميركي العديد من المؤتمرات والتظاهرات ، ولكنها كلها مؤيدة للسلم ولقرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ . ولا تشارك « الحركة الاميركية الجديدة » و « حزب الشعب » في المسيرات ومظاهرات الاحتجاج مع ان اعضاءهما يشاركون فيها كأفراد .

وأهم جانب مـــن الجوانب النظرية والعمليـــة لنشاط اليسار الاميركي مسألة اللاسامية . فهذه المسألة تشمل التمييز بين الصهيونية واسرائيل واليهودية ، ويرفض اليسار الجديد محـــاولة الصهاينة لدمج الثلاثة . فالماركسيون الاميركيون (على يسار الحزب الشيوعي) يندّدون بالصهيونية ليس فقط لانها أداة استعمارية وتضطهد العرب ، بل ايضا لانها تضطهد اليهود الاسرائيليين وتحولهم عن النضال التقدمي الى جانب الشعب المغلوب على امره . ويؤيد الماركسيون الاميركيون تحرير اليهود وكل الشعوب المضطهدة . ولعل أفضل تعبير عن ذلك ما قاله حزب عمال العالم : « ان أية حركة ضد الحرب الاميركية ــ الاسرائيلية في الشرق الاوسط يجب ان تكون حذرة . فحركة كهذه لا يمكنها تحمل انضمام العناصر الرجـــعية والبورجوازية الى الحرب لان هذه العناصر تسعى الى استعمال اللاسامية لايجاد كبش فداء لامراض الرأسمالية الاميركية (مثلا ، ازمة الطاقة) . وعلى التقدميين والثوريين ان يخلقوا الان حركة أصيلة مضادة للحرب تقف في وجه العدوان الاميركي ــ الاسرائيلي في الشرق الاوسط . ويجب ان تكون هذه الحركة معادية للاستعمار بطبيعتها وواضحة كالشمس فيما يتعلق بالحقوق الديمقراطية للشعب اليهودي، وبالرد العسكري اللازم على كل الهجمات اللاسامية الخفية والعلنية . وحركة كهذه فقط يمكنها ان تؤدي المهمة الثورية في تأييد القضية العادلة للشعب الفلسطيني في سعيه لتقرير مصيره، والوصول الى حل عادل بالنسبة للشعب اليهودي ولتخليصه من مصيدة الموت التي تمثلها دولة اسرائيل القلعة او المخفر »(٢٣٢).

وفي المقابل قامت مؤسسة اليسار ، او اليسار الرسمي ، التي تتألف من مفكرين ليبراليين ومن اليسار الليبرالي والاتجاه الديمقراطي الاجتماعي ، بالرد على اليسار الجديد المؤيد للفلسطينيين بهجمات مضادة مريرة وعنيفة واحيانا هستيرية اتهمت فيها اليسار الجديد باللاسامية ، وكره الذات ، والجهل والتخبط في الماركسية . وقد ظهرت معظم هذه الهجمات في الصحف الليبرالية المعروفة وهي : **ديسنت** ، **كومنتري** ، **ماينورتي أوف ون** ، **نيو ميدل ايست** ، **ونيويورك تايمز ماجزين**(٢٣٣)، بالاضافة الى **مدستريم** (وهي صحيفة صهيونية تمولها مؤسسة هرتزل) .

وقد استعمل عالم الاجتماع الاميركي المعروف ، سايمون مارتن ليبست ، نفس التعابير والافكار في تهجمه على اليسار الجديد وعلى المنظمات السوداء التي تؤيد النضال الوطني الفلسطيني . وقد جاءت تهجمات ليبست في مقالات نشرتها **ذي نيويورك تايمز ماجزين**(٢٣٤). وقد حلت الخطب اللاذعة والنقد الساخر العنيف ضد اليسار من قبل مفكرين محترمين واكاديميين كبار في الولايات المتحدة، محل التحليل السوسيولوجي لهذه الظاهرة الجديدة(٢٣٥).

وقد ظهرت ردود رصينة أكثر ومؤيدة للصهيونية في مجلة **رامبرتز** وفي مجلات مماثلة(٢٣٦). وقد شددت هذه التحاليل ، وخاصة تحليل والتزر وبيرتز ، على طبيعة اسرائيل الخاصة ، وعلى ان اسرائيل ليست فيتنام ، وان الاستعمار اليهودي لفلسطين يختلف عن الاستعمار في افريقيا وآسيا ، وان الدولة اليهودية قد وجدت بالرغم من معارضة الاستعمار الشديدة(٢٣٧). وقد ظهرت في **رامبرتز** فيما بعد مقالات تنتقد اسرائيل والعرب ولا تسير في الخط الصهيوني كتبها رئيس تحريرها روبرت شير . ولكن ظهور تلك المقالات ادى الى سحب الدعم المالي الصهيوني للمجلة(٢٣٨). وفي الواقع ، ان ظاهرة اليسار الجديد في الغرب ، وخاصة في اوساط الشبان اليهود ، قد أثارت مخاوف اسرائيل لدرجة جعلتها تنظم البرامج وتصدر المطبوعات الموجهة بشكل خاص للرد على نقد اليسار الجديد لدولة اسرائيل(٢٣٩).

وان الدور التقدمي الذي لعبه اليسار الرسمي الاميركي في الحركة المعارضة لحرب فيتنام يبدو نقيض الدور العدائي الذي لعبه في معارضة النضال الوطني الفلسطيني والعربي من أجل التحرر ، وهو يتصف بالتأييد الاعمى لاسرائيل والصهيونية . ويدل هذا الموقف على محدودية الموقف المعادي للاستعمار الذي يقفه اليسار الرسمي . والاستثناء الهام الوحيد لهذه المجموعة هم اليساريون — الليبراليون السود ، مثل عضو مجلس النواب السيدة شيزلوم وعضو مجلس النواب دلومس ، اللذان يعبران عن تضامنهما مع العالم الثالث ومع الشعب العربي الفلسطيني .

ويشاطر اتحاد العمال الاميركي المنظم اليسار الرسمي في موقفه العقائدي . وتخضع حركة اتحاد العمال لسيطرة مجموعة عمالية محافظة عقائديا ، وتؤيد التدخل الاميركي في كافة انحاء العالم ، وهي علنا معادية للشيوعية(٢٤٠). ورغم ان لاتحاد العمال بعض المواقف التقدمية حول المسائل الداخلية وفيه بعض القادة الراديكاليين ، فانه في أحسن حالاته يعتبر الجناح اليساري للحزب الليبرالي الديمقراطي . وقد قام اتحاد العمال بقيادة جورج ميني بتأييد المشاركة الاميركية في حرب فيتنام . وقام جورج ميني وأعضاء قيادته بتأييد اسرائيل والسياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، وخاصة جسر التسليح الجوي الاميركي لاسرائيل ، والمعونة المالية الاميركية لها ايضا . وطبقا لصحيفة **كريستشان سينس مونيتور** : « ان حركة العمال الاميركية تضع ثقلها لصالح حملة المساعدة لاسرائيل. وقد وقف اتحاد العمال العملاق خلف اسرائيل بكل قوته ودعمها بالمال والمقاطعة وقرارات التأييد . وقام الاتحاد في الوقت نفسه باصدار بيانات شجب حادة ضد العرب ومؤيديهم في حرب الشرق الاوسط »(٢٤١). كما كتبت صحيفة **واشنطن بوست** تقول : « لقد انهى وفد عمالي اميركي زيارة ودية لاسرائيل اليوم وتعهد بالضغط على الكونغرس للاستمرار في تقديم الدعم المالي والعسكري والسياسي للدولة اليهودية . وقد قال لين كيركلاند، السكرتير العام لاتحاد العمال ورئيس الوفد ، ان الاتحاد على استعداد لاستعمال قوته في الكونغرس لصالح اسرائيل »(٢٤٢).

كما ان سكرتارية حزب العمال وجهت نداء من خلال صحيفة **مونيتور** حثت فيه اعضاء الاتحاد

وانصاره على تأييد دولة اسرائيل . وبناء على ذلك اصدر المجلس التنفيذي لاتحاد المعلمين الاميركيين قرارا شجب فيه مصر وسوريا ، وأعلن تأييده لاسرائيل ، ودعا حكومة الولايات المتحدة لارسال المساعدات والمعدات الحربية لاسرائيل . وقام الاتحاد الموحد للمعلمين ، وهو اكبر كتلة مرتبطة باتحاد المعلمين الاميركيين باصدار قرار جاء فيه : « اننا كنقابيين نكن اعجابا عميقا للديمقراطية التي بنيت في اسرائيل ، كما ان علاقة نقابتنا الاخوية مع الهستدروت ، وهو اكبر حركة عمال اسرائيلية، تقوم على الالتزام بنفس القيم النقابية ...»(٢٤٣). وفي الواقع قامت الفروع المحلية للاتحاد باستعمال أموال التقاعد لشراء الاسهم الاسرائيلية لدعم المجهود الحربي الاسرائيلي عام ١٩٧٣ . وأشهر مثالين على ذلك هما اتحاد موظفي البلدية في فيلادلفيا ، واتحاد عمال السيارات . ولكن ، كما أشرنا سابقا ، لم يمر هذا الموقف بدون تحد من العمال ، وخاصة في ديترويت حيث يوجد عدد كبير من عمال السيارات من العرب الذين يدعمهم العمال السود واليساريون الاميركيون . وهناك بعض الحركات المماثلة في اوساط نقابات العمال، وخاصة التي لها قيادة واعية سياسيا ، بعكس اتحاد العمال البيروقراطي .

والدليل الاخر على المعارضة في اوساط العمال وقادة بعض النقابات العمالية هو ازدياد حجم توزيع الصحف السرية الراديكالية والصحف الحزبية الموجهة للبروليتاريا الاميركية بين العمال . وتنتقد هذه الصحف القيادة البيروقراطية لاتحاد العمال ، وتعطي تفسيرا معاديا للاستعمار في تفسيرها للاحداث، بما فيها احداث الشرق الاوسط. ومن المتوقع ان تزداد هذه التيارات لان أزمة الرأسمالية الاميركية تتعمق .

وفي الخلاصة ، ان ثبات اليسار الجديد الماركسي في موقفه المعادي للاستعمار في فيتنام والشرق الاوسط ، يتناقض بشدة مع الموقف المتناقض لليسار الرسمي وللموقف غير التقدمي لبيروقراطية اتحاد العمال . فاليسار الجديد معاد للصهيونية بصلابة ، كما انه قد تغلغل في أوساط التيارات المؤيدة للصهيونية داخل اليسار الرسمي والحركة العمالية . وان تقوية هذه الاتجاهات لا تعتمد على الصراع في الشرق الاوسط فقط ، وانما على ظهور التناقضات في الولايات المتحدة ، وداخل الجالية اليهودية الاميركية(٢٤٤). فاليهود الممثلون بنسبة أكبر من نسبتهم السكانية في اليسار القديم والجديد والرسمي (يسار المؤسسة) هم انفسهم قادوا المواقف المعادية للصهيونية والمؤيدة لفلسطين . ونحن نأمل ان يقوى هذا الاتجاه .

---

١ — الاسلوب المتبع هو التحليل النوعي لمضمون كل المطبوعات المتوافرة ما بين اكتوبر ١٩٧٣ ويناير ١٩٧٤ ، وهي الفترة التي شهدت قمة التقارير والتحاليل حول الشرق الاوسط بسبب حرب اكتوبر . والمواضيع الرئيسية في التحليل هي : التناقض الفلسطيني — الصهيوني ، الصراع ما بين الدول العربية ودولة اسرائيل ، دور الاستعمار والتركيب الطبقي الداخلي في المنطقة ، ومسألة النفط . حول اسلوب البحث راجع كتاب
Content Analysis in Communication Research
تاليف ب. برلسون : مطبعة جامعة شيكاغو ، شيكاغو ١٩٥٢ .

٢ — أعطى التقدير باري روبن ، المحرر السابق للشؤون الخارجية في **ذي غارديان** ، والكاتب والمحرر الحالي لعدة صحف عالية من بينها *Merip Reports.*

٣ — مثلا ، توزع صحيفة **ذي دايلي ورلد** ٢٠٫٠٠٠ نسخة تقريبا . وتوزع **ذي مليتانت** العدد نفسه . وتوزع **ذي غارديان** ١٤٫٠٠٠ نسخة و **ريفوليوشن** و **ذي كول** ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ نسخة لكل منهما .

٤ — الصحف السرية عديدة وليس لها مواعيد صدور ثابتة . وليس هناك اي ملف منظم لها ، وبالتالي فلا يمكن تصنيفها واختيار عينة منها .

٥ — راجع مقال سايمون مارتن ليبست « اليسار واليهود واسرائيل » الذي ظهر في كتاب «Revolution and Counter Revolution» طبعة معدلة ، غاردن سيتي ، نيويورك : انكور بوكس ، ١٩٧٠ . ويحلل ليبست في المقال اهمية وجود عدد من اليهود داخل اليسار تفوق نسبتهم السكانية ، وتأثير ذلك على مواقف اليسار من اسرائيل . ويشدد ليبست في المقال على فكرته المغلة والقائلة بأن « أقصى اليمين » و« أقصى

اليسار » يتساويان . وبالتالي فهو يعتبر موقف اليسار الجديد (أقصى اليسار) المعادي للصهيونية ولاسرائيل موقفا لاساميا . وهكذا فان اليهود في اليسار الجديد هم « يهود لاساميون » أو « كارهو انفسهم » ، ص ٣٩١ — ٣٩٣ .

٦ — وتعرف اسرائيل أفضل بأنها « ديمقراطية الاسياد » (راجع تعريف ديمقراطية الاسياد في P.Van Den Berghe, *Race and Racism*, N.Y.: John Wiley, 1967, p. 18, 29).
فطبقا لذلك التعريف تحرم الاقلية العربية في فلسطين ، منذ الولادة ، من الديمقراطية التي تتمتع بها الاغلبية اليهودية في اسرائيل والمناطق المحتلة . راجع ايضا كتاب صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، بيروت : مركز الابحاث في م.ت.ف. ١٩٦٧ .

٧ — راجع مقال عابدين جبارة ، « اليسار الاميركي وحرب حزيران » ، في كتاب **المواجهة العربية — الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧** ، تحرير ابراهيم ابو لغد ، ايفانستون : مطبعة جامعة نورثوسترن، ١٩٧٠ ، ص ١٦٩ — ١٩١.

٨ — تبحث الدراسات التالية موارد وعقيدة وبنيان كل من الحركات المذكورة اعلاه :
R. Blauner, «Internal Colonialism and Ghetto Revolt», Bobbs-Merril BC-27, Indianapolis; J.Boggs, *Racism and the Class Struggle*, N.Y.: Monthly Review Press, 1972; R. Flacks, *Youth and Social Change*, Markham, 1970; J. Mitchell, *Women's Estate*, N.Y.: Vintage Books, 1971; and M. Miles, *The Radical Probe*, N.Y.: Atheneum, 1971.

٩ — والمثال الحي على هذا النوع من النشاط السياسي هي مظاهرات الاحتجاج الاخيرة في ديترويت (اكتوبر ونوفمبر ١٩٧٣) التي قام بها اعضاء « اتحاد عمال السيارات » من الاميركيين العرب وغير العرب ، والتي أيدتها عدة منظمات ماركسية ، ضد تأييد « بيروقراطيي اتحاد عمال السيارات » لاسرائيل وشراءها لاسهم اسرائيلية من اموال الاتحاد المخصصة للتقاعد . **غارديان** ، نوفمبر ١٩٧٣ .

١٠ — وقد سهل ذلك انشاء « وكالة انباء التحرير » ، و« وكالة انباء القارات الثلاث » ، و« الصحافة العالمية » ، وهي وكالات انباء سرية معادلة « لاسوشييتدبرس » و UPI ، و« رويتر » .

١١ — يعتمد كانز على دعم قيادة اتحاد العمال ، وجورج ميني أيد اسرائيل بقوة في حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ . ولكن اتحاد عمال الزراعة يضم مهاجرين يمنيين ، قتل احدهم اثناء مظاهرة احتجاج في كاليفورنيا في الخريف .

١٢ — **دايلي ورلد** ، ١٣ — ١٠ — ١٩٧٣ ص ٣ ، ٢٣ — ١٠ — ١٩٧٣ ص ٣ مقال افتتاحي ، و ٢٤ — ١٠ — ١٩٧٣ ص ١٠ ، و ٢٥ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، و ٢٧ — ١٠ — ٧٣ ، ص ٣ و ص ٦ .

١٣ — يمكن ادراك طبيعة الخطر من تقرير أوردته **دايلي ورلد** في ١٣ — ١٠ — ٧٣ نقلا عن وكالة UPI وجاء فيه ان جنديين من فرقة القبعات الخضراء ، احدهما جندي والاخر تشيكانو ، أرسلا الى الاردن عام ١٩٧٠ لاغتيال القادة الفلسطينيين . وكذلك تحدث التقرير عن دور الاسطول السادس في اخماد الحركة الفلسطينية اثناء أيلول الاسود ١٩٧٠ . وراجع ايضا **دايلي ورلد** ٢٨ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ ، و ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ١ و ص ٧ مقال افتتاحي ، و١٧ — ١١ — ٧٣ ، ص ٥ م (M 5)

١٤ — **دايلي ورلد** ، ١٨ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ وص ١٠ ، ٢٧ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، وص ١٠ ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ١٧ — ١١ — ٧٣ ص ٤ ، ٢٤ — ١١ — ٧٣ ص ٤ ، ٢٩ — ١٢ — ٧٣ .

١٥ — **دايلي ورلد** ، ١٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ ، ٢٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ ، ٦ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ ، ٨ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ٢٠ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ ، ٣٠ — ١١ — ٧٣ ص ٧ مقال افتتاحي ، ١ — ١٢ — ٧٣ ص ٥ ، ٧ — ١٢ — ٧٣ ص ١٠ .

١٦ — **دايلي ورلد** ، ١٤ — ١٠ — ٧٣ ص ١ ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ ، ٣١ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٣ .

١٧ — **دايلي ورلد** ، ١٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، « كانت استعادة هذه الاراضي المحتلة الهدف المعلن للدول العربية خلال السنوات الست الماضية » **دايلي ورلد** ، ١٠ — ١٠ — ٧٣ ص ١ : فبالنسبة للعرب ... « انها حرب لاخراج

المعتدين من أراضيهم » . وراجع **دايلي وركر** ١٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ مقال افتتاحي ، ١٨ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ ، ٢٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ ، ٧ — ١١ — ٧٣ ص ٩ .

١٨ — **دايلي ورلد** ، ١٠ — ١٠ — ٧٣ ص ١ ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ١ .

١٩ — **دايلي ورلد** ، ١٨ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ .

٢٠ — **دايلي ورلد** ، ١٢ — ١٠ — ٧٣ ص ١ ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ١ ، ١٨ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ ، ٢٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ وص ٩ ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ افتتاحية ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ١ ، ٣١ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ تصريح الحزب الشيوعي الاميركي ، ١ — ١١ — ٧٣ ص ١ .

٢١ — **دايلي ورلد** ، ٢٤ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، ١ — ١١ — ٧٣ ص ١ وص ٩ ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ٣ — ١١ — ٧٣ ص ٧ ، ٦ — ١١ — ٧٣ ص ٤ ، ٧ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ٢٠ — ١ — ٧٣ الافتتاحية ، ٨ — ١٢ — ٧٣ ص ١٠ تصريح رئيس الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) .

٢٢ — **دايلي ورلد** ، ١٠ — ١٠ — ٧٣ ص ١ تصريح الحزب الشيوعي الاميركي ، ١٠ — ١٠— ٧٣ ص ٧ افتتاحية ، ١١ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ وص ٧ افتتاحية ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ م (M 5) ، ١٨ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ ، ٢٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ١٧ — ١١ — ٧٣ ص ٤ وص ٥ م (M 5) مقالات كتبها س. كوموروسكي وف برلو .

٢٣ — **دايلي ورلد** ، ١٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ افتتاحية ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ١، ١٠ —١٠— ٧٣ ص ٣ ، ٣ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ م (MIO) .

٢٤ — **دايلي ورلد** ، ١١ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ افتتاحية ، ١٢ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ ، ١٣ — ١٠ — ٧٣ ص ١٨،٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ افتتاحية ، ٢٤ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، ٧ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ١٧ — ١١ — ٧٣ ص ٤ ، ٢٠ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ ، ٢٦ — ١٢ — ٧٣ ص ٢ .

٢٥ — **دايلي ورلد** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، لاحظ ان **دايلي ورلد** تنقل اقوال قادة الحزب الشيوعي الاسرائيلي حزب ماكي (الفئة الشيوعية الاسرائيلية الملتزمة بالسوفيات والمؤيدة لدولة اسرائيل) وليس حزب ركاح (الفئة الشيوعية الاسرائيلية المعادية للصهيونية) .

٢٦ — تردد هذه الفكرة باستمرار في تصريحات وكتابات قادة الحزب الشيوعي الاميركي ، وفي مقالات وتقارير المنظمات التي تقوم بنشاط للتعبير عن الرأي نفسه (محاضرات ، مظاهرات ، مؤتمرات الخ) .

راجع افتتاحيات **دايلي ورلد** : ١٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ ، ١٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ ، ومقالات س. كوموروسكي وخاصة **دايلي ورلد** ، ١٧ — ١١ — ٧٣ ص٤) . وللاطلاع على تقارير حول المنظمات راجع **دايلي ورلد** ١٣ — ١٠ — ٧٣ (اتحاد نوادي النساء اليهوديات) ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ١ (اضراب النساء من أجل السلام) ، ١٨ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ (العصبة النسائية العالمية من اجل السلام والحرية) ، ٢٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ (اللجنة الفورية من أجل السلام مع العدالة في الشرق الاوسط ، مسيرة ١٩ اكتوبر الى البيت الابيض) ، ٢٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ وص ٩ (لجنة السلام العادل في الشرق الاوسط) .

٢٧ — **دايلي ورلد** ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٦ افتتاحية . راجع في نفس الصفحة خطابا يعبر عن موقف مماثل القاه مئير فلنر ، السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي وعضو الكنيست . وراجع أيضا ٣ — ١١ — ٧٣ ص ٧ افتتاحية .

٢٨ — **دايلي ورلد** ٢٤ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ .

٢٩ — المصدر نفسه .

٣٠ — **دايلي ورلد** ، ٧ — ١١ — ٧٣ ص ٩ مقابلة سولي كاي الزعيم الشيوعي البريطاني .

٣١ — **دايلي ورلد** ، ٢٠ — ١٢ — ٧٣ ص ٦ : « من الضروري أن نؤكد هنا ان الاتحاد السوفياتي لم يؤيد الصهيونية او الموقف الصهيوني في اسرائيل في أي وقت من الاوقات . نقد كان موقف الاتحاد السوفياتي قائما على أساس المبدأ الماركسي — اللينيني القائل بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، وقد أيد السوفيات ذلك الحق بالنسبة للامتين الفلسطينيتين

بالتساوي » . (التشديد ورد في الاصل) .

٣٢ — **دايلي ورلد** ، ٣ — ١١ — ٧٣ ص م ١٠ **(M 10)**، مقاطع من كتاب ج. نيكتينا « الخبير » في شؤون الشرق الاوسط .

٣٣ — **دايلي ورلد** ، ٢٤ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ .

٣٤ — **المصدر نفسه** .

٣٥ — **دايلي ورلد** ، ٢٥ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ افتتاحية .

٣٦ — **دايلي ورلد** ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٢ .

٣٧ — **دايلي ورلد** ، ١١ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، ١٧ — ١١ — ٧٣ ص ٩ .

٣٨ — **دايلي ورلد** ، ١٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، ١٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٧ ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٦ .

٣٩ — **دايلي ورلد** ، ١٢ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ ، انتقاد الماويين لهجرة اليهود السوفيات .

٤٠ — **دايلي ورلد** ، ٢٤ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ ، ١٤ — ١١ — ٧٣ ص ٣ ، ١٦ — ١١ — ٧٣ ص ٣ .

٤١ — **دايلي ورلد** ، ٧ — ١١ — ٧٣ ص ٩ خطاب القاه سولي كاي الزعيم الشيوعي البريطاني .

٤٢ — **دايلي ورلد** ، ٢٧ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ٢٨ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، ٣٠ — ١١ — ٧٣ ص ٦ ، سلسلة كتبها توم فولي خبير **الدايلي ورلد** في شؤون الشرق الاوسط .

٤٣ — **دايلي ورلد** ، ١١ — ١٢ — ٧٣ ص ٦ ، راجع أيضا **دايلي ورلد** ، ٢٥ — ١٠ — ٧٣ ص ٦ حول تحليل الحزب الشيوعي الاسرائيلي لـ « كيف تمكن المعادون للشيوعية من ابقاء حركة السلم الاسرائيلية ضعيفة » .

٤٤ — **دايلي ورلد** ، ١٧ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ م (M 5) ، ٧ — ١١ — ٧٣ ص ٩ ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ٦ و ١٠ ، ١٧ — ١١ — ٧٣ ص ٥ م (M 5) .

٤٥ — **دايلي ورلد** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ .

٤٦ — **دايلي ورلد** ، ٢١ — ١١ — ٧٣ ص ٦ .

٤٧ — **دايلي ورلد** ، ٢٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٣ .

٤٨ — **دايلي ورلد** ، ٢٠ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ .

٤٩ — « التحرر الوطني » هي العبارة المستعملة من قبل الحزب الشيوعي الاميركي . ولكن في الواقع ان عبارة « سيادة الدولة » أصبح لان الاتحاد السوفياتي يتعامل مباشرة مع حكومات الدول كممثلة لشعوبها . ومقابل ذلك يميز الصينيون بين علاقاتهم بالحكومات وعلاقاتهم بالشعوب ، لان الحكومات قد لا تكون ممثلة لشعوبها .

٥٠ — **دايلي ورلد** ، ٣٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .

٥١ — ويقوم « الحلف الاسبرطي » بمهاجمة ياسر عرفات وجورج حبش شخصيا على خلفيتهما الطبقية وتعليمهما ونشاطاتهما وارتباطاتهما السابقة . اما نايف حواتمة فيلقى الرضى من جانبهم لانه ينتقد القومية الفلسطينية ويؤيد تحالف جماهير القوميات المختلفة (مثلا ، الفلسطينيون مع الاردنيين والفلسطينيون مع الاسرائيليين) . (**وركرز فانفارد** ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ١١) .

٥٢ — رغم ان المنظمات التروتسكية تكره « البيروقراطيين الستالينيين » (التابعين لموسكو وبكين) وتنتقد مفاهيم الوفاق والتعايش السلمي ، فان « الحلف الاسبرطي » و« عصبة الصراع الطبقي » مستعدان للدفاع عن الاتحاد السوفياتي عسكريا من اجل حماية مكاسب البروليتاريا من ثورة اكتوبر ، ومن اجل المحافظة على العلاقات الاشتراكية للملكية . (**يونغ سبارتكوس** ، نوفمبر — ديسمبر ٧٣ ص ٥ ، **الصراع الطبقي** ، نوفمبر ٧٣ ص ١٤ و ١٦) .

٥٣ — مفتاح بأسماء المنظمات ومطبوعاتها :

حزب العمال الاشتراكي (جناح الشبان — التحالف الاشتراكي الشاب)	**ذي مليتانت**
الحلف الاسبرطي	**وركرز فانغرد**
(الشبان — يونغ سبارتكوس)	**يونغ سبارتكوس**
عصبة الصراع الطبقي	**كلاس سترغل**
الاشتراكيون العالميون	**وركرز باور**
حلف العمال	**بوليتين**
الحلف الاشتراكي الثوري	**ذي تورش** .

٥٤ — **ذي مليتانت** ، ٢٣ — ١١ — ٧٣ ص ٩ .

٥٥ — **ذي مليتانت** ، ١٦ — ١١ — ٧٣ ص ١٥ .

٥٦ — **ذي مليتانت** ، ٣٠ — ١١ — ٧٣ ص ٧ .

٥٧ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .

٥٨ — **ذي مليتانت** ، ١٦ — ١١ — ٧٣ ص ١٦ .

٥٩ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .

٦ — **المصدر نفسه** .
٦ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٨ .
٦ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .
٦ — **ذي مليتانت** ، ١٦ — ١١ — ٧٣ ص ١٦ .
٦ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .
٦ — **ذي مليتانت** ، ١٦ — ١١ — ٧٣ ص ١٦ .
٦٦ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٨ .
٦٧ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .
٦٨ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ افتتاحية .
٦٩ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٨ — ٩ التشديد في الاصل .
٧٠ — **ذي مليتانت** ، ١٦ — ١١ — ٧٣ ص ١٦ .
٧١ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٨ .
٧٢ — **المصدر نفسه** ، « ليست الصهيونية ، كما تدعي ، حركة تحرر وطني . فالصهيونية حركة سياسية طورت بهدف اقامة دولة استيطانية — استعمارية في فلسطين » .
٧٣ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .
٧٤ — **ذي مليتانت** ، ٢٣ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ . وتضيف **ذي مليتانت**: « ان معارضتنا الاشتراكية الثورية للصهيونية ولدولة اسرائيل لا تمت بصلة الى اللاسامية ، كما يؤكد الدعاة الصهاينة بسوء نية . فاللاسامية حركة عنصرية معادية لليهود استغلت لتبرير ولزيادة اضطهاد الشعب اليهودي . وقد كان الماركسيون ومـا يزالون أشد المقاتلين المتصلبين ضد اللاسامية وضد اضطهاد اليهود » .
٧٥ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١١ — ٧٣ ص ٨ .
٧٦ — **ذي مليتانت** ، ٢١ — ١٢ — ٧٣ ص ١٧ .
٧٧ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٨ .
٧٨ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .
٧٩ — **ذي مليتانت** ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ٤ .
٨٠ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٤ .
٨١ — **المصدر نفسه** : « ان التنازلات التي قدمت الى اسرائيل تشكل تراجعا للنضال العربي . ففي السابق ، رفضت الدول العربية الاعتراف باسرائيل بسبب التأييد الجماهيري لاستعـادة الفلسطينيين لاراضيهم . ولكن قبول قرار مجلس الامن الدولي أظهر ان الحكام العرب مستعدون « لبيع » (للتخلي عن) النضال الفلسطيني » .
٨٢ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٤ .
٨٣ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٨ .
٨٤ — وهذا اختلاف كبير عن الموقف الماوي الذي بحثناه ادناه .
٨٥ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٨ . التشديد في الاصل .
٨٦ — **ذي مليتانت** ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٩ .
٨٧ — « ومهما حـدث الان فقد سجل العـرب انتصارا سياسيا بارزا . وان الصدمة والدهشة التي أصابت الامبرياليـين — وهي انعكـاس لتمييزهم العنصري ضد العرب ولسوء تقديرهم المعهود لقدرة الجماهير المسحوقة على القتال — بحد ذاتها شهادة بليغة على المكاسب التـي أحرزت » . ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .
٨٨ — **ذي مليتانت** ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٦ .
٨٩ — **المصدر نفسه** .
٩٠ — **المصدر نفسه** .
٩١ — **ذي مليتانت** ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٧ .
٩٢ — لقد تم التنديد بـ « غس هال » على ما قاله في خطابه هذا : « سوف يكتشف الجميع ان الاتحاد السوفياتي أفضل صديق لاسرائيل ، تماما كما كان عندما قاتل من اجل حق اسرائيل في دخول الامم المتحدة » . **المصدر نفسه** .
٩٣ — **ذي مليتانت** ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٧ .
٩٤ — **ذي مليتانت** ، ٢ — ١١ — ٧٣ ص ٦ .
٩٥ — **المصدر نفسه** ص ٦ — ٧ . ويشبه هذا بجنوب — شرق آسيا حيث « ان الهدف الاساسي لاتفاق باريس — الذي فرضه على الفيتناميين كل من واشنطن وموسكو وبكين — هو الاحتفاظ بموطىء قدم للامبرياليين في سايغون » . **المصدر نفسه** ، ص ٦ .
٩٦ — **المصدر نفسه** .
٩٧ — لهذا السبب وقف حزب العمال الاشتراكي ضد اتفاق باريس الفيتنامي ، وكان الحـزب الاميركي اليساري الكبير الوحيد الذي عارض تلك التسوية . وبالتالي فمن المتوقع ان يقف ضد التسوية في الشرق الاوسط حتى لو حصل الفلسطينيون على دويلة .
٩٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٧ .
٩٩ — **ذي مليتانت** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .
وقد تكرر هذا عدة مرات في مقالات ذي مليتانت . وعادة ما تتبعها جملـة « ان الثورة العربية

تشتمل على تأييد للحقوق المدنية والثقافية والدينية الكاملة لكل القوميات في الشرق الاوسط ، بما فيها اليهود الاسرائيليين » .
٢٣ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ .

١٠٠ — **ذي مليتانت** ، ٢٦ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .

١٠١ — **ذي مليتانت** ، ٢٢ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ .

١٠٢ — **وركرز فانفرد** ، ٢٣ — ١١ — ٧٣ ص ٦ و ٧ و ١١ .
كلاس سترغل ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و ١٤ .
وركرز باور ، ٢ — ٧٣/١١/١٥ ص ٨ .
بوليتين ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .
ذي تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .

١٠٣ — **تورش** ، **المصدر السابق** .
بوليتين ، **المصدر السابق** .
كلاس سترغل ، **المصدر السابق** .
وركرز فانفرد ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ .

١٠٤ — **وركرز فانفرد** ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ١١ .
كلاس سترغل ، **المصدر السابق** .
وركرز باور ، ٢ — ٧٣/١١/١٥ ص ٨ .
بوليتين ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .

١٠٥ — **يونغ سبارتكوس** نوفمبر — ديسمبر ٧٣ ص ٥ ، **وركرز فانفرد** ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ١١ . **وركرز باور** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ الى ١ — ١١ — ٧٣ ص ١٢ .

١٠٦ — **بوليتين** ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .
تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .

١٠٧ — **تورش** ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .
وركرز باور ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ الى ١ — ١١ — ٧٣ ص ١٢ .
وركرز فانفرد ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ١٠ و ١١ .

١٠٨ — **بوليتين** ، ٩ — ١٠ — ٧٣ ص ١ و ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .

١٠٩ — **كلاس سترغل** ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و١٤ .

١١٠ — **وركرز فانفرد** ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ١١ .
كلاس سترغل ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و ١٤ .
وركرز باور ، ٢١ — ١٢ — ٧٣ الى ١٧ — ١ — ٧٤ ص ١٠ .
بوليتين ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .
تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .

١١١ — **كلاس سترغل** ، نوفمبر ٧٣ ص ١٦ و١٤ ،
تورش ، نوفمبر ٧٣ ص ٢ .

١١٢ — **وركرز فانفرد** ، ٩ — ١١ — ٧٣ ص ١١ ،
يونغ سبارتكوس ، نوفمبر — ديسمبر ٧٣ ص ٥ .
وركرز باور ، ١٩ — ١٠ — ٧٣ ص ١٢ ، ٢١ — ١٢ — ٧٣ الى ١٧ — ١ — ٧٤ ص ١٠ .
بوليتين ، ٢٣ — ١٠ — ٧٣ ص ٥ .

١١٣ — **ذي كول** ، ٧٣/١٢ ص ١١ . وراجع أيضا غارديان ١٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ و ١٩ — ١٢ — ٧٣ ص ٩ .
ريفوليوشن ٧٣/١١ ص ١٠ ، وبيان كتيبة اتيكا حول **الحرب في الشرق الاوسط : من هم المعتدون الحقيقيون ؟** ص ١ و ص ٢ .

١١٤ — بيان كتيبة اتيكا ص ٤ . وراجع ايضا **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٠ .

١١٥ — **ريفوليوشن** ، ٧٣/١١ ص ١٠ .

١١٦ — **المصدر** نفسه .

١١٧ — فايت **باك** ، ٧٣/١١ ص ٥ . وراجع ايضا بيان كتيبة اتيكا ص ٣ ، و**ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٠ .

١١٨ — بيان كتيبة اتيكا ص ٢ وص ٥ . وراجع أيضا **ذي كول** ، ٧٣/١٠ ، ص ٩ ، ٧٣/١٢ ص ١ ، **غارديان** ، ١٠ — ١٠ — ٧٣ ص ٩ .

١١٩ — **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٠ .

١٢٠ — **ذي كول** ، ٧٣/١٠ ص ٩ ، ٧٣/١٢ ص ١ ، **غارديان** ٢٤ — ١٠ — ٧٣ ص ١٠ — ١١ افتتاحية ، ٣١ — ١٠ — ٧٣ ص ٢٠ ، ٢٨ — ١١ — ٧٣ ص ١ و ٢٠ ، ٥ — ١٢ — ٧٣ ص ١١ افتتاحية ، **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٠ ، ٧٣/١٢ ص ٤ افتتاحية .

١٢١ — **ذي كول** ، ٧٣/١٢ ، ص ١ .

١٢٢ — **ذي كول** ، ٧٣/١١ ص ١٦ ، ٧٣/١٢ ص ١١ ، **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٢ ، ٧٣/١٢ ص ٤ .

١٢٣ — **غارديان** ، ٧٣/١٢/٢٦ ص ٩ . وراجع ايضا كارل ديفيدسون في **غارديان** ٧٣/١٠/١٠ ص ٩ .

١٢٤ — **المصدر** نفسه .

١٢٥ — ريفوليوشن ، ٧٣/١١ ص ١٠ ، ٧٣/١٢ ص ٤ ، **ذي كول** ، ٧٣/١١ ص ١٦ ، ٧٣/١٢ ص ١ ، **غارديان** ٧٣/١٠/٣١ ص ٢٠ ، /١٢/٥ ٧٣ ص ٢٠ ، ٧٣/١٢/١٩ ص ٢٠ .

١٢٦ — **ريفوليوشن** ، ٧٣/١١ ص ١٠ . وراجع ايضا **ذي كول** ٧٣/١٢ ص ١١ .

١٢٧ ــ **غارديان** ٧٣/١٠/٢٤ ص١٠ــ١١ افتتاحية. وراجع بيان كتيبة اتيكا ص ٥ .
١٢٨ ــ **غارديان** ، ٧٣/١١/١٤ ص ١٦ .
١٢٩ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٠/١٠ ص ٩ .
١٣٠ ــ **ريفوليوشن** ، ٧٣/١١ ص ١٠ .
١٣١ ــ **المصدر نفسه** .
١٣٢ ــ **ذي كول** ٧٣/١٢ ص ١١ ، بيان كتيبة اتيكا ص ١ ، **ريفوليوشن** ، ٧٣/١١ ص ١٢ .
١٣٣ ــ بيان كتيبة اتيكا ص ٣ .
١٣٤ ــ **ريفوليوشن** ، ٧٣/١١ ص ١٠ .
١٣٥ ــ **فايت باك** ، ٧٣/١١ ص ٥ .
١٣٦ ــ **ريفوليوشن** ، ٧٣/١١ ص ١٢ ، **غارديان** ٧٣/١٢/١٢ ص ١٥ .
١٣٧ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٠/٢٤ ص ١٠ ــ ١١ افتتاحية .
١٣٨ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٠/١٧ ص ١ ، ٧٣/١٠/٢٤ ص ١٠ ــ ١١ افتتاحية ، ٧٣/١٠/٣١ ص ١٤ ، ٧٣/١٢/٥ ص ١ و١٠ و٢٠ ، ٧٣/١٢/١٢ ص ١٥ ، ٧٣/١٢/١٩ ص ١٤ ، ٧٣/١٢/٢٦ ص ١٠ ــ ١١ افتتاحية ، **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٠ ، **ذي كول** ٧٣/١٠ ص ٩ و١٧، ٧٣/١١ ص ١٦ .
١٣٩ ــ **ذي كول** ٧٣/١٠ ص ١٧ .
١٤٠ ــ **ذي كول** ٧٣/١١ ص ١٦ .
١٤١ ــ **غارديان** ، ٧٣/١١/١٧ ص ١٠ افتتاحية.
١٤٢ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٢/١٩ ص ٩ . راجع ايضا ٧٣/١١/٧ ص ١٠ .
١٤٣ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٠/١٧ ص ١٦ ، ٣١/ ٧٣/١٠ ص ٢٠ ، **ذي كول** ٧٣/١١ ص ١ ، ٧٣/١٢ ص ١ و١٤ .
١٤٤ ــ **ذي كول** ، ٧٣/١١ ص ١ و١٦، **غارديان** ٧٣/١١/٢١ ص ٢٠ . راجع ايضا **غارديان** ٧٣/١٠/٣١ ص ١٠ ، **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٠ ، بيان كتيبة اتيكا ص ١ .
١٤٥ ــ **ريفوليوشن** ، ٧٣/١١ ص ١٢ .
١٤٦ ــ **فايت باك** ، ٧٣/١١ ص ٥ ، **ذي كول** ٧٣/١٢ ص ١١ ، **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٢ .
١٤٧ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٠/١٧ ص ١ ، ١١/٧/ ٧٣ ص ١ و٢٠ ، ٧٣/١١/٢٨ ص ١ و٢٠ ، ٧٣/١١/٢١ ص ٢٠ ، ٧٣/١٢/٥ ص ١ و٢٠ .
١٤٨ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٠/٢٤ ص ١١ .
١٤٩ ــ **غارديان** ، ٧٣/١١/١٤ ص ١١ .
١٥٠ ــ **غارديان** ، ٧٣/١١/١٤ ص ٢٠ ، ٢١/ ٧٣/١١ ص ٢٠ .
١٥١ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٢/١٢ ص ٢٠ . راجع ايضا ٧٣/١٢/٢٦ ص ١٠ و١١ افتتاحية .
١٥٢ ــ **ذي كول** ٧٣/١٢ ص ١١ .
١٥٣ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٢/٢٦ ص ٩ .
١٥٤ ــ **ذي كول** ، ٧٣/١٢ ص ١ .
١٥٥ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٢/٢٦ ص ١٠ افتتاحية. راجع ايضا **غارديان** ٧٣/١١/٧ ص ١٠ .
١٥٦ ــ **غارديان** ، ٧٣/١/٢٤ ص ١٠ افتتاحية .
١٥٧ ــ **فايت باك** ، ٧٣/١١ ص ٥ ، **غارديان** ٧٣/١٠/٢٤ ص ١٠ افتتاحية .
١٥٨ ــ **غارديان** ، ٧٣/١٠/٢٤ ص ١٠ افتتاحية، ٧٣/١٢/٢٦ ص ١٠ افتتــاحية ، **ريفوليوشن** ٧٣/١١ ص ١٠ ، ١٢ ٧٣/١٢ ص ٤ ، راجع ايضا **فايت باك** ٧٣/١١ ص ٦ .
١٥٩ ــ يتطلع حزب عمال العالم الى لينين وماو وتروتسكي كقادة ومفكرين ثوريين .
١٦٠ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ .
١٦١ ــ **وركرز ورلد**، ٧٣/١١/١٦ ص ٦ افتتاحية.
١٦٢ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ ص ٩ و١٢ .
١٦٣ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ .
١٦٤ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٥ .
١٦٥ ــ **وركرز ورلد**، ٧٣/١١/١٦ ص ٦ افتتاحية، ٧٣/١١/٣٠ ص ١٠ .
١٦٦ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ ص ١ مقال كتبه سام مارسي : « يستعمل روكفلر ورجال النفط اسرائيل كمخفر لحماية ارباحهم الهائلة من خلال اجبار الدول العربية على بيع نفطها رخيصا ».
١٦٧ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ ص ٩ .
١٦٨ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٥ .
١٦٩ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٣٠ ص ١٠ .
١٧٠ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ ص ٨ .
١٧١ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٤/٢/٢٢ ص ١٠ .
١٧٢ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٥ .
١٧٣ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٣٠ ص ١٠ .
١٧٤ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/٣/٣ ص ١٣ .
١٧٥ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ ، و٧٣/١١/٣٠ ص ١٠ ، ٧٤/٣/٨ ص ١٣ .
١٧٦ ــ **وركرز ورلد** ، ٧٣/١٢/١٤ ص ٩ .

١٧٧ — **وركرز ورلد**، ٧٣/١١/١٦ ص ٦ افتتاحية.
١٧٨ — **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٥ .
١٧٩ — **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٣٠ ص ١٠ .
١٨٠ — **وركرز ورلد** ، ٧٤/٣/٨ ص ١٣ .
١٨١ — **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ ص ٨ .
١٨٢ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ . من أجل اطلاع كامل على تطبيق حزب الشعب لهذه الافكار على الوضع الفلسطيني — الاسرائيلي راجع مجلته **وركرز انترناشيونال نيوزلتر** ، يناير ١٩٧٤ ص ٢٨—٥٠ .
١٨٣ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ .
١٨٤ — **المصدر نفسه** .
١٨٥ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ .
١٨٦ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ .
١٨٧ — **المصدر نفسه** .
١٨٨ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
١٨٩ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ .
١٩٠ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
١٩١ — **المصدر نفسه** .
١٩٢ — **تشالنج** ، ٧٣/١٠/٤ ص ١٠ .
١٩٣ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ٢ وص ١٠ .
١٩٤ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ : « ان ضعف الموقف الاميركي المنقسم ما بين اسرائيل والسعودية » مذكور هنا. وهذه الجملة تتعارض مع تحليل حزب الشعب لانها توحي بأن الولايات المتحدة تسيطر على عملائها (مثلا ، ليسوا مجرد « دمى » أو « أدوات ») وان للصراع العربي الاسرائيلي ديناميكية مستقلة عن المواجهة بين الامبرياليين (فكلا البلدين عميلين للمستعمر نفسه وبالتالي يجب الا يكون بينهما خلاف) . راجع ايضا **تشالنج** ٧٣/١٢/١٣ ص ٢ .
١٩٥ — تشالنج ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ . ولكن في مكان آخر (**تشالنج** ٧٣/١٢/١٣ ص ٢) يعترف حزب الشعب من خلال قوله بان ازمة النفط هي احدى مظاهر اضمحلال الامبراطورية الاميركية : « ان الدول العربية قطعت امدادات النفط انتقاما من دعم الولايات المتحدة للفاشيين الاسرائيليين » ، ولكن الحزب لا يرى في ذلك أي تأثير على الاقتصاد الاميركي .
١٩٦ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
١٩٧ — **تشالنج** ، ٧٣/١٢/١٣ ص ٢ .
١٩٨ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ و٧٣/١١/١٦ ص ١٦ .
١٩٩ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
٢٠٠ — **تشالنج** ، ٧٣/١٢/١٣ ص ٢ . راجع ايضا ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
٢٠١ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/١٦ ص ١٠ افتتاحية .
٢٠٢ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
١٠٣ — **تشالنج** ، ٧٣/١٠/٤ ص ١٠ .
٢٠٤ — **تشالنج** ، ٧٣/١١/٢ ص ٢ .
٢٠٥ — مثلا ، غالبا ما تشاهد في واشنطن العاصمة ، حيث يشكل السود ٨٥٪ من سكان المدينة وحيث تتواجد منظمات اسلامية اميركية قوية ، ملصقات على السيارات عليها عبارات « لا أسلحة لاسرائيل » توقيع الحلف الاسلامي للولايات المتحدة .
٢٠٦ — راجع تقريرا في **ذي كول** ، يناير٧٤ ص٢، مأخوذا من **محمد يتكلم** . وليس هناك أي تقرير عن اسلوب الدراسة ودرجة التشدد في اسلوب اختيار العينة .
٢٠٧ — **ذي واشنطن بوست** ، ٧٤/٣/١٨ ص ٤ 1 (A 4).
٢٠٨ — مقابلة مع أحد قادة المنظمة الذين شاركوا وتحدثوا في المسيرة المضادة « لوود كوك » في ديترويت .
٢٠٩ — **بلاك بانثر** ، ٧٣/١٠/٢٠ ص ١٦ .
٢١٠ — **بلاك بانثر**، ٧٣/١٠/٢٧ ص ٢ افتتاحية. راجع ايضا خطاب د.ج. ديباوا ، رئيس تحرير الصحيفة في ٧٣/١٠/١٠ ص ١٤ .
٢١١ — **بلاك بانثر** ، ٧٣/١٠/٢٧ ص ٢ .
٢١٢ — ينادي سيكو باشتراكية وسائل الانتاج لاعادة الحرية الحقيقية للافريقيين. ان **بلاك بانثر** تتجنب الكتابات الاشتراكية ، لكنها غالبا ما تسمح لافكار كهذه بالظهور على صفحاتها .
٢١٣ — **بلاك بانثر** ، ٧٣/١١/١٠ ص ٤ ، ١٧/ ٧٣/١١ ص ١٥ .
٢١٤ — **بلاك بانثر** ، ٧٣/١١/١٠ ص ١٤ .
٢١٥ — **بلاك بانثر** ، ٧٣/١١/١٧ ص ١٤ . يشدد ابي فيصل على ان الفدائيين الفلسطينيين يقومون بعمليات دفاعية فقط في منطقة العرقوب من أجل حماية الفلاحين المحليين من الهجمات الاسرائيلية ، وعلى ان العمليات الفلسطينية داخل اسرائيل تتجنب تماما مهاجمة المدنيين .

٢١٦ — **بلاك بانثر** ، ٧٣/١١/٧ ص ١٣ .

٢١٧ — راجع كتابات ومنشورات الحزب . ويكرر ميكائيل هارنغتون النقطة نفسها في خطاباته مثلا ، في محاضرة حضرها المؤلفون في سني — الباني عام ١٩٧٠ .

٢١٨ — من منشورات الحركة الاميركية الجديدة : **القرارات حول الشرق الاوسط المتحدة في المجلس الوطني : خطوة الى الامام .**

٢١٩ — **نيو اميركان موفمنت** ، نوفمبر ١٩٧٣ .

٢٢٠ — **ويكلي بيبول** ، ٧٣/١٠/٢٧ ص ١ ، ٧٣/١٢/٨ ص ١ و٥ ، ٧٤/١/٥ ص ١ و٢ .

٢٢١ — **ويكلي بيبول** ، ٧٣/١٢/٨ ص ٥ . راجع ايضا ٧٣/١٠/٢٧ ص ٤ افتتاحية .

٢٢٢ — رسالة حول المبادىء والاعلام من المكتب الوطني لحزب الشعب (واشنطن العاصمة) .

٢٢٣ — **المصدر نفسه** .

٢٢٤ — نشره حزب ميتشيغان لحقوق الانسان ، وهو حزب محلي متفرع عن حزب الحزب ، طبقا للمكتب الوطني لحزب الشعب (واشنطن العاصمة) في رسالة خاصة في ٧٤/١/٣ ، وهو « موقف الحزب الوطني في كل الظروف » .

٢٢٥ — تختلف الدولة ذات القوميتين هذه عن الفكرة المماثلة التي طرحتها الاحزاب التروتسكية الصغيرة ، لان الاحزاب الصغيرة تقترح اعادة تقسيم فلسطين من جديد اذا اختارت احدى « الامتين » الانسحاب .

٢٢٦ — **ذي بوند** ، ٧٣/١٠/٢١ ص ١ .

٢٢٧ — **المصدر نفسه** . التشديد في الاصل .

٢٢٨ — **هاي واي ١٣** ، نوفمبر ٧٣ ص ١٢ . ولكن عدد ديسمبر ٧٣ ص ١٢ يشير الى « الدول العربية التقدمية » التي « أعلنت ان النهب انتهى » باعلانها حظر النفط .

٢٢٩ — **هاي واي ١٣** ، نوفمبر ٧٣ ص ١٢ .

٢٣٠ — **المصدر نفسه** .

٢٣١ — **مليتانت** ، ٧٣/١٠/٢٦ ص ٨ .

٢٣٢ — **وركرز ورلد** ، ٧٣/١١/٢ ص ٩ .

٢٣٣ — نشرت بعض هذه المقالات قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، كما ان مقالات جديدة كتبت خصيصا للمجلد وجمعها ارفينغ هاو ، رئيس تحرير **ديسنت**، وكارل جرشمان، محرر **اسرائيل والعرب والشرق الاوسط** ، نيويورك ، بنتام ، ١٩٧٢ .

٢٣٤ — وسعت في ٣ يناير ١٩٧١ الى « **عودة اللاسامية كقوة سياسية** » ، **ارفينغ هاو** وكارل جرشمان ، **المصدر السابق** .

٢٣٥ — راجع رد الفعل المرير لعالم الاجتماع الاسرائيلي اليساري، س. افنيري في « اسرائيل واليسار الجديد » ، **ترانس أكشن** ، مجلد ٧ (يوليو — اغسطس ، ١٩٧٠) ص ٧٩—٨٤ . أعيدت طباعته في كتاب **الناس والسياسة في الشرق الاوسط** ، تحرير م. كرتيس ، نيو برنزويك : ترانس آكشن ، محدودة ، ١٩٧١ .

٢٣٦ — تعرض اليساري البارز ا.ف. ستون ، رئيس تحرير **ا. ف. ستون الاسبوعية** لهجوم عنيف على موقفه الداعي الى التعايش ما بين الفلسطينيين والاسرائيليين والعرب اثر حرب حزيران ١٩٦٧. وقد تعرض هال دابر، رئيس تحرير **نيو بوليتكس**، لهجوم مماثل على مقاله حول جذور ازمة الشرق الاوسط . راجع هذه القضايا في مقال عابدين جبارة « اليسار الاميري وحرب حزيران » في كتاب **المواجهة العربية — الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ : وجهة نظر عربية** ، الذي حرره ابراهيم ابو لغد ، وصدر عن مطبعة جامعة نورثوسترن ، ايفانستون الينوي ، ١٩٧٠ ، صفحة ١٧٩ — ١٨٢. وراجع ايضا الهجمات على نوام غومسكي في **المصدر السابق** لهاو وجرشمان .

٢٣٧ — راجع عابدين جبارة ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٢—١٧٣ .

٢٣٨ — « لقد استاء هؤلاء المولون من موقف المجلة (**رامبرتس**) المؤيد للعرب ومن استمرارها في تأييد دعاة القوة السوداء ». **نيويورك تايمز**، ١٣ مارس ، ١٩٦٨ ، ص ٤٩ . ورد ذكره في **المصدر السابق** لعابدين جبارة .

٢٣٩ — أحد هذه الكتب **من هو اليساري ؟** ، القدس ، اسرائيل ، ١٩٧٠ .

٢٤٠ — تم طرد النقابات اليسارية التي عارضت التدخل الاميركي بما فيه خطة مارشال ، من الاتحاد العام للعمال في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات . راجع كتاب ر. رادوش ، **العمال الاميركيون والسياسة الخارجية للولايات**

المتحدة ، نيويورك ، فينتاج ، ١٩٦٩ ، ص ٤٣٥–٤٣٦ ، وورد النص في كتاب د. دود ، **الحلم الملتوي** ، كامبريدج ، ماساشوستس ، ناشرو ونتروب ، ١٩٧٤ ، ص ٢١٥ .

فقد قام اتحاد العمال عام ١٩٤٩ بخلق « الاتحاد العالمي لنقابات العمال الحرة » المعادي علنا للشيوعية . « وكان قـادة اتحاد العمال في الخمسينات يقبلون الاموال من وكالة المخابرات الاميركية (سرا) للقيام بنشاط مضاد للشيوعية في الخارج » ، د. دود ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٥ .

٢٤١ — اي. تونسند ، في مقال على الصفحـة ١ بعنوان «ثقل الولايات المتحدة خلف اسرائيل».

٢٤٢ — **ذي واشنطن بوست** ، ٢٩ يناير ، ١٩٧٤.

٢٤٣ — **اميركان تيتشر** ، نوفمبر ١٩٧٣ ، ص ١٢.

ان تعاون اتحاد العمال مع الهستـــــدروت الاسرائيلي يرجع الى زمن بعيد ، وخاصة في افريقيا . وقد كانت السياسة الثابتة لبروتراطيي اتحاد العمال تقوم منذ زمن بعيد على تدعيم النقابات العمالية المعادية للشيوعية والماركسية، مباشرة او بواسطة اتحاد العمال الاسرائيلي ، وخاصة في العالم الثالث. وتهدف هذه السياسة، بالتعاون مع وكالات تابعة للحكومتين الاميركية والاسرائيلية ، الى عدم تسييس نقابات العمال الافريقية . فقد تم انشاء « معهد الدراسات العمالية » في تل ابيب «لتدريب» القادة العماليين الافريقيين بمنحة قدرها ٦٠،٠٠٠ دولار من اتحاد العمال الاميركي عام ١٩٦٠ ، وقد تلقى المعهد المذكور ٣٠٠،٠٠٠ دولار اضافيا عام ١٩٦٢ . راجع مقال « تعاون دافيد وغوليات في افريقيا » في **لفيتنابن** ، سبتمبر ١٩٦٩ والذي تمت مراجعته في **تراي كونتيننتال** عدد ١٥ عام ١٩٦٩ . راجع ايضا ج. موريس ، **وكالة المخابرات المركزية الاميركية والعمـــال الامـيركيين** ، نيويورك : الناشرون العالميون ، ١٩٦٨ .

٢٤٤ — راجع مقال ج. سـتوك وس. روز : « الصهيونيسة واليهود الاميركيون » في **مجلـة دراسات فلسطينية** ، مجلد ٣ رقم ٣ عام ١٩٧٤، ص ٣٩–٥٧. راجع نصا منقحا في **مريب ربورتس** عدد ٢٨ ، حزيران ، ١٩٧٤ .

مراجعات

عنان العامري ، **التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ — ١٩٧٠**
(مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٤)

تتحدث الكاتبة في الفصل الاول عن « توفر احصائيات عن الاراضي المزروعة للسنوات ١٨٩٥، ١٩٣٠ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، الا أن هناك اختلافا كبيرا بين تلك الاحصائيات « والاختلاف العائد الى الاراضي المزروعة يمكن تفسيره باختلاف استهلاك الاراضي الزراعية ما بين فترة واخرى » ص. ١٣ . وما هو المقصود (باستهلاك) الاراضي الزراعية ؟ لان الارض لا تستهلك كغيرها من وسائل الانتاج والاصح استعمال تعبير (استغلال) بدل استهلاك. وتقول الكاتبة ان الاراضي القابلة للزراعة بلغت العام ١٩٤٦ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ دونم . وحول خصوبة الاراضي حسب توزيع المناطق فأحيانا تكون « **الخليل هي أخصب الاراضي في منطقة فلسطين** » ص. ١٤ وأحيانا اخرى « **من حيث الخصب فانه سهل مرج بن عامر يأتي في المرتبة الاولى** » ص. ١٥ واحيانا ثالثة « **من حيث الخصب فتأتي منطقة غزة في المرتبة الاولى** » ص. ١٧ . وهنا خلطت الكاتبة بين نسبة الاراضي الصالحة للزراعة من اجمالي مساحة المنطقة المعينة وبين خصوبة الاراضي وهي حجم الناتج من الاراضي المزروعة للمساحة الواحدة في منطقة معينة بالمقارنة مع ناتج مساحة مشابهة في منطقة اخرى . وهذه المسألة تخضع لشروط عدة ، منها طبيعة الارض ، توفر المياه ، توفر الاسمدة ، وكلها عوامل تتدخل في تحديد درجة الخصوبة .

وعن نسبة الاراضي القابلة للزراعة الى المساحة الكلية تضع الكاتبة جدولا لمساحة الاراضي عام ١٩٣٠ ، حيث تبلغ النسبة ٧٥ر٣٠ ٪ باعتبار ان مجموع المساحة هو ٠٠٠ر٩٦٨ر٢٦ دونم والاراضي القابلة للزراعة ٠٠٠ر٠٤٤ر٨ دونم . وبتدقيق الارقام المذكورة اتضح ان حاصل جمع مساحة المناطق التي عددتها الكاتبة هو ٠٠٠ر١٥٨ر٢٦ دونم وليس ٠٠٠ر٩٦٨ر٢٦ كما ذكرت . ولو حسبنا نسبة الاراضي القابلة للزراعة الى المساحة الكلية على ضوء المساحة الجديدة لكانت النسبة المستخرجة ، صحيحة وهي ٧٥ر٣٠ ٪ بينما على ضوء المساحة التي اعطتها الكاتبة فان النسبة هي ٨ر٢٩ ٪ .

وترتفع النسبة عام ١٩٣٦ الى ٣٣ ٪ (ص. ١٦) . وهنا تقع الكاتبة في مقارنة طريفة جدا فالنسبة الاجمالية عام ٣٠ كانت ٧٥ر٣٠ ٪ (ص. ١٦) وارتفعت عام ٣٦ الى ٣٣ ٪ (ص. ١٦) وهو امر منطقي نتيجة لاستصلاح الاراضي ، ولكن الكاتبة تعطي تفصيلات مختلفة كليا فنسبة الاراضي القابلة للزراعة الى المساحة الكلية كانت عام ١٩٣٠ و٣٦ كالتالي :

	عام ١٩٣٦	عام ١٩٣٠
مرج ابن عامر	١٠ر٨٨٪	٩٣٪
السهل الساحلي	٧٩٪	٨ر٨١٪
سهل عكا	٦٤٪	٩ر٦٨٪
جبال الجليل	٥١٪	؟
غور الاردن	٢ر٤٥٪	٠ر٥٢٪
سلسلة الجبال الوسطى	١٩ر٣٩٪	
منطقة بئر السبع	١٣٪	٨ر٤٦٪

ولو قارنا النسبة الاجمالية عام ١٩٣٠ وهي ٧٥ر٣٠٪ الى النسبة الاجمالية لعام ١٩٣٦ وهي ٣٣٪ لوجدنا ان النسبة قد زادت بنسبة ٢٥ر٢٪ ولكن لو قرأنا الارقام التفصيلية المعطاة لوجدنا ان

النسب قد انخفضت وما علينا سوى القاء نظرة على الجدول المرفق ليتضح لنا هذا . واذا كانت كل الارقام التفصيلية قد انخفضت ، اليس من المنطقي بأن تنخفض النسبة الاجمالية أيضا ؟ وبالرغم ان درجة الانخفاض هذه تخالف المنطق لان الفلاح والمالك الفلسطيني يستصلح اراضيه باستمرار فان هنالك تناقضا ملفتا للنظر الا وهو انخفاض النسبة في منطقة بئر السبع من ٤٦ر٨ ٪ عام ١٩٣٠ الى ١٣ ٪ عام ١٩٣٦ .

واذا كانت مساحة الاراضي الزراعية تتعرض للزيادة او النقصان من سنة لاخرى قد تكون مسألة مقبولة ، ولكن فمن غير المنطقي ان تتعرض مساحة فلسطين للزيادة او النقصان من جدول لاخر . فلقد ذكر ان مجموع المساحة هو ٢٦٫٩٦٨٫٠٠٠ دونم عام ١٩٣٠ ص. ١٦ . والصحيح هو ٢٦٫١٥٨٫٠٠٠ . ثم كانت مجموع المساحة عام ١٩٣٦ ٢٦٫٣١٩٫٤٠٠ دونم ص. ١٧ . و ٢٦٫٣٢٣٫٠٠٠ عام ١٩٤٥ ص. ١٨ . ولكم كان اولى بالكاتبة ان تستقر على رأي من هذه الاراء المنقولة عن مصادر ثلاثة ، وبحيث تركت هكذا متناقضة سواء على صعيد المساحة الكلية او على صعيد المساحة القابلة للزراعة . وبالاضافة لهذا ، فلقد تردد أكثر من مرة اسم السهل الساحلي ، وبدون اي تعليق من الكاتبة وبدون ان تحدد المقصود بالساحلي ، هل هو الساحل الفلسطيني من رأس الناقورة الى رفح ام ماذا ؟ حقيقة الامور انه ليس هنالك من شيء اسمه السهل الساحلي ، بل هنالك السهول الساحلية ، وهي سهل سارونا (بين حيفا ويافا) وسهل يافا وسهل غزة (راجع قسطنطين خمار، جغرافية فلسطين ، ص. ١٥ — ١٦ — ١٧). وبالتالي فلا مجال للحديث عن سهل ساحلي وسهل عكا في الوقت نفسه،كما ورد في الجداول المنشورة على الصفحات (١٦ ، ١٧) . ولو دققت الكاتبة قليلا في المرجع الذي نقلت عنه مساحة فلسطين لاكتشفت ان المصدر الاساسي وهو تقرير سمبسون قد حدد في صفحة ٣٥ مساحة فلسطين بـ ٨٫٠٤٤ مليون دونم اراض صالحة للزراعة و١٨٫١٤٤ مليون دونم غير صالحة للزراعة ، ولو جمعت الانسة العامري هذين الرقمين بدقة لكانت مساحة فلسطين ٢٦٫١٥٨ مليون دونم ، وهو رقم مقبول لانه متقارب أكثر من الرقم الذي اعطاه الاستاذ سعيد حماده ، وهو ٢٦٫٣١٩٫٤٠٠ مليون دونم . بحيث كان الفارق بين الرقمين المعطيين ١٦١٫٤٠٠ دونم ، بينما الفارق بين ارقام سعيد حمادة وسمبسون من ناحية وارقام عنان العامري من ناحية اخرى ، ٦٤٨٫٦٠٠ الفارق مع حماده ٨١٠٫٠٠٠ دونم الفارق مع سمبسون ، ومن هنا فان الارقام الاحصائية التي استخرجتها عنان بعيدة عن الحقيقة وكان الافضل لها وللقارىء لو اكتفت بتثبيت رقمي حماده وسمبسون ، لانها عندما تصرفت من عندها وبدون اي أساس برقمي الكاتبين المذكورين ضاعفت الفارق بينهما مرات عدة . ولاهمية حجم هذا الفارق ، فكان على الانسة العامري ان تتذكر انه يساوي حوالي ٣ أضعاف اجمالي مساحة قطاع غزة الحالي والتي تبلغ ٣٢٥٫٠٠٠ دونم (ص. ٢٧) .

وقد أساءت الكاتبة استعمال المصادر التي لجأت اليها ففي الوقت الذي يتحفظ به سمبسون على بعض الارقام التي يسجلها بقوله « وقد اعترف مدير المساحة ان هذه الارقام هي من قبل التخمين » (سمبسون ص. ٣٠) نجد الانسة العامري تتجاهل كليا هذا التحفظ وتضع الارقام التي تحفظ عليها هكذا وبدون اي تحفظ وكأنها حقائق مسلم بها ، كما هو الحال بالنسبة لاراضي منطقة بئر السبع ، وهي مجال تحفظ سمبسون .

وعندما تتحدث الكاتبة عن ملكية اليهود للاراضي الصالحة للزراعة او المساحة الاجمالية ، تورد ارقاما غير منطقية ، فهي تذكر ان نسبة ملكية اليهود حتى عام ١٩٤٨ هي ٥٫٦ ٪ من مساحة فلسطين الاجمالية . ولم تذكر من أين اتت بهذه النسبة . ولو تجاوزنا عام ١٩٤٨ وعدنا الى المساحة المملوكة من قبل اليهود عام ١٩٤٦ ، والتي كانت تبلغ ١٫٨٠٧٫٣٠٠ دونم (ص. ٢٠) ، وحذفنا من هذا الرقم ١٧٥٫٠٠٠ دونم مساحة الاراضي التي كانت مؤجرة للمؤسسات الصهيونية من قبل الحكومة المنتدبة ، لبلغ مقدار ما امتلكه اليهود ١٫٦٣٢٫٣٠٠ دونم (١٫٨٠٧٫٠٠٠ — ١٧٥٫٠٠٠) . ولو تجاوزنا مقدار الزيادة التي طرأت على مساحة الاراضي المملوكة لليهود خلال السنوات ٤٧ و٤٨ ، والتي هي بالتأكيد اكثر مما كان مملوكا عام ١٩٤٦ ، واعتبرنا ان ١٫٦٣٢٫٣٠٠

دونم المذكورة تساوي ٦ر٥٪ من مساحة فلسطين الاجمالي (ص٠ ٢٠) فان مساحة فلسطين الاجمالية يجب ان تكون اذن وعلى ضوء النسبة المذكورة ٢١٤ر١٤٨ر٢٩ دونما . وهذا الرقم يختلف عن مساحة فلسطين كما ذكرها سعيد حماده ، بـ ٢٦٨٢٨٦٨١٤ دونما (مساحة فلسطين حسب مصدر حماده ٤٠٠ر٣١٩ر٢) وعن المساحة التي ذكرها سمبسون بـ ٢١٤ر٩٩٠ر٢ دونما ، فهل زيادة ما يقارب ثلاثة ملايين دونم هي زيادة بسيطة ؟

وعند حديث الكاتبة عن فترة ما بعد ١٩٤٨ ، اساءت الاستفادة ايضا من مصادرها ، فخلال فقرة من خمسة أسطر فقط اعطت الكاتبة رقمين مختلفين بشأن نسبة الاراضي الزراعية العربية في العام ٦٦ — ٦٧ . ففي السطر الثالث ذكرت الكاتبة ان النسبة هي ٣ر٢١ ٪ من مجموع الاراضي المزروعة وفي السطر الخامس من الصفحة نفسها ذكرت انها ٨ر٢٠ ٪ . وبالعودة الى المصدر الاساسي وهو كتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » الجزء الثاني اتضح ان النسبة الاولى وهي ٣ر٢١ ٪ متعلقة بالعام ٦٠ / ٦١ واستعملتها الكاتبة خطأ في المرة الاولى بالنسبة للعام ٦٧/٦٦. بينما الرقم الصحيح هو الرقم الثاني وهو ٨ر٢٠٪ وهو الرقم المذكور في المصدر الاساسي الذي أخذت الانسة العامري منه معلوماتها ، ولم يلفت نظرها ان النسبة التي سجلتها لعام ٦٣ / ٦٤ هي نسبة نافرة وغير منسجمة مع نسبة العام السابق والعام اللاحق ، بحيث تقفزت من ٧ر٢٠ ٪ عام ٦٢ / ٦٣ الى ٨ر٢٥ ٪ عام ٦٣ / ٦٤ كما لم يلفت نظرها هبوط مجموع الاراضي الزراعية من ٠٠٠ر٩٦٥ر٣ دونم عام ٦٣/٦٢ الى ٠٠٠ر٤٥٠ر٣ عام ٦٣ / ٦٤ اي بما قدره ٠٠٠ر٥١٥ دونم ، فأين (استهلكت) هذه المساحة وفي الوقت نفسه لم يلفت نظرها ان الاراضي الزراعية اليهودية فقط في ذلك العام كانت ٠٠٠ر٤٦٠ر٣ دونم اي أكثر من مجموع الاراضي الزراعية العربية واليهودية مجتمعة حتى بلغت ٠٠٠ر٤٥٠ر٣ دونم فقط ؟ هذه المفارقات لم تلفت نظر الكاتبة ونسيت ان حاصل جمع (٠٠٠ر٤٦٠ر٣) أراضي اليهود مع (٠٠٠ر٨٩٠) وهي أراضي العرب يساوي ٠٠٠ر٣٥٠ر٤ دونم وليس ٠٠٠ر٤٥٠ر٣ كما ذكرت الكاتبة ، ولو احتسبت النسبة على ضوء المساحة الاجمالية الجديدة ، لاتضح ان النسبة الحقيقية للاراضي الزراعية العربية هي ٥ر٢٠ ٪ وليس ٨ر٢٥ ٪ كما قالت الكاتبة في ص٠ ٢٤ . وكذلك فان حديث الكاتبة عن استمرار ارتفاع نسبة الاراضي حديث غير صحيح . فالحقيقة ان النسبة انخفضت لانها كانت ٧ر٢٠ ٪ (ص٠ ٢٥) في العام السابق لعام القياس . وبالمقابل فان حديثها من « ان النسبة عادت للانخفاض فكانت ٨ر٢٠ ٪ عام ٦٦ / ٦٧ يجب ان يكون استمرت الزيادة ، لان أبسط قواعد الحساب تقول ان ٨ر٢٠ ٪ هي اكبر من ٧ر٢٠ ٪ .

وبلغ مجموع الاراضي المزروعة في الضفة الغربية عام ٥٢ ، ١٦٧٥١٦٧٠٣ دونمات (ص٠ ٢٥) ولكن الجدول الذي تثبته الكاتبة في الصفحة التالية مباشرة والمتعلق بالاراضي المزروعة عام ٥٢ يقول بأن الاراضي المزروعة ٧٠٣ر٧٦٠ر١ دونمات ص٠ ٢٦ . وبالرغم ان الفارق هو في حدود ٩٠٠٠ دونم فقط ، ولكن على « مساحة » صفحتين فقط من غير المقبول ان تضيق المساحة او تتسع بـ ٩٠٠٠ دونم .

وعندما تختتم الكاتبة فصلها تصر على تقديم بيانات خاطئة عندما تقول ان اليهود استطاعوا ان يسيطروا على ٨٠ ٪ من الاراضي الزراعية في فلسطين المحتلة بعد قيام دولة اسرائيل وبهذا لم يعد للعرب في كل فلسطين سوى ٠٠٠ر٦٥٧ر٣ دونم صالحة للزراعة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة . ص٠ ٢٨ . واذا كانت اسرائيل تسيطر على ٨٠ ٪ والمتبقي للعرب هو ٢٠ ٪ فكم تساوي العشرين بالمائة هذه ، انها تساوي ٠٠٠ر٦٥٧ر٣ دونم صالحة للزراعة .وعلى ضوء هذه النسبة ، فكم اذن تبلغ مساحة الاراضي الزراعية ؟ انها تبلغ ٠٠٠ر٢٨٥ر١٨ دونم . وهذا الرقم المستخرج على ضوء نسب عنان العامري يبلغ ضعف الارقام التي اعطيت لمساحة الاراضي الزراعية في كل فلسطين في العام ١٩٤٥ (راجع ص٠ ١٨) . وفي الوقت نفسه فانها تساوي ما يزيد على ثلثي مساحة فلسطين ، او ما يزيد عن كل مساحة فلسطين عدا الصحراء الجنوبية فهل هذه النسبة صحيحة ، هل كل جزء من

فلسطين صالح للزراعة عدا الصحراء الجنوبية ، بما فيها الجبال والانهار والوديان والقفار واماكن السكن والمباني والمرافق والطرق ... الخ . قطعا ان الانسة العامري مخطئة والرقم الغريب الاخر المستخرج هو قول الكاتبة « لم يعد للعرب في كل فلسطين سوى ٣٫٦٥٧٫٠٠٠ دونم صالحة للزراعة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة » . وهذا الرقم الذي تعطيه الانسة العامري رقم خيالي بالمقارنة مع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة . ويتناقض مع الارقام التي اعطتها الكاتبة بنفسها . فمساحة الاراضي العربية الزراعية في المنطقة المحتلة ٤٨ بلغت في أفضل السنوات وهي عام ٦٣ / ٦٤ ٨٩٠٫٠٠٠ دونم (ص. ٢٥) . والاراضي الصالحة للزراعة في غزة ١٢٩٫١٦١ دونما (ص. ٢٨) . وبلغت الاراضي الصالحة للزراعة في الضفة ١٫٧٦٠٫٧٠٣ دونمات (ص. ٢٦) . يكون المجموع ٢٫٨١١٫٨٣٢ ، وهذه المساحة المستخرجة من واقع بيانات عنان العامري تقل بـ ٨٤٦ الف دونم حيث قالت ان ما تبقى للعرب في كل فلسطين ٣٫٦٥٧٫٠٠٠ دونم (ص. ٢٨) علما بأن الكاتبة لم تشر الى المصدر الذي أخذت عنه نسبة الـ ٢٠ ٪ المذكورة او مساحة الاراضي الزراعية التي قالت عنها انها تبلغ ٣٫٦٥٧٫٠٠٠ دونم .

وفي مقدمة الفصل الثاني تتحدث الكاتبة وبنصف صفحة فقط عن المناخ والمصادر المائية . وتقول عن المناخ « **يسود فلسطين بشكل عام مناخ بلدان حوض البحر الابيض المتوسط وتقسم السنة فيه الى فصلين رئيسيين فصل الشتاء ويمتد من تشرين الثاني حتى نيسان ، وفصل الصيف ويمتد من أيار حتى تشرين الاول** » . ص. ٢٩ . وعندما تتحدث الكاتبة عن فصلين رئيسيين ، فانها لم تذكر الفصول الثانوية !! وبهذا فلقد نسيت الكاتبة فصلي الربيع والخريف . واما كيف نسيت عنان ربيع فلسطين فهو غريب فعلا . وبالرغم ان عنان لم تشر لمصدر كلامها ، ولكن جملتها المذكورة تلك هي اعادة تركيب للجملة التالية وردت في كتاب سعيد حماده ص. ٥٨ ، نقلا عن « الكتاب الازرق » للعام ١٩٣٥ ص. ٣٥١ حيث تقول الجملة : « **ان مناخ فلسطين على وجه العموم هو من نوع المناخ السائد على شواطىء البحر المتوسط والسنة من هذا القبيل تنقسم فيه الى فصلين فصل صيفي حار جاف ويمتد من ايار حتى تشرين الاول وفصل شتوي بارد ممطر ويمتد من تشرين الثاني الى نيسان** » .

وحبذا لو عادت عنان الى المعلومات التي يعرفها اي فلسطيني عن مناخ فلسطين ، فكان أسلم وأفضل لها من العودة الى الكتاب الازرق لفلسطين كما انه حبذا لو قرأت الصفحة المذكورة من كتاب سعيد حماده (ص. ٥١) للاحظت تحفظ سعيد حماده على كلام الكتاب الازرق لان حماده يقول في السطر الثالث من اسفل الصفحة « وما ذكر هنا ليس سوى وصف مختصر للمناخ في فلسطين ، ولكن هناك اختلافات محلية في المناخ مسببة عن جوار بعض الاماكن ووضعيتها الجغرافية » .

واما بالنسبة للمياه فتقول « ولا تشكل الانهار والينابيع مصدرا مائيا هاما ويوجد في فلسطين نهران هما نهر الاردن ونهر العوجاء والاستفادة من مياه هذين النهرين محدودة » . ص. ٢٩ . واما بالنسبة للينابيع والابار فيقتصر وجودها في منطقة سهل مرج بن عامر ومنطقة بئر السبع ـ العوجاء ومعظم الابار التي وجدت في المنطقة الثانية مالحة لا يمكن الاستفادة منها . ولقد قدر الخبراء اليهود المساحات التي يمكن ارواؤها من الابار والينابيع عام (١٩٣٥) بـ ١٫٥٠٠٫٠٠٠ دونم !! الاراضي التي كانت مروية مثلا في ذلك الوقت ، فلم تزد عن ٣٥٫٠٠٠ دونم .

هنا وبالعودة الى المصدر الاصلي الذي تحدثت عنه الكاتبة (وهو كتاب سعيد حماده ص. ٦٦) نورد الملاحظات التالية : (١) الاراضي المروية فعلا هي ٣٥٠٫٠٠٠ دونم وليس ٣٥٫٠٠٠ كما تقول الكاتبة (سعيد حماده ص. ٦٦ . عنان العامري ص. ٢٩) . (٢) بشأن الاراضي الممكن ارواؤها تجزم الكاتبة بـ « **لا تشكل الانهار والينابيع مصدرا مائيا هاما** » (ص. ٢٩) ولكن المصدر الاصلي يقول « **ليس في فلسطين تقديرات رسمية لمجموع كميات المياه التي يمكن الحصول عليها ولا للمساحات التي يمكن ريها** » (ص. ٦٦) وكذلك فلقد قدمت تقديرات متعددة بشأن مصادر المياه والاراضي الممكن ارواؤها ولكن تلك التقديرات الاولية ، المتعددة والمتضاربة دفعت

اللجنة الملكية لفلسطين لان تعلق عليها « **لسنا الان في حالة نتمكن معها من أن نصرح عن هذه التقارير المقدمة الينا كما اننا نعتبر انه ليس من الضروري ان نحاول بان نفعل ذلك ، ولا بد من عمل طويل قبل الوصول الى تقدير يعتمد عليه للكمية التقريبية من المياه التي يمكن الحصول عليها وعمل اطول لمعرفة كمية المياه التي يمكن استخدامها للري على اسس اقتصادية** » . سعيد حماده ص. ٦٧ .

وكان كلام سعيد حماده واللجنة الملكية البريطانية معبرا عن الواقع اكثر من كلام عنان العامري فعنان العامري ذكرت الاتي « ولقد قدر الخبراء اليهود المساحات التي يمكن ارواؤها من الابار والينابيع عام (٣٥) بـ ٠٠٠ر٥٠٠ر١ دونم » . (ص. ٢٩) . **ولقد اسقطت الكاتبة** جملة « على ، أقل تعديل » (**سعيد حماده ص.** ٦٦) أي أن المساحة الممكن ريها قابلة للزيادة وليس للنقصان . ولكن ذلك الرقم هو احد التقديرات الثلاثة التي قدمت بل واقلها . والارقام الاخرى التي ذكرت هي ٦٩٥ر١٤٢ر٢ دونما (سعيد حماده المصدر السابق) والرأي الثالث يقول بـ ٠٠٠ر٥٠٠ر٣ دونم و« بعد ان يفرز من المياه للحاجات المدنية والصناعية جزء كاف للمليونين ونصف المليون من السكان » (سعيد حماده ص. ٦٦) ولعل تضارب الارقام (٠٠٠ر٥٠٠ر١ و ٦٩٥ر١٤٢ر٢ و ٠٠٠ر٥٠٠ر٣) هو السبب وراء تحفظ سعيد حماده وقول اللجنة الملكية البريطانية بـ « لا بد من عمل طويل قبل الوصول الى تقدير يعتمد عليه » (سعيد حماده ص. ٦٧) . ولعل السؤال الذي يطرح الان لماذا اخذت عنان الرقم الاقل ، وهو تقدير صهيوني ، وتجاهلت الرقم الاخير وكما يبدو انه رقم غير صهيوني ، وهل سها عن بال الكاتبة الاعتبارات السياسية التي قد تكون وراء رأي الخبراء اليهود ؟

(٣) « بالنسبة للينابيع والانهار فيقتصر وجودها في منطقة مرج بن عامر ومنطقة بئر السبع — العوجاء ومعظم الابار التي وجدت في المنطقة الثانية مالحة لا يمكن الاستفادة منها » هذا هو رأي عنان العامري وتحمله لسعيد حماده ، ولكن ماذا يقول المصدر الذي ادعت الكاتبة انها اخذت معلوماتها عنه ؟ يقول سعيد حماده : « **يظهر من حفريات الابار في الاونة الاخيرة ان السهل الساحلي غني بالمياه الباطنية التي يمكن الوصول اليها في اعماق قريبة عادة من ٢٠ الى ٣٠ مترا** » (ص. ١٤) . و« قد جرت عدة استكشافات في سهل مرج بن عامر ووادي جزرائيل فظهر منها ان المياه الباطنية قريبة المنال في اماكن مختلفة [ص. ٦٥] ... وقد نما استثمار المياه الباطنية في السنوات الاخيرة بسرعة عظيمة جدا ولا سيما في السواحل حيث الارباح من زراعة البرتقال قد نشطت تعميم حفر الابار ونقرها بالالات . ويقدر عدد الابار التي استخدمت للري في سنة ١٩٣٦ بنحو ٢٥٠٠ — ٣٠٠٠ ولم يظهر الى الان نقص في مورد المياه الباطنية ولا انخفاض في مستواها...»

(٤) حول الابار التي حفرت في منطقة بئر السبع تقول عنان العامري جازمة « ومعظم الابار التي وجدت في المنطقة الثانية (بئر السبع) مالحة لا يمكن الاستفادة منها » ص. ٢٩ . ولكن ماذا يقول سعيد حماده : يقول في ص. ٦٥ وليس ٦٦ كما تشير الكاتبة « واما في بئر السبع — عسلوج — عوجة الحفير فقد جرت استكشافات قليلة الى الان وفي اثنتين من الآبار اللتين حفرتهما الحكومة كانت المياه مالحة » ص. ٦٥ . فهل يجوز تحميل كلام سعيد حماده عن « استكشافات قليلة » ، و« واثنتين من الابار » كل ما حملته اياه من كلام وهي تتحدث عن معظم الآبار ، وكأن الآبار التي حفرت هي بالمئات .

أقسام فلسطين الطبيعية : تحت هذا العنوان تتحدث الكاتبة عن نسبة الاراضي المزروعة من مجموع الاراضي القابلة للزراعة في السنوات ، الثلاثينات والاربعينات و« عام ٤٤ » وعام ٤٧ ، والمصدر الذي تقدمه الكاتبة « هو سعيد حماده — النظام الاقتصادي في فلسطين ، جامعة بيروت الاميركية ، ١٩٣٩ ، ص. ٦٦ » والملفت للنظر أمران (١) لا يوجد في الصفحة المذكورة اي أثر على الاطلاق للمعلومات التي تقدمها الكاتبة (٢) والاهم من هذا ، ان الكاتبة وهي تجعل كتاب سعيد حماده مصدرا لكلامها عن الفترة ١٩٤٤ نسيت ان المرجع المذكور قد صدر في العام ١٩٣٩ .

أهم المحاصيل الزراعية : تعدد الكاتبة تحت هذا العنوان المناطق الزراعية واهم المحاصيل ، ولم تشر الكاتبة الى مصدر معلوماتها ، ولكن الذي

اتضح ان كل ما ورد تحت هذا العنوان قد نسخ حرفيا مع تغيير مواقع بعض الكلمات فقط واستبدال كلمة « خضروات » بـ « خضار » ، وذلك عن الصفحة ١٤٢ — ١٤٣ من كتاب النظام الاقتصادي في فلسطين . حيث اعد هذا الجزء منه « مونتاغيو برون » والذي اشار الى انه جمع معلوماته بدوره من Village Note Books وتعطي الكاتبة نسبة خاطئة للاراضي المزروعة عنبا ، بل ومضاعفة عشر مرات فالاراضي المزروعة عنبا عام ١٩١٢ كانت ٣٧٣٦٠ دونما ملكية اليهود ١٢٠٠ دونم . والنسبة التي تعطيها الكاتبة ٣٣٪ بينما النسبة الصحيحة هي ٣ر٢٪ والمزايدة التي خضعت لها نسبة اراضي اليهود المزروعة عنبا خضعت لمناقصة عندما تحدثت الكاتبة عن زراعة الدخان وعن « ٥٦ دونما انتجت ١٧٥ كغم » (ص ٣١) . فهل من المنطقي ان ينتج دونم الدخان حوالي ثلاثة كيلو غرامات فقط ؟ وهل كان صعبا على الانسة عنان ان تعود الى مرجعها المفضل (النظام الاقتصادي في فلسطين) والذي اشار الى انتاج التبغ والمساحة التي زرعت به ، (ص ٢٠٦) . حيث كان « معدل انتاج الدونم الواحد من الدخان يتراوح بين ٤٠ و ١٥٠ كلغم » .

١٩٣٥ — ١٩٤٤ — بالرغم ان الكاتبة حددت الفترة حتى سنة ٤٤ فانها تحدثت ايضا عن سنة ٤٥ وهي تتحدث عن ان الانتاج قد انخفض في سنتي ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ وبحيث بلغ ١٩٧ر١٩٠ ، ١٦١ر٣٣٦ طنا في السنوات ٣٢ و ٣٣ ، بينما كان عام ٣١ ٢٤٥ر٠٧٢ طنا . وكذلك انخفاضه في ١٩٣٨ ، ولكن بمراجعة حجم الانتاج كما ورد في الجدول الذي ارفقته ، فلقد اتضح ان الانتاج كان عام ١٩٣٨ ٣٧٠ر٦٥٦ طنا بينما يقول الجدول ان حجم الانتاج في العام السابق (عام ٣٧) كان ٦٣٠ر٠٠٦ اطنان . فكيف انخفض الانتاج ؟ وبالاضافة لهذا تقول الكاتبة « الا ان الانتاج ازداد من ٥٢٥١٤٦ طنا عام ١٩٤٥ الى ٦٤٧٣٢١ طنا عام ١٩٤٤ ، ويعود ذلك الى تطور اساليب الزراعة خلال عشر سنوات » (ص ٣٢) ولكن سنة ١٩٤٥ توجد في الجدول . وكيف يزداد الانتاج من عام ٤٥ الى عام ٤٤ أليس العكس هو الصحيح . ولو افترضنا على ضوء حديث الكاتبة عن تطور اساليب الزراعة خلال عشر سنوات ، بأن المقصود بـ عام ١٩٤٥ هو عام ١٩٣٥ ، فان التقدير ايضا يكون غير صحيح ، لان الرقم الذي ذكرته وهو (٥٢٥١٤٦) طنا غير موجود في مقابل اي سنة من السنوات المشمولة بجدول عنان العامري اي الاعوام من (١٩٢٢ الى ١٩٤٤) . وبالاضافة لهذا فان الرقم الذي قالت انه حجم الانتاج في العام ١٩٤٤ بمعرض المقارنة ، وهو ٦٤٧٣٢١ طنا (ص ٣٢) يتناقض مع الرقم المذكور في جدولها المرفق حيث ذكر في الجدول ان حجم الانتاج عام ١٩٤٤ هو ٦٢٧١٦٦ طنا (ص ٣٢) . ولكم هو مضحك ان نعلم ان الرقمين المذكورين والمتناقضين وردا في نفس الصفحة والمسافة بينهما سبعة اسطر فقط .

وتقول الكاتبة ان « مجموع المساحة المزروعة في فلسطين ٩ر٢٠٥ر٥٣٨ » عام ١٩٤٥ (ص ٣٣) منها ٧ر٧١٠ر٥٠١ دونما اراضي مزروعة حبوبا ١ر٢١٠ر١٥٨ دونما خضار وفاكهة و ٥٨٤ر٩٤١ حمضيات (ص ٣٣) والطريف ان مساحة هذه المناطق تبلغ ٩ر٥٠٥ر١٥٠ دونما اي ما يزيد بـ ٢٩٩ر٦١٢ دونما عن الرقم الاجمالي الذي ذكرته الكاتبة . والاطرف من ذلك ان مساحة الحمضيات في العام ١٩٤٥ على الصفحة ٣٣ والتي كانت تبلغ ٥٨٤ر٩٤١ دونما اصبحت في العام نفسه ولكن على الصفحة ٣٥ ، ٢٨٥ر٣٢٩ دونما أي أقل بـ ٢٩٩ر٦١٢ دونما اي ان المساحة قد انخفضت بما يزيد على النصف من الصفحة ٣٣ الى الصفحة ٣٥ . ولكن لا بأس فالكاتبة قد تحدثت عن « استهلاك الاراضي » في (ص ١٣) وها هي تستهلك ٢٩٩ر٦١٢ دونما خلال صفحتين فقط .

وعندما تتحدث الكاتبة عن النسبة المئوية لمساحة الاراضي المزروعة ، تذكر النسب التالية : حمضيات وموز ٦ر٤٪ . فاكهة وخضار ٩ر١٣٪ . حبوب ٨ر٨٣٪ . ولكن حاصل جمع هذه النسب ليس ١٠٠٪ كما تقول في صفحة ٣٥ . بل ٣ر١٠٣٪ ، اي ان الاراضي المزروعة هي اكثر بـ ٣ر٣٪ من الاراضي الموجودة والـ ٣ر٣٪ هذه تساوي على الارض ٣٠٣ر٧٨٢ دونما (فقط) باعتبار ان المساحة التي حددتها الكاتبة للاراضي الزراعية هي ٩ر٢٠٥ر٥٣٨ دونما .

الزراعة العربية في فلسطين المحتلة : تقول الكاتبة ان الدولة تملك « ٩ر١٦ مليون دونم »

(ص ٣٥) علما بأن مساحة فلسطين المحتلــــة ٢٠٫٣ مليون دونم . « ولا تزيد الملكيات الخـــاصة لكل من العرب واليهود عن ١٠٥ ملايين دونـــم » (ص ٣٥) اي بما يزيد على اربعة اضعــــاف مساحة كل فلسطين المحتل منها وغير المحتــل . واذا كانت مساحة فلسطين المحتلة ٢٠٫٣ مليـــون والمملوك منها للدولة ١٦٫٩ مليون دونم كما تقول الكاتبة فان الشيء الطبيعـــي ان يكون المتبقـــي للمواطنين العرب واليهود هو الفارق بينهمـــا اي ٣٫٤ مليون دونم وبالرقم الذي اعطته الكاتبة تكون قد ضاعفت المساحة اكثر من ٣٠ مرة . وكنا نتمنى ان يكون الرقم الخطأ نتيجة لاختلاف موقع الفاصلة او اختلافها ولكن لا اثر لاي شبه بين الرقم ٣٫٤ ورقم ١٠٥ . وكذلك فان الكاتبة قد الحقت تعبيـــر « ملايين » بـ ١٠٥ مما يؤكد ان الجملة سليمة لغويا وان حرفا ما لم يسقط . لا بأس فما دامت عنـــان قد تحدثت عن (استهلاك) اراض اي الموت فان الموت يعني ايضا الحياة ، ومن يموت يولد ايضا، ولكن الفارق اكبر من ان يحتمل انه ١٠١٫٦ مليون دونم .

وفي الجدول غير المعنون الموجود على (ص ٣٦) عن الفرق بين سعر محصـــول الدونم العـــربي والدونم اليهودي من بين خمسة ارقام ذكرتها هنالك اخطاء بالطرح في اربعة منهـــا ، حيث دورت ٣ ارقام ، وهو امر لا يجوز عند عرض الاحصاءات ، ولكن الرقم الفاضح الذي يترك اثرا كثيرا عنـــد حساب القيمة حيث ذكرت الكاتبة ان الفرق بـــين سعر المحصولين اليهودي والعربي في الدونـــم الواحد هو ٢٩٥ ليرة بينما الطرح الصحيح للارقام التي ذكرتهـــا يعطي فرقا بقيمة ٣٩٤٫٩٧ لـــيرة اسرائيلية . (٤٩٧٫٧ سعـــر محصول الدونـــم اليهودي ١٠٢٫٧٣ للدونم العربي) .

وتحت عنوان المحاصيل الزراعية في صفحة ٣٧ تقول الكاتبة « ان سعر الانتاج اليهودي للطن زاد عن سعر الانتاج العربي بـ ٣٧ ليرة اسرائيلية عام ٥٠/٤٩ و ١٥٧٢ لـــيرة اسرائيلية عـــام ٦٨/٦٧ (ص ٣٧) وبمراجعة ارقام الجدول الموجود على صفحة ٣٨ ، اتضح ان رقم ٥٠/٤٩ صحيح ويبلغ ٣٧ فعلا . ولكن رقم عام ٦٨/٦٧ حوله الملاحظات التالية : (١) سعر الطـــن الواحد العـــربي (٣٣٥٤) وسعر الطن الواحد اليهودي (٢٨٨١) اي ان الطن العربي يزيـــد على الطن اليهودي بـــ (٤٧٣) ليرة . (٢) الرقم الذي ذكرته على صفحة ٣٧ وهو ١٥٧٢ يقابله في الجدول رقـــم ١٥٢٧ . (٣) الارقام الثلاثة لا تمت بصلة لبعضها بعض على الاطلاق .

وفي الصفحة ٤٣ تقول الكاتبة بشأن الضفـــة الغربية بلغ مجموع المساحة المزروعة عام ١٩٥٢ (١٫٧٤٣٫٦٦٨ دونما) انخفضت الى ١٫٥٤٨٫٢٥٤ دونما عام ١٩٥٧ . ولكن الكاتبة تقول ان المساحة عام ٥٢ هي (١٫٧٦٠٫٧٠٣) (ص ٢٦) . وان المساحة عام ٥٧ هي (١٫٥٤٧٫٦٣٥) (ص ٢٧)، فأي ارقام علينا ان نعتمد ، ولكن لا بأس هـــذه المرة فالفرق هو في حدود ١٧٫٠٣٥ دونما فقط .

وتحت عنوان الفاكهة تتحدث الكاتبة عن ان « **مجمـــوع المساحة المزروعة عام ٥٢ كـــان (٦٧٫٣٣٩) دونما اي (٣٫٧٪) من مجمـــوع المساحة المزروعة وفي عام ١٩٥٧ انخفضت المساحة الى (١٠٦٫٠٢٧) دونما ٦٫٨٪ من مجموع المساحة المزروعة** » (ص ٤٣) المطلوب هنا فقط حـــذف « انخفضـــت » ووضع « زادت » مكانهـــا لان ١٠٦٫٠٢٧ اكثر من ٦٧٫٣٣٩ .

وفي صفحة ٤٤ تعطينا الانسة العامري مساحة جديدة للضفة الغربية فهي عندما تقول تحت عنوان التبغ ان المساحة المزروعة عام ٥٢ تبلغ ٤١٩٦ دونما أي ٢ ٪ من مجموع المساحة المزروعة ولو افترضنا ان النسبة صحيحة فمساحة الاراضـــي المزروعـــة في الضفة الغربيـــة يجب ان تبلغ اذن (٢٠٩٫٨٠٠) دونم فقط بينما تذكر الانسة العامري ان المساحة هي ١٫٧٤٣٫٦٦٨ دونما وبهذه الطريقة تكون الانسة قد ضيعت ١٫٥٣٣٫٨٦٨ دونمـــا . ولكن اذا كانت ٤١٩٦ دونما تساوي عند عنـــان ٢٪ فبعد ثلاثة اسطر فان ٤٧٥٢ لا تبلغ ســـوى ٠٫٣٪ فقط .

وفي الجدول المنشور على صفحة ٤٤ فان مجموع نسبة الاراضي المزروعة من (الاراضي المزروعة) على ضوء بيانات عنان العامري تبلغ ١٠١٫١٪ عام ٥٢ ، ونسبة الاراضي المزروعة من الاراضـــي المزروعة عام ٥٧ هي ٩٩٫٨٥٪ وليس ١٠٠٪ ، ويتكرر الخطأ نفسه على الصفحة ٤٦ حيـــث ان مجموع احد الجداول هو ٩٥ ٪ وليس ١٠٠ ٪ ،

ومجموع الجدول الاخر ٤ر١٠٠٪ وليس ١٠٠٪ .

في الصفحة ٤٦ تقول الكاتبة ان مجموع الانتاج بلغ ٥٠ر٢٧٢ طنا وفي الجدول المقابل على (ص ٤٧) الرقم الموجود ٤٧٠ر٦١ طنا (الفرق ١١٤٧٠ طنا فقط) وبلغ الدخل من الزراعة ٩٤٧٣٠٠ مليون جنيه وفي الجدول المقابل الرقم هو ٣٠٠ر٩٧٤ جنيه (الفرق ٠٠٠ر٢٧ جنيه فقط) . ونسبة الدخل من الخضار كانت في رأس الصفحة رقم ٤٧ ، تبلغ ٧ر٤٨٪ ولكنها وفي الجدول اي في منتصف الصفحة تهبط الى ٣٦ر٤٧٪ ، اي بفارق ٣٤ر١٪ من اجمالي الدخل الذي بلغ ٣٠٠ر٩٧٤ جنيه اي ما يساوي ١٣٠٥٦ جنيها فقط .

وعندما تجمع الانسة عنان نسبة الدخول من المحاصيل الزراعية المختلفة يتضح ان اجمالي هذه النسب يساوي ٢ر١٠٥٪ من اجمالي الدخل من المحاصيل الزراعية (ص ٤٨) .

وفي الصفحة ٤٩ تتحدث عن زراعة الحمضيات فتقول ان اليهود كانوا يملكون عام ١٩١٥ ٨٠٠٠ دونم اي ٧ر١٦٪ ويملك العرب ٢٢٠٠٠ دونم اي ٣ر٧٣٪ والصحيح ان ٨٠٠٠ دونم تساوي بالنسبة الى ٠٠٠ر٣٠ ، ٦٦ر٢٦ ٪ وليس ٧ر١٦٪ كما تقول الانسة عنان .

وعلى الصفحة ٥١ تقول الكاتبة ان المساحة المزروعة حمضيات عام ١٩٢٢ كانت ٢٩٠٠٠ دونم وارتفعت عام ١٩٢٤ لتبلغ ٠٠٠ر٣٠ دونم . ولكن الكاتبة كانت قد ذكرت في صفحة ٤٩ ان المساحة المزروعة عام ١٩١٥ كانت ٣٠٠٠٠ دونم . اي انه خلال عشرة اعوام لم تزرع اي شجرة حمضيات .

وعند حديث الكاتبة عن تطور المساحة المزروعة حمضيات تذكر ارقاما تقول ان مصدرها Statistical Abstract of Israel 1972, p. 664. ومن مراجعة المصدر المذكور اتضح ان لا وجود لا لرقم المساحة ولا للنسبة التي ذكرتها الكاتبة .

وعندما تعرض الكاتبة على الصفحة ٥٦ اي بعد صفحة واحدة تقول بأن المساحة المزروعة حمضيات في الضفة الغربية كانت كالتالي : ٦٧/٦٨ : ٠٠٠ر٢٠ دونم ، ٦٨/٦٩ : ٠٠٠ر٢٠ دونم ، ٦٩/٧٠ : ٠٠٠ر٢٢ دونم ، ٧٠/٧١ : ٠٠٠ر٢٢ دونم . وتضيف « وبذلك يكون مجموع ما زرع في الضفة الغربية بين ٦٧/٦٨ و ٧٠/٧١ ٥ الاف دونم » . ولو دققت الرقم الذي اعطته على صفحة ٥٥ بأرقام صفحة ٥٦ لاكتشفت انها هبطت من ١٧٠ الف دونم الى ٢٠ الف دونم اي ١٥٠٠٠٠ دونم وبهذا تكون قد خفضت النسبة ثماني مرات ونصف فقط . وكذلك فان الفرق بين المساحة المزروعة عام ٦٧/٦٨ و ٧٠/٧١ هو الفا دونم وليس ٥ الاف دونم (٢٢٠٠٠ — ٢٠٠٠٠) . وبهذا تكون قد قفزت بالنسبة مرتين ونصف فقط .

غـزة : تحت هذا العنوان تقول الكاتبة عن زراعة الحمضيات في القطاع : الحمضيات حتى عام ٥٣ كانت ٦٢٠٠ دونم بلغ انتاجها ٢٠٥٠٠ جنيه وكان معدل انتاج الدونم الواحد ٢٠٠ كلغم وما علينا الا بالتحفظ على هذه الارقام المعطاة ، لان هذا يعني ان ثمن الكيلو غرام الواحد عام ٥٣ هو ٥ر١٦ قرشا مصريا فهل هذا صحيح ؟ واقع الامور انه حتى في العام ١٩٧٤ فان سعر الكيلو غرام ، هو حوالي نصف هذا المبلغ . كما انه يعني ان انتاج الشجرة الواحدة هو ٤ كلغم باعتبار ان الدونم يزرع به ٥٠ شجرة (راجع سعيد حماده ص ١٧٣) وللعلم فقط فان متوسط انتاج الدونم من الحمضيات يزيد على الطن ويتضح ذلك من خلال مراقبة الارقام التي اعطتها الكاتبة لسنوات مختلفة ومن مناطق مختلفة من فلسطين ولناخذ مثلا الضفة الغربية ، حيث تقول الكاتبة على صفحة ٥٥ ان ٥٩١ دونما انتجت ٧٠٥ اطنان عام ١٩٥٢ ، و (٢٥١٠٠) دونم انتجت (٥٧٢٠٠) طن عام ١٩٦٦ . فهل يعقل ان يكون انتاج الدونم الواحد ٢٠٠ كلغم فقط . لا بأس فدونم ينتج ٣ كلغ دخان يمكن ان ينتج ٢٠٠ كلغم برتقال ! كما يبدو انها قد هبطت بالرقم عشر مرات هذه المرة .

وفي الجدول المنشور على الصفحة ٧٦ هنالك رقم لا ينسجم مع الرقم الذي اورده المرجع الاصلي ، والرقم الصحيح هو ٦٤٢٣٨٥ ، وليس ٣٨٥ر٦٤٨ كما تقول الكاتبة . وفي الصفحة نفسها وتحت عنوان التوزيع الديني لسكان فلسطين الريفيين عام ١٩٣١ ورد تعبير « الديانات الاخرى » وعددهم ٨٦٠٢ اي ٥ر١٪ من اجمالي السكان . والمذاهب الاخرى التي تحدثت عنها الانسة عنان هم « الدروز والبهائيون والسامريون »

(حماده ص ١٢) وعندما تشمل الديانات الاخرى الدروز فان هذا يعني ضمنا الوقوع في شرك الاعتبارات السياسية التي كانت وراء فصل الدروز عن الجسم الام ولتعميق الانقسام الطائفي الذي ما زال مستمرا حتى الان .

وعن توزع اليهود الريفيين تقول الكاتبة « ان اكبر تجمع لهم في منطقة الخليل — اذ بلغت نسبتهم ٧ر١٧٪ » (ص ٧٦) ولكن بعد سطرين فقط تقول « اكبر تجمع لليهود الريفيين في محافظة القدس اذ بلغت نسبتهم ٩ر٤٢٪ » (ص ٧٦) .

وتحت عنوان العاملون بالزراعة ١٩٣١ تقول ان ٦ر٨٩٪ مسلمون ٨ر٩٪ يهود ٣ر٢٪ مسيحيون و ٢ر٠٪ ديانات اخرى فيكون المجموع اذن ٩ر١٠٢٪ حيث يكون عدد العاملين حسب نسب عنان اكثر من العمال الموجودين بـ ٩ر٢٪ .

التوزيع الجغرافي للعرب : تتناول هذا الموضوع على الصفحات ٨٤ — ٨٥ وعلى كل صفحة تقدم ارقاما مختلفة عن الاولى ولنفس العام ، ١٩٦٩ . والفارق بين مجموع الارقام في الصفحتين المذكورتين هو ٥٤ الف نسمة .

على الصفحة ٨٦ يوجد جدول يبين عدد ونسبة توزع السكان العرب حسب المنطقة السكنية . وهنالك ملاحظتان ، الاولى بشأن اجمالي عدد السكان والثانية بشأن النسب : فاجمالي عدد السكان هو (٣٥٣٠٠٠) كما يظهر في نهاية الجدول ولكن لو جمعنا عدد سكان المناطق التي عددتها الكاتبة فان الرقم الذي نحصل عليه هو (٧٠٤ر٠٠٠) اي ضعفي الرقم الذي اثبتته الكاتبة. ومجموع النسب المئوية التي اثبتتها الكاتبة يبلغ ٢٠٠٪ وليس ١٠٠٪ اي انه ٢٠٠٪ من السكان موزع على المناطق . وبهذا تكون عدد السكان في المناطق حسب توزيع عنان هو ضعف عدد السكان الفعليين .

وكذلك فلقد كانت نسبة العاملين العرب في الزراعة من اجمالي العاملين على (ص ٨٦) تبلغ ٣٢٪ ولكنها على صفحة ٨٧ ، ٥ر٣١٪ ونسبة عدد السكان الريفيين في الضفة كان عام ٦١ على الصفحة ٨٨ ، ٣ر٦٣٪ ولكنه ارتفع على الصفحة ٨٩ ليبلغ ٦ر٦٣٪ ... ويتكرر الخطأ نفسه ولكن على الصفحة نفسها وذلك في (ص ٩٠) .

وفي الجدول الموجود في اسفل الصفحة ٦٢ الذي يبين مجموع العاملين لكل القطاعات في الضفة الغربية . هنالك استخراج خاطىء للمجاميع . فالمجموع الصحيح للارقام التي اعطتها الكاتبة من العاملين من المدن والقرى للسنوات ٦٩/٧٠/٧١ هو ١٠٢٠٠٠ بدلا من ١٠٩٠٠٠ للسنة ١٩٦٩ و ١٠٦٦٠٠ بدلا من ١١٤٦٠٠ للسنة ١٩٧٠ و ١٠٧٧٠٠ بدلا من ١١٦٨٠٠ للسنة ١٩٧١ .

وارتكب الخطأ نفسه في مجموع العاملين في القطاع الزراعي في غزة وشمالي سيناء حيث لا ينطبق رقم المجموع المذكور من رقم المفردات الخاصة به (ص ٩٥) .

وحول العمال الزراعيين في لبنان تذكر ان عدد الفلسطينيين في لبنان العاملين في الزراعة يبلغون (٩٠٠) من مجموع العاملين منهم والبالغين (٣١٤٠٠) . هذا الرقم الذي نذكره اي (٩٠٠) يتناقض مع الواقع بشكل صارخ . ولقد اتصلنا باتحاد عمال فلسطين وافادنا ان حوالي ثلثي الطاقة العاملة الفلسطينية تشتغل بالزراعة اي ان الرقم الذي ذكرته عنان يساوي حوالي ٥٪ من الرقم الحقيقي . ولو القت نظرة على توزيع مخيمات الفلسطينيين في لبنان لاكتشفت ان معظم هذه المخيمات موجودة في مناطق زراعية : في منطقة صور ، (الرشيدية ، البرج الشمالي ، البص ، رأس العين ، القاسمية ، عدلون) وفي منطقة صيدا (عين الحلوة ، الميه وميه بالاضافة الى وجود قسم منهم في منطقة الجية) . وفي طرابلس (نهر البارد ، البداوي) وفي بعلبك (مخيم بعلبك وقسم لا بأس به في ثعلبايا) . علما بأن الانسة عنان العامري لم تشر الى المصدر الذي اخذت منه هذا الرقم .

القسم الثاني : الصناعة والمهن

المعلومات التي تقدمها الكاتبة تحت هذا العنوان وردت بالاساس في كتاب النظام الاقتصادي في فلسطين للدكتور سعيد حماده . وبرغم ان الكاتبة اشارت الى المصدر ولكنها تصرفت بالمعلومات بطريقة شوهت ما ورد في المرجع الاساسي وبدلت في مواقع بعض الكلمات المهمة ذات الدلالة . فالمرجع الاصلي يتحدث عن وجود مطحنة تدار باليد في كل (قرية) اصبحت على يد

عنان في (كل بيت) . وعن المطاحن الالية تحصرها عنان بـ ١٥ مطحنة آلية بينما المرجع يقول عدة مطاحن في اماكن اخرى . وبالنسبة لمعامل استخراج زيت السمسم تتحدث الكاتبة عن ان معدل انتاج المعامل الكبيرة ٢٫٠٠٠ – ٣٫٠٠٠ كيلو في اليوم (ص ١٠٢) بينما المرجع الاساسي لا يتحدث عن معدل عام للانتاج بل « عن معملين في يافا احدهما ينتج ٢٠٠٠ كيلو والاخر ٣٠٠٠ كيلو في اليوم » (سعيد حماده ص ٢٧٥) . وبالاضافة الى هذا فلقد تحدث المرجع عن زيوت اخرى ولكن الكاتبة اسقطتها . واستبدلت الكاتبة تعبير (ناحية) اي (منطقة) يافا وحيفا بـ (مدينتا) حيفا ويافا وخفضت انتاج منطقة يافا ، كما ذكرها حماده ، من (٢٠٠٠ – ٣٠٠٠) لتصبح (٢٠٠ – ٣٠٠) ويحدد سعيد حماده المستورد من الزيت عام ١٩١١ و ١٩١٢ بـ ٦٤٧ و ١٫٠٠٠٫٠٠٠ طن على التوالي (ص ٢٧٦) ولكن الكاتبة تحذف هذا الرقم . وبرغم ان سعيد حماده قد ذكر بأن حجم الانتاج من الصابون عام ١٩١١ كان ٢٠٠ طن سنويا ولكنها حذفت العام واكتفت بذكر الحجم فقط .

وعن تاريخ صناعة الخمور ، يحدد سعيد حماده عام ١٨٨٥ كتاريخ لحصول مستعمرات يهودية على رؤوس اموال لبناء اضخم المراكز لصناعة الخمر . ولكن عنان العامري تقول « ادخلت صناعة الخمور الى البلاد عام ١٨٨٥ ». وبالنسبة لصناعة الحياكة والغزل قدم الكاتب الاصلي معلومات تفصيلية ورقمية اكثر بكثير مما اوردته الكاتبة سواء على صعيد فروع هذه الصناعة او اماكن تواجدها .

وفي الجدول المنشور على الصفحة ١٠٤ بشأن عدد المصانع ونسبها ، اتضح ان حاصل جمع النسب هو ٨٥٫٣٪ برغم ان مجموعها يجب ان يكون ١٠٠٪ ، ولم تحدد الكاتبة نسبة صناعة الورق والطباعة الى مجمل الصناعات . ولكن نسبة صناعة الورق والطباعة لم تسقط سهوا ، بل يتبقى لها ١٤٫٣٪ لان هذا هو الفارق بين ١٠٠٪ و ٨٥٫٣٪ والذي هو حاصل جمع النسب المدرجة في الجدول . ولكن هل كانت صناعة الورق عام ١٩١٨ تشكل ١٤٫٣٪ من مجمل الصناعة ؟ وهي التي شكلت عام ١٩٢٨ ٢٫٩٪ فقط . (راجع جدول عنان المنشور على صفحة ١٠٥) .

وعن تطور الصناعة بعد الحرب العالمية الاولى اي بين ١٩١٨ و ١٩٢٨ تقول الكاتبة : « لم تدخل الى البلاد صناعات جديدة في تلك الفترة باستثناء بعض الصناعة كالورق والقرطاسية والطباعة والكهرباء » (عنان ص ١٠٥) . فهل الورق والقرطاسية والطباعة والكهرباء هي صناعة جديدة . لو دمجنا القرطاسية بالورق ، لانهما شيء واحد وعدنا الى جدولها المنشور على الصفحة المقابلة اي (ص ١٠٤) لوجدنا ان الكاتبة قد ذكرت انه كان في العام ١٩١٨ ، ٢٧ محل ورق وطباعة.

وكان افضل لو لم تتصرف الكاتبة بكلام سعيد حماده ، وبدلا من ان تقسم الجدول الذي وضعه في كتابه الى جدولين ، لان جدول سعيد حماده اكثر وضوحا ويحدد صناعات ما قبل الحرب وبجانبها مباشرة صناعات ما بعد الحرب بحيث يكون عندها من السهل اجراء المقارنة . حيث شوهت الكاتبة بتصرفها هذه المعلومات من ناحية وعقدت من عملية الاستفادة منها .

وتعطي الكاتبة في (ص ١٠٦) نسبا خاطئة لعدد العاملين في المؤسسات الصناعية ، حيث ان مجموع تلك النسب تبلغ ١٣١٫٢٪ فكيف يكون عدد العمال العاملين على الورق اكبر من العمال الموجودين فعلا . ونفس الخطأ يتكرر على الصفحة ١٠٨ ، فهي تقول ان مجموع المحلات الصناعية يبلغ ١٢١١ ، والجمع الصحيح للمفردات التي اعطتها هو ١١٢١ والنسبة التي اعطتها ، وكانا يجب ان يكونا ١٠٠٪ أصبحا ١٠٤٫٦٧٪ و ٨٩٫٩٣٪ على التوالي .

العمال الصناعيون والحرفيون الفلسطينيون :

تقول الكاتبة ان عددهم عام ١٩٢١ كان ١٠٫٠٠٠ شخص وارتفع عام ١٩٢٥ الى حوالي ٥٠٠٠ شخص . وبالتأكيد فان رقم ١٠٫٠٠٠ هو رقم غير صحيح لان « الارتفاع » هو بالحقيقة انخفاض .. والاغرب من استبدال الانخفاض بالارتفاع هو وتوقف الكاتبة عند العام ١٩٢٧ بدون مبرر ، كون المصدر الرئيسي وهو كتاب سعيد حماده الذي نقلت الكاتبة منه ارقامها ونسبها فطى الفترة منذ ١٩٢٥ الى ١٩٣٥ . لانه لا يضير الكاتبة ولا يضير القارىء لو نقلت الينا الجدول الذي يغطي عشر سنوات

بدلا من خمس ، ولم يكن ليكلفها جهدا سوى نسخ خمسة اسطر اضافية ، والاهم من هذا هو عدد العمال عام ١٩٤١ ، فبرغم ان الكاتبة قد ذكرت، مصدر هذا الرقم ، ولكن ذكر المصدر ليس كافيا ، بل المهم ان تعطي ارقاما صحيحة ومنطقية ، ونحن نعرف ان الكاتبة لا تملك بين يديها وسائل تستطيع بواسطتها الحكم على صحة ذلك الرقم ولكن قليلا من المنطق والالتفات الى الارقام التي اعطاها سعيد حماده لعشر سنوات وليس لسنة واحدة كان يجب ان يدفعها لان تشك بصحة الرقم الخاص بعام ١٩٢١ . خصوصا وان مصدر سنة ١٩٢١ هو غير مصدر السنوات من ١٩٢٥ — ١٩٣٥ .

والفقرة التي تلي تتحدث عن عدد العاملين في الصناعة عام ١٩٢٨ ، تنسب الى سعيد حماده (ص ٣٩٤) ولكن بالعودة الى المرجع المذكور اتضح ان الكاتب يتحدث في تلك الصفحة من تاريخ تأسيس المعامل والصناعات التي كانت موجودة عام ١٩٢٧ ولم نعثر لا من قريب ولا من بعيد عن اي كلام له صلة في الموضوع الذي تحدثت به عنان .

وتعدد الكاتبة رقمين مختلفين بشأن عدد الاناث اليهوديات العاملات بالصناعة عام ١٩٤٢ ففي الصفحة ١٤٠ ، العدد هو ٩٥٧٣ وعلى الصفحة ١٤١ هو ٩٧٥٨ اي زيادة ١٨٥ عاملة وعلى مدى صفحة واحدة . وعن نسبة الاناث العاملات في الملكيات الخاصة والمؤسسات العائلية تقول ان النسبة هي ٩٫٣٪ ولكن الارقام التي تعطيها هي ٢٥٧٣ اجمالي العاملين . وعدد الاناث منهم ٢٧٣ . اي ان النسبة هي اكثر من ١٠٪ وما علينا سوى مقارنة الرقمين المذكورين (ص ١٤٢) لنكتشف النسبة .

والان وعلى ضوء ما تقدم فان السؤال الذي يطرح هل نستطيع ان نعتبر دراسة عنان العامري قد ادت ولو جزءا من الهدف الذي اعدت من اجله « كبحث احصائي » يجد به « الدارسون المعلومات الصحيحة واللازمة لاي بحث حول الاوضاع الزراعية والصناعية لشعب فلسطين في ثلاثة ارباع القرن » . المؤسف ان الدراسة لم تنجز هدفها هذا واي بحث يستند على المعلومات الواردة به لا بد وان يصل الى نتائج خاطئة لان اساس المعلومات خاطىء . وبالاضافة لهذا ، فهل الاخطاء التي سجلها هذا العرض هي كل الاخطاء التي وقعت بها الكاتبة ؟ الواقع ان ما ورد هو جزء من تلك الاخطاء ، ولكن كاف لاصدار حكم على تلك الدراسة .

ولو اوجزنا الاخطاء التي وقعت بها الكاتبة لكانت الاتية : ذكر المراجع والاسماء بطريقة خاطئة ، ذكر مراجع غير موجودة ، عدم ذكر المرجع برغم وجوده ، عدم الامانة في نقل المعلومات وتصرف الكاتبة من عندها مما يشوه من معنى المرجع الاصلي ، عدم وجود مراجع لحقائق وارقام هامة جدا ذكرتها الكاتبة ، ذكر « حقائق » غير منطقية وغير معقولة ، الاستسلام لاي «حقائق» وردت في مرجع ما وتسجيلها كحقائق مسلم بها برغم عدم منطقيتها وتناقضها مع الواقع ومع حقائق اخرى ، استعمال تعبيرات ومصطلحات لغوية لا تعبر عن المعنى الذي تقصده الكاتبة ، عدم وجود عناوين للكثير من الجداول ، ذكر عناوين لا تعبر عن مضمون الجداول ، تناقض البيانات التفصيلية مع اجمالي تلك التفصيلات ، تناقض الارقام وتضاربها على مدى الصفحة الواحدة ، معاداة الكاتبة للفواصل والنقط التي تحدد الارقام والنسب ، الوقوع في اخطاء حسابية بسيطة (جمع وطرح وقسمة) .

وبهذا تكون عنان العامري قد قدمت دراسة، حطمت بها كل قواعد الحساب واللغة وما يمت الى الاحصائيات بصلة ، ولم تسيء الى نفسها فقط ، بل اساءت للحقائق وللمنطق ولمسألة التعريف بقضايا شعبنا . وافضل ما يعمل هو سحب الدراسة من الاسواق والاعلان انها لا تصلح كمرجع لمن تورط واقتناها في مكتبته .

حسين ابو النمل

Walid Khalidi and Jill Khadduri, ed. **Palestine and the Arab-Israeli Conflict : An Annotated Bibliography.**
(Institute for Palestine Studies, Beirut, 1974).

الكاتب عبارة عن ببليوغرافية شارحة ومختارة تغطي مجالا هاما من المجالات الحيوية المعاصرة وهو القضية الفلسطينية . ويأتي هذا العمل الببليوغرافي الضخم في الوقت الذي تشهد فيه القضية الفلسطينية نشاطا لم يسبق لها أن شهدته في فترات سابقة سواء كان ذلك على الصعيد العربي ام على الصعيد الدولي . والحقيقة انني سوف اتناول هذا الكتاب من زاوية معينة تتعلق بمجال تخصصي كباحث ببليوغرافي ، ولن اركز على الناحية الاخرى التي تتعلق بالمجال الذي تغطيه الببليوغرافية وهو القضية الفلسطينية .

وتعتبر الببليوغرافية لبنة جديدة تضاف الى اللبنات الاخرى التي تعمل جاهدة على تغطية القضية الفلسطينية من الناحية الببليوغرافية والتوثيقية . ذلك ان الاعمال الببليوغرافية التي قامت بتغطية هذا المجال ما زالت قليلة وتكاد تعد على الاصابع ، ومهما يكن من أمر فانها تشكل نشاطا ببليوغرافيا متكاملا بحيث يمكن القول بأننا نجد اليوم من يقوم بدراسة النشاط الببليوغرافي حول فلسطين ، وداخل هذا النشاط الببليوغرافي نجد ان هناك اعمالا قد قامت بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين ، وقد انقسمت هذه الاعمال الى قسمين رئيسيين : **القسم الاول** : ويتألف من الاعمال الببليوغرافية التي تهتم بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كموضوع عام . **والقسم الثاني** : ويتألف من الاعمال الببليوغرافية التي تهتم بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كقضية سياسية اي حول القضية الفلسطينية . واذا ما حاولنا تحديد موقع لهذه الببليوغرافية بين الاعمال السابقة فاننا سوف نجد انها تأتي ضمن اعمال القسم الثاني وهي الاعمال الببليوغرافية التي تهتم بتغطية الانتاج الفكري الصادر حول القضية الفلسطينية او حول فلسطين كقضية سياسية . فهي كما جاء في مقدمتها : « تهدف الى تقديم قدر معقول ومتوازن من المصادر الاساسية والثانوية حول فلسطين كقضية سياسية في الفترة ما بين ١٨٨٠ — ١٩٧١ ».

اولا : الحاجة والهدف : ظلت القضية الفلسطينية تفتقر الى صدور عمل ببليوغرافي يغطي الانتاج الفكري الصادر حولها بلغات مختلفة وفي اماكن متعددة حتى صدور هذا العمل الببليوغرافي الضخم الذي يعد استجابة طبيعية لحاجة القضية الفلسطينية الى أعمال من هذا النوع ، فهي تؤدي خدمة كبيرة للباحثين والمتخصصين في الشؤون السياسية والعسكرية والتاريخية والفكرية والاعلامية . وهي على الرغم من انها لم يسبقها مسح شامل للمجال الذي تغطيه الا انها تهدف — وبقدر الامكان — الى تقديم قدر معقول ومتوازن من المصادر الاساسية والثانوية حول القضية الفلسطينية ، يمكن الاعتماد عليها في بناء عمل ببليوغرافي شامل في المستقبل . وهذا يعني ان الببليوغرافية مختارة او انتقائية وليست شاملة بمعنى انها تختار الافضل والانسب من بين الرصيد الفكري الهائل الصادر حول القضية الفلسطينية بمختلف اللغات .

ويمكن والحالة هذه ان تقدم الببليوغرافية خدمة فعالة للمكتبات ومراكز البحث والتوثيق التي تهدف الى تكوين مكتبة مستقلة للقضية الفلسطينية كما هو الحال بالنسبة لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت الذي يبذل جهودا كثيرة من أجل تكوين مكتبة متخصصة للقضية وتوثيقها . وقد اتخذ من أجل تحقيق هذه الفكرة عدة خطوات أساسية منها : ١ — انشاء مكتبة المركز (بالعربية والعبرية والانجليزية والفرنسية والالمانية وبلغات اخرى في حالات قليلة) التي تضم حوالي ١١ الف مجلد (بين كتاب وكتيب) في القضية الفلسطينية ومتفرعاتها . ٢ — انشاء ارشيف المركز الذي يضم معلومات مسجلة مقتطفة من أكثر من مئة مصدر في حوالي الف موضوع متعلق بالقضية الفلسطينية ومتفرعة عنها في حوالي الفي ملف . ٣ — انشاء مكتبة خاصة بالوثائق تضم العشرات من المخطوطات والاشرطة بوثائق رسمية وعربية واجنبية ومذكرات لبعض الشخصيات التي لعبت ادوارا مهمة في القضية الفلسطينية .

٤ ـ انشاء مكتبة وثائقية خاصة للمقاومة تضم الاغلبية الساحقة من اوراق ووثائق وادبيات ونتاج المقاومة على مختلف فصائلها .

وهكذا فاننا نرى ان الببليوغرافية تمثل اداة رئيسية يمكن الاعتماد عليها في تحقيق الاهداف السابقة .

ثانيا : **المجال وأدبه وأبعاده الرئيسية :** أشرت في فقرة سابقة الى ان الببليوغرافية تركز على مجال موضوعي واحد ، وتحاول بقدر الامكان تغطية قدر معقول من الانتاج الفكري الصادر حول هذا المجال الموضوعي ، فهي والحالة هذه غير شاملة بل مختارة او انتقائية .

وفيما يلي نناقش الابعاد الرئيسية التي تقوم عليها تغطية الببليوغرافية وهي :

أ ـ البعد الموضوعي : تهتم الببليوغرافية بتجميع الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كقضية سياسية ولا تهتم بتجميع الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كموضوع عام وهي بذلك تحدد موضوعها تحديدا دقيقا ، وعلى الرغم من ذلك فقد وضعت بعض الاستثناءات منها : استبعاد المواد التي تدور حول الموضوعات الدينية الا اذا كانت تشتمل على معلومات عن الظروف السكانية والاجتماعية والاقتصادية للطوائف الدينية في فلسطين او عن الملامح السياسية للتيارات والاتجاهات الدينية السائدة .

ومن الطبيعي ان تحمل القضية الفلسطينية في ثناياها الموضوعات التالية والتيقامت الببليوغرافية بتغطيتها وهي : ١ ـ الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للشعب الفلسطيني . ٢ ـ تاريخ وتطور القضية الفلسطينية منذ نشوئها حتى الان . ٣ ـ الصهيونية العالمية . ٤ ـ الكيان الاسرائيلي منذ قيامه حتى الان . ٥ ـ الصراع العربي الاسرائيلي ومواقف الدول العربية ازاء القضية الفلسطينية . ٦ ـ مواقف وسياسات الدول العظمى والهيئات الدولية ازاء القضية الفلسطينية .

ثمة ملاحظة تجدر الاشارة اليها وهي ان هذه الجوانب او المجالات الموضوعية الستة ترتبط ارتباطا وثيقا بالادوار التي تلعبها الاطراف الرئيسية في القضية الفلسطينية متمثلة في العرب الفلسطينيين ، الدول العربية ، الصهيونية ، اسرائيل ، الدول العظمى والهيئات الدولية .

ويشكل الدور الذي يلعبه كل طرف من هذه الاطراف عاملا رئيسيا في خطة التصنيف الموضوعية داخل كل مرحلة من المراحل الزمنية التي تنقسم اليها الببليوغرافية .

ب ـ البعد المكاني : جرت العادة ان تحدد كل ببليوغرافية مجالها من الناحيتين الزمانية والمكانية وذلك من أجل المزيد من الدقة في الحصر والتجميع ، وفيما يتعلق بالببليوغرافية التي ندرسها فهناك ملاحظتان :

١ ـ ان الفترة الزمنية التي تغطيها الببليوغرافية تمتد عبر قرنين من الزمان فهي تبدأ عام ١٨٨٠ وتستمر حتى نهاية عام ١٩٧١ . ولعل السبب في اختيار عام ١٨٨٠ كنقطة انطلاق للببليوغرافية يرجع الى ان هذا العام يمثل النقطة التي بدأت عندها المشكلة الفلسطينية في الظهور . فقد نشأت الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولا تعود الى أبعد من عام ١٨٨٢ باعتبارها حركة قومية يهودية ترمي الى جمع شتات اليهود وحشدهم في فلسطين وما حولها من البلاد العربية ليستأنفوا حياتهم القومية والتاريخية (انظر كتاب محاضرات في تاريخ قضية فلسطين للدكتور احمد طربين) ، ونحن نعرف أن الصهيونية هي السبب الاول والمباشر في بروز القضية الفلسطينية الى حيز الوجود ، أي ان هناك ارتباطا وثيقا بين ظهور الصهيونية وبين ظهور القضية الفلسطينية على مسرح الاحداث . وفي عام ١٨٩٧ دعا هرتزل الى عقد اول مؤتمر صهيوني للتداول في قيام الدولة اليهودية ، وعقد المؤتمر في مدينة بال بسويسرا بحضور ١٩٧ مندوبا من اميركا واوروبا ونفر من فلسطين ، وفي هذا المؤتمر اقترح مساكس نوردو احد المفكرين الصهاينة على اليهود اقامة وطن قومي لهم في فلسطين . وهكذا يمكن القول بأن البذور السياسية الاولى للقضية الفلسطينية تعود الى نهاية القرن التاسع عشر وقد بدأت في النمو والترعرع منذ مطلع القرن العشرين . فكان اختيار عام ١٨٨٠ كبداية للببليوغرافية اختيارا موفقا فالفترة الواقعة ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٩٧١ فترة طويلة نسبيا يمكن تقسيمها الى عدة مراحل زمنية تستفيد منها الببليوغرافية في تنظيم

مادتها المرجعية وقد لوحظ ان البيليوغرافية تنقسم الى اربع مراحل زمنية رئيسية : الاولى تبدأ عام ١٨٨٠ وتستمر حتى عام ١٩٤٧ ، الثانية تبدأ عام ١٩٤٧ وتستمر حتى عام ١٩٤٩ ، الثالثة تبدأ عام ١٩٤٨ وتستمر حتى عام ١٩٦٧ ، الرابعة تبدأ عام ١٩٦٧ وتستمر حتى عام ١٩٧١ .

كما لوحظ انها لا تقف في تغطيتها الزمنية عند نهاية عام ١٩٧١ بل انها تغطي ايضا ما صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بين عامي ١٩٧٢ — ١٩٧٣ كما أنها تغطي بعض المطبوعات الصادرة في الفترة نفسها نظرا لقيمتها وفائدتها بالنسبة للباحثين .

٢ — وفيما يتعلق بالناحية المكانية فالبيليوغرافية تحاول بقدر الامكان تغطية ما يصدر في مجموعة الدول الناطقة بالانجليزية بالدرجة الاولى ثم مجموعة الدول العربية بالدرجة الثانية ثم مجموعة الدول الناطقة بالعبرية والفرنسية والالمانية والروسية بالدرجة الثالثة وذلك اعتمادا على تغطيتها للغات التي ذكرناها بنسب متفاوتة في التركيز . فأرجو ان انبه الى ان هذا الكلام لا ينطبق فعليا على البيليوغرافية وانما هو تقرير نظري لم تتخذ منه أساسا لها في عملية الحصر والتجميع فقد لوحظ انها تعتمد اعتمادا رئيسيا على محتويات بعض المكتبات الكبيرة في بيروت لا سيما مكتبة الجامعة الامريكية ، ومركز الابحاث ، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية وغيرها .

ج — البعد اللغوي : ان صدور البيليوغرافية باللغة الانجليزية لا يعني انها تغطي فقط المواد المنشورة باللغة الانجليزية فهي تغطي المواد المنشورة باللغات التالية على الترتيب: الانجليزية، العربية، العبرية، الفرنسية، الالمانية والروسية. والملاحظ ان غالبية المواد التي تغطيها البيليوغرافية هي باللغات الثلاث الاولى ، أما المواد المنشورة باللغات الاخرى وهي الفرنسية والالمانية والروسية فان عددها محدود وقليل اذا ما قورن بمواد اللغات الثلاث الاولى . وقد ترجمت عناوين المواد غير المنشورة باللغة اللاتينية وهي العربية والعبرية ترجمة هجائية او حرفية واستخدمت بالنسبة للغة العربية القواعد التي وضعها المستشرقون في الترجمة الهجائية للغة العربية الى اللغة اللاتينية واللغات الاخرى المتفرعة عنها . وفيما يتعلق باللغات العربية والروسية فقد وضعت لها قواعد خاصة اشير اليها في مقدمة البيليوغرافية .

د — البعد المادي والنوعي : طالما ان البيليوغرافية تتخذ من القضية الفلسطينية او من فلسطين كقضية سياسية مجالا رئيسيا لها فانها مضطرة والحالة هذه الى تجميع ثلاثة مستويات من المواد :

١ — مواد المستوى الاول وهي التي تتخذ من القضية الفلسطينية موضوعا رئيسيا لها سواء كانت كتبا ام مقالات ام دوريات ام رسائل جامعية او غيرها .

٢ — مواد المستوى الثاني وهي التي تتخذ من القضية الفلسطينية موضوعا ثانيا تبحث فيه الى جانب موضوعها الاساسي ، على سبيل المثال : الكتب التي تبحث في الاعلام العربي والقضية الفلسطينية ، او القانون الدولي والقضية الفلسطينية او الوحدة العربية وقضية فلسطين .

٣ — مواد المستوى الثالث وهي التي تشتمل في ثناياها على معلومات او فصول من القضية الفلسطينية ، ككتب المذكرات او التراجم الشخصية وهي بذلك مواد لا تدور اساسا حول القضية الفلسطينية ولا تتعلق بها وانما يمكن الاستفادة منها بعض الشيء في مجال القضية الفلسطينية . وقد بلغ عدد المواد التي اشتملت عليها البيليوغرافية حوالي ٤٥٨٠ مادة يمكن ادراجها تحت نوعين رئيسيين : المواد المنشورة : وهي الكتب، فصلات الكتب ، مقالات الدوريات ، النشرات ، الدوريات والصحف بمعناها الواسع دون تغطية لمقالاتها . والمواد غير المنشورة : وهي أبحاث الماجستير ورسائل الدكتوراه ، الوثائق الحكومية والاوراق الخاصة . وقد ادرجت هذه المواد في الحالات التي تهم الباحثين . وقد اوضح المؤلفان في مقدمة البيليوغرافية بأنه لم يكن في مقدورهما ان يثبتا كل أنواع المصادر في كل مجال موضوعي لاسباب منها : أ — تعذر الحصول على الوثائق المتعلقة بالفترات الزمنية الاكثر حداثة . ب — تباين اختلاف المواد المنشورة بالنظر الى مستوياتها واعدادها . ج — عدم توفر المصادر البيليوغرافية التي يمكن الاعتماد عليها في الحصول على المواد

اللازمة لبعض المجالات الموضوعية .

ثالثا — تنظيم المادة المرجعية : لا شك ان معيار سهولة الوصول الى المعلومات البيليوغرافية من المعايير الهامة لتقدير قيمة اي ببليوغرافية مهما كان نوعها . ذلك انه يقيس مدى نجاحها في اتباع نظام كفء لترتيب المادة المرجعية التي تحتويها ، يتناسب مع اهدافها ووظائفها ومع الانتاج الفكري الذي تغطيه ويمكن المستخدم من الوصول السهل والسريع الى هذه المادة ويقتضي تطبيق هذا المعيار على الببليوغرافية وصف النظام المستخدم فيها ثم تحليله من خلال مداخله الرئيسية والاضافية .

ا — طريقة التنظيم : لقد اتبعت خطة تصنيفية خاصة في تنظيم مواد الببليوغرافية ترتكز على عاملين رئيسيين هما : العامل الزمني متمثلا في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٨٠ و١٩٧١ . والعامل الموضوعي الذي ينبع اساسا من ظروف وتطورات القضية الفلسطينية والادوار التي تلعبها الاطراف الرئيسية في قضية فلسطين في الفترة الزمنية السابقة .

وسوف نرى كيف استفادت الببليوغرافية من العاملين السابقين في تنظيم موادها فهي تنقسم الى تسعة فصول رئيسية : يمثل الفصلان الاول والثاني منها المدخل او المقدمة بالنسبة للببليوغرافية فالاول يشتمل على المصادر او المؤلفات العامة حول فلسطين كقضية سياسية . والثاني يشتمل على المصادر التاريخية للقضية الفلسطينية وفلسطين . اما الفصول السبعة الاخرى فانها تتسلسل زمنيا وفقا للمراحل الزمنية المشار اليها في الفقرة (ب) من النقطة الثانية (راجع المجال وادبه : البعد الزمني والمكاني) ويتفرع كل فصل من هذه الفصول الرئيسية الى اقسام اصغر تأخذ ارقاما متسلسلة وتعتمد على دور كل طرف من الاطراف الرئيسية في القضية الفلسطينية متمثلة في الشعب الفلسطيني ، الدول العربية ، الصهيونية العالمية ، اسرائيل ، الدول العظمى ، الهيئات الدولية .

هذه هي الفصول الرئيسية التي تتألف منها الببليوغرافية ، وقد لاحظنا انها تستفيد استفادة مباشرة من التقسيمات الزمنية للقضية الفلسطينية ومن الادوار التي يلعبها كل طرف من الاطراف الرئيسية للقضية الفلسطينية وبهذا نجد ان الباحث لن يجد صعوبة تذكر عند البحث في الببليوغرافية . فهو في البداية سوف يحدد الفصل الرئيسي الذي يقع فيه موضوعه ثم يختبر كل قسم من اقسام هذا الفصل ، وهنا سوف يجد أن المواد قد رتبت هجائيا حسب مؤلفيها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان هناك موادا لا يمكن اخضاعها لفترة زمنية معينة فقد تمتد معلوماتها لتغطي اكثر من فترة او مرحلة زمنية كما أن هناك موادا قد تغطي اكثر من قسم او حتى اكثر من فصل رئيسي والحل الوحيد لهذه المشكلة هو الاحالات التي تربط بين الاقسام والمواد وهكذا فقد زودت الببليوغرافية بنوعين رئيسيين من الاحالات .

١ — النوع الاول ، احالة انظر وهي تحيل من قسم الى قسم اخر سواء كان ذلك داخل الفصل الواحد او في فصول اخرى وذلك حينما يكون هناك ارتباط وثيق بين هذه الاقسام . وعلى سبيل المثال نجد في الفصل الاول ، تحت رأس موضوع القسم الاول احالة من نوع انظر الى الفصل الثاني : القسم الحادي عشر . وهي (للاعمال العامة التي تعالج الفترة ما بين ١٨٨٠ — ١٩٧٤ ، انظر قسم ١١ : الاراء والمصادر التاريخية العامة حول القضية الفلسطينية) .

٢ — النوع الثاني : احالات انظر ايضا وهذه يجدها الباحث تحت رأس الموضوع في كل قسم من الاقسام بحيث تحيله الى عناوين او مواد اخرى يمكنه ان يستفيد منها في موضوعه مثال : في الفصل الثاني ، القسم الخامس تجد احالة انظر ايضا : (٤٩ ، ٢٥٤ ، ٦٥٣ ، ١٢٢٠ ، ١٦٢٦ ، ٤١٠٥) .

ب — المداخل الاضافية : ومن اجل تحقيق المزيد من الفائدة فقد زودت الببليوغرافية بكشاف مركب يشتمل على المؤلفين والعناوين والاشخاص الذين هم موضوع لاحدى الدراسات او التراجم في هجائية واحدة مع استخدام الرقم المسلسل للمادة او العنوان كرابط بين المدخل الاضافي في الكشاف والمدخل الرئيسي في جسم الببليوغرافية .

ولم تزود الببليوغرافية بكشاف موضوعي لذلك فالباحث مضطر للرجوع الى قائمة المحتويات عند كل مرة يستخدم فيها الببليوغرافية . على الرغم من أن أية ببليوغرافية تستخدم خطة تصنيفية

خاصة لا بد ان توفر للباحث كشافا موضوعيا عاما او كشافا موضوعيا من النوع النسبي حتى لا يكون الباحث مجبرا على معرفة خطة التصنيف التي تتبعها البيليوغرافية عند البحث فيها .

رابعا: الوصف البيليوغرافي والمداخل الرئيسية:

ا ـ التقنين المستخدم في الوصف البيليوغرافي : على الرغم من انه لم يذكر في مقدمة البيليوغرافية نوع التقنين المستخدم في الوصف البيليوغرافي للمداخل الرئيسية الا اننا نستطيع القول بأن التقنين البيليوغرافي (تقنين مكتبة الكونجرس) هو التقنين المستخدم في البيليوغرافية مع تعديلات طفيفة لا تكاد تذكر .

والواقع ان نوع التقنين الذي ينبغي ان يستخدم في أية بيليوغرافية يحدده عاملان رئيسيان هما : ١ ـ نوع التقنينات المستخدمة محليا في المنطقة التي تصدر فيها البيليوغرافية وذلك في محاولة لتوحيد هذه التقنينات في تقنين واحد يمكن استخدامه في بيليوغرافيات اخرى . ٢ ـ التصورات العالمية في مجال تقنيات الوصف البيليوغرافي وما مرت به من توحيد ومعايره على مستوى دولي وذلك تمهيدا لاستخدام احدث التقنينات الدولية في مجال الوصف البيليوغرافي .

واذا القينا نظرة على البيليوغرافيات الصادرة في العالم العربي فاننا نجد أن غالبيتها يميل الى استخدام التقنين الانجلو ـ اميركي مع تعديلات خاصة بالنسبة لمداخل اسماء المؤلفين العرب وبعض مطبوعات التراث العربي الاسلامي . اما بالنسبة للبيليوغرافيات التي تصدر في البلدان المتقدمة فان بعضها قد بدأ باستخدام احدث التقنينات في مجال الوصف البيليوغرافي وهو التقنين الدولي للوصف البيليوغرافي (ت.د.و.ب) وهكذا نجد أن التقنين المستخدم في البيليوغرافية يأتي وسطا بين التقنين المستخدم محليا في البيليوغرافيات العربية (التقنين الانجلو ـ اميركي) والتقنين المستخدم دوليا (التقنين الدولي للوصف البيليوغرافي) الذي وافقت عليه دول العالم ممثلة في الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات) ، وقد ادرك «مؤتمر الاعداد البيليوغرافي للكتاب العربي» الذي عقد في الرياض في الفترة من ٢٤ نوفمبر ١٩٧٣ الى ١ ديسمبر ١٩٧٣ ، هذه الضرورة فأوصى في مقدمة توصياته باستخدام التقنين الدولي للوصف البيليوغرافي في الفهارس والبيليوغرافيات العربية . وعلى هذا الاساس فان التقنين الذي ينبغي ان يستخدم في البيليوغرافية هو التقنين السابق وذلك كخطوة نحو توحيد تقنيات الوصف البيليوغرافي في العالم العربي.وفيما يتعلق بمداخل أسماء المؤلفين العرب فقد سارت البيليوغرافية على مبدأ قلب الاسماء العربية الى استخدام الجزء الاخير من الاسم في أول المدخل تمشيا مع بقية أسماء مؤلفي المطبوعات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية والعبرية . واذا كانت الضرورة قد فرضت على البيليوغرافية ذلك ، فان قاعدة قلب الاسماء العربية ـ وخصوصا الحديثة منها لم تستقر بعد وما زالت موضع مناقشة ودراسة من جانب المكتبين والبيليوغرافيين العرب .

ب ـ المداخل الرئيسية : اشتملت المداخل الرئيسية فيما يتعلق بالكتب على : المؤلفين والمحررين والعناوين والطبعات والمجلدات ثم بيانات النشر : مكان الناشر ، الناشر ، تاريخ النشر ثم عدد الصفحات . وفيما يتعلق بمقالات الدوريات فقد اشتملت مداخلها على اسم الكاتب، عنوان المقال ، المجلة ، والمجلد ، العدد ، السنة ، والتاريخ وعدد الصفحات . واعطيت المعلومات البيليوغرافية الضرورية عن كل مدخل من مداخل المواد الاخرى وهي الدوريات والصحف ورسائل الماجستير والدكتوراه والوثائق الحكومية والاوراق الخاصة . وفي كل مدخل من المداخل الرئيسية الخاصة بالمواد المنشورة بلغات اخرى غير الانجليزية اعطيت ترجمة بالانجليزية وضعت بين قوسين بعد العنوان الاصلي . وفي نهاية كل مدخل من المداخل الرئيسية يوجد حرف هجائي للدلالة على لغة المطبوع الاصلية فالحرف A للمطبوعات العربية والحرف F للمطبوعات الفرنسية والحرف G للمطبوعات الالمانية والحرف H للمطبوعات العبرية والحرف R للمطبوعات الروسية اما المطبوعات الانجليزية فلم تميز بحرف هجائي معين . كذلك فقد وضعت اشارة (*) بعد أسماء المؤلفين والمحررين والمترجمين الفلسطينيين او من هم من أصل فلسطيني وذلك للدلالة على جنسيتهم الفلسطينية

وتمييزا لهم عن بقية المؤلفين .

وحيثمـا أمكن يوضع العنوان بلغته الاصليـة مترجما ترجمة هجائية اذا كان مـن المطبوعات العربية او العبرية او الروسية متبوعا بالترجمة المعنوية الى الانجليزية (أي الترجمـة حسب المعنى) .

وفيما يتعلق بحداثة المطبوعات او قدمها فقد سارت البيليوغرافية على مبدأ اثبات احدث طبعة من المطبوع مع الاشارة الى الطبعات القديمة اذا وجد أنها تحقق فائدة بالنسبة للباحثين . كذلك نقد درجت البيليوغرافية على ذكر المطبوعات التـي اعيدت طباعتها او المطبوعات التي ترجمت الـى لغات اخرى وذلك بعد الانتهاء من بيانات الشروح.

جـ ـ الشروح : تعطي البيليوغرافية عن كـل مطبوع او عنوان شروحا توضـح محتوياتـه ومضامينه وهي لا تقل عن سطر واحد ولا تزيد عن ٥ أسطر وهي على نوعين : النوع الاول يمثل شرحا او ملحقا لمحتويات المطبوع اذا كان يتخذ من القضية الفلسطينية مجالا رئيسيا له . والنوع الثاني ويمثل اشارة الى قيمة الكتـاب بالنسبة لموضوعه من ناحية ومقدار استفـادة الباحثين منه من ناحية اخرى وذلك اذا كان مجاله او موضوعه الرئيسي غير القضية الفلسطينية .

والواقع أن هناك بعض المطبوعات او العناوين التي لم تزود بشروح لعدة أسباب منها : امـا لان عناوينها تدل بوضوح كاف على موضوعاتها او محتوياتها . واما لانها لم تقع تحت أيدي القائمين او المشرفين على اعداد البيليوغرافية لتلخيصهـا واعداد شروح عنها .

خامسا : ملاحظات وانتقادات : من خلال هذا العرض الشامل للجوانب الرئيسية التي يقـوم عليها هذا العمل البيليوغرافي القيـم يتضح لنـا أننا نقف امام محاولة هي الاولى من نوعها فـي هذا المجال واننا مهما عددنا من مميزات وفوائد لهذا العمل البيليوغرافي فاننا لن نوفيه حقه ، فقد أدى خدمات جليلة يمكن اجمالهـا في النقـاط التـالية :

أ ـ تعتبر هذه البيليوغرافية لبنة اولى وهامة لا بد منها لاي عمل بيليوغرافي شامل حول القضية الفلسطينية في المستقبل .

ب ـ ان صدورها باللغة الانجليزية واشتمالها على نسبة كبيرة من المواد المنشورة باللغـات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية سـوف يؤدي خدمة كبيرة للقضية الفلسطينية في مجالين هامين : اولهما اعلامي وهدفه التعريف بالانتـاج الفكري الصادر حول فلسطين على الصعيد الدولي اذ أن البيليوغرافية موجهة أساسا الى الباحثين الاجانب . وثانيهما توثيقي وهدفه ان يوفـر للباحثين والمتخصصين كافة المعلومـات المتعلقـة بالمصادر والمراجع التي يمكنهم الاستفادة منها فـي ابحاثهم ودراساتهم .

جـ ـ انالخطة التصنيفية الخاصة بالبيليوغرافية والتي تتبع اساسا من ظروف وواقـع القضيـة الفلسطينية خلال واحد وتسعين عاما (١٨٨٠ ـ ١٩٧١) تعتبر فائدة كبيرة وخدمة جليلة تقدمهـا البيليوغرافية للمكتبات والمراكز التوثيقية والاعلامية العربية عموما وللمكتبات والمراكز المتخصصة في مجال القضية الفلسطينية خصوصا فمثل هـذه الخطة يمكن ان تساعد تلـك المؤسسات علـى تصنيف محتوياتها من المطبوعات الخاصة بالقضية الفلسطينية تصنيفا يقوم على اسس علمية مدروسة كما انها تمدها بقائمة جاهزة من رؤوس الموضوعات المحددة والمقننة .

د ـ ان صدور البيليوغرافية في هـذا الوقت بالذات يعتبر محاولة جريئة للوقوف امام الهجمة الاسرائيلية الغاشمة على تراث وثقافة الشعـب العربي الفلسطيني محاولة تضليل العالم وايهامه بأنه لا وجود لشيء اسمه الشعب الفلسطيني ولا وجود لشيء اسمه فلسطين ، فقط هنـاك شيء اسمه الشعب الاسرائيلي ، وهناك شيء اسمـه اسرائيل ، وعـن طريق مـا تصدره اسرائيل من كتب وكتيبات وصحف وادوات ثقافية اخرى تحاول قطع الصلات الحضارية القائمة منذ الاف السنين بين الشعب العربي الفلسطيني وبين ماضيه العريق وحقه المشروع في ارضه المغتصبة . ان اشتمال البيليوغرافية على الوثائق والمطبوعات التي تثبت انتماء هذا الشعب الى أرضه الفلسطينية لهو خير هدف تعمل البيليوغرافية على تحقيقه ، في مثل هذه الظروف .

هـ ـ ان وجود اشارة امام اسم كل مؤلف او محرر او مترجم فلسطيني في كل مدخل رئيسي من

مداخل الببليوغرافية يؤدي ايضا خدمة مزدوجة للقضية الفلسطينية : فهي محاولة لحفظ وصيانة التراث الفكري للمؤلفين الفلسطينيين وابقائه متميزا عن غيره وخاصة في الظروف الحالية التي يعيشها الشعب الفلسطيني مشردا في بقاع كثيرة بعيدا عن أرضه ووطنه ، وهي في الوقت ذاته خدمة جليلة لكل من يحاول التعرف على المؤلفين والمصنفين الفلسطينيين بهدف القيام بمشروع لانشاء دليل او معجم لهؤلاء المؤلفين وخاصة اذا علمنا أن ان أكثر الصعوبات التي يواجهها كل باحث ببليوغرافي في المجال الفلسطيني هي القدرة على التمييز بين المؤلفين الفلسطينيين وبين المؤلفين العرب .

و ـ امتازت الببليوغرافية بدقة المعلومات الببليوغرافية واكتمالها في كل مدخل من المداخل الرئيسية فهي تحرص على تحري الدقة في اثبات بيانات الوصف الببليوغرافي وتحاول بقدر الامكان اعطاء بيانات كاملة عن كل مدخل باستثناء بعض المداخل التي خلت من بيانات التوريق وبعض بيانات النشر ، كما أن هناك بعض المداخل التي لم تزود بشروح ، وقد سبق ذكر ذلك في فقرات سابقة .

هذه تقريبا هي أهم الميزات التي تتميز بها هذه الببليوغرافية الا ان هناك بعض الانتقادات التي لا بد من ذكرها من قبل استكمال الفائدة العلمية والامانة الموضوعية :

١ ـ كما هو واضح من الهدف الذي من أجله اعدت الببليوغرافية والذي اشير اليه في مقدمتها لم تكن هناك محاولة للقيام بمسح شامل لكل المصادر سواء كانت رئيسية ام ثانوية في مجال القضية الفلسطينية . فالببليوغرافية والحالة هذه مختارة او انتقائية وليست شاملة .

٢ ـ يلاحظ بوضوح ان الببليوغرافية قد اغفلت جانبا مهما كان من الواجب ان تقوم بتغطيته وهو أن تعمل على تغطية الانتاج الفكري الصادر حول فلسطين كموضوع عام بالاضافة الى تغطيتها للقضية الفلسطينية ذلك ان هناك ارتباطا وثيقا بين المجالين ولا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الاحوال .

٣ ـ من المسلم به أن اية ببليوغرافية تتبع خطة تصنيفية خاصة لا بد ان توفر للباحث كشافا موضوعيا يسهل الوصول الى المواد او المعلومات التي تشتمل عليها . والواقع ان الببليوغرافية لم توفر مثل هذا الكشاف الموضوعي اعتمادا على قائمة المحتويات التي تسبق جسم الببليوغرافية . لذلك فالباحث مضطر للرجوع الى هذه القائمة في كل مرة يستخدم فيها الببليوغرافية او الاعتماد على الكشاف المركب الذي يشتمل على مداخل المؤلفين والعناوين معا ، وهذا أمر صعب ولا يفيد الا في حالات قليلة فالباحث يضع في ذهنه موضوعا معينا ونادرا ما يبحث عن مؤلف او عنوان معين يضاف الى ذلك ان الباحث ينفر عادة من استخدام الببليوغرافيات التي تفرض عليه خطة تصنيفية معينة دون أن توفر له كشافا موضوعيا .

٤ ـ سارت الببليوغرافية على مبدأ قلب الاسماء العربية اي استعمال الجزء الاخير من الاسم في بداية المدخل وهذا مبدأ لا يطبق الا على الاسماء العربية القديمة ولم يطبق بعد على الاسماء العربية الحديثة ، فالباحث العربي حينما يريد ان يبحث عن كتاب لابي بكر الرازي فانه يبحث عنه تحت اسم الرازي بينما نجده يبحث عن كتاب لطه حسين تحت اسم طه حسين وليس تحت حسين ، طه .

ونحن نلاحظ ان معظم الببليوغرافيات التي تصدر في العالم العربي تراعي ذلك وتستعمل المقطع الاول من اسم المؤلف العربي الحديث في بداية المدخل وليس المقطع الاخير ولا أدل على ذلك من أن النشرة العربية للمطبوعات تقوم بتعديل المداخل المطلوبة في القوائم الببليوغرافية التي تأتي من بعض الدول العربية ولا سيما لبنان والعراق .

٥ ـ لوحظ عدم ذكر المصادر الببليوغرافية التي تم الرجوع اليها عند جمع المواد التي اشتملت عليها الببليوغرافية . فمثل هذه المصادر قد تفيد الباحثين عند الاشارة اليها وذلك لتحقيق المزيد من الفائدة وللتأكد من صدق ودقة المعلومات الببليوغرافية التي تم الحصول عليها من هذه المصادر . ولم ترد سوى اشارة بسيطة في مقدمة الببليوغرافية عن المصادر التي تم الرجوع اليها « فقد تم اعدادها كلها في بيروت اعتمادا على

المصادر المتوفرة بمكتبات هذه المدينة اي أن فهارس هذه المكتبات ومقتنياتها كانت من المصادر الرئيسية التي تم الرجوع اليها للحصول على المواد والمصادر اللازمة .

خاتمة : بعد هذا العرض الشامل للاسس والجوانب التي تقوم عليها البيليوغرافية وبعد أن بينا أهم الملامح والميزات التي تتصف بها ، فان النتيجة التي لا بد ان نصل اليها هي ان استمرار صدور هذه البيليوغرافية على شكل ملاحق في فترات محددة ومنتظمة يعد أمرا حيويا وهاما ، وقد اوضح المؤلفان في مقدمة البيليوغرافية انهما ينويان اصدار ملاحق لها كل خمس سنوات، غير انهما لم يذكرا ما اذا كانا سيسيران على نفس الاسس التي سارا عليها في البيليوغرافية السابقة ام لا . والسؤال الذي يطرح نفسه بنفسه هنا هو : هل يستطيع المؤلفان بالفعل الاستمرار في اصدار ملاحق كل خمس سنوات بجهودهما الفردية ام أنهما سيتوقفان عن متابعة اصدار الملاحق التيوعدا بها لاي سبب منالاسباب؟ ان الجواب على هذا السؤال واضح ومحدد ، وهو ان استمرار صدور ملاحق البيليوغرافية كل خمس سنوات اعتمادا على مجهودات فردية دون رعاية او مساندة من جانب هيئة بيليوغرافية او مركز بيليوغرافي فلسطيني امر لا يمكن التاكد منه، ذلك ان الجهود الفردية قد تتوقف لاي سبب من الاسباب فهي لا تتصف بصفة الاستمرارية في العمل على العكس من الجهود التي ترعاها او تشرف عليها هيئات معينة ، فهذه لا تتوقف الا اذا ارادت الهيئة ان توقفها . وبذلك فهي تتصف بصفة الاستمرارية . ومن هنا تأتي الحاجة الى وجود مركز بيليوغرافي فلسطيني يتولى مسؤولية القيام بكافة المهام البيليوغرافية على الصعيد الفلسطيني وذلك في مجالين رئيسيين .

أ — في مجال البيليوغرافية الوطنية الفلسطينية: حيث يقوم باصدار قانون لايداع المطبوعات الفلسطينية التي تصدر عن المؤلفين الفلسطينيين بغض النظر عن مكان صدورها واللغة التي نشرت بها — وهذه مهمة لا بد من ان يقوم بها مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتباره المؤسسة الفلسطينية الوحيدة التي تستطيع اتخاذ الخطوات الضرورية لاصدار قانون لايداع المطبوعات الفلسطينية — ثم يتولى هذا المركز مهمة اصدار البيليوغرافية الوطنية الفلسطينية على اسس علمية مدروسة بحيث تشتمل على جميع الانتاج الفكري الفلسطيني وبحيث تصدر في فترات منتظمة ومحددة . ولن يتسع المجال هذا الحديث عن البيليوغرافية الوطنية الفلسطينية ذلك ان هناك دراسة مطولة سوف تقوم حول هذا الموضوع ، وسوف نحاول نشرها باذن الله .

٢ — في مجال البيليوغرافيا الموضوعية الفلسطينية : حيث يقوم هذا المركز باصدار البيليوغرافيات المناسبة حول فلسطين كموضوع عام او كقضية سياسية الى جانب اصدار بيليوغرافيات اخرى في مجالات فلسطينية متعددة كالادب الفلسطيني ، والاقتصاد الفلسطيني ، والفنون الفلسطينية وغيرها . ويجب ان لا يقتصر عمله على اعداد البيليوغرافيات وانما يتعدى ذلك الى اعداد الكشافات التحليلية للدوريات الفلسطينية ، ونشرات الاستخلاص والترجمة الفلسطينية وغيرها ، وكافة الاعمال التوثيقية التي يمكن الاستفادة منها في مجال القضية الفلسطينية .

وهنا لا بد ان اشير الى أن من واجب مركز الابحاث بمنظمة التحرير ان يتولى مهمة القيام بمسؤولياته كمركز بيليوغرافي فلسطيني فهو يتحمل الى جانب مهمته الرئيسية كمركز للبحث والاعلام في مجال القضية الفلسطينية ، مسؤولية القيام بالخدمات التوثيقية والبيليوغرافية المتعلقة بفلسطين والقضية وقد اشرنا في فقرة سابقة الى ان مركز الابحاث يهدف الى تكوين مكتبة متخصصة بهذه القضية وتوثيقها ونضيف هنا الى ان المركز يحرص على اصدار منشورات بيليوغرافية تفيد القارىء في هذا المجال فقد اصدر حتى الان اربعة اعمال بيليوغرافية ويشرف حاليا على اصدار عملين آخرين ، اما الاعمال التي اصدرها فهي : ١ — اصدر المركز عام ١٩٧١ قائمة بيليوغرافية للقضية الفلسطينية في المجلات الثقافية العربية ١٩٤٨ — ١٩٧٠ (سلسلة حقائق وارقام — ٣٨) . ٢ — اعد احد الباحثين وهو السيد نمر سرحان قائمة بيليوغرافية عن الفولكلور الفلسطيني وقد نشرت في احد اعداد مجلة شؤون فلسطينية عام ١٩٧٤ . ٣ — اصدر عام ١٩٧٣ قائمتين بيليوغرافيتين عن

فلسطين ، احداهما تغطي ما صدر من كتب عن فلسطين في مصر ١٩٤٨ — ١٩٧٢ والثانية تغطي ما صدر عن فلسطين في الاردن ١٩٤٨ — ١٩٧٢ .

أما الاعمال التي يشرف على اصدارها حاليا فهي : ١ — يعد المركز مشروعا هو الاول من نوعه وهو كتاب ببليوغرافي للكتاب الفلسطيني : يضم كشفا بكل الكتب التي أصدرها كتاب فلسطينيون منذ نشوء المطبعة في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ .

٢ — سوف يصدر المركز ببليوغرافية تشتمل على المطبوعات العربية الصادرة عن فلسطين في لبنان والعراق في الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٧٣ .

من الواضح ان مركز الابحاث يسهم الى حد كبير في مجال الببليوغرافية الفلسطينية فهو والحالة هذه خير من يتولى القيام بمسؤوليات المركز الببليوغرافي الفلسطيني الى أن تتاح الفرصة لقيام مثل هذا المركز الببليوغرافي ، لما في ذلك من خدمة للانتاج الفكري الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

يونس احمد اسماعيل الخاروف

Pamela Ferguson, **The Pipedream**, (Everest Books, London: 1974).

[١]

هذا هو الكتاب الثاني الذي تنشره باملا فرغسن ، الكاتبة البريطانية الشابة . « مشكلة فلسطين » كان كتابها السياسي الاول ، و« اضغاث أحلام » هو غزوة على نفس الجبهة ولكن بأسلوب القصة البوليسية . والمتوقع ان يجد القارىء افكار الكاتبة السياسية وموقفها الحقيقي في كتابها السياسي الموضوعي . هناك يصوغ الانسان آراءه بصورة موضوعية هادئة وباكاديمية علمية مسؤولة . هذا هو المتوقع وليس الواقع . لقد كشفت فرغسن عن حقيقة تفكيرها وموقفها في قصتها البوليسية لا في مقالاتها الموضوعية . واذا كان لا بد للمعتبر من عبرة فهي ان يتذكر مرة اخرى ان الفن اصدق من الفلسفة وان الفنان أعرف بالحياة من فطاحلة الاكاديميات والجامعات .

في « أضغاث أحلام » اعربت الكاتبة عن وقوفها الكامل بجانب الصف العربي — على الاقل الصف العربي الثوري . لا عجب اذن ان يصفها بوق من أبواق الدعاية الصهيونية بكونها بوقا من أبواق الدعاية العربية .

تفتتح فرغسن قصتها بمشهد مشوق عن بطل القصة الذي تتلته في الفصل الاول « أخذ بيتري مفتاح السيارة من جيبه واولجه في وقب التشغيل . وثق نفسه بحزام السلامة . ثم ادار مفتاح التشغيل بسرعة فتطاير جسمه اربا اربا » . العبارة التي هزتني بها الكاتبة في هذه الفقرة هي التوثيق بحزام السلامة . عبارة خبيثة تذكرنا بأن سر بقاء سواق التاكسي في قيد الحياة هو عدم استعمالهم حزام السلامة . هذا هو المعدن الذي ينتج الادب الناجح . ولكن المؤسف ان القصة تتهافت بعد هذا الفتح الدرامائي .

اميليو بيتري عالم ايطالي شغل نفسه باكتشاف طريقة للبحث عن النفط من الجو بالتصوير الاشعاعي . وقاده هذا العمل لحساب شركة نفط ايطالية الى استنباط نظريته في حقول نفط سيناء التي سقطت بيد اسرائيل بعد ذلك بقليل . وتدخل القصة هنا في متاهة من التنافس الامبريالي بين المصالح الايطالية والامريكية والاسرائيلية والعربية مع ما يتبعها من أجهزة الاستخبارات والارهاب . ولم تكتف المؤلفة بكل ذلك فاقحمت ايضا تنافس المنظمات العاملة في الميدان الفلسطيني . وراحت متقمصة شخصية الصحفية الانكليزية جوليا رايت تفتش عن الجاني في هذا المشتبك . عالم المال كعالم الغرام ، لا يفهم

اسراره الا أصحابه . ومن التجني ان ننتظر من قارىء القصص البوليسية العـــبادي ان يفقــه التعقيدات النفطية الاحتكارية التي اودت بحيــاة اميليو بيتري ، ولا سيما عندما تلعب ادوارها على مسرح الشرق الاوسط وتختلط بتعقيدات الدبلوماسية العربية والدولية والعمل الفلسطيني (الـــذي يحتاج وحده الى مسلسلات من قصص « مـــن الجاني ؟ ») . وتزداد القصة تعقيدا بدخولهـــا اسرار العلوم والتقنية . ويمكن للقارىء هنا أن يريح نفسه بأن يأخذ الموضوع على علاته ويعتبره انطلاقة شعرية تجوز للاديب دون العالم . ولكنني لم استطع ذلك لانني اعرف الجهود التي بذلتها باملا في التدقيق والحصول علـــى معلوماتهـــا العلمية من مكاتب الابحاث النفطية الجامعية . انها ليست انطلاقة وانما عبأ جديد ينوء به المخ والمخيخ والنخاع الشوكي لاي قارىء غير محروم من هذه الاعضاء .

لقد اعطى تولستوي الخلود لقصته « الحرب والسلم » بأن سخر التاريخ والسياسة كخلفيـــة تقدم النماذج والعناصر الانسانية في القصة . باملا فرغسن فعلت العكس تماما . لقد سخـــرت شخصيات القصة كخلفية لخدمة الفكرة السياسية.

لقد زجت نفسها في احدى الفقرات الى تفسيـــر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وامتناع اسرائيـــل عن التنفيذ . وعندما يحاول الاعلام الصهيوني تحميل الفدائيين مسؤولية قتل بيتري ، يأتي رد الكاتبة قاطعا « لقد أصبحت الموضة في هذه الايام تحميل الفلسطينيين وزر اي عمل عنفي » .

لقد قضت باملا فترات متقطعة فـــي الشرق الاوسط واعطاها ذلك الفرصة لاظهار مواهبهـــا الادبية في فقرات مشرقة . ومن صورها التـــي خلدت في ذهني صورة القدس بصلبانها وهوائيات تلفزيوناتها مطبوعة على صفحة السماء . وتعكس قصتها نماذج حية من اخلاقيات وطباع سكــــان المنطقة رغم الامتعاض الذي اثارتــه في نفسي معالجتها لرجل الكنيسة الارثوذكسية .

لقد اختارت الكاتبة لنفسها منفذا من أصعب المنـــافذ لمعالجة موضـــوع سياسي ، منفذ الادب البوليسي،قد يؤدي من الخدمة ما لا تؤديه الابحاث السياسية ولكن نصيب المؤلف فيه سيبقى نصيبا غير محمود ولا سيما عندما يقع بيد ناقد مثلي ابتلى بمعدة لا تهضم الشحـــم ولا اللحـــم ولا الادب البوليسي .

خ.ق.

[٢]

ومن البديهي القـــول أن مجلـــة « شــــؤون فلسطينية » ما كانت لتعبأ بنشر مراجعة لهــذه الرواية لو لم تكن احداثها ووقائعها تجري بين فلسطين المحتلة وبيروت ولندن ، ولو لم تكن تحكي بصورة جزئية ولكنها رمزية حكاية ما يجري حاليا على مسرح الشرق الاوسط . ومع ان المؤلفة نفسها ربما كانت اول من يعترف بأن لا قيمـــة ادبيـــة لروايتها ، اذ انها من النوع الذي يتوسل الاثارة عمدا ، فان الغرض الذي ترمي اليه من ورائها هو سياسي ،ودافعها اخلاقي .

ولا تخفي المؤلفة تعاطفها مـــع الفلسطينيـــين وعطفها على قضيتهم العادلة . فهـــي تعتبرهم الضحية المأساوية لمؤامرة اشترك فيها الاستعمار الصهيوني والامبريالية الغربية وحتى بعض الانظمة العربية ، وقد سبق لها أن اعربت عن رأيها هذا في كتاب بعنوان « القضية الفلسطينية » سببب لها نشره متاعب جمة . وقد تكون شعرت ان جمهور قراء الكتب السياسية يبقى محدودا مهما بلـــغ انتشارها ، ولهذا لجأت الى واسطة الروايـــة المثيرة المليئة بالمغامرات والعنف وحتى الجنس ، بغية صدم الجمهور الغربي الراضي عن نفسه في برجه العاجي وايصال القضيـــة الفلسطينية الـــى وعيـــه .

وفي هذا الهدف المحدد نجحت الرواية . فهـــي

مثيرة من غلاف الكتاب الخارجي الورقي الاحمر بلون الدم ،الذي يمثل يد انثى تحمل نجمة داود وتقطر دما ، وعبر شخوصها الغريبة والغامضة واحداثها العنيفة التي تكتنفها الاسرار وحتى الصفحة الاخيرة التي تكشف بسرعة ووضوح وبراعة عن الحل النهائي للغز .

وتصدر المؤلفة روايتها بالجملة التقليدية : « ان شخوص هذا الكتاب خيالية واي شبه في الاسم او الحقيقة لاي شخص حي هو محض صدفة » . ومعروف ، بالطبع ، ان هذه الجملة صارت تعني عكس ما تقوله . فبعض شخوص هذه الرواية قد يكون خياليا بالفعل ، لكنه من غير الضروري ان يكون القارىء شديد الاطلاع على اسرار واوضاع الشرق الاوسط ليتبين المصدر الحقيقي الذي استوحيت من بعض الشركات والمنظمات الرئيسية في الرواية وحتى بعض الشخوص المركزية . بل ان الانسة فيرغسون لم تبذل اي جهد كبير لاخفاء معالم بعض الاحداث الاساسية في الرواية .

ونذكر على سبيل المثال حادث الغارة الصهيونية المجرمة التي ارتكبتها اسرائيل في شارع فردان، في بيروت، وادت الى استشهاد القادة الفلسطينيين الثلاثة . فهذا الحادث يبقى في وقائعه الاساسية بلا تغيير تقريبا ، ولم تغير المؤلفة الا الاسماء ، وكان أحدها اسم « أبو موسى » احد الشخوص الرئيسية في الرواية .

ودون ان نفشي اسرار هذه الرواية التي تقوم بطبيعتها على كتم السر حتى الصفحة الاخيرة ، نذكر انها تنطلق ، في الصفحة الثانية ، بانفجار السيارة في اميليو بيتري ، احد كبار موظفي «شركة نفط زوبليني » الايطالية الكبرى . وتتوالى الاحداث والمغامرات ، بايقاع سريع ،حيوي مثير ومشوق لمعرفة من « قتل » بيتري ، عبر تحركات الشخوص الرئيسية الاخرى : موريس ميلر اليهودي الاميركي الذي يتظاهر بخدمة الصهيونية ارضاء لشهوته الى المال ، وفؤاد غمراوي رئيس جهاز سري في لندن تابع لدولة شمال افريقية تسعى لنشر الثورة الاسلامية ، وهاري ديفدسون سفير اميركا في اسرائيل ، وابو موسى احد قادة « المجلس الثوري الفلسطيني » ، وتاكيس ستافروس اليوناني الفلسطيني الذي يقع ضحية المؤامرات الدولية ، ورجل ديني يعبد شهواته الجنسية ، ويوسف الشاب المقدسي الذي تعذبه السلطات الاسرائيلية وتضطهد عائلته لتعاونه مع الثورة الفلسطينية ، واخيرا لا اخرا جوليا رايت، مراسلة الشرق الاوسط لمجلة « نيوزفيو » اللندنية وهي تذكرنا من نواح عدة بالمؤلفة نفسها .

هذه الشخوص وغيرها تحيك خيوطها القصة المتشابكة والمعقدة التي لا تلبث ان تحل في النهاية . وللمؤلفة اسلوب مباشر ، رشيق وسريع . وربما كان القارىء الفلسطيني والعربي ، والمطلع على الاحداث الاخيرة في الشرق الاوسط بوجه عام ، يجد الرواية اكثر امتاعا لانه سيعرف الكثير من الشخوص والاحداث ولانه سيجد نفسه امام قصة عاشها كل واحد منا. واذا كان لي من مأخذ عليها فهو انه ربما كان يجب على المؤلفة ان تسعى الى التوسع في تطوير بعض الشخوص لتأتي اكثر اكتمالا . وكان بامكانها ان تفعل ذلك دون ان تفقد الرواية حيويتها وتماسكها .

رجا جورج

تعقيب على الملاحظات الواردة
حول مقال صحافة المقاومة في عشر سنوات

في العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » أورد الاخ عبد القادر ياسين بعض الملاحظات على مقالي عن صحافة المقاومة ، وتقديري ان الاخ عبد القادر لو تمعن قليلا في المقال ولا سيما الاسطر الاولى منه ، لما وجد حاجة لملاحظاته التي سماها « تجاهل صحف المقاومة في الداخل » . ففي العمود الاول من الصفحة الاولى من المقال ، ترد الفقرة التالية : **« في البداية لا بد من التمييز بين نوعين من صحف المقاومة ظهرت في هذه الفترة : ١ — صحف سرية ، وتشمل صحف المقاومة السرية التي صدرت في الاراضي العربية المحتلة وفي بعض البلدان العربية في فترات متفاوتة ، وهي خارج نطاق البحث في هذا المقال . ٢ — صحف ونشرات علنية أصدرتها منظمات فلسطينية في فترات مختلفة ، وهي موضوع البحث هنا ، وتشمل فقط تلك الصحف او النشرات التي صدرت خارج الاراضي العربية المحتلة »** .

ان هذه الفقرة توضح أنني حددت اطار البحث بالصحف العلنية فقط ، وتركت لباحثين آخرين أو لمقالات لاحقة مهمة الكتابة عن الجوانب الاخرى من صحافة المقاومة ، وحددت ذلك في مقدمة المقال حيث قلت **« ان الحديث عن صحافة المقاومة خلال السنوات العشر الماضية حديث طويل ومتشعب ، ويشمل موضوعات عدة ، لا يمكن الاحاطة بها جميعا ، ولو من باب التعريف الاولي في مقال واحد »** . ولا أخال الاخ الملاحظ يطلب مني أن يتسع مقالي — الذي زاد عن حجمه المقرر — لكل هذه القضايا ، فعندها لا يصبح مقالا بل كتابا ضخما .

وعليه ، فلعل الاخ عبد القادر يدرك انه لم يكن هناك « جهل أو تجاهل » بصحف المقاومة في الداخل ، ولا « استصغار » من شأن المقاومة داخل الاراضي العربية المحتلة ، بل ان هناك ادراكا ان هذه الصحف يجب أن لا يمر عليها مرور الكرام بالتعريف بها بذكر أسمائها فقط ، وانه يجب أن تعطى حقها من البحث والتعريف الشامل بها ، لانها صحف مقاتلة وتعمل في ظروف صعبة وغير عادية كحال كل النشاطات النضالية السرية .

غازي الخليلي

ثقافة

الياس خوري

ديوان ابراهيم

بصدور الطبعة الجديدة شبه المتكاملة لديوان الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان، تتقدم الدراسات النقدية على أرض أكثر صلابة. فالتراث الشعري الذي كان شبه ضائع لعبد الرحيم محمود، صدر مؤخرا في ديوان واحد. والان يصدر اكثر شعر طوقان في ديوان واحد. يبقى شعر عبدالكريم الكرمي (أبو سلمى) بحاجة الى الجمع في كتاب، حتى تكتمل صورة مرحلة شعرية كاملة، طبعت بدايات الصوت الشعري الفلسطيني بطابعها في الثلاثينات والاربعينات ولا تزال الى اليوم فاعلة ومحركة ومؤثرة. فالصوت الشعري الفلسطيني، حمل في هذه المرحلة، قضية الشعر الى جانب قضية الوطن، ومزجهما داخل نبرة كلاسيكية وظيفية، استطاعت ان تحمل المؤشرات الاولى للتطور اللاحق الذي عاشه الشعر الفلسطيني الى اليوم.

أهمية طوقان هي، كما يشير احسان عباس في دراسته القصيرة المنشورة في آخر الديوان، في كونه « أكبر شاعر أنجبته فلسطين حتى اواخر العقد الرابع من هذا القرن ». وهو ككل شاعر كبير، حمل داخل قضية الشعر وجهة متماسكة طبعت جميع مراحل انتاجه الشعرية. فروح النكتة والنثرية البليغة، حين تدخل الشعر، فانها تطبعه بنكهة خاصة، سوف تكون مؤشرا لمحاولات طوقان التنويع داخل عمود الشعر الكلاسيكي على بنية القصيدة، ليفتح فيها، انطلاقا من النشيد السياسي، فجوات تقربها من الموشح، وتفتحها على امكانيات كسر العمود التي تمت لاحقا.

الاساسي في شعر طوقان، هو هذه القدرة العجيبة على الوصول الى ذروة الاهتمام بالوطن. فالوطن، يبقى موضوعا للشعر، أي تبقى القصيدة الكلاسيكية عاجزة عن احداث فراغات في داخلها، تسمح للمكان الفلسطيني بالاقامة فيها. لكنها في المقابل، حين تنوع على موضوع الوطن، تحوله الى هاجس من طبيعة سياسية فنية، وتقوم بتوحيد عناصرها، داخل التلقي الجماهيري الواسع. هذا التلقي هو موحد عناصر القصيدة المفككة بوصفه فعلا آنيا ومباشرا. تأخذ آنيته معناها من كونه يتحلق حول موضوعات محددة، حول تفاصيل تعيشها الحياة السياسية الفلسطينية في فترة مقدمات الهزيمة. أما مباشرته، فهي في قدرته على احداث اثر واضح المعالم، بشكل مباشر. انه صدى الحركة الوطنية. يحول مشاعرها وافكارها الى ايقاعات تنبع من الذاكرة. فيجري مزج ايقاع الذاكرة، بآنية الحدث الواقعي، في معادلة الاثر السياسي المباشر للشعر. تصبح المقدمات الفكاهية، وشعر المجون ثم شعر الحب، مجرد مقدمات للوصول الى صوت فلسطيني شعري، له ملامحه الخاصة، استطاع من خلال هذه الملامح مزج موضوعتي الوطن — الارض، بالنضال، داخل سياق قصيدة الموضوع الواحد، التي تضيء مناطق الحس الشعبي دون ان تصهرها.

« هو بالباب واقف	والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصف	خجلا من جراته »

حول رمز الشهيد، بدأ طوقان، يمزج الوطن، بالفعل المغير. فالشهيد هو الوطن المتحرك الذي يصل الى الموت طلبا للارض. فالحملة التي قادها

---

* ابراهيم طوقان: **ديوان ابراهيم**. دار القدس، بيروت. شباط ١٩٧٥.

طوقان ضد بائعي الاراضي ، لم تكن تعني سوى فتح الباب امام الفعل النقيض . التحرك نحو الالتحام بالارض . فحين تركز قصيدة طوقان على مفهوم « الوطن » فهي ترسم اشارات لمعنى الالتحام بالوطن ، كما في قصيدة « الثلاثاء الحمراء » : هنا يتحول الشعر الى نشيد ، لا هدف له سوى التحلق حول فعل الموت ، والوصول من داخل هذا الفعل الى الثوابت الجديدة لحركة النضال الفلسطيني :

«انا ساعة الرجل العتيد   أنا ساعة البأس الشديد
أنا ساعة الموت المشرف كل ذي فعل مجيد
بطلي يحطم قيده   رمزا لتحطيم القيود »

في « الثلاثاء الحمراء » ، حاول طوقان لونا شعبيا غنائيا . أراده نشيدا ، ينقل الاحساس الشعبي ، ويصبه في قالب شعري ثم يعيده ليصنع من جديد على لسان الناس . الشاعر هنا ، ينظر الى الموت ، بوصفه حدثا اجتماعيا — سياسيا . فالموت هو ارادة تغيير تلتقي بارادة الله ، او هكذا فهمت الشهادة . والوطن هو نشيد تتنوع انغامه في بساطة ودون تعقيد .

ان روح الفكاهة التي تجلت في شعر طوقان ، لا تغيب عن اية دراسة جادة لشعره . فالفكاهة ، في اخر المطاف ، تخدم هدفا سياسيا . طالما كان هذا الهدف هو المحرك الاساسي لمرحلة تاريخية تميزت بالانتفاضات الجماهيرية المستمرة . فهي مع أشعار المجون (التي لم تنشر في هذا الديوان تشكل خلفية محاولات طوقان لبناء القصيدة الوطنية المتكاملة .

مع شعر طوقان ، نعود لنتذوق ، بعض معاني الكلاسيكية النضالية ، التي تأخذ معناها الفعلي في الشعر المعاصر الذي يتجاوزها . فمن خلال تجاوز هذه التجربة ، تؤشر مرحلة البدايات الشعرية على اصالتها . بوصفها بداية لا يتطور منها الشعر ، لكنه يبقى مخلصا لبعض نقاط انطلاقتها .

لغة الحلم والاحتمال

في « الاخضر بن يوسف ومشاغله » ، كان سعدي يوسف لا يزال يتابع بحثه عن لغة الواقع التي تغتسل بشفافية الرؤيا الغنائية ، متجاوزة اياها الى محاولة طرح لغة القصيدة بوصفها مدخلا الى العالم ، تعيد توحيده في سياق شفافية التعامل مع الاشياء التي تصبح هنا موحدة وممتلئة بالشعر . ففي قصيدة « البحث عن خان ايوب ، في حي الميدان بدمشق » ، يرتفع التساؤل مصحوبا بعالم يتداخل في جسد الشاعر ، ومنه الى لغة الشعر ، فتصبح القصيدة علامة لتوحيد الشاعر بالشعر . أي يرسم الافق اللغوي علاماته داخل جسد الشاعر الذي يصبح جزءا من بنية القصيدة ، وتتحول شفافية اللغة الى شفافية العالم ، فتصبح انعكاسا رؤيويا للعالم ، ترسمه وتعيد صياغته من موقع تفتيت عناصره واعادة ربطها داخل بنية القصيدة ، التي تصير جزءا من العناصر المستقبلية التي يفرزها جدل الواقع الموضوعي :

« تساءلت حين دخلت المدينة عن خان أيوب
ما دلني احد
فالتففت ببعضي ونمت » .

وفي مجموعته الشعرية الجديدة « تحت جدارية فائق حسن » . يتابع سعدي يوسف خط بحثه الشعري ، يرسم لغته الشعرية من داخل عناصر الواقع الاكثر بساطة ، ويستعين بالحدث ليحقق استدارات القصيدة . فتصبح القصيدة لحظة ، او استجماعا للحظات متتالية ، يوحدها الحلم الواقعي ، والاتكاء على قدرة الشاعر في غسل لغته اليومية وجعلها بيضاء ومنحنية ، عبر استدارات غنائية تحقق ترابط عناصر الحلم ، حتى

سعدي يوسف : **تحت جدارية فائق حسن** ، دار الفارابي ، الطبعة الاولى ، بيروت ، آب ، ١٩٧٤ .

ليبدو وكأنه قطعة من الحدث اليومي لم يقم الشاعر الا بالتقاطها . هنا تقع الاضافة الاساسية التي يحققها هذا الشعر . فهو لا يقع في مأزق «واقعية» الخمسينات ، حين كانت البداية في رحلة التمرد على عمود الشعر بوصفه شكلا . وكانت القصيدة « الواقعية » مجرد التقاط لبعض عناصر الواقع الاجتماعي — السياسي ، وربطها في سياق ايديولوجي مكشوف ، ومحدد الغايات . حيث اللغة حادة الاطراف ولا تحتمل اي انحناء ، وحيث عناصر العلاقة الاساسية تأتي من خارج القصيدة. فالعلاقات التي ترسمها القصيدة ، هي مؤشرات على علاقات « الواقع »، ولا تتضح تأشيريتها الا داخل لغة سياسية واضحة، تستعيد الشعار وتعيد صياغته في هاجس تحريضي . هنا تستقيم المعادلة في طرفين واضحين . البداية والنهاية ، الشعر وتلقي الشعر . وتنسحب احتمالات بنية اللغة نفسها لتتحول خيطا رفيعا وحادا لا يحتمل التأويل . سعدي يوسف ، يبقى واقعيا بالمعنى النقيض لهذه الواقعية البسيطة . انه مليء بالاحتمالات والجدل ، كحركة الواقع ، لا يكررها ، بل ينتقي عناصرها ويعيد صياغتها داخل القصيدة. فتبقى القصيدة شفافة كمياه هادئة ، نعتقد للوهلة الاولى انها ليست اكثر من انعكاس للواقع في احداثه اليومية . لكننا نكتشف بعد حين عمق الماء الذي يعكس والذي يعيد في حركته صياغة ما يحاول كشفه .

لغة الحلم واشارات الواقع

« تحت جدارية فائق حسن » ، محاولة اخرى لمزج اللغة بالحلم . الدلالة واضحة العناصر ، لا تبحث عن عمق خاص او تعقيدات في التجربة . انها التجربة المباشرة وقد لبست لغة الحلم . هنا تصبح الدلالة احتمالية ، فتتركب عناصرها من اكثر من مصدر واحد ، تكتشف سلسلة من المواقف المتداخلة ، التي هي التعبير عن حركية الحلم داخل الواقع :

« منذ ان كنا صغارا عرفناك ، في وطن ، انت سميته . . .

في رجال تخيرتهم كالبداهة . . . كالمنتهى . . . نحن لم نحتكم ،

والبنادق والعشب لم تحتكم مرة ، والطريق

التي جئتها لم
تمل . . . انها السالكون » .

في الجملة المستديرة ، التي تتركب منها القصيدة الاولى في المجموعة « نحن لم نحتكم » ، محاولة للوصول الى جملة شعرية مفتوحة ، فالفواصل التي تقيمها القافية ، هي استدارات داخل جملة واحدة ، تحمل احتمالات عديدة لموقف واحد . فالتشبيه البسيط الذي يبدو من خلال الاكثار من ادوات التشبيه ، كالبداهة ، كالمنتهى ، هو تشبيه تجريدي ، لا يأخذ مدلوله الا داخل حركة العناصر ، فيمتزج العنصر الانساني بالطبيعة ، البنادق بالعشب ، ليؤشر الى الطريق التي لم تمل « انها السالكون » . هذه العناصر المتعددة حين تمتزج تؤدي في بساطتها الى اكثر من امكانية دلالة شعرية . فدلالة الشعر هي في ما يقوله وليس في معنى ما يقوله . هذا الافتراض ، لا يتحقق الا داخل استدارة الحلم في جسد العناصر الواقعية ، وحين يختار سعدي يوسف بساطة اللحظة الانسانية ، يبحث عن اعماقها ، فلا يبقى اسير الخط الواحد ، يصبح الواقع اشارات لا تنتهي داخل دلالة اللغة الشعرية التي تعيد تنظيم الدلالات بوصفها احتمالات فعل .

اما حين تأتي الغنائية المباشرة ، كما في قصيدة « في تلك الايام » ، فانها تأتي داخل ايقاع متوتر ، يلتقط ادق التفاصيل ويمزجها ببعضها ، ثم يزاوج بين اكثر من مصطلح ايقاعي واحد ، يعود الى اشكال الشعر الشعبي ليستعير منها ابتاعاتها ، ويصل بشكل مباشر الى الرسالة السياسية التي تقع خلف القصيدة :

« او لم تتطوع في مدريد ، اما قاتلت وراء ،باريس

الثورة في بتروغراد ، ألم تقتل في اضراب النفط » .

لكن لغة الرسالة السياسية ، لا تسقط في برودة الشعار المباشر ، تبقى في غنائيتها طموحة للوصول الى توفير جميع تفاصيلها ، فنعي التفاصيل ونحن ننساها ، وتصبح اللحظة الشعرية ، لحظة حركة كأنها حلم ، يستجمع عناصر الواقع بوعي ويعيد سكبها من جديد .

الحدث والايقاع

في قصيدة « أوراق من ملف المهدي بن بركة » ، وهي اهم قصائد المجموعة ، يحمل الشاعر الاحداث التفصيلية في رؤية للقصيدة المركبة ، نادرة ومذهلة . هنا تأتي التفاصيل دقيقة وتفصيلية ، لكنها تختلط ببعضها . فالقصيدة تضرب السياق ولا تمس التفاصيل ، فتصبح دلالات التفاصيل مضاعفة . او انها تتحول عن دلالاتها بوصفها اجزاء ، او كلا يوميا ، لتصبح كليتها من نمط اخر . فشخصية المهدي بن بركة ، تختلط بشخصية الشاعر والقارىء معا . الشاعر يمتزج بالبطل القتيل ، وفي امتزاجه يفترض قارئا يعيد ترتيب التفاصيل التي يسوقها بصيغة جديدة . لتكتمل معادلة القصيدة وتتركب

« في الصباح تأخر عن شرب قهوته ، ظلت الغرفة

الجانبية مغمورة بالضياء الى الفجر ... هل كان

يقرأ ؟ باريس تفتحها شاحنات الاقاليم بالجزر

المتورد والخضرة المشبعة » .

في هذا المقطع الذي يقترب في حدثيته من لغة القصة القصيرة ،تقيم القصيدة خطا لنمط تداعياتها. فهي تتداعى في ثلاث مستويات : مستوى وصفي : يعيد وصف الفعل الانساني في حركته اليومية ، الغرفة ، القهوة ... مستوى الانتقال الموضوعي: وصف حركة الخارج التي لا تمس بن بركة — الشاعر — بشكل مباشر ، ولكنها تصنع عناصر المدينة . ومستوى العالم الداخلي : الموت ، النضال ، الذي يوحد المستويين الاولين في شفافية مذهلة في قدرتها على مزج اللحظات :

« مترقدا بين انكسار الضوء والحجر القديم

يداي موثقتان خلفي

دارت الاسماك حولي

كنت ألمح في التماعهما السماء » .

هذا التوحيد ، يتم في سياق القصيدة الحديثة التي يصر سعدي يوسف على استعمالها ، فتصبح وكأنها الاطار الذي تبحث فيه قصيدته عن نفسها عمقا .

هكذا يتقدم الحدث لولبيا ، انه ليس تراكما للزمن ، انه تراكم الزمن في القصيدة . وهذا ما يميز الشعر عن لغة الايصال المباشرة . لذلك تصبح لغة الشعر بحثا عن اللغة ، وليست صيغة جاهزة . وتأتي الصورة في عناصرها البسيطة امتدادا لمحاولة اكتشاف الزمن المتحرك ، زمن الجدل في القصيدة . فتصبح دلالة الصورة الشعرية ، دلالة رؤيوية مباشرة . انها لا تقيم توازيات من خارج السياق المثلث الذي اشرنا اليه ، فهي امتداد للعناصر الثلاثة التي تتكون منها القصيدة بشكل عفوي وواضح :

« والرباط قريبة :

اسوارها الصفراء تدنو وهي تهبط

ثم تدنو وهي تهبط

ثم تدنو وهي تهبط

كانت الاسوار اشجارا واطفالا وماء » .

هذه التداعيات المائية، تأخذ الصورة الشعرية، بوصفها امتدادا لماء النهر الذي يغرق فيه بن بركة والشاعر ، لذلك تصبح الاسوار صورة لابسط عناصر الطبيعة ، الشجر والماء ، وللمستقبل ، الاطفال . وتتقدم القصيدة كسلسلة مواقف في لحظة الموت ، وكأن الحدث الذي تجري صياغته هو استجماع للحظة الموت حين تصبح رمزا سياسيا .

الايقاع ، داخل بنية القصيدة

تأتي بنية القصيدة في هذه المجموعة ، وكأنها سيل بلا ضوابط . لكن عنصر الضبط الخجول ، الذي يتحكم بها ، يقع داخلها ، في استدارة الحدث الذي يربط مفاصل القصيدة ، وفي الحالة التي توحد عناصرها المختلفة . فتأتي القصيدة وكأنها انسياب يمزج بعض عناصر الذاكرة الشعرية الحديثة ، بنفس مأساوي ينساب داخل ايقاع بسيط وهادىء . يلجأ الى التكرار احيانا ، او يمتد في رؤية تحاذي الرومانسية دون ان تسقط فيها ليحاول اكتشاف العالم :

« فالعشب بين الصفرة والنجم البارد ... طال

والليل المتطاول طال

والشعر على الناصية الثورية طال

يا سيدة الزمن المثقل …

فلمن اقرأ حتى الان كتابا أول ؟ »

خلف استدارات الحدث الـذي يصيغ بنيـــة القصيدة ، يقع ايقاع هادىء ، يقترب من لغــة النثر ويحاذيها ، ينساب ببساطة تجعله يسقط في بعض الاحيان في الحدث نفسه او يرصف جملا الى جانب بعضها كما في قصيدة « نجمة سبارتاكوس ». دون ان يتقدم الايقاع ، ومع انفلاشات لا مبـرر لها لبنية القصيدة ، فيعود الموضوع هنا موحدا ، وليس عنصرا خفيا داخل السياق كما في قصيـدة « اوراق من ملف المهدي بن بركة » . هذا التأرجح الذي يظهر في بعض القصائد هو ضريبة الانتقـال بمفهوم القصيدة نفسه من كونها سلسلة معان الى تحولها الى مجموعة مواقف تحتضن الواقع وتعيد صياغته .

في مجموعة سعدي يوسف الاخيرة ، نتابع معاناة البحث عن القصيدة الجديدة ، التي تعيد صياغـة الواقع الشعري ، وتعيد الى الكلمة دلالتها كجزء من السياق الذي لا ينفذ في قراءة واحدة .

اقبل الزمن المستحيل

يستعير ممدوح عدوان لنفسه صوت النبوة ، فهو في مجموعته الجديدة « أقبل الزمن المستحيل »، يضع صوته الشعري داخـل انهيـارات الزمـن العربي ، ليكتب مرثية للزمن الذي يتعامل معه من خلال مستويين : مستوى داخلي ، وصفي ، حيث يحاول التقاط محاور هذا الزمـن ، فجيعيتـه ، وانهياراته ولا ثباته . هنا تستعير اللغة الشعرية جميع عناصر المحاكاة ، والوصف والتشبيه . انها تحاول ان تلتقط من خلال الظاهرة الاجتماعيـة ، محاور الواقع ، فتنغرس في تفاصيله ، تلتقطها لا لتقدم صورة عنها، بل لتضعها في المستوى الثاني، الذي يشكل مفتاح فهم التجربة الشعرية في هـذه المجموعة . هنا يرتفع الرثاء النبوي . مجموعـة عدوان ، هي محاولة لرثاء الزمن العربي ، انهـا نبوءة عكسية ، لا تتنبأ بما سيحصل ، بل بمـا حصل فعلا ، اي انها ليست مرثية شاملة ، بـل محاولة للرثاء بوصف الشعر اكتشافا واعــادة اكتشاف الواقع . بين هذين المستويين ، تتشكـل قصائد المجموعة في صوت واحد ، وموضوع واحد، ينوع اشكاله ليخلص الى نتيجة واحدة . من هنـا ضمور البحث التشكيلي ومحاولة اقتـلاع عناصر تراثية ووضعها في صيغ جديدة . هذه العـودة الى رموز التراث ليست عودة رمزية ما عـدا في قصيدة واحدة ، حيث يركز الشاعر على وضعيـة احراق السفن في زمن طارق بن زيـاد . الرمـز هنا غائب انه مجرد اشارة ، تلتقط الذاكرةالتراثية الشعرية ، وتقوم بوضعها داخل شروط جديدة . من هنا تكتسب الاشارات الرمزية في القصيدة دلالة آنية تأخذها من سياقها الشعري الجديد وليس من مضمونها التراثي . لكن هذه الدلالة ، لا تتحـرر في المقابل من شروط استخدامها الجاهز ، لذلـك يختلط زمن الذاكرة بالزمن المعاصر الذي تحـاول القصيدة صياغته ، وتقع على صراخ حـاد ، نكتشف في داخله صوت الشاعر الذي يقف علـى مشارف النبوة دون ان يصيغ لغتها .

زمن الفقراء

« يشهر السيف جوعي ، وخوفي تمزق

كيف اخبىء سيفي وجوعي معي ؟

والطريق استحالت صحارى » .

زمن الفقراء، هو زمن البداية في هذه المجموعة. صوت الشعر ، هو محاولة للوصول الى التعبيـر الحقيقي عن الحزن والالم ، انطلاقا من هذا الجوع الساحق ، الذي يحول الارض الى صحارى في زمن هش ومليء بالفراغات . بين فراغات الزمـن ، الهزائم ، يرفع الفقراء صوتهم النبوي . وصوتهم هو في النهايـــة ، صوت الطريق الى الخـلاص الاجتماعي الحقيقي ، فهم الذين يحملون الوطن

ممدوح عدوان : **أقبل الزمن المستحيل** . منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الطبعة الاولى ، تشرين الثاني ، ١٩٧٤ .

على اكتافهم ودمائهم ويسيرون ، والفقراء الذين يحملون سيفهم هم الـذين يقاتلـون ، عندهم « يستوي الامر » ، لان « للموت حجته الواحدة ».

زمن الفقراء يتكون بين « الانا » و « الفعل » . جملة عدوان الشعرية ، تبدأ هكذا . بين « أنا » الشاعر — الصوت . وفعل الامر او العالم حين يتحرك بوصفه فعلا . والنبوءة العكسية هي علاقة « الانا » بالفعل — الواقع » . في هـذه العلاقة يصبح القول الشعري ، خلاصة للحركة ، والحركة هي الاخرى حركة عكسية . انها حركة الماضـي القريب :

« كل نبع يحاصر
لم يبق للشرب الا الدماء
من ضفاف المحيط الى كربلاء
وحدنا فوق رمل البلاء هوينا
انتفخنا على الرمل حتى انفجرنا عفونة » .

هذا المقطع الشعري من قصـيدة « سيأتيكم زمان » . يلخص معنى النبوءة العكسية في هذا الشعر . انه يصف ، يلتقط عناصر الطبيعـة ، يمزجها بعناصر الواقع (نبع يحاصر) و (الدماء)، ثم يلتقط رمزا تراثيا (كربلاء) ليجعلـه مفتاحـا لفهم المأساة الجديدة . واذا كانت أنا النبوءة لا تظهر هنا ، فهي مضمرة داخل ايقاع هذا المـزج المركب من العناصر الذي يشـير اساسا الـى دلالتها . فتتوحد الازمنة في زمن السياق ، ويصبح زمن الفقراء ، هو زمن الرؤيا المأساوية المطبقـة على الواقع العربي ، بوصفه تململا ومحـاولـة فعل . عند نقطة التسلسل والفعل هذه يكتشـف الصوت النبوي ارضيته الواقعية . انها تتمثـل أساسا في ارادة القتال التي يحملها المقـاتـل الفلسطيني بوصفها رمزا ، او تجسيدا للصـوت النبوي الذي يستعيره الشعـر . ففلسطين هـي « العلامة الفارقة » التي تطل « وسـط جبين الوليد » . مستقبل النبوة هي الفعل الثوري . هذا الفعل يتحقق عيانيا ولو بشـكل تأشيري ، انه علامة المستقبل . لكن هذا التوق الى الانغراس في المستقبل واكتشاف ارضية حركته ، لا يتنـازل عن مأساوية الموت ، لذلك يستعيد الشعر صوت الحكمة الغريبة . يرسم حكمة جديدة منتقاة مـن عناصر الواقع ، او يعود الى الامثـال ليعيد كتابتها داخل القصيدة . فتأتي الحكمة تعبيرا عن — انا — الشعر ، لتنقذ الفعل والوصف ، مـن الغرق في تفاصيل الواقع الذي يتحول الى سلسلة كوابيس :

« ليس بين الوباء ، وبين الوباء سوى الاوبئة
المياه تجن ، وبرقك لا يتكشف الا عن الموت » .

زمن الفقراء ، هو زمن القصـيدة . مبنيـة القصيدة ، التي تراوح بين مستويين ، تسمـح لصوت الشاعر بالامتداد افقيا ، فهو يطال الكثير من عناصر الواقع ، يرثيه ويشتمه . ويجلس على اطراف النهايات ، مترقبا ، في لحظة يأس وموت وأمل . هذه المتناقضات التي تعبر عنها القصيدة ، تبقى على مستوى اللغـة الشعريـة ، منبسطة ومحددة . اي لا تقوم بنقل اوجاعها الحقيقية الـى القول الشعري ، فتعيد تشكيله . اي ان القصيدة تقيم تفاوتا بين النبوءة والشعر. النبوءة هي محاولة للوصول الى نهايات العلاقات ، الى تحولاتهـا الدائمة ، الى ثقوب الزمن الـذي ترشح منـه الهزائم . والشعر لا يزال حاد القسمات . يعامل الكلمة بوصفها حدا ، لا يشكلها ، لا يمزج مجموعة الكلمات في جملة شعرية جديدة ، تكون جوابـا فعليا على طموحات النبوءة التي يحملها الشـاعر في محاولته هذه . ان هذا التفاوت الغالب في بنية القصيدة هو محاولة لاستكمال بعض عناصر المزج الحاد بين لغة الشعر ولغة الايديولوجياالسياسية. بين اللغتين اكثر من قاسم واحد ، لكنهما يفترقان عند نقطة الدلالة . فبينما تحاول لغة الايديولوجيا السياسية الوصول من خلال عناصر الجملـة الواضحة الى ايصـال يبدو بريئا وهـو مليء بالمسبقات ، تحاول اللغة الشعرية الوصول الى كشف تناقضات المسبقات علنا ، عبر محاولتهـا تخطيء السائد والمتعارف عليه والمصطلح الجاهز. في شعر عدوان ، محاولة لهذا الخروج ، لان زمن الفقراء ، هو وحده القادر على الوصول الى هذه المعادلة الفنية الجديدة . لكن هذه المحاولـة تصطدم دائما بسرعة القصيدة . وسرعتها بالمعنى المحدد للكلمة ، اي ارادتها في استباق نفسهـا للوصول الى نتائج وضعتها سلفا ، تعطل امكانية التشكيل والمزج والوصول الـى ما تريده مـن نبوءتها .

صوت الفقراء ، الذي تحاول هذه المجموعة رسم بدايات ملامحه ، هو صوت متفجر ،فالقصيدة هي بركان ، لا يكتفي بالرصف الوصفي ، بل يحاول الانفجار بشكل دائم ، ليغسل العالم .

انه رديف الفعل الثوري . لذلك تقف مجموعة عدوان على مشارف البشارة . تحمل التزامها الحقيقي وتبحث لصوتها عن مؤشرات اضافية ، تعطيه ملامح المستقبل .

حول المحاولة الروائية

— ١ —

تقدم الرواية العربية ، نموذجا لحالات البحث عن الذات ، التي يحاولها الادب العربي. فهي أكثر الفنون انكشافا على الواقع واغترابا عنه في آن : يأتي انكشافها من طموحها الدائم ، لتصوير الواقع ، عكسه بطريقة ما ، عبر استعادة علاقاته. انها تحاول التقاط الشخصية واستنطاقها، دفعها الى التحرك داخل شبكة العلاقات الاجتماعية . اما اغترابها ، فهو وليد معاناتها الشكلية . انها لا تزال رغم انجازات محفوظ والطيب الصالح وغيرهما ، مجرد محاولات للتجاوز. فتجربة محفوظ « الواقعية » لم تعد مقنعة ، بل هي نفسها تحاول الخروج من الاطر التي رسمتها لنفسها في « الثلاثية » . هذا الخروج هو في البداية محاولة وصول الى التجريب الذي لا يستطيع الاستقرار في خط واحد . لذلك فهي عندما تحاول عكس الواقع تغترب عنه . فالواقع ليس في العلاقات المكشوفة ، انه العلاقات التي تحدد مسار العلاقات المكشوفة . هذه العلاقات لا يمكن الوصول اليها ، عبر لغة عادية . اللغة العادية ، أي لغة الوصف هي شرك ايديولوجي ، انها وعاء جاهز يحمل ثوابت النظرة الايديولوجية الى الواقع.

انه غطاء العلاقات الحقيقية ، يحجبها ويشرط النظر اليها داخل سلم من القيم الاخلاقية والاجتماعية . وكذلك لا يمكن الوصول الى هذه العلاقات في بنية انسيابية ، تطورية . فالنظرة التطورية التي ترسم حركة الشخصيات بوصفها حركة ارادات فقط ، تكشف عن عقدة الرواية التي لا يمكن حلها الا داخل احتمالية المنتظر . والمنتظر في عرف التلقي هو الجاهز الذي لا يمكن اختراقه . النظرة التطورية التي جاءت وليدة لعصر السيطرة البرجوازية المطلقة ، تنهار اليوم ، مع انهيار هذه الطبقة ، وانحدارها وانحطاط قيمها ، التي اصبحت مجرد غطاء شفاف لمارسة القمع الاجتماعي . التطور المتناسق ، هو وليد ثبات اجتماعي نسبي . أو بتعبير أدق، هو وليد نظرة ثابتة الى هذا الواقع الاجتماعي ، وهو بهذا المعنى ، لا يمكن ان يكون واقعيا ، رغم وجود شخصياته المقنعة داخل الحقل الروائي .

هذان المأزقان : مأزق اللغة الوصفية ، ومأزق العلاقات التطورية ، هما التعبير الواضح ، عن مأزق الرواية في العالم . لكنهما في حقل الثقافة العربية ، يبدوان أكثر انكشافا . فالرواية لا تزال فنا ، جديدا وسريع العطب . انها لم تؤسس بعد قناعات ثابتة جديدة ، تعقلنت واصبحت مقياسا يجب كسره . من هنا هذا السياق المترجرج لخط التطور الروائي العربي . تتناوب جميع عناصر الرواية الغربية ، في احتلاله ، دون تغليب مقدمات هذه العناصر . أي يكتفي فقط بالانجاز الجاهز ، ليجري تطبيقه تجريبيا ، فيقع الكاتب الروائي ، ضحية نتائجه التي لا يستطيع صياغتها ، لانه لم يكشف من داخل كتابته اطارات خاصة تسمح له بالتعبير عن خصوصية التفتت الاجتماعي العربي ،

---

١ — غادة السمان : **بيروت ٧٥** . دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٧٥ .

٢ — عبد الرحمن منيف : **شرق المتوسط** . دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٧٥ .

٣ — توفيق فياض : **المجموعة ٧٧٨** . دار القدس، بيروت ، بالاشتراك مع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الطبعة الاولى ، تشرين الاول ١٩٧٤ .

فيبقى ممزقا ومكشوفا ، بين مثال يضعه وبين واقع يحاول وصفه .

قد تكون الصورة ، التي رسمناها ، لاطر تحرك الرواية العربية بالغة القتامة. وهي بالفعل هكذا. انها محاولة لتصور المأزق المجدد الذي يطوق الممارسة الروائية ، ويمسك بتحركها المفصلي . غير ان هذا لا يمنع بعض المحاولات الروائية ، من اختراق هذه الدائرة . هذه المحاولات ، تبقى رغم عزلتها وعدم استمراريتها ، منافذ استطاعت الممارسة الاجتماعية بمعناهـا الثوري ، فتحها داخل الممارسة الادبية . هنا تأتي بعض الامثلة لتؤكد على صحة الموضوعة . فاذا كان كنفاني قد استطاع في بعض نتاجه الروائي ، ان يصل الى بدايات صياغة رؤية نضالية داخل الحقل الروائي ، فانه قد أكسب الممارسـة الفنية انجازا بالـغ الاهمية . هذا الانجاز هو أساسا توليد الواقع مأسويته من داخل حركته . هذا التوليد الذي يقدمه الواقع الفلسطيني — واقع النزوح والانتفاضات الثورية ، تجري محـاولة غرسه كحركة داخـل الرواية . دون ان يعني هذا ان كنفاني استطاع التحرر من مسبقات اللغة او التطور ، لكنه حاول اختراقها بالحكمة الشعبية (ام سعد) او بمحاولات التوازي (الاعمى والاطرش) . نستطيع ان نسوق العديد من الامثلة الروائية على محاولات الاختراق، وعلى ابراز التفاصيل الحقيقية كعالم روائي (ايام الانسان السبعة) . لكن هذه المحاولات هي جزء من معادلة عامة . التجريب المستمر ، دون القدرة على الوصول الى ثابت يصلح ان يكون منطلقا ، فنبقى في حدود المحاولة، ونرسم اطارات التساؤل.

— ٢ —

تصلح هذه المقدمة العامة ، كأساس لمناقشة ثلاث روايات عربية صدرت في وقت واحد تقريبا ، وقاسمها المشترك ، ليس في موضوعها ، فكـل رواية هي عالم مستقل بنفسه ، ولكن في الثابت الايديولوجي ، الذي يحكم مسارها . وهي بذلك تقدم نموذجا عينيا ، على ما حاولناه في مقدمة ، قد تبدو نظرية ومجردة .

الروايات الثلاث هي لغادة السمان ، وعبد الرحمن منيف وتوفيق فياض . في الرواية الاولى « بيروت ٧٥ » ، تحاول غادة السمان ان تقدم لوحة اجتماعية ، تتمثل فيها شرائح مـن جميع الطبقات ، لتفسخ اجتماعي انهياري تعانيه بيروت، يصل بيطلها الى مستشفى المجانين . وفي الرواية الثانية « شرق المتوسط » ، يقدم عبد الرحمـن منيف ، استكمالا لاغتيال « مرزوق » . القمع داخل السجن هو اطار الرواية ، لكن السجن هو في الداخل، والخارج . حركة السجناء وحركة الاحرار خارج القضبان ، هي حركة واحدة . تقود في النهاية الى الموت على حافة الجنون . وتقدم الروايـة الثالثة « المجموعة ٧٧٨ » ، تسجيلا لتوفيق فياض عن مجموعة فدائية تابعة لحركة فتح وعاملة في الارض المحتلة . يقدم التفاصيل وتفاصيل التفاصيل ليبقى مخلصا لدقة العمل التسجيلي الذي يقوم به . اذا كانت الروايتان الاوليان ، تشتركان في كثير من السمات . الموضوع الواحد اساسا ، وان اختلفت طريقة اكتشافه ، فان الرواية الثالثة، هي مقدمة ، ما قبل الرواية النضالية الفلسطينية. فالتوقف عند التسجيل التفصيلي ، يتصـل بلغـة الاعلام الصحفي ، اكثر من اتصاله بالادب ، رغم ان التسجيل هذا ، يستطيـع اذا اعيد تقطيعه وتعميمه ان يتحول الى وثيقة نادرة .

ان معالجة ثلاث روايات ، لا تنتمي الى موضوع واحد ، او لا تجمعها مدرسة ادبية معينة ، هو مغامرة . لانه قد يبدو كلاما لا معنى له ، لكن هدف هذه المعالجة النقدية ، هو التقاط المفاصل ، التي تجعل من مسيرة الروايـة العربية ، مسـيرة اغترابية . وهذه الروايات لا تؤخذ هنـا ، الا بوصفها مؤشرات .

— ٣ —

« بيروت ٧٥ » ، هي محـاولة لكتابة رواية متوازية . الشخصيات الرئيسية ، لا تلتقي الا سلبا . فرح وياسمينة ، يلتقيان لحظة السفر من دمشق الى بيروت . ثم يفترقان . يعودان الى الالتقاء من جديد بشكل سلبي من خلال اطارين : الطائرات الاسرائيلية المغيرة على بيروت . فـرح يفاجأ بموقف اللامبالاة في شارع الحمراء وياسمينة تبتعد عن جسد نمر وهي معه في يخته ، ثم يشرح لها ان هـذه الطائرات ليست سـوى لتخويف الفدائيين . فتقترب منه من جديد . ويلتقيان من خلال علاقاتهما . فرح القادم من « دوما » الى بيروت بحثا عن الشهرة ، ويصبح نجم غناء بفضل قريب له شاذ جنسيا هـو نيشان ، المليونير .

وياسمينة القادمة بحثا عن الشعر وجسدها تقيم علاقة عاطفية منهارة سلفا مع نمر نجل احد الزعماء التقليديين. وحين تنهار علاقة ياسمينة بنمر، وتنهار شخصية فرح يلتقيان من خلال علاقة نيشان بنمر ولا يتعرفان على بعضهما الا بعد مقتل ياسمينة على يد شقيقها، غسلا للعار، لانها لم تعد تستطيع ان تدفع له. أما اللقاء وجها لوجه قبل موت ياسمينة، فقد حصل على مائدة نيشان، دون ان يعني احدهما شيئا للاخر. ففرح كان على شفير الجنون، وياسمينة كانت على طرف الانهيار.

الى جانب هاتين الشخصيتين الرئيسيتين هناك ثلاث شخصيات أساسية في الرواية : صياد الاسماك ابو مصطفى وابنه مصطفى. هنا نتعرف على نتف لها قيمة دلالية فقط من حياة الصيادين البائسة. قليل من التفاصيل تأتي من عالم البحر الرحب والشاسع. نقطة الالتقاء الوحيدة مع بقية شخصيات الرواية تأتي من خلال مستويين : المستوى الاول هو علاقة مصطفى، الذي يصبح صيادا لاول مرة، بالسمكة انها علاقة شاعرية. لا يحب قتل الاسماك. ينظر الى القمر والى السمكة. ويكشف عن علاقتهما. هذه العلاقة تتكرر عبر فرح. لكن من خلال كوابيس انفصام الشخصية التي تنتابه. المستوى الثاني هو مستوى الممارسة السياسية. فمصطفى بعد انضمامه الى احد الاحزاب — طريقة الانضمام مسقطة بشكل غير مقنع على الاقل — يصبح احد المناضلين في صفوف الصيادين ضد الاحتكاريين الذين يصدف ان يكون والد نمر احدهم.

وهناك ابو الملا، العامل في الحفريات، والذي يحمل جنسية قيد الدرس. نتعرف على بعض مظاهر حياة الكادحين من خلاله. ثم نكتشف من خلال سرقته للتمثال، تلك العلاقة الميتة، علاقة الفرح بالمحرمات، كسر الاخلاقية البرجوازية التي تؤدي الى الموت.

وهناك طعان، الصيدلي، الذي يعود من الخارج حيث أكمل دراسته، ليكتشف انه سيصبح ضحية للثأر العائلي. فيعيش حياته هاربا ومطاردا الى أن يقتل شخصا لا يعرفه، لانه اعتقد انه يتعقبه.

ونأتي في النهاية الى جنون فرح. ازدواج شخصيته. وكوابيسه المرعبة، حيث ينهار الزمن. وتصبح الاشياء علاماته الوحيدة لاكتشاف نفسه التي اضاعها. ولا ينقذه مؤقتا الا الهرب من مستشفى المجانين باللوحة التي تشير الى المستشفى ووضعها امام مدخل مدينة بيروت.

اذا حاولنا اكتشاف موحد لهذه العلاقات المفتتة، فاننا لن نجد سوى المكان. بيروت هي الموحد الوحيد. وبيروت هي هنا شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تسيطر عليها البرجوازية التجارية المنهارة. ولكن هل يكفي المكان بهذا المستوى وحده ليشكل عامل توحيد للرواية ؟ ان المقياس الاساسي الذي يجب ان يحاكم عمل ادبي على اساسه، هو افتراضات العمل عن نفسه. فروايات الشخصيات تفترض اساسا شخصيات مقنعة، وليس مجرد نماذج يمكن استنطاقها ما نريد. والشخصية المقنعة لا تتكون الا داخل تطورها نفسه وداخل علاقاتها ببقية الشخصيات، حيث يصبح التطور تداخليا. فالشخصية تضيء نفسها في علاقاتها بالشخصية الاخرى. هكذا نصل الى علم تخلقه الكتابة الروائية. اذا افتقد هذا العالم، يحق لنا ان نتساءل عندها الاسئلة الاولية. كيف تصنف هذه القصة ؟

في المكان نفسه، بيروت، تتعايش ازمنة مختلفة. التوازي في الشخصيات، يبقي هذا التفاوت الصارخ، فكيف يمكن اقامة عناصر الوحدة ؟ يمكن ان تأتي الوحدة في مستوى آخر. مستوى الكتابة. فزمن الكتابة هو الزمن المحدد لمجموعة ازمنة العمل الادبي. ماذا نعني بزمن الكتابة ؟ نعني به اساسا خلق مناخ خاص، يعارض التسلسل الذي تجري فيه الاحداث، او التي اصطلح انها تجري به، ليكشف من خلال زمنه العالم من وجهة جديدة. تختلط في هذا الزمن اللغة بالعلاقات. فاللغة هي عالم العلاقات التي يجري نسجها، والعلاقات هي لغة جديدة تتم صياغتها في رؤية موحدة، تتعدد فيها المستويات، لكنها تبقى موحدة بمعنى الوحدة الجدلية التي لا تمحو التناقضات، بل تتجاوزها الى تناقضات جديدة.

تحاول السمان في « بيروت ٧٥ » اقامة زمن كتابة موحد. لكنها أمام تفتت عناصر علاقات الشخصيات ببعضها، تلجأ الى وحدة شكلية.

وحدة اللغة . فهي تحافظ منذ البداية على لغة التشابيه الغريبة . اداة الوصف هو التشبيه منذ بداية الكتاب . ثم يتصاعد هذا التشبيه بشكل مفاجىء امـــام وصف الكوابيس الجنونية التـــي يعيشها فرح . فندخل الحلم ، ولا نخرج منه . وحدة التشابيه هي وحـــدة خارجية . فالجملـــة القصصية تحافظ على ثوابتها . اي انها تبقـــى استتباعات تطورية مـــن نمط واضح ، رغم ان التطور يكسر ولا يستكمل عناصره . داخل عنصر اللغة نفسه تحاول الرواية خلق وحدتها بطريق آخر . ففي عدد من المقاطع المتتابعة ، تستعمل المؤلفة نفس الجملة الاولى ، التي تصف مظاهر الطبيعة ، لتجعلها اطارا لحركات الابطال المتوازية. « انفجر الرعد كصرخة تهديد غامضة ... » لكن هذا الافتتاح الموحد لمقاطع مختلفة ، لا يوحد الا بمقدار ما يمت بصلة الـــى المكان . لكـــن اداة التشبيه في « كصرخة تهديد » تقود الى وحدة الحالة النفسية التي تقود مختلف شخصيات الرواية . هنا لا وجود للوحدة النفسية الا بالمعنى السلبي ، بمعنى التعرض لقمع البرجوازية الوحشي . لكن التعدد الكبير لاشكال هذا القمع ، تجعله غـــير مكشوف في النهاية . فما هـــي عناصر وحدته ؟ الاحتكار ، التخلف ، الكبت الجنسي ، الفقر ، العلاقات العشائرية ، السلطة السياسية ... نستطيع ان نسترسل في رصف هذه العناصر خلف بعضها دون ان نصل الى لحظة وحدة زمن الكتابة. تتساقط الرواية كبناء ونبقى أمام لغة غادة السمان في القصة القصيرة . فنحـــن امام مجموعة مـــن القصص القصيرة ، التي لا تتوحد الا من خارجها ، المكان ، وتقدم مجرد صرخة احتجاج على القمع.

في خاتمة روايتها ، تقدم السمان ، العديد من اللوحات الكابوسية . هذه الكوابيس موحدة ، متوترة ، مليئة بالتحدي ، رغم ان بعض صورها يذكرنا بأشياء نعرفها أو شاهدناها . لكنها محاولات أصيلة للكتابة التي تتجـــاوز المألوف ، وتكشف الحقيقة وكأنها ليست سوى احلام مجنون رغم اننا لا نشهد تطور « مطرب الرجولة » الى الجنون ، لكننا داخل جنونه نفهم عصر البرجوازية المتوحشة. « بعد ان أنهت كأسها ، أمسكت « الشاليمو » وفي بساطة أدخلت « الشاليمو » في شرياني بدلا من الكأس ، وبدأت تمتص دمي ... » هذه هي بداية ممكنة للرواية . كان يجب ان تبدأ هذه الرواية من نهايتها ، عندها ما كانت بحاجة الى التقطيـــع الطباعي، حرف أسود،لتميز بين السرد والتداعيات الخاصة بالشخصيات . وكان زمن الكتابـــة قـــد استطاع أن يكتشف موحداته .

— ٤ —

في روايته الثالثة « شرق المتوسط » ، يقدم عبد الرحمن منيف لوحة للقمع المباشر . فاذا كانت « بيروت ٧٥ » ، قد حاولت ان تقدم وصفا للقمع غير المباشر ، قمع العلاقات الاجتماعية نفسها ، فاننا هنا ، امام دائرة مغلقة . السجن هو الاطار الوحيد الذي تتحرك داخله الشخصيات الرئيسية في رواية منيف . رجب في السجن ، ووالدته واخته وحامد زوج اخته خارجه . لكنهم جميعا يعيشون داخل السجن . ليس بالمعنى الاجتماعي ، اي ليس لان القمع في الخارج هو اساس قمع السجن ، بل بالمعنى النفسي ، لان قمع السجن ، ينعكس على بقية أبطال الرواية ، فيصبحون جميعا ضحاياه.

تتحرك الرواية في اطارين : السرد والتداعي . وتجري على لسانين : رجب وشقيقته أنيسة . رجب يصف عذابات السجن من خلال تداعيات الباخرة التي تقله الى أوروبا للعلاج ، بعد انهياره . وأنيسة تصف عذاباتها وعذابات أمها مـــن خلال تداعيات العلاقة القصيرة برجب بعد خروجه او في سفره عبر الرسائل ، ومن خلال المشاكل التي يواجهها حامد بصفته كفيل رجب . الرواية تدور في عالم الذكريات . والذكريات هنا هي من طبيعة نفسية فردية . انها تقدم نموذجا . رجب المناضل الذي يعتقل في مكان ما من « هذه الارض الغبراء ». تحاول ان تستقصي تفاصيـــل نفسيته ، بوصفها انعكاسا لشروط قمع عامة ، فنتعرف على نوازعه ومشاكله واحلامـــه ، بلغـــة تقترب من اللغـــة الرومانسية . وكانعكاس لحال رجب النموذج ، نتعرف على شخصيتي أمه وشقيقته . أمه هي أيضا أم نموذجية . تموت لانهم قتلوها حين سحقوا ابنها في عذابات السجن . ولكي تقدم الرواية صورة واضحة عما تريد قوله ، تسترسل في وصف تفصيلي لحالة السجناء من خلال ثلاث دوائر :

١ — الدائرة الاولى ، هي دائرة السجناء . في داخل السجن تكشف الرواية عن نمط العلاقات

بين السجناء في حالات القمع فقط . أي لا تتعرف على تفاصيل الحياة اليومية داخل السجن . السجن هنا ، هو كابوس فقط . وعلاقة السجناء ببعضهم ، لا يجري وصفها الا في الذكريات التي تهمل التفاصيل نهائيا وتركز على الاثر البيولوجي والنفسي للقمع . هكذا لا يبقى من هذه الدائرة الاولى سوى مركزها . مركز الدائرة هو صوت رجب ، الذي يركز على عالمه النفسي بوصفه عالما فرديا . هكذا يصبح السجن مجرد كابوس ، وحتى العلاقات النضالية التي يؤشر لها موت القائد هادي تصبح هنا مجرد اشارات ، كأنها لا تنبع من زمن تجربة رجب نفسها.

٢ ــ الدائرة الثانية هي الخارج . والدة رجب وشقيقته وانفعالهما بسجنه والعذابات الشديدة التي يتعرض لها . هنا ، لا وجود سوى لمركز الدائرة الاولى وقد انعكس في علاقات محدودة جدا . العلاقات الفردية ، التي لا تشير الى الحالة العامة الا لتمسها مسا، تضفي على الرواية طابع التحدي الرومانسي ، الذي لا مخرج له سوى بالموت . قد يكون الموت مخرجا للحظات زمنية محددة بوصفه نهايتها ، لكنه لا يستطيع حجب اطـار العلاقات الاجتماعية التي تبقى في حركة دائمة ، حتى وان كانت هذه الحركة غير متطورة . هكذا تتزوج هدى وتموت والدة رجب . فيبقى معزولا وبلا أمل ، وليس أمامه سوى جسده المحطم . فيقرر الاعتراف، التوقيع ، والخروج الى فرنسا للعلاج .

٣ ــ هنا نصل الى الدائرة الثالثة التي تتحرك فيها الرواية . انها اصغر الدوائر ، ولكن أشدها دلالة . لانها تكشف المنطلق الايديولوجي الذي يوقع حركة الرواية بأسرها . فمن خلال علاقة رجب بالدكتور فالي ، نكتشف النموذج الليبرالي الذي يقع خلف الرؤية الوحيـدة الجانب التي تطبـع الرواية بأسرها . النموذج هو الحضارة الغربية التي لا نزال نتسلق درجاتها الاولى ونتعثر . هكذا يغرق رجب في الاستحالة التي يقدمها نموذجه ، ويصبح ضرورة كتلة محطمة . فهذا النموذج ، الليبرالي الغربي ، هو احد اسباب القمـع في « شرق المتوسط » . ان علاقته بالتبعية وبالنظام شبه الاقطاعية علاقة جدلية . فالتحرر من القمع الداخلي ، هو في الوقت نفسه تحرر من النموذج أو لا يكون . هذه الاستحالة ، تفسر المسـار الرومانسي الذي يغلب عليه النواح في الرواية بأسرها .

علاقة الدوائر الثلاث ، هي كما نرى علاقة تحديد متبادلة ، فاذا كانت الدائرة الثالثـة هي المحدد الاساسي ، فان الدائرة الاولى تقدم عبر مركزها ، بتحديد الثانية . هكذا نصل الى دوران بلا هدف ، يقدم صرخة احتجاج دون ان يشرح آليتها . ينقل واقعا من خارجه دون ان يفسره . هكذا نسقط في اللغة السائدة .

ان هذا التحليل الاولي للتمفصل الايديولوجي في الرواية ، يجب ان لا يحجب عنا بنيتها . فمنيف يتقن صناعته جيدا . فاذا قبلنـا نقطة انطلاقـه الايديولوجية ، نكتشف ترابـط بنية الروايـة . فالشخصيات تتداخل ، تفتح منافذ على بعضهـا وتتفاعل . فانهيار رجب هو صدى لموت امه والحاح جسده وشقيقته . تماما كما كان صموده بسبب موقف امه الشجاع . وموقف حامد المتحدي في نهاية الرواية هو انعكاس للقمع الذي يتعرض له رجب ، وللقمع العام الذي لم يعد يحتمل . وموقف أولاد شقيقته هو ايضا ، يرتبط بالموقف العام الذي يوحد الرواية من خلال شخصياتها .

غير ان هذه الوحدة تبقى شكلية ، في منظور تحليل الشخصيات كشخصيات واقعية . اما اذا حاولنا الانتقال الى التفسير الرمزي ، فاننا عندها سوف ندخل في متاهة لا مخرج . فمن هي الام التي ماتت ؟ هل هي رمز سياسي ، أم هي مجرد رمز نفسي . ان الدخول في اسقاط الرمزية على الرواية يفقدها عناصر وحدتها جميعها ويرميها في فراغ . لذلك نعتقد ان تحليلها بوصفها ثلاث دوائر واقعية تتفاعل ، هو التحليل الاقرب الى الصحة .

تقدم لنا الشهادات التي كتبها سجناء سياسيون (الاقدام العارية على سبيل المثال) وجهة اخرى لتفاصيل الحياة داخل السجن . انها حياة تفصيلية دقيقة ، تستعين عـن اتساع المكـان ، باتسـاع العلاقات الرفاقية . هنا نتعرف الى تفاصيل الحياة الاجتماعية وقد حصرت في دائرة ضيقة ، وتقدم لها بالرغم من العسف ، صورة مستقبليـة . هذه الصورة قد تعارضها صورة انهيارية تمعية أخرى (رواية فاضل العزاوي : القلعة الخامسة) لكننا هنا ايضا نكتشف تفاصيل الفعل الانساني ، أمام

مجهر شبكة العلاقات ، التـي تستطيع الرواية نسجها وفتحها على افق بلا حدود .

« شرق المتوسط » ، تبقى محاولة لابراز الزمن السيكولوجي ، مبالغة كبرى ، لكن تجد تبريرها لنفسها في كونها صرخة ضد القمع ، والارهاب الذي نعرفه في حياتنا العربية على الجسد الانساني . لكن الصرخـة ، وان كانت مشروعـة من حيث المنطلق ، تحتاج الى اكتشاف ارضيتها الواقعية حتى يتحول الفن الى سلاح ، كما يريد عبد الرحمن منيف على لسان أنيسة في نهاية الرواية : « ولأني أتركها الان تسافر ، ليقرأها كل الناس ، رغم كل ما فيها من اخطاء وصرخات ، لا اعتقد ان رجب يرضى عنها او يريدها .. لكن كما قلت لكم .. انا امراة خاطئة .. وأريد أن أتبع طريقة رجب ذاتها : ان ادفع الامور الى نهاياتها .. لعل شيئا بعد ذلك يقع » .

— ٥ —

«المجموعة ٧٧٨»، هي تسجيل روائي متواضع، يتخلى عن جميع الادعاءات الثقافية ، ليقدم لنا ، لوحة واقعية ، تسجيلية ، لحياة مجموعة مـن الشباب الفلسطينيين في عكـا ، حيث يتحـول الهاجس الوطني ، الى ممارسة مسلحة ، مليئة بالبطولات والتضحيات ، تكشف عما يختزنه شعبنا من طاقات تستطيع أن تنفجر ، اذا تمكنت مـن الوصول الى حد أدنى من التنظيم . فوزي نمر احمد ، عبد حزبوز ، محمد حسين غريفات ، فتح‌الله السقا ، يوسف ابو الخير ، رامز توفيق خليفة . هذه أسماء ستبقى في ذاكرة شعبنا، عنوانا للتضحية والنضال ، وللحس الوطني المسؤول ، الذي يتحول الى فعل سياسي — عسكري .

توفيق فياض ، لا يقدم لنا ، سوى تحقيق يروى على لسان قائد المجموعة ، بلغة بسيطة ، لا تريد شيئا . تريد فقط ان تكون أداة ايصال مباشرة . لغة لا تحمل في داخلها ، أدنى طموحـات اللغة الادبية بالمعنى المتعارف عليه . انها فقط وسيلة لنقرأ من خلالها ما سمعه توفيق فياض في السجن ، تفاصيل وممارسة .

المدهش في هذا التسجيـل الروائي ، هـو التفاصيل اليومية . تحول مجموعة من الشباب الوطنيين الى خلية حقيقية ، تمارس ، تخطـط وتنفذ ، رغم صعوبة الاتصال بالقيادة في الخارج ، ورغم العلاقات التنظيمية شبه البدائية . هذه القدرة هي محصلة للتجارب الشعبية ، مع المحتل ، مع قمعه وحقده وارهابه . ثم حين تسقط المجموعة في أيدي سلطات الاحتلال ، فانهـا تسقط لسبب تنظيمي في خارجها ، في تنظيـم فتح في الضفة الغربية . هذا السقوط من الخارج ، دليل قاطع على قدرة المكر الشعبي ، الذي يتجلى في علاقة فوزي نمر احمد بالمخابرات الاسرائيلية ، وتحايله عليها ، وتضليلها بشتى الاساليب الممكنة . وعند سقوطهم ، يضطر العدو الى الاعتراف بقدراتهـم الخارقة . « ولكنني ما كدت افتح الباب لاخرج الى مخزن الاسلحة حتى كانت عدة هراوات تنزل على رأسي فجأة ، وعشرات الجنود ورجـال الشرطة المدججين بالسلاح ينقضون علي لاجد نفسي بعدها مكبلا بالحديد من رأسي الى قدمي . فنظرت ولدا « الياهو موزر » و« اهرون سلع » ينظران الي بعينين حاقدتين ، ثم دنا مني اهرون سلع نازعا قبعته عن رأسه ليضعها أمامي قائلا : « كنتم رجالا وانني اعترف » .

تجري الرواية في الفعل الماضي . انها استعادة تفصيلية لاحداث جرت فعلا . وتتوقف عند نقطة الاعتقال . هكذا لا يقدم لنا المؤلف سوى قدرة على الوصف التفصيلي الذي يأخذ بأنفاس القارىء . هنا نتساءل ، لماذا بقي التسجيل الروائي عند هذه الحدود « التسجيلية » بالمعنى المباشر والفوري للكلمة . تستطيع الرواية التسجيليـة التلاعب بالزمن ، التقديم والتأخير ، حتى لا نقع فقط على تفاصيل المطاردات ، والعمليات . نستطيع تقطيع المشاهد واضاءتها بالمعلومات او الاستنتاجات او بأحداث تقع في أماكن اخرى . يبدو ان هـذا الاخلاص في التسجيل قد قاد الرواية الى منزلق كونها قماشة لرواية تسجيلية . فهي المادة الاولى التي يجب العمل عليها حتى تقدم صورة متكاملة لواقع النضال في الارض المحتلة ١٩٤٨ .

لكن يبقى لتوفيق فياض ، فضل اضاءة هـذا الجانب النضالي ، الذي لا بد من متابعته ، كي نصل الى رواية تسجيلية شاملة تكون وثيقـة تاريخية لمرحلة نضالية بالغة الاهمية .

رسالة موسكو

طرأ ابان الاونة الاخيرة تصاعد ملحوظ في عرض ومعالجة شؤون الشرق الاوسط في الصحف والمطبوعات السوفييتية . ولئن كان التوسع في التغطية الاخبارية أمرا منطقيا ، تفرضه خطورة وتطورات الوضع بالمنطقة ، فان ما يستلفت النظر كون اجهزة الاعلام السوفييتية لم تعد تقتصر على هذا الجانب من المسألة ، بل أنها تحاول استقراء الاحداث واستباقها ، وتنبه باستمرار الى خطورة الانجراف وراء خطوات قد تبدو مغرية على صعيد حل القضايا الانية ، ولكنها تؤدي الى طمس ونسيان المحركات الاساسية للنزاع .

ويجدر بالذكر ان هذا الموقف يتضح في المجلات والمطبوعات الشهرية المتخصصة بجلاء اكبر مما هو عليه في الصحف اليومية .

فصحيفة « ازفستيا » مثلا ، تشير في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٥/٣/٣ الى ان « البحث عن حل لمشكلة الشرق الاوسط لا ينبغي ان يعتمد سبيل الاجراءات الجزئية ، بل أن الطريق نحو ضمان السلم الحقيقي في المنطقة يمر عبر الاستئناف العاجل لمؤتمر جنيف بمشاركة الفلسطينيين » . هذا في حين نجد مجلة « الحياة الدولية » توسع في طرح المسألة مؤكدة على أن « أساليب الاتفاقات المنفصلة والحلول الجزئية تهدف الى طمس الافاق النهائية للتسوية ... ويحاول خصوم التسوية استخدام هذه الاساليب لخلق انطباع زائف بان ثمة حركة الى الامام وبغية اخماد يقظة الشعوب العربية ، وللتملص من الحلول البناءة للقضايا الجذرية » . وتؤكد المجلة ذاتها في عدد اخر صدر في شهر اذار على أن « بعض الساسة العرب يرتأون توسيط الولايات المتحدة لتحقيق فصل جديد بين القوات . ومثل هذا الرأي انما يجسد ، عن قصد او عن غير قصد ، الافكار التي توحي بها أجهزة الدعاية الصهيونية الامبريالية ، وتجد مناصرين لها في أرجاء من العالم العربي ، وتزعم أن مفتاح التسوية في يد الحكومة الامريكية . وفي واقع الحال فان هذه الافكار انما تدعو الشعوب والبلدان العربية الى التخلي عن النضال العادل في سبيل حقوقها المشروعة ، وتوكل امر الوساطة الى دولة عرفت بعلاقاتها « الخاصة » مع اسرائيل ، وبالتالي فانه ليس بوسعها ان تكون وسيطا يتحلى بالموضوعية . وعلاوة على ذلك فان هذه الافكار تنطلق ، بصمت ، من أن المشكلة الفلسطينية لا وجود لها » .

وتجدر هنا الاشارة الى ان الكتاب السوفييت لم يعودوا يقتصرون على التنويه الى « المشكلة الفلسطينية » او « العدوان الصهيوني » بل انهم أخذوا يعودون بالقضية الى جذورها الاصلية محاولين اعطاء صورة متكاملة لكل جوانبها التأريخية وابعادها المعاصرة .

فعلى سبيل المثال تعكف مجموعة من كبار المستشرقين السوفييت على اعداد مؤلف ضخم يقع في جزءين بعنوان «تاريخ فلسطين» يتوخى واضعوه الانطلاق من مواقع طبقية ، والاستناد الى المادية التاريخية في تحليل جذور المشكلة وما وصلت اليه اليوم . كما صدر في موسكو في اواخر العام الماضي كتاب بنفس الروحية كان عنوانه « الطريق نحو السلام في الشرق الاوسط » ، وآخر في مينسك بعنوان « الافاعي المعادية للثورة » جاء في مقدمته ان « أعضاء منظمة البوند السابقين ، الذين كانوا قد تسللوا الى مناصب مرموقة في بلادنا استطاعوا ان يمرروا الى الدراسات التاريخية السوفييتية مفاهيم موالية للصهيونية ، كما أنه ما زالت توجد حتى الان مطبوعات تتضمن اتجاهات تصور الصهيونية وكأنها حمل بريء » .

ويتصدى العديد من الكتاب السوفييت لتفنيد المزاعم التي تحاول استثارة العطف على الصهيونية مدعية ان اليهود « شعب بل أرض احتل ارضا بلا شعب » . فيؤكد الكاتب فلاديمير سكس في مقال نشرته مجلة « الحياة الدولية » على ان الشعب العربي الفلسطيني « بوصفه وحدة قومية تكونت تاريخيا ، لم ينصهر ولم يتخل عن حقوقه المشروعة بل انه يخوض في سبيلها نضالا بطوليا ، يشكل

من حيث جوهره واهدافه حركة تحرر وطني » . وانطلاقا من هنا يذكر فلاديميرسكي بأن « هيئة الامم المتحدة كانت قد اعترفت بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني عام ١٩٤٧، عندما اتخذت قرارا بانشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين » . ان العودة الى قرارات التقسيم مع التأكيد على التركيب الاثنوغرافي الذي نصت القرارات على اقامته في الدولتين يشكل سمة هامة لاخر الدراسات السوفييتية حول انشاء الدولة الفلسطينية .

وينبغي هنا التنويه الى ان خطب القادة السوفييت والمقالات التي تنشر في الصحف تستخدم في الغالب تعابير : الكيان القومي والسلطة الوطنية (يستخدمه المستعربون) وكلمة « غوسودا رستفنوست » وهي تعني « كيان دولة » . بيد ان اندريه غروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفييتي قال في خطاب القاه بدمشق في الثاني من شباط « اننا نؤيد مطالب البلدان العربية ... حول ضمان الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، طبقا لطامحه القومية ، وصولا الى انشاء دولته»، وهذه على الارجح ، المرة الاولى التي يستخدم فيها تعبير « الدولة » .

ومن نافلة القول ان المسألة ليست مجرد مصطلحات بل أنها ، في الغالب ، انعكاس لموقف سياسي ، خاصة وان أجهزة الاعلام السوفييتية معروفة بدقتها وحرصها الشديد على انتقاء التعابير وصياغة التعليقات بروح تلائم الموقف السياسي .

ومن الدلالات البليغة الاخرى ظهور مقال في مجلة « العصر الحديث » بعددها الخامس للعام الحالي وكان بعنوان « الهرب من أرض الميعاد »، وربما كان هذا المقال اول مقال تنشره صحيفة او مجلة سوفييتية وتضمنه ارقاما عن عدد اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفييتي . ورغما عن أن الكاتب قد قال بالنص « تفيد معطيات الصحف ان عدد اليهود الذين وصلوا الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي قد بلغ عام ١٩٧٤ زهاء ستة عشر الفا الى أقل بمرتين عما كان عليه عام ١٩٧٣ » ، فاننا نجده في موضع اخر يقول ، ان « عدد طلبات الهجرة في تقلص مستمر ، ويوجد قيد الدرس لدى الهيئات المختصة بشؤون الهجرة حاليا ١٤٢٠ طلبا فقط ، علما بأن ١٥٠٠ مواطن يهودي سوفييتي كانوا قد حصلوا على ترخيصات بالسفر عامي ٧٣ / ٧٤ ، رفضوا التمتع بها » . واذا استثنينا ما جاء في المقال من ارقام فانه عموما يدرج ضمن ما ينشر هنا من مواد يمكن اعتبارها موجهة بالدرجة الاولى الى اليهود الراغبين بالهجرة ، حيث أنها تركز على توضيح الاوضاع المعاشية السيئة التي يعاني منها اليهود الوافدين الى اسرائيل ، وخاصة القادمين من الاتحاد السوفييتي حيث يتعرضون الى اضطهاد مزدوج بوصفهم « صنفا أدنى » من السابرا ويهود اوروبا الغربية .وكانت سلسلة تحقيقات ومقالات تناولت هذه المسألة تفصيليا قد ظهرت بعد الزيارة التي قام بها صحفيون سوفييت الى اسرائيل في اواخر العام الماضي .

ان هذا التفصيل في طرح القضايا المتصلة بالشرق الاوسط ينعكس في ظاهرة اخرى حرية بالتسجيل ، فالى جانب الدراسات النظرية المكرسة لبحث الشؤون الفلسطينية علميا ، أخذت الصحف السوفييتية تنشر تحقيقات ضافية عن اوضاع الفلسطينيين والنضال الذي يخوضونه .

وتجدر في هذا المقام الاشارة الى سلسلة من الريبورتاجات ظهرت في صحيفة « كمسمولسكايا برافدا » تباعا بعنوان « المشردون » ، وريبورتاج اخر للاديب انور عليمجانوف بعنوان « محمود بحاجة الى وطن » نشر في « الصحيفة الادبية » الواسعة الانتشار .

وتكمن أهمية هذه المواد في أن كتابها لم يقتصروا على مخاطبة عقل القارىء بايراد براهين تثبت حق الفلسطينيين في ارضهم ، بل أنهم حاولوا ايضا استثارة تعاطفه الانساني مع الفلسطينيين كي يعمقوا من احساسه بعدالة القضية التي حمل الفدائيون السلاح في سبيلها ، ليدحضوا مزاعم الدعاية الغربية والصهيونية عن « الارهاب الفلسطيني » .

جلال الماشطة

رسالة لندن

في الفترة الواقعة ما بين ٢٠ ــ ٢٢ من شهر اذار الماضي ، عقدت حلقة دراسية في لندن لبحث مستقبل القضية الفلسطينية ، بتنظيم واشراف مجلس تعزيز التفاهم البريطاني العربي المعروف باسم كابو . وقد استهلت الحلقة بعرض تاريخي للقضية تبعه عرض للرؤيا الفلسطينية للقضية وهذا العرض مأخوذ من محاضرة للدكتور ــ يوسف صايغ القاها في لندن عام ١٩٧٠ .

بعد ذلك قدم مندوب م. ت. ف. في لندن ، السيد سعيد حمامي ورقة بعنوان « استراتيجية فلسطينية للتعايش مع اسرائيل » طرح فيها «الحل» للمشكلة الفلسطينية ، وهو « انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزه وفتح حدود هذه الدولة مع اسرائيل » ، ومن ثم ، ومن خلال التعايش السلمي بين الدولة الفلسطينية واسرائيل ، تزول الشخصية الصهيونية لاسرائيل بقرار ارادي صادر من مستوطني الارض المحتلة ومن ثم يتم ادماج الدولتين في دولة واحدة هي فلسطين العلمانية . ومن الجدير بالذكر بان السيد حمامي عندما سئل ان كان يتكلم باسم م. ت. ف. اجاب : « نعم » واصر ان ورقته قد ارسلت لقيادة م. ت. ف. وتم تعديلها والموافقة عليها قبل ان يقدمها كما هي .

بعد ذلك وتبعا للبرنامج ، وضع امام القضية خياران : ــ الاول هو تسوية سياسية عن طريق جنيف ، والثاني هو استمرار المضي في « الطريق المسدود . بالنسبة للخيار الاول ، قدم السير جون ريشموند المحاضر في جامعة درام والسفير سابقا في الكويت والسودان) ورقة بعنوان « امكانية قيام دولة فلسطينية من ناحية سياسية». ولخص افكاره بالنقاط التالية :

ان قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع ممكن ، اذا توافرت الشروط التالية : ١ ــ ان يعترف الفلسطينيون « بحق اسرائيل في العيش والبقاء » ، ٢ ــ ان توافق اسرائيل على قيام مثل هذه الدولة ، ٣ ــ ان تكون هنالك ضمانات من هيئة الامم المتحدة والدولتين العظمتين .

واضاف المتحدث ان مثل هذه الدولة يمكن ان تعيش وتبقى اذا توافرت الشروط التالية: ١ ــ اذا استطاعت ان تقنع«جبهة الرفض»بسياسة التعايش السلمي مع اسرائيل ، ٢ ــ ان تحصل على مساعدة وتشجيع من قبل الجامعة العربية والدول العربية ، ٣ ــ ان تنجح في جذب الفلسطينيين في الخارج للذهاب والعيش فيها ، وخاصة المتعلمين منهم ، ٤ ــ ان تبقى مستقلة سياسيا عن الدولتين العظمتين . وختم السير جون ورقته قائلا : اذا عاشت هذه الدولة الفلسطينية فانها ستقوم بوجودها باعطاء ضمانة اكيدة لبقاء اسرائيل على المدى القريب ، وستقوم كذلك باعطاء الفرصة لاتحاد « اليهود الاسرائيليين » والفلسطينيين العرب في دولة واحدة على المدى البعيد .

بقي الحوار بعد ذلك متعلقا « بالخيار الاول » وقدمت ورقة عن الاقتصاد الكامن لدولة فلسطينية في الضفة والقطاع وكانت النتيجة بان الدولة الفلسطينية سيكون لها اقتصاد ذاتي متوازن بعد خمس سنين من انشائها اذا قام العالم وبالاخص الدول العربية المنتجة للنفط من تمويل اقتصاد هذه الدولة بـ ٤٫٠٠٠ مليون دولار لمدة خمس سنوات .

انتقل الحديث بعد ذلك عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وقال مقدم هذه الورقة «جون ريدوي» بانه لا يوجد هنالك حل عادل لهذه المشكلة . لكنه اقترح بأن تقوم اسرائيل بالسماح لـ ٢٠٫٠٠٠ لاجيء فلسطيني بالعودة الى ديارهم سنويا ، مع الاحتفاظ لاسرائيل بايقاف هذه الاتفاقية اذا رأت انها تهدد امنها الداخلي .....!!! وتكلم ايضا عن دور الامم المتحدة في الاعتراف بالدولة الفلسطينية وتقديم الضمانات لها مع مساعدتها في انشاء اقتصادها وتعليم ابنائها كما تفعل الان ..!!

انتقل الحديث بعد ذلك عن « الطريق المسدود » وطرحت عدة احتمالات هي ١ ــ ان تمتص اسرائيل جميع سكان الاراضي المحتلة وتضمهم لها . ٢ ــ ان تمتص بعض سكان المناطق المحتلة . ٣ ــ ان تطرد غالبية سكان الارض المحتلة . ٤ ــ ان تنسحب من بعض الاراضي المحتلة عام ٦٧ . ٥ ــ ان تجبر اسرائيل وبقوة السلاح ان تنسحب

من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . ٦ ــ اسرائيل ترفض ان تنسحب ومن ثم ينجح العرب في تجميع قوى سياسية واقتصادية وعسكرية تؤدي للقضاء على دولة اسرائيل . ٧ ــ « نهاية شمشون » وفيها تدمير اسرائيل وجميع جيرانها ويمكن « اخرين » .

وقد اصر المشتركين في النقاش على ان الاحتمالين الاكثر معقولية هما ٢ ــ امتصاص جزئي للشعب الفلسطيني في الارض المحتلة عام ٦٧ او ٥ ــ هو جبر اسرائيل بقوة السلاح على الانسحاب . والاول لن يقبل من جانب العرب وسيقود بالنهاية الى حرب جديدة .

ويرجع المتداولون في الحلقة الى القول بان « جنيف » هو الحل الوحيد ، والدولة الفلسطينية المترقبة هو احسن ما يتوقعه الفلسطينيون . وسواء ذهبوا الان لجنيف ام لم يذهبوا فسيضطرون بالنهاية الى الذهاب الى مؤتمر سلام مشابه . ومن ثم يخرج المتداولون بقرار وهو الطلب من م. ت. ف. بجميع فصائلها بان توقف جميع العمليات العسكرية ضد اسرائيل وحلفائها لمدة ستة شهور على ان يكون هناك الاستعداد لتحديد هذه الفترة لستة شهور اخرى اذا ادت المهلة الاولى الى اي نتائج ايجابية نحو السلام ....!! كل ذلك تحت عنوان « الفلسطينيون يتحدون الاسرائيليين لاحلال السلام وليس الحرب » .

مأمون شلبي

تحليل لاتجاهات الدعاوة الصهيونية ــ فبراير (شباط) ١٩٧٥

سوف نكرس القسم الاعظم من تقرير هذا الشهر ، لقضية المقاطعة العربية لاسرائيل . منذ مطلع شباط (فبراير) ، أصبحت هذه القضية محل تعليقات كثيرة وصرخات مدوية في وسائط الاعلام الصهيونية والغربية ، وزودت انصار اسرائيل بفرصة جديدة لتوجيه التهمة المألوفة « بمعاداة السامية » ، في العالم العربي . وبما ان قضية المقاطعة أثارت فجأة كل هذا الاهتمام الكبير والتعليقات المتعددة ، بما في ذلك تصريح لرئيس الولايات المتحدة الامريكية ، فاننا سنطرحها فيما يلي بشيء من الاسهاب .

وسنكرس القسم المتبقي من هذا التحليل لقضية اثرناها في تقرير الشهر الماضي ، أعني قضية يهود سوريا . وسوف نعالج في تقرير هذا الشهر مقالة مهمة ظهرت مؤخرا في بريطانيا ، كشفت بموضوعية عن الوضع الحقيقي للمجتمع اليهودي السوري ، من قبل مراسل متعاطف . ولسوف نقارن تلك المقالة بتقرير تشويهي يتناول المسألة ذاتها كتبه مشترع امريكي زار دمشق في الآونة الاخيرة . ومن ثم فاننا سنتناول القضايا المثارة حول مشكلة المراقبين والصحافيين الاجانب .

المقاطعة العربية لاسرائيل : قضية « اللاسامية »

تعود المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل الى عدة سنوات خلت ، لكنها لم تثر ــ باستثناء الفترة الاخيرة ــ سوى القليل من التعليقات نسبيا . ومع ان انتقادات وشكاو متفرقة ترددت بين وقت وآخر من جانب الصهيونيين والدوائر المؤازرة لهم ، الا انه لم تصدر أية مادة اعلامية يمكن مناظرتها بالدعاوة المحسوبة والمنظمة التي انهمرت في الشهر الماضي .

والسبب بالطبع ، هو ان المقاطعة العربية لاسرائيل بدأت تأخذ معنى جديدا وقوة جديدة في اعقاب القوة المالية المتضخمة لعدة دول عربية ، وبسبب الدرجة الاكبر من التنسيق النسبي بين الدول العربية في الوقت الراهن . فاما القوة المالية فقد بدأت الان فقط بترجمة تأثيرها في القطاع المصرفي الغربي ، حيث تتزايد دعوة الاموال العربية للمشاركة في اصدار القروض في القطاعين الخاص والعام في أوروبا . تطبيقا لبنود واجراءات المقاطعة العربية ، رفض عدد من المصارف العربية التي هي في الغالب وكيلة لعدة حكومات عربية ، المشاركة في هذه العمليات المالية ، حيثما كانت المصارف والمصالح المالية المعنية ذات العلاقة الوثيقة باسرائيل ، شريكة فيها. وبكلمات أخرى ، أصبحت المشاركة المالية العربية تتوقف على استبعاد المؤسسات الصهيونية . ولقد أوضح الوكلاء العرب على النطاقين العام والخاص عزمهم على رفض أية مشاركة تشترك فيها المؤسسات المالية والتجارية المساندة للصهيونية بصورة صريحة (في ضوء نشاطاتها الملموسة) .

بدأ الرد الصهيوني على هذه السياسة في وقت مبكر من هذا الشهر ، بعد أن أعلن مصرف فرنسي مملوك لليهود وعلى صلات وثيقة باسرائيل ، وهو مصرف « الاشقاء لازار » ، انه منع من المشاركة في اصدار قرض بضمانة مصرف « كريديه ليونيه » الذي تملكه الدولة . لقد اشتمل القرض المراد تقديمه لشركة « اير فرانس » على أموال قدمتها شركة « انترا للاستثمار » التي يملكها العرب . وأصرت انترا على ابقاء مصرف « الاشقاء لازار » بعيدا عن الصفقة . ولقد ظهرت مفاجآت مماثلة غداة ذلك في فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية والولايات المتحدة ، وفي غضون ايام قلائل اتسع الجدل ليشمل القضية الاكبر المتعلقة بالمقاطعة العربية للشركات والمؤسسات التي تورطت في تاريخها بعمليات مالية مع الاقتصاد الاسرائيلي والصهيوني .

في غضون أيام معدودة ، شن الناطقون والمعلقون المساندون للصهيونية ، والذين لم يكن معظمهم طرفا مباشرا في قضايا الاعمال والمصارف ، حملة

رسمت بحيث تترك انطباعا بأن المقاطعة العربية هي في حقيقتها « معاداة للسامية » ، وان مقصدها الحقيقي لم يكن دولة اسرائيل والمؤسسات التابعة لها ، بل مقاطعة يهود العالم جميعا . والاشد ايذاء في هذا الصدد ، النغمة التي ترددت في مقالات شتى في الصحافة الغربية ، والتي ، بتجاهل يستهدف التشويه ، تركت انطباعا في أذهان قرائها ان المصارف التي يملكها اليهود هي بالذات التي يتعمد المال العربي مقاطعتها .

وهكذا ، بعد أن كان الموضوع قد أثير على الصعيد الصحافي ، نشرت « **نيويورك تايمز** » تقريرا من لندن (٢/١١) يقول انه كان هناك جدل في مجتمع لندن المالي « حول ما اذا كان ينبغي تأليف جبهة مشتركة للتصدي للمقاطعة العربية **للمصالح المصرفية اليهودية** » في أوروبا (التشديد من عندنا) . وفي المقالة كلها لم تظهر مرة واحدة كلمة « صهيونية » أو حتى «اسرائيل» . وبالمثل فان « **التايمز** » اللندنية الواسعة النفوذ ، نشرت مقالة في ٢/١٠ ذكرت فيها ان الغرفة التجارية الانجلو ــ اسرائيلية تعد قائمة بالشركات البريطانية الموضوعة على اللائحة السوداء ، أو تلك التي مورست عليها ضغوط كي تمتنع عن التعامل مع « مصالح يهودية » .

هذا الادعاء الضمني بمعاداة السامية ، الذي عكسته **التقارير** (ناهيك عن التعليقات) التي نشرتها الصحافة الغربية ، مغمضة عينيها عن الحقيقة ، بل ولاجئة الى التشويه المفضوح ، ربما كان عائدا في بعض الحالات الى مجرد الجهل بمقاصد المقاطعة ، لكنه كان في حالات اخرى وليد تعمد مغرض بالتأكيد . ومر الوقت حتى حوالي منتصف الشهر ، عندما بدأ الناطقون العرب بالرد بصورة كاشفة للاتهامات والايحاءات بمعاداة السامية .

لكن بعض الصحف عالج المسألة بروح موضوعية حقا . ففي ٢/٢٨ ظهرت مقالة في « **الانترناشينال هيرالد تريبيون** » أوضحت بجلاء ان المقاطعة تستهدف اسرائيل وليس المصالح اليهودية . وبناء لما ذكرته :

« ان المصرفيين الذين يعرفون المواقف العربية يؤكدون ان الدافع هو معاداة الصهيونية وليس معاداة اليهود . ويلاحظ هؤلاء ان عددا من المصارف التي أسسها يهود ويديرها يهود لا تعاني اية متاعب في تعاملها مع العرب » .

وتمضي المقالة الى تعداد بعض المشروعات اليهودية التي لا علاقة لها مع اسرائيل ، والتي تتعاطى أعمالا مع المصالح المالية العربية .

وفي آخر الامر ، ظهرت سلسلة من البيانات أدلى بها ناطقون عرب ونشرت في الصحافة الغربية، مما أتاح على نطاق واسع توضيح ان **اسرائيل** هي هدف المقاطعة العربية . وعلى سبيل المثال ، نشرت « **نيويورك تايمز** » رسالة من القاهرة (٢/٢٧) حيث كانت جامعة الدول العربية تعقد مؤتمرها الذي تعيد النظر فيه في الشركات المسجلة على اللائحة السوداء ، قالت الصحيفة فيها « ان الرسميين العرب المتصلين بعمليات المقاطعة أنكروا بقوة اليوم اتخاذ اية تدابير للمقاطعة لاسباب دينية » ، وان « الملكية اليهودية لم تكن موضوعا مطروحا » .

أثناء ذلك ، وبالرغم من هذه البيانات المنشورة على نطاق جيد وغيرها ، استمر الموضوع باشغال حيز كبير للغاية في الصحافة الغربية ، حيث ان الناطقين الناصرين للصهيونية والاسرائيليين والمتعاطفين معهم كانوا قد نجحوا في ادامة تهمة « اللاسامية » . لقد كانت اسرائيل هي بالطبع القوة الدافعة وراء هذه الحملة الصهيونية ، اذ أدركت القيمة الدعاوية المحتملة للموضوع فتشبثت به سريعا . وفي ٢/١١ كانت « **هآرتس** » الاسرائيلية ، تدعو الصهيونيين الى شن « حملة مضادة » ضد المقاطعة . وفي مقالة افتتاحية تكاد تطابق نغمتها ما يقوله العديد من صحف الغرب المؤيدة للصهيونية ، زعمت هآرتس في وقت لاحق من الشهر :

« هناك ما يدعو الى الافتراض ان الرأسماليين العرب سوف يحاولون فرض عقوبات على المؤسسات المصرفية التي يملكها يهود . واذا ما قبل العالم الغربي فرضية عدم وجود مصارف **يهودية** في العمليات المالية التي تشترك فيها الاموال العربية ، اذا سلم بهذا على انه أمر مفروغ منه ، فان هذا سيشكل تهديدا **لحق اليهود في المساواة في الحقوق** في بلدان الشتات » (خطوط التشديد من عندنا) .

وتدعو المقالة يهود اوروبا والولايات المتحدة الى المبادرة بنشاط هجومي ومستقل .

هذه المناشدة شبه الرسمية ، تعززت رسميا بتصريح لوزير الخارجية يجال آلون بعد ذلك بنحو اسبوع . ولقد أسهبت ملاحظاته أمام أعضاء الكنيست الاسرائيلي ، والتي نقلتها الصحافة الغربية ، في التركيز على الفرية الاساسية الزاعمة ان المقاطعة العربية معادية لليهود . وبناء لما نشرته **الجيروزاليم بوست** (٢/٢٠) ، وصف آلون التدابير المصرفية العربية بأنها « تمييز عنصري صارخ » . ومضى الى حد القول بصراحة « ان الضغوط العربية على المؤسسات المالية التي يملكها يهود ، لم تكن بسبب علاقاتها باسرائيل ، **بل لانها بكل بساطة تتعلق باليهود** » . وكان من الممكن التنبؤ بأنه سوف يستحضر شبح « النازية » في تحذير كئيب للغرب من « العنصرية الجديدة ، المتسلحة بدولار النفط بدلا من معسكرات الابادة ».

هذه الموضوعات المألوفة والمبتذلة تتردد بلا انقطاع في تحليلاتنا الشهرية ، لكن استخدامها في قضايا جديدة يميل الى اعطائها ما كان يمكن ان تفتقده من جدة وحيوية . ولهذا السبب لا ينبغي اهمالها أو المرور بها بخفة . هذه هي القضية بالذات ، لانها كالعادة تتردد وتتكرر باستمرار في القطاعات المحبذة للصهيونية في صحافة الغرب على ان أكثر ما يؤذي المركز العربي هو تكرار هذه الاكاذيب الصهيونية في اطار **التعليقات الافتتاحية** .

لقد كانت وسائط الاعلام الامريكية متحيزة بشكل خاص لوجهة النظر الاسرائيلية ، في تعليقاتها الافتتاحية حول المقاطعة العربية . وان صحيفتي الولايات المتحدة الاوسع نفوذا ، أعني **واشنطن بوست** و **نيويورك تايمز** ، تقدمان نماذج مشوشة من الدعاوة الصهيونية المتحاملة التي ظهرت على نطاق واسع في غيرهما حول هذا الموضوع . وكلاهما ، **نيويورك تايمز** و **واشنطن بوست** ، للمصادفة ، يهوديتا الملكية . ورغم ان كليهما توجهان بعض النقد لاسرائيل أحيانا ، وخاصة حين يكون المفهوم ان هذا ما تقتضي به المصالح الامريكية، الا انهما على العموم تتخليان عن اي ادعاء بالموضوعية حين تنفخ اسرائيل في بوق « اللاسامية » .

ان **نيويورك تايمز** (٢/١٤) تشير في افتتاحيتها الى « الابتزاز التهديدي في السوق المالية » في مستهل تعليقها حول اللائحة المصرفية العربية السوداء . وبينما تذكر الافتتاحية فعلا في احدى النقاط ان المقاطعة تستهدف « المصانع والمؤسسات المؤيدة لاسرائيل » ، فانها تمضي بعد ذلك لتصف الاجراءات المصرفية العربية بأنها « بشعة وتمييزية » ، على ضوء المعنى المضمن بوضوح وهو ان ضحايا هذه التدابير هم اليهود . ويقول التعليق بعد ذلك انه لا بد من تخفيف المقاطعة العربية الشاملة لاسرائيل ، « كدلالة على موقف لاقتالي »، اذا كانت الدول العربية ترغب بصدق بتحقيق التسوية السلمية التي يسعى اليها دكتور كيسنجر . ومما يثير الاهتمام ، ان هذا المنطق يماثل الخط الحكومي الاسرائيلي ، كما أدلى به ناطقون رسميون ، وبينهم آلون ، والقائل ان اي تحرك باتجاه السلام في المنطقة ينبغي ان يشمل تعاملا اقتصاديا بين اسرائيل والدول العربية . (ويمكنك ايضا مراجعة جيروزاليم بوست في افتتاحيتها يوم ٢/٢٧) .

ان الافتتاحية التي ظهرت في **واشنطن بوست** يوم ٣/١ تمضي الى أبعد من ذلك في مواكبة خط التشويه الذي تنهجه الدعاوة الصهيونية . ان الصحيفة تقوم بتعمية متعمدة لطمس الفرق بين مقاطعة ليهود العالم ، وبين مقاطعة لاسرائيل ، اذ انها تشير الى « مقاطعة لاسرائيل أو للصهيونيين أو لليهود » . من هذا يتضح ان الصحيفة تعرف جيدا ان هناك تمييزا فعلا بين اسرائيل واليهود فيما يتعلق بالسياسات الحقيقية لاجهزة المقاطعة العربية . لكنها آثرت تضليل قارئها بخلط الموضوعين معا لاثارة الالتباس . وتتابع الافتتاحية مزاعمها :

« .. يريد أصحاب المقاطعة ان يجعلوا الاجانب يوافقون على ، ويتبنون .. مفاهيمهم البشعة . انهم يحاولون تقسيم الامريكيين الى عدة فصائل عرقية .. ان المقاطعة تمثل اكثر من مجرد صفعة لاسرائيل . انها ضربة لمبدأ المساواة الاساسي الذي قامت عليه الولايات المتحدة .. ان العرب والامريكيين يدخلون مرحلة جديدة ونشيطة من العلاقات الاقتصادية ، وانه لمن الحيوي منذ البدء عدم ارساء هذه العلاقات على النزعات المعادية

لاسرائيل والمعادية لليهود » .

لا حاجة بنا للكشف عن لا منطقية ولا معقولية ما ورد آنفا . يكفي ان نلاحظ ان هذه الاقوال منشورة في الصحيفة الثانية على الارجح من حيث الاهمية بين صحف الولايات المتحدة (في القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية) ، وان هذه الاقوال نموذج ممتاز للكيفية التي يوجه بها مخططو الاعلام الصهيوني وسائط الاعلام الامريكية . ان **الواشنطن بوست** في عزم قاطع على اثارة اقوى ما يمكن اثارته من المشاعر المعادية للعرب ، تنهي هذه المقالة اللافتة للنظر بالعبارة الاستفزازية التالية : « ان الولايات المتحدة لا يمكن ان تبيع شرفها مقابل الذهب العربي » .

لسوء الحظ ، ان هذا العرض المشوه لغايات المقاطعة العربية ، بدا واضحا في اشكال متنوعة ، في تصريحات عدة قادة ورسميين أمريكيين . وعلى سبيل المثال ، أن المدعي العام (وزير العدل) لولاية نيويورك ، حيث تتمركز غالبية المؤسسات المالية والمصرفية الامريكية ، أعلن شروعه في تحقيق حول اتهامات تتعلق بضغوط مزعومة « مارستها المصادر العربية » على مؤسسات نيويورك المالية . وادعى « ان هذا هو اول مثال أعلم به بشأن احتمال وقوع سوقنا الحرة في مجال السندات المالية تحت ضغط ممكن وتكتيكات قسرية **تنطلق من تعصب أعمى** ... » (انظر نيويورك تايمز ٢/٢٤ . وخط التشديد من عندنا) . وأمر مجلس الشيوخ الامريكي باجراء تحقيق مماثل على مستوى الامة . ووعد رئيس اللجنة المختصة بسن تشريع اذا اقتضى الامر ، « لضمان معاملة متساوية لمواطنينا » .

وربما كانت أخطر من كل هذا ، بسبب ما لاقته من تغطية واسعة على صعيدي الصحافة والتليفزيون ، تصريحات الرئيس الامريكي جيرالد فورد نفسه يوم ٢/٢٦ . لقد هاجم فورد التدابير العربية ضد المصارف المتعاملة مع اسرائيل ، ووصفها بأنها « مناقضة كليا للتقاليد الامريكية ، وكريهة في اعتبار المبادىء الامريكية » . ولقد أخفق فورد أيضا في اجراء اي تمييز بين اسرائيل واليهود ، مما ساعد تماما على فرض الخط الصهيوني . وليس من الواضح ما اذا كان هذا أمرا متعمدا أم لا ، اذ ان فورد — كما هو معروف جيدا — يعتبر جاهلا الى حد كبير بكثير من الشؤون المتصلة بالقضايا الخارجية . وعلى اي حال ، ومهما كانت الدوافع الذاتية ، فان التأثير الموضوعي لتصريحاته غني عن البيان .

واخيرا ، هناك ردود فعل المجتمع اليهودي الامريكي كما عبرت عنها صحفه الخاصة . وكما هو متوقع ، لقد اقتفت هذه آثار الخط الاسرائيلي الرسمي بشأن الموضوع . وان بعض الامثلة تفي بالغرض . ان افتتاحية في **جويش بوست أند أبينيون** ، وهي صحيفة تصدر في مدينة نيويورك لكنها مقروءة على نطاق جميع يهود الولايات المتحدة ، أشارت الى « المجابهة بين العرب واليهود في قطاعات الاعمال والتجارة » (٢/٢٨). وطبيعي ان الصحيفة لا تقوم بأي تمييز بين اسرائيل ويهود العالم . لكن هذا العجز عن التمييز يتجلى تماما في عدد ٢/٢٨ من الصحيفة ، في مقالة بقلم معلق ثابت فيها هو الحاخام موريس ديفيس . لقد تشبث ديفيس بكل قوة بامكان فرض الخرافة الصهيونية بشأن « معاداة العرب للسامية » ، على عقول قرائه . ومنذ أمد بعيد تعتمد المؤسسة الصهيونية الامريكية على هذه الخرافة لدفع يهود الولايات المتحدة لتقديم مزيد من الدعم لاسرائيل . ان الاحداث الاخيرة ، مثل الاعلام العظيم الذي أحاط بمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجها لاقامة دولة علمانية ديموقراطية في فلسطين ، وجهت تحديا لهذه العقيدة في الخط الصهيوني ، وجعلت بعض الامريكيين اليهود يطرحون تساؤلات . لكن الحاخام ديفيس يؤكد :

« الان يقول العرب لامم العالم ان المال العربي لن يأتي حيث تشارك « المصارف اليهودية » .. ان العالم بدأ يرى ما كنا نعرفه منذ امد طويل . ان الشعار العربي القائل انهم ليسوا ضد اليهود بل ضد اسرائيل فقط ليس الا كذبة . **ان اليهود هم هدفهم** » . (خط التشديد من عندنا) .

هذا هو بالضبط ما تريد اسرائيل ان يقتنع به يهود العالم والرأي العام العالمي . انما لحسن الحظ ، كما مر بنا آنفا ، ان عدة ناطقين عرب تصدوا لهذا الخط وعروه على النطاق العام ، مثلما تصدى له كذلك المراقبون المستقلون

الموضوعيون . ومع ذلك ، فان من المحتمل ان تكون هذه الحملة الصهيونية الاخيرة على « عداء العرب للسامية » قد حققت بعض ما استهدفته من تأثير خاصة في الولايات المتحدة الامريكيـة حيث لقي الموقف الصهيوني دعما قويا .

ومهما كان الاذى الذي سببتـه هذه الحملـة للعرب ، فان من الممكن معالجته بسياسة ثابتـة لمكاتب المقاطعـة العربية ، وكذلـك بواسطة المؤسسات العربية الحكومية وغير الحكومية المعنية بهذه المسألة : ينبغي ان يكون هناك تركيز حاسم وواضح على عداء المقاطعة العربية للصهيونية ، بما في ذلك الاشارة عند الاقتضاء ، الى أمثلـة ملموسة لمشاركة يهودية غير صهيونية مع المـال العربي . ان هذا سوف يخدم بالتالي هدفا أبعد ، وهو أن يرسخ في الذهنية العامة الفارق الموضوعي بين الصهيونية واليهود ، سواء اعترفت اسرائيل بهذا أم لم تعترف .

اضافة حول اليهود في سوريا : مشكـلات المعلومات والدعاوة

تبرز مسألة « معاداة السامية » في الموضـوع الثاني في تقريرنا الشهـري الحالي ، والمتعلـق باليهود في سوريا ، وهو الموضوع الذي كنا قـد عالجناه في تقرير الشهـر الماضي ، وذلك حـين شرحنا المساعي الصهيونية الجارية للربط بـين الاضطهاد المزعوم لليهود في سوريا وبين برنامـج منظمة التحرير الفلسطينية في سبيل دولة علمانية ديموقراطية في فلسطين . وكنا في التقرير السابق اياه قد بينا كيف ان مختلف المعلقين الصهيونيـين وانصارهم ، يجهدون للتشكيك في برنامج منظمـة التحرير الفلسطينية ، وذلـك بالقياس الافتراضي بين اوضاع اليهود الاضطهادية المزعومة في سوريا وبين الوضع المستقبلي لليهود الاسرائيليين في دولة فلسطينية لا صهيونية عاد اليها سكانها العرب .

الى جانب هذا الخط المحدد ، لقضية يهـود سوريا اهمية معينة في ذاتها ، من ناحية للطريقة التي تصور بها حكومة وشعب سوريا ، ومن ناحية ثانية لقيمتها المحتملة لمقابلتها بوضع الفلسطينيين في ظل الحكم الاسرائيلي . وسنعمـد في تقريرنـا الان ، الى المقارنة بين مقالتين تعالجان وضـع اليهود في سوريا . وفي كليهما وصف لوضعهـم الراهن بقلم أجنبيين قاما بزيارة سوريا مؤخرا . وسوف يكون هذان المقالان المتباينان بصورة كبيرة في تقديم الموقف ، فرصة لطرح مشكلات المعلومات ونقص المعلومات عن يهود سوريا .

في الحالة الاولى ، عقد عضو في الكونجـرس الامريكي ، هـو ستيفـن سولارز من نيويورك ، مؤتمرا صحافيا في الولايات المتحدة ، غداة عودته من زيارة لسوريا ، حيث كان قد توجه لمناشدتها « اطلاق سراح » السكان اليهـود . لقد عقـد المؤتمر الصحـافي برعايـة « المؤتمر اليهـودي الامريكي » ، الذي كان المؤسسة الصهيونيـة المسئولة بصورة رئيسية عن نشر المعلومـات المغرضة والمغلوطة بشأن حالة اليهود السوريين . وفي تقرير عن المؤتمر الصحافي نشر في جيروزاليـم بوست (٢/٢٣) نقل عن سولارز قوله ان اليهود السوريين يعيشون « في حالة من الرعب » ، وانهم « التجمع اليهودي الذي يقاسي من افظع اضطهاد موجود في العالم » . وادعى سولارز الذي كان قد اجتمع بالرئيس الاسد ، ان الاسد منع اي يهودي سوري من مغادرة البلاد ، لانه اذا سمح بحدوث ذلك لما كان سيصبح في وسعـه الضغط علـى السوفيات لمنع هجرة مماثلة من روسيا .

والاخطر من ذلك ، ان سولارز يعدد التدابـير المتعددة المزعومة التي « وجد » انها تتخذ ضـد يهود سوريا :

« .. لقد حرموا من حق الهجرة ، وفرضـت على سفرهم داخل سوريا قيود قاسية ، ويطلب اليهم حمل بطاقات للتعريف على انهم يهود ، كما انهم ممنوعون من تولي وظائف حكومية ، وكثـيرا ما يلقى القبض عليهم ويضربون ، وليس مسموحا لهم باقتناء اجهزة هـاتف سواء في منازلهم او في سياراتهم » .

لقد ذكر سولارز انه لم يتحدث الى اي يهودي خلال اقامته في سوريا ، الامر الذي يدفعنا الـى طرح السؤال : من اين اذن حصل على معلوماته؟ من الواضح ان مسألة موثوقية روايته لم تطرح في المؤتمر الصحافي .

ما يثير اهتمامنا في هذه الواقعة ، انها تكشف عن المشكلات المطروحة حين يطلب مراقبون اجانب التحقيق في اوضاع ما على ارض الواقع . لقد كان

سولارز يعرف مقدما ، وقبل ان يغادر الولايات المتحدة ، ماذا يتوجب عليه ان « يكتشف » حول يهود سوريا ، وربما لم يكن هناك سوى القليل مما يمكن عمله لتغيير آرائه القائمة على نهج ايديولوجي . ومع ذلك ، فلم يكن منع سولارز من دخول سوريا ، بسبب علاقاته مع المنظمات الصهيونية ، امرا مجديا . (وبالطبع كان سيؤدي منعه من دخول سوريا ، وهو عضو الكونجرس الامريكي ، الى ذيول دبلوماسية) . على اي حال ، ان من الصعب عادة معرفة القناعات السياسية لمراقب ما ، بصورة مسبقة .

لا جدال مع ذلك في القيمة العظيمة للسماح للمراقبين والصحافيين الاجانب ، بالتحقيق في هذه القضية ومثيلاتها بصورة مباشرة ، بالرغم من مخاطر التشويه الصهيوني في اعقاب ذلك . ان هذا الامر يتبدى بجلاء في مقالة اخرى حول اليهود السوريين ، وهذه المرة بقلم صحافي غربي هو ديفيد هيرست مراسل « الجارديان » البريطانية في الشرق الاوسط . ويذكر المراسل في مقالته انه كان محظورا عليه دخول سوريا لمدة عامين ونصف العام لاسباب لا يوردها . وبعد ذلك سمح له بالدخول ، ولقد نشرت له الصحيفة عدة مقالات موضوعية حول سوريا ، تصدى في بعضها بقوة لعدد من الخرافات الصهيونية والمفاهيم المغلوطة . ومثل هذا تماما مقالته حول يهود سوريا (٢/٢٧) التي احتلت ثلث الصفحة الرابعة من الجريدة .

ان تناول هيرست لموضوعه يتسم بالدقة والذكاء . انه يلاحظ ان النظام السوري يهتم كثيرا بالدعاوة الصهيونية المحيطة بالقضية ، كما يصف بعض تجارب السوريين السلبية مع مراسلين غربيين بشأن يهود سوريا . ومن الطريف انه يقتبس في مطلع مقاله بعض ما ورد مؤخرا في منشور للمؤتمر اليهودي الامريكي حول يهود سوريا ، وهو المؤتمر نفسه الذي رعى المؤتمر الصحافي لعضو الكونجرس سولارز ، والذي — كما يبدو بوضوح — زود سولارز « بمعلوماته » في القضية . ويشرع هيرست بدحض اكاذيبهم واحدة واحدة .

يقول هيرست « انه ليس من العسير الوصول الى يهود سوريا ، وانهم يتكلمون بحرية وبغير رعب » . انه يلاحظ « انه برغم معاناتهم من بعض القيود المؤسفة ، واستيائهم الشديد منها » ، فان هذه القيود « تنبع من الاعتبارات السياسية والامنية لبلد يعتبر نفسه في حرب ... **وان هذه القيود لا تبلغ حد الاضطهاد** » . ويعدد هيرست بعض هذه القيود ، بما فيها الحاجة لاذون سفر داخلية ، وحظر العمل في سلك الجيش ، لكنه يدرجها في سياقها الملائم حين يضيف ان القيود على يهود سوريا **أقل قسوة** من القيود المفروضة على العرب في اسرائيل ، « وهناك القليل من ذلك التمييز الاضافي الناجم عن الايديولوجية الاساسية للدولة ، والتي يعاني العرب (في اسرائيل) بسببها » .

ويمضي هيرست ليقرر بصراحة ان ما يقوله المؤتمر اليهودي الاميركي وغيره من الجماعات الصهيونية حول يهود سوريا « كاذب » . انه يشرح هذه النقطة بالاشارة الى :

« انهم ليسوا ممنوعين من اقتناء السيارات واجهزة التليفزيون . لا صحة لحظر تجولهم عند الساعة العاشرة ... ان ملكية اليهود لا تؤول الى الدولة عند الوفاة ... ان الكثيرين منهم [اليهود] يديرون اعمالا رابحة في احياء حديثة من المدينة... وان التعاليم الدينية ليست ممنوعة وكذلك تدريس العبرية ... وان اليهود ليسوا ممنوعين من دخول الجامعات السورية ... وانهم يؤكدون في الغالب ان وضعهم بدل أن يسوء ، قد تحسن » .

ويعالج هيرست مسألة قيود السفر الى الخارج بصورة دقيقة ، مشيرا الى ان معظم اليهود الراغبين بالسفر الى الخارج هم الشباب والمتعلمون ، وان هؤلاء يخضعون للقيود عينها التي يخضع لها جميع الشباب والمتعلمين في سوريا . ويذكر المراسل ان بعض اليهود **يسافر فعلا** . وينقل عن شاب يهودي طالب في الجامعة قوله : « اذا سمح لنا بترك البلاد ، فان ٨٠٪ سيرغبون في البقاء ، واني لعلى ثقة ان الاقلية ستختار الذهاب الى اسرائيل » .

لقد أسهبنا كثيرا في عرض هذه المقالة (رغم اننا لم نذكر العديد من النقاط الايجابية الاخرى)، وذلك لنؤكد القيمة المحتملة لمثل هذه التقارير

الاجنبية الموضوعية في التصدي للدعاوة الصهيونية. ان ظهور مقالة كهذه ، في صحيفة بورجوازية ذات شأن **كالجارديان** ، يسبب للقضية الصهيونية أذى يصعب معالجته . لقد اوضح هيرست بكل جلاء ، ان سوريا ، نظاما وشعبا ، الموصوفة بالتعصب في الغرب ، عاملت يهودها بطريقة تثير الاعجاب ، على الرغم من الاعتبارات الامنية والتحريض الاسرائيلي المتواصل ماضيا وحاضرا . فاذا كان هذا هو حال اليهود الطيب في بلد عربي في زمن الحرب ووطأتها السياسية والنفسية الماثلة ، فما الذي يبرر رفض تجريد اسرائيل من الصهيونية، ورفض دولة علمانية ديموقراطية في فلسطين ؟

اسئلة كهذه تثيرها مقالة هيرست في الذهن العام . انها تحشر الدعاة الصهيونيين في الزاوية. ولهذا السبب ، ينبغي تشجيع صحافيين مستقلين اخرين على التحقيق في وضع يهود سوريا بحرية ، مع المخاطرة بالسماح لاولئك الذين يتبنون موقفا مساندا للصهيونية باغتنام الفرصة لينشروا بالتأكيد مزيدا من الدعاوة الصهيونية حول المسألة . ومع انه حتى المراقبين الاكثر موضوعية وتعاطفا ، مثل هيرست ، يحتمل ان يكتشفوا وان ينشروا بعض نواحي المسألة من التي قد تصدم القراء الاجانب باعتبارها غير عادلة او مؤسفة ، الا ان الانطباع العام الذي ينغرس في الذهن في النهاية ، هو انطباع ايجابي ، خاصة اذا ما قورن الوضع بأحوال الفلسطينيين الموجودين في ظل الحكم الاسرائيلي .

ولا بد من الاشارة في هذا المقام ، الى انه لم يفت الصهيونيين ملاحظة خطورة تقرير هيرست . ذلك ان هذا التقرير وسواه من التقارير التي بعث بها هيرست اثارت ضجة عظيمة في بريطانيا ، كما نستدل من المناقشات وخلافات الرأي التي ظهرت في الرسائل الموجهة الى محرر **الجارديان** ، والتي تنشر تباعا في الصحيفة . ولقد لاقى هيرست حملة من الانتقادات الحاقدة والشتائم من جانب القراء والناطقين المساندين للصهيونية الذين كانوا يتابعون مقالاته . واذا سمح لنا المجال ، فسنعرض لشيء من هذا في تقرير الشهر المقبل .

ادريس الخالدي

مقابلة مع المسؤولين في الاتحاد العام لعمال فلسطين / فرع لبنان حول بعض القضايا النقابية

أجرت « شؤون فلسطينية » هذا اللقاء مع الاخ زيد وهبة أمين سر فرع الاتحاد العام لعمال فلسطين في لبنان وعضو اللجنة التنفيذية والمجلس الاعلى للاتحاد العام لعمال فلسطين ، والاخ موسى جريس مسؤول العلاقات الخارجية في فرع لبنان وعضو المجلس الاعلى للاتحاد العام لعمال فلسطين ، وذلك بمناسبة عيد العمال العالمي في أول ايار الذي هو ايضا عيد للطبقة العاملة الفلسطينية . وقد حرصنا ، في هذا اللقاء ، ان نركز على القضايا النقابية . وقد طرح الاخوان خطة عمل فرع الاتحاد في المرحلة الحالية على ضوء التجربة السابقة متناولين مختلف الظروف السياسية والاجتماعية والنقابية للعمل الفلسطيني في لبنان .

وقد لفت انتباهنا ان هناك محاولة جادة من قبل فرع الاتحاد في لبنان باتجاه تعميق التجربة النقابية وتطويرها عن طريق تشكيل ما يسمى « باللجان النقابية المهنية » و« اللجان المحلية » التي ستؤدي ، في حال نجاحها ، الى تكوين النقابات الفلسطينية على اساس مهني بحيث يكون الاتحاد العام لعمال فلسطين هو اتحاد نقابي فعلي لمجموع النقابات الفلسطينية . وهذه المحاولة — البادرة جديرة حقا بالاهتمام والتشجيع من جميع فصائل المقاومة المشاركة في الاتحاد ، والى التفاف العناصر النقابية المخلصة حولها ، على مستوى القاعدة العمالية ، بهدف النضال من أجل ارسائها وتطويرها على أسس ديموقراطية ونقابية صلبة .

— هل لكما ان تقدما لنا بايجاز لمحة عامة عن نشاط الاتحاد العام لعمال فلسطين / فرع لبنان ؟

بدأ نشاط الفرع في عام ١٩٦٤ ، ونظرا للظروف السياسية التي كان يعاني منها الفلسطينيون في لبنان ، اتخذ عمل الاتحاد في تلك الفترة الطابع السري نسبيا . وكان اعضاؤه يتعرضون للاعتقال والملاحقة المستمرة ، نذكر منهم ، على سبيل المثال ، الاخوين صلاح صلاح وأحمد اليماني (أبو ماهر) . كما كان نشاط الفرع محصورا في مناطق معينة . وقد استمر وضع الاتحاد على هذه الصورة حتى اواخر عام ١٩٦٨ . ففي هذا العام ، ومع تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان ، بدأ عمل الاتحاد يأخذ طابع العلنية . وقد تشكلت هيئة ادارية على اساس صيغة ائتلافية بين حركة التحرير الوطني (فتح) وبين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وكان أمين سر الفرع آنذاك زيد وهبه ونائب أمين سر الفرع صلاح صلاح .

أما المهمة الرئيسية التي واجهتها الهيئة الادارية فهي الاعداد للانتخابات . وقد جرت هذه الانتخابات في شهر ايار عام ١٩٧١ . الا ان الملاحظ ان هذه الانتخابات لم تأخذ طابعا نقابيا صرفا ، بل اتخذت طابع الصراع والمنافسة السياسية بين التنظيمات السياسية الفلسطينية . وقد خاضت الانتخابات قائمتان متنافستان الاولى تمثل فتح تحت شعار قائمة « انصار الثورة الفلسطينية » (وقد تحالف وقتها مع هذه القائمة جبهة التحرير العربية في منطقتي طرابلس وصيدا) ، والثانية ضمت كافة فصائل المقاومة الفلسطينية الاخرى تحت شعار قائمة « الوحدة الوطنية » .

وقد أسفرت الانتخابات عن فوز قائمة « أنصار الثورة الفلسطينية » في كافة المناطق اللبنانية ، باستثناء منطقة صور التي فازت فيها القائمة المنافسة الاخرى . واثر هذه الانتخابات عقد المؤتمر الرابع لفرع الاتحاد ، الذي بلغ عدد أعضائه ٨٤ عضوا حضر منهم المؤتمر ٦٦ عضوا . وقد أسفر المؤتمر عن انتخاب هيئة ادارية من ١١ عضوا يمثلون ثلاثة تنظيمات فلسطينية (فتح ، الجبهة الشعبية ، الصاعقة) ، وكذلك انتخب الاخ موسى جريس (فتح) أمينا لسر فرع الاتحاد .

كيف تطور نشاط الفرع بعد المؤتمر الرابع في مختلف الاصعدة ؟

كانت القضية الاساسية هي العمل على بناء الهيكل التنظيمي النقابي للاتحاد . وقد واجهت هذه القضية الكثير من العقبات . فأولا ، لم يكن هناك عدد من الكوادر النقابية الكفؤة والمتفرغة للعمل النقابي فقط . ثانيا ، عدم تعاون فصائل المقاومة المشاركة في الاتحاد والتي بقيت خارج جسم الاتحاد بنتيجة الانتخابات التي كانت استفتاء سياسيا أكثر مما كانت استفتاء نقابيا ، ذلك الى حد ان بعض التنظيمات ، بعد الانتخابات ، عمم وقتها على اعضائه بعدم الالتزام بدفع الاشتراكات.

وبالرغم من كل هذه الصعوبات فقد استطاع الفرع ، ضمن الامكانيات المتوافرة القليلة ، ان يخوض نضالات نقابية ناجحة وتحقيق العديد من الانجازات. ونذكر من النضالات النقابية عام ١٩٧٣ العمل على زيادة أجور عمال الزراعة في الجنوب والبقاع من ٥ ل.ل. الى ٧ ل.ل. يوميا على أساس ان تكون أجرة الطريق على رب العمل . وفي عام ١٩٧١ ناضل الفرع من أجل فرض الحد الادنى للاجور للعمال الفلسطينيين في محطات البنزين بمنطقة صيدا . كذلك النضال من أجل زيادة أجور عمال الرش من ١٣ ل.ل. الى ١٥ ل.ل. يوميا في نفس منطقة صيدا . وفي ١٩٧١/١٠/٩ تمت زيادة أجور عمال البلاط في صيدا وصور بمعدل ٢٥٪ . هذا بالاضافة الى تحصيل حقوق العمال الفلسطينيين المفصولين من العمل في كافة المناطق اللبنانية .

وبالنسبة لتحرك عمال غندور تشرين الثاني ١٩٧٢ فقد شارك عمال الاتحاد في المصنع جنبا الى جنب مع العمال اللبنانيين . وقد تعرض سبع من العاملات الفلسطينيات الى الاعتقال . وحاولت وقتها بعض الجهات في السلطة ان تزج بالمقاومة في قضية ذات طابع نقابي . ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل واصدر الفرع بيانا نشر في معظم الصحف اللبنانية حذر فيه من محاولة زج المقاومة وشرح فيه اسباب المشاركة في الاضراب وكانت النتيجة طرد ٦ من العاملات الفلسطينيات في المصنع نتيجة لموقف الفرع الصلب من هذه القضية النقابية .

ومن جهة ثانية ، أولى الاتحاد اهتماما واضحا بمطالب الجماهير الفلسطينية في المخيمات من وكالة الغوث ، كما وقف بحزم ضد السياسة التعليمية التجهيلية التي تتبعها .

اما ابرز انجازات الفرع في المخيمات فهي المساهمة مع الاهالي في بناء المجارير في مخيمي تل الزعتر وبرج البراجنة . ومن خلال التعاون المشترك مع اهالي مخيم جسر الباشا تم انشاء مدرسة تكميلية في المخيم . وقد بلغت تكاليف البناء ٥٧ ألف ليرة لبنانية وساهمت حركة فتح والاتحاد العام لعمال فلسطين / فرع الكويت بالمساعدة المالية . وفي مخيم الجليل (ويفل) ببعلبك قام الاتحاد بالاشتراك مع فصائل حركة المقاومة في المنطقة بجمع تبرعات مادية لبناء خزان للمياه داخل المخيم . ويقوم الاتحاد ، ايضا ، بتقديم مساعدات مالية لبعض العمال المحتاجين اليها . هذا ، بالاضافة الى دفع مساهمات مالية اخرى لبعض ابناء العمال في حال المعالجة الطبية لهم .

ما هو وضع الفرع وكيف تطور نشاطه بعد المؤتمر الخامس ؟

بتاريخ ٧٤/٨/١٦ عقد المؤتمر الخامس للفرع في سوق الغرب بحضور اعضاء المؤتمر الذين بلغ عددهم ١٣٩ عضوا . وهم يمثلون كافة فصائل المقاومة الفلسطينية .

والواقع ان المؤتمر الخامس لم يعقد نتيجة انتخابات نقابية عامة ، بل على اساس صيغة ائتلافية ضمت كافة فصائل المقاومة المتواجدة على الصعيد الشعبي في المخيمات . وقد جرت الصيغة الائتلافية حسب نسبة تنسيب كل فصيل سياسي من عدد العمال لفرع الاتحاد ، (٧٥ عضوا لحركة فتح و ٦٤ عضوا لكافة المنظمات الفلسطينية الاخرى . هم عدد اعضاء المؤتمر الخامس للفرع).

وانتخب المؤتمر هيئة ادارية مؤلفة من ١٥ عضوا . (٧ لحركة فتح و ٨ للمنظمات الاخرى) . وجرى انتخاب النقابي زيد وهبة امينا لسر فرع الاتحاد في لبنان . والجدير بالذكر ان الاخوين النقابيين اللذين قادا عمل الاتحاد طيلة السنوات الخمس الماضية (زيد وهبة وموسى جريس) كانا قد أكدا على ضرورة الائتلاف الجبهوي بهدف مشاركة كافة التنظيمات في العمل النقابي ، وذلك على ضوء تجربتهما السابقة في العمل .

وبعد المؤتمر مباشرة عقدت الهيئة الادارية لفرع

الاتحـاد اجتماعها الاول حيث جـرى توزيـع المسؤوليات ووضـع الخطوط العريضة لعمل فرع الاتحاد للفترة من ١٩٧٤ ــ ١٩٧٧ حيث تحتل المهمة المركزية مسألة بناء الهيكل النقابي في الروابـط (تتشكل كل رابطة على اساس المنطقة) وتشكيـل مكاتب ادارية في كل رابطة تتولى مباشرة الاتصال بالعمال وتشكيل لجانهـم النقابية المهنية وذلـك انسجاما مع الخطة الرامية لتنفيذ مهام الفـرع المتمثلة بـ :

أ ــ ضرورة العمل الجـاد لتشكيل اللجـان النقابية المهنية واللجان المحلية بغية ترسيخ أسس نقابية صحيحة حتى يصبح الاتحاد العام لعمـال فلسطين « اتحاد نقابات عمال فلسطين » . وفي حال نجاحنا في مهمة تأسيس مثل هذه اللجـان تجري عملية تطويرها لكي تصبح نقابات مهنية فعلية ومعنية مباشرة بالانتخابات والتمثيل في الاتحـاد وليس المنظمات السياسية كما هو الحال الان .

ب ــ النضـال المشترك بين قيادة العمال والاتحاد من اجل الغاء اجازة العمل في لبنان وبالتالي تعميق الوحدة العمالية والنقابية بين العمال اللبنانيـين والفلسطينيين وذلك سواء مـن خـلال القواعد العمالية او النقابات اللبنانية التي تمثل العمـال اللبنانيين تمثيلا صحيحا .

ج ــ النضال من اجل رفع مستوى العامـل الفلسطيني نقابيا واجتماعيا وسياسيا .

ونحن نلاحظ ان اعمال الهيئة الادارية الجديدة قد انتظمت بشكل ممتاز من خـلال الاجتماعـات الدورية التي تعقد كل ١٥ يوما لمناقشة كيفية تنفيذ خطة العمل والاشراف المباشر عليها . وقد حاولنا ان نطور أسس علاقاتنا بالتنظيمات السياسية من خلال رسائل رسمية توجه الى كل تنظيم لتبيـان دور ممثله في الهيئة الادارية ، كما نعرف بانجازاتنا النقابية وبالعقبات التي تواجه الفرع . وذلك لكي يكون واضحا امام كل تنظيم سياسي الدور الذي يمارسه الاتحـاد .

ومن جانبها ، تحرص الهيئة الادارية ، في الوقت الحاضر ، على حضور جميع الاجتماعات التي تعقد في الروابط ، والاشراف ، بالتالي ، على تشكيل اللجـان النقابيـة وحضور الاجتماعات الدورية الموسعة في كل مخيم .

ونرى ان العمل في الفرع قد بدأ يأخذ الشكـل الديمقراطي والنقابي الصحيح في الروابط الخمـس الممثلة بالهيئة الادارية . وذلك عن طريق تشكيـل العديد من اللجان المهنية النقابية واللجان المحلية القائمة على اساس الوحدة الانتاجية (مصنـع ، مؤسسة ، ورشة) .

وقد جرى تشكيل لجان نقابية مهنية لكل من : عمال القطاف في الجنوب ، وعمال المحروقـات (محطات البنزين) ، ولعمـال الميناء ببيروت ، وللسائقين في وكالـة الغوث ، ولعمـال البناء ، ولعمال المصابغ ، وللعاملـين في المهن الطبيـة (ممرضون بشكل خاص) . كما تم تشكيل عـدد اخر من اللجان المحلية في بعض المؤسسات ، التي يعمل بها العمـال الفلسطينيـون ، في بيروت . وتقوم ، حاليا ، اللجان النقابية المؤلفة باعـداد دراسات نقابية مهنية عن مجال عملها . وتلعـب اللجان النقابية المذكورة دورا واضحا في النضـال النقابي لتحقيق العديد من المطالب العماليـة . وقد كان اخر نضالاتها الناجحة ، خلال شهر نيسـان ١٩٧٥ ، تحسين شروط العمل والاجور لعمـال قطاف الليمون في الجنوب .

وهناك عدد من النضالات النقابية البارزة التي قامت بها اللجان النقابية ، نذكر منها : تحقيـق بعض مطالب عمال محطات البنزين في الجنـوب والبقاع لجهة زيادة الاجر وتحديد ساعات العمـل وبعض الضمانات الصحيـة والاجتماعية . هـذا بالاضافة الى تحقيق بعض مطالب العمال والمرضين والسائقين العاملين في وكالة الغوث . وفي رابطة الشمال (طرابلس) تولـت اللجـان النقابية في الرابطة مهمة توزيع السكر للمواطنين الفلسطينيين في المخيمات بشكل منظم . وتجري حاليا الدراسات حسب سلم الاولويات ، لتبني مطالـب اللجـان النقابية الاخرى .

وعلى صعيد المطالـب الاجتماعية لجماهـير المخيمات ، يقوم الفرع بنشاط واضح ، مـن خلال الروابط واللجان النقابية المؤلفة ، لانجاز عـدد منها . ففي مخيم تل الزعتر تم انجاز مشروع الملجأ والمستشفى والمسجد وقاعة العمال في مبنى واحد. كما تجري ، حاليا ، عملية حفر بئر ارتوازية لمياه الشرب في نفس المخيم .

وفي رابطة البقاع شرعنا بحفر بئر ارتوازية اخرى في مخيم الجليل (ويفل) وتصل التكاليف الى حوالي ١٥ الف ليرة . وفي رابطة صور تم الاعداد لحفر بئر ارتوازية ، ايضا لاهالي مخيم القاسمية .

وهنا نرغب ان ننوه باهتمام فرع الاتحاد بملاحقة مسألتي اجازة العمل والضمان الاجتماعي للعمال الفلسطينيين فقد تقدم الفرع مؤخرا بمذكرة لرئيس الوزراء ولوزير العمل والشؤون الاجتماعية في ٧٥/١/٣ طالبنا فيها بضرورة الغاء اجازة العمل للفلسطينيين وافادتهم من صندوق الضمان الصحي والاجتماعي اسوة باخوانهم العمال اللبنانيين .

— هل لكما ان تشرحا لنا خطة الفرع لتطوير عمل اللجان النقابية والمحلية ؟

— اننا نسعى ، الان ، لتعميق الوعي النقابي لدى عامل منتسب للاتحاد من خلال اللجان النقابية المهنية او المحلية . ويتم ذلك :

١ — بعقد المحاضرات والاجتماعات الموسعة بين اللجان واصدار التعميم النقابي الشهري، والاعداد لدورات نقابية في الخارج عن طريق الامانة العامة للاتحاد العام لعمال فلسطين . كما اننا نحاول ، الان ، اعداد دورات نقابية محلية على صعيد الفرع .

٢ — العمل على اعداد دراسات مهنية تقوم بها كل لجنة من اللجان النقابية المؤلفة وذلك من خلال استمارات تفصيلية .

٣ — العمل على ان تنتخب اللجان النقابية والمحلية المؤلفة ممثليها الفعليين بشكل ديمقراطي يضمن للتسلسل التنظيمي النقابي دوره الفعال واطاره الديمقراطي الصحيح .

— لكن ما هي العقبات التي تقف ، حسب تصوركما ، دون تطوير خطتكم لتطوير عمل اللجان النقابية ؟

— أهم العقبات هي :

١ — عدم وجود الكادر النقابي الكفؤ والمتفرغ لمهمته النقابية .

٢ — عدم امكانية فرع الاتحاد المالية لتفريغ المزيد من الكوادر . فحاليا لا يوجد سوى عضوان متفرغان فعليا وكليا للعمل النقابي في الفرع .

٣ — الفرع بامكانياته الحالية لا يستطيع ان ينجح كليا ببناء اللجان النقابية ، طالما ان قيادة الاتحاد العام لعمال فلسطين الممثلة في الامانةالعامة لا تقوم بالدور التوجيهي ، وبالتالي ، المشاركة الفعلية من قبل المسؤولين في قيادة الاتحاد . وذلك يرجع ، حسب تصورنا ، للاسباب التالية :
أ — عدم وجود معهد نقابي تابع للاتحاد العام لعمال فلسطين . ب — افتقار الاتحاد الى وجود اجهزة متفرغة للعمل النقابي . فعلى سبيل المثال ، نجد ان المسؤول الاعلامي في الاتحاد العام لعمال فلسطين يعمل بصورة فردية بدون جهاز اعلامي . وهذا الواقع ينسحب على جميع الامناء العامين المساعدين بحيث انه عندما يسافرون لتمثيل الاتحاد في البلدان العربية والاجنبية الصديقة لا يوجد هناك من يقوم بدورهم . وهم ، بالنتيجة ، يقضون معظم اوقاتهم بعيدا عن هموم ومشاكل فروع الاتحاد المختلفة .

— هل نستطيع ان نستنتج من حديثكما ان النشاط الاساسي للامانة العامة للاتحاد ينصب على النشاط الاعلامي الخارجي اكثر مما ينصب على الاهتمام بمشاكل العمل النقابي الداخلي ؟

— هذا صحيح .

— هل هناك عقبات اخرى ، غير نقابية ، تحول دون تنفيذ خطة الفرع النقابية بفعالية ؟

— هناك ظاهرة عدم تجاوب كافة التنظيمات السياسية . فمن المؤسف انها حتى الان لم تتجاوب بشكل فعال لفهم الدور النقابي للاتحاد ودعمه وتطويره لكي يكون على مستوى مسؤولياته . فمن مجموع الرسائل التي وجهها فرع الاتحاد الى جميع فصائل المقاومة مؤخرا ، لم يصل سوى رد مشجع من الجبهة الشعبية ورد اخر من فتح ولم يصلنا شيء من سائر التنظيمات الاخرى . كما انه منذ انعقاد المؤتمر الخامس للفرع وحتى اليوم نجد ان التنظيمات تستبدل يوميا الاعضاء المفرزين للعمل في الروابط . وهذا نتيجة لعدم تفريغهم من قبل تنظيماتهم للعمل النقابي من جهة ، وعدم محاسبة تنظيماتهم لهم عن دورهم النقابي . ونحن نجد ايضا ان كل اعضاء الهيئة الادارية الذين يمثلون مختلف التنظيمات السياسية يشكون ويتذمرون من

عدم تجاوب تنظيماتهم في مجال عملهم النقابي . ولكننا نأمل ان تتحسس التنظيمات السياسية هذه المشكلة وتوليها الاهتمام الكافي .

ـ كيف تفسران مشكلة جمع الاشتراكات وهناك حوالي ٢٣ الف منتسب لفرع الاتحاد في لبنان ؟!

ـ هناك بالواقع مشكلة مزمنة بالنسبة لالتزام اعضاء الاتحاد في دفع الاشتراكات . وهذا يرجع الى هامشية الاسس النقابية لارتباطاتهم السابقة بجسم الاتحاد . ولكننا نلمس الان بشكل أولي ومن خلال اللجان النقابية والمحلية المؤلفة بوادر التحسن في مسألة جمع الاشتراكات الشهرية من الاعضاء . وهذه العملية لا بد ان تسير جنبا الى جنب مع تحسن الهيكلية النقابية في بناء فرع الاتحاد .

ـ ما هي علاقة الفرع بالنقابات اللبنانية ؟

ـ لقد أولى الفرع اهتماما خاصا بالعلاقة مع بعض الاتحادات اللبنانية . وقد جرى عدد من اللقاءات الهامة بين الفرع والاتحاد العمالي العام ، كما تشكلت لجنة تنسيق مع الاتحاد الوطني للعمال والمستخدمين في الجنوب . وكذلك تألفت لجنة تنسيق مماثلة مع اتحاد عمال الشمال . هذا بالاضافة الى عدد من اللقاءات على مستوى القواعد العمالية في جميع المناطق اللبنانية وتبني القضايا العمالية المشتركة مع العمال اللبنانيين .

ـ ما هي حسب تصوركما ، اسباب رفض المسؤولين في لبنان الغاء اشتراط اجازة العمل للعاملين الفلسطينيين ؟

ـ يستند هذا الرفض من قبل المسؤولين الى صيغة تشريعية صادرة عن مجلس النواب تعتبر الفلسطينيين في لبنان « اجانب » . والغاء هذا التشريع يحتاج الى اعادة النظر في القرار من قبل اغلبية نيابية . وطالما ان هذه الاغلبية غير متوفرة فان حجة السلطة ستظل قائمة !

وانطلاقا من قناعتنا بان هذا الموقف هو موقف سياسي بالدرجة الاولى ، وعلى ضوء المتغيرات والمعطيات الجديدة للثورة يحق لرئيس الجمهورية ولمجلس الوزراء استصدار تشريع جديد بالغاء اشتراط اجازة العمل .

ومن الملاحظ انه في جميع مؤتمرات منظمة العمل العربية هناك قرارات وتوصيات تطالب جميع الدول العربية الاعضاء بمساواة العمال الفلسطينيين بالعمال العرب في كل بلد عربي . ولبنان ، بالطبع، ضمن هذه الدول التي التزمت بقرارات هذه المؤتمرات . ولكنه لم ينفذ منها شيئا .

اما دورنا في هذا المجال فهو الاستمرار بالنضال الداخلي ، من خلال التلاحم مع العمال اللبنانيين والاتحادات اللبنانية الصديقة للوقوف بحزم ضد هذه التشريعات الجائرة التي تجاوزتها وحدة الدم الفلسطيني اللبناني على أرض لبنان . كما اننا سنناضل ، ايضا ، من خلال المؤتمرات العربية والدولية للضغط على الدولة اللبنانية لكي تعيد النظر في هذا التشريع الجائر .

ولكن يبقى التركيز الاساسي في هذا المجال هو العمل على تصليب قاعدتنا العمالية التي تعتبر الركيزة الوحيدة القادرة بنضالها المتلاحم مع النضال العمالي اللبناني والعربي على تجاوز كل ما يحول دون تحقيق مطالبها العادلة .

هاني مندس

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

الفشل والبديل

سياسة الخطوة ــ خطوة كانت اخر خطواتها المرحلية مساء ٢٢ آذار (مارس) الماضي عندما اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية في القدس ان الدكتور كيسنجر فشل في تحقيق اتفاق حول سيناء وانه نتيجة ذلك « علق مهمته » ، وسيعود الى واشنطن لاطلاع الرئيس فورد والكونجرس على تطورات الوضع ، فقد « تبين ان المواقف الاساسية لمصر واسرائيل لا يمكن التوفيق بينها ، والمسألة تحتاج الى فترة من التفكير واعادة التقييم لاعداد اتفاق يؤدي الى سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » . كما اعلن السيد اسماعيل فهمي ، وزير الخارجية المصري ، في الوقت نفسه ان سياسة التحرك خطوة ــ خطوة « انتهت » بعد فشل الوزير الاميركي « بسبب تعنت الحكومة الاسرائيلية » . وذكر فهمي « ان الحكومة الاسرائيلية تتحمل وحدها مسؤولية الفشل وكل المضاعفات الناجمة عن موقفها » . وقد حدد فهمي في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية الذي عقد في القاهرة في ٣/٢٤ على مستوى وزراء الخارجية ، اسباب فشل كيسنجر في تحقيق اتفاق حول سيناء ، فقال ان مصر اصرت في المفاوضات على رفض انتهاء حالة الحرب ، واضاف « حين تمسكت مصر بموقفها المبدئي الذي يقوم على رفض هذا الانهاء غير المنطقي لحالة الحرب وارضنا محتلة واخوتنا في الضفة الغربية يرزحون تحت اسوأ صور الاحتلال ، لجأت اسرائيل كعهدها الى المناورة والتلاعب فطرحت صيغا متعددة تدور كلها حول فكرة انهاء الحرب صراحة او ضمنا ، وكانت كل صيغة تقابل منا بالموقف الحازم الذي تعرفونه ، بل ان الامر بلغ بهم حد ان طالبوا مصر بالامتناع عن الدخول في عمليات عسكرية تشنها دولة اخرى على اسرائيل مع ان قادة اسرائيل واثقون من ان مجرد اثارة مثل هذه المسألة يعتبر دعوة صريحة للرفض ونسفا لكل فرص الاتفاق » .

تحددت اذن عناصر الموقف الجديد كما يلي : ان اسرائيل تتحمل وحدها مسؤولية الفشل، بسبب اصرارها على ربط الاتفاق حول سيناء بانهاء حالة الحرب ، بينما كان الموقف المصري كما اوضحه فهمي « ان الاتفاق لا يمكن ان يكون الا خطوة عسكرية محدودة تتضمن الانسحاب الشامل للقوات الاسرائيلية الى شرق الممرات ومن كل حقول النفط » . واستنادا الى ذلك فلم يجر تحميل اميركه اي قسط من المسؤولية ، مسؤولية الفشل ، وبذلك فكما صرح السيد تحسين بشير ، المتحدث الرسمي المصري ، (٣/٢٢) فان فشل كيسنجر لن يؤثر على العلاقات المصرية ــ الاميركية ، كذلك اعلن الموقف نفسه وزير الخارجية المصري (في مؤتمر صحافي عقده في أسوان في ٣/٢٢) اذ أشار الى ان العلاقات المصرية ــ الاميركية لن تتأثر نتيجة انهيار جهود كيسنجر . وقال « ان هذه العلاقات التي تحسنت كثيرا منذ حرب ١٩٧٣ ستستمر » . غير ان هذه النتيجة التي اصبحت احد مكونات السياسة المصرية في الاونة الاخيرة تجد لها تفسيرا آخر في الموقف الفلسطيني من الجهود الاميركية التي بذلت لتحقيق تسوية على جبهة سيناء . فقد صرح السيد عبد المحسن ابو ميزر ، الناطق الرسمي الفلسطيني ، اثر اجتماع عقدته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في رئاسة الاخ ابو عمار

في دمشق في ٣/٢٣ ان اللجنة درست في اجتماعها « التطورات السياسية الناشئة عن فشل مهمة كيسنجر في المنطقة ولاحظت ان ذلك يثبت من جديد ان السياسة الاميركية القائمة على دعم العدو عسكريا وسياسيا وماديا وتشجيع استمرار عدوانه واحتلاله وتجاهل الوجود الفلسطيني وحقوق شعبنا ومحاولة شق وحدة الموقف العربي ، ان هذه السياسة هي السبب الرئيسي وراء غطرسة العدو وتماديه في عدوانه » . وقد أكدت « فلسطين الثورة » (٣/٣٠) هذا التفسير بقولها ان « القول بأن الولايات المتحدة قد فعلت ما في مستطاعها للضغط على العدو ولكن دون جدوى ، وبالتالي فهي بريئة من الجرم اما المتهم الوحيد فهو العدو الصهيوني ، انما هو للتغطية على الخداع الامبريالي وعلى القوى المتواطئة التي تعمل من اجل سيطرته على المنطقة . فالامة العربية تعرف ان القاعدة الصهيونية قامت بفعل سيطرة الولايات المتحدة واستمرت وقامت بالعدوان المستمر بالسلاح الامبريالي ، ولا احد يصدق ان العدو الصهيوني شيء والولايات المتحدة شيء اخر . فبدون دعم الولايات المتحدة لا يمكن لاسرائيل ان تعيش سنة واحدة فكيف تروج القوى العميلة والمشبوهة (براءة) الولايات المتحدة في الوقت الذي تعرف فيه الامة العربية ان اسرائيل هي قاعدة عدوانية للامبريالية الاميركية » .

ان هذا التفسير الفلسطيني لفشل كيسنجر هو جزء من الفهم الشامل للمهمة نفسها ، وقد عبر الاخ فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، عن هذا الفهم في تصريح « لوكالة تونس ــ افريقيا للانباء » (نقلته « وفا » في ٣/١٠) قال فيه « نحن نرفض سياسة الخطوة خطوة لانها عملية مماطلة من جانب الامبريالية الاميركية واسرائيل لتعطيل كافة المساعي التي تهدف الى اقامة سلام دائم وعادل في المنطقة ... ونحن لا نثق بكيسنجر ولا بخطواته ولا بسياسته ، فالسياسة الاميركية ما زالت معادية بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وما زالت الولايات المتحدة تقف موقف المتجاهل للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، ولذلك فاننا نرفض سياسة الخطوة خطوة ، ونعتقد انها صورة من التآمر على الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة » . هذا الفهم حدد الممارسات الفلسطينية ازاء جهود كيسنجر والموقف من مصر الذي تصاعد في شهر شباط الماضي وفي الفترة من آذار التي شهدت محادثات كيسنجر في مصر واسرائيل ، الى درجة الازمة في العلاقات الفلسطينية ــ المصرية . غير ان فشل التوصل الى تسوية منفردة على الجانب المصري ، وهو الامر الذي رفضته منظمة التحرير الفلسطينية ، وضع هذه الازمة على عتبة الانفراج بعد ان زالت اسبابها المباشرة التي كانت تشكو منها القيادة الفلسطينية . وقد كان وصول ابو عمار الى القاهرة مساء ٤/٦ ومباحثاته خلال اليومين التاليين مع الرئيس السادات وعدد من المسؤولين المصريين مؤشرا على بداية الانفراج في العلاقات الفلسطينية ــ المصرية . وقد علقت « الاهرام » ٤/٨ على محادثات ابو عمار ــ السادات بقولها ان هذه المباحثات « اتسمت بالصراحة الكاملة وشملت ، بعد المناقشة الكاملة للعلاقات الفلسطينية ــ المصرية ، دراسة احتمالات المرحلة المقبلة بكل ابعادها السياسية والعسكرية » وقالت الصحيفة ان ابو عمار اكد في حديثه انه « اذا كانت العلاقات المصرية ــ الفلسطينية مرت خلال الفترة الماضية بسحابة صيف ، الا ان الجانب الفلسطيني يدرك تماما ان قدر القضية العربية برمتها ان تكون المقاومة الفلسطينية مع مصر ، ذلك ان اي مكابر لا يستطيع ان يتنكر لدور القاهرة الرائد والقائد ، بل ان لا حل للقضية العربية في غياب مصر كما ان لا حل ايضا لمشاكل مصر بعيدا عن العرب » .

ان فشل مهمة كيسنجر فتح الباب للبديل : مؤتمر جنيف المعتيد . ففي الوقت نفسه الذي اعلن فيه فهمي هذا الفشل أكد (في مؤتمر صحافي عقده في اسوان في ٣/٢٣) ان مصر ستطالب خلال الايام القليلة المقبلة عقد مؤتمر جنيف وان ذلك سيتم بموجب مذكرة تبعث بها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بوصفهما الرئيسين المتناوبين لمؤتمر جنيف . وعلى الرغم من ان جنيف كانت سابقة مهمة الوزير الاميركي الا ان المؤتمر ظل احتياطا ومشروعا في الظل بانتظار ما تسفر عنه سياسة الخطوة خطوة . وبعد الفشل فهو يمثل الان اداة مزدوجة لتحقيق هدفين اثنين : الاول ان يمنع سيطرة الركود على الجهود السياسية الرامية الى ايجاد تسوية ما للصراع ، والثاني ، وهو هدف

مكمـل ، ان يجمد الانجـراف نحو الحرب او الاستعداد لها او الاتجاه نحو اعتبارها بديلا للجهد السياسي ، وذلك بالتلويح بأمل سرابي بامكانية العثور على حل دون اللجوء الى استخدام القوة.

ومع تصاعد الحديث عن مؤتمر جنيف وما يبدو في الافق من احتمالات عقده اخذت منظمة التحرير الفلسطينية تعلن عن موقفها من المؤتمر في شكـل اكثر تحديدا ففي تصريح ادلى به ابو اللطف لوكالة تونس ـ افريقيا للانباء (نقلته وفا ٣/١٠) قال : « ما زالت جنيف مسألة خاضعة للبحث والمناقشة من الجانب الفلسطيني ، لكن القضية ليس في ان نذهب او لا نذهب ، او نشترك او لا نشتـرك ، ولكن القضية لماذا نذهب ؟ وهل هناك اسبـاب تستوجب ان نذهب الى جنيف ؟ هل بامكان جنيف ان توفر للفلسطينيين الحد الادنى من المتطلبـات الفلسطينية ؟ سؤال لا بد ان نطرحه على الاطراف المعنية حتى نتمكن من اخذ قرار بالنسبة لجنيف . ويجب ان يكون معروفا لدى الجميع ان منظمـة التحرير الفلسطينية لن تكون شاهد زور بالنسبة للاتفاقات التي تتم داخل هذا المؤتمر ، ولن تصبح غطاء يمرر توقيع هذه الاتفاقات من جانب الاطراف العربية . هذا هو موقفنا من جنيف . وقد حـدد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة بالقول اننا نرفض التعامل مع مؤتمر جنيف على اساس القرار ٢٤٢ » . هذه التساؤلات المشروعة اجاب عنها الاخ ابو عمار بقطع في تصريح ادلى به لتلفزيون الكويت (نقلته وفا ٤/٣) يقول « قبل ان نتحدث عن جنيف يجب ان نعرف اي جنيـف يقصدون ؟ هل جنيف كيسنجر ؟ هل جنيف العدو الصهيوني ؟ هل جنيف قرار ٢٤٢ ؟ اذا كان هذا هو جنيف فاننا نقول لا . اما اذا كان جنيف بحث جذور القضية الفلسطينية فنحن ننتظر جـدول اعمال بحث القضية وجذورها ، عندها نقرر الذهاب او عدمه » .

ان المسألتين اللتين سوف تحددان ، بالتأكيد ، الموقف الفلسطيني النهائي من جنيف تتعلقان اولا بالاساس الذي يستند اليه المؤتمر في انعقـاده وثانيا بالتمثيل الفلسطيني في المؤتمر . اما بالنسبة للمسألة الاولى فمن المعروف ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هو الاساس ـ حتى الان ـ الذي ينعقد المؤتمر استنادا اليه . غير ان ثمة ما يشير الـى ان هناك بداية تحرك فلسطيني ـ عربي (سوري في الدرجة الاولى) لتعديل القرار ٢٤٢ بحيث يصبح مؤتمـر جنيف مكانـا صالحا لبحث الحقـوق الفلسطينية . وقد ظهرت بوادر هذا التحرك في مؤتمر هافانا لدول عدم الانحياز اذ قدمت سوريـا (رئيس وفدها الى المؤتمر عبد الحليم خـدام ، وزير الخارجية السوري) مشروع قرار ووفق عليه تضمن الفقرة التالية « تؤكد دول عدم الانحيـاز ضرورة طلب دعوة مجلس الامن الى الانعقاد لاعادة النظر في قراره الرقم ٢٤٢ في ضوء القرار رقـم ٣٢٣٦ الصادر عن الجمعية العمومية للامم المتحدة في ١٩٧٤/١١/٢٢ ، او اتخاذ قرار جديد ينسجـم مع قرار الجمعية العمومية المذكور من حيث ضمان حقوق الشعب الفلسطيني » (النهار ٣/٢٣) . وقد ذكـر ابو عمـار في تصريح ادلى به الـى الصحافيين في الكويت (النهار ٤/٣) « ان سوريا تدرس حاليا، بواسطة دول عدم الانحياز ، المطالبة بتعديل القرار ٢٤٢ بحيث يأخذ في الاعتبار قرارات الجمعية العمومية للامم المتحـدة التي كرسـت الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » . ومن جوانب هذا التحرك ايضا لتعديـل القـرار ٢٤٢ الزيـارة التي قـام بها ابو اللطف الى بلغاريـا (اختتمت الزيارة في ٤/٨) والبيـان المشتـرك الصادر في اثرها . فقد ورد في البيان الفقـرة التالية : « يؤكد كلا الطرفين دعوة مؤتمر جنيـف الى الانعقاد على وجه السرعـة ، لكي يناقـش ويسوي بشكل شامل كل جوانب ازمة الشـرق الاوسط وقضية فلسطين على وجه التحديد علـى اساس القـرار ٣٢٣٦ الذي اصدرته الـدورة التاسعة والعشرون للجمعية العمومية للامم المتحدة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ . وهما يعتبران ان مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية بكامل الحقوق في مؤتمر جنيف شرط ضروري لنجاحه » . ويعتبر هذا الموقف من جانب بلغاريا الذي تدعو فيه دولة من دول الكتلة الاشتراكية الى عقد مؤتمر جنيـف على اساس قرار غير القرار ٢٤٢ مؤشرا الـى اتجاه جديد في سياسة دول الكتلـة الاشتراكيـة وبالتالي موقف الاتحاد السوفياتي . وقد علـق رئيس الدائرة السياسية في المنظمـة على هـذا البيان المشتـرك بتصريـح لصحيفـة « النهار »

(٤/٩) قال فيه ان « ما جاء في البيان هو انتصار جديد نحققه في المجال الدولي وفي علاقاتنا مع الدول الصديقة ودول المعسكر الاشتراكي ... وهذا تمهيد لزيارة موسكو وللمحادثات التي سنجريها مع المسؤولين السوفيات » .

● اما بالنسبة للتمثيل الفلسطيني في المؤتمر فان الامر الجدير بالانتباه هو ما اقترحته مصر عن « الوفد العربي الواحد » وقد علقت « الاهرام » (٣/١٨) على الاقتراح بقولها ان « الذهاب الى جنيف وفدا واحدا يحل الكثير من المشاكل ، سواء على الصعيد العربي او بالنسبة الى المحادثات التي ستجري في جنيف على الصعيد العربي ، نحن نعلم ان الاردن بعد مؤتمر الرباط اتخذ موقفا خاصا بالنسبة الى مؤتمر جنيف . ولا شك في ان الاردن طرف من الاطراف المعنية وذهابه الى جنيف يفيد قطعا في التفاهم على نقاط كثيرة مثارة الان ... وعلى صعيد المواجهة المباشرة في المحادثات ورفض اسرائيل التحدث مع الفلسطينيين فان ذهابنا في وفد موحد يضيع على اسرائيل فرصة المساومة والتهرب وزرع العقبات في طريق تحقيق التسوية النهائية ». وكأجراء اقترح الرئيس السادات في تصريح له لمجلة « التايم » « ان يمثل المنظمة وفد من الجامعة العربية . واني احاول تسهيل الامر كله من خلال تجربة اساليب عدة حتى لا نصل الى حالة الجمود. لكن ينبغي ان تحظى الصيغة بموافقة الفلسطينيين في نهاية الامر » . اما موقف المنظمة المعلن من هذه المسألة فهو ما صرح به ابو اللطف (النهار ٤/٣) بقوله « اذا قرر المجلس الوطني الفلسطيني لمنظمة التحرير ، بعد توافر كل الشروط المطلوبة ، ان يحضر الفلسطينيون مؤتمر جنيف ، فلا بد ان يحضروا هذا المؤتمر كوفد مستقل يمثل منظمة التحرير . لقد عمل الفلسطينيون طويلا من اجل ان تصبح لهم شخصية مستقلة وكيان دولي معترف به، فلا يجوز ان تمثل الفلسطينيين الا منظمة التحرير ، في اي مجال او محفل دولي » .

القيادة الفلسطينية ــ السورية : ابرز التطورات التي حدثت في الفترة التي اعقبت اعلان الرئيس حافظ الاسد في ٨ آذار الماضي من استعداده لتشكيل قيادة سياسية عسكرية فلسطينية سورية ، كان اعلان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اثر اجتماع عقدته في رئاسة الاخ ابو عمار ٣/١٥ انها « قررت الترحيب الكامل بهذه المبادرة واعربت عن تقديرها الكبير للسيد الرئيس حافظ الاسد على مبادرته القومية هذه التي تجسد الالتزام القومي والوحدة النضالية بين سوريا الشقيقة والثورة الفلسطينية على طريق التحرير والعودة وتعميق التضامن العربي الذي جسدته حرب تشرين المجيدة» . كذلك اعلن المجلس المركزي للمنظمة في ختام اجتماعه يوم ٣/٢٠ انه « يبارك هذه الوحدة النضالية التي سوف يأتي قيامها تجسيدا رسميا لما هو قائم فعلا منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية من التحام عضوي بين سوريا وفلسطين » . وقرر المجلس المركزي « ان تباشر اللجنة التنفيذية الاتصال بالقيادة السورية واجراء المباحثات اللازمة لبلورة صيغة متكاملة ومناسبة لوضع هذه المبادرة موضع التنفيذ » .

مباحثات ابو عمار ــ ماكغفرن : مساء ٣/٢٨ استقبل ابو عمار في بيروت جورج ماكغفرن ، رئيس اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الاوسط في مجلس الشيوخ الاميركي وابرز زعماء الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة . وهو أول اجتماع يتم مع مسؤول اميركي على هذا المستوى . وقد ذكرت انباء صحافية ان ابو عمار شرح في اللقاء موقف منظمة التحرير وسياستها وشرح المنطلقات الاساسية التي يرتكز عليها التحرك الفلسطيني ، كما عرض بالتفصيل واقع الشعب الفلسطيني من ١٩٤٨ وما قبل ذلك الى الان ، مشيرا في شكل خاص الى الاعتداءات الاسرائيلية الوحشية على هذا الشعب بهدف ابادته . كذلك شرح القرارات التي اتخذها المجلس الوطني الفلسطيني الاخير ومنها اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، واوضح لماكغفرن المفهوم الفلسطيني للسلطة الوطنية وتحدث عن مقررات قمتي الجزائر والرباط التي اكدت ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وعرض ابو عمار مفهومه للدولة الديمقراطية في فلسطين . اما ماكغفرن فقد اكد النقاط التالية كما ذكرت المعلومات الصحافية: لم يعد هناك امكان لتجاوز الواقع الفلسطيني او تجاهله . هذا الواقع موجود وقد فرض نفسه على العالم . لا بد للسياسة الاميركية ، بعد فشل مهمة كيسنجر ، من ان تتجه الى معالجة المعضلة الاساسية وهي القضية الفلسطينية . السياسة

الاميركية يجب ان تأخذ في الاعتبار جديا مسألــة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . لا بد من قيام كيان وطني فلسطيني . من الصعب ان يحدث استقرار في المنطقة اذا لم يتمكن الفلسطينيون من ممارسة وجود سياسي فاعــل ، واذا لم يكــن للفلسطينيين كيان سياسي .

وقد وصف ابو عمار في تصريح لتلفزيون الكويت (نقلته وفا ٤/٣) مباحثاته مع ماكغفــرن بأنهــا « كانت مثمرة ومهمة لان ماكغفرن زعيم الاغلبية في الكونجرس الاميركي » واضاف « لقد شرحت له موقفنا من السلطة الوطنية وحق شعبنا في تقرير المصير والعودة في اطار الدولة الديموقراطية » وذكر ابو عمــار ان ماكغفرن ابلغــه ان اقامــة الدولة الفلسطينية اصبح شيئا مهما بالنسبة للتفكير الاميركي .

هذا ، واثناء زيــارة ماكغفرن الى فلسطــين المحتلــة بعــد مغادرته بــيروت اوردت وكالــة اسوشيتدبرس للانباء (٤/٧) ان الشيخ الاميركي اعلن في تل ابيب انه يؤيد مشروع سلام للشرق الاوسط مؤلفا من ثلاث نقاط : يجب السمـــاح للفلسطينيين باقامة وطن لهم في الضفة الغــربية للاردن ، ويجب ان تنسحب اسرائيل الى حــدود العام ١٩٦٧ ، ويجب على جميع الدول العربيــة ان تعترف باسرائيل . وقالت الوكالة ان ماكغفرن ابلغ الجنرال اريل شارون الذي برز اسمه خلال حرب ١٩٧٣ في اثناء اجتماعه به ان على الولايات المتحدة الا تعرض علاقاتها مع العالم العربي للخطر بدعمها المفرط لاسرائيل .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

بالنسبة للتطورات الدولية المتعلقــة بالقضية الفلسطينية طغت التحركات والذيول الناتجة عن انهيار مهمة كيسنجر على كل شيء اخر . ويمكننا القول ان الاعلان الدراماتيكي عن فشــل مهمة الوزير الامريكي جاء كمفاجاة غير متوقعة بالقياس الى اجواء التفاؤل الكبير التي عمدت اجهزة الاعلام والتصريحات الرسميــة المصرية (على أعلــى المستويات) على نشرها قبل بدء جولة كيسنجــر وخلالها . وجاء الاعلان عن فشــل المهمة في ٢٣ اذار على لسان وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي حيث اعلن انتهاء سياسة التحرك خطــوة خطوة نحو التسوية السلمية في المنطقة وذلــك بسبب تعنت الحكومة الاسرائيلية وتصلبها وعنادها.

وبين فهمي ان مصر عازمة على ان تطلب رسميا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي دعوة مؤتمر جنيف للانعقاد في المستقبل القريب وذلــك بعــد التشاور مع باقي الدول العربية ومنظمة التحرير . وجاء هذا الاعلان اثناء وجود كيسنجر في القدس المحتلة . أما الجانب الامريكي فقد عبر عن فشل مهمة كيسنجر على لسان ناطق رسمي باسم بعثة التفاوض الذي قال بأن « الدكتور كيسنجر فشل في تحقيق اتفاق حول سيناء وسيعلق مهمته لانــه ثبت لديه ان المواقف الاسرائيلية والمصرية الحالية غير قابلة للتوفيق » . وبين الناطق الامريكي بأن هناك حاجة الى فترة من التفكير واعادة التقييم لاعداد اتفاق يؤدي الى السلام العادل والدائم في

المنطقة . وفي الوقت نفسه اعلن ناطق باسم البيت الابيض في واشنطن ان الرئيس فورد آسف لتعليق مهمة كيسنجر ولكنه يريد ان يؤكد تصميم بلاده على مواصلة جهودها لتحقيق السلام في المنطقة .

وواضح ان فشل هذه المهمة الامريكية يعني بالدرجة الاولى فشل المراهنة المصرية على تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية بالاعتماد الكلي على الدبلوماسية الامريكية في المنطقة . لقد جاء فك الارتباط الاول في سيناء والجولان كنتيجة مباشرة للنتائج الايجابية التي افرزتها حرب اكتوبر ، في حين ان فك الارتباط الثاني المزمع عقده في سيناء كان سيجيء نتيجة الاعتماد على السياسة الامريكية على اعتبار ان « مفتاح حل » الازمة هو بيدها وحدها فقط . وعلى الرغم من ان التفسيرات والتصريحات الرسمية المصرية قد ادانت اسرائيل باعتبارها مسؤولة عن الفشل ، وبرأت حتى الان حكومة الولايات المتحدة من تبعات ذلك لا يعقل ان يصدق انسان مطلع (أو حتى غير مطلع) ان حكومة الولايات المتحدة قد عجزت فعلا في الضغط على اسرائيل للتوصل الى فك ارتباط جديد في سيناء . يبدو لنا ان الولايات المتحدة لم ترد ان تضغط حقا على الحكومة الاسرائيلية فتثير في وجهها المزيد من المتاعب وتضعف مركزها الداخلي والخارجي في فترة ظهر للعيان وبدون ادنى ريب التفسخ الذي يخضع له النظام الامبريالي العالمي والانهيارات التي تضربه في فيتنام وكمبوديا كما في البرتغال واليونان وتركيا وقبرص . وقد اشارت تصريحات كيسنجر نفسها الى هذا العامل والمحت الى دوره في فشل مهمته أو بعبارة اخرى في امتناعه عن ممارسة اي ضغط حقيقي على الحكومة الاسرائيلية . يضاف الى ذلك ان العلاقة العضوية بين الامبريالية الامريكية واسرائيل تعني ان الولايات المتحدة تحتاج الى اسرائيل بصورة حيوية تماما كما تحتاج اسرائيل الى الدعم الامريكي المتعدد الاوجه . وهذا يعني بدوره ان اي ضغط امريكي على اسرائيل يجب الا يتعدى حدودا معينة بحيث لا يتحول الى تهديد للارتباط الاستراتيجي العضوي بين الطرفين . فالخلاف يجب ان يبقى محصورا داخل اقنية معينة وفي مستويات معينة لا يتعداها والا تفاقم وزعزع اسس علاقة لا مصلحة لاي من الطرفين في المساس بها على الاطلاق . بل ان المصلحة الحيوية للطرفين هي في تعزيز هذه الاسس حتى ولو على حساب فشل مهمة اعطيت اهمية كبيرة بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط . جدير بالذكر ايضا أن النظام المصري على الرغم من كل التسهيلات التي قدمها لكيسنجر وكل المرونة والتسامح والتساهل التي ابداها خلال المفاوضات لم يتمكن من تقديم الثمن السياسي الباهظ الذي طلبه العدو ، اي اعلان حالة انهاء الحرب صراحة في مقابل الحصول على اتفاق فك الارتباط . وقد ذكرت انباء في الصحافة اللبنانية ان ضغوطا كثيرة مورست على الرئيس السادات وخاصة من جانب ضباط الجيش المصري لكبح جماح نزعة التساهل والتسامح المشار اليها فقد كان للجيش مطالب هامة على ما يبدو تتعلق بالانسحاب الاسرائيلي لا بد من تحقيقها اذا كان للجيش ان يعتبر فك الارتباط خطوة مقبولة . وذكرت هذه الانباء ان الجيش المصري كان متشددا جدا بالنسبة لموضوع مرور « البضائع » من اسرائيل واليها عبر قناة السويس اذ ان اتفاقية القسطنطينية التي تنظم مرور البضائع في القناة ايام السلم والحرب تعطي مصر الحق بمنع مرور المواد الاستراتيجية الى الدولة العدوة . وهذا يعني تدخل السلطات المصرية في تحديد المواد الاستراتيجية وفي تفتيش السفن للتأكد من عدم تهريبها الى اسرائيل .

على الصعيد الامريكي كان اهم رد فعل لفشل مهمة كيسنجر اعلان البيت الابيض عن عزم الرئيس فورد اعادة النظر في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط مع التلميح بان مسؤولية هذا الفشل تقع على اسرائيل وان اثار اعادة النظر هذه ستمس اسرائيل اكثر من اي دولة اخرى من دول المنطقة . ويبدو واضحا ان امتناع الحكومة الامريكية عن الضغط المباشر والفعلي على اسرائيل لانجاح مهمة كيسنجر لا يعني عدم ترك الاسرائيليين « يركبون رأسهم » قليلا ولفترة محددة لانهم سيجدون بعد ذلك انه لا بد لهم من العودة صاغرين الى طلب مساعدة الولايات المتحدة للتخفيف من المأزق الذي تعاني منه الدولة الصهيونية على العموم . وبامكاننا ان نعتبر التصريحات الامريكية حول اعادة النظر بسياسة البلاد في المنطقة على انها نوع من الضغط على اسرائيل ضمن الحدود

التي تسمح بها الارتباطات الاستراتيجية الكبرى بين البلدين « لمساعدة » اسرائيل على التخلص من مرحلة « ركوب رأسها » بأسرع ما يمكن والعودة الى الحظيرة الامريكية بشكل كامل وتام كالسابق . وقد أوضحت عدة مصادر امريكية حدود اعادة النظر هذه وطبيعتها في اكثر من مناسبة . فقد أعلن الناطق باسم الوزارة الخارجية الامريكية في معرض توضيحه للمراجعة التي ستخضع لها العلاقات الامريكية الاسرائيلية بان « موضوع استمرار المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية لاسرائيل امر مفروغ منه » وأن درجة هذا الدعم هي التي قد تتأثر فقط . كذلك أكد الناطق أن برنامج امريكا في مساعدة اسرائيل « سيمر عبر اقنية الكونغرس المعتادة » وفي هذا تطمين كبير لاسرائيل اذ ان عنف تأييد الكونغرس لها اشهر من أن يعرف . وحول الموضوع ذاته اعلن كيسنجر نفسه ان بلاده لا تنوي القيام بأية عمليات تأديبية او تخفيض المساعدات الخارجية الى اسرائيل ومصر بسبب فشل مهمته . وأكد ان مسألة قطع المساعدات غير واردة ابدا في عملية اعادة النظر في السياسة الامريكية . وفي ٢٧ اذار ١٩٧٥ عاد كيسنجر الى مناقشة هذا الموضوع في مؤتمر صحافي أكد فيه ان اعادة تقييم السياسة الامريكية « ليست موجهة ضد اسرائيل » ولا تهدف الى « خفض المعونات لاي من دول المنطقة » بل الغاية منها تحقيق السلام في المنطقة . اما بالنسبة للمستقبل القريب فقد وجه الوزير الامريكي نداء قويا الى الدول المعنية كي « تتحمل مسؤولية الاعتدال في اقوالها وافعالها وتمتنع عن اصدار التهديدات » . كما اوضح التصور الامريكي لانعقاد مؤتمر جنيف بقوله ان بلاده تؤيد اجراء محادثات منفصلة في جنيف عوضا عن محادثات تشترك فيها كل الاطراف في آن واحد . وفي الواقع فقد وردت انباء تفيد انه تم تأجيل زيارة الطيارين الاسرائيليين الذين كان يفترض ان يذهبوا الى امريكا لتجربة طائرة « ف ــ ١٥ ايغل » والتدرب عليها . كما جرى ارجاء اتمام بعض اتفاقات المساعدات العسكرية لاسرائيل ريثما تنتهي عملية اعادة النظر الامريكية في سياستها في المنطقة . كما اعلن وزير الدفاع الامريكي ان بلاده ملتزمة بأمن اسرائيل ولكنها لن تدخل في التزامات عسكرية جديدة معها قبل انتهاء الرئيس فورد من اعادة تقييمه للسياسة الامريكية في المنطقة . لكنه استدرك قائلا ان الشحنات الكبيرة من الاسلحة التي تلقتها اسرائيل حتى أول شهر نيسان تضعها في مركز افضل عسكريا مما كانت عليه في اي وقت سابق . ولم تفت وزير الدفاع فرصة توجيه التهديد مجددا الى الدول العربية في حال قيامها بحظر النفط مجددا حيث قال ان رد الفعل الامريكي على مثل هذه الخطوة « سيكون هذه المرة اقوى من المرة الماضية » . كذلك طلبت الولايات المتحدة تأجيل الزيارة التي كان ينوي القيام بها وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريز الى امريكا باعتبارها « سابقة لاوانها » بسبب انهماك الحكومة الامريكية في اعادة تقييم سياستها . وقد علق وزير خارجية اسرائيل السابق ابا ايبان على كل هذا بقوله أن الخلاف الحالي بين اسرائيل وامريكا هو اعمق مما كان يظن ولكنه لا يشكل ازمة بل مجرد سوء تفاهم لان العلاقات الحسنة مع الولايات المتحدة اهم بكثير بالنسبة لاسرائيل من تسوية الخلافات مع العرب .

وردا على بعض الانباء التي ترددت حول عزم كيسنجر تجديد مهمته بالعودة في المستقبل القريب الى البلدان المعنية في الشرق الاوسط ، اعلن الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية أنه لا أساس من الصحة لهذه الانباء كما اكد ان الانباء التي ترددت حول قيام مصر واسرائيل بارسال مندوبين عنهما الى واشنطن لاجراء مباحثات هناك غير صحيحة . وبين ان حكومته لم تحصل على اية اقتراحات جديدة من اسرائيل تسمح باستئناف مهمة كيسنجر على الرغم من ان الاطراف المعنية ما زالت تريد من الولايات المتحدة مواصلة مساعيها السلمية .

اما على الجانب المصري فقد تلخص رد الفعل على انهيار مهمة كيسنجر بالنقاط التالية :

١ ــ كان الترقب كبيرا بالنسبة للاتجاه الذي ستأخذه السياسة المصرية نتيجة فشل مهمة كيسنجر . وكان التساؤل المطروح هو ما اذا كان الرئيس السادات سيستمر في السياسة ذاتها التي يفترض انها فشلت مع فشل المهمة الامريكية ام أنه سينهج نهجا مغايرا كما هدد بأنه سيفعل في اكثر

من مناسبة . وكان التوقع المنطقي هو أن يلجأ الرئيس السادات الى تعزيز علاقاته بالاتحاد السوفياتي مجددا وتحسينها واتخاذ كافة الاجراءات المترتبة على مثل هذه الخطوة باعتبار ان في ذلك الرد الطبيعي على فشل مهمة كيسينجر وفشل المراهنة العربية على الدبلوماسية الاميركية . الا أن شيئا من هذا لم يحدث في الواقع . بل اتجه الاعلام المصري الى تبرئة الحكومة الامريكية من مسؤولية اخفاق مهمة كيسنجر وتبعاتها مشيرا بذلك الى الخط الذي ستسير فيه السياسة المصرية في هذه المرحلة وهو الاستمرار في السياسة السابقة المراهنة على الجهود الامريكية في المنطقة وتجديد الثقة بها . وقد اتضح هذا الواقع عندما القى الرئيس السادات خطابه الرئيسي بعد فشل مهمة كيسنجر حيث برزت الامور التالية : (أ) حمل السادات اسرائيل مسؤولية فشل الجهود الامريكية وازاح المسؤولية في ذلك عن الولايات المتحدة كليا . (ب) لم يعين الرئيس المصري اي موعد ولو تقريبي — لانعقاد مؤتمر جنيف على الرغم من أن كل التوقعات كانت تشير الى ان استئناف المؤتمر هو البديل الوحيد الباقي بعد فشل مهمة كيسينجر باستثناء اللجوء الى الحرب . وظهر واضحا في خطاب السادات ان مصر غير مستعجلة وغير ملحة في الوقت الحاضر على انعقاد مؤتمر جنيف . (ج) طالب الرئيس السادات بضرورة التنسيق الكامل مع سوريا ومنظمة التحرير الا أنه لم يوجه أية دعوة لانعقاد مؤتمر عربي على مستوى القمة بصورة طارئة ومستعجلة لمناقشة السياسة العربية الجماعية التي يجب اتباعها على اثر فشل المراهنة على الدبلوماسية الامريكية . وكانت مصادر مطلعة كثيرة تتوقع ان يدعو الرئيس السادات الى انعقاد مثل هذا المؤتمر . (د) لم يذكر الرئيس السادات الاتحاد السوفياتي الا بصورة عابرة وفي معرض نيته بذل الجهود اللازمة لوضع علاقات مصر مع السوفيات في مكانها الصحيح اذ أن هذه العلاقات ليست قائمة « على مجرد انتهاز الفرص أو صداقة الظروف » . (و) أنه أمر بفتح قناة السويس امام الملاحة الدولية في ٥ حزيران المقبل واكد ان مصر قادرة على حمايتها وحماية مدن القناة في اي اعتداء اسرائيلي . وقد خالف الرئيس السادات بقراره هذا ما كان قد اكده في السابق وهو انه لن يفتح القناة للملاحة الا بعد انسحاب اسرائيلي جديد يضع القناة خارج مرمى المدفعية الاسرائيلية . (و) أوضح انه بما أن اسرائيل ترفض اشتراك منظمة التحرير في اعمال مؤتمر جنيف من جهة والمقاومة الفلسطينية ترفض في ان يمثلها النظام الاردني في المؤتمر من جهة اخرى فقد عرض على القيادات الفلسطينية اقتراحا مفاده ان تقوم أمانة جامعة الدول العربية بتمثيلهم في مؤتمر السلام . (ز) أعلن بأن مصر ستوافق على تجديد مدة عمل قوات الطوارىء الدولية في سيناء لمدة ثلاثة اشهر اخرى (بدلا من ستة اشهر) وذلك لانه « لا يريد ان يضع المجتمع الدولي امام ازمة مفاجئة » .

٢ — صدرت أخبار عن مصادر رسمية مصرية تفيد بأن السادات يتوقع قيام الولايات المتحدة بمبادرة جديدة لتحقيق فصل القوات في سيناء وذلك بعد انتهاء الرئيس فورد من اعادة التقييم التي يجريها للسياسة الامريكية في المنطقة . ويبدو ان هذه المعلومات تستند الى رسالة وصلت الى السادات من الرئيس فورد والى تأكيدات نقلها نائب الرئيس الامريكي روكفلر الى الرئيس المصري اثناء مأتم الملك فيصل في الرياض . ويبدو ان السياسة المصرية تراهن الان على ان اعادة التقييم التي تجري حاليا لسياسة امريكا ستؤدي بالفعل الى نتائج ملموسة على صعيد تحريك الجمود الذي يلف في الحاضر مفاوضات السلام بين مصر واسرائيل . أي تراهن السياسة المصرية على ما سمي بأنه « نوع من فك الارتباط » في العلاقات الوثيقة والقوية بين امريكا واسرائيل . ومع ان المصادر المصرية الرسمية اكدت ان بوادر « فك الارتباط » المذكور ستظهر في الخطاب الهام الذي سيلقيه الرئيس فورد في ١٠ نيسان فان الاحداث بينت ان شيئا من هذا لم يقع ، اذ القى الرئيس فورد خطابه الموعود ، الذي تناول فيه السياسة الامريكية على الصعيد العالمي ، فكان كل ما جاء فيه حول مشكلة الشرق الاوسط عاديا وتقليديا جدا اذ لم يتجاوز الاشارة الى اهمية الشرق الاوسط بالنسبة لمصالح امريكا الحيوية ومصالح حلفائها والقول بان الحكومة الامريكية تريد ان تمنع اندلاع الحرب في المنطقة وانها ستعود الى القيام بدور نشط في البحث عن السلام المنشود .

٣ ــ قامت مصر بطلب اعادة تكوين مؤتمر جينيف بحيث لا يقتصر على وجود الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بل يضم ايضا دولا اخرى هي فرنسا وبريطانيا ودولة واحدة من دول كتلة عدم الانحياز . وقد توجهت مصر رسميا بهذا الطلب الى الدولتين العظميين كجزء من الاتصالات الجارية لعقد مؤتمر جينيف . وواضح ان دخول فرنسا وبريطانيا سيعزز مواقع المعسكر الغربي عموما داخل المؤتمر . وقد أشارت الولايات المتحدة الى انها تدرس حاليا الطلب المصري وستقوم باتصال بالاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع . وبعث الرئيس السادات برسائل خطية هامة الى عدد من زعماء الدول الاعضاء في هيئة الامم من بينهم الرؤساء تيتو وجيسكار ديستان وانديرا غاندي وهارولد ولسون شرح فيها تطورات الوضع في الشرق الاوسط ورغبة مصر في توسيع اطار المشاركة في اعمال مؤتمر جينيف .

٤ ــ عاد الرئيس السادات الى تأكيد المواقف التي اشرنا اليها اعلاه في مقابلة اجرتها معه مجلة « تايم » الامريكية في اخر الاسبوع الاول من شهر نيسان . وكان اهم ما ذكره في هذه المقابلة هو : (أ) ترحيبه بقرار امريكا تأجيل تزويد اسرائيل بالسلاح خلال فترة اعادة التقييم الجارية للسياسة الامريكية في المنطقة . (ب) الاشارة الى احتمال دعوة الجمعية العمومية للامم المتحدة لعقد جلسة خاصة تكرس لمناقشة ازمة الشرق الاوسط . (ج) توقعه انعقاد مؤتمر جينيف حالما تكون الدولتان الكبريان على استعداد لذلك وتكون الدول العربية قد توصلت الى قرار حول اشتراك منظمة التحرير بالمؤتمر وبين السادات انه سيطالب اشتراك كل من الاردن ولبنان في اعمال المؤتمر لانهما من دول المواجهة ولا يمكن الاستغناء عن وجودهما . وبهذا الصدد عاد السادات الى طرح فكرته في ان يجري تمثيل الشعب الفلسطيني في المؤتمر على يد الجامعة العربية . (د) اكد ان مصر لن تتردد في دخول الحرب اذا هاجمت اسرائيل سوريا . (هـ) انه يعتبر قراره تجديد مدة عمل قوة الطوارىء الدولية لثلاثة اشهر اخرى « بمثابة رسالة الى امريكا واوروبا والعالم ليدرك الجميع ان هناك حدودا للصبر » . كما ان فتح قناة السويس ايضا « رسالة اخرى للعالم تقول بأننا نريد السلام » . (و) بالنسبة لعملية تقييم السياسة الامريكية في المنطقة قال السادات بأنه يتوجب على الولايات المتحدة ان تجيب ، عبر اعادة تقييم هذه على سؤال مهم جدا هو : هل ستحمي الولايات المتحدة اسرائيل ضمن حدودها أم ضمن حدود الاراضي التي احتلتها بالقوة ؟ وأكد أن توصل الحكومة الامريكية الى الاجابة على هذا السؤال سيكون نقطة تحول مهمة في مصير المنطقة . فاذا كانت امريكا تريد حماية اسرائيل ضمن حدودها الاصلية فلا اعتراض لمصر على ذلك وهو أمر مقبول منها لان معنى ذلك ضرورة عودة هذه الاراضي الى اصحابها الشرعيين . اما اذا ارادت السياسة الامريكية حماية اسرائيل على اساس حدودها التوسعية فان هذا سيعني انه على مصر اعادة تقييم مواقفها من الولايات المتحدة. (ز) اكد ان حكومته سائرة بالفعل نحو السلام والدليل على ذلك اعادة فتح قناة السويس وامره باعادة تعمير مدنها ولذلك فانه يتوقع ان يسفر مؤتمر جينيف عن تسوية سياسية لمشكلة المنطقة . أما ما تطالب به اسرائيل من فتح ابواب التبادل الثقافي والتجاري بين البلدين فهو مسألة متروكة للاجيال المقبلة بسبب الفترة الطويلة التي مرت وهي مليئة بالكراهية والمرارة والعنف مما لا يمكن ازالته بضربة واحدة .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي لم تصدر اية ردود فعل رسمية على فشل مهمة كيسينجر الا ان الاعلام قد عكس جو ارتياح قيادة البلاد لهذا الفشل . وفي نهاية الاسبوع الاول من شهر نيسان بعث ليونيد بريجينيف برسالة هامة الى الرئيس السادات ذكرت الانباء الصحافية ، استنادا الى مصادر دبلوماسية مطلعة ، ان الرسالة وجهت دعوة الى وفد مصري لزيارة موسكو قريبا لاجراء مباحثات حول المرحلة المقبلة من تسوية النزاع في المنطقة . وان الرسالة اوضحت موقف الاتحاد السوفياتي من مسألة استئناف مؤتمر جينيف وتحديد موعد له . ويتلخص الموقف السوفياتي على ما يبدو بالقول أنه بعد انهيار مهمة كيسينجر لا بد من الاعداد بكل عناية لانعقاد المؤتمر اذا كان له ان يحقق اي نجاح . ويجب ان يشمل هذا الاعداد التحديد الواضح للاطراف التي ستشترك في المؤتمر وجدول الاعمال الذي سيناقشه المجتمعون . وهنا

يعلق الموقف السوفياتي اهمية كبرى على اشتراك منظمة التحرير في اعمال المؤتمر مما يعني انـه يجب بت هذه المسألة بصورة مسبقة لان تركهـا للمؤتمر نفسه سيؤدي الى عرقلة أعمالـه والى مماطلات لا طائل منها ، لذلـك يرى الاتحـاد السوفياتي انه من الضروري قيام مشاورات مصرية ـ سورية ـ فلسطينية حول هذه النقطة بالذات . كذلك يشدد السوفيات على ضرورة اعداد جدول اعمال مفصل للمؤتمر اذا كان لمحادثاته ان تؤدي الى تسوية شاملة تضمن الانسحاب الاسرائيلـي الكامل وحقوق الشعب الفلسطيني وعلى رأسهـا حقه في اقامة كيانه المستقل .

جدير بالاشارة هنا أن سوريا كانت أول دولـة من الدول الموافقة على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تقترح دعوة مجلس الامن للانعقاد من اجل تعديـل هذا القرار لسد ثغرة معينة فيه وهي اهمالـه المعـروف للحقوق الوطنية المشروعة للشعـب الفلسطيني ونظرته الى القضية الفلسطينية على انها ليست اكثر من مشكلة لاجئين . ومعروف ان منظمة التحرير ترفض الاشتراك في مؤتمر جنيف على اساس القرار رقم ٢٤٢ . وقد تقدمت سوريا بهذا الاقتراح الى مكتب التنسيق التابع لدول عدم الانحياز خلال اجتماعه الاخير في كوبا . واخـذت صياغته صورة مشروع قرار تؤكد فيه « دول عدم الانحياز ضرورة طلـب دعوة مجلس الامن الـى الانعقاد لاعادة النظر في قراره الرقم ٢٤٢ علـى ضوء القرار رقـم ٣٢٣٦ الصادر عن الجمعيـة العمومية للامم المتحدة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ وذلك لضمان حقوق الشعب الفلسطيني » . وجدير بالاشـارة ان قرار الجمعية العمومية يؤكد الاحترام الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة وتأمينها كضرورة لا غنى عنها لحل القضية الفلسطينية . ويبدو ان الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكيـة الاوروبية تتعاطف مع الموقف السوري ومع فكـرة تعديل القرار ٢٤٢ . ومن الدلائل على ذلك ان البيان المشترك الـذي صدر عقـب زيارة وفـد فلسطيني الى بلغاريا في النصف الاول من شهـر نيسان تضمن اشارة واضحة الى قرار الجمعية العمومية رقـم ٣٢٣٦ كأساس لحـل المسألـة الفلسطينية وهذا أمر يحدث لاول مرة .

اخيرا لا بد من الاشارة ، في غمرة الانتصـارات التي تحققها حركات التحرر الثورية في جنـوب شرقي آسيا ، الى التصريح الذي أدلت به وزيرة خارجية الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنـام حيث قالت معلقة على اخفاق مهمة كيسينجر ان فشل الوزير الامريكي لم يأت كمفاجأة بالنسبـة لحكومتها لان السياسة الامريكية غير صـادقة كمـا بينت تجربة الحكومة الثورية لفيتنام الجنوبية مـع الولايات المتحدة بالنسبة لاتفاقات السلام الموقعة في باريس . وأكدت الوزيرة ان السياسـة الامريكية لا يمكن ان تنجح لسبب بسيط هو انها لا تحترم حقوق الشعوب وتمثل خط الاستعمار الجديد .

على صعيد اخر لا بد من الاشارة الى الاعـلان الذي صرح به السناتور جورج ماكغفرن بعد جولته في عدد من بلدان المنطقة قابل خلالهـا الرئيسين السادات والاسـد وياسر عرفـات والقيـادة الاسرائيلية . ففي مؤتمر صحافي عقده في اسرائيل اعلن تأييده لفكرة اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة. ولم يعارض فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي تضم العرب واليهود في اطـار واحد بل قال أن هذه الفكرة لا تشكل هدفـا آنيا لمنظمة التحرير بل هي « حلم سيتحقق في المستقبل على أثر ثورة فكرية » . وتأتي أهمية هذا التصريح من كون ماكغفرن أحد ابرز الوجوه التي عارضت دخول ياسر عرفـات الى هيئة الامم وقد اعلـن صراحة في مؤتمره الصحافي بأنه سحب اعتراضه هذا ولم يعد يؤيد ذلك الموقف السابق .

(٣) المناطق المحتلة

اعادة احياء مشروع الادارة الذاتية

عن المحاولات الرسمية الاسرائيلية لاعادة بعث فكرة الادارة المدنية في الاراضي المحتلة اوردت صحيفة الشعب نص التقرير التالي ، نقلا عن صحيفة هآرتس الاسرائيلية : « كما يبدو سيعرض وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس على الحكومة الاسرائيلية في الاسابيع القليلة القادمة ، مشروعا لمنح صلاحيات ادارية ذاتية في مجالات مختلفة لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة . وقد بحث الوزير مؤخرا مع مساعديه اقتراحا لم يبلور نهائيا حتى الان ولكن يبدو ان عدة اشكال بالنسبة لشكل الادارة الذاتية وطريقة تصريفها ستفصل في الاقتراح » .

وكان بيرس قد بدأ بعد توليه منصبه دراسة الفكرة مع مساعديه في البداية وبعد ذلك مع اشخاص من المناطق المحتلة . وقد جرت سلسلة اللقاءات مع الاشخاص من المناطق المحتلة بعد مؤتمر الرباط . ويمكن القول ان قرارات المؤتمر خلقت « فراغا » ، طلب وزير الدفاع ان يملاه بواسطة منح صلاحيات ادارية ذاتية لسكان المناطق المحتلة . وان « تنازل » الاردن الشكلي عن الضفة اجبر وزارة الدفاع والحكم العسكري على طرح حلول عملية للوضع الجديد . وعندما كان بيرس وزيرا للمواصلات اقترح فكرة تقسيم اسرائيل والمناطق المحتلة الى اقاليم — كانتونات — ويقوم كل كانتون بادارة معظم شؤون الحياة بصورة مستقلة بينما تكون الحكومة المركزية مسؤولة عن مجالات الخارجية والامن .

وفي اللقاءات التي اجراها بيرس مع بعض رجالات المناطق المحتلة ، عرضت في احداها فكرة التقسيم الى كانتونات ، ولكن يبدو ان الوزير قرر في هذه المرحلة عدم عرض فكرة الكانتونات كمشروع حل عملي خوفا من ان لا يقبل كثيرون بهذه الفكرة . وقد طلب بيرس استقصاء مدى استجابة « زعامة » المناطق المحتلة لفكرة الادارة الذاتية . ولهذا الغرض اجتمع مع عدد من البارزين منهم . وهؤلاء الاشخاص من الصف الاول « للزعامة » لا يفكرون في اتجاه واحد . فقسم منهم يؤيد النظام الاردني حتى الان ، واخرون كانوا في الماضي من مؤيدي الملك حسين وغيروا رأيهم وانضموا لصف مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية . ومن بين الذين اجتمعوا بالوزير الاسرائيلي اشخاص لا يؤيدون المنظمة او الاردن ، ويحبذون حلا مستقلا للمناطق المحتلة بدون اشتراك الاردن او م. ت. ف. ومعظم الذين تحدث معهم وزير الدفاع ابدوا تحفظهم من فكرة الادارة الذاتية .

وفي الحديث مع احد رؤساء البلديات من الضفة الغربية بحث مشروع منح «صلاحيات ادارة ذاتية» لمناطق نابلس والخليل وغزه ، تركز في « جهاز عام » فوق مستوى البلديات ، وهذا الاطار تكون له صلاحيات ومسؤوليات وميزانيات . وكما يبدو عرضت في الاجتماع مسألة اندماج سكان القدس العربية في نطاق الادارة الذاتية .

ويبدو على الرغم من الرد غير المتحمس من قبل معظم الاشخاص الذين تحدث معهم بيرس ، قرر الاخير عدم ترك الموضوع .

وعرضت « هآرتس » لمراحل فكرة هذا المشروع فقالت : قبل عدة اشهر بحث في وزارة الدفاع اقتراح بتعيين سكان من المناطق المحتلة في مناصب ضباط قيادة في الشؤون المدنية في الحكم العسكري. وفق هذا الاقتراح يكون ضباط القيادة هؤلاء مسؤولين عن مجالات التعليم والصحة والداخلية وما شابه ، في الاطار العام للحكم العسكري الاسرائيلي .

ومن بين الاقتراحات بحث اقتراح لمنح صلاحيات ادارية في المجالات المدنية للعاملين فيها بصورة تدريجية . وحسب هذا الاقتراح تمنح في البداية صلاحيات في مجال التعليم وبعد ذلك في مجال الصحة وهكذا .

وبحثت امكانية اخرى هي منح صلاحيات في جميع المجالات المدنية مرة واحدة وبصورة تدريجية . وخلال مدة محددة تنقل جميع الصلاحيات في المجالات المدنية الى السكان المحليين . اما بالنسبة لمشروع اقامة « اطار عام » فوق مستوى البلديات والذي

يأخذ بيده صلاحيات ادارية في مجالات مدنية موجودة الان بيد الحكم العسكري ، فهو اكثر تعقيدا من ناحية التنفيذ . والشرط لاقامة هذا الاطار هو مبادرة من جانب « الزعامة المحلية » التي معظمها لا يميل الى ذلك في هذه المرحلة . وكما ان اقامة جهاز كهذا سيصطدم بمعارضة شديدة من جانب م. ت. ف وعناصر اخرى في العالم العربي » .

وقد لاحظ احد الاشخاص الذين تحدث معهم بيرس — كما قالت هآرتس — بان بادرة الوزير الاسرائيلي قد جاءت متأخرة ، وان في اسرائيل من يقول بهذا الرأي ايضا .

وكانت « الزعامة المحلية » قد طلبت في الماضي — رؤساء البلديات — موافقة الحكم العسكري على عقد اجتماعات يشترك فيها ممثلون من جميع مدن الضفة الغربية . ولكن ووفق على ذلك مرة او مرتين فقط . اما الان ، فان وزير الدفاع الاسرائيلي يطرح اقتراحات لتعيين سكان محليين في وظائف عالية وكبيرة في الحكم العسكري ويدرس امكانية اقامة اطار عام فوق مستوى البلديات .

ووصفت الاراء التي اعرب فيها الاشخاص الذين تحدث معهم بيرس ، بانها تعبر عن الاراء الحالية السائدة بين الزعامة التقليدية في الضفة والقطاع ، وان معظمهم يخشون من اتخاذ مبادرة مستقلة . وانهم حتى ولو وافقوا على اخذ صلاحيات ادارة ذاتية ، فانهم سيصطدمون بصعوبات كثيرة ، داخلية وخارجية ، في تنفيذ الخطة . وقالت الصحيفة ايضا ، يبدو ان وزير الدفاع الاسرائيلي في هذه المرحلة سيضطر الى العمل بصورة صعبة بين وزراء الحكومة الاسرائيلية وبين « زعماء » الضفة والقطاع ، قبل ان يستطيع البدء في تنفيذ الخطة . (الشعب ٧٥/٣/٧) .

وفي وقت لاحق ، نقلت وكالات الانباء عن صحيفة يديعوت احرونوت الاسرائيلية ان شمعون بيرس سيقدم قريبا مشروعا لاقامة ادارة مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة الى الحكومة لتوافق عليه . واوضحت الصحيفة النقاط الرئيسية في هذا المشروع فقالت : يقضي المشروع بمنح سلطة متزايدة لرؤساء البلديات مع الحد من تدخل الحكم العسكري في الحياة المدنية الى ادنى درجة . وسيكون رؤساء البلديات مسؤولين عن مدنهم وعن المناطق التي تقع فيها هذه المدن ، وبالتالي فانهم سيقومون بدور المحافظين .

واوضح بيرس ان هذا المشروع اداري بحت ولا يجب في اي حال اعتباره بمثابة مبادرة سياسية من اجل انشاء دولة فلسطينية . ولكن من المحتمل ان يثير بعض المشكلات على الصعيد القانوني — كما ذكرت يديعوت احرونوت — اذ ان القانون الاردني الذي ما زال معمولا به في الضفة الغربية يحدد بدقة بالغة دور رؤساء المجالس البلدية .

واشار خبير الشؤون العربية في صحيفة يديعوت احرونوت الى انه يتحتم في هذه الحالة ادخال تعديلات على هذا القانون بشكل او باخر . وقال ان الخطوط العريضة لهذا المشروع معروفة في الاراضي المحتلة على رغم انه لن يتم عرضه الا بعد موافقة الحكومة الاسرائيلية عليه . كما اوضح ان المشروع قوبل بفتور . وقال ان عددا من الاشخاص يرون فيه فرصة لاقامة ادارة من أبناء الضفة الغربية فقط « قد تصبح في الوقت اللازم قاعدة لاقامة دولة فلسطينية » . لكن البعض الاخر يعربون عن شكوكهم فيما يتعلق بالاهداف الحقيقية للحكومة الاسرائيلية (جريدة النهار اللبنانية ٧٥/٤/١٠) .

ردود الفعل لفشل كيسنجر

تحت عنوان ساخر وشامت بسياسة وزير الخارجية الاميركية ، خصصت صحيفة الشعب افتتاحيتها الرئيسية والمعنونة : « وانقلب السحر على الساحر » ، كتعليق على فشل سياسة الخطوة فخطوة التي انتهجها الدكتور كيسنجر لتسوية الصراع العربي — الاسرائيلي . فقالت : ماتت سياسة الخطوة خطوة ووصل هنري كيسنجر الى نهاية الطريق المسدود وكان عليه ان يحمل عصاه ويرحل وهو يلعق جراحه بعد فشله في تحقيق هدفه في « تركيع » الامة العربية . ثم طرحت الصحيفة تساؤلا : ثم ماذا بعد ؟ واجابت ، « هل يعني فشل كيسنجر ورحيله عن المنطقة ، ان القوى المعادية قد اغلقت خرائطها واستسلمت ؟ وهل كانت اسرائيل او الولايات المتحدة تقف مكتوفة الايدي طوال الفترة بانتظار الاستسلام العربي ، دون ان تضع في اعتبارها ارادة الامة العربية وتصميمها على الوصول الى حقوقها كاملة ؟ » . واضافت

الصحيفة مستنتجة ان وصول كيسنجر الى الطريق المسدود يعني انه لم يعد هناك غير خيار واحد ، ملمحة بذلك الى الخيار العسكري ، ووصفت هذا الخيار بخيار « التحدي » وقالت : من هنا يجب ان تقف القوى العربية جميعا امام خيار واحد لا بديل عنه وهو ان تقبل التحدي . واذا كانت نهاية الصراع تقضي بانتصار الحق فلا بد من الاعداد للاستمرار في مسيرة التحدي بوحدة صف وهدف ، بقلب واحد ويد واحدة .

وختمت « الشعب » تعليقها قائلة ، ان نواة هذه الوحدة «تتبلور في القيادة الفلسطينية — السورية» التي يجب ان تتسع لتضم كل القوى العربية الاخرى وفي مقدمتها مصر والعراق وليبيا ... وعندها تستطيع القوى العربية ان تواصل المسيرة مطمئنة الى تأييد جماهير امتها العربية والقوى الدولية المؤيدة للحق والمساندة لحرية الشعب وقضاياها العادلة (الشعب ٧٥/٣/٢٤) .

اما صحيفة القدس فكتبت تحت عنوان « لم يكن الفشل مفاجأة » تقول : ان اسرائيل لا تريد السلام ضمن حدود معترف بها ، لان هذا السلام في رأيها ، لا يحقق لها الاهداف التي تتطلع اليها ، وهي ان تصبح دولة شرق اوسطية تتمتع بالاعتراف الدبلوماسي والعلاقات الاقتصادية وحرية المرور عبر العواصم العربية والتبادل التجاري ورفع قيود المقاطعة وتوطين اللاجئين الفلسطينيين ضمن البلاد العربية التي تأويهم حاليا ... وهي في سبيل الوصول الى هذه الغايات مستعدة ان تنسحب ، لا الى خط ١٩٦٧ ، بل الى خط يقع بين الوضع القائم والوضع الذي كان عليه الحال قبل حرب حزيران .

وقدرت « القدس » ان الدول العربية مستعدة للسير في خطوات الصلح ، وتساءلت : هل اسرائيل مستعدة ان تدفع الثمن الذي يتطلبه هذا الصلح واقله العودة الى خط التقسيم لسنة ١٩٤٧. واجابت الصحيفة ، ان الجواب بالتأكيد هو النفي .

واضافت الصحيفة قائلة : بقي ان نسأل عن الدور الذي قامت به الولايات المتحدة الامريكية ؟. بالتأكيد ، لم تمارس الولايات المتحدة الضغط الكافي بل اكتفت بالتلويح باشارات غامضة على ما يبدو من رسالة الرئيس فورد . وقامت بدور ساعي البريد ، ينقل رسائل ، لا حول له في تحريرها ولا رأي له في صياغتها.ولم يكن هذا هو الدور المنتظر الذي توقعته الشعوب العربية التي « صدقت لفترة قصيرة ان اميركا قررت اخيرا اتباع سياسةمتوازنة» (القدس ٧٥/٣/٢٤) .

غير ان صحيفة الفجر ، كتبت مبكرا عن فشل كيسنجر وقبل ان يعلن عن ذلك من قبل الاطراف المختلفة ، وذلك اعتمادا على الاخبار التي كانت تنقلها وكالات الانباء على مواقف الطرفين ، المصري والاسرائيلي . فقد جاء في افتتاحية « الفجر » في عددها الصادر يوم ٧٥/٣/١٨ ، تحت عنوان : « فشل كيسنجر وانتصرت ارادتنا » ، انه ليس غريبا هذا الفشل الذي تتحدث عنه وكالات الانباء. فكل المراقبون كانوا يتوقعون له هذا الفشل ، لان مصر لا يمكن ان تخرج عن الارادة العربية من ناحية ، ولان اسرائيل لا تريد ان تخرج عن استراتيجيتها الاساسية « قطعة ارض مقابل قطعة سلام » .

وقالت « الفجر » لقد كانت خطة كيسنجر تستهدف « تفتيت الجبهة العربية وتحقيق نصر سياسي لاسرائيل وضرب مقررات مؤتمر القمة ، وعزل الحركة الفلسطينية نهائيا ... ولقد فشل كيسنجر في مهمته المباشرة باجراء فصل جديد للقوات المصرية والاسرائيلية ، وهو حتما سيفشل في كل خطته الكبرى ، لان الوعي العربي العام والدفع الجماهيري للاحداث ، سيفوت على المتخاذلين تخاذلهم وسيمنع السقوط حتى عن اولئك الذين في نفوسهم شيء من المرض الكيسنجري » .

واضافت الصحيفة ، غير ان مؤامرة كيسنجر دفعت بالحركة الوطنية الفلسطينية الى الامام ، فاعلنت وحدتها المصيرية مع سورية وتلاحمها مع الجماهير اللبنانية ، وفتحت العيون على ضرورة التمسك بالتضامن العربي ، وتأكيد مقررات القمة.

وعندما تحدثت عن آثار فشل سياسة كيسنجر على الساحة العربية ، قالت الصحيفة ان هذه الاثار « ليست في صالح اسياد كيسنجر او تابعيه، ولكنها كانت لصالح الانسان العربي بشكل عام ولصالح الانسان الفلسطيني على الخصوص . وبرزت القيمة الكبرى لهذا الانتصار ، مبلورة في

شكل قدرة الجماهير العربية على رؤية المخططات الامبريالية الاثيمة ، وقدرة هذه الجماهير على التصدى الواعي لهذه المخططات ، وافشالها وارغام كل الاطراف المشاركة فيها على الركوع امام الارادة الجماهيرية الجبارة » (الفجر ٧٥/٣/١٨).

زيارة السناتور ماكغفرن

كانت الضفة الغربية احدى المحطات الهامة التي توقف فيها السناتور جورج ماكغفرن خلال جولته الشرق اوسطية . ونقلت صحف الضفة الغربية والصحف الاسرائيلية بعض انباء هذه الزيارة واللقاءات والاحاديث التي دارت فيها ، والتي رتبت لها القنصلية الاميركية العامة بالقدس وتكتمت مختلف المصادر حول ما جرى فيها من احاديث . ومع ذلك فقد ذكرت صحيفة الشعب بعض تفاصيل الزيارة قائلة : ان اغلبية العرب الذين اجتمع معهم السناتور الاميركي اكدوا له واصروا على ان منظمة التحرير هي الممثل الوحيد لهذا الشعب ، وانهم يؤيدون المطالب والحقوق التي تنادي بها وتعمل من اجلها منظمة التحرير وخاصة قيام السلطة الوطنية في الاراضي المحتلة. واضافت الصحيفة ان ماكغفرن عقد سلسلة لقاءات واجتماعات خاصة لم يذكر شيئا عما دار فيها ولا اسماء الشخصيات التي التقى بها . وذكرت عن ماكغفرن قوله بما يخص مؤتمر جنيف « ان اميركا لا يهمها من سيمثل الفلسطينيين فيه ، انما يهمها ان يكون الممثل يحظى بتأييد غالبية الشعب الفلسطيني » . وقالت ان من بين الذين اجتمع بهم السناتور ، المحامي عزيز شحادة الذي ذكر لماكغفرن رأيه المعلن والقائل باقامة دولة فلسطينية بعد الانسحاب الاسرائيلي ووضع المنطقة تحت الوصاية الدولية. كذلك اجتمع ماكغفرن مع الدكتور شوكت الكيلاني وغابي برامكي وانور الخطيب . واضافت انه اجتمع قبل ذلك الى كل من حمدي كنعان والمحامي وصفي المصري . (الشعب ٧٥/٤/٤) .

ونقلت « الشعب » عن الصحف الاسرائيلية ما نشرته الاخيرة من جوانب هذه اللقاءات . فقالت نقلا عن صحيفة معاريف ان ماكغفرن اجتمع « بوجهاء » عرب من المناطق المحتلة وان الاجتماعات استمرت حوالي ثلاث ساعات حيث جرت في رام الله والقدس . وقالت الصحيفة الاسرائيلية ان القنصلية الاميركية قد حددت الاشخاص والمكان لهذه الاجتماعات . وان السناتور اجتمع بثلاث مجموعات صغيرة من الشخصيات العربية وان بعضها جرى في بيوت افراد منهم طلبوا عدم كشف الاراء التي طرحوها او الذين اشتركوا في هذه الاجتماعات . وقالت « معاريف » ان رؤساء بلديات الخليل ورام الله وبيت لحم لم يشتركوا في هذه الاجتماعات . كما ان القنصلية الاميركية اختارت « شخصيات » ليست لها « مناصب عامة رسمية » وان الذين اشتركوا في الاجتماعات جميعهم من الذين يؤيدون اقامة دولة فلسطينية والانفصال عن الاردن . وقالت ان ماكغفرن التقى بالدكتور شوكت الكيلاني « المعروف بتأييده للحزب الشيوعي » ومع مدير كلية بيرزيت الدكتور غابي برامكي ومع عزيز شحادة حيث جرى في بيت الاخير أحد الاجتماعات . وقالت انه في احد اللقاءات حضر ١٥ شخصا بينهم رئيس الغرفة التجارية في رام الله . واضافت الصحيفة ان الحضور في الاجتماعات مع الدكتور كيلاني ومع رؤساء كلية بيرزيت قالوا بانهم يؤيدون اقامة دولة فلسطينية بقيادة م. ت. ف. واضافت ان اقوال عزيز شحادة كانت اكثر اعتدالا وان ماكغفرن الغى اجتماعا كان مقررا ان يحضره عدد من الشخصيات المعروفة بتأييدها للاردن (الشعب ، العدد نفسه) .

ونقلت «الشعب» عن صحيفة يديعوت احرونوت ان احد الاشخاص الذين اشتركوا في الاجتماعات مع ماكغفرن قد ذكر انه اعرب عن تأييده المتحمس لفكرة اقامة دولة فلسطينية . وقالت ان القنصلية الاميركية هي التي رتبت هذه اللقاءات واحاطتها بالسرية وطلبت من مشتركيها العرب عدم التحدث عن اجراء اللقاءات ولا عما دار فيها (الشعب المصدر نفسه) .

اما صحيفة القدس فقد نقلت هي الاخرى بعض تفاصيل اللقاءات مع السيناتور الاميركي . فقالت على لسان الدكتور شوكت كيلاني رئيس الاطباء في وكالة الغوث ، انه قد عرض القضية بصورة وافية ، وكان من ابرز النقاط التي اثارها ، ان ما سمعه ماكغفرن من السيد ياسر عرفات اثناء اجتماعه به مؤخرا ، كان يمثل نفس الرأي والاتجاه

لكل مواطن في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وان الشعب الفلسطيني الذي يبلغ تعداده اكثر من ثلاثة ملايين نسمة ، قادر على انشاء دولته وحكم نفسه بنفسه وان هذا الشعب الذي يضم الالوف من الاطباء والمحامين وعشرات الالوف من المثقفين، والذين عمروا العالم العربي بثقافتهم ونهضوا بدوله من كافة النواحي الصناعية والاقتصادية والاجتماعية ، قادرون الان على اقامة دولتهم في هذا الجزء من العالم . واكد ان الفلسطيني يتطلع الى السلام لا الى الاستسلام ، وان الافكار التي تعم الشعب الفلسطيني هي الايمان بتنفيذ مقررات مجلس الامن والامم المتحدة ، وانه لن يكون هناك سلام في هذه المنطقة بدون ذلك .

ومن ناحية اخرى نفى حكمت المصري انه قد قابل السناتور ماكغفرن ، وقال ان رأي السكان في الضفة الغربية معروف ، واكد ان كل مواطن يحمل نفس اراء منظمة التحرير والسيد ياسر عرفات . وقال في حديث ادلى به لبعض الصحفيين الذين زاروه ، ان الشعب الفلسطيني يتطلع الى اقامة دولته الديمقراطية . واكد انه لا يمكن لاي فئة في الضفة الغربية ان تقف ضد رغبة الجماهير الفلسطينية الممثلة في قيام دولة فلسطينية مستقلة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية وتنفيذ مقررات هيئة الامم المتحدة (القدس ٧٥/٤/٤) .

وانتقدت صحيفة الفجر المقدسية بعض الاراء التي نادى بها بعض الذين اشتركوا في هذه الاجتماعات حول الوصاية الدولية على الدولة المقترحة ، فقالت : « ان وجود امثال هؤلاء ليس غريبا ، وليس ظاهرة فريدة نادرة لا يجود بمثلها الزمان . نعم انها ظاهرة ولكن ليست غريبة . انهم شوك كل عصر ، وهذيانهم لا يدل الا على انهم فئة تقول فقط بما يخالف اجماع كل الناس » . ثم اضافت : « باسم من يتكلم هؤلاء ؟. ان مثل هذا القول يخرج عن اجماع الناس الذين يرون في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلهم الشرعي والوحيد . وقد اعترفت بذلك كل الجماهير الفلسطينية ... ما معنى ان يقول البعض بالوصاية ؟. معناها تنكر لارادة الجماهير وعدم اعتراف بممثلينا الشرعيين وتشكك في مقدرتنا على اقامة سلطتنا الوطنية وادارة شؤونها . ومعناها في النهاية الخوف من سلطة الجماهير والخوف من الفكر الاجتماعي الذي تطرحه الحركة الفلسطينية . معناها عدم الايمان بالجماهير باي حال والانغلاق داخل الاحلام الذاتية ، ومعناها مقاومة ارادة الجماهير وحركتها . ان الوصاية الدولية مرفوضة قولا وعملا ، وهي في شكل اخر من الاحتلال واغراق البلاد في الفوضى والتفسخ وجعل بلادنا بؤرة مفتوحة للنشاط الامبريالي والجاسوسية العالمية . انه احتلال من نوع جديد لا نرضى به ولا نقبله ونرفض كل من يقول به ونرى فيه عدوا لحركة الجماهير ... » (الفجر ٧٥/٤/٥) .

اما صحيفة الشعب فقد تناولت من جانبها التعليق على مهمة السناتور الاميركي برمتها وقالت: ان الطريق الى معرفة الحقيقة عن مشكلة الشرق الاوسط اذا شاء ماكغفرن ان يطلق عليها هذا الاسم — باعتباره لا يستطيع فهم الابعاد الحقيقية للقضية الفلسطينية ولن يستطيع — هذا الطريق كان باستطاعته ان يبدأ به من حيث اتى .. من نيويورك التي تضم ملفات الامم المتحدة وفيها كل ما يتعلق بالقضية ، وترسم عبر اكثر من ربع قرن صورة شبه شاملة لكل تطورات القضية واحداثها ، منذ ان تعامى العالم عن الخروج بها عن نطاق قضية لاجئين يحتاجون الى الخيمة وكسرة الخبز ، الى ان اضطر للاعتراف ثم الاقتناع بحقيقة كونها قضية شعب له ارض ووطن وحقوق كاملة .

واختتمت « الشعب » تعليقها قائلة : « لنفرض ان ماكغفرن جاء ينشد الحقيقة من افواه اصحابها فنظن انه بالتقائه بالممثلين الحقيقيين لهذا الشعب ، سواء كان عبر اجتماعه بياسر عرفات، او محادثاته مع المسؤولين واللاجئين في المخيمات الفلسطينية على ارض لبنان ، قد وجد هذه الحقيقة بكل تفاصيلها وابعادها » (الشعب ٧٥/٤/٤) .

عيسى الشعيبي

(٤) اسرائيليات

[١]

اسرائيل تسعى لضمان استمرار التأييد الاميركي بعد فشـل المفاوضات مع مصر

مع الاعلان عن فشل وزير الخارجية الاميركي كيسينجر حمل مصر واسرائيل على تحقيق تسوية جزئية اخرى في سيناء ، انهمك الاسرائيليون ، من رسميين ومعلقين ، في كشف تفاصيل المفاوضات التي دارت بينهم وبين مصر ، بواسطة كيسينجر ، لتبرير مواقفهم ، على الصعيدين الداخلي والخارجي ، بينما ارتفعت الاحداث الداعية الى اعادة تقييم الموقف الاسرائيلي وتخطيط سياسة « جديدة » للمراحل القادمة ، خاصة بعد ان اعلنت الولايات المتحدة عن نيتها « اعادة النظر » في سياستها في الشرق الاوسط . ومع حماس الاسرائيليين في الحديث عن موقفهم وموقف مصر ، والمواقف التي اتخذها الطرفان اثناء المفاوضات ، واتجاههم الى تحميل مصر مسؤولية فشل مساعي كيسينجر بسبب « تصلبها » ، اتضح ايضا ان الموقف الاسرائيلي بقي على وضعه السابق ، يهدف الى فرض تسوية شاملة ضمن التسوية الجزئية مع مصر ، وان اي تغيير لم يطرأ عليه ، رغم الزيارات المتبادلة والمحادثات التي تمت خلالها ، التي كان بعض المسؤولين الاسرائيليين قد قاموا بها لواشنطن من جهة وزيارات كيسينجر للمنطقة من جهة اخرى ، منذ الخريف الماضي .

وقبل الحديث عن الاسباب التي اعلنتها اسرائيل لفشل مهمة كيسينجر ، لا بد من استعراض مضمون الاتفاق الذي كانت اسرائيل تسعى للوصول اليه والذي اتضح من التعليقات والانباء التي نشرت في اسرائيل ، خلال الاسبوعين اللذين سبقا بدء زيارة كيسينجر . لقد تبين ان الاتفاق الذي تطالب اسرائيل مصر بالتوقيع عليه ، مقابل موافقتها على الانسحاب من سيناء ، يضم عددا من الطلبات تكاد ، عند الاستجابة لها ، تشكل عمليا اتفاق سلام ، ينقصه الاسم فقط . ومن ناحية اخرى ، تشير معظم الانباء الواردة من اسرائيل ان المفاوضات الحالية بين اسرائيل ومصر ، بواسطة كيسينجر ، تدور اساسا حول هذه الطلبات وموقف مصر منها ، بعد ان اصبح الانسحاب من سيناء ومداه « امرا ثانويا » .

تطرق اكثر من معلق اسرائيلي الى مضمون الطلبات التي قدمتها اسرائيل لمصر ، فأشار احدهم (يشعياهو بن ـ بورات ـ يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٧) الى ان اسرائيل لا تزال تعتبر نفسها سائرة على طريق التسوية الجزئية ، لا الشاملة ، وتسعى ـ رغم الطلبات التي تقدمت بها ـ للوصول الى «تسوية جزئية واسعة وذات مغزى» مع مصر ، تكون « خطوة جدية نحو تسوية سلمية » ، و « ذات طابع سياسي واضح » ، يميزها عن اتفاقية فصل القوات السابقة ذات الطابع العسكري ، ولهذا لا بد لكل من اسرائيل ومصر من القيام بخطوات عملية ـ لا كلامية ـ تثبت نيتها هذه من جهة ، وتمنعها من التراجع عنها من جهة اخرى . وانطلاقا من هذا الموقف ، تطالب اسرائيل مصر ـ اولا وقبل كل شيء ـ بتقديم « تعهد ... علني ، خطي ورسمي ، غير قابل للتأويل ، بشأن استعدادها للتنازل ، من الان فصاعدا ، عن استعمال القوة ضمن اطار النزاع المصري ـ الاسرائيلي ... ولا يعني هذا ـ ومن المناسب ان نوضح هذه النقطة جيدا ـ تعهدا مصريا ، شفهيا وخطيا ، تجاه الولايات المتحدة ، الرئيس فورد او الدكتور كيسينجر ، وانما تعهدا علنيا ـ اي تجاه مصر نفسها ، والعالم عامة واسرائيل خاصة » . وفي اطار هذا التعهد يسمح لمصر باستعمال القوة في حالة هجوم اسرائيلي عليها « فقط » . كذلك ينبغي ان ينص هذا التعهد على التزام « بحل الخلافات ، من الان فصاعدا ، بواسطة مفاوضات سياسية ، مباشرة او غير مباشرة » ، شرط ان ترافقها ، بحسب رأي اسرائيل ، « سلسلة من الخطوات العملية ... تشير الى انتقال تدريجي ... من حالة الحرب الى حالة اللاحرب بين البلدين » . وتضم هذه الخطوات ، مثلا ، « فتح قناة السويس امام

البضائع الاسرائيلية — وفي مرحلة لاحقة ، امام السفن الاسرائيلية ، العمل على صد المقاطعة العربية ضد اسرائيل وتخلي مصر عنها » (ويبدو ان نشاط المقاطعة العربية ، الذي ازداد مؤخرا، يضايق الاسرائيليين في اكثر من مجال) ، و« عدم تأييد مصر لاعمال الفدائيين العسكرية » (المصدر نفسه) .

كذلك تضم الطلبات التي تقدمت اسرائيل بها شروطا بشأن مدة الاتفاق بين البلدين ، ومدة الانسحاب من سيناء ايضا . وفي هذا الصدد ، لا تزال الانباء متضاربة ، اذ ان هناك احاديث عن سنة وسنتين وثلاث وخمس و ٧ — ١٠ سنوات . اما بشأن المدة الضرورية لتنفيذ الانسحاب من سيناء ، فهناك شبه اجماع على ان اسرائيل تطالب بفترة ستة اشهر ، من خلال الافتراض ان دورة جديدة لمؤتمر جنيف ستعقد خلال هذه الفترة ، بحيث تستطيع اسرائيل التأكد من « نوايا » مصر ، خاصة خلال انعقاد المؤتمر من جهة ، وبناء تحصينات للخطوط الجديدة التي ستنسحب اليها داخل سيناء من جهة اخرى .

ويبدو ان هذه ليست الطلبات الوحيدة التي تقدمت بها اسرائيل ، اذ كشف اخر (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ٧٥/٣/٥) النقاب عن طلبات اخرى ، يظهر انها مكملة لما اوردناه ، منها مطالبة مصر بتخفيض قواتها المسلحة ، بحيث ، « يتم تحويل جزء من الجيش المصري النظامي الى الاحتياط ، لكي يصبح وضعه شبيها بذاك القائم في اسرائيل تقريبا » . وتحدث البعض ايضا عن امكانية فرض قيود في المستقبل ، على تسليح كل من اسرائيل ومصر . « كذلك ينبغي ان تكون جسور مفتوحة لنقل البضائع ولحركة السياحة [وطالب اخرون ايضا بايجاد خدمات بريدية بين البلدين] ، بينما ينبغي ان تكون المنطقة منزوعة السلاح [التي ستنسحب منها اسرائيل في سيناء] باشراف وحدات مصرية اسرائيلية مشتركة . وينبغي على الطرفين ايضا التنازل عن رد الفعل العسكري على اي اتجاه يقوم به الطرف الاخر (مثلا ، تسلل طائرة ينبغي ان يجر احتجاجا ديبلوماسيا وليس نارا مضادة للطائرات) . وعلى مصر ان ... توقف تأييدها العسكري (للتمييز بينه وبين التأييد السياسي) لمنظمة التحرير الفلسطينية. كذلك ينبغي ان تحدد بالتفصيل اية امور تعتبر سببا للحرب ، واعداد قوائم مفصلة حول الاضطرابات الممكنة على الجبهات الاخرى والاشارة صراحة الى الحالات التي تمتنع فيها مصر عن القيام بأي عمل . والاساس — ينبغي ان تقام لجنة مفاوضات مشتركة تباشر دراسة كل المشاكل المعلقة بين الدولتين لانهاء الخلافات ، من خلال تنازلات متبادلة (المصدر نفسه ، وانظر ايضا اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٥ وماتي غولان — هآرتس ، ٧٥/٣/١١) .

من الواضح ان الاقتراحات التي قدمتها اسرائيل تركز اساسا على الوصول الى اتفاق مع مصر وحدها ، ومن الواضح ايضا ان هذا الاتجاه لا يهدف الا الى السير على طريق التسوية الجزئية، وان كانت المرحلة المقترحة حاليا « كبيرة » ، وهو الخط الذي تعلن اسرائيل عن تمسكها به منذ عدة اشهر ، منذ بدأت زيارات الدكتور كيسينجر للمنطقة في خريف العام الماضي . وفي هذا الصدد، ورغم كثافة واتساع المفاوضات مع مصر واستمرار اسرائيل في الاعلان صراحة عن نياتها ومواقفها ، لم يطرأ اي تغيير على الموقف الاسرائيلي من سوريا او الفلسطينيين . فبالنسبة لسوريا ، عاد المسؤولون الاسرائيليون وأكدوا ، رغم الانباء التي اشارت الى امكانية حدوث انسحاب اخر في الجولان ، انه لا مكان لتسويات جزئية اخرى على الجبهة السورية ، وان اسرائيل قد تنسحب من بعض المناطق هناك ضمن اطار اتفاق سلام نهائي مع سوريا . وبالنسبة للفلسطينيين ، عادت اسرائيل وأكدت انها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، لان هذه المنظمة ، بحسب رأي هركابي ، مستشار بيريس (في مقابلة مع عل همشمار ، ٧٥/٢/٢٨) ليست الا مجموعة من المتطرفين ، منهم « متطرفون اقل ومتطرفون اكثر»، وكذلك لان مشكلة المنظمة ، بحسب رأي يتسحاق نافون ، رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست (في مقابلة مع دافار ، ٧٥/٣/٧) هي في «عقيدتها» التي تدعو الى « ابادة اسرائيل » بطرحها شعار الدولة الديموقراطية العلمانية في فلسطين . وابدت دوائر اسرائيلية مختلفة ، من ناحية اخرى، اهتماما باقتراح الرئيس الاسد اقامة قيادة عسكرية

ـ سياسية مشتركة بين سوريا والفلسطينيين ، وكانت تجمع على ان الهدف من وراء ذلك هو احياء مشروع « سوريا الكبرى » اولا ، واقامة « جبهة من الضعفاء » تضم كلا من سوريا والفلسطينيين والاردن ثانيا ، بعد ان اتضح لهم أن مصر « تفضل مصالحها الخاصة » ومصممة على السير في طريق التسوية الجزئية .

كذلك اشارت مصادر اسرائيلية اخرى الى ان الهدف من وراء اقتراح الرئيس السوري قد يكون محاولة التغلب على عقبة حضور الفلسطينيين لمؤتمر جنيف ، وان اسرائيل قد لا تعارض ذلك ، وان كانت تصر على ان « لا تمثل الفلسطينيين م. ت. ف. فقط » (اريئيل غيناي ـ يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/١١) . وفي الوقت نفسه كشف النقاب عن محاولات عديدة تقوم بها وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ويشرف عليها بيريس ، لمنح الضفة الغربية حكما محليا (هآرتس ، ٧٥/٣/٦ ودافار ، ٧٥/٣/١٦) .

لم تكتف الدوائر الاسرائيلية المختلفة بالحديث عن طلبات اسرائيل من مصر ، للموافقة على انسحاب اخر من سيناء ، وانما تتحدث ايضا عن الخطوات المقبلة التي ستتخذ على صعيد حل مشاكل المنطقة ـ اذا نجحت المحادثات حول المرحلة الحالية من التسوية بين اسرائيل ومصر ـ مشيرة الى انه « اذا تم الوصول الى تسوية جزئية ، سيعقد مؤتمر جنيف في الربيع دون ان تدعى اليه م.ت.ف ... « لان القضية الفلسطينية غير ملحة الان » ، وفي « مرحلة متأخرة » يظهر الفلسطينيون في الصورة » . ولهذا « سيكون مؤتمر جنيف في الربيع اجتماعا قصيرا ، مخصصا اساسا لعرض التطورات [المتوقعة] » (يوسف حاريف ـ معاريف ، ٧٥/٣/٧) . وبعد انتهاء المؤتمر ، تنتقل الطابة الى الدولتين الكبيرتين ، « والقصد تجديد «المحادثات الثنائية» بين واشنطن وموسكو، مثل المحادثات التي جرت اساسا سنة ١٩٦٩ بين جوزيف سيسكو واناتولي دوبرينين ، التي ادت فيما بعد الى تفاهم بين روجرز وغروميكو بشأن ماهية التسوية الشاملة » ، ذلك لانه « لا يمكن ان نتوقع تسوية دون ان تلعب الدولتان الكبيرتان « ادوارا مكملة » . وعندما نتحدث عن تسوية تحظى ببركة الدولتين الكبيرتين ، من المفهوم انها تشمل ايضا سوريا والفلسطينيين ... لقد وصل وزيرا الخارجية [كيسينجر وغروميكو] الى هذا التفاهم في جنيف [عند اجتماعهما خلال الشهر الماضي] . وعلى اساس تفاهم كهذا يمكن فقط دفع سوريا والفلسطينيين نحو الاعتدال » (المصدر نفسه) .

لماذا فشلت المفاوضات ؟

كان أول المتحدثين الاسرائيليين عن فشل المفاوضات رئيس حكومة اسرائيل نفسه ، يتسحاق رابين . فبعد بضعة ساعات من مغادرة كيسينجر المنطقة ، عقد رابين مؤتمرا صحفيا اوضح فيه موقف اسرائيل ، بقوله : « عرضت اسرائيل ، خلال الاسبوعين الاخيرين ، بديلين اساسيين للتقدم نحو السلام على مراحل » ، اولهما ان توافق مصر على الغاء حالة الحرب ومقابل ذلك تنسحب اسرائيل ... الى ما وراء ممرات المتلا والجدي ... وحقول النفط في ابو رديس وجنوبها » (دافار ، ٧٥/٣/٢٤) . وعندما رفضت مصر ذلك « اقترحنا ان توافق على فرض قيود معينة بشأن استعمال القوة ، بحيث تكون اسرائيل مستعدة [مقابل ذلك] للانسحاب الى منتصف الممرات ... واعادة حقول النفط في ابو رديس ». ولكن مصر رفضت هذا الاقتراح ايضا ، بحيث اتضح ان هناك « خلافات في الرأى ، جوهرية وجغرافية » . اما الخلافات « الجوهرية » فمردها ان مصر اصرت على اعتبار اي اتفاق جديد ، اتفاقا عسكريا فقط ، « بينما اصرت اسرائيل على ان يكون الاتفاق ذا طابع سياسي ... يضم اسسا يمكن ان تعتبر تعبيرا عن التقدم نحو السلام . ولكن مصر لم تبد اي استعداد .. للتقدم نحو السلام .. مثل الجسور المفتوحة للسواح وفرض قيود ـ لا الغاء ـ على الدعاية المعادية والمقاطعة الاقتصادية وما شابه » . واضاف رابين ان مصر رفضت ايضا اقامة اية هيئة اسرائيلية ـ مصرية مشتركة ، « عدا عن لجنة هدنة ، من العسكريين ، تكون مرتبطة بقوة الطوارىء لمراقبة المنطقة ... التي تفصل بين الطرفين » ، ولكنها وافقت على تمديد عمل قوة الطوارىء من نصف سنة الى سنة ، على ان يتم تجديد الفترة بعد ذلك مرة كل سنة . كذلك اعلن رابين ان طلبات مصر تلخصت « في انسحاب اسرائيلي كامل من

منطقة الممرات باسرها . انسحاب من حقول النفط في ابو رديس وجنوبها ، حتى منطقة الطور ، وتسليم المساحة [الواقعة] بين مدينة السويس وحتى الطور ، على طول خليج السويس » لهما (المصدر نفسه) .

وعاد رابين وتطرق الى ناحية اخرى من موقف مصر اثناء المفاوضات بقوله (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٢٦) : « كان واضحا سلفا ان مصر لن توافق على اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل . لقد درس الامر جيدا خلال المفاوضات مع مصر ، واتضح انه غير قابل للتنفيذ . اما الامكانية الثانية التي كانت ، ولا تزال ، قائمة فهي الوصول الى انهاء حالة الحرب » .

كذلك تحدث وزير الدفاع الاسرائيلي ، شمعون بيريس ، عن المفاوضات وفشلها مطولا (في مقابلة مع معاريف ، ٧٥/٣/٢٦) ، ملخصا « تجربته » بقوله : « اتضح ان كل ما يريده [المصريون] هو ، ببساطة ، انسحاب اسرائيلي عميق في سيناء دون اي مقابل » ، مضيفا « ان التصلب المصري ظهر ... في اربعة مجالات : [رفض] اي تغيير في جوهر العلاقات [بين مصر واسرائيل] ، ماهية الاتفاقية ومدتها ، مصير الممرات ومسألة حقول النفط . في المجالات الاربعة هذه كان الموقف المصري متصلبا ، غير قابل للمساومة ، غير معقول ومخيبا للامال ... « واضاف بيريس ، معلقا على موقف مصر ، كما يراه ، بقوله : « كان من المفروض ان تثبت مصر للعالم العربي ، وفقا لموقفها ومفاهيمها ، انه لم يتم عمليا اي اتفاق [مع اسرائيل] ولم يعط اي مقابل مصري ، بل ان مصر ، بحكمتها وقدرتها الكبيرة وعنادها واصرارها في المحافظة على المصلحة العامة ، استطاعت اجبار اسرائيل على الانسحاب من مناطق ومواقع عسكرية واقتصادية ، من الدرجة الاولى ، دون اي تنازل مصري من اي نوع كان ». واضاف بيريس ، مبررا رفض اسرائيل الاستجابة لطلب مصر الانسحاب من الممرات بقوله : « ان التفسير الحقيقي للاقتراح المصري ليس ابتعادا [اسرائيليا ومصريا] متساويا عن جهتي الممرات ، وانما اقترابا مصريا منها وابتعاد الجيش الاسرائيلي عنها . ولو وافقنا على هذا الاقتراح لوجد الجيش الاسرائيلي نفسه في منطقة مكشوفة ، بينما يستطيع الجيش المصري ان يشكل تهديدا نحو ايلات (العقبة) او متسبيه ريمون [في النقب المحتل منذ ١٩٤٨] لو احتل الممرات . وبهذا كانت مصر ستحصل على مواقع استراتيجية مهمة ، مقابل عبء استراتيجي ثقيل وصعب للغاية على جيش الدفاع الاسرائيلي وعلى اسرائيل » . وكانت اسرائيل قد صرفت اموالا طائلة في تحصين الخطوط التي انسحبت اليها في سيناء بعد اتفاقية فك الارتباط على جبهة السويس وخاصة منطقة الممرات في سيناء ، وعلينا ان نذكر « ان خط دفاع قوي ليس اموالا منقولة » (المصدر نفسه) .

واعلن بيريس ايضا ان مصر رفضت الاجابة على بعض الاسئلة التي وجهتها اليها اسرائيل : « اذا هاجمت سوريا اسرائيل ، هل ستنضم مصر للحرب ام لا ؟ وماذا ستفعل مصر اذا اشتركت سوريا في حرب ضد اسرائيل بواسطة منظمة التحرير الفلسطينية ؟ وماذا سيحدث ، نظريا ، اذا هاجمت اسرائيل سوريا ؟ » (المصدر نفسه) .

ويلاحظ انه على الرغم من كثرة الحديث حول فشل المفاوضات مع مصر ، بقي وزير خارجية اسرائيل يغال الون ، صامتا ، مما قد يؤيد الانباء المشيرة الى وجود خلافات في الرأي بينه وبين رابين وبيريس من جهة ، وبين هؤلاء « الثلاثة الكبار » والحكومة الاسرائيلية باسرها من جهة اخرى . وقد اتضح ، بعد الاعلان عن فشل المفاوضات ، ان « الثلاثة الكبار » كانوا على استعداد في مرحلة ما من المفاوضات لتقديم « تنازلات » لمصر والاستجابة لبعض طلباتها ، الا ان اكثرية الوزراء (باستثناء وزيري مبام) صوتوا ضدهم ، بعد ان انضم الوزراء الذين يؤيدون الاتجاه نحو تسوية شاملة مع جميع الدول العربية ، ان تم ذلك بواسطة مؤتمر جنيف او بدونه ، الى الوزراء « الصقور » المعارضين للتسوية .

الحكومة تحظى بالثقة .. وبالانتقادات

بعد الاعلان عن فشل المفاوضات ، قدمت الحكومة بيانا سياسيا بشأن موقفها الى الكنيست، حيث حظيت بالثقة باكثرية ٩٢ صوتا (من ١٢٠) ، ضد ٤ (اعضاء راكاح) وامتناع ٦ اعضاء عن التصويت . وظهر لاول وهلة وكأن موقف الحكومة، التي تتمتع باكثرية ٦٦ صوتا فقط ، قد ازداد قوة

بناء على هذا التصويت ، ولكن سرعان ما اتضح ان هذه القوة كانت « للحظة عابرة » فقط ، اذ ان المعارضة صوتت الى جانب الحكومة ، بعد ان طلب رابين ذلك من بيغن ، الذي وافق بدوره على هذا ليعرب عن « عدم ثقة » جماعته بكيسينجر ، بينما اراد رابين الابقاء على وحدة حكومته او منع سقوطها ، ليعاود الاتصال بكيسينجر بعد ان يقوم الطرفان « باعادة النظر » في مواقفهما . كذلك ارتفعت بعد ذلك التصويت اصوات ، صدر معظمها عن الحزب الديني القومي (المفدال) المشترك في الائتلاف ، تدعو الى اقامة حكومة تكتل قومي الا ان موشي برعام ، الرجل القوي في فرع حزب العمل في القدس ، سرعان ما اعلن عن معارضة حزبه لذلك .

ومع اعلان اسرائيل عن مواقفها تلك ، اتجه معظم المعلقين الاسرائيليين الى القاء مسؤولية فشل المفاوضات على مصر ، لانها « اصرت على التمسك بخيار الحرب » ، ورفضت « باصرار » طلبات اسرائيل بشأن « انهاء حالة الحرب » معها، رغم ان اكثريتهم لم تبد ارتياحا للوضع الجديد ، الذي نشأ بعد وقف المفاوضات . غير ان حكومة اسرائيل لم تسلم — كالعادة — من توجيه النقد لها ايضا ، وكان اول المنتقدين وزير الخارجية السابق آبا ايبن الذي اعلن (في مقال له في هآرتس ، ٧٥/٣/٢٨) « ان اسرائيل قد بدأت [المفاوضات] بطلبات سياسية بعيدة المدى : ان « الغاء حالة الحرب » ، بطبيعة الحال ، ليس الا مرحلة متأخرة ومتقدمة جدا في مسار صنع السلام » . واضاف رابين : « اشعر ان واشنطن والقدس اقامتا نموذجا مغريا لسياسة مصرية مطلوبة ، ولكنها غير موجودة . وعلى اي حال ، لقد حظيت الافتراضات الملائمة للرغبات والامال بثقل مبالغ به، بينما دفع الواقع نحو الزاوية » .

وعاد ايبن الى رأيه السابق المطالب بعقد مؤتمر جنيف ، فدعا اسرائيل الى الاستعداد لحضوره ، « دون ان ننسى ان عدالة [موقفنا] تظهر على اكثر ما يكون وضوحا عندما تحين الفرصة لنا لنقل مركز الثقل من المسألة الاقليمية الى مسألة السلام » ، خاصة وانه « واضح ومعروف ان العرب لا يقصدون سلاما مئة بالمئة . ان توضيح هذه الحقيقة قد يقنع بعض الجهات المرتبكة لماذا اسرائيل غير ملزمة بالاستجابة لطلبات الانسحاب مئة بالمئة » .

وعلق ايبن على موقف اسرائيل من الفلسطينيين بقوله : « لست من انصار صيغة » نلتقي في ساحة القتال « فقط ، خاصة اذا كانت ساحة القتال قرى وشوارع وشواطىء اسرائيل . ان رفض التباحث مع منكري وجود اسرائيل وسيادتها يبدو لي مفهوما ومعقولا ، ولكن بسبب هذا بالذات ينبغي التفتيش عن خيارات ايجابية ، والسعي وراء ممثلين فلسطينيين نكون مستعدين للقائهم في غير ساحات القتال » (المصدر نفسه) .

كذلك انضم وزير الدفاع السابق دايان الى منتقدي الحكومة (في مقابلة مع معاريف ، ٢١/٣/ ٧٥) ، رغم انه ايد موقفها خلال المفاوضات مع مصر ، وذلك لانها وافقت على اتباع سياسة المراحل ، التي لا يحبذها ، وحاولت الفصل بين مصر وسوريا ، وهذا بحسب رأيه غير ممكن . وبعد ان لمح دايان الى ان حكومة رابين « تحظى بثقته » حاليا ، وتسترشد بآرائه ، مكذبا بذلك الانباء السابقة المشيرة الى انه يتربص بهما لاسقاطها ، كرر قوله مرات اخرى بوجوب التخلي عن سياسة المراحل ، واعتبار مصر وسوريا جبهة واحدة . اما بالنسبة للفلسطينيين ، فقد ذكر دايان انه « لا مشكلة لنا الان مع الاردن او مع الفلسطينيين . انها ليست ملحة ... لا على طول الضفة [الغربية] ولا على عرضها ، ولا في اي مدى اخر اردني — فلسطيني ... ولن نفاوض حسين ... ولا عرفات » . والسبب ؟ — « ان نابلس لا تستطيع اجراء تسوية نهائية معنا دون الاردن ، والاردن لا يستطيع القيام بذلك دون مصر ، ومصر لا تستطيع القيام بذلك دون سوريا، والاثنتين لا تستطيعان القيام بذلك دون السعودية — ولهذا ليست هناك حاليا مشكلة حل شامل » . وحتى ذلك الوقت « على اسرائيل الابقاء على وضع تستطيع معه تأمين مصالحها ، وهي اساسا ثلاثة : الاستيطان — عن حق وليس منة في كل مكان في الضفة . عمليا ، ينبغي ان نستوطن على ظهور الجبال ، في اطار معسكرات جيش ونقاط استيطان مدني محاذية لها ... وكذلك ، تأمين مصالحنا الامنية ، من خلال تقوية الاجهزة بالتحصينات والطرق ، ثم عدم منح ادارة ذاتية لسكان المناطق

المحتلة ، حيث «لا فائدة منها» (المصدر نفسه) .

كذلك اعلن وزير المواصلات جاد يعقوبي ، زميل بيرس ، عن « عدم رضاه » عن الوضع الذي نشأ في المنطقة بعد فشل المفاوضات بين اسرائيل ومصر (في مقال له في يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٢٦) رغم انه كان من مؤيدي الموقف المنادي بعدم تقديم « تنازلات » لمصر . وحذر يعقوبي من ان هذا الوضع يؤدي الى « تقوية التكتل في العالم العربي واضعاف مركز الولايات المتحدة في المنطقة وعودة الاتحاد السوفيتي الى القيام بدور فعال في التسويات في المستقبل » .

الموقف من الولايات المتحدة والعلاقات مع اليهود الاميركيين

مع انهيار المفاوضات بين اسرائيل ومصر، ازداد اهتمام الدوائر الاسرائيلية على اختلاف انواعها ، بالموقف الذي قد تتخذه الولايات المتحدة من ازمة المنطقة في المستقبل ، خاصة بعد ان اعلن الرئيس فورد ان بلاده ستقوم باعادة النظر في موقفها من دول المنطقة من جهة ، بينما كشف النقاب عن رسالة كان فورد قد بعث بها الى رابين ، قبيل انهيار المفاوضات ، وقيل انها رسالة « تأنيب » لاسرائيل ، من جهة اخرى .

وتبدي اكثر من جهة اسرائيلية قلقها من امكان حدوث تغيير في سياسة الولايات المتحدة في المنطقة، يكون في غير صالح اسرائيل ، لان فشل المفاوضات بين مصر واسرائيل — بحسب رأي العديد من الاسرائيليين — يضر بمصالح الولايات المتحدة في المنطقة قبل غيرها ، ولان دعم اسرائيل ، على حد قول رابين ، « ليس الا جزءا من المصلحة الاميركية » ، خاصة وان « هناك خوفا من ان السياسة الاميركية ، التي نجحت خلال السنتين الاخيرتين ، في دعم مركزها في عدة دول [في المنطقة] وعلى رأسها مصر ، منيت الان بضربة قوية وان مركز واشنطن في المنطقة تضعضع بشكل يثير القلق» (اريبه تسيموكي — يديعوت احرونوت، ٧٥/٣/٢٨) . ومما يزيد في هذه المخاوف الصعوبات التي تواجهها اميركا في فيتنام وكمبوديا من جهة والمشاكل على الصعيد الداخلي من جهة اخرى .

وعلق احدهم على النتائج المتوقعة من اعادة النظر في سياسة الولايات المتحدة في المنطقة بقوله، « يبدو ان الاميركيين يعتقدون الان انهم اخطأوا عندما اعتقدوا انه كلما قويت اسرائيل ، ستكون اكثر مرونة ، واكثر استعدادا للتنازلات » ، ولهذا فقد يقلصون مساعداتهم ، على اختلاف انواعها ، لاسرائيل ، وفي مقابل ذلك قد تزداد مساعدتهم لمصر (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٢٨) . كذلك قد يتنازل الاميركيون عن اتجاههم للعمل منفردين في الشرق الاوسط ، بحيث يتجهون الى التعاون مع الاتحاد السوفييتي ، مما يضر بمصالح اسرائيل ، وقد يقومون ايضا بادخال تغيير ما على موقفهم من حل القضية الفلسطينية (المصدر نفسه) .

ويتضح ان الاسرائيليين يحاولون التصدي لاي « انزلاق » في السياسة الاميركية في المنطقة بالعمل على محورين ، اولهما تحسين علاقتهم بالادارة الاميركية ، ومحاولة تجديد اتصالهم بكيسينجر ، وثانيهما دعوة يهود الولايات المتحدة ، البالغ عددهم نحو ٦ ملايين ، الى التصدي لاي تغيير في سياسة حكومتهم ، يضر بمصالح اسرائيل . واعلن في هذا الصدد عن ارسال وفد اسرائيلي الى الولايات المتحدة ، من بين اعضائه آبا ايبن وموشي دايان ، لشرح سياسة اسرائيل للرأي العام الاميركي والاشراف على « المعركة اليهودية المضادة » . وكان آبا ايبن قد اعلن قبل سفره الى الولايات المتحدة (هآرتس ، ٧٥/٣/٢٧) انه « لا يجوز اعتبار رسالة رئيس الولايات المتحدة [الى حكومة اسرائيل] وكأنها انفجار عابر في ساعة غضب . ليست هذه هي الرسالة الاولى من نوعها ، واذكر رسائل اخرى اقسى منها . ولكن الخلفية تختلف عن كل ما عرفناه في السابق . اننا نواجه اميركا اكثر عصبية ، واقل وثوقا بنفسها ، واقل تحكما في تيار التاريخ . اميركا قصيرة النفس ، تنوء تحت ثقل حمولتها » . ومن ناحية ثانية ، حذر اخر (دان مرغليت — هآرتس، ٧٥/٣/٣٠) من مغبة « التحرش » بكيسينجر وفورد ، « اللذين قد يبقيا في البيت الابيض لست سنوات اخرى » .

صبري جريس

[٢]

مخطط ايجاد « بديل » لمنظمة التحرير الفلسطينية في المناطق المحتلة واقامة القيادة السورية ــ الفلسطينية المشتركة

كانت اسرائيل قد أعلنت ، بعد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر القمة العربي في الرباط وفي الجمعية العمومية للامم المتحدة ، باعتبارها ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ، انها ستعمل على ايجاد « بديل » للمنظمة في المناطق المحتلة ، باعتباره احد الاجراءات الهادفة الى عرقلة « انفرادها » في تمثيل الشعب الفلسطيني . وأعلنت الحكومة الاسرائيلية حينذاك ، على لسان وزير خارجيتها يغئال الون ، عن وجوب وضع خطة لاقامة « ادارة ذاتية في يهودا والسامرة [الضفة الغربية] ، وذلك بعد ان تهدأ العاصفة التي اثارتها مقررات الرباط والامم المتحدة. واقترح آلون في الوقت نفسه توسيع الاستيطان اليهودي [في المناطق المحتلة] ... » (دافار ، ١٢/١١/١٩٧٤) . ويظهر من متابعة التحركات الاسرائيلية، منذ ذلك الوقت ، ان العمل بدأ فعلا في هذين الاتجاهين ، مرفقا بنشاط يسعى الى طمس قضية اللاجئين في المناطق المحتلة ، بواسطة «توطينهم».

التحرك الاسرائيلي بدأ بعد مؤتمر الرباط

خلال سنوات الاحتلال ، قمعت السلطات الاسرائيلية ــ كما هو معروف ــ كل محاولة للتنظيم السياسي في المناطق المحتلة . بل ان سلطات الاحتلال قمعت حتى النشاطات الاجتماعية والثقافية »... فالحكم العسكري يمنع حتى اقامة اللجان الثقافية بهدف المحافظة على الميراث الفلسطيني ...» (بشير البرغوثي ــ نقلا عن هاعولام هازيه ، ١٩/٣/١٩٧٥) . ولكن بعد مقررات مؤتمر الرباط بشأن المنظمة ، بدأ الحديث عن اقامة «حكم اداري مستقل» في الضفة الغربية. ففي ١٠/١١/١٩٧٤ كتبت صحيفة دافار شبه الرسمية : « بدأت المعركة على مصير يهودا والسامرة ... هذه المعركة ستستمر اثناء محادثات كيسنجر ... وعلى جيش الدفاع الاسرائيلي ان يمنع اعداد المناطق [المحتلة] لتسليمها الى عرفات ، عن طريق قمع الارهاب ووضع حدود للاستيطان ... » وبعد ذلك بثلاثة ايام (١٣/١١/١٩٧٤) نشرت الصحيفة نفسها اقتراحا ليغئال الون حول اقامة « الحكم الاداري الذاتي في يهودا والسامرة » ، بعد ان نقلت عن الون قوله : « ان النجاح يعتمد على اقناع السكان ان لا امكانية للاعتراف بـ م. ت. ف. او للتفاوض معها ...».

وظهر بعد ذلك ان وزارة الدفاع الاسرائيلية هي التي تولت وضع الخطة لخلق مثل هذا «الحكم الاداري» ، وان وزير الدفاع شمعون بيريس تولى بنفسه مهمة الاتصال بشخصيات الضفة الغربية وغزة ، وان اتصالاته هذه احيطت بالسرية التامة.

الزعماء لبيريس : فاتك القطار

يبدو ان اتصالات بيريس مع زعماء الضفة الغربية بشأن اقامة «بديل لـ م.ت.ف.» لم تحظ بنجاح كبير ، لان معظم « اولئك الزعماء قالوا لبيريس : فاتك القطار ... » (يديعوت احرونوت، ٥/١٢/١٩٧٤) . ولكن يبدو ايضا ان بيريس لم يقطع اتصالاته نتيجة لهذا الموقف ، « ولكنه لا يتحدث الان عن بديل لـ م.ت.ف. بل يتحدث عن ضرورة تولي السكان العرب ادارة انفسهم بهدف ان يعيشوا حياة أفضل ... وهناك اوساط اسرائيلية كثيرة تؤمن انه بهذه الطريقة يمكن ، بالتدريج ، خلق قيادة سياسية ، تستطيع في الوقت المناسب ان تتفاوض مع اسرائيل بدلا من م.ت.ف. » (المصدر نفسه) .

وبعد ذلك بأيام كتب أحد المراسلين الاسرائيليين ان « شمعون بيريس يواصل محادثاته مع زعماء المناطق [المحتلة] حول الادارة الذاتية ، ولكن لا شيء ينشر عما يجري في هذه المحادثات . والمشتركون فيها لا يتحدثون عنها ... » (داني روبنشتاين ــ دافار ، ١٢/١٢/١٩٧٤) . واضاف المراسل نفسه في اليوم التالي ان « بيريس يلتقي مع زعماء المناطق [المحتلة] ويتحدث معهم حول الوضع الاقتصادي ومواجهة البطالة . وهناك تعتيم حول هذه المحادثات ... » (المصدر نفسه ، ١٣/١٢/١٩٧٤) .

ويبدو ان اسرائيل تركز ، في نشاطها هذا ، على الشخصيات المعروفة بتأييدها للاردن اولا ، وذلك لان « الزعامة التقليدية تستطيع امتداح

م.ت.ف. وحسين يستطيع ان يتباهى « بالتخلي » عن الضفة . ولكن عندما ستحين ساعة الحسم سيقف الى جانب الزعامة التقليدية ضد م.ت.ف.» (دافار ، ١٩٧٤/١٢/٢٢) .

ويظهر ، من ناحية ثانية ، ان تحركات أخرى رافقت مساعي ايجاد مثل هذه الزعامة « البديلة »، وذلك لدعمها من جهة ، ولتكريس الاحتلال من جهة اخرى . ومن بين هذه التحركات (١) القضاء على كيان اللاجئين وتصفية قضيتهم ، اذ أعلن شمعون بيريس في الكنيست يوم ١٩٧٥/١/١٣ ، ان الحكم العسكري الاسرائيلي يصرف « ٥٠ مليون ليرة في السنة لتوطين اللاجئين وان هناك خطة شاملة لتوطين ١٧٥ الف لاجيء في غزة حيث سيقام لاجلهم ١٩ حيا سكنيا ... » (معاريف ، ١٩٧٥/١/١٤) . وأعلن ايضا بعد ذلك « ان ١٥٠٠ عائلة من اللاجئين نقلت للسكن في حي الشيخ رضوان الذي أقيم خصيصا [لتوطين اللاجئين] في رفح ، وان رفح ضمت الى بلدية غزة ، وان هذا الحي سيكون واحدا من عدة احياء [مماثلة] ... » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٥) . وصرح بيريس ايضا ان توطين لاجئي غزة يتم في القطاع بعد فشل خطة نقلهم الى الضفة الغربية » لانه تبين لنا ان اخلاص العربي لمكان اقامته يأتي بالدرجة الاولى ، وبعد ذلك يأتي اخلاصه لبلاده ... » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/١١) .

(٢) تصفية القوى الوطنية في المناطق المحتلة بواسطة الاعتقال والطرد، وخاصة الجبهة الوطنية الفلسطينية . وقد تبين ان الحكم العسكري «يجابه المصاعب » في محاولات تصفية هذه الجبهة (دافار، ١٩٧٥/٣/٢) .

(٣) الضغط الاقتصادي ضد السكان ، بهدف « اقناع » زعامتهم بتولي مهام الادارة لاصلاح الوضع المتردي ، فقد نشرت أنباء مختلفة عن خطر البطالة في الضفة الغربية ، ودعوات لاغلاق « الجسور المفتوحة » وقطع المساعدات المالية العربية عن السكان والبلديات في الضفة الغربية (يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٤/١١/٢٤) . وقد رافقت هذه التحركات ، وغيرها ، محاولات اقامة الحقائق الاستيطانية في المناطق المحتلة .

بيريس لم ييأس

رغم الصعوبات التي واجهها شمعون بيريس في محاولاته التدريجية والصامتة لاقامة نوع من الحكم الاداري الذاتي ، ذكرت المصادر الاسرائيلية مؤخرا انه يعمل على صياغة خطة تعطى بموجبها « صلاحيات ادارية » لسكان المناطق المحتلة ، «وهذه الخطة ستتقدم الى الحكومة بعد انتهاء جولة كيسنجر الحالية ... » (يهودا ليطني ــ هآرتس ١٩٧٥/٣/٢) .

ويستفاد من الانباء ان خطة بيريس ترتكز ايضا الى نواح أخرى ، منها : (١) تعيين موظفين عرب في مناصب ادارية في الحكم العسكري ، وهي مناصب شغلها ، حتى الان ، اليهود . (٢) اقامة هيئة مركزية تكون صلاحياتها أعلى من صلاحيات البلديات . وعلم انه « رغم الرد البارد من قبل السكان ، فان بيريس يواصل جهوده . ويبدو انه سيحتاج الى جهود مضنية لاقناع الزعماء المحليين ، وكذلك أعضاء الحكومة » . (المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٣/٦) .

وفسر احد المراسلين الاسرائيليين ، من جهة اخرى ، « عدم يأس » بيريس في محاولاته بقوله : «ان المشكلة القومية تزعج السكان أقل مما تزعجهم مشاكل الخدمات العامة ، وعلى هذه الارضية يمكن رؤية خطط وزير الدفاع بشأن أعطاء صلاحيات ادارية الى سكان المناطق ... ان عرب الضفة عانوا أقل من غيرهم ، فهم ما زالوا يقيمون على أرضهم ، والقضية القومية لا تسري في عظامهم ، كما هو الحال لدى اللاجئين وبقية الفلسطينيين... ولديهم استعداد أكثر للتقدم الاقتصادي والاجتماعي، فعلى اسرائيل استغلال ذلك بدون ان تكون له علاقة بالمسائل السياسية ... ان معظم قرى الضفة تخلو من الماء او الكهرباء ... واقامة الحكم الاداري الذاتي لا يتطلب اعتبارات سياسية، لان هذا الحكم الاداري لن يشمل شؤون الخارجية والامن ... » (داني روبينشتاين ــ دافار ، ١٩٧٥/٣/١٦) . ويبدو ان البعض استمد تشجيعا من ان « ثلاث قرى في السامرة ، هي سيدا وبيتا والظاهرية ، طلبت من الحكم العسكري اجراء انتخابات بلدية فيها . وتم ذلك بهدوء ... وتدل تجربة الانتخابات في القرى الثلاث على ان عملا

محليا يتم بهدوء لصالح السكان يمكن ان ينجح . ان التنازع على الضفة الغربية بين الاردن و م.ت.ف. واسرائيل قد يؤجل الحل السياسي الى سنوات طويلة...واستمرار الحكم العسكري قد يكون ثقيلا على السكان وأما الادارة الذاتية فقد تكون أسهل بالنسبة لهم وللحكم العسكري...» (المصدر نفسه) .

وتفيد آخر الانباء ، التي نشرت حول هذا الموضوع ، « ان خطة اقامة الحكم الاداري الذاتي ستدخل طورا عمليا ... فقد تم تعيين مدراء عامين عرب في مكاتب الحكومة في المناطق [المحتلة] ، وبعد ذلك تمت اتصالات معهم من قبل رجال الحكم العسكري بهدف اقناعهم بتولي مناصب ضباط ادارة في مكاتب الحكومة المختلفة . وقد تردد هؤلاء خوفا من منظمات التخريب ، ولكن بعد ذلك ، وافق جزء منهم ... وسيجري تنفيذ هذه الخطة بالتدريج ، ومن خلال أخذ الجو السياسي في المنطقة بالاعتبار ...وفي المرحلة الاولى سيتم التأكيد على غزة حيث ان امكانية التنفيذ فيها أسهل ... » (توفيق خوري ـ يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٥/٣/١٧) . ولكن على الرغم من ذلك ، لم تذكر المصادر الاسرائيلية ـ وعلى غير عادتها في مثل هذه الاحوال ـ اسما واحدا من بين الذين « وافقوا » على تولي هذه المناصب .

مخطط الزعامة « البديلة » والقيادة السورية ـ الاسرائيلية المشتركة

اثار اقتراح الرئيس السوري حافظ الاسد ، يوم ١٩٧٥/٣/٨ ، اقامة قيادة سورية ـ فلسطينية ، سياسية وعسكرية ، مشتركة ردود فعل عديدة لدى مختلف الدوائر الاسرائيلية . ويبدو ان بعضهم راح يبحث في هذا الاقتراح عن مبررات لتنشيط مجرى اقامة الزعامة « البديلة » في المناطق المحتلة من جهة ولتقوية الاستيطان في تلك المناطق من جهة اخرى . كذلك حاول أكثر من معلق اسرائيلي الدس بين سوريا والفلسطينيين ، بينما أعلن بعضهم انه حتى وان كان هدف الاقتراح التغلب على عقبة تمثيل الفلسطينيين في جنيف ، بواسطة الحاقهم بالوفد السوري، فان الفلسطينيين لن تمثلهم منظمة التحرير الفلسطينية وحدها . وفي الوقت نفسه اشارت بعض المصادر الاسرائيلية الى امكانية استغلال مثل هذا الاقتراح من قبل اسرائيل لعرقلة الانسحاب من المناطق المحتلة .

انطلاقا من هذه المواقف ، جاء قول الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد (معاريف ، ٧٥/٣/١٤) في معرض تعليقه على انشاء القيادة المشتركة ، ان « هناك خسارة للفلسطينيين في هذا الاقتراح ، اذ ستكون لدى الاسرائيليين الذين عارضوا قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية حجة جديدة ، وهي أن الضفة الغربية ستصبح محافظة سورية ، وستكون بمثابة تقريب للحدود السورية الى اسرائيل ... وقد يبدي سكان الضفة تحفظهم على مثل هذه الخطوة ... » . واضاف بيليد ، بعد ان أشار الى المخطط المرسوم « في الحكومة ، او في وزارة الدفاع بالذات ، حول اعطاء الحكم الاداري المستقل لعرب الضفة الغربية ... » ، ان اقامة القيادة السورية الفلسطينية المشتركة قد « تطمس القضية الفلسطينية في متاهات الصراعات العربية، وهذه ستكون فرصة للتأكيد على القيادة الواقعية في الضفة ... » . وختم بيليد مقاله قائلا : « ... اذا حدث التطور المزدوج : خضوع م. ت. ف. للمناورات السورية من جهة ، واعطاء نوع من الاستقلال لعرب الضفة الغربية من جهة اخرى ، فان هذا التطور قد يضع الموضوع الفلسطيني على أساس ايجابي جدا بالنسبة للاسرائيليين والفلسطينيين » (المصدر نفسه) .

والواضح ان اسرائيل في ربطها بين اقتراح القيادة المشتركة وبين مخطط « الحكم الاداري الذاتي » تأمل في أن « تعود الكرة الفلسطينية الى أيدي الدول العربية ... كما كان الامر قبل حرب حزيران ١٩٦٧ » (المصدر نفسه) . وبهذا سيزيد عدد « الاطراف المطالبة » بالضفة الغربية وقد تظهر فيما بينها تناقضات جديدة ، مما سيؤجل الحسم حول مصيرها . والواضح ان اسرائيل تسعى الى استغلال هذا التأجيل لفرض المزيد من الحقائق التوسعية في هذه المناطق ، « ... فالمسافة بين اقتراح مشروع القيادة المشتركة وبين تحقيق هذا الاقتراح طويلة . والمسافة بين تحقيق القيادة المشتركة وبين مؤتمر جنيف طويلة ايضا » (ارييل غيناي ـ يديعوت احرونوت ، ٣/١١/ ١٩٧٥) .

على أية حال ، نرى من المناسب رصد مختلف

التعليقات الاسرائيلية حول مشروع القيادة المشتركة ، وبالتالي امكانات تأثيرها على موقف اسرائيل تجاه سوريا والفلسطينيين .

هدف القيادة المشتركة المباشر : افشال التسوية المنفردة مع مصر

يرى معظم المعلقين الاسرائيليين ان الهدف الرئيسي المباشر من طرح موضوع القيادة المشتركة هو عرقلة التسوية الجزئية بين مصر واسرائيل . فقد جاء ، مثلا ، في افتتاحية الصحيفة الهستدروتية شبه الرسمية (دافار ، ٧٥/٣/١٠) تعقيبا على خطاب الرئيس حافظ الاسد في ٨ اذار ، وعلى اجتماعه بالدكتور كيسنجر في دمشق : « لا يوجد في كلام الاسد ما يسهل عملية الوساطة الاميركية بين مصر واسرائيل . ففي حين يمكن اعتبار ما جلبه كيسنجر من السادات مساومة اولية ، فان شروط الاسد المعلنة تبدو اكثر رسوخا لان اهدافه أكثر تطرفا ... » . واضافت الصحيفة «... ان معنى ما قاله الاسد اثناء زيارة كيسنجر هو رفض للاتفاق المنفرد مع مصر ... وقد تحدث معه عن اقتراحه باقامة قيادة سورية — فلسطينية مشتركة، وان عرفات رحب بالاقتراح ، وانه ربما سيقترح على مصر الانضمام الى القيادة المشتركة . فكل هذا ، مضافا اليه عملية سافوي التي تمت بتأييد من سوريا ، يعتبر اكثر ما يمكن عمله للغم امكانية التوصل الى اتفاق بين مصر واسرائيل ... والواضح ان سوريا وروسيا وم.ت.ف. قرروا منع السادات حتى من تقديم الحد الادنى من التنازل السياسي ، الذي ربما كان مستعدا لتقديمه...».

وايد هذا الرأي معلق اخر في الصحيفة نفسها، عندما كتب في اليوم التالي « ... ان سوريا تخشى من اتفاق اسرائيلي — مصري قد يؤدي الى فرض قيود على مصر بشأن وقف اطلاق النار . ولذلك شنت حرب اعصاب ضد السادات ، وكان اقتراح القيادة المشتركة مع م.ت.ف. جزءا من هذه الحرب ... ان اسرائيل تريد ان تضمن عدم اشتراط التسوية مع مصر بالتسوية مع سوريا ... والاتفاق مع مصر ممكن فقط اذا لم يصل السادات الى الطريق المسدود الذي يدفعه السوريون اليه ... » (يهوشواع تدمور — دافار ، ٧٥/٣/١١) .

وأكد هذا الموقف معلق اخر بقوله : « ... ان موقف اسرائيل هو أن الاتفاق مع مصر ليس من شأن سوريا ، وانه اتفاق سياسي . ولكن اسرائيل تعلم أنها لن تنجح مع مصر ، الا اذا نجح كيسنجر ، بشكل او بآخر ، في اضعاف معارضة سوريا . ولكن « الاميركيين يرون [أيضا] ان اقامة قيادة سورية — فلسطينية مشتركة ستساعد على حل مشكلة تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف » اما « اسرائيل فستوافق على اشراك فلسطين في وفد عربي على الا يكونوا جميعا من م.ت.ف. ، لان ذلك سيعطيها صفة الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ... » (اربئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/١١) .

وأيد معلقون اخرون ايضا الرأي القائل ان هدف سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية المباشر من فكرة اقامة القيادة المشتركة هو « لغم التسوية المنفردة » بين مصر واسرائيل (متتياهو بيليد — معاريف ، ١٩٧٥/٣/١٤ وعوديد غرانوت — معاريف ، ١٩٧٥/٣/٢٠) .

« شراكة الثور والبعوضة »

هذا من حيث النظرة الاسرائيلية الى موقع فكرة القيادة المشتركة من مفاوضات التسوية بين مصر واسرائيل ، الا ان تعليقات الاسرائيليين لم تقتصر على هذه الناحية فقط ، بل تحدثت بشيء من الشك او التشكيك حول الاهداف الانية والمستقبلية لهذه الخطوة ، وكذلك عن طبيعة العلاقات بين الطرفين اللذين سيشكلانها ، السوري والفلسطيني .

فقد « اتهم » معظم المعلقين الاسرائيليين سوريا انها تريد « استغلال » القضية الفلسطينية لاهدافها . فذكر اهود يعري ، مراسل دافار (١٩٧٥/٣/١١) للشؤون العربية ان لسوريا أهدافا على المدى القريب والبعيد ، « فعلى المدى القصير تريد سوريا ضم الورقة الفلسطينية الى اوراقها فتسيطر عليم.ت.ف.عن طريق عناق الدب، وبهذا تعزز اوراق المساومة السورية ، وتعرقل خطوات السادات ضد المنظمة ، ويفقد عرفات قدرة المناورة تجاه الدول الكبرى واسرائيل ، ويزداد مطلب سوريا باعادة الجولان تصلبا ... وتتحول م.ت.ف. الى ذراع لحزب البعث ... وعلى المدى الطويل تريد سوريا ان تبقي الباب

مفتوحا أمام مشروع « سوريا الكبرى » ووضع احتمال الوحدة الفلسطينية ـ السورية في مقابل الوحدة الفلسطينية ـ الاردنية ، مما يشكل تهديدا للاردن ... » . واضاف يعري انه يقول هذا رغم عدم تجاهله « التزام سوريا الثابت بتحرير فلسطين ... » (المصدر نفسه) ، محاولا « تفسير » ترحيب عرفات بالاقتراح السوري ، بقوله انه « ليس واضحا اذا كان عرفات « بترحيبه » [بالمبادرة السورية] يريد ان يميتها بالقبلة القاتلة ، او انه يريد ان يتشبث بها بكلتا يديه ... » (المصدر نفسه) وينطلق هذا المعلق في رأيه هذا من موقع ان الشراكة الفلسطينية ـ السورية هي « شراكة بين طرفين غير متساويين » او كما وصفها متتياهو بيليد « شراكة الثور والبعوضة » (معاريف ، ١٩٧٥/٣/١٤) .

وأعرب بيليد عن رأيه ايضا بأن منظمة التحرير الفلسطينية ، بقبولها المبادرة السورية ، تعيد القضية الفلسطينية الى الوراء « فعرفات يعيد الكرة الفلسطينية الى أيدي العرب ... » وذهب بيليد الى حد القول ان « خطوة الاسد لا تختلف عن خطوة عبد الكريم قاسم ، الذي اراد اقامة جيش تحرير فلسطيني ليقوي مكانته في العالم العربي ... » (المصدر نفسه) .

ومن « نقاط الضعف » التي أشار اليها المعلقون الاسرائيليون أيضا ، بالنسبة للطرف الفلسطيني في القيادة المشتركة « ان سوريا قد يكون لها حق الفيتو (النقض) تجاه تنفيذ عمليات لا تريدها لهذا السبب او ذاك ... » (عوديد غرانوت ـ معاريف ، ١٩٧٥/٣/٢٠ وأهود يعري ـ دافار ، ١٩٧٥/٣/١١) ، بينما أشار معلق اخر الى أن المقاومة الفلسطينية ستستفيد من التنسيق العسكري مع الجيش السوري (معاريف ، ١٩٧٥/٣/٢٠) .

ومع أن الرئيس حافظ الاسد أكد عند دعوته لاقامة القيادة ان سوريا لا تهدف الى السيطرة على أراض فلسطينية يتم تحريرها ، فان معظم المعلقين الاسرائيليين تعمدوا « التذكير » بأن حافظ الاسد « جدد قبل سنة فكرة جنوب سوريا » (دافار ، ١٩٧٥/٣/١١) .

ولخص احد المعلقين العوامل التي تجعل سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية تقفان في معسكر واحد، بقوله : « (١) الطرفان يعارضان التسوية المنفردة بين مصر واسرائيل باشراف كيسنجر ، ويدل على ذلك توقيت الاقتراح . (٢) كلما ضعفت امكانية انسحاب اسرائيلي اخر من الجولان تعززت وحدة الرأي لدى الاسد وعرفات حول وجوب تجديد الحرب . (٣) الرفض الاسرائيلي لمفاوضة الطرفين السوري والفلسطيني هو عامل توحيد بينهما . (٤) عرفات يريد اضعاف التقارب بين سوريا والاردن . (٥) التنسيق العسكري قائم فعلا ... » (عوديد غرانوت ـ معاريف ، ٢٠ /١٩٧٥/٣) .

أما رئيس تحرير يديعوت احرونوت (١١/٣/ ١٩٧٥) فيرى ان مجرد تقديم اقتراح القيادة المشتركة من قبل الاسد ليس الا مكسبا للفلسطينيين . « في البداية رفضت الدول العربية تحمل المسؤولية علنا عن اعمال م.ت.ف. ..ولكن موقف العالم والامم المتحدة من المخربين شجع الحكومات العربية على ازالة القناع عن وجهها ، وكان المبادر الاول لذلك حافظ الاسد » .

يوسف حمدان

[٣]

النشاط الاستيطاني مستمر في المناطق المحتلة

عادت الدوائر التوسعية المتطرفة ، التي تدعو الى ضم كل المناطق المحتلة لاسرائيل ، الى تكرار محاولاتها السابقة للاستيطان في تلك المناطق ، في محاولة لفرض حقائق واقعة ولتكبيل ايدي الحكومة الاسرائيلية والتأثير على قراراتها فيما يتعلق بالانسحاب من هذه المناطق او جزء منها . وذكر انه بسبب الوضع السياسي الحالي وبمناسبة زيارة وزير الخارجية الاميركي ، الدكتور كيسنجر الى المنطقة ، قررت جماعة غوش ايمونيم القيام بموجة استيطانية جديدة ، ترافق هذه الزيارة ، في الضفة الغربية ، شرقي بيت لحم وفي مناطق نابلس واريحا ورام الله (يهودا ليطني — هآرتس ، ١٩٧٥/٣/٧) ، وذلك في محاولة « لاحباط الزيارة ومنع حكومة اسرائيل من تقديم تنازلات » . وقد جرت حتى الان ثلاث محاولات ، واحدة قرب سبسطية والثانية في الخان الاحمر (معاليه هآدوميم) ، بينما جرت المحاولة الاخيرة قرب رام الله يوم ١٩٧٥/٣/١٠ ، اذ حضر اعضاء النواة الاستيطانية الى هناك ومعهم مولد كهربائي ومواد لبناء الاكواخ ، وخيم ، ومعدات اخرى . اخرى . وقام الجيش في الحالات الثلاث باخلاء المستوطنين عنوة من الاماكن التي تمركزوا فيها (دافار ، ١٩٧٥/٣/٦ و رأا ، ١٩٧٥/٣/١١) .

وكانت جماعة غوش ايمونيم قد قامت في السابق ، بتأييد من قوى حزبية مختلفة وشخصيات من ذوي النفوذ بمحاولات استيطان اخرى، مرة قبل حوالي ٨ أشهر جنوبي نابلس، واخرى قبل ٦ أشهر في سبسطيه ، وقد اخلاهم الجيش في الحالتين (المصدر نفسه) . الا ان المحاولة الاخيرة في معاليه هآدوميم ، وما رافقها من نقاش شعبي وحزبي وحكومي ، ادت في النهاية الى موافقة الحكومة على اقامة المساكن للعائلات هناك واقرار الميزانية لذلك ، بعد ان كانت القرارات السابقة تقضي باقامة منطقة صناعية تابعة للقدس واقامة مساكن للعمال فقط . وتم هذا كحل وسط — بعد ان كانت مديرية عقارات اسرائيل والوكالة اليهودية ، بدعم من بعض الوزراء « الصقور » قد تجاوزتا تلك القرارات السابقة ، وبدأتا العمل قبل أن تقر الميزانية لذلك ، ودون ان يتخذ قرار بهذا الشأن ، مما اثار النقاش مجددا بين « الحمائم » و« الصقور » ، بين مؤيد ومعارض، وفقا لمواقفهم السياسية .

تعتبر الخلافات في وجهات النظر بين مختلف المسؤولين الاسرائيليين حول الاستيطان في معاليه هآدوميم خاصة ، وباقي المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ عامة ، بمثابة « دليل » لمواقفهم تجاه مستقبل تلك المناطق او اجزاء منها ، لجهة الابقاء على السيطرة الاسرائيلية عليها او الانسحاب منها في المستقبل . ويقف على رأس معارضي بناء المساكن في معاليه هآدوميم وزير الاسكان ابراهام عوفر ، ويؤيده في ذلك وزير التجارة والصناعة حاييم بارليف ، ولهاتين الوزارتين علاقة مباشرة بالموضوع. كما يقف الموقف نفسه ، ولكن لاعتبارات مختلفة — منها المطالبة باعطاء الاولوية في مجال الاستيطان لمناطق اخرى ، كالجليل مثلا — كلا من الوزراء رابينوفيتش ، تسادوك ، شمطوف ، روزن ، كول وهاوزنر . ولكن باقي الوزراء المعروفين بمواقفهم المتشددة لم يوافقوا على مواقف زملائهم ، وخصوصا وزراء الحزب الديني القومي (المفدال) الذين يعتبرون اقامة المساكن في معاليه هآدوميم تنفيذا لوعد قطعه رئيس الحكومة اثناء المفاوضات التي سبقت انضمامهم للحكومة . وكان احد وزراء المفدال ، وزير الاديان يتسحاق رفائيل ، قد صرح مؤخرا امام طلاب احدى المدارس الثانوية في اشكلون بأن « الاتفاق الائتلافي مع الحكومة ، الذي انضم بناء عليه حزب المفدال الى الائتلاف يشمل بعض البنود السرية التي لم تنشر ، وذلك للحيلولة دون ردود فعل من جانب دوائر معينة في المعراخ » . واضاف : « ان القرار بشأن معاليه هآدوميم هو جزء من تلك البنود التي لم تنشر » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/٢٤) .

ازاء هذا الوضع اضطر رئيس الحكومة رابين الى طرح تلك الخلافات على الحكومة لاتخاذ قرار بشأنها ، فطرحت للتصويت واتخذ قرار بالاستمرار

بالعمل . وقد ايد القرار كل من رابين والوزراء بيريس ، غليلي ، اوزن ، الون ، بورغ ، برعام، هيلل ، حزاني ، يدلين ويعقوبي . ويؤكد القرار الجديد القرارات السابقة التي تنص على « القيام بالاعمال اللازمة لتطوير المنطقة » ، وذلك بعد ان خصص مبلغ عشرة ملايين ليرة من ميزانية سنة ١٩٧٥ لهذا الغرض . وتم الاتفاق ايضا على ان تشرف على هذا العمل ، حتى اول نيسان ١٩٧٥ ، مديرية عقارات اسرائيل ، بميزانية قدرها ٣ — ٤ ملايين ليرة ، ثم تنتقل مسؤولية التنفيذ الى وزارة التجارة والصناعة ، ومنها الى وزارة الاسكان (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/١٧) .

استمرار الخلافات العميقة في المعراخ

لم تقتصر الخلافات حول بناء المساكن للعائلات في الخان الاحمر على الوزراء الاسرائيليين فقط ، اذ انها وصلت ايضا الى كتلة التجمع (المعراخ) في الكنيست ، حيث قام نائبان من تلك الكتلة — وربما لاول مرة في تاريخ الكنيست — بتقديم اقتراحين لجدول الاعمال ، حول هذه المسألة يناقض كل منهما الاخر . وقد قدم الاقتراح الاول ، المؤيد للاستيطان ، النائب مردخاي بن — بورات (راقي سابقا) ، بينما قدم الاقتراح الثاني ، المعارض للاستيطان ، النائب يهودا يودين (مبام) (معاريف ، ٧٥/٣/٤) . كما ولا تزال المطالبة بوقف العمل في تلك المنطقة وتوجيه الجهود الى مناطق اخرى مستمرة ، فقد قدم النائب يوسي سريد مذكرة ، باسمه وبأسم زميله في مبام ، دوف زاخين، الى رئيس الحكومة بشأن معاليه هآدوميم، أعربا فيها عن قلقهما الشديد من التطور السريع لتضية معاليه هآدوميم ، مدعين بان الامر يناقض توطين الجليل وتقويته وتصنيعه تناقضا خطيرا . كذلك اشارا الى ثلاثة مصانع على الاقل ، كان من المفترض ان تقام في كريات شمونه ، وسيتم نقلها الى معاليه هآدوميم ، وطلبا عدم المصادقة على مبالغ اخرى لدعم الاستيطان في تلك المنطقة . وجاء في المذكرة ايضا قول النائبين : « لن نتوقف عن نضالنا الجماهيري ، ومعنا رؤساء البلديات والمدن الذين يؤيدون موقفنا ، الى ان يتضح بما لا يدع مجالا للشك بان الجليل ، وليس اي منطقة اخرى ، هو الذي يقف على رأس سلم الاولويات في التطوير » . وقد وصف الوزير غليلي هذه الادعاءات بانها تحريض لسكان الجليل مضيفا : « لم يذكروا الجليل طيلة ٢٦ عاما ، ماذا حدث فجأة » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/١/١٧) . وكان هذان النائبان قد قدما مذكرة اخرى تتهم مديرية عقارات اسرائيل بالقيام باعمال بملايين الليرات ، في معاليه هآدوميم ، بدون موافقة الحكومة . ورغم ان الخلافات حول الاستيطان في معاليه هآدوميم لا تزال مستمرة ، فان الجولات التي تمت حتى الان اسفرت عن نجاح معين لمؤيدي الاستيطان .

ومن جهة اخرى اخذت تتبلور في اسرائيل ، نتيجة لهذه السياسة الاستيطانية ، « هويات اقليمية » تطالب كل منها باعطاء الاولوية لتطوير منطقتها . وقد وصل الامر الى حد تقديم النائب الياهو مويال — من المعراخ — اقتراحا لجدول اعمال الكنيست يطلب فيه تشكيل لجنة برئاسة رئيس الحكومة ، لاعادة توزيع السكان . وحذر مويال من « الهوية الاقليمية » التي اخذت تبرز تبعا للتقسيم الجغرافي وتوزيع السكان (رال ، ٧٥/٢/١١) .

النشاط الاستيطاني مستمر

ان الخلافات التي اشرنا لها لا تعني ان الحكومة متصرة في مجال الاستيطان ، بل على العكس من ذلك ، اذ انها تقوم منذ بضعة اشهر بنشاط استيطاني واسع ، خاصة في المناطق التي تعلن باستمرار انها لن تنسحب منها ، ضمن اي تسوية يمكن التوصل اليها . وتضم هذه المناطق قطاع غزة ومشارف رفح وشريطا من الارض من سيناء يمتد بمحاذاة حدود فلسطين — مصر الدولية وعلى الساحل الشرقي من سيناء ، الذي يطل على خليج العقبة ، حتى يصل الى شرم الشيخ ، بالاضافة الى الجولان ، او قسم منه على الاقل ، وجزء من الضفة الغربية في منطقة الاغوار ، وهو جزء يمتد بمحاذاة نهر الاردن ، ويحيط بمدينة الخليل ايضا . وهذا بالاضافة الى القدس وضواحيها التي ضمت الى اسرائيل منذ ١٩٦٧ . وهناك محاولات لتوسيع تلك الرقعة من الارض .

من الواضح ان حكومة اسرائيل ، باصرارها على دعم الاستيطان في المناطق المحتلة ، تسعى الى تقوية السيطرة الاسرائيلية والصهيونية على تلك المناطق من جهة ، وتأمل بان تبعد بذلك عن

نفسها ، على الاقل ، تهمة عدم التصرف وفقا لمصالح اسرائيل الحيوية وتقديم « تنازلات » للعرب من جهة اخرى . لذا تعمل السلطات المختصة على خلق الحقائق في تلك المناطق بسرعة مستغلة ، باقصى ما يمكنها ، الوقت الذي يفترض ان يمر حتى الانتهاء من التسوية الجزئية او حتى الوصول الى تسوية شاملة . وتؤكد هذا تصريحات المسؤولين الاسرائيليين المتكررة ، واخرها تلك التي اطلقها رئيس الحكومة رابين عند زيارته مؤخرا للجولان بقوله « ان دور المستوطنات في حال نشوب حرب سيكون محدودا ولكنها تجسد معنى الاصرار على البقاء فيها » (را ا ، ٧٥/٢/١٧) . وجاء ايضا في كتاب تهنئة ارسله وزير السياحة موشي كول الى مستوطني نفيه اتيف على سفوح جبل الشيخ ، الذين كانوا يحتفلون بتدشين منازلهم الجديدة : « اننا خلقنا بالمستوطنات في الجولان خريطة جديدة لاسرائيل ، ستضطر سوريا للاعتراف بها » (المصدر نفسه) .

« بداية السنوات السمان »

اتسع النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في الاشهر الاخيرة ، كما اشرنا ، ليشمل معظم المناطق المحتلة ، كما ازدادت المشاريع والخطط ، حتى اصبح هناك من يطلق على هذه السنة « بداية السنوات السمان » بعد ان مرت سبع سنوات عجاف في هذا المجال (د . غورن — عن همشمار ، ٧٥/٢/١٧) . وتشير بعض المصادر الى ان مجموع سكان المستوطنات الاربع والاربعين ، التي اقيمت حتى الان في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ (بعضها لا يزال في طور الانشاء) ، لا يزيد عن ٧٦٧ عائلة يبلغ تعدادها ٤١٥٨ نسمة ، يسكن اكثر من ٢٠٠٠ منهم في المستوطنات الثماني عشرة في هضبة الجولان و ١٥٠٠ في الاثنتي عشرة مستوطنة في غور الاردن ونحو ٦٠٠ في المستوطنات السبت في مشارف رفح وسيناء (يديعوت احرونوت، ٧٥/٢/٢٥) .

كذلك يتضح من احصاءات وزارة التجارة والصناعة ان ممولين اسرائيليين اقاموا حتى الان ٦٠ مصنعا وورشة في المناطق المحتلة ، يعمل بها نحو ١٠٠٠ عامل ، منها نحو ٢٠ ورشة في كريات اربع (قرب الخليل) ، وتقدر قيمة الاستثمارات في هذه المصانع بنحو ٥٠ مليون ليرة. وقد خصص في الميزانية الجديدة لوزارة التجارة والصناعة مبلغ ١٠ ملايين ليرة لوضع الاسس لمنطقة صناعية جديدة في معاليه هادوميم ، بالاضافة الى مبلغ ١٦٫٨ مليون ليرة من ميزانية وزارة الزراعة للقيام بعمليات تطوير مختلفة في شرم الشيخ (المصدر نفسه) .

وفي حين انفق منذ حرب ١٩٦٧ على المستوطنات الاربع والاربعين مبلغ ١٫٣ مليار ليرة ، خصص في الميزانية الجديدة لسنة ١٩٧٥/٧٦ مبلغ ٤٣١ مليون ليرة ، وذلك لاقامة ٣٢ مستوطنة جديدة خلال هذه السنة من اصل ٨٠ مستوطنة ، من المقرر ان تتم اقامتها خلال السنوات الثلاث القادمة (هآرتس ، ٧٥/٢/١٣) . وقد تمت المصادقة حتى الان على اقامة عدد من هذه المستوطنات ، فقد اعلن وزير السياحة ، ابراهام عوفر ، بان اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان صادقت في جلستها يوم ٧٥/٣/٤ على اقامة ١١ مستوطنة جديدة خلال سنة ١٩٧٥ ، بالاضافة الى تسع مستوطنات كانت قد تمت المصادقة على اقامتها في جلسات سابقة ، وسيبدأ العمل باقامتها باموال ميزانية ١٩٧٥ (معاريف ، ٧٥/٣/٥) .

كذلك فان ادارة التخطيط الزراعي برئاسة وزير الزراعة ، اهرون اوزن ، صادقت مبدئيا يوم ٧٥/٢/٢٧ على الخطط المتعلقة باقامة ٦ مستوطنات اخرى في مشارف رفح ، بالاضافة الى المستوطنات الثلاث القائمة هناك . وكانت اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قد صادقت ، منذ اب ١٩٧٤ ، على اقامة هذه المستوطنات . وقد كلفت ادارة التخطيط لجنة مقلصة لاعداد التخطيط المفصل لهذه المستوطنات ، واتفق ايضا على أن تكون اربع من هذه المستوطنات موشافيم ، واثنتان كيبوتسات (هآرتس ، ٧٥/٢/٢٨) . وقد تم مؤخرا وضع الحجر الاساسي للكيبوتس الاول ، سوكوت ، في مشارف رفح ، بالقرب من الطريق المؤدي الى مدينة يميت وسينتهي بناؤه في حزيران (دافار ، ٧٥/٢/٢٧) . وكان وزير الاديان يتسحاق رفائيل قد صرح مؤخرا ، من ناحية ثانية ، ان هناك نحو ٥٠٠ شاب على استعداد للاندماج في المشاريع الاستيطانية في مختلف المناطق .

الميزانية تكشف تفاصيل الخطة الاستيطانية

سينفق جزء من الميزانية الحالية المخصصة للاستيطان على بناء نحو ٦٠٠ وحدة سكنية في ٣٢ مستوطنة جديدة في كل من هضبة الجولان وغور الاردن ومشارف رفح ، بتكلفة قدرها ٢٠٠ مليون ليرة ، وسينفق الباقي على تقوية المستوطنات الجديدة . ويتضح ان الجهد الرئيسي موجه الى اربع عشرة مستوطنة في هضبة الجولان التي سينفق عليها مبلغ ٧٣٫٧ مليون ليرة لاقامة ١٥٨ وحدة سكنية بالاضافة الى ١٥٨ وحدة سكنية اخرى سينفق عليها مبلغ ٨٥ مليون ليرة ومنها اقامة مركز مديني في الجولان . وستقام في المرحلة الاولى ١٠٠ وحدة سكنية بالاضافة الى سلسلة من المباني الشعبية (المصدر نفسه) . وذكر بهذا الصدد ان عمليات وضع الاسس واقامة الابنية في المركز المديني الجديد ، وسط هضبة الجولان سيدخل مرحلة نشطة مع انتهاء موسم الامطار ، وسيبدأ قريبا العمل على شق شبكة الطرق الداخلية ، وفي ايار يبدأ العمل على اقامة الوحدات السكنية الاولى والمباني العامة والمصانع والادارات (معاريف ، ٧٥/٢/١٤) .

اما مستوطنات قطاع غزة فسيخصص لها مبلغ ٦٧٫٦ مليون ليرة ، وذلك لاقامة ٢١٧ وحدة سكنية جديدة . وسيوجه الجهد الرئيسي هناك لاقامة ١٢٧ وحدة سكنية في مدينة يميت — المركز المديني الجديد في مشارف رفح . هذا بالاضافة الى المستوطنات الست التي أشرنا لها ، والتي وضع الحجر الاساسي لاحداها .

وستقام هذه المستوطنات ، بالطبع ، على الاراضي التي صادرتها اسرائيل من البدو . وكانت قد « بدأت سنة ١٩٦٩ ، بناء على امر حكومي ، مصادرة الاراضي في الجزء الشمالي من المثلث الذي يمتد من رفح حتى العوجه في الجنوب ، والعريش في الغرب ، والذي يضم حوالي مليون دونم من الاراضي الصالحة للزراعة [وهي المنطقة التي تطلق عليها اسرائيل الان اسم « مشارف رفح »] ... وكان التبرير الرسمي يومها ان المنطقة مهمة من الناحية الاستراتيجية والسياسية ، فهي تقطع اي صلة لقطاع غزة بمصر ، وتمر بها الطرق الرئيسية المؤدية الى شمال سيناء . كما وان مشارف رفح تشكل « حاجزا امنيا » من الدرجة الاولى لتأمين الهدوء في القطاع وفي مستوطنات الحدود ... » (حوتام ، ٧٥/٢/١٤) . وكانت قد وضعت سنة ١٩٧٣ خطة أخرى ، هدفها تفريغ كل المنطقة الكبيرة المكملة للمثلث حتى العريش والعوجه من سكانها البدو ، وتبلغ مساحة هذه المنطقة ستة اضعاف ما صودر سنة ١٩٦٩ (المصدر نفسه) .

واما في غور الاردن فستقام ١٥٢ وحدة سكنية جديدة ، بتكلفة قدرها ٧٤٫٨ مليون ليرة (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/٢٥) . كما انتهت وزارة الاسكان من وضع خطة بناء في كريات اربع قرب الخليل ، يتم بموجبها بناء ٥٧٧ وحدة سكنية في السنتين القادمتين ، حيث تبدأ في ذلك الوقت عملية وضع الاسس لبناء ٢٠٠ وحدة اخرى . وبهذا ستضم كريات اربع ، بعد ثلاث سنوات ، اكثر من ١٠٠٠ وحدة سكنية بالاضافة الى مؤسسات تربوية وكنيس ومركز تجاري وخدمات مختلفة . وقد زار وزير الاسكان ابراهام عوفر ، يوم ٧٥/٣/٥ ، كريات اربع وغوش عتسيون وادلى بتفاصيل حول خطط الاسكان في المنطقتين ، اتضح منها انه بالاضافة الى الالف وحدة سكنية هذه ، هناك تخطيط للمدى البعيد لبناء ٦٥٠ وحدة في مكان اطلق عليه اسم غفعات تساهال و ٨٠٠ وحدة في غفعات جعبره ، وكلاهما على حدود كريات اربع . وسيخصص مبلغ ٤ ملايين ليرة ايضا لشق الطريق الذي سيصل القدس بالخليل (معاريف ، ٣/٦/ ٧٥) .

هذا ولا تزال العناصر التوسعية تواصل الضغط على الحكومة لحملها على الموافقة على خططها ، اذ تجري في كريات اربع ومعاليه هآدوميم اقامة ابنية كثيرة ووضع الاسس لعشرات من البيوت ، دون مصادقة سلطات الحكم العسكري (معاريف ، ٧٥/٢/٧) . وذكر ايضا ان ٤٠٠ عائلة اصبحت مستعدة للسكن في معاليه هآدوميم (معاريف ، ٧٥/٢/٢٥) .

وبالنسبة لشرم الشيخ تمت المصادقة ايضا على خطة « ابن لك بيتا في اوفيره » ، وهي الخطة التي تم في اطارها تخطيط ١٤٨ قطعة أرض للبناء الخاص ، مساحة كل منها نصف دونم . وتتم بالاضافة لذلك عملية وضع الاسس لمنطقة صناعية

ستمتد فوق مساحة ٥٠٠ دونم ، وتمت المصادقة ايضا حتى الان على اقامة خمسة مصانع ، بالاضافة الى خطط اخرى قيد البحث . كما يجرى العمل حاليا على تنفيذ مشروعين كبيرين ، هما مد خط مياه الى اوفيره ، تبلغ تكاليفه ٣٠ مليون ليرة ، وشبكة لتزويدها بالكهرباء من ايلات تستمر اقامتها ثلاث سنوات ، بتكلفة قدرها ٤٠ مليون ليرة .

ومن الجدير بالذكر ، من ناحية اخرى ، انه بالاضافة الى الميزانية المخصصة للاستيطان ، هناك امكانية لاستغلال ميزانيات اضافية ايضا . وقد ذكر ارنون غفني ، المسؤول عن الميزانيات في وزارة المالية ، في رده على اسئلة الصحافيين ، بانه اذا قررت الحكومة انشاء مستوطنات جديدة سيكون من الممكن تمويل انشائها من البند الاحتياطي في الميزانية الجديدة (يديعوت احرونوت ، ٢٥/٢/٧٥) . ومن الجدير بالذكر ان هذه الميزانية موزعة على الوزارات المختلفة .

سمير جريس

الاقتصاد الاسرائيلي

[١]

مشروع الميزانية الجديدة للسنة المالية ١٩٧٥ / ١٩٧٦ انعكاس لاوضاع اسرائيل الاقتصادية

قرر الكنيست مؤخرا تحويل مشروع الميزانية — البالغ ٥٦،٣ مليار ليرة — للسنة المالية ١٩٧٥/٧٦، التي ستبدأ في مطلع نيسان المقبل ، الى لجنة المالية التابعة له ، وذلك بعد ان استوفي النقاش حوله في القراءة الاولى . ويفترض ان يعاد مشروع الميزانية الى الكنيست بعد الانتهاء من بحثه في لجنة المالية ، حيث يتم التصديق عليه نهائيا . ويعكس مشروع الميزانية هذه السياسة الاقتصادية التي رسمتها الحكومة الاسرائيلية للسنة المالية المقبلة ، التي تعتبر استمرارا للسياسة السابقة التي انتهجتها بعد حرب ١٩٧٣ ، والهادفة الى اعادة بناء اقتصاد اسرائيل الذي شل تقريبا ، بسبب ما تكبدته من نفقات في تلك الحرب، رغم المساعدات الكثيرة التي وصلتها من يهود العالم والولايات المتحدة . وكان وزير المالية الاسرائيلي ، يهوشواع رابينوفيتش ، قد أكد ذلك في بيانه أمام الكنيست ، عند تقديمه مشروع الميزانية (هآرتس ، ٢٥/٢/١٩٧٥) بقوله : « ان ميزانية الدولة لسنة ١٩٧٥ ... ليست الا تعبيرا عن استمرار سياسة الطوارىء الاقتصادية ، التي اضطررنا الى اتباعها بحكم الواقع السياسي والامني الذي فرض علينا منذ الحرب وبعدها ... ان حرب يوم الغفران تشكل نقطة تحول في حياتنا كلها . وهكذا ايضا في القطاع الاقتصادي الذي لا يزال واقعا تحت تأثير الحرب منذ انتهائها » . والحقيقة هي ان بوادر « المرض » في الاقتصاد الاسرائيلي ، مثل التضخم المالي والعجز في ميزان المدفوعات ، ظهرت قبل حرب ١٩٧٣ ولكن الحرب زادتها تأزما ، وقضت على جميع خطط الاصلاح السابقة . كذلك ساهمت الازمة الاقتصادية في اوروبا والولايات المتحدة ، حيث تشتري اسرائيل منهما المواد الخام لصناعتها والمواد الغذائية والاعتدة العسكرية ، في تقوية الازمة الاقتصادية داخل اسرائيل ، اذ ادى ارتفاع أسعار هذه البضائع في تلك البلدان الى زيادة عجز اسرائيل التجاري وانخفاض فائض عملتها الصعبة، وبالتالي ازدياد ديونها .

على أساس هذه الخلفية ، أعلن رابينوفيتش في خطابه أمام الكنيست ، ان الاقتصاد الاسرائيلي يعاني الان من ثلاثة مشاكل أساسية، من المفروض معالجتها ومحاولة ايجاد حلول لها في اطار مشروع الميزانية الجديدة ، وهي : (١) تحمل عبء الامن ، (٢) خفض العجز في ميزان المدفوعات ، (٣) خفض ارتفاع الاسعار والطلب (المصدر نفسه) ، وهي المشاكل القديمة نفسها التي كررها المسؤولون

الاسرائيليون أكثر من مرة ، ووضعوا عدة خطط اقتصادية خلال السنة الماضية لايجاد حلول لها . ولكن يبدو ان التقدم نحو حل تلك المشاكل يسير ببطء ، بسبب العوامل الناجمة عن الوضع الامني والسياسي والاجتماعي الذي تعيش فيه اسرائيل . وقبل التطرق الى تفاصيل ما تم تنفيذه حتى الان لحل هذه المشاكل ، وما ينبغي ان يتم خلال السنة المالية المقبلة ، في اطار الميزانية الجديدة ، لا بد من التطرق اولا الى بنود هذه الميزانية ومركباتها ، وما رافقها من اجراءات اقتصادية جديدة ، يمكن اعتبارها حلقة في سلسلة الاجراءات التي اتخذت خلال السنة الاخيرة .

ميزانية قائمة على العجز

يبلغ اجمالي مشروع الميزانية للسنة المالية ١٩٧٥/٧٦ ، كما ذكرنا ، ٥٦،٣ مليار ليرة ، منها ٤٤،٥٢ مليار ليرة للميزانية العادية ، التي تشمل الادارة والخدمات الاجتماعية والدفاع والاعانات والفوائد المترتبة على الدين ، والباقي — ١١،٧٨ مليار ليرة — مخصص لميزانية التطوير التي تشمل الاستثمارات الجديدة وتسديد الديون . أمسا الايرادات فتأتي من ثلاثة مصادر : (١) الضرائب المختلفة والقروض الاجبارية ، بقيمة ٤٤،٥٢ مليار ليرة ، ومنها مليارا ليرة على حساب الضرائب الجديدة التي فرضت لتغطية جزء من العجز في الميزانية ، (٢) القروض والمساعدات الخارجية ، والقروض الداخلية بقيمة ١٠،٢٨ مليار ليرة ، (٣) سلفة من بنك اسرائيل بقيمة ١،٥ مليار ليرة لتغطية العجز المتبقي . وتبلغ نسبة الزيادة في مشروع الميزانية الجديدة حوالي ١٣٪ بالمقارنة مع ميزانية ١٩٧٤/٧٥ (أنظر الجدول رقم ١) .

يتميز مشروع الميزانية الجديد بالعجز الوارد به ، البالغ ٣،٥ مليار ليرة ، وذلك بسبب اضافة ملياري ليرة لميزانية الدفاع ، زيادة على ما كان مخصصا لها حسب الاقتراح الاولي الذي قدمتـه وزارة المالية ، واضافة ١،٥ مليار ليرة عـلى ميزانيات وزارات اخرى ، خلال بحث مشـروع الميزانية في الحكومة ومع الوزارات المختلفة . لذلك قررت الحكومة فرض ضرائب جديدة تستطيع بواسطتها جباية ملياري ليرة سنويا لتغطية جزء من العجز، ثم الحصول على سلفة من بنك اسرائيل بمبلغ ١،٥ مليار ليرة ، تستطيع تسديدها عـلى مدار السنة . وقد اوضح وزير المالية أمام اللجنة المالية في الكنيست السبب الذي دفع الحكومة الى فرض هذه الضرائب بقوله : « كانت هناك ثلاثة بدائل لتغطية العجز في الميزانية : (١) تخفيض ميزانيات الخدمات الاجتماعية . وقد اقتطعـت الحكومة من هذه الميزانية في سنة ١٩٧٤ مبلغ ١،٤ مليار ليرة ، لذلك سيؤدي اقتطاع جزء آخر الى بطالة آلاف العمال ، (٢) زيادة النفقات بـدون ايجاد مصادر دخل اخرى ، أي تغطية العـجز بواسطة اصدار أموال جديدة ، مما سيؤدي الى زيادة التضخم المالي بسرعة فائقة والى بطالة واسعة وضرر خطير في الاقتصاد ، (٣) فرض ضرائب جديدة وهذه طريقة صعبة ولكنها ضرورية سنحصل بواسطتها على ملياري ليرة سنويا » (دافـار ، ١٩٧٥/٢/٢٧ وانظر ايضا مقابـلة وزير المالية مع معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٨) . لذلك قررت الحكومة الاسرائيلية ما يلي : (١) فرض ضريبة بنسـبة ٧،٥٪ على ارباب العمل . وتسري هذه الضريبة على الاجور التي يدفعها ارباب العمل ، ابتداء من شهر نيسان ، يمكن بواسطتها جمع ٩٥٠ مليون ليرة سنويا — الا ان الحكومة عادت وخفضت هذه الضريبة نظرا للمعارضة الشديدة التي واجهتها ، (٢) رفع ضريبة الشراء على البضائع المحليـة والمستوردة وعلى الخدمات بنسبة ٧،٥٪ ، ويبلغ الدخل المتوقع من وراء هذه الضريبة ٩٨٠ مليون ليرة سنويا ، (٣) زيادة رسوم البريد والهاتف بنسبة ٢٠٪ ، (٤) رفع اسعار السجائر المحلية بمعدل ١٥ — ٢٠ قرشا للعلبة الواحدة ، (٥) منع السلطات المحلية والبلديات من رفع ضريبة الارنونه العامة والتعويض عليها بمبلغ ٢٠٠ مليون ليرة ، (٦) اقالة ٧٠٠ موظف مؤقت والغاء ١٥٠٠ وظيفة في المكاتب الحكومية ، و(٧) السماح للوزارات الحكومية باستغلال ٢٠٪ فقط من ميزانيتها السنوية خلال الاشهر الثلاثة الاولى من السنة المالية . ويقدر هذا التأجيل في النفقات بنحو مليار ليرة ، ويفترض ان يساهم في « تهدئة » النشاط الاقتصادي (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤ وهآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥).

الجدول رقم ١
مشروع الميزانية للسنة المالية ١٩٧٥/٧٦[١]

النفقــات

	مشروع الميزانية للسنة المالية ١٩٧٥/٧٦ (آلاف الليرات)	الميزانية المعدلة للسنة المالية ١٩٧٤/٧٥ (آلاف الليرات)
المجموع	٥٦،٣٠٠،٠٠٠	٤٠،٦٥٠،٠٠٠
الجزء الاول : النفقات العادية	٤٤،٥٢٠،٠٠٠	٣١،٩٢٣،٥٠٠
الجزء الثاني : نفقات التطوير والحسابات المالية	١١،٧٨٠،٠٠٠	٨،٧٢٦،٥٠٠
الجزء الاول		
١ ــ الحكم والادارة	٢،٠٢٤،١١٣	١،٢٩٨،١٣٧
٢ ــ الدفـــاع	٢٢،٣٠٦،٠٠٠	١٦،٢٨٩،٠٠٠
٣ ــ السلطات المحلية	١،٧٦٥،٠٠٠	١،٠١٨،٥٠٠
٤ ــ الخدمات الاجتماعية	٩،٠٥٨،٠٠٠	٥،١٨٧،١٢٠
٥ ــ النفقات الاقتصادية	٣،٢٦٣،٢٥٠	٢،٦٢٧،٦٢٤
٦ ــ دفـع الفوائـد	٥،٠٠٠،٠٠٠	٣،٤٦٥،٥٠٠
٧ ــ ميزانيات احتياطيـة	١،١٠٣،٦٣٧	٢،٠٣٧،٦١٨
الجزء الثاني :		
١ ــ نفقات التطوير (البنود ٢ ــ ٥)	٦،٤٢٠،٦٥٠	٤،٥١٦،٦٥٠
٢ ــ الاستثمارات في الادارة والحكم	٤٣،١٠٠	٢٨،٥٠٠
٣ ــ السلطة المحليـة	٧٨،٠٠٠	٦٠،٠٠٠
٤ ــ الاستثمارات في الخدمات الاجتماعية	٤،٤٩٦،٣٠٠	٢،٩٦٠،٣٥٠
٥ ــ الاستثمارات في فروع الاقتصاد	١،٨٠٣،٢٥٠	١،٤٦٧،٨٠٠
٦ ــ دفع الديون	٥،١٨٠،٠٠٠	٣،٦٥١،٥٠٠
٧ ــ فائض اموال (من الميزانية السابقة)	٥٠،٠٠٠	٥٠،٠٠٠
٨ ــ احتياط لنفقات التطوير	١٢٩،٣٥٠	١٠٨،٣٥٠
٩ ــ احتياط مجمد لنفقات التطوير	ــــ	٤٠٠،٠٠٠

الايــرادات

	توقع الدخل لسنة ١٩٧٥/٧٦ (آلاف الليرات)	مقياس الدخل لسنة ١٩٧٤/٧٥ (آلاف الليرات)
المجموع	٥٦،٣٠٠،٠٠٠	٤٠،٦٥٠،٠٠٠
١ ــ ايرادات جارية من الضرائب والقروض الاجبارية	٤٤،٥٢٠،٠٠٠	٣١،٩١٥،٥٠٠

٢ ــ ايرادات من القروض والمساعدات الخارجية	١٠،٢٨٠،٠٠٠	٨،٧٣٤،٥٠٠
٣ ــ سلفة من بنك اسرائيل	١،٥٠٠،٠٠٠	ــــ

نقلا عن هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥ .

ــ لم تجر عادة نشر تفاصيل الميزانية قبل اقرارها ، الا ان بعض موظفي وزارة المالية قاموا هذه المرة « بتسريب » المعلومات عن مشروع الميزانية الى التلفزيون الاسرائيلي الذي قام بعرضها ، وتناقلتها عنه الصحف .

معارضة للضرائب الجديدة

اثارت الضرائب الجديدة هذه معارضة واستياء شديدين لدى الهستدروت واتحاد الصناعيين والسلطات المحلية ، اذ اعلن سكرتير عام الهستدروت يروحام ميشل ان هذه الضرائب تعتبر خرقا للاتفاق الذي وقع ، قبل شهرين تقريبا ، بين الحكومة من جهة والهستدروت وأرباب العمل من جهة اخرى وبموجبه تمتنع الحكومة عن فرض ضرائب جديدة حتى شهر حزيران ١٩٧٥ ، مقابل تجميد اتفاقيات العمل والاجور لنصف سنة . ووصف ميشل قرار الحكومة هذا بأنه خطأ كبير سيؤدي الى غليان في أماكن العمل والى انتشار البطالة ، ويقوض الاستقرار الاقتصادي الذي أخذ يتبلور بعد تخفيض قيمة العملة في شهر تشرين الاول من السنة الماضية (هآرتس، ١٩٧٥/٢/٢٥). كما أعلن رئيس دائرة النقابات المهنية في الهستدروت ، اوريئيل ابراهموفيتش ان الضرائب الجديدة يمكن ان تؤثر بشكل سلبي على وضع العمالة وتؤدي الى خفض النشاط الاقتصادي ، مما قد يقوي مجرى اقالة العمال وانتشار البطالة (المصدر نفسه) . ومن جهة اخرى ، أعلن اتحاد الصناعيين بأنه سيعمل ضد قرار الحكومة بشأن فرض ضريبة ارباب العمل ، لان هذه الضريبة ، على حد قول مدير الاتحاد بليغ تامير ، تناقض سياسة تطوير الصناعة وتلقي عليها عبئا ثقيلا بدلا من القائه على فروع الخدمات (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . كما أعلن رؤساء الاتحاد عن توقفهم عن الاشتراك في اجتماعات اللجان المشتركة بينهم وبين الحكومة وقطع كل اتصال معها حتى الغاء هذه الضرائب (دافار ، ١٩٧٥/٢/٢٦).

وبعد اجتماعات مطولة بين الوزراء الاقتصاديين في الحكومة وبين ممثلين عن الهستدروت برئاسة سكرتيرها يروحام ميشل للبحث في اعتراضاتها على هذه الضرائب ، تم التوصل الى اتفاق ، اعتبره الكثيرون فيما بعد تراجعا من جانب الحكومة أمام ضغط الهستدروت ، يرتكز على الاسس التالية : (١) تشكيل لجنة وزارية لشؤون العمالة ، برئاسة وزير العمل ، بحيث تولي اهتماما خاصا بمشاكل العمل في مناطق الاعمار ، (٢) أعلن وزير المالية انه سيعمل على اقامة قسم خاص في وزارته للاهتمام بتوسيع جباية ضريبة الدخل ومنع اخفائها، (٣) يوصي وزير المالية الحكومة بتخفيض نسبة ضريبة ارباب العمل ودمجها في ضريبة القيمة الاضافية عندما يتم فرضها ، (٤) يدرس وزير التجارة والصناعة امكانية اعفاء مواد استهلاكية شعبية من الضريبة الشرائية ، (٥) ينفذ برنامج الاصلاح في الضريبة المباشرة ابتداء من تموز١٩٧٥، (٦) يعلن وزير التجارة والصناعة عن حملة تخفيض الاسعار للمستهلك بمناسبة الاعياد ، (٧) تعرب الهستدروت عن تقديرها لاستجابة الحكومة لطلبات عدم رفع ضريبة الارنونة العامة في السلطات المحلية ، للسنة المالية ٧٦/١٩٧٥ ، (٨) أعلنت الهستدروت بأنها ستقوم ، خلال شهر نيسان بدراسة الغلاء الناتج عن الضرائب الجديدة، وتحدد موقفها من التعويض على هذا الغلاء . وقد صادق المكتب التنفيذي في الهستدروت ، بصورة اجماعية، على هذا الاتفاق (دافار ، ١٩٧٥/٣/٣) بينما رفضه اتحاد الصناعيين وقام رؤساؤه بتقديم مذكرة الى رئيس الحكومة ، طالبين منه « التدخل ومساعدتهم في سبيل الغاء ضريبة ارباب العمل ، لانها تمس بقطاع الانتاج وتردع الكثير من المستثمرين من [الاستثمار] في البلد » (دافار ، ١٩٧٥/٣/٤).

وتنفيذا لاحد بنود الاتفاق مع الهستدروت ، قررت الحكومة تخفيض ضريبة ارباب العمل من ٧٫٥٪ الى ٤٪ ، وتأجيل البدء في جبايتها مدة شهر ، بحيث تبدأ بذلك اعتبارا من اول أيار . واعلن ايضا ان وزير المالية سيبحث قريبا مع الوزارات الحكومية اقتراحات لتخفيض ميزانياتها بـ ٤٥٠ مليون ليرة ، وهو المبلغ الناتج عن تخفيض قيمة ضريبة ارباب العمل وتأجيل جبايتها (دافار ، ٣/٣/١٩٧٥) . ومن ناحية ثانية ، أعلن مدير عام وزارة المالية ، ابراهام أغمون ، « ان قرار الحكومة بشأن تخفيض ضريبة ارباب العمل الى ٤٪ هو قرار نهائي » ، وذلك ردا على اتحاد الصناعيين الذي رفض هذا التخفيض ايضا ، معلنا انه سيواصل العمل لالغاء الضريبة بصورة نهائية (معاريف ، ٣/٣/١٩٧٥) .

وتعتبر الضرائب المصدر الرئيسي لتغطية الميزانية الاسرائيلية ، اذ أعلن رابينوفيتش عند تقديمه لمشروع الميزانية ان الدخل المتوقع من الضرائب ، خلال السنة المالية ١٩٧٥/٧٦ ، يبلغ ٣٢٫٨ مليار ليرة مقابل ٢٤٫٣ مليار في سنة ١٩٧٤/٧٥ . كما أعلن ان الضرائب ، المباشرة وغير المباشرة ، والقروض الاجبارية التي تجمعها الحكومة اليوم تشكل ٥٦٪ من الدخل القومي ، واذا أضيفت لها الضرائب التي تحصلها مؤسسة التأمين الوطني والسلطات المحلية ، تصل النسبة الى ٦٤٪ من الدخل القومي . وهذه النسبة غير قائمة في أي بلد في العالم ، عدا اسرائيل (هآرتس، ٢٥/٢/١٩٧٥).

تجميد خطط تحسين الخدمات الاجتماعية

خصص للخدمات الاجتماعية في مشروع الميزانية الجديدة نحو ٩ مليارات ليرة ، ورغم ذلك يتوقع تقليص هذه الخدمات بمدى كبير خلال هذه السنة. فقد أعلن وزير المالية رابينوفيتش في بيانه امام الكنيست انه « في السنة المقبلة لن تنفذ مشاريع جديدة في حقل الخدمات الاجتماعية » (هآرتس ، ٢٥/٢/١٩٧٥) . وكانت الحكومة قد بدأت باتباع سياسة التقليص في النفقات الاجتماعية بعد حرب تشرين وهي السياسة التي وصلت الى قمتها مع اقتطاع جزء من ميزانيات الوزارات الاجتماعية يقدر بـ ١٫٤ مليار ليرة ، في سنة ١٩٧٤ . ويعتبر هذا الاتجاه مناقضا لسياسة الحكومة قبل الحرب في الحقل الاجتماعي ، « حيث وضعت وبلورت مشاريع كثيرة ومختلفة في مجال تأمين دخل الطبقة الفقيرة من السكان (التي تعيش من الاعانات الاجتماعية) وبوشر بتحسين الظروف السكنية للسكان الذين يعيشون بضائقة اجتماعية ، والتسهيل على الازواج الشباب في الحصول على مساكن ملائمة . وبوشر ايضا بتنفيذ خطط لزيادة المساعدات في حقل التعليم ، ابتداء من التعليم الابتدائي وحتى الجامعي . كما أعدت خطط واسعة في المجال الصحي » (يديعوت احرونوت ، ٢٥/٢/١٩٧٥) . وقد وصل هذا النشاط الى قمته مع تقديم توصيات لجنة كاتس ، التي عينتها رئيسة الحكومة السابقة لدراسة وضع الاولاد والشبيبة الذين يعيشون في ضائقة اجتماعية . وكانت اللجنة قد قدمت عدة توصيات بهذا الشأن ، ولكن تلك التوصيات ما زالت حبرا على ورق حتى الان ، بسبب نشوب الحرب ونفقات الامن الباهظة وتحويل الجزء الاكبر من الموارد لتمويلها . ويبدو ان هذه التوصيات لن تنفذ خلال هذه السنة ايضا ، اذ « لن تنفذ أية مشاريع جديدة ، مع التقليل من سرعة تنفيذ المشاريع القائمة ، وحتى الغاء بعضها بصورة نهائية » (المصدر نفسه) . « وسيجمد »، مثلا ، تنفيذ قانون التعليم الالزامي المجاني للصف العاشر مع تخفيض سرعة تنفيذ الاصلاح في مجال التعليم . كذلك سيغلق نحو ٤٠٠ صف في المدارس الابتدائية ، وسترفع أجور الدراسة الثانوية وسيقلص ايضا جهاز التعليم العالي ، حيث ستقل مساهمة الحكومة في ميزانيات الجامعات . أما في مجال المعونات الاجتماعية فستلغى مشاريع المساعدات غير الاساسية ، مع المحافظة على مستوى الدخل الحقيقي لذوي الدخل المحدود (من بيان رابينوفيتش في الكنيست ـ هآرتس ، ٢٥/٢/١٩٧٥) . وفي مجال الاسكان ، ستبادر وزارة الاسكان في السنة المالية المقبلة الى بناء ٢٨٨٥٠ مسكنا مقابل ٣١٨٠٠ مسكن في السنة الماضية ، رغم ان ميزانية الوزارة ارتفعت من ٢٫٣ الى ٣٫٥ مليار ليرة ، اذ ان هذه الزيادة لا تكاد تغطي الارتفاع في الاسعار الذي حدث خلال السنة الاخيرة (هآرتس ، ٢٥/٢/١٩٧٥) . أما بالنسبة للخدمات الصحية ، فانها ستجمد تقريبا وسترتفع ايضا رسوم العلاج في العيادات .

واذا اخذنا بالحسبان ارتفاع الاسعار المتوقع خلال هذه السنة نتيجة الضرائب الجديدة، واحتمال حدوث بطالة واسعة فان الظروف المعيشية لسكان اسرائيل خلال هذه السنة لن تكون أفضل من السنة السابقة ، حيث بلغ ارتفاع الاسعار ٢٠٦٢٥٪ مقابل ٤٠٢٦٪ في سنة ١٩٧٣ .

انخفاض بنسبة ١٣٪ في الاستثمارات

طرأ في مشروع الميزانية الجديدة انخفاض حقيقي بنسبة ١٣٪ على الاستثمارات الحكومية في ميزانية التطوير ، حيث ستبلغ هذه الاستثمارات ٣ مليارات ليرة فقط . وقد اعلن رابينوفيتش في بيانه في الكنيست « ان الحكومة ركزت عند اقرار ميزانية التطوير على متطلبات سياسة توزيع السكان . لذلك زيدت بمدى معين الاعتمادات لاعداد مساحات من الارض للبناء ولاقامة مراكز صناعية جديدة قرب مدن الاعمار في الجليل والنقب ... والاستثمارات في الجليل حيوية من أجل ايجاد مصادر عمل لاستيعاب عدد أكبر من السكان في هذه المنطقة » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥). ويتلاءم هذا الاتجاه مع سياسة تهويد الجليل التي توليها الحكومة الاسرائيلية حاليا عناية فائقة . أما بالنسبة لسياسة الاستثمارات عامة ، فقد علم ان الحكومة ستواصل انتهاج سياسة تشجيع الاستثمارات لتطوير الاقتصاد وخاصة توسيع الانتاج الصناعي ، كما ترحب بالاستثمارات من الخارج . وتتوقع وزارة المالية ان يبلغ مجموع الاستثمارات في الفروع الاقتصادية في سنة ١٩٧٥، نحو ٢٢ مليار ليرة . ويعلق رابينوفيتش ، في هذا المجال ، اهمية على الاتفاق التجاري الذي ستوقعه اسرائيل قريبا مع السوق الاوروبية المشتركة ، اذ انه سيكون حافزا قويا للاستثمار في اسرائيل . أما بالنسبة لقروض التطوير التي تمنحها الحكومة فقد اعلن وزير المالية ان سياسة الكبح التي تتبعها حكومته تلزم التشدد في منح مثل هذه القروض ، في المناطق المختلفة من اسرائيل .

ميزانية الدفاع : العبء الاكبر

تحتل ميزانية الدفاع ٤٠٪ من مشروع الميزانية الجديدة ، اذ خصص لها مبلغ ٢٢٠٤ مليار ليرة مقابل ١٦ مليار في السنة الماضية . وتشير هذه الميزانية الى الاستمرار في تزايد نفقات الامن في اسرائيل منذ حرب ١٩٧٣ . وقد ربط رابينوفيتش في بيانه امام الكنيست (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) بين هذه النفقات الامنية المتزايدة وبين ما تكبدته اسرائيل من خسائر اثناء الحرب والوضع الامني بعدها ، معلنا ان حرب تشرين قد كلفت اسرائيل خسائر تقدر بقيمة انتاجها القومي خلال سنة ، « وتشمل هذه الخسائر الاعتدة الحربية وثمن تجديدها، ونفقات اعادة تنظيم قوات جيش اسرائيل وخسارة الانتاج والصادرات خلال اسابيع الحرب وما بعدها » . واوضح ايضا ان اتفاقات فصل القوات التي تحققت بعد الحرب لم تخفف عبء الامن على الاقتصاد ، « فنحن الان نعيش في ظل التهديدات . لذلك علينا الاستمرار في زيادة قوتنا والمحافظة على نسب قوى ملائمة بيننا وبين جيراننا » . ولم ينشر سوى القليل عن الاهداف التي تستغل هذه الميزانية من أجلها ، ولكن من خلال الارقام التي سمح بنشرها ، نرى ان نحو نصف هذه الميزانية معتمد بالعملة الاسرائيلية ومخصص للنفقات المحلية ، والنصف الاخر بالعملة الصعبة ومخصص لشراء المعدات في الخارج . ومن النظر للجدول رقم ٢ يمكن معرفة المهام التي انفقت عليها ميزانيات الدفاع خلال السنتين الاخيرتين ، وما يتوقع صرفه خلال هذه السنة . أما المهام التي ستمولها الميزانية خلال هذه السنة، كما وردت في شروح الميزانية (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) فهي : (١) استيعاب المعدات الكثيرة التي سيتم الحصول عليها في اطار خطة تقوية الجيش، والتي تم تمويل جزء منها بواسطة قروض ومساعدات الولايات المتحدة ، (٢) اعادة تنظيم قوات الجيش الاسرائيلي وانتشارها في ضوء دروس الحرب ، (٣) تدريب القوات المتزايدة وتهيئتها لاستيعاب المعدات الجديدة ، (٤) مواصلة عملية اصلاح المعدات القتالية (راجع ايضا « قضايا اسرائيلية » ، العدد ٣ (١٠) ، ١٩٧٥/٢/٦ ، ص ٨٣ ـ ٩٠) . ولهذه المهام انعكاسات مباشرة على بعض الفروع الاقتصادية مثل (١) البناء، حيث سيقل حجم البناء والتحصينات، مع تحويل الجهد الاساسي نحو صيانة التحصينات والمعسكرات القائمة وبناء وحدات ومخازن طوارىء لاستيعاب المعدات والقوات المتزايدة في الجيش ، (٢) المواصلات ـ وسيخفض عدد السيارات المدنية

التي يتم تجنيدها الى الحد الادنى، بحيث لا تجند الا لمتطلبات عمليات التدريب الاساسية . ويبدو ان الازمة التي أصابت المواصلات الاسرائيلية خلال حرب تشرين ، نظرا لاعتماد الجيش على السيارات المدنية ، دفعت السلطات المختصة الى اعادة النظر في هذا الوضع ، (٣) الطاقة البشرية — وسيخفض عدد ايام الخدمة الفعلية لقوات الاحتياط في الجيش، بالمقارنة مع سنة ١٩٧٤ ، بحيث يتم استغلال موارد الطاقة البشرية القائمة في الخدمة الالزامية والدائمة لتعزيز قوة الجيش في الحالات الضرورية فقط (المصدر نفسه) .

تمويل نفقات الامن

تنوي اسرائيل تمويل نفقاتها العسكرية ، خلال السنة الحالية ، من مصدرين أساسيين ، داخلي وخارجي . وينقسم المصدر الداخلي الى نوعين : (١) تمويل بواسطة الضرائب — وقد وصفه رابينوفيتش في بيانه أمام الكنيست بأنه عبارة عن نقل موارد من الاستهلاك الفردي الى الاستهلاك الامني ، مما يؤدي ايضا الى تخفيف ضغوط التضخم المالي ، (٢) تمويل بواسطة التخفيض في نفقات الحكومة وفي الخدمات العامة ، أي ما معناه « الانتقال من الاستهلاك العام المدني الى الاستهلاك الامني » (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) . أما المصدر الخارجي فيتمثل في المساعدات والقروض التي تحصل عليها اسرائيل من الولايات المتحدة أساسا، والتي يحول الجزء الاساسي منها لتمويل مشترياتها من الاسلحة والمعدات . وقد طلبت اسرائيل خلال هذه السنة مساعدات بمبلغ ٢،٥ مليار دولار ، من الولايات المتحدة ، ولكنها أخذت بالحسبان في ميزانيتها مبلغ ٢،١ مليار دولار فقط . وعلى حد قول بعض المسؤولين في وزارة المالية الاسرائيلية «اتضح من تجربة الماضي، انه في كل مرة صادقت بها واشنطن على ارسال أسلحة الى اسرائيل، قامت وزارة المالية الاميركية بتخصيص المبلغ المطلوب لتمويل شراء هذه الاسلحة . والافتراض السائد في القدس ، ان هذا الامر سيتكرر هذه المرة ايضا، والا سيسوء وضع اسرائيل جدا ، اذا صادقت وزارة الدفاع الاميركية على ارسال أسلحة الى اسرائيل ، بينما تمتنع وزارة المالية الاميركية عن تخصيص المبلغ المطلوب لتمويلها » (يسرائيل تومار — يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٥/٢/٢٥) . وقد أعلن مدير عام وزارة المالية ابراهام اغمون، من ناحية ثانية ، « انه حتى اذا حصلنا على كل ما طلبناه من الولايات المتحدة ، ستضطر اسرائيل الى تخصيص نحو ٨٠٠ مليون الى مليار دولار من مواردها الذاتية ، لتغطية الاستيراد الامني » (المصدر نفسه) ، الذي يبلغ ثلثي الواردات الاسرائيلية .

الجدول رقم ٢

تفاصيل ميزانية الدفاع الاسرائيلية(١)

	مشروع الميزانية ١٩٧٥	الميزانية النهائية ١٩٧٤(٢)	النفقات الحقيقية ١٩٧٣
مجموع الميزانية (ملايين الليرات)	٢٢،٠٠٠	١٥،٨٣٨	١٥،٢٩٢
الميزانية بالعملة الاسرائيلية (ملايين الليرات)	١٠،٦٣٠	٨،٢٣٨	٧،٠٦٨
اجور	٢،٢٠٠	١،٩٠٠	٢،٠١١(٣)
اعانات ، مكافآت وتأهيل	٥٠٠	٦٠٠	١٩٦
بناء وتحصينات	١،٥٠٠	١،١٠٠	٥١٩
مشتريات محلية ، بضائع وخدمات	٦،٤٣٠	٤،٦٣٨	٤،٣٤٢
ميزانية بالعملة الصعبة (ملايين الليرات)(٤)	١١،٣٧٠	٧،٦٠٠	٨،٢٢٤

الميزانية بالعملة الصعبة (ملايين الدولارات)	١٦٦٤٨	١٤١٨٥	١٥٥٨٩
عملة صعبة نقدا (ملايين الدولارات)	٣٠٠	٢٨٥	٣٦٠
قروض اميركية ، بما في ذلك فائض القرض الخاص (ملايين الدولارات)	١٤٣٤٨	٩٠٠	١٤٢٢٩

١ — نقلا عن هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥ .
٢ — يشمل التخفيض في الميزانية .
٣ — يشمل الاجور المباشرة ، والاجر الاضافي للذين يخدمون في الاحتياط في فترة الطوارىء .
٤ — تصرف بصورة غير مباشرة على شراء المواد الخام التي تستعمل في الصناعة العسكرية .

العجز في ميزان المدفوعات والديون الخارجية

تشير معظم التوقعات الى احتمال حدوث انخفاض في العجز في ميزانية المدفوعات في اسرائيل خلال السنة المالية ١٩٧٥ / ١٩٧٦ ، اذ يتوقع انخفاضه من ٤ر٣ مليار دولار الى ٢ر٣ مليار دولار . وقد وصل هذا العجز الى ذروته في سنة ١٩٧٤ (انظر الجدول رقم ٢) حيث اضطرت الحكومة الاسرائيلية الى اتخاذ عدة اجراءات اقتصادية لتغطية جزء منه ، خاصة وقد رافقه انخفاض سريع في فائض العملة الصعبة (انظر « قضايا اسرائيلية » ، العدد ٣ ، ٧٤/١٠/٣١، ص ٨٩ — ٩٨ والعدد ٧٤/١١/٢٨٤٥ ، ص ١٦٣ — ١٦٦) . وذكر وزير المالية في بيانه امام الكنيست ان هناك ثلاثة عوامل سببت هذا الارتفاع في العجز ، الذي ارتفع من ار١ مليار دولار في سنة ١٩٧٢ الى ٤ر٣ مليار دولار في سنة ١٩٧٤ : اولها الاستيراد الامني الذي زاد بنسبة ضعفين ونصف بين ١٩٧٢ و١٩٧٤ ، « وقد خصصنا لهذه الغاية مبلغ ملياري دولار سنة ١٩٧٥ » ، ثانيها استيراد المواد الغذائية

الجدول رقم ٣

السنة	العجز في ميزان المدفوعات[١] (ملايين الدولارات)	ديون اسرائيل بالعملة الصعبة[٢] (ملايين الدولارات)
١٩٦٨	٦٦٢	١٩٠٢٤٣
١٩٦٩	٨٧٨	٢١٢٣٤٦
١٩٧٠	١٢٧٤	٢٦٢١٤٧
١٩٧١	١٢٢٧	٣٤٢٩٤٧
١٩٧٢	١١١٠	٤٠٨١٤٥
١٩٧٣	٢٥٩٧	٥٠٩٣٤٠
١٩٧٤	٣٤٠٠[٣]	٦٢٢٣٤٠
١٩٧٥	٣٢٠٠[٤]	٧٨٥٠٤٠[٥]

١ و ٢ — كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ١٩٧٤ ، رقم ٢٥ ، ص ١٨٤ و ١٩٢ .
٣ — حسب بيان وزير المالية في الكنيست (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٥) .
٤ و ٥ — حسب تقدير وزارة المالية الاسرائيلية .

الاساسية (الذي سيكلف هذه السنة مبلغ ٧٠٠ مليون دولار) وثالثها غلاء الوقود (الذي سيكلف استيراده هذه السنة نحو ٧٠٠ مليون دولار ايضا — من بيان رابينوفيتش في الكنيست ، هآرتس ، ٧٥/٢/٢٥) . ويبدو ان الاجراءات الاقتصادية التي اتخذتها اسرائيل مؤخرا ، ومن ضمنها تخفيض قيمة الليرة ، لم تكن كافية لوقف الانخفاض في العملة الصعبة ، رغم التفاؤل الذي ساد اوساط وزارة المالية بشأن المكاسب التي حققتها تلك الاجراءات . وقد اعلن وزير المالية ان الحكومة ستعمل جاهدة لتأمين استيراد الاموال المطلوبة لسد العجز في ميزان المدفوعات ، بحيث تمنع الانخفاض السريع في فائض العملة الصعبة . وتعتمد اسرائيل في الاساس ، في هذا المجال ، على المساعدات الاميركية والجباية اليهودية وبيع سندات « البوندس » (المصدر نفسه) .

أما بالنسبة لديون اسرائيل الخارجية بالعملة الصعبة ، فيتوقع ان تصل في نهاية السنة المالية المقبلة الى ٧٫٨٥٠ مليار دولار مقابل ٦٫٢٢٣ مليار دولار في نهاية ١٩٧٤ (انظر الجدول رقم ٢) . وبما أنه يتوقع ان يصل عدد سكان اسرائيل في نهاية سنة ١٩٧٥ الى ٣٫٤٢٥٫٠٠٠ نسمة ، فان الدين الخارجي بالعملة الصعبة سيصل في نهاية هذه السنة الى ٢٣٥٠ دولارا للشخص تقريبا (هآرتس ، ٧٥/٢/٢٥) .

محاربة التضخم المالي

تشير التوقعات التي أعدها مكتب المستشار الاقتصادي لوزير المالية وقسم البحث في بنك اسرائيل ، والتي رافق اعلانها مشروع الميزانية ، الى حدوث انخفاض اخر في النشاط الاقتصادي خلال سنة ١٩٧٥ . فقد أعلن المستشار الاقتصادي لوزير المالية ، افرايم دفرات ، ان الانتاج القومي الخام سيزيد بنسبة ٣ ٪ فقط ، خلال سنة ١٩٧٥ مقابل ٦٫٥ ٪ في سنة ١٩٧٤ و٩ ٪ في سنة ١٩٧٣. أما السبب في ذلك فيعود ، بحسب رأيه ، الى الانخفاض المتوقع بنسبة ١٠ ٪ في الاستثمارات المحلية ، بالمقارنة مع سنة ١٩٧٤ ، والى الانخفاض في الاستهلاك العام والفردي . اما الزيادة في الاستهلاك الفردي فلن تتجاوز ٣ ٪ ، حسب تقدير دفرات ، وذلك بعد ان ارتفعت بنسبة ٥٫٥ ٪ في سنة ١٩٧٤ (دافار ، ٧٥/٢/٢٦) . وبالنسبة للاسعار ، يتوقع مدير عام بنك اسرائيل اليعيزر شيفر ، انخفاضا مهما في سرعة ارتفاع الاسعار للمستهلك . « ان الغلاء المتوقع لسنة ١٩٧٥ هو بنسبة ١٨ ٪ ، مقابل ٥٦ ٪ في سنة ١٩٧٤ . ويشمل هذا ارتفاع الاسعار الناتج عن الضرائب الجديدة [وبحسب تقدير وزارة المالية سترتفع الاسعار بنسبة ٣ — ٤ ٪ فقط نتيجة هذه الضرائب] وفرض ضريبة فائض القيمة . اما بالنسبة للاجور فيتوقع ارتفاعها بنسبة ١٧ ٪ خلال السنة » . معاريف ، ٧٥/٢/٢٦) . ويعتبر هذا الانخفاض في النشاط الاقتصادي نتيجة حتمية للسياسة الاقتصادية التي اتبعتها الحكومة في سنة ١٩٧٤ لمحاربة التضخم المالي ، والتي ستستمر خلال هذه السنة أيضا .

البطالة أمر محتم

تتوقع وزارة المالية ايضا ان تصل نسبة البطالة في سنة ١٩٧٥ الى ٥٫٥ ٪ ، اي ما معناه بطالة ٥٥ الف عامل . ويبدو ان وزارة المالية لا تستطيع الحفاظ على وضع العمالة الكاملة في جميع الفروع الاقتصادية في اسرائيل اذا كانت ترغب في نجاح سياستها الاقتصادية ، وخاصة في الفروع التي تنتج للاستهلاك المحلي وفروع الخدمات . وللبطالة سببان رئيسيان ، اولهما النقص في العملة الصعبة الذي يدفع وزارة المالية الى خفض الاستيراد المدني ، الذي يشمل المواد الخام المستخدمة في الصناعة الاسرائيلية ، وثانيهما الانخفاض في النشاط الاقتصادي الناتج في الاساس عن تخفيض الاستثمارات وتجميد عدة مشاريع في الحقل الاجتماعي . وقد أعلن وزير المالية في بيانه امام الكنيست ان الوزارات الحكومية بالتعاون مع الهستدروت واتحادات ارباب العمل ، تستعد لاحتمال حدوث حالات باطلة مؤقتة في فروع مهنية ومناطق معينة . ولذلك اقيمت مكاتب خاصة لشؤون العمالة تهتم بجمع المعلومات حول وضع العمالة في المناطق المختلفة ، كما اعتمدت في الميزانية المبالغ المطلوبة لتقديم الخدمات الضرورية في هذا المجال ، ومنها توسيع التحديل المهني ، بهدف التسهيل على انتقال العمال من فرع الى اخر (دافار ، ٧٥/٢/٢٥) .

ميزانية غير ثابتة

ثبت ان نفقات الامن الباهظة وتكاليف حرب ١٩٧٣ هي السبب الرئيسي للمشاكل الحالية المتأزمة في الاقتصاد الاسرائيلي ، ابتداء من العجز في ميزان المدفوعات وانتهاء بالبطالة المتوقعة خلال هذه السنة . وقد ادت هذه المشاكل جميعها الى اتباع عدة اجراءات اقتصادية سنة ١٩٧٤ بهدف ايجاد حلول لهما ولو مؤقتة . ورغم ان هذه الاجراءات كانت شديدة الوطأة بالنسبة للسكان ، وخاصة بعد التخفيض في قيمة الليرة الاسرائيلية خلال شهر تشرين الثاني من السنة الاخيرة وما رافقه من ارتفاع في أسعار معظم السلع الاساسية يظهر ان السكان في اسرائيل استطاعوا « الثبات » في هذا الوضع الاقتصادي المتقلب . ولكن يبدو ان هذه الاجراءات ليست الاخيرة ، فقد رافقت مشروع الميزانية الجديدة اجراءات اخرى ، كما ذكرنا ، تمثلت في فرض ضرائب جديدة . ويتضح من خلال مراجعة بيانات وتصريحات المسؤولين في وزارة المالية ، ان ثبات الوضع الاقتصادي خلال سنة ١٩٧٥ يتوقف على عدة عوامل ، منها وصول المساعدات الخارجية التي طلبتها اسرائيل وخاصة من الولايات المتحدة، ثم تحقق التوقعات بالنسبة للوضع الاقتصادي الداخلي ، مثل الانخفاض في مستوى المعيشة وفي الاستهلاك الفردي والعام وزيادة الانتاج، الخ. ويظهر انه اذا لم يتحقق ذلك فان احتمال فرض اجراءات اقتصادية جديدة يغدو أمرا غير مستبعد، ولهذا « يعتبر مشروع الميزانية وثيقة مؤقتة غير جدية وغير كاملة ، تكون سارية المفعول خلال فترة محدودة فقط » (ابراهام كوشنير — دافار ، ٧٥/٣/٢) .

وكانت الاجراءات الاقتصادية تحظى ، عادة ، في اسرائيل بردود فعل « معادية » وانتقادات شديدة من قبل دوائر عديدة . غير انه يبدو ان الوضع تغير مؤخرا ، حيث سمعت اصوات تدعو الى الكف عن انتقاد اجراءات الحكومة الاقتصادية ومعارضتها ، لان هذه الاجراءات هي الجواب الوحيد على « استراتيجية التحطيم » التي يتبعها العرب ، « اذ أن هذه الاستراتيجية لا تعتمد فقط على الدروس الفورية لحرب يوم الغفران في المجالات العسكرية والسياسية والمعنوية ، وانما في الاساس على مضاعفاتها المتأخرة ، التي تكون الصراعات الداخلية في اسرائيل ، مثل الصراع الحالي ضد الحكومة وضد الضرائب الجديدة ، جزءا منها ...

« ان من يرغبون في أن يقدم العرب على الاعتراف باسرائيل ، ويؤمنوا بثباتها ، وييأسوا من استراتيجية التحطيم التي يتبعونها ، ويديروا مفاوضات مع حكومتها ، عليهم أن يمتنعوا عن تقويض صلاحيات الحكومة ... من خلال المعارضة الشرعية لقراراتها وسياستها . يجب على الحكومة ان تقرر وتنفذ وان تفرض ايضا ضرائب جديدة ، اذ أن الاعتراف بدولة اسرائيل يبدأ من الداخل» (حغاي ايشد — دافار ، ٧٥/٢/٢٧) .

حنه شاهين

[٢]

مشروع لاصلاح نظام الضرائب المباشرة في اسرائيل

منذ حرب تشرين ١٩٧٣ واسرائيل ماضية في محاولاتها الهادفة الى تقوية اقتصادها وتحسين اوضاعه ، لاعداده للصمود في حالة حصار طويلة، تستطيع معها خوض حرب جديدة ، ان نشبت . وكانت آخر هذه المحادثات الاعلان عن مشروع جديد يهدف الى اصلاح نظام الضرائب المباشرة في اسرائيل ، التي يكاد عددها ونسبتها يزيدان عن مثليهما في أي بلد اخر في العالم .

تشكل الضرائب المورد الاساسي لخزينة اسرائيل، حيث تستغل في تمويل نفقاتها الكثيرة وخاصة الامنية . وقد ارتفع عبء الضرائب منذ حرب ١٩٧٣ بشكل ملحوظ ، نظرا لازدياد نفقات الامن في اسرائيل بعد الحرب بحيث وصل ، بحسب اعتراف وزير المالية في بيانه امام الكنيست ، عند تقديمه مشروع الميزانية للسنة المالية (هآرتس ، ٧٥/٢/٢٥) ، الى ٦٤ ٪ من الدخل القومي ،

وهي نسبة غير قائمة في أي بلد في العالم . ويتوقع وزير المالية جمع مبلغ ٣٢٫٨ مليار ليرة بواسطة الضرائب خلال السنة المالية ١٩٧٥ / ١٩٧٦ (المصدر نفسه) مقابل ٢٤٫٣ مليار ليرة في السنة المالية السابقة ، اي ما يعادله ٥٨ ٪ تقريبا من ميزانية الدولة الشاملة لسنة ١٩٧٥ / ١٩٧٦ ، البالغة ٥٦٫٣ مليار ليرة . وتقسم هذه الضرائب ، كالعادة ، الى نوعين : ضرائب مباشرة (تفرض على الداخل) وغير مباشرة (تفرض على النفقات من الداخل) ، ولكن المميز لها في اسرائيل هو تعددها وارتفاع نسبها ، كما ذكرنا ، الامر الذي يسبب الكثير من المشاكل لسكان اسرائيل، ويزيد من تذمرهم ، خاصة وان هذه الضرائب ترتفع من حين لاخر . وكانت الضرائب قد رفعت عدة مرات بعد حرب ١٩٧٣ ، ووصلت الى قمتها بعد تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية في تشرين الثاني ١٩٧٤ ، وفرض ضرائب جديدة على معظم المواد الغذائية الاساسية (انظر « قضايا اسرائيلية » ، العدد ١٤٤، ٧٤/١١/١٤ ص ١٢٤ — ١٣٠) . ولكن الحكومة لم تكتف بذلك ، اذ فرضت ضرائب جديدة ايضا خلال هذه السنة — ضريبة على ارباب العمل بنسبة ٧٫٥ ٪ خفضتها فيما بعد الى ٤ ٪ ، وضريبة شراء بنسبة ٧٫٥ ٪ — بهدف تغطية جزء من العجز الذي رافق مشروع الميزانية الجديدة للسنة المالية ١٩٧٥ / ١٩٧٦ (راجع العدد السابق من « قضايا اسرائيلية ») . اما بالنسبة للضرائب المباشرة على الفرد فقد وصلت خلال السنة الاخيرة الى ٧٨٫٧٥ ٪ من دخله ، وتشمل هذه النسبة ضريبة الدخل والقروض الالزامية على اختلاف انواعها . ويرافق الارتفاع في الضرائب كل مرة ارتفاع في الاسعار ايضا تزداد معه المطالبة من جانب العمال بتعويضهم على الغلاء، الامر الذي يقوي مجرى التضخم المالي ، وبالتالي يقضي على الاهداف التي ارادت الحكومة تحقيقها من وراء فرض الضرائب ، مثل جمع مبالغ كافية لتعديل نفقاتها المختلفة ، وامتصاص القوة الشرائية من الجمهور بهدف « تهدئة » الاقتصاد وخفض سرعة التضخم المالي .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يستطيع سكان اسرائيل وخاصة الطبقات الفقيرة والمتوسطة منهم ، تحمل مثل هذا العبء ، والاستمرار في المحافظة على مستوى معيشة معين بواسطة المبالغ الضئيلة التي تتبقى من الدخل ، رغم ارتفاع الاسعار المستمر ؟ ويظهر ان السكان استطاعوا القيام بذلك بطريقتين اساسيتين :

(١) اخفاء الدخل الذي يستوجب دفع ضريبة عليه ، وهي ظاهرة «خطيرة» أدت بحسب اعتراف وزير المالية (في مقابلة له في معاريف ، ٧٥/٢/٢٨)، الى اخفاء ضرائب تقدر بمليارات الليرات ،

(٢) الحصول على مكافآت شهرية تقدر بآلاف الليرات ، في اماكن العمل ، تكون معفية من الضرائب على أساس نفقات تتعلق بالعمل ، مثل رسوم الهاتف ومصاريف السيارة وشراء الكتب المهنية وما الى ذلك من « اختراعات » لا أساس لها من الصحة احيانا ، فالهاتف مثلا ، يستعمل لاغراض خاصة معظم الوقت ، واحيانا لا تكون السيارة موجودة ، أما الكتب المهنية فلا تشترى أبدا . ويرافق هذه الطلبات ، عادة تقديم بيانات كاذبة الى اجهزة الجباية ، بحيث يحصل مقدموها على مبالغ شهرية كبيرة : معفية من الضريبة تفوق احيانا كثيرة دخلهم الاساسي . وقد أصبح ذلك مع مرور الوقت ، بمثابة امتيازات للعمال ، لا تستطيع الحكومة المس بها ، رغم اطلاعها الكامل عليها . والنتيجة هي ان الضرائب التي تحصلها المالية ، لا تدفع بحسب الدخل الحقيقي للعامل، بل من الدخل الاساسي المعترف به رسميا ، الامر الذي لا يؤثر تقريبا على الدخل الصافي للعاملين، رغم ارتفاع نسبة الضرائب .

ولدت هذه الامور الكثير من العيوب في جهاز الضرائب في اسرائيل ، بحيث بات اصلاحها هدفا اساسيا ، لتقوية الاقتصاد الاسرائيلي ، مما دفع وزارة المالية الى العمل على احداث اصلاح شامل في جهاز الضرائب المباشرة من جهة ، وفرض ضريبة القيمة الاضافية ، بالنسبة للضرائب غير المباشرة ، من جهة اخرى .

لجنة خبراء

عين وزير المالية في ٧٤/١٢/١٥ لجنة من الخبراء برئاسة بروفيسور حاييم بن — شاحار وعضوية كل من بروفيسور يورام بن — بورات ، وبروفيسور ميخائيل برونو ، والمحامي بوعز ناهير ، ومدقق الحسابات شالوم رونائيل ، وذلك لدراسة موضوع الضرائب المباشرة وتقديم توصيات بشأن الطرق التي

يجب اتباعها لاحداث اصلاح شامل فيها . وقد اعلن وزير المالية في بيانه امام الكنيست (هآرتس، ٧٥/٢/٢٥) ، ان التعليمات التي طلب من اللجنة العمل بموجبها توجب الاسترشاد بمبادىء التوزيع العادل للدخل ، والوصول الى اسلوب ضرائب يمنع التأثيرات السلبية لنسب الضرائب المرتفعة ويزيد من الانتاج ويحافظ على المغزى الاخلاقي للضرائب ، وكذلك تبسيط اسلوب الضرائب وزيادة فائدة التحصيل . وقد قدمت اللجنة تقريرها الى وزير المالية في ٧٥/٣/١٢ ، بعد عمل متواصل استمر أربعة أشهر تقريبا ، ونشر نص التقرير بأكمله في الصحف الاسرائيلية . وقد استقبله الكثيرون بارتياح في بادىء الامر ، ولكن بدأت تظهر بوادر الاعتراض عليه من قبل بعض الفئات التي ادركت أنها ستتضرر نتيجة تطبيق توصياته.

توصيات اللجنة

جاء في بداية تقرير لجنة بن — شاحار ، انها حاولت ان تحافظ في توصياتها على عدة مبادىء، نظرا لما لجهاز الضرائب من تأثيرات اقتصادية واجتماعية ، بحيث تكون الضرائب المباشرة شاملة في جوهرها ، بدون تفضيل او تمييز اي فئات ، وذات تركيب بسيط قدر الامكان ، وسهل الفهم والتطبيق ، وان تستمر في المساهمة بدور اساسي في اعادة توزيع المداخيل وتشجيع زيادة الانتاج وبذل مزيد من الجهد في العمل . كذلك اعلنت اللجنة انها تسعى الى تبسيط تركيب الضريبة ، ليسهل تطبيق القانون وتحصيل ضريبة حقيقية بموجبه ، وان تلائم مركبات الضريبة المباشرة نفسها بصورة اوتوماتيكية مع ارتفاع الاسعار (هآرتس ، ٧٥/٣/١٣) . وتطرقت اللجنة كذلك في بداية تقريرها الى مصدر الخطأ في جهاز الضرائب قائلة : « ان العيب الاساسي في جهاز الضرائب كامن في سلم نسب الضرائب المرتفعة ، حيث تعمل الضريبة النهائية الى نسب عالية جدا ، حتى في الدخل المنخفض . وقد تأزم هذا المجرى بسبب التضخم المالي السريع الذي ساد خلال السنين الاخيرة . ان انخفاض القوة الشرائية للعملة وارتفاع الاجور والمداخيل تسبب في تحويل المداخيل التي كانت تعتبر عالية في الماضي ، وفي استطاعتها تحمل عبء الضريبة المباشرة المرتفعة جدا ، الى مداخيل منخفضة . وفي هذا الواقع حدثت عدة عيوب اتخذت شكلين أساسيين : الاول اخفاء المداخيل التي يستوجب دفع ضرائب عليها، وثانيا اسلوب التهرب ، وبعلم من الحكومة وسلطات الضريبة ، على غرار تلك النفقات التي يصعب التمييز فيها بين متطلبات العمل والاستعمال الشخصي . ان عدم توفر تلك المبالغ من الضريبة التي تم اخفاؤها عن خزينة الدولة ، قد الزم فرض ضرائب جديدة على المداخيل المعلنة، وزيادة اللامساواة في تحمل عبء الضرائب » (المصدر نفسه) . وقد توصل اعضاء اللجنة اثناء عملهم الى نتيجة مفادها ان المداخيل التي اخفيت عن المالية في سنة ١٩٧٢ تقدر بملياري ليرة ، وهو المبلغ الذي يوازي ، بحسب الاسعار الحالية ، أربعة أو خمسة مليارات ليرة ، « ولو دفع المواطنون ضرائب على هذه المبالغ ، لحصلت خزينة الدولة على ٢,٥ مليار ليرة سنويا ، الامر الذي كان سيحل بالطبع مشكلة العجز في الميزانية» (من مقابلة مع أعضاء اللجنة — معاريف ، ٧٥/٣/١٤) .

بعد هذه المقدمة القصيرة تنتقل اللجنة في تقريرها الى سرد توصياتها ، حيث تقسمها الى ثمانية فصول مختلفة ، مرفقة بشرح واف حول أهمية كل توصية والفائدة منها ، وطريقة تطبيقها ، على النحو التالي : (١) الضريبة على الافراد ، (٢) توسيع قاعدة الضريبة ، (٣) الضريبة على الشركات (٤) ضريبة ربح رأس المال ، (٥) تقديم كشوفات الدخل ، التحصيل وتنفيذ القانون، (٦) تعليمات بشأن مرحلة الانتقال ، (٧) حجم العائدات من الضريبة ، (٨) توصيات أساسية .

الضريبة على الافراد

أوصت اللجنة بأن تكون النسبة الاساسية لضريبة الدخل ٣٥ ٪ ، مع منح اعفاء للعامل بنسبة ١٠ ٪ على الدخل الذي يحصله بعرق جبينه ، بحيث تكون نسبة الضريبة الفعلية التي يدفعها ٢٥ ٪ ، وذلك من مبلغ اقصاه ٣ آلاف ليرة شهريا . اما الحد الاقصى للضريبة فيكون بنسبة ٦٠ ٪ ويسري على اصحاب الدخل الذي يتجاوز ١٠٢ الف ليرة سنويا . وتوصي اللجنة كذلك ببدء فرض هذه الضريبة من اول تموز ١٩٧٥ . وبحسب توصيات اللجنة ستكون هناك خمس نسب للضريبة مقسمة كما يلي : دخل

شهري حتى ٣٠٠٠ ليرة — تفرض عليه ضريبة بنسبة ٢٥ ٪ ، ٣٠٠١ — ٥٥٠٠ ليرة : ٣٥ ٪، ٥٥٠١ — ٦٥٠٠ : ٤٥ ٪ ، ٦٥٠١ — ٨٥٠٠ : ٥٠ ٪ ومن ٨٥٠١ ليرة وما فوق : ٦٠ ٪ ضريبة .

كذلك تمنح « نقطة اعفاء » قيمتها الاولية ١٠٠ ليرة شهريا ، وتلغى الحسومات القائمة ، وتمزج مخصصات التأمين الوطني بجهاز الاعفاءات والمخصصات الجديدة ، التي ستمنح على الوجه التالي : زوجان — ٣٠٠ ليرة ، الفرد — ٢٠٠ ليرة ، الولد الاول والثاني — ٢٠٠ ليرة ، الولد الثالث وما فوق — ٢٠٠ ليرة مقابل كل ولد (معاريف ، ٧٥/٣/١٣) .

كذلك اوصت اللجنة بالغاء جميع القروض الالزامية التي يدفعها الافراد ، ثم ربط نسب الضرائب والمخصصات بجدول غلاء المعيشة ، بينما تكون علاوة الغلاء هذه ، التي تدفع للعاملين ، خاضعة للضريبة كمركب من مركبات الدخل (هآرتس ، ٧٥/٣/١٣) .

توسيع قاعدة الضريبة

اوصت اللجنة ايضا بتوسيع قاعدة الضريبة ، بحيث تشمل جميع المكافآت والاعفاءات ، على انواعها ، والتي يقدر حجمها بنسبة ١٢٪ تقريبا من مخصصات الاجور عامة . ومثال على هذه المكافآت نفقات الهاتف في منزل المكلف ، والسفر الى الخارج على حساب رب العمل ، والنفقات التي تدفع للعامل مقابل المسافة التي يقطعها بسيارته للوصول الى مكان عمله ، ثم بدل شراء كتب مهنية تدفع له حسب درجته في العمل ، وما الى ذلك من مكافآت تكون معفية من الضريبة عادة، وتصل الى الاف الليرات شهريا ، ولم توص اللجنة بالغاء جميع هذه المكافآت وانما اوصت بضرورة تقييدها للغاية ، وتقديم تقارير وافية حولها ، ثم دمجها بالاجر الاساسي للعامل لكي تصبح خاضعة للضريبة (المصدر نفسه) .

وقد فسر احد اعضاء اللجنة ، بوعز ناهير (في ندوة مع اعضاء اللجنة اجرتها يديعوت احرونوت ٧٥/٣/١٤) الواقع الذي حثه ورفاقه الى وضع مثل هذه التوصية بقوله : « ان ضريبة الدخل المتبعة في اسرائيل ، تدفع رب العمل بشكل طبيعي ، الى عدم دفع الاجر الكامل للعامل بصورة علنية . نتيجة لذلك يبرز ما نسميه بالمكافآت الاجتماعية ، وهي في الواقع مجرد وسيلة لدفع اجر اضافي للعامل . ان الحقيقة بان جزءا كبيرا من المأجورين سيدفع [حسب توصية اللجنة] ضريبة دخل لا تتجاوز الـ ٢٥٪ ، سيقضي على ضرورة الاهتمام الخاص بمصادر دخل خاصة ... صحيح ان الهدف من المكافآت الاجتماعية ، كان في نهاية الامر الاهتمام برخاء العامل وبزيادة دخله الصافي، ولكن هذا الامر كان من عمل اللجنة ايضا ، والحل الذي نقترحه يهدف الى توفير دخل صاف حقيقي للعامل بدون ان تكون هناك حاجة الى اخفائه تحت اسماء اخرى » .

ضريبة الشركات وضريبة ربح رأس المال

اوصت لجنة بن — شاحار ايضا بان تكون نسبة الضرائب (ضريبة الدخل وضريبة الشركات) على الارباح غير الموزعة في الشركات المحدودة الضمان، كما يلي : شركة عادية — ٦١٪ ، شركة صناعية في مرحلة الانتقال — ٥٦٫٨٪ ، شركة صاحبة مشروع سيتم التصديق عليه في المستقبل — ٥٢٪ ، كذلك اوصت اللجنة بالغاء جميع القروض الالزامية على الشركات .

اما بالنسبة لضريبة ربح رأس المال فقد اوصت اللجنة بتوحيدها مع ضريبة تحسين العقارات ، ثم الغاء القروض الالزامية على الضريبتين ، وفرض ضريبة بنسبة ١٠٪ على فائض الربح حسب التغيير في جدول غلاء المعيشة ، ثم دمج الربح الحقيقي مع دخل المكلف ، وفرض ضريبة عادية حسب قيمة مجمل الدخل (معاريف ، ٧٥/٣/١٣).

الكشوفات والتحصيل وتنفيذ القانون

تطرقت لجنة بن — شاحار ايضا في تقريرها الى مسألة اخفاء الضرائب التي يعتبرها البعض اساس العيب في جهاز الضرائب في اسرائيل ، واقترحت اتخاذ سلسلة من الاجراءات الادارية لمكافحة هذه الظاهرة ، منها فرض تقديم كشوفات شاملة بالدخل من قبل المكلفين ، على ان يتم تطبيق هذا على مراحل بين جميع فئات السكان ، واصدار تعليمات مفصلة بشأن ادارة الحسابات ، ومنح حوافز كثيرة لمن يطبقها ، وكذلك فحص نماذج من تقارير المكلفين واعادة تنظيم جهاز

العقوبات ، ثم فرض فائدة على الديون لضريبة الدخل ، وربطها بجدول الغلاء ، ونشر معلومات كافية ومنتظمة بين الجمهور حول تطبيق قوانين ضريبة الدخل (المصدر نفسه) .

وقد اعلن احد اعضاء اللجنة (خلال ندوة مع اعضائها في معاريف ، ٧٥/٣/١٤) ان نسبة الضريبة المنخفضة التي اقترحتها اللجنة ، ستقلل من ظاهرة اخفاء الضرائب . ووصف خطورة هذه الظاهرة من الناحية الاجتماعية بقوله : « ان الجمهور ينظر الى المواطن ... الذي لا يتعاطى اخفاء الضرائب ويعلن عن دخله الحقيقي ، وكأنه انسان ساذج ومسكين ، لا يمكن الاعتماد على ذكائه وعلى قدرة تكيفه مع نظام المعيشة الذي يتحكم فيه الكذب والخداع ...

« لا يمكن ان يقوم مجتمع صالح على هذا النحو . ومن اجل شفاء هذا المرض قررنا تقديم توصية بشأن خفض نسبة الضريبة ... وتوصية اخرى ... بشأن فرض ادارة حسابات جميع العاملين ، باستثناء المأجورين الذين بربحون اجرهم من عرق جبينهم ، وليس عندهم دخل اضافي عدا ذلك ... واستنتاجنا هنا واضح : ان مركز اخفاء الضرائب يدور حول اولئك الذين لا يديرون حسابات منتظمة » .

كذلك اعلن وزير المالية رابينوفيتش (في مقابلة معه في معاريف ، ٧٥/٢/٢٨) ان « المالية ستلاحق اولئك الذين يخفون ويتهربون من دفع الضرائب .. وقد قدمت مشاريع الى الكنيست بشأن تشديد العقوبات ضدهم » .

قياس عائدات الضريبة والتعليمات بشأن فترة الانتقال

قدرت لجنة بن — شاحار ان خسارة خزينة الدولة نتيجة خفض الضرائب والغاء القروض الالزامية ستبلغ نحو ٥ر١ مليار ليرة خلال السنة الاولى من تطبيق توصياتها . ولكنها اعلنت ايضا ان تعميق الجباية سيؤدي مع الوقت الى زيادة العائدات من الضرائب (معاريف ، ٧٥/٣/١٣) . وقد اقلق هذا الامر عددا من المسؤولين ، لان تطبيق التوصيات سيؤدي الى زيادة العجز القائم في الميزانية الجديدة للسنة المالية ٧٦/١٩٧٥ (انظر « قضايا اسرائيلية » — العدد السابق) .

لذلك لن يكون مهرب امام وزارة المالية سوى رفع الضرائب غير المباشرة ، الامر الذي يتوقعه الكثيرون في اطار فرض ضريبة القيمة الاضافية خلال هذه السنة . وربما سيكون هذا السبب الرئيسي لاعلان الحكومة عن نيتها في تأجيل تطبيق توصيات لجنة بن — شاحار حتى فرض ضريبة القيمة الاضافية ، التي ما زالت مطروحة على جدول اعمال الكنيست .

كذلك اوصت لجنة بن — شاحار بعدم المس بالعاملين في فترة الانتقال ، ومنحهم فترة محدودة لتسديد ديونهم القديمة لضريبة الدخل ، واذا لم يفعلوا ذلك يتم ربط ديونهم هذه بجدول غلاء المعيشة مع فرض فائدة عليها (معاريف وهآرتس ، ٧٥/٣/١٣) . وقد اعلن المحامي بوعز ناهير (خلال مقابلة مع اعضاء اللجنة في معاريف ، ٧٥/٣/١٤) ان اللجنة اكتشفت اثناء عملها ان ثلث العاملين المستقلين فقط قد انهوا دفع ديونهم لضريبة الدخل من سنة ١٩٧٢ ، وان السلف التي يدفعها هؤلاء لصندوق المالية لا تغطي سوى ٤٢٪ من الضريبة الملزمين بدفعها على مداخيلهم الحقيقية .

توصيات اساسية

اكدت اللجنة في نهاية تقريرها انها تعتبر اقتراحاتها بشأن نسب ضريبة الدخل الجديدة والاعفاءات بالنسبة للفرد ، وقائمة ضريبة الشركات ، وربط سلم الضرائب بجدول غلاء المعيشة ، وتوسيع قاعدة الضريبة وفرض واجب تقديم الكشوفات الشاملة من قبل العاملين ، وتنفيذ ادارة الحسابات ، وفحص نماذج من التقارير خلال كل فترة وفرض فائدة على الديون لضريبة الدخل — بمثابة توصيات اساسية ، تعتبر مكملة لبعضها بحيث لا يمكن تطبيق جزء منها واهمال الاخر ، كما ان تطبيقها جميعا هو الشرط الاساسي لنجاح الاصلاح المقترح (معاريف ، ٧٥/٣/١٣) .

ردود فعل متباينة

حظي نشر توصيات لجنة بن — شاحار بالترحيب الشديد في اوساط وزارة المالية والهستدروت ، فقد اعلن وزير المالية ، عند تسلمه التقرير ، « ان توصيات لجنة بن — شاحار ستكون بمثابة انقلاب في جهاز الضرائب ، وهناك امكانية لتطبيقها

في مطلع شهر تموز من هذه السنة ، اذا حدث تعاون كامل بيننا وبين الهستدروت وارباب العمل » (دافار ، ٧٥/٣/١٣) . كذلك اعلن المسؤول عن مداخيل الدولة موشي نويدرفر ان وزارة المالية ستنتهي من اعداد مسودة قانون لتنفيذ الاصلاح في ضريبة الدخل ، بحسب توصيات اللجنة ، حتى نهاية الشهر الحالي . وستوزع هذه المسودة بين الوزارات المختلفة قبيل تقديمها الى الحكومة والكنيست للتصديق عليها ، وذلك لكي يكون بالامكان البدء في تنفيذ الاصلاح في مطلع شهر تموز من هذه السنة (معاريف ، ٧٥/٣/١٧) . كذلك رحبت الهستدروت بتوصيات لجنة بن — شاحار وشكلت مجموعة خاصة من هيئة العاملين (« حفرات هاعوفديم ») ومعهد التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ، التابعين لها ، لفحص هذه التوصيات . وستعقد اللجنة التنفيذية للهستدروت جلسة خاصة بعد ان تنتهي هذه المجموعة من عملها ، وبعد استكمال المباحثات في المكتب التنفيذي ، لاقرار موقف عام ورسمي من توصيات لجنة بن — شاحار (معاريف ، ١٤/ ٧٥/٣) . وكان سكرتير عام الهستدروت ، يروحام ميشل ، قد اعلن انه اذا ادت خطة الاصلاح في الضرائب التي اقترحتها لجنة بن — شاحار ، الى زيادة دخل العائلات الفقيرة والمتوسطة ، فانها تكون قد حققت هدفها المعلن (دافار ، ٣/١٣/ ٧٥) . وكانت الهستدروت قد شكلت ، من ناحيتها ، لجنة خاصة مكونة من دكتور امير برناع مستشار الهستدروت لشؤون الضرائب ، وبروفسور يئير اهروني ، ويزهار كوهين ، وذلك لاعداد مشروع اصلاح في الضرائب . وقد قامت هذه اللجنة بتقديم مشروعها الى لجنة بن — شاحار في اجتماعها الاول . واعلن برناع (في مقابلة مع معاريف ، ٧٥/٣/١٩) « ان هناك تشابها كبيرا بين مقترحاتنا وبين توصيات لجنة بن — شاحار » ، مؤكدا ان اهم نقطة في توصيات لجنة بن — شاحار ، هي توسيع قاعدة الضريبة وتخفيض نسبها . ويبدو ان الموقف النهائي الذي ستتخذه الهستدروت بشأن هذه التوصيات سيكون له اثر كبير على امكانية تطبيقها خاصة بعد صدور اصوات تدعو الى التروي والامتناع حتى على فرض ضريبة القيمة الاضافية ، وذلك بسبب العجز الذي سيحدث نتيجة تطبيق هذه التوصيات . ولكن وزير المالية اعلن عدة مرات ، بالرغم من ذلك ، ان ضريبة القيمة الاضافية ستفرض خلال هذه السنة ، ولذلك يتوقع ارتفاع الضرائب غير المباشرة مرة اخرى .

ح. ش

[٣]

((الحرب الاقتصادية)) العربية تسبب قلقا متزايدا في اسرائيل

شغلت دوائر اسرائيلية عديدة ، خلال الاسابيع القليلة الماضية ، بما سمته « الحرب الاقتصادية العربية ضد اسرائيل واليهود : الجبهة الثانية » (معاريف ، ٧٥/٢/٢١) ، وذلك اثر النشاط المالي العربي المتزايد في اميركا واوروبا . وركزت وسائط الاعلام الاسرائيلية ، في تقاريرها وتعليقاتها ، على المواضيع الرئيسية التالية : (١) اساليب عمل واهداف المقاطعة الاقتصادية العربية ، (٢) خطر الرساميل والاستثمارات العربية على اسرائيل وعلى الرساميل الصهيونية ، (٣) وجوب شن حرب اقتصادية مضادة من قبل اسرائيل ويهود العالم ، (٤) ضرورة اشراك الادارة والكونغرس الاميركيين في « الحرب المضادة » ضد النفوذ الاقتصادي العربي .

اهداف واساليب المقاطعة العربية

حظيت المقاطعة العربية لاسرائيل باهتمام واضح من قبل عدد لا بأس به من المعلقين الاسرائيليين ، وان اختلفت اراؤهم بشأنها . فالبعض يعتقد أن المقاطعة العربية ، القائمة منذ عام ١٩٤٦ ، « لم

تكن الا عقبة ثانوية ، ولم تؤثر على سرعة تطور البلاد ... كما يقول دان هلبرين ، مستشار وزير المالية ، والمسؤول عن مكافحة المقاطعة العربية ... » (رال ، ٧٥/٣/٣) . بينما يعتقد اخرون ان المقاطعة العربية وان « لم تخنق اسرائيل فقد ادت الى تأخير تطور البلاد ... ويعتقد النائب شموئيل تامير ، عضو لجنة الخارجية والامن في الكنيست ورئيس اللجنة الاقتصادية سابقا ، ان الارهاب الاقتصادي ، مثل الارهاب « التخريبي » ، ليس الا وباء منتشرا ، واذا لم نقتله في الوقت المناسب ، فمن شأنه ان يؤذي قطاعات مختلفة بالغة الاهمية » (المصدر نفسه) .

مع ذلك يجمع معظم المعلقين الاسرائيليين على ان طرق عمل مكتب المقاطعة العربية « لم تتحسن ، ولكنها اصبحت بالغة الخطورة بعد تشرين ١٩٧٣ ، فقبل ذلك كان من السهل محاربة المقاطعة الاقتصادية العربية ، لان الخيار امام اصحاب الاعمال والشركات في الغرب كان اما التعامل مع العرب او مع اسرائيل ، ومعها يهود العالم . ولكن بعد زيادة اسعار النفط ، بنسبة ٤٥٠٪ ، اصبح العرب ذوى نفوذ اقتصادي خطير في الغرب ... » (من افتتاحية دافار ، ١٩٧٥/٣/١٠) . ومنذ حرب تشرين ايضا « اصبح العرب « موجة المستقبل » ، كما يراهم السناتور شارل بيرسي وغيره في اميركا والغرب ... والعرب هم اكبر قصة نجاح في القرن العشرين ، لذلك ليس من شيء افضل من مصادقتهم ... » (يوفال اليتسور — معاريف ، ٧٥/٢/٢١) .

ويعتقد بعض الاسرائيليين ، من ناحية ثانية ، ان طرق عمل المقاطعة العربية غامضة ومتناقضة ، الا انهم — كما يبدو — يتصورون ان « الضباب والتناقض هما اسلوب تتبعه الدول العربية في حربها الاقتصادية ضد اسرائيل . وهما جزء لا يتجزأ من سياسة التهديد والضغوط التي تتبعها هذه المقاطعة ... » (المصدر نفسه ، ٧٥/٢/٢٣) . ويذكر احد المراسلين الاسرائيليين انه ، مثلا ، بعد ان قدمت شركة « لازار اخوان » اليهودية الفرنسية شكوى ضد بنك « دى باريس أ — فيبا » ، لانه يقاطعها في صفقة استثمار دولية ، بسبب المقاطعة الاقتصادية العربية ، توجه بعض المراسلين الفرنسيين والبريطانيين الى مكتب المقاطعة في دمشق ، لكي يستوضحوا اساليب عمل المقاطعة ، لكن المفوض العام لمكتب المقاطعة محمد محجوب « اعطاهم تفسيرات متناقضة » . ويعلق ذلك المراسل على هذا بقوله : « ان قوة المقاطعة العربية غير كامنة في تطبيق تعليمات مكتب المقاطعة بدقة ، بواسطة كل الدول العربية ، بل في كون هذه المقاطعة مشوشة وغامضة . فالعرب استطاعوا تخويف شركات كبيرة عن طريق القوائم السوداء والتصريحات والاستثمارات ، بدون ان تضطر الدول العربية الى التخلي عن العلاقات الاقتصادية التي تعنيها ، حتى لو كانت مع شركات تتعامل مع اسرائيل ... اذن ليست المقاطعة العربية التقليدية هي التي قويت ، بل ارضيتها . ورجال الاعمال في الغرب بدأوا يتحفظون من اقامة علاقات اقتصادية مع اسرائيل ، مثل الاستثمارات فيها او بيع الخبرة لها ، وهم ليسوا دائما بحاجة الى تهديدات من محجوب » (المصدر نفسه) .

ومن جهة أخرى ، اشارت بعض الدوائر الاسرائيلية الى أن مقاطعة عدد من البنوك اليهودية في اوروبا والولايات المتحدة « لم تصل حتى الان الى حد الهجوم الشامل على رأس المال اليهودي ، ولا يمكن رؤيتها في هذه المرحلة كحرب اقتصادية شاملة ، بل هي ضربة جانبية لفحص استحكامات العدو ... فاذا رأى العرب ان ضربتهم نجحت سيشنون هجوما شاملا وخطيرا . لذلك على اسرائيل ان ترد الرد المناسب في الوقت المناسب » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . وايد اخرون هذا الرأي بقولهم : « ان رجال البنوك والاعمال اليهود في اوروبا تلقون ، لانهم يعتقدون ان محاولة العرب ادخال بنوك يهودية في القائمة السوداء ، هي مجرد هجمة اولى ، قد تتحول الى حرب مالية شاملة ... » (ادفين ايتان — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/١٦) ، خاصة وان « ضربة » العرب استهدفت حتى الان ثلاثة بنوك يهودية لا تتمتع بالشعبية في بلادها ، هي بنوك روتشيلد وواربورغ في لندن ولازار اخوان في باريس ، « واذا ما نجح العرب في هجومهم الاول ، فسيوسعوا القائمة السوداء » (المصدر نفسه) .

ولكن هناك من يعتقد ان المقاطعة العربية لم تعد في طور « الهجمة الاولى » ، بل لا يمكن تسميتها الان « مقاطعة » ، لانها « اصبحت حربا

شاملة يجري تنسيقها مع المعركة السياسيــة » (الياهو سلفطر — هآرتس ، ٧٥/٣/٧) . ويرى العديدون أن هذه الحرب الاقتصادية العربية كانت في الماضي موجهة ضد اسرائيل فقط ، ولكنهـــا اصبحت الان موجهة ضد اليهود ايضا . وذهــب اخرون الى القول ان « المقاطعة العربية كانت ضد اسرائيل ولكنها اصبحت اليوم مقاطعة لا سامية » (يعقوب كــروز — يديعوت احــرونوت ، ٣/٧/ ١٩٧٥) .

اما بالنسبة لاهداف المقاطعة العربية ، فيعتقد معظم المعلقين الاسرائيليين انها تسعى على المدى البعيد الى « خنق » اسرائيل اقتصاديا وسياسيا، اذ ان « هناك دلائل متزايدة في عواصم الغرب ، على أن العرب يريدون ، بقوتهم المالية ، تحقيق ما لم يستطيعوا تحقيقه بقوتهــم العسكرية : خنــق اسرائيل اقتصاديا ، كسر قوتها ، وعزلها عــن اصدقائها ونزوح سكانها عنها » (يوفال اليتسور — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١) . ويعتقــد أحدهم ان هدف مقاطعة رأس المال اليهودي ، هو « عــزل اسرائيــل اكثر ، عن طريــق حرمانها من المــال اليهودي » (ادفين ايتان — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٢/١٦) ، بينما لخص اخر اهداف المقاطعــة العربية بقوله انهـــا تسعى الى (١) اضعــاف المؤسسات الاقتصادية اليهودية ، وبالتالي اضعاف مكانتها السياسية في الدول التي يقيم فيها اليهود ، وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية ، (٢) منع الشركــات والمصانع الغربية من تزويد اسرائيل بالمواد والسلع الحيوية ، (٣) عزل اسرائيــل اقتصاديا وسياسيا بهدف خنقها (الياهو سلفطر — هآرتس ، ١٩٧٥/٣/٧) .

اخطار الرساميل والاستثمارات العربية

في الوقت الذي يتهم فيه المسؤولون والمعلقــون الاسرائيليون والصهيونيون العرب ، انهم بواسطة المقاطعة الاقتصادية ، « يحولون الولايات المتحدة الى المانيا النازية » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٨) ، ويشنون « حربا دينية » على الارض الاميركيــة ، فان معظمهم يعترف ان مشكلة اسرائيل ليســت المقاطعة العربية اساسا ، بل النفوذ الاقتصادي العربي منذ حرب تشريــن ، وان « الشركــات الاميركية « تتطوع » لمقاطعة اسرائيــل دون ان يطلب منها ذلك » (دان مرغليت — هآرتــس ، ١٩٧٥/٢/٢٧) . وقد اعترفت بهذا ايضا « لجنة مكافحة التشهير » ، التابعة لمنظمة « بني بريت » الصهيونية الاميركية (المصدر نفسه) .

وتركز الدوائر الاسرائيلية ، بشكل خاص ، في معرض تعليقها على « الحرب الاقتصادية العربية » على خطر النفوذ الاقتصادي العربي في الغرب ، الذي قد يتحول الى نفوذ سياسي عربي ، يشكــل خطرا على النفوذ الصهيوني الاقتصادي ، وبالتالي السياسي . ويحذر بعضهم من ان « لفوائض النفط العربي المتزايدة نتائج خطيرة . فنتيجة لاستثمارات العــرب في الغــرب يتقوى نفوذهــم السياسي باستمرار . وقد بدأوا يستخدمون رؤوس الاموال الضخمة التي يملكونها في شراء وسائط اتصــال مختلفة ، كالراديو والتلفزيون والصحف ، لكــي يستعملوها لخدمة دعايتهم المتعاظمة . كما انــه يجب النظر بخطــورة بالغة الى الســلاح الذي تشتريه دول النفط العربية لــدول المواجهــة » (دافيد هوروفيتش — دافار ، ١٩٧٤/٤/٢٨) .

كذلك حذر معلق اخر من « خطر سيطرة العرب على وسائل الانتاج في الغرب ... هناك من يقول ان فوائض النفط ستصل ، حتى عام ١٩٨٠ ، الى ٥٠٠ مليار دولار ، وهناك من يقول انها ستصــل الى ٢٥٠ مليار فقط ... ومهما يكن ، لا شك ان الارصدة العربية ستزداد باستمرار ، مما سيؤدي الى كسب قوة سياسية قد تؤدي الى خنق اسرائيل. هناك استثمار خطر وهناك استثمار اقل خطورة ، وأخطر شيء هو شراء معامل الالكترونات ووسائط الاتصال والصناعات الامنية وغيرها . ولكن حتى شراء المباني قد يكون له تأثير نفسي ... والعرب يستطيعون التنافس المقصود مع شركات تتعاون مع اسرائيل ، مستغلين الوضع الاقتصادي المتــردى في الغرب ... » (يوفال اليتسور — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٥) .

وادعى مراسل اسرائيلي في واشنطن انه اصبح للعرب بفضل نفوذهم المالي ، « لوبي » (جماعة ضغط) في الكونغرس الاميركي ، هو « لوبي شركات النفط » الذي يعمل لصالح العرب . « وهنــاك خطر بان تظهر جماعات ضغط جديــدة في ردهــة الكونغرس الرئيسيــة تعمل لمصالــح العــرب » (دان مرغليت — هــآرتس ، ١٩٧٥/٢/١١) .

وكتب اخر : « ان المعلومات حول استخدام المال العربي ضد اسرائيل واليهود ، لا تشكل ظاهرة جديدة ، ولكن الجديد هو في حجم هذا الاستخدام الناتج من تعاظم القوة المالية العربية ... يبدو انه ليس من الممكن منع سيطرة العرب على قطاع واسع من السوق العالمية . لذلك يجب محاولة تسيير النفوذ العربي في قنوات اقتصادية ، لا تخرج الى المجال السياسي . واذا لم يتم هذا الان ، فقد تفوت الفرصة الاخيرة لذلك ... » (ناحوم برناع ــ دافار ، ١٩٧٥/٢/٢٨) . واشار البعض الى ان دول النفط العربية ، تقوم بنشاطات في الولايات المتحدة الاميركية خارجة عن المجال الاقتصادي ، ويمكن تقسيمها الى ثلاثة مجالات : (١) اجبار شركات اميركية على قطع علاقاتها مع اسرائيل ، (٢) التمييز ضد شركات يهودية لمجرد ان يهود يملكونها ، (٣) الاشتراط ان يكون عاملو الشركات والادارة الاميركية في دول النفط من غير اليهود » (المصدر نفسه) . ونقلت احدى الصحف الاسرائيلية عن الرأسمالي الصهيوني ، دافيد روتشيلد في باريس ، قوله : « ان بنوك العرب في اوروبا قليلة وصغيرة حتى الان ، ولكنها ستزداد وستقوى باستمرار ، بسبب واردات النفط ، وعندها ستكون خطرة على كل من يريد العرب مقاطعتهم ... والكويت هي القائدة الخطرة في هذا المضمار » (عل همشمار ، ١٩٧٥/٢/٢٠).

وتركز الدوائر الاسرائيلية ، بشكل خاص ، على « خطر » النفوذ الاقتصادي العربي في الولايات المتحدة الاميركية بالذات : « ان التعامل بين العرب واميركا يضر بعلاقات اسرائيل الاقتصادية والسياسية ايضا مع حليفتها الرئيسية ... » (من المتتاحية دافار ، ١٩٧٥/٢/٢٧) . وذكر احد المراسلين ان اقصى ما يقلق اسرائيل هو « ان شركات اميركية كثيرة تقاطع اسرائيل لكي تفوز برضى العرب ، بدون ان يطلب ذلك منها . وهي تجد لذلك مبررات كثيرة ومختلفة ... » (نسيم كفيتي ــ يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٢) ، بينما عبر اخر عن قلق اسرائيل بقوله « تبدو اسرائيل في الولايات المتحدة على انها تجربة فاشلة ، اذ انها ما زالت تعيش على التبرعات والاعانات وهذا ما قاله العرب دائما . واما العرب فينظر اليهم هناك على انهم موجة المستقبل» (الياهو سلفطر ــ هآرتس ، ١٩٧٥/٣/٢) .

نتائج مقلقة

تشير المصادر الاسرائيلية الى ان النفوذ الاقتصادي العربي، والمقاطعة الاقتصادية العربية، يحققان بعض النتائج المقلقة بالنسبة لاسرائيل ، مما يفسر الحملة الرسمية والشعبية الاسرائيلية والصهيونية ضد « الحرب الاقتصادية العربية » ، تلك الحملة التي تتخذ طابع « قرع أجراس الخطر » .

بدأت هذه الحملة عندما نشر لاول مرة ، مع بداية السنة الحالية ، في فرنسا وبريطانيا ، عن اضرار تعرضت لها بنوك يهودية في الدولتين . ودار الحديث بالتحديد عن اضرار لحقت ببنك لازار اخوان في فرنسا ، وببنكي روتشيلد وواربورغ في لندن . وذكر ان اصحاب هذه البنوك يسودون « اتباع سياسة هادئة ، لان النشر الصاخب قد يكون دلالة ضعف ... رغم أنهم يعتقدون أن التهديد سيظل مستمرا ، طالما بقيت الاموال تتدفق على العرب وطالما يستمر النزاع العربي الاسرائيلي » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . وذكر ايضا ان « التهديد سيشمل دولا اوروبية أخرى ، كالمانيا الغربية مثلا ، خاصة وان العرب سيزيدون من نشاطهم المالي في اوروبا عامة ... » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٢/١٦) .

مع ذلك استغلت بعض المنظمات الصهيونية الاميركية الانباء الواردة من اوروبا واستخدمتها « كانذار لليهود وكدعوة لهم لشن حرب دفاعية ضد محاولة العرب خنق اسرائيل اقتصاديا » (يوفال اليتسور ــ معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . ونشرت في هذا الاطار ، اسماء بعض المؤسسات الاقتصادية الاميركية التي « خضعت » للمقاطعة العربية ، بهدف التحريض ضدها ، وضد بعض الشخصيات السياسية ــ الاقتصادية الاميركية « المنحازة للعرب » ، مثل السناتور شارل بيرسي ونائبه السابق بيتر باترسون « المرشح لخلافة وزير الاقتصاد الحالي سايمون ، وهو الان رئيس شركة لاهمان اخوان ، التي تقلص فيها النفوذ اليهودي الى الصفر ، ونائبه جورج بول عدو اسرائيل اللدود » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١) .

كذلك أعلنت منظمة « بني بريت » الصهيونية

قبيل تصريح الرئيس الاميركي فورد ضد « التمييز الاقتصادي المناقض للتقاليد الاميركية » ، ان « عشرات البنوك والشركات الاميركية تمارس اساليب التمييز النازية ضد اليهود ، لكي تتمكن من الاتجار مع الدول العربية ... » (معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٦) ، وكانت المنظمة قد أعلنت ايضا ان ٧٧ شركة اميركية اتبعت اجراءات ضد اليهود، وهناك أكثر من الف شركة أخرى « يعتقد » انها تتبع نفس السياسة ، وان سلاح الهندسة الاميركي يمتنع عن استخدام اليهود (المصدر نفسه) .

واستمرت « لجنة مكافحة التشهير » التابعة لمنظمة « بني بريت » بعقد مؤتمراتها الصحفية « وكشف ملفاتها [للدلالة] على استعداد واسع لدى رجال صناعة اميركيين لان يكونوا شركاءسريين، في مؤامرة عربية لعزل اسرائيل عن حليفتها الرئيسية ، الولايات المتحدة الاميركية ، ولـ « تطهير » شركات ذات علاقة تجارية مع اليهود ، من اليهود العاملين معها ... وهناك شركات كثيرة ، في كل الميادين ، ترفض التعامل مع اسرائيل واليهود ، خارقة بذلك قوانين التصدير الاميركية وقانون حقوق المواطن ضد التمييز لعام ١٩٦٤ » (فيليب بن — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٨).

ومن الشركات والمؤسسات الاميركية التي تقاطع اسرائيل ، بحسب تقارير « بني بريت » ، والتي نقلت اسماءها الصحف الاسرائيلية : (١) بنك شيز منهاتن ، (٢) سلاح الهندسة الاميركي (آرمي كوربوريشن اوف انجينيرينغ)، (٣) شركة الاستثمار الخاصة فيما وراء البحار (اوفر سيز برايفت انفزستمينت كوربوريشن) ، (٤) خدمات المدارس الدولية (انترناشيونال سكول سيرفيسس) ، (٥) خدمات الرهن العقاري المضمون (غارانتيد مورتغيج سيرفيس) ، (٦) شركة اشلاند الكيماوية، (٧) باسيفيك بامب كوربوريشن ، (٨) هوسبيتال كوربوريشن اوف اميركا وغيرها (المصدر نفسه) . وذكرت مصادر اسرائيلية اخرى ان هناك أربعة بنوك اميركية تنفذ تعليمات المقاطعة العربية « بدقة » ، وهي (١) فيرست سيتي بانك اوف نيويورك، (٢) فيرست ناشيونال بانك اوفشيكاغو، (٣) كيميكال بانك ، (٤) ارفينغ تروست كومباني ، مشيرة ان بنك شيز منهاتن يرفض فتح فرع له في اسرائيل (دافار ، ١٩٧٥/٣/٧) .

حرب اقتصادية مضادة

تشن وسائط الاعلام الاسرائيلية والصهيونية حملة شعواء ضد استخدام العرب لرؤوس اموالهم في معركتهم السياسية، رغم ان اسرائيل والمؤسسة الصهيونية العالمية تستخدمان النفوذ الاقتصادي لخدمة أهداف اسرائيل السياسية منذ زمن بعيد . وقد كشفت مجلة « تايم » الاميركية (١٩٧٥/٣/١٠) جانبا من هذه الممارسة الصهيونية ضد كل سياسي اميركي يدلي بتصريح في غير صالح اسرائيل من وجهة نظر يهودية — اميركية ، كما حدث ، مثلا ، مع السناتور شارل بيرسي من ولاية ايلينوى ، ومع السناتور جوليان بوند من ولاية جورجيا وغيرهما . وبينما تتهم أبواق الدعاية الصهيونية كل من يؤيد العرب ... « باللاأخلاقية » و« بالسجود لدولارات العرب » ، فان المجلة المذكورة تكشف في تحقيقها عن الضغوط التي يمارسها الـ « لوبي » اليهودي في الكونغرس الاميركي ولدرجة يبدو معها وكأنه « لا يوجد فرق بين مجرى رفع الحد الادنى للاجور وبين تزويد اسرائيل بالسلاح » (المصدر نفسه).

رغم ذلك ، من الملاحظ الان ان اسرائيل والمؤسسة الصهيونية العالمية تمارسان ضغوطا اشد لمحاولة كبح النفوذ الاقتصادي العربي المتزايد في الغرب ، وللحد من تأثير المقاطعة العربية لاسرائيل . ويؤكد معظم المعلقين الاسرائيليين انه « من المهم ان ننظر الى الحرب الاقتصادية العربية على انها معركة ضد مجرد وجودنا ، مثل المعركة العسكرية والمعركة الديبلوماسية » (من افتتاحية هآرتس ، ١٩٧٥/٣/٥).

وأهم ما تعول عليه اسرائيل في هذه « الحرب المضادة » يهود الولايات المتحدة ، اذ « يجب استخدام اليهود في المقاطعة المضادة ويجب ان يرافق ذلك اعلام جيد » (من افتتاحية دافار ، ١٩٧٥/٣/١٠) . وقد اقترح الجنرال المتقاعد حاييم هرتسوغ (في مقال له في هآرتس ، ١٩٧٥/٣/٦) « اقامة منظمة يهودية اقتصادية لشن هجوم مضاد ضد الحرب الاقتصادية العربية ... فالشعب اليهودي متحمس لمثل هذه الحرب ، وعلى اسرائيل ان تزوده بالقيادة وبالتوجيه وان تقف أمام التهديد بثقة وكبرياء » .

ويبدو ان ضغط المنظمات الصهيونية في الولايات

المتحدة الاميركية ، وعلى رأسها « بني بريت » ، أدى الى تحويل المقاطعة العربية الى « قضيــة ساخنة ... فالولايات المتحدة اكتشفت المقاطعة العربية متأخرة ٣٠ سنة ، والكونغرس يطالب بتشريع ضدها ، والادارة تجري تحقيقات بشأنها ، والرئيس فورد يدلي بتصريحات ضد هذا التمييز المخجل للتقاليد والمبادىء الاميركية ... » (نسيم كفيتي — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٢) . وذكر ايضا ان ١٢٠ عضوا في الكونغرس ارسلوا عريضة الى وزير العدل الاميركي يطالبونه فيهــا بالتحقيق في المقاطعة العربية (معاريف ، ٩/٣/ ١٩٧٥) . وترغب الاوساط الصهيونية ، من خلال حملتها الدعائية ، في « اقناع دول الغرب ان المقاطعة العربية ليست فقط مشكلة اسرائيلية ، بل ايضا مشكلة اميركية وفرنسية وبريطانيــة والمانية . وان المقاطعة لا تمس شرف الشركات الخاضعة لها فحسب ، بل تضر باقتصاد هــذه الدول ايضا » (يوفال اليتســور — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢٣) . وتحاول هذه الحملة الدعائيــة ايضا « التأكيد على ان العرب لن يكونوا موجــة المستقبل الى الابد ... » (الياهو سلفطر — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٤) . واقترح البعض عدم تحويل الموضوع الى « مسألة سياسية اسرائيلية ... وفي الوقت نفسه عدم توجيه الاتهام الى العرب جميعا — بل الى بعضهم، فبدلا من القول «محاولات العرب » يجب القول « محاولات بعض العرب » ... » (عل همشمار ، ١٩٧٥/٢/٢٠) .

وعلم ، من ناحية ثانية ، ان الحكومة الاسرائيلية شكلت قبل نصف سنة لجنة خاصة « لمراقبة تغلغل المال العربي في الاقتصاد الاميركي ... ولكن تلك كانت خطوة ساذجة ، لانه من الصعب على لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص القيام بمثل هذه المراقبة ...وفي ذلك الوقت لم تكن ابعاد المشكلة معروفة» (هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٧) . وذكر ايضا ان وزير الخارجية الاسرائيلي يغئال الون طلب من وزارة الخارجية الاميركية ، في احدى زياراته الاخيرة الى واشنطن « العمل بصورة مشتركة للبحث عن سبل للحد من تأثير المقاطعة العربية ... ولكن هناك ترددا اسرائيليا في هذا المجال ، اذ من الصعب طلب تشريع ضد اصحاب رؤوس الاموال ، في وقت تعاني اميركا فيه من البطالة والنقص في الدولارات ... » (المصدر نفسه) . كذلك ذكر بعض المعلقين الاسرائيليين ان « هناك مجالا — رغم الصعوبات — لعمل يهودي علني وغير علني ، ضد المقاطعــة العربية ... ومن الافضل القيام بذلك الان، وليس بعد عدة أشهر ، حيث يمكن الان اتهام العرب انهم مسؤولون عن البطالة ، وان النفط هو أهم أسباب الازمة الاقتصادية في الغرب ... » (دان مرغليت — هآرتس ، ١٩٧٥/٢/٢٧) . ويبدو ان العمل « غير العلمي » هذا له علاقة مع نبأ نشرته احدى الصحف الاسرائيلية (معاريف ، ٧٥/٣/٩)، مفاده أن منظمة سرية ، تطلق على نفسها اسم « المرجانة » ، ارسلت مؤخرا الى بعض الدول الاوروبية انذارات موجهة الى«الطيارين والسائقين والملاحين» ، تحذرهم فيه من استخدام النفــط العربي « لان قوى صهيونية عاملة بالقرب من ابار النفط العربية تعمل على خلط النفط العربي بالسكر، واستخدام هذا النفط قد يؤدي الى اتلاف كل محرك يشغل بواسطته» . ودعت هذه «الانذارات» الى استخدام النفط غير العربي ، كالايــــراني والنيجيري .

واقترح زلمان شوفال ، عضو لجنة المالية فــي الكنيست من قبل كتلة ليكود ، « اقامة « شركة لاسرائيل » جديدة [بعد ان كانت شركة سابقة تحمل هذا الاسم قــد انهــارت مؤخرا بسبــب الاختلاس] تكون بمثابة مستودع للاموال اليهودية المخصصة لتطوير اسرائيل . وهذا الصندوق من شأنه ان يقف امام دولارات النفط العربيــة » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٤) . ولخص احد المراسلين الاسرائيليين في الشؤون الاقتصادية طرق مكافحة النفوذ الاقتصادي العربي قائلا « هنـــاك ثغرات كبيرة في خطوط العدو . واسرائيل قادرة على رد الحرب بالحرب ... ان اهم ما يجب عمله هو (١) تقوية الاقتصاد الاسرائيلي . لقد قال أشكول مرة ان اعطاء علاوة غلاء المعيشة هــي « هدية لناصر » ، فيجب ان لا نعطي هدايـــا لعرفات ، كالاضرابات والمطالبة بعلاوات غـــلاء المعيشة ، (٢) يجب اقناع [الغرب] ان العرب ليسوا « موجة المستقبل » ، فقد تتصدع منظمة اوبيك ، وربما تنخفض قيمة دولار — النفط بسبب التضخم ، (٣) محاولة توجيه غضــب العاطلين من العمل الى العرب ومساعديهم ...

وهناك طرق اخرى يمكن استخدامها في الجبهة الثانية ، ليس من المفيد الاعلان عنها .. » (يوفال اليتسور — معاريف ، ٧٥/٢/٢١) .

وذكرت مصادر اسرائيلية اخرى ان الحملة الصهيونية المضادة احرز تحتى الان بعض النجاح، « ففي كاليفورنيا استطاع السكان الغاء اتفاق حول شراء السعوديين لجزء كبير من بنك في سان هوزي ، وفي ميشيغن قضى السكان على آمال العرب بالاستثمار هناك . وفي ديترويت طلب اليهود مساعدة المحكمة لمنع العرب من شراء جزء من بنك كومونويلث ... وغير ذلك » (دان مرغليت — هآرتس ، ٧٥/٢/٢٧) . ولكن رغم ذلك استمر العديد من المعلقين الاسرائيليين بابداء قلقهم من المعركة الاقتصادية الصعبة ، وبانتقاد الحكومة الاسرائيلية والمنظمات الصهيونية ، « التي لا تعمل بصورة منظمة ومنسقة » ،

وأبدوا قلقهم لانه « في ظروف الادارة الاميركية الجماعية واللامركزية لا تستطيع الادارة والسلطة التشريعية فرض ارادتها بصورة مطلقة في شؤون الاقتصاد ... » (من افتتاحية دافار ، ٧٥/٢/٢٧) .

وتشير بعض المصادر الاسرائيلية ، من ناحية ثانية ، الى ان السلطات الحاكمة في اسرائيل تسعى الى طرح موضوع المقاطعة في الاتصالات السياسية الجارية في المنطقة حول التسوية الجزئية ، وتطالب بالغائها او تضييقها كشرط من شروط التسوية السلمية . « ... ان ثمن اي انسحاب [من الاراضي العربية] يجب أن يشتمل على شيء واضح بخصوص المقاطعة العربية» (حانوخ برطوف — معاريف ، ٧٥/٢/٢٥) .

يوسف حمدان

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

[١]

عملية سافوي في تل ابيب تكشف عيوب الجهاز الامني الاسرائيلي وتثير النقاش مجددا حول فعالية النشاط الفدائي واهدافه

كان للعملية الفدائية الجريئة التي نفذها الفدائيون الفلسطينيون في فندق سافوي ، في تل أبيب ، ردود فعل عنيفة لدى مختلف الجهات الاسرائيلية ، دفعتها الى توجيه انتقادات شديدة الى السلطات المسؤولة لعجزها عن افشال مثل هذه العمليات وتحميلها مسؤولية ذلك الفشل . كما تجدد ، مثلما يحدث عادة بعد كل عملية من هذا النوع ، « البحث » عن « المسؤولين المقصرين » لتحميلهم مسؤولية « تقصيرهم » . كذلك أكدت هذه العملية ، مرة اخرى للاسرائيليين ، سواء المسؤولين منهم او المواطنين ، بأن الادعاء القائل ان اسرائيل استطاعت قطع دابر الفدائيين ، بعد أن نجحت في اغلاق الحدود البرية والبحرية بواسطة تكثيف الدوريات والقوات الاسرائيلية ليس الا محض هراء ، بحيث اضطر المسؤولون الاسرائيليون على اختلاف مراكزهم ، الى الاعلان بأنه ليس باستطاعتهم اغلاق الحدود بصورة محكمة وانهم يتوقعون تكرار مثل هذه العمليات في المستقبل . كما كان لهذه العملية نصيب في كشف نوايا الاسرائيليين الحقيقية حول مسألة التفاوض مع الفدائيين ، في حال احتجازهم ارهائن .

مقتل الضابط الذي قاد عملية فردان في بيروت

قبل أن نشير الى الاهداف التي اراد الفدائيون تحقيقها من وراء هذه العملية بحسب راي الاسرائيليين ، لا بد أن نذكر ان الخسائر التي مني بها العدو قد وصلت ، حسب ادعائه ، الى ١١ قتيلا ونحو ٢٠ جريحا . ومن بين القتلى ثلاثة جنود ، احدهم العقيد عوزي يئيري ، وهو أحد كبار ضباط الاستخبارات العسكرية ، و٨ مدنيين ، منهم ٧ من الخارج (دافار ، ٧٥/٣/٩) . ويتضح من مقابلة اجريت مع العقيد يئيري ، قبل مقتله ، ونشرت بعد وفاته (هوتام ، ٧٥/٣/١٤) ، ان يئيري كان الضابط الذي قاد العملية الاسرائيلية في بيروت في نيسان ١٩٧٣ وأسفرت عن استشهاد ثلاثة من قادة المقاومة : كمال عدوان وكمال ناصر ومحمد يوسف النجار . ومن الواضح ان المسؤولين الاسرائيليين حاولوا التقليل من حجم الخسائر في البداية ، الا أنهم اضطروا للاعتراف بذلك اخيرا . ولكن على الرغم من ذلك ، هناك دلائل كثيرة وواضحة تشير الى ان عدد الخسائر كان أكبر بكثير من العدد الذي اعترفوا به ، بدلالة ان عدد الرهائن الذين كانوا في الفندق ، عند سيطرة الفدائيين عليه ، كان كبيرا ، وان اجزاء كبيرة منه قد دمرت . كما لمحت بعض المصادر الاسرائيلية (هآرتس ، ٧٥/٣/١٠) الى ان « المشرات » قد اصيبوا في هذه العملية .

واما الاهداف من وراء هذه العملية ، كما يراها الاسرائيليون ، فتنحصر في أن الفدائيين قد قصدوا بتوقيتها ، في هذه الفترة بالذات ، احباط مهمة وزير الخارجية الاميركي الدكتور كيسنجر ، وهي في مهدها ، كما أنهم قصدوا « توريط » مصر وابعادها عن طريق التسويات السياسية . وكان أحد المعلقين الاسرائيليين قد أشار الى حسن اختيار الفدائيين لموعد قيامهم بهذه العملية ، في الوقت الذي يغادر فيه كيسنجر واشنطن للقيام بجولته الجديدة في الشرق الاوسط ، مؤكدا « انه لا يوجد ادنى شك بأن هذه العملية ستضع عقبات جديدة في الطريق نحو حل وسط بين اسرائيل ومصر » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٧) .

كذلك ربط البعض هذا النوع من العمليات مع الزيارات التي يقوم بها كيسنجر للمنطقة ، مشيرا الى عملية معلوت التي تمت لدى قيام كيسنجر بزيارته للمنطقة لتحقيق فك الارتباط ، وزيارته الحالية لتحقيق تسوية اخرى مع مصر . وكان على رأس هؤلاء المراسل العسكري لصحيفة هآرتس ، زئيف شيف ، الذي أعلن ان دمشق

تقف من وراء هذه العملية ، والى حد ما الكرملين أيضا . « وليس من المستبعد ان اختيار تل ابيب كهدف واعتراف م.ت.ف. بالعملية جاء من أجل جر اسرائيل الى رد فعل عنيف ضد لبنان او ضد أهداف فلسطينية في هذا البلد ، وربمـا ينتظـر السوريون ، وبتشجيع من الروس ، رد فعـل اسرائيلي واسع بواسطة سلاح الجو ، او شيئا مشابها ، لايجاد مبرر لارسال قوات الى جنوب لبنان والتسبب في اشتعال الوضع ، مما قد يؤدي الى القضاء على امكانات التسوية المنفردة بين اسرائيل ومصر » (هآرتس ، ٧٥/٣/٧) .

هذا بالنسبة للاهداف التـي اراد الفدائيون تحقيقها على المدى القصير ، اما الاهداف الرئيسية — للمدى الطويل — فتنحصر في توجيه ضربة لاكبر مركز سكاني في اسرائيل ، وهو مركز اعصابها ، وذلك للاسراع في انهيار قوة صمودها النفسي . « كما ان هذه العملية الارهابية لم تكن معدة فقط لاسقاط الشهداء . ولا شك انها مخططة لاثارة الاسرائيليين ودفعهم الى ردود فعل عاطفية غير مدروسة ، وفقدان توازنهم ، بحيث تهز — حسب العقول المخططة لدى م.ت.ف. — توازن الدولـة اليهودية » (دافار ، ٧٥/٣/٩) .

كما اشار البعض ، من ناحية ثانية ، الـى وجود هدف اخر اراد الفدائيون تحقيقه من وراء قيامهم بتلك العملية ، الا وهو ضرب السيـاحة في اسرائيل ، « فالتوقيت الذي حدد عشيـة عيد الفصح ، يثبت النية بضرب السيـاح وحركـة السياحة في اسرائيل » (معاريف ، ٧٥/٣/٩) . كما أبدى رئيس بلدية تل ابيب ، شلومو لاهط رأيه في أن العملية كانت موجهة لردع السياح من القدوم الى اسرائيل بمناسبة عيد الفصح . وقد اجتمـع اعضاء مجلس البلدية الى وزير الدفاع للتباحث معه في مسألة استقدام مزيد من السياح الـى اسرائيل ، والعمل على ابلاغهم بان الحمايـة مؤمنة لهم هناك . كما قام وزير السياحة موشي كول ، بتوجيه نداء الى يهود العـالم بتعزيز الزيارات اليها . كما وجه نداء الـى زعمـاء الجاليات المسيحية في العالم مطالبا اياهم بعـدم التسامح مع الارهاب والقدوم لزيارة اسرائيـل والاعراب عن استنكارهم لمثل هذه « العمليـات البشعة » (ر.أ ، ٧٥/٣/٨) .

ولا بد لنا ونحن بصدد الكلام عن السيـاحة وتأثير العملية عليها ، ان نشير الى ان السياحة في اسرائيل تواجه خلال الفترة الاخيرة صعوبات كثيرة ، اهمها قلة عدد السواح الى اسرائيل ، وذلك — باعتراف الاسرائيليين انفسهم — لان حالة الامن لا تشجع على هذا . ولهذا جاءت عملية سافوي لتزيد من خطورة المشكلة . وذكر مؤخرا ان احدى الفرق المسرحية النمساوية ، التي كان من المقرر أن تبدأ بعرض حفلاتها في اسرائيل بعد اسبوع ، الغت رحلتها هذه بسبب مخاوف بعض أفرادها من الوضع الامني في البلاد ، اذ أعلن مدير الفرقة ان المعلومات التي وصلت اليهم تشير الى « ان هناك خطرا دائما في اسرائيل نتيجـة لعمليات « التخريب » » (المصـدر نفسـه ، ٧٥/٣/١٢) .

اطلاق النار في فندق سافوي يسمـع في مبـاني الاركان العامة للجيش الاسرائيلي

من الجدير بالذكر هنا ان اطلاق النار مع بداية العملية في فندق سافوي ، الواقع على شاطىء تل ابيب ، سمع في الابنية التي تشغلهـا الاركـان العامة للجيش الاسرائيلي في منطقة هاكريـاه ، القريبة من الفندق . ومن الجدير بالذكر ايضا أن فندق سافوي « المتواضع » كان خلال فترة معينة، أيام الانتداب ، مقرا للزعيم الارهابي مناحم بيغن، عندما كان يتولى قيادة عمليات اتسل (الارغون) الارهابية ضد العرب والبريطانيين ، قبيل اقامة اسرائيـل .

بعد سماع اطلاق النار في الاركان العامة ، اتجه اليها وزير الدفاع ورئيس الاركان ورئيس الاستخبارات العسكرية ورئيس شعبة العمليات وعدد من كبار الضباط الاسرائيليين . كما حضر الى هناك رئيس الحكومة يتسحاق رابين ، مبديا رأيه في « انه يجب العمل بسرعة ، قبـل ان يسود الانطباع في العالم انهم يسيطرون في تل ابيب » . واما بيريس فقد قال : « يجب العمل في الليل ، تحت جنح الظلام ، حتى نستطيع التقـدم دون التسبب بخسائر زائدة لدى الرهائن » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٩) . وتجدر الاشارة هنا الى ان رابين وبيريس وغور اتخذوا سوية القـرار باقتحام الفندق .

وفي أعقاب العملية ، قام رابين بعقد جلسة استثنائية للحكومة ، قدمت خلالها تقارير منه ومن وزير الدفاع ورئيس الاركان عن العملية . وبعد الجلسة اصدرت الحكومة بيانا جاء فيه : « تثبت العملية الاجرامية لرجال فتح في تل ابيب مرة اخرى الاهداف والاساليب الدموية لمنظمات الارهاب ، وتؤكد ضرورة مواصلة النضال ضد تلك المنظمات ، حيثما تصل أيدينا اليهم ... وبالاضافة الى اسلوب الارهاب ، بما في ذلك قتل الرهائن ، جاءت العملية الدموية من قبل المخربين في هذا الوقت لهدف سياسي — لاحباط كل امكانية للتقدم نحو تسوية سياسية عن طريق المفاوضات . ان النشاط الارهابي لن يردع مواطني اسرائيل ولن يحرف حكومتها عن سياستها التي تشمل الدفاع عن مواطنيها ، وبذل الجهود السياسية للتقدم نحو السلام » (هآرتس ، ٧٥/٣/٧) .

كذلك علق وزير المواصلات ، جاد يعقوبي ، على العملية بقوله : « يجب ان يعرف كل مخرب يصل الى هنا انه لن يخرج حيا . وان هذه الأعمال لن تعرقل حياتنا » (هآرتس ، ٧٥/٣/٧). ومن جهة ثانية اشتكى زعيم التكتل اليميني (ليكود) مناحم بيغن من عدم ضرب منظمات الفدائيين وقواعدهم وقياداتهم حتى الان، موضحا « انه لا يقصد العمليات الانتقامية ،وانما اجراءات غير منقطعة ضد منظمات القتلة ، الى حين وضع نهاية لنشاطهم الاجرامي » (هآرتس ، ٧٥/٣/١٢) . وهاجم النائب مئير باعيل العملية بقوله « انه يجب عدم السماح للمخربين بلغم التسوية السياسية ، وعدم الاستسلام لشروطهم ... كذلك يجب الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني » . واما النائب مئير فيلنر (راكاح) فقد ندد هو أيضا بالعملية ، ولكنه طالب بالموافقة على عقد مؤتمر جنيف لتحقيق السلام والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وحمل الحكومة الاسرائيلية مسؤولية هذه العمليات (المصدر نفسه) . ومن الجدير بالاشارة هنا أن رئاسة الكنيست قررت حذف اقوال فيلنر هذه من نصوص محاضر الكنيست الرسمية ، بسبب « لهجتها التحريضية » .

ردود الفعل الشعبية والصحافية

أدت عملية سافوي الى ردود فعل متفاوتة ومختلفة لدى الكثيرين من رجال الفكر والصحافيين وضباط الاحتياط الاسرائيليين ، وقد تفاوتت ردود الفعل هذه بين المهاجمة العنيفة للوسائل التي تنتهجها السلطات ضد الفدائيين وعدم فعاليتها، وبين الانتقاد العنيف لعدم وضوح سياسة الحكومة فيما يتعلق بالتفاوض مع الفدائيين في حال احتجازهم لرهائن . كما انتقد البعض المسؤولين الاسرائيليين بشدة لعدم استخلاصهم العبر والدروس الضرورية بعد حدوث كل عملية فدائية، بحيث انحصرت ردود فعلهم في الرد على ما يفعله الفدائيون فقط ، بعد أن انتقلت المبادرة من أيديهم الى أيدي الفدائيين .

لوحظ أن عملية سافوي اثارت نقاشا واضحا — وانتقادات عنيفة — حول موقف الحكومة الاسرائيلية فيما يتعلق بالتفاوض مع الفدائيين ، او عدمه ، في حال احتجازهم لرهائن . واشار العديدون الى أنهم لا يعرفون سياسة حكومية واضحة بهذا الشأن ، وكل ما يبدو لهم هو ان هناك تناقضات في تصريحات المسؤولين ، فمنهم من يقول انه لا يوجد هناك قرار بعدم التفاوض مع الفدائيين ، ويقف على رأس هؤلاء وزير الشرطة شلومو هيلل ، بينما هناك من يدعي وجود قرارات تقضي بعدم التفاوض مع الفدائيين مطلقا ، مما يسبب حيرة وارباكا لدى المواطنين .

يبدو ، استنادا الى مواقف اسرائيل ، خلال العمليات الفدائية السابقة ، ان السلطات الاسرائيلية لا تحبذ التفاوض مع الفدائيين عند احتجازهم لرهائن وانما تسعى الى مماطلتهم وايهامهم بأنها تفاوضهم ، من أجل كسب الوقت. وقد عاد العميد شلومو غازيت، رئيس الاستخبارات العسكرية وأكد هذا الموقف بقوله : « لم تجر عمليا مفاوضات مع المخربين وانما حوار . اقترحنا الاستسلام دون شروط ، وكل ما اردنا معرفته كان عدد المخربين الموجودين وبكم رهينة يحتفظون ... ان اسرائيل لا تؤمن بمفاوضات الابتزاز . اليوم يطلبون عشرة مخربين وغدا مائة ، وبعد غد سيطلبون اخلاء تل ابيب مقابل عشر رهائن . ليس للامر نهاية ولن تجر الى ذلك » (معاريف ، ٧٥/٣/٧) . كذلك عاد رئيس الحكومة رابين وأكد

مرة اخرى : « لن نتفاوض مع المخربين بأي حال من الاحوال ، سنقابلهم فقط في ساحة القتال » (هآرتس ، ٧٥/٣/٧) . وكان ديان قد القى محاضرة في جامعة بار ايلان ، تطرق فيها الى العملية الفدائية بقوله : « انه يجب في كل مفاوضات تجري مع المخربين ، ان يكون الهدف ربح الوقت للعمل ضدهم » (دافار ، ٧٥/٣/٩).

واجه موقف الحكومة هذا ، وامتناعها عن اعلان سياستها على الملأ بشأن التفاوض مع الفدائيين او عدمه حملة انتقادات من قبل بعض الصحافيين الاسرائيليين ، واعتبر البعض (بوعز عفرون — يديعوت احرونت ، ٧٥/٣/١١) ان هذه المسألة مسألة شخصية تهم كل فرد لان « كل واحد منا رهينة محتملة . ومن الافضل ان نعرف سلفا اننا اذا وقعنا في مصيدة المخربين ، فربما ستفضل الدولة المخاطرة بموتنا على الاستسلام لمطالبهم . ولكن هل يحق للدولة ان تتخذ قرارا مصيريا بهذا القدر دون اجراء نقاش جماهيري ودون الاعلان المبدئي عن ذلك ؟ » . واضاف ان هذا الموقف خطير لانه اذا كان هناك قرار كهذا — فيجب الافصاح عنه ، لتجنب الوقوع في مآزق يمكن ان تحدث في المستقبل ، عندما تواجه شخصيات كبيرة في الدولة مثل هذا الوضع ، ويضطرون للقول « اننا لم نتخذ قط مثل هذا القرار » . واذا فرضنا ، مثلا ، انه « تم أسر رئيس الدولة او الحاخام الرئيسي بأيدي المخربين لاستخدامهم كرهائن ، أفلن تنحرف الدولة عندئذ عن الخط الذي انتهجته بالنسبة لاولاد معلوت او ضيوف سافوي ؟ » (المصدر نفسه) .

وكان من نتيجة عملية سافوى ايضا أن قام بعض كبار ضباط الاحتياط (يوحاي بن نون ، قائد سلاح البحرية سابقا ، ومئير زورياع ، قائد شعبة العمليات سابقا) وبعض نساء الجنرالات (نحاماه ياريف ، زوجة وزير الاعلام السابق اهارون ياريف ، وشوشاناه حوريف ، زوجة الجنرال عاموس حوريف) وبعض المحامين والشخصيات ، بنشر اعلان في الصحف جاء فيه : « طالما لم تنجم هناك ضرورة للحرس المدني في القاهرة وبيروت ودمشق — فان الحرس المدني لن يكفي في تل ابيب وحيفا والقدس » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٧) . ويفهم من الاعلان انه يجب اتباع سياسة العين بالعين والسن بالسن .

وعلق الجنرال (المتقاعد) ابراهام يافيه ، « زعيم » ما يسمى حركة العمل من أجل أرض اسرائيل الكاملة ، على العملية بقوله : « يبدو ان ما حدث في تل ابيب سيعيدنا الى الواقع : عدم الانسحاب ، وعدم الجلاء [عن المناطق المحتلة] ، وان نجهز قبضتنا وننتصب مثل شوك القنفذ » (من مقابلة مع معاريف ، ٧٥/٣/٧) . واما الحاخام مئير كهانا ، زعيم عصبة الدفاع اليهودية فقد حمل حكومة اسرائيل جزءا من المسؤولية حول ما حدث ، وعاد الى المطالبة باستخدام الارهاب المضاد ضد المدنيين العرب في العواصم العربية . وبحسب اقواله ، يجب على حكومة اسرائيل اقامة هيئة يهودية ، تكون مهمتها احباط الارهاب العربي والانتقام من عمليات الارهاب المضادة لليهود . واضاف : « على اسرائيل ان تدرب وتمول هذه الهيئة ، ولكن مع هذا ، يجب ان تنكر كل علاقة معها » . واعلن كهانا ايضا « ان عصبة الدفاع اليهودية تنوي القيام باعمال عنف ضد الدكتور كيسنجر ، لانه ينوي اجبار اسرائيل على الانسحاب من سيناء وتسليمها للمصريين » (يديعوت احرونوت ، ٧٥/٣/٧) .

اسرائيل « عاجزة » عن اغلاق حدودها امام الفدائيين

من أهم النتائج التي ترتبت عليها عملية سافوي في تل ابيب ، اعتراف المسؤولين الاسرائيليين ، وغيرهم بانه لا يمكن اغلاق اسرائيل امام هجمات الفدائيين ، « حتى ولو تم اتخاذ كافة الوسائل الموجودة في العالم » ، وذلك بالرغم من ادعاء الاسرائيليين بان سواحلهم محمية جيدا وان جيشهم وحرسهم المدني على اهبة الاستعداد . ومما يلفت الانتباه ادعاء الاسرائيليين انهم كانوا يتوقعون حدوث مثل هذه العملية ، خاصة في موعد زيارة كيسنجر للمنطقة ، ولكن رغم هذا استطاع الفدائيون تنفيذ العملية التي خططوا لها .

واتهم احد المعلقين المسؤولين الاسرائيليين ايضا بانهم لم يقوموا بالحد الاقصى من الجهد المطلوب للقضاء على هذه العمليات ، رغم ان عملية تل ابيب تشذ — بحسب رأيهم — عن نظرية «العمليات التي لا يمكن منعها » ، « فقد كانت هذه العملية

من النوع الذي تم التخطيط والاعداد له بعناية خلال اشهر كثيرة . وقد تم اختيار الهدف وخط السير والتوقيت بعناية ايضا » . وطرح البعض اسئلة عديدة حول هذه العملية : لماذا لم تكن هناك معلومات ، او على الاقل لم يتوقع امكانية حدوث عملية من البحر ضد تل ابيب قبيل زيارة كيسينجر ؟ لماذا لم يتم اكتشاف السفينة الام وقوارب الكوماندو عندما كانت في طريقها الى الهدف ؟ واذا لم يتم اكتشافها قبل فوات الاوان ، فلماذا لم يكن هناك استعداد من قبل قوات الامن للتحرك السريع من اجل احباط النية في السيطرة على الفندق ؟ وبعد ان سيطروا على المبنى — لماذا مرت فترة طويلة (هناك من يقول ٢٠ — ٦٠ دقيقة) حتى اتضح اي مبنى قد سيطروا عليه ؟ وأين كان الحرس المدني ، الذي يفتخر بوجود ٦٠ ألف متطوع فيه ، ويتجول افراده « مثل الذباب » هنا وهناك ؟ (يوئيل ماركوس — هآرتس ، ١٩٧٥/٣/١٠) .

وانتقد المعلق نفسه اسلوب عمل السلطات في مواجهة هذه العمليات مشيرا الى ان تلك السلطات لا تصبح « ذكية ومجربة » الا بعد « المرة الاولى » من تنفيذ العملية ، ولكنها ما تلبث ان تكتشف ان الفدائيين يغيرون ، في كل مرة ، نوع واسلوب عملهم ، مما يجعله دائما بمثابة « المرة الاولى » بالنسبة للاسرائيليين . والامثلة ؟ — اغلقنا غور الاردن ، فعملوا من الحدود الشمالية . اغلقنا الحدود الشمالية ، فاطلقوا الكاتيوشا المتنقلة . اتبعنا الدوريات ، فجلبوا السيارات الملغومة . اتبعنا فحص السيارات على الطرق من المناطق المحتلة ، فخطفوا الطائرات . حمينا خطوط الطيران ، فهاجموا مفوضيات اسرائيل في الخارج . وأشار الكاتب ايضا الى انه كان على اسرائيل ان تتوقع حدوث عمليات من البحر ، على الشواطىء المستوطنة بكثافة ، وخاصة المدن على امتداد الساحل ، واضاف انه « كان يجب على شبكة الرادار ان تكتشف السفن قبل فوات الاوان . وفي حال عدم اكتشافهم كان يجب ان يكون على امتداد الساحل ايضا جهاز انذار فعال ، وكان يجب ان تكون هناك قوات تستطيع ان تصيب غالبية المخربين لدى انتقالهم من القارب الى الهدف . وليس من المبالغ فيه القول انه لو كان في المنطقة ٣ — ٤ اشخاص من الذين يجيدون اطلاق النار ، فان غالبية المخربين ما كانت لتصل الى الفندق » (المصدر نفسه) .

واشارت دوائر اخرى ايضا الى ان الهجوم على فندق سافوي ليس مرحلة جديدة وليس نهاية المطاف في « الارهاب » العربي ضد اسرائيل ، وان التجديد فيه هو « التخطيط المتقن » . فقد سبق العملية جمع المعلومات حول الهدف وطرق الوصول اليه . ولهذا ينبغي ان يتولى محاربة « الارهاب » اشخاص كفؤين سواء في الوسائل الوقائية أو في العمليات الهجومية ضد الفدائيين ، وكذلك المبادرة الى ضربات متواصلة ضد مراكز الفدائيين (يعقوب كروز — يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٩) .

ومن القضايا التي اثارت ردود فعل عنيفة لدى بعض الاوساط الاسرائيلية ، اثر هذه العملية ، اكتشاف ان خدمات الانقاذ التي يتولاها الدفاع المدني وكذلك المطافىء وغيرها من الاجهزة ، كانت شائبة وعاجزة ، ولم تستطع تأدية دورها في مثل هذه الحادثة البسيطة نسبيا ، اذا ما قورنت بعمليات اضخم . وتساءل البعض : « ماذا يعني هذا الهجوم بالنسبة لهجمات ضخمة في آن واحد بالصواريخ والقصف من الجو ، الذي يمكن ان يحدث حسب اقوال زعماء الدولة والجيش في الحرب القادمة ؟... هناك اربعة مجالات شائبة يمكن ذكرها في طريقة عمل السلطات التي اهتمت بالعملية : الانقاذ والمعلومات والاعلام والسيطرة على الجمهور » (عوزي بنجيمان — هآرتس ، ١٩٧٥/٣/١٠) .

وطالب آخرون باستخلاص العبر من هذه العملية مع الاخذ بالحسبان انه لا يمكن اغلاق الحدود بصورة مطلقة . وكذلك عدم الاستخفاف بمثل هذه العملية ، لان ضخامتها لا تسمح بذلك . « يحظر الاستهانة بهذه العملية ، فهي تتطلب من المخططين والمنفذين اعدادا دقيقا ابتداء من جمع المعلومات واعداد السفن والتدريب وتحديد خط الابحار والتمويه وانتهاء باتخاذ وسائل أمن ميدانية مثل منع تسريب مسبق حول العملية » (المراسل العسكري لصحيفة يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٩) .

العمل الفدائي — الجبهة العسكرية الوحيدة ضد اسرائيل

لاحظت بعض الدوائر الاسرائيلية ازدياد العمليات الفدائية في اسرائيل خلال الاونة الاخيرة، وحذرت من تفاقم الوضع ومن تحول اسرائيل بأسرها الى جبهة قتال . وذكر ، على سبيل المثال ، ان العمليات الفدائية في اسرائيل قد ازدادت خلال شهر شباط بشكل ملحوظ مقابل الشهر الذي سبقه ، فخلال ٢٨ يوما وقعت ١٧ عملية داخل الخط الاخضر ، مقابل ٥ عمليات في شهر كانون الثاني . وبالاضافة الى العمليات داخل اسرائيل ، نفذت ٦ عمليات في الضفة الغربية واثنتان في غزة وواحدة على الحدود اللبنانية (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/٥) . كما اشار البعض الى التحسن الذي طرأ على اساليب الفدائيين القتالية بقولهم انه « من الافضل الا نخفي رأسنا في الرمل ، كما تفعل النعامة ، وان نرى الامور على حقيقتها . فقد طرأ تحسن لدى منظمات التخريب ، ومع انه بطيء لكنه مستمر ، في مستوى وسائل القتال — وخاصة الدافع لذلك . فالرجال مستعدون اليوم للمخاطرة اكثر ... وتتجسد هنا الحقيقة المرة ... كل البلاد — جبهة » (ايتان هابر — المصدر نفسه ، ١٩٧٥/٣/٧) .

وأشارت دوائر اخرى ايضا الى « انه مقابل السنة التي سبقت حرب يوم الغفران يعتبر هذا [النشاط بمثابة] ارتفاع خطير . كما تغير شيء ما في طابع العمليات التخريبية ... ان المجموعات داخل المناطق المحتفظ بها هي التي تقوم بتحضير وتركيب المواد المتفجرة باستعمال المواد الكيماوية المختلفة ... ويظهر انه كلما تم اعتقال مجموعة تنظمت مكانها مجموعة أخرى ... وحدث أن تم اكتشاف مجموعة امضت في السجن عدة سنوات ، وعندما اطلق سراحها عادت وتنظمت مرة اخرى ، ونجحت هذه المرة بتنفيذ عمليات تخريبية » (داني روبينشتاين — دافار ، ١٩٧٥/٣/٤) . « من المثير ان العمليات التخريبية من داخل المناطق في دولة اسرائيل هي الان الجبهة العسكرية الفعالة الوحيدة في الكفاح العربي ... والحوادث الوحيدة هي العمليات التخريبية في الداخل ، الاخذة في الزيادة ، وهذه العمليات تثقل على الحياة في اسرائيل وحتى في المناطق ، اذ تخلق بصورة دائمة ، التوتر والحساسية في كل لقاء يهودي — عربي . وضرورة منع هذه العمليات التخريبية واعتقال منفذيها يعرقل روتين الحياة ، بينما تزيد نتائجها من العداء والمرارة » (المصدر نفسه) .

ولم يخف بعض المعلقين الاسرائيليين مخاوفهم وقلقهم من تصاعد النشاط الفدائي ، وخاصة من انتقال المبادرة الى ايدي الفدائيين . « ان الحرب العنيفة بين اسرائيل والمخربين تتم كلها (وهنا أؤكد : كلها) منذ اشهر عديدة بمبادرة منظمات التخريب . وان اسرائيل بجيشها المتفوق وسلاحها المتطور واستخباراتها المجربة تقوم فقط برد الفعل وتكتفي بالدفاع عن النفس واغلاق « الثقوب » (زئيف شيف — هآرتس ، ٧٥/٣/١١) . والحقيقة هي ان « هذه الحرب الصغيرة قد سببت لنا اضرارا كبيرة جدا . واذا توقفنا لحظة وفكرنا فيما حدث خلال السنتين الاخيرتين ، فسنتأكد انها غيرت الكثير من اسلوب حياتنا ، وبسببها بالذات تحولنا الى شعب محاصر . وبدلا من ان نقوم نحن بمطاردة الفدائيين ، نحيط انفسنا بحزام من الفولاذ . ان ملايين ساعات العمل تذهب سدى في الحراسة ، المشكوك بجدواها ، من قبل الامهات والاباء ... للمدارس ولرياض الاطفال . وقد نجح المخربون بهذه العمليات ، في دفع جهاز كبير من رجال الدفاع المدني الى الاهتمام بهذا الموضوع، بينما يمتنع اولادنا وشبابنا عن التنزه في كل مكان من هذا البلد الجميل ، وبصورة أقل مما حدث خلال فترة نشاط الفدائيين في الخمسينات . وقد اضرت هذه الحرب كثيرا في حركة السياح » (المصدر نفسه) .

أما الحل لهذه الحرب — كما يراه احدهم — فينبغي ان يتركز على قيام القيادة الاسرائيلية بتقديم اقتراح حل سياسي للفلسطينيين يشكل ايضا بديلا ومخرجا من الحرب من اجل اولئك الذين لا يريدونها لديهم . ومن جهة ثانية ، على اسرائيل شن حرب ابادة متواصلة ، اذا لم يقبل الفدائيون المخرج السياسي . كذلك ينبغي ان يصبح الفدائيون السجناء في اسرائيل ، رهائن بايدي اسرائيل ، تقوم بقتلهم عند قتل الرهائن الاسرائيلية (المصدر نفسه) .

حمدان بدر

[٢]

كان من ابرز تطورات الشهر الماضي خطاب الرئيس السادات الذي اعلن فيه ان القناة ستفتح للملاحة الدولية في ١٩٧٥/٦/٥ وهي الذكرى التاسعة لحرب حزيران ١٩٦٧ واغلاق القناة . وتعتبر قناة السويس الشريان المائي الذي يربط دول اوروبا الغربية والشرقية والاتحاد السوفيتي بدول افريقيا الغربية ودول الخليج العربي الغنية بالنفط ، وشبه القارة الهندية والشرق الاقصى ، واليابان واستراليا . لذلك فان هذا الحدث هو مثار اهتمام عدد كبير من الدول بالنظر الى اهمية القناة التي تعطي دول العالم مزايا لا يمكن انكارها . وسنتناول هنا هذا الموضوع بهدف استطلاع تأثير فتح القناة على الصراع .

اعلن الرئيس السادات في الخطاب الذي ألقاه مساء يوم ١٩٧٥/٣/٢٩ في مجلس الشعب ان مصر ستعيد فتح قناة السويس في الخامس من حزيران ١٩٧٥ . ومما قاله بهذا الصدد « ان البعض قد يتوقع ان تبقي القناة مغلقة ، لكننا سنفعل العكس تماما . ان قرارنا هو فتح قناة السويس للملاحة البحرية في الموعد الذي كنا قد حددناه لفتحها وهو حزيران (يونيو) المقبل . سنفتح قناة السويس لخير شعبنا ولخير العالم لاننا لا نريد لشعوب العالم التي تهتم بالقناة معبرا لتجارتها ان تتصور ان شعب مصر يريد عقابها لذنب لم تقترفه » . (النهار — ١٩٧٥/٣/٣٠) .

ويجيء هذا القرار التاريخي في اعقاب تجميد جهود الدكتور هنري كيسينجر وزير الخارجية الاميركية واتصالاته التي اجراها في كل من اسوان وتل ابيب والتي استغرقت ١٧ يوما كاملة من شهر اذار الماضي .

لقد فسر المراقبون هذه الخطوة من جانب مصر على انها دفعة جديدة نحو السلام . اذ ان الرئيس السادات سارع الى اتخاذ هذا القرار واعلانه على العالم في اعقاب فشل جهود السلام في المنطقة والتي حملت اسرائيل كامل المسؤولية في افشالها ، وفي وقت تأزمت فيه العلاقات بين الادارة الاميركية والكيان الصهيوني بعد الرسالة التي وجهها الرئيس الاميركي فورد الى اسحق رابين والتي حمل فيها اسرائيل مسؤولية فشل الجهود ، وفي وقت اعلنت فيه واشنطن — الحليف الوحيد لاسرائيل في العالم القادر على اجبارها على الانسحاب) عن نيتها لاجراء تغيير في سياستها وعلاقاتها بدول منطقة الشرق الاوسط ، وفي وقت تفهم فيه العالم حقيقة الصراع وادرك ابعاد التحرك العربي وحق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه . في حين تلمس من الناحية الاخرى التصلب في الموقف الاسرائيلي وخطورته على السلام في المنطقة . وفي وقت ابدت فيه اوروبا الغربية وبالذات دول السوق الاوروبية، تفهمها للقضايا العربية ، واستعدادها لفتح حوار مع المجموعة العربية لتبادل المنافع المشتركة .

اذا لم يكن القرار مجرد قرار عابر تتخذه مصر لفتح القناة ، فان له دلالاته وابعاده السياسية التي يقصد بها تشديد الخناق على اسرائيل تمهيدا لعزلها حتى عن اقرب المقربين اليها. وعندما اقدمت مصر على تبني هذه الخطوة كانت تعي ابعادها الحقيقية ، وتدرك الفوائد السياسية والاقتصادية والعسكرية التي ستجنيها من خلال ذلك . فالقناة لا تمثل فقط الشريان المائي الرئيسي الذي يربط اوروبا الغربية والاتحاد السوفييتي بافريقيا والخليج العربي والهند والشرق الاقصى واستراليا ، بل تعتبر ايضا عصب الاقتصاد المصري حيث يتوقع ان تؤمن لمصر دخلا سنويا ثابتا يقدر بـ (٦٠٠) مليون دولار اي نحو ثلاثة اضعاف ما كان عليه في عام ١٩٦٦ قبل اغلاقها . ان مصر لا تعول كثيرا من الناحية العسكرية على فتح القناة وان كانت اهميتها الاستراتيجية لا تنكر ذلك لانها وضعت حساباتها وبنت قوتها العسكرية الذاتية وخاضت معركة العبور بدونها واثبتت للعالم انه بامكانها حاضرا ومستقبلا ان تخوض حربها بدون فتح القناة. صحيح ان فتحها سيحسن موقفها العسكري ويعزز نفوذها في البحر الاحمر ، غير ان هذا الاعتبار لم يكن السبب المباشر وراء فتحها ، ان وراء القرار دوافع سياسية واقتصادية رأت مصر ان الوقت قد حان لاستغلالها لمنفعة الدول ذات المصلحة المباشرة من فتحها . ان الخبراء في العالم يدركون ان المكاسب السياسية والاقتصادية التي ستجنيها مصر والمجموعة العربية من وراء فتح

القناة ستكون انفع واجدى في المدى البعيد من المكاسب العسكرية . غير انهم لا يخفون انه سيكون لفتح القناة في الظروف الراهنة فوائد عسكرية عديدة ستنعكس على معركة تحرير سيناء وبالتالي على الحرب برمتها .

لقد حاولت اسرائيل في السنوات السابقة وبتشجيع من الولايات المتحدة استخدام مسألة اغلاق القناة ورقة رابحة وضاغطة على مصر لاجبارها على الاستسلام والتفريط بالقضية الفلسطينية تمهيدا لعزلها عن الامة العربية لكن صلابة الموقفين المصري والعربي افشلا هذا المخطط ان اسرائيل شعرت ان اليوم هو غير الامس ففي حين خارت قواها ووهنت تعززت القوة العربية واصبحت اليوم اقوى منها بالامس . وانه مثلما استخدم النفط سلاحا في المعركة سيستفاد من القناة في المعركة .

اذا ما هي الفوائد التي يمكن ان تجنيها القضية العربية من وراء فتح القناة ؟

الجواب على هذا السؤال يكمن في الحقائق التالية :

١ — ان فتح القناة سيعزز موقف البحرية المصرية ، وسيترك للقيادة العسكرية في مصر حرية العمل في البحرين الاحمر والابيض المتوسط معا . لقد رابطت في البحر الاحمر طيلة السنوات السبع الماضية قوة بحرية مصرية صغيرة محدودة الامكانات القتالية وبقيت هذه القوة طيلة هذه المدة معزولة عن قواعدها الرئيسية لذلك ظلت غير قادرة على العمل ، وبهذا تقلص نفوذ مصر في البحر الاحمر . ان هذا الوضع لم يترك للقيادة المصرية البحرية القدرة على تحريك قطعاتها البحرية بالشكل الذي تتطلبه تطورات المعركة ، ومنعها ذلك من توزيعها في البحرين بما يتناسب والموقف العسكري . لذلك ظلت هذه القيادة بعيدة عن مسرح البحر الاحمر ، في حين تكدست مدمراتها وغواصاتها وزوارقها في ميناء الاسكندرية وظلت بلا واجبات ومهمات ، ان حرية العمل في البحر الابيض المتوسط تظل عملية محفوفة بالخطر مع وجود قطع الاسطول الاميركي السادس ، لذلك فان نشاطاتها في زمن الحرب تبقى محدودة وهذا ما اجبر الاسطول المصري في الحرب الاخيرة على اتباع الاستراتيجية الدفاعية .

ان القيادة البحرية المصرية تدرك ان البحر الاحمر هو مجال نشاطاتها الحربية ومنطقة نفوذها ذلك لانها الاقوى بحريا من كافة الدول التي لها منافذ عليه ، حتى اسرائيل فلا يمكنها ان تجاري مصر في قوتها ونفوذها البحري في هذا البحر . ان فتح القناة سيسمح للقيادة البحرية بتعزيز قطعها المرابطة في قواعدها في رأس غارب ، الغرطقة ، القصير، بمزيد من المدمرات والغواصات والزوارق لاستخدامها في واجبات حربية . وهذا سيوسع مجال نشاطاتها في البحر الاحمر .

ان ازدياد نفوذ البحرية المصرية في البحر الاحمر يعني توسيع عملياتها ونشاطاتها الحربية ضد المواقع والاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل ، وسيتيح لمصر فرصة لتوجيه ضربات قوية لميسرة القوات الاسرائيلية بوسائل مختلفة . لقد منعت مصر من ممارسة حقها في هذا البحر طيلة السنوات السبع الماضية ، فكان من المستحيل عليها ممارسة هذا الحق ذلك لان تعزيز او تبديل قطعها كان يتطلب وقتا طويلا ورحلة حول افريقيا كلها .

لقد تمتعت القوات الاسرائيلية في سيناء بميزة استراتيجية طيلة السنوات التي تلت حرب حزيران حررتها من اعباء كثيرة وساعدتها على الصمود في وجه الهجمات المصرية . ان القاء نظرة على خريطة سيناء تبين بوضوح طبيعة اراضيها الصخرية في الجنوب والصحراوية في الشمال ، لذلك ظلت ميسرة القوات الاسرائيلية وقواعدها في ابو رديس وابو محمد وشرم الشيخ آمنة وغير مهددة . اما الان فستختلف الاوضاع وسيكون بمقدور القوات المصرية بمساعدة من الاسطول تهديد ميسرة الجيش الاسرائيلي وقواعده في الجنوب مما سيضطر القيادة الاسرائيلية الى نقل مزيد من القوات للمرابطة في هذه المواقع والقواعد . فينجم عن ذلك اضعاف للقوات الاسرائيلية المرابطة في الممرات الاستراتيجية في حين سيعزز ذلك من الموقف المصري في الشمال . ان هذا الوضع سيتيح للقيادة المصرية فرصة لتطبيق استراتيجية الهجوم غير المباشر بنجاح تام . ان النقطة الاضعف في جهاز الدفاع الاسرائيلي تكمن في الجنوب في شرم الشيخ وايلات ، لذلك فهذه الحقائق بالاضافة الى ضرورات المعركة القادمة تفرض على القيادة العسكرية المصرية تعزيز الاسطول المصري

في البحر الاحمر . ان اسرائيل لمست خطورة ذلك لهذا ابدت تخوفها في الشهر الماضي من عبور مدمرتين مصريتين القناة في الاتجاهين وفسرت ذلك بأنه انتهاك لنص فك الارتباط واتهمت مصر بأنها تستعد لعمل عسكري .

٢ — ان المعركة القادمة ستأخذ بعدا قوميا اشمل مما تحقق في الحرب الاخيرة . لذلك يمكن لمصر ان ارادت تعزيز موقفها العسكري العام الافادة من القواعد الحيوية والبحرية السعودية . ان زيادة نفوذها في منطقة البحر الاحمر سيؤمن خطوط مواصلاتها مع السعودية ويجعل امكانية نقل القوات والاسلحة والذخائر والامدادات والتعزيزات على اختلافها عملية آمنة . كما وانه سيؤمن تزويدها بمادة النفط الضرورية لآلة الحرب. ان هذا الواقع سيعزز الموقف العسكري السعودي وبالتالي يساعد على اشتراك القوات السعودية في المواجهة القادمة بفاعلية اكبر .

٣ — في حال حدوث تطورات جذرية في الاردن تجعله يدخل حربا قادمة فأن فتح قناة السويس يوفر امكانية الاتصال ما بين الجبهة المصرية والجبهة الاردنية وبالتالي الجبهة السورية بحيث يفتح الباب واسعا امام قيام تنسيق اكثر التصاقا وتواصلا ما بين الجبهات الثلاث .

٤ — لقد عاشت مصر في السنوات التي اعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ تحت ثقل ضائقة مالية خانقة. لذلك يصبح فتح القناة ضروريا ليجعلها تتنفس الصعداء وتتنفس ماليا . اذ سيساعدها ذلك في شراء الاسلحة والمعدات الحربية نقدا وبالعملة الصعبة . وان دخل القناة سيؤمن لها فائضا من العملة الصعبة التي هي بأمس الحاجة اليها .

٥ — ان مجال تحرك مصر في البحر الاحمر اصبح مواتيا الان في اعقاب تقليص نفوذ وسيطرة سلاح الطيران الاسرائيلي في اجواء المنطقة ، في حين تستمر قدرات الاسلحة الجوية العربية وخاصة المصري في التصاعد . ان هذا الواقع سيشجع مصر على استغلال القناة والاستفادة منها في الاغراض الحربية مهما ترتب على ذلك من مخاطر. لقد قال الرئيس السادات « سنفتح القناة ونحن قادرون على حمايتها بقدرتنا نفسها على حماية مدن القناة التي تمنا ونقوم بتعميرها » ثم اضاف قائلا « لقد مضى ذلك العهد الذي كانت فيه المسافات حائلا دون العدوان ، فالامن الان يرتكز على مقدرة الردع ونحن نملك من قوة الردع ما يجعل عدونا يفكر مرتين وثلاث مرات قبل أن يرتكب اي حماقة». اذا ، الموقف المصري سليم وقوي ويسمح بالاستفادة من القناة بدون ما حاجة الى الخوف من ردة الفعل الاسرائيلية . وقد عبر كبير المعلقين العسكريين في صحيفة هآرتس عن هذا الموقف بقوله « ثمة امكانات حقيقية في رؤية مصر تنقل قوات ومعدات عسكرية بكميات كبيرة الى الضفة الشرقية للقناة بعد اعادتها فتح القناة في ٥ حزيران المقبل». واستطرد قائلا « ان مصر قد تقدم في سهولة على هذه الخطوة بحجة انها لا تستطيع حماية القناة اذا لم تفعل ذلك » ثم قال « ان هناك رأيين في اسرائيل الاول يدعو الى مواجهة الوضع الجديد من دون اي تردد والقيام بهجوم ينتهي باحتلال الضفة الشرقية للقناة ، اما الرأي الثاني فانه يدعو اسرائيل الى القيام بانسحاب لمسافة خمسة كيلو مترات في سيناء » لقد خلص معلق هآرتس الى هذه التصورات وهي تصورات منطقية واقعية من وجهة النظر الاسرائيلية وتعبر عن رأي الغالبية العظمى في اسرائيل ، اما على الصعيد الرسمي فاعاد شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي الى الاذهان « اننا موجودون في سيناء ليس لان اسرائيل اغلقت قناة السويس ، بل لان عبد الناصر اغلق مضائق تيران » ويشير هذا القول الى ان اسرائيل ان تخلت عن السويس فلن تتخلى عن شرم الشيخ .

٦ — ان فتح القناة يعني الرخاء والفائدة لدول المنطقة وتحديدا جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية المتضررة الاولى بعد مصر من اغلاق القناة . ان ذلك سينعش ميناء عدن ويدب الحياة فيه وبالتالي ينقذ الاقتصاد اليمني الجنوبي ويخرج هذا البلد من الضائقة المالية التي ينوء تحتها . ان تعزيز اقتصاد هذا القطر العربي الذي يسيطر على مدخل باب المندب سيكون فيه كل الفائدة للقضية العربية وللصراع ضد العدو . ان تعزيز اوضاعه المالية بحصوله على العملات الصعبة لقاء الخدمات التي يقدمها في ميناء عدن للسفن القاصدة اوروبا والشرق الاقصى واستراليا واليابان سيتيح له فرصة لشراء الاسلحة وبناء قواته على اسس حديثة

ويجعله قادرا على الاسهام بالقتال متى اندلع بطريقة ايجابية .

٧ — ان فتح القناة سينقذ اوروبا الغربية ويخرجها من دوامة الازمات الاقتصادية وبالتالي يزيد العلاقات معها وثوقا . ان هذه الاوضاع ستساعد اوروبا الغربية على الصمود في وجه الضغوط الخارجية التي تمارس ضدها والتي تسعى الى ابقائها ضعيفة مفككة . لقد تضررت القارة الاوروبية كثيرا من اغلاق القناة فقطعت خطوطها البحرية السريعة التي تربطها بشرقي افريقيا وبجنوب شرقي اسيا . كما انقطع عنها النفط فسبب لها ذلك مشاكل اقتصادية خطيرة . ان فتح القناة سيلقى ترحيبا من المجموعة الاوروبية واكبر دليل على ذلك ما قاله ناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية « ان الحكومة البريطانية ترحب بقرار الرئيس السادات اعادة فتح القناة في ٥ حزيران ». واضاف هذا المصدر قائلا « ان القناة تتيح مزايا لا يمكن انكارها . اما في باريس فاعلن ناطق باسم قصر الاليزيه « ان الرئيس فاليري جيسكار ديستان يعتبر ان قرار السادات بشأن فتح القناة يظهر حكمة رجل الدولة ومسؤوليته » ان اوروبا الغربية بتأثير من فرنسا تتجه الان لتوطيد علاقاتها بالعالم العربي ومهما قيل فسيكون للموقف الاوروبي تأثير على الصراع ودور تؤديه حتى ولو اقتصر ذلك على التأييد السياسي وشحنات الاسلحة التي تمد بها الدول العربية .

٨ — لقد ظل الاتحاد السوفيتي صامتا طيلة هذه السنوات مع انه كان من اكثر المتضررين استراتيجيا على كافة الاصعدة . ان المر يعتبر ذا فائدة استراتيجية للاتحاد السوفياتي وان فتحه سيساعد على تعديل ميزان القوى في المحيط الهندي وسيسمح للسوفييت بتعزيز قطعهم البحرية المرابطة في المنطقة بدون ما حاجة للالتفاف حول الرجاء الصالح . كما وانه سيسمح لهم بالوصول الى شبه القارة الهندية بسهولة . وتعي الولايات المتحدة هذه الحقائق الامر الذي قد يضطرها الى اعادة النظر في سياستها الدولية بما في ذلك سياستها تجاه المنطقة العربية .

هذه هي الفوائد والمنافع التي ستجنيها مصر والدول العربية والصديقة من وراء فتح القناة التي بلا ادنى شك ستمين الاقتصاد المصري وتعزز موقع مصر العسكري ؛ اما بالنسبة لاسرائيل فهي غير متحمسة لفتح القناة فهي لن تفيدها شيئا فقد اعلنت مصر مرارا انها لن تسمح للسفن الاسرائيلية والسفن الاجنبية التي تحمل بضائع لاسرائيل او بضائع اسرائيلية بالمرور من القناة الا بعد انسحابها من الاراضي العربية واعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في ارضه .

الرائد الطيار حسين عويضة

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٣/١٣ — ١٩٧٥/٤/١٠

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
١	٢/١١	٢١٠٠	طريق نابلس — جنين	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٨١	٣/١٤
٢	٢/٢٢	٢٢٠٠	بين سيلة الظهر والبرازية/جنين	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٨١	٣/١٤
٣	٢/٢٨	—	برقة/جنين	تفجير	ألغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة دورية عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٨١	٣/١٤
٤	٣/١٣	—	بيت لحم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى بنك لئومي بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٨٢	٣/١٨
٥	٣/١٣	—	طمون/نابلس	القاء تنبلة	تنبلة يدوية	غيرمحدد	—	—	—	—	رقم ٧٥/٨٢	٣/١٨
٦	٣/١٧	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة مؤقتة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع الورق في شارع جيبوري اسرائيل وأتت على جميع محتوياته من الآلات والمواد الخـام	—	—	—	رقم ٧٥/٨٣	٣/١٨
٧	٣/١٧	١٨٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى أحد مكاتب المخابرات بأضرار واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٨٣	٣/١٨
٨	٣/١٦	—	منطقة بيت حنينا	تفجير	عبوات ناسفة	—	تم اكتشاف العبوات قرب معســكر لتدريب الجيش وأبطل منعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٨٤	٣/١٨
٩	٣/٢١	٧٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مجمع الكهرباء المركزي الواقع في حي الثـورة بالقــدس	—	—	—	رقم ٧٥/٨٥	٣/٢٢

١٠ — ٣/٢١	—	تل ابيب(١)	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	تدمير واحراق مصنع للاصبغة	—	—	—	رقم ٧٥/٨٥	٣/٢٢
١١ — ٣/٢٢	—	حولون	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مبنى يسكنه أحد ضباط جيش العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٨٥	٣/٢٢
١٢ — ٣/٢٢	١٢٣٠	سمخ	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة اهداف حيوية في المدينة	—	—	—	رقم ٧٥/٨٧	٣/٢٣
١٣ — ٣/٢٣	—	تل باروخ	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير واحراق مصنع اجنيليسيم للورق والكرتون بمعداته ومخازنه وامتدت النيران الى المحلات المجاورة	—	—	—	رقم ٧٥/٨٩	٣/٢٣
١٤ — ٣/٢٣	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوات داخل باب الخليل وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/٨٩	٣/٢٣
١٥ — ١٦—٣/١٧	—	على طريق معسكر جولس	هجوم	تذائف صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير سيارة لاندروفر عسكرية وآلية ونصف مجنزرة	—	—	—	رقم ٧٥/٨٦	٣/٢٢
١٦ — ٣/٢٨	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة ايجد يسير على الخط رقم ١٢	—	—	—	رقم ٧٥/٩٠	٣/٢٨
١٧ — ٣/٢٨	١٢٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة محل تجاري في شارع يافا بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٩٠	٣/٢٨
١٨ — ٣/ ٥	—	بئر السبع	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مصنع مختشيم وامتداد النيران الى خزانات الوقود فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٩١	٣/٢٨
١٩ — ٣/٣٠	٨٠٠	بين سمخ وجسر المجامع	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة عدد من افراد دورية العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٩٢	٣/٣٠
٢٠ — ٣/٣٠	٨٣٠	اور يهودا/رمات غان	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/٩٣	٣/٣٠
٢١ — ٣/٣١	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير المختبرات العسكرية (هاتشيم شيبا) في تل هاشمير واشعال النيران فيه	—	—	—	رقم ٧٥/٩٤	٣/٣١
٢٢ — ٣/٢٤	—	اريحا	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة افراد دورية للعدو بين قتيل وجريح	—	—	—	رقم ٧٥/٩٥	٤/ ١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٢٣	٣/٢٧	—	منطقة الديوك/ شمال اريحا	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		اصابة عدد من آليات العدو	—	—	—	رقم ٧٥/٩٥	٤/ ١
٢٤	٣/٣١	١٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية في شارع بن ميمون وقتل وجرح من فيها	—	—	—	رقم ٧٥/٩٦	٤/ ١
٢٥	٣/٣١	٨٠٠	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة مبنى البريد المركزي بأضرار بالغة	—	—	—	رقم ٧٥/٩٧	٤/ ٣
٢٦	٣/٣١	—	دورا	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		تدمير مبنى البريد في دورا	—	—	—	رقم ٧٥/٩٧	٤/ ٣
٢٧	٤/ ٣	١٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير أجزاء كبيرة من نادي ماندي الليلي	—	—	—	رقم ٧٥/٩٨	٤/ ٤
٢٨	٤/ ٣	—	بيت اورين(٢)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اشعال النيران في صهاريج الوقود الاحتياطية التابعة لاحد معسكرات دبابات ومشاة العدو وامتدادها الى المعسكر ومخازن الذخيرة	—	—	—	رقم ٧٥/٩٩	٤/ ٤
٢٩	٤/ ٤	—	معسكر كرداني/ جنوب عكا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مستودع ذخيرة الدبابات ومقر قيادة اللواء المدرع (عاموس) واتلاف كميات كبيرة من المواد الخام لصنعي القطن والصيني في المنطقة	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٠	٤/ ٤
٣٠	٤/ ٧	—	العفولة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير واشعال النيران في مبنى المخابرات في المدينة	—	—	—	رقم ٧٥/١٠١	٤/ ٧

٣١ — ٦ /٤	—	جيشر/جنوب بحيرة طبريا	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت في المستوطنة	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٢	٨ /٤
٣٢ — ٧ /٤	١٨٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوات وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٣	٨ /٤
٣٣ — ٨ /٤	١٩٠٠	هرتسليا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في مخزن فندق أكاديا وامتدادها الى الطابقين الاول والثاني	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٤	٩ /٤
٣٤ — ٨ /٤	—	الخليل	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوة في بنك لئومي وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٤	٩ /٤
٣٥ — ٩ /٤	٧٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوات في المنطقة الصناعية وأبطل مفعولها	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٤	٩ /٤
٣٦ — ٦ /٧	—	شمار هاجولان	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٥	٤/١٠
٣٧ — ٤/١٠	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير سيارة لاحد ضباط العدو في حي سان هدريا واصابة المباني والمحلات المجاورة بأضرار	—	—	—	رقم ٧٥/١٠٦	٤/١٠

---

١ — اعترف العدو بأن حريقا شب في المصبغة وان رجال الاطفاء حالوا دون امتداد النيران الى مخزن مواد قابلة للاحتراق (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٧٨٣ ، ص ٥٦٦ بتاريخ ١٩٧٥/٣/٢٢).

٢ — اعترف العدو بأن الحريق كان بسبب اعمال بعض الفتيان الذين لم يخمدوا النار التي أشعلوها في الحرش بشكل جيد . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، العدد ٧٩١ ، الصفحة ٥١ ، بتاريخ ١٩٧٥/٤/٤).

— أصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بلاغا رقم ٧٥/٨٨ بتاريخ ٣/٢٣ حول محاولات العدو لدخول منطقة كفرشوبا اللبنانية وتصدت قوات الثورة له كما أشار البيان الى قصف العدو لتلك المنطقة . وقد استشهد من جراء ذلك خمسة مناضلين .

— اعتقلت سلطات الاحتلال خلال شهر آذار الماضي سبعة واربعين مواطنا عربيا على اثر العمليات التي قام بها ثوارنا وقد ورد ذلك في تقرير مجمل العمليات لشهر آذار الذي يصدر عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية . وقد شملت هذه الاعتقالات : جنين ٦ ، نابلس ٢ ، القدس ورام الله ١٤ ، فلسطين المحتلة عام (٤٨) ٣ ، الخليل ١٢ ، غزة ١٠ .

ملاحظة : تصدر التصريحات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٣/١٣ — ١٩٧٥/٤/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٣/١٦	١٤٠٠	منطقة بيت حنينا	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	لم تقع أية اضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٧٨،ص٤٢٢	٣/١٧
٢	٣/٢١	٦٣٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	٢	لم تقع أية اضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٨٢،ص٥٦٠	٣/٢١
٣	١/٢٢	—	حولون	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	وقع الانفجار في الطابق الثاني من مبنى سكني	—	—	—	ن٠عدد٧٨٣،ص٥٧٣	٣/٢٢
٤	٣/٢١	—	جبل دوف	اشتباك	أسلحة رشاشة	—	—	—	٣	—	—	ن٠عدد٧٨٤،ص٦٢٤	٣/٢٤
٥	٣/٢٣	—	جبل دوف	اشتباك	أسلحة رشاشة	—	—	—	٢	—	—	ن٠عدد٧٨٤،ص٦٢٤	٣/٢٤
٦	٣/٢٨	١١٢٠	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	١٣	اصابة باص بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٨٨،ص٦٩٥ —٦٩٦	٣/٢٩
٧	٣/٢٨	١١٢٥	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة دكان بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٨٨،ص٦٩٤	٣/٢٩
٨	٣/٢٣	—	اريحا(١)	—	—	—	—	—	—	—	٥	ن٠عدد٧٨٨،ص٦٩٥	٣/٢٩
٩	٤/ ٩	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في المنطقة الصناعية وابطل مفعولها	—	—	—	ن٠عدد٧٩٥،ص١٨٨	٤/ ٩
١٠	٤/ ٩	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	لم تقع أية أضرار	—	—	—	ن٠عدد٧٩٥،ص١٨٨	٤/ ٩

١ — تم اعتقال خمسة فدائيين في مغارة شمال المدينة .

ن — نشرة رصد اذاعة اسرائيل تصدر يومياً عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

المذبحة في نيسان

عصام سخنيني

١ – تأملات في الخلفية

مذبحة الثالث عشر من نيسان التي ذهب ضحيتها نحو ثلاثين فلسطينيا، بخلاف مئات القتلى والجرحى الذين اثقلوا الايام اللاحقة ، لا يمكن تفسيرها الا ضمن اكتشاف المكونات السياسية والاجتماعية – الاقتصادية التي أوصلت الى قيام مجموعة من حزب الكتائب بارتكاب هذه المذبحة التي ستظل أحد ابرز المعالم المأساوية في التاريخ الفلسطيني. فهذا الحقد ، لا يجد له تبريرا في الاسباب المباشرة التي زعم انها كانت وراء الحادث ، وانما هو حصيلة تراث يشرش في البنية الاجتماعية والسياسية للحزب ونظرته الشاملة الى ، وبالتالي تعامله مع ، القضايا الاجتماعية والسياسية المطروحة ليس في لبنان فحسب وانما في المنطقة باجمال .

ان الاساس الذي اقيمت عليه بنية الحزب هو الطائفية . وبعيدا عن استرجاع مراحل النشوء فان الطائفية راهنا مرتبطة أشد الارتباط بالوضع الطبقي في لبنان . فالمكون الطبقي هنا بارز المعالم تفضحه النظرة الاستبارية للاحزاب الطائفية في لبنان التي تكشف ان كوادرها العليا واطاراتها القيادية تسربت من شرائح البرجوازية العقارية والكمبرادورية التي هي في النتيجة المستفيدة الوحيدة من وجود الطائفية التي تكرس هيمنتها الاجتماعية والسياسية . ان تسييس الدين ، في الطائفية ، وتحويله من نظام روحي الى مؤسسة سياسية ، يخدم دعاة الطائفية لجهة وضع بديل عن الانتماء للشعب بمفهومه القومي ، بالانتماء الى الطائفة وبالتالي الولاء للزعامات الطائفية وتكريس وضعها القيادي المسيطر . وتستفيد هذه الزعامات داخل الطائفة الواحدة من تنمية النزعات الطائفية في كبت أي تحرك مضاد لمواقعها من خلال الادعاء بـ « وحدة » الطائفة ومنع انقساماتها الداخلية تحت طائلة التهديد بـ « الخطر » الذي يأتيها من الطوائف الاخرى . ومن جانب آخر ، فان هذه الاطارات القيادية – بحكم مواقعها الطبقية – تسعر الحقد الطائفي للانحراف بالوعي الطبقي والحس بالاضطهاد لدى الطبقات الفقيرة وتوجيهه نحو نزاع طائفي يخدر النضال الطبقي ومن ثم يبقى الهرم الاجتماعي على حاله لا يمس . ان حرب الطوائف ، لا تعايشها ، هو أبرز عناوين الطائفية، وهو الاطار القادر وحده على تجميد النضال الاجتماعي وحبسه دون التفجر في وجه الطبقات الاستغلالية الاحتكارية في المجتمع التي أبرز رموزها الاطارات الطائفية العليا .

ان هذا الوضع مسؤول عن ان البرجوازية اللبنانية لم تحقق الانجازات التاريخية التي حققتها البرجوازيات في المجتمعات الاخرى . فالاستقلال الوطني والوحدة في اطار الدولة القومية يعتبران (بالاضافة الى التصنيع) أبرز الانجازات التي تحققها البرجوازيات الوطنية ، غير ان البرجوازية اللبنانية ان نجحت جزئيا في تحقيق الاستقلال الوطني بمظاهره العامة ، فقد فشلت في تحقيق الوحدة في اطار الدولة القومية (وحدة الشعب) ، وظل الانتماء الى هذه الوحدة ، والاحساس بها وممارستها فعلا ، ادنى بدرجات من الولاء للطائفة.

ان ما سبق يتمثل كثيفا في الكتائب – الطائفية المنشأ والممارسة . وان تأكيد اطاراتها العليا وهي التي رشحت من شرائح البرجوازية الكمبرادورية ، وادبياتها على تدعيم النظام الاقتصادي اللبناني (على الرغم من انه اقتصاد رأسمالي مهترىء) ، والتغني بـ « التجربة اللبنانية » يكشف طبيعة البنية الطبقية لهذه الاطارات . وتتأكد هذه الحقيقة بالممارسة في المواقف السلبية التي تقفها الكتائب عادة من النضالات المطلبية للجماهير اللبنانية . غير ان ثمة جانبا آخر تنميه الكتائب في المسألة الطائفية غير منفصل عما سبق هو التركيز على « خصوصية » الوضع في لبنان ، بسبب وجود الطائفية فيه ، وتفرده عن اوضاع الوطن العربي . واذا وجدت

في الماضي معطيات تاريخية نجمت عن تدخل الدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر في شؤون الوطن العربي قد شكلت هذه « الخصوصية » وسعت الى ترسيخها ، فان القصد منها الان ، استنادا الى هذا التراث التاريخي الذي زالت مبرراته المباشرة ، هو وضع سد منيع أمام التطورات الاجتماعية والسياسية التي تجتاح الوطن العربي لتمنعها من النفاذ الى داخل البنية الاجتماعية — السياسية اللبنانية بهدف المحافظة على الاوضاع القائمة كما هي والتي تستفيد منها بشكل وحيد وبالحصر الطائفية — البرجوازية . على هذا الاساس يمكن تفسير المعادلة التي تطرحها الفئات الانعزالية في المجتمع اللبناني ، وفي المقدمة منها حزب الكتائب ، التي تدعو الى : اللبنانية — مقابل — القومية العربية ، بأن « اللبنانية » هنا تعني الطائفية البرجوازية التي تهددها بالتأكيد التطورات الاجتماعية والقومية في سائر ارجاء الوطن العربي . ان « الخوف من العروبة » لا يمكن ان يكون له تفسير ديني ما دامت العروبة علمانية في الاساس ، كما ان « الخوف التاريخي » الموروث من المجازر التي حدثت في لبنان في القرن التاسع عشر كانت أسبابه الحقيقية طائفية في ظل غياب الوعي القومي . وهكذا فلا يمكن تفسير تنمية الاحاسيس الغامضة بالخوف من العروبة لدى الكتائب الا بانه خوف على المصالح الطبقية لدى الاطارات العليا وبأنه دفاع عن مواقعها وامتيازاتها .

الى أي مدى يمكن ان يرتبط وضع كهذا بالمؤثرات الخارجية ؟ في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى عندما كان « الرجل المريض » يحكم الوطن العربي وعندما كانت الدول الاوروبية تسعى الى مد نفوذها الاستعماري في وطننا العربي ومن ثم تتشوق الى اقتسام تركة « الرجل المريض » ظهر تقليد مارسته بعض دول اوروبه يهدف الى بسط « الحماية » على الاقليات الدينية في هذا الوطن . واذا كان الوعي القومي والنضال الذي خاضته الجماهير العربية في تاريخها المعاصر ضد أشكال الاستعمار قد ابطلا هذا التقليد ، فقد ورثه غلاة الطائفية الذين يجدون ان ارتباطهم بالاجنبي » يوفر لهم نوعا من الحماية يحافظون في ظلها على مصالحهم ، ويقدمون مقابلها خدمات « للاجنبي » بوضع انفسهم ضمن دائرة ارادته ورهن اشارته. ولقد كان استدعاء رجال الاسطول الاميركي في الحرب الاهلية في العام ١٩٥٨ أبرز الامثلة الدالة على هذه الحقيقة .

غير ان الارتباط بالمؤثرات الخارجية يتجاوز في ظل واقع الاقتصاد الرأسمالي اللبناني الراهن معطياته التاريخية ويتقولب بفعل مؤثرات نابعة من بنية الاقتصاد نفسه وانعكاساتها على تشكيل البرجوازية اللبنانية . لقد نمت الشريحة المؤثرة في البرجوازية اللبنانية (نعني الكمبرادور) ضمن اطار بنية اقتصاد رأسمالي متميز بأنه اقتصاد خدمات بالدرجة الاولى. وقد ازدهرت هذه الشريحة المؤثرة في ظل هذا الاقتصاد باعتبارها شريحة وسيطة بين مصادر البضائع والرساميل في اوروبه الغربية واميركه وبين الاسواق المحلية في لبنان وبعض الاقطار العربية كذلك . ان اقتصاد الاستيراد هذا كون ليس المعالم الاقتصادية للبرجوازية اللبنانية فحسب وانما كذلك ملامحها السياسية من حيث ارتباطها المصلحي بالسوق الرأسمالية الاوروبية الغربية — الاميركية وبالتالي تبعيتها السياسية لهذه السوق . واذا أخذت المكونات الطبقية للطائفية في الاعتبار يمكن التوصل الى النتيجة التالية : ان ارتباط غلاة الطائفية بـ « الاجنبي » محكوم ، في الجانب المؤثر منه ، بطبيعة البنية الاقتصادية اللبنانية وافرازاتها السياسية .

ان هذا العرض الذي سبق يوضح الموقف الكتائبي من المقاومة الفلسطينية وعلى أرضية هذا التحليل سنعرض لهذا الموقف :

على الرغم من ان حركة المقاومة جعلت احد أسس تعاملها مع الدول العربية عدم التدخل في شؤونها الداخلية ، الا ان وجود المقاومة نفسه في لبنان — كما في غيره من الاقطار العربية حيث الوجود الفلسطيني كثيف — كان لا بد ان يفعل في اتجاهين :

الاتجاه الاول ان الحضور الفلسطيني (الفلسطيني بمعنى الارتباط بالحركة الثورية الفلسطينية) في تماسه اليومي المباشر مع المؤسسات المعبرة عن البنية القومية للمجتمع يعمل نحو التأثير

في هذه البنية التي ، من خلال العلاقة الجدلية ما بينها وبين البنية التحتية ، ستحدث تغييرات فيها بحيث تتأثر تركيبتها الاجتماعية — الاقتصادية. وهذه التغييرات الناجمة عن تأثيرات المقاومة بهذا الطريق ستكون محكومة بتنظيرات المقاومة الجذرانية على الاغلب والتقدمية دائما ، وبذلك فان أي تغيير هنا في الوضع القائم سيكون لخير مصلحة الطبقات المتربعة على قمة الهرم الاجتماعي والتي تكمن مصلحتها في المحافظة على بقاء النظام الاقتصادي الراهن بكل ما يوفره لها هذا النظام من امتيازات ستخسرها هذه الطبقات مع نمو الوعي الجذراني / الثوري لدى الطبقات المضغوطة في قاعدة الهرم . ومن هنا فان الكتائب — وهي الرمز الاكثر تعبيرا عن البرجوازية الطائفية — في تصديها للحضور الفلسطيني الثوري ، انما هي تسعى — في سبيل المحافظة على مواقعها الطبقية وامتيازاتها — نحو القضاء على بؤرة ثورية تنشر « عدواها » في ما جاورها وتخلق بمجرد حضورها في ثنايا المجتمع اللبناني وعيا ثوريا تقدميا هو في محصلته ليس في مصلحة البرجوازية الطائفية . بتعبير آخر فان تصدي الكتائب للمقاومة انما هو لوأد تجربتها الثورية وكبح هذه التجربة من الامتداد الى داخل البنية الاجتماعية اللبنانية الراهنة التي تضمن للاطارات العالية في الحزب مكاسب طبقية وشخصية واسعة .

نضيف مبررا آخر في هذا السياق هو « الخوف من العروبة » بالتفسير الذي ذكرناه سابقا . والعروبة تراث نضالي للشعب الفلسطيني منذ ان وعى خطورة الحركة الصهيونية ليس على وطنه الصغير فحسب وانما على الوطن العربي والامة العربية بأسرهما . والحضور الفلسطيني العربي في لبنان بالافكار العربية والدعاوى القومية التي يبثها حوله — بممارستها فعلا ومن خلال المراكز السياسية والمنابر الفكرية والاعلامية والتعبوية — ينمي في الجماهير اللبنانية وعيها القومي ويشد انتماءاتها الى الامة العربية وقضاياها . ومع نمو الوعي القومي وتعزيز الالتزام بالقضايا العربية الاجتماعية والسياسية يشتد الخوف لدى الحزب الطائفي البرجوازي الذي حققت كوادره العليا مكاسبها واستطاعت الحفاظ عليها من التعيش على « خصوصية » الوضع في لبنان وحراستها من التطورات الاجتماعية والسياسية العربية . وهكذا فان وقوف الكتائب في وجه المقاومة الفلسطينية انما هو ، في هذا الجانب منه ، صراع للجم النماء القومي في لبنان من خلال ضرب أحد مراكزه الاشد تأثيرا .

يضاف الى ذلك ان ما يزيد من « خوف » الانعزالية الكتائبية المقولة التي أصبحت جزءا اساسيا في التراث النضالي العربي والممارسة الثورية الفلسطينية الراهنة عن ان خطر الصهيونية يتجاوز حدود الوطن الفلسطيني الى الامة العربية، وهي مقولة اساسية اشتقت منها اثنتان : الاولى ان مسؤولية الوقوف في وجه الغزوة الصهيونية مسؤولية عربية بالاضافة الى انها فلسطينية والثانية مقولة الامن القومي مقابل الامن الاقليمي. والاثنتان تضعان لبنان باعتباره جزءا من الوطن العربي في قلب الصراع وتلزمانه، مع تبني الجماهير اللبنانية لهما ، باحتضان المقاومة — في ادنى الدرجات — وتقبل النتائج الناجمة عن ذلك . وبجانب ان هذا الامر يصدم الانعزالية الكتائبية في الصميم من ايديولوجيتها الطائفية ، فهو كذلك يعيق نمو الارباح التي تجنيها البرجوازية الكمبرادورية التي ازدهرت في ظل اقتصاد الخدمات وهو أكثر انماط الاقتصاد تأثرا بعدم الاستقرار الذي يسببه ولا شك انخراط لبنان في الصراع وتحمل تبعاته . ولان الوطن في عرف البرجوازية الطائفية يقع ضمن حدود مصالحها فقط فهي معنية بصراع وحيد يكفل لها بقاء هذه المصالح دون ان تمس ، نعني الصراع الموجه نحو اخراج المقاومة من لبنان .

الاتجاه الثاني ان حركة المقاومة على الرغم من انها تعلن انها تقيم علاقاتها مع جميع القوى العربية على قدم المساواة ، الا انها باعتبارها حركة وطنية تقدمية لا تقف امام مفارق الطرق لحظة لتقيم تحالفاتها العربية التي تتجه بسبب هاتين الصفتين الملازمتين لحركة المقاومة ، نحو الحركات والقوى الوطنية التقدمية العربية . وفي لبنان حدث لقاء طبيعي بين هذه القوى من جهة وحركة المقاومة الفلسطينية من جهة ثانية ، الاولى محكومة بمواقفها تجاه القضية الفلسطينية وضرورة تدعيم حركة التحرير الفلسطينية ، والثانية متطلعة

الى الآفاق العربية للنضال من أجل فلسطين وضرورة زج القوى العربية الوطنية في الصراع الدائر . وقد وجدت حركة المقاومة الفلسطينية في تحالفاتها مع القوى الوطنية اللبنانية دعما لوجودها في لبنان ، كذلك احاط هذا التحالف الوجود الفلسطيني الثوري بسياج شعبي لبناني دفع عنه الاذية في عدد من الصراعات التي فرضت عليه . مقابل ذلك وجدت الحركة الوطنية اللبنانية في الوجود الفلسطيني تعزيزا لمواقعها النضالية فهو الحليف الاقوى والاكثر قدرة على حماية الذات الوطنية في وجه الحملات المضادة . وعلى الرغم من ان حركة المقاومة تعلن دائما انها لا تتدخل في الصراعات الداخلية في الدول العربية ، وهي صادقة في ذلك ، الا ان حضورها نفسه واشهارها تحالفها مع القوى الوطنية في لبنان يوفر الحماية الكافية التي تمنع القوى المضادة من تجربة حظها في التصدي لتلك القوى . وحتى لو حدث ذلك فان المقاومة لن تتخلى عن حلفائها الطبيعيين ، فان الحياد في هذه الحالة هو حياد ما بين السكين وعنق الضحية الذي هو تواطؤ مع السكين .

هذه الحقيقة تجعل المقاومة تقع ضمن دائرة الحقد المضاد للحركة الوطنية اللبنانية ما دامت القوى المضادة ، وفي طليعتها الكتائب ، تدرك ان المقاومة تمثل الظهر الاشد اسنادا لهذه الحركة . وبذلك فان التصدي للمقاومة هو ، في هذا الجانب منه ، محاولة لاضعاف الظهر بهدف الاستفراد نهائيا بالحركة الوطنية اللبنانية وتصفية الحساب معها .

ان هذا التحليل ينبغي الا ينفصل عما يدبر للمقاومة الفلسطينية في الخارج . فاذا كان قد ثبت من خلال مجزرة ايلول ١٩٧٠ وما تبعها من تصفية الوجود المقاوم في الساحة الاردنية ان الايدي « العربية » التي نفذت المجزرة كانت أدوات بأمرة اميركية ، فان الاسلحة الكثيرة والثقيلة التي شوهدت في ايدي الكتائب في مذبحة نيسان تشير بالتأكيد الى مصدرها . واستنادا الى التحليل الذي سبق عن ارتباط البرجوازية الطائفية بالمؤثرات الخارجية فلا يبقى مجال للشك فيمن وراء المذبحة .

ان الحقد الذي تبدى في المذبحة صنعته بنية الحزب نفسه فاطارات الحزب العليا ، من أجل الدفاع عن مصالحها ، اقامت تنظيما فاشيا عبأته بالكراهية لكل ما يتعارض مع هذه المصالح . ومن اللافت للنظر ان الكتائب هي الحزب «العربي» الوحيد الذي نهج بأفكاره وممارساته أفكار وممارسات الفاشية التي ظهرت في النصف الاول من هذا القرن ، والتي رافقها نشوء الحزب نفسه ، دون ان يتأثر بالتيارات السياسية والفكرية والعقائدية الحديثة . لقد ظلت أبوابه مغلقة على جمود عقائده وقياداته الثابتة مستغلة الطائفية للحفاظ على استمرار سيطرتها على الفكر والممارسة . وبهذه القيادات المستعدة للقتال حتى الموت في سبيل مصالحها الطبقية والشخصية، جرى توجيه الحقد نحو المقاومة ، الحقد الفاشي « الانضباطي » الذي ظهر في مذبحة نيسان وكأنه احتراف الجريمة .

٢ — الاحداث

اليوم الاول ١٣ نيسان : روت لجنة الاعلام المركزية في الجبهة الديموقراطية بداية الحادث كما يلي « صباح اليوم اعترض حاجز أقامه أفراد مسلحون من حزب الكتائب في عين الرمانة سبيل المارة وقام افراده بقطع الطريق واطلاق النار وترويع المنطقة » واضافت ان هؤلاء اوقفوا «سيارة فولكسفاكن تعود الى الجبهة الديموقراطية ويقودها سائق مدني أعزل وأطلقوا عليه النار فأصابوه برصاصتين » . وقد كانت هذه البداية في نحو الساعة الحادية عشرة . وفي الواحدة بعد الظهر حدثت المجزرة . فقد صرح مصدر مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.) ، انه « في المحلة نفسها واثناء مرور احدى سيارات الباص التي تقل عددا من المواطنين الفلسطينيين الذين شاركوا في الاحتفال بذكرى شهداء الخالصة الابطال تعرضت السيارة التي كانت في طريقها الى مخيم تل الزعتر لاطلاق كثيف من مكامن نصبتها عناصر من حزب الكتائب بتدبير مسبق » . وقد ذكر بيان للجبهة الشعبية — القيادة العامة انه سقط برصاص الكتائب نحو ٣٢ بين قتيل وجريح (احصاء اولي). أما البيان الرسمي الذي أصدره وزير الاعلام اللبناني فذكر انه « حصل خلاف بين لبناني ينتمي الى احدى المنظمات الفدائية مع بعض ابناء المحلة [عين الرمانة] مما ادى الى جرح الفدائي

المذكور ونقل الى المستشفى . وبعد فترة وجيزة مرت سيارة فيات في المحلة نفسها فتبادل ركابها اطلاق النار مع المسلحين الذين انتشروا في الشارع نفسه فنتج عن ذلك مقتل اللبناني جوزف ابو عاصي [كتائبي] . توتر الجو في تلك المحلة وصادف مرور سيارة اوتوبيس تقل فدائيين فاطلقت عليهم النيران وقتل معظم ركابها وبعض الاشخاص العابرين فبلغ عدد القتلى ٢٢ قتيلا » . غير ان الانباء الصحافية ذكرت ان عدد القتلى بلغ ٢٦ قتيلا وان مسلحي الكتائب أطلقوا النار على الجرحى وشوهوا الجثث . كما أطلقوا الرصاص بغزارة على سيارة الاسعاف التي جاءت لتقل الجرحى .

على اثر حادث الباص أقيمت حواجز في عين الرمانة وعدد من المناطق في بيروت والضواحي ، واعلنت قيادة الثورة الفلسطينية «تحميل قيادة حزب الكتائب المسؤولية » وأعرب مصدر مسؤول في م.ت.ف. عن الامل في « ان يوضع حد فوري لتواجد المسلحين من الكتائب في عين الرمانة وغيرها وان يمنع تعرضهم المجرم للمواطنين الابرياء » . وفي الوقت نفسه وجه الاخ ابو عمار برقية الى الملوك والرؤساء العرب قال فيها : « ان المجزرة الدموية التي نفذتها عصابات حزب الكتائب المسلحة ضد أبناء شعبنا الابرياء العزل هي مؤامرة مكشوفة تقوم بها هذه العصابات بتنسيق وتوجيه من الامبريالية الصهيونية على ارض لبنان الشقيق ، في محاولة مكشوفة لخلق فتنة وضرب الاخوة الفلسطينية اللبنانية . اننا ونحن نشهدكم على مقدمات هذه الفتنة ونتائجها الخطيرة ندعوكم الى التدخل العاجل الفعال لاحباط هذه المؤامرة ودعوة السلطات المسؤولة في لبنان للضرب على ايدي عصابات الكتائب الاثمة » .

تطورت الاحداث ليلا فهوجمت مكاتب الكتائب في عدد من المناطق وجرت اشتباكات في مناطق اخرى كما نسفت عدد من المحلات يملكها كتائبيون وعند منتصف الليل اصدرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بيانا اثر اجتماع عقدته دعت فيه الى « ١ ــ معاقبة رؤوس ومخططي المجزرة . ٢ ــ اقتحام المناطق التي تحتلها ميليشيا الكتائب وتطهيرها واعتقال المجرمين جميعهم . ٣ ــ حل حزب الكتائب . ٤ ــ طرد وزراء الكتائب من الحكم ومقاطعة هذا الحزب وطنيا وسياسيا وقطع كل حوار معه. ٥ ــ المشاركة في جميع مظاهر الغضبة الشعبية على مدبري المجزرة ومن يقف وراءهم . ٦ ــ التنادي الى عقد مؤتمر وطني تمهيدي لجميع القوى الوطنية الحية يوم الثلاثاء ١٥ نيسان لاتخاذ الخطوات التي يقتضيها الوضع المتطور » . وحذر البيان السلطة اللبنانية « من ان أي تقاعس عن معاقبة المجرمين وعزل القوى التي تدعمهم سيضطرها لان تتولى بنفسها مسؤوليات الامن الوطني دفاعا عن سلامة المواطنين والمقاومة الفلسطينية » . وبعد منتصف الليل اعلن السيد رشيد الصلح ، رئيس الوزراء اللبناني ، انه طلب تسليم جميع مسببي الحادث ، وطلب من الشيخ بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، تسليم العناصر الكتائبية المشتركة في الحادث وقال ان قوى الامن تطوق مكان الحادث والاوامر مشددة لتنفيذ القانون .

كان موقف الكتائب المعلن هو ما صرح به بيار الجميل بقوله «ان عناصر الكتائب بالفعل اشتبكت مع مجموعة مسلحة لا تعرف هوية افرادها ولا حزبيتهم حتى الان » وقال « ان هذه الاعمال تخريبية ولا يمكن الا ان تكون صادرة عن العدو الاسرائيلي وحده » وكرر رئيس الكتائب نغمته حول ضرورة قيام السلطة بفرض هيبتها « لانه لا يمكن ان تستمر الفوضى التي نعيش في ظلها » . ويلاحظ من البيانات التي اصدرتها الكتائب عن الحادث ما يلي : ١ ــ محاولة استثارة النزعات الطائفية ففي البيان الذي روى وجهة نظر الكتائب جرى تأكيد على ان الحادث وقع « بينما كان يحتفل بتدشين كنيسة » وانه جرى اطلاق النار « على جموع المصلين » . ٢ ــ هناك محاولة الى جر السلطة الى موقع الكتائب وذلك باصرار الجميل « على القول وبالحاح ان على السلطة ان تفرض وجودها لان الوضع لم يعد من الجائز استمراره مطلقا » . ٣ ــ قد يكون في خطة الكتائب ان تسجل انتصارا سريعا على المقاومة بالقيام بهذه المذبحة الكبيرة وبعد ذلك تسوى المشكلة بعد ان تكون الكتائب قد خرجت منها « بطلة » . بيار الجميل بعد نحو اربع ساعات من المجزرة صرح للصحافيين « هدينا الحالة وراقت والحمد لله » .

اليوم الثاني ١٤ نيسان : استمرت الاشتباكات

في عدد من المناطق وذكرت بعض المصادر ان عدد القتلى ارتفع الى ٥٥ . اما على الصعيد السياسي فقد وصل اليوم السيد محمود رياض ، الامين العام لجامعة الدول العربية ، في مسعى للتهدئة واجتمع فور وصوله برئيس الحكومة اللبنانية . كذلك تم اجتماع في مقر الدائرة السياسية في م. ت. ف حضره السفراء العرب المعتمدون في بيروت والسيد رياض والاخ ابو اياد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، الذي ابلغ السفراء العرب « ان الثورة تحملت من الكتائب ما لم يتحمله انسان . فالكتائب ظلت طوال سنوات ثلاث تتعرض للثورة الفلسطينية بالسباب والشتائم عبر صحيفة « العمل » الناطقة باسم الحزب المذكور من دون ان تتخلى الثورة عن ضبط النفس ، ومن دون ان تحاول الانجراف في التيار الصدامي الذي اريد لها. وعلى رغم كل الاستفزازات الكتائبية المستندة الى اساس طائفي ، فأن المقاومة الفلسطينية عملت في استمرار على تطوير سياسة الحوار مع حزب الكتائب وكان من نتيجة ذلك ان وثيقة وقعت بين المقاومة والكتائب تتضمن نصوصا مبدئية ابرزها ان الاعتداءات الاسرائيلية ليس دافعها وجود المقاومة الفلسطينية وانما دافعها الاطماع الصهيونية في جنوب لبنان ومنابع نهر الليطاني ، وان المقاومة الفلسطينية ليست فصيلا طائفيا يضاف الى الطوائف الموجودة في لبنان كما انها ليست حزبا من الاحزاب اللبنانية » وقال « ان عددا من قادة حزب الكتائب هم جوزيف شادر وجورج سعادة وامين الجميل ، وجميعهم اعضاء في المكتب السياسي للحزب ، وقعوا هذه الوثيقة مع عدد من قادة المقاومة يمثلون كل فصائلها ، غير ان الكتائب اخلت بالالتزام وراوغت ، ثم حاولت ان تنتزع منها فقرة اساسية هي الفقرة التي تقول ان المقاومة الفلسطينية ليست السبب في الاطماع والاعتداءات الاسرائيلية ، مما افرغ الوثيقة من مضمونها الاساسي وجعلها غير ذات اهمية » واضاف ابو اياد « اذا لم تفلح الحكومة في السيطرة على هؤلاء القتلة ومعاقبتهم فاننا نكون غير مسؤولين عن تردي الوضع القائم ، لان الدماء التي سالت من اكثر من ٤٥ شهيدا و ٧٠ جريحا لا يمكن للجماهير ان تسكت عليها » . واثر الاجتماع صرح ناطق باسم الدائرة السياسية « ان المقاومة لم تطلب اجتماعا بالسفراء من اجل الوساطة بل لوضع هؤلاء في الصورة » واضاف انه يريد التشديد على نقطتين الاولى ان لا مشكلة بين المقاومة والسلطة اللبنانية ، والثانية ان المقاومة لم تقدم على اي رد فعل « لاننا اردنا ان نترك للسلطة اللبنانية نفسها وضع حد رادع لما يحدث » . وقد اجتمع السيد رشيد الصلح كذلك بالسفراء العرب وحضر قسما من الاجتماع السيد رياض .

على صعيد الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فقد عقدت اجتماعا برئاسة السيد كمال جنبلاط اصدرت في ختامه بيانا ذكرت فيها انها قررت : « ١ — تشكيل قيادة موحدة لمتابعة تطورات المعركة على اساس موقف وطني واحد . ٢ — اعلان الاضراب العام في كل المناطق اللبنانية من اجل تحقيق مطالب الحركة الوطنية وحركة المقاومة الفلسطينية . ٣ — دعم الدعوة الى المؤتمر الشعبي الذي سيعقد يوم ١٥ نيسان الجاري ... ٤ — ابقاء الاجتماعات مفتوحة والتنسيق الكامل مع المقاومة الفلسطينية في كل المجالات » . وادلى السيد جنبلاط بتصريح قال فيه « المهم تسليم مسببي الحوادث . فهل توصلت الكتائب الى قناعة انها يجب ان تسلم المجرمين ؟ يجب ان يعودوا الى الشرعية واذا لم يفعلوا ذلك فانهم يخرجون البلاد على اللاشرعية وعندها يكونون مسؤولين عن ذلك » .

وبالنسبة لملاحقة المطلوبين فقد صرح السيد رشيد الصلح بانه اصدر امره الى قوى الامن بدخول الشوارع التي حدثت فيها الحوادث المؤلمة « أيا كانت العقبات التي تعترضها وتوقيف جميع المطلوبين والمشتبه بهم وتطبيق القانون » واضاف « ان قوى الامن الداخلي دخلت فجر اليوم هذه الشوارع وبدأت تمشيطها وتطبيق القانون وتوقيف جميع المشتبه بهم والمطلوبين وتسليمهم للقضاء ». وقد اوقف ١٤ شخصا في عين الرمانة وسلموا الى المدعي العام في جبل لبنان. وقد أشار الاخ نايف حواتمه، الامين العام للجبهة الديمقراطية ، في لقاء مع الصحافيين عقده مع الاخ ابو أياد ان المقاومة لا تعتقد ان الاربعة عشر شخصا الذين قيل انهم سلموا الى السلطة لمسؤوليتهم عن الحادث ينتمون الى حزب الكتائب .

مع توسع الاشتباكات اقفلت اليوم الاسواق التجارية الرئيسية في العاصمة وكثير من المحلات التجارية في معظم الاحياء كذلك اقفلت المصارف ، ولم يتمكن عدد كبير من العمال والمستخدمين في مختلف القطاعات من الوصول الى مراكز عملهم الامر الذي ساهم في عملية اقفال شبه جماعية . كذلك اقفلت مؤسسات التعليم في العاصمة والضواحي ، واعلنت لجنة اتحاد الطلاب في الجامعة اللبنانية الاضراب استنكارا للحادث ودعا رئيس اللجنة الى اعتقال المسؤولين عن المجزرة ومحاكمتهم ، كذلك اعلنت لجنة اتحاد طلاب كلية الحقوق اليسوعية الاضراب ، كما اعلن الاضراب كذلك اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية وطالب بيان اصدره الاتحاد باقتحام المناطق التي تحتلها ميليشيا الكتائب وتطهيرها واعتقال جميع المسؤولين عن حادث الاتوبيس وحل حزب الكتائب وطرد وزيريه ونوابه من الحكم ومقاطعته وطنيا وسياسيا . وفي الجامعة الاميركية دعت القوى التقدمية الى مسيرة اطلقت الهتافات المؤيدة للثورة الفلسطينية والمناوئة للكتائب .

على صعيد السلطة نفى السيد رشيد الصلح ان يكون لدى حكومته نية لاعلان حالة الطوارىء كذلك أعلن ان الاستعانة بالجيش غير واردة . وكان الوزيران الكتائبيان في الحكومة قد طالبا باعلان حالة الطوارىء . أما بالنسبة للحكومة نفسها فقد قدم السيد خالد جنبلاط ، وزير المالية وعضو الحزب التقدمي الاشتراكي استقالته من الحكومة وندد بكتاب الاستقالة « بالتحديات والاستفزازات التي قام بها وما زال حزب الكتائب اللبنانية » . وقد صرح السيد عباس خلف ، وزير الاقتصاد ، ومن الحزب نفسه كذلك بأن « استقالة الوزير جنبلاط هي استقالتي واستقالته معا ، انما هي استقالة مشروطة باتخاذ التدابير الحاسمة والحازمة التي يقتضيها الموقف لاستعادة هيبة السلطة وحفظ النظام وتوقيف المطلوبين والمسؤولين عن المجزرة » .

أما حزب الكتائب فقد وجه « نداء » الى الملوك والرؤساء العرب قال فيه « اليكم نحتكم للكشف عن الحقيقة كاملة جلية في الحوادث المؤلمة التي وقعت بين الاهلين وبعض عناصر المقاومة في احدى ضواحي بيروت فسقط عدد من الضحايا الغالية على قلوب الجميع . نحتكم لاحقاق الحق وجلاء الواقع واجتناب الكوارث وحقن الدماء وايجاد صيغة تنسيق وتوفيق بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية صونا للسيادة الوطنية وللامن وللنظام» . ويلاحظ في هذا « النداء » ان الكتائب نصبت نفسها ناطقة باسم اللبنانيين وانها تحاول ان تصور المشكلة واقعة بين المقاومة واللبنانيين وانها منصبة على ايجاد صيغة تنسيق وتوفيق بين الجانبين .

تجدر الاشارة في هذا الصدد الى موقف البطريركية المارونية من الاحداث التي وقفت موقفا مهدئا ايجابيا . وقد اصدرت امانة سر البطريركية بيانا أعلنت فيه ان صاحب الغبطة البطريرك انطونيوس بطرس خريش « آلمه أشد الالم ما ترامى اليه من انباء عن اضطراب الامن واطلاق الرصاص واثارة الاستفزازات » وناشد « اولي الامر ان يقبضوا بيد من حديد على زمام الامور ويطبقوا القوانين بالعدالة والمساواة على الجميع أيا كانوا » .

اليوم الثالث – ١٥ نيسان : توسعت دائرة الاشتباكات في العاصمة والضواحي وحدثت سلسلة من الانفجارات دمرت عددا كبيرا من المؤسسات الاقتصادية ، وكانت حدة المعارك مركزة في محور مخيم تل الزعتر – سن الفيل – الدكوانة ، ومنطقة عين الرمانة ، والغبيري والشياح ، كما هوجم عدد من مراكز الكتائب ومكاتب بعض قيادييها . وذكرت أنباء صحافية ان عدد القتلى بلغ هذا اليوم ٢٧ قتيلا ، كما ذكرت أنباء اخرى ان العدد كان ٢٧ قتيلا . وقد توسع نطاق العنف فشمل طرابلس حيث قتل فيها اربعة أشخاص وصيدا وزحلة . وسارت تظاهرات استنكار للكتائب في عدد من المناطق اللبنانية .

على صعيد جماهيري عقدت « الاحزاب والهيئات والنقابات والقوى الوطنية والتقدمية » مؤتمرا شعبيا في مقر جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية في بيروت ، واتخذت توصيات بـ « ١ – اعتبار قيادة حزب الفئة (الكتائب) المسؤولة عن تخطيط المجزرة وتنفيذها بالتواطؤ مع العدو الصهيوني . ٢ – ازالة الحواجز الكتائبية ، وجميع المظاهر العسكرية الفاشية من الشوارع والامكنة العامة ، ومداهمة مراكز حزب الكتائب حيث يتوارى المجرمون

وتخبأ الاسلحة . ٣ ــ توقيف ومعاقبة مرتكبي المجزرة والمحرضين عليها ، المعروفين من الهيئات الشعبية وأجهزة الامن المختصة . ٤ ــ طـرد وزيري حزب الكتائب من الحكومة . ٥ ــ مقاطعة حزب الكتائب وطنيا وسياسيا . ٦ ــ حل حزب الكتائب وتصفية منظمته العسكرية ومصادرة أمواله وأسلحته . ٧ ــ التضامن الكامل مع المقاومة الفلسطينية في وجه جميع اعدائها . ٨ ــ دعوة القيادات الوطنية المسيحية الى ممارسة دورهـا القيادي في خدمة الوطن ، وحمايته ، بمنع حزب الفتنة الفاشي المتواطىء مع الصهيونية من الاستمرار في ادعاء تمثيل الرأي العام المسيحي ... ».

على الرغم من ان حركة المقاومة ومعها القوى التقدمية حرصت على اعطاء المعركة طابعا وطنيا موجها ضد الكتائب وحدها ، الا انه جرت محاولات من الكتائب لجر المعركة الى النطاق الطائفي ، فقد عقد اجتماع في جونية حصر في اطار طائفي دعا فيه المجتمعون الى « تخطي الخلافات السياسية والانقسامات الحزبية وحشد الطاقات المادية والمعنوية في اطار كسرواني ــ فتوحي موحد لخدمة لبنان » ، وصدر عن الاجتماع بيان بتوقيع « الحركة الوطنية الكسروانية » جاء فيه انه تألفت لجنة من أبناء كسروان لدعم « الجبهة بالاسلحة والذخيرة والدم والمال والطعام ووسائل النقل وغيرها » وايواء اللبنانيين « الذين تشردوا في وطنهم » . وقال البيان « ان القضية لم تعد قضية فلسطين انما أصبحت قضية لبنان في ضوء احـتـرام الفلسطينيين لسيادة لبنان » . غير ان ثمة جهودا بذلت ساعية الى كبت النزعات الطائفية ، ومن تلك الاجتماع الذي عقده ممثلون عن المجلس الاسلامي والرابطة المارونية وحزب الهيئة الوطنية والذي تقرر فيه : « يشجب المجتمعون الحوادث الدامية التي ذهب ضحيتها الابرياء ويطالبون السلطة بتحمل مسؤولياتها والقبض على الفاعلين وتطبيق القانون بحق الجميع . يشدد المجتمعون على الطابع الحصري لهذه الحوادث المؤسفة التي لا يمكن ان تمس وحدة اللبنانيين وتلاحمهم وحرصهم الكامل على القضية الفلسطينية الحقة . كما يحذر المجتمعون اللبنانيين جميعا من كل دس طائفي قد يتعرضون له ... » . كذلك صدر عن امانة سر تجمع « المسيحيين الملتزمين » بيان أعلن انه « بعد المجزرة الدموية الرهيبة التي ذهب ضحيتها العديد من الاخوة الفلسطينيين ومن بينهم النساء والاطفال ، لا بد لنا ... الا ان نعلن استنكارنا الشديد لهذه المكيدة التي دبرتها قوى حزب الكتائب الطائفي » .

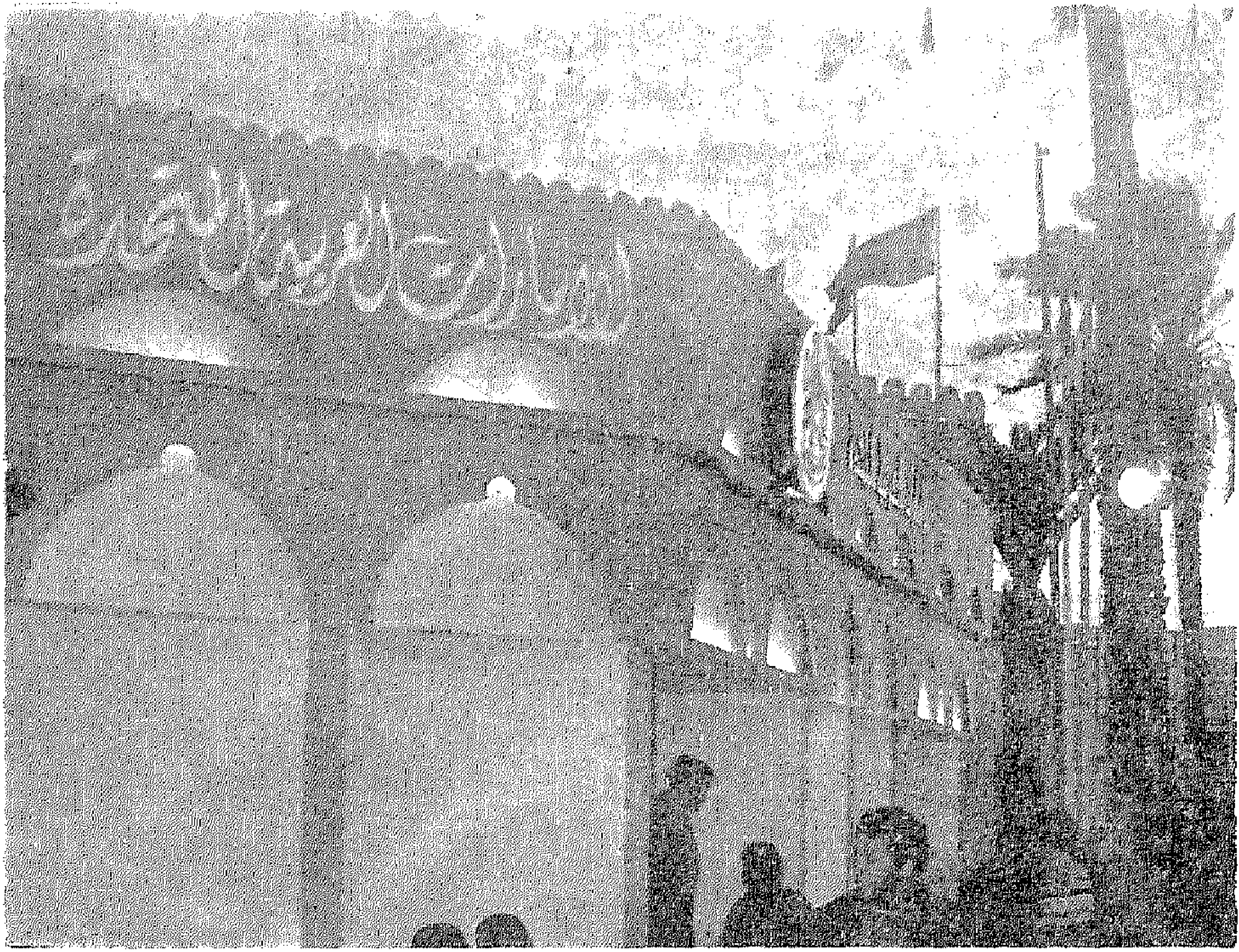
بالنسبة للمساعي المبذولة لوقف القتـال ، استمر السيد محمود رياض في جهوده واتصالاته ، وكانت جهود التوسط منصبة جميعا على أن تقوم الكتائب بتسليم المطلوبين الى السلطة . وفي هذا الصدد استدعى السيد سليمان فرنجية ، رئيس الجمهورية ، رئيس حزب الكتائب واجتمع به وبحث معه في ترتيبات تسليم المطلوبين وبحث الرئيس في الموضوع نفسه مع وزير الدفاع وقائد الجيش وذلك في اطار المساعي المبذولة لتهدئة الاوضاع . وقد اسفرت المساعي بالاضافة الى الضغوطات التي مورست من خلال عمليات العنف عن قيـام الكتائب بتسليم اثنين من المطلوبين . ففي الساعة الاولى والنصف بعد منتصف الليل اذاع السيد رشيد الصلح بيانا قال فيه « قرابة الساعة الحادية عشرة ليلا اتصل بي الشيخ بيار الجميل وابلغني انه نزولا عند رغبة فخامة رئيس الجمهورية سيسلم قوات الامن اثنين من المطلوبين في الحادثة المؤسفة ... وقد تسلمت قوات الامن المسؤولة المطلوبين الاثنين وهما مارون شيتي وحنا أمين عون » . وقد علقت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) على البيان بـ « ان تسلم الدولة المسـؤولين عـن المجزرة الدموية التي نفذها حزب الكتائب ضـد المواطنين الفلسطينيين المدنيين الابرياء هو أمر سيساعد كثيرا على تهدئة الاوضاع وقطع دابر الذين كانوا دائما وراء التصعيد لدفع لبنان الى الفتنة خدمة للعدو الامبريالي والصهيوني » .

اليوم الرابع ــ ١٧ نيسان : شهد اليوم تصعيدا في أعمال العنف خصوصا في الدكوانة وتل الزعتر ، وقد استعملت في الاشتباكات المدفعية والصواريخ وسقط قتلى وجرحى كثيرون . وقد وزعت « وفا » تعليقا لمحررها السياسي جاء فيه انه « لم يكن امام قيادة مليشيا الثورة من خيار سوى الردع القاسي ... وبالفعل قامت قوات مليشيا الثورة وحدها ، خلال الايام الثلاثة الماضية ، بحملات تاديبية محدودة في كل المناطق الكتائبية ». وبالاضافة الى بيروت

وضواحيها شهدت طرابلس أعمال عنف موجهة الى مؤسسات اقتصادية يملكها كتائبيون . وقد أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في طرابلس بيانا أعلنت فيه « ان المعركة هي بين الحركة الوطنية في كل مناطق الشمال ... من جهة وبين الكتائب العميلة من جهة أخرى » ، كما أعلنت انها شكلت قيادة سياسية وعسكرية ومدنية للتنسيق مع المقاومة بكل فصائلها « لتأمين خط المعركة الصحيح وحماية طرابلس والشمال من المؤامرات » . وفي غير طرابلس ، استمر الاضراب في صيدا التي شهدت انفجارات عديدة هزت المدينة. وقد عقد في صيدا ممثلون عن الاحزاب والقوى التقدمية والمقاومة ووفود من القرى المجاورة وعدد من رجال الدين يمثلون طوائف عدة واصدروا بيانا أكدوا فيه « ان المعركة ليست بين مسلم ومسيحي بل بين قوى وطنية تدافع عن الوطن وقوى لاوطنية عميلة لا تهمها مصلحة الوطن باعتبار ان الكتائب من القوى المعادية التي تعمل ضد مصلحة لبنان والقضية الفلسطينية » . وفي بعلبك عقد اجتماع ضم الرؤساء المسيحيين والمسلمين في المدينة وعددا من الوجهاء وممثلي العائلات البعلبكية ، وقد أصدر هؤلاء في نهاية الاجتماع بيانا أعلنوا فيه تأييد المقاومة الفلسطينية واستنكار المجزرة التي تعرض لها لبنانيون وفلسطينيون عزل من السلاح والمطالبة بتطبيق القانون وتسليم المسؤولين عن المجزرة . كذلك استمر الاضراب في مرجعيون والتظاهرات في قرى القضاء كما شهدت النبطية تظاهرة ضد الكتائب تخللتها حوادث عنف .

بجانب التصعيد في عمليات العنف استمرت مساعي التهدئة التي كانت منصبة على ايقاف القتال بعد ان سلمت الكتائب اثنين من المطلوبين ، وقام السيد محمود رياض بدور رئيسي في هذه المساعي التي انتهت على ان يصدر كل فريق في وقت واحد بيانا يعلن فيه الموافقة على وقف النار. وفي المساء صدر البيان الاول عن رئيس الحكومة الذي قال فيه « بعد الاتصالات والمباحثات التي قمنا بها مع جميع الفرقاء بتوجيه من رئيس الجمهورية وبالتعاون مع الامين العام لجامعة الدول العربية الاستاذ محمود رياض والسادة السفراء العرب ، تم الاتفاق على وقف اطلاق النار وسحب المسلحين من الشوارع والساحات العامة . وان قادة الامن الداخلي مكلفون بمراقبة وتطبيق وتنفيذ هذا الاتفاق ... » وتلا ذلك بيان الشيخ بيار الجميل الذي جاء فيه « ... ان مساعي الخير قد انتهت الى ان يدعو كل فريق من فرقاء النزاع الى وقف اطلاق النار وقفا تاما واخلاء مواقع الاحتكاك من المسلحين بصورة تامة وشاملة ، واعادة هؤلاء الى مراكزهم العادية السابقة واطلاق المحتجزين من قبل الجانبين ... » ثم اذيع بيان من قيادة الثورة الفلسطينية نص على انه «استجابة لنداء رئيس الجمهورية اللبنانية ، ورئيس الوزراء، ولدعوة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، وتكريما للمساعي الاخوية التي قام بها السيد الامين العام لجامعة الدول العربية والعديد من الشخصيات الروحية والزمنية التي تحركت بدافع الوطنية والحرص على المصلحة القومية ، وحرصا من الثورة الفلسطينية على مصلحة لبنان وسلامة أبنائه ، وحفاظا على روح التآخي بين اللبنانيين والفلسطينيين وتسهيلا لاعادة الحياة الطبيعية الى البلاد ، فان قيادة الثورة تعلن موافقتها على وقف اطلاق النار وتطلب من جميع عناصرها واصدقائها الالتزام التام بهذا القرار والامتناع عن اطلاق النار في جميع المناطق فورا » . وتلا ذلك بيان من الاحزاب التقدمية والقوى الوطنية أعلنت فيه « حرصا منها على أمن المواطنين وسلامتهم ومصالحهم الحيوية وادراكا منها لمقتضيات المصلحة الوطنية وما تتطلبه من ترسيخ للوحدة بين جميع أبناء الشعب اللبناني ، ومن تعميق لروابط المصير المشترك بين الشعبين اللبناني والفلسطيني وأمام ما تفرضه المصلحة القومية في مواجهة العدو المشترك تناشد الجميع وقف اطلاق النار فورا..».

وعلى الرغم من هذه النداءات فقد شهدت الساعات القليلة التي أعقبتها اشتداد أعمال العنف ، الا انها هدأت تدريجيا في صباح اليوم التالي . وخلال الايام الثلاثة التي اعقبت الاتفاق على وقف اطلاق النار حدثت حوادث متفرقة في مختلف الانحاء اللبنانية حتى يوم الاحد ٢٠ نيسان عندما أعلن ناطق باسم الامن اللبناني انه لم تقع في ذلك اليوم حوادث مخلة بالامن .



احتفل جناح دولة الامارات العربية المتحدة بيوم بلاده في معرض طرابلس الدولي في الثالث عشر من شهر مارس عام ١٩٧٥ . وقد أقيمت بهذه المناسبة حفلة استقبال حضرها سعادة الاخ حمد سالم المقامي سفير دولة الامارات العربية المتحدة في الجمهورية العربية الليبية ، دعي اليها الاخوة اعضاء السلك الدبلوماسي العربي والاجنبي المقيمين بالجمهورية العربية الليبية وكبار المسؤولين ومدراء الاجنحة .

وبهذه المناسبة ادلى مدير الجناح الاخ محمد علي المناعي بالتصريح التالي :

لقد حرصت وزارة الاعلام والثقافة في دولة الامارات العربية المتحدة على المشاركة لاول مرة في معرض طرابلس الدولي في الجمهورية العربية الليبية ايمانا منها بأهمية الدور الذي تلعبه المعارض الدولية في زيادة حجم التبادل الاعلامي والثقافي والاقتصادي بينها وبين الدول المشاركة في المعرض . وقد ركزت وزارة الاعلام والثقافة جهودها للتعريف بدولة الامارات ، فحاولت ان تجمع في جناحها الذي روعي في تصميمه الطابع العربي الاسلامي . وقد جمع هذا المعرض بين التراث العربي الاصيل المتمثل في بعض المعروضات الاثرية كالسيوف والخناجر ومعدات صيد اللؤلؤ . وبين بعض المعروضات الاثرية المغرقة في القدم كالاواني الفخارية التي يرجع تاريخها الى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وكذلك تشير الى أهم المنجزات الكبيرة ، التي حققتها دولة الامارات العربية في حقول الاعمار والنهضة الشاملة خلال سنوات قليلة من عمرها كاقامة مصانع تكرير النفط والحوض الجاف ومصنع تسييل الغاز ، وخزانات النفط الضخمة في دبي ، وكذلك مصانع الاسمنت .

أما عن النواحي العمرانية فقد عرض في الجناح بعض الصور الملونة الجميلة التي تنطق بواقع التقدم العمراني الذي تشهده البلاد علاوة على الكتب القيمة التي تحكي قصة التاريخ الحضاري القديم والحديث لهذه الدولة الفتية . وقد طبعت هذه الكتب بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والانجليزية . وقد برزت في ركن من الجناح بعض الصناعات التي أسست حديثا كالحديد والالمنيوم والبلاط والموزاييك والرخام والمواسير بكافة الاحجام .



مجلة

البيان

مجـــلة فكرية شهرية تصدرها

رابطة الادباء في الكويت

وتحررها الاقلام العربية الاصيلة



للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص. ب. : ٣٤٠٤٣ ــ العديلية
الكويت



« البيان » ... توزع في معظم الاقطار العربية

قيمة الاشتراك السنوي :

ديناران كويتيان او ما يعادلهما

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

رئيس التحرير : صفوان قدسي

المراسلات : باسم رئاسة التحرير ، جادة الروضة ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية

الاشتراك السنوي ، خارج الجمهورية العربية السورية ، ١٢ ليرة سورية او ما يعادلها ، يضاف اليها رسوم البريد (عادي او جوي حسب رغبة المشترك) .

ترسل قيمة الاشتراك حوالة بريدية او شيكا او تدفع نقدا الى محاسب مجلة المعرفة ، جادة الروضة ، دمشق .

يتلقى المشترك كل سنة كتابا هدية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

ثمن العدد : ١٠٠ قرش سوري ، ١٠٠ قرش لبناني ، ١٢٥ فلسا اردنيا ، ١٢٥ فلسا عراقيا ، ٢٠٠ فلس كويتي ، ٢،٥ روبية ، ٣،٥ شيلن ، ١٥ قرشا مصريا ، ١٥ قرشا سودانيا ، ١٥ قرشا ليبيا ، ريالان سعوديان ، ٣،٥ دينار جزائري ، درهمان مغربيان ، درهمان تونسيان .

شركة الملاحة الكويتية

شركة الملاحة الكويتية ش.م.ك.

خطوط منتظمة حول العالم

بواخر الشركة

القادسية	حمولة	١٣,٤٤٠	طن	الصليبية	حمولة	١٣,٤٤٠	طن
الصباحية	〃	١٣,٤٤٠	〃	الفروانية	〃	١٣,٤٤٠	〃
الجابرية	〃	١٣,٤٤٠	〃	الشدادية	〃	١٣,٤٤٠	〃
المنصورية	〃	١٣,٤٤٠	〃	الصالحية	〃	١٣,٦٠٠	〃
العديلية	〃	١٣,٤٤٠	〃	ابن خلدون	〃	٩,١٠٠	〃
الشامية	〃	١٦,٦٠٠	〃	ابن ماجد	〃	٩,١٠٠	〃
الاحمدية	〃	١٦,٦٠٠	〃	المباركية	〃	٢٢,٣٠٠	〃
الرميثية	〃	١٦,٦٠٠	〃	السالمية	〃	٢٢,٣٠٠	〃
القرينية	〃	١٣,٤٤٠	〃	ابن بطوطة	〃	٢٢,٣٠٠	〃
العمرية	〃	١٣,٤٤٠	〃	ابن رشد	〃	٢٢,٣٠٠	〃
الخالدية	〃	١٣,٤٤٠	〃	ابن حيان	〃	٢٢,٣٠٠	〃
العارضية	〃	١٣,٤٤٠	〃	ابن طفيل	〃	٢٢,٣٠٠	〃

الرحلات المنتظمة

- رحلة واحدة كل عشرة ايام من موانئ شمال اوروبا / المملكة المتحدة الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل ثلاثة اسابيع من موانئ اليابان / هونغ كونغ وسنغافورة الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل شهر من موانئ امريكا " الساحل الشرقي " الى الكويت وموانئ الخليج العربي
- رحلة واحدة كل شهر من موانئ الخليج العربي الى ومن موانئ البحر الاحمر والهند وباكستان

التسهيلات والخدمات

١- خدمات نقل وتخليص وتغليف من مستودعاتكم الى مستودعات المجهزين بواسطة شركة النقل العربية " أراترانس "
٢- شحن المعدات الثقيلة لغاية ٦٠ طن للقطعة الواحدة على أي باخرة و ١٠٥ طن للقطعة الواحدة على أي باخرة من بواخرنا الحديثة
٣- قبول القطع الطويلة لغاية ١٠٠ قدم في الطول .
٤- عطاءات اجور الشحن من أي ميناء في العالم الى موانئ الخليج العربي .

لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بـ : شركة الملاحة الكويتية ش.م.ك.

...يخ - شارع جمال عبد الناصر - هاتف : ٨١٦٠٣٢ ، ٨١١٩٠٢٢ ، ٨١٩٣٩١ - ص.ب : ٣٦٢٦ - تلكس { ٢٠١٨ ٢٢٨٢ برقيا : كيوناف



شركة الالبان اللبنانية

"فورموست"

ش.م.ل.

صندوق البريد ١١ـ ٦٣٧٢ ـ بيروت، لبنان ـ تلفون ٤٣١٨٣٣ ـ ٤٣١٩٣٠
سجل تجاري جبل لبنان ٢٠٦٣ ـ العنوان البرقي، فورموست ـ بيروت

Lebanese Foremost Dairies

S.A.L.

KFARCHIMA



الشركة الوطنيّة للتجارة والآليات

تقـــدم



داتسـون ١٣٠٠ الجديدة للنقـل

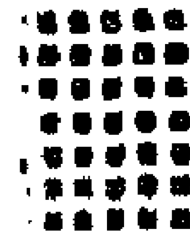
اينمــا حللــت فان سيارات داتسون تقـابلك في الطريق

الشركة الوطنية للتجارة والآليات
ص.ب ٢١٧ ، هاتف ٤١٠٠٢
طرابلس ـــ الجمهورية العربية الليبية

الفكر

مجلة الثقافة التونسية الحية

لا تزال على وفائها ومثابرتها في خدمة القارئ التونسي والعربي



منذ ٢٠ عاماً

تصدر بتونس في مطلع كل شهر

مؤسسها ومديرها المسؤول : محمد مزالي

رئيس تحريرها : البشير بن سلامة

سكرتير التحرير : عبد الواحد براهم

منذ ان برز العدد الاول من « **الفكر** » في شهر تشرين الاول ١٩٥٥ والمجلة لا تزال تصدر شهريا وبانتظام ، مساهمة بنشاط دائب في ارساء دعائم ثقافية عربية أصيلة ، وتكوين جيل جديد من الادباء ، وفي الانفتاح الواعي على مواطن الفكر الاصيل حيثما كان .

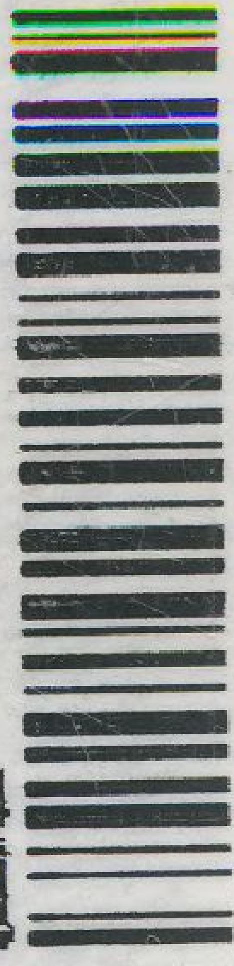
— تصدر مجلة **الفكر** عشر مرات في السنة ، وتحتجب في شهري أوت وسبتمبر .
— قيمة **الاشتراك** السنوي : ٣ دنانير تونسية بالنسبة لتونس ولسائر البلاد العربية ، ٣ دنانير ونصف بالنسبة لاشتراكات بقية البلاد .
— **اشتراك** الانصار : ٥ دنانير .
— **الاشتراكات** : يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة او يصب في حسابها الجاري رقم ٣٣٧٠٦٩ بالبريد ، تونس .
— **المراسلات** : تكون جميعها باسم مدير مجلة « **الفكر** » صندوق البريد عدد ٥٥٦ ، تونس .

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon L L 40, Syria S L 50, other Arab countries LL 50 or equivalent, Africa and Europe LL 65, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

خاص بالمشتركين


Bibliotheca Alexandrina
0535860
